

# نُزُلُكُ الْمَسِيرِ

فِي  
سِلْمِ النَّفْسِ

تَأْلِيفَ

الإمام أبي الفرج محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الجوزي القرشي البغدادي  
٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن خزيمة

المكتب الإسلامي

# فِئَةُ الْمُسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تَأْلِيفُ

الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن حزم

المكتب الإسلامي



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى الجديدة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب. ١١/٢٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٥)  
دمشق : ص.ب. ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧  
عمان : ص.ب. ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب. ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّالِثَةِ

بقلم: زهير الشاويش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذه الطبعة الثالثة من «زاد المسير» للإمام العلامة ابن الجوزي، الذي شرفني الله منذ عشرين سنة بإخراجه إلى دنيا الطباعة والانتشار، بين محبي كتاب الله، ونفع به. فله سبحانه الفضل والمنة، وبنعمته تتم الصالحات. ثم يسر الله لي المتابعة في هذا الطريق، وتقديم العدد الكبير من تراثنا العظيم تفسيراً، وعقيدة، وحديثاً، وفقهاً، جعل ذلك ذخراً لي يوم الدين. يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يلقى الناس جزاء أعمالهم. ولا يظلمون فتيلًا. ومن ذلك «جواهر الأفكار» للعلامة الشيخ عبد القادر بدران؛ و«التفسير العصري القديم» للشيخ عبد الفتاح الإمام؛ و«قوة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد كنعان؛ و«البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان» للعلامة الشيخ سعدي ياسين؛ و«تفسير جزئي عم وبارك» للأستاذ أحمد مظهر العظمة؛ و«الفلم القرآني» للأستاذ عبد الرحمن الباني؛ و«لمحات في علوم القرآن» للدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ؛ و«علوم القرآن» للدكتور عدنان زرزور، و«التجويد وعلوم القرآن» للأستاذ عبد البديع السيد صقر؛ و«فوائد قرآنية» للعالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي؛ و«إقامة الدليل والبرهان» للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع؛ و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي بتحقيق الأستاذ سمير مجذوب، و«الدستور القرآني» للأستاذ عزة دروزة؛ و«قصص القرآن» للأستاذ هوفق سليمة؛ و«الناسخ والمنسوخ» للعلامة ابن سلامة، و«قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن» للشيخ البلوري؛ وغيرها.

كما أن تحت الإعداد للطبع، عدد آخر أرجوه تعالى أن يكون لنا عوناً على الإتمام والإحسان؛ وأن يصرف عنا شر الأشرار، وحسد وكيد من لا خلاق لهم، إنه سميع مجيب.

وهذه الطبعة أقدمها بعد تصغير الكتاب من حجم ٢٨/٢١ إلى حجم ٢٥/١٨ بطريقة الأوفست، ليكون حجمه أصغر استجابة لرغبة الكثيرين من العلماء وطلاب العلم؛ وليبقى ثمنه ضمن الحدود المعقولة.

وقد قمت باستدراك الكثير مما قد نَدَّ عَنَّا سابقاً من الأخطاء ضمن الحدود التي تسمح بها طريقة الطبع؛ وأرجو الله سبحانه أن ينفع بها كما نفع بما سبقها، وأن يجعلنا من أهل طاعته، وخدام شريعته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## مَقَدِّمَةٌ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نعمه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضِلّ فلا هادي له. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وبارك على سيدنا ومولانا محمد، رسول الله وخيرته من خلقه، خاتم النبيين، وأشرف المرسلين.

أما بعد فهذا كتاب «زاد المسير في علم التفسير» للإمام المحقق أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ).

نضعه بين أيدي القراء لأول مرة بعد أن اضطلعنا بتحقيقه وضبطه على نحو نرجو أن نكون قد وفّقنا فيه.

ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا: إن هذا الكتاب من أجل ما انتهى إلينا من ثراث السلف في بابه، وأوفاهها بالغاية من هذا العلم، مع تنقيح وتهذيب يسّر ان الفائدة منه في أي غرض من أغراضه، وقد بعثه على تأليفه أنه نظر - كما يقول في مقدّمته - في كُتُب التفسير، فوجدها بين كبير قد يَنسَ الحافظ منه، وصغير لا يُستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب؛ فأتى بهذا المختصر اليسير منظوياً على العلم الغزير. ومن ثمّ حاول في تفسيره هذا أن يتلافى ما أُلغى إليه من عيوب التصنيف التي وقع فيها من تقدّمه، فترك ما لا فائدة في استقصائه، واستدرك ما فات السابقيين مما لا غنى عن ذكره، وحرّص أن يجعله على اختصاره وإيفاء بالغاية منه غير مُجَلّ بشيء مما يحتاج طالب التفسير إليه.

وكان معوّله في تفسير الآي على ما أثير عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثم على ما نُقل عن الأفاضل من علماء الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم على ما روي عن خلفهم من جلة التابعين، كسعيد بن جبیر، وعكرمة بن عبد الله، وطاووس اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والحسن البصري، وأضرابهم<sup>(١)</sup> وقد أُلّم أيضاً بمشهور القراءات، وأطراف من شواذها، ونقل توجيهها في العربية عن أئمة هذا العلم، ولم يفته - وهو يفسر مفردات القرآن - أن يذكر اشتقاقها استكمالاً للمعنى، وزيادة في الفائدة، كما أنه استعرض آراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة.

أما المصادر التي نقل عنها، ففي طليعتها تفسير ابن جرير، وكتب الحديث، وكتابات ابن قتيبة: «مشكل القرآن»، و«غريب القرآن»، وكتب معاني القرآن، ولا سيما كتابا القراء والزجاج، و«الحجة» لأبي علي الفارسي، و«مجاز القرآن» لأبي غيبة، وكتب ابن الأنباري في القرآن، وأسماء الله الحسنى للخطابي، وغيرها.

(١) لقد انبرى إلى تفسير القرآن من الصحابة الكرام عدد غير قليل، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله عليهم من طريق الفهم والتأويل. وأشهر من عرف بذلك عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وقد نثر المؤلف رحمه الله في تفسيره أقاويل هؤلاء الصحابة الأعلام في تأويل الآي. وأشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين الذين أخذوا التفسير عنه سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة مولا، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وأشهر تلاميذ عبد الله بن مسعود علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر، والشعمي، والحسن البصري، وقادة بن دعامة الدوسي. وأشهر تلاميذ علي بن أبي طالب، عبيدة السلماني، وأبو الطفيل، والحسين ابنه. وأشهر تلاميذ أبي بن كعب، زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.



وكان أكثر ما يتقل عنهم بحكاية لفظهم نفسه، فإذا تجاوزَ ذلك إلى الحكاية بالمعنى لم يغفل في الغالب الإشارة إلى ذلك.

هذا ولم يُخلُ تفسيره من الاستشهاد ببعض الأحاديث المنكرة التي لا تصح، ومن إيراد طائفة غير قليلة من الأخبار الإسرائيلية الغريبة التي أغنانا الله عنها بما هو أصح منها وأنفع، وأوضح وأبلغ، وغالبه مما لا يتعلق به كبير فائدة، ولا حصيل له مما ينتفع به في الدين<sup>(١)</sup> وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنى على معنى، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة، ولكن مثل هذه المآخذ اليسيرة التي لا يكاد يخلو منها كتاب لا تحط من قدر هذا التفسير الجليل الزاخر بالفوائد.



(١) يقول علماء الإسلام: إن الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القليل، ولا من هذا القليل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجزو حكايته، لما روى البخاري ٣٦١/٦ بشرح «الفتح» أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال الحافظ ابن كثير: وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأصحاء الطيور التي أحيأها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لَكُنْهُنَّ أَيْهَهُنَّ لَكِنَّهُنَّ عَلَى صَدَقَةٍ، وَلَا كَذِبٍ شَيْءٍ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَجَعَلَهُ قَوْلًا أَوْ رِوَايَةً فِي مَعْنَى الْآيَاتِ، أَوْ فِي تَعْيِينِ مَا لَمْ يَبَيِّنْ فِيهَا، أَوْ فِي تَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَ فِيهَا، شَيْءٌ آخَرٌ، لَأَن فِي إِبْتِثَانِ مِثْلِ ذَلِكَ بِجَوَارِ كَلَامِ اللَّهِ، مَا يُوْهَمُ أَنَّ هَذَا الَّذِي لَا نَعْرِفُ صَدَقَهُ وَلَا كَذِبَهُ مَبِينٌ لِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْصَلٌ لِمَا أَجْمَلَ فِيهِ، وَحَاشَا لَهْ وَلِكِتَابِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَدْنَى بِالتَّحَدُّثِ عَنْهُمْ أَمَرْنَا أَنْ لَا نَصْدَقُهُمْ وَلَا نَكْذِبُهُمْ، فَإِي تَصْدِيقَ لِرِوَايَاتِهِمْ وَأَقْوَابِهِمْ أَقْوَى مِنْ أَنْ تَقْرَنَهَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَنَضْمَهَا مِنْهُ مَوْضِعَ التَّفْسِيرِ أَوِ الْبَيَانِ؟! اللَّهُمَّ غُفْرًا.

## نسخ الكتاب

كان اعتمادنا في نشر هذا التفسير على أربع نسخ مصورة عن أصول مخطوطة.

### النسخة الأولى:

مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف هناك<sup>(١)</sup>، وقد حُيِّمت كل نسخة بخاتم الخزانة. ونصه: مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط. وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة المكتبي، وهو (١٨٣) وتحت حرف أبجدي يشير إلى رقم الجزء، وإلى جانبه خاتم آخر باسم مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت. وقد سجل على غلاف كل جزء من أجزاء النسخة اسم مالكها الأصلي، وهو أحمد بن محمد بن ناصر، ولعل كتب مكتبة الزاوية الناصرية نسبت إليه، غير أن ما في غلاف الجزء الرابع من النسخة يبين أن ملك النسخة قد انتقل إلى أحمد بن ناصر هذا من شخص آخر، كتب اسمه تحت عنوان الجزء نفسه، ثم في هامش آخر صفحاته وهو: محمد بن محمد بري. وجميع أجزاء هذه النسخة منقولة عن أصل المصنف الذي كتبه بيده، ومقروء عليه، ومقابلة، كما يظهر من السماعات التي مثبتت صورتها.

أما مقياسها فهو كما يبدو من القياس (السانتيمتري) الموضوع على وجه الغلاف (١٣×٢٠) أوصاف أجزائها: الجزء الأول: (١٨٣): عدد صفحاته ٥٣٧ صفحة، في كل منها ٢١ سطراً في كل سطر ١٣ كلمة تقريباً، يبتدئ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة المائدة. خطه جميل ومقروء بوضوح، وصفحاته الأوائل أكثر حسناً من غيرها، وهي إلى ذلك مضبوطة بالشكل، ولم يذكر فيه اسم ناسخه، ولا متى نسخ.

الجزء الثاني: (١٨٣): عدد صفحاته يزيد عن سابقه بثلاث صفحات، ويساويه في عدد أسطره وكلماته، يبتدئ بسورة الأنعام وينتهي بسورة الحجر، وشبه الجزء الأول من حيث جمال خطه ووضوحه، وهو مثله أغفل من ذكر اسم الناسخ، غير أن تاريخ النسخ ذكر فيه، وهو يوم السبت ثالث رمضان من سنة ست وتسعين وخمسمئة، وذكر في آخره بخط دقيق ما صورته: بلغ العرض بأصل الشيخ الذي بخطه العتيق، وصح حسب الإمكان والحمد لله والمنة. وكذلك أثبت بعدها السماعات والقراءات عن الأئمة والعلماء.

الجزء الثالث: (١٨٣): عدد صفحاته وعدد الأسطر في كل صفحة يطابق ما في الجزء الثاني، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريباً، وعلى صفحة الغلاف كتبت أسماء السور المفسرة طيه، ويبتدئ بسورة (النحل)؛ وينتهي بسورة (يس). خطه واضح جميل متوسط الحجم وعُلق على هامش آخر صفحاته ما نصه: بلغ مقابلة حسب الإمكان.

الجزء الرابع: (١٨٣): عدد صفحاته (٣٦٢) صفحة، في كل صفحة ٢٩ سطراً، أي بزيادة ثمانية أسطر عن صفحات الأجزاء السابقة، وفي كل سطر ١٤ كلمة. يبتدئ بسورة (يس) حتى آخر القرآن. خطه جميل مقروء وواضح، غير أنه ناعم دقيق الجسم متقارب الكلمات. ويبدو أن ناسخه غير ناسخ الأجزاء الثلاثة. ويظهر من التعليق على هامش الصفحة الأخيرة اسم الناسخ، إذ كتب ما نصه: وكتبه لي الشيخ إبراهيم بن الصارم القواس، أخذ أجرة كاملة، وعلقه تعليقاً، سألحه الله. وفي خاتمة الجزء ما يلي:

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير. وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقد من رأى اختصارنا أنا قللنا، فإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا وذللتنا، فليكن الناظر كتابنا متيقظاً

(١) لا يفوتنا في هذه المناسبة أن نقدم خالص شكرنا، وجزيل امتناننا للسلطة القائلين على الخزانة العامة بالرباط، لتقديمهم «فلماً» مصوراً عن المخطوطة هدية خالصة، وللعالم الفاضل الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة الذي كان الواسطة في تيسير ذلك.



لما أغفلنا، فإننا صُنِّمنا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابتنا «المغني» في التفسير، فإن أراد مختصراً فعليه بكتابتنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آبيه آدم وذريته والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثم يعقب ذلك فصل في ترتيب سور القرآن، ذكر في أوله أنه من صنع ابن الجوزي، وقد كتب عنوانه: «قصيدة» وليس كذلك، وإنما هو عبارة عن جمل مسجوعة تسهل حفظ أسماء سور القرآن الكريم مرتبة.

وفي هامش الصفحة التي قبل الأخيرة إلى جانب تفسير سورة (الناس) كُتِبَ بخط دقيق ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله كتب هذه البسملات من أوائل التفسير إلى آخره، وهو هذا الجزء الرابع مالكة العبد الفقير من الفقر إلى الفقر، الراجي رحمة ربه ذي الجود والبر، محمد بن محمد بري. بلغه الله ما أمله، وأم له، وكان له في حاله وماله بمحمد وآله.

كما كُتِبَ في الهامش اليساري من الصفحة الأخيرة، عند آخر التفسير ما نصه: «بلغ الله الحمد» وتحت بقليل: من كتب العبد الفقير من الفقر إلى الفقر محمد بن محمد بري لطف الله به وبالمسلمين بمنه.

### النسخة الثانية:

وهي نسخة المكتبة الأحمدية في حلب تحت رقم (٧٠)، وهي مؤلفة من أجزاء أربعة، في صفحة كل جزء (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

الجزء الأول: وعدد صفحاته (٤٩٢) ويتبدئ من (الفاتحة) حتى نهاية سورة (الأنعام) خطه حسن وهو مغفل من التاريخ في أوله وآخره، ويبدو أنه قديم قريب من عهد المؤلف أو بعده بقليل.

الجزء الثاني: عدد صفحاته (٥٤٢) ويتبدئ من أول تفسير سورة (الأنعام) إلى آخر سورة (الحجر)، وخطه أكثر وضوحاً من الجزء الأول، كما أن كاتبه غير كاتبه، وطريقة خطه ووضوحه وبيانه وصحة رسمه تظهر أنه كتب في عصر المؤلف أو بعده بفترة قريبة. وقد كتب في آخر الورقة بخط حديث: تم بها النقص الواقع في هذا الجزء من الورقة الساقطة من المخطوط الأصل.

الجزء الثالث: غير موجود.

الجزء الرابع: وعدد صفحاته (٤٢٩) ويتبدئ بسورة (الأنبياء) وينتهي بانتهاء سورة (محمد) ﷺ. وخط هذا المجلد غير منقوط على عادة كتب القدامى، وفي آخره على هامش الصفحة: «الحمد لله، مر عليه مصلحاً الفقير الحنبلي لطف الله به» وفي آخره أيضاً بجانب الصفحة: تاريخ ولادة لابن متملك له سنة ٩٦٦.

وفي آخر الجزء ما صورته: «يتلوه الجزء الخامس من أول سورة (الفتح)، إلى آخر القرآن. ونقل... بعده من نسخة: تاريخ الفراغ من تعليقها يوم السبت حادي عشر من شعبان المكرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وهو الجزء الرابع من كتاب «زاد المسير في علم التفسير» تأليف الشيخ الأجل الإمام العالم الأوحى جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي رحمه الله ونفعنا به ويعلموه في الدنيا والآخرة آمين.

### النسخة الثالثة:

وهي نسخة العثمانية بحلب ورقمها (٤٦). وهي ناقصة لا يوجد منها إلا جزء واحد عدد صفحاته (٦٧١)، يتبدئ من أول القرآن إلى نهاية (سورة الكهف)، مكتوب بخط غير قديم لعله من القرن التاسع، وليس في أوله أو آخره تاريخ لكتابتها، وإنما كتب على وجه الورقة الأولى المذهبة فيه: «من نعمه سبحانه وتعالى على عبده الحقير عبد الكريم بن أحمد الشراباتي» وخطه واضح حسن صحيح ناعم غير قليل، وهو من بداية المجلد إلى آخره بخط واحد. وفي صفحته بعض الطول إذ تحتوي على (٣٣) سطراً. وعلى هامشه بعض تعليقات تدل على أن النسخة مقروءة من بعض العلماء.

### النسخة الرابعة:

وردت إلينا من مكتبة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله في قطر، وقد صورت عن النسخة الأصلية

الموجودة في مكتبة راغب باشا باستنبول، وهي كاملة تقع في ٦١٣ ورقة من القطع الكبير، احتوت كل صفحة من صفحاتها على خمسة وثلاثين سطرًا، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة، وخطها نسخي جميل واضح لم يذكر فيها تاريخ النسخ، وقد ذكر في آخرها اسم ناسخها، وهو محمد أمين بن المصطفى المذنب الخاطئ الضعيف الأنكداري. إلا أنه وقع فيها تحريف وتصحيف وسقط غير قليل.

#### عملنا في التحقيق:

لقد اعتمدنا في التحقيق من هذه النسخ على النسخة المصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، لأنها أوثق النسخ، وأكملها، وأصحها، وأضبطها، ولأنها مقابلة ومقروءة على المؤلف، وتولينا تصحيح النص وضبطه، ومقابلته على ما بين أيدينا من الأصول، ومراجعته على أمهات المصادر التي استقى منها المؤلف، رحمه الله، مادة كتابه، وبذلنا الجهد في تفصيله وترقيمه، وشرح شواهد، وتخريج أحاديث، والكلام عليها حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية، مسترشدين في ذلك بأمهات المصادر، وأقاويل جهابذة علم الحديث ونقاده، وعلقنا عليه بما تدعو الحاجة إليه، وسنقوم - إن شاء الله - بوضع فهرس عامة للكتاب بعد تمامه، تُيسّر تمام الفائدة منه.

ونسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولًا وعملاً يؤدي بها عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزیده<sup>(١)</sup> ونسأله سبحانه السداد والتوفيق.

الخميس ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ

الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤م



(١) اقتباس من «الرسالة»: ١٩ للإمام الشافعي رحمه الله.



ملوحة رقم: ١ وهي الصفحة الأولى من الجزء الأول من مخطوطة الرياض





[illegible]







[illegible]

## سماعات الأجزاء الأربعة من زاد المسير<sup>(١)</sup>

قرأت هذه المجلدة جميعها، وهي الثانية من كتاب «زاد المسير» على شيخنا الإمام العالم العامل زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي<sup>(٢)</sup> فسمح الله في مدته بحق سماعه قراءة، فسمعها الفقيه الإمام الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالب بن يوسف بن سعيد الأنصاري، والفقيه الإمام الحافظ عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي المقدسي، وصح ذلك وثبت في مجلس الشيخ المسمع، شيخ جبل قاسيون ظاهر دمشق، في مجالس آخرها يوم الجمعة السادس عشر لشهر صفر سنة أربع وستين وستمئة، وكذلك قرأت المجلد الأول مثل هذا والثالث بعده والرابع وذلك جميع كتاب (زاد المسير في علم التفسير) فسمعه جميعه شمس الدين محمد بن غالب المذكور، وعبد الحافظ بن عبد المنعم المذكور، سمع بقراءتي المجلد الثاني والثالث والرابع، وسمع المجلد الأول بقراءة غيري، وسماع شيخنا زين الدين المذكور على مصنفه جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي المذكور من أول الكتاب العزيز إلى آخر سورة (القصص) ومن أول سورة (العنكبوت) إلى آخر الكتاب العزيز إجازة من المصنف، إن لم يكن سماعاً. وذكر الشيخ المسمع أن الكتاب جميعه سماعه من المؤلف، وكانت لديه نسخة وعليها سماعه، فذكرنا هذه الإجازة احتياطاً.

وأجاز الشيخ للجماعة السامعين جميع ما تجوز عنه روايته بشرطه.

وكتب أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد<sup>(٣)</sup> اللخمي الأندلسي عفا الله عنه وسامحه وغفر له ولوالديه ولمشايعه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



(١) وهي مثبتة في آخر الجزء الثاني من مخطوطة الرباط. انظر لوحة رقم ٦ و٧.

(٢) هو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكر، المقدسي الصالحي، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمئة بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وسمع الكثير بدمشق من يحيى الثقفي، وأبي عبد الله بن صدقة، وأبي الحسن بن الموازيني، وعبد الرحمن الخرق، وإسماعيل الجنزوي وغيرهم، وانفرد بالرواية عنهم. ودخل بغداد، وسمع بها من أبي الفرج بن كليب، والمبارك بن المعطوش، وأبي الفرج بن الجوزي، وغيرهم. وقرأ بنفسه، وعني بالحديث، وتفقه على الشيخ موفق الدين، وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه، وجمع تاريخاً لنفسه، وكان فاضلاً متنبهاً وله نظم. ولي الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة. كان حسن الخط سريعاً فيه، مكثراً من نسخ الكتب له وبالأجرة. لازم الكتابة أكثر من ٥٠ سنة. وكان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس، ويقال: إنه كتب بيده ألفي مجلد، منها «تاريخ الشام» لابن عساكر مرتين. و«المغني» لموفق الدين مرات. وكف بصره في آخر عمره. روى عنه الأئمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمرو، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين بن تيمية. وتوفي في رجب سنة ٦٦٨. ودفن بسفح قاسيون. انظر «ذيل طبقات الحنابلة» ٢/ ٢٧٨، و«نكت الهميان» ٩٩، و«فوات الوفيات» ١/ ٨٥.

(٣) قال ابن العماد في «الشذرات» ٥/ ٤٤٣: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد الإشبيلي الشافعي المحدث الحافظ تفقه على ابن عبد السلام. قال الذهبي: وحلنا عن ابن عبد الدايم وطبقته، عاش خمساً وسبعين سنة، وكان ذا ووع وعبادة وصدق.

## ترجمة ابن الجوزي<sup>(١)</sup>

نسبه - مولده - نشأته - شيوخه:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حُمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي التميمي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ المفسر، الأديب الملقب: جمال الدين. وقد اختلف في نسبته، فقيل: إنَّ جدَّه جعفر نُسِبَ إلى قُرُصَةٍ<sup>(٢)</sup> من قُرُصِ البصرة يقال لها: جوزة. قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: قُرُصَةُ الجوز. وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى: محلة الجوز، وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها. وكما اختلف في نسبته، اختلف كذلك في مولده، فقد وجد بخطه: لا أَحَقُّقُ مولدي، غير أنه مات والذي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، فعلى هذا يكون مولده: سنة إحدى عشرة، أو اثني عشرة وخمسمائة.

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب، فلما توفي والده، وهو صغير، كفلته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار. والصفر هو: النحاس. ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقد قيل: إن أول سماعه كان سنة ٥١٦هـ. وحفظ القرآن، وقرأه مجوداً على جماعة من أئمة القراءة وفي كبره قرأ بالروايات بواسط علي ابن الباقلاني، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب، كنت أأزم من الشيوخ أعلمهم، وأوتر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد، لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً، ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وسمع الكتب الكبار كالمسند للإمام أحمد<sup>(٣)</sup>، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب البغدادي، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا، وغيرها. ثم صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولأزمه، وعلق عنه الفقه والوعظ. قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة، وصحبته زماناً، فسمعت منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له خلفه بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ فيها بعد الصلاة، ويجلس يوم السبت أيضاً. وشهد ابن ناصر الدين للزاغوني أنه كان فقيه الوقت، وأنه كان مشهوراً بالصلاح والديانة، والورع والصيانة. وتوفي ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم، فطلب ابن الجوزي خلفته<sup>(٤)</sup> فلم يُعْطَ ذلك لصغره، وأعطيت الخلفة لأبي علي الرضائي، فذهب ابن الجوزي إلى الوزير، فألقى بين يديه فصلاً في المواعظ، فأذن له بالوعظ في جامع المنصور، قال ابن الجوزي: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم

(١) أخذت ترجمة ابن الجوزي عن كتاب «الذيل على طبقات الخاتبة» ٣٩٩/١، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٢٨/١٣. و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/٣٢١. ومما ألفه ابن الجوزي نفسه. وانظر ترجمته في كتاب «القصاص والمذكرين» تحقيق الدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ. وأصل هذه الترجمة كنت قد وضعتها في أول زاد المسير.

(٢) فرضة النهر: ثلثة التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط السفن.

(٣) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي مع فهرس للصحابة من عمل المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٤) أي: أن يحل محله في وظائفه.

عبد الواحد بن شعيب، وأبو علي ابن القاضي، وأبو بكر بن عيسى، وغيرهم.

ثم تكلمت في مسجد معروف<sup>(١)</sup>، وفي باب البصرة، ونهر المعلى، فاتصلت المجالس، واشتد الزحام، وقوي اشتغالي بفنون العلم، وانقطعت مجالس أبي علي الرذائي.

وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوه يحيى، وأبو عبد الله البار، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحّد، وأبو غالب الماوردي، وأبو منصور ابن خيرون، وأبو القاسم السمرقندي، وعبد الملك الكرخوي، وأبو سعد الزوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم علي الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن منده.

قال: ولم أقتع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحدا ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لثلاث أسبوع، وكنت أصيخُ وليس لي مأكُل. وأمسي وليس لي مأكُل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي أستاذ عصره في علوم العربية. وكان مدرّسها في المدرسة النظامية، وكان إمام الخليفة المقتفي. وكان [الجواليقي] متديناً ثقة ورعاً، غزير الفضل، كامل العقل، مليح الخط. كثير الضبط، له التصانيف الكثيرة. قال ابن الجوزي: قرأت عليه كتابه: «المعرب» وغيره من تصانيفه.

### صفاته وأخلاقه - مجالسه - مذهبه ومحاربه البدع:

كان ابن الجوزي يكثر الكلام عن نفسه في كتابه «صيد الخاطر»<sup>(٢)</sup> فيذكر أنه نشأ في النعيم، ورُئي على الدلال، وأنه قد حُبِبَ إليه العلم من زمن الطفولة، ولم يرغب في فن واحد من فنونه، بل رغب في كل فن، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة، وبين العلم والبحث، وأن من لداته وأصحابه من أنفق عمره في اكتساب الدنيا، ثم لم يئل منها ما ناله هو، وأن عيشه ألين من عيشهم، وجاهه أعلى من جاههم، وتحدث كيف أنه كان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة، ويخرج في طلب الحديث، فيقعد على نهر عيسى - غربي بغداد -، لا يقدر على أكل هذا الخبز اليابس إلا عند الماء كلما أكل لقمة شرب عليها شربة، وأنه وجد مع ذلك من لذة العلم وحلاوة الإيمان ما يخاف جعله على نفسه العجب إن شرحه.

وقال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول مالا من جهة لا يتيقن حلها، ولا ذل لأحد، قال في «الفتة الكبد»<sup>(٣)</sup> يخاطب ولده: «وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الرعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً».

وقال ابن كثير: وكان فيه بهاء، وترفع، وإعجاب بنفسه، وسمو بها، أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه في نشره ونظمه، ثم أورد له شعراً منه قوله:

لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً      وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا

قال ابن رجب: مما عيب عليه ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه، والترفع والتعظيم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، سامحه الله.

قال ابن الجوزي في «الفتة الكبد»: ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في

(١) هو معروف الكرخي. ومسجده في محلة الكرخ غربي دجلة في بغداد.

(٢) طبع بتحقيق أستاذنا الكبير الشيخ علي الطنطاوي، وعلق على أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) طبعها المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور مروان القبانى.

نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة... وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعناه الجهال<sup>(١)</sup>.

وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف». وما خرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة والمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر رضي الله عنه، لأن عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي رضي الله عنه، لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته<sup>(٢)</sup>.

قال ابن خلكان: وهذه من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن، فضلاً عن البديهة. ومن أجوبته أن رجلاً سأله: أيهما أفضل، أسبج، أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

ومنزله في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة، وحسن التصرف في فنون القول، وشدة التأثير في الناس، ما لم يؤت الكثيرون.

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة، والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنعيمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودعوات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين... ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدر بدينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة.

ويصف ابن الجوزي نفسه مجلساً من مجالسه فيقول: فسألني أهل الحرية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول، وانقلت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة، رأيت أهل الحرية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيئت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء، وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون، وكان الزحام كالزحام بسوق الثلاثاء، فدخلت الحرية، وقد امتلأ الشارع، وأكرت الرواشين من وقت الضحى، ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس، وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحرية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ما أبعد القائل.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعاني الله سبحانه عليهم، وكانت كلمتنا العليا.

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، ويصرح

(١) مثل ما يفعل اليوم السفهاء من إطالة الشعر والأظفار... إلخ.

(٢) الحق أنه أبو بكر، لأنه آخر المذكور، كما أن السؤال عن فضلها لا عن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة القرآن<sup>(١)</sup>. وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً. وقال يوماً على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقيل له مرة: قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:

أتوب إليك يا رحمنُ ما  
جنيْتُ فقد تعاظمتِ الذنوبُ  
وأما من هوى ليلى وحبي  
زيارتها، فإنني لا أتوب

وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنلي، فأنشد:

وعيرني الواشون أني أحبها  
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال: أهذا عيبي؟ ولا عيب في وجه نقط صحته بالخال.

علمه ومصفاته:

ذكره الحافظ الديلمي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني فقال: شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال، ومعرفة ما يحتاج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتاج به من الأحاديث الواهية الموضوعة، والانتقاط والاتصال، وله في الوعظ العبارة الرائقة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كافٍ...

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه ما أخذ على ابن الجوزي من كثرة أغلاطه في تصانيفه فقال: وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره<sup>(٢)</sup>، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف.

قال ابن رجب: قرأ على الشيخ أبي الفرج جماعة؛ منهم طلحة العلثي، ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه «زاد المسير» في التفسير قراءة بحث ومراجعة.

وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ<sup>(٣)</sup>، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن الديلمي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن الخليل، وابن عبد الدايم، والنقيب عبد اللطيف الحراني، وهو خاتمة أصحابه بالسماع.

قال ابن رجب: وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على

(١) أي قضية خلق القرآن التي فارق المعتزلة والجمعية وأتباعهم أهل السنة فيها. وكان ضلالهم فيها كبيراً. ومن زعم بأنها مسألة لفظية!! فقد دلس وخلع.

(٢) أي: لا يراجعه.

(٣) وهذا لم يكن ثقة وهو صاحب التاريخ المعروف.



تصانيف من تقدمه<sup>(١)</sup>.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت براءة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جداً بلغت - فيما يذكر الرواة - خمسين ومائتي كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناوله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

### مصنفاته في القرآن وعلومه:

١ - «المغني» في التفسير ٨١ جزء. ٢ - «زاد المسير في علم التفسير» أربع مجلدات. ٣ - «تيسير البيان في تفسير القرآن» مجلد. ٤ - «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» مجلد. ٥ - «غريب الغريب» جزء. ٦ - «نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٧ - «الوجوه النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٨ - «الإشارة إلى القراءة المختارة» ٤ أجزاء. ٩ - «تذكرة المنتبه في عيون المشتبه» جزء. ١٠ - «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» مجلد. ١١ - «ورد الأغصان في فنون الأفنان» جزء. ١٢ - «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» ٥ أجزاء. ١٣ - «المصنف بألف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ»<sup>(٢)</sup> جزء.

### مصنفاته في أصول الدين:

١٤ - «منتقد المعتقد» جزء. ١٥ - «منهاج الوصول إلى علم الأصول» ٥ أجزاء. ١٦ - «بيان غفلة القائل بقدوم أفعال العباد» جزء. ١٧ - «غوامض الإلهيات» جزء. ١٨ - «مسلك العقل» جزء. ١٩ - «منهاج أهل الإصابة». ٢٠ - «السر المصون» مجلد. ٢١ - «دفع شبه التشبيه» ٤ أجزاء. ٢٢ - «الرد على المتعصب العنيد».

### مصنفاته في الحديث والزهديات:

٢٣ - «جامع المسانيد بالخص الأسانيد». ٢٤ - «الحدائق» ٣٤ جزء. ٢٥ - «نفي النقل» ٥ أجزاء. ٢٦ - «المجتبى» مجلد. ٢٧ - «النزهة» جزآن. ٢٨ - «عيون الحكايات» مجلد. ٢٩ - «ملنقط الحكايات» ١٣ جزء. ٣٠ - «إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين» مجلد. ٣١ - «روضة الناقل» جزء. ٣٢ - «غرر الأثر». ٣٠ جزء. ٣٣ - «التحقيق في أحاديث التعليق» مجلدان. ٣٤ - «المديح» ٧ أجزاء. ٣٨ - «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» مجلدان. ٣٩ - «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» مجلدان. ٤٠ - «الكشف لمشكل الصحيحين» أربع مجلدات. ٤١ - «الضعفاء والمتروكين» مجلد. ٤٢ - «إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه» مجلد. ٤٣ - «إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث»<sup>(٣)</sup> جزء. ٤٤ - «السهم المصيب» جزآن. ٤٥ - «أخاير الذخائر» ٣ أجزاء. ٤٦ - «الفوائد عن الشيوخ» ٦٠ جزء. ٤٧ - «مناقب أصحاب الحديث» مجلد. ٤٨ - «موت الخضر» مجلد. ٤٩ - «مختصرة» جزء. ٥٠ - «المشيخة» جزء. ٥١ - «المسلسلات» جزء. ٥٢ - «المحتسب في النسب» مجلد. ٥٣ - «تحفة

(١) قلت: وقد ألف رحمه الله كتاباً حافلاً في الأحاديث الموضوعات ليحترز منها الفقهاء والوعاظ وغيرهم، ومع ذلك فقد أورد في كتيبه الوعظية أحاديث موضوعة وأخبار واهية منكدة دون أن يشير إليها أو ينبه عليها، بل تراء يستشهد بها كأنها من الصحاح أو الحسان، كما تجد ذلك في كتابه «ذم الهوى» و«قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة» و«رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير» قال الحافظ السخاوي في «شرح ألفية الرازي» ١٠٧: وقد أكثر ابن الجوزي في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه.

(٢) وقد طبعه بالاشتراك في تحقيقه مع الأخ الفاضل الشيخ محمد كنعان.

(٣) طبع المكتب الإسلامي بتحقيق الشيخ محمد كنعان، وزهير الشاويش.

- الطلاب» ٣ أجزاء. ٥٤ - «تنوير مدلهم الشرف» جزء. ٥٥ - «الألقاب» جزء. ٥٦ - «فضائل عمر بن الخطاب» مجلد. ٥٧ - «فضائل عمر بن عبد العزيز» مجلد. ٥٨ - «فضائل سعيد بن المسيب» مجلد. ٥٩ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٦٠ - «مناقب الفضيل بن عياض» أربعة أجزاء. ٦١ - «مناقب بشر الحافي» سبعة أجزاء. ٦٢ - «مناقب إبراهيم بن أدهم» ستة أجزاء. ٦٣ - «مناقب سفیان الثوري» مجلد. ٦٤ - «مناقب أحمد بن حنبل» مجلد. ٦٥ - «مناقب معروف الكرخي» جزآن. ٦٦ - «مناقب رابعة العدوية» جزء. ٦٧ - «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» مجلد. ٦٨ - «صفوة الصفوة» ٥ مجلدات. ٦٩ - «منهاج القاصدين» أربع مجلدات<sup>(١)</sup>. ٧٠ - «المختار من أخبار الأخيار» مجلد. ٧١ - «القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج» جزء. ٧٢ - «عجالة المنتظر لشرح حال الخضر» جزء. ٧٣ - «النساء وما يتعلق بأدابهن» مجلد. ٧٤ - «علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أم الرسول». جزء ٧٥ - «الجوهر». ٧٦ - «المغلق».

### مصنفاته في التاريخ:

- ٧٧ - «تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير» مجلد. ٧٨ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ١٠ مجلدات. ٧٩ - «شذور العقود في تاريخ المعهود» مجلد. ٨٠ - «طرائف الظرائف في تاريخ السوالم» جزء. ٨١ - «مناقب بغداد» مجلد.

### مصنفاته في الفقه:

- ٨٢ - «الإنصاف في مسائل الخلاف». ٨٣ - «جُنة النظر وجنة النظر» وهي التعليقة الوسطى. ٨٤ - «معاصر المختصر في مسائل النظر». ٨٥ - «عمد الدلائل في مشتهر المسائل» وهي التعليقة الصغرى. ٨٦ - «المذهب في المذهب»<sup>(٢)</sup>. ٨٧ - «مسبوك الذهب» مجلد. ٨٨ - «النبذة» جزء. ٨٩ - «العبادات الخمس» جزء. ٩٠ - «أسباب الهداية لأرباب البداية» مجلد. ٩١ - «كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى». ٩٢ - «رد اللوم والضيعة في صوم يوم الغيم» جزء.

### مصنفاته في علوم الوعظ:

- ٩٣ - «اليواقيت في الخطب» مجلد. ٩٤ - «المنتخب في النواب»<sup>(٣)</sup> مجلد. ٩٥ - «منتخب المنتخب» مجلد. ٩٦ - «نسيم الرياض» مجلد. ٩٧ - «اللؤلؤ» مجلد. ٩٨ - «كنز المذكر» مجلد. ٩٩ - «الأرج» مجلد. ١٠٠ - «اللطفات» مجلد. ١٠١ - «كنوز الرموز» مجلد. ١٠٢ - «المقتبس» مجلد. ١٠٣ - «موافق المرافق» مجلد. ١٠٤ - «شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٥ - «واسطات العقود من شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٦ - «الذهب» جزآن. ١٠٧ - «المدحش» مجلدان. ١٠٨ - «صبا نجد» جزء. ١٠٩ - «محاذنة العقل». ١١٠ - «لقط الجمان» جزء. ١١١ - «معاني المعاني» جزء. ١١٢ - «فتوح الفتوح» جزء. ١١٣ - «التعازي الملوكية» جزء. ١١٤ - «العقد المقيم» جزء. ١١٥ - «إيقاظ الومنان من الرقعات بأحوال الحيوان والنبات» جزآن. ١١٦ - «نكت المجالس البدوية» جزآن. ١١٧ - «نزهة الأديب» جزآن. ١١٨ - «منتهى المنتهى» مجلد. ١١٩ - «تبصرة المبتدئ» ٢٠ جزء. ١٢٠ - «الياقوتة» جزآن. ١٢١ - «تحفة الوعاظ» مجلد.

### مصنفاته في فنون مختلفة:

- ١٢٢ - «ذم الهوى» مجلدان. ١٢٣ - «صيد الخاطر» ٦٥ جزء. ١٢٤ - «أحكام الأشعار بأحكام الإشعار» عشرون جزء. ١٢٥ - «القصاص والمذكرين»<sup>(٤)</sup>. ١٢٦ - «تقويم اللسان» مجلد. ١٢٧ - «الأذكياء» مجلد. ١٢٨ - «الحمقى» مجلد. ١٢٩ - «تلبس إبليس» مجلدان. ١٣٠ - «لقط المنافع» في الطب مجلدان. ١٣١ - «الشيب والخضاب» مجلد.

(١) ومن مطبوعات المكتب الإسلامي لابن قدامة المقدسي، بتحقيق زهير الشاويش.

(٢) هو لابنه يوسف وقد طبعه المحسن الشيخ قاسم بن درويش فخر جزاء الله كل خير.

(٣) وهو تحت الطبع في المكتب الإسلامي، بتحقيق الدكتور عبده الراجحي وزهير الشاويش.

(٤) وقد تم طبعه في المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور محمد الصباغ.

١٣٢ - «أعمار الأعيان»<sup>(١)</sup> جزء. ١٣٣ - «الثبات عند الممات» جزآن. ١٣٤ - «تنوير الغيش في فضل السود والحيش» مجلد. ١٣٥ - «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» جزء. ١٣٦ - «إشراف الموالي» جزآن. ١٣٧ - «إعلام الإحياء بأغلاط الأحياء». ١٣٨ - «تحريم المحل المكروه» جزء. ١٣٩ - «المصباح لدعوة الإمام المستضيء» مجلد. ١٤٠ - «عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء» جزء. ١٤١ - «النصر على مصر» جزء. ١٤٢ - «المجد العسدي» مجلد. ١٤٣ - «الفجر النوري» مجلد. ١٤٤ - «مناقب الستر الرفيع» جزء. ١٤٥ - «ما قلته من الأشعار» جزء. ١٤٦ - «المقامات» مجلد. ١٤٧ - «من رسائل» جزء. ١٤٨ - «الطب الروحاني» جزء. ١٤٩ - «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب» ١٦ جزء. ١٥٠ - «الباز الأشهب المنقش على من خالف المذهب». ١٥١ - «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ» مجلدان. ١٥٢ - «النور في فضائل الأيام والشهور» مجلد. ١٥٣ - «تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد». ١٥٤ - «مناقب الإمام الشافعي». ١٥٥ - «العزلة». ١٥٦ - «الرياضة». ١٥٧ - «منهاج الإصابة في محبة الصحابة». ١٥٨ - «فنون الألباب». ١٥٩ - «الظرفاء والمتحابين». ١٦٠ - «مناقب أبي بكر». ١٦١ - «مناقب علي» مجلد. ١٦٢ - «فضائل العرب» مجلد. ١٦٣ - «درة الإكليل في التاريخ» أربع مجلدات. ١٦٤ - «الأمثال» مجلد. ١٦٥ - «المنفعة في المذاهب الأربعة» مجلدان. ١٦٦ - «المختار من الأشعار» عشر مجلدات. ١٦٧ - «رؤوس القوارير» مجلدان. ١٦٨ - «المرتجل في الوعظ» مجلد كبير. ١٦٩ - «ذخيرة الواعظ؟ أجزاء». ١٧٠ - «الزجر المخوف». ١٧١ - «الأسس والمحبة». ١٧٢ - «المطرب الملهم». ١٧٣ - «الزند الوري في الوعظ الناصري» جزآن. ١٧٤ - «الفاخر في أيام الإمام الناصر» مجلد. ١٧٥ - «المجد الصلاحي» مجلد. ١٧٦ - «لغة الفقه» جزآن. ١٧٧ - «غريب الحديث» مجلد. ١٧٨ - «ملح الأحاديث» جزآن. ١٧٩ - «الفصول الوعظية على حروف المعجم». ١٨٠ - «سلوة الأحزان» عشر مجلدات. ١٨١ - «المعشوق في الوعظ». ١٨٢ - «المجالس اليوسفية في الوعظ». ١٨٣ - «الوعظ المقبري». ١٨٤ - «قيام الليل» ٣ أجزاء. ١٨٥ - «المحادثة». ١٨٦ - «المناجاة». ١٨٧ - «زاهر الجواهر في الوعظ» أربع أجزاء. ١٨٨ - «كنز المذكر». ١٨٩ - «النحاة الخواتيم» جزآن. ١٩٠ - «المرتقى لمن اتقى». ١٩١ - «زين القصص» مجلد. ١٩٢ - «نسيم الرياض». ١٩٣ - «لفتة الكبد في نصيحة الولد»<sup>(٢)</sup>. ١٩٤ - «القراطة»<sup>(٣)</sup>.

## وفاته:

قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان - يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، وكان في شهر تموز، فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام<sup>(٤)</sup>، وما وصل حفرة إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: الله أكبر. ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رحمهما الله، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور، وثلاث إناث. تغمد الله برحمته ونفع المسلمين بعلمه، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله.



(١) وهو تحت الطبع بتحقيقي.

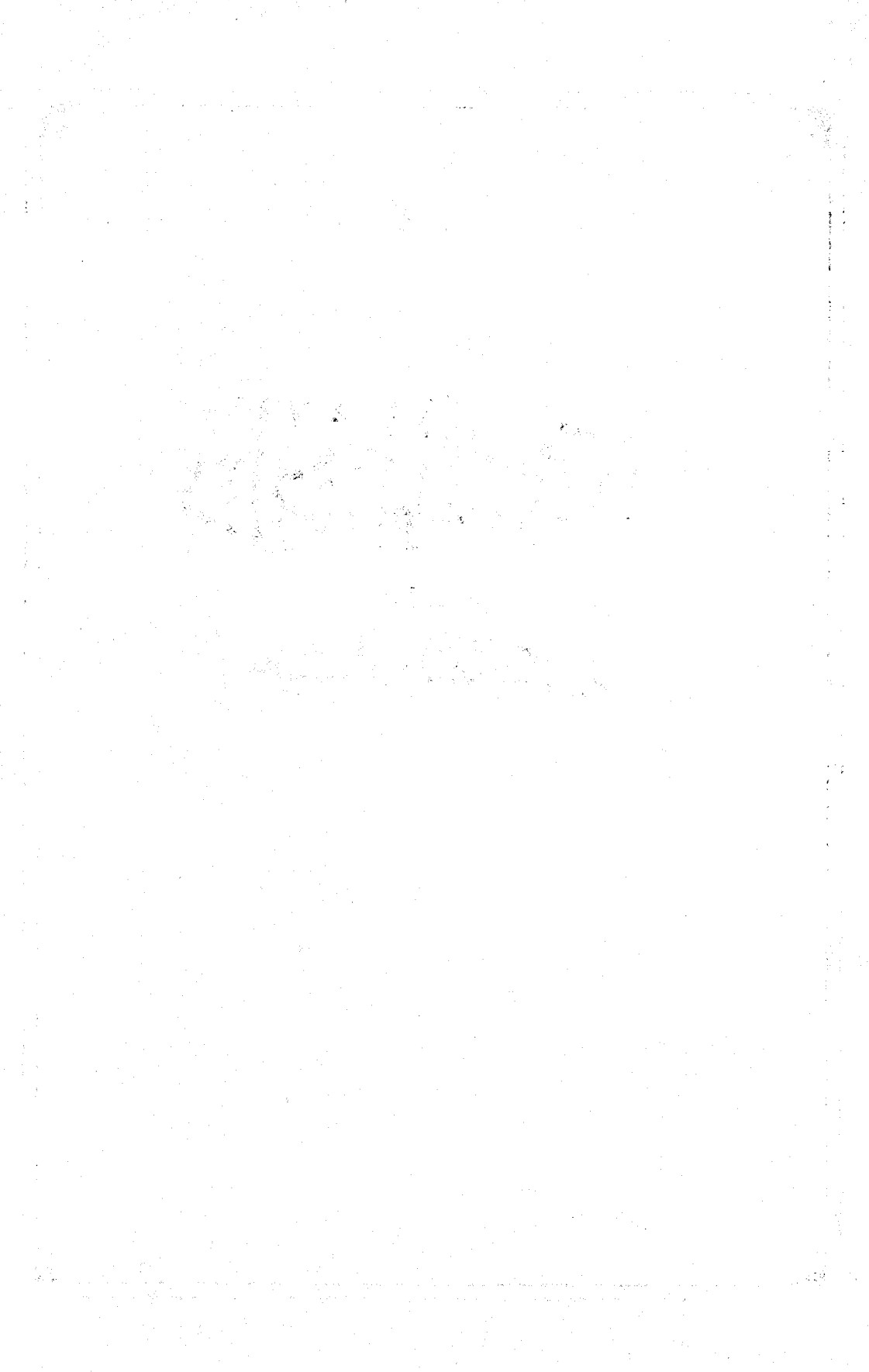
(٢) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور الشيخ مروان القباي.

(٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

(٤) هذا الحفيد غير ثقة وصاحب مبالغات، وعجيب أن يترك الناس الفريضة من أجل نافلة، لأن صلاة الجنازة إذا قام بها البعض كان للأخريين نافلة.



فَتْحُ الْإِسْمِ الْمُسْتَعْرَبِ  
فِي  
عِلْمِ التَّفْسِيرِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه على الحكم إلى الأمر الرشيد، وقوّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبقى ذخرها على التأيد، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيراً للخلاق ونذيراً، وسراجاً في الأكوان منيراً، ووهب له من فضله خيراً كثيراً، وجعله مقدماً على الكل كبيراً، ولم يجعل له من أزياب جنسه نظيراً، ونهى أن يدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً، وأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً، فقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِبَشْرٍ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِبَشْرٍ ۖ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فصلبى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشياعه، وسلم تسليماً كثيراً.

لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يش الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه<sup>(١)</sup>، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منظوياً على العلم الغزير، ووسمته<sup>(٢)</sup> ب:

### [زاد المسير في علم التفسير]

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه.

### فصل في فضيلة علم التفسير

روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر، فلا نجاوزها إلى العشر الآخر حتى نعلم [ما]<sup>(٣)</sup> فيها من العلم والعمل<sup>(٤)</sup>.

وروى قتادة عن الحسن أنه قال: ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعلم فيم أنزلت، وماذا عنى بها. وقال إياس بن معاوية: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتدخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

### فصل

اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل [لولاة]<sup>(٥)</sup> ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: أكل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه<sup>(٦)</sup>.

(١) في الأصل: ووسمه، والتصويب من نسخة (ب).

(٢) رواء الطبري، وإسناده صحيح.

(٣) في الأصل: عنه.

(٤) الزيادة من نسخة (ب).

(٥) الزيادة من «تاج العروس» للزبيدي. وفي نسخة (ب) «إلى دليل لولاة ترك ظاهر اللفظ».

(٦) في الأصل: الأهل. والتصويب من نسخة (ب).

## فصل في مدة نزول القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت [العزة، ثم] <sup>(١)</sup> أنزل بعد ذلك في عشرين سنة <sup>(٢)</sup>.

وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

وقال الحسن: ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين.

## فصل

واختلفوا في أول ما نزل من القرآن، فأثبت المنقول أن أول ما نزل: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [المعل: ١]. رواه عروة عن عائشة <sup>(٣)</sup> وبه قال قتادة وأبو صالح.

وروي عن جابر بن عبد الله: أن أول ما نزل ﴿بِأَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ [المدر: ١].

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ رجع فتدبر فنزل: ﴿بِأَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ يدل عليه ما أخرج [في] <sup>(٤)</sup> «الصحيحين» من حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رهباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فذرني، فأنزل الله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾» ومعنى جلست: فرقت. يقال: رجل مجووث [ومجوث] <sup>(٥)</sup> وقد صحفه بعض الرواة فقال: جنت من الجبن، والصحيح الأول. وروي عن الحسن وعكرمة: أن أول ما نزل: ﴿يَسِّرْ لَكَ الْكَلْبَ الْيَسَّ﴾.

## فصل

واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراد من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت ﴿وَأَنقُضْ يَوْمَئِذٍ رِجْمُوتَ يَدِ إِلَى اللَّهِ﴾ <sup>(٦)</sup> [البقرة: ٢٨١] وهذا مذهب سعيد بن جبيرة وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْثِنُكَ قُلُوبُ اللَّهِ بِقِيَّتِكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت [براءة] <sup>(٧)</sup>. وروي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلى آخر السورة <sup>(٨)</sup>.

## فصل

لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، قرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت <sup>(٩)</sup> في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

(١) الزيادة من نسخة (ب).

(٢) رواه الحاكم ج ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الزيادة من نسخة (ب).

(٥) الزيادة من «اللسان العرب».

(٦) رواه الطبري وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٧) رواه البخاري في تفسير سورة [براءة].

(٨) رواه أحمد والحاكم.

(٩) وفي نسخة (ج): خرجت. وجواب لما «وقد أدرجت» وكان حقه أن يقال: «وقد أدرجت».



وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعه صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين؛ إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حين شروعتنا فيما ابتدأنا<sup>(١)</sup> له، والله الموفق.

### فصل في الاستعاذة

قال أمر الله ﷻ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] ومعناه: إذا أردت القراءة. ومعنى أعوذ: ألتجأ وألوذ.

### فصل في

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال ابن عمر: نزلت في كل سورة. وقد اختلف العلماء: هل هي آية كاملة، أم لا؟ وفيه [عن] أحمد روايتان. واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان أيضاً. فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأما من لم يرها من الفاتحة، فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سنة. ما عدا مالكاً فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة.

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن مغفل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين.

وذهب الشافعي إلى أن الجهر مسنون، وهو مروي عن معاوية بن أبي سفيان، وعطاء، وطاوس، ومجاهد. فأما تفسيرها:

فقلوه: «بِسْمِ اللَّهِ» اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو: بدأت باسم الله. وفي الاسم خمس لغات: «إِسْم» بكسر الألف، و«أَسْم» بضم الألف إذا ابتدأت بها، و«إِسْم» بكسر السين، و«سُم» بضمها، و«سُمَا». قال الشاعر:

والله أَسْمَاكَ سُمّاً مُبَارَكاً  
أَتْرَكَ اللهُ بِهِ إِشْشَارَكَ

وأنشدوا:

بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سُمُّهُ

قال الفراء: بعض قيس [يقولون]:<sup>(٢)</sup> سمه، يريدون: اسمه، وبعض قضاة يقولون: سُمُهُ. أنشدني بعضهم:

وعامنا أعجبنا مقدّمه  
والقرضاب: القطار، يقال: سيف قرضاب<sup>(٣)</sup>.

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»:

فقال قوم: إنه مشتق، وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل روايتان. إحداهما: أنه ليس بمشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن. والثانية: رواها عنه سيبويه: أنه مشتق. وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل ياله: إذا فرغ إليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وأمنه، فسمي إلهاً

(١) وفي نسخة (ج) ابتدأنا.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

(٣) جاء في القرطبي بعد إنشاء البيت: وقرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب. وفي «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«شرح»: قرضب الرجل: أكل شيئاً يابساً، حكوا ذلك عن ثعلب، وهو الأصح.

كما يسمّى الرجل إماماً. وقال غيره: أصله ولاء. فأبدلت الواو همزة فقليل: إله كما قالوا: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح. واشتق من الوله، لأن قلوب العباد توله نحوه. كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وكان القياس أن يقال: مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علماً، كما قالوا للممكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب. وقال بعضهم: أصله من: أله الرجل ياله إذا تحير، لأن القلوب تتحير عند التفكير في عظمتها. وحكي عن بعض اللغويين: أله الرجل ياله إلهة، بمعنى: عبد يعبد عبادة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك. قال: والتأله: التعبد. قال رؤية: لله در الغانيات المملّّه  
سَبَّحْنِ واسترجعن من تألهي  
فمعنى الإله: المعبود.

فأما «الرحمن»:

فذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها. وبناء «فعلان» في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشح: شبعان. قال الخطابي: ذ «الرحمن»: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر. و«الرحيم»: خاص للمؤمنين. قال ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والرحيم: بمعنى الراحم.



## سورة الفاتحة

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلاً، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»<sup>(١)</sup>. فمن أسماؤها: الفاتحة، لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. ومن أسماؤها: أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها أم الكتاب بالتقدم. ومن أسماؤها: السبع المثاني، وإنما سميت بذلك لما سنشرحه في (الحجر) إن شاء الله. واختلف العلماء في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي مسرة. والثاني: أنها مدنية، وهو مروي عن أبي هريرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس كالقولين.

### فصل

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

فأما تفسيرها: فـ ﴿الْحَمْدُ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿لِلَّهِ﴾ الخبر والمعنى: الحمد ثابت لله، ومستقر له، والجمهور على كسر لام «الله» وضما ابن أبي عبة، قال الفراء: هي لغة بعض بني ربيعة، وقرأ ابن السَّمِيعِ<sup>(٢)</sup>: «الحمد» بنصب الدال «الله» بكسر اللام. وقرأ أبو نهيك بكسر الدال واللام جميعاً. واعلم أن الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله. وقال ابن قتيبة: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروف أوالاه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر. فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته. فأما «الرب» فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد. وقيل: هو مأخوذ من الثرية. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: رب فلان صنيعته يربها رباً: إذا أتمها وأصلحها، فهو رب ورباب. قال الشاعر:

يرب الذي يأتي من الخير إنه إذا سئل المعروف زاد وتمَّما

قال: والرب يقال على ثلاثة أوجه: أحدها: المالك. يقال: رب الدار. والثاني: المصلح، يقال: رب الشيء. والثالث: السيد المطاع. قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبُّكُمْ خَمْرًا﴾ (يوسف: ٤١). والجمهور على خفض باء «رب». وقرأ أبو العالية، وابن السَّمِيعِ، وعيسى بن عمر بنصبها. وقرأ أبو رزين العقيلي، والربيع بن خيثم<sup>(٣)</sup>، وأبو عمران الجوني برفعها. فأما «الْعَالَمِينَ» فجمع عالم، وهو عند أهل العربية: اسم للمخلوق من مبدئهم إلى منتهاهم، وقد سمو أهل الزمان الحاضر عالماً. فقال الحطية:

[تنحى فاجلسي مني بعيداً] أراح الله منك العالمين

فأما أهل النظر، فالعالم عندهم: اسم يقع على الكون الكلي المحدث من فلك، وسماء، وأرض، وما بين ذلك. وفي اشتقاق العالم قولان: أحدهما: أنه من العلم، وهو يقوي قول أهل اللغة. والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل النظر، فكانه إنما سمي عندهم بذلك، لأنه دالٌّ على خالقه. وللمفسرين في المراد بـ «العالمين» هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الخلق كله، السموات والأرضون وما فيهن وما بينهن. رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: كل ذي

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) كذا في الأصل. وفي «اللسان» و«شرح القاموس»: السميع بالقاف.

(٣) جاء في «التقريب» الربيع بن خيثم بضم المعجمة، وفتح المثناة، وفي «الخلاصة» بفتح المعجمة والمثناة بينهما تحتانية. أي: خيثم، كما في الأصول التي بين أيدينا.

روح دب على وجه الأرض. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الجن والإنس. روي أيضاً عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، ومقاتل. والرابع: أنهم الجن والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضاً، واختاره ابن قتيبة. والخامس: أنهم الملائكة، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿الْكَذِبُ أَكْبَرُ﴾. قرأ أبو العالية، وابن السميع، وعيسى بن عمر بالنصب فيهما، وقرأ أبو رزين العقبلي، والربيع بن خيثم، وأبو عمران الجوني بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قرأ عاصم والكسائي، وخلف، ويعقوب: «مالك» بآلف. وقرأ ابن السميع، وابن أبي عيلة كذلك، إلا أنهما نصبا الكاف. وقرأ أبو هريرة، وعاصم الجحدري: «مَلِكِ» بإسكان اللام من غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمان النهدي، والشعبي «مَلِكِ» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومورق العجلي: «مَلِكُ» مثل ذلك إلا أنهم رفعوا الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء المطاردي «ملك» بياء بعد اللام مكسورة الكاف من غير ألف. وقرأ عمرو بن العاص كذلك، إلا أنه ضمَّ الكاف. وقرأ أبو حنيفة<sup>(٢)</sup>، وأبو حيوة «مَلِكُ» على الفعل الماضي، «ويوم» بالنصب. وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان اللام، والمشهور عن أبي عمرو وجمهور القراء «مَلِكُ» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح، لأن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً. وفي «الدين» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله ابن مسعود. والثاني: الجزاء، قاله ابن عباس، ولما أقر الله ﷻ في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنه مالك الدنيا. دل بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على أنه مالك الأخرى. وقيل: إنما خصَّ يوم الدين، لأنه يفرد يومئذ بالحكم في خلقه.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو مجلز «يُعْبُدُ» بضم الياء وفتح الباء. قال ابن الأنباري: المعنى: قل يا محمد: إياك يعبد، والعرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَّهْتُمْ يَمِينَ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿وَسَمِعْتُمْ رَبَّهُمْ شَرَّكَاءَ ظُهُورًا﴾ [إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً] [الدر: ٢١، ٢٢]. وقال لبيد:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة

وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

وفي المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى التوحيد. روي عن علي، وابن عباس في آخرين. والثاني: أنها بمعنى الطاعة، كقوله: ﴿لَا تَقْبَلُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]. والثالث: أنها بمعنى الدعاء، كقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ يَتَذَكَّرُونَ عَن عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثبتنا. قاله علي، وأبي. والثاني: أرشدنا. والثالث: وفقنا. والرابع: ألهمنا. رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس. و«أَصْرَطَ» الطريق. ويقال: إن أصله بالسين، لأنه من الاستراط وهو: الابتلاع، فالسراط كأنه يستطر المارِّين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهد، وابن محيصن، ويعقوب، فعلى أصل الكلمة، ومن قرأ بالصاد، كأبي عمرو، والجمهور، فلأنها أخف على اللسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأصمعي عن أبي عمرو، واحتج بقول العرب: سقر وزقر<sup>(٣)</sup> وروي عن حمزة: إشمام السين زايًا، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين الصاد والزاي. قال الفراء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريش الأولى، وعامة العرب يجعلونها سينًا، وبعض قيس يشمُون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ «الزراط» بالزاي، وهي لغة لعلرة وكلب وبني القين. يقولون في [أصدق<sup>(٤)</sup>] أزدق. وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله، رواه علي عن

(١) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسب إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة، أن الكتاب موضوع لا أصل له. قال ابن الجزي: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقُونَ﴾ برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة ليرى منها. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزي ١٦/١.

(٢) قال في «لسان العرب» الزقر: لغة في الصقر.

(٣) الزيادة من القرطبي.

النبي ﷺ. والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين. والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضاً. فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ ففيه<sup>(١)</sup> ثلاثة أجوبة<sup>(٢)</sup>: أحدها: أن المعنى: اهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقايم: قم حتى آتيك، أي: أثبت على حالك. والثالث: أن المعنى: زدنا هدى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. قال ابن عباس: هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. وقرأ الأكثرون «عليهم» بكسر الهاء، وكذلك «الديهم» و«إليهم» وقرأه من حمزة بضمها. وكان ابن كثير يصل [ضم] الميم بواو. وقال ابن الأنباري: حكى اللغويون في «عليهم» عشر لغات، قرئ بعامتها «عليهم» بضم الهاء وإسكان الميم و«عليهم» بكسر الهاء وإسكان الميم، و«عليهمي» بكسر الهاء والميم وإدخال ياء بعد الكسرة، و«عليهمو» بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة، و«عليهمو» بضم الهاء والميم وإدخال واو بعد الميم، و«عليهم» بضم الهاء ومن غير زيادة واو، وهذه الأوجه الستة مأثورة عن القراء، وأوجه أربعة منقولة عن العرب «عليهمي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء، و«عليهم» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، و«عليهم» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو، و«عليهم» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. فأما «المغضوب عليهم» فهم اليهود؛ «والضالون»: النصاري. رواه عدي بن حاتم عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: والضلال: الحيرة والعدول عن الحق.

### فصل

ومن السنة في حق قارئ الفاتحة أن يعقبها بـ «آمين». قال شيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله: وسواء كان خارج الصلاة أو فيها، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قال الإمام: ﴿عَبَّرَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال من خلفه: آمين، فوافق ذلك قول أهل السماء، غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٥)</sup>. وفي معنى آمين: ثلاثة أقوال: أحدها: أن معنى آمين: كذلك يكون. حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس، والحسن. والثاني: أنها بمعنى: اللهم استجب. قاله الحسن والزجاج. والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى. قاله مجاهد، وهلال بن يساف، وجعفر بن محمد. وقال ابن قتيبة: معناها: يا آمين أجب دعاءنا، فسقطت يا، كما سقطت في قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] تأويله: يا يوسف. ومن طوّل الألف فقال: آمين، أدخل ألف النداء على ألف آمين، كما يقال: آزيد أقبل. ومعناه: يا زيد. قال ابن الأنباري: وهذا القول خطأ عند جميع النحويين، لأنه إذا أدخل «يا» على «آمين» كان منادئ مفرداً، فحكم آخره الرفع، فلما أجمعت العرب على فتح نونه، دل على أنه غير منادى، وإنما فتحت نون «آمين» لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقول العرب: ليت، ولعل. قال: وفي «آمين» لغتان: «آمين» بالقصر، و«آمين» بالمد، والنون فيهما مفتوحة. أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

سَقَى اللهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةَ وَالْحِمَى  
أَمِينٌ وَأَدَّى اللهُ رَكْبًا إِلَيْهِمْ  
وَأَنشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا:  
تَبَاعَدَ مِنِّي فَظَحُلَ وَابْنُ أُمِّهِ  
(جَمَى)<sup>(٧)</sup> فَيَذَّ صَوْبَ الْمُذْجَنَاتِ الْمَوَاطِرِ  
بَخِيرٍ وَوَقَّاهُمْ جِمَامَ الْمَقَادِرِ<sup>(٨)</sup>  
أَمِينٌ فَزَادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُغْدًا<sup>(٩)</sup>

(١) في الأصلين: فنه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في نسخة (أ) أوجه. وكذلك كان كتبها ناسخ (ب) ثم أصلها كما أثبتنا.

(٣) في نسخة (ب) هداية.

(٤) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٥) رواه البخاري وسلم بلفظ: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأميتهم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٦) الزيادة من نسخة (ب).

(٧) البيت سقط من نسخة (ب).

(٨) البيتان في «اللسان» في مادة «أمن» ورواية الثاني فيه: ورد الله.

وأنشدنا أبو العباس أيضاً:  
يا ربَّ لا تسلبني حُبَّها أبداً  
وأنشدني أبي:  
أَمِينَ ومن أعطاك منِّي هِوادةً  
وأنشدني أبي:  
فقلْتُ له قد هجت لي بَارَحَ الهوى  
أَمِينَ وأضناه الهوى فوق ما به

وَيَرْحُمُ الله عبداً قال آميناً  
رمى الله في أطرافه فأَقْفَعَلْتُ<sup>(١)</sup>  
أَصَابَ جِمامَ الموتِ أهْوَنُنا وَجداً  
[أَمِينَ]<sup>(٢)</sup> ولاقى من تباريحه جَهْداً

### فصل

نقل الأكثرون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تتعين، وهي رواية عن أحمد، ويدل على الرواية الأولى ما روي في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله تعالى أعلم بالصواب.



(١) الاقْفَعْلَال: تشنج الأصابع والكف من برد أو داء.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

## سورة البقرة

### فصل في فضيلتها<sup>(١)</sup>

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، اقروا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»<sup>(٣)</sup>. والمراد بالزهراوين: المنيرتين. يقال لكل منير<sup>(٤)</sup>: زاهر. والغاية: كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه، مثل السحابة والغبرة. يقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلموه به. قال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا  
وعلى الأرض غيايات الطفل

ومعنى فرقان: قطعتان. والفرق: القطعة من الشيء. قال عز وجل: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّيْرِ الْمَطِيرِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. والصُّوفا: المصطفة المتضامة لتظل قارئها. والبطلة: السحرة.

### فصل في نزولها

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. وذكر قوم أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عز وجل: ﴿وَأَنفَقُوا يَوْمَ تُنْفَخُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع.

### فصل

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما التفسير. فقلوه: ﴿الْمَرْ ①﴾ اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال: أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد. والثاني: أنها حروف من أسماء، فإذا ألقت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب. وسئل ابن عباس عن «آلر» و«حم» و«نون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس. والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث» وهو يريد سائر الحروف، وكما يقال: قرأت الحمد، يريد فاتحة الكتاب، فيسميها بأول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزلة، وبها يذكر ويوحد. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ دليلاً على الجواب. والرابع: أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولاً للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفراء، وقطرب. فإن قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٤) في نسخة (أ): «مستير».

(١) هذا العنوان ثابت في نسخة (ب).

(٣) رواه مسلم.

فالجواب: أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد ﷺ. والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد بن علاقة مولى أم هانئ. والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تأ؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفي [لنا] فقالت قاف

أراد قالت: أقف. ومثله:

نادوهم ألا الجمروا ألا تا

يريد: ألا تركبوا؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري.

وقال أبو روق عطية بن الحارث الهمداني: كان النبي ﷺ يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يصفقون ويصفقون، فنزلت هذه الحروف المقطعة، فسمعوها فبقوا متحيرين. وقال غيره: إنما خاطبهم بما لا يفهمون ليقبلوا على سماعه، لأن النفوس تتطلع إلى ما غاب عنها معناه، فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإبلاغ، إلا أنه لا بد له من معنى يعلمه غيرهم، أو يكون معلوماً عند المخاطبين، فهذا الكلام يعم جميع الحروف.

وقد خص المفسرون قوله «آلَمَ» <sup>(١)</sup> بخمسة أقوال: أحدها: أنه من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله عز وجل، وقد سبق بيانه. والثاني: أن معناه: أنا الله أعلم. رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وسعيد بن جبير. والثالث: أنه قسم. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وخالد الحذاء عن عكرمة. والرابع: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الألف من «الله» واللام من «جبريل» والميم من «محمد» قاله ابن عباس. فإن قيل: إذا كان قد تنول من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به، فلم أخذت اللام من جبريل وهي آخر الاسم؟! فالجواب: أن مبتدأ القرآن من الله تعالى، فدل على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء، فتنول من اسمه نهاية حروفه، و«محمد» مبتدأ في الإقراء، فتنول أول حرف فيه. والقول الثاني: أن الألف من «الله» تعالى، واللام من «لطيف» والميم من «مجيد» قاله أبو العالية. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، والشعبي، وقادة، وابن جريج.

قوله تعالى: «ذَلِكْ» <sup>(٢)</sup>. فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش. واحتج بعضهم بقول خفاف بن ثذبة:

أقول له والرمح ياطر متنه

أي: أنا هذا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد: أنا ذلك الذي تعرفه. والثاني: أنه إشارة إلى غائب. ثم فيه ثلاثة

أقوال: أحدها: أنه أراد به ما تقدم إنزاله عليه من القرآن. والثاني: أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: «سَتَلَقِي عَنكَ قَوْلًا قَبِيلًا» [المزمل: ٥]. والثالث: أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة، لأنهم وعدوا بنبي وكتاب. و«أَلِكْتُبُ»: القرآن. وسمي كتاباً، لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه الكتيبة، سميت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض. ومنه: كتبت البغلة <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «لَا رَيْبَ فِيهِ». الرِّيب: الشك. والهدى: الإرشاد. والمتقون: المحترزون مما اتقوه. وفرَّق شيخنا علي بن عبيد الله بين التقوى والورع، فقال: التقوى: أخذ <sup>(٤)</sup> عدة، والورع: دفع شبهة، فالتقوى: متحقق السبب، والورع: مظنون المسبب. واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهرها النفي، ومعناها

(١) الرجز: للوليد بن عتبة.

(٢) قال في «اللسان»: وكتبت البغلة: إذا جمعت شُفري حيائها بحلقة أو سير، لتلا يتزى عليها.

(٣) في نسخة (ب): «أشد».



النهي، وتقديرها: لا ينبغي أحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه. ومثله: ﴿مَا كُنَّا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]. أي: ما ينبغي لنا. ومثله: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوكَ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا مذهب الخليل، وابن الأنباري. والثاني: أن معناها: لا ريب فيه أنه هدى للمتقين. قاله المبرد. والثالث: أن معناها: لا ريب فيه أنه من عند الله، قاله مقاتل في آخرين. فإن قيل: فقد ارتاب به قوم. فالجواب: أنه حق في نفسه، فمن حقق النظر فيه علم. قال الشاعر:

ليس في الحق يا أمانة ريب [إنما الريب ما يقول الكذوب]<sup>(١)</sup>

فإن قيل: فالمتقي مهتد، فما فائدة اختصاص الهداية به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد المتقين، والكافرين، فاكتمى بذكر أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلُ تَقِيكُمْ أَلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. أراد: البرد. والثاني: أنه خص المتقين لانتفاعهم به، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ تَحْشَنَّا﴾ [التاغات: ٤٥]. وكان منذراً لمن يخشى ولمن لا يخشى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. الإيمان في اللغة: التصديق، والشرح أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل. وأصل الغيب: المكان المظمن الذي يستتر فيه لنزوله عما حوله، فسمي كل مستتر: غيباً. وفي المراد بالغيب هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله ابن عباس، وابن جريج. والثاني: القرآن، قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش. والثالث: الله عز وجل، قاله عطاء، وسعيد بن جبيرة. والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة. والخامس: أنه قدر الله عز وجل، قاله الزهري. والسادس: أنه الإيمان بالرسول في حق من لم يره. قال عمرو بن مرة: قال أصحاب عبد الله له: طوبى لك، جاهدت مع رسول الله ﷺ، وجالسته. فقال: إن شأن رسول الله ﷺ كان ميئناً لمن رآه، ولكن أعجب من ذلك: قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْصَّلَاةِ﴾. الصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشريعة: أفعال وأقوال على صفات مخصوصة. وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك لرفع الصلّا، وهو مغرز الذنب من الفرس. والثاني: أنها من صليت العود إذا لبت، فالمصلي يلين ويخشع. والثالث: أنها مبنية على السؤال والدعاء، والصلاة في اللغة: الدعاء، وهي في هذا المكان اسم جنس. قال مقاتل: أراد بها هاهنا: الصلوات الخمس. وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به، روي عن ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إدامتها، والعرب تقول في الشيء الراتب: قائم، وفلان يقيم أرزاق الجند، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. أي: أعطيناهم ﴿يُفْقُونَ﴾ أي يخرجون. وأصل الإنفاق الإخراج. يقال: نفقت الدابة: إذا خرجت روحها. وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال: أحدها: أنها النفقة على الأهل والعيال، قاله ابن مسعود، وحذيفة. والثاني: أنها الزكاة المفروضة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثالث: أنها الصدقات النوافل، قاله مجاهد، والضحاك. والرابع: أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسرين، وقالوا: إنه كان فرض على الرجل أن يمسك مما في يده مقدار كفايته يومه وليته، ويفرق باقيه على الفقراء. فعلى قول هؤلاء، الآية منسوخة بآية الزكاة، وغير هذا القول أثبت. واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، رواه الضحاك عن ابن عباس، واختاره مقاتل. والثاني: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما

أنزل من قبله.. رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال المفسرون: [الذي أنزل إليه، القرآن]. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: القرآن<sup>(١)</sup> وغيره مما أوحى إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. يعني: الكتب المتقدمة والوحي، فأما «الآخرة» فهي اسم لما بعد الدنيا، وسميت آخرة، لأن الدنيا قد تقدمتها: وقيل: سميت آخرة لأنها نهاية الأمر.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَكَ﴾. اليقين: ما حصلت به الثقة، وثلج به الصدر، وهو أبلغ علم مكتسب.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾. أي: على رشاد. وقال ابن عباس: على نور واستقامة. قال ابن قتيبة: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء. ويشهد لهذا قول لبيد:

نحل بلاداً كلُّها حُلٌّ قبلنا

ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحمير

يريد: البقاء. وقال الزجاج: المفلح: الفائز بما فيه غاية صلاح حاله. قال ابن الأنباري: ومنه: حيٌّ على الفلاح، معناه: هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ كَثَرُوا﴾. في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في قادة الأحزاب، قاله أبو العالية. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، قاله الضحاك. والثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب، قاله ابن السائب. والرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب، وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم. قال مقاتل: فأما تفسيرها، فالكفر في اللغة: التغطية. تقول: كفرت الشيء إذا غطيته، فسمي الكافر كافراً، لأنه يغطي الحق.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾. أي: متعادل عندهم الإنذار وتركه، والإنذار: إعلام مع تخويف، وتناذر بنو فلان هذا الأمر: إذا خوفه بعضهم بعضاً. قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية وردت بلفظ العموم، والمراد به الخصوص، لأنها أذنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن، وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم، لكان خبر الله لهم خلاف مخبره، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. الختم: الطبع، والقلب: قطعة من دم جامدة سوداء، وهو مستكن في الفؤاد، وهو بيت النفس، ومسكن العقل، وسمي قلباً لتقلبه، وقيل: لأنه خالص البدن، وإنما خصّه بالختم لأنه محل الفهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾. يريد: على أسماعهم، فذكره بلفظ التوحيد، ومعناه: الجمع، فاكتفى بالواحد عن الجميع، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ ظُنُفَارًا﴾ [الحج: ٥]. وأنشدوا من ذلك:

كلوا في نصف بطونكم تعيشوا

فلئن زمانكم زمن خميص

أي: في أنصاف بطونكم. ذكر هذا القول أبو عبيدة، والزجاج. وفيه وجه آخر، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر، والمصدر يوحد، تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضربكم. فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى. ذكره الزجاج، وابن القاسم. وقد قرأ عمرو بن العاص، وابن أبي عتبة: (وعلى أسماعهم).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾. الغشاوة: الغطاء. قال الفراء: أما قریش وعامة العرب، فيكسرون الغين من «غشاوة»، وعكل يضمون الغين، وبعض العرب يفتحها، وأظنها لربيعه. وروى الفضل عن عاصم «غشاوة» بالنصب على تقدير: جعل على أبصارهم غشاوة. فأما العذاب، فهو الألم المستمر، وماء عذب: إذا استمر في الحلق سائغاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو العالية، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها في منافقي أهل الكتاب.

رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن سيرين: كانوا يتخوفون من هذه الآية. وقال قتادة: هذه الآية نعت المنافق، يعرف بلسانه، وينكر بقلبه، [و] يصدق بلسانه، ويخالف بعمله، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيرها، ويتكفأ تكفأ السفينة، كلما هبت ريح هب معها.

**قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾.** قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير، والجد بن القيس؛ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ونشهد أن صاحبكم صادق، فإذا خلوا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية. فأما التفسير، فالخدعة: الحيلة والمكر، وسميت خديعة، لأنها تكون في خفاء. والمخدع: بيت داخل البيت تخفي فيه المرأة، ورجل خادع: إذا فعل الخديعة، سواء حصل مقصوده أو لم يحصل، فإذا حصل مقصوده، قيل: قد خدع. وانخدع الرجل: استجاب للخادع، سواء تعمد الاستجابة أو لم يقصدها، والعرب تسمي الدهر خداعاً، لتلونه بما يخفيه من خير وشر. وفي معنى خداعهم الله؛ خمسة أقوال: أحدها: إنهم كانوا يخادعون المؤمنين، فكانهم خادعوا الله. روي عن ابن عباس؛ واختاره ابن قتيبة. والثاني: إنهم كانوا يخادعون نبي الله، فأقام الله نبيه مقامه، كما قال: ﴿إِنَّ أَلْيَوْمَ يَأْيُومُكَ إِنَّمَا يَأْيُومُكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠]. قاله الزجاج. والثالث: أن الخادع عند العرب: الفاسد. وأنشدوا:

[أبيض اللون لذيذ طعمه] طيب الريق إذا الريق خدع<sup>(١)</sup>

أي: فسد. رواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي. قال ابن القاسم: فتأويل: يخادعون الله: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. والرابع: أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً. والخامس: أنهم كانوا يخفون كفرهم، ويظهرون الإيمان به.

**قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾.** قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، (وما يخادعون) وقرأ الكوفيون، وابن عامر: (يخدعون)، والمعنى: أن وبال ذلك الخداع عائد عليهم. ومتى يعود وبال خداعهم عليهم؟ فيه قولان: أحدهما: في دار الدنيا، وذلك بطريقين. أحدهما: بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم غداً. والثاني: باطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها. والقول الثاني: أن عود الخداع عليهم في الآخرة. وفي ذلك قولان: أحدهما: أنه يعود عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين، وذلك قوله: ﴿قِيلَ آرْجُوا وَرَلَّكُمْ فَالْتَمِسُوا نَزْلًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ [الحديد: ١٣]. والثاني: أنه يعود عليهم عند اطلاع أهل الجنة عليهم، فإذا رأوهم طمعوا في نيل راحة من قبلهم، فقالوا: ﴿أَيُسْرُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] فيجيبونهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥١].

**قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتُرُونَ﴾.** أي: وما يعلمون. وفي الذي لم يشعروا به قولان: أحدهما: أنه إطلاع الله نبيه على كذبهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إسرارهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيد.

**قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾.** المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقاتدة. ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَمَازًا﴾ هذا الإخبار من الله تعالى أنه فعل بهم ذلك، و«الآلیم» بمعنى المؤلم، والجمهور يقرؤون (يكذبون) بالتشديد، وقرأ الكوفيون سوى أبان، عن عاصم بالتخفيف مع فتح الباء.

**قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.** اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها، قاله سلمان الفارسي. وكان الكسائي يقرأ بضم القاف من «قيل» والحاء من «حيل» والغين من «غيض»، والجيم من «جي»، والسين من «سي» و«سيث». وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة «حيل» و«سيق» و«سي» و«سيث». وكان نافع يضم «سي» و«سيث»، ويكسر البواقي، والآخرين يكسرون جميع ذلك. وقال الفراء: أهل الحجاز من قريش ومن جاوهرهم من بني كنانة يكسرون القاف في «قيل» و«جي» و«غيض»، وكثير من عقيل ومن جاوهرهم وعامة أسد، يشمون<sup>(٢)</sup> إلى الضم من «قيل» و«جي». وفي المراد بالفساد هاهنا خمسة أقوال: أحدها:

(١) البيت نسبته في «اللسان» لسويد بن أبي كاهل الشكري، وهو من قصيدة جيدة، تجدها في «المفضليات».

(٢) في الأصول التي بين أيدينا «يشيرون» وما أثبتناه هو الصواب، كما هو في كتب القراءات.

أنه الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية، ومقاتل. والثالث: أنه الكفر والمعاصي، قاله السدي عن أشياخه. والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال مجاهد. والخامس: أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار، وأطلعهم على أسرار المؤمنين، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَحْنُ مُبْطِلُونَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد. والثاني: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباس. والثالث: أنهم أرادوا مضافة الكفار صلاح، لا فساد، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، قاله السدي. والخامس: أنهم ظنوا أن مضافة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أن الدولة إن كانت للنبي ﷺ فقد أمنوه بمبايعته<sup>(١)</sup> وإن كانت للكفار فقد أمنهم بمصافاتهم، ذكره شيخنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾. قال الزجاج. ألا: كلمة يتبدأ بها ينبه بها المخاطب، تدل على صحة ما بعدها. و«هم»: تأكيد للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قولان: أحدهما: لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم. والثاني: لا يشعرون أن ما فعلوه فساد، لا صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ في المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد. وفي القائلين لهم قولان: أحدهما: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ولم يحن أحداً من الصحابة. والثاني: أنهم معينون، وهم سعد بن معاذ، وأبو لبابة، وأسيد، ذكره مقاتل. وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التصديق بالنبي، وهو قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنه العمل بمقتضى ما أظهروه، وهو قول من قال: هم المنافقون. وفي المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مقاتل. والثالث: معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وجماعة من وجوه الأنصار، عدهم الكلبي. وفيمن عنوا بالسفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: النساء والصبيان، قاله الحسن. والثالث: ابن سلام وأصحابه، قاله مقاتل. وفيما عنوه بالغيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا دين الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم أرادوا البعث والجزاء، قاله مجاهد. والثالث: أنهم عنوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظر في عاقبة، وهذا الوجه الذي قبله يخرج على أنهم المنافقون، والأول يخرج على أنهم اليهود. قال ابن قتيبة: والسفهاء: الجهلاء، يقال: سفه فلان رآه إذا جهله، ومنه قيل للبداء: سفه، لأنه جهل. قال الزجاج: وأصل السفه في اللغة: خفة الحلم، ويقال: ثوب سفه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفت الرياح الشجر: إذا مالت به. قال الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفت  
أعاليها مر الرياح النواسم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. قال مقاتل: لا يعلمون أنهم هم السفهاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَبْرِءُونَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبي ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضده، قاله الحسن. فأما التفسير: «فإلى»: بمعنى «مع» كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ أي: مع الله. والشياطين: جمع شيطان، قال الخليل: كل متمرد عند العرب شيطان. وفي هذا الاسم قولان: أحدهما: أنه من شطن، أي: بعد عن الخير، فعلى هذا تكون النون أصلية. قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام:

(١) في نسخة (أ): «بمبايعته».

(٢) البيت لذي الرمة يصف النساء. يقول: إذا مشين اهتززن في مشيين، وتئين فكانهن رماح نصبت، فمرت عليها الرياح فاهتزت وتنتت. والنواسم: الرياح الضعيفة الهبوب.

أَيُّمَا شَاطِئِنِ عَصَاهُ عَكَاهُ      ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ  
عَكَاهُ: أَوْتَقَهُ. وَقَالَ النَّابِغَةُ:

نَاتَ بِسَعَادِ عَنْكَ نَوًى شَطُونِ      فَبَانَتْ وَالْفُؤَادَ بِهَا رَهِينِ  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ شَاطِئِ شَيْطٍ: إِذَا التَّهَبَ وَاحْتَرَقَ، فَتَكُونُ النَّوْنُ زَائِدَةً. وَأَنْشَدُوا:

وَقَدْ يَشْطِيطُ عَلَيَّ أَرْمَاحُنَا الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>

أَي: يَهْلِكُ. وَفِي الْمُرَادِ بِشَايَطِينِهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ رُؤُوسُهُمْ فِي الْكُفْرِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَالسَّدي. وَالثَّانِي: إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَمَجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: كَهَيْتِهِمْ، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَالْكَلْبِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾. فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ أَرَادُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ. وَالثَّانِي: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى النَّصْرَةِ وَالْمُعَاوَذَةِ. وَالْهَزْءُ: السَّخَرِيَّةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَنْتَهِزُ يَوْمَ﴾. اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِاسْتِهْزَاءِ اللَّهِ بِهِمْ عَلَى تِسْعَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَسْرِعُونَ إِلَيْهِ فَيُغْلِقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ آخَرَ، فَيَسْرِعُونَ فَيُغْلِقُ، فَيَضْحَكُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَدَتْ النَّارُ لَهُمْ كَمَا تَجَمَدُ الْإِهَالَةُ فِي الْقَدَرِ، فَيَمْشُونَ فَتَنْخَسِفُ بِهِمْ. رَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ: إِذَا ضَرَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُورِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ، فَيَقُونَ فِي الظُّلْمَةِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَرْجِعُوا وَرَكُّكُمْ فَالْتَمِسُوا زُكْرًا﴾ [الحديد: ١٣]. قَالَه مُقَاتِلٌ. وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: يَجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ، فَقَوْلِ الْفَلْظِ بِمَثَلِهِ لَفْظًا وَإِنْ خَالَفَهُ مَعْنَى، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كَلثُومٍ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

أَرَادَ: فَتَعَاقِبُهُ بِأَغْلَظَ مِنْ عِقَابِهِ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ مِنْ اللَّهِ التَّخَطُّطُ لَهُمْ وَالتَّجْهِيلُ، فَمَعْنَاهُ: اللَّهُ يَخْطِئُ فَعَلَهُمْ، وَيَجْهَلُهُمْ فِي الْإِقَامَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ. وَالسَّادِسُ: أَنَّ اسْتِهْزَاءَهُ: اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ. وَالسَّابِعُ: أَنَّهُ إِيقَاعُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِهِمْ، وَرَدُّ خُدَاعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ. وَالثَّامِنُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدِهِمْ فِي النَّارِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الذَّلِّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ذَكَرَهُ شَيْخُنَا فِي كِتَابِهِ. وَالثَّاسِعُ: أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرُوا مِنْ أَحْكَامِ إِسْلَامِهِمْ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ مَا أَبْطَنَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَانَ كَالْاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُكْفِّرُكُمْ فِي لَحِقَيْنِ يَوْمَ يَكْفِيهِمْ يَمْعَهُونَ﴾. فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: يُمْكِّنُ لَهُمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَالثَّانِي: يَمْلِي لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: يَزِيدُهُمْ، قَالَه مَجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: يَمْلَهُمْ، قَالَه الزَّجَاجُ. وَالطَّغْيَانُ: الزِّيَادَةُ عَلَى الْقَدْرِ، وَالْخُرُوجُ عَنْ حِيزِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْكَثْرَةِ، يُقَالُ: طَغَى الْبَحْرُ: إِذَا هَاجَتْ أَمْوَاغُهُ، وَطَغَى السَّيْلُ: إِذَا جَاءَ بِمَاءٍ كَثِيرٍ. وَفِي الْمُرَادِ بِطَغْيَانِهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَفَرَهُمْ، قَالَه الْجُمْهُورُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَتَوْهُمْ وَتَكَبَّرَهُمْ، قَالَه ابْنُ قَتِيْبَةَ. وَ«يَعْمَهُونَ» بِمَعْنَى: يَتَحَيَّرُونَ، يُقَالُ: رَجُلٌ عَمَهُ وَعَامَهُ، أَيْ: مَتَحَيَّرَ. قَالَ الرَّاجِزُ:

وَمُخَفِّقٍ مِنْ لُهْلُو وَلُهْلُو      مِنْ مَهْمُو يَجْتَبِنُهُ فِي مَهْمِهِ

أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ<sup>(٢)</sup>

(١) هُوَ عَجْزُ بَيْتٍ لِلْأَعْمَى، وَصَلَدُهُ: (قَدْ نَخَضِبُ الْمِيرَ مِنْ مَكُونٍ فَائِلَةً) وَالْفَائِلُ: عَرَقٌ فِي الْفَخْدِ يَكُونُ فِي خِرْبَةِ الْوَرْكِ يَنْحَدِرُ فِي الرَّجْلَيْنِ. وَمَكُونٌ فَائِلَةٌ: دَمُهُ الَّذِي كُنَ فِيهِ، أَرَادَ: إِنَّا حَذَّاقٌ بِالطَّمَنِ.

(٢) الشَّعْرُ لِرُؤْيَا بَنِ الْمَجَاجِ يَصِفُ مُضْلَةً مِنَ الْمَهَامَةِ. وَالْمُخَفِّقُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الَّتِي يَضْطَرِبُ فِيهَا السَّرَابُ. وَلِهَذَا: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، وَالْجَمْعُ لِهَالِهِ. وَالْمَهْمَةُ: الْفَلَاةُ الْمُقْفَرَةُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا أَنْبَسٌ وَلَا مَاءٌ. وَجَابُ الْمَفَازَةِ وَاجْتَابِهَا: قَطْعُهَا سِرًّا. وَقَوْلُهُ: فِي مَهْمَةٍ: أَيْ: يَقْطَعُهَا وَيَدْخُلُنَّ فِي مَهْمَةٍ آخَرَ مَوْغِلِينَ فِي الصَّحْرَاءِ.

وقال ابن قتيبة: يعمهون: يركبون رؤوسهم، فلا يبصرون.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾. في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنها في أهل الكتاب، قاله قتادة والسدي ومقاتل. والثالث: أنها في المنافقين، قاله مجاهد. واشتروا: بمنى استبدلوا، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له، وبائعاً للآخر. والضلالة والضلال بمعنى واحد. وفيهما للمفسرين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد هاهنا الكفر، والمراد بالهدى: الإيمان، روي عن الحسن وقاتدة والسدي. والثاني: أنها الشك، والهدى: اليقين. والثالث: أنها الجهل، والهدى: العلم. وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مجاهد. والثاني: أن اليهود آمنوا بالنبي قبل مبعته، فلما بعث كفروا به، قاله مقاتل. والثالث: أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النبي من الهدى فردوه واختاروا الضلال، كانوا كمن أبدل شيئاً بشيء، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَاحَتُ يَحْتَرِثُهُمْ﴾. من مجاز الكلام، لأن التجارة لا تريح، وإنما يريح فيها، ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبا: ٣٣] يريد: بل مكروهم في الليل والنهار. ومثله: ﴿إِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ [محمد: ٢١] أي: عزم عليه. وأنشدوا:

حَارَتْ قَدْ فَرَجَتْ عَنِّي هَمِي  
فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى غَمِّي<sup>(١)</sup>  
والليل لا ينام، بل ينام فيه، وإنما يستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال، ويعلم مقصود قائله، فأما إذا أضيف إلي ما يصلح أن يوصف به، وأريد به ما سواه، لم يجوز، مثل أن تقول: ربح عبدك، وتريد: ربح في عبدك. وإلى هذا المعنى ذهب الفراء وابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: وما كانوا في العلم بالله مهتدين. والثاني: وما كانوا مهتدين من الضلالة. والثالث: وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين. والرابع: وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة. والخامس: أنه قد لا يريح التاجر، ويكون على هدى من تجارته، غير مستحق للدم فيما اعتمده، فنفى الله عز وجل عنهم الأمرين، مبالغة في ذمهم.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾. هذه الآية نزلت في المنافقين. والمثل بتحريك الراء: ما يضرب ويوضع لبيان النظائر في الأحوال. وفي قوله تعالى: ﴿اسْتَوْفَدَ﴾ قولان: أحدهما: أن السين زائدة، وأنشدوا:

وداع دعا يا من يجيبُ إلى الندى  
فلم يستجبه عند ذلك مجيب<sup>(٢)</sup>  
أراد: فلم يجبه، وهذا قول الجمهور، منهم الأخفش وابن قتيبة. والثاني: أن السين داخلة للطلب، أراد: كمن طلب من غيره ناراً.

قوله تعالى: ﴿قَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ دَهَبٌ لَّيْلِي وَنَارُهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. وفي «أضَاءَتْ» قولان: أحدهما: أنه من الفعل المتعدي، قال الشاعر:

أضياء لهم أحسابهم ووجوههم  
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

أضاءت لنا النار وجهاً أغرَّ  
ملتبساً بالفؤاد التباساً<sup>(٤)</sup>  
والثاني: أنه من الفعل اللازم. قال أبو عبيد: يقال أضاءت النار، وأضاءها غيرها. وقال الزجاج: يقال: ضاء القمر، وأضاء. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها زائدة، تقديره: أضاءت حوله. والثاني: أنها بمعنى الذي. وحول

(١) الشعر لرؤية بن المعجاج يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن زيد مائة.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وهي في «الاصمعيات».

(٣) الجزع: ضرب من الغرز. وقيل: هو الغرز اليماني، وهو الذي فيه يباغض وسواد، تشبه به العين.

(٤) البيت للجهمي كما في «اللسان».

الشيء: ما دار من جوانبه. والهاء: عائدة على المستوقد. فإن قيل: كيف وحد، فقال: ﴿كَثَلُ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾، ثم جمع فقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ﴾؟ فالجواب: أن ثعلباً حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق. وإنما قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ﴾ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وحد أولاً للفظه، وجمع بعد لمعناه، كما قال الشاعر:

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد  
فجعل «الذي» جمعاً.

### فصل

اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المنافقين على قولين: أحدهما: أنه ضرب بكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفوس وحقق الدماء، فإذا ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. والثاني: أنه ضرب لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إقبالهم على الكافرين والضلال، وهذا قول مجاهد. وفي المراد بـ«الظلمات» هاهنا أربعة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: ظلمة الكفر، قاله مجاهد. والثالث: ظلمة يلقاها الله عليهم بعد الموت، قاله قتادة. والرابع: أنها نفاقهم، قاله السدي.

### فصل

وفي ضرب المثل لهم بالنار ثلاث حكم: إحداها: أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره، لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، فكأنهم لما أقرؤا بالستهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور إيمانهم كالمستعار. والثانية: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب، فهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم. والثالثة: أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد معها ضياء، فشبّه حالهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمًى﴾. الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش. وفي البكم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس. والثاني: أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل: إن الخرس يحدث عنه. والثالث: أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يعي شيئاً يفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق، ذكر هذين القولين شيخنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قتادة ومقاتل. والثاني: لا يرجعون إلى الإسلام، قاله السدي. والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى، وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والطلق به؛ كانوا كالصم البكم. والعرب تسمي المعرض عن الشيء: أعمى، والملتفت عن سماعه: أصم، قال مسكين الدارمي:

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره  
أعمى إذا ما جارتني خرجت  
وتصمُّ عما بينهم أذني  
ولا يكون لجبابه ستر  
حتى يوارى جارتني الخدر  
حتى يكون كأنه وقر

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَمْيسِرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ﴾. «أو»: حرف مردود على قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَثَلُ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ واختلف العلماء فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه داخل هاهنا للتخيير، تقول العرب: جالس الفقهاء أو النحويين، ومعناه: أنت

مخير في مجالسة أي الفريقين شئت، فكأنه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني. والثاني: أنه داخل للإيهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكأنه قال: مثلهم كأحد هذين. ومثله قوله تعالى: ﴿فَبَيِّنْ كَالْجِبَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله. قال لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما  
هل أنا إلا من أحد هذين الفريقين، وقد فنيا، فسبيلي أن أفنى كما فنيا. والثالث: أنه بمعنى: بل. وأنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى  
وصورتها أو أنت في العين أملح  
والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصبب. ومثله قوله تعالى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥] معناه: قال بعضهم، وهم اليهود: كونوا هوداً، وقال النصارى: كونوا نصارى. وكذا قوله: ﴿فَبَيِّنْهَا بَأْسَنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] معناه: جاءه بعضهم بأسنا بياتاً، وجاء بعضهم بأسنا وقت القائلة. والخامس: أنه بمعنى الواو. ومثله قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ [النور: ٦١] قال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً  
كما أتى ربه موسى على قدر  
والسادس: أنه للشك في حق المخاطبين، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] يريد: فالإعادة أهون من الابتداء فيما تظنون. فاما التفسير لمعنى الكلام: أو كأصحاب صيب، فأضمر الأصحاب، لأن في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي ذَاتِهِمْ﴾، دليلاً عليه. والصيب: المطر. قال ابن قتيبة: هو فيعل<sup>(١)</sup> من صاب يصبوب: إذا نزل من السماء، وقال الزجاج: كل نازل من علو إلى استفال، فقد صاب يصبوب، قال الشاعر:

كانهم صابت عليهم سحابة  
صواعقها لطيرهن دبيب  
وفي الرعد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال ابن عباس ومجاهد. وفي رواية عن مجاهد: أنه صوت ملك يسبح. وقال عكرمة: هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل. والثاني: أنه ريح تختنق بين السماء والأرض. وقد روي عن أبي الجلد أنه قال: الرعد: الريح. واسم أبي الجلد: جيلان بن أبي فروة البصري، وقد روى عنه قتادة. والثالث: أنه اصطكاك أجرام السحاب، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله. وفي البرق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عن علي قال: هو ضربة بمخراق من حديد. وعن ابن عباس: أنه ضربة بسوط من نور. قال ابن الأنباري: المخاريق: ثياب تلف، ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً، فشب السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق. قال عمرو بن كلثوم:

كان سيوفنا فينا وفيهم  
مخاريق بأيندي لأعبيننا  
وقال مجاهد: البرق: مصع ملك، والمصع: الضرب والتحريك. والثاني: أن البرق: الماء، قاله أبو الجلد. وحكى ابن فارس أن البرق: تلالؤ الماء. والثالث: أنه نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب لسيره، وضرب بعضه لبعض، حكاه شيخنا. والصواعق: جمع صاعقة، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار تحرق ما تصيبه. وروي عن شهر بن حوشب: أن الملك الذي يسوق السحاب، إذا اشتد غضبه، طار من فيه النار، فهي الصواعق. وقال غيره: هي نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب. قال ابن قتيبة: وإنما سميت صاعقة، لأنها إذا أصابت قتلت، يقال: صعقتهم أي: قتلتهم.

(١) ولما اجتمعت المياه والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت فصارت «صيب» ونظيره: ميت وسيد وهين ولين.

(٢) أخرجه أحمد في «المستند»، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وهو حديث طويل أجاب فيه الرسول ﷺ عن أسئلة يهود، انظر «مستند أحمد» (٢٤٨٣).



قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ حَيُّطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يفوته أحد منهم، فهو جامعهم يوم القيامة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] قاله مجاهد. والثاني: أن الإحاطة: الإهلاك، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْحِطُ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]. والثالث: أنه لا يخفى عليه ما يفعلون.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ إِذَا تَخَلَّفَ أَبْصَرَهُمْ﴾. يكاد بمعنى: يقارب، وهي كلمة إذا أثبت انتفى العمل، وإذا نفيت ثبت الفعل. وسئل بعض المتأخرين ف قيل له:

أنحوي هذا العصر ما هي كلمة  
إذا نفيت والله يشهد أثبتت  
وإثبات عند النفي قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُ لَرَّ يَكْدُ بِرْهَا﴾ [النور: ٤٠] ومثله: ﴿وَلَا يَكَادُ يَنْ﴾ [الزخرف: ٥٢] ويشهد للنفي عند الإثبات قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ﴾ [البقرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ سَنًا بَرْقِي﴾ [النور: ٤٣] و﴿يَكَادُ زَرْبًا يَنْوِي﴾ [النور: ٣٥]. وقال ابن قتيبة: كاد بمعنى: همّ ولم يفعل. وقد جاءت بمعنى [الإثبات] قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت  
أي: لو تعرضت له لبرق، أي: دهش وتحير. قلت: وقد قال ذو الرمة في المنفية ما يدل على أنها تستعمل للإثبات، وهو قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد  
أراد: لم يبرح.

قوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح الباء، وسكون الخاء وفتح الطاء. وقرأ أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد كلاهما عن عاصم، بفتح الباء وسكون الخاء، وكسر الطاء مخففاً. ورواه الجعفي عن أبي بكر عن عاصم، بفتح الباء وكسر الخاء، وتشديد الطاء، وهي قراءة الحسن كذلك، إلا أنه كسر الباء. وعنه: فتح الباء والخاء مع كسر الطاء المشددة. ومعنى ﴿يَخْطَفُ﴾: يستلب، وأصل الاختطاف: الاستلاب، ويقال لما يخرج به الدلو: خطاف، لأنه يختطف ما علق به. قال النابغة:

خطاطيف حجن في حبال متينة  
والحجن المتعققة<sup>(١)</sup> وجمل خيطف: سريع المر، وتلك السرعة الخطفى.

قوله تعالى: ﴿كَلَّمَ أُنْبَاءَ لَهُمْ﴾. قال الزجاج: يقال: ضاء الشيء يضيء، وأضاء يضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة.

## فصل

اختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم، قاله مجاهد والسدي. والثالث: أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد، وقاتل من يبطنون مودته، ذكره شيخنا. واختلقوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما يتبين لهم من مواعظ القرآن وحكمه. والثاني: أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهره. والثالث: أنه مثل لما يتألمونه بإظهار الإسلام من حقن دماهم، فإنه بالإضافة إلى ما ذخر لهم في الأجل كالبرق. واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَجْمَلُونَ أَمْسِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الْكَرَيْخِ﴾ على قولين: أحدهما: أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت، قاله الحسن والسدي. والثاني: أنه مثل لإعراضهم عن

(١) في الأصل: المتوقفة، وهو خطأ. وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: رأيت علماءنا يستجدون معناه، ولست أرى ألفاظه جيداً، ولا مينة لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ، كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدلو تمد بتلك الخطاطيف.

القرآن كراهية له، قاله مقاتل. واختلفوا في معنى ﴿كُلَّمَا أَصَاةَ لَهُمْ مَثْوًا فِيهِ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أن إضاعة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعتها، قاله قتادة. والثالث: أنه تكلمهم بالإسلام، ومشيههم فيه، اعتداهم به، فإذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل. والرابع: أن إضاعته لهم: تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان، ومشيههم فيه: إقامتهم على المسالمة بإظهار ما يظهرهونه. ذكره شيخنا. فأما قوله تعالى: ﴿وَلِذَا أَظْلَمَ عَنِّي﴾ فمن قال: إضاعته: إتيانه إياهم بما يحبون، قال: إظلامه: إتيانه إياهم بما يكرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿قَاتِلُوا﴾ وقفوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْصَرُهُمْ﴾. قال مقاتل: معناه: لو شاء لأذهب أسمعهم وأبصارهم عقوبة لهم. قال مجاهد: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة أقوال: أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله الحسن ومجاهد. والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي. والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل. و﴿النَّاسِ﴾ اسم للحيوان الآدمي. وسما بذلك لتحركهم في مراداتهم. والنوس: الحركة. وقيل: سموا أناساً لما يعتريهم من النسيان. وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان: أحدهما: التوحيد. والثاني: الطاعة، روي عن ابن عباس. والخلق: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأحوط في الحجة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبههم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع، ومعاقبة عاص. وفي «لعل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى كي، وأنشدوا في ذلك:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا

فلما كفنا الحرب كانت عهدكم

نكف وثقتم لنا كل مَوثِق

كلمع سراب في الملا مثالق<sup>(١)</sup>

يريد: لكي نكف، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان. والثاني: أنها بمعنى الترجي، ومعناها: اعبدوا الله راجين للتقوى، ولأن تقوا أنفسكم بالعبادة عذاب ربكم. وهذا قول سيبويه. قال ابن عباس: لعلكم تتقون الشرك، وقال الضحاك: لعلكم تتقون النار. وقال مجاهد: لعلكم تطيعون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا﴾. إنما سميت الأرض أرضاً لسعتها، من قولهم: أرضت القرحة: إذا اتسعت. وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل: أرض، وقيل: لأن الناس يرضونها بأقدامهم، وسميت السماء سماء لعلوها. قال الزجاج: وكل ما علا على الأرض فاسمه بناء، وقال ابن عباس: البناء هاهنا بمعنى السقف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾. يعني: من السحاب. ﴿فَلَا يَكُنْ﴾ يعني: المطر. ﴿فَلَا يَجْمَعُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يعني: شركاء، أمثالاً. يقال: هذا ند هذا، ونديده. وفيما أريد بالانداد هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد، والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَكْمُلُونَ﴾. فيه ستة أقوال: أحدها: وأنتم تعلمون أنه خلق السماء، وأنزل الماء، وفعل ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل. الثاني: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والإنجيل، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو يخرج على قول من قال: الخطاب لأهل الكتاب. والثالث: وأنتم تعلمون أنه لا ند له، قاله مجاهد. والرابع: أن العلم هاهنا بمعنى العقل، قاله ابن قتية. والخامس: وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحد سواه. ذكره شيخنا علي بن عبيد الله. والسادس: وأنتم تعلمون أنها حجارة، سمعته من الشيخ أبي محمد بن الخشاب.

(١) لا يعرف قائلها. والملا: الصحراء، والمتع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾. سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنما لفي شك منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مروي عن ابن عباس ومقاتل. وإن «ها هنا لغير شك، لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا عادة العرب، يقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فأطعني. وقيل: إنها ها هنا بمعنى إذ، قال أبو زيد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّرُوا مَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ يَمُوتُ بَشَرٌ﴾. قال ابن قتيبة: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسارت، يعني [أفضلت] لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النعمان:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يستذبذب

والسورة في هذا البيت: سورة المجد، وهي مستعارة من سورة البناء. وقال ابن الأنباري: قال أبو عبيدة: إنما سميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سورة البناء. ومعنى: أعطاك سورة، أي: منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك. قال ابن القاسم: ويجوز أن تكون سميت سورة لشرفها، تقول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع، أو لأنها قطعة من القرآن من قولك: أسارت سوراً، أي: أبقيت بقية، وفي هاء «مثله» قولان: أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزل، قاله قتادة، والفراء ومقاتل. والثاني: أنها تعود على النبي ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم. فعلى هذا القول: تكون «من» لابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أن معناه: استعينوا<sup>(١)</sup> من المعونة، قاله السدي والفراء. والثاني: استغيثوا من الاستغاثة، وأنشدوا:

فلما التقت فرساننا<sup>(٢)</sup> ورجالهم دعوا يال كعب واعتزينا لعامر<sup>(٣)</sup>

وهذا قول ابن قتيبة: وفي «شهادتهم» أقوال: أحدها: أنهم ألهمهم، قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والفراء. قال ابن قتيبة: وسموا شهداء، لأنهم يشهدونهم، ويحضرونهم. وقال غيره: لأنهم عبدوهم ليشهدوا لهم عند الله. والثاني: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معناه: فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتونه به مثل القرآن، روي عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أي: في قولكم: إن هذا القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾. في هذه الآية مضمّر مقدّر، يقتضي الكلام تقديمه، وهو أنه لما تحداهم بما في الآية الماضية من التحدي، فسكتوا عن الإجابة؛ قال: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أعظم دلالة على صحة نبوة نبينا، لأنه أخبر أنهم لا يفعلون، ولم يفعلوا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ آثَارَ النَّارِ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. والوقود: بفتح الواو: الحطب، وبضمها: التوقد، كالوضوء بالفتح: الماء، وبالضم: المصدر، وهو: اسم حركات المتوضئ. وقرأ الحسن وفتادة: وقودها، بضم الواو، والاختيار الفتح. والناس أوقدوا فيها بطريق العذاب، والحجارة، لبيان قوتها وشدتها، إذ هي محرقة للحجارة. وفي هذه الحجارة قولان: أحدهما: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الربيع بن أنس. والثاني: أنها حجارة الكبريت، وهي أشد الأشياء حرّاً إذا أحميت، يعذبون بها. ومعنى «أُعِدَّتْ»: هيئت. وإنما خوفهم بالنار إذا لم يأتوا بمثل القرآن، لأنهم إذا كذبوه، وعجزوا عن الإتيان بمثله؛ ثبت عليهم الحجة، وصار الخلاف عناداً، وجزاء المعاندين النار.

(٢) في الأصل: مرسانا.

(١) في «معاني القرآن» للفراء: استغيثوا بهم.

(٣) هذا البيت للراعي النميري. عزي واعتزى: انتسب، ودعا في الحرب بمثل قوله: يا لفلان أو يا للمهاجرين أو يا للأنصار، والاسم العزاء والعزوة، وهي دعوى المستغيث: «لسان العرب».

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. البشارة: أول خبر يرد على الإنسان، وسمي بشارة، لأنه يؤثر في بشرته، فإن كان خيراً، أثر المسرة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغم، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، وقد تستعمل في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَذَرُ الْمُتَّقِينَ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُكَ أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا الْفَلَاحِينَ﴾. يشمل كل عمل صالح، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال: أخلصوا الأعمال. وعن علي رضي الله عنه قال: أقاموا الصلوات المفروضات. فأما الجنات، فجمع جنة. وسميت الجنة جنة، لاستتار أرضها بأشجارها، وسمي الجن جناً، لاستتارهم، والجنين من ذلك، والدرع جنة، وجن الليل: إذا ستر، وذكر عن المفضل أن الجنة: كل بستان فيه نخل. وقال الزجاج: كل نبت كثف وكثر وستر بعضه بعضاً، فهو جنة. قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت شجرها لا من تحت أرضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فزق الغداة كرزق العشي، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل. والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد. والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُني خلفه مثله، فإذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ مُنَشِّدَاتٍ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله مجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل. والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج. والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد. فإن قال قائل: ما وجه الامتنان بمتشابهه، وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم، كان أغرب عند الخلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة؛ جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: في الخلق، فإنهن لا يحضن ولا يبلمن، ولا يأتين الخلاء. وفي الخلق، فإنهن لا يحسدن، ولا يغرن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قال ابن عباس: نقية عن القذى والأذى. قال الزجاج: «مطهرة» أبلغ من طاهرة، لأنه للتكثير. والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ضَرِبَ مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ١٧]. ونزول قوله: ﴿كَذَّبِلَ الْمَكِّيِّينَ أَفَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ آسَنًا﴾ [المنكرات: ٤١]. قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس والحسن وقاتل والفراء. والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿كَذَّبِلَ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ تَارَكَا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَمِيسِرَ زَيْنَ السَّكَنَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] قال المناقون: الله أجل وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواء السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه. والحياء بالمد: الانقباض والاحتشام، غير أن صفات الحق لا يطلع لها على ماهية، وإنما تمر كما جاءت. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ»<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى لا يستحيي: لا يترك. وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحيي: لا يخشى. ومثله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٢٧] أي: تستحيي منه. فالاستحياء والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر. وقرأ مجاهد وابن محيصن: لا يستحي بياء واحدة، وهي لغة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس: أن يذكر شيئاً. واعلم أن فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر الذي ضرب لأجله، فينجلي عامضه.

(١) رواء أحمد، وأبو داود، والترمذي عن سلمان رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ولفظه «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردعها صفراً».

قوله تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةٌ﴾. ما زائدة، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين. وأنشدوا للناطقة:

[قالت]: ألا ليتما هذا الحمام لنا [إلى حمامتنا أو نصفه فقد]

وذكر أبو جعفر الطبري أن المعنى: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر: «بين» و«إلى» إذ<sup>(١)</sup> كان في نصب البعوضة، ودخول الفاء في «ما» الثانية؛ دلالة عليهما، كما قالت العرب: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجمالاً، وهي أحسن الناس ما قرناً فقدماً [يعنون: ما بين قرنهما إلى قدمها]<sup>(٢)</sup>. وقال غيره: نصب البعوضة على البذل من المثل. وروى الأصمعي عن نافع: «بعوضة» بالرفع، على إضمار هو. والبعوضة: صغيرة البق.

قوله تعالى: ﴿فَمَّا قَوْفَهُمَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، والفراء. والثاني: فما فوقها في الصغر، فيكون معناه: فما دونها، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وقد يكون الفوق بمعنى: دون، وهو من الأضداد، ومثله: الجون؛ يقال للأسود والأبيض. والصريم: الصبح، والليل: والسدفة: الظلمة، والضوء. والجلل: الصغير، والكبير. والناهل: العطشان، والريان. والمائل: القائم، واللاطئ بالأرض. والصارخ: المغيث، والمستغيث. والهاجد: المصلي بالليل، والنائم. والرهوة: الارتفاع، والانحدار. والتلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط من الأرض. والظن: يقين، وشك. والأقراء: الحيض، والأطهار. والمفرع في الجبل: المصعد، والمنحدر. والوراء: خلفاً، وقداماً. وأسرت الشيء: أخفيته، وأعلته. وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته. ورتوت الشيء: شددته، وأرخيته. وشعبت الشيء: جمعته، وفرقته. وبعت الشيء بمعنى: بعته، واشتريته. وشريت الشيء: اشتريته، وبعته. والحي خلوف: غيب، ومتخلفون. واختلفوا في قوله: ﴿يُعْصِلُ بِوَيْهِ وَيَهْدِي بِهِ كَبِيرًا﴾ هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أو هو مبتدأ من كلام الله ﷻ على قولين: أحدهما: أنه تمام الكلام الذي قبله، قاله الفراء، وابن قتيبة. قال الفراء: كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يضل به هذا، ويهدي به هذا؟! ثم استأنف الكلام والخبر عن الله ﷻ فقال الله: ﴿وَمَا يُعْصِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. والثاني: أنه مبتدأ من قول الله تعالى، قاله السدي ومقاتل. فأما الفسق؛ فهو في اللغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسدي. والثالث: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾. هذه صفة للفاسقين، وقد سبقت فيهم الأقوال الثلاثة. والنقض: ضد الإبرام، ومعناه: حل الشيء بعد عقده. وينصرف النقض إلى كل شيء بحسبه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه. وفي هذا العهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ والوصية باتباعه، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ما عهد إليهم في القرآن، فأقروا به ثم كفروا، قاله السدي. والثالث: أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرية آدم من ظهره، قاله الزجاج. ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق، فيجب الإيمان به. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والثاني: أنها لا ابتداء الغاية، كأنه قال: ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه. وفي هاء «ميثاقه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فتقديره: بعد إحكام التوفيق فيه. وفي: الذي أمر الله أن يوصل: ثلاثة أقوال: أحدها: الرحم والقرابة، قاله ابن عباس وقتادة والسدي. والثاني: أنه رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب، قاله الحسن. والثالث: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحد من رسله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، قاله مقاتل. وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استدعاهم الناس إلى الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله السدي، ومقاتل. والثالث: أنه قطعهم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبي ﷺ ليمنعوا الناس من الإسلام. والخسران في اللغة: النقصان.

(١) في الأصل: إذا.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الطبري.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ في كيف قولان: أحدهما: أنه استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب للمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون، وقد ثبت حجة الله عليهم، قاله ابن قتيبة والزجاج. والثاني: أنه استفهام خارج مخرج التقرير والتوبيخ. تقديره: ويحكم! كيف تكفرون بالله؟! قال المعجاج:

أطرباً وأنت قنـسري [والدهر بالإنسان دواري<sup>(١)</sup>]

أراد: أطرب وأنت شيخ كبير؟!، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾. قال الفراء: أي: وقد كنتم أمواتاً. ومثله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصِيرَتٌ صُدُّرْتُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي: قد حصرت. ومثله: ﴿وَإِنْ كَانَ قَبِيضٌ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧] أي: فقد كذبت، ولولا إضمار «قد» لم يجز مثله في الكلام. وفي الحياتين، والموتيتين أقوال: أصحها: أن الموتة الأولى، كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وتعلب، والزجاج، وابن قتيبة، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لأجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للاعتبار. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: عمد إلى خلقها، والسما: لفظها لفظ الواحد، ومعناها، معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾. وأيهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان: أحدهما، الأرض، قاله مجاهد. والثاني: السماء، قاله مقاتل. واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها، فقال ابن عباس: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السموات في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين. وقال الحسن ومجاهد: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين. والعليم: جاء على بناء: فعيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ﴾. كان أبو عبيدة يقول: «إذ» ملغاة، وتقدير الكلام: وقال ربك، وتابعه ابن قتيبة، وعاب ذلك عليهما الزجاج وابن القاسم. وقال الزجاج: إذ: معناها: الوقت، فكأنه قال: ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة. والملائكة: من الأولوك، وهي الرسالة، قال لييد:

وغلام أرسلـثـه أمـه

بالوك فبذلنا ما سأل

وواحد الملائكة: ملك، والأصل فيه: ملاك. وأنشد سيبويه:

فـلـسـت لإنـسـي ولـكـن لـمـلـاك

قال أبو إسحاق: ومعنى ملاك: صاحب رسالة، يقال: مألكة ومألكة وملاكة. ومالك: جمع مألكة. قال الشاعر:

أبلغ النعمان عني مالكا

أنه قد طال حبسي وانتظاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أهبط إلى الأرض، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. ونقل أنه كان في الأرض قبل آدم خلق، فأفسدوا، فبعث الله إبليس في جماعة من الملائكة فأهلكوهم. واختلفوا ما المقصود في إخبار الله ﷻ الملائكة بخلق آدم على ستة أقوال: أحدها: أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبراً، فأحب أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضحاك عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن، والثالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قاله ابن زيد. والرابع: أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه، فأخبرهم حتى قالوا: ﴿أَجْتَمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ فأجابهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. والخامس: أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده، ليكونوا معظمين له إن أوجده. والسادس: أنه أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا

خلف فلان وخليفته. قال ابن الأنباري: والأصل في الخليفة خليفة، بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف، كما قالوا: علامة ونسابة وراوية. وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن.

قوله تعالى: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهر الألف الاستفهام، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق. قال جرير:

الستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

معناه: أنتم خير من ركب المطايا. والثاني: أنهم قالوه لاستعلاء وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض. ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك، أم لا؟ وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى، أم قاسوا على حال من قبلهم؟ فيه قولان: أحدهما: أنه بتوقيف من الله تعالى، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتبية. وروى السدي عن أشياخه: أنهم قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ والثاني: أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيُسْفِكُ﴾. قرأ الجمهور بكسر الفاء، وضما ابن مصرف وإبراهيم بن أبي عبلة، وهما لغتان، وروي عن طلحة وابن مقسم: وَيُسْفِكُ: بضم الياء، وفتح السين، وتشديد الفاء مع كسرها، وهي لتكثير الفعل وتكريره. وسفك الدم: صبّه وإراقتة وسفحه، وذلك مستعمل في كل مضيغ، إلا أن السفك يختص الدم، والصب والسفح والإراقة يقال في الدم وفي غيره. وفي معنى تسيحهم أربعة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قول: سبحان الله، قاله قتادة. والثالث: أنه: التعظيم والحمد، قاله أبو صالح. والرابع: أنه الخضوع والذل، قاله محمد بن القاسم الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَنُقْذِشْ لَكَ﴾. القدس: الطهارة، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ننتظرك لنظرك من أعمالهم، قاله ابن عباس. والثاني: نعظمك ونكبرك، قاله مجاهد. والثالث: نصلي لك، قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَلْمُؤُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البغي والمعصية، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي عن أشياخه. والثاني: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة. والثالث: أعلم أنني أملا جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد. والرابع: أعلم عواقب الأمور، فأنا أبلي من تظنون أنه مطيع، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية كإبليس، ومن تظنون به المعصية فيطيع، قاله الزجاج.

### الإشارة إلى خلق آدم ﷺ

روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر [والأبيض] والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب» قال الترمذي: هذا حديث صحيح<sup>(١)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً». وأخرج مسلم في أفراد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، ما بين العصر إلى الليل». قال ابن عباس: لما نفخ فيه الروح، أنه النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري منه في شيء إلا صار لحماً ودماً.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. في تسمية آدم قولان: أحدهما: لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان.



عباس وابن جبير والزجاج. والثاني: أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب. وفي الأسماء التي علمه قولان: أحدهما: أنه علمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. والثاني: أنه علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة. ثم فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية. والثاني: أنه علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسان وملك وجني واطر، قاله عكرمة. والثالث: أنه علمه أسماء ما خلق من الأرض من الدواب والهوام والطير، قاله الكلبي ومقاتل وابن قتيبة. والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. يريد: أعيان الخلق على الملائكة، قال ابن عباس: الملائكة هاهنا: هم الذين كانوا مع إبليس خاصة.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ﴾: أخبروني.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحسن. والثاني: أني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾. قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو: التنزيه لله تعالى عن كل سوء. والعليم بمعنى: العالم، جاء على بناء «فعليل» للمبالغة. وفي الحكيم قولان: أحدهما: أنه بمعنى الحاكم، قاله ابن قتيبة. والثاني: المحكم للأشياء، قاله الخطابي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكْفُلُكُمْ أَنِّيهِمْ﴾ أي: أخبرهم، وروي عن ابن عباس: أنبئهم بكسر الهاء، قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم. ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء. والهاء والميم تعود على الملائكة. وفي الهاء والميم من «أسمائهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على المخلوقات التي عرضها، قاله الأثرون. والثاني: أنها تعود على الملائكة، قاله الربيع بن أنس. وفي الذي أبدوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفِيدُ فِيهَا﴾، ذكره السدي عن أشياخه. والثاني: أنه ما أظهروه من السمع والطاعة لله حين مروا على جسد آدم، فقال إبليس: إن فضل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فضّلت عليه لأهلكته، ولئن فضل عليّ لأعصيته، قاله مقاتل. وفي الذي كنموه قولان: أحدهما: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالى لا يخلق خلقاً أكرم منهم، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة. والثاني: أنه ما أسره إبليس من الكبر والعصيان، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ عامة القراء على كسر التاء من الملائكة، وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمها في الوصل، قال الكسائي: هي لغة أزد شنوءة. وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم طائفة من الملائكة، روي عن ابن عباس، والأول أصح. والسجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

ساجد المنخر ما يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع

وفي صفة سجودهم لآدم قولان: أحدهما: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر. والثاني: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو على هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس. وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، ثم مسخه الله تعالى شيطاناً. والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجن، قاله الحسن والزهري. قال ابن عباس: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر السماء الدنيا. فإن قيل: كيف استثنى وليس من الجنس؟ فالجواب: أنه أمر بالسجود معهم، فاستثنى منهم، لأنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرت عبيدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبيدي، هذا قول الزجاج. وفي إبليس قولان: أحدهما: اسم أعجمي ليس بمشتق، ولذلك لا يصرف، هذا قول أبي عبيدة، والزجاج وابن الأنباري.



والثاني: أنه مشتق من الإبلّاس، وهو: اليأس، روي عن أبي صالح، وذكره ابن قتيبة وقال: إنه لم يصرف، لأنه لا سمي له، فاستثقل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والأول أصح، لأنه لو كان من الإبلّاس لصرف، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً: بإخريط وإجفيل؛ لصرف في المعرفة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ﴾ معناه: امتنع، ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ استفعل من: الكبر، وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان: أحدهما: أنها بمعنى: صار، قاله قتادة. والثاني: أنها بمعنى الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَخْدَمُ اشْكُنْ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةَ﴾: زوجه: حواء، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: الأزواج. وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: زوجة، ويجمعونها: زوجات. قال الشاعر:

فإن الذي يسعى يحرقش زوجتي  
كماشٍ إلى أسد الشرى يستبيلها<sup>(١)</sup>  
وأنشدني أبو الجراح:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم  
أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب  
وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان: أحدهما: جنة عدن. والثاني: جنة الخلد. والرغد: الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان: إذا صار في خصب وسعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ هَذِهِ الشِّجْرَةَ﴾ أي: بالأكل، لا بالدنو منها. وفي الشجرة ستة أقوال: أحدها: أنها السنبلة، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وهب بن منبه، وقتادة، وعطية العوفي، ومحارب بن دثار، ومقاتل. والثاني: أنها الكرم، روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وجعدة بن هبيرة. والثالث: أنها التين، روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج. والرابع: أنها شجرة يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنها شجرة الكافور، نقل عن علي بن أبي طالب. والسادس: أنها النخلة، روي عن أبي مالك. وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وهب بن منبه أنه قال: هي شجرة الخلد، وإنما الكلام على جنسها.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. قال ابن الأنباري: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سقاه إذا سقاه قبل أن يخرج زبده. وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تربني شكاته  
ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجرُ  
أراد بالصاحب: وطب اللبن، وظلمه إياه: أن يسقيه قبل أن يخرج زبده. والعرب تقول: هو أظلم من حية، لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماء الوادي: إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى. فإن قيل: ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالهي؟ فالجواب: أنه ابتلاء من الله تعالى بما أراد. وقال أبو العالية: كان لها ثفل من بين أشجار الجنة. فلما أكل منها، قيل: اخرج إلى الدار التي تصلح لما يكون منك.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾. أزلهما بمعنى: استزلهما، وقرأ حمزة: (فأزلهما)، أراد: نحاها. قال أبو علي الفارسي: لما كان معنى ﴿اشْكُنْ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةَ﴾ اثبتا فيها، فثبتا؛ قابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأُخْرِجَهُمَا﴾. والشیطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه، لأنه السبب. وفي هاء (عنها) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الجنة. والثاني: ترجع إلى الطاعة. والثالث: ترجع إلى الشجرة. فمعناه: فأزلهما بزلة صدرت عن الشجرة. وفي كيفية إزاله لهما، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه احتال حتى دخل إليهما الجنة، وكان الذي أدخله الحية<sup>(٢)</sup>، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أنه وقف على باب الجنة، وناداهما، قاله الحسن. والثالث: أنه وسوس إليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة، قاله ابن إسحاق، وفيه بعد. قال الزجاج: الأجود: أن يكون خاطبهما، لقوله: ﴿وَكَاَسَهُمَا﴾ [الاعراف: ٢١]. واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قوم: إنه نهى عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها. وقال آخرون: تأول الكراهة في النهي دون التحريم.

(١) البيت قاله الفرزدق. ومعنى يستبيلها: أي يأخذ بولها بيده، كما في اللسان.

(٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة.

(٢) في الأصلين: ابن كثير، وهو خطأ، فإن الراوي لهذا الأثر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح كما في الطبري.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه «إن» التي للجزاء، ضمت إليها «ما» والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام، فإذا ضمت «ما» إلى «إن» لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة. وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكدة، ودخلت النون مؤكدة أيضاً، كما لزمَت اللام النون في القسم في قولك: والله لتفعلن، وجواب الجزء الفاء. وفي المراد بـ «الهدى» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسول، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: الكتاب، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. وقرأ يعقوب: «فلا خوف»: بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ ابن محيصن بضم الفاء من غير تنوين. والمعنى: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمر مستقبل، والحزن لأمر ماضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ في معنى الآية: ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العلامة، فمعنى آية: علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، والذي بعدها، قال الشاعر:

ألا أبلغ لديك بني تميم  
بآية ما يحبون الطعاما  
وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفت بها  
لستة أعوام وذا العام سابع  
وهذا اختيار أبي عبيد. والثاني: أنها سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم. وأنشدوا:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا  
بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا<sup>(١)</sup>

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الآيات؛ أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري. وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتب التي تتلى. والثاني: معجزات الأنبياء. والثالث: القرآن. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته. وأصحاب النار: سكانها، سمو أصحاباً، لصحبتهن إياها بالملازمة.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرًا فِتْنَىٰ آلِ عَصَىٰ عَلَيْهِمْ وَأَوَّلًا يُهَدَىٰ أُوفٍ بِهَدْيِكُمْ وَإِنِّي فَأَذْهَبُونَهُ﴾ ﴿٤٠﴾. إسرائيل: هو يعقوب، وهو اسم أعجمي. قال ابن عباس: ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجه، فقالت: إسرائيل، وإسرائل، وإسرائيل، وإسرائين. قال أمية:

إنني زارد الحديد على النسا  
لا أرى من يعينني في حياتي  
وقال أعرابي صاد ضباً، فأتى به أهله:  
يقول أهل السوق لما جينا:  
س دروعاً سوابغ الأذيال  
غير نفسي إلا بني إسرائيل  
هذا ورب البيت إسرائيلنا

أراد: هذا مما مسخ من بني إسرائيل. والنعمة: المنة، ومثلها: النعماء. والنعمة، بفتح النون: التنعيم، وأراد بالنعمة: النعم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كُنَّ بِذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. أي: ظهراء. وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج. وإنما من عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال. والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر.

(١) نزجي: نسوق. اللقاح: ذوات الألبان من النوق. المطافل: النوق معها أولادها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا﴾. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أوفيت، وأهل نجد يقولون: وفيت، بغير ألف. قال الزجاج. يقال: وفى بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته

كما وفى بقلاص النجم حاديها<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: يقال: وفيت بالعهد، وأوفيت به، وأوفيت الكيل لا غير. وفي المراد بعهد: أربعة أقوال: أحدها: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإسلام، قاله أبو العالية. والرابع: أنه العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٣] قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿أَوْفِ بِعِدَّتِكُمْ﴾. قال ابن عباس: أدخلكم الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَرِئَى قَائِمُونَ﴾: أي: خافون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا بِمَا أَنْزَلْنَا﴾ يعني القرآن ﴿مُتَعَدِّيًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَكْأَنفَ يُوشَ﴾ إنما قال: أول كافر، لأن المتقدم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادر لم يتأمل الحجة، وإنما بادر بالعناد، فحاله أشد. وقيل: ولا تكونوا أول كافر به بعد أن آمن، والخطاب لرؤساء اليهود. وفي هاتين قولان: أحدهما: أنها تعود إلى المنزل، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنها تعود على ما معهم، لأنهم إذا كثروا وصف النبي ﷺ وهو معهم، فقد كفروا به، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قَائِمُونَ﴾. أي: لا تستبدلوا [بآياتي] ثمنًا قليلًا. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما كانوا يأخذون من عرض الدنيا. والثاني: بقاء رئاستهم عليهم. والثالث: أخذ الأجرة على تعليم الدين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَمَاقُونَ﴾. تلبسوا: بمعنى تخلطوا. يقال: لبست الأمر عليهم، البسه: إذا عميته عليهم، وتخليطهم أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي، ولم يذكر أنه من العرب. وفي المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه أمر النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وأبو العالية، والسدي ومقاتل. والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء، والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء. وقال ابن الأنباري: معنى الزكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات. ويقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلًا منه.

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. أي: صلوا مع المصلين. قال ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم. وقيل: إنما ذكر الركوع، لأنه ليس في صلاتهم ركوع، والخطاب لليهود. وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع، وهي إحدى الروايتين عن أحمد رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَنَسُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسُوا أَلَّا أَنْتُمْ عَلَيَّ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كان الرجل يقول لقرايته من المسلمين في السر: أثبت على ما أنت عليه فإنه حق. والألف في ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ ألف الاستفهام، ومعناه التوبيخ. وفي «البر» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التمسك بكتابهم، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به. والثاني: اتباع محمد ﷺ، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: الصدقة، كانوا يأمرون بها، ويبخلون. ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوا﴾ أي: تتركون. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

(١) قلاص النجم: هي المشرون نجمًا التي ساقها الديبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب. والبيت لطيف الغنوي.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَيْسِرُوا بِالْفَتْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع. وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع، والمصبورة: البهيمة تتخذ غرضاً. وقال مجاهد: الصبر هاهنا: الصوم. وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ترك المعاصي، قاله قتادة. والثالث: عدم الرئاسة، وهو خطاب لأهل الكتابين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ في المكنى عنها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن عباس والحسن، ومجاهد والجمهور. والثاني: أنها الكعبة والقبلة، لأنه لما ذكر الصلاة، دلت على القبلة، ذكره الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها الاستعانة، لأنه لما قال: ﴿وَأَسْتَيْسِرُوا﴾ دل على الاستعانة، ذكره محمد بن القاسم النحوي.

قوله تعالى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال الحسن والضحاك: الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] أي: ثقل، والخشوع في اللغة: التظامن والتواضع، وقيل: السكون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطْلُفُونَ أَنَّهُمْ مُلْفُفُوا رَيْبَهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجُوعٌ﴾ (٤٦). الظن هاهنا: بمعنى اليقين، وله وجوه قد ذكرناها في كتاب «الوجوه والظواهر».

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرُوا نَفْسِي أَلَيْسَ أَنتَ عَلَيَّكَ وَآلِي فَطَلَّكُمُ عَلَى النَّارِ﴾ (٤٧) يعني: على عالمي زمانهم، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد. قال ابن قتيبة: وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنَّا شَفَعَةً وَلَا يُؤْتَدُّ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ (٤٨). قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم يوم القيامة، فأيسهم الله بهذه الآية من ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ [فيه] إضمار، تقديره: اتقوا عذاب يوم، أو: ما في يوم. والمراد باليوم يوم القيامة وتجزئ، بمعنى تقضي<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: يقال: جزى الأمر عني يجزي، بغير همز، أي: قضى عني، وأجزاني يجزئني، مهموز، أي: كفاني.

قوله تعالى: ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾. قالوا: المراد بالنفس هاهنا: النفس الكافرة، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةً﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، إلا أن قتادة فتح الباء، ونصب الشفاعة، ليكون الفعل لله تعالى. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلأن الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث، ومن قرأ بالياء، فلأن التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي، فحمل على المعنى، كما أن الوعظ والموعظة بمعنى واحد. وفي الآية إضمار، تقديره: لا يقبل منها فيه شفاعا. و«الشفاعة» مأخوذة من الشفع الذي يخالف الوتر، وذلك أن سؤال الشفع يشفع سؤال المشفوع له. فأما «العدل» فهو الفداء، وسمي عدلاً، لأنه يعادل المفدى. واختلف اللغويون: هل «العدل» و«العدل» بفتح العين وكسرهما، يختلفان، أم لا؟ فقال الفراء: العدل بفتح العين: ما عادل الشيء من غير جنسه، والعدل بكسرهما: ما عادل الشيء من جنسه، فهو المثل، تقول: عندي عدل غلامك، بفتح العين، إذا أردت قيمته من غير جنسه، وعندي عدل غلامك، بكسر العين: إذا كان غلام يعدل غلاماً. وحكى الزجاج عن البصريين أن العدل والعدل في معنى المثل، وأن المعنى واحد، سواء كان المثل من الجنس أو من غير الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سَوْءَ الْمَثَلِ يُدْعَوْنَ أَنبَاءَكُمْ وَيَسْتَعِينُونَ يَسَاءَ لَكُمْ بَلَاءُ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩) تقديره: واذكروا إذ نجيناكم، وهذه النعم على آبائهم كانت. وفي «آل فرعون» ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) في الأصل تقتضي. وفي نسخة (ب) وتجزئ بمعنى تقتضي. والصواب ما أثبتنا.

أنهم أهل مصر، قاله مقاتل. والثاني: أهل بيته خاصة، قاله أبو عبيدة. والثالث: أتباعه على دينه، قاله الزجاج. وهل الآل والأهل بمعنى، أو يختلفان؟ فيه قولان: وقد شرحت معنى الآل في كتاب «النظائر». وفرعون: اسم أعجمي، وقيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: الوليد بن مصعب، قاله الأكثرون. والثاني: فيطوس<sup>(١)</sup>، قاله مقاتل. والثالث: مصعب بن الريان، حكاه ابن جرير الطبري. والرابع: مغيث، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: يولونكم. يقال: فلان يسومك خسفاً، أي: يوليكَ ذلاً واستخفافاً. وسوء العذاب: شديده. وكان الزجاج يرى أن قوله: ﴿يَذْهَبُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ تفسير لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾، وأبى هذا بعض أهل العلم، فقال: قد فرق الله بينهما في موضع آخر، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَذْهَبُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦] وإنما سوء العذاب: استخدامهم في أصعب الأعمال، وقال الفراء: الموضع الذي طرحت فيه الواو، تفسير لصفات العذاب، والموضع الذي فيه الواو، يبين أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح، فكانه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِينُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي: يستبقون نساءكم، أي: بناتكم. وإنما استبقوا نساءهم للاستدلال والخدمة. وفي البلاء هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى النعمة، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن قتبية والزجاج. والثاني: أنه النقمة، رواه السدي عن أشياخه. فعلى هذا القول يكون «ذا» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾: عائداً على سؤمهم سوء العذاب، وذبح أبنائهم واستحياء نساءهم، وعلى القول الأول يعود على النجاة من آل فرعون. قال أبو العالية: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكهنة قالت لفرعون: سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فقتل الأبناء. قال الزجاج: فالعجب من حمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً، فما ينفع القتل؟ وإن كان كاذباً، فما معنى القتل؟!

قوله تعالى: ﴿وَلَا رَفَقًا يَكُمُ الْبَحْرَ فَأَمْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ الفرق: الفصل بين الشيئين، و«بكم» بمعنى «لكم». وإنما ذكر آل فرعون دونه، لأنه قد علم كونه فيهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه من نظر العين، معناه: وأنتم ترونهم يغرقون. والثاني: أنه بمعنى العلم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. قاله الفراء.

### الإشارة إلى قصتهم

روى السدي عن أشياخه: أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل، وألقى على القبط الموت، فمات بكر كل رجل منهم، فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. قال عمر بن ميمون: فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتى يصبح الديك، فما صاح ديك ليلتئذ. قال أبو السليل: لما انتهى موسى إلى البحر قال: هيه<sup>(٢)</sup> أبا خالد، فأخذه أفل، يعني: رعدة، قال مقاتل: تفرق الماء يميناً وشمالاً كالجبلين المتقابلين، وفيهما كوى ينظر كل سبط إلى الآخر. قال السدي: فلما رآه فرعون متفرقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانفتح لي؟ فأتت خيل فرعون فأبت أن تقترحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فتشامت الحصن ريح الماذيانة، فافتحمت في إثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا وَغَدَاً مُؤَيَّنَ لَيْلَةً﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف هاهنا وفي (الأعراف) و(طه) ووافقهما أبان عن عاصم في (البقرة) خاصة. وقرأ الباقر «واعدنا» باللف. ووجه القراءة الأولى: أفراد الوعد من الله تعالى، ووجه الثانية: أنه لما قبل موسى وعد الله ﷻ، صار ذلك مواعدة بين الله تعالى وبين موسى. ومثله: ﴿لَا تَوَاعِدُهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ومعنى الآية: وعدنا موسى تنمة أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة. وموسى: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية: موشا، فمو: هو الماء، وشا: هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعرّب بالسين. ولما كان هذا الوعد في قولان: أحدهما: لأخذ التوراة. والثاني: للتكليم. وفي هذه المدة قولان: أحدهما: أنها ذو

(١) في «البحر المحيط» فطوس.

في الأصل: هي، وأبو خالد: كنى به البحر.

القعدة وعشر من ذي الحجة، وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة. والثاني: أنها ذو الحجة وعشر من المحرم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم، وإنما ذكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعاً لليالي. وقال أبو بكر النقاش: إنما ذكر الليالي، لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي وليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥١) ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ من بعده، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل.

### الإشارة إلى اتخاذهم العجل

روى السدي عن أشياخه أنه لما انطلق موسى، واستخلف هارون، قال هارون: يا بني إسرائيل! إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلّي القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا له حفيرة، فادفنوه، فإن أحله موسى فخذوه، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه، ففعلوا. قال السدي: وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربه، فرآه السامري، فأنكره وقال: إن لهذا شأنًا، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فقفذها في الحفيرة، فظهر العجل. وقيل: إن السامري أمرهم بإلقاء ذلك الحلي، وقال: إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحلي، فاحفروا لها حفيرة وقربوه إلى الله، يبعث لكم نبيكم، فإنه كان عارية، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان: أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس، والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألو موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم؛ أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد. وفي كيفية اتخاذ العجل قولان: أحدهما: أن السامري كان صوّاعاً، فصاغه وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس. والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواربهم تنزهاً عنها، فألقى السامري القبضة من التراب، فصار عجلاً. روي عن ابن عباس أيضاً. قال ابن عباس: صار لحماً ودماً وجسداً، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريق، فعدوه وزفوا حوله<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥٢) الكتاب: التوراة. وفي الفرقان خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني: أنه ما في التوراة من الفرق بين الحق والباطل، فيكون الفرقان نوعاً للتوراة، قاله أبو العالية. والثالث: أنه الكتاب، فكرره بغير اللفظ. قال عدي بن زيد:

فألفى قولها كذباً وميناً

وقال عترة:

أفوى وأقفر بعد أم الهيثم

هذا قول مجاهد، واختيار الفراء والزجاج. والرابع: أنه فرق البحر لهم، ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم. والخامس: أنه القرآن. ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمداً الفرقان، ذكره الفراء، وهو قول قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ أَنْتُمْ وَلِقَوْمُكُمْ أَلْعِجْلَ فَوَيْلٌ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ (٥٣) قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَأَبَ الْأَبَسُ ﴿٥٤﴾. القوم: اسم للرجال دون النساء، قال الله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُ مِنْ دُونِ قَوْمِهِ أَنَّ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْأَلُ مِنْ رِسَالَةٍ﴾ (الحجرات: ١١). وقال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

وإنما سموا قوماً، لأنهم يقومون بالأمور.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ قال أبو علي: كان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. وروى اليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو: (بارئكم) بجزم الهمزة. روى عنه



العباس بن الفضل: «بارئكم» مهموزة غير مثقلة. وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة في: «بارئكم» و: «يأمركم» وما أشبه ذلك مما تنوالت فيه الحركات، فبرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يسكن. والبارئ: الخالق. ومعنى «قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ»: ليقتل بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد. واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد، قاله مقاتل. والثالث: أنه خطاب للعابدين فحسب، أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الإشارة بقوله: «ذا» في: «ذلكم» قولان: أحدهما: أنه يعود إلى القتل. والثاني: أنه يعود إلى التوبة.

### الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباس: قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً، فقالوا: فما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح فلا يقتل، وترفع الظلمة. فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى: العفو العفو. فبكى موسى، فنزلت التوبة، وقام السلاح، وارتفعت الظلمة. قال مجاهد: بلغ القتل سبعين ألفاً. قال قتادة: جعل القتل للقتيل شهادة، وللحي توبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ يَوْمَئِذٍ لَّنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكَ مِنَ الْفَنَئِقَةِ وَأَتَتْهُ نَظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ لَمَلَكِكُمْ تَفَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾. في القائلين لموسى ذلك قولان: أحدهما: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيد، قال: وذلك، أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهنم؛ فيقول: هذا كتابي. وفي «جهنم» قولان: أحدهما: أنه صفة لقولهم، أي: جهروا بذلك القول، قاله ابن عباس وأبو عبيدة. والثاني: أنها الرؤية البينة، أي: أرناه غير مستتر عنا بشيء، يقال: فلان يتجاهر بالمعاصي، أي: لا يستتر من الناس، قاله الزجاج. ومعنى «الصاعقة»: ما يصعقون منه، أي: يموتون. ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مَوْئِىَٔ صَيْحًا﴾ وهذا قول ضعيف، لأن الله تعالى فرق بين الموضعين، فقال هناك: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ والإفاقة للمغشي عليه، والبعث للميت.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَتْهُ نَظَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ينظر بعضهم إلى بعض كيف يقع ميتاً. والثاني: ينظر بعضهم إلى إحياء بعض. والثالث: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَلَكْنَا عَلَيْكُمُ النَّعَامَ وَأَزَلَّكَ عَلَيْكُمُ النَّارَ وَالسَّالَوَاتِي كُلُّوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾. «النعام»: السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غمته، وهذا كان في التيه. وفي المن ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك. والثاني: أنه الترنجيبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه صمغه، قاله مجاهد. والرابع: أنه يشبه الرب الغليظ، قاله عكرمة. والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والسادس: أنه خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النقي، قاله وهب. والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي. وفي السلوى قولان: أحدهما: أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السمانى، وقال بعضهم: هو السمانى. والثاني: أنه العسل<sup>(١)</sup> ذكره ابن الأنباري، وأنشد:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم  
ألذ من السلوى إذا ما نشورها

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: ما نقصونا وضرونا، بل ضروا أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لَنَا مَذْيَ الْقَهْطَةِ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَذْخُلُوا الْآبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾

(١) نقل ابن عطية أن السلوى طير بإجماع المفسرين، وغلط الشاعر، وهو خالد بن زهير الهذلي حين ظن أن السلوى العسل في البيت الذي استشهد به المصنف، وقد رد عليه القرطبي، بأن دعوى الإجماع لا تصح.



وَسَيَزِيدُ الْغَافِلِينَ ﴿٦٠﴾. في القائل لهم قولان: أحدهما: أنه موسى بعد مضي أربعين سنة. والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسى. والقرية: مأخوذة من الجمع، ومنه: قربت الماء في الحوض. والمقارة: الحوض يجمع فيه الماء. وفي المراد بـ: ﴿مَكَادُ الْقَرْيَةِ﴾ قولان: أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي. وروي عن ابن عباس أنها أريحا. قال السدي: وأريحا: هي أرض بيت المقدس. والثاني: أنها قرية من أداني قرى الشام، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنُوا لِلنَّاسِ سُجُودًا﴾ قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى: باب حطة. وقوله: (سجداً) أي: ركعاً. قال وهب: أمروا بالسجود شكراً لله تعالى إذ ردهم إليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وقرأ ابن السميع وابن أبي عبيدة (حطة) بالنصب. وفي معنى حطة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: استغفروا، قاله ابن عباس ووهب. قال ابن قتيبة: وهي كلمة [أمروا أن يقولوها] في معنى الاستغفار، من: حططت، أي: حط عنا ذنوبنا. والثاني: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم، ذكره الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا إله إلا الله، قاله عكرمة. قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم. [وهو قول: «لا إله إلا الله»]. ولماذا أمروا بدخول القرية؟ فيه قولان: أحدهما: أن ذلك للذنوب ركبوها فقبل: ﴿أَتَذْكُرُوا الْقَرْيَةَ﴾، ﴿وَأَذِّنُوا لِلنَّاسِ سُجُودًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نُنَزِّلَ لَكُمْ حِطَّاتِكُمْ﴾ قاله وهب. والثاني: أنهم ملوا المن والسلوى، فقبل: ﴿أَقِيطُوا مِنكُمْ﴾ فكان أول ما لقيهم أريحا، فأمرؤا بدخولها.

قوله تعالى: ﴿نُنَزِّلَ لَكُمْ حِطَّاتِكُمْ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: (نغفر لكم) بالنون مع كسر الفاء. وقرأ نافع وأبان عن عاصم (يعفر) بياء مضمومة وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر بياء مضمومة مع فتح الفاء.

قوله تعالى: ﴿فَدَلَّ الْأَيْمَنَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. اعلم أن الله ﷻ أمرهم في دخولهم بفعل وقول، فالفعل السجود، والقول: حطة، فغير القوم الفعل والقول. فأما تغيير الفعل؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم دخلوا متزحفين على أوراكنهم. رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> والثاني: أنهم دخلوا من قبل أستاذهم، قاله ابن عباس وعكرمة. والثالث: أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنهم دخلوا على حروف عيونهم، قاله مجاهد. والخامس: أنهم دخلوا مستلقين، قاله مقاتل. وأما تغيير القول؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم قالوا مكان «حطة»: حبة في شعرة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. والثاني: أنهم قالوا: حنطة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ووهب، وابن زيد. والثالث: أنهم قالوا: حنطة حمراء فيها شعرة، قاله ابن مسعود. والرابع: أنهم قالوا: حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء، قاله السدي عن أشياخه. والخامس: أنهم قالوا: سنبلان، قاله أبو صالح. فأما الرجز؛ فهو العذاب، قاله الكسائي وأبو عبيدة والزجاج. وأنشدوا لرؤبة:

حتى وقمنا كبه بالرجز

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظلمة وموت، مات منهم في ساعة واحدة، أربعة وعشرون ألفاً، وهلك سبعون ألفاً عقوبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصابهم الطاعون، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَائِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ نَّشْرِبُهُمْ كُفُلًا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَسْخَرُوا فِي الْأَنْفُسِ فَسُودُوا﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه حجر معروف عين لموسى، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقتادة، وعطية،

(١) الثابت عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة بلفظ «فدخلوا يزحفون على أستاذهم» رواه البخاري في التفسير. أما لفظ «متزحفين على أوراكنهم» فلم يرو عن أبي هريرة، وإنما هو من قول الحسن وقتادة كما في «تفسير الطبري».

(٢) وأستد هذا القول الطبري أيضاً إلى ابن عباس وعكرمة.

وابن زيد، ومقاتل. واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه كان حجراً مربعاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان مثل رأس الثور، قاله عطية. والثالث: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيد. وقال سعيد بن جبيرة: هو الذي ذهب بشباب موسى. فجاهه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول لك: ارفع هذا الحجر، فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه. والقول الثاني: أنه أمر بضرب أي حجر كان، والأول أثبت.

قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ تقدير معناه: فضرب فانفجرت، فلما عرف بقوله: «فانفجرت» أنه قد ضرب، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب. ومثله: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] قاله الفراء. ولما كان القوم اثني عشر سبطاً، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْزُوا﴾ العثو: أشد الفساد، يقال: عثي، وعثا، وعاث. قال ابن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى ثَمُوزَ يَسْتَوِي لَنْ نَمُوتَ عَلَى طَعَامٍ رَجِيحٍ قَاتِحٍ لَنَا. رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِنْ ثَمَرِ الْأَرْضِ مِنْ بَقِيلٍ وَقَفِيلٍ وَفُؤْمًا وَغَدِيرًا وَيَسْلِيهِمَا قَالَ أَسْتَبِيلُكَ الْوَيْ هُوَ أَدَفٌ وَالْوَيْ هُوَ خَيْرٌ أَفْعَلُوا يَصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَشَرِيتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالسَّكَنَةُ وَيَا مَعْشَرَ مِنَ النَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا بِكُفْرَانِكُمْ يَتَقَلَّبُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَسْتَوُونَ﴾. هذا قولهم في التيه. وعنوا بالطعام الواحد: المن والسلوى. قال محمد بن القاسم: كان المن يؤكل بالسلوى، والسلوى بالمن، فلذلك كانا طعاماً واحداً. والبقل هاهنا: اسم جنس، وعنوا به: البقول. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: تذهب العامة إلى أن البقل: ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات للنجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ، وليس كذلك، إنما البقل: العشب، وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم، يقال: بقلت الأرض، وأبقلت، لغتان فصيحتان: إذا أنبت البقل. وابتقلت الإبل: إذا رعت. قال أبو النجم يصف الإبل:

تبقلت في أول التبقل بين رماحي مالك ونهشل

وفي «القائه» لغتان: كسر القاف وضمها، والكسر أجود، وبه قرأ الجمهور. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وقتادة، وطلحة بن مصرف، والأعمش: بضم القاف. قال الفراء: الكسر لغة أهل الحجاز، والضم لغة تميم، وبعض بني أسد. وفي «الفوم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحنطة، قاله ابن عباس، والسدي عن أشياخه، والحسن وأبو مالك، قال الفراء: هي لغة قديمة، يقول أهلها: فؤوما لنا، أي: اختبزوا لنا. والثاني: أنه الثوم، وهو قراءة عبد الله وأبي: «وئوما» واختاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، والقائه تبدل من الشاء، كما تقول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والأثاني: للحجارة التي توضع تحت القدر. والمغافير، والمغاثير: لضرب من الصمغ. وهذا قول مجاهد، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكسائي، والنضر بن شميل، وابن قتيبة. والثالث: أنه الجوب، ذكره ابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَسْتَبِيلُكَ الْوَيْ هُوَ أَدَفٌ﴾: أي: أردأ ﴿وَالْوَيْ هُوَ خَيْرٌ﴾: أي: أعلى، يريد: أن المن والسلوى أعلى ما طلبتم.

قوله تعالى: ﴿أَفْعَلُوا يَصْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وإنما أمروا بالمصر، لأن الذي طلبوه في الأمصار. والثاني: أنه أراد البلد المسمى بمصر. وفي قراءة عبد الله والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش «مصر» بغير تنوين، قال أبو صالح عن ابن عباس: أراد مصر فرعون، وهذا قول أبي العالقة والضحاك، واختاره الفراء، واحتج بقراءة عبد الله. قال: وسئل عنها الأعمش، فقال: هي مصر التي عليها صالح<sup>(١)</sup> بن علي. وقال مفضل الضبي: سميت مصرأ، لأنها آخر حدود المشرق، وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما. والمصر: الحد. وأهل هجر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها، أي: بحدودها. وقال عدي:

(١) في الأصل: سليمان، وهو خطأ. وصالح هذا: هو ابن علي بن عبد الله بن العباس، أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣هـ. وتوفي بقسنرين وهو عامل على حمص سنة ١٥٤هـ.

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به

بين النهار وبين الليل قد فصلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصد الناس إياها، كقولهم: مصرت الشاة، إذا حلبتها، فالتاس يقصدونها، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها.

قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ إِلَهُكُمْ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الذلة والذل: بمعنى واحد. وقال الحسن: هي الجزية. وفي المسكنة قولان: أحدهما: أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العالية، والسدي، وأبو عبيدة. وروي عن السدي قال: هي فقر النفس. والثاني: الخضوع، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَبَاءَهُ﴾ أي: رجعوا. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغضب. وقيل: إلى جميع ما ألزموه من الذلة والمسكنة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَنَا﴾ كان نافع يهزم «النبيين» و«الأنبياء» و«النبوة» وما جاء من ذلك، إلا في موضعين: في الأحزاب: ﴿لَا تَدْعُلُوا يَوْمَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَكَ لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وإنما ترك الهمز في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وباقي القراءة لا يهزمون جميع المواضع. قال الزجاج: الأجود ترك الهمز. واشتقاق النبي من: نبأ، وأنبأ، أي: أخبر. ويجوز أن يكون من: نبا ينبو: إذا ارتفع، فيكون بغير همز: فعلاً، من الرفعة. قال عبد الله بن مسعود: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بغير جرم، قاله ابن الأنباري. والثاني: أنه تأكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَتَمَنَّيَ الْفُتُورَ أَتَىٰ لِي الشُّكُورُ﴾. والثالث: أنه خارج مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم، فهو كقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْكَرَ بِالْحَقِّ﴾ فوصف حكمه بالحق، ولم يدل على أنه يحكم بغير الحق.

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنُوا يَوْمَئِذٍ﴾ العدوان: أشد الظلم. وقال الزجاج: الاعتداء: مجاوزة القدر في كل شيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِقِينَ مَنَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَكَانَ الْآخِرُ وَكَانَ صَلَاحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ جَدِّ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْلَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَرْجُتُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يُبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فأمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد. وهذا قول السدي عن أشياخه. والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري. والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان. والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ قال الزجاج: أصل هادوا في اللغة: تابوا. وروي عن ابن مسعود أن اليهود سموا بذلك، لقول موسى: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ﴾، والنصارى لقول عيسى: ﴿مَنْ آمَنَ بِمَا فِي كِتَابِي﴾. وقيل: سموا النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصرهم. فأما «الصابئون» فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافع لا يهزم كل المواضع. قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين، يقال: صبا فلان: إذا خرج من دينه. وصباأت النجوم: إذا طلعت [وصبا نابه: إذا خرج]. وفي الصابئين سبعة أقوال: أحدها: أنه صنف من النصارى ألين قولاً منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير. والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم. والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية. والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة. والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر مع المؤمنين طوائف من الكفار رجح قوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ إليهم. والثاني: أن المعنى من أقام على إيمانه. والثالث: أن الإيمان الأول نطق المنافقين بالإسلام، والثاني: اعتقاد القلوب.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: أقام الفرائض.

## فصل

وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟. فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك في آخرين، وقدرها فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ وَبُكَاءَ الْفَنِّ يُقْبَلْ مِنْهُ﴾، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا بِهِ لَكُمْ تُنْفُونَ ۝١٦﴾. الخطاب بهذه الآية لليهود. والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول. وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكروها الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل. قال أبو سليمان الدمشقي: أعطوا الله عهداً ليعملن بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من الثقل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم. والثاني: أنه ما أخذه الله تعالى على الرسل وتابعهم من الإيمان بمحمد ﷺ، ذكره الزجاج. والثالث: ذكره الزجاج أيضاً، فقال: يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ قال أبو عبيدة: الطور في كلام العرب: الجبل. وقال ابن قتيبة: الطور: الجبل بالسرانية. وقال ابن عباس: ما أنبت من الجبال فهو طور، وما لم ينبت فليس بطور. وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس. والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد. وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السدي: لإبائهم دخول الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. وفي المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: الجِد والاجتهاد، قاله ابن عباس وفتادة والسدي. والثاني: الطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: العمل بما فيه، قاله مجاهد. والرابع: الصدق، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَآذِكُوا مَا بِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباس. والثاني: معناه: ادرسوا ما فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ تَنْتَوْنُ﴾ قال ابن عباس: تنقون العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٧﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء المواثيق لتأخذنه بجد، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا رُفْدَةَ خَيْبِئِنَّ ۝١٨﴾ السبت: اليوم المعروف، قاله ابن الأنباري: ومعنى السبت في كلام العرب: القطع، يقال: قد سبت رأسه: إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال: نعل سبتي: إذا كانت مدبوغة بالقرظ مخلوقة الشعر، فسمي السبت سبتاً، لأن الله تعالى ابتداء الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض، أو: لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها. قال: وقال بعضهم: سمي سبتاً، لأن الله تعالى أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال، وهذا خطأ، لأنه لا يعرف في كلام العرب سبت بمعنى: استراح. وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان: أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت، قاله الحسن ومقاتل. والثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفيرة؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السدي.



قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْهَوَاتِ﴾. وإنما انتفى من الهزء، لأن الهزئ جاهل لاعب، فلما تبين لهم أن الأمر من عند الله، قالوا: ﴿أَنْعَ لَكَ رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾. قال الزجاج: وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت. فاما الفارض فهي: المسنة، يقال: فرضت البقرة فهي فارض: إذا أسنت. والبكر: الصغيرة التي لم تلد، والعوان: دون المسنة، وفوق الصغيرة. يقال: حرب عوان: إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَ لَكَ رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا كَسْرُ الظُّرِيرِ﴾. قَالُوا أَنْعَ لَكَ رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾. في الصفراء قولان: أحدهما: أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقادة، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنها السوداء، قاله الحسن البصري، ورده جماعة، فقال ابن قتيبة: هذا غلط في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾ والعرب لا تقول: أسود فاقع، وإنما تقول: أسود حالك، وأصفر فاقع. قال الزجاج: وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأحمر قاني، وأخضر ناضر، وأبيض يقن، وأسود حالك، وحلكوك ودجوجي، فهذه صفات المبالغة في الألوان. ومعنى ﴿كَسْرُ الظُّرِيرِ﴾ تعجبهم، قال ابن عباس: شدد القوم فشدد الله عليهم. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن بني إسرائيل استنوا لم يعطوا الذي أعطوا» يعني بذلك قولهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. وفي المراد باهتدائهم قولان: أحدهما: أنهم أرادوا: المهتدون إلى البقرة، وهو قول الأكثرين، والثاني: إلى القاتل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنِّ حِثَّ وَالْعَوِّيَ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧١﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ قال قتادة: لم يذلها العمل فتثير الأرض. قال ابن قتيبة: يقال في الدواب: دابة ذلول: بينة الذل بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذليل بين الذل بضم الذال. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ويقال للبقرة: المثيرة. قال الفراء: لا تقفن على ذلول، لأن المعنى: ليست بذلول فتثير الأرض، وحكى ابن القاسم أن أبا حاتم السجستاني أجاز الوقف على ذلول، ثم أنكره عليه جداً، وعلل بأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث؛ ومتى أثارت الأرض كانت ذلولاً. ومعنى: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: لا يستقي عليها الماء لسقي الزرع.

قوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مسلمة من العيوب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقادة، ومقاتل. والثاني: مسلمة من العمل، قاله الحسن وابن قتيبة. والثالث: مسلمة من الشية، قاله مجاهد وابن زيد، والرابع: مسلمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني. فأما الشية، فقال الزجاج: الوشي في اللغة: خلط لون بلون. ويقال: وشيت الثوب أشبه شية ووشياً، كقولك: وديت فلاناً أديه دية. ونصب: لا شية فيها، على النفي. ومعنى الكلام: ليس فيها لون يفارق سائر لونها. وقال عطاء الخراساني: لونها لون واحد.

قوله تعالى: ﴿الْفَنِّ حِثَّ وَالْعَوِّيَ﴾ قال ابن قتيبة: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حد الزمانين، حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله، ومعنى ﴿حِثَّ وَالْعَوِّيَ﴾ بينت لنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْقَهُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لغلاء ثمنها، قاله ابن كعب القرظي. والثاني: لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب. قال ابن عباس: مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل، فأبى أن يبيعهها إلا بملء مسكها ذهباً، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وعبيدة، وهب، وابن زيد، والكلبي، ومقاتل في مقدار الثمن. فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين: أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم. والثاني: لإكرام الله ﷻ صاحبها، فإنه كان برأ بوالديه. فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني إسرائيل برأ بأبيه، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق لبيعه إياها، فإذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه، ورد

المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه، فوجده نائماً، فعاد إلى المشتري فردّه، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتى ذهب المشتري، فأثابه الله على بره بأبيه أن نتجت له بقرة من بقره تلك البقرة. وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل أن فتي كان برأً بوالديه، وكان يحتطب على ظهره، فإذا باعه تصدق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، قالت له أمه يوماً: إني ورثت من أبيك بقرة، فتركها في البقر على اسم الله، فإذا أتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فانطقها الله، فقالت: اركبني يا فتي، فقال [الفتى: إن أمي] لم تأمرني بهذا. فقالت: أيها البر بأمه! لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله [وينطلق معك] لانقلع لبرك بأمك. فلما جاء بها قالت أمه: معها ثلاثة دنائير على رضى مني، فبعث الله ملكاً فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنائير على رضى من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: معها ستة على رضى مني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملكك، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتي يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها، فسألتم موسى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُوا﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً، فأخر المقدم وقدم المؤخر، لأنه من عادة العرب. قال الفرزدق:

طالت فليس تنالها الأوعالا

إن الفرزدق صخرة ملمومة

أراد: طالت الأوعال. وقال جرير:

فارجع لزورك بالسلام سلاما

طاف الخيال وأين منك لماما

أراد: طاف الخيال لماماً، وأين هو منك؟ وقال الآخر:

- يا قوم فاستحيوا - النساء الجلس

خير من القوم العصاة أميرهم

أراد: خير من القوم العصاة النساء، فاستحيوا من هذا. ومعنى قوله: ﴿فَادَرَأْتُمُوهَا﴾: اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد. وقال الزجاج: اذارأتم، بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقى بعضكم على بعض، تقول: درأت فلاناً: إذا دفعته، وداريته: إذا لاينته، ودريته إذا ختلته، فادغمت التاء في الدال، لأنهما من مخرج واحد، فأما الذي كتموه؛ فهو أمر القتل.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَرُيُوسَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾. من قال: أقاموا في طلبها أربعين سنة؛ قال: ضربوا قبره، ومن لم يقل ذلك، قال: ضربوا جسمه قبل دفنه. وفي الذي ضرب به ستة أقوال: أحدها: أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك العظم هو أصل الأذن، وزعم قوم أنه لا يكسر ذلك العظم من أحد فيعيش. قال الزجاج: الغضروف في الأذن، وهو: ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشحمة، وجميع أعلى صدفة الأذن، وهو معلق الشنوف، فأما العظمان اللذان خلف الأذن الناتئان من مؤخر الأذن، فيقال لهما: الخشأوان، والخششاوان، واحدهما: خُشَاءٌ، وخُشْشَاءٌ. والثاني: أنه ضرب بالفخذ، روي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن. والثالث: أنه البضعة التي بين الكتفين. رواه السدي عن أشياخه. والرابع: أنه الذنب، رواه ليث عن مجاهد. والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبيرة. والسادس: أنه اللسان، قاله الضحاك. وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا، فضرِبوه فحي، فقام فأخبر بقاتله. وفي قاتله أربعة أقوال: أحدها: بنو أخيه، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: ابنا عمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهذان القولان



يدلان على أن قاتله أكثر من واحد. والثالث: ابن أخيه، قاله السدي عن أشياخه، وعبيدة. والرابع: أخوه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ النَّفُوسَ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لقوم موسى. والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب، قال أبو عبيدة: وآياته: عجائبه.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قال إبراهيم بن السري: قست في اللغة: غلظت ويست وعست، فقسوة القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة. وقال ابن قتيبة: قست وعست وعتت واحد، أي: ييست. وفي المشار إليهم بها قولان: أحدهما: جميع بني إسرائيل. والثاني: القاتل. قال ابن عباس: قال الذين قتلوه بعد أن سعى قاتله: والله ما قتلناه. وفي كاف «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى إحياء الموتى، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل. والثاني: إلى كلام القاتل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسرون. والثالث: إلى ما شرح من الآيات من مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل وانجاس الماء، وإحياء القاتل، ذكره الزجاج. وفي «أو» أقوال: هي بعينها مذكورة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ وقد تقدمت.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قال مجاهد: كل حجر ينفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فمن خشية الله.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْجِئُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٥) في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه المؤمنون، تقديره: أنتظموا أن تصدقوا نبيكم، قاله أبو العالية وقتادة. والثالث: أنهم الأنصار، فإنهم لما أسلموا أحبا لإسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم، ذكره النقاش. قال الزجاج: وألف «أَنْتُمْ لَكُمْ» ألف استخبار، كأنه آيسهم من الطمع في إيمانهم. وفي سماعهم لكلام الله قولان: أحدهما: أنهم قرؤوا التوراة فحرفوها، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم، وتحريفهم: تغيير ما فيها. والثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، فسمعوا كلام الله كفاحا عند الجبل، فلما جاؤوا إلى قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه؛ فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مقاتل، والأول أصح. وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي<sup>(١)</sup> صاحب «النوادر» هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة؟! وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً. ومعنى «عَقَلُوا»: سمعوه ووعوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنهم حرفوه. والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَا بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أولاً يعلمون أن الله يكلم ما يشيرون وما يؤمنون<sup>(٧٦)</sup> هذه الآية نزلت في نفر من اليهود، كانوا إذا لقوا النبي والمؤمنين قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد، ومقاتل. وفي معنى «بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قولان: أحدهما: بما قضى الله عليكم، والفتح: القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (٧٧) الاعراف: [٨٩] قال السدي عن أشياخه: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم. [من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم] والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم: ما أنزله من التوراة في صفة

(١) هو محمد بن علي، أبو عبد الله، عالم بالحديث وأصول الدين، توفي نحو ٣٢٠هـ، وقد تكلم عليه بعض أهل العلم، انظر «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر (٢٠٨/٥).



محمد ﷺ وقال مقاتل: كان المسلم يلقي حليفه، أو أخاه من الرضاعة من اليهود، فيسأله: أتجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحق. فسمع كعب بن الأشرف وغيره، فقال لليهود في السر: أتحدثون أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، أي: بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ريكم باعتراكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم؟!

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: في حكم ريكم، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النور: ١٣] والثاني: أنه أراد يوم القيامة.

﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَمْلِكُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٌ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَتْلُونَهُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ يعني: اليهود. والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مجاهد. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه على خلقه الأمة التي لم تتعلم الكتاب، فهو على جبلته، قاله الزجاج. والثاني: أنه ينسب إلى أمه، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء. وقيل: لأنه على ما ولدته أمه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الْكِتَابَ﴾ قال قتادة: لا يدرون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانٌ﴾ جمهور القراء على تشديد الياء، وقرأ الحسن، وأبو جعفر، بتخفيف الياء، وكذلك: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] و﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ﴿فِي أُمِّيَّتِهِمْ﴾ [الحج: ٥٢] و﴿وَعَزَّكَمُ الْأَمَانِي﴾ [الحديد: ١٤] كله بتخفيف الياء وكسر الهاء من «أمانيههم». ولا خلاف في فتح ياء «الأماني». وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأكاذيب. قال ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَانٌ﴾: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وهذا قول مجاهد واختيار القراء. وذكر الفراء أن بعض العرب قال لابن داب<sup>(١)</sup> وهو يحدث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمنيته؟ يريد: افتعلته؟. والثاني: أن الأماني: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونوه يتلى عليهم. قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة      تمنى داود الزبور على رسل

وهذا قول الكسائي والزجاج. والثالث: أنها أمانيههم على الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَتْلُونَهُ﴾ قال مقاتل: ليسوا على يقين، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا، تابعوهم.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَعُوا بِهِ ذُنُوبًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ وَمَا يَكْتُمُونَ﴾ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [الذين] بدلوا التوراة وغيروا صفة النبي ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقاتادة وابن زيد وسفيان. فأما الويل: فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل» واد في جهنم، يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره<sup>(٢)</sup> وقال الزجاج: الويل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، ويستعملها هو أيضاً<sup>(٣)</sup>. وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك. قال ابن الأنباري: ويقال: معنى الويل: المشقة من العذاب. ويقال: أصله: وي لفلان، أي: حزن لفلان، فكثر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وي» وجعلت حرفاً واحداً، ثم خبر عن «ويل» بلام أخرى، وهذا اختيار الفراء. والكتاب هاهنا: التوراة. وذكر الأيدي توكيد، والشمس القليل: ما يفتنى من الدنيا. وفيما يكسبون قولان: أحدهما: أنه عوض ما كتبوا. والثاني: إثم ما فعلوا.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْبَاءًا مَقْدُونَةً قُلْ أَعَذَّتْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ سَوَّلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْبَاءًا مَقْدُونَةً﴾ وهم: اليهود. وفيما عنوا بهذه الأيام قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أربعين يوماً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، وقاتادة، والسدي. ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة

(١) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن داب المدني كان يضع الشعر، وأحاديث السر، وكلاماً ينسب إلى العرب، فسقط وزعيت روايته.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، من طريق دراج عن أبي الهيثم، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(٣) أي: الذي يقع في الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْهَانَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

أقوال: أحدها: أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، وهذا قول الحسن وأبي العالية. والثالث: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يعذبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباس: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَاهُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مِنْكُمْ بَيْعَةً أَنْ لَا يَمَسَّ مِنْكُم مَّشْرُوقٌ وَلَا فَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ الْخُسُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السَّاعَةُ إِلَّا أَخَذْنَا مِنْكُمْ بَعْضَ مَا أَتَيْتُمُوهَا بِهِيَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنَّا نَبْتَلِكُمْ فِيهِ فَمَنِ الْكَافِرُ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ الْخُسُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٧] بلى: بمنزلة «نعم» إلا أن «بلى» جواب النفي، و«نعم» جواب الإيجاب، قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه: مالك علي شيء، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه. ولو قال: بلى؛ كان رداً لقوله. قال ابن الأنباري: وإنما صارت «بلى» تتصل بالجحد، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة «بل» و«بل» سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: ما قام أخوك، بل أبوك. وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: بلى؛ أراد: بل أقوم، فزاد الألف على «بل» ليحسن السكوت عليها، لأنه لو قال: بل؛ كان يتوقع كلاماً بعد بل، فزاد الألف ليزول هذا التوهم عن المخاطب. ومعنى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ الْخُسُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٧] رد لقولهم: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ السَّاعَةُ إِلَّا أَخَذْنَا مِنْكُمْ بَعْضَ مَا أَتَيْتُمُوهَا بِهِيَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنَّا نَبْتَلِكُمْ فِيهِ فَمَنِ الْكَافِرُ﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلْوَاعَ الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ١٧٩] أو يكون معنى أحاطت به: أهلكته، كقوله: ﴿لَا أَنْ يَحْمِلَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلْوَاعَ الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ١٧٩] هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلْوَاعَ الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ١٧٩] فقرأ عاصم ونافع وأبو عمرو، وابن عامر: بالتاء على الخطاب لهم. وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: بالياء على الإخبار عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلْوَاعَ الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ١٧٩] ووصيتناهم بأبائهم وأمهاتهم خيراً. قال الفراء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وأمرك به خيراً والمعنى: أملك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخير بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكرونا  
ومن أبي دهماء إذ يوصينا  
خيراً بها كأننا جافونا

وأما الإحسان إلى الوالدين؛ فهو برهما. قال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار. وقالت عائشة: ما بر والده من شد النظر إليه. وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحياه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيِّ إِسْرَءِيلَ أَلْوَاعَ الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ١٧٩] ووصيتناهم بذئ القربى أن يصلوا أرحامهم. وأما اليتامى؛ فجمع: يتيم. قال الأصمعي: اليتيم في الناس، من قبل الأب، وفي غير الناس: من قبل الأم. قال ابن الأنباري: قال ثعلب: اليتيم معناه في كلام العرب: الانفراد. فمعنى صبي يتيم: مفرد عن أبيه. وأنشدنا:

أفاطم إنني هالك فتبئيني<sup>(١)</sup>  
ولا تجزعي كل النساء يتيم

(١) في «اللسان»: فتبني، وكلا الروايتين معناها واحد.

قال: يروى: يتيم ويقيم. فمن روى يتيم بالتاء؛ أراد: كل النساء ضعيف منفرد. ومن روى بالياء أراد: كل النساء يموت عنهن أزواجهن. وقال: أنشدنا ابن الأعرابي:

ثلاثة أحباب: فحب علاقة وحب تملأق وحب هو القتل

قال: فقلنا له: زدنا، فقال: البيت يتيم: أي: منفرد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا بلغ الصبي، زال عنه اسمه اليتيم. يقال منه: يتيم يتما ويتما. وجمع اليتيم: يتامى، وأيتام. وكل منفرد عند العرب يتيم ویتیم. قال: وقيل: أصل اليتيم: الغفلة، وبه سمي اليتيم، لأنه يتغافل عن بره. والمرأة تدعى: يتيمة ما لم تزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم، وقيل: لا يزول عنها اسم اليتيم أبداً. وقال أبو عمرو: اليتيم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطئ عنه. «والمساكين»: جمع مسكين، وهو اسم مأخوذ من السكون، كأن المسكين قد أسكنه الفقر.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: (حُسناً) بضم الحاء والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي: (حَسَنًا) بفتح الحاء والتثنية. قال أبو علي: من قرأ «حُسناً» فجائز أن يكون الحسن لغة في الحسن، كالبخل، والبخل، والرشد والرشد. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهم قالوا: العرب والعرب ويجوز أن يكون الحسن مصدراً كالكفر والشكر والشغل، وحذف المضاف معه، كأنه قال: قولوا قولاً ذا حسن. ومن قرأ (حَسَنًا) جعله صفة، والتقدير عنده: قولوا للناس قولاً حسناً، فحذف الموصوف. واختلفوا في المخاطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، وابن جريج. ومعناه: اصدقوا وبنوا صفة النبي. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ. قال أبو العالية: قولوا للناس معروفاً. وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم. وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام. فعلى هذا؛ تكون منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم إلا قليلاً منكم. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أولوهم الذين لم يبدلوا. والثاني: أنهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ في زمانه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالَّذِينَ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى فَتَنْدَبُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزَاءُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسْوَ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضاً من داره. قال ابن عباس: ثم أقررتهم يومئذ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك، فالإقرار على هذا متوجه إلى سلفهم، والشهادة متوجهة إلى خلفهم. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً. روى السدي عن أشياخه قال: كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقاتلون في حرب سمير<sup>(١)</sup> فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفاءها، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم ويخربون الديار ويخرجون منها، فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، فتقول: كيف تقاتلونهم وتغدوهم؟! فيقولون: أمرنا أن نغديهم، وجرم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيبرهم الله ﷻ فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكان إيمانهم ببعضه: فداءهم الأسارى، وكفرهم: قتل بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿تَطَاهَرُونَ﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تظاهرون) وفي (التحريم) (تظاهرا) بتخفيف الظاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظاهرون) بتشديد

(١) سمير: حرب كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسمير: رجل من بني عمرو بن عوف، وغير هذه الحرب تجدها في كتاب «الأغاني».

الظاء؛ أَدغم التاء في الظاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة؛ حذف التاء التي أَدغمها أولئك من اللفظ، فخفف بالحذف. والتاء التي أَدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسن وأبي جعفر (تظَّهرون) بتشديد الظاء من غير ألف، فالتظاهر: التعاون. قال ابن قتيبة: وأصله من الظهر، فكان التظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين [أو من القوم] الآخر ظهراً له يتقوى به، ويستند إليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا فِيهِمْ﴾ أصل الأسر: الشد. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى)، وقرأ الأعمش وحزمة (أسرى) قال الفراء: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أسارى» وأهل نجد أكثر كلامهم «أسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصرعى. وروي الأصمعي عن أبي عمرو قال: الأسارى: ما شدوا، والأسرى: في أيديهم، إلا أنهم لم يشدوا. وقال الزجاج: «فَعَلَى» جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى. فمن قرأ: (أسارى)؛ فهي جمع الجمع. تقول: أسير وأسرى وأسارى جمع أسرى.

قوله تعالى: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (تتذوهم) وقرأ نافع وعاصم والكسائي: (تتذوهم) بالف. والمفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه. «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» وهو: فكاك الأسرى. «وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» وهو: الإخراج والقتل. وقال مجاهد: تفديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟! وفي المراد بالخزي قولان: أحدهما: أنه الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: قتل قريظة ونفي النضير، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود. وقال مقاتل: باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بَيْنَهُمْ وَفَرِقْنَا تَقْتُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يريد التوراة. وقفينا: أنبئنا. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من القفا. يقال: قفوت الرجل: إذا سرت في أثره. والبينات: الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. وأيدناه: قويناه. والأيد: القوة. وفي روح القدس ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل. والقدس: الطهارة، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. وكان ابن كثير يقرأ: (بروح القدس) ساكنة الدال. قال أبو علي: التخفيف والتثقل فيه حسنان، نحو: العنق والعنق، والطنب والطنب. وفي تأييده به ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج: أحدها: أنه أيد به لإظهار حاجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذا أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله. والقول الثاني: أنه الاسم الذي كان يحيي به الموتى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَمَّ يَسْمَعْ اللَّهُ بَكْفُرَهُمْ فَقِيلَا مَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قرأ الجمهور بإسكان اللام، وقرأ قوم، منهم الحسن وابن محيصن بضمها. قال الزجاج: من قرأ: (غلف) بتسكين اللام، فمعناه: ذوات غلف، فكانهم قالوا: قلوبنا في أوعية. ومن قرأ (غُلْف) بضم اللام، فهو جمع (غلاف) فكانهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم؟! فعلى الأول؛ يقصدون إعراضه عنهم، كأنهم يقولون: ما نفهم شيئاً. وعلى الثاني يقولون: لو كان قولك حقاً لقبلت قلوبنا.

قوله تعالى: ﴿فَقِيلَا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فقليل من يؤمن منهم، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: أن المعنى: قليل ما يؤمنون به. قال معمر: يؤمنون بقليل مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره. والثالث: أن المعنى: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. ذكره ابن الأنباري، وقال: هذا على لغة قوم من العرب، يقولون: قلما رأيت مثل هذا الرجل، وهم يريدون: ما رأيت مثله. والرابع: فيؤمنون قليلاً من الزمان: كقوله تعالى: ﴿مَائِئَاتٍ بِأَلْفَيْ أَثَرٍ عَلَى الَّذِينَ مَائِئَاتٌ وَمِنَ الْآلِهَاتِ﴾ [آل عمران: ٧٢] ذكره ابن الأنباري أيضاً. والخامس: أن المعنى: فليأمنهم قليل، ذكره ابن جرير الطبري. وحكى في «ما» قولين: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أن «ما» تجمع جميع الأشياء، ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ كَيْفَةُ الْحَكِيمِ ﴿٨٩﴾ بَلْ سَكَتَ أَشْرَرُوا بِوَعْدِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَوْضَلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَكَوْهُ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن. و«يستفتحون»: يستنصرون. وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبي الله محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ سَكَتَ أَشْرَرُوا بِوَعْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ بش: كلمة مستوفية لجميع الذم، ونقيضها: «نعم» واشتروا، بمعنى: باعوا. والذي باعوها به قليل من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿بَعِيًّا﴾ قال قتادة: حسداً. ومعنى الكلام: كفروا بغياً، لأن نزل الله الفضل على النبي ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿بَغَضٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل. والثاني: لكفرهم بمحمد، حكاة السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أن الأول لتكذيبهم رسول الله. والثاني: لعداوتهم لجبريل. رواه شهر عن ابن عباس. والثالث: أن الأول حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] والثاني: حين كذبوا نبي الله. رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والرابع: أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل. والثاني: لتكذيبهم بمحمد والقرآن. قاله الحسن، والشعبي، وعكرمة، وأبو العالية، وقاتدة، ومقاتل. والخامس: أن الأول لتبديلهم التوراة. والثاني: لتكذيبهم محمداً ﷺ قاله مجاهد. والمهين: المذل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن؛ ﴿قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون: التوراة. وفي قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه أراد بما سواه. ومثله: ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٤] قاله الفراء ومقاتل. والثاني: بما بعد الذي أنزل عليهم. قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعود على ما وراءه. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ فإن الأنبياء، وتقتلون بمعنى: قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الروم لا يذهب إلى غيره. وأنشدوا في ذلك:

شهِدَ الْحَطِيبَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ      أَنْ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ  
أراد: يشهد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَيْنْدِهِ وَأَنْتُمْ غَالِيُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكَنُ يَأْتِرُكُمْ بِهِمْ لِمَنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباس. والثاني: الآيات التسع، قاله مقاتل. وفي هاء «بعده» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى موسى، فمعناه: من بعد انطلاقه إلى الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنها تعود إلى المجيء، لأن «جاءكم» يدل على المجيء. وفي ذكر عبادتهم العجل تكذيب لقولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب، قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَقْلُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] [أي وقت الحج] وقوله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩] [أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج]. وقوله: ﴿وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] [أي: أهلها] وقوله: ﴿وَإِذَا

لَأَذِقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ [الإسراء: ٧٥]. أي، ضعف عذاب الحياة. وقوله: ﴿لَهُدَّتْ صَرِيعٌ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ﴾ [الحج: ٤٠]. أي: بيوت صلوات. وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ الْبَلِّ وَالْكَهَارِ﴾ [سبا: ٣٠]. أي: مكرهم فيهما. وقوله: ﴿فَلْيَعِزَّ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] أي: أهله. ومن هذا قول الشاعر:

أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ      وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبَ الْمَجْلِسِ  
أَي: أهل المجلس. وقال الآخر:

وَشَرَّ الْمَنَایَا مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ

أي: شر المنايا ميت بين أهله.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَكْسًا بِأَمْرِكُمْ بِهِ لِيَمْنَكُمُ﴾ أي: أن تكذبوا المرسلين، وتقتلوا النبيين بغير حق، وتكتموا الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ في «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: الجحد، فالمعنى: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتم العجل. والثاني: أن تكون «إن» شرطاً معلقاً بما قبله، فالمعنى: إن كنتم مؤمنين؛ فبئس الإيمان إيمان يأمركم بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٤ ﴿وَلَنْ يَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٩٥ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ عَلَى حَتِّهِمْ وَكَانَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْسُطَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُخْرِجِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَمُرَّ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية. ومن الدليل على علمهم بأن النبي ﷺ صادق، أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَنَّوْهُ﴾ فما تمناه أحد منهم. والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ اللام: لام القسم، والنون توكيد له، والمعنى: ولنجدن اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا. وفي «الذين أشركوا» قولان: أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس، وابن قتيبة والزجاج. والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ في الهاء والميم من «أحدهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على الذين أشركوا، قاله الفراء. والثاني: ترجع إلى اليهود، قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما ذكر «ألف سنة» لأنها نهاية ما كانت المجوس تدعو بها لملوكها، كان الملك يحيا بأن يقال له: عش ألف نيروز، وألف مهرجان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيه قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. والثاني: أن يكون هو كناية عما جرى من التعمير، فيكون المعنى: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل «أن يعمّر» مبيّناً عنه، كأنه قال: ذلك الشيء الذي ليس بمزحزحه من العذاب.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧ ﴿كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ وَلِجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بِبَشَائِرٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ٩٩

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل: فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه الآية والتي تليها. وفي جبريل إحدى عشرة لغة: إحداها: جبريل، بكسر الجيم والراء من غير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ ابن عامر، وأبو عمرو. قال ورقة بن نوفل:

من الله وحي يشرح الصدر منزل

وجبريل يأتيه وميكال مغهما

وقال عمران بن حطان:

والروح جبريل فيهم لا كفاء له  
وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا

واللغة الثانية: جبريل بفتح الجيم وكسر الراء، وبعدها ياء ساكنة من غير همز على وزن: فَعْلِيل، وبها قرأ الحسن البصري، وابن كثير، وابن محيضر. وقال الفراء: لا أشتهيها، لأنه ليس في الكلام فَعْلِيل، ولا أرى الحسن قرأها إلا وهو صواب، لأنه اسم أعجمي. والثالثة: جبرئيل: بفتح الجيم والراء، وبعدها همزة مكسورة على وزن: جَبْرِيل، وبها قرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي. قال الفراء: وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل نجد. وقال الزجاج: هي أجود اللغات، وقال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد  
وجبرئيل وكذبوا ميكالا

والرابعة: جبرئيل، بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام، مكسورة من غير مد، على وزن جَبْرِيل، رواها أبو بكر عن عاصم. والخامسة: جبرئيل، بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام، وهي قراءة أبان عن عاصم ويحيى بن يعمر. والسادسة: جبرائيل، بهمزة مكسورة بعدها ياء مع الألف. والسابعة: جبرائيل، بيائين بعد الألف أولهما مكسورة. والثامنة: جبرين، بفتح الجيم ونون مكان اللام. والتاسعة: جبرين، بكسر الجيم ونون، قال الفراء: هي لغة بني أسد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن الأنباري قال: في جبريل تسع لغات، فذكرهن. وذكر ابن الأنباري في كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان»: جبرائيل، بفتح الجيم وإثبات الألف مع همزة مكسورة ليس بعدها ياء. وجبرئين، بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء ونون. فأما ميكائيل، ففيه خمس لغات: إحداهن: ميكال، مثل: يفعال بغير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم. والثانية: ميكائيل بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة، مثل: ميكاعيل، وهي لغة تميم وقيس، وكثير من أهل نجد، وبها قرأ ابن عامر، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم. والثالثة: ميكائل بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء، مثل ميكاعيل، وبها قرأ نافع وابن شبيب وابن الصباح، جميعاً عن قنبل. والرابعة: ميكثل، على وزن ميكعل، وبها قرأ ابن محيضر. والخامسة: ميكائين بهمزة معها ياء ونون بعد الألف، ذكرها ابن الأنباري. قال الكسائي: جبريل وميكائيل، اسمان لم تكن العرب تعرفهما، فلما جاءا عربتهما. قال ابن عباس: جبريل وميكائيل، كقولك: عبد الله، وعبد الرحمن، ذهب إلى أن «إيل» اسم الله، واسم الملك «جبر» «وميكال». وقال عكرمة: معنى جبريل: عبد الله، ومعنى ميكائيل: عبيد الله. وقد دخل جبريل وميكائيل في الملائكة، لكنه أعاد ذكرهما لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا نَزَّلْنَاهُ بِقَوْلِهِ طَهُورًا﴾ [الرحمن: ٦٨]. وإنما قال: ﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: لهم، ليدل على أنهم كافرون بهذه العداوة.

﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٠١] وَلَكَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ مِنْ رَبِّهِمْ قَدْ جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَبُوا لَكَ وَلَكِنْ أَمْرٌ إِلَّا يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ أَوْ يُصَرِّحُوا أَتَمَّ يَوْمًا تَعْلَمُونَ﴾ [١٠٢]

قوله تعالى: ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ الواو واو العطف، أدخلت عليها ألف الاستفهام. قال ابن عباس ومجاهد: والمشار إليهم اليهود. وقيل: العهد الذي عاهدوه، أنهم قالوا: والله لئن خرج محمد لنؤمنن به. وروي عن عطاء أنها العهد التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم، ففرضوها، كفعل قريظة والنضير. ومعنى نبذه: رفضه.

قوله تعالى: ﴿بَشَرٌ مِنْ رَبِّهِمْ قَدْ جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني اليهود. والكتاب: التوراة. وفي قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ قولان: أحدهما: القرآن. والثاني: أنه التوراة، لأن الكافرين بمحمد ﷺ قد نبذوا التوراة.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْفِتْرَةَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمَا هَارُونَ إِلَّا نَحْنُ فَقَدْ نَزَّلْنَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [١٠٣] وَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ يُعَزِّدُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ قَدْ جَاءَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَبُوا لَكَ وَلَكِنْ أَمْرٌ إِلَّا يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ أَوْ يُصَرِّحُوا أَتَمَّ يَوْمًا تَعْلَمُونَ﴾ [١٠٤]



قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق. وتتلوه، بمعنى: تلت، و«على» بمعنى: «في» قاله المبرد. قال الزجاج: وقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِي سُلَيْمَانَ﴾ أي: على عهد ملك سليمان. وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال: أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه؛ كتبت الشياطين السحر، ودفتته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسیه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذباً، وأضافوه إلى سليمان، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس. والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة. والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذة سليمان، دفنته تحت كرسیه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة. والخامس: أن سليمان أخذ عهد الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخلّي عنه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو مجلز. والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمتهم الكهنة كذبوا لهم [وآدخلوا فيه غيره]، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسیه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق [وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه]، فلما مات سليمان؛ جاء شيطان إلى نفر من بني إسرائيل، فدلهم على تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا، ففشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، هذا قول السدي. وسليمان: اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، وقد جعله النابتة سليماً ضرورة، فقال:

ونسج سليم كل قضاة ذائل

واضطر الحطينة فجعله: سلاًماً، فقال:

فيه الرماح وفيه كل سابغة

جداً محكمة من نسج سلاًم

وأرادا جميعاً: داود أبا سليمان، فلم يستقم لهما الشعر، فجعلاه: سليمان وغيره. كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي. وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ دليل على كفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر، لا إلى الكفر. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم بتشديد نون (ولكن) ونصب نون (الشياطين). وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بتخفيف النون من (لكن) ورفع نون (الشياطين).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ وقرأ ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبیر، والزهري (الملكين) بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصح. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها معطوفة على «ما» الأولى، فتقديره: واتبعوا ما تتلو الشياطين وما أنزل على الملكين. والثاني: أنها معطوفة على السحر، فتقديره: يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين. فإن قيل: إذا كان السحر نزل على الملكين، فلماذا كره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما، ابن السري، أحدهما: أنهما كانا يعلمان الناس: ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأن سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام. والثاني: أنه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين، فمن قبل التعلم كان كافراً، ومن لم يقبله فهو مؤمن، كما امتحن بنهر طالوت<sup>(١)</sup>. وفي الذي أنزل على الملكين قولان:

(١) وقال القرطبي في «تفسيره»: «ما» نفي، والوار للمطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر،

فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل =



أحدهما: أنه السحر، روي عن ابن مسعود والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه التفارقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مجاهد وقتادة. وعن ابن عباس كالتولين. قال الزجاج: وهذا من باب السحر أيضاً.

### الإشارة إلى قصة الملكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلى الأرض لسبب، وهو أنه لما كثرت خطايا بني آدم؛ دعت عليهم الملائكة، فقال الله تعالى: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثل ما فعلوا، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا، اعتصموا، فأوحى الله إليهم [أن] اختاروا من أفضلكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت. وهذا مروي عن ابن مسعود، وابن عباس. واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زنيا، وقتلا، وشربا الخمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنها جازا في الحكم، قاله عبيد الله بن عتبة. والثالث: أنها همتا بالمعصية فقط. ونقل عن علي عليه السلام أن الزهرة كانت امرأة جميلة، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراودها كل واحد منهما على نفسها، ولم يعلم صاحبه، وكانا يصعدان السماء آخر النهار، فقالت لهما: بم تهبطان وتصعدان؟ قالتا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمواتيتكما إلى ما تريدان حتى تعلمانيه، فعلماهما إياه، فطارت إلى السماء، فمسحها الله كوكبا<sup>(١)</sup>. وفي الحديث أن النبي ﷺ: «لعن الزهرة»، وقال: إنها فتنت ملكين<sup>(٢)</sup> إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة<sup>(٣)</sup> وتأول بعضهم، هذا فقال: إنه لما رأى الكوكب، ذكر تلك المرأة، لا أن المرأة مسخت نجما. واختلف

هاروت وماروت. فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ أَلَتِيْلِكُ كَثَرًا مِّمَّنْ أَفْلَحَ النَّاسُ﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى ما سواه. وقال القاضي رحمه الله: اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوها كثيرة، وأقوالا عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين نقلة الفث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث وتمحل لما اعترضه، بما المعنى الصحيح في غنى عنه. ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير، ورد آخرها على أولها، بما جعلها أشبه بالألغاز والمعميات، التي ينتزه عنها بيان أبغ كلام. إلى غير ذلك مما يراه المتتبع لما كتب فيها. والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلمان الناس السحر. وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمان للناس هو يوحى من الله. وبلغ مكر هذين الرجلين، ومحافظةهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر. أي: إنما نحن أولو فتنة، نلوك ونختبرك، أنشكر أم تكفر، ونصح لك أن لا تكفر، يقولان ذلك ليوهم الناس أن علومهما إلهية، وصناعتها روحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير. «وما» هنا نافية على أصح الأقوال، ولفظ «الملكين» هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت.

- (١) قال ابن كثير: غريب جداً.
- (٢) رواه أبو بكر بن مردويه، وابن راهويه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت». وقال ابن كثير في «تفسيره»: لا يصح، وهو منكر جداً.
- (٣) تنبيه: ما ورد من أن ابن عمر سمع النبي ﷺ يقول: «إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب، أئجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون. قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة، حتى يهبط بهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاهما نفسها. فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله أبداً، فذهبت بهما، ثم رجعت بصبي تحمل، فسألاهما نفسها. فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: والله لا تقتله أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمل، فسألاهما نفسها. فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا، فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أتاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبتماه علي إلا قد فعلتما حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. فقد رواه أحمد في «المسنَد» وابن حبان، وهو حديث ضعيف جداً، ولم يصح أن رسول الله ﷺ حدث بهذا، ولعله من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار عن بني إسرائيل. وقد ذكر ابن كثير في التفسير أن الحكاية خرافة إسرائيلية. وقال في «التاريخ»: وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها عن نفسها فأبت... فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. وكل هذا يرجع ما رجحه ابن كثير من أن الحديث من قصص كعب الأحبار الإسرائيلية، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ وأن من رفعه فقد أخطأ ووهم. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراه الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. وقال القاضي عياض: وإن ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس عليهما السلام في خبرهما وابتلائهما، فاعلم - أكرمك الله - أن هذه الأخبار لم يرو منها مقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود واقتراهم، كما نصه الله تعالى أول الآيات.

العلماء في كيفية عذابهما؛ فروي عن ابن مسعود أنهما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقال مجاهد: إن جباً ملئ نارا فجعلا فيه. فأما بابل؛ فروي عن الخليل أن السن الناس تبلت بها. واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكوفة وسوادها، قاله ابن مسعود. والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، قاله قتادة. والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْ فِيْشَدً﴾ أي: اختبار وابتلاء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يريد: بقضائه. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: إشارة إلى اليهود ﴿لَمَنِ اشْرَيْتَهُ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخلاق؛ فقال الزجاج: هو النصب الوافر من الخير.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها به ﴿تَوَكَّلُوا بِمَكُوتٍ﴾ العقاب فيه.

### فصل

اختلف الفقهاء في حكم الساحر؛ فمذهب إمامنا أحمد رحمه الله يكفر بسحره، قتل به، أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قتل بسحره وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك، قتل قوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يخطئ، لم يقتل، وفيه الدية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يقتل عند أحمد إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل، فأما المرأة الساحرة، فقال: تحبس، ولا تقتل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَمَرُوا لَمَثُوبَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ بِمَا كُنْتُمْ ءَامِنُونَ لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَتَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ يعني: اليهود، والمثوبة: الثواب. ﴿تَوَكَّلُوا بِمَكُوتٍ﴾ قال الزجاج: أي: يعلمون بعلمهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ ءَامِنُونَ لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا﴾ قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن محيصن بالتنوين، و«راعنا» بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة، قال ابن قتيبة: راعناً بالتنوين: هو اسم مأخوذ من [الرعن] [الرعونة] أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حمقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصت صاحبه، قال: أرعني سمعك، فكان المنافقون يقولون: راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: (انظرونا) بمعنى: انتظرونا، وقال مجاهد: انتظرونا: اسمع منا، وقال ابن زيد: لا تعجل علينا.

﴿مَّا يَوْمَ الْاٰزِيْمِ كَفَرُوا مِنْ اٰهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ خَبَرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوْمَ الْاٰزِيْمِ كَفَرُوا مِنْ اٰهْلِ الْكِتٰبِ﴾، قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، فالمشركون مشركو أهل مكة. ﴿اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على رسولكم. ﴿مِّنْ خَبَرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ أراد: النبوة والإسلام. وقال أبو سليمان الدمشقي: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة. ﴿وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَّشَآءُ﴾ في هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد والزجاج. والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

﴿مَّا نُنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ يَشَآءُ لَّكُم مَّا تَقْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُوْبِ اللَّهِ يَنْزِلُ وَلَا تَهْتَبِرُ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا نُنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلية: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته، وحلت محله، وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال: أحدها: رفع اللفظ

والحكم. والثاني: تبديل الآية بغيرها، روي عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني: قول مقاتل. والثالث: رفع اليحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية. وقرأ ابن عامر: (ما تُنسخ) بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمدت فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تُنْسَخَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (تنسأها) بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤخرها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسأها: إذا أخرتها، ومنه: النسيئة في البيع. وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال: أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفراء. والثاني: نؤخر إنزالها، فلا ننزلها البتة. والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو علي الفارسي. وقرأ سعد بن أبي وقاص: (تنسأها) بقاء مفتوحة ونون. وقرأ سعيد بن المسيب والضحاك: (تُنْسَخُ) بضم التاء. وقرأ نافع: (أو تنسأها) بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. أراد: أو تُنْسِكُهَا، من النسيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَخْتَرُ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس: بالين منها، وأيسر على الناس. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْسَخَ﴾ أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختيار. ﴿أَلَمْ تَقْلَمْ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التوقيف والتقرير. والملك في اللغة: تمام القدرة واستحكامها، والله ﷻ يحكم بما يشاء على عباده، ويغير ما يشاء من أحكام.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْ ثَمُودُ مِنْ قَبْلُ وَكَانَ يَتَّبِعُ آلَ الْكَافِرِ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَلَ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن رافع بن حريملة، ووهب بن زيد، قالوا لرسول الله: اثنا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا، وفجر لنا أنهاراً حتى نتبعك، فنزلت الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: «هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل [إن كفرتم] فأبوا» قاله مجاهد. والثالث: أن رجلاً قال: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة، وجدها مكتوبة على بابهِ وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل». فقال: «وَمَنْ يَمْلِكُ سَوَاءَ أَوْ يَنْظِمُ نَسْمُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيماً» [النساء: ١١٠]. وقال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن» فنزلت هذه الآية. قاله أبو العالية. والرابع: أن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ في رهط من قريش، فقال: يا محمداً! والله لا أؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السائب. والخامس: أن جماعة من المشركين جاؤوا إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. وقال آخر: لن أؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله ابن أبي أمية: لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله رب العالمين إلى ابن أبي أمية: اعلم أنني قد أرسلت محمداً إلى الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعاً، كما جاء موسى بالنوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمد بن القاسم الأنباري. وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قريش، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: اليهود، قاله مقاتل. والثالث: جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: بل، تقول العرب: هل لك عليّ حق، أم أنت معروف بالظلم. يريدون: بل أنت. وأنشدوا:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى  
وصورتها أم أنت في العين أملح

ذكره الفراء والزجاج. والثاني: بمعنى الاستفهام. فإن اعترض معترض، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت

(١) نص كلام أبي علي في القرطبي: قال أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدت الرجل وأبختك بمعنى: وجدته محموداً وبخلاً. قال أبو علي: وليس نجده منسوخاً إلا بأن ننسخه، فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

مردودة على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدمها؟ فعتة جوابان: أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَلَمْ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ذكره الفراء. وكذلك قال ابن الأنباري: هي مردودة على الألف في: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ فإن اعترض على هذا الجواب، فقيل: كيف يصح العطف ولفظ: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ ينبت عن الواحد، (وتريدون) عن جماعة؟ فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع، لأن ما خوطب به النبي ﷺ فقد خوطبت به أمته، فاكتمى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمِذْرَبٍ﴾ [الطلاق: ١]. ذكر هذا الجواب ابن الأنباري. فأما الجواب الثاني عن (أم)؛ فهو أنها للاستفهام، وليست مردودة على شيء. قال الفراء: إذا توسط الاستفهام الكلام؛ ابتدىء بالألف ويأم، وإذا لم يسبقه كلام؛ لم يكن إلا بالألف أو «هل». وقال ابن الأنباري: «أم» جارية مجرى «هل»، غير أن الفرق بينهما: أن «هل» استفهام مبتدأ، لا يتوسط ولا يتأخر، و«أم»: استفهام متوسط، لا يكون إلا بعد كلام. فأما الرسول هاهنا؛ فهو: محمد ﷺ، والذي سئل موسى من قبل قولهم: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٣]. وهل سألوا ذلك نبياً أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم سألوا ذلك، فقالوا: ﴿كَانَ يُؤْمِنُ لَكَ حَقٌّ... تَأْتِي بِاللهِ وَالْمَلَكِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢]. قاله ابن عباس. والثاني: أنهم بالنوا في المسائل، فقيل لهم بهذه الآية: لعلمكم تريدون أن تسألوا محمداً أن يريكم الله جهرة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والكفر: الجحود. والإيمان: التصديق. وقال أبو العالية: المعنى: ومن يتبدل الشدة بالرخاء. وسواء السيل: وسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَدَمِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ فِرًا بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا﴾ [آل عمران: ٨٥]

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن حبي بن أخطب، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها، فأمر النبي بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك. والثالث: أن نفرأ من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهم، فأبى، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى «ودد»: أحب وتمنى. وأهل الكتاب: اليهود. قال الزجاج: ﴿فِرًا عِنْدَ أَنفُسِهِمْ﴾ موصول: (ب)ود كثير)، لا بقوله: (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه. والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقة الغبطة، فإنها تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. وحد بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ يَأْتِي اللهَ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس: فجاء الله بأمره في النصير بالجلء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبي.

### فصل

وقد روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي العالية، وقتادة ؓ: أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَ الْوَيْلَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩] وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن الصحابة كانوا مع رسول الله في غزوة في ليلة مظلمة، فلم يعرفوا القبلة، فجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلى، فلما أصبحوا إذا هم على غير القبلة، فذكروا ذلك لرسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. رواه عامر بن ربيعة. والثاني: أنها نزلت في التطوع بالنافلة، قاله ابن عمر. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُ مُخْلِطِينَ لَكُمُ﴾ [غافر: ٦٠]. قالوا: إلى أين: فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والرابع: أنه لما مات النجاشي، وأمرهم النبي ﷺ بالصلاة عليه؛ قالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة؛ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: فتم الله، يريد: علمه معكم أين كنتم، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: فتم قبله الله، قاله عكرمة، ومجاهد. والواسع: الذي وسع غناه مفارقة عباده، ورزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغنى.

### فصل

وهذه الآية مستعملة الحكم في المجتهد إذا صلى إلى غير القبلة، وفي صلاة المتطوع على الراحلة، والخائف. وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت؛ توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَيَكُنْ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَيُوهَكُمُ صَلَوةُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وهذا مروى عن ابن عباس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله: ﴿فَأَيُّنَا قَوْلًا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا؛ دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَوْمَةٍ يَذْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله، قاله مقاتل. والثالث: أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: عيسى ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، ذكره إبراهيم بن السري. والرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي. فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو في اللغة بمعنيين: أحدهما: القيام. والثاني: الطاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقنات: القائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين؛ فهو قيام بالنية. وقال ابن قتيبة: لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة، لأن جميع الخلاص من الصلاة، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها. وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: القيام، قاله الحسن، والربيع. وفي معنى القيام قولان: أحدهما: أنه القيام له بالشهادة بالعبودية. والثاني: أنه القيام بين يديه يوم القيامة. فإن قيل: كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ فتمه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن يكون ظاهرها ظاهر العموم، ومعناها معنى الخصوص. والمعنى: كل أهل الطاعة له قانتون. والثاني: أن الكفار تسجد ظلالمهم لله بالغدوات والعشيات، فنسب القنوت إليهم بذلك. والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه، وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على ذل للرب. ذكرهن ابن الأنباري.

﴿يَكُونُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَعَّتْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ السَّمَكُوتِ﴾ البديع: المبدع، وكل من أنشأ شيئاً لم يسبق إليه قيل له: أبدعت. قال الخطابي: البديع، فاعيل بمعنى: مفعول، ومعناه: أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَعَّتْ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: معنى القضاء: الإرادة. وقال مقاتل: إذا قضى أمراً في علمه، فإنما يقول له: كن فيكون. والجمهور على ضم نون (فيكون)، بالرفع على القطع. والمعنى: فهو يكون. وقرأ ابن عامر بنصب النون. قال مكي ابن أبي طالب: النصب على الجواب، لكن فيه بعد.

### فصل

وقد استدلل أصحابنا على قدم القرآن بقوله: ﴿كُنْ﴾ فقالوا: لو كانت «كن» مخلوقة؛ لافتقرت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال. فإن قيل: هذا خطاب لمعدوم؛ فالجواب أنه خطاب تكوين يظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب موجوداً، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه. ويحقق هذا أن ما سيكون متصور للعلم، فضاهاى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْكَنُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشْتَكِبْتُمْ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْتِيهِمْ مِنْهُ لَاقِيَةٌ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْكَنُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس والثاني: النصارى، قاله مجاهد. والثالث: مشركو العرب، قاله قتادة، والسدي عن أشياخه. و(لولا) بمعنى: هلا. وفي ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: اليهود والنصارى، قال السدي عن أشياخه. والثالث: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، قاله قتادة. ﴿تَشْتَكِبْتُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: في الكفر.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَحْصَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ قال يوماً: «ليت شعري ما فعل أبواي!»، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لأموتوا» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي المراد (بالحق) هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. قاله ابن عباس. والثاني: الإسلام. قاله ابن كيسان. والثالث: الصدق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْغَلْ عَنْ﴾: الأكثرون بضم التاء، على الخبر، والمعنى: لست بمسؤول عن أعمالهم. وقرف نافع ويعقوب، بفتح التاء وسكون اللام، على النهي عن السؤال عنهم. وجوز أبو الحسن الأخفش أن يكون معنى هذه القراءة: لا تسأل عنهم فإنهم في أمر عظيم. فيكون ذلك على وجه التعظيم لما هم فيه. فأما الجحيم؛ فقال الفراء: الجحيم: النار، والجمر على الجمر. وقال أبو عبيدة: الجحيم: النار المستحكمة المتلطفة. وقال الزجاج: الجحيم: النار الشديدة الوقود، وقد جهم فلان النار: إذا شدد وقودها، ويقال لعين الأسد: جحمة لشدة توقدها. ويقال لوقود الحرب، وهو شدة القتال فيها: جاحم. وقال ابن فارس: الجاحم: المكان الشديد الحر. قال الأعشى:

يُعدون للهيجاء قبل لقائها  
غداة احتضار البأس والموت جاحم  
ولذلك سميت الجحيم. وقال ابن الأنباري: قال أحمد بن عبيد: إنما سميت النار جحيماً، لأنها أكثر وقودها من قول العرب: جحمت النار أجحمتها: إذا أكثر لها الوقود. قال عمران بن حطان:

يرى طاعة الله الهدى وخلافه  
الضلالة يصلى أهلها جاحم الجمر

﴿وَلَنْ رَحْمَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَنْجِيَهُمْ قُلْ إِنَّكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَدَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَةٍ مَدَّةً وَمِنْ لَدُنْكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَحْمَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف إلى الكعبة يشتموا منه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم دعوه إلى دينهم، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أنهم كانوا يسألونه الهدنة، ويطمعون في أنه إن هادنهم وافقوه؛ فنزلت، ذكر معناه الزجاج. قال الزجاج: والملة في اللغة: السنة والطريقة. قال ابن عباس: (وهدى الله) هاهنا: الإسلام. وفي الذي جاء من العلم أربعة أقوال: أحدها: أنه التحول إلى الكعبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه البيان بأن دين الله الإسلام. والثالث: أنه القرآن. والرابع: العلم بضلالة القوم. ﴿مَدَّةً مِنْ أَلْسِنَةٍ مَدَّةً وَمِنْ لَدُنْكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: عذابي لا يأتيني من ألسنة مددة ولا من لدنك عذاب أليم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُنْذِرَکَ يَوْمَ تَأْتِيهِمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿يَتْلُوهُمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُنْذِرَکَ يَوْمَ تَأْتِيهِمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾: أي: يأتونهم أصحاب الحروف. ﴿يَتْلُوهُمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾: أي: يأتونهم أصحاب الحروف. ﴿يَتْلُوهُمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾: أي: يأتونهم أصحاب الحروف. ﴿يَتْلُوهُمْ أَصْحَابُ الْحُرُوفِ﴾: أي: يأتونهم أصحاب الحروف.

(١) رواء ابن جرير في التفسير من طريق موسى بن عبيدة الردي، وهو ضعيف جداً.



من اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، قاله عكرمة، وقناة. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: أنه التوراة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ أي: يعملون به حق عمله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تعود على الكتاب. والثاني: على النبي محمد ﷺ، وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله: ﴿وَإِذْ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ رُؤْيُ بَيْكُنِي﴾ والابتلاء: الاختبار. وفي إبراهيم ست صفات: أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية. والثانية: إبراهيم. والثالثة: إبراهيم. والرابعة: إبراهيم، ذكرهن الفراء. والخامسة: إبراهيم. والسادسة: إبراهيم. قال عبد المطلب:

عذت بما عاذ به إبراهيم  
وقال أيضاً:

نحن آل الله في كعبته  
لم يزل ذاك على عهد إبراهيم

وفي الكلمات خمسة أقوال: أحدها: أنها خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس؛ فالفرق، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، وتنف الإبط، والاستطابة بالماء، والختان، رواه طاووس عن ابن عباس. والثاني: أنها عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. فالتالي في الإنسان: حلق العانة، وتنف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، والسواك، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة. والتي في المشاعر: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حنبل بن عبد الله عن ابن عباس. والثالث: أنها المناسك، رواه قتادة عن ابن عباس. والرابع: أنه ابتلاء بالكوكب، والشمس، والقمر، والهجرة، والنار، وذبح ولده والختان، قاله الحسن. والخامس: أنها كل مسألة في القرآن، مثل قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْكَلِمَةَ كَلِمَةً﴾ [إبراهيم: ٢٣٥]. ونحو ذلك، قاله مقاتل. فمن قال: هي أفعال فعلها؛ قال: معنى فأنتم: عمل بهن. ومن قال: هي دعوات ومسائل؛ قال: معنى فأنتم: أجابه الله إليهن. وقد روي عن أبي حنيفة أنه نزل: (إبراهيم) برفع الميم (رَبِّ) ينصب الباء<sup>(١)</sup>، على معنى: اختبر ربه هل يستجيب دعاءه، ويتخذة خليلاً أم لا؟.

قوله تعالى: ﴿وَنُذِرُوا نَارَ اللَّهِ فِي النَّارِ﴾ في النذرية قولان: أحدهما: أنها فعلية من الذر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر. والثاني: أن أصلها ذرورة، على وزن: فعلولة، ولكن لما كثر التضعيف أبدل من الراء الأخيرة ياء، فصارت: ذرورية، ثم أدغمت الواو في الياء، فصارت: ذرية، ذكرهما الزجاج، وصوب الأول. وفي العهد هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنه الإمامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه الطاعة، رواه لضحك عن ابن عباس. والثالث: الرحمة، قاله عطاء وعكرمة. والرابع: الدين، قاله أبو العالية. والخامس: النبوة، قاله السدي عن أشياخه. والسادس: الأمان، قاله أبو عبيدة. والسابع: الميثاق، قاله ابن قتيبة. والأول أصح. وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله ابن جبير، والسدي. والثاني: العصاة، قاله عطاء.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّ مَنَاءَ لِلنَّاسِ وَأَنَا وَآلِيَّ مِنْ مَقَارِئِهِمْ مُسَلِّينَ وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَسْمِعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكِيمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّ مَنَاءَ لِلنَّاسِ﴾ البيت هاهنا: الكعبة، والألف واللام تدخل للمعهود، أو للجنس، فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس؛ انصرف إلى المعهود، قال الزجاج: والمثاب والمثابة واحد، كالمقام والمقامة، قال ابن قتيبة: والمثابة: المعاد، من قولك: ثبت إلى كذا، أي: عدت إليه، وثاب إليه جسمه بعد العلة: إذا عاد، فأراد: أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا﴾ قال ابن عباس: يريد أن من أحدث حدثاً في غيره، ثم لجأ إليه؛ فهو آمن، ولكن ينبغي

(١) سبق أن أشرنا إلى عدم صحة نسبة هذه القراءة وأمثالها إلى أبي حنيفة أحد أئمة المذاهب الأربعة رحمه الله.



لأهل مكة أن لا يبايعوه، ولا يطعموه، ولا يسقوه، ولا يؤووه، ولا يكلم حتى يخرج، فإذا خرج؛ أقيم عليه الحد. قال القاضي أبو يعلى: وصف البيت بالأمن، والمراد جميع الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَيْتُ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] والمراد: الحرم كله لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام، وهذا على طريق الحكم، لا على وجه الخبر فقط. وفي ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس. والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين. وقد روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير، وهو الأصح. قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت. وفي سبب وقوف إبراهيم على الحجر قولان: أحدهما: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل، فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل، فأبى، فقالت: فدعني أغسل رأسك، فأثته بحجر فوضع رجله عليه، وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعتة وقد غابت رجله فيه، فوضعت تحت الشق الآخر وغسلته، فغابت رجله فيه، فجعله الله من شعاره، ذكره السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قام على الحجر لبناء البيت، وإسماعيل يناوله الحجارة، قاله سعيد بن جبير. قرأ الجمهور، منهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة والكسائي: (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء؛ على الأمر. وقرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء على الخبر. قال ابن زيد: قال النبي ﷺ «أين ترون أن نصلي؟» فقال عمر: إلى المقام، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup>. وقال أبو علي: وجه فتح الخاء: أنه معطوف على ما أضيف إليه، كأنه قال: وإذا اتخذوا. ويؤكد الفتح في الخاء أن الذي بعده خبر، وهو قوله: وعهدنا. قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي: أمرناهما وأوصيناهما. وإسماعيل: اسم أعجمي، وفيه لغتان: إسماعيل، و: اسماعين. وأنشدوا:

قال جوارى الحي لما جينا

هذا ورب البيت إسماعينا

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ قال قتادة: يريد من عبادة الأوثان والشرك، وقول الزور. فإن قيل: لم يكن هناك بيت؛ فما معنى أمرهما بتطهيره؟ فتنه جوابان: أحدهما: أنه كانت هناك أصنام، فأمرها بإخراجها، قاله عكرمة. والثاني: أن معناه: ابنيها مطهراً، قاله السدي. والعاكفون: المقيمون، يقال: عكف يعكف ويعكف عكوفاً: إذا أقام، ومنه الاعتكاف. وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل في كل ليلة ويوم، عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَبَنِيَّ أَقْبِلُوكَ وَإِسْمَاعِيلُ أَخْلَقْتَهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبَنِيَّ الْأَعْرَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آيَاتًا﴾ البلد: صدر القرى، والبالد: المقيم بالبلد، والبلدة: الصدر ووضعت الناقبة ببلدتها: إذا بركت، والمراد بالبلد هاتنا: مكة. ومعنى (آيَاتاً): ذا أمن. وأمن البلدة مجاز، والمراد أمن من فيه. وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأل الله الأمن من القتل. والثاني: من الخسف والقذف والثالث: من القحط والجذب. قال مجاهد: قال إبراهيم: لمن آمن، فقال الله ﷻ: ومن كفر فسأزقه.

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ وقرأ ابن عامر: (فَأَمْتَعَهُ) بالتخفيف، من أمتعت. وقرأ الباقون بالتشديد من: مَتَّعَت والإمتاع: إعطاء ما تحصل به المتعة. والمتعة: أخذ الحظ من لذة ما يشتهي. وبماذا يمتعه؟ فيه قولان: أحدهما بالأمن. والثاني: بالرزق. والاضطرار: الإلجاء إلى الشيء، والمصير: ما ينتهي إليه الأمر.

﴿وَلَقَدْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ رَبَّنَا وَابْنِ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(١) رواه أحمد والبخاري، ولفظ أحمد عن عمر: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم في «الكنى» والخطيب في «التاريخ» والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» في يوسف بن السفر، وهو متروك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ القواعد: أساس البيت، واحدها: قاعدة. فأما قواعد لنساء؛ فواحدتها: قاعدة، وهي العجوز. ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ إِلَيْنَا﴾ أي: يقولان: ربنا، فحذف ذلك، كقوله: ﴿وَاللَّيْلُ كَذَلِكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٥]. أراد: يقولون. و(السميع) بمعنى: السامع، لكنه أبلغ، لأن بناء فاعيل للمبالغة. نال الخطابي: ويكون السماع بمعنى القبول والإجابة، كقول النبي ﷺ: «أعوذ بك من دعاء لا يسمع»<sup>(١)</sup> أي: لا يستجاب. وقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله حمد من حمده. وأنشدوا:

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

### الإشارة إلى بناء البيت

روى أنس عن النبي ﷺ قال: كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم. وقال ابن عباس: لما أهبط آدم؛ قال الله تعالى: يا آدم! اذهب فابن لي بيتاً فطف به، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي. فأقبل يسعى حتى انتهى إلى البيت الحرام، وبناء من خمسة أجبل: من لبنان، وطور سيناء، وطور زيتا، والجودي، وحراء، فكان آدم أول من أسس البيت، وطاف به، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان، فدرس موضع البيت، فبعث الله إبراهيم وإسماعيل. وقال علي ابن أبي طالب عليه السلام: لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت؛ ضاق به ذرعاً، ولم يدر كيف صنع، فأنزل الله عليه كهيفة السحابة، فيها رأس يتكلم، فقال: يا إبراهيم! علم على ظلي، فلما علم ارتفعت. وفي رواية أنه كان يبنى عليها كل يوم، قال: وحفر إبراهيم من تحت السكينة، فأبدى عن قواعد، ما تحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلاً. فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل: التمس لي حجراً، فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، فلما جاء إسماعيل، قال: من جاءك بهذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك. وقال ابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية: رفعوا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك. وقال السدي: لما أمره الله ببناء البيت؛ لم يدر أين يبني، فبعث الله له ريحاً، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل الطوفان.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الزجاج: المسلم في اللغة: الذي قد استسلم لأمر الله، وخضع. والمناسك: المتعبدات. فكل متعبد منك ومنيك، ومنه قيل للعابد: ناسك. وتسمى الذبيحة المقرب بها إلى الله ﷻ: نسكية. وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: مذابحنا. قاله مجاهد. وقال غيره: هي جميع أفعال الحج. وقرأ ابن كثير: وأرنا) بجزم الراء. و﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. و﴿أَرِنَا الَّذِيْنَ أَصْلَلْنَا﴾ [فصلت: ٢٩]. وقرأ نافع، وحمره، والكسائي (أرنا) بكسر الراء في جميع ذلك. وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر كذلك، إلا أنهم أسكنوا الراء من (أرنا للذين) جدداً. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: (أرنا) وكثير من العرب يجزم الراء، فيقول: (أرنا مناسكنا) وقرأ بها بعض لُحقات. وأنشد بعضهم:

قالت سليمة اشتر لنا دقيقاً واشتر فعجل خادماً لبيقاً  
وأنشدني الكسائي:

ومن يتق فإن الله معه ورزق الله مـؤتـاب وغـادي  
قال قتادة: أراهما الله مناسكهما: الموقف بعرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، والطواف، والسعي. قال أبو مجلز: لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف، ثم أتى به جمره العقبة، فعرض له الشيطان، أخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعاً، وقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به جمره الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات، فقال: ارم

(١) رواء مسلم عن زيد بن أرقم بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به الجمرة القصوى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات. فقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، ثم أتى به منى، فقال: هاهنا يحلق الناس رؤوسهم، ثم أتى به جمعاً، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثم أتى به عرفة، فقال: أعرفت؟ قال: نعم. قال: فمن ثم سميت عرفات.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْتَ فِيهِمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ في الهاء والميم من (فيهم) قولان: أحدهما: أنها تعود على الذرية. قاله مقاتل والفراء. والثاني: على أهل مكة في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا أَهْلَكُ﴾ والمراد بالرسول: محمد ﷺ. وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قيل: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضأت له قصور الشام»<sup>(١)</sup>. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة، قاله ابن عباس. وروي عنه: الحكمة: الفقهاء والحلال والحرام، ومواظب القرآن. وسميت الحكمة حكمة، لأنها تمنع من الجهل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباس والفراء. والثاني: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: يدعومهم إلى ما يصيرون به أذكاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى الغلبة يقولون: من عز بزز. أي: من غلب سلب. يقال منه: عزَّ يعزُّ، بضم العين من يعز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَّابِ﴾ [ص: ٢٨]. والثاني: بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عزَّ يعزُّ، بفتح العين من يعز. والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عزَّ يعزُّ بكسر العين من يعز. ويتناول معنى العزيز على أنه الذي لا يعادله شيء، ولا مثل له.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ بِمَا بِإِذْيَاهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ إِنَّ اللَّهَ اضْطَرَّ لَكُمْ إِلَيْنِ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ سبب نزولها أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمة إلى الإسلام، فأسلم سلمة، ورغب عن الإسلام مهاجر، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: و«من» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. ويقال: رغبت في الشيء إذا أردته. ورغبت عنه: إذا تركته. وملة إبراهيم: دينه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: إلا من سفه نفسه، قاله الأخفش<sup>(٢)</sup> ويونس قال يونس: ولذلك تعدى إلى النفس فتصبها، وقال الأخفش: نصبت النفس لإسقاط حرف الجر، لأن المعنى: إلا من سفه في نفسه. قال الشاعر:

نغالي اللحم للأضياف نيئاً ونرخصه إذا نضج القدور

والثاني: إلا من أهلك نفسه، قاله أبو عبيدة. والثالث: إلا من سفهت نفسه، كما يقال: غبن فلان رأيه، وهذا مذهب الفراء وابن قتيبة. قال الفراء: نقل الفعل عن النفس إلى ضمير «من»، ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير، كما يقال: ضقت بالامر ذرعاً، يريدون: ضاق ذرعي به، ومثله: ﴿وَأَسْتَحَلَّ الرَّأْسُ سَكِينًا﴾ [مریم: ٤٤]. والرابع: إلا من جهل نفسه، فلم يفكر فيها، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ قال ابن الأنباري: لمن الصالح حال عند الله تعالى. وقال الزجاج: الصالح في الآخرة: الفائز.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ وذلك حين وقوع الاصطفاء، قال ابن عباس: لما رأى الكوكب والقمر والشمس، قال له ربه: أسلم، أي: أخلص.

(١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد في «المستد» عن أبي أمامة، وفي سننه الفرغ بن فضالة، وهو ضعيف، وجاء الحديث بمعناه في «مسند أحمد» عن العرياض بن سارية، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) نقل القرطبي في «التفسير» عن الأخفش في معنى (سفه نفسه) أنه فعل بها من السفه ما صار به سفياً. وعنه أيضاً: هي لغة، بمعنى سفه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يريد: الزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ الْإِنسَانَ مِنْ تُرَابٍ فَمَا كُنْتُمْ مَشْكُورِينَ ۚ فَنُفِثَ مِنْ سُلَيْمَانَ أَمْ لَهُ كُنُوزٌ أُخْفِيَ عَنْكُمْ أَمْ فَتَحْنَا لَكَ أَبْصَارًا أُخْفِيَ عَلَيْكَ ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ

ب. أوصى بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

إِلَّا إِيَّاهُ وَلِإِيمَانِهِ لَتَمُنَّ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضَانِ وَمَا أَوْفَى الْأَوْتَانِ وَمَا أَوْفَى السُّيُوفِ مِنْ رَحْمَةٍ بِأُولِي الْإِيمَانِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْمَقَامَاتِ

ة. قال الزجاج: الحنيف في اللغة: المائل إلى الشيء، أخذ من قولهم: رجل أحنف، وهو الذي تميل قدماء كل

ما كان في فتيانكم من مثله

ج: السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجرة لها قبائل، فالسبط: الذين

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبَّحُوا اللَّهَ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿يُمِثِّلُ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَهَمَزَتْ إِلَيْكَ بِحُجَّتِكَ الْخَلْقَ﴾ (سرم: ٢٤). قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المراد بالمثل هاهنا: الكتاب، وتقديره: فإن آمنوا بكتابكم كما آمنت بكتابهم، قاله أبو معاذ النحوي. والثالث: أن المثل هاهنا: صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنت به. ومثله قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١). أي: ليس كهو شيء. وأنشدوا:

أي: أنا لا أقبل منك، فأما الشقاق؛ فهو المشاقة والعداوة، ومنه قولهم: فلان قد شق عصا المسلمين، يريدون: فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع إمامهم، فكأنه صار في شق غير شقهم.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ سبب نزولها أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمودية، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا ظهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك؛ قالوا: صار نصرانياً حقاً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال ابن مسعود وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والنخعي، وابن زيد: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: دينه. قال الفراء: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [نصب] مردودة على الملة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عبلة: (صبغة الله) بالرفع على معنى: هذه صبغة الله. وكذلك قرأ: (ملة إبراهيم) بالرفع أيضاً على معنى: هذه ملة إبراهيم. قال ابن قتيبة: المراد بصبغة الله: الختان، فسماه صبغة، لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء (ويقولون: هذا طهارة لهم، كالختان للحنفاء) فقال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها: ملة إبراهيم وقال غيره: إنما سمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان، كظهور الصبغ على الثوب.

﴿قُلْ أَتَمَّاجُئُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿أَتَمَّارًا فِي اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يهود المدينة، ونصارى نجران. والمخاصمة في الدين، فإن اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحدهم، فلم ظاهرتم من لا يوحد؟!

قوله تعالى: ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُنْمُ أَغْمَلُنَاكُمْ﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى

السيف.

﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ  
كُنَّا شُهَدَاءُ عِندَهُمْ  
كَأَنَّا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾ الآية. سبب نزولها أن يهود المدينة، ونصارى نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا على ديننا، فزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن الله قد أعلمنا بدين الأنبياء، ولا أحد أعلم به منه. قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو: (أَمْ يَقُولُونَ) بالياء على وجه الخبر عن اليهود. وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم: (تَقُولُونَ) بالتاء لأن قبله مخاطبة، وهي ﴿أَتَعْبُجُونَ﴾ وبعدها ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَهْلُكُمْ﴾. وفي الشهادة التي كتبوها قولان: أحدهما: أن الله تعالى شهدا عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتبوها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم. والثاني: أنهم كتبوا الإسلام، وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقتادة.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَيْ كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ مَرْكَزَ تَسْتَقِيمٍ ۝١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله البراء بن عازب، ومجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أنهم أهل مكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وقد يمكن أن يكون الكل قالوا ذلك، والآية نزلت بعد تحويل القبلة. والسفهاء: الجهلة. ما ولاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم: يريد: قبله المقدس. واختلف العلماء في مدة صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس بعد قدومه إلى المدينة على ستة أقوال: أحدها: أنه ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر، قاله البراء بن عازب. والثاني: سبعة عشر شهراً، قاله ابن عباس. والثالث: ثلاثة عشر شهراً، قاله معاذ بن جبل. والرابع: تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، قاله نس بن مالك. والخامس: ستة عشر شهراً. والسادس: ثمانية عشر شهراً، روي القولان عن قتادة. وهل كان استقباله إلى بيت المقدس برأيه، أو عن وحي؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان بأمر الله تعالى ووحيه، قاله ابن عباس وابن جريج. والثاني: أنه كان باجتهاده ورأيه، قاله الحسن، وأبو العالية، وعكرمة، والربيع. وقال قتادة: كان الناس يتوجهون إلى أي جهة شاؤوا بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]. ثم أمرهم باستقبال بيت المقدس. وفي سبب اختياره بيت المقدس قولان: أحدهما: ليتألف أهل الكتاب، ذكره بعض المفسرين. والثاني: لامتحان العرب بغير ما لفوه، قاله الزجاج.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۝١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا: قبلتنا قبله الأنبياء، ونحن عدلٌ بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. والأمة: الجماعة. والوسط: العدل، قاله ابن عباس، وأبو سعيد، ومجاهد، وقاتادة، وقال ابن قتيبة: الوسط: العدل، الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُكُمْ﴾ [القلم: ٢٨]. أي: أعدلهم، وخيرهم. قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنعام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمُعْظَمِ

وأصل ذلك أن خير الأشياء أوسطها، والخلو والتقصير مذمومان. وذكر ابن جرير الطبري أنه من التوسط في الفعل، فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كاليهود، فإنهم قتلوا الأنبياء، وبدلوا كتاب الله، ولم يغلوا كالنصارى، فإنهم عموا أن عيسى ابن الله. وقال أبو سليمان الدمشقي: في هذا الكلام محذوف، ومعناه: جعلت قبلتكم وسطاً بين قبلتين، فإن اليهود يصلون نحو المغرب، والنصارى نحو المشرق، وأنتم بينهما.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: لتشهدوا للأنبياء على أممهم. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ قال: محمد وأمه؛ فيشهدون أن الرسل قد بلغوا، فيقال: ما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه، لذلك قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾»<sup>(١)</sup> وهذا مذهب عكرمة، وقاتادة. والثاني: أن معناه: لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ على الأمم: اليهود والنصارى والمجوس، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يعني: محمداً ﷺ. وماذا يشهد عليهم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أفعالهم، قاله ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وابن زيد. والثاني: بتليغهم الرسالة، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إيمانهم، قاله أبو العالية. فيكون على هذا «عليكم» بمعنى: لكم. قال عكرمة: لا يسأل عن هذه الأمة إلا نبيا.









﴿مَنْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]. وقوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ [غافر: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم باحتجازه فيما قد وضع له، كما تقول: ما لك عليّ حجة إلا الظلم، أي: إلا أن تظلمني. أي: ما لك عليّ البتة، ولكنت تظلمني. قال ابن عباس: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ في انصرافكم إلى الكعبة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ في تركها.

﴿كَأَنَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا بِمَا أَتَيْنَاكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَلِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّمَا لَكُمْ تَكُونُوا تَكُونُوا﴾ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا بِمَا أَتَيْنَاكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: «كما» لا تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، والأجود أن تكون معلقة بقوله: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾ وقد روي معناه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والآية خطاب لمشركي العرب. وفي قوله: ﴿وَرَزَّيْكُمْ﴾ ثلاثة أقوال، قد سبق ذكرها في قصة إبراهيم. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة.

﴿فَأَذْكُرُوا أَذْكُرْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي. قال: فإن قيل: كيف يكون جواب: ﴿كَأَنَّا أَرْسَلْنَا﴾: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾؟ فإن قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا﴾ أمر. وقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جزاء؛ فالجواب: أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَكْفُرُونَ﴾ الشكر: الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ سبب نزولها أن المشركين قالوا: سيرجع محمد إلى ديننا، كما رجع إلى قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال ابن عباس: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة، وقد سبق الكلام في الصبر، وبيان الاستعانة به وبالصلاة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أُمِيتَ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد: مات فلان بيد، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات بإضمار مكني من أسمائهم، أي: لا تقولوا: هم أموات، ذكر نحوه الفراء. فإن قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي؟ فالجواب أن المعنى: لا تقولوا: هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يتاله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة<sup>(١)</sup>، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: ليس جميع المؤمنين منعمين بعد موتهم؟ فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومأكلاها، وغيرهم منعم بما دون ذلك، ذكره ابن جرير الطبري.

﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ وَنَحْنُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّرَاثِ وَالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الآية إذا أصببتهم مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُمْ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ وَنَحْنُ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قال الفراء: «من» تدل على أن لكل صنف منها شيئاً مضمراً، فتقديره: بشيء من الخوف، وشيء من الجوع، وشيء من نقص الأموال. وفيمن أريد في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب النبي خاصة، قاله عطاء. والثاني: أنهم أهل مكة. والثالث: أن هذا يكون في آخر الزمان. قال كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة. والرابع: أن الآية على عمومها. فأما الخوف؛ فقال ابن عباس: وهو الفرع في القتال. والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين. ونقص من الأموال: ذهاب أموالهم، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والشرات لم تخرج كما كانت تخرج. وحكى أبو سليمان الدمشقي عن بعض أهل العلم: أن الخوف في الجهاد، والجوع في فرض الصوم، ونقص الأموال: ما فرض فيها من

(١) جاء في صحيح مسلم «أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت...» الحديث.

الزكاة والحج، ونحو ذلك. والأنفس: ما يستشهد منها في القتال، والثمرات: ما فرض فيها من الصدقات. ﴿وَيُزَكِّرُ أَتَّخِذُ﴾ على هذه البلاوي بالجنة. واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم ليوطئوا أنفسهم على الصبر، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ يريدون: نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّنَا﴾ يريدون: نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا، والثواب على صبرنا. قال سعيد بن جبيرة: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَلَئِنَّا إِلَيْهِ رَجُوعُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. ولو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب، ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] قال الفراء: وللعرب في المصيبة ثلاث لغات: مصيبة، ومصابة، ومصوبة، زعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقول: جبر الله مصوبتك.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال سعيد بن جبيرة: الصلوات من الله: المغفرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾ بالاسترجاع. قال عمر بن الخطاب: نعم العدلان، ونعمت العلاوة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ أَصْفَاَ وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا مَا بَيْنَهُمُ الْغَيْبَاتِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْفَاَ وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ممن كان يهمل لمناة في الجاهلية - ومناة: صنم كان بين مكة والمدينة - قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نظوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام؛ فنزلت هذه الآية. وراه عكرمة عن ابن عباس. وقال الشعبي: كان وثن على الصفا يدعى: إساف، ووثن على المروة يدعى: نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام كفوا عن السعي بينهما، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الصحابة قالت للنبي ﷺ: إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإن الله تعالى ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن لا نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم. قال إبراهيم بن السري: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، وهو جمع، واحده صفاة وصفاء، مثل: حصة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شعائر الله، أي: من أعلام متعبداته. وواحد الشعائر: شعيرة. والشعائر: كل ما كان من موقف أو سعي أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر الله. والحج في اللغة: القصد، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقليل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما، فأعلم الله ﷻ أنه لا جناح في التطوف بهما، وأن من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والجمهور قرؤوا (ومن تطوع) بالثناء ونصب العين. منهم: ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي «يطوع» بالياء وجزم العين. وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

### فصل

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثر من ترك السعي لم يجزه حجه.

(١) العدل بكسر العين: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. والعلاوة: هي ما يوضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، وأراد بالعدلين الصلاة، والرحمة. وبالعلاوة: الانتهاء، وقد أخرج هذا الأثر البخاري تعليقاً، ووصله الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» وسنده صحيح، ورواه أحمد والبخاري ومسلم مطولاً.

ونقل أبو طالب: لا شيء في تركه عمداً أو سهواً، ولا ينبغي أن يتركه. ونقل الميموني أنه تطوع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُكْذَّبَاتِ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، كتبوا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدى، فاليينات: الحلال والحرام والحدود والفرائض. والهدى: نعت النبي وصفته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا يَنْتَكِلُ الْنَّاسُ﴾ قال مقاتل: لبني إسرائيل. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة، وهو قول ابن عباس. والثاني: التوراة والإنجيل، قاله قتادة. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الكافرين ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أصل اللعن في اللغة: الطرد، ولعن الله إبليس، أي: طرده، ثم انتقل ذلك فصار قولاً. قال الشماخ وذكر ماء: ذعرت به القسطا ونفيث عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين<sup>(١)</sup>

أي: الطريد. وفي اللاحين أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بهم: دواب الأرض، رواه البراء عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> وهو قول مجاهد، وعكرمة. قال مجاهد: يقولون: إنما منعنا القطر بذنوبكم، فيلعنونه. والثاني: أنهم المؤمنون، قاله عبد الله بن مسعود. والثالث: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العالية، وقاتة. والرابع: أنهم الجن والإنس وكل دابة، قاله عطاء.

### فصل

وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين، متصوصة كانت أو مستنبطة، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله، وقد روى الأعرج عن أبي هريرة أنه قال: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة على النبي ﷺ، والله الموعود، وإيم الله: لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ﴾ .. إلى آخرها<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال ابن مسعود: إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبينوا صفة رسول الله في كتابهم.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه منسوخة بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بنسخ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، ومما يحقق هذا أن النسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر، وهما يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ كَافَرٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ كَافَرٌ﴾ إنما شرط الموت على الكفر، لأن حكمه يستقر بالموت عليه، فإن قيل: كيف قال: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وأهل دينه لا يلعنونه، فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم يلعنونه في الآخرة. قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَّيْسَ لَكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [المنكسوت: ٢٥]. وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلََتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أَخْبَرَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: المؤمنون، قاله ابن مسعود، وقاتة، ومقاتل. فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص. والثالث: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها: لعنة جميع الناس تغلياً لحكم الأكثر على الأقل.

﴿حَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ﴾

- (١) قال في «اللسان» أراد مقام الذئب الطريد، كالرجل. والرجل اللعين المطرود، لا يزال متنبذاً عن الناس، شبه الذئب به في ذله وشدة مخافته وذعره.
- (٢) رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، وفي سننه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.
- (٣) رواه أحمد، والبخاري ومسلم، وغيرهم. وقوله: «والله الموعود» قال القاضي عياض في «المشارك»: أي: عند الله المجتمع، أو إليه. وقال الحافظ في «الفتح»: و مراده أن الله تعالى يحاسبني إن تعدت كذباً، ويحاسب من يظن بي سوء.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ نَارٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى اللعنة، قاله ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى النار، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت.

﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: إن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت هذه الآية، وسورة الإخلاص. والإله بمعنى: المعبود.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ الْفَالِكِ الَّذِي يَمْشِي عَلَى الْبَطْنِ يَمَا يُنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالشَّجَارِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا للنبي: اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً؛ فنزلت هذه الآية، حكاه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: انسب لنا ربك وصفه؛ فنزلت: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ قالوا: فأرنا آية ذلك؛ فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزلت ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ قال كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. فأما ﴿السَّمَكَاتِ﴾؛ فتدل على صانعها، إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها، وإرساء جبالها، إلى غير ذلك. ﴿وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ الْفَالِكِ﴾ كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن، وزائل بعد أن كان ﴿وَالْفَالِكِ﴾: السفن. قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد. وقال البيهقي: واحد فلكة، ويذكر ويؤنث. وقال الزجاج: الفلك: السفن، ويكون واحداً، ويكون جمعاً، لأن فَعَلَ، وفَعَّلَ جمعهما واحد، ويأتیان كثيراً بمعنى واحد. يقال: العجم والعُجم، والعرب والعُرب، والفلك والفُلك. والفلك: يقال لكل شيء مستدير، أو فيه استدارة. و﴿الْبَطْنِ﴾: الماء الغزير ﴿يَمَا يُنْفَعُ النَّاسَ﴾ من المعاش. ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ يعني: المطر، والمطر ينزل على معنى واحد، وأجزاء الأرض والهواء على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفة، وفي ذلك رد على من قال: إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجهها، إذ المتفق لا يوجب المختلف، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِلٍ وَتُفَصِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ [الرعد: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّ﴾ أي: فرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع: هاهنا. وفي الحجر: ٢٢. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّقَهُ﴾ وفي الكهف: ٤٦. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيْحُ﴾ وفي الروم: ٤٦. الحرف الأول (الرياح). وفي الجاثية: ٤. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ وقرأ باقي القرآن (الريح). وقرأ أبو جعفر (الرياح) في خمسة عشر موضعاً؛ في البقرة، وفي الأعراف: ٥٦. ﴿يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ وفي إبراهيم: ١٨. ﴿أَسْتَشَدُّ بِهِ الرِّيْحُ﴾ وفي الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيْحَ لَوَفِّقَهُ﴾ وفي سبحة: ١٩. وفي الكهف: ٤٥. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيْحُ﴾ وفي الأنبياء: ٨١. وفي الفرقان: ٤٨. ﴿أُرْسِلَ الرِّيْحُ﴾ وفي النمل. والثاني من الروم: ٤٨. وفي سبأ: ١٢. وفي ص: ٣٦. وفي عسق: ٣٣. ﴿يُسْكِنُ الرِّيْحُ﴾ وفي الجاثية: ٥. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ تابعه نافع إلا في سبحة. ورياح سليمان: الأنبياء: ٨١. وتابع نافعاً أبو عمرو إلا في حرفين: (الريح) في إبراهيم، وعسق، ووافق أبا عمرو، وعاصم، وابن عامر. وقرأ حمزة (الرياح) جمعاً في موضعين: في الفرقان، والحرف الأول من الروم، وباقيهن على التوحيد. وقرأ الكسائي مثل حمزة، إلا إنه زاد عليه في الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيْحَ لَوَفِّقَهُ﴾ ولم يختلفوا فيما ليس فيه ألف ولا ميم، فمن جمع؛ فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفخ، ومن وحد؛ أراد الجنس. ومعنى تصريف الرياح: تقلبها شمالاً مرة، وجنوباً مرة، ودبوراً أخرى، وصباً أخرى، وعذاباً ورحمة. ﴿وَالشَّجَارِ الْمُشَكَّرِ﴾: المذل. والآية فيه من أربعة أوجه، ابتداء كونه، وانتهاء تلاشيه، وقيامه بلا دعامة ولا علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿لَا يَكُنْ﴾. الآية: العلامة. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم

قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني هارون قال: حدثني عفان عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون، يعني: أصحاب النبي ﷺ: الحمد لله الرفيق، الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف، لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الآيات، إنه جاء بضوء طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيه سكناً ونجوماً، وقمرأ منيراً، وإذا شاء، بنى بناء، جعل فيه المطر، والبرق، والرعد، والصواعق، ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحر يأخذ أنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِيدٌ الْعَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ في الأنداد قولان قد تقدم في أول السورة. وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالية، وابن زيد، ومقاتل، والفراء. والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة. هذا اختيار الزجاج، قال: والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نفيه قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ قال المفسرون: أشد حباً لله من أهل الأوثان لاوثنانهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحزمة والكسائي: (يرى) بالياء، ومعناه: لو يرون عذاب الآخرة؛ لعلموا أن القوة لله جميعاً. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿لَوْ يَرَى﴾ بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به جميع الناس. وجوابه محذوف، تقديره: لرأيتم أمراً عظيماً، كما تقول: لو رأيت فلاناً والسيات تأخذه. وإنما حذف الجواب، لأن المعنى واضح بدونه. قال أبو علي: وإنما قال: «إذا» ولم يقل: «إذا» وإن كانت «إذا» لما مضى، لإرادة تقريب الأمر، فأتى بمثال الماضي، وإنما حذف جواب «لو» لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد. وقرأ أبو جعفر، (إن القوة لله) و: (إن الله) بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف، كأنه يقول: فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم إن ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: القوة: القدرة، والمنعة.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْمَكَدَ وَنَفَقَتِ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنك لَنَا كُرَّةٌ فَنَتَّبَرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم القادة والرؤساء، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: أنهم الشياطين، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْمَكَدَ﴾ يشمل الكل. ﴿وَنَفَقَتِ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أي: عنهم، مثل قوله: ﴿فَسَلَ بِهِمْ خَيْرٌ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وفي (الأسباب) أربعة أقوال: أحدها: أنها المودات، وإلى نحوه ذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد. والثالث: أنها الأرحام. رواه ابن جريج عن ابن عباس. والرابع: أنها تشمل جميع ذلك. قال ابن قتيبة: هي الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا، فأما تسميتها بالأسباب، فالسبب في اللغة: الحبل، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود: سبب. والكُرَّة: الرجعة إلى الدنيا، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين ﴿فَنَتَّبَرْنَا مِنْهُمْ﴾ يريدون: من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ في الآخرة. ﴿كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: كتبوا بعضهم من بعض، يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، لأن أعمال الكافر لا تنفعه. وقال ابن الأنباري: يريهم الله أعمالهم القبيحة حسرات عليهم إذا رأوا أحسن المجازاة للمؤمنين بأعمالهم، قال: ويجوز أن يكون: كذلك يريهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها، فحذف الجزاء وأقام الأعمال مقامه. قال ابن فارس: والحسرة: التلطف على الشيء الفات. وقال غيره: الحسرة: أشد الندامة.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَلِيًّا وَلَا تُتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَافِرِينَ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَلِيًّا﴾ نزلت في ثقيف، وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة، فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿خُطُوَاتِ﴾ مثقلة<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة (خُطُوات) ساكنة الطاء خفيفة. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء (خُطُوات) بفتح الخاء وسكون الطاء من غير همز. وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء وفتح الطاء مع الهمز. قال ابن قتيبة: خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطوة، والخطوة بضم الخاء: ما بين القدمين، ويفتحها: الفعلة الواحدة. واتباعهم خطواته: أنهم كانوا يحرمون أشياء قد أحلها الله، ويحلون أشياء قد حرمها الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾ أي: بين. وقيل: أبان عداوته بما جرى له مع آدم.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ كل إثم وقبح. قال ابن عباس: وإنما سمي سوءاً، لأنه تسوء عواقبه، وقيل: لأنه يسوء إظهاره (والفحشاء) من: فحش الشيء: إذا جاز قدره. وفي المراد بها هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنها كل معصية لها حد في الدنيا. والثاني: أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. والثالث: أنها البخل، وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس. والرابع: أنها الزنى، قاله السدي. والخامس: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه حرم عليكم ما لم يحرم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَنزَلْهُ عَلَى قَوْلِهِمْ رَبُّكُمْ شَيْئًا لَا يُهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَنزَلْهُ عَلَى قَوْلِهِمْ رَبُّكُمْ شَيْئًا لَا يُهْتَدُونَ﴾ اختلِفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في الذين قيل لهم: ﴿كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَلِيًّا﴾ فعلى هذا تكون الهاء والميم هائدة عليهم، وهذا قول مقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس. والثالث: في مشركي العرب وكفار قريش، فتكون الهاء والميم عائدة إلى قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يَعْبُدُونَ دُونَ اللَّهِ أَشْدَادًا﴾ فعلى القول الأول؛ يكون المراد بالذي أنزل الله: تحليل الحلال، وتحريم الحرام. وعلى الثاني يكون: الإسلام. وعلى الثالث: التوحيد والإسلام. و﴿الَّذِينَ﴾ بمعنى: وجدنا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كُنْتُمْ عَابِدِينَ رَبُّكُمْ لَآتَيْنَاكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا لَا يُهْتَدُونَ﴾ من الدين، ولا يهتدون له، آيتعونهم أيضاً في خطيئهم

واقترانهم؟

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآيَةِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا دُعَاءَ وَبَدَأَ مِنْكُمْ عَمَّا قَبْلَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآيَةِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآيَةِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ﴾ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي يتبع بها الراعي، وهذا قول الفراء، وشعلب، قالاً جميعاً: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر ما يقول لها، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوف الأسد [لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف]. قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنى. والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في وعظهم، كمثل الناق

والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، اختصاراً، إذ كان في الكلام ما يدل عليه، وهذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينق، هذا قول ابن زيد، والذي ينق هو الراعي، يقال: نَقَّ بالغنم، ينق نَعَقاً ونَعَقاً ونَعَقاً. قال ابن الأنباري: والفاسي في كلام العرب أنه لا يقال: نَقَّ، إلا في الصياح بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى. ﴿مُتَّ بِكُمْ﴾ إنما وصفهم بالصمم والبكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.

﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قرأ أبو جعفر «الميتة» هاهنا، وفي المائدة، والنحل: ﴿بَلَدَةً مَيْتَةً﴾ [ق: ١١]. بالتشديد، حيث وقع. والميتة في عرف الشرع: اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة. وقيل: إن الحكمة في تحريم الميتة أن جمود الدم فيها بالموت يحدث أذى للأكل، وقد يسمى المذبوح في بعض الأحوال: ميتة حكماً، لأن حكمه حكم الميتة، كذبيحة المرتد. فأما الدم؛ فالمحرم منه: المسفوح، لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. قال القاضي أبو يعلى: فأما الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح، وما يبقى في العروق؛ فهو مباح. فأما لحم الخنزير؛ فالمراد: جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود. قال الزجاج: الخنزير يشتمل على الذكر والأنثى. ومعنى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾. ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله، ومثله الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت باللبية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: ألجئ بضرورة. وقرأ أبو جعفر: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ بكسر الطاء حيث كان. وأدغم ابن محيصن الضاد في الطاء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن معناه غير باغٍ على الولاة، ولا عاد يقطع السيل، هذا قول سعيد بن جبيرة ومجاهد. والثاني: غير باغٍ في أكله فوق حاجته، ولا متعدٌ بأكلها وهو يجد غيرها، هذا قول الحسن، وعكرمة، وقتادة، والربيع. والثالث: غير باغٍ، أي: مستحل، ولا عاد: غير مضطر، روي عن سعيد بن جبيرة، ومقاتل. والرابع: غير باغٍ شهوته بذلك، ولا عاد بالشبع منه، قاله السدي.

### فصل

معنى الضرورة في إباحة الميتة: أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه. سئل أحمد رحمته الله عن المضطر إذا لم يأكل الميتة، فذكر عن مسروق أنه قال: من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار. فأما مقدار ما يأكل؛ فنقل حنبل: يأكل مقدار ما يقيم به الموت. ونقل ابن منصور: يأكل بقدر ما يستغني. فظاهر الأولى: أنه لا يجوز له الشبع، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وظاهر الثانية: جواز الشبع، وهو قول مالك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْكُرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَلْهَبْنَاكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُرْكَعُونَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كنتموا اسم النبي ﷺ وغيره في كتابهم. والتمن القليل: ما يصيبونه من أتباعهم من الدنيا. ﴿أَلْهَبْنَاكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ قال الزجاج: معناه: إن الذين يأكلونه يعدَّبون به، فكانهم يأكلون النار. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ هذا دليل على أن الله لا يكلم الكفار ولا يحاسبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرْكَعُونَ﴾ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: لا يركي أعمالهم، قاله مقاتل. والثاني: لا يشي عليهم، قاله الزجاج. والثالث: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم، قاله ابن جرير.



﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَكَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَكَةَ﴾ أي: اختاروها على الهدى.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار! قاله عكرمة، والربيع. والثاني: ما أجزأهم على النار؛ قاله الحسن، ومجاهد. وذكر الكسائي أن أعرابياً حلف له رجل كاذباً، فقال الأعرابي: ما أصبرك على الله، يريد: ما أجزأك. والثالث: ما أبقاهم في النار، كما تقول: ما أصبر فلاناً على الحبس، أي: ما أبقاه فيه، ذكره الزجاج. والرابع: أن المعنى: فأي شيء صبرهم على النار؟! قاله ابن الأنباري. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها للاستفهام، تقديرها: ما الذي أصبرهم؟ قاله عطاء، والسدي، وابن زيد، وأبو بكر بن عياش. والثاني: أنها للتعجب، كقولك: ما أحسن زيداً، وما أعلم عمراً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية التعجب، والله يعجبُ المخلوقين، ولا يعجب هو كمعجبهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَكَّى أَلَيْسَ بِالْحَقِّ وَلَئِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَكَّى أَلَيْسَ بِالْحَقِّ﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدم من الوعيد بالعذاب، فتقديره: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: القرآن. وفي «الحق» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ضد الباطل، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التوراة. ثم في اختلافهم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود والنصارى اختلفوا فيها، فادعى النصارى فيها صفة عيسى، وأنكر اليهود ذلك. والثاني: أنهم خالفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ. والثالث: أنهم خالفوا سلفهم في التمسك بها. والثاني: أنه القرآن، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: إنما يعلمه بشر. والشقاق: معاداة بعضهم لبعض. وفي معنى «بعيد» قولان: أحدهما: أن بعضهم متباعد في مشاقة بعض، قاله الزجاج. والثاني: أنه بعيد من الهدى.

﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا بِمُؤْمِنِكُمْ فَيَكِلَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ مَعَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاللَّهْبُكَةُ وَالْكِتَابُ وَالْيَتِيمَ وَمَا كَمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الشَّرَفِ وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْأَسْلَابِ وَأَتَمَّ الصَّلَاةَ وَمَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرْقَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا بِمُؤْمِنِكُمْ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً سأل عن «البر»، فأنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله ف تلاها عليه. وفيمن حُوطب بها قولان: أحدهما: أنهم المسلمون. والثاني: أهل الكتابيين. فعلى القول الأول؛ معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وسفيان. وعلى القول الثاني؛ معناها: ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب، وصلاة النصارى إلى المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية، وهذا قول قتادة، والربيع، وعوف الأعرابي، ومقاتل. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ﴾ بنصب الراء. وقرأ الباقر برفعها، قال أبو علي: كلاهما حسن، لأن كل واحد من الاسمين؛ اسم «ليس» وخبرها، معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما تتكافأ التكرتان. وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال: أحدها: الإيمان. والثاني: التقوى. والثالث: العمل الذي يقرب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ مَعَنَ بِاللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ولكن البر بر من آمن بالله. والثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله، حكاهما الزجاج. وقرأ نافع، وابن عامر: (ولكني البر) بتخفيف نون «لكن» ورفع «البر». وإنما ذكر اليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث. وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى الكتب، فيدخل في هذا اليهود، لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ في هاء «حبه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المال. والثاني: إلى الإيتاء. وكان الحسن إذا قرأها قال: سوى الزكاة المفروضة.

قوله تعالى: ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ يريد: قرابة المعطي. وقد شرحنا معنى: ﴿وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ﴾ عند رأس ثلاث



وثمانين آية من هذه السورة. فاما ﴿وَإِنَّ السَّيْلَ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضيف، قاله سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الذي يمر بك مسافراً، قاله الربيع بن أنس، وعن مجاهد، وقناة كالقولين. وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: هو المنقطع به يريد بلداً آخر. وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وأبي سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى، ويحققه: أن السبيل الطريق، وابنه: صاحبه الضارب فيه، فله حق على من يمر به إذا كان محتاجاً. ولعل أصحاب القول الأول أشاروا إلى هذا، لأنه إن كان مسافراً، فإنه ضيف لم ينزل. والقول الثالث: أنه الذي يريد سافراً، ولا يجد نفقة، ذكره الماوردي وغيره عن الشافعي.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي: في فك الرقاب. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو مروى عن علي بن أبي طالب، والحسن، وابن زيد، والشافعي. والثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور. وعن أحمد كالقولين. فاما البأساء؛ فهي: الفقر. والضراء: المرض. وحين البأس: القتال، قاله الضحاك. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ مَدَّوْا﴾ قال أبو العالية: تكلموا بالإيمان وحقوقه بالعمل.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْمِيتِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُلَيْقَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَكَهُ عَذَابُ آيَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ روى شيبان عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان الحي منهم إذا كان فيهم عدة ومنعة، فقتل عيدهم عبد قوم آخرين؛ قالوا: لن نقتل به إلا حراً، تعزراً لفضلهم على غيرهم. وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين؛ قالوا: لن نقتل بها إلا رجلاً؛ فنزلت هذه الآية. ومعنى «كتب»: فرض، قاله ابن عباس وغيره. والقصاص: مقابلة الفعل بمثله، مأخوذ من: قص الأثر. فإن قيل: كيف يكون فرضاً والولي مخير بينه وبين العفو؟ فالجواب: أنه فرض على القاتل للولي، لا على الولي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية. ودل قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام، ﴿فَأُلَيْقَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبته بالمعروف، بأمر أخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها: ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ يأمر المطالب بأن لا يبخل ولا يماطل ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال سعيد بن جبير: كان حكم الله على أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه دية، فرخص الله لأمة محمد، فإن شاء ولي المقتول عمداً قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ أي: ظلم، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية؛ ﴿فَكهُ عَذَابُ آيَةٍ﴾ قال قتادة: يقتل ولا تقبل منه الدية.

### فصل

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب<sup>(١)</sup> هذه الآية منسوخ، لأنه لما قال: ﴿الْحَرْ بِالْحَرْ﴾؛ اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر، وكذلك لما قال: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ اقتضى أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جهة دليل الخطاب، وذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ رِيبًا أَنَّ النَّفْسَ بِالْنَفْسِ﴾ قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا عند الفقهاء ليس بنسخ، لأن الفقهاء يقولون: دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ قال الزجاج: إذا علم الرجل أنه إن قُتل قُتل، أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أبلغ أبا مالك عني مغلفة وفي العتاب حياة بين أقوام

(١) دليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وهو ثبوت نقيض حكم المنطوق للمسكوت.

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. والألباب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عاماً، لأنهم المتفعمون بالخطاب، لكونهم يأترون بأمره ويتنهون بنهيه.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: لعلمكم تتقون الدماء. وقال ابن زيد: لعلمك تتقي أن يقتله فتقتل

به.

### فصل

نقل ابن منصور عن أحمد: إذا قتل رجل رجلاً بعصى، أو خنقه، أو شدخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به. فظاهر هذا: أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها، وهو قول مالك، والشافعي. ونقل عنه حرب: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف. ونقل أبو طالب: إذا خنقه قتل بالسيف. فظاهر هذا: أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: المعنى: وكتب عليكم، إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو. وعلم أن معناه معنى الواو، وليس المراد: كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت، لأنه في شغل حيثئذ، وإنما المعنى: كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية، فيقول الرجل: إذا أنا مت، فلفلان كذا. فأما الخير هاهنا؛ فهو المال في قول الجماعة. وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال: أحدها: أنه ألف درهم فصاعداً، روي عن علي، وقتادة. والثاني: أنه سبعمائة درهم فما فوقها، رواه طاووس عن ابن عباس. والثالث: ستون ديناراً فما فوقها، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال. قالت عائشة لرجل سألها: إني أريد الوصية، فقالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: هذا شيء يسير، فدعه لعيالك. والخامس: أنه من ألف درهم إلى خمسمائة، قاله إبراهيم النخعي. والسادس: أنه القليل والكثير، رواه معمر عن الزهري. فأما المعروف؛ فهو الذي لا حيف فيه.

### فصل

وهل كانت الوصية ندباً أو واجبة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها كانت ندباً. والثاني: أنها كانت فرضاً، وهو أصح، لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ ومعناه: فرض. قال ابن عمر: نسخت هذه الآية بآية الميراث. وقال ابن عباس: نسختها: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ نَبِيًّا تَمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]. والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟ على قولين، أحدهما أنها لا تجب لأحد.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ قال الزجاج: من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فإنما إثمه على مبدله، لا على الموصي، ولا على الموصى له ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما قد قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله الموصى إليه.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْسَ جَنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْسَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مُوسَى﴾ ساكنة الواو، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ﴿مُؤَصَّ﴾ مفتوحة الواو مشددة الصاد. وفي المراد بالخوف هاهنا قولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: نفس الخوف. فعلى الأول؛ يكون الجور قد وجد. وعلى الثاني: يخشى وجوده. والـ«جنف»: الميل عن الحق. قال الزجاج: ﴿جَنْفًا﴾، أي: ميلاً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، أي: قصد الإثم. وقال ابن عباس: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد. قال أبو سليمان الدمشقي: الجنف: الخروج عن الحق، وقد يسمى به المخطئ والعامد، إلا أن المفسرين علقوا الجنف على المخطئ، والإثم على العامد. وفي توجيه هذه الآية قولان: أحدهما: أن معناها: من حضر رجلاً يموت، فأسرف في وصيته، أو قصر عن حق؛ فليأمره بالعدل، هذا قول مجاهد.

والثاني: أن معناها: من أوصى بجور، فرد وليه وصيته، أو ردها إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وسنة نبيه؛ فلا إثم عليه، وهذا قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّلَحْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الذين أوصى لهم، ولم يجر لهم ذكر، غير أنه لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له، وأنشد القراء:

وما أدري إذا يمممت أرضاً  
أريد الخير أيهما يليني؟  
أأبغض الذي أنا أبغضه  
أم الشر الذي هو يبتغيني

فكُنِّي في البيت الأول عن الشر بعد ذكره الخير وحده، لما في مفهوم اللفظ من الدلالة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الصيام في اللغة: الإمساك في الجملة، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب. والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه. وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الكتاب، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو قول مجاهد. والثاني: أنهم النصارى، قاله الشعبي، والربيع. والثالث: أنهم جميع أهل الملل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. وفي موضع التشبيه في كاف ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ قولان: أحدهما: أن التشبيه في حكم الصوم وصفته، لا في عده. قال سعيد بن جبير: كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم لم يحل له أن يطعم إلى القابلة، والنساء عليهم حرام ليلة الصيام، وهو عليهم ثابت. وقد أرخص لكم. فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَحَلَّ لَكُم مِّنَ اللَّحْمِ مِمَّا كُنْتُمْ لَا تَأْكُلُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فإنها فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين. والثاني: أن التشبيه في عدد الأيام. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه فرض على هذه الأمة صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد كان ذلك فرضاً على من قبلهم. قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: كان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ برمضان. قال معمر عن قتادة: كان الله قد كتب على الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ والثاني: أنه فرض على من قبلنا صوم رمضان بعينه. قال ابن عباس: فقدم النصارى يوماً ثم يوماً، وأخروا يوماً، ثم قالوا: نقدم عشراً ونؤخر عشراً. وقال السدي عن أشياخه: اشتد على النصارى صوم رمضان، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا ففعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا. فعلى هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ تَفَقُّونَ﴾ لأن الصيام وصلة إلى التقى، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي، وقيل: لعلكم تفقون محظورات الصوم.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمَا عَلَيْهِ مِنَ صَوْمَةٍ فَاذْكُفُّوا عَنْهَا وَذَاكَ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعًا وَيُطَهِّرَ تَحَنُّنًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال الزجاج: نصب «أياماً» على الظرف، كأنه قال: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام. والعامل فيه «الصيام»، كأنَّ المعنى: كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر. والثاني: أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء. والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح. وتكون الآية محكمة في هذا القول، وفي القولين قبله تكون منسوخة، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَمَا عَلَيْهِ مِنَ صَوْمَةٍ فَاذْكُفُّوا عَنْهَا﴾ فيه إضمار: فافطر.

### فصل

وليس المرض والسفر على الإطلاق، فإن المريض إذا لم يضر به الصوم؛ لم يجز له الإفطار، وإنما الرحمة

موقوفة على زيادة المرض بالصوم. واتفق العلماء أن السفر مقدر، واختلفوا في تقديره، فقال أحمد، ومالك، والشافعي: أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً؛ يومان، وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً. وقال الأوزاعي: أقله مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ. وقيل: إن السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف، يقال: سfert المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح: إذا أضاء، فسمي الخروج إلى المكان البعيد: سفرأ، لأنه يكشف عن أخلاق المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ نقل عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية، ثم نسخت. وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس: (وعلى الذين يطوقونه) بضم الباء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة.

قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي ﴿فِدْيَةٌ﴾ منون ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ موحد. وقرأ نافع، وابن عامر: «فدية» بغير تنوين «طعام» بالخفض «مساكين» بالجمع. قال أبو علي: معنى القراءة الأولى: على كل واحد طعام مسكين. ومثله: ﴿تَأْتِلُوهُمْ ثَمِينًا﴾ [النور: ٤]. أي: اجلدوا كل واحد ثمانين. قال أبو زيد: أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة، وأعطانا كلنا مئة، أي: فعل ذلك بكل واحد منا. قال: فأما من أضاف الفدية إلى الطعام، فكإضافة البعض إلى ما هو بعض له، وذلك أنه سمي الطعام الذي يفدى به: فدية، ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها، فهو على هذا من باب: خاتم حديد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن التطوع إطعام مساكين، قاله طاووس. والثالث: أنه زيادة المسكين على قوته، وهو مروى عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائد إلى من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين المخيرين بين الصوم والإطعام على ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوي قول القائلين بنسخ الآية.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَلَّكُمْ ثَنَاقَاتٌ مِّنَ اللَّهِ﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ قال الأخفش: شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام، كأنه لما قال: ﴿إِنَّمَا تَعُدُّونَهُ﴾ فسرنا فقال: هي شهر رمضان. قال أبو عبيد: وقرأ مجاهد: (شهر رمضان) بالنصب، وأراه نصبه على معنى الإغراء: عليكم شهر رمضان فصوموه، كقوله: ﴿يَلَا أَيْكُمُ﴾ وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قلت: ومن قرأ بالنصب معاوية، والحسن، وزيد بن علي، وعكرمة، ويحيى بن يعمر. قال ابن فارس: المرض: حر الحجارة من شدة حر الشمس، ويقال: شهر رمضان، من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام مرض الحر، ويجمع على رمضانات، وأرمضاء، وأرمضة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا. قاله ابن عباس. والثاني: أن معناه: أنه أنزل القرآن بفرض صيامه، روي عن مجاهد، والضحاك. والثالث: أن معناه: إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ قاله ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: والفرقان: المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: من كان حاضراً غير مسافر. فإن قيل: ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر في هذه الآية، وقد تقدم ذلك؟ قيل: لأن في الآية المتقدمة منسوخاً، فأعاده لئلا يكون مقروناً بالمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصوم فيه. وقال عمر بن عبد العزيز: أي ذلك كان أيسر عليك فافعل: الصوم في السفر، أو الفطر.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْمِلُوا الْيَذَّةَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلْيَكْمِلُوا﴾ بإسكان الكاف خفيفة. وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الميم، وذلك مثل: «وَصَى» و«أَوْصَى» وقال ابن عباس: ولتكمّلوا عدة ما أفطرتكم. وقال بعضهم: المراد به: لا تزيدوا على ما افترض، كما فعلت النصارى، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته. ﴿وَلْيَكْمِلُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال، أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم. فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَلْيَكْمِلُوا الْيَذَّةَ وَلْيَكْمِلُوا اللَّهَ﴾ وليس هناك ما يعطف عليه؟ فالجواب: أن هذه الواو عطفت اللام التي بعدها على لام محذوفة، والمعنى: ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم، ولتكمّلوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، ذكره ابن الأنباري.

### فصل

ومن السنة إظهار التكبير ليلة الفطر، وليلة النحر، وإذا غدوا إلى المصلّى. واختلفت الرواية عن أحمد عليه السلام متى يقطع في عيد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة. ونقل الأثرم. إذا جاء المصلّى قطع. قال القاضي أبو يعلى: يعني: إذا جاء المصلّى وخرج الإمام.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أقرب ربنا فتناجيه، أم بعيد فتناديه؟ فنزلت هذه الآية، رواه الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده. والثاني: أن يهود المدينة قالوا: يا محمداً كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم قالوا: يا رسول الله! لو نعلم أية ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والرابع: أن أصحاب النبي قالوا له: أين الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله الحسن. والخامس: أنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين بعد النوم الأكل والجماع؛ أكل رجل منهم بعد أن نام، ووطئ رجل بعد أن نام، فسألوا: كيف التوبة مما عملوا؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: إذا سألك عني؛ فأعلمهم أنني قريب. وفي معنى «أجيب» قولان: أحدهما: أسمع، قاله الفراء، وابن القاسم. والثاني: أنه من الإجابة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليجيبوني. قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

أراد: فلم يجبه. وهذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال أبو العالية: يعني: يهتدون.

### فصل

إن قال قائل: هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجيب أدعية الداعين، وترى كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم! فالجواب: أن أبا سعيد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلاً»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الدعاء تفتقر لإجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله، ومنها أكل الحلال، فإن أكل الحرام

(١) رواه أحمد في «المستند» عن أبي سعيد الغدري رضي الله عنه، ورواه البزار، وأبو يعلى بإسناد جيد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

يمنع إجابة الدعاء، ومنها حضور القلب، ففي بعض الحديث: «لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك، فيجيب إلى مقصوده الأصلي، وهو: طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع.

﴿أَيُّلَ لَكُمْ يَلَكَّ الْوَيْسَارُ الرَّفْتُ إِنْ يَسَابِكُمْ مِنْ يَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمُ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاقْنِ بَيْنَهُمْ وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا وَيَسَمِ إِلَى الْيَلِ وَلَا تَبْشُرُوا فِي السَّجْدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّلَ لَكُمْ يَلَكَّ الْوَيْسَارُ الرَّفْتُ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع، حرماً عليه إلى أن يفطر، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلى أهله، فقال: عشوني، فقالوا: حتى نسخر لك طعاماً، فوضع رأسه فنام، فجاءوا بالطعام، فقال: قد كنت نمت، فبات يتقلب ظهراً لبطن، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فأخبره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! إني أردت أهلي الليلة، فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فأخبرتني أنها قد نامت، فأنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب: ﴿أَيُّلَ لَكُمْ يَلَكَّ الْوَيْسَارُ الرَّفْتُ إِنْ يَسَابِكُمْ﴾ وأنزل الله في الأنصاري: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ هذا قول جماعة من المفسرين. واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال: أحدها: قيس بن صرمة، قاله البراء. والثاني: صرمة بن أنس، قاله القاسم بن محمد. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: صرمة بن مالك. والثالث: ضمرة بن أنس. والرابع: أبو قيس بن عمر<sup>(٢)</sup>. وذكر القولين أبو بكر الخطيب. فأما «الرفث» فقال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن جبير في آخرين: هو الجماع.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَاسٌ لَهُنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اللباس السكن. ومثله ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ يَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]. أي: سكتاً. وهذا قول ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقاعدة. والثاني: أنهم بمنزلة اللباس، لإفشاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه، فكفى عن اجتماعهما متجردين باللباس. قال الزجاج: والعرب تسمي المرأة: لباساً وإزاراً، قال التابغة الجعدي:

إذا ما الضجيج ننى جيدها  
تشتت فكانت عليه لباساً

وقال غيره:

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً  
فدى لك من أخي ثقة إزاري

يريد بالإزار: امرأته.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمُ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن قتيبة: يريد: تخونونها بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم. قال ابن عباس: وعنى بذلك فعل عمر، فإنه أتى أهله، فلما اغتسل أخذ يلوم نفسه ويبيكي. ﴿فَاقْنِ بَيْنَهُمْ﴾: أصل المباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة. وقال ابن عباس: المراد بالمباشرة هاهنا: الجماع. ﴿وَأَتَقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الولد، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد في آخرين. قال بعض أهل العلم: لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع، أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد، فقال: ﴿وَأَتَقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يريد: الولد. والثاني: أن الذي كتب لهم الرخصة، وهو قول قتادة، وابن زيد. والثالث: أنه ليلة القدر. رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والرابع: أنه القرآن، فمعنى الكلام: اتبعوا القرآن، فما أبيض لكم وأمرتم به فهو المتبغى، وهذا اختيار الزجاج.

(١) رواء أحمد في «المستند» عن عبد الله بن عمرو، وفي سننه ابن ليعمة، وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترمذي ولفظه: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»، وفي سننه ضعف.

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» أن الناس اختلفوا في اسم الأنصاري هذا، فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكتيبة، وبعضهم نسب لجد، وبعضهم قلب نسبه، وبعضهم صفه «ضمرة» ورجح أن صوابه «أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي».

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ يَبَيِّنُ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ قال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية، عمدت إلى عقالين، أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض، فلما أصبحت؛ غدت على رسول الله فأخبرته، فضحك وقال: «إِنْ كَانَ وَسَادُكَ إِذَا لَمَرِضُ، إِنَّمَا ذَاكَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup>. وقال سهل بن سعد: نزلت هذه الآية: ﴿حَيْثُ يَبَيِّنُ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيهما، فأنزل الله بعد ذلك ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار.

### فصل

إذا شك في الفجر، فهل يدع السحور أم لا؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السحور، بل يأكل حتى يستيقظ طلوع الفجر. وقال مالك: أكره له أن يأكل إذا شك في طلوع الفجر، فإن أكل فعليه القضاء. وقال الشافعي: لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَغُوا مِنْهُ وَآتَاكُمْ عَنْكُمْ وَفِي الْمَسْجِدِ﴾ في هذه المباشرة قولان: أحدهما: أنها المجامعة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها ما دون الجماع من اللمس والقبلة، قاله ابن زيد. وقال قتادة: كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد، فلقى امرأته باشرها إذا أراد ذلك، فوعظهم الله في ذلك.

### فصل

الاعتكاف في اللغة: اللبث، يقال: فلان معتكف على كذا، وعاكف. وهو فعل مندوب إليه، إلا أن ينذره الإنسان، فيجب. ولا يجوز إلا في مسجد تقام فيه الجماعات، ولا يشترط في حق المرأة مسجد تقام فيه الجماعة، إذ الجماعة لا تجب عليها. وهل يصح بغير صوم؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني: المباشرة ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ قال الزجاج: الحدود ما منع الله من مخالفتها، فلا يجوز مجاوزتها. وأصل الحد في اللغة: المنع، ومنه: حد الدار، وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها. والحداد في اللغة: الحاجب والبواب، وكل من منع شيئاً فهو حداد. قال الأعشى:

فقمنا ولما يصح ديكنا إلى جونة عند حدادها

أي: عند ربها الذي يمنعها إلا بما يريده. وأحدث المرأة على زوجها، وحذت، فهي حاد، ومحد: إذا قطعت الزينة، وامتنعت منها، وأحدثت النظر إلى فلان: إذا منعت نظرك من غيره. وسمي الحديد حديداً، لأنه يمتنع به الأعداء.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة القيس بن عابس<sup>(٢)</sup>، وعبدان الحضرمي، اختصما في أرض، وكان عبدان هو الطالب ولا بيعة له، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ عليه النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْتَرَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]. فكره أن يحلف، ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية. هذا قول جماعة، منهم سعيد بن جبیر. ومعنى الآية: لا يأكل بعضكم أموال بعض، كقوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: والباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكة، كالسرقة، والغصب، والخيانة. والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه، كالقمار، والغناء، وثمر الخمر. وقال الزجاج: الباطل: الظلم. ﴿وَتُدْلُوا﴾ أصله في

(١) رواه أحمد في «المستد» وهو في «الصحيحين» من غير وجه. (٢) في الأصل: ابن عباس.



اللغة من: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوها: إذا أخرجتها. ومعنى أدلى فلان بحجته: أرسلها، وأتى بها على صحة. فمعنى الكلام: تعملون على ما يوجب إدلاء الحجة، وتخونون في الأمانة، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن. وفي هاء «بها» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأموال، كأنه قال: لا تصانعوا ببعضها جَوْرَةَ الحكام. والثاني: أنها ترجع إلى الخصومة، فإن قيل: كيف أعاد ذكر الأكل فقال: «ولا تأكلوا» و«لتأكلوا»؟ فالجواب: أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، فأعادها للزيادة في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

﴿يَسْأَلُكَ عَنِ الْآهْلِ قُلُوبُ مَوَاقِيتِ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ عَنِ الْآهْلِ﴾ هذه الآية من أولها إلى قوله: ﴿وَالْحَجَّ﴾ نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُكَ عَنِ الْآهْلِ قُلُوبُ مَوَاقِيتِ النَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ هذا قول ابن عباس. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ إلى آخرها، يدل على سبب آخر، وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، ففسى رجل، فدخل من باب، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ هذا قول البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم بالشئ فاحتبس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن. والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه. فاما التفسير؛ فإنما سأله عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة ونقصانها، فأخبرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك. والأهلة: جمع هلال. وكم يبقى الهلال على هذه التسمية؟ فيه للعرب أربعة أقوال: أحدها: أنه يسمى هلالاً لليلتين من الشهر. والثاني: لثلاث ليال، ثم يسمى: قمراً. والثالث: إلى أن يحجر، وتحجيره: أن يسير بخطة دقيقة، وهو قول الأصمعي. والرابع: إلى أن يبهز ضوءه سواد الليل. حكى هذه الأقوال ابن السري، واختار الأول، قال: واشتقاق الهلال من قولهم: استهل الصبي: إذا بكى حين يولد. وأهل القوم بالحج: إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، فسمي هلالاً، لأنه حين يرى يهل الناس بذكره.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد سبق بيانه، واختلف القراء في البيوت وما أشبهها، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بكسر باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الثيوب» وروي عن نافع أنه ضم باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الغيوب» وجيم «الجيوب» وشين «الشيوخ» وروى عنه قالون أنه كسر باء «البيوت» وقرأ أبو عمر، وأبو جعفر بضم الأحرف الخمسة، وكسرها جميعاً حمزة، واختلف عن عاصم. قال الزجاج: من ضم «البيوت» فعلى أصل الجمع: بيت وبيوت، مثل: قلب وقلوب، وفلس وفلوس. ومن كسر؛ فإنما كسر للباء التي بعد الباء، وذلك عند البصريين رديء، لأنه ليس في الكلام فعول بكسر الفاء. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: إذا كان الجمع على فعول، وثانيه ياء؛ جاز فيه الضم والكسر، تقول: بُيُوتٌ وبيوت، وشُيُوخٌ وشيوخ، وقُبُودٌ وقبُود.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْسِدُوا رِيسَ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت، ونحر هديه بالحديبية، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل؛ رجع، فلما تجهز في العام المقبل؛ خاف أصحابه أن لا

(١) روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره، فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ورواه مسلم، وابن جرير قريباً من لفظ المؤلف.





في جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم، وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل، ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي. وإنما أحلت لي ساعة من النهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. فبين ﷺ أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعاً، وهذا أمر مستمر، والحكم غير منسوخ، وقد ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرِيعَةَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا﴾ [التوبة: ٥]. فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال. وذهب الربيع بن أنس، وابن زيد إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وزعم مقاتل أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ﴾. والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿إِن تَنَالُواهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ قال مقاتل: أي: فقاتلوهم.

﴿إِن أَنْتَبَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَنَالُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقاتلكم. والثاني: عن كفرهم. والثالث: عن قتالكم دون كفرهم. فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة، ويكون معنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور لشركهم وجرمهم، وعلى القول الأخير؛ يكون في معنى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قولان: أحدهما: غفور لكم حيث أسقط عنكم تكليف قتالهم. والثاني: أن معناه: يأمركم بالغفران والرحمة لهم. فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية السيف.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَبَهُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة في آخرين: الفتنة هاهنا: الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد. والعدوان: الظلم، وأريد به هاهنا: الجزاء، فسمي الجزاء عدواناً مقابلة للشيء بمثله، كقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ والظالمون هاهنا: المشركون، قاله عكرمة، وقاتدة في آخرين.

### فصل

وقد روي عن جماعة من المفسرين، منهم قتادة؛ أن قوله تعالى: ﴿إِنِ أَنْتَبَهُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، فأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم؛ فالآية محكمة.

﴿النَّبِيُّ أَوْ لَا النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْكَرْبُ وَالْمَرْثُ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْ لَا النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ﴾ هذه الآية نزلت على سبب، واختلفوا فيه على قولين: أحدهما: أن النبي ﷺ أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى، فصلهم المشركون، فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في الغام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلام، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل؛ أقبل هو وأصحابه فدخلوها، فافتخر المشركون عليه إذ رده يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي رده فيه، فقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْ لَا النَّبِيَّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْكَرْبُ وَالْمَرْثُ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقاتدة في آخرين. والثاني: أن مشركي العرب قالوا للنبي ﷺ: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «نعم» وأرادوا أن يقتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن، واختاره إبراهيم بن السري والزجاج. فأما أرباب القول



رزين، والحسن، والشعبي. وقراءة الجمهور تدل على وجوبها. وممن ذهب إلى أن العمرة واجبة: علي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأحمد، والشافعي. وروي عن ابن مسعود، وجابر، والشعبي، وإبراهيم، وأبي حنيفة، ومالك، أنها سنة وتطوع.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ قال ابن قتبية: يقال: أحصره المرض والعدو: إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية. وحصره العدو: إذا ضيق عليه. وقال الزجاج: يقال للرجل إذا حبس: قد حصر، فهو محصور. وللعلماء في هذا الإحصار قولان: أحدهما: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً. وهذا مذهب ابن عمر، وابن عباس، وأنس، ومالك، والشافعي، وأحمد. ويدل عليه قوله: ﴿فَإِذَا أُنْتُمْ﴾. والثاني: أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر، وهو قول عطاء، ومجاهد، وقتادة، وأبي حنيفة. وفي الكلام اختصار وحذف، والمعنى: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتكم؛ فعليكم ما استيسر من الهدي. ومثله: ﴿أَوْ بِذِي أَدَىٰ يَنْ رَأْيِيهِ فَيَذِيهِ﴾ تقديره: فحلقت، ففدية. والهدي: ما أهدي إلى البيت. وأصله: هديّ مشدد، فخفف، قاله ابن قتبية. وبالتشديد يقرأ الحسن، ومجاهد. وفي المراد بـ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شاة، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر، وعائشة، والقاسم. والثالث: أنه على قدر الميسرة، رواه طاووس عن ابن عباس. وروي عن الحسن، وقتادة قالاً: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شاة. وقال أحمد: الهدي من الأصناف الثلاثة، من الإبل والبقر والغنم، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، ومالك، والشافعي، رحمهما الله.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ قال ابن قتبية: المحل: الموضع الذي يحل به نحره، وهو من: حل يحل. وفي المحل قولان: أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين، والثوري، وأبو حنيفة. والثاني: أنه الموضع الذي أحصر به فيذبحه ويحل، قاله مالك، والشافعي، وأحمد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى يَنْ رَأْيِيهِ فَيَذِيهِ﴾ هذا نزل على سبب، وهو أن كعب بن عجرة كثر قمل رأسه حتى تهافت على وجهه، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: في نزلت خاصة<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اقتضى قوله: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ تحريم حلق الشعر، سواء وجد به الأذى، أو لم يجد، حتى نزل: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى يَنْ رَأْيِيهِ فَيَذِيهِ﴾ فاقضى هذا إباحة حلق الشعر عند الأذى مع الفدية، فصار ناسخاً لتحريمه المتقدم. ومعنى الآية: فمن كان منكم - أي: من المحرمين، محصراً كان أو غير محصر - مريضاً، واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام، ففعله، أو به أذى من رأسه فحلقت؛ ففدية من صيام. وفي الصيام قولان: أحدهما: أنه ثلاثة أيام، روي في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ <sup>(٢)</sup> وهو قول الجمهور. والثاني: أنه صيام عشرة أيام، روي عن الحسن وعكرمة، ونافع. وفي الصدقة قولان: أحدهما: أنه إطعام ستة مساكين، روي في حديث كعب<sup>(٣)</sup>، وهو قول من قال: الصوم ثلاثة أيام. والثاني: أنها إطعام عشرة مساكين، وهو قول من أوجب صوم عشرة أيام. والنسك: ذبح شاة، يقال: نسكت الله، أي: ذبحت له. وفي النسك لغتان: ضم النون والسين، وبها قرأ الجمهور، وضم النون مع تسكين السين، وهي قراءة الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْتُمْ﴾، أي: من العدو، إذ المرض لا تؤمن معاودته، وقال علقمة في آخرين: فإذا أمنت من الخوف والمرض. ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَيْجِ﴾ معناه: من بدأ بالعمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك؛ فعليه ما استيسر من الهدي. وهذا قول ابن عمر، وابن المسيب، وعطاء، والضحاك. وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدي.

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

﴿قَدْ لَمْ يَجِدْ قَصِيماً تَلْتَلِيهِ أَيْمَرُ فِي لَحَجِّ﴾ قال الحسن: هي قبل التروية بيوم، و[يوم] التروية، و[يوم] عرفة، وهذا قول عطاء، والشعبي، وأبي العالية، وابن جبير، وطاوس، وإبراهيم. وقد نقل عن علي عليه السلام. وقد روي عن الحسن، وعطاء قالوا: في أي العشر شاء صامهم. ونقل عن طاوس، ومجاهد، وعطاء، أنهم قالوا: في أي أشهر الحج شاء فليصمهم ونقل عن ابن عمر أنه قال: من حين يحرم إلى يوم عرفة.

### فصل

فإن لم يجد الهدي، ولم يصم الثلاثة أيام قبل يوم النحر، فماذا يصنع؟ قال عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن جبير، وطاوس، وإبراهيم: لا يجزئه إلا الهدي ولا يصوم. وقال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام منى. ورواه صالح عن أحمد، وهو قول مالك. وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيام التشريق، بل يصوم بعدهن. روي عن علي. ورواه المروزي عن أحمد، وهو قول الشافعي.

### فصل

فإن وجد الهدي بعد الدخول في صوم الثلاثة أيام، لم يلزمه الخروج منه، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يلزمه الخروج، وعليه الهدي. وقال عطاء: إن صام يومين ثم أيسر؛ فعليه الهدي. وإن صام ثلاثة ثم أيسر؛ فليصم السبعة، ولا هدي عليه. وفي معنى قوله: ﴿فِي لَحَجِّ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: في أشهر الحج. والثاني: في زمان الإحرام بالحج. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: إذا رجعتن إلى أمصاركم، قاله ابن عباس، والحسن، وأبو العالية، والشعبي، وقتادة. والثاني: إذا رجعتن من حجكم، وهو قول عطاء، وسعيد بن جبير، وأبي حنيفة، ومالك. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله، يعني أحمد بن حنبل: فصيام السبعة أيام إذا رجع متى يصومهن؟ أفي الطريق، أم في أهله؟ قال: كل ذلك قد تأوله الناس. قيل لأبي عبد الله: ففرق بينهم، فرخص في ذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: كاملة في قيامها مقام الهدي، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، والحسن. قال القاضي أبو يعلى: وقد كان يجوز أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي في باب استكمال الثواب، فأعلمنا الله تعالى أن العشرة بكاملها هي القائمة مقامه. والثاني: أن الواو قد تقوم مقام «أو» في مواضع، منها قوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتِلْكَ وَرِثَةُ﴾ [النساء: ٣] فأزال الله تعالى احتمال التخيير في هذه الآية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثالث: أن ذلك للتوكيد. وأنشدوا للفرزدق:

ثلاث واثنتان فهن خمس  
وسادة تميل إلى شامي  
وقال آخر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا

وقال آخر:

كم نعمة كانت له كم كم وكم

والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء لتوكيده. والرابع: أن معناه: تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج، والسبعة بعد، لتلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها لفظة خبر، ومعناها الأمر، فتقديره: تلك عشرة فأكملوها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلى الحج. والثاني: أنه الجزء بالنسك والصيام. واللام من «المن» في هذا القول بمعنى: «على». فأما حاضروا المسجد الحرام؛ فقال ابن عباس، وطاوس، ومجاهد: هم أهل الحرم. وقال عطاء: من كان منزله دون المواقيت. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: إن هذا الفرض لمن كان من الغبراء، وإنما ذكر أهله، وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَمَسَ فِيهِكَ الْمَخَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْكُنَهُ اللَّهُ وَيَكْرَهُدُوا قِلَابَكَ خَيْرَ الْأَزَاوِ النَّفَوَى وَتَقْوَى يَتَأَوَّلُ الْأَلْبَسِ ﴿١٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ في الحج لفتان. فتح الحاء، وهي لأهل الحجاز، وبها قرأ الجمهور. وكسرها، وهي لتميم، وقيل: لأهل نجد، وبها قرأ الحسن. قال سيويه: يقال: حج حجاً، كقولهم: ذكر ذكراً. وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة. قال الفراء: المعنى: وقت الحج هذه الأشهر. وقال الزجاج: معناه: أشهر الحج أشهر معلومات. وفي أشهر الحج قولان: أحدهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، قاله ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، والشعبي، وطاووس، والنخعي، وقتادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي رحمهم الله. والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والزهري، والربيع، ومالك بن أنس. قال ابن جرير الطبري: إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، إنما هي للحج، وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء منى، وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها. قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ وهي شهران وبعض الآخر على عادة العرب. قال الفراء: تقول العرب: له اليوم يومان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر. وتقول: زرتك العام، وأنتك اليوم، وإنما وقع الفعل في ساعة. وذكر ابن الأنباري في هذا قولين: أحدهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ وإنما يريد عائشة وصفوان. وكذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ يريد: داود وسليمان. والثاني: أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت.

### فصل

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج، فقال عطاء، وطاووس، ومجاهد، والشافعي: لا يجزئه ذلك، وجعلوا فائدة قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أنه لا ينعقد الحج إلا فيهن. وقال أبو حنيفة، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل: يصح الإحرام بالحج قبل أشهر، فعلى هذا يكون قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أي: معظم الحج يقع في هذه الأشهر، كما قال النبي ﷺ: «الحج عرقة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ رَمَسَ فِيهِكَ الْمَخَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قال ابن مسعود: هو الإهلال بالحج، والإحرام به. وقال طاووس، وعطاء: هو أن يلي. وروى عن علي، وابن عمر، ومجاهد، والشعبي في آخرين: أنه إذا قلّد بدنته فقد أحرم، وهذا محمول على أنه قلدها نواياً للحج. ونص الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله في رواية الأثرم: أن الإحرام بالنية. قيل له: يكون محرماً بغير تلبية؟ قال: نعم إذا عزم على الإحرام، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وأبو جعفر: «فلا رفث ولا فسوق» بالضم والتنوين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير تنوين، ولم يرفع أحد منهم لام «جدال» إلا أبو جعفر. قال أبو علي: حجة من فتح أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، لأنه بالفتح قد نفى جميع الرفث والفسوق، كقوله: ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾ فإذا رفع ونوّن؛ كان النفي لواحد منه، وإنما فتحوا لام الجدال، ليتناول النفي جميع جنسه، فكل ذلك يبين أن يكون جمع الاسمين قبله. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفى جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد بالمعنى: الجميع. وفي الرفث ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وابن عباس، وعمرو بن

(١) رواء أحمد في «المستد» وأصحاب «السنن» والحاكم، والبيهقي، كلهم عن عبد الرحمن بن بصر المديني رحمهم الله، وسنده صحيح.

دينار في آخرين. والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن الزبيدي. وفي الفسوق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه التنازع بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وقتادة في آخرين، وهو الذي نختاره، لأن المعاصي تشمل الكل، ولأن الفاسق: الخارج من الطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْرَأُ فِي الْحَيِّ﴾ الجدال: المراء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن معناه: لا يماري أحداً، فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاووس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهري، والضحاك في آخرين. والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه، قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة، ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»<sup>(١)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه، والقاسم بن محمد.

قوله تعالى: ﴿وَكُرِّدُوا فَإِنَّ هَٰذَا الْآزَادُ أَلْبَنٌ﴾ قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فيسألون الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُرِّدُوا فَإِنَّ هَٰذَا الْآزَادُ أَلْبَنٌ﴾<sup>(٢)</sup> قال الزجاج: أمروا أن يتزودوا، وأعلموا أن خير ما تزودوا تقوى الله ﷻ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ كَذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنْ عَرَقٍ قَدْ ذُكِّرُوا اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَارِ وَأَذَكَّرُوا كَمَا هَذَنَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوَنِ الصَّالِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَاخَ النَّكَاشِ وَأَسْتَنْزِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم، ويقولون: أيام ذكر، فنزلت هذه الآية. والابتغاء: الالتماس. والفضل هاهنا: التماس الرزق بالتجارة والكسب. قال ابن قتبية: «أَفْضَلُ»، بمعنى: دفعتم. وقال الزجاج: معناه: دفعتم بكثرة، يقال: أفاض القوم في الحديث، إذا اندفعوا فيه، وأكثروا التصرف. وفي تسمية «عرفات» قولان: أحدهما: أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفات قال: قد عرفت، فسميت «عرفة» قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها، قاله الضحاك. قال الزجاج: والمشرع: المعلم، سمي بذلك، لأن الصلاة عنده. والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج، وهو مزدلفة، وهي جمع يسمى بالاسمين. قال ابن عمر، ومجاهد: المشعر الحرام: المزدلفة كلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرُوا كَمَا هَذَنَكُمْ﴾ أي: جزاء هدايته لكم، فإن قيل: ما فائدة تكرير الذكر؟ قيل: فيه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كرره للمبالغة في الأمر به. والثاني: أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول، فحسن تكريره. فالمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهديته. والثالث: أنه كرره ليدل على مواصلته، والمعنى: اذكروه ذكراً بعد ذكر، ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم النحوي. والرابع: أن الذكر في قوله: ﴿وَأَذَكَّرُوا اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَارِ﴾ هو: صلاة المغرب والعشاء اللتان يجمع بينهما بالمزدلفة. والذكر في قوله: ﴿كَمَا هَذَنَكُمْ﴾ هو: الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة جمع، حكاه القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابن

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر نفع بن الحارث. قال العلماء في شرح هذا الحديث: إن العرب كانت تمسكت بملة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأشهر الأربعة، إلا أنهم كانوا إذا احتاجوا للقتال في شهر منها، أخروا تحريمهم إلى الشهر الذي يليه، فكانوا شهراً إلى شهر، حتى اختلط الأمر عليهم، فصادت حجة النبي ﷺ تحريمهم، لأنهم كانوا في تلك السنة حرموا ذا الحجة بمقتضى حسابهم، فأخبر ﷺ أن الاستدارة وافقت ما حكم الله سبحانه وتعالى به يوم خلق السموات والأرض.

(٢) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي.

عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الهدى، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان الثوري.  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثُوهَا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾ قالت عائشة: كانت قريش ومن يدين بدينها، وهم الحمس، يقفون عشية عرفة بالمزدلفة، يقولون: نحن قطن البيت، وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج: سمو الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا. والحماسة: الشدة في كل شيء. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنهم جميع العرب غير الخمس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقادة. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل عليه السلام، قاله الضحاك بن مزاحم. والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الزهري. وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورق العملي: «الناسي» بإثبات الياء. والرابع: أنهم أهل اليمن وربيعة، فإنهم كانوا يفيضون من عرفات، قاله مقاتل. وفي المخاطبين بذلك قولان: أحدهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج على قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم. والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أنني أقول: وجه الكلام على ما قال أهل التفسير: أن فيه تقدماً وتأخيراً، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله. والغفور: من أسماء الله ﷻ، وهو من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكان الغفور هو الساتر لعبده برحمته، أو الساتر للذنوب عباده. والغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة من الكثرة، كقولك: صبور، وضروب، وأكول.

﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ نَتَائِجَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ الْكَاسِرُ مِمَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الْآخِرَةِ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ صِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي آيَاتِهِ مِمَّا دَرَأَتْ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِيَنِ اقْبِرْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَوْمِ تُخْرَجُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ نَتَائِجَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك؛ فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن الحسن، وعطاء، ومجاهد. والثاني: أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا؛ فنزلت هذه الآية. وهذا مروى عن الحسن أيضاً. والثالث: أنهم كانوا إذا قضا مناسكهم، قام الرجل يمني فقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه؛ فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. والمناسك: المتعبدات. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها جميع أفعال الحج، قاله الحسن. والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد. وفي ذكرهم آبائهم أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرارهم بهم. والثاني: أنه حلفهم بهم. والثالث: أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فإنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم. والرابع: أنه ذكر الأطفال الآباء، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم، روي هذا المعنى عن عطاء، والضحاك. وفي «أر» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «بل». والثاني: بمعنى الواو. و«الخلاص»: قد تقدم ذكره. وفي حسنة الدنيا سبعة أقوال: أحدها: أنها المرأة الصالحة، قاله علي. والثاني: أنها العبادة، رواه سفيان بن حسين عن الحسن. والثالث: أنها العلم والعبادة، رواه هشام عن الحسن. والرابع: المال، قاله أبو وائل، والسدي، وابن زيد. والخامس: العافية، قاله قتادة. والسادس: الرزق الواسع، قاله مقاتل. والسابع: النعمة، قاله ابن قتيبة. وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحور العين، قاله علي عليه السلام. والثاني: الجنة، قاله الحسن، والسدي، ومقاتل. والثالث: العفو والمعافة، روي عن الحسن، والثوري.

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾.



قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ قال الزجاج: معناه: دعاؤهم مستجاب، لأن كسبهم هاهنا هو الدعاء، وهذه الآية متعلقة بما قبلها، إلا أنه قد روي أنها نزلت على سبب يخالف سبب أخواتها، فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله! مات أبي ولم يحج، فأحج عنه؟ فقال: «لو كان على أبيك دين قضيته، أما كان ذلك يجزئ عنه؟» قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى!» قال: فهل لي من أجر؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال: أحدها: أنه قلته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: أن المعنى: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّسْكُورَةٍ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج. والثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضة. واختلف أرباب هذا القول في الوقت الذي يبتدئ فيه بالتكبير ويقطع على ستة أقوال: أحدها: أنه يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى [ما] بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي، وأبو يوسف، ومحمد. والثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود، وأبو حنيفة. والثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك بن أنس، وهو أحد قولي الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ومذهب إمامنا أحمد أنه إن كان محلاً، كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة؛ أولها الفجر يوم عرفة، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محراً كبر عقب سبعة عشر صلاة؛ أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق. وهل يختص هذا التكبير عقب الفرائض بكونها في جماعة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان: إحداهما: يختص بمن صلاها في جماعة، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله. والثانية: يختص بالفريضة، وإن صلاها وحده، وهو قول الشافعي. وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن علي، وابن عمر. والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبيرة، والنخعي. قال الزجاج: «ومعدودات» يستعمل كثيراً للشيء القليل، كما يقال: دريهمات وحمامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَبَّأَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى؛ فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منى، فلا إثم عليه. فإن قيل: إنما يخاف الإثم المتعجل، فما بال المتأخر الحق به، والذي أتى به أفضل؟! فنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال: لا إثم عليه، لتوافق اللفظة الثانية الأولى، كقوله: ﴿فَمَنْ تَجَبَّأَ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَالِيَهُ﴾. والثاني: أن المعنى: فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة. والثالث: أن المعنى: قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجهما. والرابع: أن المعنى: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى. وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوال: أحدها: لمن اتقى قتل الصيد، قاله ابن عباس. والثاني: لمن اتقى المعاصي في حجه، قاله قتادة. وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه. والثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم.

﴿وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يُعْجِلُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يُعْجِلُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

(١) لم يذكر هذا الحديث في شيء من كتب الحديث والتفسير التي بين أيدينا على أنه سبب لنزول الآية، والأحاديث في جواز الحج عن الغير وردت من طرق صحيحة عن ابن عباس وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أحدهما: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبي الحسن، ويحلف له أنه يحبه، ويتبعه على دينه، وهو يضمير غير ذلك، هذا قول ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت فيمن نافق فظاهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أنها نزلت في سرية الرجيع<sup>(١)</sup>، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا، فابعث لنا نفرًا من أصحابك يعلمونا ديننا، فبعث ﷺ خبيب بن عدي، ومرثدأ الغنوي، وخالد بن بكر، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فساروا نحو مكة، فنزّلوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر، فأكلوا منه، فمرت عجوز فأبصرت النوى، فرجعت إلى قومها وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب، فركب سبعون منهم حتى أحاطوا بهم، فحاربوهم، فقتلوا مرثدأ، وخالدًا، وابن طارق، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهم، فقتل بكل سهم رجلًا من عظمائهم، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فأحمي لحمي آخر النهار، ثم أحاطوا به فقتلوه، وأرادوا حَرْزَ رأسه لبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، فنزلت: لئن قدرت على رأسه لثشرين في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالى رَجُلًا<sup>(٢)</sup> من الدبر - وهي: الزنابير - فحمته، فلم يقدروا عليه، فقال: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه، فنأخذه، فجاءت سحابة فأمطرت كالعزالي، فبعث الله الوادي، فاحتمله فذهب به، وأسروا خبيبًا وزيدًا، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبًا ليقتلوه، لأنه قتل آباءهم، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب؛ لذت، وأنشأ يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً  
على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ  
يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك سلامي، فجاءه رجل منهم يقال له: أبو سروعة، ومعه رمح، فوضعه بين يدي خبيب، فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلا عتوًا. وأما زيد، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فجاءه سفيان بن حرب حين قدم ليقتله، فقال: يا زيدا أنشدك الله، أتحب أن محمداً مكانك، وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذي وأنا جالس في أهلي، ثم قتل<sup>(٣)</sup>. وبلغ النبي الخبر، فقال: «أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة؟» فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يمشيان بالليل ويمكثان بالنهار، حتى وإفيا المكان، وإذا حول الخشب أربعون مشركاً نيام نشاوى، وإذا هو رطب يتثنى لم يتغير فيه شيء بعد أربعين يوماً، فحملة الزبير على فرسه، وسار فلحقه سبعون منهم، فقفز الزبير خبيباً فابتلعه الأرض، وقال الزبير: ما جراًكم علينا يا معشر قريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام، وأمي صفية بنت عبد المطلب، وصاحبي المقداد، أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما، فإن شتمت ناضلتكم، وإن شتمت نازلتنكم، وإن شتمت انصرفتكم، فانصرفوا، وقدا على رسول الله ﷺ وجبريل عنده، فقال: «يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك». وقال بعض المنافقين في أصحاب خبيب: ويح هؤلاء المقتولين، لا في بيوتهم قعدوا، ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية، وثلاث آيات بعدها. وهذا الحديث بطوله مروى عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لسانني هو الذي في قلبي. والثاني: أنه يقول: اللهم اشهد علي بهذا القول. وقرأ ابن مسعود: «ويستشهد الله» بزيادة سين وتاء. وقرأ الحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن وابن أبي عتبة: «وَيَشْهَدُ» بفتح الياء «الله» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَاءِ﴾. الخصام: جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم. قال الزجاج: والألد:

(١) الرجيع: ماء لهليل قرب الهداة بين عسفان ومكة، وهو الموضع الذي غدرت فيه عفل والقارة، بالنفر الذي بعثهم رسول الله ﷺ. انظر «سيرة ابن هشام» ١٦٩/٢.

(٢) الرجل: الكثير.

(٣) روى معنى هذا الحديث البخاري إلى هنا مطولاً في كتاب المغازي من «صحيحه» وفيه قصة مقتل خبيب وزيد وعاصم.

الشديد الخصومة، واشتقاقه من ليددي العنق، وهما صفحتا العنق، ومعناه: أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة، غلبه في ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ سَعَى فِي الْأَرْضِ يُنْفِدْ فِيهَا وَهُوَ لَكَ الْعَرْتُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: غضب، روي عن ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله، قاله الحسن. والثالث: أنه من الولاية، فتقديره: إذا صار والياً، قاله مجاهد والضحاك. والرابع: أنه الانصراف بالبدن، قاله مقاتل وابن قتيبة. وفي معنى «سعى» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: عمل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه من السعي بالقدم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد قولان: أحدهما: أنه الكفر. والثاني: الظلم. والحرث: الزرع. والنسل: نسل كل شيء من الحيوان، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين. وحكى الزجاج عن قوم: أن الحرث: النساء، والنسل: الأولاد. قال: وليس هذا بمنكر، لأن المرأة تسمى حرثاً. وفي معنى إهلاكه للحرث والنسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإفساد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر، فيهلك الحرث والنسل، قاله مجاهد. وهو يخرج على قول من قال: إنه من التولي. والثالث: أنه إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ قال ابن عباس: لا يرضى بالمعاصي. وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة. منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فاما أنه لم يرده وجوداً؛ فلا. والثاني: أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين. والثالث: أن الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرء، ويريد بطل الجرح، ولا يجب شيئاً من ذلك. وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة؛ بطل ادعائهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِبِئَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ١٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ أَلْرَّةُ بِالْإِثْمِ فَصَبَّحَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَكِنَّ الْيَهُودَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ أَلْرَّةُ﴾ قال ابن عباس: هي الحمية. وأنشدوا:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جِهْلِهِ فَتَوَلَّى مَغْضَباً فَعَلَ الضَّجِيرَ

ومعنى الكلام: حملته الحمية على الفعل بالإثم. وفي «جهنم» قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أعجمية لا تجر للتعريف والعجمة. والثاني: أنها اسم عربي، ولم يجر للتأنيث والتعريف. قال رؤية: رُكِيَّةٌ جهنم: بعيدة القعر. وقال الأعشى:

دَعَوْتُ خَلِيلِي مَسْحَلًا وَدَعَا لَهُ جُهَنَامُ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمَذْمُومِ<sup>(١)</sup>

فترك صرفه يدل على أنه اسم أعجمي مُعَرَّب. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه. والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزه. والمهاد: الفراش، ومهدت لفلان: إذا وطأت له، ومنه: مهد الصبي.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَئِيكَ أَتَيْكَاهُ مِنْكَ رَهْوَكَ بِالْكَافِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَئِيكَ أَتَيْكَاهُ مِنْكَ رَهْوَكَ بِالْكَافِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما. والثاني: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباس والضحاك. والثالث: أنها نزلت في صهيب الرومي، واختلفوا في قصته، فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش، فنزل، فانتشل كنانته، وقال: قد علمتم أنني من أرامكم بسهم، وإيم الله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن شئتم دلتكم على مالي. قالوا: فدلنا على مالك نخل عنك، فعاهدكم على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ريح البيع أبا يحيى؟» وقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب، وذكر نحوه أبو

(١) جهنم: لقب لشاعر كان يهاجي الأعشى اسمه «عمرو بن قطن» وقيل: هو اسم شيطان الشاعر على عقيدة بعض العرب في ذلك، كما أن «مسحلاً» اسم شيطان الأعشى.

صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق. وذكر مقاتل أنه قال للمشركين: أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم، ولي عليكم حق لجواري، فخذوا مالي غير راحلة، واتركوني وديني، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة، فأقام ما شاء الله، ثم ركب راحلته، فأتى المدينة مهاجراً، فلقه أبو بكر، فبشره وقال: نزلت فيك هذه الآية. وقال عكرمة: نزلت في صهيب، وأبي ذر الغفاري، فأما صهيب، فأخذه أهله فافتدى بماله، وأما أبو ذر، فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجراً. والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله، قاله الحسن وابن زيد في آخرين. والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهرُوا، هذا قول قتادة. و«يشري» كلمة من الأضداد، يقال: شري، بمعنى: باع، وبمعنى: اشترى. فمعناها على قول من قال: نزلت في صهيب؛ معنى: يشتري. وعلى بقية الأقوال بمعنى: يبيع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ رَكِلْتُمْ مِنَ بَدَنٍ مَّا جَاءَ نَفْسُكُمُ الْيَسَنَتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْسَّمَاءِ وَالتَّلَاجِ كَ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل، وأشياء يتقيها أهل الكتاب. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، أمروا بالدخول في الإسلام. روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها نزلت في المسلمين، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها، قاله مجاهد وقتادة. وفي «السلم» ثلاث لغات: كسر السين، وتسكين اللام؛ وبها قرأ أبو عمرو، وابن عامر في «البقرة» وفتح السين في «الأنفال» وسورة «محمد». وفتح السين مع تسكين اللام؛ وبها قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي في المواضع الثلاثة. وفتح السين واللام؛ وبها قرأ الأعمش في «البقرة» خاصة. وفي معنى «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول أبي العالية، والربيع. وقال الزجاج: «وكافة» بمعنى الجميع، وهو في اشتقاق اللغة: ما يكف الشيء في آخره، من ذلك: كُفَّة القميص، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة: بضم الكاف. ويقال في كل مستدير: كُفَّة بكسر الكاف، نحو: كُفَّة الميزان. ويقال: إنما سميت كُفَّة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكف: المنع، وقيل لطرف اليد: كف، لأنها تكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: قد كف بصره أن ينظر. واختلفوا: هل قوله: «كافة» يرجع إلى السلم، أو إلى الداخلين فيه؟ على قولين: أحدهما: أنه راجع إلى السلم، فتقديره: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يخرج على القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية. والثاني: أنه يرجع إلى الداخلين فيه، فتقديره: ادخلوا كلكم في الإسلام، وبهذا يخرج على القول الثاني. وعلى القول الثالث يحتمل قوله: «كافة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أمراً للمؤمنين بالسستهم أن يؤمنوا بقلوبهم. والثاني: أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع شرائعه. والثالث: أن يكون أمراً لهم بالبات عليه، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]. و: ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. المعاصي. وقد سبق شرحها. و«الْيَسَنَتِ»: الدلالات الواضحات. وقال ابن جريج: هي الإسلام والقرآن. «وينظرون» بمعنى: ينتظرون.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال: المراد به: قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيْ أَمْرٌ رَّكَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: بظلل. والظلل: جمع ظلة. «والغمام»: السحاب الذي لا ماء فيه. قال الضحاك: في قطع من السحاب. ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه عند الموت. قاله قتادة. وقرأ الحسن بخفض «الملائكة». و«فُصِيَ الأمر»: فُرج منه. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. أي: تصير. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم، «تُرْجَع» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتحها. فإن قيل: فكان الأمور كانت إلى غيره؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد به إعلام الخلق أنه

المجازي على الأعمال بالشواب والعقاب، قاله الزجاج. والثاني: أنه لما عبد قوم غيره، ونسبوا أفعاله إلى سواء، ثم انكشف الغطاء يوم القيامة؛ ردوا إليه ما أضافوه إلى غيره. والثالث: أن العرب تقول: قد رجع علي من فلان مكروه: إذا صار إليه منه مكروه، وإن لم يكن سبق، قال الشاعر:

فإن تكن الأيام أحسن مرة  
إلي فقد عادت لهن ذنوب  
ذكرهما ابن الأنباري. ومما يشبه هذا قول لبيد:

ومنا الممرء إلا كالشهاب وضوءه  
بحور رماداً بعد إذ هو ساطع  
أراد: يصير رماداً، لا أنه كان رماداً. وقال أمية بن أبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن  
شيبا بماء فعاداً بعد أبوالا<sup>(١)</sup>

أي: صار. والرابع: أنه لما كانت الأمور إليه قبل الخلق، ثم أوجدتهم فملكهم بعضها رجعت إليه بعد هلاكهم. فإن قيل: قد جرى ذكر اسمه تعالى في قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ فما الحكمة في أنه لم يقل: وإليه ترجع الأمور؟ فالجواب: أن إعادة اسمه أفخم وأعظم، والعرب إذا جرى ذكر شيء يفخم أعادوا لفظه، وأنشدوا:

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً  
نغص الموت ذا الغنى والفقير

فأعادوا ذكر الموت لفخامته في صدورهم، ذكره الزجاج.

﴿سَلِّ بَيْتَ إِسْرَءِيلَ كَمْ مَاتَتْهُمْ مِنْ أَيْمٍ يَنْتَوُ وَمَنْ يَدُلُّ بِنَّةَ اللَّهِ مِنْ بَدَا مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَيْتَ إِسْرَءِيلَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له وللمؤمنين. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «سل» بغير همز، وبعض تميم يقول: «أسأل» بالهمز، وبعضهم يقول: «إسل» بالالف وطرح الهمز، والأولى أغربهن، وبها جاء الكتاب. وفي المراد بالسؤال قولان: أحدهما: أنه التقرير والإذكار بالنعم. والثاني: التوبيخ على ترك الشكر. والآية البينة: العلامة الواضحة، كالعصا، والغمام، والمن، والسلوى، والبحر. وفي المراد بنعمة الله قولان: أحدهما: أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قتادة: والثاني: أنها حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ، قاله الزجاج. وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد. والثاني: تغيير صفة النبي ﷺ، في التوراة. قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة.

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا الْوَيْدَ وَالَّذِينَ نَفَقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا الْوَيْدَ﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في علماء اليهود، قاله عطاء. والثالث: في عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين. قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما جاز في «زين» لفظ التذكير، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، إذ معنى الحياة ومعنى العيش واحد. وإلى من يضاف هذا التزيين؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يضاف إلى الله. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبة: ﴿زَيْنَ﴾ بفتح الزاي والياء، على معنى: زيتها الله لهم. والثاني: أنه يضاف إلى الشيطان، روي عن الحسن. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والتزيين من الله تعالى: هو التركيب الطبيعي، فإنه وضع في الطباع محبة المحبوب، لصورة فيه تزينت للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لزيته، فالله تعالى يزِين بالوضع، والشيطان يزِين بالإذكار. وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سخروا منهم للفقير. والثاني: لتصديقهم بالآخرة. والثالث: لاتباعهم للنبي ﷺ. وقيل: إنهم كانوا يوهمونهم أنكم على الحق، سخرية منهم بهم. وفي معنى كونهم «فوقهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك على أصله، لأن المؤمنين في عليين، والكفار في سجين. والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنصورون. والثالث: في أن نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا.

(١) هو من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن أثر ظفروه بالحبشة. القعب: القذح الضخم. شيبا: خلطاً.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يرزق من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيق. والثاني: يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَدَلٍ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَنَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرَافَ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في المراد بـ«الناس» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور. والثاني: آدم وحده، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: وهذا الوجه جائز، لأن العرب توقع الجمع على الواحد. ومعنى الآية: كان آدم ذا دين واحد، فاختلف ولده من بعده. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق، فاختلّفوا حين قتل قابيل هابيل. ذكره ابن الأنباري. والأمة هاهنا: الصنف الواحد على مقصد واحد. وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبي بن كعب، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكفر. رواه عطية عن ابن عباس. ومتى كان ذلك؟ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه حين عرضوا على آدم، وأقروا بالعبودية. قاله أبي بن كعب. والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفاراً. قاله ابن عباس. والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة. والرابع: حين ركبوا السفينة، كانوا على الحق. قاله مقاتل. والخامس: في عهد آدم، ذكره ابن الأنباري. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار. هذا قول الأكثرين. وقال بعض السلف: مبشرين لمن آمن بك يا محمد، ومنذرين لمن كذبك. ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والكتاب: اسم جنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وذكر بعضهم أنه في التوراة. وفي المراد بالحق هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى الصدق والعدل. والثاني: أنه القضاء فيما اختلفوا فيه ﴿لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى. والثاني: أنه النبي الذي أنزل عليه الكتاب، والثالث: الكتاب، كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقرأ أبو جعفر: «لِيُحْكَمَ» بضم الياء وفتح الكاف. وقرأ مجاهد «لتحكم» بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني: الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى محمد ﷺ، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى الدين. قاله مقاتل. والثالث: إلى الكتاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما هاء «أوتوه» فعائدة على الكتاب من غير خلاف. وقال الزجاج: ونصب «بغياً» على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغى، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم. وقال الفراء: في اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثاني: تبديل ما بدلوا.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَنَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال: أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارى الأحد، فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»<sup>(١)</sup> بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه، فهدانا الله له فالوهم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الصلاة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب. والثالث: أنه إبراهيم. قالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً. والرابع: أنه عيسى، جعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى إلهاً. والخامس: أنه الكتب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها. والسادس: أنه الدين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك.

(١) أي: نحن الآخرون زماناً، السابقون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم المعاصرة، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

(٢) متفق عليه، واللفظ الذي أورده المصنف لمسلم.





تكون «ذا» بمعنى الذي، و«ينفقون»: صلته، فيكون المعنى: يسألونك: أي شيء الذي ينفقون؟ والثاني أن تكون «ما» مع «ذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: يسألونك أي شيء ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: على من ينبغي أن ينفقوا، وما وجه الذي ينفقون؟ لأنهم يعلمون ما المنفق، وأعلمهم الله أن أولى من أفضّل عليه الوالدان والأقربون. والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين. وقال: ومعنى: ﴿فَكُلُوا زَيْتُونَكُمْ﴾: فعلى الوالدين.

### فصل

وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخة، قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة. وذهب الحسن إلى إحكامها، وقال ابن زيد: هي في النوافل. وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة على المذكورين فيها.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ قال ابن عباس: لما فرض الله على المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و«كتب» بمعنى: فرض في قول الجماعة. قال الزجاج: يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً وكرهاً، وكرهاً وكرهية. وكل ما في كتاب الله من الكره، فالفتح فيه جائز، إلا أن أبا عبيد ذكر أن الناس مجتمعون على ضم هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقته على النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال الفراء: الكره والكره: لغتان. وكان النحويين يذهبون بالكره إلى ما كان منك مما لم تكره عليه، فإذا أكرهت على الشيء استحسبوا «كرهاً» بالفتح. وقال ابن قتيبة: الكره بالفتح، معناه: الإكراه والقهر، وبالضم معناه: المشقة. ومن نظائر هذا: الجُهد: الطاقة، والجُهد: المشقة، ومنهم من يجعلهما واحداً. وعُظم الشيء: أكبره، وعُظمه: نفسه. وعُرض الشيء: إحدى نواحيه. وعرضه: خلاف طوله. والأكل: مصدر أكلت، والأكل: المأكول، وقال أبو علي: هما لغتان، كالفقر والفقر، والضَّعْف والضَّعْف، والدَّف والدَّف، والشَّهْد والشَّهْد.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: يعني الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فتح وغنيمة أو شهادة. ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو: القعود عنه. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ حين أحببتم القعود عنه.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين. والثاني: أنها منسوخة، لأنها أوجبت الجهاد على الكل، فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ [التوبة: ١٢٢]. والثالث: أنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه. وقالوا: إن الحال في القتال كانت على ثلاث مراتب: الأولى: المنع من القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]. والثانية: أمر الكل بالقتال، ومنه قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١]. ومثلها هذه الآية. والثالثة: كون القتال فرضاً على الكفاية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ [التوبة: ١٢٢]. فيكون الناسخ منها إيجاب القتال بعد المنع منه، والمنسوخ منه وجوب القتال على الكل.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَّاءِ قَالِ فِيهِ قُلْ فِتْنَةٌ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ بِغَيْبِكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَإِنْ اسْتَغْلَبُوا مِنْ يَزِيدُوا مِنْكُمْ وَدِينُهُمْ فِيمَتٍ وَهُوَ كِبِيرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَّاءِ قَالِ فِيهِ﴾ روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صباية إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً،



وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك» فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعاً [وطاعة لأمر] الله ولرسوله [فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب]، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمين رجب، أو من جمادى الآخرة؟ فقال المشركون [للمسلمين]: قتلتم في الشهر الحرام. [فأتوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث] فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصحابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿رَجِعُوا﴾ [البقرة: ٢١٨]. قال الزهري: اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله: عبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان أصحاب النبي ﷺ يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب. وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين: أحدهما: هذا. والثاني: دخول النبي ﷺ مكة في شهر حرام يوم الفتح، حين عاب المشركون عليه القتال في شهر حرام. وفي السائتين النبي ﷺ عن ذلك قولان: أحدهما: أنهم المسلمون سألوه: هل أخطأوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل. والثاني: أنهم المشركون سألوه على وجه العيب على المسلمين، قاله الحسن وعروة، ومجاهد. والشهر الحرام: شهر رجب، وكان يدعى الأصم، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلح قعقة تعظيماً له، ﴿يَقَالُ فِيهِ﴾ أي: يسألونك عن قتال فيه. ﴿قُلْ وَقَالَ فِئُو كَيْفُ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: لا يحل. قال القاضي أبو يعلى: كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر، فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية ببقاء التحريم.

### فصل

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باق أم نسخ؟ على قولين: أحدهما: أنه باق. روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله: ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا، وما نسخت. والثاني: أنه منسوخ، قال سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: القتال جائز في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ويقول تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]. وهذا قول فقهاء الأمصار.

قوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو مرفوع بالابتداء، وخبر هذه الأشياء: ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ عن مكة. قاله ابن عباس والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى السبيل. قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وخفض ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نسقاً على قوله: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كأنه قال: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَلِخَرَجِ أَهْلِيهِ مِنْهُ﴾ لما آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ اضطروهم إلى الخروج فكانهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر. «والفتنة» هاهنا بمعنى الشرك. قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة. والفتنة في القرآن على وجه كثيرة، قد ذكرتها في كتاب «النظائر» ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ يعني: المسلمين. و﴿حَطَّتْ﴾ بمعنى: بطلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتْلُوكَ رِجُونَ رَحِمَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن الحضرمي، قال بعض المسلمين: ما لهم أجر، فنزلت هذه الآية: وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الثَّغْرِ الْحَرَامِ﴾ عن جندب بن عبد الله. والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: [يا رسول الله] أنطمع أن تكون لنا غزاة تعطى فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال: ﴿هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجْهَهُدُوا﴾ في طاعة الله ابن الحضرمي وأصحابه. و﴿رَحِمَتِ اللَّهِ﴾: مغفرته

وجنته. قال ابن الأنباري: الهجرة عند العرب من هجران الوطن والأهل والولد. والمهاجرون معناهم: المهاجرون الأولاد والأهل، فعرف مكان المفعول فأسقط. قال الشعبي: أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام: مغنمه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحِبُّونَ قُلِ الْمَعْفُو كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن جماعة من الأنصار جاؤوا إلى النبي ﷺ وفيهم عمر، ومعاذ، فقالوا: أفتنا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية. وفي تسمية الخمر خمراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي: تخلطه. والثاني: لأنها تخمّر العقل، أي: تستره. والثالث: لأنها تخمّر، أي: تغطي. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم. وقال الزجاج: الخمر في اللغة: ما ستر على العقل، يقال: دخل فلان في خمار الناس، أي: في الكثير الذي يستتر فيهم، وخمار المرأة قناعها، سمي خمراً لأنه يغطي. قال: والخمر هاهنا هي المجمع عليها، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له: خمر، وأن يكون في التحريم بمنزلتها، لأن العلماء أجمعوا على أن القمار كله حرام، وإنما ذكر الميسر من بينه، وجعل كله قياساً على الميسر، والميسر إنما يكون قماراً في الجزر خاصة. فأما الميسر؛ فقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة في آخرين: هو القمار. قال ابن قتيبة: يقال: يسرت: إذا ضربت بالقداح، ويقال للضارب بالقداح: ياسر ويأسرون، ويسر وأيسار. وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً، ويجزئونها أجزاء، ثم يضربون عليها بالقداح، فإذا قمر القمار، جعل ذلك لذوي الحاجة والمسكنة، وهو النفع الذي ذكره الله، وكانوا يتمادحون بأخذ القداح، ويتسابون بتركها ويعيبون من لا يسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ الأكثرون «كبير» بالباء، وقرأ حمزة والكسائي بالثاء. وفي إثم الخمر ثلاثة أقوال: أحدها: أن شربها ينقص الدين. قاله ابن عباس. والثاني: أنه إذا شرب سكر وآذى الناس، رواه السدي عن أشياخه. والثالث: أنه وقوع العداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز، قاله الزجاج. وفي إثم الميسر قولان: أحدهما: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقع العداوة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق. رواه السدي عن أشياخه، وجائر أن يراد جميع ذلك. وأما منافع الخمر؛ فمن وجهين: أحدهما: الريح في بيعها. والثاني: انتفاع الأبدان<sup>(٢)</sup> مع التذاذ النفوس. وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. والثاني: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضاً، لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقول عن ابن جبير أيضاً. واختلفوا بماذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين: أحدهما: بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَفَلَّدُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧]. قاله ابن جبير. والثاني: بالشريعة الأولى، وأقر المسلمون على ذلك حتى حرمت.

### فصل

اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثير في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تقتضي ذمها دون تحريمها، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة، ومقاتل. وعلى هذا القول تكون هذه

(١) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأحمد، عن عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية... الحديث. وصححه علي بن المديني، والترمذي.

(٢) كلا ليست الخمرة بانفعة للبدن، وثبت في الطب الحديث أن الخمرة ضارة بالبدن والعقل، وقد ألف في بيان ضررها كثير من الأطباء، مسلمين وغير مسلمين، وهناك رسالة في هذا الموضوع للدكتور نبيل الطويل، وهي ضمن كتابه «أحاديث في الصحة» وقد قام المكتب الإسلامي بطبعه ونشره.

الآية منسوخة. والقول الثاني: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالى أخبر أن فيها إثماً كبيراً والإثم كله محرم بقوله: ﴿وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ﴾ [الأعراف: ٣٣]. هذا قول جماعة من العلماء، وحكاة الزجاج، واختاره القاضي أبو يعلى للعللة التي بينها، واحتج لصحته بعض أهل المعاني، فقال: لما قال الله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ﴾؛ وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: ﴿وَفِيهِمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ صار الغالب الإثم، وبقي النفع مستغرقاً في جنب الإثم. فعاد الحكم للغالب المستغرق، فغلب جانب الحظر.

### فصل

فأما الميسر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلت على التحريم، فالميسر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على الكراهة؛ فأقوم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسر. قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قال ابن عباس: إن الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجموح: قال ابن قتيبة: والمراد بالنفقة هاهنا: الصدقة والعطاء.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمَنُوءُ﴾ قرأ أبو عمرو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها. قال أبو علي: «ماذا» في موضع نصب، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً. هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» بمنزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، فإذا قال قائل: ماذا أنزل ربكم؛ فكانه قال: ما الذي أنزل ربكم؛ فجوابه: قرآن. قال الزجاج: «العفو» في اللغة: الكثرة والفضل، يقال: قد عفا القوم: إذا كثروا. و«العفو»: ما أتى بغير كلفة. وقال ابن قتيبة: العفو: الميسر. يقال: خذ ما عفاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراه ولا مشقة. وللمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. والثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير. والرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر؛ إذا خفي ودرس، حكاه ثعلبنا عن طائفة من المفسرين.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون. وفصل الخطاب في ذلك أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصديق بفاضل المال، أو قلنا: إنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو على الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك، وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها: القبيل، كأنه قال: كذلك يا أيها القبيل. وجاز أن تكون الكاف للنبي ﷺ كأنه قال: كذلك يا أيها النبي، لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته. وقال ابن الأنباري: الكاف في «كذلك» إشارة إلى ما بين من الإنفاق، فكانه قال: مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق بين الآيات. ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارة إلى ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباس: ﴿لَلَّكُمْ تَفَكُّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتعرفون فضل ما بينهما، فتعملون للباقي منهما.

﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِذَا طَلَعُوا مِنْ أَرْحَامِكُمْ وَأَلَّيْتُمْ تِلْكَ﴾ [النساء: ٩] انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك

قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه كما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٥] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٩] انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك

عليهم، فذكروهم للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> هذا قول ابن عباس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن العرب كانوا يشددون في أمر اليتيم حتى لا يأكلون معه في قصعته، ولا يستخدمون له خادماً. فسألوا النبي ﷺ عن مخالطتهم، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول الضحاك. وفي السائلين للنبي ﷺ، عن ذلك قولان: أحدهما: أن الذي سأله ثابت بن رفاعه الأنصاري، قاله مقاتل. والثاني: عبد الله بن رواحة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَن مَّيَّتٌ﴾ قال ابن قتبية: معناه: تشهير أموالهم، والتنزه عن أكلها لمن وليها خير. ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوُهُمْ فَإِغْوَيْنَهُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، حكمهم في ذلك حكم إخوانكم. قال ابن عباس: والمخالطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل في قصعتك، وتأكل في قصعته. ﴿وَاللَّهُ يَكْفِيكَ اللَّهُمَّ الْفَيْسَ مِنَ الْفَيْسِ﴾ يريد: المتعمد أكل مال اليتيم، من المتحرّج الذي لا يألوا إلا الإصلاح. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكَ﴾ قال ابن عباس: أي لأخرجكم، ولضيق عليكم. وقال ابن الأنباري: أصل العنت: التشديد. تقول العرب: فلان يتعنت فلاناً ويعتته، أي: يشدد عليه، ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه [قال: ثم نقلت إلى معنى الهلاك] واشتقاق الحرف، من قول العرب: أكمة عنوت: إذا كانت شديدة شاقة [المصعد]، فجعلت هذه اللفظة مستعملة في كل شدة.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَيْتُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد بعثه النبي ﷺ إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسرى، فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خلية له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأنته فقلت: ويحك يا مرثد: ألا تخلو؟ فقال: إن الإسلام قد حال بيني وبينك، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك، فقلت له: أبي تتبرم؟! واستغاثت عليه، فضرّوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة رجع إلى النبي ﷺ فسأله: أتحلّ لي أن أتزوجها؟ فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكر مقاتل بن سليمان أنه أبو مرثد الغنوي. والثاني: أن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم فرغ، فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها، [فقال له النبي ﷺ: «ما هي يا عبد الله؟»] فقال: يا رسول الله: هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال: «يا عبد الله: هذه مؤمنة». فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل، فعابه ناس من المسلمين، وقالوا: أنكح أمة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه. وقد ذكر بعض المفسرين أن قصة عناق وأبا مرثد كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ وقصة ابن رواحة كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾. فأما التفسير، فقال المفضل: أصل النكاح: الجماع، ثم كثرت ذلك حتى قيل للعقد: نكاح. وقد حرم الله ﷻ نكاح المشركات عقداً ووطأ. وفي «المشركات» هاهنا

(١) رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس، وزاده بسند حسن بغير هذا السياق سبباً لآية أخرى، أبو داود والنسائي والترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ولفظه: «أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بني بمكة يقال لها: عناق، وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة بحمله. قال: فبحث حتى انتهت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة. قال: فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي بنجب الحائط، فلما انتهت إلي عرفته، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً. هلم فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق حرم الله الزنى، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة، فأنتهت إلى غار أو كهف، فدخلت، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظل بولهم على رأسي، وعصاهم الله عني، قال: ثم رجعوا، ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله، فجعلت أحمله، ويميني حتى قدمت المدينة. فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ، ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَوَاجَهُمْ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد. الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، فلا تنكحها». وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قولان: أحدهما: أنه يعم الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين. والثاني أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة. وفي المراد بالامة قولان: أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة. والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح. وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَعْبَجْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: بجمالها وحسنها. والثاني: بحسبها ونسبها.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي محكمة، وزعم بعض من نصر هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بالله، وإن جحدوا بنبو نبينا. قال شيخنا: وهو قول فاسد من وجهين: أحدهما: أن حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله. والثاني: أن كفرهم بمحمد ﷺ، يوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافة ذلك إلى غير الله شرك. فأما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان: أحدهما: أن بعض حكمها منسوخ بقوله: ﴿وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً. والثاني: أنها ليست منسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة؛ فلذلك خاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ، وعلى هذا عامة الفقهاء. وقد روي معناه عن جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وطلحة، وحذيفة، وجابر، وابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَيِّرُوا الشَّرْكَ﴾ أي: لا تزوجهم بمسلمة حتى يؤمنوا؛ والكلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَزَوَّجْتُمْ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْبَجْتُمْ﴾ مثل الكلام في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِذِيهِ﴾؛ قرأ الجمهور بخفض «المغفرة»، وقرأ الحسن، والقزاز، عن أبي عمرو، برفعها.

﴿رَسَلْنَاكَ عَنِ الْمَحْجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْمَحْجِيزِ وَلَا تَقْرُبُوهَا حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿رَسَلْنَاكَ عَنِ الْمَحْجِيزِ﴾ روى ثابت عن أنس قال: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فمثل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبي ﷺ أن يؤاكلوهن ويشاربوهن ويكونوا معهن في البيوت، وأن يفتعلوا كل شيء ما عدا النكاح<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: جاء رجل يقال له: ابن الدحداح<sup>(٢)</sup>، من الأنصار، إلى النبي ﷺ فقال: كيف تصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية. وفي المحيض قولان: أحدهما: أنه اسم للحيض، قال الزجاج: يقال: قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحاضاً ومحيضاً. وقال ابن قتبية: المحيض: الحيض. والثاني: أنه اسم لموضع الحيض، كالمقيل، فإنه موضع القبولة، والميت موضع البيوتة. وذكر القاضي أبو يعلى أن هذا ظاهر كلام أحمد. فأما أرباب القول الأول؛ فأكدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم، وهو أنه وصفه بالأذى، وذلك صفة لتفسير الحيض، لا لمكانه. وأما أرباب القول الثاني، فقالوا: لا يمتنع أن يكون للمحيض صفة للموضع، ثم وصفه بما قاربه وجاوره، كالعقيقة، فإنها اسم لشعر الصبي، وسميت بها الشاة التي

(١) أخرجه أحمد في «المستند» ومسلم في «صحيحه» ٢٤٦/١ ولفظه عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿رَسَلْنَاكَ عَنِ الْمَحْجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْمَحْجِيزِ﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود. فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فنغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا، فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاها، ففروا أن لم يجد عليهما.

(٢) ويقال له: ابن الدحداح كما جاء في «الإصابة». والأثر ذكره ابن جرير عن السدي.

تذبح عند حلق رأسه مجازاً. والمرأية: اسم للجمل، وسميت المزاة راوية مجازاً. والأذى يحصل للواطئ بالنجاسة، وتنن الريح. وقيل: يورث جماع الحائض علة بالغة في الألم. ﴿فَاعْزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد به اعتزال الوطء في الفرج، لأن المحيض نفس الدم أو نفس الفرج ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُ﴾ أي: لا تقربوا جماعهن، وهو تأكيد لقوله: ﴿فَاعْزَلُوا النِّسَاءَ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم ﴿حَتَّى يَطْهَرُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. قال ابن قتيبة: يطهرون: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهرت المرأة وطهرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ: ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بالتشديد أراد: يغتسلن بالماء. والأصل يتطهرون، فأدغمت التاء في الطاء. قال ابن عباس ومجاهد: حتى يطهرون من الدم، فإذا تطهرون اغتسلن بالماء.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾ إباحة من حظر، لا على الوجوب.

قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أن معناه: فاتوهن من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد. وقال من نصر هذا القول: إنما قال: ﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ والمعنى: نهاكم، لأن النهي أمر بترك المنهي عنه و«من» بمعنى «في»: كقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. والثالث: فاتوهن من قبل التزويج الحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية. والرابع: أن معناه: فاتوهن من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا قول الزجاج، وابن كيسان. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ قولان: أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: المتطهرين من الذنوب، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: المتطهرين بالماء، قاله عطاء. والثالث: المتطهرين من إتيان أدبار النساء. روي عن مجاهد.

### فصل

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد. والثانية: يوم. وقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام. وقال مالك وداود: ليس لأقله حد. وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما: خمسة عشر يوماً، وهو قول مالك والشافعي. والثانية: سبعة عشر يوماً. وقال أبو حنيفة: أكثره عشرة أيام. والحيض مانع من عشرة أشياء: فعل الصلاة، ووجوبها، وفعل الصوم دون وجوبه، والجلوس في المسجد، والاعتكاف، والطواف، وقراءة القرآن، وحمل المصحف، والامتناع في الفرج، وحصول نية الطلاق.

﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ فَأَقَا حَرْبُكُمْ أَنْ يَنْتَفِعُوا بِهَا لَاشِيَكُمْ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفَوهُ وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ فَأَقَا حَرْبُكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود أنكروا جواز إتيان المرأة إلا من بين يديها، وهابت من يأتيها على غير تلك الصفة، فنزلت هذه الآية. روي عن جابر<sup>(١)</sup>، والحسن، وقتادة. والثاني: أن حياً من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة، تزوجوا من الانتصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك، فأنكره، وانتهى الحديث إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية. رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلك، حولت رحلي الليلة، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير عن

(١) روى الشيخان وأبو داود عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ فَأَقَا حَرْبُكُمْ أَنْ يَنْتَفِعُوا بِهَا لَاشِيَكُمْ﴾.



ابن عباس<sup>(١)</sup>. والحرث: المزدرع، وكنتي به هاهنا عن الجماع، فسماهن حرثاً، لأنهن مزدرع الأولاد، كالأرض للزرع، فإن قيل: النساء جمع، فلم لم يقل: حروث؟ فعه ثلاثة أجوبة، ذكرها ابن القاسم الأنباري النحوي: أحدها: أن يكون الحرث مصدرأ في موضع الجمع، فلزمه التوحيد، كما تقول العرب: إختوك صوم، وأولادك فطر، يريدون: صائمين ومفطرين، فيؤدى المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع. والثاني: أن يكون أراد: حروث لكم، فاكثفى بالواحد من الجمع، كما قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

أي: في أنصاف بطونكم. والثالث: أنه إنما وُحِدَ الحرث، لأن النساء شبهن به، ولسن من جنسه، والمعنى: نسائكم مثل حروث لكم.

قوله تعالى: ﴿أَنْ شِئْتُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: كيف شئتم، مقبلة أو مدبرة، وعلى كل حال، إذا كان الإتيان في الفرج. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية، والسدي، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنها نزلت في العزل. قاله سعيد بن المسيب، فيكون المعنى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا. والقول الثاني: أنه بمعنى: إن شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحنفية والضحاك، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه بمعنى: حيث شئتم، وهذا محكي عن ابن عمر ومالك بن أنس<sup>(٢)</sup>، وهو فاسد من وجوه: أحدها: أن سالم بن عبد الله لما بلغه أن نافعاً تحدث بذلك عن ابن عمر، قال: كذب العبد، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أubarهن. وأما أصحاب مالك، فإنهم يتكرون صحته عن مالك، والثاني: أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال: «معلمون من أنى النساء في أubarهن»<sup>(٣)</sup>، فدل على أن الآية لا يراد بها هذا. والثالث: أن الآية نهيت على أنه محل الولد بقوله: ﴿فَأَوْثُوا بَحْثَكُمْ﴾ وموضع الزرع: هو مكان الولد. قال ابن الأنباري: لما نص الله على ذكر الحرث، والحرث به يكون النبات، والولد مشبّه بالنبات؛ لم يجز أن يقع الوطء في محل لا يكون منه ولد. والرابع: أن تحريم إتيان الحائض كان لعله الأذى، والأذى ملازم لهذا المحل لا يفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّمُوا لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وقدموا التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: وقدموا لأنفسكم في طلب الولد، قاله مقاتل. والرابع: وقدموا طاعة الله واتباع أمره، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تَجْمَعُوا اللَّهَ عِزًّا إِيَّانِيكُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَتَتَّخِذُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْبَانًا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي، وقال: حسن غريب، ولفظه عند أحمد «عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حولت رحلي الباردة، قال: فلم يرد علي شيئاً، قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْمَعُوا إِلَيْكُمْ أَنْ يُشْفَتُمْ﴾ أنبل وأدبر، واتقوا الدبر والحيفة. قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقوله: «حولت رحلي الباردة». قال ابن الأثير في «النهاية» كنى برحله عن زوجته، وأراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها، لأن المجامع يطو المرأة ويركبها مما يلي وجهها، فعيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله. (والرحل): إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرحل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور.

(٢) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في نهى الرجل أن يأتي المرأة في دبرها، فمن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا إن الله لا يستحي من الحق، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن» (الحش: الدبر) رواه الدارقطني، والطبراني ورجاله ثقات. وعن خزيمه بن ثابت الخطمي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستحي الله من الحق، لا يستحي الله من الحق، ثلاثاً، لا تأتوا النساء في أعجازهن» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في الدبر» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في «صحيحه»، وحسن الترمذي، وصححه ابن حزم. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد والبخاري والطبراني في «الأوسط»، وصححه المنذري والهيثمي. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد». رواه أحمد في «المستد» وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح. فهذه الأحاديث الصحيحة تفسير قاطع للآية، فليس لمسلم أن يعدل عن تفسير رسول الله ﷺ إلى تفسير غيره مهما كان هذا الغير.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وبقي رجال الإسناد ثقات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عَزَمَهُ لِيَنْتَكِبَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين خنته<sup>(١)</sup> شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، فلا يحل لي، إلا أن تبرّ يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف لا يتفق على مسطح، قاله ابن جريج. والرابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، قاله المقاتلان: ابن حيان، وابن سليمان. قال الفراء: والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعْتَرِضاً لأيمانكم. وقال أبو عبيد: نصباً لأيمانكم، كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء، فتحلفون به. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرؤهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بآراء مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه. هذا قول ابن زيد.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ عَزَمَهُ لِيَنْتَكِبَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ عَزَمَهُ لِيَنْتَكِبَ﴾ قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما اُطْرَحَ ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يعتد<sup>(٣)</sup> [به] من أولاد الإبل في الدية وغيرها لغواً، يقال منه: لغا يلغو، وتقول: لغني بالامر: إذا لهج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه [أي: يلهج صاحبها بها]. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياءه، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاووس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمد، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف على اليمين، يرى أنها كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة. والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنث، وليكفر، ولا إثم عليه. قاله سعيد بن جبير. والخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينسأه. قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجمع. قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلى والله، لا يريد عقد اليمين، فإذا عقد على اليمين لزمته الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَزَمَهُ لِيَنْتَكِبَ﴾ قال مجاهد: أي: ما عقدت عليه قلوبكم «والحليم»: ذو الصفح الذي لا يستغزه غضب، فيعجل، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته على العقوبة. قال أبو سليمان الخطابي: ولا يستحق اسم الحليم من سامح مع العجز عن المجازاة، إنما الحليم الصفوح مع القدرة، المتأنّي الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال:

لا يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا      حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام  
ويُسْتَمَرُّوا فتري الألوانَ مسفرةً      لأصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام

(١) هو بشير بن النعمان، وكان خنته على أخته.

(٢) جاء في «غريب القرآن» لابن قتيبة في تفسير الآية: «لا تجعلوا الله بالحلف به؛ مانعاً لكم من أن تبرؤوا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رحماً، ولا تصدقوا، ولا تصلحوا، وعلى أشياء ذلك من أبواب البر؛ فكفروا وأتوا الذي هو خير».

(٣) في الأصل: بعد، والتصحيح من معجم مقاييس اللغة.



قال، ويقال: حَلَمَ الرجل يَحْلُمُ حُلْمًا بضم اللام في الماضي والمستقبل. وحَلَمَ في النوم، بفتح اللام، يحلم حُلْمًا، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضموتان.

### فصل

الأيمان على ضربين: ماضٍ ومستقبل، فالماضي على ضربين: يمين محرمة، وهي: اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل. أو: لقد فعلت، وما فعل. ويمين مباحة، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلت. أو: لقد فعلت. والمستقبل على خمسة أقسام: أحدها: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها معصية، مثل أن يحلف: لأصليَنَّ الخمس، ولأصومَنَّ رمضان، أو: لا شربت الخمر. والثاني: عقدها معصية، والمقام عليها معصية، وحلها طاعة، وهي عكس الأولى. والثالث: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها مكروه، مثل أن يحلف: لَيْفَعَلَ النَّوَافِلَ من العبادات. والرابع: يمين عقدها مكروه، والمقام عليها مكروه، وحلها طاعة، وهي عكس التي قبلها. والخامس: يمين عقدها مباح، والمقام عليها مباح، وحلها مباح. مثل أن يحلف: لا دخلت بلدًا فيه من يظلم الناس، ولا سلكت طريقاً مخوفاً، ونحو ذلك.

﴿لَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَبْعَ اشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رَبْعَ اشْهُرٍ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فابت أن تعطيه؛ حلف أن لا يقربها السنة، والستين، والثلاث، فيدعها لا أيماً، ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام، جعل الله ذلك أربعة أشهر، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية. قال ابن قتيبة: يؤلون، أي: يحلفون. يقال: آليت من امرأتي، أولي إيلاء: إذا حلف لا يجامعها. والاسم: الأليّة. وقال الزجاج: يقال من الإيلاء: آليت أولي إيلاء وآليّة وآلوة وآلوة وآلوة، وهي بالكسر أقل اللغات، قال كثير:

قيل الألياء حافظ ليمينه وإن بددت منه الأليّة برئت

وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: «من» بمعنى: «في» أو: «على» والتقدير: يحلفون على وطء نساءهم، فحذف الوطء، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالى: ﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رَسُولِكَ﴾ [ال عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يؤلون يعتزلون من نساءهم. والترص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك، لم يكن مؤلياً. وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي. وفاؤوا: رجعوا، ومعناه: رجعوا إلى الجماع، قاله عليّ، وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشافعي. وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه على الجماع، فإنه يقول: متى قدرت جامعته، فيكون ذلك من قوله فيئة؛ فمتى قدر فلم يفعل، أمر بالطلاق، فإن لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال عليّ، وابن عباس: غفور لإثم اليمين.

﴿وَإِنْ عَزَّوْا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَّوْا الطَّلَاقَ﴾ أي: حققوه. وفي عزم الطلاق قولان: أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة الأشهر استحق عليه أن يفيء، أو يطلق، وهو مروى عن عمر وعثمان، وعليّ، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاووس، ومجاهد، والحكم، وأبي صالح. وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة، وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي. والثاني: أنه لا يفيء حتى يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق. واختلف أرباب هذا القول فيما يلحقها من الطلاق على قولين: أحدهما: طلاقه بائنة. روي عن عثمان، وعليّ، وابن عمر،

(١) رواه الواحدي بمعناه في «أسباب النزول» بسنده إلى ابن عباس.

وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب. والثاني: طلقه رجعية، روي عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وابن شبرمة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بنيته. والثاني: سميع ليمينه، عليم بها.

﴿وَالْمُطَلَّقَةُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَوَلَّوْنَ أَمْ يَرْغِبُونَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالزَّيَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَةُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١] ثم نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقَةُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾. رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما التفسير؛ فالطلاق: التخلية. قال ابن الأنباري: هي من قول العرب: أطلقت الناقة، فطلقت: إذا كانت مشدودة، فأزلت الشد عنها، وخليتها، فشب ما يقع للمرأة بذلك، لأنها كانت متصلة الأسباب بالرجل، وكانت الأسباب كالشد لها، فلما طلقها قطع الأسباب. ويقال: طلقت المرأة، وطلقت. وقال غيره: الطلاق: من أطلقت الشيء من يدي، إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظتين فرقوا بينهما، ليكون التطليق مقصوراً في الزوجات. وأما القروء: فيراد بها: الأطهار، ويراد بها الحيض. يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت: إذا طهرت. قال النبي ﷺ في المستحاضة: «تتعد أيام أقرائها»<sup>(١)</sup> يريد: أيام حيضها. وقال الأعشى:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة  
تشد لأقصاها غريم عزائكا  
مؤرثة مالا، وفي الحي رفعة  
لما ضاع فيها من قروء نساكا<sup>(٢)</sup>

أراد بالقروء: الأطهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارهن. واختلف أهل اللغة في أصل القروء على قولين: أحدهما: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقرته، أي: لوقته الذي كان يرجع فيه، [ورجع لقارته أيضاً] قال الهذلي<sup>(٣)</sup>:

كرهت العقر عقر بني شليل  
إذا هبت لقارثها الرياح<sup>(٤)</sup>

فالحيض يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: أن أصله الجمع. وقولهم: قرأت القرآن، أي: لفظت به مجموعاً. والقرء: اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن، هذا قول الزجاج. واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين: أحدهما: أنها الحيض. روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبيدة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه قال: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها الأطهار. روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأوماً إليه أحمد. ولفظ قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَةُ

(١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المستحاضة، فقال: «تتعد الصلاة أيام أقرائها، ثم تغتسل غسلاً واحداً، ثم تتوضأ عند كل صلاة» رواه ابن حبان في صحيحه، وقد رواه غير ابن حبان عن غير عائشة. انظر: «تصب الرأية» ٢٠١/١.

(٢) هما من قصيدة يمدح بها هذلة بن علي الحنفي. جشم الأمر تجشمة جشماً وجشامة: تكلفه على جهد ومشقة. والغريبة والغرام: الجد وعقد القلب على امرأتك فاعله. المزاء: حسن الصبر عن فقد ما يفقد الإنسان. وقوله: مؤرثة؛ صفة لقوله: غزوة. يقول: لك في كل عام غزوة أنت جاشمها، تجمع لها صبرك وجلدك، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعرضك عما عانيت من هجر نساك في وقت طهرهن، فلم تقرهن.

(٣) هو مالك بن النخاعة الهذلي.

(٤) العقر: اسم مكان، كرهه لأنه قاتل فيه، وشليل: جد جرير بن عبد الله البجلي.

(٥) وقد نصر هذا القول ابن القيم في «زاد المعاد» والأحاديث الصحيحة تؤيده.

يَرْبِصَنَّ ﴿ لَفْظُ الْخَبِيرِ، وَمَعْنَاهُ: الْأَمْرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُضَيِّعُونَ أَوْلَادَهُمْ حَتَّىٰ كَافِلَتَيْنِ﴾ وَقَدْ يَأْتِي لَفْظُ الْأَمْرِ فِي مَعْنَى الْخَبِيرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَبْدُوا لَهُ الرِّجْعُ مَتَى﴾ [مریم: ٧٥]. وَالْمَرَادُ بِالْمُطْلَقَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الْبَالِغَاتِ، الْمَدْخُولِ بِهِنَ غَيْرِ الْحَوَامِلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُنَّ أَنْ يَكْتَسِنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ النِّحْلُ، قَالَ عُمَرُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمِقَاتِلٌ، وَابْنُ قَتَيْبَةَ، وَالزَّجَّاجُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْحَيْضُ، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَعَطِيَّةُ، وَالنَّخْعِيُّ، وَالزَّهْرِيُّ. وَالثَّلَاثُ: الْحَمْلُ وَالْحَيْضُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ زَيْدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤَيِّنُ بِإِلَهِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَرَجَ مَخْرَجَ الرَّجْعِ لِهِنَّ وَالتَّوَكُّيدُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهُوَ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَلَا تَظْلَمُ. وَفِي سَبَبٍ وَعِيْدِهِمْ بِذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لِأَجْلِ مَا يَسْتَحِقُّهُ الزَّوْجُ مِنَ الرَّجْعَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: لِأَجْلِ إِلْحَاقِ الْوَلَدِ بِغَيْرِ أَبِيهِ، قَالَ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا رَغِبَتْ فِي زَوْجِهَا، قَالَتْ: إِنِّي خَائِضٌ، وَقَدْ طَهَرْتُ. وَإِذَا زَهَدَتْ فِيهِ، كَتَمَتْ حَيْضَهَا حَتَّى تَغْتَسِلَ، تَقْتَوْتُهُ. وَالبَعُولَةُ: الْأَزْوَاجُ. وَذَلِكَ: إِشَارَةٌ إِلَى الْعِدَّةِ. قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالنَّخْعِيُّ، وَقَتَادَةُ فِي آخِرِينَ. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ خُصُوصَ آخِرِ اللَّفْظِ لَا يَمْنَعُ عِنْدَهُمْ أَوَّلَهُ، وَلَا يُوْجِبُ تَخْصِيصَهُ، لِأَن قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ طَلَّقُوا يَرْبِصَنَّ﴾ عَامٌ فِي الْمُبْتَوَّاتِ وَالرَّجَعِيَّاتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤَيِّنَنَّ أَقْرَبُ يَوْمٍ﴾ خَاصٌ فِي الرَّجَعِيَّاتِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ قِيلَ: إِنْ الرَّجُلُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِضْرَارَ بِأَمْرَاتِهِ، طَلَّقَهَا وَاحِدَةً وَتَرَكَهَا، فَإِذَا قَارَبَ انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا مَدَّةً، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَهِيَ عَنْ ذَلِكَ. وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ إِنَّمَا يَمْلِكُ الرَّجْعَةَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمَضَارَةِ بِطَوِيلِ الْعِدَّةِ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَرَارًا لَعَنَدُوا﴾ عَلَى صِحَّةِ الرَّجْعَةِ وَإِنْ قَصِدَ الْإِضْرَارَ، لِأَن الرَّجْعَةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ صَحِيحَةً إِذَا وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِضْرَارِ؛ لَمَا كَانَ ظَالِمًا بِفَعْلِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَسْلُ الْوَلَدُ عَلَيْهَا بِالْمَرْفُوعِ﴾ وَهُوَ: الْمَعَاشِرَةُ الْحَسَنَةُ، وَالصَّحْبَةُ الْجَمِيلَةُ. رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ، فَقَالَ: «أَنْ يَطْعَمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبُ الْوَجْهَ، وَلَا يَقْبِضَ، وَلَا يَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup> وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أَحَبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي، لِهَذِهِ الْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرِيبٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِمَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِالْجِهَادِ وَالْمِيرَاثِ. وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: يَطْلُقُهَا، وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: تَنَالُ مِنْهُ مِنَ اللَّذَّةِ كَمَا يَنَالُ مِنْهَا، وَلَهُ الْفَضْلُ بِنَفَقَتِهِ. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرِ الْمَرْأَةِ أَنْ يَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»<sup>(٣)</sup>. وَقَالَتِ ابْنَةُ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ: مَا كُنَّا نَكْلِمُ أَزْوَاجَنَا إِلَّا كَمَا تَكْلِمُونَ أَمْرَاءَكُمْ.

## فصل

اختلف العلماء في هذه الآية: هل تدخل في الآيات المنسوخات أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تدخل في ذلك. واختلف هؤلاء في المنسوخ منها، فقال قوم: المنسوخ من قولها تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ طَلَّقُوا يَرْبِصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ وقالوا: فكان يجب على كل مطلقة أن تعتد بثلاثة قُرُوءٍ، فنسخ حكم الحامل بقوله تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَكْمَالُ أَيْلَهُنَّ أَنْ يَصْنَعْنَ حَلْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. وحكم المطلقة قبل الدخول بقوله تَعَالَى: ﴿إِذَا نَكَحَهُنَّ الْمُؤْمِنَاتُ ثُمَّ طَلَّقَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْدُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهذا مروى عن ابن عباس، والضحاك في آخرين. وقال قوم:

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي: وزوجها الذي طلقها أحق بردها ما دامت في عِدَّتِهَا، إِذَا كَانَ تَزَاوُدًا بَرَدَهَا الْإِصْلَاحَ وَالْخَيْرَ، وَهَذَا فِي الرَّجَعِيَّاتِ. فَأَمَّا الْمَطْلُوقَاتُ الْبَوَائِنُ فَلَمْ يَكُنْ خَالَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مُطْلَقَةً بَائِنًا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لَمَّا حَضَرُوا فِي الطَّلَاقِ الثَّلَاثَ. فَأَمَّا حَالُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فَكَانَ الرَّجُلُ أَحَقَّ بِرَجْعَةِ امْرَأَتِهِ وَإِنْ طَلَّقَهَا مَرَّةً مَرَّةً، فَلَمَّا قَصُرُوا فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا عَلَى ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ، صَارَ لِلنَّاسِ مُطْلَقَةً بَائِنًا وَغَيْرَ بَائِنًا. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا تَبَيَّنَ لَكَ ضَعْفُ مَا سَلَكَهُ بَعْضُ الْأَصُولِيِّينَ مِنْ اسْتِشْهَادِهِمْ عَلَى مَسْأَلَةِ عَوْدِ الضَّمِيرِ؛ هَلْ يَكُونُ مُخَصَّصًا لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ لَفْظِ الْعُمُومِ أَمْ لَا؟ يَهْدِيهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، فَإِنَّ التَّمَثِيلَ بِهَا غَيْرُ مُطَابِقٍ لَمَّا ذَكَرُوهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَحَسَنُهُ النَّوَوِيُّ. (٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أولها محكم، والمنسوخ قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِنَّ أَهْلُ بَرْوَيْنَ﴾ قالوا: كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعته، سواء كان الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، فنسخ بقوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والقول الثاني: أن الآية كلها محكمة، فأولها عام. والآيات الواردة في العدد، خصت ذلك من العموم، وليس بنسخ. وأما ما قيل في الارتجاع، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِنَّ أَهْلُ بَرْوَيْنَ فِي ذَلِكَ﴾، أي: في العدة قبل انقضاء القروء الثلاثة، وهذا القول هو الصحيح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ سبب نزولها، أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينتهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: والله لا أريك إليّ أبداً ولا أدعك تحلين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك، راجعتك، فذهب إلى النبي ﷺ تشكو إليه ذلك، فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس [جديداً] من كان طلق، ومن لم يكن طلق. رواه هشام بن عروة عن أبيه<sup>(١)</sup>. فأما التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه بيان لسنة الطلاق، وأن يوقع في كل قرء طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ معناه: فالراجع عليكم إمساك بمعروف، وهو ما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: الرجعة بعد الثانية. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتى تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي. قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: وهذا هو الصحيح، لأنه قال عقيب الآية: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والمراد بهذه الطلقة: الثالثة بلا شك، فيجب إذن أن يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِمْسَانٍ﴾ على تركها حتى تنقضي عدتها، لأنه إن حمل على الثالثة، وجب أن يحمل قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ على رابعة، وهذا لا يجوز.

### فصل

الطلاق على أربعة أضرب: واجب، ومندوب إليه، ومحظور، ومكروه. فالواجب: طلاق المولي بعد التبرص، إذا لم يفر، وطلاق الحكمين في شقاق الزوجين، إذا رأيا الفرقة. والمندوب: إذا لم يتفقا، واشتد الشقاق بينهما، ليتخلصا من الإثم. والمحظور: في الحيض، إذا كانت مدخولاً بها، وفي طهر جامعها فيه قبل أن تطهر. والمكروه: إذا كانت حالهما مستقيمة، وكل واحد منهما قيم بحق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، أتت زوجته إلى النبي ﷺ فقالت: والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني [أكره الكفر في الإسلام] لا أطيقه بغضاً. فقال لها النبي ﷺ: «أترقبين عليه حديثه؟» قالت: نعم. فأمره النبي ﷺ أن يأخذها، ولا يزداد. رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> واختلفوا في اسم زوجته، فقال ابن عباس: جميلة. ونسبها يحيى بن أبي كثير، فقال: جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، وكنها مقاتل، فقال: أم حبيبة بنت عبد الله بن أبي. وقال آخرون: إنما هي جميلة أخت عبد الله بن أبي. وروى يحيى بن سعيد عن عمرة روايتين: إحداهما: أنها حبيبة بنت سهل. والثانية: سهلة بنت حبيب<sup>(٣)</sup>. وهذا الخلع

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» والترمذي، وغيرهما مرسلأ، لأن عروة بن الزبير تابعي. وقد جاء الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو متصلأ مرفوعأ، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه البخاري في «صحيحه» والسنائي بمعناه.

(٣) الذي في كتب التفسير حبيبة بنت سهل، ولم يذكر أحد منهم سهلة بنت حبيب، ولا وجدنا لها ترجمة في الصحاحيات. وقد اختلف العلماء فيمن اختلفت من ثابت بن قيس بن شماس، أمي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، أم حبيبة بنت سهل؟ والذي رجحه الحافظ ابن حجر وارتضاه =



عديتها، ثم يطلقها [يفعل ذلك]، يضارّها [وبعضلها]<sup>(١)</sup> بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل هاهنا: زمان العدة. ومعنى البلوغ هاهنا: مقاربة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال: بلغت المدينة: إذا قاربتها، وبلغتها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْكُنُوا مِنْكُمْ بَيْتُكُمْ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة: المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿سَيَرْجِعُونَ بِكُمْ﴾ وهو تركها حتى تنقضي عدتها. والمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حق. والمعروف في التسريح: أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنى قوله: ﴿وَلَا تُسْكِنُكُمْ بُيُوتًا﴾ قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين. وقال الضحاك: إنما كانوا يضارّون المرأة لتفتدي. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الاعتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ النَّفْسَ﴾ بارتكاب الإثم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْذَرُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزْأً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول: كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن. والثاني: أنه المضار بزوجه في تطويل عدتها بالمراجعة والطلاق. قاله مسروق، ومقاتل. ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْزَلَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُظْهِرُ بِهِ﴾ قال ابن عباس: احتفظوا منته عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الضرار ﴿وَأَعْلَبُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ به وبغيره ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَلْعَنُوا النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُوهُنَّ أَنْ يَكْفُرْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَائُوا بَيْنَهُنَّ الْفِتْنَةَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَالْأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْعَنُوا النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَمْسُوهُنَّ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلقها تطليقة [ثم تركها] ومضت العدة، فكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب، فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلى معقل، فغضب معقل، وقال: أكرمتك بها، فطلقتها؟! لا والله لا ترجع إليك آخر ما عليك. قال الحسن: فعلم الله ﷻ حاجة الرجل إلى امرأته، وحاجة المرأة إلى بعلها، فنزلت هذه الآية، فسمعها معقل، فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها، فقال: أزوجك، وأكرمك<sup>(٢)</sup>. ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمى هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يسار. والثاني: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم، فطلقها زوجها تطليقة، فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، وقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تتكحها الثانية؟! وكانت المرأة تريد زوجها، قد راضته، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العدة، بخلاف التي قبلها. قال الشافعي رحمه الله: دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْسُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء. قال ابن عباس، وابن جبير، وابن قتيبة في آخرين: معناه: لا تجسوهن. والعرب تقول للشدائد: معضلات. وداء عضال: قد أعيا. قال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي      يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً  
ولكنه النسائي إذا كنت آمناً      وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً

وقالت ليلى الأخيلية:

(١) حصل المرأة، بعضلها: لم يحسن عشرتها ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها.  
(٢) أخرجه بمعناه البخاري وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال الترمذي بعد روايته للحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً، فلو كان الأمر إليها، لزوجت نفسها ولم تتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَمْسُوهُنَّ أَنْ يَكْفُرْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ففي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن.  
(٣) قال السيوطي في «باب القول في أسباب النزول»: والأول أصح، وهو أقوى.

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة  
شفاها من الداء العضال الذي بها  
قال الزجاج: وأصل العضل، من قولهم: عضلت الدجاجة، فهي مُعْضِلٌ، إذا احتبس بيضها ونشب<sup>(١)</sup> فلم يخرج، وعضلت المناقة أيضاً: إذا احتبس ولدها في بطنها.

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَائِعُوا بَيْنَهُمُ الْغُرُوبُ﴾ قال السدي، وابن قتبية: معناه: إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح. قال الشافعي: وهذه الآية آيين آية في أنه ليس للمرأة أن تزوج إلا بولي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُعْظَمُ بِهِ﴾ قال مقاتل: الإشارة إلى نهى الولي عن المنع. قال الزجاج: إنما قال: «ذلك»، ولم يقل: «ذلكم» وهو يخاطب جماعة، لأن لفظ الجماعة لفظ الواحد، والمعنى: ذلك أيها القبيل.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَكْثَرُ لَكُمْ﴾ يعني رد النساء إلى أزواجهن، أفضل من التفرة بينهم «وَأَكْثَرُ» أي: أنقى لقلوبكم من الرية لئلا يكون هناك نوع محبة، فيجتمعان على غير وجه صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَأَشْرَ لَا تَسْمَعُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: يعلم ود كل واحد منهما لصاحبه، قاله ابن عباس، والضحاك، والثاني: يعلم مصالحكم عاجلاً وآجلاً، قاله الزجاج في آخرين.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِعَ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِضْعُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَرْوِيِّ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسَهَا لَا تُضَاكِرُ وَلَدَهُ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُوهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَائُعِ رَبَّتَيْنِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَلَئِنْ أَنْتُمْ نَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَكُمْ وَالْمَرْوِيَّ وَأَنْتُمْ اللَّهُ وَاعْتَمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالطَّلَقَاتُ يَرْضِعْنَ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ رُؤُوسٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال القاضي أبو يعلى: وهذا الأمر انصرف إلى الآباء، لأن عليهم الاسترضاع، لا إلى الوالدات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِضْعُهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَهُنَّ أُجُورُهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] فلو كان متحماً على الوالدة، لم تستحق الأجرة. وهل هذا عام في جميع الوالدات؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص في المطلقات، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه عام في الزوجات والمطلقات، ولهذا نقول: لها أن تؤجر نفسها لرضاع ولدها، سواء كانت مع الزوج، أو مطلقة، قاله القاضي أبو يعلى، وأبو سليمان الدمشقي في آخرين. والحوال: السنة، وفي قوله: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ قولان: أحدهما: أنه دخل للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كَسِّرْ كَامِلَةً﴾ [البقرة: ١٩٦]. والثاني: أنه لما جاز أن يقول: «حولين»، ويريد أقل منهما، كما قال: ﴿فَمَنْ تَجَلَّ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومعلوم أنه يتعجل في يوم، وبعض آخر. وتقول العرب: لم أر فلاناً منذ يومين، وإنما يريدون: يوماً وبعض آخر - قال: كاملين لتبيين أنه لا يجوز أن يُنقص منهما، وهذا قول الزجاج، والقراء.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فقال بعضهم: هو محكم، والمقصود منه بيان مدة الرضاع، ويتعلق به أحكام، منها أنه كمال الرضاع، ومنها أنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدة الحولين، ويجبره الحاكم على ذلك، ومنها أنه ثبت تحريم الرضاع في مدة الحولين، ولا يثبت فيما زاد، ونقل عن قتادة، والريعي بن أنس في آخرين أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَائُعِ رَبَّتَيْنِ﴾ قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا قول بعيد، لأن الله تعالى قال في أولها: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِعَ الرَّضَاعَةَ﴾ فلما قال في الثاني: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَائُعِ رَبَّتَيْنِ﴾ خير بين الإرادتين، وذلك لا يعارض المدة المقدرة في التمام.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِعَ الرَّضَاعَةَ﴾ أي: هذا التقدير بالحولين لغيري تمام الرضاعة. وقرأ مجاهد بتامين «أن» تتم الرضاعة، وبالرفع، وهي رواية الحلبي عن عبد الوارث. وقد نبه ذكر التمام على نفي حكم الرضاع بعد الحولين.



وأكثر القراءة على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طلحة بنُ مصرف، وابن أبي عبله، وأبو رجاء، بكسرها، قال الزجاج: يقال: الرضاعة بفتح الراء وكسرها، والفتح أكثر، ويقال: ما حملة على ذلك إلا اللؤم، والرضاعة بالفتح هاهنا لا غير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يعني: الأب ﴿يَرْزُقُهُ وَيَرْزُقُهَا﴾ يعني: المرضعات. وفي قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ دلالة على أن الواجب على قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر النزر الطفيف، وفي الآية دليل على تسوية اجتهاد الرأي في أحكام الحوادث، إذ لا يتوصل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلا من جهة غالب الظن، إذ هو معتبر بالعادة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُلْ نَفْسٌ إِلَّا بِرِزْقِهَا﴾ أي: إلا ما تطيقه ﴿لَا تُكَلِّمُوا وَلَدَهُ﴾ يولد لها، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان عن عاصم (لا تضار) برفع الراء، وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي بنصبها، قال أبو علي: من رفع، فلاجل المرفوع قبله، وهو ﴿لَا تَكُلْ﴾، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمراً، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتيبة: معناه: لا تضار، فأدغمت الراء في الراء. وقال سعيد بن جبير: لا يحملن المطلقة مضارة الزوج أن تلقى إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأبى أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضارَ الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضى به غيرها، فهي أحق به. وقرأ أبو جعفر «لا تضار» بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين. واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبة، كائناً من كان، وهذا مروى عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم وسفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلى، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حنبل. وقال آخرون: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، روي عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد. والقول الثاني: أن المراد بالوارث هاهنا، وارث الوالد، روي عن الحسن والسدي. والثالث: أن المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، روي عن سفيان. والرابع: أنه أريد بالوارث الصبي نفسه، والنفقة عليه، فإن لم يملك شيئاً، فعلى عصبة، قاله الضحاك، وقبيصة بن ذؤيب، قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا القول لا ينافي قول من قال: المراد بالوارث وارث الصبي، لأن النفقة تجب للموروث على الوارث إذا ثبت إعسار المنفق عليه. وفي قوله تعالى: ﴿يُثَلِّدُ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الإشارة إلى أجرة الرضاع والنفقة، روي عن عمر، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، وقبيصة بن ذؤيب، والسدي. واختاره ابن قتيبة، والثاني: أن الإشارة بذلك إلى النهي عن الضرار، روي عن ابن عباس، والشعبي، والزهري، واختاره الزجاج. والثالث: أنه إشارة إلى جميع ذلك، روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل، وأبي سليمان الدمشقي، واختاره القاضي أبو يعلى، ويشهد لهذا أنه معطوف على ما قبله، وقد ثبت أن على المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يضار، فيجب أن يكون قوله: ﴿يُثَلِّدُ ذَلِكَ﴾ مشيراً إلى جميع ما على المولود له.

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ أَرْثَاكَ فَصَلِّ عَلَيْهِ﴾ الفصائل: الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: فصلت الصبي أمه: إذا فطمته. ومنه قيل للحوار إذا قطع عن الرضاع: فصل، لأنه فصل عن أمه، وأصل الفصل: التفريق. قال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين إن أرادت أن تظلم وأبى، فليس لها، وإن أراد هو، ولم قرر، فليس له ذلك حتى يقع ذلك عن تراض منهما وتشاور، يقول: غير مسئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَرْضَعُوا وَلَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لأولادكم. قال مقاتل: إذا لم ترض الأم بما يرضى به غيرها، فلا حرج على الأب أن يسترضع لولده.

(١) قال في «اللسان»: الرضاعة بالفتح والكسر: الاسم من الإرضاع، فأما من الرضاعة اللؤم، فالفتح لا غير.



وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا سَأَلْتُم مَّا أَهَيْتُمْ بِالْعُرْوَةِ﴾ قولان. أحدهما: إذا سألتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أجور ما أرضعن قبل امتناعهن، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: إذا سلمتم إلى الظئر أجرها بالمعروف، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. وقرأ ابن كثير (ما أتيتم) بالقصر، قال أبو علي: وجهه أن يقدر فيه: ما أتيتم نقده أو سوقه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه [فكان التقدير: ما أتيتموه] ثم حذف الضمير من [الصلة] كما تقول: أتيت جميلاً، أي: فعلته. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يقبضون بالموت. وقرأ المفضل عن عاصم «يتوفون» بفتح الباء في الموضعين. قال ابن قتيبة: هو من استيفاء العدد، واستيفاء الشيء: أن تستقصيه كله، يقال: توفيته واستوفيته، كما يقال: تيقنت الخير واستيقنته، هذا الأصل، ثم قيل للموت: وفاة وتوفٌ و«تربصت» ينتظرون، وقال الفراء: وإنما قال: «وعشراً» ولم يقل: عشرة، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام، غلبوا عليه الليالي، حتى إنهم ليقولون: صمنا عشراً من شهر رمضان، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره، كانت الإناث بغير هاء، والذكور بالهاء<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ﴿سَحَرْنَا عَنْهُمْ سَحَرًا وَلِيَاكُمُ النَّسَاءُ وَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الحاقة: ٧] فإن قيل: ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة؟ فالجواب: أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه، قاله سعيد بن المسيب، وأبو العالية، ويشهد له الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن خلق أحدكم يجتمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة]، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح»<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آيات، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة، وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسختها «وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» [الطلاق: ٤]. والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت حاملاً، أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خص أولات الحمل، وهي خاصة أيضاً في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعني: انقضاء العدة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّسْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَعِدُّوهُنَّ نِسَاءً إِلَّا أَنْ تَتَوَلَّوْا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَضُوا عَنْهُ عِدَّةُ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فلا جناح على الرجال في تزويجهن بعد ذلك،

(١) قال أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط»: الذي نقل أصحابنا أنه إذا كان المعدود مذكراً وحذفته، فلك فيه وجهان. أحدهما وهو الأصل: أن يبقى المعدد على ما كان عليه ولو لم يحذف المعدود، فتقول: صمت خمسة، وتريد خمسة أيام. قالوا: وهو الصحيح. قالوا: ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً. ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر. وكذلك قوله: ولا فسيري مثل ما سار راكب ينتمى خمساً ليس فني سيرة اسم يريد: خمسة أيام. وعلى ذلك ما جاء في الحديث من صام رمضان، وأتبعه بست من شوال. وإذا تقرر هذا فجاء قوله تعالى: ﴿وَعَشْرًا﴾ على أحد الجائزين، وحسن هنا، أنه مقطع كلام، فهو شبه بالفواصل، كما حسن قوله تعالى: ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا شَرًّا﴾ [طه: ١٠٣] كونه فاصلة، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أبو عوانة في «مسنده» وزاد [نطفة] بين قوله: «إن أحدكم» وبين قوله: «أربعين».

والثاني: فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزوجن. قال أبو سليمان الدمشقي: وهو خطاب لأوليائهن.

قوله تعالى: ﴿يَسَا فَعَلْنَ فِي أَشْيِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه قولان. أحدهما: أنه المزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه للنكاح، قاله الزهري، والسدي. وال«الخبير» من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته. وال«خير» في صفة المخلوقين، إنما يستعمل في نوع من العلم، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببداهة العقول. وعلم الله تعالى سواء، فيما غمض ولطف، وفيما تجلى وظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَزَمْتُ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النَّسَاءِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيحاء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لإلى خير.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْتَنَرْتُ فِي أَفْئِكُمْ﴾ قال الفراء: فيه لغتان، كنتت الشيء، وأكنتته<sup>(١)</sup> وقال ثعلب: أكنتت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكنتته: إذا سترته بشيء. وقال ابن قتيبة: أكنتت الشيء: إذا سترته، ومنه هذه الآية، وكنته: إذا صتمه. ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] قال بعضهم: يجعل كنته، وأكنتته، بمعنى. قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَرْتُمُنَّ﴾ قال مجاهد: ذكره إياها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لَّآ تَوَاعِدُونَهُنَّ سِرًّا﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها: أن المراد بالسّر هاهنا. النكاح، قاله ابن عباس. وأنشد بيت امرئ القيس:

ألا زعمت بسبابة اليوم أنني  
كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي  
وفي رواية: يشهد الله<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: ونرى أنه مما كنى الله عنه، كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْكَاذِبِ﴾ [النساء: ٤٣]. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن السر: الإفضاء بالنكاح [المحرم] وأنشد:

ويُحْرَمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ  
ويأكل جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاصِ<sup>(٣)</sup>  
قال ابن قتيبة: استعير السر للنكاح، لأن النكاح يكون سرّاً، فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، [وهن في العدة] تصريحاً ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّسْرُوقًا﴾ لا تذكرن فيه رفقاً ولا نكاحاً. والثاني: أن المواعدة سرّاً؛ أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن المراد بالسر الزنى<sup>(٤)</sup>. قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والرابع: أن المعنى: لا تتكوهن في عديتهن سرّاً، فإذا حلّت أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد. وفي القول المعروف قولان. أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس،

(١) ونص كلامه في «معاني القرآن»: للعرب في «وأكنتت الشيء»: إذا سترته، لفنان، كنته، وأكنتته. وأنشدوني:  
ثلاث من ثلاث قداميات  
من اللاتي تَحْكُمُ من الصقيع  
وبعضهم يرويه: تَكُنْ، من أكنتت. وأما قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ [الطور: ٢٤] و﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] فكانه مذهب للشيء يبان؛ وإحداهما قرية من الأخرى.

(٢) رواية البيت في الديوان هكذا:  
ألا زعمت بسبابة اليوم أنني  
كبرت وألا يحسن اللهو أمثالي  
وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت

(٣) البيت للحطيفة، وهو من قصيدة يمدح فيها بني رباح وبني كلب من بني يربوع، وأنف كل شيء: طرفه وأوله. والقصاص: جمع قصعة، وهي الجفنة الضخمة، يذكر عفتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجارة، واقترب الإثم في حقها، ويصف كرمهم وإيثارهم. جارهم بالطعام على أنفسهم، فلا يتقدمون إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهي وما يكتفي.

(٤) قال الأعشي:  
ولا تنفق مبرهن جسارة إن مبرها  
عليك حرام فانكحهن أو تأبدا  
وقد فسروا السر في هذا البيت بالزنى، وهو ظاهر، وقد رجح هذا القول الطبري في «تفسيره».



قوله تعالى: ﴿مَتَّعْنَا بِالْأَمْوَالِ﴾ أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمنفقين ضرب من التأجيد.

﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ فَرِيضَةً مِمَّا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا أَوْ يَفْعَلُوا الَّذِي يَكُونُ عَقْدَةً النِّكَاحِ وَأَنْ تَقُولُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ﴾ أي: قبل الجماع ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ﴾ أي: أوجبتم لهم شيئاً التزمتم به، وهو المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ يعني: النساء، وغفو المرأة: ترك حقها من الصداق. وفي الذي بيده عقدة النكاح ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الزوج، وهو قول علي، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وابن المسيب، وابن جبير، ومجاهد، وشريح، وجابر بن زيد، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وابن شبرمة، والشافعي، وأحمد رحمهم الله في آخرين. والثاني: أنه الولي، روي عن ابن عباس، والحسن، وعلقمة، وطاوس، والشعبي، وإبراهيم في آخرين. والثالث: أنه أبو البكر. روي عن ابن عباس، والزهري، والسدي في آخرين. فعلى القول الأول عفو الزوج: أن يكمل لها الصداق، وعلى الثاني: عفو الولي: ترك حقها إذا أبت، روي عن ابن عباس، وأبي الشعثاء. وعلى الثالث يكون قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ يختص بالشابات. وقوله: ﴿أَوْ يَقُولُوا﴾ يختص أبا البكر، قاله الزهري، والأول أصح، لأن عقدة النكاح خرجت من يد الولي، فصارت بيد الزوج، والعفو إنما يطلق على ملك الإنسان، وعفو الولي عفو عما لا يملك، ولأنه قال: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل: والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: ﴿وَأَنْ يَغْفُو﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ خطاب للزوجين. قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة شرطها.

﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ وَالْفَسْكَوَةِ الْوُسْطَى وَتَوَمُّوا لِلَّهِ كُنُوتَيْهَا﴾

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ﴾ المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالالف واللام ينصرف إلى المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَسْكَوَةِ الْوُسْطَى﴾ قال الزجاج: هذه الواو إذا جاءت مخصصة، فهي دالة على فضل الذي تخصصه، كقوله تعالى: ﴿وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] قال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطى هكذا، وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>. ثم فيها خمسة أقوال. أحدها: أنها العصر، روى مسلم في «أفراده» من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً»<sup>(٢)</sup>. وروى ابن مسعود، وسمرة، وعائشة عن النبي ﷺ، أنها صلاة العصر<sup>(٣)</sup>، روى مسلم في «أفراده» من حديث البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ﴾ [وَالْفَسْكَوَةِ الْوُسْطَى]<sup>(٤)</sup> وصلاة العصر» فقرأناها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَكَرَاتِ وَالْفَسْكَوَةِ الْوُسْطَى﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبي، وأبي أيوب، وابن عمر في رواية، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية عطية، وأبي سعيد

(١) يريد أنهم كانوا يختلفون في تعيين الصلاة الوسطى.

(٢) وتماه عند مسلم «ثم صلاها بين المشائين، بين المغرب والعشاء» ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «السانيد» و«السنن» و«الصحاح».

(٣) حديث ابن مسعود هو في «صحيح مسلم» ٤٣٧/١، وحديث عائشة أيضاً في «صحيح مسلم» ٤٣٨/١. وأما حديث سمرة، فقد رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والترمذي في «جامعه»، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) هذه الزيادة التي أوردها المؤلف هنا لم ترد في رواية البراء، وإنما وردت من طريق عائشة رضي الله عنها. انظر: «صحيح مسلم» ٤٣٨/١.

الخدري، وعائشة في رواية، وحفصة، والحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء في رواية، وطاووس، والضحاك، والنخعي، وعبيد بن عمير، وزر بن حبيش، وقتادة، وأبي حنيفة، ومقاتل في آخرين، وهو مذهب أصحابنا<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها الفجر، روي عن عمر، وعلي في رواية، وأبي موسى، ومعاذ، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وابن عمر في رواية مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن عباس في رواية أبي رجاء العطاردي، وعكرمة، وجابر بن زيد، وأنس بن مالك، وعطاء، وعكرمة، وطاووس في رواية ابنه، وعبد الله بن شداد، ومجاهد، ومالك، والشافعي. وروى أبو العالية قال: صليت مع أصحاب رسول الله ﷺ الغداة فقلت لهم: أيما الصلاة الوسطى؟ فقالوا: التي صليت قبل. والثالث: أنها الظهر، روي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخدري، وعائشة في رواية، وروى ضمرة عن علي رضي الله عنه قال: هي صلاة الجمعة، وهي سائر الأيام الظهر. والرابع: أنها المغرب، روي عن ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب. والخامس: أنها العشاء الأخيرة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في «تفسيره». وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال. أحدها: أنها أوسط الصلوات محلاً. والثاني: أوسطها مقداراً. والثالث: أفضلها. وأوسط الشيء: خيره وأعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٢]، فإن قلنا: إن الوسطى بمعنى الفضلى، جاز أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها. وإن قلنا: إنها أوسطها مقداراً، فهي المغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان، وأكثرها أربعاً. وإن قلنا: إنها أوسطها محلاً، فللقائلين: إنها العصر أن يقولوا: قبلها صلاتان في النهار، وبعدها صلاتان في الليل، فهي الوسطى. ومن قال: هي الفجر، فقال عكرمة: هي وسط بين الليل والنهار، وكذلك قال ابن الأنباري: هي وسط بين الليل والنهار، وقال: وسمعت أبا العباس، يعني ثعلباً يقول: النهار عند العرب أوله: طلوع الشمس. قال ابن الأنباري: فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل، قال: وقال آخرون: بل هي من صلاة النهار، لأن أول وقتها أول وقت الصوم. قال: والصواب عندنا أن نقول: الليل المحض خاتمة طلوع الفجر، والنهار المحض، أوله: طلوع الشمس، والذي بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس يجوز أن يسمى نهاراً، ويجوز أن يسمى ليلاً، لما يوجد فيه من الظلمة والضوء، فهذا قول يصح به المذهبان، قال ابن الأنباري: ومن قال: هي الظهر، قال: هي وسط النهار. فأما من قال: هي المغرب، فاحتج بأن أول صلاة فرضت، الظهر، فصارت المغرب وسطى، ومن قال: هي العشاء، فإنه قال: هي بين صلاتين لا تقصران.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشعبي، وطاووس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت [ونهيها عن الكلام]<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ خِفْتُمْ رِجَالَكُمْ فَأُولَٰئِكَ يَخِيفُكُمْ تِلْكَ آيَةُ الْفُتُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ رِجَالَكُمْ﴾ أي: خفتم عدواً، فصلوا رجالاً، وهو جمع راجل، والركبان جمع راكب، وهذا يدل على تأكيد أمر الصلاة، لأنه أمر بفعلها على كل حال. وقيل: إن هذه الآية أنزلت بعد التي في سورة النساء، لأن الله تعالى وصف لهم صلاة الخوف في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم نزلت هذه الآية ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: خوفاً أشد من ذلك، فصلوا عند المسابقة كيف قدرتم. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه صلى يوم الخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق<sup>(٣)</sup>؟

(١) وهو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة الواجحة، وإليه ذهب الطبري والميمني وابن كثير، وأكثر أهل الأثر.

(٢) - رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيره.

(٣) رواه الترمذي وأبو يعلى والبيهقي عن ابن مسعود، ورواه النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري، ورواه البزار، في «مسنده» عن جابر بن عبد الله، ولم نجده من طريق ابن عباس كما ذكر المؤلف.

فالجواب: أن أبا سعيد روى أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالى: ﴿إِن جُفَّتْ رِحَالُ أَوْ زَكَّيْنَا﴾ قال أبو بكر الأثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخلق منسوخ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا آمَنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الصلاة، فتقديره: فصلوا كما كنتم تصلون آمنين. والثاني: أنه التناء على الله، والحمد له.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ روى ابن حبان أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة ومعه أبواه وامراته، وله أولاد، فمات فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبي ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنه أمرهم أن يتفقوا عليها من تركه زوجها حولاً.

قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وابن عامر «وصية» بالنصب، وقرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي «وصية» بالرفع. وعن عاصم كالتقراءتين. قال أبو علي: من نصب حَمَلَهُ على الفعل، أي: ليوصوا وصية، ومن رفع، فمن وجهين. أحدهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والخبر لأزواجهم. والثاني: أن يضم له خبراً، تقديره: فعليهم وصية. والمراد منه من قارب الوفاة، فليوص، لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى.

قوله تعالى: ﴿مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: مشعورهم إلى الحول ولا تخرجوهن. والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتهما وسكنناها ﴿وَإِنْ خَرَجْنَ﴾ أي: من قبل أنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أولياء الميت. ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ يعني التشوف إلى النكاح، وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال؟ فيه قولان. أحدهما: أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول. والثاني: في ترك منعهن من الخروج، لأنه لم يكن مقامها الحول واجباً عليها، بل كانت مخيرة في ذلك.

### فصل

ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فإذا تم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعة، فرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من عديتها، وكان معنى رميها بالبعة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم علي ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ أَنْفُسَهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه.

(١) وقد ذهب البعض إلى عدم النسخ، وجعل صلاة الخوف قسمين، أحدهما: أن تكون في حال القتال - وهو المراد بهذه الآية - والثاني: في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَنْتَ لَهُمُ الْعَصَاةُ فَالَّذِينَ بَيْنَهُمْ نِسَاءٌ﴾ [النساء: ١٠٢]. وقد روى مالك في «الموطأ» عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف، وصفها، ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالاً على أقدامهم أو ركبائاً، مستقبلي القبلة أو غير مستقبلها.

(٢) وإليه ذهب الجمهور من أهل العلم سلفاً وخلفاً. وروى البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد نسخها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه. قال الحافظ ابن كثير: ومعنى هذا الإشكال الذي قال ابن الزبير لحسان: إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر، فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها، وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوم بقاء حكمها؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقفي، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها، حيث وجدتها. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ج ٨/ ١٤٤: وهذا الموضع مما وقع فيه التنازع مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ، ثم أشار إلى آيات أخر في مثل هذا. ومن السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة، وإنما خص من الحول بعشه، وبقي البعض وصية لها، إن شأته أقامت، فقد روى البخاري عن مجاهد ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ قال: جعل الله لها تمام السنة بسبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شأته سكنت في وصيتها، وإن شأته خرجت، وهو قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فالعدة كما هي واجب عليها.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّحٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٤١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّحٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قد سبق الكلام في المتعة بما فيه كفاية.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: كما بيّن الذي تقدم من الأحكام ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: يثبت لكم وصف العقلاء باستعمال ما بين لكم، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧] وإنما سموا جهالاً، لأنهم أثروا أهواءهم على ما علموا أنه الحق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ

عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ معناه: ألم تعلم. قال ابن قتيبة: وهذا على جهة التعجب،

كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وهم مؤتلفون، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من العدد، وعليه العلماء. واختلّفوا في عددهم على سبعة أقوال. أحدها: أنهم كانوا أربعة آلاف. والثاني: أربعين ألفاً، والقولان عن ابن عباس. والثالث: تسعين ألفاً، قاله عطاء بن أبي رباح، والرابع: سبعة آلاف، قاله أبو صالح. والخامس: ثلاثين ألفاً، قاله أبو مالك، والسادس: بضعة وثلاثين ألفاً، قاله السدي، والسابع: ثمانية آلاف، قاله مقاتل. وفي معنى: حذرهم من الموت، قولان: أحدهما: أنهم فروا من الطاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسن، والسدي. والثاني: أنهم أمروا بالجهاد، ففروا منه، قاله عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس كالقولين.

### الإشارة إلى قصتهم

روى حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف قال: كانت أمّة من بني إسرائيل إذا وقع فيهم الروع، خرج لغنيائهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكنا، وقال الفقراء: لو ظعننا كما ظعن هؤلاء سلمنا، فأجمع رأيهم في بعض السنين على أن يظعنوا جميعاً، فظعنوا فماتوا، وصاروا عظاماً تبرق، فكنتهم أهل البيوت والطوق عن بيوتهم وطرقهم، فمر بهم نبي من الأنبياء، فقال: يا رب لو شئت أحيتيتهم، فعبدوك، وولدوا أولاداً يعبدونك، ويعمرون بلادك. [قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم]. فقيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تكسى لحماً وعصباً، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فنظر فإذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه، وأنزل الله فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدل على بعد المدة التي مكثوا فيها أمواتاً. وفي بعض الأحاديث: أنهم بقوا أمواتاً سبعة أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبي الذي دعا لهم قولان: أحدهما: أنه حزقيل، والثاني: أنه شمعون. فإن قيل: كيف أميت هؤلاء مرتين وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] فالجواب أن موتهم بالعقوبة لم يفن أعمارهم، فكان كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى نَارَ تَمُوتَ فِي مَنَابِهِنَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقيل: كان إحيائهم آية من آيات نبيهم، وآيات الأنبياء نواذر لا يقاس عليها، فيكون تقدير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمر نادر. وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي ﷺ بأمر لم يشاهدوه، وهم يعلمون صحته، واحتجاج على المنكرين للبعث، فدلهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا، ذكر ذلك جميعه ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ نبي ﷺ بذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلة

شكرهم.



﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في المخاطبين بهذا قولان. أحدهما: أنهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحاك. والثاني: خطاب لأمة محمد ﷺ. فمعناه: لا تهربوا من الموت، كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْنَا﴾ بما تنطوي عليه ضمائرکم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُجْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال الزجاج: أصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه، وأصله في اللغة القطع، ومنه أخذ المقرض. فمعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها. فإن قيل: ما وجه تسمية الصدقة قرضاً؟ فالجواب من ثلاثة أوجه. أحدها: لأن هذا القرض بيدل بالجزاء، والثاني: لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة، والثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به. فأما اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيستقرض الله منا؟ وأما المسلمون فوثقوا بوعده الله، وبأدروا إلى معاملته. قال ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدحداح: وإن الله ليريد منا القرض؟ فقال النبي ﷺ: نعم. قال: أرني يدك. قال: إني أقرضت ربي حاططي، قال: وحاطته فيه ستمائة نخلة، ثم جاء إلى الحائط، فقال: يا أم الدحداح أخرجني من الحائط. فقد أقرضته ربي<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي ﷺ: «كم من علق رواح في الجنة لأبي الدحداح». وفي معنى القرض الحسن ستة أقوال: أحدها: أنه الخالص لله، قاله الضحاك. والثاني: أن يخرج عن طيب نفس، قاله مقاتل. والثالث: أن يكون حلالاً، قاله ابن المبارك. والرابع: أن يحتسب عند الله ثوابه. والخامس: أن لا يتبعه من ولا أذى. والسادس: أن يكون من خيار المال.

قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾ قرأ أبو عمرو «فيضاعفه» بآلف مع رفع الفاء، كذلك في جميع القرآن، إلا في سورة الأحزاب «يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ» وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، جميع ذلك بالآلف مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثير (فيضعفه) برفع الفاء من غير آلف في جميع القرآن، وقرأ ابن عامر (فيضعفه) بغير آلف مشددة في جميع القرآن، ووافقه عاصم على نصب الفاء في «فيضاعفه» إلا أنه أثبت الآلف في جميع القرآن، قال أبو علي: للرفع وجهان: أحدهما: أن يعطفه على ما في الصلة، وهو يقرض. والثاني: أن يستأنفه. ومن نصب حمل الكلام على المعنى، لأن المعنى: أ يكون قرض؟ فحمل عليه «فيضاعفه» وقال: ومعنى ضاعف وضعف: واحد، والمضاعفة: الزيادة على الشيء حتى يصير مثليين أو أكثر. وفي الأضعاف الكثيرة قولان. أحدهما: أنها لا يحصى عددها، قاله ابن عباس والسدي. وروى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال: إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة، وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها معلومة المقدار، فالدرهم بسبعمائة، كما ذكر في الآية التي بعدها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «يبسط» و«بسطه» بالسين، وقراهما نافع بالصاد. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: يقرر على من يشاء في الرزق، ويبسطه على من يشاء، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: يقبض يد من يشاء عن الإنفاق في سبيله، ويبسط يد من يشاء بالإنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

(١) رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢١/٦ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. ثم ذكره أيضاً ٣٢٤/٩. وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجاله ثقات، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد في «المستند» من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي. وعلي بن زيد، ضعفه غير واحد. والحديث حسن. وقد قال الشيخ أحمد شاكر: رواه ابن أبي حاتم عن أبي خلاد سليمان بن خلاد المؤدب عن محمد الرقاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي، وزياد بن الجصاص، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» فلم يذكر فيه جرحاً، وهذا أمانة توثيقه عنده، ثم لم يذكره في «الضعفاء»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما وهم. وهذا الحديث لم ينفرد به كما ترى، فقد رواه كما رواه علي بن زيد بن جدعان بنحوه، فارتفعت شبهة الخطأ والوهم، وصح الحديث من الوجهين، والحمد لله.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَدُو مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَجْوِ لَهْمُ أَهْنُ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَاذْكُرُوا أَلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال الفراء: الملأ: الرجال في كل القرآن لا يكون فيهم امرأة، وكذلك القوم والنفر والرهط. وقال الزجاج: الملأ: هم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سموا ملأ، لأنهم مليؤون بما يحتاج إليه منهم. وفي بنيهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه شمویل، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه يوشع بن نون، قاله قتادة. والثالث: أنه نبي، يقال له: سمعون بالسين المهملة<sup>(١)</sup>، سمته أمه بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقها غلاماً، فسمع دعاؤها فيه، فسمته، هذا قول السدي.

وسبب سؤالهم ملكاً أن عدوهم غلب عليهم.

قوله تعالى: ﴿نَقْتُلُ﴾ قراءة الجمهور بالفتون والجزم، وقرأ ابن أبي عبله بالياء والرفع، كناية عن الملك. قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ نافع بكسرهما هاهنا وفي سورة «محمد»، وهي لغتان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فرض ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي: لعلكم تجنبون. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ يعنون: أخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا، فظاهره العموم، ومعناه الخصوص.

قوله تعالى: ﴿قُلُوا﴾ أي: أعرضوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم الذين عبروا النهر، وسيأتي ذكرهم. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتي بعضاً وقرن فيه دهن، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا، ومتى دخل عليك رجل، فنشق الدهن، فهو الملك، فادهن به رأسه، وملكه على بني إسرائيل، فقاس القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا على مقدارها. قال عكرمة، والسدي: كان طالوت سقاء يسقي على حمار له، فضل حماره، فخرج يطلبه. وقال وهب: بل كان دباغاً يعمل الأدم، فضلت حمر لأبيه، فأرسل مع غلام له في طلبها، فمرا بيت شمویل النبي ﷺ، فدخلا ليسألاه عن ضالتهما، فنشق الدهن، فقام شمویل، فقاس طالوت بالعصا، وكان على مقدارها، فذهنه، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال طالوت: أما علمت أن وسطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوتهم؟ قال: بلى. قال: فبأية آية؟ قال: بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، فكان كما قال.

قال الزجاج: طالوت، وجالوت، وداود، لا تصرف، لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف، فاجتمع فيها التعريف والعجمة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ من أي جهة يكون له الملك علينا قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين. قال قتادة: كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملك. ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾

أي: اختاره، وهو «افتعل» من الصفوة. والبسطة: السعة، قال ابن قتيبة: هو من قولك: بسطت الشيء: إذا كان مجموعاً، ففتحته، ووسعته. قال ابن عباس: كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب، وكان يفوق الناس بمنكيه وعنفه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك، أم أحدثت له بعد الملك؟ فيه قولان. أحدهما: قبل الملك، قاله وهب، والسدي. والثاني: بعد الملك، قاله ابن زيد. والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً، كان أكثر قوة، والواسع: الغني.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ حَمِيلَةً لِّلْمَلِكِ أَنْ يَفِيكَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ الآية: العلامة، فمعناه: علامة تملكك الله إياه ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهذا من مجاز الكلام، لأن التابوت يؤتى به، ولا يأتي، ومثله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ وإنما جاز مثل هذا، لزوال اللبس فيه، كما بينا في قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحٌ يُخَذِّرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس: أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقاً، فأتنا بآية تدل على أنه ملك، فقال لهم ذلك. وقال وهب: خيرهم، أي آية يريدون؟ فقالوا: أن يرد علينا التابوت. قال ابن عباس: كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السكينة. وقال وهب بن منبه: كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين. قال مقاتل: فلما تفرقت بنو إسرائيل، وعصوا الأنبياء، سلط الله عليهم عدوهم، فغلبوهم عليه. وفي السكينة سبعة أقوال. أحدها: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن علي عليه السلام. والثاني: أنها دابة بمقدار الهر، لها عينان لها شعاع، وكانوا إذا التقى الجمعان، أخرجت يدها، ونظرت إليهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: السكينة لها رأس كراس الهر، وجناحان. والثالث: أنها طست من ذهب [من الجنة] تغسل فيه قلوب الأنبياء. رواه أبو مالك عن ابن عباس. والرابع: أنها روح من الله تتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون، رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه. والخامس: أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، وذهب إلى نحوه الزجاج، فقال: السكينة، من السكون، فمعناه: فيه ما تسكنون إليه إذا أناكم. والسادس: أن السكينة معناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة. والسابع: أن السكينة: الرحمة. قاله الربيع بن أنس <sup>(١)</sup>.

وفي البقية تسعة أقوال: أحدها: أنها رضاض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسى وعصاه، قاله ابن عباس، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها رضاض الألواح. قاله عكرمة، ولم يذكر العصا. وقيل: إنما اتخذ موسى التابوت ليجمع رضاض الألواح فيه. والثالث: أنها عصا موسى، والسكينة، قاله وهب. والرابع: عصا موسى وعصا هارون، وثيابهما، ولوحان من التوراة، والمن، قاله أبو صالح. والخامس: أن البقية: العلم والتوراة، قاله مجاهد، وعطاء بن أبي رباح. والسادس: أنها رضاض الألواح، وقفيز من من في طست من ذهب، وعصا موسى وعمامته، قاله مقاتل. والسابع: أنه قفيز من من ورضاض الألواح، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء. والثامن: أنها عصا موسى

(١) قال ابن جرير الطبري: فأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة، ما قاله عطاء بن أبي رباح، أنها الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها. وقال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأسى به وتقوى. وقال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره»: وأقول: هذه التفسيرات المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقسامهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين عليهم السلام، والتشكيك عليهم، وانظر إلى جملهم لها تارة حيواناً، وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الريح، لها وجه كوجه الهر، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر. وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسيرات المتناقضة مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا رأياً له قاله فهم أجل قدر من الضمير بالرأي، وبما لا مجال للاجتهاد فيه. إذا تقرر لك هذا، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة.

والنعلان. ذكره الثوري أيضاً عن بعض أهل العلم. والتاسع: أن المراد بالبقية: الجهاد في سبيل الله، وبذلك أمروا، قاله الضحاك.

والمراد بآل موسى، وآل هارون: موسى، وهارون. وأنشد أبو عبيدة:

ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبة عليّ وعباس وآل أبي بكر

يريد: أبا بكر نفسه.

قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ الجمهور: «تحمله» بالثاء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والأعمش بالياء. وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان. أحدهما: أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض منذ خرج عن بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أنه كان في الأرض.

وفي أي مكان كان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان في أيدي العمالقة قد دفنوه، قال ابن عباس: أخذ التابوت قوم جالوت، فدفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرى، فأخذهم بلاء، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمس مدائن، فأخرجوه على بقرتين، ووجههما إلى بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة. والثاني: أنه كان في بركة التيه، خلفه فيها يوشع، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة، قاله قتادة. وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان: أحدهما: أنها جاءت به بأنفسها، قال وهب: قالوا لنبيهم: اجعل لنا وقتاً يأتيها فيه، فقال: الصبح، فلم ينأوا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حفيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض. والثاني: أن الملائكة جاءت به على عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضاً. فعلى القول الأول: يكون معنى تحمله: نقله. وعلى الثاني: يكون معنى حملها. إياه: تسببها في حمله. قال الزجاج: ويجوز في اللغة أن يقال: حملت الشيء إذا كنت سبباً في حمله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾ أي: علامة تدل على تملك طالوت. قال المفسرون: فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً يَجُوزُ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُوزُوهُ قَالَ الَّذِينَ يَبْطُلُونَ أَنْتُمْ مَثَلُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْكُمْ يَنْتَرُ قَلِيلًا فَلَبَّتْ نِفْثَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي: خرج وشخص. وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال: أحدها: سبعون ألفاً، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون ألفاً، قاله عكرمة والسدي. والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاههم الله بالنهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النهر لغتان: إحدهما: تحريك الهاء، وهي قراءة الجمهور، والثاني: تسكينها، وبها قرأ الحسن ومجاهد. وفي هذا النهر قولان: أحدهما: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباس والسدي، والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقاتدة، والربيع بن أنس. ووجه الحكمة في ابتلائهم به أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نية.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أصحابي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، «غرفة» بفتح الغين، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي بضمها. قال الزجاج: من فتح الغين، أراد المرة الواحدة باليد، ومن ضمها، أراد ملء اليد. وزعم مقاتل أن الغرفة كان يشرب منها الرجل، ودابته، وخدمه ويملاً قربته. وقال بعض المفسرين: لم يرد به غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة، أو ما أشبه ذلك. وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان: أحدهما: أنهم أربعة آلاف، قاله عكرمة والسدي. والثاني: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهو الصحيح، لما

روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر: «أنتم بعملة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت» وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ أي: لا قوة لنا، قال الزجاج: يقال: أطق الشيء إطاقة وطاقة، وطوقاً، مثل قولك: أطقته إطاعة وطاعة وطوعاً. واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا، ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم الذين قتل بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقادة، وابن زيد. والثالث: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض، لما رأوا من قتلهم، وهذا اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين، قاله السدي في آخرين. والثاني: أنه الظن الذي هو التردد، فإن القوم توهموا لقلة عددهم أنهم سيقتلون فيلقون الله، قاله الزجاج في آخرين. وفي المظانين هذا الظن قولان: أحدهما: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: ﴿كَمْ يَنْ فَتَنُ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فَتَنَهُ كَثِيرَةً﴾، قاله السدي. والثاني: أنهم أولو العزم والفضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر. والفئة: الفرقة، قال الزجاج: وإنما قيل لهم: فئة من قولهم: فأوب رأسه بالعصا، وفأيته: إذا شققته.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾ قال الحسن: بنصر الله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي بالنصر والإعانة.

﴿وَلَمَّا بَرَرُوا لِحَالُوْتٍ وَجُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَنْفِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَفْدَانَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَرُوا﴾ أي: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى. و﴿أَنْفِغْ﴾ بمعنى اصعب، و﴿وَكَيْتَ أَفْدَانَا﴾ أي: فوّ قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب. قال مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

﴿فَهَرَمُوهُمْ يَازَيْدُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوْتٍ وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَّمَهُمْ مِمَّا يَشْكُو وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنْ أَفْدَانَا اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُمْ﴾ أي: كسروهم وردوهم، قال الزجاج: أصل الهزم في اللغة: كسر الشيء، وثني بعضه على بعض، يقال: سقاء منهزم [ومهزم] إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف، وقصب منهزم: قد كسر وشقق، والعرب تقول: هزمت على زيد، أي: عطقت عليه.

قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا ابنة مالك فجوودي علينا بالنوال وأنعمي<sup>(٢)</sup>

ويقال: سمعت هزمة الرعد، قال الأصمعي: كأنه صوت فيه تشقق.

وداود: هو نبي الله أبو سليمان، وهو اسم أعجمي، وقيل: إن إخوة داود كانوا مع طالوت، فمضى داود لينظر إليهم، فناده أحجار، خذني، فأخذها، وجاء إلى طالوت، فقال: مالي إن قتلت جالوت؟ فقال: ثلث ملكي، وأنكحك ابنتي، فقتل جالوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ يعني أتى داود ملك طالوت. وفي المراد بـ«الحكمة» هاهنا قولان. أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الزبور، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُمْ مِمَّا يَشْكُو﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنها صنعة الدروع، والثاني: الزبور، والثالث: منطق الطير.

(١) رواه ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر، فلذكروا. وأخرج أحمد والبخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يجاوز معه إلا مؤمن - بضعة عشرة وثلاثمائة.

(٢) البيت نسبة في «اللسان» لأبي بدر السلمي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قرأ الجمهور ﴿دَفْعُ اللَّهِ﴾ بغير ألف هاهنا وفي «الحج»، وقرأ نافع، ويعقوب، وأبان (ولولا دفاع) بألف فيهما. قال أبو علي: المعنيان متقاربان، قال الشاعر:

ولقد حرصتُ بآن أَدافع عنهم      فإذا المنية أقبلت لا تدفع<sup>(١)</sup>

وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: لولا أن الله يدفع بمن أطاعه عمن عصاه، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطاعه، لهلك العَصاة بسرعة العقوبة، قاله مجاهد. والثاني: أن معناه: لولا دفع الله المشركين بالمسلمين، لقلب المشركون على الأرض، فقتلوا المسلمين، وخربوا المساجد، قاله مقاتل. ومعنى: ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ لهلك أهلها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ وَالْحَقَّ لَئِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُخْلُوا مِنْكُمْ فَمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

الجزء الثالث: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتْلُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. ﴿وَلَا تَتْلُوا مِنْكُمْ﴾ حكمكم حكمهم، فمن صدقك، فسيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسيله سبيل من عصاهم.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهللي، وهو من قصيدة جيدة، يرفي بها بينه الخمسة الذين هلكوا بالطاعون.

أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قال: ففُضِرَ صدري، وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»<sup>(١)</sup> قال أبو عبيدة: القيوم: الذي لا يزول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغير بوجه من الوجوه. وقال الزجاج: القيوم: القائم بتدبير أمر الخلق، وقال الخطابي: القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وزنه: «فيعول» من القيام، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيء بالرعاية، يقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة. وفي «القيوم» ثلاث لغات: القيوم، وبه قرأ الجمهور. والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والأعمش. والقيّم، وبه قرأ أبو رزين، وعلقمة. وذكر ابن الأنباري أنه كذلك في مصحف ابن مسعود، قال: وأصل القيوم: القيوم: فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، جعلنا ياء مشددة. وأصل القيام: القوام، قال الفراء: وأهل الحجاز يصرفون الفعّال [إلى] الفِعال، فيقولون للصواع: صياغ. فأما «السنة» فهي: النعاس من غير نوم، ومنه: الوسنان. قال ابن الرقاع:

وكانها بين النساء أعارها  
وسنان أقصده النعاس فرنقت  
عينيه أحور من جاذر جاسم  
في عينه سنة وليس بنائم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله ﴿يَعْلَمُ الْغُلُوبَاتِ وَالنُّجُومِ﴾ ولم يقل: الأنوار.  
قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فيه رد على من قال: ﴿مَنْ تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].  
قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة. وفي المراد به ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد وابن جريج، والحكم بن عتيبة. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُصْطَوْنَ فِيهِ﴾ قال الليث: يقال لكل من أحرز شيئاً، أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط به. والمراد بالعلم هاهنا المعلوم ﴿وَصِيحٌ كَرِيمٌ﴾ أي: احتمل وأطاق. وفي المراد بالكُرسي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش، قال النبي ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة»<sup>(٣)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء. والثاني: أن المراد بالكُرسي علم الله تعالى. رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُّ﴾ أي: لا يثقله، يقال: آده الشيء يؤوده أوداً وإياداً. والأود: الثقل، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والجماعة. والعلي: العالي القاهر، «فعل» بمعنى «فاعل»، وقال الخطابي: وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْأَعْرَاشِ أَسْتَوُوا﴾ [طه: ٥٠]. ويكون ذلك من علاء المجد

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَلَفْظُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي بَنْ كَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَكْثَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَكْثَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ!» مَعْنَى «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ»: لِيَكُنَ الْعِلْمُ هَيْئًا لَكَ.

(٢) الْجَاذَرُ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَهِيَ حِسانُ الْعَرَبِ. جَاسِمٌ: مُوضِعٌ تَكَثَّرَ فِيهِ الْجَاذَرُ. الْوَسْنُ: قَتْلُ النُّومِ وَتَجَمُّعُهُ. أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ: قَتَلَهُ النَّعَاسُ وَأَمَاتَهُ. وَرَنَقَتْ: خَالَطَتْ عَيْنَهُ. السَّنَةُ: النُّومُ الْخَفِيفُ.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَرْثُودٍ وَابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ، وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ». وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ رِوَايَتِهِ: تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ السَّعْدِيُّ. وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، لَا يَجُوزُ الْإِحْتِجَاجُ بِهِ إِذَا تَفَرَّدَ كَمَا قَالَ النُّقَادُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ. وَقَدْ سَأَلَ الْبَيْهَقِيُّ شَاهِدًا لَهُ، وَفِي إِسْنَادِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ، كَتَبَهُ أَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ، وَوَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ بِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُتَرَوِّكِينَ، وَلَمْ يَصِبْ ابْنُ حِبَانَ فِي تَوْثِيقِهِ. فَلَيْسَ يَقْوَى الْحَدِيثُ بِهَذَا الشَّاهِدِ.

(٤) قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: هِيَ رِوَايَةٌ شَاذَةٌ لَا يَقُومُ عَلَيْهَا دَلِيلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَلِذَلِكَ رَجَعَ أَبُو مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيُّ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ الْكُرْسِيَّ مُوضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَقَالَ: وَهَذِهِ رِوَايَةٌ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى صِحَّتِهَا، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ فِي الْكُرْسِيِّ، أَنَّهُ الْعِلْمُ، فَقَدْ أَهْطَلَ.

(٥) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، وَفِي سَنَدِهِ جَوَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جَدًّا.

والشرف، يقال منه: علي يعلى علاء. ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى، منصرف إلى عظم الشأن، وجلال القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْثُرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعيش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودته. فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار: فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاخصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم. ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرمه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والقولان عن مجاهد.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام بل يختارون بينه وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقناة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا: هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والعيث هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق. والغى: الباطل، وقيل: هو الإيمان والكفر. فأما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ أَوْلَاهُمْ الطَّاغُوتُ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ﴾ [الزمر: ١٧] والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، والشعبي، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين. والرابع: أنه الأصنام، قاله البيهقي، والزجاج. والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ هذا مثل للإيمان، شبه التمسك به بالتمسك بالعروة الوثيقة. وقال الزجاج: معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً. والانفصام: كسر الشيء من غير إبانة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاطُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: متولي أمورهم، يهديهم، وينصرهم، ويعينهم. والظلمات: الضلالة. والنور: الهدى. والطاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة في آخرين. وقال مقاتل: الذين كفروا: هم

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي في «السنن» وابن حبان وابن أبي حاتم، والفضاء في «المختارة» عن ابن عباس، ولفظه عند أبي داود: عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مفلتاً، تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهود، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناؤنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. والمفلات: المرأة التي لا يعيش لها ولد.

(٢) ووجه ابن جرير الطبري في «تفسيره».



اليهود، والطاغوت: كعب بن الأشرف. قال الزجاج: والطاغوت هاهنا: واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة. قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض وأما جلدها فصليب<sup>(١)</sup>

أراد جلودها. فإن قيل: متى كان المؤمنون في ظلمة؟ ومتى كان الكفار في نور؟ فتنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن عصمة الله للمؤمنين عن مواجهة الضلال، إخراج لهم من ظلام الكفر، وتزيين قراء الكفار لهم الباطل الذي يحددون به عن الهدى إخراج لهم من نور الهدى، و«الإخراج» مستعار هاهنا، وقد يقال للمنتع من الشيء: خرج منه، وإن لم يكن دخل فيه. قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ بِلَدِّي قَوْمًا لَا يَفْقَهُونَ اللَّهَ﴾ [يسف: ٢٧] وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ النَّبِيِّ إِنْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَمْرٌ﴾ [النحل: ٧٠]، وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّا اللَّهُ شَرِّحَ الْأُمُورَ﴾ [البقرة: ٢١٠] والثاني: أن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر نور لهم، وكفرهم به بعد أن ظهر، خروج إلى الظلمات. والثالث: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ كان المخالف له خارجاً من نور قد علمه، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَلَخَ إِزْرَهُمْ فِي رَبِّهِمْ أَنَّهُ تَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ إِزْرَهُمْ رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّثُ قَالَ أَنَا أُخَيِّثُ وَأُمِيتُ قَالَ إِزْرَهُمْ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالْخَمْسِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَلَخَ إِزْرَهُمْ فِي رَبِّهِمْ﴾ قد سبق معنى «ألم تر». وحاج: بمعنى خاصم، وهو نمرود في قول الجماعة. قال ابن عباس: ملك الأرض شرقها وغربها؛ مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، ويختصر. قال ابن قتيبة: معنى الآية: حاج إبراهيم، لأن الله أتاه الملك، فأعجب بنفسه [وملكه].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِزْرَهُمْ رَبِّيَ الَّذِي يُعْطِي وَيُخَيِّثُ﴾ قال بعضهم: هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربك؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت. قال ابن عباس: يقول: أترك من شئت، وأقتل من شئت. فإن قيل: لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، وعدل عن نصرته الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيم رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونسي اختلاف الفعلين، فانتقل إلى حجة أخرى، قصداً لقطع المحاج، لا عجزاً عن نصرته الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي: انقطعت حجته، فتحير. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن السميع: «فَبُهِتَ»، بفتح الباء والهاء، وقرأ أبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر، وأبو حية: «فَبُهِتَ»، بفتح الباء، وضم الهاء، قال الكسائي: ومن العرب من يقول: بهت، وبُهِتَ، بكسر الهاء وضمها. «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» يعني: الكافرين. قال مقاتل: لا يهديهم إلى الحجة، وعنى بذلك نمرود.

﴿وَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَسَّطَ قَالَ كَيْفَ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُكَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَنْظُرٌ إِلَّا جَمَارًا وَلَجَّ مَلِكًا وَلِنَايِسٍ فَانْظُرْ إِلَى الْوِطَارِ كَيْفَ تَنْشُرُهَا تُمْ كَسُوفَهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لِمَ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله، معناه: رأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر على قرية؟ وفي المراد بالقرية قولان. أحدهما: أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر، قاله وهب، وقتادة، والربيع بن أنس. والثاني: أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت، قاله ابن زيد: وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عزيز، قاله علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وناجية بن كعب، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه أرمياء، قاله وهب، ومجاهد، وعبد الله بن

(١) البيت لمعلقة بن عبدة بن النعمان بن قيس، من قصيدة مفضلية جيدة قالها يمدح الحارث بن جبلة ابن أبي شمر النسائي. الحسرى: الإبل المعية يتركها أصحابها فتموت. الصليب: الجلد اليابس. وقوله: عظامها يبيض؛ كنى بذلك عن استخراج ما فيها من الوردك، فصليب يريد: وأما جلودها فذوات صليب، وهو الصديد يسيل من الموتى، والأصل فيه صليب العظام، وهو ودكها.



عبيد بن عمير، والثالث: أنه رجل كافر شك في البعث، نقل عن مجاهد أيضاً. والخواوية: الخالية، قاله الزجاج. وقال ابن قتبية: الخاوية: الخراب، والعروش: السقوف، وأصل ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ﴾ أي: كيف يحييها. فإن قلنا: إن هذا الرجل نبي، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة، أو يستهولها، فيعظم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رجلاً كافراً، فهو كلام شاك، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾

### الإشارة إلى قصته

روى ناجية بن كعب عن علي عليه السلام قال: خرج عزيز نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمر على قرية، وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيها الروح. قال الحسن: قبضه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة. قال مقاتل: ونودي من السماء: كم لبثت؟ قال قتادة: فقال: لبثت يوماً، ثم نظر فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. فهذا يدل على أنه عزيز. وقال وهب بن منبه: أقام أرميا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الحق بأرض إيلياء<sup>(١)</sup>، فركب حماره، وأخذ معه سلة من عنب وتين، ومعه سقاء جديد فيه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى [والمساجد] نظر إلى خراب لا يوصف [فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم] قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، ووطئ حماره، [وعلق سقاه] فألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما مر منها سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك، فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت، [فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل، ولما يصلحه من أداة العمل، فأنظره ثلاثة أيام] فانتدب ثلاثمائة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل [فسار إليها قهارته ومعهم ثلاثمائة ألف عامل] فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميا، وآخر جسده ميت، فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة، رد الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه [ونظر إلى حماره واقفاً كهيتته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد أتى على ذلك ربح مائة عام، وبرد مائة عام، وحرّ مائة عام، لم تتغير ولم تنتقص شيئاً، وقد نحل جسم أرميا من البلى، فأثبت الله له لحماً جديداً، ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولتجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير<sup>(٢)</sup>. وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم «لبثت» و«لبثتم» في كل القرآن بإظهار التاء، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بالإدغام [لبث<sup>(٣)</sup>]، قال أبو علي الفارسي: من بين «لبثت»، فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والتاء من حيز، والطاء والتاء والذال من حيز، فلما تباين المخرجان، واختلفت الحيزان، لم يدغم. ومن أدغمها أجراها مجرى المثليين، لاتفاق الحرفين في أنهما من طرف اللسان، وأصول الثنايا، واتفاقهما في الهمس. ورأى الذي بينهما من الاختلاف يسيراً، فأجراها مجرى المثليين<sup>(٤)</sup>. فأما طعامه وشرابه، فقال وهب: كان معه مكتل فيه عنب وتين، وقلة فيها ماء. وقال السدي: كان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، لم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (يتسنه) و(اقتده) و(ما أغنى عني ماليه) و(سلطانيه) و(ماهيه) بإثبات الهاء في الوصل. وكان حمزة يحذفهن في الوصل، ووافقه الكسائي في حذف

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من الطبري.

(٤) قال النحاس: والإظهار أحسن لتباين مخرج التاء من مخرج الناء.

(١) أي: بيت المقدس.

(٣) أي: بإدغام التاء في الناء.

موضعين (يتسنه) و(اقتده) وكلهم يقف على الهاء. ولم يختلفوا في (كتابيه) و(حسابيه) أنها بالهاء وصلًا ووقفًا. فأما معنى: (لم يتسنه)، فقال ابن عباس، والحسن، وقاتدة في آخرين: لم يتغير. وقال ابن قتيبة: لم يتغير بمر السنين عليه، واللفظ مأخوذ من السنه، يقال: سانهت النخلة: إذا حملت عامًا، وحالت عامًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنظَرْنَا لَكَ إِجْمَارًا﴾ قال مقاتل: انظر إليه، وقد ابيضت عظامه، وتفرقت أوصاله، فأعلاه الله. قوله تعالى: ﴿وَلَنُجَمِّلَنَّكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ اللام صلة لفعل مضمر تقديره: فعلنا بك ذلك لنريك قدرتنا، ولنجعلك آية للناس، أي: علمًا على قدرتنا، فأضمر الفعل لبيان معناه. قال ابن عباس: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة، ثم بعث وهو ابن أربعين، وابنه ابن عشرين ومائة، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عزيز، فقالوا: حدثنا أبؤنا أن عزيزاً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها، فأملأها عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنظَرْنَا إِلَى الْوُطَائِرِ﴾ قيل: أراد عظام نفسه، وقيل: عظام حمامه، وقيل: هما جميعاً. قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تُنشِئُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (نشرها) بضم النون الأولى، وكسر الشين وراء مضمومة، ومعناه: نخيها، يقال: أنشر الله الميت، فنشرهم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ننشؤها، بضم النون مع الزاي، وهو من النشر الذي هو الارتفاع. والمعنى: نرفع بعضها إلى بعض للأحياء. وقرأ الأعمش: ننشؤها، بفتح النون، ورفع الشين مع الزاي، وقرأ الحسن، وأبان عن عاصم: ننشرها، بفتح النون مع الراء، كأنه من النشر عن الطي، فكان الموت طواها، والإحياء نشرها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكَ﴾ أي: بان له إحياء الموتى ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أعلم» مقطوعة الألف، مضمومة الميم، والمعنى: قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة. وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف، وسكون الميم على معنى الأمر، والابتداء على قراءتهما بكسر الهمزة، وظاهر الكلام أنه أمر من الله له، وقال أبو علي: نزل نفسه منزلة غيظه، فأمرها وخاطبها. وقرأ الجعفي عن أبي بكر، قال: «أعلم» بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير.

﴿وَرَدَّ قَالَ إِيَّاهُ رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا مَاتَ بَشَرٌ وَلَكِنْ لَّيَطْمِنُ قَلْبُهُ قَالَ فَبِئْسَ الْفِتْنَى فَمَنَئِيكَ ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُ وَيَأْتِيكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ قَالَ إِيَّاهُ رَبِّي أَرِنِي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى﴾ في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال. أحدها: أنه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع، فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقاتدة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وابن جريج، ومقاتل. وما الذي كانت هذه الميتة؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كان رجلاً ميتاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان جيفة حمام، قاله ابن جريج، ومقاتل. والثالث: كان حوتاً ميتاً، قاله ابن زيد. والثاني: أنه لما بشر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك، قال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، ويحيي الموتى بسؤالك، فسأل هذا السؤال. والثالث: أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس، وهو قول عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنه لما نازعه نمرود في إحياء الموتى، سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِذَا مَاتَ بَشَرٌ وَلَكِنْ لَّيَطْمِنُ قَلْبُهُ﴾ قال ابن جبير: ألم ترقن بالخلة؟ قوله تعالى: ﴿بَلْ وَلَكِنْ لَّيَطْمِنُ قَلْبُهُ﴾ «اللام» متعلقة بفعل مضمر، تقديره: ولكن سألتك ليطمئن، أو أرني ليطمئن قلبي، ثم في المعنى أربعة أقوال: أحدها: لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، قاله ابن عباس. والثاني: ليزداد قلبي يقيناً، قاله سعيد بن جبير. وقال الحسن: كان إبراهيم موقناً، ولكن ليس الخبر كالمعاينة. والثالث: ليطمئن قلبي بالخلة، روي عن ابن جبير أيضاً. والرابع: أنه كان قلبه متعلقاً برؤية إحياء الموتى، فأراد: ليطمئن قلبه بالنظر، قاله ابن قتيبة. وقال غيره: كانت نفسه تائقة إلى رؤية ذلك، وطالب الشيء قلقاً إلى أن يظفر بطلبته، يدل على أنه لم يسأل لشك، أنه قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى﴾ وما قال: هل تحيي الموتى.

قوله تعالى: ﴿فَعَدَّ أَرْبَعَةً مِّنَ الظُّلُمِ﴾ في الذي أخذ سبعة أقوال: أحدها: أنها الحمامة، والديك، والكركي، والطاووس، رواه عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الطاووس، والديك، والدجاجة السندية، والأوزة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وفي لفظ آخر، رواه الضحاك مكان الدجاجة السندية الرأل، وهو فرخ النعام. والثالث: أنها الشعانين، وكانت قرباهم يومئذ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاووس، والنسر، والغراب، والديك، نقل عن ابن عباس أيضاً، والخامس: أنها الديك، والطاووس والغراب، والحمام، قاله عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد. والسادس: أنها ديك، وغراب، ويط، وطاووس، رواه ليث عن مجاهد. والسابع: أنها الديك، والبطة، والغراب، والحمامة، قاله مقاتل. وقال عطاء الخراساني: أوحى الله إليه أن خذ بطة وغراباً أسود وحمامة بيضاء، وديكاً أحمر.

قوله تعالى: ﴿فَصَرَّمْ لِيكَ﴾ قرأ الجمهور بضم الصاد، والمعنى: أملهن إليك، يقال: صرت الشيء فانصار، أي: أملته فمال، وأنشدوا:

الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور

فمعنى الكلام: أجمعهن إليك ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ فيه إضمار قطعهن. قال ابن قتيبة: أضمر «قطعهن» واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ عن قوله «قطعهن»، لأنه يدل عليه، وهذا كما تقول: خذ هذا الثوب، واجعل على كل رمح عندك منه علماً. يريد: قطعه، وافعل ذلك. وقرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف والمفضل، عن عاصم «فَصَرَّمْ لِيكَ» بكسر الصاد. قال الزبيدي: هما واحد، وقال ابن قتيبة: الكسر والضم لغتان. قال الفراء: أكثر العرب على ضم الصاد، وحدثني الكسائي أنه سمع بعض بني سليم يقول: صيرته، فأنا أصيره، وروي عن ابن عباس، ووهب، وأبي مالك، وأبي الأسود الدؤلي، والسدي، أن معنى المكسورة الصاد: قطعهن. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه بالضم: أجمعهن، وبالكسر: قطعهن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ قال الزجاج: معناه: اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً. وروي عوف عن الحسن قال: اذبحهن ونفهن، ثم قطعهن أعضاء، ثم خلط بينهن جميعاً، ثم جزئها أربعة أجزاء، وضع على كل جبل جزءاً. ثم تنحى عنهن، فدعاهن، فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استوين كما كن، ثم أتيتهن يسعين. وقال قتادة: أمسك رؤوسها بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبضعة إلى البضعة، وهو يرى ذلك، ثم دعاهن، فأقبلن على أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه. وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان. أحدهما: أنه قسمهن على أربعة أجبل، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة. وروي عن ابن عباس قال: جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع. والثاني: أنه قسمهن سبعة أجزاء على سبعة أجبل، قاله ابن جريج، والسدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قال ابن قتيبة: يقال: عدواً، ويقال: مشياً على أرجلهن، ولا يقال للطير إذا طار: سعى ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع لا يغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر، ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد، وقبل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَكًا فِي كُلِّ سَبْكَةٍ فَاتَتْ حَبًّا وَاللَّهُ يَتَوَفَّى لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حدثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المثل - والله أعلم - للنفقة، لا للرجال، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ آلِهَةً﴾

(١) لم يعرف قائله، وهو في «اللسان» و«الخزانة» و«شرح شواهد المغني» وبعد البيت:

وأنسني حينئذ لما يشني الهوى بصري

من حوثما سلكوا أدنو فأنظور

وهو من «الشواهد المضيضة».

فأضمر «الحب»، لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠] يريد: بخل الباخلين، فحذف البخل. وفي المراد بسبيل الله قولان. أحدهما: أنه الجهاد. والثاني: أنه جميع أبواب البر. قال أبو سليمان الدمشقي: والآية مردودة على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾. وقد أعلم الله ﷻ بضرب هذا المثل، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف بسبعمائة ضعف<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف سبعمائة ضعف. قال ابن زيد: ﴿وَاللَّهُ يَكْفِيكَ إِمْنًا﴾ أي: يزيد على السبعمائة.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتِمُّونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن السائب ومقاتل: نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك، وشراؤه بثر رومة، ركية بالمدينة، تصدق بها على المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم، وكانت نصف ماله<sup>(٢)</sup> وأما المن ففيه قولان. أحدهما: أنه المن على الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك، وهو قول الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المن على الله بالصدقة، روي عن ابن عباس. فإن قيل: كيف مدحهم بترك المن، ووصف نفسه بالمانن؟ فالجواب: أنه يقال: من فلان على فلان: إذا أنعم عليه، فهذا الممدوح، قال الشاعر:

فمنني علينا بالسلام فإنما  
أراد بالمن الإنعام. وأما الوجه المذموم، فهو أن يقال: من فلان على فلان: إذا استعظم ما أعطاه، واقتصر بذلك، قال الشاعر في ذلك:

أنت قليل لا ثم أسرع منة  
فنيك ممنون كذاك قليل

ذكر ذلك أبو بكر الأنباري. وفي الأذى قولان. أحدهما: أنه مواجهة الفقير بما يؤديه، مثل أن يقول له: أنت أبا فقير، وقد بليت بك، وأراحتني الله منك. والثاني: أن يخبر بإحسانه إلى الفقير، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك، وكلا القولين يؤدي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة. ولقد حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعطهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَيِيمٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: قول جميل للفقير، مثل أن يقول له: يوسع الله عليك، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: يستر على

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود قال: جاء رجل بناقطة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: «ذلك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف». قال ﷺ: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن الكلبي، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة. وأخرج البخاري تعليقاً عن أبي عبد الرحمن أن عثمان ﷺ حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة» فحفرتها؟ أستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال. قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بن عامر. ورواه مطولاً الترمذي والنسائي والدارقطني وقال الترمذي: حديث حسن. وذكر في «الإصابة» أنه قد جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصحابة في أشياء... وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة، فقرأها في حجره، فأرأى النبي ﷺ بقلبيها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين، رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٣) روى مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمبسل لإزاره، والمنفق سلمته بالحلف الكاذب».

المسلم خلته وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَرَكُهَا أَذًى﴾ وقد سبق بيانه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْغُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِقَقًا فَذَلِكُمْ أَشَدُّ وَكُفْرًا وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُمْ مُنْكَرٌ كَذَلِكُمْ صَفَوَانِ عَلَيْهِ رَبُّنَا فَاصَبَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُمُ صَدَقَةً لَا يَتَذَكَّرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْغُلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ أي: لا تبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿فَمَنْكُكُمْ﴾ أي: مثل نفقته، كمثل صفوان، قال ابن قتبية: الصفوان: الحجر، والوابل: أشد المطر، والصلد: الأملس. وقال الزجاج: الصفوان: الحجر الأملس، وكذلك الصفا. وقال ثعلب: الصلد: النقي. وروي عن ابن عباس، وقتادة ﴿فَتَرَكَهُمُ صَدَقَةً﴾ قالوا: ليس عليه شيء. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمرائي بنفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ اتِّبَاعًا مَّرْصَاتٍ أَلَّهُ وَتَوَلَّيْنَا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَحْمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْهَلًا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ اتِّبَاعًا مَّرْصَاتٍ أَلَّهُ﴾ أي: طلباً لرضاء. وفي معنى التثبيت قولان. أحدهما: أنه الإنفاق على يقين وتصديق، وهذا قول الشعبي، وقتادة، والسدي، في آخرين والثاني: أنه التثبيت لارتياح محل الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وأبي صالح.

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَحْمٍ﴾ الجنة: البستان. وقرأ مجاهد، وعاصم الجحدري «حبة» بالحاء. والربوة: ما ارتفع. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «بربوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر بفتح الراء، وقرأ الحسن والأعمش بكسر الراء، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، «برباوة» بزيادة ألف، وفتح الراء، وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري كذلك، إلا أنهما ضمما الراء، وكذلك خلفهم في «المؤمنين». قال الزجاج: يقال: ربوة وربوة وربوة ورباوة. والموضع المرتفع من الأرض إذا كان له ما يرويه من الماء، فهو أكثر ريعاً من السفلى. وقال ابن قتبية: الربوة الارتفاع، وكل شيء ارتفع وزاد، فقد ربا، ومنه الربا في البيع.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَكْهَلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: أكلها، والاكل بسكون الكاف حيث وقع، ووافقهما أبو عمرو، فيما أضيف إلى مؤنث، مثل: ﴿أَكْهَلًا ذَاهِبًا﴾ فأما ما أضيف إلى مذكر مثل: أكله؟ أو كان غير مضاف إلى مكنى: مثل ﴿أَكْهَلٍ تَحْمِلُ﴾ فنقله أبو عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي جميع ذلك مثقلاً. وأكلها، أي: ثمرها. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثلين. فأما «الطل» فقال ابن قتبية: هو أضعف المطر، وقال الزجاج: هو المطر الدائم، الصغار القطر الذي لا تكاد تسيل منه المشاعب. قال ثعلب: وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن لم يكن أصابها وابل فطل<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل خست، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص. والبصير من أسماء الله تعالى، معناه: المبصر. قال الخطابي: وهو فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: أليم بمعنى مؤلم.

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَمْ جَنَّةٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَمْ ذُرِّيَّةٌ مِّنْهُمَا فَاصْبَاهُ إِذَا نَارٌ فَاتَّخَذَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿لَا تَبْغُلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ ومعنى: «أَيُّود» أيحب، وإنما ذكر النخيل والأعتاب، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين، وخص ذلك بالكبير، لأنه قد يش من سعي الشباب في أكسابهم.

(١) قال الفراء: كيف قال قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ وهذا الأمر قد مضى؟ قيل: أصمرت «كان» فصلح الكلام، ومثله أن تقول: قد اعتقت عبيد، فإن لم اعتق اثنين، فواحداً بقيتمهما، والمعنى: إلا أكن، لأنه ماض، فلا بد من إضمار «كان» لأن الكلام جزاء. ومنه قول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لشيعة  
ولم تسجدي من أن تقري بها بذاً  
والبيت لزياد بن صعصعة القمسي يعرض بزوجه، وكانت أمها سريه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرِيبْهُمُ ضَعْفٌ﴾ أي: ضعاف، وإذا ضعفت الذرية كان أحنى عليهم، وأكثر إشفاقاً ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني: الجنة ﴿إِفْصَارٌ﴾ أي ريح شديدة، تهب بشدة، فترفع إلى السماء تراباً، كأنه عمود.  
قال الشاعر:

إِلَّا كُنْتُ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتُ إِعْصَاراً<sup>(١)</sup>

أي: لاقيت أشد منك. فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها، ولم يقل: فُصِيْبُهَا؟ أفيجوز أن يقال: أتود أن تصيب مالا، فضعاف، والمراد: فيضيع؟ فالجواب: أن ذلك جائز في «وددت»، لأن العرب تلقاها مرة بـ«أن»، ومرة بـ«لو»، فيقولون: وددت لو ذهبت عنا، ووددت أن تذهب عنا<sup>(٢)</sup>، قاله الفراء، وتعلب.

### فصل

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة عند شدة الحاجة. وفيمن قصّد به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه مثل للمفروط في طاعة الله تعالى حتى يموت، قاله مجاهد. والثالث: أنه مثل للمرائي في الثقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه، قاله السدي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الأنصار كانوا إذا جدّوا النخل، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد، فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنر فيه الحشف والشيص<sup>(٣)</sup> فيعلقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البراء بن عازب<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بهذه الثقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة المفروضة، قاله عبيدة السلماني في آخرين. والثاني: أنها التطوع. وفي المراد بالطيب هاهنا قولان: أحدهما: أنه الجيد الأنفس، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحلال، قاله أبو معقل في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ أي: لا تقصدوا. والتيمم في اللغة: القصد. قال ميمون بن قيس الأعشى:

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ  
مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمُو ذِي شُرَنْ<sup>(٦)</sup>

وفي الخبيث قولان: أحدهما: أنه الرديء، قاله الأکثرون، وسبب الآية يدل عليه. والثاني: أنه الحرام، قاله ابن زيد.

(١) قال أبو عبيدة: الإحصار: ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض. يضرب مثلاً للعدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد.

(٢) وتعام كلام الفراء في معاني القرآن: فلما صلحت بـ«لو» وبـ«إن» ومعناها جميعاً الاستقبال، استجازوا أن يردوا «فعل» بتأويل «لو» على «يفعل» مع «أن» فلذلك قال: (فأصابها) وهي في مذهبه بمنزلة «لو» إذا ضارعت «إن» بمعنى الجزاء، فوضعت في مواضعها، وأجيب «إن» بجواب «لو» و«لو» بجواب «إن» فكانه قيل: أبود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر.

(٣) القنر: الكباسة، وهي العلق التام بشماريخه ورطبه، هو في التمر بمنزلة المنقود من العنب وجمعه: أقتاء. الحشف: هو التمر ما لم ينو، فإذا يس صلب وفسد، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة، والشيص: رديء التمر.

(٤) رواء ابن أبي حاتم، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ولفظه عند الترمذي «عن البراء» «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنر والقنرين، فيعلقه بالمسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع، أتى القنر، ففصره بعضاه، فيسقط البسر والتمر، فيأكل. وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنر، فيه الشيص والحشف، وبالقنر قد انكسر، فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى، لم يأخذه إلا على الإغماض أو حياء، قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده.

(٥) رواء الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٢٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) ديوانه: ص ١٩ وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدى كرب الكندي. ذي شُرَنْ: غليظ، والشُرَنْ: الغلظ. يصف وهرة الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى ممدوحه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ بِقِيَابِهِمْ إِلَآ أَنْ تَقُولُوا يَمُوتُ﴾ قال ابن عباس: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاء ذلك، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه. وقال ابن قتيبة: أصل هذا أن يصرف المزم بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً. ومنه قول الناس للباح: أغمض، أي: لا تشخص، وكن كأنك لا تبصر. وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره، أغمض عينيه، لئلا يرى جميع ما يكره؛ جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ قال الزجاج: لم يأمركم بالتصدق عن عوز، لكنه بلا أخباركم، فهو حميد على ذلك. يقال: قد غني زيد، يغني غنى مقصوراً: إذا استغنى، وقد غني القوم: إذا نزلوا في مكان يغنيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مغنى، والغواني: النساء. قيل: إنما سمين بذلك، لأنهن غنين بجمالهن، وقيل: بأزواجهن. فأما «الحميد» فقال الخطابي: هو بمعنى المحمود، فاعيل بمعنى مفعول.

﴿الَّذِينَ يَبْدُوا الْفَقْرَ وَأَرْأَوْكُمْ بِالْفَقْرِ وَاللَّهُ يُؤَدِّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْدُوا الْفَقْرَ﴾ قال الزجاج: يقال: وعدته أعده وعداً وموعداً وموعدة وموعوداً، ويقال: الفقّر، والفقر. ومعنى الكلام: يحملكم على أن تؤدّوا في الصدقات الردي، يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد. ومعنى: يعدكم الفقر، أي: بالفقر، وحذفت الباء. قال الشاعر:

أمرتُك الخيرَ فإفعل ما أمرت به      فقد تركتُك ذا مال وذا نسب

وفي الفحشاء قولان، أحدهما: البخل. والثاني: المعاصي. قال ابن عباس: والله يعدكم مغفرة لفحشاءكم، وفضلاً في الرزق.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَآ أَزْوَآءَ الْأَنْبِيَآءِ﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً: أحدها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين. والثاني: معرفة ناسخ القرآن، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، ونحو ذلك، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية، وقتادة، وإبراهيم. والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: الإصابة في القول، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسابع: الورع في دين الله، قاله الحسن. والثامن: الخشية لله، قاله الربيع بن أنس. والتاسع: العقل في الدين، قاله ابن زيد. والعاشر: الفهم، قاله شريك. الحادي عشر: العلم والعمل، لا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت»، ووقف عليها بهاء. والمعنى: ومن يؤته الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ قال الزجاج: أي وما يتفكر فكرياً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذور العقول. قال ابن قتيبة: «أولوا» بمعنى: ذور، وواحد «أولوا» «ذور»، و«أولات»: «ذات».

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَنَ كَذَرْتُمْ مِنْ كَذَرٍ فَلَكُمْ اللَّهُ يَتْلُوهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَ كَذَرْتُمْ مِنْ كَذَرٍ﴾ النذر: ما أوجه الإنسان على نفسه، وقد يكون مطلقاً، ويكون معلقاً بشرط ﴿لَكُمْ اللَّهُ يَتْلُوهُ﴾ قال مجاهد: يُحْصِيهِ، وقال الزجاج: يجازي عليه. وفي المراد بالظالمين هاهنا، قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله مقاتل. والثاني: المتفوقون باليمن والأذى والرياء، والمنذرون في المعصية، قاله أبو سليمان الدمشقي. والأنصار: المانعون. فمعناه: ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَدَاتِ فَيَمَتَا هِي وَإِنْ تَقْفُوا وَتَوَلَّوْا الْفُتْرَةَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَدَاتِ فَيَمَتَا هِي﴾ قال ابن السائب: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾



قالوا: يا رسول الله، صدقة السر أفضل، أم العلانية؟ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج، يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، وأبديته إبداء: إذا أظهرته، وبدا لي بدء: إذا تغير رأيي عما كان عليه.

قوله تعالى: ﴿فَتَعِمَّا ۞﴾ في «نعم» أربع لغات. «نِعَم» بفتح النون، وكسر العين، مثل: عَلِمَ. و«نَعَم» بكسرها، و«نَعَم» بفتح النون، وتسكين العين، و«نَعَم» بكسر النون وتسكين العين. وأما قوله ﴿فَتَعِمَّا ۞﴾ فقرأ نافع في غير رواية «ورش»، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، والمفضل: «فَتَعِمَّا»، بكسر النون، والعين ساكنة، وقرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص، ونافع في رواية «ورش»، ويعقوب بكسر النون والعين. وقرأ ابن عامر، وحزمة والكسائي، وخلف: «فَتَعِمَّا» بفتح النون، وكسر العين، وكلهم شددوا الميم. وكذلك خلافهم في سورة النساء. قال الزجاج: «ما» في تأويل الشيء، أي: فنعم الشيء هي. وقال أبو علي: نعم الشيء إيدأها. وقوله تعالى ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني الإخفاء. واتفق العلماء على أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها<sup>(١)</sup>، وفي الفريضة قولان: أحدهما: أن إظهارها أفضل، قاله ابن عباس في آخرين. واختاره القاضي أبو يعلى، وقال الزجاج: كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله ﷺ أحسن، فاما اليوم، فالناس يسيئون الظن، فإظهارها أحسن. والثاني: إخفاؤها أفضل، قاله الحسن، وقتادة ويزيد بن أبي حبيب. وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة، وحملوا ﴿وَلَا تُخْفَوْهَا﴾ على النافلة، وهذا قول عجيب، وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين: أحدهما: يرجع إلى المعطي، وهو بُعْدهُ عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية. والثاني: يرجع إلى المعطى، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأنه في العلانية يتكسر.

قوله تعالى: ﴿وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم (وتكفر عنكم) بالنون والرفع، والمعنى: ونحن تكفر عنكم، ويجوز أن يكون مستأنفاً، وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: «وتكفر» بالنون وجزم الراء. قال أبو علي: وهذا على حمل الكلام على موضع قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في موضع جزم، ألا ترى أنه لو قال: وإن تخفوها يكون أعظم لأجركم لجزم، ومثله ﴿لَوْلَا لَفُتْنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ﴾ [المتفقون: ١٠] حمل قوله: «وأكن»، على موضع «فأصدق». وقرأ ابن عامر: «ويكفر» بالياء والرفع، وكذلك حفص عن عاصم على الكناية عن الله ﷻ، وقرأ أبان عن عاصم، «وتكفر» بالتاء المرفوعة، وفتح الفاء مع تسكين الراء.

قوله تعالى: ﴿مَنْ سَاءَ مَا يَحْكُمُ﴾ في «من» قولان: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أنها داخلية للتبعية. قال أبو سليمان الدمشقي: ووجه الحكمة في ذلك أن يكون العباد على خوف ووجل.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا لِأَنْفُسِكُمْ وَتَجِبُوا لِلَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المسلمين كرهوا أن يتصدقوا على أقربائهم من المشركين، فنزلت هذه الآية، هذا قول الجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ، قال: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم» فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبيرة<sup>(٢)</sup>. والخير في الآية أريد به المال، قاله ابن عباس، ومقاتل: ومعنى: ﴿لِيَأْشُرْ﴾، أي: فلكم ثوابه.

(١) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، من حديث عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمر بالصدقة» وإسناده صحيح. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

(٢) رواه الطبري بهذا اللفظ عن سعيد بن جبيرة. وروى النسائي. والحاكم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأسبابهم من المشركين، فسألوا، فرخص لهم، فنزلت هذه الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والريخ: العطية القليلة.



قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقْبَلُوكَ إِلَّا أَنْتَكَ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين، أعلمهم الله أنه قد علم أن مرآتهم ما عنده، وإذا أعلمهم بصحة قصدهم، فقد أعلمهم بالجزاء عليه.

قوله تعالى: ﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: توفون أجره. ومعنى الآية: ليس عليك أن يهتدوا، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام، فإن تصدقتهم عليهم أثبتهم. والآية محمولة على صدقة التطوع، إذ لا يجوز أن يعطى الكافر من الصدقة المفروضة شيئاً.

﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَكَ عَنْهُمَا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَىٰ عَنْهُمُ الْتَعَفُّفُ تَمْرِفُهُمْ بِسَبِيلِكَ النَّاسُ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَاكَ اللَّهُ يَوْمَ عَلَيْهِ ۝٢٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما حثهم على الصدقات والنفقات، دلهم على خير من تصدق عليه. وقد تقدم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿إِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٢١١] وفي المراد: بـ ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الصفة حسبوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم فقراء المهاجرين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم حسبوا أنفسهم على الغزو، فلا يقدرّون على الاكتساب، قاله قتادة. والرابع: أنهم قوم أصابهم جراحات مع النبي ﷺ، فصاروا زمنى، قاله سعيد بن جبیر، واختاره الكسائي، وقال: أحصروا من المرض، ولو أراد الحبس، لقال: حُصِرُوا، وإنما الإحصار من الخوف، أو المرض، والحصر: الحبس في غيرهما. وفي سبيل الله قولان: أحدهما: أنه الجهاد، والثاني: الطاعة. وفي الضرب في الأرض قولان: أحدهما: أنه الجهاد لم يمكنهم لفقرهم، نقل عن ابن عباس. والثاني: الكسب، قاله قتادة. وفي الذي منعهم من ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أمراضهم، قاله ابن جبیر، وابن زيد. والثالث: التزامهم بالجهاد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «يحبسهم» و«يخيسن» بكسر الحين في جميع القرآن. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر، بفتح السين في الكل. قال أبو علي: فتح السين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فعل»، نحو: حسب، كان المضارع على «يفعل»، مثل: فرق يفرق، وشرب يشرب، والكسر حسن لموضع السمع. قال ابن قتيبة: لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبر، فكانه قال: يحسبهم من لا يخبر أمرهم. والتعفف: ترك السؤال<sup>(١)</sup>، يقال: عف عن الشيء وتعفف. والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله من السمة، وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال: أحدها: تجملهم، قاله ابن عباس. والثاني: خشوعهم، قاله مجاهد. والثالث: أثر الفقر عليهم، قاله السدي والربيع بن أنس، وهذا يدل على أن للسيما حكماً يتعلق بها، قال إمامنا أحمد في الميت يوجد في دار الحرب، ولا يعرف أمره: ينظر إلى سيماه، فإن كان عليه سيما الكفار من عدم الختان، حكم له بحكمهم، فلم يدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه، وإن كان عليه سيما المسلمين حكم له بحكمهم، وأما الإلحاف، فهو: الإلحاح، قال ابن قتيبة: يقال: ألحف في المسألة: إذا ألح، وقال الزجاج: معنى ألحف: شمل بالمسألة، ومنه اشتقاق اللحاف، لأنه يشمل الإنسان بالتغطية، فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير ملحقين؟ فالجواب: أن لا، وإنما معنى الكلام: أنه لم يكن منهم سؤال، فيكون إلحاف: قال الأعشى:

لا يغمز الساق من أين ولا وصب

ولا يعض على شرسوفه الصفر<sup>(٢)</sup>

(١) جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان، ولا اللقمة ولا اللقمان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرؤوا إن شئتم، ويعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾ إِلْحَافًا».

(٢) في «الأصمعيات» من أين ومن وصب، والبيت لأعشى باهلة، من قصيدة يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب. الأين: الإعياء والتعب. والوصب: الوجع والمرض. والشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن. والصفر: يزعم العرب أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. قال ابن السيد: وإنما أراد: لاصفر في جوفه، فيعض على شراسيفه. يصفه بشدة الخلقة، وصحة البنية.

معناه: ليس بساقه أين ولا وصب، فيغمرها لذلك. قال الفراء: ومثله أن تقول: فلما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه، فهم لا يسألون الناس إلحافاً، ولا غير إلحاف، وإلى نحو هذا ذهب الزجاج، وابن الأنباري في آخرين.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْقَهْرِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَافَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْقَهْرِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله ﷻ، رواه حنث الصنعاني عن ابن عباس، وهو قول أبي الدرداء وأبي أمامة، ومكحول، والأوزاعي في آخرين. والثاني: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، فإنه كان معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها نزلت في علي، وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَكَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ الربا: أصله في اللغة: الزيادة، ومنه الربوة والرابية، وأربى فلان على فلان: زاد. وهذا الوعيد يشمل الآكل، والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود. وقد صح عن النبي ﷺ أنه «لمن أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابته»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ قال ابن قتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس. فالتاس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْغَيَّاتِ يَرْكَبُ﴾ (المعارج: ٤٤٣). إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فلا يقدر على الإسراع. وقال سعيد بن جبیر: تلك علامة أكل الربا إذا استحل يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكر من عقابهم ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ وقيل: إن قتيلاً كانوا أكثر العرب رباً، فلما نهوا عنه، قالوا: إنما هو مثل البيع.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال الزجاج: كل تأنيث ليس بحقيقي، فتذكيره جائز، ألا ترى أن الوعد والموعظة معبران عن معنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما أكل من الربا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن «الهاء» ترجع إلى العربي، فتقديره: إن شاء عصمته منه، وإن شاء لم يفعل، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى الربا، فمعناه: يعفو الله عما شاء منه، ويعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ قال ابن جبیر: من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾

﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَكَدَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٧)

قوله تعالى: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى محقه: تنقيصه واضمحلاله، ومنه: محاق الشهر لنقصان الهلال فيه. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر. والثاني: أنه إبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، ورواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله، ولفظه: «لمن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وقال: هما سواء».

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن الربا وإن كثرت فإن عاقبته إلى قل» والقل، بضم القاف وتشديد اللام: القلة، كالذل والذلة.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْى الصَّدَاقَتُ﴾ قال ابن جبير: يضاعفها. والكفَّار: الذي يكثر فعل ما يكفر به، والأثيم: المتماذي في ارتكاب الإثم المصر عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عمرو بن عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف، فلما وضع الله الربا، طالبت ثقيف بني المغيرة لما لهم عليهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، والعباس. كانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال صاحب التمر: إن أخذتما مالكما، لم يبق لي ولعلي ما يكفي، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فنهاهما، فنزلت هذه الآية، هذا قول عطاء وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في العباس، وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية، وكانا يسلفان في الربا، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضمه ربا العباس<sup>(٢)</sup>» هذا قول السدي. قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: إنما قال: ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ لأن كل ربا كان قد ترك، فلم يبق إلا ربا ثقيف. وقال قوم: الآية محمولة على من أربى قبل إسلامه، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويعفى له عما مضى. فأما المراباة بعد الإسلام، فمردودة فيما قبض، ويسقط ما بقي.

﴿إِن لَّمْ تَقْمَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَكَيْفَ هُمْ أَمْزَلُكُمْ لَا تَقْلُمُونَ وَلَا تَقْلُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ تَقْمَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿فَاذْنُوا﴾ مقصورة، مفتوحة الذال. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «فَاذْنُوا» بمد الألف وكسر الذال. قال الزجاج: من قرأ: فَاذْنُوا، بقصر الألف، وفتح الذال، فالمعنى: أيقنوا. ومن قرأ بمد الألف، وكسر الذال، فمعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لأكل الربا: خذ سلاحك للحرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْتِغُوا فَكَيْفَ هُمْ أَمْزَلُكُمْ لَا تَقْلُمُونَ وَلَا تَقْلُمُونَ﴾ أي: التي أقرضتموها، لا تظلمون، فتأخذون أكثر منها، ولا تظلمون فتتقصون منها، والجمهور على فتح «تاء» تظلمون الأولى، وضم «تاء» تظلمون الثانية. وروى المفضل عن عاصم: ضم الأولى، وفتح الثانية.

﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ لَّكَ مِيسِرَةٌ وَآنِ صَدَقُوا خَيْرٌ لَّكَ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ ذكر ابن السائب، ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾

(١) رواه الواحدي، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) رواه الواحدي عن البدي بدون سند. وأخرج مسلم من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: فخطب الناس وقال: «إن معاكم وأمواكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ومعاه الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد، لقتله هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله».

(٣) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في النهي عن الربا، والتفريق منه، وأنه من الكبائر، وأن عاقبة من يقع فيه وخيمة. من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وروى البخاري عن سمرة بن جندب ؓ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة وجلين أتاني فلأعرجاني إلى أرض مقلصة، حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أولد أن يخرج، رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان. قلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ قال: أكل الربا». وروى أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية». وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ؓ، عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون بابا» ورواه الحاكم وزاد «لمسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم» وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن تشتري التمرة حتى تطعم، وقال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم هذاب الله». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا، وندع لكم الربا، فشكا بنو المغيرة العسرة، فنزلت هذه الآية، فأما العسرة، فهي الفقر، والضيق. والجمهور على تسكين السين، وضمها أبو جعفر هاهنا وفي «سَأَلُوا الْمُسْرَةَ» وقرأ الجمهور بفتح سين «الميسرة»، وضمها نافع، وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين، إلا أنه زاد، فكسر الراء، وقلب التاء هاء، ووصلها بياء. قال الزجاج: ومعنى «وَلَا تَكُنْ» وإن وقع. والنظرة: التأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً، وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا» والأكثرون على تشديد الصاد، وخففها عاصم مع تشديد الدال، وسكنها ابن علة مع ضم الدال فجعله من الصدق.

﴿وَأَقْرَأُوا يَوْمَ تُنْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: «وَأَقْرَأُوا يَوْمَ تُنْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» قرأ أبو عمرو بفتح تاء «ترجعون» وضمها الباقون. قال ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وعطية، ومقاتل في آخرين: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: وتوفي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين يوماً، وقال ابن جريج: توفي بعدها بسبع ليال. وقال مقاتل: بسبع ليال. قوله تعالى: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ» أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿يَأْتِيهَا الذِّكْرُ مَأْمُورًا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنِي إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَهْوُوا وَلَيَكُنَّ بَيْنَكُمْ كَايِدٌ وَلَا يَأْبَ كَايِدٌ أَنْ يَكْتُفِبَ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ فَلْيَكْتُفِبْ وَلْيُطْلَبِ إِلَى اللَّهِ الْحَقُّ وَلَيَسَّيْ اللَّهُ رَيْبَهُ وَلَا يَبْهَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَمِيمًا أَوْ لَا يَسْتَلْبِغُ أَنْ يُعْلَمَ هُوَ فَلْيُتْلَلْ وَلِيَهُ وَالْمَعْدِلُ وَأَسْتَهْوُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ بَنِيكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا بِطَيِّبَيْنِ فَرَجُلٍ وَآمَرَآكَ بِهِمَا تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَقِيلَ إِنْ أَحَدُهُمَا مَنَّكَ مِنَ الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَقْرَأُوا أَنْ تَكْتُبُوا سَفِيهًا أَوْ كَبِيرًا إِلَهَ أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَسْطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقُومَ لِلشُّهَدَةِ وَأَذَقَهُ الْآ تَرَاوُثًا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَرَةٍ حَاصِرَةً فَيُؤْثِرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوا وَأَسْتَهْوُوا إِذَا تَبَايَسْتُمْ وَلَا يَحْزَنُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقْعَلُوا فَلَئِنْ سَوَّيْتُمْ بِكُمْ وَأَقْرَأُوا اللَّهُ وَبَعَلُّكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: «يَأْتِيهَا الذِّكْرُ مَأْمُورًا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنِي» قال الزجاج: يقال: دابنت الرجل إذا عاملته، فأخذت منه بدين، وأعطته.

قال الشاعر:

داينت أروى والديون تقضى

فما طلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعض دين إلى أجل مسمى، فاكتموه، فأمر الله تعالى بكتابة الدين، وبالإشهاد، حفظاً منه للأموال، وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة، قل تحديته لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في السلم خاصة. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: «بدين» و«تدانيتم» يكفي عنه؟ فالجواب: إن تدانيتم يقع على معنيين. أحدهما: المشاركة والمبايعة والإقراض. والثاني: المجازاة بالأفعال، فالأول يقال فيه: الدين بفتح الدال، والثاني: يقال منه: الدين بكسر الدال. قال تعالى: «يَتْلُونَ آيَاتِ يَوْمِ الْآزِينِ ﴿٧﴾» [الدريات: ١٧] أي: يوم الجزاء.

(١) رواه الطبري والنسائي في «السنن الكبرى» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات. وظاهر هذه الرواية يعارض ما ثبت عن ابن عباس من أن آخر آية نزلت هي آية الربا، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس ﷺ قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. وطريق الجمع بين الروایتين كما قال الحافظ ابن حجر أن هذه الآية - يريد آية الربا - ختام الآيات المنزل في الربا إذ هي معطوفة عليهن. وقال الزركشي في «البرهان» ١/ ٢١٠ بعد أن ذكر الآثار الواردة عن الصحابة عن آخر آية نزلت من القرآن: قال القاضي أبو بكر في «الانتصار»: وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي ﷺ، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقة له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعد. ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر بوسم ما نزل منها، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته، فيظن سماع ذلك أنه آخر ما نزل من الترتيب.

وأنشدوا:

... دنأهم كما دانوا<sup>(١)</sup>

.....

فدل قوله: ﴿بَدَيْنَ﴾ على المراد بقوله: ﴿تَدَانِيَتْ﴾ ذكره ابن الأنباري. فاما العدل فهو الحق. قال قتادة: لا تدعن حقاً، ولا تزيدن باطلاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ أي: لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله، وفيه قولان. أحدهما: كما علمه الله الكتابة، قاله سعيد بن جبير. وقال الشعبي: الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد. والثاني: كما أمره الله به من الحق، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ آلَئِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني المطلوب، يقول: ليمل ما عليه من حق الطالب على الكاتب، ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي: لا ينقص عند الإملاء. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أمللت أمل، وأملت أملي لغتان، فأملت من الإملاء وأملت من الملل والملال، لأن الممل يطيل قوله على الكاتب ويكرره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾ في المراد بالسفيه هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الجاهل بالأموال، والجاهل بالإملاء. قاله مجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الصبي والمرأة، قاله الحسن. والثالث: أنه الصغير، قاله الضحاك، والسدي، والرابع: أنه المبذر، قاله القاضي أبو يعلى. وفي المراد بالضعيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العاجز والأخرس، ومن به حق، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنه الأحمق، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: أنه الصغير، قاله القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ قال ابن عباس: لا يستطيع لعيه. وقال ابن جبير: لا يحسن أن يمل ما عليه، وقال القاضي أبو يعلى: هو المجنون.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْلِكْ وَرِيثُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدها: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليملل ولي الحق، هذا قول ابن عباس، وابن جبير، والربيع بن أنس، ومقاتل، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحاك، وابن زيد، واختاره الزجاج، وعاب قول الأولين، فقال: كيف يقبل قول المدعى؟! وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد، والقول قوله؟! وهذا اختيار القاضي أبي يعلى أيضاً. والعدل: الإنصاف. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه يعني الأحرار، قاله مجاهد، والثاني: أهل الإسلام، وهذا اختيار الزجاج، والقاضي أبي يعلى، ويدل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أراد: فإن لم يكن الشهيذان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ ولم يرد به: إن لم يوجد رجلان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ قال ابن عباس: من أهل الفضل والدين.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُخَرَّجَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ ذكر الزجاج، أن الخليل، وسيبويه، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر إحداهما الأخرى. ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى.

(١) هو عجزيت من قصيدة لشهل بن شيان الزماني، أولها:

صفحننا عن بني ذهل  
على الأيام أن يرجع  
فلما صرح الشر  
ولم يبق سوى المعدوا

وقلنا القوم إخوان  
نقوماً كالذي كانوا  
وأمنى وهو عريان  
ن دنأهم كما دانوا

قال المروزي: العدوان والعداء والعدو: الظلم. وأما قوله: دنأهم كما دانوا، والأول ليس بجزء، فهذا ليلهم إلى المطابقة والموافقة، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه، ليعلم أنه جزأه على حدّ وقدره، أو ابتدأه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ والله يستهزئ بهم وما أشبهه. والدين: لفظة مشتركة في عدة معان: الجزاء والعادة والطاعة والحساب، وهو هاهنا الجزاء، ويقولون: فكما تدن داناً أي: كما تصنع يصنع بك.

وقرأ حمزة: «إن تضل» بكسر الألف. والضلال هاهنا: النسيان، قاله ابن عباس والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما قوله: «فتذكر» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بالتخفيف مع نصب الراء، وقرأ حمزة بالرفع مع تشديد الكاف، وقرأ الباقون بالنصب، وتشديد الكاف. فمن شدد أراد الإذكار عند النسيان، وفي قراءة من خفف قولان: أحدهما: أنها بمعنى المشددة أيضاً، وهذا قول الجمهور. قال الضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، ومعنى القراءتين واحد. والثاني: أنها بمعنى: تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر، وهذا مذهب سفيان بن عيينة، وحكى الأصمعي عن أبي عمرو نحوه، واختاره القاضي أبو يعلى، وقد رده جماعة، منهم ابن قتيبة. قال أبو علي: ليس مذهب ابن عيينة بالقوي، لأنهم لو بلغن ما بلغن، لم تجز شهادتهن إلا أن يكون معهن رجل، ولأن الضلال هاهنا: النسيان، فينبغي أن يقابل بما يعادله، وهو التذكير.

قوله تعالى: «وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» قال قتادة: كان الرجل يطوف في الجواء العظيم<sup>(١)</sup>، [فيه القوم، فيدعونه إلى الشهادة] فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إلى تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقتادة، والربيع. والثاني: إلى إقامتها وأدائها عند الأحكام بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبيرة، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد. ورواه الميموني عن أحمد بن حنبل. والثالث: إلى تحملها وإلى أدائها، روي عن ابن عباس، والحسن، واختاره الزجاج، قال القاضي أبو يعلى: إنما يلزم الشاهد أن لا يأبى إذا دعي لإقامة الشهادة إذا لم يوجد من يشهد غيره، فأما إن كان قد تحملها جماعة، لم تتعين عليه، وكذلك في حال تحملها، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالى: «وَلَا تَسْفَرُوا» أي: لا تملوا وتضجروا أن تكتبرا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلى أجله، أي: إلى محل أجله «ذَلِكَمُ أَفْسَظُ عِنْدَ اللَّهِ» أي: أعدل، «وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ» لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه «وَأَدَقُّ» أي: أقرب «أَلَا تَرَ تَأْخَرُونَ» أي: لا تشكروا «إِنَّ أَنْ تَكُونَ» الأموال «يَجْرَةً» أي: إلا أن تقع تجارة. وقرأ عاصم «تجارة» بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منهما على صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل، فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تباعهم في مأكول أو مشروب.

قوله تعالى: «وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ» الإشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

### فصل

وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر ندب واستحباب<sup>(٢)</sup> فعلى هذا هو محكم،

(١) قال في «اللسان»: الجواء بكسر الحاء: جماعة بيوت الناس إذا تباينت، والجمع: الأحوية.

(٢) قال ابن كثير: وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب، لا على الوجوب، والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري، وقد رواه الإمام أحمد، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستبته النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ، وأبطأ الأعرابي فطلق رجال يعترضون الأعرابي، فيسأموه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ، فقال: إن كنت متابعاً هذا الفرس فابتعه، وإلا بعت. فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي: قال: «لو ليس قد ابتعت منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي ﷺ: فإل قد ابتعت منك؟ فطلق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجمان، فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك، فمن جاء من المسلمين، قال الأعرابي: وملك، النبي ﷺ لم يكن يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك. قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بابتعت. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «هم تشهد؟» فقال: يتصدق بك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين. ورواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وابن سعد في «الطبقات» والطبراني، ورجاله كلهم ثقات، وهو حديث صحيح.

وذهبت طائفة إلى أن الكتاب والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمر، وأبي موسى، ومجاهد، وابن سيرين، وعطاء، والضحاك، وأبي قلابه، والحكم، وابن زيد. ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باقٍ، أم منسوخ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُ قَلْبُورِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. أَمْتَنَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الراء من «يضار» وسكونها، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لا يضارُّ بأن يدعى وهو مشغول، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، والفراء، ومقاتل. وقال الربيع: كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتب لي، فيقول: إني مشغول، فيلزمه، ويقول: إنك قد أمرت بالكتابة، فيضاره، ولا يدعه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. والثاني: أن معناه: النهي للكاتب أن يضار من يكتب له، بأن يكتب غير ما يمل عليه، وللشاهد أن يشهد بما لم يستشهد عليه، هذا قول الحسن، وطاووس، وقتادة، وابن زيد، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. واحتج الزجاج على صحته بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْمَلُوا لَأَنَّهُ قُتِلَ بِكُمْ﴾ قال: ولا يسمى من دعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول، أو شاهداً، فاسقاً، إنما يسمى من حرف الكتاب، أو كذب في الشهادة، فاسقاً. والثالث: أن معنى المضارة: امتناع الكاتب أن يكتب، والشاهد أن يشهد، وهذا قول عطاء في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْمَلُوا﴾ يعني: المضارة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقُومَتَهُ فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُ قَلْبُورِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَمْتَنَهُ وَلَيَّتِي اللَّهُ رَبِّي وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إنما خص السفر، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه. ومقصود الكلام: إذا عدمتم التوثيق بالكتاب، والإشهاد، فخذوا الرهن.

قوله تعالى: ﴿فَرِهْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعبد الوارث (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وأسكن الهاء عبد الوارث. وجهه للتخفيف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي (فرهان) بكسر الراء، وفتح الهاء، وإثبات الألف. قال ابن قتيبة: من قرأ (فرهان) أراد: جمع رهن، ومن قرأ: (فرهن) أراد: جمع رهان، فكانه جمع الجمع.

قوله تعالى: ﴿مَقُومَتَهُ﴾ يدل على أن من شرط لزوم الرهن القبض، وقبض الرهن أخذه من راحته منقولاً، فإن كان مما لا ينقل، كاللور والأرضين، فقبضه تخلية راحته بينه وبين مرتهنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضٌ﴾ أي: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب، ولا شهود، ولا رهن، ﴿فَلْيُؤَرِّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو المدين ﴿أَمْتَنَهُ وَلَيَّتِي اللَّهُ رَبِّي﴾ أن يخون من ائتمنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ﴾ قال السدي عن أشياخه: فإنه فاجر قلبه. قال القاضي أبو يعلى: إنما أضاف الإثم إلى القلب، لأن المأثم تتعلق بعقد القلب، وكتمان الشهادة إنما هو عقد النية لترك أدائها.

﴿لِللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُخَالِسْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْلَمُ لِمَنْ يَكْتُمُ وَيَعْلَمُ مَنْ يَكْتُمُ﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُخَالِسْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أما إبداء ما في النفس، فإنه العمل بما أضمره العبد، أو النطق، وهذا مما يحاسب عليه العبد، ويؤاخذ به، وأما ما يخفيه في نفسه، فاختلف العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين. واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في المواخضة، أم منسوخ؟ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿لَا يَكْتُمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٤] هذا قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وابن سيرين



وسعد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، ومقاتل<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه ثابت في المؤاخذه على العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء، وهذا مروى عن ابن عمر، والحسن، واختاره أبو سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية لم تنسخ، ولكن الله ﷻ إذا جمع الخلائق، يقول لهم: أني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي، فاما المؤمنون فيخبرهم، ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله تعالى: ﴿يَخْبِرُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول: يخبركم به الله، وأما أهل الشرك والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ لِمَنِ بَيِّنَاتٌ وَيَذُوبُ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>. والأكثر على تسكين راء «يفغر» وباء «يعذب» منهم ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وإنما جزموا لإتباع هذا ما قبله، وهو «يحاسبكم» وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم ويعقوب: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قطعوا الكلام عن الأول. قال ابن الأباري: وقد ذهب قوم إلى أن المحاسبة هاهنا هي إطلاع الله العبد يوم القيامة على ما كان حدث به نفسه في الدنيا، ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي. وقد روي عن عائشة أنها قالت: أما ما أعلنت، فالله يحاسبك به، وأما ما أخفيت، فما عجلت لك به العقوبة في الدنيا. والقول الثاني: أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرباب هذا القول فيه قولان: أحدهما: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباس في رواية، وعكرمة، والشعبي، والثاني: أنه الشك واليقين، قاله مجاهد. فعلى هذا المذكور تكون الآية محكمة.

﴿إِنَّمَا أَرْسَلْتُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَيْدِي رَسُولِهِ وَكَانُوا سِيعًا وَأَطَعُوا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَرْسَلْتُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾. روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البصري عن النبي ﷺ، أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه»<sup>(٣)</sup> قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن قيام الليل<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنهما نزلتا على سبب، وهو ما روى العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله

(١) نقل ابن كثير في «تفسيره» حديث ابن عباس المخرج في مسلم، وفيه: «فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله: ﴿يَكُفُّ اللَّهُ قَسَا إِلَّا وَصْمًا...﴾ ثم قال بعد أن ذكر له أكثر من طريق: فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس. وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس، فروى البخاري عن مروان الأصغر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر - «وإن تُدْأَمَا مَنَ أَشْهَرُكُمْ أَوْ تُشْرُوهُ» قال: نسخها الآية التي بعدها. وهكذا روي عن علي، وابن مسعود، والشعبي، وعكرمة، وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها. وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تكلم أو تعمل». وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا هم عبيدي بسينة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكثبوها سينة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكثبوها حسنة، فإن عملها فاكثبوها عشرة».

(٢) وهو اختيار ابن جرير الطبري، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، بالحديث الذي رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن صفوان بن محرز قال: «بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يهدو المؤمن من ربه ﷻ حتى يضع عليه كفته، فيقرره بطنويه، فيقول له: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه يمينه، وأما الكفار والمنافقون، فينادي بهم على رؤوس الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَسَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾». ثم قال ابن جرير: فتأويل الآية إذا: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فظفروها، أو تخفوها فتظفوها، فاعلموا أنكم يحاسبكم به الله، فيعرف مؤسكم تفضله بغفوه عنه، ومغفرتة له، فيغفره له، ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه، ونبوة أنبيائه.

(٣) رواه مسلم بهذا اللفظ، ورواه البخاري بلفظ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

(٤) وقيل: كفتاه عما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: من الشيطان وشربه، قيل: حسب بهما أجراً وفضلاً، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يرجع به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض، قال: ﴿إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكَ مَا يَتَّقُونَ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطاني رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطاني الصلوات الخمس، وأعطاني خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقححات. والمقححات، بكسر الحاء: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.



تعالى: ﴿وَلَنْ تُبَدُّوهُمَا فِي شَيْءٍ مِّنْ أَشْيَاكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُمَا بِكَافٍ يُكَادِبُكُمْ وَيُؤَمِّقُ﴾. اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ [فاتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب] فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟» قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها ﴿مَّا مِّنْ أَرْسُلَ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: لما ذكر ما تشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام، ختمها بتصديق نبيه، والمؤمنين. وقرأ ابن عباس (وكتابه) فقيلاً له في ذلك، فقال: كتاب أكثر من كُتِبَ، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وقد وافق ابن عباس في قراءته حمزة، والكسائي، وخلف، وكذلك في (التحريم)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر (وكتبه) هاهنا بالجمع، وفي (التحريم) بالتوحيد. وقرأ أبو عمرو بالجمع في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْتَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾. قرأ أبو عمرو ما أضيف إلى مكني على حرفين، مثل «رسلنا» و«رسلكم» بإسكان السين، وثقل ما عدا ذلك. وعنه في قوله تعالى: ﴿عَلَى رُسُلِكُمْ﴾ روايتان، التخفيف والتثقل. وقرأ الباقون كل ما في القرآن من هذا الجنس بالتثقل. ومعنى قوله: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْتَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ أي: لا تفعل كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. وقرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء، وفتح الراء.

قوله تعالى: ﴿عُفِّرَ بَنَدُكَ﴾ أي: نسألك غفرانك. والمصير: المرجع. ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَيِّئًا أَوْ أَسْخَفَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَمَعَهَا﴾ الوسع: الطاقه. قاله ابن عباس، وقادة. ومعناه: لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزمن السعي، والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف، لا لفقد الآلات، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن الإيمان، فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعاً، كان السؤال عبثاً، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿وَلَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] وقال ابن الأنباري: المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له على تجشم، وتحمل مكروهه، فخطاب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغيه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا يَسْتَخِيمُونَ السَّمْعَ﴾ (هود: ٢٠).

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ قال ابن عباس: لها ما كسبت من طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من معصية. قال أبو بكر النقاش: فقله: «لها» دليل على الخير، و«عليها» دليل على الشر. وقد ذهب قوم إلى أن «كسبت» لمرة ومرات، و«اكتسبت» لا يكون إلا لشيء بعد شيء، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحد، كقوله ﷺ: ﴿فَيَهْلِي الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رَوْيًا﴾<sup>(٣)</sup> [الطارق: ١٧].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ هذا تعليم من الله للخلق أن يقولوا ذلك، قال ابن الأنباري: والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنى الغفلة قد أمنت الآثام من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو<sup>(٤)</sup>، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا غفل. وفي «الإصر» قولان:

(١) رواه أحمد ومسلم وابن حبان بمعناه.

(٢) يؤيد هذا التفسير قوله ﷺ: «إن الله وضع من أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والطبراني عن ابن عباس. ورواه الحاكم ١٩٨/٢ ونظيره «تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال أبو جعفر الطبري: والنسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط، وهذا الذي يرغب العبد إلى الله ﷻ في تركه مواخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله ﷻ به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا إِلَهُ كَادَ مِن قَبْلِ فَيْقُوقَ وَلَمْ يَجِدْ لَمَرَّ عَيْنِكَ﴾ [طه: ١١٥]. والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكيل به، وضعف عقله عن احتماله، فإن ذلك من =

أحدهما: أنه العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثاني: الثقل، أي: لا تثقل علينا من الفروض ما ثقلته على بني إسرائيل، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مَالًا عَاقَةً لِّأَنفُسِكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يصعب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور، والثاني: أنه المحبة، رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم. والثالث: الغلظة<sup>(١)</sup> قاله مكحول. والرابع: حديث النفس ووساوسها. والخامس: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي: أنت ولينا ﴿فَانصُرْنَا﴾ أي: أعنا. وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة قال: آمين.



= العبد غير معصية، وهو به غير آثم، ولا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له. وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما من وجه ما نهى عنه، فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً. والآخر منهما: ما كان منه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم غيم، وهو ينتظر بتأخيرها إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الموضوع عن العبد الذي وضع الله ﷻ عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه ألا يؤاخذ به. انتهى باختصار.

(١) الغلظة: غليان شهوة المواقفة من الرجل والمرأة.

## سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدرأ من أولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي ﷺ في ستين ركباً، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلى بضع وثمانين آية منها.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ① زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ وَالْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ② مِنْ قَبْلِ هَٰذَا لِقَائِكَ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾

قوله تعالى: ﴿زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾ يعني: العدل. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب. وقيل: إنما قال في القرآن: ﴿نَزَلَ﴾ بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: أنزل، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فأما التوراة، فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعلها من: وري الزند يري: إذا خرجت ناره، وأورثته، يريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: وري يري، ويقال: وريت بك زنادي، والإنجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجته، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبح الله ناجليه، أي: والديه، وقيل للماء يقطر من البئر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزره]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كأن الله أظهر به عافياً من الحق دارساً. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والإنجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عربياً، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم<sup>(١)</sup>. وفي الفرقان هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور. قال أبو عبيدة: سمي القرآن فرقاناً، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وأنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فيه هدى للناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمد. والانتقام: المبالغة في العقوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ③ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ فِي الْأَنْحَارِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ④﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ③﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هذا تعريض بنصارى أهل نجران فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النبي ﷺ، وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر عيسى.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ التَّاتِيلَةِ وَتَّاتِيلِهِ وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ⑤﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ المحكم: المتقن المبين، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس،

(١) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المعرب» للجواليقي: والصحيح أن الكلمة يونانية الأصل، أصلها «أونجيليون» مركبة من كلمتين معناهما: البشرى الحسنة.

ومجاهد. والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله. روي عن جابر بن عبد الله. والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة. والثامن: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى<sup>(١)</sup>. وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكانه قال: هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام. وفي المتشابهة سبعة أقوال: أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. والثالث: أنه الحروف المقطعة كقوله: ﴿الْعَمَّ﴾ ونحو ذلك، قاله ابن عباس. والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. الخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفي على مميّز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات. والسابع: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين: أحدهما: الموجز الذي لا يخفي على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكانه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كله محكماً واضحاً، لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأغرب.

قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي  
بسهميك في أعشار قلب مقتل<sup>(٢)</sup>  
فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد، وزاد في بلاغته. وقال امرؤ القيس أيضاً:

رمتني بسهم أصاب الفؤاد  
غداة الرحيل فلم أنتصر<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً:

فقلت له لما تمطى بصلبه  
وأردف أعجازاً وناء بكلكل<sup>(٤)</sup>  
فجعل الليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه، فحسن بذلك شعره. وقال غيره:

من كميّت أجادها طابخاها  
لم تمت كل موتها في القدور  
أراد بالطابخين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:  
تبكي هاشماً في كل فجر  
كما تبكي على الفنن الحمام

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» ص ٧٥٢: للعلماء في المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابعة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان. ويعني بهذه المقالة الرسالة الموسومة بـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» وقد أنبتها القاسمي رحمه الله في تفسيره بطولها.

(٢) شرح القصائد السبع ص ٤٧. ذرفت: سال دمعه. وأراد بالسهمين: العينين. الأعشار: القطع والكسور. المقتل: المذل. يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً، أي: مكسراً، ولم تبكي، لأنك مظلومة. وقال غير الأصمعي: كاذرفت عيناك إلا لتذهبي قلبي كله، كالرجل الذي يأخذ المعلى والغريب، وهما من سهام القمار ولهما عشرة أنصاء، والجزور يقسم عشرة أعشار، وهذا مثل ضربه لذهابها بقلبه كله.

(٣) «ديوانه» ص ١٥٥. وقوله: رمتني بسهم، أي: نظرت إليّ نظرة فلم أنتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاشماً: عيناها.

(٤) شرح القصائد السبع ص ٧٥. تمطى: تمدد. جزوه: وسطه. يقال: تمطى الرجل إذا تمدد، أي مد مطاء: أي ظهره. يقول: قلت لليل لما أنرط طولها، وناءت أوائله، وازدادت أواخره تطاولاً، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد، والسهرة المتولى منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسرور يستقصر ليله.

وقال آخر:

عجبت لها أنى يكون غناؤها

فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فما

فجعل لها غناء وفماً على جهة الاستعارة. والجواب الثاني: أن الله تعالى أنزله مختبراً به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيف، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاههم بنهر طالوت. والثالث: أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولماتت الخواطر، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم. وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنه يورث البلادة، وفضل الفقر: أنه يبعث على الحيلة، لأنه إذا احتاج احتال. والرابع: أن أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معاني غامضة، ومسائل دقيقة ليخرجوا بها من يعلمون، ويمرتوهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ذُرِّيٌّ﴾ في الزيف قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عباس كالقولين. وقيل: هو الميل عن الهدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن. والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج. والثالث: وقد نجران من النصارى، قاله الربيع. والرابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ بِهِ﴾ قال ابن عباس: يُحِيلُونَ المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُليسون. وقال السدي: يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت؟! وفي المراد بالفتنة هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج. وفي التأويل وجهان: أحدهما: أنه التفسير. والثاني: العاقبة المتنتزة. والراسخ: الثابت، يقال: رسخ يرسخ رسوخاً. وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون، وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ: (ويقول الراسخون في العلم آمنا به) وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبي ابن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري، والجمهور. قال ابن الأنباري: في قراءة عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم) وفي قراءة أبي، وابن عباس: (ويقول الراسخون) وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا بَيْنَ ذَلِكَ كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] فأنزل الله تعالى المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع، واختاره ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجيع، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد.

﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَدًّا إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَكَّابُ﴾ ﴿١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّاكَ اللَّهُ لَا يُخْلِكُ إِلَيْكَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا﴾ أي يقولون: (ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ هديتنا) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر، والجحدري «لا تُخِزْ» بفتح التاء «قُلُوبُنَا» برفع الباء. ولدنك: بمعنى عندك. والوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استئابة، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدأ لعقيم، والله تعالى قادر على أن يهب جميع الأشياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَأْتَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي: لن تدفع، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده. وقوله تعالى: ﴿يَنْتِ اللَّهُ﴾ أي: من عذابه.

﴿كَذَّابٌ مَالِ زُرْعَةٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ مَالِ زُرْعَةٍ﴾ في الدأب قولان: أحدهما: أنه العادة، فمعناه: كعادة آل فرعون، يريد: كفر اليهود، ككفر من قبلهم، قاله ابن قتيبة، وقال ابن الأنباري: «الكاف» في «كذاب» متعلقة بفعل مضمر، كأنه قال: كفرت اليهود، ككفر آل فرعون. والثاني: أنه الاجتهاد، فمعناه: أن دأب هؤلاء، وهو اجتهادهم في كفرهم، وتظاهروهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى ﷺ، قاله الزجاج.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَهْلٌ يُعْتَرُونَ إِلَّا جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْيَهَادُ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَهْلٌ يُعْتَرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر (ستغلبون وتحشرون) بالناء (ويرونها) بالياء، وقرأ نافع ثلاثين بالناء، وقرأه ابن حمزة، والكسائي بالياء. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر، هموا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا له وقعة أخرى، فلما كانت أحد، شكوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهداً كان بينهم وبين النبي، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راجباً إلى أهل مكة، فقالوا: تكون كلمتنا واحدة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عباس، والضحاك. والثالث: أن أبا سفيان في جماعة من قومه، جمعوا الرسول الله ﷺ بعد وقعة بدر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَسْتَوِيَ الْقَتَا فَيَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرٌ يَزْنَهُمْ وَيَلْبَسُهُمْ رَأَى الْقَتَا وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَتَرِهِمْ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِالْأَيْمَنِ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَسْتَوِيَ الْقَتَا﴾ في المخاطبين بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعود، والحسن. والثاني: الكفار، فيكون معطوفاً على الذي قبله، وهو يتخرج على قول ابن عباس الذي ذكرناه آنفاً. والثالث: أنهم اليهود، ذكره الفراء، وابن الأنباري، وابن جرير. فإن قيل: لم قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ ولم يقل: قد كانت لكم؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن ما ليس بمؤث حقيقي، يجوز تذكيره. والثاني: أنه رد المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ، وأنشدا:

إِنْ أَمْرًا غَيْرَهُ مِنْكُمْ وَاحِدَةً  
بِعَدِي وَبِعَدِكَ فِي الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ

وقد سبق معنى «الآية» و«الفئة»، وكل مشكل تركت شرحه، فإنك تجده فيما سبق، والمراد بالفتن: النبي ﷺ وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة. وفي قوله تعالى: ﴿يَزْنَهُمْ وَيَلْبَسُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: يرونها ثلاثة أمثالهم، قاله الفراء، واحتج بأنك إذا قلت: عندي ألف دينار، واحتاج إلى مثليه، فإنك تحتاج إلى ثلاثة آلاف<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناه يرونها ومثلهم، قال الزجاج: وهو الصحيح<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَأَى الْقَتَا﴾ أي: في رأي العين. قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأيته، يقال: رأيته رأياً،

(١) رواه الواحد في «أسباب النزول» عن الكلبي، عن أبي صالح.

(٢) نحن كلام الفراء في «معاني القرآن» ١٩٤/١. فإن قلت: فكيف جاز أن يقال: «فمثلهم» يريد ثلاثة أمثالهم؟ قلت: كما تقول وعندك عيد: احتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه، وإلى مثله، وتقول: احتاج إلى مثلي عبدي، فأنت إلى ثلاثة محتاج. ويقول الرجل: معي ألف واحتاج إلى مثليه، فهو يحتاج إلى ثلاثة، فلما نوى أن يكون الألف داخل في معنى المثل صار المثل اثنين، والمثلان ثلاثة، ومثله في الكلام أن تقول: أراكم مثلكم، كأنك قلت: أراكم ضعفيكم، وأراكم مثليكم: يريد ضعفيكم، فهذا على معنى الثلاثة.

(٣) في القرطبي ٢٦/٤: قال الزجاج: وهذا باب الغلط - ما ذهب إليه الفراء - فيه غلط في جميع المقاييس، لأننا إنما نعقل مثل الشيء مساوياً له، فنعقل مثليه ما يساويه مرتين.

ورؤية. واختلفوا في الفة الرائية على ثلاثة أقوال، هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾. فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فأروهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: «ترونيهم» بالتاء. قال ابن الأنباري: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفراء: ويجوز لمن قرأ «يرونهم» بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفاتحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يقال: إن المشركين امتكثروا المسلمين. وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلًا فِي أَفْئِدَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] أن الفتين تساوتا في استقلال إحداهما للآخرى؟ فالجواب: أنهم استكثروهم في حال، واستقلوهم في حال، فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه، ثم قلل الله المشركين في أعينهم حتى اجتروا عليهم، فنصرهم الله بذلك السبب. قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيانهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيانهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا منهم رجلاً، فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفاً وإن قلنا: إن الفة الرائية المشركون، فإنهم استقلوا المسلمين في حال، فاجتروا عليهم، واستكثروهم في حال، فكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ، قالوا للمسلمين: كم كنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر. قالوا: ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾، أي: يقوي. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في الإشارة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النصر. والثاني: إلى رؤية الجيش مثليهم. والعبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنه طريق يُعبر به، ويتوصل به إلى المراد. وقيل: العبرة: الآية التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم. والأبصار: العقول والبصائر.

﴿زَيْنَ لِّقَاسٍ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَنْصَبِ وَالْأَنْصَبِ وَالْأَنْصَبِ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِّقَاسٍ حُبِّ الشَّهَوَاتِ﴾ قرأ أبو رزین العقيلي، وأبو رجاء العطاردي، ومجاهد، وابن محيصن «زَيْنَ» بفتح الزاي «حُبِّ» بنصب الباء، وقد سبق في «البقرة» بيان التزيين. والقناطر: جمع قنطار، قال ابن دريد: ليست النون فيه أصلية، وأحسب أنه معرب. واختلف العلماء هل هو محدود أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه محدود، ثم فيه أحد عشر قولاً: أحدها: أنه ألف ومثنا أوقية، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> وبه قال معاذ بن جبل، وابن عمر، وعاصم بن أبي النجود، والحسن في رواية. والثاني: أنه اثنا عشر ألف أوقية، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وعن أبي هريرة كالقولين، وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً: اثنا عشر أوقية. والثالث: أنه ألف ومثنا دينار، ذكره الحسن، ورواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنه اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول، والذي قبله. والخامس: أنه سبعون ألف دينار، وروي عن ابن عمر، ومجاهد. والسادس: ثمانون ألف درهم، أو مئة رطل من الذهب، روي عن سعيد بن المسيب، وقتادة. والسابع: أنه سبعة آلاف دينار، قاله عطاء. والثامن: ثمانية آلاف مثقال، قاله السدي. والتاسع: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله الكلبي. والعاشر: أنه ملء مسك ثور ذهباً، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة. والحادي عشر: القنطار: رطل من الذهب، أو الفضة، حكاه ابن الأنباري. والقول الثاني: أن القنطار ليس بمحدود. وقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد، وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

(١) رواه الطبري في «الظهير» وذكره ابن كثير، وقال: وهذا حديث مبكر أيضاً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب، كغيره من الصحابة.

(٢) رواه أحمد في «المسند» وابن ماجه مرفوعاً، ورواه ابن جرير ووكيع موقوفاً. قال ابن كثير: وهذا أصح.

قال ابن الأنباري: قال بعض اللغويين: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمة من المال. وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المضغفة، قال ابن عباس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها المكملة، كما تقول: بدره مبدرة، وألف مؤلفة، وهذا قول ابن قتيبة. والثالث: أنها المضروبة حتى صارت دنائير ودراهم، قاله السدي. وفي المسومة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال: سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسومة: إذا رعيته، والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسائم، أي: بالعلامة. والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكيف، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، ومجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقرة، والغنم، واحدها: نعم، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والمأب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لَّيْلَنَ أَتَقُولَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ روى عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِلَّذِينَ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾. قال عمر: يا رب الآن حين زيتنها؟! فنزلت: ﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ ووجه الآية أنه خير أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليركوا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، إلا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعليمي كسر الراء في المائدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ﴾ [المائدة: ١٦]. وقرأ الباقر بكسر الراء، والكسر لغة قريش. قال الزجاج: يقال: رضيت الشيء أرضاه رضى ومرضاه ورضواناً ورضواناً. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكُ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَذَابَ النَّارِ ٥٧﴾ الْفَكَّيرُ وَالْمَكِينُ وَالْقَنُوتُ وَالْمُسْتَفِيرُ وَالْمُسْتَفِيرُ بِالْأَمْنَاءِ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿الْفَكَّيرُ﴾ أي: على طاعة الله ﷻ، وعن محارمه ﴿وَالْمَكِينُ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَالْقَنُوتُ﴾ بمعنى المطيعين لله ﴿وَالْمُسْتَفِيرُ﴾ في طاعته. وقال ابن قتيبة: يعني بالنفقة: الصدقة. وفي معنى استغفارهم قولان: أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقاتدة، والضحاك، ومقاتل في آخرين. فعلى هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة. فأما السحر، فقال إبراهيم بن السري: السر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أجاز الشام قدما النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا

(١) ثبت في الصحيح وغيرهما من «المسانيد» و«السنن» من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «يُنزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فأغفر له». وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري.





قال الأعشى:

ومن شأنه كاسف باله وهل يمنعني ارتيادي البلا  
إذا ما انتسبت له أنكرن د من حذر الموت أن يأتين<sup>(١)</sup>

فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية، فالأكثر إثبات الباء، وحذفها جيد أيضاً، خاصة مع النونات، لأن أصل «اتبعني» «اتبعي» ولكن «النون» زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الباء، فأما إذا لم تكن النون، نحو غلامي وصاحبي، فالأجود إثباتها، وحذفها عند عدم النون جائز على قلته، تقول: هذا غلام، قد جاء غلامي، وغلامي يفتح الباء وإسكانها، فجاز الحذف، لأن الكسرة تدل عليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّهِ أَوْثَرُ الْكِتَابِ﴾ يريد اليهود النصارى ﴿وَالْأَيْتِينَ﴾ بمعنى مشركي العرب، وقد سبق في البقرة شرح هذا الاسم.

قوله تعالى: ﴿عَسَلْتُمْ﴾ قال الفراء: هو استفهام ومعناه الأمر<sup>(٢)</sup>، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾. [المائدة: ٩١].

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، وأن المراد بها تسكين نفس النبي ﷺ عند امتناع من لم يجبه، لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة. وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاختصار على التبليغ، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْبُرْهَانَ بِمَنَ وَحَىٰ وَنَقْلُوهُ الْكُتُبِ بِأَسْرُوتٍ بِالْقُسْطِ مِنْ النَّاسِ فَنَقِصُهُمْ ذِكْرًا لِّأُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: عنى بذلك اليهود والنصارى. قال ابن عباس: والمراد بآيات الله محمد والقرآن. وقد تقدم في «البقرة» شرح قتلهم الأنبياء، والقسط، والعدل. وقرأ الجمهور: ﴿وَنَقْلُوهُ الْكُتُبِ بِأَسْرُوتٍ بِالْقُسْطِ﴾ وقرأ حمزة «ويقاتلون» بآلف. وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنه قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنان عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوه عن المنكر، فقتلوا جميعاً في آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه<sup>(٤)</sup>» وأنزل الآية فيهم. وإنما يخ بهذا اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ لأنهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم ﴿فَنَقِصُهُمْ﴾ بمعنى: أخبرهم، وقد تقدم شرحه في «البقرة» ومعنى حبطت: بطلت.

﴿أَو تَرَىٰ إِلَيْنَا الَّذِينَ أَوْثَرُ إِلَيْنَا كُتُبٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْكُتُبِ إِلَيْنَا كُتُبُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَو تَرَىٰ إِلَيْنَا الَّذِينَ أَوْثَرُ إِلَيْنَا كُتُبٍ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم: على أي دين أنت؟ فقال: على ملة إبراهيم. قالوا: فإنه كان يهودياً. قال: فهلما إلى التوراة، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلى النبي ﷺ رجاء أن يكون عنده

(١) الديوان ص ١٩، ورواية صدر البيت الأول فيه: ومن شأنه كاسف وجهه. والثاني: الميفض. والكاسف الوجه: العابس المتغير.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية وأمثالها من أصح الدلالات على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِحَسْبِ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نُبْرًا﴾ [الفرقان: ١] وفي «الصححين» وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه بعث كبه ﷺ يدعو إلى الله ملوك الأفاق، وطوائف بني آدم، من عربهم وعجمهم، كتابهم وأمّهم، امتثالاً لأمر الله بذلك. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم. وقال ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» رواه أحمد في «المسنَد» من حديث أبي موسى الأشعري، ورواه أيضاً من حديث أبي ذر.

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وفي سننه أبو الحسن مولى من بني أسد، وقد قال الحافظ في «اللسان»: مجهول.

(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير.



زيدت عوضاً من «يا»، لأنهم لم يجدوا «يا» مع هذه «الميم» في كلمة، ووجدوا اسم الله ﷻ مستعملاً بـ «يا» إذا لم تذكر الميم، فعملوا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها والضممة التي في «الهاء» هي ضمة الاسم المنادى المفرد. قال أبو سليمان الخطابي: ومعنى «مالك الملك»: أنه بيده، يؤتبه من يشاء، قال: وقد يكون معناه: مالك الملوك، ويحتمل أن يكن معناه: وارث الملك يوم لا يدعيه مدع، كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْغَنِيُّ﴾ [الفرقان: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ﴾ في هذا الملك قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن جبير، ومجاهد. والثاني: أنه المال، والعبيد، والحفدة، ذكره الزجاج. وقال مقاتل: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ﴾، يعني محمداً وأمه، وتترع الملك ممن تشاء، يعني فارس والروم. ﴿وَتَعَزَّزْ مِنَ شَأْنِهِ﴾ محمداً وأمه ﴿وَتَشِذْ مِنَ شَأْنِهِ﴾ فارس والروم. وبماذا يكون هذا العز والذل؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: العز بالنصر، والذل بالقهر، والثاني: العز بالغنى، والذل بالفقر، والثالث: العز بالطاعة، والذل بالمعصية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قال ابن عباس: يعني النصر والغنيمة، وقيل: معناه بيدك الخير والشر، فاكتمى بأحدهما، لأنه المرغوب فيه.

﴿فُلَيْحُ أَيْدِي فِي النَّهَارِ وَفُلَيْحُ أَيْدِي فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ أَلْمَى مِنْ أَلَيْتٍ وَتُخْرِجُ أَلَيْتٍ مِنَ أَلْمَى وَتَرْزُقُ مَنْ شِئْتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿فُلَيْحُ أَيْدِي فِي النَّهَارِ﴾ أي: تدخل ما نقصت من هذا في هذا. وقال ابن عباس، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر. قال الزجاج: يقال: ولج الشيء يلج ولجاً ولجاً وولجة.

قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ أَلْمَى مِنْ أَلَيْتٍ وَتُخْرِجُ أَلَيْتٍ مِنَ أَلْمَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ و«لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» [الاعراف: ٥٧]، و«أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا» [الأنعام: ١٢٢]، و«وَلَنْ يَكُنَّ مَيِّتَةً» [الأنعام: ١٣٩]، و«الْأَرْضُ أَلَيْتَةٌ» [يس: ٢٣] كله بالتخفيف. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: ﴿وَتُخْرِجُ أَلْمَى مِنْ أَلَيْتٍ وَتُخْرِجُ أَلَيْتٍ مِنَ أَلْمَى﴾ و«لِكُلِّ مَيِّتٍ» و«لِكُلِّ بَلَدٍ مَيِّتٍ» وخفف حمزة، والكسائي غير هذه الحروف. وقرأ نافع: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا» و«الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ» و«لَنَحْمُ أَخِيهِ مَيِّتًا» [الحجرات: ١٢] وخفف في سائر القرآن ما لم يمت. وقال أبو علي: الأصل التشكيل، والمخفف محذوف منه، وما مات. وما لم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال. وأنشدوا:

ومنهل فيه الغراب مَيِّتٌ      سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ اسْتَقِيَّتْ  
فهذا قد مات. وقال آخر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ      إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ<sup>(٢)</sup>

خفف ما مات، وشدد ما لم يمت. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ وَرَثَتُهُمْ قَبِيضٌ﴾ [الزمر: ٢٠] ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخراج الإنسان حياً من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة، وإخراج البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور. والثاني: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة، والنخلة الحية من النواة الميتة، والنواة الميتة من النخلة الحية، قاله السدي. وقال الزجاج: يخرج النبات الغض من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تقدير. قال الزجاج: يقال للذي يتفق موسعاً: فلان يتفق بغير حساب، كأنه لا يحسب ما أنفق إنفاقاً.

(١) البيت نسبة في «اللسان» لعدي ابن الرعلاء وبعده:

كاسفاً باله قليل الرجاء  
وأناس حلسوقهم في السماء

إنما الميت من يعميش شقياً  
فأناس يمسقون ثماداً

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا وَيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلِلَّهِ اللَّهُ الْمَصِيرُ ٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عبادة بن الصامت كان له خلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي ﷺ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من اليهود، كانوا يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، وابن حيان. فأما التفسير، فقال الزجاج: معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان، كما تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال في المكان. ومعنى ﴿لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فإله بريء منه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا﴾ قرأ يعقوب، والمفضل عن عاصم «ثَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مضافة في الدنيا. قال أبو العالية: الثقة باللسان، لا بالعمل.

### فصل

والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد - وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ - قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ [النحل: ١٠٦]، إن شاء الله.

﴿قُلْ إِنْ تَحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا بِكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٩﴾  
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا بِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني اتخاذ الكافرين أولياء.  
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ثَوَدَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ زَوَدٌ بِالْإِبَادِ ٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ قال الزجاج: نصب «اليوم» بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ تَعَالَى﴾ في ذلك اليوم. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون متعلقاً بالمصير، والتقدير: وإلى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن يكون متعلقاً بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم تجد. وفي كيفية وجود العمل وجهان: أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمَلٌ عِدَّةَ الْعَمَلِ

وَمُؤَدَّ إِذَا انْقَضَى أَمَلُهُ (١)

يريد: غاية أجله.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١﴾  
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ وقف

(١) «ديوانه» ١١٢ وروايته فيه:

و مؤد إذا انقضى أمده

كل حي مستكمل عدة العمل

يريد أن المرء هالك إذا انقضى عدد أيامه وأكله في هذه الحياة الدنيا.

على قریش، وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها، فقال: «يا معشر قريش: لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم»، فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله، ليقربونا إلى الله زلفى. فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النبي ﷺ عليهم، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن ناسا قالوا: إنا لنحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل هذه الآية، قاله الحسن، وابن جريج. والرابع: أن نصارى نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حبا لله، وتعظيما له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله مما تدهوننا إليه، فنزلت: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَقَىٰ نَامُوكُمْ وَنُكَاكُكُمْ وَإِسْرَافَكُمْ وَأَكْلَ الْبَشَرِ عَلَى الْغَلَكِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَقَىٰ نَامُوكُمْ وَنُكَاكُكُمْ وَإِسْرَافَكُمْ وَأَكْلَ الْبَشَرِ عَلَى الْغَلَكِ﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى، لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرمي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عيانا، فنحن نعين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، وصفوة، وصفوة. وأما آدم فعربي، وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نوح، فأعجمي معرب، قال أبو سليمان الدمشقي: اسم نوح: السكن، وإنما سمي نوحا، لكثرة نوحه. وفي سبب نوحه خمسة أقوال: أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي. والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله، وقومه. والثالث: لمراجعته ربه في ولده. والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعبتني يا نوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله: ﴿وَبَقِيَ نَحْنُ وَكَرَّكَ نَالُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، ذكره بعض أهل التفسير. وفي «عمران» قولان: أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن، ووهب. والثاني: أنه والد موسى، وهارون، قاله مقاتل. وفي «آله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عيسى ﷺ، قاله الحسن. والثاني: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد بـ«آله» نفسه، ذكره بعض المفسرين، وإنما خص هؤلاء الذكر، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم. وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد اصطفاي دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفراء، والدمشقي. والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم. والمراد بـ«العالمين»: عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال الزجاج: نضبها على البدل، والمعنى: اصطفاي ذرية بعضها من بعض. قال ابن الأنباري: وإنما قال: بعضها، لأن لفظ الذرية مؤنث، ولو قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذرية. وفي معنى هذه البعضية قولان: أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناثر والدين، لا في التناسل، وهو معنى قول ابن عباس،

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس. وجوير، هو أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة، راوي التفسير، قال الحافظ في «التزيين»: ضعيف جداً.

وقتادة. والثاني: أنه في التسلسل، لأن جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، ذكره بعض أهل التفسير. قال أبو بكر النقاش: ومعنى قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ أن الأبناء ذرية للآباء، والآباء ذرية للأبناء، كقوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ﴾ [يس: ٤١]، فجعل الآباء ذرية للأبناء، وإنما جاز ذلك، لأن الذرية مأخوذة من: ذرأ الله الخلق، فسمي الولد للوالد ذرية، لأنه ذرئ منه، وكذلك يجوز أن يقال للآب: ذرية للابن، لأن ابنه ذرئ منه، فالفعل يتصل به من الوجهين، ومثله: ﴿يُحْيِيهِمْ كَحُسَبِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأضاف الحب إلى الله، والمعنى: كحب المؤمن لله، ومثله ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَلَى حُدُودٍ﴾ [الذمر: ٤٨]، فأضاف الحب للتمام.

﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُكَ عِمْرَنَ رَبِّ إِيَّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ أَسْمِعُ الْكَلِيمَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُكَ عِمْرَنَ﴾ في «إذ» قولان: أحدهما: أنها زائدة، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنها أصل في الكلام. وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: اذكر إذ قالت امرأة عمران، قاله المبرد، والأخفش. والثاني: أن العامل في «إِذْ قَالَتْ» معنى الاصطفاء، فيكون المعنى: اصطفى آل عمران، إذ قالت امرأة عمران، واصطفاهم إذا قالت الملائكة: يا مريم، هذا اختيار الزجاج. والثالث: أنها من صلة «سميع» تقديره: والله سميعٌ إذ قالت، وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قال ابن عباس: واسم امرأة عمران حنة، وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماثان<sup>(١)</sup>، وليس: «عمران أبي موسى» ولست هذه مريم أخت موسى. وبين عيسى وموسى ألف وثمانمائة سنة. والمُحَرَّر: العتيق. قال ابن قتيبة: يقال: أعتقت الغلام، وحررت: سواء. وأرادت: أي نذرت أن أجعل ما في بطني محرراً من التبعية للعالم، ليعبدك. وقال الزجاج: كان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبدهم. وقال ابن إسحاق: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت، فرأت طائراً يطعم فرخاً له، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك عليّ إن رزقني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فحملت بمریم، وهلك عمران. وهي حامل. قال القاسمي أبو يعلى: والنذر في مثل ما نذرت صحيح في شريعتنا، فإنه إذا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله وطاعته، وأن يعلمه القرآن، والفقه، وعلوم الدين، صح النذر.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِيَّيْ وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُ لَمَرِّءٌ وَلَئِنْ أُمِيتَهَا يَلَكُ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم إلا حفصاً ويعقوب «بِمَا وَضَعْتَ» بإسكان العين، وضم التاء. وقرأ الباقون بفتح العين، وجزم التاء، قال ابن قتيبة: من قرأ بجزم التاء، وفتح العين، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت. ومن قرأ بضم التاء، فهو كلام متصل من كلام أم مريم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُ لَمَرِّءٌ﴾ من تمام اعتذارها، ومعناه: لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر، من خدمته المسجد، والإقامة فيه، لما يلحق الأنثى من الحيض والنفاس. قال السدي: ظنت أن ما في بطنها غلام، فلما وضعت جارية، اعتذرت. ومريم: اسم أعجمي. وفي الرجيم قولان: أحدهما: الملعون، قاله قتادة. والثاني: أنه المرحوم بالحجارة، كما تقول: قتل بمعنى مقتول، قاله أبو عبيدة، فعلى هذا سُمي رجيماً، لأنه يرمى بالنجوم.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَوِيًّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَوِيًّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكَ أَنَّ لِلرَّبِّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قرأ مجاهد (فتقبلها) بسكون اللام (رَبُّهَا) بنصب الباء (وَأَنبَتَهَا) بكسر الباء وسكون التاء على معنى الدعاء قال الزجاج: الأصل في العربية: فتقبلها بتقبل حسن، ولكن «قبول» محمول على قبلها



قبولاً يقال: قبلت الشيء قبُولاً، ويجوز قبُولاً: إذا رضيته. ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أنبت، على معنى: نبت نباتاً حسناً. وقال ابن الأنباري: لما كان «أنبت» يدل على «نبت» حمل الفعل على المعنى، فكانه قال: وأنبتها، فنبتت هي نباتاً حسناً. قال امرؤ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورقاً كلامنا ورضتُ فذلتُ صعبةً أيّ إذلال<sup>(١)</sup>

أراد: أي رياضة، فلما دل «رضت» على «أذلت» حمّله على المعنى. وللمفسرين في معنى النبات الحسن، قولان. أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، والثاني: أنه ترك الخطايا. قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم.

قوله تعالى: ﴿زَكَرِيَّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وكفلها» بفتح الفاء خفيفة، و«زكرياء» مرفوع ممدود. وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «زكرياء»، وكان يمد «زكرياء» في كل القرآن في رواية أبي بكر. وروى حفص عن عاصم: تشديد الفاء و«زكريا» مقصورة في كل القرآن. وكان حمزة والكسائي يشددان «وكفلها»، ويقصران «زكريا» في كل القرآن. فأما «زكريا» فقال الفراء: فيه ثلاث لغات: أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء، مقصور، وزكرياء، ممدود، وأهل نجد يقولون: زكري، فيجرونه، ويلقون الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد، قال: زكري اسم أعجمي، يقال: زكري، وزكرياء ممدود، وزكريا مقصور. وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء، فمن قال: زكرياء بالمد، قال في التثنية: زكرياوان، وفي الجمع زكرياؤون، ومن قال: زكريا بالقصر، قال في التثنية زكريان، كما تقول: مديان، ومن قال: زكري بتخفيف الياء، قال في التثنية: زكريان - الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون - بطرح الياء.

### الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السدي: انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيهم يومئذ: أنا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها. قال ابن عباس: كانوا سبعة وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن صعد قلمه مغالباً للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمساعدة قلمه، وعلى قول السدي بوقوفه في جريان الماء. وقال مقاتل: كان يغلّق عليه الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحداً، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى، فإذا طهرت، ردها إلى بيت المقدس. والأكثرون على أنه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة. وقد ذهب قوم إلى أنه كفلها عند طفولتها بغير قرعة، لأجل أن أمها ماتت، وكانت خالتها عنده، فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك بمدة، لأجل سنة أصابتهم. فقال محمد بن إسحاق: كفلها زكريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى اقترعوا، فخرج السهم على جريج النجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها بالسير، فيمنّي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قدر نفقة جريج؟ فمن أين هذا؟ قالت: هو من عند الله. والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها. فأما المحراب، فقال أبو عبيدة: المحراب سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد. وقال الأصمعي: المحراب هاهنا: الغرفة. وقال الزجاج: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

(١) «ديوانه» ص ٣٧. وصرنا إلى الحسنى. أي: لما نحب من الأمور. ورق كلامنا: أي: صرنا إلى الصبا وجد اللعب واللهو والغزل، فلم نرفع أصواتنا لئلا يشعر بنا. ورضت فذلت: بعد امتناع وصعوبة. والمعنى: لينتها بالكلام والمدارة، كما يراض البعير بالسير حتى يذل. وقوله: أيّ إذلال، محمول على: رضت، لأن معناه: أذلت.



قال الشاعر:

رُبُّهُ مُحَرَّابٌ إِذَا جُنَّتْهَا

لَمْ الْقَهَا أَوْ أُرْتَقَى سَلْمًا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهذا قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّكَ هَذَا﴾ أي: من أين؟ قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسن: لم ترتفع ثدياً قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة. وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئراً، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنى لك هذا؟ لاستكثار ما يرى عندها. وما عليه الجمهور أصح. والحساب في اللغة: التقدير والتضييق.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ قال المفسرون: لما عاين زكريا هذه الآية العجيبة من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على الكبر. و﴿وَلَدَ لَهَا﴾ بمعنى: من عندك. والذرية، تقال للجمع، وتقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد. قال الفراء: وإنما قال طيبة، لتأنيث الذرية، والمراد بالطيبة: النقية الصالحة. والسميع: بمعنى السامع. وقيل: أراد مجيب الدعاء.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَحْنُ أَخْبَارٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر: «فنادته» بالناء، وقرأ حمزة، والكسائي: «فناداه» بالفاء مالة، قال أبو علي: هو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ﴾ [يوسف: ٢٠]. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس: «فناداه» بالفاء. وفي الملائكة قولان: أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: أنهم جماعة من الملائكة، وهو مذهب قوم، منهم ابن جرير الطبري. وفي المحراب قولان: أحدهما: أنه المسجد. والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال: أحدها: لانفراد الإمام فيه، ويُعده من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشیطان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ قرأ الأكثرون بفتح الالف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله، فلما حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بكسر «إِنْ» فأضمر القول. والتقدير: فنادته، فقالت: إن الله يبشرك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: يبشرك بضم الباء، وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في ﴿حَدَّثَ﴾ عَسَىٰ ﴿١﴾: ﴿يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣] فإنهما فتحا الباء وضما الشين، وخففاها. فأما نافع، وابن عامر، وعاصم، فشددوا كل القرآن. وقرأ حمزة: «يبشر» خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُنَّ﴾ [الحجر: ٥٤]. وقرأ الكسائي «يبشر» مخففة في خمسة مواضع، في (آل عمران) في قصة زكرياء، وقصة مريم، في (بني إسرائيل)، وفي (الكهف) وفي (حم عسق) قال الزجاج: وفي «يبشرك» ثلاث لغات: أحدها: «يبشرك»، بفتح الباء وتشديد الشين. والثاني: «يبشرك» بإسكان الباء، وضم الشين. والثالثة: «يبشرك» بضم الباء وإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد و«يبشرك» بضم الباء: البشارة. ومعنى «يبشرك» بفتح الباء: يَسْرُكُ ويفرحك، يقال: بَشَّرْتُ الرجل أَبَشْرُهُ، إذا أفرحته، وبشَّرَ الرجل يَبْشُرُ: إذا فرح.

وَأَشَدُّ الْأَخْفَشِ وَالْكَسَائِي:

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلَى  
فَاعْنَهُمْ وَابْشُرْ بِمَا بَشُرُوا بِهِ

فهذا على بشر يبشر: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: يلقاني ببشر. أي: بوجه منبسط، وفي معنى تسميته «يحيى» خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أحيا به عمر أمه، قاله ابن عباس. والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، قاله قتادة. والثالث: لأنه أحيا بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل. والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها، قاله الزجاج. والخامس: لأن الله أحيا بالطاعة، فلم يعص، ولم يهيم، قاله الحسن بن الفضل. وفي «الكلمة» قولان: أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، ومقاتل. وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. ووجه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة. وفي معنى السيد ثمانية أقوال: أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والربيع، ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير. والسادس: أنه الحسن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير. فأما «الحصور» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوبس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعلول» بمعنى «مفعول»: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب. واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال: أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا» قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصوراً»<sup>(١)</sup> وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة. والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن، وقاتدة، والسدي. والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئَا مِنَ الْمَرْسَلِينَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحين الحال عند الله.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلِيمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَاتْرَأَيْتَ عَلَاقِرَ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلِيمٌ﴾ أي: كيف يكون؟!.

قال الكمي:

أَتَى وَمِنْ أَيْمَنِ أَبْكَ الطَّرْبُ<sup>(٣)</sup>

(١) البيهقي لمجد قيس بن خفاف البرجمي من قصيدة حكيم أثبتها صاحب «الأصمعيات» رقم ٨٧، و«المفضليات» رقم ١١٦. بهش إلى الشيء: فرح به فأسرع إليه. القاع: أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والأكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر. الممحل: المجدب. يقول: إذا رأيت الكرام الأسخياء، قد أجهدتهم السنة، والقطع، والجذب، حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس فأعتهم. وأبشر من: بشر على وزن فرح يبشر، يقال: أتاني أمر يبشر به، أي: سررت به. يقول: شاركهم في ارتياحهم، وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة. الضنك: الضيق. يقول: كن مع الكرام حيث كانوا، وأزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم، من ضنك، وحاجة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ووصف ابن كثير المرفوع بأنه غريب جداً، وقال: الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، وكذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» المرفوع والموقوف، وقال: الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع.

(٣) تعامه: من حيث لا صبرة ولا ريب. وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله ﷺ. أبك: جاءك وغشيك، وهو فعل ماضٍ من الأوب. الطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. الصبا: الصبي والشوق. الريب: جمع ريبة، وهي الشبهة. يقول: كيف طربت مع كبير سنك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبرة للفرح، والريب للحزن.

قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان: كأنه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العقر عن زوجتي، وردة شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك. قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلوميّة، وبين الغلاميّة، وبين الغلومة. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من العُلْمَة، وهي شدة شهوة النكاح. ويقال للكهل: غلام.

قالت ليلي الأخيلية تمدح الحجاج:

غلام إذا هزّ القنّاء سقاها<sup>(١)</sup>

.....

وكان قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلاماً. وقولهم للطفل: غلام على معنى التناول، أي: سيصير غلاماً. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية غلامه. قال الشاعر:

يهان لها الغلامه والغلام<sup>(٢)</sup>

.....

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ الْكَبَرُ﴾ أي: وقد بلغت الكبر، قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك. وفي سنة يؤمّنذ ستة أقوال: أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة. والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل. والرابع: ابن سبعين، حكاه فضيل بن غزوان. والخامس: ابن خمس وستين. والسادس: ابن ستين، حكاهما الزجاج. قال اللخويون: والعافر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد، وإنما قال: «عافر»، ولم يقل: عاقرة، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار، فأجري مجرى «طالق» و«حائض» هذا قول الفراء.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذِكْرًا وَذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَخِيَ بِالْحَيَاةِ وَالْإِنْسَانِ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على وجود الحمل. وفي علة سؤاله «آية» قولان: أحدهما: أن الشيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشيطان، ولو كان من وحي الله، لأوحاه إليك، كما يوحى إليك غيره، فسأل الآية، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر بالشكر، وليتعمّل السرور، لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله، فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام. فأما «الرمز» فقال الفراء: الرمز بالشفقتين، والحاجبين، والعينين، وأكثره في الشفتين. قال ابن عباس: جعل يكلم الناس بيده. وإنما منع من مخاطبة الناس، ولم يحبس عن الذكر الله تعالى. وقال ابن زيد: كان يذكر الله، ويشير إلى الناس. وقال عطاء بن السائب: اعتقل لسانه من غير مرض. وجمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آيةً على وجود الحمل. وقال قتادة، والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخِيَ﴾ قال مقاتل: صل. قال الزجاج: يقال: فرغت من سُبْحَتِي، أي: من صلاتي. وسمّيت الصلاة تسيحاً، لأن التسيح تعظيم الله، وتبرئته من سوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من سوء.

قوله تعالى: ﴿يَالْمُتَّقِينَ﴾ العشي: من حين نزول الشمس إلى آخر النهار ﴿وَالْإِنْسَانِ﴾: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى: قال الشاعر:

فلا الظلّ في بَرْدِ الضّحَى تستطيعه ولا الفيء من بَرْدِ الشّعَى يذوق<sup>(٣)</sup>

قال الزجاج: يقال: أبكر الرجل يكثر إكباراً، ويكثر يكثر تبكيراً، ويكثر يكثر؛ في كل شيء تقدم فيه.

(١) الأمازي ٨٦/١: وصدرة: شفاها من الداء المضال الذي بها. وقيل:

تنبع أقصى دائها فشفاهها

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة

(٢) هو عجز بيت من قصيدة لأوس بن غلفاء الهجيمي، وصدرة:

وثر كضفة صريح أبيوها

(٣) البيت لحمد بن ثور الهلالي: الديوان ص ٣٣. وهو من قصيدته الغزلية الجيدة التي قالها لما تقدم عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشعراء: ألا يشب أحد بامرأة إلا جلده، فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر «مرحة» وسماها سرحة ملك. ورواية البيت في الديوان:

ولا الفيء منها بالمشي تذوق

فلا الظلّ منها بالضحى تستطيعه

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَلَكَرِكِ وَمَطَّلَكَ عَلَى نِسَاكِ الْمَلَائِكَةِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ قال جماعة من المفسرين: المراد بالملائكة: جبريل وحده. وقد سبق معنى الاصطفاء. وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال. أحدها: أنه التطهير من الحيض، قاله ابن عباس. وقال السدي: كانت مريم لا تحيض. وقال قوم: من الحيض والنفس. والثاني: من مس الرجال، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: من الكفر، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: من الفاحشة والإثم، قاله مقاتل. وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوال: أحدها: أنه تأكيد للأول. والثاني: أن الأول للعبادة، والثاني: لولادة عيسى عليه السلام. والثالث: أن الاصطفاء الأول اختيار مبهم، وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساء العالمين. والرابع: أنه لما أطلق الاصطفاء الأول، أبان بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال. قال ابن عباس، والحسن وابن جريج: اصطفاهما على عالمي زمانها. قال ابن الأنباري: وهذا قول الأكثرين<sup>(١)</sup>.

﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ قد سبق شرح القنوت في «البقرة»، وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن. والثاني: طول القيام في الصلاة، قاله مجاهد. والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبیر. وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال: أحدها: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تؤذن بالجمع، فالركوع مقدم، قاله الزجاج في آخرين. والثاني: أن المعنى استعلمي السجود في حال، والركوع في حال، لا أنهما يجتمعان في ركعة، فكانه حث لها على فعل الخير. والثالث: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي واسجدي، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ذكرهما ابن الأنباري. والرابع: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: ومعناه: اركعي مع المصلين قراء بيت المقدس. قال مجاهد: سجدت حتى قرحت.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَيْهَمْ أَنَّهُمْ كَيْفَ لَمريمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝﴾

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْئُتُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾  
وَكَلَّمَ النَّاسَ فِي الْهَيْدِ وَكَلَّمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ «ذلك» إشارة إلى ما تقدم من قصة زكرياء، ويحيى، وعيسى، ومريم. والأنباء: الأخبار. والغيب: ما غاب عنك. والوحي: كل شيء دلت به من كلام، أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة، قاله ابن قتيبة. والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم بـ «الوجوه والنظائر» موقفة. وفي الأقسام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبیر، والسدي. والثاني: أنها العصي، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها القداح، وهو اختيار ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: هي قداح جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة. وإنما قيل للسهم: القلم، لأنه يقلم، أي: يبري. وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء، فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به، لأنه قُلم مرة بعد مرة، ومنه: قلمت لظفاري. قال: ومعنى: ﴿أَنَّهُمْ كَيْفَ لَمريمَ﴾ لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعنى: ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم. وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفاً. وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقاتدة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى. وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال: أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص، والأخمص: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه كان لا يمسح

(١) قال الحافظ ابن حجر ٣٣٩/٦ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْكِ عَلَى نِسَاكِ الْمَلَائِكَةِ﴾ وظاهر أن مريم أفضل من جميع النساء، وهذا لا يمتنع عند من يقول: إنها نبيه، وأما من قال: ليست نبيه فيحمل على عالمي زمانها، وبالأول جزم الزجاج وجماعة، واختاره القرطبي، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة.

بيده ذا عاهة إلا برا، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد. والرابع: أن معنى المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى هذا أن الله مسحه، فطهره من الذنوب. والخامس: أنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ذكره ثعلب. وبيان: أنه كان كثير السياحة. والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد: المسيح في كلام العرب على معنيين: أحدهما: المسيح الدجال، والأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح أحد العينين. والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية «مسيحا» بالشين، فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سيناً، كما قالوا: موسى، وأصله بالعبرانية موسى. قال ابن الأنباري: وإنما بدأ بلقبه، فقال: المسيح عيسى ابن مريم، لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي يشبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته، ألا ترى أن القاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. فأما قوله: عيسى ابن مريم، فإِنما نسب إلى أمه، لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَجِئَاكُمْ﴾ قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول. وقال ابن قتيبة. الوجيه: ذو الجاه. وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، يقال: قد وجّه الرجل يؤجّه وجاهه، ولفلان جاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال قتادة: عند الله يوم القيامة. والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطئة. وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان: أحدهما: لثبته أمه مما قذفت به. والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته. قال ابن عباس: تكلم ساعة من مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله. وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله. قال ابن الأنباري كان ﷺ قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهول عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتهل النبات. وقال ابن فارس: الكهل: الرجل حين وخطه الشيب. فإن قيل: قد علم أن الكهل يتكلم، فعنه ثلاثة أجوبه: أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء. والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهل: الحليم، قاله مجاهد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَلَيْسَ لِي بِذُلٍّ وَلَا وَكْلٌ وَمِمَّا يَنْتَظِرُونَ﴾ قال كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَصَحْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَلَيْسَ لِي بِذُلٍّ وَلَا وَكْلٌ﴾ في علة قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا الجمهور. والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدمياً يريد بها سوءاً، ولهذا قالت: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَذِيًّا﴾ [مريم: ٢١٨]، فلما بشرها لم تتيقن صحته قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: ﴿أَلَيْسَ لِي بِذُلٍّ وَلَا وَكْلٌ﴾ قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنْ يَتْرُكْ﴾ أي: ولم يقرني زوج. والمس: الجماع، قاله ابن فارس. وسمي البشر بشراً، لظهورهم، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان، وأبشرت الأرض: أخرجت نباتها. وبشرت الأديم: إذا قشرت وجهه، وتباشير الصبح: أوائله. قال - يعني جبريل: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسر في «البقرة».

﴿وَيَمْلِكُ الْكِتَابَ وَالْمِزْنَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَمْلِكُ الْكِتَابَ﴾ قرأ الأكثرون «ونعلمه» بالنون. وقرأ نافع، وعاصم بالياء، فعطفاه على قوله: «يشرك». وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس. والثاني: الكتابة: قاله ابن جريج، ومقاتل. قال ابن عباس: والحكمة: الفقه، وقضاء النبيين.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَنزَلْتُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْفُطْرَاقَ فَاتَّخِذُوا فِيهَا زِينَةً وَذِكْرًا لِّذِكْرِكُمْ﴾ وَأَتَىٰ الْمَوْقِعَ الْآخَرَ وَأَنبَشَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا﴾ قال الزجاج: ينتصب على وجهين: أحدهما: ونجعله رسولاً. والاختيار عندي: ويكلم الناس رسولاً.

قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَنزَلْتُ﴾ قرأ الأكثرون «أني» بالفتح، فجعلوها بدلاً من آية، فكانه قال: قد جئتكم بأني أخلق لكم، وقرأ نافع بالكسر، قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مستأنفاً. والثاني: أنه فسر الآية بقوله: إني أخلق، أي: أصور وأقدر. قال ابن عباس: أخذ طيناً، وصنع منه خفاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو يطير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن بني إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسأله أشد الطير خلقاً، لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم، سقط ميتاً، ليميز فعل الخلق من فعل الخالق. والأكثرون قرؤوا ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وقرأ نافع هاهنا وفي (المائدة) «طائرًا». قال أبو علي: حجة الجمهور قوله تعالى: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ولم يقل: كهيئة الطائر. ووجه قراءة نافع: أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائراً. وفي «الأكه» أربعة أقوال: أحدها: أنه الذي ولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الأعمى، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمار عن قتادة، وبه قال الحسن، والسدي. وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكه: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمي، وإن كان بصيراً. والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة. والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك. والأبرص: الذي به وضح. وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علم الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إبراء الأكه والأبرص، وكان ذلك دليلاً على صدقه. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداويهم بالدعاء. وذكر المفسرون أنه أحيأ أربعة أنفس من الموت، وعن ابن عباس: أن الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَشَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: كان عيسى إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه<sup>(١)</sup>؟ وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، وبما خيأتم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن قتادة كان يقول: وأنبشكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يدخروا، فلما خانوا، مُسخوا خنازير<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ تَقَىٰ آلَؤِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ يَتَشَكَّرَ بِآيَاتِ رَبِّكُمْ فَآتَوْا آلَهُ وَأَطِيعُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاقْبَلُوا هَذَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ قال الزجاج: نصب «مصدقاً» على الحال، أي: وجئتكم مصدقاً ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ تَقَىٰ آلَؤِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثوب<sup>(٣)</sup> وأشياء من الطير، فأحلها عيسى. قوله تعالى: ﴿يَتَشَكَّرَ بِآيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما وحد، لأن الكل من جنس واحد ﴿وَبَيْنَ رَبِّكُمْ﴾ أي: من عند ربكم.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَصْبَارَةٍ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْكَاذِبُونَ نَحْنُ أَصْبَارُ اللَّهِ مَا مَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر عليه السلام.

(٣) الثوب: جمع ثوب، وهي الشعم الرقيق الذي يغشى الكرش والأعضاء والمصارين من الذبائح والأنعام.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: علم. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أحسستُ بالشيء، وحسست به، وقول الناس في المعلومات «محسوسات» خطأ، إنما الصواب «المحسّات» فأما المحسوسات، فهي المقتولات، يقال: حسه: إذا قتله. و«الأنصار»: الأعوان. و«إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة، قال الزجاج: وإنما حسنت في موضع «مع» لأن «إلى» غاية و«مع» تضم الشيء بالشيء<sup>(١)</sup>. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله. واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريين. وقال غيره: لما كفروا به، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين. وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة. والجمهور على تشديد «إي» الحواريين. وقرأ الجوني، والجحدري، وأبو حيو: الحواريون يتخفيف الياء. وفي معنى الحواريين ستة أقوال: أحدها: أنهم الخواص الأصفاء، قال ابن عباس: الحواريون: أصفاء عيسى. وقال الفراء: كانوا خاصة عيسى. وقال الزجاج: الحواريون في اللغة: الذين أخلصوا، ونقوا من كل عيب، وكذلك الدقيق: الحواري، إنما سمي بذلك، لأنه ينقى من لباب البر وخالصة. قال حذاق اللغويين: الحواريون: صفوة الأنبياء الذين خلصوا وأخلصوا في تصديقهم ونصرتهم. ويقال: عين حوراء: إذا اشتد بياضها وخلص، واشتد سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء، إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء. والثاني: أنهم البيض الثياب، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنهم سمو بذلك، لبياض ثيابهم. والثالث: أنهم القصارون، سموا بذلك، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها. قال الضحّاك، ومقاتل: الحواريون: هم القصارون. قال اليزيدي: ويقال للقصارين: الحواريون، لأنهم يبيضون الثياب، ومنه سمي الدقيق: الحواري، والعين الحوراء: النقية المحاجر. والرابع: الحواريون: المجاهدون. وأنشدوا:

ونحن أناسٌ يملأُ البَيْضُ هامنا      ونحن حواريون حين نزاحف  
جماجمنا يوم اللقاء تراشنا      إلى الموت نمشي ليس فينا تحائف

والخامس: الحواريون: الصيادون. والسادس: الحواريون: الملوك، حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري. قال ابن عباس: وعدد الحواريين اثنا عشر رجلاً. وفي صناعته قولان: أحدهما: أنهم كانوا يصطادون السمك، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضحّاك، وأبو أرتاة.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنَّا أَزْوَاجًا مِّمَّا أَزْنَمْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الْكُتُبِ﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنَّا أَزْوَاجًا﴾ هذا قول الحواريين. والذي أنزل: الأنجيل. والرسول: عيسى. وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال: أحدها: أنهم محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسول بالتبليغ، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنهم من آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الأنبياء، لأن كل نبي شاهد أمته، قاله عطاء. والرابع: أن الشاهدين: الصادقون، قاله مقاتل. والخامس: أنهم الذين شهدوا للأنبياء بالتصديق. فمعنى الآية: صدقنا، واعترفنا، فاكبتنا مع من فعل فعلنا، هذا قول الزجاج.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وخداع، ومن الله ﷻ: المجازاة، فسمي باسم ذلك، لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، لأن مكره مجازاة، ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسى، فدخل خوخة، فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم، ظنوه عيسى، فقتلوه.

(١) قال الفراء في «معاني القرآن» ص ٢١٨: المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله. وهو وجه حسن، وإنما يجوز أن تجعل «إلى» موضع «مع» إذا ضمنت إلى الشيء، مما لا يكن معه، كقول العرب: إن الذود إلى الذود إيل؛ أي: إذا إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إيلاً. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان «مع» «إلى» ألا ترى أنك تقول: قدم فلان، ومعه مال كثير. ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم.







قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية، مخاصمة وفد نجران من النصارى للنبي ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكرناه في أول السورة. فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنهما جميعاً من غير أب.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: آدم. قال ثعلب: وهذا تفسير لآدم. وليس بحال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ﴾ يعني لآدم، وقيل لعيسى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تلت الشياطين.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنباتك به في قصة عيسى الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبي خطاباً للخلق، لأنه لم يشك.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَمْرِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنفُسَنَا ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى. والثاني: إلى الحق. والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ قال ابن قتيبة: تعالى: تفاعل، من علوت، ويقال للثنين من الرجال والنساء: تعاليا، وللنساء: تعالين. قال الفراء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هلم» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصعود. قال المفسرون: أراد بأبنائنا: فاطمة والحسن، والحسين. وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنفُسَنَا﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي. والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه. والثاني: أراد الإخوان، قاله ابن قتيبة. والثالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أراد الأزواج. والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما علي بن أبي أحمد النيسابوري. فأما الابتهاال، فقال ابن قتيبة: هو التداعي باللعن، يقال: عليه بهلة الله. وبهلته، أي: لعنته. وقال الزجاج: معنى الابتهاال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: اللاتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمبالهة بعد إقامة الحجة. قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيد والعاقب، فذكر الحديث... إلى أن قال: فدعاهما إلى الملاعة، فوعده أن يفادياه، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج، فقال: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم ناراً»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ مَثَلَ لُحُوتِ الْحَقِّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ أَنَّكَ لَهْوٌ أَلْمَزِيذٌ أَلْحِكُمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الزجاج: دخلت «من» هاهنا تأكيداً ودليلاً على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة.

﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عن الملاعة، قاله مقاتل. والثاني: أنه عن البيان الذي أتى به

(١) يريد أن جملة «خلقه» تفسيرية لمثل آدم، فلا موضع لها من الإعراب، ولا يصلح أن تكون حالاً، لأن «خلقه» فعل ماضٍ، ولا يكون الحال منه، وقيل: هي في موضع الحال، وقد مع «خلقه» مقدرة، والعامل فيها معنى التشبيه. انظر: «معاني القرآن» للفراء، و«البحر المحيط» ٤٧٨/٢.

(٢) روى مسلم في «فضائل الصحابة» مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: رواه ابن مردويه، ورواه الحاكم بمعناه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، هكذا قال. وقد رواه أبو داود الطيالسي عن الشعبي مرسلاً، وهو أصح، وقد روي عن ابن عباس، والبراء نحو ذلك.

النبي ﷺ، قاله الزجاج. والثالث: عن الإقرار بوحدانية الله، وتنزيهه عن الصاحبة والولد، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد هاهنا قولان: أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل، والثاني: الكفر، ذكره الدمشقي.

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَازُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْإِلَٰهَ لَا تَسْبُدُوا لِلَّهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة، وابن جريج، والربيع بن أنس. والثاني: وفد نجران الذين حاجوا في عيسى، قاله السدي ومقاتل. والثالث: أهل الكتابين جميعاً، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في القسيسين والرهبان، فبعث بها النبي ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحشة، فقرأها جعفر، والنجاشي جالس، وأشرف الحشة. فاما «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله. فإن قيل: فهذه كلمات، فلم قال كلمة؟ فغته جوابان: أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات. قال اللغويون: ومعنى كلمة: كلام فيه شرح قصة وإن طال، تقول العرب: قال زهير في كلمته؛ يراد في قصيدته.

قالت الخنساء:

وقافية مثل حد السنا

تقد الذؤابة من يذبل

نطقت ابن عمرو فسهلتها

فأوقعت القافية على القصيدة كلها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة من البيت، وإنما سميت قافية،

لأن الكلمة تتبع البيت، وتقع آخره، فسميت قافية من قول العرب: قفوت فلاناً: إذا اتبعته، وإلى هذا الجواب يذهب الزجاج وغيره. والثاني: أن المراد بالكلمة: كلمات، فاكفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة:

بها جيث الحسرى فأمّا عظامها

أراد: وأما جلودها، فاكفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال الزجاج: يعني بالسواء العدل، وهو من استواء الشيء، ويقال: للعدل سَوَاءٌ ونِواءٌ وسَوَاءٌ.

قال زهير بن أبي سلمى:

أروني خُطَّةً لا ضيمَ فيها

فإن تدعوا السواء فليس بيني

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ خفض على البدل من «كلمة». المعنى: تعالوا إلى أن لا

نعبد إلا الله، وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قائله قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي ألا نعبد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود بعضهم لبعض، قاله

عكرمة. والثاني: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله رباً، كما قالت

النصارى في المسيح، قاله مقاتل والزجاج.

﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِيْرَهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ الْتَوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِيْرَهِيمَ﴾ قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي ﷺ

(١) الآيات من قصيدة تروى بها أخاها معاوية. وفي الديوان: «يهلك» بدل «يذهب» و«تفارق» بدل «تزايل». تقد: الذؤابة: أعلى كل شيء. يذبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب. تقول: إن هذه القصيدة التي ينطق بها ماضية، كيف قاطع تقد قمم الجبال. وقولها: أبت أن تزايل أوعالها. أي: أن ذؤابة جبل يذبل ألفت الوعول، فكادت لا تفرس بأن لا تفارقها، تريد بذلك وصف علو الجبل، لأن الوعول لا تسكن سوى أعلى الجبال. وقولها: سهلها، أي: جثت بها سهلة.

(٢) الديوان ص ١٥ وفيه: أروني سنة لا عيب فيها. والسواء: العدل. يقول: أرونا سنة لا تعاب عليكم تسوي بيننا في الحق. وقوله: تدعوا السواء. أي: تركوا العدل، فلا يبقى بعضنا على بعض.

نصارى نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرياً. فنزلت هذه الآية.

﴿هَآأَنَٓتُمْ هَآؤَآءَ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ يَوْمَ يَلْمُ فَرِمَ تُعَآجِرُونَ فِيمَا كَرِهَ لَكُمْ بِهٖ يَوْمَ يَلْمُ وَاللَّهِ يَلْمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَآأَنَٓتُمْ﴾ قرأ ابن كثير «هانت» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أنتم. وقرأ نافع وأبو عمرو «هانت» ممدوداً، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «هانت» ممدوداً مهموزاً، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء».

قوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهٖ يَوْمَ يَلْمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما رأوا وعانوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم ﷺ. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في (البقرة) معنى الحنيف.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِنَّكَ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي ﷺ على دينه، قاله ابن عباس. والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يغضب النجاشي على أصحاب النبي ﷺ، فقال النجاشي: إنهم ليشتمون عيسى! فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة<sup>(١)</sup> اليوم على حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم. فأنزل الله يوم خصومتهم على النبي ﷺ هذه الآية، هذا قول عبد الرحمن بن غنم.

﴿وَدَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالو لمعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والطائفة: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك. وفي هذه الطائفة قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي. والضلال: الحيرة. وفيه هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاستئصال عن الحق إلى الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الإهلاك، ومنه ﴿أَوَدَّا ضَلَالًا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٤١]. قاله ابن جرير، والدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم.

﴿يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ هَآؤَآءَ عِصْيَانِكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال قتادة: يعني: محمداً والإسلام ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

﴿يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ قال اليزيدي: معناه: لم تخلطون الحق بالباطل؟ قال ابن فارس: واللبس:

(١) قال في «اللسان» الدهورة: جمعك الشيء، وقذفك به في مهواة، ودهورت الشيء كذلك، وفي حديث النجاشي: «فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم» كأنه أراد: لا ضيعة عليهم، ولا يترك حفظهم وتعهدهم..

اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: إقرارهم ببعض أمر النبي ﷺ، والباطل: كتمانهم بعض أمره. والثاني: الحق: إيمانهم بالنبي ﷺ غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، روي عن ابن عباس. والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: الحق: الإسلام، والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا محمداً ﷺ.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَأْمُرُوا بِآلِئِذٍ أُزِيلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَهُمُ الْكَافِرُ وَآخِرُ عَذَابِهِمُ بِرَجْمُونَ﴾ (٧٢)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيقبلون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسدي: توطأ اثنا عشر حبراً من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فترلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. والثاني: أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿يَأْمُرُوا بِالَّذِي أُزِيلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَهُمُ الْكَافِرُ﴾ يقولون: آمنوا بالقبلة التي صلوا إليه الصبح، واكفروا بالنبي صلوا إليها آخر النهار، لعلمهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال مجاهد، وقتادة، والزجاج في آخرين. وجه النهار: أوله.

وأشدد الزجاج:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت نسوتنا بوجه نهار

قد قُمن قبل تبليج الأسحار<sup>(١)</sup>

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ (٧٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصبح ديناً منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ﴾ كلاماً معترضاً بين كلامين، هذا معنى قول مجاهد، والأخفش. والثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلا أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحسن، وسعيد بن جبيرة. قال الفراء: معنى: «أن يؤتى»: أن لا يؤتى. والثالث: أن في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة

(١) البيتان للربيع بن زياد العباسي، من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير، وحمي لقتله، واستعد لطلب ثاره. وروايتها في «شرح الحماسة» للمرزوقي:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت ساحتنا بوجه نهار

يلطمن أوجههن بالأسحار

قال المرزوقي في شرحهما: كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القاتل أو يدرك ثاره. فيقول: من كان فرحاً بمقتل مالك، شامتاً بأولائه، فلينزع ملابس المسرة، وليطرح أردية الشامة، فقد أدركت الأثر، وأريقت الدماء، وشفيت الأذى، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليري أن ما كان محرماً من الرثاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببيكاه قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس، يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومجالاته، فإن ذلك متصل من فعلهن، غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والأصالة والأسحار.

التوكيد، كقوله تعالى: ﴿هَسِيَ أَنْ يَكُونَ رَدَفٌ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. وقال الشاعر:

ما كنتُ أخدعُ للخليل بخلةً      حتى يكون لي الخليلُ خدوعاً  
أراد: ما كنتُ أخدعُ الخليل. وقال الآخر:

يذمّون للدنيا وهم يحلبونها      أفاويقَ حتى ما يذرُ لها ثُغلاً<sup>(١)</sup>

أراد: يذمون الدنيا، ذكره ابن الأنباري، والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين، كان عوناً لهم على تصديقه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم، فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تقروا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي. وقرأ ابن كثير: أن يؤتى بهمزين، الأولى مخففة، والثانية مليئة على الاستفهام، مثل: أنتم أعلم، قال أبو علي: ووجهها أن «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أنشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى أحدٌ، ومثله في المعنى: ﴿أَتَحْدِثُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]. وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف: إن يؤتى، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَرَبَّ هَاتَيْنِ عِنْدَ رَبِّكُمُ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم، لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة، والثاني: أن معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التعبد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى. ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا ما تمثيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿يَخْصُصُ رِزْقَهُمْ مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَخْصُصُ رِزْقَهُمْ مَنِ يَشَاءُ﴾ في الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: النبوة، قاله مجاهد. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْنَتْهُ يَقْتَارِ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْنَتْهُ يَدِينَارَ لَا يُوْذِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْنَتْهُ يَقْتَارِ﴾ قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانته. وأهل الكتاب اليهود، وقد سبق الكلام في القنطار. وقيل: إن «الباء» في قوله: «يقنطار» بمعنى «على» فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرب، وأصله: دينار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: رجل مُدَنَّرٌ: كثير الدنانير. ويردون مدنَّرٌ: أشبه مستدير النقش بياض وسواد. فإن قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيَّنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ﴾ فحذّر منهم، وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم، وقيل: إن الذين يؤذون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤذونها: اليهود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: دُمْتُ ودُمْتُ، ومُتٌ ومُتٌ، وتميم يقولون: ميت ومُتٌ بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدم ويصوت. وفي هذا القيام قولان: أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد،

(١) نسيه في «اللسان» لابن همام السلولي، وروايته فيه: ودعوا لنا الدنيا وهم يرضعونها. الأفاويق: واحداً، فيقة، وهي اسم للبن الذي يجتمع بين الحليتين. والثمل: زيادة في أطباء الناقة، والبقرة، والشاة، وإنما ذكر الثمل للمبالغة في الارضاع، لأن الثمل لا يدر.

وقادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى: ما دمت مواظباً بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه. [قال الأعشى:

يقوم على الرّغم في قومه فيعفو إذا شاء أو ينتقم

أي: يطالب بالذحل<sup>(١)</sup> ولا يقعد عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنتُمْ قَالِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: عاملة غير تاركة، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: أخذ لها بما كسبت<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائماً على رأسه، فإنه يعترف بأمانته، فإذا ذهب، ثم جثت، جحدك، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والحرَج، ونظيره ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ قال السدي: يقولون: قد أحل الله لنا أموال العرب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَقْلُوبُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ رد الله ﷻ عليهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ قال الزجاج: وهو عندي وقف التمام، ثم استأنف، فقال: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ﴾. والعهد: ما عاهدكم الله ﷻ عليه في التوراة. وفي «هاء» ﴿عَهْدُهُ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى الموفي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيَتَذَكَّرُونَ أَلَمَهُمْ عَذَابَ آيَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيَتَذَكَّرُونَ أَلَمَهُمْ عَذَابَ آيَةٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحدته اليهودي، فقدمه إلى النبي ﷺ، فقال [له]: «ألك بينة؟» قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف؟» فقال الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة بتبيين صفة النبي ﷺ، فجحدوا، وخالفوا لما كانوا يتالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل. والثالث: أن رجلاً أقام سلعة في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منعتها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد. فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهده إلى اليهود في التوراة، واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير. ومعنى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لا يعطف عليهم بخير مقراً لهم، قال الزجاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرْكَبُ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

(١) الذحل: الثار، وطلب المكافأة بجنابة جيت عليه، من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

(٢) هذا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص ١٣٨ - ١٣٩، وما بين معقوفتين مزيد منه.

(٣) ونصه كما في البخاري ٥٣/٥ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: فقال الأشعث: في والله كان ذلك. كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمت إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قلت: لا. قال، فقال لليهودي: «أتحلف؟» قال: قلت: يا رسول الله إذا يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَتَذَكَّرُونَ أَلَمَهُمْ عَذَابَ آيَةٍ﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَأَن يَنْهَرُ لَرِيفًا يَلُؤْنَ آلَيْسَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِيَتَحَسَّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبَرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَأَن يَنْهَرُ لَرِيفًا﴾ اختلفوا فمن نزلت على قولين، أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية، عن ابن عباس، والثاني: في اليهود والنصارى، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن﴾ هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: «لَرِيفًا» وتوكيد زائد على توكيد «إِنَّ». قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿يَلُؤْنَ آلَيْسَتَهُمْ﴾: يقبلونها بالتحريف والزيادة. والألسنة: جمع لسان، قال أبو عمرو: اللسان يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه: السنة، ومن أنثه، جمعه: السنأ، وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً. وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكرونه. وأنشد ابن الأعرابي:

لسانك معسولٌ ونفسك شحّة

وعند الشريا من صديقك مالكا

وأنشد ثعلب:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانِ كُلِّ مَنِي

فَلَيْتَ بَأْئَهُ فِي جَوْفِ عِجْمٍ<sup>(١)</sup>

والعجم: العدل. ودل بقوله: كان مني، على أن اللسان الكلام. وأنشد ثعلب:

أَتَنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ

أَحَادِيثُهَا بَعْدَ قَوْلِي نَكِرٍ

فأث اللسان، لأنه عنى الكلمة والرسالة.

﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَفِّيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحَيَاةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَبِيًّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قومًا من رؤساء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال: «لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضحاك، ومقاتل. وفيمن عنى «البشر» قولان: أحدهما: محمد ﷺ. والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: عيسى، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل. والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطنى الكذبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

فأما الربانيون، فروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: هم الذين يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، وقال ابن عباس، وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون. وقال قتادة، وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قال ابن قتيبة: واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون. وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي. وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين: الرباني: منسوب إلى الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو: «تَعْلَمُونَ»، بإسكان العين، ونصب اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تَعْلَمُونَ» مثقلاً، وكلهم قرؤوا: «تدرسون» خفيفة. وقرأ ابن

(١) قاله الحطية: «ديوانه» ص ٣٤٧. اللسان هاتان: الكلام، وأدخل الباء على «أن» مع «ليت» وهو قليل، وأراد: ليت أنه في جوف عجم، ففهم الباء على «أن» وهو حجة في العربية. ويروي: «فلت يأن»، ووردت بانه. والعجم: داخل الجنب على المثل بالعجم، وهو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.



مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف، وأبو حيوة، «تُدْرَسُونَ»، بضم التاء مع التشديد، والدراسة: القراءة. قال الزجاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّينَ آبَاءَكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه، وعبد الوارث عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، بنصب الراء. وقرأ الباقر برفع الراء، فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله. قال ابن جريج: ولا يأمركم محمد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ وَوَعَدْتُمْ بِهِمْ أَنْتُمْ لَكُمْ وَمَنْ يَعْصِمْ عَنْكُمْ فَقَدْ خَفَى بِذِكْرِ الْاٰنْبِيَاءِ عَنْ ذِكْرِ الْاٰمِمْ، لَٰنَ فِىْ اٰخِذِ الْمِثَاقِ عَلَى الْمَتَّبِعِ دَلَالَةٌ عَلَى اٰخِذِهِ عَلَى التَّابِعِ، وَهَٰذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالزَّجَاجِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ قال الزجاج: موضع «إذ» نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله، قال ابن عباس: الميثاق: العهد. وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان: أحدهما: أنه تصديق محمد ﷺ، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمنن بما جاء به الآخر منهم، قاله طائوس. قال مجاهد، والربيع بن أنس: هذه الآية خطأ من الكتاب<sup>(١)</sup>، وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ واحتج الربيع بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين، وأمهم، فاكفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عباس، والزجاج.

واختلف العلماء في لام «لما» فقرأ الأكثرون «لما» بفتح اللام والتخفيف، وقرأ حمزة مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سعيد بن جبير «لما» مشددة الميم، فقراءة ابن جبير، معناها: حين آتيتكم، وقال الفراء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم، ثم جعل قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ من الأخذ. قال الفراء: ومن نصب اللام جعلها زائدة. و«لما» هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة. قال ابن الأنباري: اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ على قراءة من شدد أو كسر: جواب لأخذ الميثاق. قال: لأن أخذ الميثاق يمين، وعلى قراءة من خففها، معناها: القسم، وجواب القسم اللام في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾. وإنما خاطب، فقال: آتيتكم، بعد أن ذكر النبيين وهم غيب، لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطباً لهم: لما آتيتكم. وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والألف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ قال علي ﷺ: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليصرنه، وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرأً، لأنه منغ من الأمر الذي أخذ له، وثقل وتشديد. وكلهم كسر ألف «إصري». وروى أبو بكر، عن عاصم، ضمه. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضم لغة.

(١) في الطبري «من الكاتب» قال الشيخ محمود شاكر: قلت: والقول الذي ذكره مجاهد إنه خطأ من الكاتب، إنما عني به أن قراءة ابن مسعود هي مع القراءة التي كانت في العرصة الأخيرة، فأخطأ وكتب القراءة الأولى، ولم يرد بقوله: خطأ من الكاتب، أنه وضع ذلك من عند نفسه؟ كيف والقرآن كتابا تلقى بالرواية والوراثه عن رسول الله ﷺ، لا بما هو مكتوب في المصحف.

(٢) قال أبو بكر الباقلاني في كتاب «الانتصار لثقل القرآن»: وأما نحن وإن كنا نؤمن جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم، فأنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً، قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم وما يمكن أن يكون باطلاً، ولا يثبت عليهم من طريق العلم اليقيني بأخبار الآحاد، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم المخالفة لما في مصحفنا، مما لا نعلم صحتها وثبوتها، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان وقراءتهم وإقراءهم ما فيه، والعمل به دون غيره، لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم لأجل ما ذكرنا.



قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاقْبَرُوا﴾ قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما شوهه. وفيمن خطب بهذا قولان: أحدهما: أنه خطاب للنبين، ثم فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: فاشهدوا على أنفسكم، قال مقاتل. والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن المسيب. فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٢) أَفَغَيْرَ ذِي اللَّهِ يَنْفُوتُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ذِي اللَّهِ يَنْفُوتُ﴾ قرأ أبو عمرو: «يبنون» بالياء مفتوحة. ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾: بالياء مضمونة، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حفص عن عاصم: «يبنون» و«يرجعون» بالياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب على أصله. قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم». فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية. والمراد بدين الله، دين محمد ﷺ. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، وخضع ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الطوع: الانقياد بسهولة، والكره: الانقياد بمشقة وإباء من النفس. وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال: أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرهاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي. والثاني: أن المؤمن يسجد طائعاً، والكافر يسجد ظله وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد. والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فإقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد. والرابع: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن. والخامس: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم حين رأى بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، هذا قول قتادة. والسادس: أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع من جلاله عليه، ولا على تغييرها، هذا قول الزجاج، وهو معنى قول الشعبي: انقاد كلهم له.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْيَهُودُ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ارتد، فلحق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع تائباً [فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلقى عنه] رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد. والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبي ﷺ، ثم كفروا به، رواه عطية عن ابن عباس، وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَحُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج أي: في عذاب اللعنة ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: يؤخرون عن الوقت. قال: ومعنى: ﴿وَأَسْلَحُوا﴾ أي: أظهروا أنهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه، وغرّوا به من تبعهم ممن لا علم له.

(١) رواه النسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والطبري والبيهقي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد أيضاً، وإسناده صحيح.

## فصل

وهذه الآية استثنت من تاب ممن لم يتب، وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنته الآيات قبلها من الوعيد، وليس بنسخ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ ٩١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فإنهم قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعميس والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني. والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية. قال الحسن: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً، وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم ارتدوا، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية. والثالث: أن: معناه: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي. والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ نِلٌّ أَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِذِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً. قال الزجاج: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملأً، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس ممدودة، والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديداً، وتمل حبیباً، أي: عش معه دهرأ طويلاً. و﴿ذَهَبًا﴾ منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِذِهِ﴾<sup>(١)</sup> قال الفراء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذف كان صواباً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَوَقِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال الزجاج: هذا غلط، لأن فائدة الواو بيّنة، فليست مما يلقي. قال النحاس: قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة، وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْمَ عِلِّيِّهِ ٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ في البر أربعة أقوال: أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا بر الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم. والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الطاعة، قاله عطية. والرابع: الخير الذي يستحق به الأجر، قاله أبو روق، قال القاضي أبو يعلى: لم يزد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال، فكانه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله، وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة

(١) روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكتفتك به؟ قال: يقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي، وأخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) لم تنف على هذه الرواية التي ذكرها المؤلف من طريق ابن عمر في شيء من كتب السنة، وإنما الذي جاء فيها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان، رواه البخاري ومسلم.

أقوال: أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عمر. والثالث: أنها جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى. وروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء<sup>(١)</sup>، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضعها حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بئح، ذاك مال رابح أو رائج [شك الراوي]<sup>(٢)</sup>» وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمّه. وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجد شيئاً أحب إليّ من جاريتي رميثة<sup>(٣)</sup>، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أنني أعود في شيء جعلته لله، لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده، وسئل أبو ذر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة: عماد الإسلام، والجهاد: سنام العمل، والصدقة: شيء عَجَب، ثم قال السائل: يا أبا ذر لقد تركت شيئاً هو أوثق عمل في نفسي لا أراك ذكرته. قال: ما هو؟ قال: الصيام. فقال: قرية وليس هناك، وتلا قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: يجازي عليه.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِذْ أُنْزِلَ إِلَّا مَا هَازَمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُؤُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِذْ أُنْزِلَ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ قال: «أنا على ملة إبراهيم» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل. وتشرب البانها؟ فقال: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم». فقالوا: كل شيء نحرمه نحن، فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو روق، وابن السائب<sup>(٥)</sup>: «والطعام»: اسم للمأكول. قال ابن قتيبة: والجل: الحلال، ومثله الحرم والحرام، واللبس واللباس. وفي الذي حرّمه على نفسه، ثلاثة أقوال: أحدها: لحوم الإبل والبانها. روي عن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين. والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. والثالث: أنه زائدتا الكبدة، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر، قاله عكرمة. وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه طال به مرضٌ شديد، فنذر:

- (١) قوله: بيرحاء، قال الحافظ ابن حجر: بفتح الموحدة، وسكون التحتانية، وفتح الراء، وبالمهمل والمد، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة، جمعها ابن الأثير في «النهاية»، فقال: يروى بفتح الباء، ويكسر الراء، ويفتح الراء وضمها، والمد والقصر. فهذه ثمان لغات. وفي رواية حماد بن سلمة «بريحاء» بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتانية. وفي «سنن أبي داود» «باريحاء» مثله لكن بزيادة ألف. وقال الباقى: أفصحها بفتح الباء، وسكون الياء، وفتح الراء مقصور، وكذا جزم به الصغاني، وقال: إنه «فعل» من البراح. قال: ومن ذكره بكسر الموحدة، وظن أنها بئر من آبار المدينة فقد صحف.
- (٢) جاء في البخاري: رابع أو رائج، شك ابن مسلمة. قال الحافظ ابن حجر: أي القعني، والرواية الأولى واضحة من الريح، أي: ذو ريح. وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: هو مال مبروح فيه. وأما الثانية فمعناها: رائج عليه أجره. قال ابن بطلان: والمعنى أن سافته قريبة، وذلك أنفس الأموال. وقيل: معناه يروح بالأجر ويغتنو به، واكتفى بالروح عن القدر.
- (٣) في «الدير المتحور»: مرجانة.
- (٤) رواه ابن جرير الطبري ٥٩١/٦، وهذا الخبر منقطع لأن ميمون بن مهران لم يذكره أباً ذر.
- (٥) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ولم يذكر له سنداً.
- (٦) روى الإمام أحمد بسند حسن عن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمن إلا نبي [فذكر الحديث، وفيه لأنهم قالوا: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟] [وأن رسول الله ﷺ قال لهم: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل أي: يعقوب] مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنذر له نذراً، [لئن شفاء الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه. وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه البانها؟] فقالوا: اللهم نعم. فقال: «اللهم اشهد عليهم».

- (٧) رواه البيهقي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

لئن شفاه الله، ليحرّم من أحبّ الطعام والشراب إليه، روي عن النبي ﷺ. والثاني: أنه اشتكى عرق النسا<sup>(١)</sup> فحرّم العروق، قاله ابن عباس في آخرين. والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النسا اجتناب ما حرّمه، فحرّمه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النسا، فبييت وقيداً<sup>(٢)</sup> فحرّمه، قاله أبو سليمان الدمشقي. واختلفوا: هل حرم ذلك بإذن الله أو باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرّمه على اليهود، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرماً في التوراة، قاله عطية. وقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد. والثاني: أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ فَآلَهُمْ أَن قَاتَلُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هذا قول الضحاك. والثالث: أن الله حرّم عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب. قال ابن عباس: ﴿قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ فَآلَهُمْ﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل والبأنها!

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ﴾ يقول: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد البيان في كتبهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ الصدق: الإخبار بالشئ على ما هو به، وضده الكذب. واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين: أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا﴾، قاله مقاتل، وأبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنه عنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلٰلًا﴾ قاله ابن السائب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال مجاهد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون: الكعبة أفضل، فنزلت هذه الآية. وفي معنى كونه «أول» قولان: أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة حشفة على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة، وقال ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط، فأوحى الله إليه، أن: ابن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أنه أهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفِعَ فصار معموراً في السماء، وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة. القول الثاني: أنه أول بيت وُضِعَ للناس للعبادة<sup>(٣)</sup>، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين، فأما بكة، فقال الزجاج: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقاً من البَكِّ. يقال: بكَّ الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام

(١) النسا: هو العرق الذي يخرج من الورك، فيستطن الغنلين، ثم يمر حتى يبلغ الكعب، وهو الذي يأخذه المرض المعروف.

(٢) قال في «اللسان»: الرقيذ والموقوذ: الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت. وفي «الطبري»: «فكان بيت له زقاء». والزقاء: صوت الباكى وصياحه.

(٣) يؤيده ما رواه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجداً». رواه أحمد في «المستد» والبخاري ومسلم.

(٤) أثر علي، رواه ابن أبي حاتم، وصححه الحافظ ابن حجر.

الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل. والثاني: لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي: تلذقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج. والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن البيهقي، وقطرب. واتفقوا على أن مكة اسمٌ لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال: أحدها: أنه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم. وعطية. والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة. والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب. والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم؛ يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله، وشر لازم، ولازب.

قوله تعالى: ﴿مِائَاتٍ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: الذي استقر بمكة في حال بركته.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى﴾ أي: وذا هدى. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدى، فاما بركته، فيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمن من دخله. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من طاف بالبيت، لم يرفع قدماً، ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، في الهدى هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى القبلية، فتقديره: وقبلية للعالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح، لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْغَنَاءِ ۚ كَانَ مَوْثِقًا لِلَّهِ عَلَى الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، الجمهور يقرؤون: آيات. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: «فيه آية بينة مقام إبراهيم»، وبها قرأ مجاهد. والآية: مقام إبراهيم. فاما من قرأ: «آيات» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله. فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِنَكْفِيهِمْ شُهُودِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. وقال أبو رجاء: كان الحسن يعدن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والله على الناس حج البيت، وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهم مقام إبراهيم. قال المفسرون: الآيات فيه كثرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخراجه، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليست في البيت، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر، فأثرت قدماه فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هنك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه، ثم لجأ إلى الحرم، وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أحمد في رواية المروزي: إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتى حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحد، ولم يقتص منه، ولكن لا يبيع، ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئاً من ذلك في

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم ٤٤٦٢، والترمذي في «جامعه» والحاكم في «المستدرک» وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر، ولفظ المصنف عند ابن خزيمة. قال الهيثمي في مجمع «الزوائد» ٢٤٠/٣: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وهشيم الراوي عن عطاء سمع منه بعد اختلاطه. وقد حسن الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على «المسند» فأنظره.



قوله تعالى: ﴿تَبَوَّأُوا﴾ قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكر ويؤث. وأنشدوا:

فلا تبعد فكل فتى أناس      سيصبح سالكاً تلك السبيلا

ومعنى «تبغونها»: تبغون لها، تقول العرب: ابغني خادماً، يريدون: ابغته لي، فإذا أرادوا: ابتغ معي، وأعني على طلبه، قالوا: أبغني، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهماً، كما يقولون: وهبت لك. قال الشاعر:

فتولّى غلامهم ثم نادى      أظليماً أصيدكم أم حماراً؟

أراد: أصيد لكم. ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزينج والتحريف، ويريدون ردّ الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد، وهذا قول الفراء، والزجاج، واللغويين. قال ابن جرير: خرج هذا الكلام على السبيل، والمعنى: لأهله، كان المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحق، عوجاً، أي: ضلالاً، قال أبو عبيدة: العوج بكسر العين في الدين، والكلام، والعمل، والعوج بفتحها، في الحائط والجذع، وقال الزجاج: العوج بكسر العين: فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص قلت: عوج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عوج، وفي العصا عوج. وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العوج عند العرب بكسر العين: في كل ما لا يحاط به، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل، فيقال: في الأرض عوج، وفي الدين عوج، لأن هذين يتسعان، ولا يدركان. وفي العصا عوج، وفي السن عوج، لأنهما يحاط بهما، ويبلغ كنههما، وقال ابن فارس: العوج بفتح العين: في كل متعصب، كالحائط. والعوج: ما كان في بساط أو أرض، أو دين، أو معاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحة ما صددتم عنه، ويُطلان ما أنتم فيه، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وقتادة، والأكثرين. والثاني: أن معنى الشهداء هاهنا: العقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْكُم بِرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَفِيرًا﴾

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكرهما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنأى كل واحد منهما بقومه، فخرجوا بالسلاح، فجاء النبي ﷺ، فأصلح بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة. قال المفسرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج. قال زيد بن أسلم: وعنى بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه. قال الزجاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَالُ عَلَيْكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَمِدِ عَلَىٰ هُدًى إِلَىٰ مِرْكَبٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَمِدِ عَلَىٰ هُدًى﴾. قال ابن قتيبة: أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع، قال الزجاج: ويعتصم جزم بدمن، والجواب ﴿فَقَدْ هَدَىٰ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قال عكرمة: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبي ﷺ بينهم. وفي «حق تقاته» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» والحاكم في «المستدرک» ٢/ ٢٩٤ موقوفاً غير مرفوع، وإسناده صحيح. ورواه ابن مردويه مرفوعاً كما ذكره المصنف، قال ابن كثير. والأظهر أنه موقوف.



## فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين: أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: ﴿فَأَقْوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاوس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق ثقاته» الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق ثقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ«حق ثقاته» لا ناسخاً ولا مخصصاً.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا فِعْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال الزجاج: اعتصموا: استمسكوا. فأما الحبل، فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله: القرآن: رواه شقيق عن ابن مسعود<sup>(١)</sup> وبه قال قتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود. والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. وقال ابن زيد: هو الإسلام. والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيد، واحتج له الزجاج بقول الأعشى: وإذا تجوزها حبال قبيلة وأنشد ابن الأنباري:

فلو حبالاً تناول من سليمي لمد بحبلها حبالاً متينا

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية. والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان. قال الزجاج: وقوله: «جميعاً» منصوب على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به. وأصل «تفرقوا»: تفرقوا، إلا أن الناء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحدوفة هي الثانية، لأن الأولى دليّة على الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال، وهو مجزوم بالهي، والأصل: ولا تفرقون، فحذفت النون، لتدل على الجزم. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا فِعْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على قولين: أحدهما: أنهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق. والأعداء: جمع عدو. قال ابن فارس: وهو من عدّا: إذا ظلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي: صرتم، قال الزجاج: وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخى مساراً فلان، أي: ما يسره. والشفا: الحرف. وأعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك، وقربهم من العذاب، كأنه قال: كنتم على حرف حفرة من النار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكفر. قال السدي: فأنقذكم منها محمد ﷺ.

﴿وَلَكُمْ يَنْكحُكُمْ أَنَّهُ﴾ وَالْمَرْءُ وَالْمَرْءُ بِالْمَرْءِ وَنَهَوْنَ عَنِ الشُّكْرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِقُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَنْكحُكُمْ أَنَّهُ﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: ولكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَأَجْنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٢٠] معناه: اجتنبوا الأوثان، فإنها رجس. ومثله قول الشاعر:

(١) رواه الطبري وإسناده صحيح، ولفظه: «إن الصراط محتضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله، هلم هذا الطريق، ليصلوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله».

(٢) من «ديوانه» ص ٢٧ من قصيدته في قيس بن معد يكرب، وهذا البيت في ذكر ناقته. يقول: إذا ما أخذت من قبيلة عهودها حتى اجتاز ديارها أمناً، أعطتها القبيلة التي تليها عهداً وضمناً أن تخرق ديارها أمناً لا ينالها أحد بسوء، وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخافه، فكل قاصد إليه، واجد الأمان حيث سار.



أخو رغائب يعطيها ويسألها

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر<sup>(١)</sup>

وهو النوفل الزفر.. لأنه وصفه بإعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر: الذي يحمل الأثقال. ويدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة، لأن الدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض، كالجهاد، فأما الخير، ففيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل. والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وأما المعروف، فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر، وقيل: المعروف ما هنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَنَفَّرُوا وَاتَّخَفُوا مِنْ بَدِّ مَا جَاءَهُمْ أَلَيْسَتْ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَنَفَّرُوا وَاتَّخَفُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: أنهم الحرورية<sup>(٢)</sup> قاله أبو أمامة.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قرأ أبو رزین العقيلي، وأبو عمران الجوني، وأبو نهيك: «تببيض» و«تسود»، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبو الجوزاء: «تبياض» و«تسواء» بآلف، ومدة فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: فأما الذين اسوأت وابتياضت، بآلف ومدة. قال الزجاج: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيض وجوه. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة. وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال: أحدها: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أبي بن كعب. والثاني: أنهم الحرورية، قاله أبو أمامة، وأبو إسحاق الهمداني. والثالث: اليهود، قاله ابن عباس. والرابع: أنهم المنافقون، قاله الحسن. والخامس: أنهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: يقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: ﴿رَأْسُيَ يُدْرِكُ لَئِن لَّمْ تَكُنْ لَيًّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: ويقولان: ربنا ثقيل منا. ومثله: ﴿يَنْ كُلِّ بَابٍ سَكَنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٥، ٢٦] والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم قالوا بالاستتم، وأنكروا بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكانهم جعلوا ما يتعرف ويُعرف مذاقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم، تقول العرب: قد ذُقتُ من إكرام فلان ما يُرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ما عنده. قال تميم بن مقبل:

أَوْ كَأَمْزَازٍ رُدِينِي تُذَاوِقُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينًا<sup>(٣)</sup>

(١) هو لأعشى باهلة، من قصيدة جيدة يرثي بها المتمر بن وهب الباهلي. والظلامة: ما أخذ ظملاً. النوفل: الكثير النوافل، وهي العطايا، واحداًها: نافلة. الزافر: القوي على الحملات، وهي الغرامات التي تحملها عن القوم. قال في «اللسان» وقوله: «منه» مؤكدة للكلام، كما قال تعالى: ﴿يَبْيِزْ لَكُمْ بَيْنَ دُونِكُمْ﴾ [الأحاف: ٣١]. والمعنى: يأبى الظلامة، لأنه النوفل الزفر.

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين قاتلهم علي عليه السلام، نسبة إلى حروراء. قال ياقوت في «معجم البلدان»: وحروراء، يفتحون وسكون الواو، وراء أخرى وألف مدودة: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً عليه السلام فنسبوا إليها.

(٣) «ديوانه» ص: ٣٢٨. وقد جاء فيه «تداوله» مكان «تذاوقه» والرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقن هي وزوجها سمهر صنع الرماح بخط هجر. التجار: جمع تاجر، وهو الذي يتجر في الشيء، الحاذق بالأمور. شبه تنني النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن. وقال الشماخ في وصف القوس:

فَذَاقُ فَاعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا

كَفَى وَلَهَا أَنْ يَفْرُقَ السَّهْمَ حَاجِزَ

وقال الآخر:

وإن الله ذاق حُلُومَ قيس

فلما رآه خففتها قلاها<sup>(١)</sup>

يعنون بالدوق: العلم. وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه. فقد ذاقه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْشَئَتْ وَجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْشَئَتْ وَجُوهُهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون. ورحمة الله: جنته، قال ابن قتيبة: وسمي الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته. وقال الزجاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها» تأكيداً.

﴿بَلَايَاكَ اللَّهُ تَنَلَّوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْمَلَائِكَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جرم. وقال الزجاج: أعلمنا أنه يعذب من عذبه باستحقاق.

﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كُتِبَ خَيْرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُوقِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْكُفُورُ أَكْثَرُكُمْ الْفَاسِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة (وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل): ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل. وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل بدر. والثاني: أنهم المهاجرون<sup>(٢)</sup>. والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس. وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى»<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمته<sup>(٤)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾، قولان: أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ. والثاني: أن معناه: خُلِقْتُمْ وَوُجِدْتُمْ. ذكرهما المفسرون. والثالث: أن المعنى: كنتم مذ كنتم، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. ذكره الفراء<sup>(٥)</sup>، والزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راءن، أو مستقبل، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ ومعناه: أنتم، ومثله: ﴿وَأَذَى قَالَ اللَّهُ يَكُونُ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: وإذ يقول. ومثله: ﴿أَنَّهُ أَتَى اللَّهَ﴾ [النحل: ٤١]، أي: سيأتي، ومثله: ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْرِ صَبِيرًا﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هو في المهد، ومثله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. أي: والله سميع بصير، ومثله: ﴿فَتَنَزَّلُ صَبَاً فَنَقَلَتْ﴾ [فاطر: ٩] أي: فنسوقه. وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ﴾

(١) قال الجاحظ في «الحيوان» ٣٠/٥: قال يزيد بن الصنق لبني سليم حين صنعوا لسيدهم العباس بن أنس ما صنعوا، وقد كانوا توجهوا وملكوه، فلما خالفهم في بعض الأمر، وثبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رطبه:

وإن الله ذاق حُلُومَ قيس  
فلما ذاق خففتها قلاها  
وأهلاً لا تطيع لها أميراً  
فغلاها ترؤد فني غلاماً

قلاها: أبغضها. وغلاماً: تركها. والخل، مقصورة: الرطب من الثبات، واحدة: خلعة، يقول: جعلها كالسوائم تتراد المرامي.

(٢) رواء أحمد، والنسائي، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات. وروى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فلعلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرعب، وأعطيت مقاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمي خير الأمم، وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير بعدما ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ: فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُوقِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الملح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ كَثِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُوقِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

(٥) جاء في «معاني القرآن»: وقوله: ﴿كُتِبَ خَيْرٌ أَمَّا أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُوقِنُونَ بِاللَّهِ﴾ في التأويل في اللوح المحفوظ، ومعناه: أنتم خير أمة، كقوله: ﴿وَأَكْثَرُكُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ [النساء: ٨٦]. و﴿إِذْ أَتَى قِيلٌ سَخِطْتُمْ فِي الْأَنْزِيلِ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فإضمار «كان» في مثل هذا وإظهارها سواء.



عصيت إليها القلب إنني لأمره  
ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر:  
وما أدري إذا يُمُمتُ أرضاً  
أريدُ الخيرَ أيُّهما يليني  
ألّخيرَ الذي أنا ابتغيهِ  
أم الشرّ الذي هو يبتغيهني<sup>(١)</sup>

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيلٌ ءَاتَاَ الْإِلَهَ لَأَكْفِرَ بِكَ وَفَأَيُّهَا﴾ [الزمر: ٩] ولم يذكر ضده، لأن في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. دليلاً على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِكَ وَكَيْفَ اللَّهُ يَقْتُلُوكَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مبيناً لهؤلاء. قال: ﴿وَءَاتَاَ الْإِلَهَ﴾ ساعاته، وواحد الآناء: إنني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إنني، وإنيان، والجمع: الآناء. واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور. والثالث: جوف الليل، قاله السدي. والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، قولان: أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه السجود المعروف، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التلاوة والسجود. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَرَأَوْا نِعْمَتَ الْمَعْرِفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١١٤)</sup> وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ<sup>(١١٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «تفعلوا»، وتكفروه، بالتاء في الموضعين على الخطأ، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. قال قتادة: فلن تكفروه: لن يضل عنكم. وقرأ قوم، منهم حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: يفعلوا، ويكفروا، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة. وبقية أصحاب أبي عمرو يخبرون بين الباء والتاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup> مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(١١٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في نفقات الكفار وصدقاتهم، قاله مجاهد. والثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم. وفي الصر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النار، قاله ابن عباس، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صر لتصويتها عند الانتهاب. والثالث: أن الصر: التصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه: صرير النعل، ذكره ابن الأنباري. والحرث: الزرع. وفي معنى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: ظلموها بالكفر والمعاصي، ومنع حق الله تعالى. والثاني: بأن زرعوا في غير وقت الزرع.

(١) ديوان الهذليين ٧١/١ قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على البيت: رواية البيت هكذا لا يستقيم بها معنى، ورواية «ديوانه»:

عصاني إليها القلب إنني لأمره

ويروى: دعاني إليها. ومما روايتان صحيحتان. وتام معنى البيت في الذي يليه:

فقلت لقلبي يا لك الخير إنما

يدليك للموت الجديد حبابها

يقول: عصاني القلب، وذبح إليها، فأن أتبع ما يأمرني به.

(٢) للمصنف العبد من قصيدة جيدة في «المفضليات» والبيان تعبير صادق عن جهل الإنسان بما يخفى له القدر من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة. وحدثننا عن ثعلب، قال: بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح، والمعنى: على الحرث، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ وإنما المعنى على المنعوق به. وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّعْنَ أَنْفُسِهِنَّ﴾ فخير عنه «الأزواج» وترك «الذين» كأنه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتريضن، فبدأ بالذين، ومراده: بعد الأزواج. وأنشد:

لعلِّي إن مالت بي الريح ميلاً  
على ابن أبي ديان أن يتندماً

فخير عن ابن أبي ديان، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندما إن مالت بي الريح ميلاً. وقد يبدأ بالشئ، والمراد التأخير، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَوُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ مُعَقِّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصدقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مبايعتهم. قال الزجاج: البطانة: الذلاء الذين يستبطنون [أمره] وينسط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس. ومعنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: لا يتقون غاية في الفائق فيما يُضُرُّكم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرر، يقال: فلان يعنت فلاناً، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمة عتوت، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتبية: ومعنى ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتيم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العملات والكتب، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب. وروي عن عمر أنه بلغه أن أبا موسى استكتب رجلاً من أهل الذمة، فكتب إليه يعنه، وقال: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله.

﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآئِكَ خُبْرَهُمْ وَلَا يُمِيزُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَنْكُمْ عَلَى الْآثَانِ مِنْ الْقَبِيلِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْتِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآئِكَ خُبْرَهُمْ وَلَا يُمِيزُونَكُمْ﴾ قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتبية: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فاما «تحبونهم» فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافقتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال: أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس. والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة. والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية. والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، والزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود. والأنامل: أطراف الأصابع. قال ابن عباس: والغيظ: الحنق عليكم، وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضرب مثل لما حلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة، ومعنى ﴿مُؤْتُوا بِعَيْتِكُمْ﴾: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتبساً. قال

(١) قال القرطبي: معنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

ابن جرير: هذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كعداء من الغيظ.

﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ شُؤْهُمْ وَإِنْ تُبْغُوا سَيِّئَةً يَفْرِحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ﴾ قال قتادة: وهي الألفة والجماعة. والسيئة: الفقرة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين. وقال ابن قتية: الحسنة: النعمة. والسيئة: المصيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس. والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ قولان: أحدهما: الشرك، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، «يَضُرُّكُمْ» بكسر الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «لَا يَضُرُّكُمْ» بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاج: الضر والضير بمعنى واحد. فأما الكيد فقال ابن قتية: هو المكر. قال أبو سليمان الخطابي: والمحيط: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأمور كلها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله بدير، وإذ غدوت من أهلك. وقال ابن قتية: تبوئ، من قولك: بوأتك منزلاً: إذا أقدت لك إياه، أو أسكنته. ومعنى «مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ»: المعسكر والمصاف. واختلفوا في أي يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم أحد، قاله عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال. والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: يوم بدر، نقل عن الحسن أيضاً. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: سميع لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم للخروج، عليم بما يخفون من حب الشهادة.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ قال الزجاج: كانت التبروة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخورا. «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا»، أي: ناصرهما. قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله: «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا». وقال الحسن: [هما] طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله. وقيل: لما رجع عبد الله بن أبي في أصحابه يوم أحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله.

### فصل

فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز [في الأمر]، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وكَلَّهْتُ كُكْلَهُ، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ﴾ في تسمية بدر قولان: أحدهما: أنها بشر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي. والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَدْلَىٰ﴾ أي: لفلة العدد والعدد. ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَفْكَرُونَ﴾ أي: لتكونوا من الشاكرين.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ قال الشعبي: قال كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والثاني: يوم أحد، وعندهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكفاية: مقدار سد الخلة. والاكتفاء: الاقتصار على ذلك. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: ﴿مُزِيلِينَ﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي، وشدها ابن عامر.

﴿بَلْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَتَذَكَّرْكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَنَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير: من قال: من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر<sup>(١)</sup>. وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان، ثم اتصل. وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن. وفي يوم فورهم قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة. والثاني: يوم أحد، قال مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها، فمن فتح الواو، أراد أن الله سؤمها، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها. وقال الأخفش: سومت خيلها، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر: «سوموا فإن الملائكة قد سومت»<sup>(٢)</sup> ونسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر. قال ابن قتيبة: ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء [مأخوذاً]، والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال علي رضي الله عنه: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها. وقال أبو هريرة: العهن الأحمر. وقال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة، وفيها العهن. وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمائم صفر. وروي ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرأ، ونحن على شركتنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الخيل سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فاما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت<sup>(٣)</sup>. وقال أبو داود المازني: إني لأتبع يوم بدر رجلاً من

(١) نص كلام ابن جرير: «فالذي قال في هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله: ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين. وأما الذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنما عنوا أن تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش، ويأتهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتالهم الذين قتلوا يوم بدر بها.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٨٦/٧ عن عمير بن إسحاق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ - يعني ليوم بدر - قال رسول الله ﷺ: «سوموا فإن الملائكة قد سومت». قال الشيخ أحمد شاكر: وعمر بن إسحاق أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمر بن العاص، وكان قليل الحديث، وقال أبو حاتم والنسائي: لا نعلم روى عنه غير ابن عون، قال ابن معين: ثقة، وقال أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه، فهذا الحديث كما ترى مرسل، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به.

(٣) روى ابن هشام في «السيرة» ٦٣٣/١، ورواه ابن جرير في «التفسير»: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننظر الوقعة على من تكون الذبيرة، فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت. الذبيرة: الهزيمة في القتال. أقدم: كلمة زجر تزجر بها الخيل، وأمر لها بالتقدم. حيزوم: اسم فارس من خيل الملائكة يومئذ، ويقال: هو فارس جبريل عليه السلام. وقناع القلب: غشاؤه. وجاء في الحديث الذي أخرجه «مسلم» ١٣٨٤، قال أبو زميل - هو سمك الحنفي - فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر =



المشركين لأضره، فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله<sup>(١)</sup>. وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال: أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن. وروى جبير بن مطعم عن علي عليه السلام، قال: بينا أنا أمتح من قلب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه. والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي. والثالث: ألف، قاله مجاهد. والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج. والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَ لِقَابُكُمْ يَوْمَ وَمَا أَتَصَّرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْفَرِيقَ الْكَبِيرَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ يعني المدد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، أي: إلا بشارة تطيب أنفسكم، ﴿وَلَسَطَ لِقَابُكُمْ يَوْمَ﴾، تستسكن في الحرب، ولا تجزع، والأكثرون على أن هذا المدد يوم بدر. وقال مجاهد: يوم أحد، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعاً، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَصَّرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: ليس بكثرة العدد والمُدد.

﴿لَيَقَطَّعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُ غَيْرُهُمْ يَسْقُطُوا فَجَايِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيَقَطَّعَ طَرَفًا﴾ معناه: نصركم بيدر ليقطع طرفاً. قال الزجاج: أي: ليقتل قطعة منهم. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور. والثاني: يوم أحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْتَسِبُ غَيْرُهُمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس، والزجاج. والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه. والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة. والخامس: يلعنهم، قاله السدي. والسادس: يُظْفَرُ عليهم، قاله المبرد. والسابع: يغيطهم، قاله النضر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن قتيبة: أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال، كأن الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيط، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرق العداوة كبده، والعرب تقول: العدو أسود الكبد. قال الأعشى:

فَمَا أَجْشِمْتُ مِنْ إِيَّانِ قَوْمِ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ<sup>(٢)</sup>

كان الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشحه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد، لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وَأَضْوَرُّ أَضْغَاناً عَلَيَّ كَشْوُحَهَا<sup>(٣)</sup>

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداها في الأخرى، وتبدل إحداها من الأخرى، كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقة، وكذلك: كبث العدو، وكبده، ومثله كثير.

= إلى المشرك أمامه. فخر مستقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد حُطِمَ أنفه، وشق وجهه كضربة بالسوط، فاحضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

(١) ذكر هذا الأثر ابن هشام ٦٣٣/١ عن ابن إسحاق عن أبيه، عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني. ومن طريقه أخرجه الطبري وغيره.

(٢) «ديوانه» ص ٣٢٣. وأجشمت: على البناء للمجهول من أجشمت الأمر: إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة. إِيَّانِ قوم: يقصد قوم صاحبه التي انصرفت عنه. عدو أسود الكبد: أحرق كبده العداوة.

(٣) هو للنمر بن توبل، وتماه:

وعث إذا أردى النفوس شحوجها

وأضـر أـضـغـانـاً عـلـيـ كـشـوـحـهـا

أناضـر أـقـواماً فـأـفـوـي فـرـوضـهـم

تـنـفـذ مـنـهـم نـافـذات تـسـؤنـنـي



قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبُوا عَلَیْهِمْ﴾ قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أُمِّل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة والياس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، والياس قد يكون من غير أمل.

﴿لَیْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿لَیْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟!». فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في «أفراده» من حديث أنس<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقادة، والربيع. والثاني: أن النبي ﷺ، لعن قومًا من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن النبي ﷺ هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكف عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس. والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعاً، فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان<sup>(٣)</sup>. والخامس: أن النبي ﷺ لما رأى حمزة مثلاً به، قال: «لأمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدى. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء. والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء. وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك».

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الفراء: في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفاً على قوله تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرِيقًا﴾ وإن شئت جعلت نصبه على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني، ولما نفى الأمر عن نبيه أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبیر: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلّ الأجل، فيقول: آخر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة<sup>(٤)</sup>.

(١) ورواه أحمد في «المستد» والترمذي وغيرهما، والرباعية على وزن ثمانية: الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا بين الشية والثاب.

(٢) رواه أحمد في «المستد» والترمذي عن ابن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه، من حديث نافع عن ابن عمر، ولفظه عند أحمد: «كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: ﴿لَیْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ﴾ فترك ذلك.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكره ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمضعفين من المؤمنين، اللهم اشد وطأتك على مصر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿لَیْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمَاتٌ﴾ هذا لفظ مسلم. وقال الحافظ في «الفتح» ٢٧٣/٧: وهذا - يريد الحديث - إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخي عن قصة أحد، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها، كما سيأتي تلو هذه الغزوة - وفيه بعد. والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد، والله أعلم. ويؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى في صدر الآية: ﴿يَقْطَعُ طَرِيقًا بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يقتلهم أو يذهبهم. ثم قال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: إن ماتوا كفاراً. وقال في ج/٨٧: ثم ظهر لي علة الخبر، وأن فيه إدراجاً، وأن قوله: حتى أنزل الله، منقطع من رواية الزهري عن بلغه، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «عمدة التفسير» ٣٨/٣ تعليقاً على هذه الآية: والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا، وأوليائهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي، بل التشريع اليهودي في الربا يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة، ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا، على ما ترضى أهواؤهم وأهواء سادتهم، ويتركوا الآية الصريحة: ﴿وَإِن تَبْتَغُوا فَكُلُّ مَرْءٍ مِّنْكُمْ لَا يَدْرِي رُبَّمَا يُفْلِحُ وَلَا يُفْلِحُ﴾ فكانوا في تلاعبهم يتناول هذه الآية الصريحة أسوأ حالاً ممن «يَتَّبِعُونَ مَا كَتَبَتْ يَدَايُنَا وَأَنَّا لَبِئْسَ مَا كُنَّا فَعَلِينَ» «فأولئك الذين سمي الله فاحلورهم». وقال الشيخ محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم» ص ١٥٨: بقي علينا أن ننبه في هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي، ليعرفوا بالتجديد، وعمق التفكير، يحاولون أن يجدوا تخريجها للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير، أو السندات الحكومية أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك. فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ فهذا قيد في التحريم لا بدان يكون له فائدة، وإلا كان الإتيان به عبثاً، تعالى الله عن ذلك، وما =

﴿وَأَنْتُمْ أَلَسَّارُ الَّذِينَ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَسَّارُ الَّذِينَ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا. قال الزجاج: والمعنى: اتقوا أن تحلوا ما حرم الله فتكفروا.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَذَّوْهُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَوَتِّنِينَ﴾

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كلهم أثبت الواو في «وسارعوا» إلا نافعاً، وابن عامر، فإنهما لم يذكرها. وقال أبو علي: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، فمن قرأ بالواو، عطف «وسارعوا» على «واطيعوا»، ومن حذفها، فلان الجملة الثانية ملتبسة بالأولى، فاستغنت عن العطف. ومعنى الآية: بادروا إلى ما يوجب المغفرة. وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه. والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس. والرابع: التكبيرة الأولى من الصلاة، قاله أنس بن مالك. والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير، والسادس: التوبة، قاله عكرمة. والسابع: الهجرة، قاله أبو العالية. والثامن: الجهاد، قاله الضحاك. والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان. والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَحَذَّوْهُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن قتيبة: أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمهنزين يوم أحد: «لقد ذهبت فيها عريضة». قال الشاعر:

كَانَ بِلَادِ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ  
عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَيْفُ حَابِلٍ<sup>(١)</sup>

قال: وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق. وقال سعيد بن جبير: لو أُلصق بعضهم إلى بعض كانت الجنة في عرضهم.

﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْفَرَّاءِ الْفَقِيظَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْفَرَّاءِ﴾ قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يطرهم الرخاء، فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيخلوها.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَقِيظَ الْفَقِيظَ﴾ قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظم البعير<sup>(٢)</sup> على جرتة: إذا ردها في حلقه. وقال ابن الأنباري: الأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم. وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى»<sup>(٣)</sup>.

فأثنته في زعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومه، وهو إياحة ما لم يكن أضعافاً مضاعفة من الربا. وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله: ﴿أَنْتُمْ أَكْثَرُ ضَلُوكَ﴾ توبيخاً لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازاً لفعلهم السيء، وتشهيراً به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْفِرُوا بِقِيَّتِكُمْ عَلَى الْيَقِينِ إِنَّ أَنْتُمْ لَكُمْ بِكُمْ مِنَ الْقِيَرِ﴾ [النور: ٣٣] فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة إرادتهن التحصن، وأن يبيعهن لهن إذا لم يردن التحصن، ولكنه يشع ما يفعلونه، ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكفرون بفتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أنقطع ما يصل إليه مولى مع مولاته، وكذلك الأمر في آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافاً مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً، وروى الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَنْ أَكَلَهُمْ مَوْكَلَهُ﴾، وكتابه وشاهد به، كما جاء في الآثار، وأذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله، واعتبره من الظلم المعقوت، وكل ذلك ذكر فيه في الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير. ومنهم من يعيل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا، وإلا اضطربت أحوالها بين الأمم، فقد دخلت بذلك في قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وهذا أيضاً مغالطة، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه، إنما هو وهم من الأوهام، وضعف أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء. وخلاصة القول: إن كل محاولة يراد بها إياحة ما حرم الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجارة للاوضاع الحديثة أو الغربية، والانحلال عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جرأة على الله تعالى، وقول عليه بغير علم، وضعف في الدين، وتزلزل في اليقين.

(١) البيت غير منسوب في «الكامل» و«اللسان» وروايتهما: «كان فجاج الأرض». والحابل: الصائد. وكفته: حالته التي يصيد بها.

(٢) الجرعة، بالكسر: ما يخرج البعير من بطنه ليضمضه ثم يبلعه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» وابن ماجه عن ابن عمر، ونقل السندي عن «زوائد البصري» قال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه ابن ماجه، ورواه محتج بهم في الصحيح. الجرعة: يجوز فيها ضم الجيم، وهي الاسم من التجرع، أي: الشرب، ويجوز فتحها، وهي المرة الواحدة منه، والجرعة بالضم أيضاً: ملء الفم يتلعه، وتجرج الجرعة: شربها وابتلعها. قال في «اللسان»: وجرج الغيظ: كظمه على العزل بذلك. وفي «النهاية»: كظم الغيظ: تجرعه واحتمال سببه، والصبر عليه.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَافِيهِ عَنِ الْكَائِبِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والربيع والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَوْلَيْكَ جَزَاءُكَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجَرَّتْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكِ فِيهَا وَنَمَّ أَجْرُ الْمَكِيلِينَ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمرًا فضمتها، وقبلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أنصاريًا وثقيًا أخى النبي ﷺ بينهما، فخرج الثقي مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعهد أهل الثقي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن؛ فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فأدبر راجعًا فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، قال: فخرج يسبح في الجبال، ويتوب إلى الله من ذنبه، فلما قدم الثقي أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه فوافقه ساجدًا يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخي، فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك منه مخرجًا، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكره مقاتل. والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء<sup>(٣)</sup>. واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين: أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن. والثاني: أنها لصف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها الزنى، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين. واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضًا، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر. وفي قوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قولان: أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك. والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقي. والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير. والرابع: ذكر نهي الله لهم عنه. والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي. فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موافقة الذنب عند الاهتمام به، وهذا مذهب مجاهد. والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة<sup>(٥)</sup>، وابن إسحاق. والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي<sup>(٦)</sup>. وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند.

(٢) رواه الواحدي عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

(٣) جاء في معجم «مقاييس اللغة» ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وإنما جعلناه قياسه، لأن العزم على الشيء والإجماع عليه، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء.

(٤) روى الطبري عن قتادة قوله تعالى ﴿وَكَمْ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإياكم والإصرار، فإنما هلك المصرون الماضون قدماً لا تنهائم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى اتاهم الموت وهم على ذلك؟

(٥) قال أبو جعفر الطبري ٢٢٥/٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: الإصرار: الإقامة على الذنب عامداً، وترك التوبة منه. ولا معنى لقول من قال: الإصرار على الذنب هو موافقته، لأن الله ﷻ مدح بترك الإصرار على الذنب مواقع الذنب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. ولو كان مواقع الذنب مصراً بموافقته لإياه، لم يكن للاستغفار وجه مفهوم، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يوافقه صاحبه وجه. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أمر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة، حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي» قال: حدثنا عبد الحميد الحماني، عن عثمان بن واقد، عن أبي نصيرة، عن مولى أبي بكر، عن أبي بكر، عن رسول الله ﷺ. فلو كان مواقع الذنب مظراً لم يكن لقوله: «ما

أحدهما: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التماذي، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة. والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ السنن: جمع سنة، وهي الطريقة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس. والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد. وفي معنى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قولان: أحدهما: أنه السير في السفر. قال الزجاج: إذا سرتهم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم. والثاني: أنه التفكير. ومعنى: فانظروا: اعتبروا، والعاقبة: آخر الأمر.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ قال سعيد بن جبير: هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران» وفي المشار إليه «هذا» قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن إسحاق. والبيان: الكشف عن الشيء، وبيان الشيء: اتضح، وفلانٌ أبين من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي: هذا بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تضعفوا. وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس. والثاني: أنه هزيمتهم يوم أحد، وقتلهم، قاله مقاتل. والثالث: أنه ما أصاب النبي ﷺ من شجه، وكسر رباطه، ذكره الماوردي. والرابع: أنها ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابن عباس: يقول: أنتم الغالبون فأخبر الأمر لكم.

﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ الْحَرَمُ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَيَسْأَلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الْكَافِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ الْحَرَمُ﴾ قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النبي ﷺ ما لقوا، نزلت هذه الآية. فأما المس، فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع «قرح» بفتح القاف وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم «قرح» بضم القاف. واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو سعيد: القرح بالفتح: الجراح، والقتل. والقرح بالضم: ألم الجراح، وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها، قال: ومعنى نداولها، أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون، قال: ومعنى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ أي: ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا: الرؤية.

= أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة معنى، لأن مواجهة الذنب إذا كانت هي الإصرار، فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره، كما لا يزيل عن الزاني اسم زان، وعن القاتل اسم قاتل توبته منه، ولا معنى غيرها. وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير المواجهة، وأنه المقام عليه، على ما قلنا قبل.

وقال ابن كثير بعد ذكره الحديث السابق الذي استدلل به الطبري: ورواه أبو داود، والترمذي، والبخاري، وابن ماجه، في مسنده من حديث عثمان بن واقد، وقد وثقه يحيى بن معين، وشيخه أبو نعيم الأصبهاني، واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد، وابن حبان، وقول علي بن المديني، والترمذي: ليس إسناد هذا الحديث بذلك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر، لأنه تابعي كبير، ويكفيه نسبه إلى أبي بكر، فهو حديث حسن.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٦/٧. عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال أبو الضحى: نزلت في قتلى أحد، قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نلتبس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون: وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبي النفاق.

﴿وَلِيَمِصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمِصَّ الْكُفْرَ﴾ ﴿١٤١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيَمِصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين. وفي التمهيص قولان: أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار، وأنشدوا:

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمهيص حتى بدا لياً<sup>(١)</sup>

وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتبية في آخرين. والثاني: أنه التقيّة، والتخليص، وهو قول الزجاج. وحكي عن المبرد، قال: يقال: محص الحبل محصاً: إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص، ومعنى قولهم: [اللهم] محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج عن الخليل أن التمهيص: التخليص، يقال: محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا أخلصته. فعلى القول الأول التمهيص ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك. قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله بالذنوب عن الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَمِصَّ الْكُفْرَ﴾ فيه أربعة أقوال. أحدهما: يهلكهم، قاله ابن عباس. والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل. والثالث: ينقصهم ويقللهم<sup>(٣)</sup>، قاله الفراء. والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَلْمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَمْلَأَ الصُّدُورَ﴾ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْوَدَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْوَدَّ﴾ قال ابن عباس: لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْوَدَّ﴾ يعني القتال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يومئذ، قال الفراء وابن قتبية: أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح، وفي معنى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش، وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بُصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقة. والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمينتم. وفي الآية إضمار ﴿أي: فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ فلم انهزمتم؟!

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ﴾

اللَّهُ شَيْئاً وَسَجِزَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرننا وإخواننا، ولو كان محمد حياً لم نهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: قال أناس: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناسٌ من عليّة أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرسل، أفإن مات على فراشه، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء، أنقلبوا على أعقابكم؟! أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقبه، وأصله: رجعة القهقري، والعقب: مؤخر القدم.

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وهو في «عيون الأخبار» ٧٥/٣ و«الكامل» ١٨٣/١، وفي «الأغاني» أنه قاله في صديقه قصي بن ذكوان، ثم قال في ص ٦٧ أنه قاله في صديقه الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، بعد أن هاجرا.

(٢) في القرطبي: أي: «خلصنا من عقوبتها».

(٣) في «معاني القرآن»: «يفنيهم» بدل من «يقللهم».

(٤) أخرجه ابن جرير: ٢٥٧/٧.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه. ﴿وَسَيَجْزِي﴾ أي: يشيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي عليه السلام، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.  
والثاني: أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية. والثالث: على الدين.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في الإذن قولان:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ومعنى الآية: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ تأكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً موجلاً، أي: كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] لأنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [النساء: ٢٢] دل على أنه مفروض، فأكد بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] لأنه لما قال: ﴿وَرَزَى لِبَالٍ حَسَبًا جَائِدًا﴾ [النمل: ٨٨] دل على أنه خلق الله فأكد بقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من قصد بعمله الدنيا، أعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أعطي منها. وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

### فصل

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم، وذهبت طائفة إلى نسخة بقوله تعالى: ﴿عَمَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] والصحيح أنه محكم، لأنه لا يؤتى أحد شيئاً إلا بقدرته الله ومشيته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل: ما يشاء هو.

﴿وَكَانَ مِنْ نَجْوَى نَفْسٍ مَعَهُ يَرْيَاوُنَ كَيْدَ فَمَا وَهَرُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ نَجْوَى﴾ قرأ الجمهور «وكاين» في وزن «كعين». وقرأ ابن كثير «وكانن» في وزن «كاغن». قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كاين»، مثل: «كعين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: «وكانن» كانها فاعل من كت، وأنشدني الكسائي:

وكاين ترى يسعى من الناس جاهداً  
على ابن غدا منه شجاع وعقرب  
وقال آخر:

وكاين أصابت مؤمناً من مُصيبةٍ  
على الله عُقباها ومنه ثوابها  
وقال ابن قتيبة: كائن بمعنى «كم» مثل قوله: ﴿وَكَانَ مِنْ نَجْوَى نَفْسٍ مَعَهُ يَرْيَاوُنَ عَنْ أَشْرَ رَبِّهَا﴾ [العلاق: ٨] وفيها لغتان: «كاين» بالهمزة وتشديد الياء، و«كانن» على وزن «قالل»، [وبائع] وقد قرئ بهما [جميعاً في القرآن] والأكثر والأصح تخفيفها. قال الشاعر:

وكاين أرينا الموت من ذي تحيةٍ  
إذا ما ازدرانا أو أصرر لمائم<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر:

وكاين ترى من صامت لك مُعجبٍ  
زيادته أو نقصه في التكلم<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿تَكَلَّلَ مَعَهُ يَرْيَاوُنَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: «قُتِلَ»

(١) أنشده ابن فارس في «الصاحي» ص ١٣٢، ولم ينسبه لقاتل.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من «معلقاته» في شرح الزوزني ص ٨٩، ونسبه الجاحظ في «البيان والبيان» ١٧٠/١ للأحور الشني، وذكر بعده بيتاً آخر وهو: لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

بضم القاف، وكسر التاء، من غير ألف، وقرأ الباقر: «قاتل» بآلف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، والحسن، وأبو يعمر، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «رَبِّيُونَ» بضم الراء، وقرأ ابن عباس، وأنس وأبو مجلز، وأبو العالية، والجحدري، بفتحها. فعلى حذف الألف يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون قتل للنبي وحده، ويكون المعنى: وكأين من نبي قتل، ومعه ربِّيون، فما وهنوا بعد قتله. والثاني: أن يكون قتل للربيين، ويكون: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ لمن بقي منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال: أحدهما: أنهم الألوف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، واختاره الفراء. والثاني: الجماعات الكثيرة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي، والزجاج. والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد. والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى، قاله ابن فارس. قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: أنه العجز، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: والاستكانة: الخشوع، والذل، ومنه أخذ المسكين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع. والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا لما أصابهم. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا وَصَرَفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني الربيين. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: لم يكن قولهم غير الاستغفار. والإسراف: مجاوزة الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكبار. قوله تعالى: ﴿وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا﴾ قال ابن عباس: على القتال. وقال الزجاج: معناه: ثبتنا على دينك، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه.

﴿فَقَالَهُمْ اللَّهُ تَوَابٌ الْآخِرَةُ وَاللَّهُ يُوْحِي الْخَبِيرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَالَهُمْ اللَّهُ تَوَابٌ الْآخِرَةُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة. والثاني: الغنيمة، قاله ابن جريج، وروي عن ابن عباس، أنه قال: النصر والغنيمة. وفي حسن ثواب الآخرة قولان: أحدهما: أنه الجنة. والثاني: الأجر والمغفرة، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طَلِبُوا الذِّكْرَ كَفَرُوا يَزِيدُكُمْ عَلَىٰ غَفْلَتِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَيْرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طَلِبُوا الذِّكْرَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه، وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون على قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج. والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم. ومعنى ﴿يَزِيدُكُمْ عَلَىٰ غَفْلَتِكُمْ﴾: يصرفوكم إلى الشرك. ﴿فَتَنَقَّلُوا خَيْرِينَ﴾ بالعقوبة.

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغنوا عن موالاته الكفار. ﴿سَتُنْفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الْقَائِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿سَتُنْفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾<sup>(١)</sup> قال السدي: لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشرذمة، تركتموهم؟! ارجعوا فاستأصلوهم، فحذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية. والإلقاء: القذف. والرعب: الخوف. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو

(١) ثبت في «المصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة».



عمرو، وحزمة «الرغب» ساكنة العين، خفيفة. وقرأ ابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر، مضمومة العين، مثقلة، أين وقعت. والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة. والماوى: المكان الذي يؤوي إليه. والمثوى: المقام، والثوى: الإقامة. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَكَعْصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَرْسَلَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم، فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزموا. وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ فاما الحسن، فهو القتل، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة. وقال ابن قتبية: تحسونهم، أي: تستاصلونهم بالقتل، يقال: سَنَّةٌ حسوس: إذا آتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد. وفي قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس. والثاني: بعلمه، قاله الزجاج. والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ قال الزجاج: أي: جبنتم. ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿بَيْنَ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ يعني: النصر. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتكم وعصيتكم، وهذه الروا زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكُمْ وَلَكَمْ لَاحِظِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣] معناه: ناديتهم. فاما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قال انهزم المشركون، فما يمنعنا من الغنيمة؟ وقال بعضهم: بل ثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ، فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة، وتركوا مكانهم، فذلك عصيانهم، وكان النبي ﷺ قد أوصاهم: «لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ قال المفسرون: هم الذين طلبوا الغنيمة، وتركوا مكانهم. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا. وقال ابن مسعود: ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿مَرْسَلَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس. والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن. وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب الله، يقاتلون في سبيل الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس. والثاني: إذ لم يقتلوا جميعاً، قاله مقاتل.

﴿إِذْ تُفِيدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَفَاً بِمَنْ لَكُمْ تَحَرَّوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصْبَحَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠٩ والحاكم ٢٩٦/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٥، وقال: وهذا حديث غريب، وهو من مراسلات ابن عباس، وله شواهد من وجوه كثيرة.



قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصَوِّرُكَ وَلَا تَكُونُ﴾ قال المفسرون: «إذ» متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين، من قوله: «تصعدون» وهو من الإصعاد. وروى أبان عن ثعلب، عن عاصم فتحها، وهي قراءة الحسن، ومجاهد، وهو من الصعود. قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار، والمخارج، تقول: أصعدنا من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على سلم أو درجة، قلت: صعدت، ولا تقول: أصعدت. وقال الزجاج: كل من ابتدا مسيراً من مكان، فقد أصعد، فأما الصعود، فهو من أسفل إلى فوق. ومن فتح التاء والعين، أراد الصعود في الجبل. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة، وابن قتيبة، وتتلون» بمعنى: «تعرّجون». وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ عام، وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي ﷺ قال: والنبي ﷺ يناديهم من خلفهم: «إليَّ عباد الله، أنا رسول الله»، وقرأت عائشة، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، وحמיד «على أحد» بضم الألف والحاء، يعنون الجبل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَبَهُمْ﴾ أي: جازاكم. قال الفراء: الإثابة هاهنا بمعنى عقاب، ولكنه كما قال الشاعر:

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه  
أداهم سوداً أو محدرجة سُفراً<sup>(١)</sup>

المحدرجة: السياط. والسود فيما يقال: القيود.

قوله تعالى: ﴿عَفَا عَنْكُمْ﴾ في هذه الباء أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «مع». والثاني: بمعنى «بعد». والثالث: بمعنى «على»، فعلى هذه الثلاثة الأقوال يتعلق الغمان بالصحابة. وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال: أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل. والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني: فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد. والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: حين سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، قاله قتادة. والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي. والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، ذكره الثعلبي. والقول الرابع: أن الباء بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غمتم غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جُوزوا لأجله لغيرهم. وفي المراد بغيرهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون غمومهم يوم بدر، قاله الحسن. والثاني: أنه النبي ﷺ غموه حيث خالفوه، فجوزوا على ذلك، بأن غموا بما أصابهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها التفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: فأنابكم غماً أناسكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أن النبي قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم. والثاني: أنه متصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فمعنى الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم، لأن عفو يذهب كل غم. والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم. ومثلها قوله تعالى: ﴿لِنَلَّا بَلَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن قَوْلِ اللَّهِ كَذِباً﴾ [الحديد: ٢٩] أي: ليعلم. هذا قول المفضل. قال ابن عباس: والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم: القتل والهزيمة.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوٍّ أَمَنَةً فَاسَاسَ يَتَشَوَّطُ لَهَا يَكْفَىٰ بَيْنَكُمْ وَأَخْلَفَهُمْ قَدِ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّوْنَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُوا هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٩﴾﴾

(١) قاله الفرزدق، وزيد: هو ابن أبيه، كان قد توقع الفرزدق، ثم أظهر الرضى عنه، وأنه سيحبوه إن قصده، فلم يركن لذلك الفرزدق. والأداهم، جمع أدهم: وهو القيد. والمحدرجة: السياط، وهو وصف، من: حدرج السوط: إذا أحكم فتله حتى استوى، وسوط محدرج: مغار محكم القتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمْغَ أَمْغَةً﴾ قال ابن قتيبة: الأمانة: الأمن. يقال: وقعت الأمانة في الأرض. وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام. و«نعاساً» منصوب على البدل من «أمانة»، يقال: نعى الرجل ينعس نَعاساً، فهو ناعس. وبعضهم يقول: نعسان. قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتبهها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم. وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان: أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف لا ينام. والثاني: قواهم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: ﴿يَتَشَكَّى مَلَأَيْتُكُمْ يَنْكُحُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يفشى» بالياء مع التفعيم، وهو يعود إلى النعاس. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى الأمانة. فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهملتهم أنفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم. قال أبو طلحة: كان السيف يسقط من يدي، ثم أخذه، ثم يسقط، وأخذه من النعاس. وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يمد تحت حَجَفَتِهِ<sup>(١)</sup> من النعاس<sup>(٢)</sup>. وقال الزبير: أرسل الله علينا النوم، فما مثلاً رجل إلا ذقته في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا)، فحفظتها منه<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل. والرابع: ظنوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْكُفَّاءُ﴾ قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء. قال الحسن: قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أخرجنا كرهاً. وقال غيره: المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين ﴿قَدْ لَنَا الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾، أي: النصر، والظفر، والقضاء والقدر ﴿لَهُ﴾. والأكثرون قرؤوا ﴿لَنَا الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بنصب اللام، وقرأ أبو عمرو يرفعها، قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كله» بمنزلة «أجمعين» في الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النصب، و«كله» بمنزلة «أجمعين». ومن رفع، فلأنه قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمْ مَا يَكُونُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في الذي أخفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهْنَا﴾. والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله. والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد. قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ عبد الله بن أبي. والذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ معتب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتِبَ عليه القتال، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى (برزوا): صاروا إلى براز، وهو المكان المكتشف. ومعنى ﴿وَلِيَبْتَلِ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَسْخَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتباب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمهيص خاص للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتمهيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

(١) الحجة: ضرب من الترس، تتخذ من جلود الإبل مقورة، يطارق بعضها على بعض، ليس فيه خشب، وهي الحجة والذقة.

(٢) روى البخاري ج ١٧١/٨ عن أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه، ويسقط وأخذه. وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم بنحو معناه. وروى ابن جرير ٣١٧/٧، والترمذي ١٢٥/٢، والحاكم ٢٩٧/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يمد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمْغَ أَمْغَةً﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن إسحاق، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيت ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup>  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ﴾ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد<sup>(١)</sup>. واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتيبة: هو كما تقول: استعجلت فلاناً، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكركم خطاياهم، فكروا لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١٥٦)</sup>  
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: «إذا ضربوا» ولم يقل: «إذ ضربوا»، لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و«إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى «ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ»: ساروا وسافروا. و«غُزًى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فماتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، «حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» أي: حزناً. قال ابن فارس: الحسرة: التلهف على الشيء الفائت.  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: ليس تحرز الإنسان يمنعه من أجله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «يعملون» بالياء، وقرأ الباقون بالثاء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قبلها غيبة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، ومن قرأ بالثاء، فحجته «لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا».

﴿وَلَكُمْ قُتُلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَعْفُورَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(١٥٧)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ قُتُلْتُمْ﴾ اللام في «لنن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد «أَوْ مُتُّمْ» في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتُّ» و«مُتُّمٌ» و«مُتْنَا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: «أَوْ مُتُّمْ» «وَلَكُمْ مُتُّمٌ» برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: ﴿لَمَعْفُورَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها. وقرأ حفص عن عاصم: «يجمعون» بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعها. قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

(١) روى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبري، والبخاري، بإسناد حسن، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عتبة، فقال له الوليد: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغني أي لم أفر يوم عنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم أتخلف عن بدر، ولم أترك سنة عمرا قال: فانطلق فغير بذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: «إني لم أفر يوم عنين»، فكيف يعينني بذلك وقد عفا الله عنه؟ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup>؟ وأما قوله: «إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم، فقد شهد. وأما قوله: «إني تركت سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فأنه فحذته بذلك. عنين، بلفظ تشية العين: جبل من جبال أحد، ولذلك يقال له: يوم أحد، ويوم عنين».

﴿وَلَيْنِ كُنْتُمْ إِذْ قُتِلْتُمْ لِرَأَىٰ اللَّهُ عَشْرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ كُنْتُمْ﴾ أي: في إقامتكم. ﴿إِذْ قُتِلْتُمْ﴾ في جهادكم. ﴿لِرَأَىٰ اللَّهُ عَشْرُونَ﴾ وهذا تخويف من القيامة. والحشر: الجمع مع سوق.

﴿يَمَّا رَحِمَهُ يَنْ أَلَّهُ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَعَلًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمَّا رَحِمَهُ يَنْ أَلَّهُ لَيْتَ لَهُمْ﴾ قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج: «ما» هاهنا صلة، ومثله: ﴿يَمَّا تَقْبِضُهُمْ يَشْفَعُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: دخول «ما» هاهنا يحدث توكيداً. قال النابغة:

الممرء يهوى أن يعي —

ش وطول عيش ما يضره<sup>(١)</sup>

فأكد بذكر «ما» وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها تتعلق بالنبي ﷺ. والثاني: بالمؤمنين. قال قتادة: ومعنى ﴿لَيْتَ لَهُمْ﴾ لان جانبك، وحسن خلقتك، وكثر احتمالك<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيئ الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظه وفظظاً، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظاً لغلط مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظه والغلط - وإن كانا بمعنى واحد - توكيداً. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: ﴿لَأَنْفَضُوا﴾ أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٣)</sup> معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنهم من: شرت العسل. وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم —

ألد من السلولى إذا ما نشورها<sup>(٤)</sup>

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوراً، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاورت فلاناً، أظهرت ما

(١) «أما لي المرتضى» ٢٦٦/١، و«حماة البحري» ص ١٣٦ و«أما لي القالي» ٨/٢، والخزانة ٥١٤/١ وفيهما «قد يضره» بدل «ما يضره».

(٢) روى الإمام أحمد رقم ٦٦٢٢ والبخاري ٢٨٧/٤ من عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَكَذِبُوا وَحَرَّزُوا لِلْأَيْمِينِ، وَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَسْتَ بَظْ وَلَا غَلِظَ، وَلَا سَخَابَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيُغْفَرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ، بَانَ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنَ عَمِيًّا، وَأَدَانَا صَمًّا وَقُلُوبًا غَلْفًا.

(٣) قال الشيخ أحمد شاذلي في «عمدة التفسير» تعليقاً على هذه الآية: وهذه الآية: ﴿وَكَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ والآية الأخرى ﴿وَكَاوِرْهُمْ شُورَى يَتَّبِعُهُمُ﴾ اتخذهما اللاعيون بالدين في هذا العصر من العلماء وغيرهم عدتهم في التفضيل بالتأويل ليواطئوا صنع الإفترج في منهج النظام الدستوري الذي يزعّمونه، والذي يخدمون الناس بتسميته النظام الديمقراطي، فاصطنع هؤلاء اللاعيون شعاراً من هاتين الآيتين يخدعون به الشعوب الإسلامية أو المتسببة للإسلام، يقولون كلمة حق يراد بها الباطل، يقولون: الإسلام يأمر بالشورى، ونحو ذلك من الألفاظ. وحقاً إن الإسلام يأمر بالشورى، ولكن أي شورى يأمر بها الإسلام؟ إن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَكَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ومعنى الآية واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير، ولا يحتمل التأويل، فهو أمر للرسول ﷺ، ثم لمن يكون ولي الأمر من بعده أن يستعرض آراء أصحابه الذين يراهم موضع الرأي الذين هم أولو الأحلام والنهى في المسائل التي تكون موضع تبادل الآراء، وموضع الاجتهاد في التطبيق، ثم يختار من بينها ما يراه حقاً أو صواباً، أو مصلحاً، فيعزم على إنفاذه غير متقيد برأي فريق معين، ولا برأي عدد محدود، ولا برأي أكثرية، ولا برأي أقلية، فإذا عزم توكل على الله، وأتقذ العزم على ما ارتأه. ومن المفهوم الديهي الذي لا يحتاج إلى دليل أن الذين أمر الرسول بمشاورتهم - ويأتي به فيه من يلي الأمر من بعده - هم الرجال الصالحون القائمون على حدود الله، المتقون الله المقيمو الصلاة، المؤدو الزكاة، المجاهدون في سبيل الله، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لبيني منكم أولو الأحلام والنهى» ليسوا هم الملحدون ولا المحاربين لدين الله، والفجار الذين لا يتورعون عن منكر، ولا الذين يزعّمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله، وتهدم شريعة الإسلام، هؤلاء وأولئك من بين كافر وفاسق، موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط، لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء.

(٤) البيت لخالد بن زهير، ديوان الهذليين ١٥٨/١ وشرح أشعار الهذليين ٢١٥/١. والسلوى: العسل. نشورها: نأخذها من خليتها. قال في «اللسان»: قال الزجاج: أخطأ خالد إنما السلوى طائر. وقال الفارسي: السلوى: كل ما سلاك، وقيل للسل: سلوى، لأنه يسليك بحلاوته وتأنيته عن غيره مما تلحقك فيه مودة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة، يرد بذلك على أبي إسحاق الزجاج.

عنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتاحتها: فعرفت هيئتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كَأَنَّ الْقَرْنَفَلَ وَالزَّنَجَبِيَّ — لَبَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيأَ مَشَارًا<sup>(١)</sup>

والأري: العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال: أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة. والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق. ومقاتل. قال الشافعي رحمه الله: نظير هذا قوله ﷺ: «البركر تُستأمر في نفسها»<sup>(٢)</sup>، إنما أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للأب أن يزوجه<sup>(٣)</sup>، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه. والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك. ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي عليه السلام: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِنَت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. وأعلم أنه إنما أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحى، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم. وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان. حكاها القاضي أبو يعلى: أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة. والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح. وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله<sup>(٤)</sup>. وقد قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والجحدري: ﴿فَإِذَا عَزَمْتُ﴾ بضم التاء. فأما التوكل، فقد سبق شرحه. ومعنى الكلام: فإذا عزمتم على فعل شيء، فتوكل على الله، لا على المشاورة.

﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ﴾ قال ابن فارس: النصر: العون، والخذلان: ترك العون. وقيل: الكناية في قوله ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ تعود إلى خذلانه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعل النبي ﷺ أخذها، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من أشراف الناس طلبوا من

(١) روايته في الديوان ص ٩٣.

كَانَ جَنِيًّا مِنَ الزَّنَجَبِيِّ — لَبَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيأَ مَشَارًا

جني: فصيل من: جنى الثمر يجنيه. الزنجبيل: نبات طيب الرائحة معروف. الأري: عسل النحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

(٢) روى الجماعة إلا البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيب أحق بنفسها من وليها، والبركر تستأذن في نفسها، وإفئتها صمايتها» وفي رواية لأحمد ومسلم وأبي داود والنسائي «البركر يستأمرها أبوها». وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، تستأمر النساء في أبضاعهن؟ قال: «نعم». قلت: إن البركر تستأمر فتسحق؟ فقال: «سكاتها إنيها».

(٣) قال النووي في «شرح مسلم». وأما قوله ﷺ في البركر: «ولا تكبح البركر حتى تستأمر» فاختلفوا في معناه، فقال الشافعي وابن أبي ليلى وأحمد وإسحاق وغيرهم: الاستئذان في البركر مأمور به، فإن كان الولي أباً أو جدّاً، كان الاستئذان مندوباً إليه، ولو زوجها بغير استئذانها، صح، لكما شفقت، وإن كان غيرهما من الأولياء، وجب الاستئذان، ولم يصح إنكاحها قبله. وقال الأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين: يجب الاستئذان في كل بكر بالغة.

(٤) في «معجم مقاييس اللغة» ٣٠٨/٤ قال الخليل: العزم: ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله، أي: متيقنه. ويقال: ما لفلان عزيمة، أي: ما يعزم عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم أمره، بل يخطط فيه ويتردد.

(٥) رواه ابن أبي حاتم، وأبو داود، والترمذي، والطبري، وقال الترمذي: حسن غريب. وفي إسناده خفيف بن عبد الرحمن الجزري ضعفه أحمد، وقال ابن عدي: إذا حدث عن خفيف ثقة فلا بأس بحديثه، والراوي عنه في هذا الحديث عبد الواحد بن زياد العبدي، وهو ثقة، روى له الجماعة.

رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، ونقل عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن النبي ﷺ بعث طلائعاً، فغنم النبي ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفئء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك<sup>(١)</sup>. والخامس: أن قوماً غلوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبي ﷺ: «من أخذ شيئاً، فهو له» فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظنتم أنا نفل؟!»، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل. والسابع: أنها نزلت في غلول الرحي، قاله القرظي، وابن إسحاق. وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وأكثمتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.. واختلف القراء في «يغل» فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الباء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخيانة قولان: أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين. والثاني: خيانة الرحي على قول القرظي، وابن إسحاق. وقرأ الباقر: بضم الباء وفتح الغين، ولها وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى يُخَان، [ويجوز أن يكون: يلفى خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً]<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: يُخَوِّن، قاله الفراء، وأجازة الزجاج، ورد ابن قتيبة، فقال: لو أراد: يخون، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر. وقيل: «اللام» في قوله «النبي» متقولة، ومعنى الآية: وما كان النبي ليُغَلِّ، ومثله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْجِدَ مِنْ دُونِكَ﴾ [سرم: ٣٦]، أي: ما كان الله ليتخذ ولدأ. وهذه الآية من اللفظ التعريض، إذ قد ثبتت براءة ساحة النبي ﷺ من الغلول فدل على أن الغلول في غيره. ومثله: ﴿وَلَيْتَ أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَوْ فِي صُلَىٰ تُمْبِطُ﴾ [سبا: ٢٥] وقد ذكر عند السدي نحو هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري بين الشجر، والغلل: وهو الحقد الكامن في الصدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: «لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاخ تخفق، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك<sup>(٣)</sup>». الرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يُغَلُّ من السبي، والرقاخ: الثياب، والصامت: المال. والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل. والثالث: أنه يرُدُّ عوض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَوْفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ بِرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَكَانَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ بِرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين. أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير من طريق سلمة بن نبط عن الضحاك.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ص ١١٥ لابن قتيبة.

(٣) رواه الإمام أحمد رقم ٩٤٩٩، والبخاري ١٢٩٩/٦، ومسلم ١٦٦١/٣، واللفظ الذي ساقه المصنف لمسلم. وروى الإمام أحمد من عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيت في النار في بردة عليها، أو مائة»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ذهب فئاد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فتأديت: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. وكذا رواه مسلم، والترمذي، وقال: حديث صحيح.

رضوان الله، فلم يغفل، ﴿كَمَنْ بَاءَ يَسْخَطِ مِنَ اللَّهِ﴾ حين غل؟! هذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، ومن تخلف عنه، هذا قول الزجاج.

﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُم دَرَجَتٌ﴾ قال الزجاج: معناه: هم ذوو درجات. وفي معنى درجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن. والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتبية. وفيمن عنى بهذا الكلام قولان: أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ وَيُزَكِّيهِمْ الْأَكْثَرُ وَالْحَصَةُ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَيْ سَلَكَ مِثْلَ مِثْلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم. و«أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نسبهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال. أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج. والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي. وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عائشة<sup>(١)</sup> والجمهور. والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج. وقد سبق في [البقرة] بيان باقي الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبَةً﴾ قال عمر بن الخطاب ؓ: لما كان يوم أحد، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ، وكسرت ربابته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية [إلى] قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: بأخذكم الفداء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له: أو هو ممن يقول ذلك؟ فأما «المصيبة» فما أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنهم قتل منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحد مثلها، ويوم بدر مثلها، فجعل المثلين في اليومين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون.

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» ومعنى قول عائشة هذا: أن هذا الامتنان خاص بالعرب المسلمين، لأنهم يفقهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، وليس كذلك الأعاجم.

(٢) قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: يعني بذلك: لقد تطول الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا، حين أرسل فيهم رسولا: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ نبيا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهون عنه ما يقول: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يقول: يقرأ عليهم أي كتابه وتنزيله، ﴿وَرُكُوعِهِمْ﴾، يعني: يظهرهم من قلوبهم باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم، ﴿وَيُزَكِّيهِمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه، ويبين تأويله ومعانيه، والحكمة؛ ويعني بالحكمة، السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَيْ سَلَكَ مِثْلَ مِثْلٍ﴾ يعني: وإن كانوا قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، لقي ضلال مبين، يقول في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقاً، ولا ييطلون باطلاً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم، وما بين معقنين منه، وزواه الإمام أحمد في «المستدرق» رقم ٢٠٨ باطلون وإسناده حسن.



قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشنا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر<sup>(١)</sup> فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداء، واختياركم القتل لأنفسكم. والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد، وتركهم أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أحد، فإنه أمرهم بالتحصن فيها، فقالوا: بل نخرج، قاله قتادة، والرابع. قال مقاتل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصر والهزيمة ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَذَنُ اللَّهُ وَلَيْسَ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولَيْسَ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلًا لَاتَّبَعْنَاهُمْ هُمُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِسْنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿يَكْتُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الجمعان: النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله تعالى: ﴿فَيَذَنُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمره، والثاني: قضاؤه، روي عن ابن عباس، والثالث: علمه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بشبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المؤمنين بفشلهم وقلة صبرهم. قال ابن قتبية: والنفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر من جحرته يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه. قال الزيايدي عن الأصمعي: ولليربوع أربعة أوجرة، النافقاء: وهو الذي يخرج منه كثيراً، ويدخل منه كثيراً. والقاصعاء، سمي بذلك لأنه يخرج تراب الجحر، ثم يقصع ببعضه كأنه يسد به فم الجحر، ومنه يقال: جرح فلان قد قصع بالدم: إذا امتلأ ولم يسد. والذاماء، سمي بذلك، لأنه يخرج التراب من فم الجحر، ثم يدم به فم الجحر، كأنه يطليه به، ومنه يقال: ادم قدرك بشحم، أي اطلها به. والرهاطاء، ولم يذكر اشتقاقه، وإنما يتخذ هذه الجحر عدداً، فإذا أخذ عليه بعضها، خرج من بعض. قال أبو زيد: فشب المنافق به، لأنه يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب. قال ابن قتبية. والنفاق: لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي، وأصحابه. قال موسى بن عقبة: خرج النبي ﷺ يوم أحد، ومعه المسلمون، وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه ابن أبي في ثلاثمائة. فأما القتال، فمباشرة الحرب. وفي المراد بالدفع ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التكثير بالعدد. رواه مجاهد عن ابن عباس وهو قول الحسن، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وابن جريج في آخرين. والثاني: أن معناه: ادفعوا عن أنفسكم وحریمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه بمعنى القتال أيضاً. قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لو نعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلمناكم، ذكره ابن إسحاق. والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم. والثالث: إنما معناه: أن هناك قتلاً وليس بقتال، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُمُ الْكَافِرُ﴾ أي: إلى الكفر ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِسْنِ﴾ أي: إلى الإيمان، وإنما قال: يومئذ، لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه وجهان ذكرهما الماوردي: أحدهما: ينطقون بالإيمان،

(١) ذكره ابن كثير ٢/٣٢٦، وقال: رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» من حديث الثوري به، وهذا حديث غريب جداً. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٩٣، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، ونقل تحسبه عن الترمذي.

(٢) في «اللسان» وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره، ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً.



وليس في قلوبهم إلا الكفر. والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء. وذكر في الذي يكتمون وجهين: أحدهما: أنه النفاق. والثاني: العداوة.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا إِخْوَانَهُمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قَدْ قَادَرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا إِخْوَانَهُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أبي. وفي إخوانهم قولان: أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس. والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل. فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المتنافقين: لو أطاعونا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا، وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا.

قوله تعالى: ﴿وَقَعَدُوا﴾ يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

قوله تعالى: ﴿قَادَرُوا﴾ أي: فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الحذر ينفع مع القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَآؤْنَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قرأ ابن عامر: قتلوا بالتشديد. واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في شهداء أحد، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتأوي إلى فتاديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد [ولا ينكلوا<sup>(١)</sup>] عن الحرب» قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وهذا قول سعيد بن جبير، وأبي الضحى. والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى وقالوا: ربنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامر، وخرج وجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾<sup>(٣)</sup>. فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألو الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا: نحن

(١) نكل عن عدوه: جبن فنكص على عقبه، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المستند» رقم ٢٣٨٨، وأبو داود رقم ٢٣٨٩، والطبري ٣٨٥/٧، والحاكم ٢٩٧/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري ٣٩٣/٧ مطولاً وسنده حسن. ورواه الإمام أحمد ٣/١٣٧ و٢١٠ و٢٨٩ بأسانيد صحيحة، وليس فيه: «فنزلت هذه الآية» ولفظه عن أنس: أن رسول الله ﷺ لما بعث حراماً خاله أخاً أم سليم في سبعين رجلاً، فقتلوا يوم بئر معونة، وكان رئيس المشركين يومئذ عامر بن الطفيل، وكان هو أتى النبي ﷺ فقال: اختر مني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل، ويكون لي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بنظفان ألف أشقر، وألف شقراء. قال: فطعن في بيت امرأة من بيت فلان، فقال: غدة كفدة البعير في بيت امرأة من بني فلان، التوتني بفرسي، فأتني به، فركبه، فمات وهو على ظهره. فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه، رجل من بني أمية، ورجل أعرج، فقال لهم: كونوا قريباً مني حتى آتيهم، فإن آمنوني ولا كنتم قريباً، فإن قتلوني، أعلمتم أصحابكم. قال: فأتاهم حرام، فقال: أتومنونني، أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم. فجعل يحدثهم، وأومؤوا إلى رجل منهم من خلفه، فطعته حتى أنفذه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، قال: ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، قال أنس: فأنزل علينا وكان مما يقرأ فنسخ «أن بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا» قال: فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين صباحاً، على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله. ورواه البخاري ٢٩٧/٧، وانظر تفصيل القصة في «البداية والنهاية» ٧١/٤ - ٧٤.

في النعمة والسرور، وآبائنا وأبنائنا وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه، والاستبشار: السرور بالشارة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ إخوانهم من المسلمين. وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأنهم قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم، فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرسون على الشهادة، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة. والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدمه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي. والهاء والميم في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم. قال الفراء: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن. وفي ماذا يرتفع «الخوف» والحزن عنهم؟ فيه قولان: أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِبَقَاةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِبَقَاةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ﴾ قال مقاتل: برحمة ورزق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله، وقرأ الكسائي بالكسر على

الاستئناف.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَمْرٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، نذب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قوماً، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أنني في جمع كثير، فلقاهم النبي ﷺ فسألهم عنه؟ فقالوا: لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلة، فأبى إلا أن يطلبه، فسيقه أبو سفيان، فدخل مكة، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، وخرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود<sup>(٣)</sup>، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جذب، لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أننا في جمع كثير، فلقاهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي ﷺ بأصحابه، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فنزل قوله تعالى:

(١) روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن مسروق قال: لما سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا الَّذِينَ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا أَمْ أَمْوَاتًا بِدَائِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها فتايل بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك الفتايل». وقال الحافظ ابن كثير في «البيان» ٤٢٦/١: وقد روينا في «مسند الإمام أحمد» حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح لأن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وتروى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك بن أنس الأصبحي، عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعث».

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٧٥ بإسناد إلى عمرو بن دينار.

(٣) في رواية ابن إسحاق أن الرسول بذلك كان معبد الخزاعي، وقال الحافظ ابن حجر: ويقال: إن الرسول بذلك كان نعيم بن مسعود الأشجعي.



﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الذِّكْرُ بِخُوفِ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الذِّكْرُ﴾ قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سؤله للمخوفين. وفي قوله تعالى: ﴿بِخُوفِ أَوْلِيَائِهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يخوفكم بأوليائه، قاله الفراء، واستدل بقوله تعالى: ﴿يُنذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٤٤]. أي: ببأس، ويقول تعالى: ﴿يُنذِرُ يَوْمَ الْآزَافِ﴾ [غانر: ١٥]، أي: بيوم التلاق. وقال الزجاج: معناه: يخوفكم من أوليائه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي﴾. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وإبراهيم، وابن قتبية. وأنشد ابن الأنباري في ذلك:

أَيَقْنَتُ التَّفَرُّقُ يَوْمَ قَالُوا      تُقَسِّمُ مَالِ أَرِيدَ بِالسَّهَامِ<sup>(١)</sup>

أراد: أيقنت بالتفرق. قال: فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه. قال: والذي نختاره في الآية أن المعنى: يخوفكم أوليائه. تقول العرب: قد أعطيت الأموال، يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. فهذا أشبه من ادعاء «باء» ما عليها دليل، ولا تدعو إليها ضرورة. والثاني: أن معناه: يخوف أوليائه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي، وذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿وَخَافُوا مِنِّي﴾. وفي «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: «إذ» قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين.

﴿وَلَا يَحْزَنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ بِالنِّكْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ بِالنِّكْرِ﴾ قرأ نافع «يُحْزِنَكَ» «يُحْزِنَنِي» و«يُحْزِنُ» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في (الأنبياء) ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فإنه فتح الياء، وضم الزاي. وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء وضم الزاي. قال أبو علي: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة (الأنبياء) أثراً، أو أحب أن يأخذ بالوجهين. وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد. والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك. والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام، ذكره الماوردي. وقيل: معنى مسارعتهم في الكفر: مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم. فإن قيل: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟ فالجواب: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لن: ينقصوا الله شيئاً بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: لن يضرروا أولياء الله شيئاً، قاله عطاء. قال ابن عباس: والحظ: النصيب، والآخرة: الجنة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ قال مجاهد: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في (البقرة) معنى الاشتراء.

﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَظْهَرُوا أَلَهُمَّ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال. أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء. والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل. والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ يَبْتَغُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿لَا تَحْزَنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٨] بالياء وكسر

(١) البيت للبد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أريد، ذكر بعضها صاحب «الأغانى» ١٣٣/١٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة، ولا فاجرة، إلا والموت خير لها من الحياة. إن كان برأ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وإن كان فاجراً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَظْهَرُوا أَلَهُمَّ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وإسناده صحيح.



قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آلَهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يودوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين. والثاني: أنها في الأحرار الذين كنتموا صفة النبي ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، واختاره الزجاج. قال القراء: ومعنى الكلام: لا يحسن الباخلون البخل هو خيراً لهم، فاكفى بذكر «يبخلون» من البخل، كما تقول: قدم فلان، فسررت به، أي: سررت بقدمه. قال الشاعر:

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ      وَخَالَفَ السَّفِيهِ إِلَى خِلَافٍ<sup>(١)</sup>

يريد: جرى إلى السفه. والذي آتاهم الله على قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النبي ﷺ هو العلم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ إشارة إلى البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه بـ«يبخلون» وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال: أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثَّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿سَيَطُورُونَ مَا يَظِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا مذهب ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنه يجعل طوقاً من نار، رواه منصور عن مجاهد، وإبراهيم. والثالث: أن معنى تطويقهم به: تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد. والرابع: أن معناه: يلزم أعناقهم إثم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرِثُوكُم مَّا تَكُونُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يموت أهل السموات وأهل الأرض، ويبقى رب العالمين. قال الزجاج: خوطب القوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له، وقال ابن الأنباري: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا يتفرد به، فلما مات الخلق، وانفرد عز وجل، صار ذلك له وراثته.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا قَمَلُونَ خَيْرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يعملون» بالياء إتياعاً لقوله تعالى: ﴿سَيَطُورُونَ﴾ وقرأ الباقر بالناء، لأن قبله ﴿وَلَنْ تَرْضَوْا وَتَرْضَوْا﴾.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ وَنَحْنُ أَفْنَاءُ سَكَتْنَاهُمْ وَمَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقر، ولو كان غنياً عظم ما استقرض منا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أنشده القراء في «معاني القرآن» ٢٤٨/١، وثعلب في «مجالسه» ٦٠/١، و«أمالي الشجري» ٦٨/١، والبيضاوي في «الخرائط» ٣٨٣/٢، ولم ينسبه إلى قائل. وقوله: إذا نهي، متعلق بالنهي عام محذوف، أي: من أي شيء كان. وقوله: وخالف: مفعوله محذوف: أي: خالف زاجره. وقوله: والسفيه إلى خلاف: جملة تنذرية، أي: شأن السفيه الميل إلى مخالفة الناصح.

(٢) أخرجه أحمد في «المستند» رقم ٣٥٧٧، والترمذي، وابن خزيمة، وابن ماجه ٥٦٧/١، ولفظه: «ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله، إلا مثَّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق عنقه»، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آلَهُ مِنْ قُنُوبِهِ﴾ الآية. وقال الترمذي: حسن صحيح. وروى البخاري ج ٢٧٣/٨، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يود زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شديقيه - يقول: أنا مالك، أنا كنزك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آلَهُ مِنْ قُنُوبِهِ﴾ إلى آخر الآية. الشجاع: الحية الذكر، وهو ضرب من الحيات خبيث مارد. وأقرع: صفة من صفات الحياة الخبيثة، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية، وكثر سمه، جمعه في رأسه حتى تمتع منه فروة رأسه.

عمران: ١٨٦] هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup> وإلى نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه لما نزل قوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، وقتادة. وفي الذين قالوا: إن الله فقير، أربعة أقوال: أحدها: أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حيي بن أخطب، قاله الحسن وقتادة. والثالث: أن جماعة من اليهود قالوه. قال مجاهد: صلَّ أبو بكر رجلاً من الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَا﴾ لم يستقرضنا وهو غني؟<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه النبَّاش بن عمرو اليهودي، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ قرأ حمزة وحده: «سَيُكْتُبُ» بياء مضمومة و«قَتْلُهُمْ» بالرفع و«يقول» بالياء، وقرأ الباقون: «سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا» بالنون، و«قتلهم» بالنصب و«نقول» بالنون، وقرأ ابن مسعود و«يقال»، وقرأ الأعمش، وطلحة و«يقول». وفي معنى «سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا» قولان: أحدهما: سنحفظ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباس. والثاني: سنأمر الحفظة بكتابه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي: ونكتب ذلك. فإن قيل: هذا القائل لم يقتل نبياً قط، فالجواب أنه رضي بفعل متقدمه لذلك، كما بينا في قوله تعالى: ﴿وَيَنْتَلِثُونَ الْيَتِيمَ بَيْنَ أَلْحَى﴾. قال الزجاج: ومعنى «عَذَابُ الْحَرِيقِ» عذاب محرق، أي: عذاب بالنار، لأن العذاب قد يكون بغير النار.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، والذي قدمت أيديهم: الكفر والخطايا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَ فِرْعَوْنَ أَن نُّؤْتِيَكَ بِرُسُلِهِمْ فَأَتَيْنَا فَيَقْرَأُونَ تَآكُلُهُ الْكَاذُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ تَقْتُلُوهُمْ إِن كُنْتُمْ سَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ قال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا نؤمن لرسول، أي: لا نصدق رسولا يزعم أنه رسول، حتى يأتينا بقرآن تأكله النار<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: والقربان: ما تُقرب به إلى الله تعالى من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان، لأنه كان من سنن الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول. قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق، فإذا قبلت منه، نزلت نار من السماء، فأكلته، وكانت ناراً لها دوي، وحفيف. وقال عطاء: كان بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون أطياب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتتزل نار، فتأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ساجداً، فيوحى الله إليه ما يشاء. قال ابن عباس: قل يا محمد لليهود ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالآيات، ﴿وَبِالَّذِي﴾ سألتم من القربان.

﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ معناه: لست بأول رسول كذب. قال أبو علي: وقرأ ابن عامر وحده «بالبينات وبالزُّبر» بزيادة باء، وكذلك في مصاحف أهل الشام، ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور أن الواو قد أغنت عن تكرير العامل، تقول: مررت بزيد وعمرو، فتستغني عن تكرير الباء. وقال الزجاج: والزُّبر: جمع زبور، والزبور: كل كتاب ذي حكمة.

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ قال أبو سليمان: يعني به الكتب النيرة بالبراهين والحجج.

(١) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، فإنه مجهول تفرد عن ابن إسحاق كما قال الحافظ في «التقريب» وقال الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» ٨٢/٣: «إسناده جيد أو صحيح».

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن جرير ٤٤٣/٧، وابن المنذر عن مجاهد. (٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص: ٧٧، عن الكلبي.



﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن دُخِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُتُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُلْ بِرَبِّكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]. قالوا: يا رسول الله إنما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجن، والطير، والأنعام، فنزلت هذه الآية. وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا، وتنبيه على اغتنام الأجل. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين. قوله تعالى: ﴿فَمَن دُخِرَ﴾ قال ابن قتيبة: سُجِّي وأبعد. ﴿فَقَدْ فَازَ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج: تأويل فاز: تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُتُورِ﴾ يريد أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمتنيه من طول البقاء، وسيقطع عن قريب. قال سعيد بن جبير: هي متاع الغرور لمن لم يشغل بطلب الآخرة، فأما من يشغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أُمُورِكُمْ وَلَتُنسَبَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً قَدْ نَصَرُوا وَتَفَتَّوْا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أُمُورِكُمْ وَلَتُنسَبَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً قَدْ نَصَرُوا وَتَفَتَّوْا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة، فخرم ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا، فنزل رسول الله ﷺ، ثم فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبي: إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا. وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون، والمشركون، واليهود، فنزلت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فنزلت هذه الآية، قاله كعب بن مالك الأنصاري<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنها نزلت فيما جرى

(١) روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقروا إن شئتم: ﴿فَمَن دُخِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾»، ورواه أحمد في «المسند»، والترمذي، والحاكم في «المستدرک» وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وروى الإمام أحمد في «المسند» رقم ٦٨٠٧، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتذكره منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». ورواه الإمام مسلم بأطول منه.

(٢) أخرجه البخاري بأطول منه ج ٨/ ١٧٣، ولفظه: عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد ؓ أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فذكية، وأردف أسامة بن زيد وراه، يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، أرجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فافشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتناورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا. ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي ﷺ: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال: كلا وكذا». قال سعد بن عباد: يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجه، فيمضيه بالمصافقة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فمعا عنه النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه ينفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويمصرون عن الأذى. قال الله تعالى: ﴿لَتُنسَبَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ يُرِّبُوْكُمْ يَرِّبُوْكُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيََ لَكُمْ الْحَرْبُ فَاقْتُلُوا وَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَأْتِيََ لَكُمْ بِأَمْرٍ﴾ وكان النبي ﷺ يتأول العفو وما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، قتل الله به صناديد كفار قريش. قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فإمروا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. قوله: يتناورون، أي: يتواثبون. والبحرة: وفي رواية «البحيرة» هذا اللفظ يطلق على القرية وعلى البلد، والمراد به هنا: المدينة النبوية، ونقل ياقوت أن «البحرة» من أسماء المدينة المنورة. شرق: غص، وهو كثافة عن الحسد.

(٣) رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، ولفظه: أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ من الشعر.



بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والرابع: أنها نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل. وقال عكرمة: نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي. والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري. قال الزجاج: ومعنى «التبلون» لتخبرن، أي: توقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقاً من غيره. و«النون» دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون. وفي البلوى في الأموال قولان: أحدهما: ذهابها ونقصانها. والثاني: ما فرض فيها من الحقوق. وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال: أحدها: المصائب، والقتل. والثاني: ما فرض من العبادات. والثالث: الأمراض. والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر. وقال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، والذين أشركوا: مشركو العرب ﴿وَأِنْ تَصْبِرُوا﴾ على الأدنى ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله بمجانبة معاصيه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْزِ الْأُمُورِ﴾ أي: ما يعزم عليه، لظهور رشده.

### فصل

والجمهور على إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ وَرَآءَهُمْ شُرُوكَهُمْ﴾

يَشْرُوكُ

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل. فعلى هذا، الكتاب: التوراة. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل. والثالث: أنهم جميع العلماء، فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب «لتبينن» للناس ولا يكتومونه» بالياء فيهما، وقرأ الباقون، وحفص عن عاصم بالتاء فيهما. وفي هاء الكناية في «لتبينن» و«تكتومونه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي محمد ﷺ، وهذا قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبينهم ما فيه إظهار صفة محمد ﷺ، وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: ما أخذ الله على أهل الجبل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَدُّوهُ﴾ قال الزجاج: أي: رمؤا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبا به: قد جعلت هذا الأمر يظهر. قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي

بظهر ولا يعيا علي جوابها<sup>(٢)</sup>

معناه: لا تكونن حاجتي مُهَمَّلةً عندك، مطرحة. وفي هاء «فتبدؤوه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق. والثاني: إلى الكتاب<sup>(٣)</sup>.

(١) قال الحافظ في «الفتح» ج ٨/ ١٧٣: رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس.

(٢) «ديوانه» ٨٦/ ١، و«اللسان» ٥٢٢/ ٤، و«الأغاني»، وروايته في الديوان:

لديك ولا يعيا علي جوابها

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينهوا بذكره في الناس ليكونوا على أمة من أمرة، فإذا أرسله الله تعالى تابِعوه، فكتوموا ذلك، وتعرضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبست الصفة صفقتهم، وبست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم. فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتوموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». وهذا الحديث الذي =

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ﴿كُنَّا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَنَّادِينَ الْعَذَابِ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ وقرأ أهل الكوفة: «لا تحسبن» بالناء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ، سأل اليهود عن شيء، فكنتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول، والذي قبله عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكنتموا ذكر محمد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها: أن محمداً ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، وفرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك، والسدي. والخامس: أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم رده، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أن ناساً من اليهود جهزوا جيشاً إلى النبي ﷺ، واتفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي. والسابع: أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجاج. والثامن: أن رجلاً من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي ﷺ، فإذا قدم، اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري<sup>(٢)</sup>، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود. وفي الذي أتوا ثمانية أقوال: أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق. والثاني: تبديلهم التوراة. والثالث: إيثازهم الفاني من الدنيا على الثواب. والرابع: إضلالهم الناس. والخامس: اجتماعهم على تكذيب النبي. والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده. والسابع: اتفاقهم على محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والثامن: تخلفهم في الغزوات، وهذا قول من قال: هم المنافقون. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾<sup>(٣)</sup> ستة أقوال: أحدها: أحبوا أن يحمداً على إجابة النبي ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه. والثاني: أحبوا أن يقول الناس: هم علماء، وليسوا كذلك. والثالث: أحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا من الصلاة، والصيام. وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس. والرابع: أحبوا أن يحمداً على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن

استشهد به ابن كثير أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وأبو يعلى، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث أبي هريرة به مرفوعاً، وهو عند الحاكم أيضاً وغيره عن ابن عمرو، وعند ابن ماجه عن أنس وأبي سعيد، وعند الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري ج ٨/ ١٧٥، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان»، ولفظه عند البخاري: «عن أبي سعيد الخدري رحمه الله، أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو، وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾».

(٣) روى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن مروان قال: اذهب يا رافع - ليوابه - إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمداً بما لم يفعل معلنًا، لتعذبن أجمعين؟ فقال ابن عباس: ما لكم بهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَرَأَى أَنَّ اللَّهَ يَفْقَهُ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ لَيُنْزِلُنَّهُمْ فِي آيَاتٍ...﴾ الآية، وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكنتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، والحاكم، وابن مردويه.

جبير. والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين إذ نصرُوا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿فَلَا يَحْسَبَنَّكُمْ﴾، بالياء وضم الباء. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بالياء، وفتح الباء. قال الزجاج: إنما كررت «تحسبهم» لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلماً أن الذي يجري متصل بالأول، وتوكيداً له، فتقول: لا تظننَّ زيداً إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظنَّه صادقاً.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا زَوْرَ﴾ قال ابن زيد، وابن قتيبة: بمنجاة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير. وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لهم، أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قريشاً قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء. وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكفم والأبرص، ويحيي الموتى. فأثابوا النبي ﷺ، وقالوا: ادع ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَكَبِيرٌ وَكَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قالت قريش: قد سوى بين آلهمنا، اثنتا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى، واسمه: مُسلم بن صبيح. فأما تفسير الآية فقد سبق.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ يُرَكِّبُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قَبْلًا عَذَابَ النَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذكر في الصلاة، يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب<sup>(٣)</sup>، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس، وقاتدة. والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين. والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قياماً في تصرفهم، وقعوداً في دعنهم، وعلى جنوبهم في منامهم.

قوله تعالى: ﴿يُرَكِّبُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن فارس: التفكير: تردد القلب في الشيء. قال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة، والقلب ساه.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ قال الزجاج: معناه: يقولون: ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾، أي: خلقتك دليلاً عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياءك. ومعنى ﴿سُبْحَانَكَ﴾: براءة لك من السوء، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتكما باطلاً، ﴿فَقَبْلًا عَذَابَ النَّارِ﴾، فقد صدقنا أن لك جنةً وناراً.

(١) ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر (آل عمران) إذا قام الليل لتعجده، فروى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عباس، قال: بث عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن ببلان فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

(٢) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، ورجاله ثقات إلا الحماني فإنه تكلم فيه. قال الحافظ: وقد خالفه الحسن بن موسى، فرواه عن يعقوب بن جعفر عن سعيد مرسل وهو أشبه، وعلى تقدير كونه محفوظاً وصله، ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية، وقريش من أهل مكة، ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة.

(٣) جاء في «صحيح البخاري» عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٩٢)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ قال الزجاج: المخزى في اللغة: المذل المحقور بأمرٍ قد لزمه، ويحجة. يقال: أخزيت، أي: ألزمته حجةً أدلته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان: أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلصاً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقادة، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروي عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ في المنادي قولان: أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: ﴿الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، [يريد: هدانا إلى هذا، وأوحى إليها] قاله الفراء. والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ قال مقاتل: امح عنا خطايانا. وقال غيره: غطها عنا، وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «الأبرار» والأشرار» وذات قرار» وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح: ومعنى: ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون.

﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١٩٤)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون: الجنة ﴿عَلَى رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟ فعه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه الخبر، تقديره: فآمننا، فاغفر لنا لتوطيننا ما وعدتنا. والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تركية لأنفسهم. والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدهم نصراً غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكانهم قال: لا صبر لنا على حلمك عن الأعداء، فعجل خزيهم، وظفرنا بهم.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّهُ بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلٍ وَقَتَلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥)

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ روي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء!؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، واستجاب: بمعنى أجاب. والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أضيع عمل عامل منكم، ذكراً كان أو أنثى. وفي معنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بعضكم من بعض في الدين، والثبيرة والموالاة. والثاني: حكم جميعكم في الثواب واحد، لأن الذكور من الإناث، والإناث من الذكور. والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله تعالى: ﴿فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا﴾ أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ يعني: المؤمنين الذين

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٩٥/٧، والحاكم في «المستدرک» ٣٠٠/٢، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجناه، ووافقه الذهبي.

أخرجوا من مكة بأذى المشركين، فهاجروا، ﴿وَقَاتِلُوا﴾ المشركين ﴿وَقَاتِلُوا﴾. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «وقاتلوا وقتلوا» مشددة التاء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «وقتلوا وقتلوا». قال أبو علي: تقديم «قتلوا» جائر، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، مؤخراً في اللفظ. قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر مؤكد لما قبله، لأن معنى ﴿وَلَا تُظْلَمُنَّ جَنَّتَنَ﴾: لا يبيهن<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يَزِيدُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلْدِ﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَتَسَاءَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَزِيدُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلْدِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في اليهود، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض، فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ، أراد أن يستسلف من بعضهم شعيراً، فأبى إلا على رهن، فقال النبي ﷺ: «لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض». فنزلت، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. قال قتادة: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقال غيره: إنما خاطبه تأديباً وتحذيراً، وإن كان لا يغتر. وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال: أحدها: تصرفهم في التجارات، قاله ابن عباس، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: تقلب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: تقلبهم غير مأخوذ بنزوبهم، ذكره بعض المفسرين. قال الزجاج: ذلك الكسب والربح متاع قليل. وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا. والمهاد: الفراش.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَحْمِي مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَارُ خَلِيلِيكَ فِيهَا تَزُولُ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَزْوَارِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: «لكن» بالشدائد ها هنا، وفي (الزمر) قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: «الزل» الثواب. قال ابن فارس: الزَّلُّ: ما يهبط للتريل، والنزول: الضيف.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ شَيْئاً قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ، فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، وابن عباس، وأنس. وقال الحسن، وقاتدة: فيه وفي أصحابه. والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

(١) روى ابن جرير ٤٩١/٧ بإسناده صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ثلثة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المكارة، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كان لرجل منهم حلة إلى السلطان، لم تقض حتى يموت وهي في صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقتلوا، وأوفدوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فدخلونها بغير عذاب ولا حساب، وتأتي الملائكة، فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوفدوا في سبيلي، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ قَوْمٍ عَقِبُ الْكُرَى﴾ [الرعد: ٢٤]. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٧١/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد ١٠٣/١، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٥٩/١٠ من روايتي «المستدرک». وذكر في الأولى أنه رواه أيضاً البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبراني، ورجاله الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عثانة، وهو ثقة.

(٢) رواه ابن جرير ٤٩٧/٧ وإسناده ضعيف، وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أنس بن مالك، قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم». فقال بعض الناس: يا مرنأ أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة؟ فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية... وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» ورجال الطبراني ثقات كما قال الهيثمي ٣٨/٣: أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي، فقيل: يا رسول الله، تصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. وصلاة النبي ﷺ على النجاشي صلاة الجنائز الغائبة، ثابتة صحيحة، رواها الشيخان من حديث جابر، ومن حديث أبي هريرة.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والرابع: في أربعين من أهل تجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: كتابهم. والخاشع: الذليل. ﴿لَا يَشْعُرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَمَكُّنًا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود، وقد سلف بيان سرعة الحساب.

﴿يَأْيُئُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْيُئُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة<sup>(١)</sup>، وليس يومئذ غزو يربط. وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال: أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس. الثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، والزجاج. والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضاً. والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: طاعة الله، قاله قتادة. وفي الذي أمروا بمصابرته قولان: أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: الوعد الذي وعدهم الله، قاله عطاء، والقرظي. وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان: أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة في آخرين. قال ابن قتبية: وأصل المرابطة والرباط<sup>(٢)</sup>: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كلُّ يُعَدُّ لصاحبه. والثاني: أنه الصلاة، أمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن، وقد ذكرنا في (البقرة) معنى «العل»، ومعنى «الفلاح».



(١) روى مسلم ٢١٩/١، والنسائي ٨٩/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

(٢) وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ في فضل المرابطة، وحفظ ثغور المسلمين، وصيانة البلاد الإسلامية عن دخول الكفار إليها، فروى البخاري ٦٣/٦ عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها». وروى مسلم ١٥٢٠/٣ عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان». وروى الإمام أحمد ٢٠/٦ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» ورواه أبو داود ١٤/٣، والترمذي ١٩٥/١، وقال الترمذي: حسن صحيح.

## ٤ - سورة النساء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَوْ رِجْلَيْهَا مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا ۝١﴾

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكّية، رواه عطية عن ابن عباس، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فبسلّمها إلى العباس، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الخشية. قاله مقاتل. والنفس الواحدة: آدم، وزوجها حواء و«مين» في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهَا﴾ للتبويض في قول الجمهور. وقال ابن بحر: منها، أي: من جنسها<sup>(١)</sup>. واختلفوا أي وقت خلقت له، على قولين: أحدهما: أنها خلقت بعد دخوله الجنة، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: قبل دخوله الجنة، قاله كعب الأحبار، وهب، وابن إسحاق. قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى<sup>(٢)</sup>، فلم تؤذ بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبداً، فلما استيقظ؛ قيل: يا آدم ما هذه؟ قال: حواء.

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهَا﴾ قال الفراء: بثّ: نشر، ومن العرب من يقول: أثبت الله الخلق، ويقولون: بشتك ما في نفسي، وأبشتك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث، عن أبي عمرو: «تساءلون» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف.

قال الزجاج: الأصل: تساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين، لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية لاجتماع التائين. وفي معنى «تَسَاءَلُونَ بِهِ» ثلاثة أقوال: أحدها: تتعاطفون به، قاله ابن عباس. والثاني: تتعافدون، وتتعاقدون به. قاله الضحاك، والربيع. والثالث: تطالبون حقوقكم به، قاله الزجاج. فأما قوله: «والأرحام» فالجمهور على نصب الميم على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفسرها على هذا ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسّدي، وابن زيد. وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش، وحزمة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام، وفسرها على هذا الحسن، وعطاء، والنخعي. وقال الزجاج: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطراب الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم»<sup>(٣)</sup> وذهب إلى نحو هذا الفراء،

(١) في «البحر المحيط» ١٥٤/٣: وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: وخلق من جنسها زوجها، قاله ابن بحر، وأبو مسلم، لقوله تعالى: ﴿يَزِينُ أَنْفُسَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ و«يَزِينُ» يزين.

(٢) روى البخاري ٢٦١/٦ ومسلم ١٠٩١/٢ عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أوج شيء في الضلع أهلا، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أوج، فاستوصوا بالنساء» هذا لفظ البخاري.

قال النووي في «شرح مسلم» ٥٧/١٠: وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم.

(٣) روى الإمام مسلم ١٢٦٧/٣ عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»، وكانت قریش تحلف بأبائهم، فقال: «لا تحلفوا بأبائكم» وروى أيضاً عن عبد الله بن مسرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا ببائكم» والطواغي: الأصنام، واحداثها: طاغية. وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي رواية «فقد كفر» =



وقال ابن الأنباري: إنما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به، فالمعنى: الذي كنتم تسألون به وبالأرحام في الجاهلية. قال أبو علي: من جر، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن<sup>(١)</sup>. فأما الرقيب، فقال ابن عباس، ومجاهد: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الآدميين الموكل بحفظ الشيء، المترصد له، المتحرز عن الغفلة فيه، يقال منه: رَقَبْتُ الشيء أَرْقُبُهُ رَقْبَةً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْكَيْفَ بِأَلْيَبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيماً، فلما بلغ، طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبي ﷺ فنزلت، قاله سعيد بن جبیر<sup>(٣)</sup>. والخطاب بقوله: ﴿وَأَتُوا﴾ للأولياء والأوصياء. قال الزجاج: وإنما سماها يتامى بعد البلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يقال لليتيم ﷻ: يتيم أبي طالب. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْكَيْفَ بِأَلْيَبِ﴾ قرأ ابن محيصة: «تبدلوا» بناء واحدة. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه إبدال حقيقة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أخذ الجيد، وإعطاء الرديء مكانه، قاله سعيد بن المسيب، والضحاك، والنخعي، والزهرى، والسدي قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد، ويطرح مكانها الزيوف. والثاني: أنه الربح على اليتيم، واليتيم غر لا علم له، قاله عطاء. والقول الثاني: أنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكاً، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال، فنصيب الرجل من الميراث طيب، وأما أخذه من حق اليتيم خبيث، هذا قول ابن زيد. والثاني: أنه أكل مال اليتيم بدلاً من أكل أموالهم، قاله الزجاج. «وإلى» بمعنى «مع» والحبوب: الإثم. وقرأ الحسن، وقتادة، والنخعي بفتح الحاء. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُوب بالضم، وتميم يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباري: وقال الفراء: المضموم الاسم، والمفتوح المصدر. قال ابن قتيبة: وفيه ثلاث لغات: حُوب، وحُوب، وحَاب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا عَالَبَ لَكُمْ مِنَ الْيَسَّارَةِ وَتِلْكَ وَرِثَةٌ لِّمَنِ كَانَ حَقًّا ۚ وَإِلَىٰ مَالِكِكُمْ أَتَيْنَكُم بِذَلِكَ آيَةً ۚ أَلَّا تَتَّقُوا اللَّهَ ۚ أَلَّا تَتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ اختلفوا في تنزيلها وتأويلها على ستة أقوال: أحدها: أن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية، ولا يتحرجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى، فقبل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء، كما تحذرون من تركه في اليتامى، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبیر<sup>(٤)</sup> والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء

= رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(١) قال ابن عطية: وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمير مخفوض. وانظر «الطبري» ٥١٩/٧ و«القرطبي» ٢/٥ و«البحر المحيط» ١٥٧/٣.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» ٤٤٨/١: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا﴾ أي: هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وفي الحديث الصحيح: «أعبد كائنك فإله فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا إرشاد وأمر بمرآة الرقيب، ولهذا ذكر تعالى: أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض، ويحتشم على ضعفائهم. وقد ثبت في «صحيح مسلم» ٧٠٤/٢ من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاء قوم حفاة عراة مجتاهي النمار أو العباء. متقلدي السيوف، عامتهم من مَضْر، بل كلهم من مضر، فتعمر وجه رسول الله ﷺ، لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ مِنْكُمْ نَفْسًا وَنُفْسًا﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا﴾. والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنْتُمْ نُفُسًا تَا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برء، من صاع تمر، حتى قال: ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بعصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تابع الناس حتى رأيت كمين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذخية. ورواه الإمام أحمد وأصحاب «السنن».

(٣) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١١٧/٢: أخرجه ابن أبي حاتم.

(٤) رواه بمعناه عن سعيد بن جبیر الطبري ٥٣٦/٧ وإسناده صحيح، ونسبه السيوطي في «الدر» ١١٨/٢ إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

بأموال اليتامى، فلما كثر النساء، مالوا على أموال اليتامى، فقصّروا على الأربع حفظاً لأموال اليتامى. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة<sup>(١)</sup>. والثالث: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتهم، فانكحوا سواهم من الغرائب اللواتي أحلّ الله لكم، وهذا المعنى مروي عن عائشة<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهم، وحذرتهم سوء الصحبة لهم، وقلة الرغبة فيهم، فانكحوا غيرهم، وهذا المعنى مروي عن عائشة أيضاً، والحسن. والخامس: أنهم كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى، فأمروا بالتحرّج من الزنى أيضاً، ونُذِّبوا إلى النكاح الحلال، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. والسادس: أنهم تحرّجوا من نكاح اليتامى، كما تحرّجوا من أموالهم، فرخص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه، فكانه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهم، فانكحوا، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهم، فواحدة، وهذا المعنى مروي عن الحسن. قال ابن قتيبة: ومعنى قوله: وإن خفتم، أي: [إن] علمتم أنكم لا تعدلون [بين اليتامى] يقال: أقسط الرجل: إذا عدل [ومنه قول النبي ﷺ] «المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة» [ويقال: قسط الرجل: إذا جار] [ومنه قول الله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾]<sup>(٣)</sup> وفي معنى العدل في اليتامى قولان: أحدهما: في نكاح اليتامى، والثاني: في أموالهم.

قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ أي: ما حل لكم. قال ابن جرير: وأراد بقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾، الفعل دون أعيان النساء، ولذلك قال: «ما» ولم يقل: «من» واختلفوا: هل النكاح من اليتامى، أو من غيرهم؟ على قولين قد سبقا.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ وَكَذَٰلِكَ يُرِيتُ﴾. قال الزجاج: هو بدل من ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ومعناه: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، وإنما خاطب الله العرب بأفصح اللغات، وليس في شأن البلغ أن يعبر في العدد عن التسعة باثنتين، وثلاث، وأربع، لأن التسعة قد وضعت لهذا العدد، فيكون عيًّا في الكلام. وقال ابن الأنباري: هذه الواو معناها التفرّق، وليست جامعة، فالمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثلاث في غير الحال الأولى، وانكحوا رباع في غير الحالين. وقال القاضي أبو يعلى: الواو هاهنا لإباحة أيّ الأعداد شاء، لا للجمع<sup>(٤)</sup>، وهذا العدد إنما هو للأحرار، لا للعبيد، وهو قول أبي حنيفة والشافعي. وقال مالك: هم كالأحرار. ويدل على قولنا: أنه قال: فانكحوا، فهذا منصرف إلى من يملك النكاح، والعبد لا يملك ذلك بنفسه، وقال في سياقها: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَجِدُوهُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، والعبد لا ملك له، فلا يباح له الجمع إلا بين اثنتين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: علمتم، والثاني: خشيتم.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُعَدِّلُوا﴾ قال القاضي أبو يعلى: أراد العدل في القسم بينهما.

(١) رواه ابن جرير ٥٣٥/٧ وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس. ورواه ابن جرير ٥٣٥/٧ عن عكرمة بمعناه. ولفظ الطبري: عن ابن عباس قال: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى.

(٢) روى البخاري ١٧٩/٨ ومسلم ٣٣١٣/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشرك في ماله، ويعجبها مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بنير أن يقسط في صداقتها، فيعطيه مثل ما يعطيها غيره، فتهاون عن ذلك إلا أن يقسطوا لهم، ويبلغوا لهم أعلى شئهم في الصداق، فأمرنا أن نكحوا ما طاب لهم من النساء سواهم.

(٣) «غريب القرآن» ١١٩، وما بين معقنين منه. وحديث «المقسطون على منابر من لؤلؤ». رواه مسلم: ١٤٥٨/٣ ولفظه «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز جل - وكلنا بيده يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا».

(٤) روى الإمام أحمد رقم (٤٦٠٩) عن مالك عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحت عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعة» ورواه الترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، قال الحافظ ابن حجر: وأعله البخاري وأبو زرعة، وقال الحافظ ابن كثير في «الإرشاد»: رواه الإمامان أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وابن ماجه، وهذا الإسناد رجاله على شرط الشيخين، إلا أن الترمذي يقول: سمعت البخاري يقول: هذا حديث غير محفوظ، والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهري، قال: حدثت عن محمد بن شعيب الثقفي أن غيلان... فذكره، قال البخاري: وإنما حديث الزهري، عن سالم عن أبيه أن رجلاً من ثقيف طلق نساءه، فقال له عمر: تراجعت نساءك... الحديث. قال ابن كثير: قلت: قد جمع الإمام أحمد في روايته لهذا الحديث بين هذين الحديثين بهذا السند، فليس ما ذكره البخاري قادحاً، وساق رواية النسائي برجال ثقات. «سبل السلام» ١٨٠/٢. انظر كلام الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في «المستند»، فإنه قد فصل الكلام فيه.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ﴾ أي: فانكحوا واحدة، وقرأ الحسن، والأعمش، وحميد: «فواحدة» بالرفع، المعنى، فواحدة تنقح.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: السراي. قال ابن قتيبة: معنى الآية: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا [أيضاً] أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فقَصَرَهُم على أربع، ليقدرُوا على العدل، ثم قال: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هؤلاء الأربع، فانكحوا واحدة، واقتصروا على ملك اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَتَى﴾ أي: أقرب. وفي معنى «تعولوا» ثلاثة أقوال: أحدها: تميلوا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء. وقال أبو مالك، وأبو عبيد: تجوروا. قال ابن قتيبة، والزجاج: تجوروا وتميلوا بمعنى واحد. واحتكم رجلان من العرب إلى رجل، فحكم لأحدهما، فقال المحكوم عليه: إنك والله تعول علي، أي: تميل وتجور. والثاني: تضلوا، قاله مجاهد، والثالث: تكثر عيالكم، قال ابن زيد، ورواه أبو سليمان الدمشقي في «تفسيره» عن الشافعي، وردّه الزجاج، فقال: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ، لأن الواحدة يعولها، وإباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ صَدَقَتَهُنَّ حِلَّةٌ فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَنَهَى فَكُلُّهُنَّ حَيْثَمَا تَرَبَّيَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ صَدَقَتَهُنَّ حِلَّةٌ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم الأزواج، وهو قول الجمهور، واحتجوا بأن الخطاب للناكحين قد تقدم، وهذا معطوف عليه، وقال مقاتل: كان الرجل يتزوج بلا مهر، فيقول: أرثك وترثيني، فتقول المرأة: نعم، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه متوجه إلى الأولياء<sup>(٣)</sup> ثم فيه قولان: أحدهما: أن الرجل كان إذا زوّج أئمة جاز صداقها دونها، فهنا بهذه الآية، هذا قول أبي صالح، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن الرجل كان يعطي الرجل أخته ويأخذ أخته مكانها من غير مهر، فهنا عن هذا بهذه الآية، رواه أبو سليمان التيمي عن بعض أشياخه. قال ابن قتيبة: والصدقات: المهور، واحدها: صدقة. وفي قوله «نحلة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الفريضة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها الهبة والعطية، قاله الفراء. قال ابن الأباري: كانت العرب في الجاهلية لا تعطي النساء شيئاً من مهرهن، فلما فرض الله لهن المهر، كان نحلة من الله، أي: هبة للنساء، فرضاً على الرجال. وقال الزجاج: هو هبة من الله للنساء. قال القاضي أبو يعلى: وقيل: إنما سمي المهر: نحلة، لأن الزوج لا يملك بدله شيئاً، لأن البضع بعد النكاح في ملك المرأة، ألا ترى أنها لو وطئت بشبهة، كان المهر لها دون الزوج، وإنما الذي يستحقه الزوج الاستباحة، لا الملك. والثالث: أنها العطية بطيب نفس، فكانه قال: لا تعطوهن مهرهن وأنتم كارهون، قاله أبو عبيدة. والرابع: أن معنى «النحلة»: الديانة، فتقديره: وآتوهن صدقاتهن ديانة، يقال: فلان يتحل كذا، أي: يدين به، ذكره الزجاج عن بعض العلماء.

(١) نص كلام ابن قتيبة في «المشكل» ٥١: والمعنى أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة. وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن، لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنين وثلاثاً وأربعاً، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل.

(٢) قال ابن كثير ٤٥١/١: وقوله ﴿ذَلِكَ أَتَى أَلَّا تَتَرَوْا﴾ قال بعضهم: ذلك أنى ألا تكثر عيالكم، قاله زيد بن أسلم، وسفيان بن عيينة، والشافعي، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ﴾ أي: فقرأ ﴿تَتَرَوْا﴾ بفتح الهمزة، فيكون قوله: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ صَدَقَتَهُنَّ﴾ مصروفاً إلى أنه معني به أولياء النساء.

فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى السفهني متى يسبيل

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة. إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير هامتان نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السراي أيضاً، والصحيح قول الجمهور ﴿ذَلِكَ أَتَى أَلَّا تَتَرَوْا﴾ أي: لا تجوروا، يقال: عال في الحكم: إذا قسط وظلم وجار.

(٣) اختار ابن جرير ٥٥٤/٧ أن الخطاب للأزواج، قال: لأن الله تعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن. ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم ﴿فَانكحُوا مَا كَانَتْ لَكُمْ مِنَ أَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ وَتَكْفُرُونَ﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ صَدَقَتَهُنَّ﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحت من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في أول الآية: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، ولم يقل: ﴿فَانكحُوا﴾ فيكون قوله: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ صَدَقَتَهُنَّ﴾ مصروفاً إلى أنه معني به أولياء النساء دون أزواجهن.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَبَ لَكُمْ﴾ يعني النساء المنكوحات. وفي «لكم» قولان: أحدهما: أنه يعني الأزواج. والثاني: الأولياء. و«الهاء» في «منه» كناية عن الصداق، قال الزجاج: و«منه» هاهنا للجنس، كقوله: ﴿فَأَجْكِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] معناه: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن، فكانه قال: كلوا الشيء الذي هو مهر، فيجوز أن يسأل الرجل المهر كله. و«نفساً»: منصوب على التمييز. فالمعنى: فإن طابت أنفسهن لكم بذلك، فكلوه هنئلاً مريئاً. وفي الهنيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما تؤمن عاقبته. والثاني: ما أعقب نفعاً وشفاء. والثالث: أنه الذي لا ينقضه شيء. وأما «المريء» فيقال: مريء الطعام: إذا انهضم، وحمدت عاقبته.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ المراد بالسفهاء خمسة أقوال: أحدها: أنهم النساء، قاله ابن عمر. والثاني: النساء والصبيان، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة. وعن الحسن ومجاهد كالقولين. والثالث: الأولاد، قاله أبو مالك. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس، وروي عن الحسن، قال: هم الأولاد الصغار. والرابع: اليتامى، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير في رواية. قال الزجاج: ومعنى الآية: ولا تؤتوا السفهاء أموالهم، بدليل قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ وإنما قال: «أموالكم» ذكرراً للجنس الذي جعله الله أموالاً للناس. وقال غيره: أضافها إلى الولاية، لأنهم قوامها. والخامس: أن القول على إطلاقه، والمراد به كل سفيه يستحق الحجر عليه، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي، وغيرهما، وهو ظاهر الآية<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ قولان: أحدهما: أنه أموال اليتامى. والثاني: أموال السفهاء.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ قرأ الحسن: «اللاتي جعل الله لكم قواماً». وقرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو عمرو: «قياماً» بالياء مع الألف هاهنا، وقرأ نافع، وابن عامر: «قِيَمًا» بغير ألف. قال ابن قتيبة: قياماً وقواماً بمنزلة واحدة، تقول: هذا قوام أمرك وقيامه، أي: ما يقوم به [أمرك]. وذكر أبو علي الفارسي أن «قواماً» و«قياماً» و«قِيَمًا»، بمعنى القوام الذي يقيم الشأن، قال: وليس قول من قال: «القيم» هاهنا: جمع «قيمة» بشيء.

قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: منها. وفي «القول المعروف» ثلاثة أقوال: أحدها: العدة الحسنة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الرزء الجميل، قاله الضحاك. والثالث: الدعاء، كقولك: عافاك الله، قاله ابن زيد.

﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِإِلَهِ حَسِيبًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ﴾ سبب نزولها أن رجلاً، يقال له: رفاة، مات وترك ولداً صغيراً، يقال له: ثابت، فوليه عمه، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله؟ ومتى أدفع إليه ماله؟ فنزلت هذه الآية، ذكر نحوه مقاتل<sup>(٢)</sup>. والابتلاء: الاختبار. وبماذا يختبرون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يختبرون في عقولهم، قاله ابن عباس، والسدي، وسفيان، ومقاتل. والثاني: يختبرون في عقولهم ودينهم، قاله الحسن، وقتادة. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: في عقولهم ودينهم، وحفظهم أموالهم، ذكره الثعلبي. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الابتلاء قبل البلوغ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بلغوا أن ينكحوا النساء ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ أي: علمتم،

(١) قال ابن كثير: ٤٥٢/١: ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها، ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام؛ فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير سلب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف، لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو إذا ما أحاطت الديون برجل، وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه.

(٢) ذكره الواحدي ص ٨٢ بدون سند.

وتبيّنتم. وأصل: أنست: أبصرت. وفي الرشد أربعة أقوال: أحدها: الصلاح في الدين، وحفظ المال، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: الصلاح في العقل، وحفظ المال، روي عن ابن عباس والسدي. والثالث: أنه العقل، قاله مجاهد، والنخعي. والرابع: العقل والصلاح في الدين، روي عن السدي.

### فصل

واعلم أن الله تعالى علّق رفع الحجر عن اليتامى بأمرين؛ بالبلوغ والرشد، وأمر الأولياء باختيارهم، فإذا استبانوا رشدهم، وجب عليهم تسليم أموالهم إليهم. والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء؛ الاحتلام<sup>(١)</sup>، واستكمال خمس عشرة سنة<sup>(٢)</sup>، والإنبات<sup>(٣)</sup>، وشيئان يختصان بالنساء: الحيض والحمل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا﴾ خطاب للأولياء، قال ابن عباس: لا تأكلوها بغير حق. و«بداراً»: يُبادرون أكل المال قبل بلوغ الصبي ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْيًا فَلْيَسْتَوْفٍّ﴾ بماله عن مال اليتيم. وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال: أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض، وهذا مروي عن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وأبي العالية، وعبيدة، وأبي وائل، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، والنخعي، وقتادة، والسدي. والثالث: أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً، روي عن ابن عباس، وعائشة<sup>(٥)</sup>، وهي رواية أبي طالب، وابن منصور، عن أحمد رحمهم الله. والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاءه، وإن لم يوسر، فهو في حل، وهذا قول الشعبي.

### فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ على قولين. أحدهما محكمة، وهو قول عمر، وابن عباس، والحسن، والشعبي، وأبي العالية، ومجاهد، وابن جبير، والنخعي، وقتادة في آخرين. وحكمها عندهم أن الغني ليس له أن يأكل من مال اليتيم شيئاً، فأما الفقير الذي لا يجد ما يكفيه، وتشغله رعاية مال اليتيم عن تحصيل الكفاية، فله أن يأخذ قدر كفايته بالمعروف من غير إسراف. وهل عليه الضمان إذا أيسر؟ فيه قولان لهم: أحدهما: أنه لا ضمان عليه، بل يكون كالأجرة له على عمله، وهو قول الحسن، والشعبي، والنخعي، وقتادة، وأحمد بن حنبل. والثاني: إذا أيسر وجب عليه القضاء، روي عن عمر وغيره، وعن ابن عباس أيضاً كالقولين. والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطُلِ﴾ [النساء: ٢٩] وهذا مروي عن ابن عباس، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: هذا على طريق الاحتياط لليتيم، والولي، وليس بواجب،

- (١) لقوله رحمهم الله: «رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق». رواه الترمذي ١٧٠/١ وأبو داود ٤/١٩٧ عن علي رحمهم الله. ورواه الدارمي ١٧١/٢ عن عائشة، وابن ماجه ٦٥٨/١ عنهما، وهو حديث صحيح.
- (٢) أعلّق الفقهاء ذلك من الحديث الثابت في «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: «عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يُجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني» قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثه هذا الحديث؛ فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة.
- (٣) يدل لذلك ما روى الإمام أحمد ٣١٠/٤ عن عطية القرظي، قال: عرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت فيمن لم ينبت، فخلى سبيلي. وقد أخرجه أصحاب «السنن» بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال ابن كثير: وإنما كان كذلك، لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الذرية. وكون البلوغ يثبت باستكمال خمس عشرة سنة والإنبات: هو مذهب الشافعي، وأحمد، وابن وهب، وأصعب، وعبد الملك بن الماجشون، وعمر بن عبد العزيز، واختاره ابن العربي.
- (٤) قال القرظي: ٣٥/٥: فأما الحيض والحبل فلم يختلف العلماء في أنه بلوغ، وأن الفرائض والأحكام تجب بهما.
- (٥) في البخاري ١٨١/٨: عن عائشة رحمها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْيًا فَلْيَسْتَوْفٍّ وَمَنْ كَانَ قَوِيًّا فَلْيُؤْكَلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مال، ولي يتييم، فقال: «كل من مال يتييمك غير مُسْرِفٍ ولا مُبْتَلٍ ولا مثاقيل مالا، ومن غير أن تقي مالك» أو قال: «تفدي مالك بماله». ورواه أبو داود ١٥٦/٣، والنسائي ١٣١/٢، وابن ماجه ٨٣/٢ بنحوه، وهو حديث حسن. وقوله: «ولا مثاقيل» بتشديد التاء المثناة المكسورة. قال ابن الأثير: أي: غير جامع، يقال: مال مؤثّل، ومجد مؤثّل، بفتح التاء المثناة فيهما، أي: مجموع ذو أصل.

فأما اليتيم، فإنه إذا كانت عليه يئنة، كان أبعد من أن يدعى عدم القبض، وأما الولي، فإنه تظهر أمانته، ويسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم للدفع. وفي «الحبيب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكافي، من قولك: أحسبني هذا الشيء [أي: كفايني، والله حسيبي وحسيبك، أي: كافينا، أي: يكون حكماً بيننا كافياً].

قال الشاعر:

وَنُقْضِي وَلَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً      وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ<sup>(١)</sup>  
أي: نعطيه ما يكفيه حتى يقول: حسيبي<sup>(٢)</sup> قاله ابن قتيبة والخطابي. والثالث: أنه المحاسب، فيكون في مذهب جليس، وأكيل، وشريب، حكاة ابن قتيبة والخطابي.

﴿لِرَبِّكَ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿لِرَبِّكَ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة، فقام رجلان من بني عمه، يقال لهما: قتادة، وعرفطة<sup>(٤)</sup> فأخذوا ماله، ولم يعطيا امرأته، ولا بناته شيئاً، فجاءت امرأته إلى النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، وشكت الفقر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كانوا لا يورثون النساء، فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>. والمراد بالرجال: الذكور، وبالنساء: الإناث، صغاراً كانوا أو كباراً. و«النصيب»: الحظ من الشيء، وهو مجمل في هذه الآية، ومقداره معلوم من موضع آخر، وذلك مثل قوله: ﴿وَأَتَاوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَّادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] والمفروض: الذي فرضه الله، وهو أكد من الواجب.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى﴾ في هذه القسمة قولان: أحدهما: قسمة الميراث بعد موت الموروث، فعلى هذا يكون الخطاب للوارثين، وبهذا قال الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، والزهري. والثاني: أنها وصية الميت قبل موته، فيكون مأموراً بأن يعين لمن لا يرثه شيئاً، روي عن ابن عباس، وابن زيد. قال المفسرون: والمراد بأولي القربى: الذي لا يرثون، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: أعطوهم منه، وقيل: أطعموهم، وهذا على الاستحباب عند الأكثرين، وذهب قوم إلى أنه واجب في المال، فإن كان الورثة كباراً، تولوا إعطائهم، وإن كانوا صغاراً، تولت ذلك عنهم ولتي مالهم، فروي عن عبيدة أنه قسم مال أيتام، فأمر بشاة، فاشتريت من مالهم، وبطعام فصنع، وقال: لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي<sup>(٧)</sup>، وكذلك فعل محمد بن سيرين في أيتام وليهم، وكذلك روي عن مجاهد: أن ما تضمنته هذه الآية واجب. وفي «القول المعروف» أربعة أقوال: أحدها: أن يقول لهم الولي حين يعطيهم: خذ بارك الله فيك، رواه سالم الأفيطس، عن ابن جبير. والثاني: أن يقول الولي: إنه مال يتامى، ومالي فيه شيء، رواه أبو بشر عن ابن جبير. وفي رواية أخرى عن ابن جبير، قال: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً، قال وليهم: إني لست أملك هذا المال، إنما هو للصغار، فذلك القول المعروف. والثالث: أنه العدة الحسنة، وهو أن يقول لهم أولياء الورثة: إن هؤلاء الورثة صغار، فإذا بلغوا، أمرناهم أن يعرفوا حقكم. رواه عطاء بن دينار، عن ابن جبير. والرابع: أنهم يُعْطَوْنَ من المال، ويقال لهم عند قسمة الأرضين والرقيق: بورك فيكم، وهذا القول المعروف. قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس يفعلون هذا.

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ١٧، و«الصالح»: مادة: حسب، و«اللسان»: مادة: قني، وفيه ٣١٢/١ لامرأة من بني قشير، وقوله: «تقنيه» أي: تؤثره بالفتية، ويقال لها: الفتاة أيضاً، وهي ما يؤثر به الضيف والضييف.

(٢) ما بين مقيمين من تمام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص ١٧.

(٣) في ب «عكرمة وعرفطة» وفي «أسباب النزول» للواحد ص: ٨٢ سويد وعرفطة، وفي «الدر المنثور» ١٢٢/٢: خالد وعرفطة، والخبر أخرجه أبو الشيخ وابن حبان في «كتاب الفرائض» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح، ضعيفان لا يحتج بهما.

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٩٧/٧ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين...

## فصل

اختلف علماء النسخ والنسخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، وهو قول أبي موسى الأشعري، وابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، وأبي العالية، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والنخعي، والزهري، وقد ذكرنا أن ما تضمنته من الأمر مستحب عند الأكثرين، واجب عند بعضهم. والقول الثاني: أنها منسوخة؛ نسخها قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن المسيب، وعكرمة، والضحاك، وقتادة في آخرين.

﴿وَلْيَحْشَ الْأَيْمَنُ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُصَفِّاءُ خَائِفًا عَلَيْهِمْ لَتَيَقُولُوا اللَّهُ وَلَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الْأَيْمَنُ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُصَفِّاءُ﴾ اختلفوا في المخاطب بهذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للحاضرين عند الموصي. وفي معنى الآية على هذا القول قولان: أحدهما: وليخش الذين يحضرون موصياً في ماله أن يأمروه بتفريقه فيمن لا يرثه، فيفرقه، ويترك ورثته، كما لو كانوا هم الموصين، لسرهم أن يحثهم من حضرم على حفظ الأموال للأولاد، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: على الضد من هذا القول، وهو أنه نهي لحاضري الموصي أن يمنعه من الوصية لأقاربه، وأن يأمروه بالاعتصام على ولده، وهذا قول مقسم، وسليمان التيمي في آخرين. والقول الثاني: أنه خطاب لأولياء اليتامى متعلق بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ فمعنى الكلام: أحسنوا فيمن وليتم من اليتامى، كما تحبون أن يحسن ولاية أولادكم بعدكم، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وابن السائب. والثالث: أنه خطاب للأوصياء أمروا بأداء الوصية على ما رسم الموصي، وأن تكون الوجوه التي عينها مرعية بالمحافظة كرعى الذرية الضعاف من غير تبديل، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْقًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢] فأمر الوصي بهذه الآية إذا وجد ميلاً عن الحق أن يستعمل قضية الشرع، ويصلح بين الورثة، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله، وغيره، في «الناسخ والمنسوخ» فعلى هذا تكون الآية منسوخة، وعلى ما قبله تكون محكمة. و«الضعاف»: جمع ضعيف، وهم الأولاد الضغار. وقرأ حمزة: «ضعافاً» بإمالة العين. قال أبو علي: وجهها: أن ما كان على «فعال» وكان أوله حرفاً مستعلياً مكسوراً، نحو ضعاف، وقفاف، وخفاف؛ حسنت فيه الإمالة، لأنه قد يُصَعَّدُ بالحرف المستعلي، ثم يُخَفَّرُ بالكسر، فيستحب أن لا يُصَعَّدَ بالتفخيم بعد التصوُّب بالكسر، فيجعل الصوت على طريقة واحدة، وكذلك قرأ حمزة: ﴿خَائِفًا عَلَيْهِمْ﴾ بإمالة الخاء، والإمالة هاهنا حسنة، وإن كانت «الخاء» حرفاً مستعلياً، لأنه يطلب الكسرة التي في «خِيفَت» فينحو نحوها بالإمالة. والقول «السديد»: الصواب.

(١) روى البخاري ١٨١/٨ عن ابن عباس في الآية قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة. تابعه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الحافظ ابن حجر: وصله في الوصايا بلفظ «إن ناساً يرجمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها ما تهان الناس بها، هما واليان، وإلي يرت، وذلك الذي يروق، وإولي لا يرت، وذلك الذي يقال له بالمعروف، يقول: لا أملك لك أن أعطيك، وهذا الإسنادان الصحيحان هما المتمدنان، وجاءت عته روايات من أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم. وجاء عن ابن عباس قول آخر، أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر: قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في النار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاه من ميراث أبيه، وتلا الآية. قال القاسم: فذكرته لابن عباس، فقال: ما أصاب، وليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في الوصية، أي: ندب للميت أن يوصي لهم. قلت: - أي: الحافظ ابن حجر - وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة، وليست بمنسوخة. وقيل: معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرت، واليتامى والمساكين، فإن تقوسم تشوف إلى أخذ شيء منه، ولا سيما إن كان جزيلاً، فأمر الله سبحانه أن يرخص لهم شيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بذلك: هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة: هي على الوجوب، وهو قول ابن حزم أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طاب به نفسه، ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة: من لا يرت، وأن معنى «فأرزقوهم»: أعطوهم من المال. وقال آخرون: أطعموهم، وأن ذلك على سبيل الاستحباب، وهو المتمدن، لأنه لو كان على الوجوب لانتفى استحقاقاً في التركة، ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة، فيفضي إلى التنازع والتقاطع، وعلى القول بالنسب فقد قيل: يفعل ذلك ولي المحجور، وقيل: لا بل يقول: ليس المال لي، وإنما هو لليتيم، وإن هذا هو المراد بقوله: ﴿وَرُؤُولًا لَهُمْ نَسَبٌ﴾ وعلى هذا فتكون الواو في قوله ﴿وَرُؤُولًا﴾ للتقسيم، وعن ابن سيرين وطائفة: المراد بقوله: ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ نَسَبًا﴾ اصنعوا لهم طعاماً يأكلونه، وإنها على العموم في مال المحجور وغيره.



﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً من غطفان، يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، فأكله، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أن حنظلة بن الشمرود ولي يتيماً، فأكل ماله، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وإنما خصّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود، وقيل: عبر به عن الأخذ. قال سعيد بن جبير: ومعنى الظلم: أن يأخذه بغير حق. وأما ذكر «البطون» فللتوكيد، كما تقول: نظرت بعيني، وسمعت بأذني. وفي المراد بأكلهم النار قولان: أحدهما: أنهم سيأكلون يوم القيامة ناراً، فسمي الأكل بما يؤول إليه أمرهم، كقوله: ﴿أَتَصِيرُ خَسِرًا﴾ [يوسف: ٣٦] قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم ظلماً، ولهيب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأذنيه، وأنفه، وعينه، يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه مثل. معناه: يأكلون ما يصيرون به إلى النار، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ [آل عمران: ١٥٣] أي: رأيتم أسبابه.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «وسيصلون» بفتح الياء، وقرأ الحسن، وابن عامر، بضم الياء، ووافقه ابن مقسم، إلا أنه شدد. والمعنى: سيحرقون بالنار، ويُسْوَوْنَ والسعير: النار المستعرة، واستعار النار: توقدها.

### فصل

وقد تورهم قوم لا علم لهم بالتفسير وفقهه، أن هذه الآية منسوخة، لأنهم سمعوا أنها لما نزلت، تحرج القوم عن مخالطة اليتامي، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَحْاِلُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وهذا غلط، وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح، لا على إباحة الظلم.

﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِكُمْ لِلدَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْهُنَّ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدْهُنَّ مِنْ بَيْنِ وَصِيَّهِ يُؤْيِي بِنَا أَوْ دَيْنٍ أَوْ آبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن جابر بن عبد الله مرض، فعاده رسول الله ﷺ، فقال: كيف أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت هذه الآية، رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله قُتِلَ أَبُو هَاتَيْنِ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وقد استفاء<sup>(٣)</sup> عنهما مالهما، فنزلت، روي عن جابر بن عبد الله أيضاً<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن عبد الرحمن أخا حسان بن ثابت مات، وترك امرأة، وخمس بنات، فأخذ ورثته ماله، ولم يعطوا أمراته ولا بناته شيئاً، فجاءت أمراته تشكو إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. قال الزجاج: ومعنى يوصيكم: يفرض عليكم، لأن الوصية منه فرض، وقال غيره: إنما ذكره بلفظ الوصية لأمرين: أحدهما: أن الوصية تزيد على الأمر، فكانت أكد. والثاني: أن في الوصية حقاً للموصي، فدل على تأكيد الحال بإضافته إلى حقه. وقرأ الحسن، وابن أبي عبة: «يُوصِيكُم» بالتشديد.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٦/٨ من طريق أسباط عن السدي.

(٢) البخاري: ١٨٢/٨ ومسلم: ١٢٣٥/٣ من طريق ابن جريج عن ابن المنكدر عن جابر، وقد وهم بعض المحدثين ابن جريج في هذا الحديث، وقالوا: الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه، الآية الأخيرة من (النساء) وهي «يَسْتَشْفِقُ عَلَى اللَّهِ يُبَيِّعُكُمْ فِي الْكَلْبَةِ» وقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام على هذا الحديث في «الفتح» فانظره.

(٣) قال ابن الأثير ٢٢٠/٣: أي: استرجع حقهما من الميراث وجعله نيتاً له، وهو استغفل من الفيه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود ١٦٦/٣، والترمذي ٣٠/٧، وحسنه، وابن ماجه ٩٠٨/٢، وصححه الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عنهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: فقال: «يقضي الله في ذلك»، قال: فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عنهما، فقال: «أعطيت ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك».

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ يعني، للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين، ثم ذكر نصيب الإناث من الأول، فقال: ﴿إِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ وفي قوله: «فوق» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: «فَأَمْزِجُوا فَوْقَ الْاِثْنَتَيْنِ» [الأنفال: ١١٣]. والثاني: أنها بمعنى الزيادة. قال القاضي أبو يعلى: إنما نص على ما فوق الاثنتين، والواحدة، ولم ينص على الاثنتين، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث، كان لها مع الأنثى الثلث أولى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ نافع بالرفع، على معنى: وإن وقعت، أو وجدت واحدة.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْأَبَوَيْنِ﴾ قال الزجاج: أبواه ثنية أب وأبة، والأصل في الأم أن يقال لها: أبة، ولكن استغني عنها بأم، والكناية في قوله: «لأبويه» عن الميت وإن لم يجر له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْأَخَوَيْنِ﴾ أي: إذا لم يخلف غير أبوين، فثلث ماله لأمه، والباقي للأب، وإنما خص الأم بالذكر، لأنه لو اقتصر على قوله: ﴿وَوَرَثَهُ الْوَرَثَةُ﴾ ظن الظان أن المال يكون بينهما نصفين، فلما خصها بالثلث، دل على التفضيل. وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿وَلِلْأَخَوَيْنِ﴾ وفي بطون أمهاتكم [الزمر: ٦] وفي أيها [القصص: ٥٩] وفي أئمة الكتب [الزخرف: ٤] بالرفع<sup>(١)</sup>. وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالكسر إذا وصل، وحجتهما: أنهما أتبعوا الهمزة ما قبلها، من ياء أو كسرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: مع الأبوين، فإنهم يحجبون الأم عن الثلث، فيردونها إلى السدس، واتفقوا على أنهم إذا كانوا ثلاثة إخوة، حجبوا، فإن كانا أخوين، فهل يحجبانهما؟ فيه قولان: أحدهما: يحجبانهما عن الثلث، قاله عمر، وعثمان، وعلي، وزيد، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا يحجبها إلا ثلاثة، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>، واحتج بقوله: إخوة. والأخوة: اسم جمع، واختلفوا في أقل الجمع، فقال الجمهور: أقله ثلاثة، وقال قوم: اثنان، والأول: أصح. وإنما حجب العلماء الأم بأخوين لدليل اتفقوا عليه، وقد يسمى الاثنان بالجمع، قال الزجاج: جميع أهل اللغة يقولون: إن الأخوين جماعة، وحكى سيبويه أن العرب تقول: وضعا رحالهما، يريدون: رَحْلَيَّ واحتلبيهما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ بَنِي وَصِيَّتِهِ﴾ أي: هذه السهام إنما تقسم بعد الوصية والذين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم «يوصى بها» بفتح الصاد في الحرفين. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «يوصي» فيهما بالكسر، وقرأ حفص، عن عاصم الأولى بالكسر، والثانية بالفتح. وأعلم أن الذين مؤخر في اللفظ، مقدم في المعنى، لأن الدين حق عليه، والوصية حق له، وهما جميعاً مقدمان على حق الورثة إذا كانت الوصية في ثلث المال، و«أو» لا توجب الترتيب، إنما تدل على أن أحدهما إن كان، فالميراث بعده، وكذلك إن كانا<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: برفع الهمزة.

(٢) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٣٩٨/١: وقد أجمع أهل العلم على أن الاثنتين من الأخوة يقومون مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأم إلى السدس، إلا ما يروى عن ابن عباس أنه جعل الاثنتين كالواحد في عدم الحجب.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٢٧/٦ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن شابة عن ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس. قال ابن كثير ١/٤٥٩: وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمقول عنهم خلافه. وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال: «الأخوان تسمى إخوة» وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة. وفي «التقريب»: شعبة بن دينار الهاشمي مولى ابن عباس المدني: صدوق سيح الحفظ.

(٤) في «مجاز القرآن» ١/١١٨: «فإن كان له إخوة» أي: أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجمع على معنى الاثنتين، قال الراعي:

أَحْلِيْتُ إِذَا أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ      هُمَا بِنَا جَنْبَةً وَدُخِيلَا

طَرَقاً فَتِلْكَ هِمَامِي أَقْرَبُهُمَا ...      فُلُصّاً لِرَوَاحِ كَالْقَيْسِي وَخُولا

فجعل الاثنتين في لفظ الجمع، وجعل الجمع في لفظ الاثنتين. وقال المرتضى في «أماليه» ١٥٥/٢: فغير بالهمام، وهي جمع عن الهمين، وهما اثنان. وخليفة: ابنة الشاعر، والمعنى أن أحد الهمين بات جنبه، والآخر داخل جوفه.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن الجارود والدارقطني والبيهقي في =

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَابْنُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَسَبًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النفع في الآخرة، ثم فيه قولان: أحدهما: أن الوالد إذا كان أرفع درجة من ولده، رفع إليه ولده، وكذلك الولد، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنه شفاعة بعضهم في بعض، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. والقول الثاني: أنه النفع في الدنيا، قاله مجاهد. ثم في معناه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تدرون هل موت الآباء أقرب، فينتفع الأبناء بأموالهم، أو موت الأبناء، فينتفع الآباء بأموالهم؟ قاله ابن بحر. والثاني: أن المعنى: أن الآباء والأبناء يتفاوتون في النفع. حتى لا يدري أيهم أقرب نفعاً، لأن الأولاد ينتفعون في صغرهم بالآباء، والآباء ينتفعون في كبرهم بالأبناء، ذكره القاضي أبو يعلى. وقال الزجاج: معنى الكلام: أن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة. ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فتضعون الأموال على غير حكمة. إن الله كان عليمًا بما يصلح خلقه، حكيمًا فيما فرض. وفي معنى «كان» ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: كان عليمًا بالأشياء قبل خلقها، حكيمًا فيما يقدّر تدبيره منها، قاله الحسن. والثاني: أن معناها: لم يزل. قال سيبويه: كان القوم شاهدوا علمًا وحكمة، ف قيل لهم: إن الله كان كذلك، أي: لم يزل على ما شاهدتم، ليس ذلك بحادث. والثالث: أن لفظة «كان» في الخبر عن الله ﷻ يتساوى ماضيها ومستقبلها، لأن الآيات عنده على حال واحدة، ذكّل هذه الأقوال الزجاج.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَتِ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَتِ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّلُّسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَاكَرٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً﴾ قرأ الحسن: «يُوْرَثُ» بفتح الواو، وكسر الراء مع التشديد. وفي الكلاله أربعة أقوال: أحدها: أنها ما دون الوالد والولد، قاله أبو بكر الصديق. وقال عمر بن الخطاب: أتى علي حين وأنا لا أعرف ما الكلاله، فإذا هو: من لم يكن له والد ولا ولد<sup>(١)</sup>، وهذا قول علي، وابن مسعود، زيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفراء، وذكر الزجاج عن أهل اللغة، أن «الكلالة»: من قولهم: تكلله النسب، أي: لم يكن الذي يرثه ابنه، ولا أباه. قال: والكلالة سوى الوالد الولد، وإنما هو كالإكليل على الرأس. وذكر ابن قتيبة عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب<sup>(٢)</sup>، إذا أحاط به. والابن والأب: طرفان للرجل، فإذا مات، ولم يخلفهما، فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين: كلالة [وكانها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه؛ نحو هذا قولهم: وجهت الشيء: أخذت وجهه، وتغرّت الرجل: كسرت ثغره]<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن

= «مسنه» عن علي ﷻ قال: إنكم تقرّون هذه الآية ﴿يُورَثُ بِعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات. وفي سننه الحارث الأعور، وهو ضعيف، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي، وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم. وقال ابن كثير بعد روايته للحديث في شأن الحارث: لكن كان حافظاً للفرأض معتباً بها وبالكتاب. وقال ابن كثير أيضاً: أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية، وذلك عند إيمان النظر فيهم من فعوى الآية الكريمة. وقوله: «وبنو العلات، العلات: هم الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهن واحد. يريد أنهم إذا اجتمعوا توارث الأخوة الأشقاء دون الأخوة لأب».

(١) أثر عمر أخرجه البيهقي في «السنن» ٦/٢٢٤ من طريق محمد بن نصر عن عبد الأعلى عن حماد عن عمران بن حدير، عن السيمط بن عمير. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن طاووس - بسند صحيح - قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعت يقول: القول ما قلت، قلت: وما قلت؟ قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد. قال ابن كثير: وهكذا قال علي وابن مسعود، وصح عن غير واحد عن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وبه يقول الشعبي، والنخعي، والحسن، وقتادة، وجابر بن زيد، والحكم، وبه يقول أهل المدينة، وأهل الكوفة، والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف، بل جميعهم، وقد حكى الإجماع عليه غير واحد.

(٢) في «مجاز القرآن» ١/١١٩ «يورث كلالة» مصدر من تكلله النسب، أي: تحطف النسب عليه، ومن قال «يورث كلالة» فهم الرجال الورثة، أي: يعطف النسب عليه.

(٣) ما بين معنيين من تمام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص ١٢١.



من اللاتي لم يحججن يبغين حِسبة  
والفاحشة: الزنى في قول الجماعة. وفي قوله: ﴿فَاسْتَشِيرُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قولان. أحدهما: أنه خطاب للأزواج.  
والثاني: خطاب للحكام، فالمعنى: اسمعوا شهادة أربعة منكم، ذكرهما الماوردي. قال عمر بن الخطاب: إنما  
جعل الله ﷻ الشهود أربعة سترًا ستركم به دون فواحشكم. ومعنى «منكم»: من المسلمين.  
قوله تعالى: ﴿فَأَنبِئُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت، حبست في البيت حتى تموت،  
فجعل الله لهن سبيلًا، وهو الجلد، أو الرجم<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَالْتَمِمْ بَابًا فَارًّا وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِيَهَا فَسَبِّحْ لِلَّهِ مَا كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ﴾ قرأ ابن كثير: «واللذان» بتشديد النون، و«هذان» في (طه) و(الحج) و«هاتين» في  
(القصص): «إحدى ابنتي هاتين» و«فذانك» كله بتشديد النون. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي،  
بتخفيف ذلك كله، وشدد أبو عمرو «فذانك» وحدها. وقوله: واللذان: يعني: الزانين. وهل هو عام، أم لا، فيه  
قولان: أحدهما: أنه عام في الإيثار والثيب من الرجال والنساء، قاله الحسن، وعطاء. والثاني: أنه خاص في البكرين  
إذا زنيا، قاله أبو صالح، والسدي، وابن زيد، وسفيان. قال القاضي أبو يعلى: والأول أصح، لأن هذا تخصيص بغير  
دلالة.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ يعني الفاحشة. قوله: ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الأذى بالكلام، والتعير، رواه  
أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه التعير، والضرب بالنعال، رواه  
ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. ﴿فَالْتَمِمْ بَابًا فَارًّا﴾ من الفاحشة ﴿وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِيَهَا فَسَبِّحْ لِلَّهِ مَا كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ عن أذاهما. وهذا كله كان  
قبل الحد.

### فصل

كان حد الزانين، فيما تقدم، الأذى لهما، والحبس للمرأة خاصة، فنسخ الحكمان جميعاً، واختلفوا بماذا وقع  
نسخهما، فقال قوم: بحديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن  
سبيلًا، الثيب بالثيب جلد مائة، ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة، ونفي سنة<sup>(٢)</sup>» وهذا على قول من يرى نسخ  
القرآن بالسنة. وقال قوم: نسخ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاصْلُبُوهُمَا كُلٌّ رَجِيمٌ مِّمَّا يَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النور: ٢] قالوا: وكان قوله: ﴿وَالَّذَانِ  
يَأْتِيَنِهَا﴾ للبكرين، فنسخ حكمهما بالجلد، ونسخ حكم الثيب من النساء بالرجم<sup>(٣)</sup>. وقال قوم: يحتمل أن يكون النسخ  
وقع بقرآن، ثم رفع رسمه، وبقي حكمه، لأن في حديث عبادة «قد جعل الله لهن سبيلًا» والظاهر: أنه جعل بوحى لم  
تستقر تلاوته. قال القاضي أبو يعلى: وهذا وجه صحيح، يخرج على قول من لم ينسخ القرآن بالسنة. قال: ويمتنع أن  
يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الأحاد، والنسخ لا يجوز بذلك.

(١) البيت في «مجاز القرآن» ١/ ١٢٥ منسوب إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في «ديوانه».

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٤/ ٨، وابن المنذر، والنحاس في «ناسخه»: ٩٨، والبيهقي في «مسننه» من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس. وعلي بن طلحة  
- كما في «التهذيب» - روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ورواه أبو داود ٢٠٢/ ٤ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سنده علي بن واقد، قال  
المنذري: وفيه مقال.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسنند» ٣١٨/ ٥، والشافعي في «الرسالة» ١٢٩، ٢٤٧، ومسلم في «صحيحه» ١٣١٦/ ٣، وأبو داود ٢٠٢/ ٤ عن عبادة بن  
الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا». البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة  
والرجم» هذا لفظ مسلم.

(٤) قال الإمام الخطابي في «معالم السنن» ٢٤١/ ٦: واختلف العلماء في تنزيل هذا الكلام - يريد الحديث السابق - ووجه ترتبه على الآية، وهل هو ناسخ  
للآية أو مبین لها؟ فذهب بعضهم إلى النسخ، وهذا على قول من يرى نسخ الكتاب بالسنة، وقال آخرون: بل هو مبین للحكم الموعود بيانه في الآية،  
فكانه قال: عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلًا، فوق الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس، وحين وقت مجيء السبيل، قال  
رسول الله ﷺ «خلوا عني تفسير السبيل وبيانه»، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، وإنما هو بيان أمر كان ذكر السبيل منطقياً عليه، فأبان المبهم منه،  
وفصل المجمل من لفظه، فكان نسخ الكتاب بالكتاب لا بالسنة، وهذا أصوب القولين. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّهُ بَشَرٌ خَلَقْنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ». فَأَمَّا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال الحسن: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ». فَأَمَّا «السُّوء»، فهو المعاصي، سمي سوءاً لسوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ قال مجاهد: كل عاصٍ فهو جاهل حين معصيته<sup>(١)</sup>. وقال الحسن، وعطاء، وقتادة، والسدي في آخرين: إِنَّمَا سُمُّوا جَهْلَاءَ لِمَعَاصِيهِمْ، لَا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُمَيِّزِينَ. وقال الزجاج: ليس معنى الآية أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ أَنَّهُ سَوْءٌ، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ أَتَى مَا يَجْهَلُهُ، كَانَ كَمَنْ لَمْ يَوْقِعْ سَوْءاً، وَإِنَّمَا يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ عَمِلُوهُ، وَهَمَّ يَجْهَلُونَ الْمَكْرُوهَ فِيهِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ أَقْدَمُوا عَلَى بَصِيرَةٍ وَعَلِمَ أَنَّ عَاقِبَتَهُ مَكْرُوهَةٌ، وَآثَرُوا الْعَاجِلَ عَلَى الْآجِلِ، فَسَمُوا جَهْلَاءَ، لِإِثَارِهِمُ الْقَلِيلَ عَلَى الرَّاحَةِ الْكَثِيرَةِ، وَالْعَاقِبَةَ الدَّائِمَةَ. وَفِي «الْقُرْبِ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ التَّوْبَةُ فِي الصَّحَّةِ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ السَّيِّدِي، وَابْنُ السَّائِبِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ التَّوْبَةُ قَبْلَ مَعَايِنَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ أَبُو مَجْلَزٍ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي آخِرِينَ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَنْتَ وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ فِي السَّيِّئَاتِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: الشَّرْكَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعُكْرَمَةٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا النِّفَاقُ، قَالَه أَبُو الْعَالِيَةِ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا سَيِّئَاتُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَه سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاحْتِجَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ فِي الْحَضُورِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ السُّوقُ<sup>(٣)</sup>، قَالَه ابْنُ عُمَرَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَعَايِنَةُ الْمَلَائِكَةِ لِقَبْضِ الرُّوحِ، قَالَه أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ. وَقَدْ رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الْآيَةَ [النساء: ١١٦]. فَحَرَّمَ الْمَغْفِرَةَ عَلَى مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً، وَأَرَجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ [فَلَمْ يُؤْسِسْ مِنْ الْمَغْفِرَةِ]<sup>(٤)</sup>. فَعَلَىٰ هَذَا تَكُونُ مَنْسُوخَةٌ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَصُولُوهُنَّ لِنَدِّهِنَّ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَىٰ مُّبِينَةٍ وَعَاصِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا سِتْرًا يَحْمِلُ اللَّهُ بِهِ عَثْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾ سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا مَاتَ، كَانَ أَوْلِيَائِهِ أَحَقُّ بِأَمْرَاتِهِ، إِنْ شَاؤُوا زَوْجَهَا، وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يَزُوجُوهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: كَانُوا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ، قَامَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ، فَيُلْقِي عَلَى أَمْرَاتِهِ تَوْبًا، فَيُرِثُ نِكَاحَهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ إِذَا تَوَفَّى الرَّجُلُ، فَابْنُهُ الْأَكْبَرُ أَحَقُّ بِأَمْرَاتِهِ، فَيَنْكِحُهَا إِنْ شَاءَ، أَوْ يُنْكِحُهَا مَنْ شَاءَ. وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ بْنُ سَهْلٍ بْنُ حَنِيفٍ: لَمَّا تَوَفَّى أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسَلْتِ أَرَادَ ابْنُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَمْرَاتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَزَلَتْ

(١) فِي «الطَّبَرِيِّ» ٨٩/٨ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قَالَ: اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرَادُوا أَنْ كُلَّ شَيْءٍ عَصِي بِهِ، فَهُوَ جَهَالَةٌ عَمْدًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ ٨٩/٨ وَابْنُ الْمُنْذَرِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، أَنَّهُ كَانَ يَحْدِثُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ: كُلُّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ عَبْدٌ فَهُوَ بِجَهَالَةٍ. وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

(٢) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُفْهُ» وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ ٢٥٧/٤، وَصَحَّحَهُ، وَوَقَّافَهُ الذَّهَبِيُّ. وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ مَطْوَلًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَيْلَعَانِيِّ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ١٩٧/١٠: وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ثَقَّةٌ.

(٣) يُقَالُ: حَضَرْتُ فَلَانًا فِي السُّوقِ، وَفِي سِيَاقِ الْمَوْتِ، أَيُ: فِي النِّزْعِ عِنْدَ إِقْبَالِ الْمَوْتِ.

(٤) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٠١/٨ وَالزِّيَادَةُ مِنْهُ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «نَاسَخِهِ»، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

(٥) الْأَثَرُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ١٨٤/٨، ١٨٦ وَلَفْظُهُ: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَائِهِ أَحَقُّ بِأَمْرَاتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزْوِجَهَا، وَإِنْ شَاؤُوا زَوْجَهَا، وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يَزُوجُوهَا، وَهَمَّ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ» وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٠٤/٨، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» ٣١٠/٢.

هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: واسم هذه المرأة: كيشة بنت معن بن عاصم، وكان هذا في العرب. وقال أبو مجلز: كانت الأنصار تفعله. وقال ابن زيد: كان هذا في أهل المدينة. وقال السدي: إنما كان ذلك للأولياء ما لم تسبق المرأة، فتذهب إلى أهلها، فإن ذهبت، فهي أحق بنفسها. وفي معنى قوله: ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قولان: أحدهما: أن تروثوا نكاح النساء، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن تروثوا أموالهن كرهًا. روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: كان يُلقب حميم<sup>(٢)</sup> الميت على الجارية ثوبًا، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت، فيرثها<sup>(٣)</sup>. واختلف القراء في فتح كاف «الكراهة» وضمها في أربعة مواضع: هاهنا، وفي (التوبة) وفي (الأحقاف) في موضعين، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بفتح الكاف فيهن، وضمن حمزة. وقرأ عاصم، وابن عامر بالفتح في (النساء) و(التوبة)، وبالضم في (الأحقاف). وهما لغتان، قد ذكرناهما في (البقرة). وفيمن خوطب بقوله: ﴿وَلَا تَصَلُّوا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه خطاب للأزواج، ثم في العضل الذي نهى عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان يكره صحبة امرأته، ولها عليه مهر، فيحبسها، ويضربها لتفتدي، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن الرجل كان ينكح المرأة الشريفة، فلعلها لا توافق، فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه، ويشهد على ذلك، فإذا خطبت، فأرضته، أذن لها، وإلا عضلها، قاله ابن زيد. والثالث: أنهم كانوا بعد الطلاق يعضلون، كما كانت الجاهلية تفعل، فنهوا عن ذلك، روي عن ابن زيد أيضاً. وقد ذكرنا في (البقرة) أن الرجل كان يطلق المرأة، ثم يراجعها، ثم يطلقها كذلك أبداً إلى غير غاية يقصد إضرارها، حتى نزلت ﴿أَطْلِقُوا مَرْكَاتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والقول الثاني: أنه خطاب للأولياء، ثم في ما نهوا عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كانت له قرابة قريبة، ألقى عليها ثوبه، فلم تتزوج أبداً غيره إلا بإذنه، قاله ابن عباس. والثاني: أن اليتيمة كانت تكون عند الرجل، فيحبسها حتى تموت، أو تتزوج بابه، قاله مجاهد. والثالث: أن الأولياء كانوا يمنعون النساء من التزويج، ليرثوهن، روي عن مجاهد أيضاً. والقول الثالث: أنه خطاب لورثة أزواج النساء الذين قيل لهم: لا يحل لكم أن تروثوا النساء كرهًا. كان الرجل يرث امرأة قريبة، فيعضلها حتى تموت، أو تردّ عليه صداقها. هذا قول ابن عباس في آخرين<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا يكون الكلام متصلاً بالأول، وعلى الأقوال التي قبله يكون ذكر العضل منفصلاً عن قوله: ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾. وفي الفاحشة قولان: أحدهما: أنها النشوز على الزوج، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة في جماعة. والثاني: الزنى، قاله الحسن، وعطاء، وعكرمة في جماعة. وقد روى معمر، عن عطاء الخراساني، قال: كانت المرأة إذا أصابت فاحشة، أخذ زوجها ما ساق إليها، وأخرجها، ففسخ ذلك بالحد. قال ابن جرير: وهذا القول ليس بصحيح، لأن الحد حق الله، والافتداء حق للزوج، وليس أحدهما مبطلاً للآخر، والصحيح: أنها إذا أتت بأي فاحشة كانت، من زنى الفرج، أو بذاء اللسان، جاز له أن يعضلها، ويُصَبِّقَ عليها حتى تفتدي<sup>(٥)</sup>. فأما قوله: ﴿مُتَبِّعَةً﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو بكر، عن عاصم: «مُتَبِّعَةٌ»، و«آيَاتِ مَبْنَاتٍ» بفتح الياء فيهما جميعاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص، عن عاصم: بكسر الياء فيهما، وقرأ نافع، وأبو عمرو «مَبْنَةٌ» كسراً و«آيَاتِ مَبْنَاتٍ» فتحاً. وقد سبق ذكر «العشرة».

(١) أخرجه ابن جرير ١٠٥/٨ وابن مردويه، ورجال إسناده ثقات. (٢) الحميم: القريب الذي توده ويودك، وتهتم لأمره.

(٣) في الأصل «دميمة» وما أثبتناه هو الصواب، والخبر رواه ابن جرير ١٠٩/٨.

(٤) اختار الإمام أبو جعفر الطبري في «تفسيره» ١١٣/٨ القول الأول فقال بعد أن ذكر أقوال السلف في الآية: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَصَلُّوا﴾ يَتَّبِعُونَ بِمَعْنَى مَا «يَتَّبِعُونَ» قول من قال: نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التضييق عليها، والإضرار بها، وهو لصحتها كاره ولزواجها محب، لتفتدي منه بعض ما آتاها من الصداق. وإنا قلنا: ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلا لأحد رجلين: إما لزوجه بالتضييق عليها، وحبسها على نفسه وهو لها كاره، مضارة منه لها بذلك، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك، أو لوليها الذي إليه إنكاحها، وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما، وكان الولي معلوماً أنه ليس مما آتاها شيئاً، فيقال: إن عضلها عن النكاح: «عضلها ليلذّب بعض ما آتاها» كان معلوماً أن الذي عن الله تبارك وتعالى ينهي عن عضلها، هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضرراً لتفتدي منه.

(٥) قال أبو جعفر: فمعنى الآية: ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم، فتضيقوا عليهن، وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لتذهبوا بعض ما آتيتوهن من صدقاتكم، إلا أن آتيتن بفاحشة - من زنى، أو بذاء عليكم، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم - مبنية ظاهرة، فيحل لكم حبسهن وعضلهن والتضييق عليهن، لتذهبوا بعض ما آتيتوهن من صدقات إن هن أفتدين منكم به.



قوله تعالى: ﴿فَتَسَوَّى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: ربما رزق الله منهما ولدًا، فجعل الله في ولدها خيراً كثيراً. وقد نذبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونُبِّهت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروه عاد محموداً، ومحمود عاد مذموماً. والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يُحِبُّ<sup>(١)</sup>. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ      وعن بعض ما فيه يَمُتُّ وهو عَاتِبُ  
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ      يجدها ولا يسلم له الذُّهْرَ صَاحِبُ

﴿لَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسْتَيْدَالَ رَزَاقِكُمْ فَغَارَ الرَّجُلُ عَلَى سُوءٍ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسْتَيْدَالَ رَزَاقِكُمْ﴾ هذا الخطاب للرجال. والزوج: المرأة. وقد سبق ذكر «الفنطار» في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ إنما ذلك في حق من وطئها، أو خلا بها، وقد بيَّنت ذلك الآية التي بعدها. قال القاضي أبو يعلى: وإنما خصَّ النهي عن أخذ شيء مما أعطى بحال الاستبدال، وإن كان المنع عاماً، لثلا يظن ظان أنه لما عاد البضع إلى ملكها، وجب أن يسقط حقها من المهر، أو يظن ظان أن الثانية<sup>(٢)</sup> أولى بالمهر منها، لقيامها مقامها. وفي البهتان قولان: أحدهما: أنه الظلم، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: الباطل، قاله الزجاج. ومعنى الكلام: أناخذونه مباهتين آملين.

﴿كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: كيف تستجيزون أخذه. وفي «الإفضاء» قولان: أحدهما: أنه الجماع، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الخلوة بها، وإن لم يغشها، قاله الفراء. وفي المراد بالميثاق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال؛ الإمساك بمعروف، أو التيسير بإحسان. هذا قول ابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه عقد النكاح، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه أمانة الله، قاله الربيع.

﴿لَوْلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بِاتِّبَاعِ الْبَنَاتِ أَلَمْ تَكُونُوا أَقْدَرًا عَلَى مَا قَدْ سَلَفَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بِاتِّبَاعِ الْبَنَاتِ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>: وقال بعض الأنصار: توفي أبو قيس بن الأسلت، فخطب ابنه قيس امرأته، فأنت النبي ﷺ تستأذنه، وقالت: إنما كنت أعده ولداً، فنزلت هذه الآية. قال أبو عمر غلام ثعلب: الذي حصلناه عن ثعلب، عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين، أن «النكاح» في أصل اللغة: اسم للجمع بين الشبيين. وقد سموا الوطء نفسه نكاحاً من غير عقد. قال الأعشى:

وَمِنْكُمْ وَحْدَةٌ غَيْرَ مَمْهُورَةٍ<sup>(٤)</sup>

يعني المسبية الموطوءة بغير مهر ولا عقد. قال القاضي أبو يعلى: قد يطلق النكاح على العقد، قال الله تعالى: ﴿إِذَا تَكَتْهُنَّ أُلْحِقْنَ الْبَنَاتِ رِزْقَهُنَّ ثَلَاثُ أَهْلٍ﴾ [الاحزاب: ٤٩] وهو حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، لأنه اسم للجمع، والجمع إنما يكون بالوطء، فسمي العقد نكاحاً، لأنه سبب إليه.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بِاتِّبَاعِ الْبَنَاتِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها بمعنى: بعد ما قد سلف، فإن الله يغفره، قاله الضحاك، والمفضل. وقال الأخفش: المعنى: لا تنكحوا ما نكح آبائكم، فإنكم تعذبون به، إلا ما قد سلف، فقد وضعه الله عنكم. والثاني: أنها بمعنى: سوى ما قد سلف، قاله الفراء. والثالث: أنها بمعنى: لكن ما قد سلف فدعوه،

(١) في «صحيح مسلم» ١٠٩/٢ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يفرق مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره» والفرك: البفض.

(٢) في النسخة الأحمدية: «الباتنة» وهو خطأ. (٣) أخرجه ابن جرير ١٣٣/٨ وسنده حسن.

(٤) «ديوانه» ص ٧٥ وعجزه: وأخرى يقال له: فادعا. يقول: كم في بيته من سيئة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطلب أهلها أن يفتدوها بالمال.



قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ الربية: بنت امرأة الزوج من غيره. ومعنى الربية: مربوبة، لأن الرجل يربّيها، وخرج الكلام على الأعم من كون التربية في حجر الرجل، لا على الشرط<sup>(١)</sup>. قوله: ﴿وَحَلَلْتُ أَبَائَكُمْ﴾ قال الزجاج: الحلائل: الأزواج. وحليلة: بمعنى مُحَلَّةٌ، وهي مشتقة من الحلال. وقال غيره: سُميت بذلك، لأنها تحل معه أينما كان. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الحليل: الزوج، والحليلة: المرأة، وسُمّيَا بذلك، إما لأنهما يحلان في موضع واحد، أو لأن كل واحد منهما يحال صاحبه، أي: ينزله، أو لأن كل واحد منهما يحل<sup>(٢)</sup> إزار صاحبه. قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ قال عطاء: إنما ذكر الأصلاب، لأجل الأديعاء. والكلام في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَكَلْتُ﴾ على نحو ما تقدم في الآية التي قبلها. وقد زادوا في هذا قولين آخرين: أحدهما: إلا ما قد سلف من أمر يعقوب عليه السلام، لأنه جمع بين أم يوسف وأختها، وهذا مروي عن عطاء، والسدي، وفيه ضعف لوجهين: أحدهما: أن هذا التحريم يتعلق بشريعتنا، وليس كل الشرائع تتفق، ولا وجه للعفو عنا فيما فعله غيرنا. والثاني: أنه لو طولب قائل هذا بتصحيح نقله، لَعُسِرَ عليه. والقول الثاني: أن تكون فائدة هذا الاستثناء أن العقود المتقدمة على الأختين لا تنفسخ، ويكون للإنسان أن يختار إحداهما، ومنه حديث فيروز الديلمي قال: أسلمت وعندي أختان، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «طلق إحداهما» ذكره القاضي أبو يعلى<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَاعُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاقْوَهِنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا زَوَّجْتُمْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أما سبب نزولها، فروى أبو سعيد الخدري قال: أصبنا سبایا يوم أوطاس لهن أزواج، فكرهنا أن نفع عليهن، فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فاستحللناهن<sup>(٤)</sup>. وأما خلاف الفقهاء، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة بفتح الصاد في كل القرآن، وفتح الكسائي الصاد في هذه وحدها، وقرأ سائر القرآن بالكسر، والمحصنات: ومحصنات. قال ابن قتيبة: والإحصان: أن يحمي الشيء، ويمنع منه، فالمحصنات [من النساء]: ذوات الأزواج، لأن الأزواج أحصنوهن، ومنعوا منهن. [قال الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾] والمحصنات: الحرائر وإن لم يكن متزوجات، لأن الحرّة تُحْصَنُ وتُحْصِنُ، وليست كالامة، [قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾] [النساء: ٢٥] قال: ﴿فَمَلَّتَيْنِ يَصِفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] يعني: الحرائر والمحصنات: العفاف [قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾] [النور: ٤] يعني: العفاف. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِينْ أَبْنَتَ عَمْرٍاءَ أَلْفٍ أَحْصَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: ١٢] أي: عفت<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بالمحصنات هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: ذوات الأزواج، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وابن جبير، والنخعي، وابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: العفاف: فإنهن حرام على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبي العالية، وعطاء، وعبيدة، والسدي.

(١) قال الإمام الطحاوي: وإضافتهن إلى الحجور إنما ذلك على الأغلب مما يكون عليه الرقاب، لا أنهم لا يحرمن إذ لم يكن كذلك.

(٢) في نسخة الأحمديّة «محل» وكذلك جاءت في «اللسان».

(٣) رواه الإمام أحمد ٢٢٢/٤ وأبو داود ١٥٨/٣ والترمذي ٤٣٦/٣ وابن ماجه ٦٢٧/١ عن الضحاک بن فیرز عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، إني أسلمت وتحتي أختان! قال: «طلق أيتهما شئت» ولفظ الترمذي: «اختر أيتهما شئت» وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٢٠٥/٣: وفي سنده مقال، فإنه من رواية ابن لهيعة عن أبي وهب. وقال ابن القيم في «تهذيب السنن» ١٥٨/٣: هذا الحديث يرويه أبو وهب الجشاني عن الضحاک بن فیرز عن أبيه، قال البخاري: في إسناد هذا الحديث نظر، وجه قوله: إن أبا وهب والضحاک مجهول حالهما، وفي يحيى بن أبوب: ضعيف. وقال الشوكاني: حديث الضحاک أخرجه أيضاً الشافعي، وصححه ابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، وحسنه الترمذي، وأعله البخاري والعقيلي.

وفیرز الديلمي راوي هذا الحديث، كان من جملة الأمراء باليمن الذين لولا قتل الأسود العنسي لعمه الله.

(٤) المسند ٧١/٣، ومسلم ١٠٧٩/٢، والترمذي ٨٦/٤، وأبو داود ٣٣٢/٢، والنسائي ١١٠/٦، والبيهقي ١٦٧/٧.

(٥) فمشكل القرآن ٣٩١، وما بين معقنين منه.

والثالث: الحرائر، فالمعنى: أنهن حرام بعد الأربع اللواتي دُكرْنَ في أول السورة، روي عن ابن عباس، وعبيدة. فعلى القول الأول في معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب، وعلى هذا تأوَّل الآية علي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عباس، وكان هؤلاء لا يرون بيع الأمة طلاقاً. والثاني: إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء ذوات الأزواج، بسبي أو غير سبي، وعلى هذا تأوَّل الآية ابن مسعود، وأبي بن كعب، وجابر، وأنس، وكان هؤلاء يرون بيع الأمة طلاقاً. وقد ذكر ابن جرير، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن أنهم قالوا: بيع الأمة طلاقها، والأول أصح، لأن النبي ﷺ خيَّر بريرة إذ أعتقها عائشة، بين المقام مع زوجها الذي زوّجها منه سادتها في حال رقها، وبين فراقه، ولم يجعل النبي ﷺ عتق عائشة إياها طلاقاً، ولو كان طلاقاً لم يكن لتخييره إياها معنى. ويدل على صحة القول الأول ما ذكرناه من سبب نزول الآية<sup>(١)</sup>. وعلى القول الثاني: العفاف حرام إلا بملك، والملك يكون عقدًا، ويكون ملك يمين. وعلى القول الثالث: الحرائر حرام بعد الأربع إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء، فإنهن لم يُحصَرْنَ بعد.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التوكيد، محمول على المعنى، لأن معنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَهْلُكُمْ﴾: كتب الله عليكم هذا كتاباً، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر، ويكون «عليكم» مفسراً له، فيكون المعنى: الزموا كتاب الله. قال: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ أي: ما بعد هذه الأشياء، إلا أن السنة قد حرمت تزويج المرأة على عمتها، وتزويجها على خالتها<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «كتب الله عليكم» بفتح الكاف، والياء، من غير ألف، ورفع الهاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: وأحل بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الألف.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصص له نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، أو على خالتها. وليس هذا على سبيل النسخ. وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَنكِحُوا أَبْنَاءَكُمْ﴾ أي: تطلبوا إنا بصدّق في نكاح، أو ثمن في ملك ﴿تَحْصِينَ﴾ قال ابن قتيبة: متزوّجين، وقال الزجاج: عاقدين التزويج، وقال غيرهما: متعقّفين غير زانين. والسفاح: الزنى، قال ابن قتيبة: أصله من سفحت القرية: إذا صببته، فسمي الزنى سفاحاً، لأنه [يسافح] يصب النطفة، وتصب المرأة النطفة. وقال ابن فارس: السفاح: صب الماء بلا عقد، ولا نكاح، فهو كالشيء يسفح ضياعاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستمتاع في النكاح بالمهور، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه الاستمتاع إلى أجل مُسمًّى من غير عقد نكاح. وقد روي عن

(١) قال ابن كثير: ٤٧٤/١: وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً من زوجها، أخذوا بعموم هذه الآية، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فأروا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها، لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة، وباعها مسلوقة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخزومي «الصحيجين» وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقها، ولم ينسخ نكاحها من زوجها، فثبت، بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقاً كما قال هؤلاء، ما خيرها النبي ﷺ، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية الميسيات فقط، والله أعلم.

(٢) حديث نهى رسول الله ﷺ أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، رواه البخاري ١٠٧/٢٠، بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٩/٢ وغيرهما عن أبي هريرة.

(٣) والأول هو الصواب، لأن قوله تعالى: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ لَكُمْ﴾ عام مخصوص بمحرمات دلت عليها دلائل أخر، فمن ذلك ما صح عن النبي ﷺ من النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. وقد حكى الترمذي المنع من ذلك عن كافة أهل العلم، وقال: لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك، ومن ذلك نكاح المعتدة، ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك القادر على الحرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك من عنده أربع زوجات لا يجوز له نكاح الخامسة، ومن ذلك الملاعة فإنها محرمة على الملاعن أبداً. فالآية مما نزل عاماً، ودلت السنة ومواضع من التزليل على أنها مخصصة بغيرها.

ابن عباس: أنه كان يفتي بجواز المتعة، ثم رجع عن ذلك وقد تكلف قوم من مفسري القرآن، فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن متعة النساء، وهذا تكلف لا يحتاج إليه، لأن النبي ﷺ أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله<sup>(١)</sup>. وأما الآية، فإنها لم تتضمن جواز المتعة. لأنه تعالى قال فيها: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ عَمَّ مُسْتَفِينِينَ﴾ فدل ذلك على النكاح الصحيح. قال الزجاج: ومعنى قوله: ﴿فَمَا اسْتَفْتَيْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت، وهو قوله: ﴿مُحْصِينَ عَمَّ مُسْتَفِينِينَ﴾ أي: عاقدين التزويج ﴿فَقَاؤُهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ أي: مهورهن. ومن ذهب في الآية إلى غير هذا، فقد أخطأ، وجعل اللغة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَزَقْتُمْ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن معناه: لا جناح عليكم فيما تركته المرأة من صداقها، ووهبه لزوجها، هذا مروى عن ابن عباس، وابن زيد. والثاني: ولا جناح عليكم فيما تراضيت به من مقام، أو فرقة بعد أداء الفريضة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ولا جناح عليكم أيها الأزواج إذا أعسرتم بعد الفرض لنسائكم فيما تراضيت به من أن ينقصكم، أو يبرئكم، قاله أبو سليمان التيمي. والرابع: لا جناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزدنكم في الأجل، وتزيدونهن في الأجر من غير استبراء، قاله السدي، وهو يعود على قصة المتعة. والخامس: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب هو للتي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه. قاله الزجاج. والسادس: أنه عام في الزيادة، والنقصان، والتأخير، والإبراء، قاله القاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْصَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَوِّغَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَرَكَ بِحَسْرَةٍ فَلْتَيْنِ يَفْضُ مَا عَلَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْمَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ «الطول» الغنى والسعة في قول الجماعة. و«المحصنات»: الحرائر. قال-

(١) عامة فقهاء الأصمبار، وجماهير السلف والخلف على تحريم المتعة، وأنها منسوخة بعد الترخيص بها، وقد ثبت النسخ من حديث جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أخرج مسلم ١٠٢٥/٢ من حديث سيرة الجهنبي أنه كان مع رسول الله ﷺ، فبا أيها الناس إني قد كنت أفتت في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة وفي لفظ له قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها.

وفي البخاري ١١١/٢٠ يشرح العيني، ومسلم ١٠٢٧/٢ والترمذي ١٣٣/١، وابن ماجه ٦٣٠/١ عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وروى مسلم ١٠٢٣/٢ عن سلمة بن الأكوع قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها.

وأخرج ابن ماجه ٦٣١/١ عن ابن عمر قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها، والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجسته بالحجارة. قال الحافظ في «التلخيص» ٢٩٤/٢: إسناد صحيح.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند قوي كما قال الحافظ من طريق إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم قال: أتني ابن عمر فقلت له: إن ابن عباس يأمركم بنكاح المتعة، قال: معاذ الله ما أظن ابن عباس يفعل هذا، فقلت: بلى، قال: وهل كان ابن عباس على عهد رسول الله ﷺ إلا غلاماً صغيراً، ثم قال ابن عمر: نهانا عنها رسول الله ﷺ وما كنا مسافعين. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٦٥/٤، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» رجاله رجال الصحيح، خلا المعافى بن سليمان وهو ثقة.

وروى الدارقطني في «سننه» ٢٩٨/٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: حرم أو هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. قال الحافظ في «التلخيص»: وإسناده حسن، وله شاهد صحيح أخرجه البيهقي في «السنن» ٢٠٧/٧ عن سعيد بن المسيب. وقال الشوكاني في «نبيل الأوطار» ٦/٢٧٤: ونحن متمسكون بما بلغنا عن الشارع، وقد صح لنا عنه التحريم المؤبد، ومخالفة طائفة من الصحابة له غير قاذحة في حجيته، ولا قائمة لنا بالمعذرة عن العمل به، كيف والجمهور من الصحابة قد حفظوا التحريم، وعملوا به، ورووه لنا.

(٢) قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر أقوال السلف والعلماء: ١٨١/٨: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم أيها الناس فيما تراضيت به أنفسكم ونسائكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حط ما وجب لهن عليكم أو إبراء أو تأخير ووضع، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَدَقِّقُوا فِيهَا فَإِنَّ طَيْنَ لَكُمْ عَنْ قَوْمِ نَبَتْ فَكَا لَكُمْ فِيهَا نَبَاتٌ﴾ [النساء: ٤]. فأما الذي قاله السدي، فقول له معنى له، لفساد القول: بإحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين.

الزجاج: والمعنى: من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان طَولاً على فلان، أي: كان له فضل عليه في القدرة. والمراد بالفتيات هاهنا: المملوكات، يقال للأمة: فتاة، وللعبد: فتى، وقد سُمّي بهذا الاسم من ليس بمملوك. قرأت على شيخنا الإمام أبي منصور اللغوي قال: المتفتية: الفتاة والمراقة، ويقال للجارية الحادثة: فتاة، وللغلام: فتى. قال القتيبي: وليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال<sup>(١)</sup>. فأما ذكر الإيمان، فشرط في إياحتهن، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية، هذا قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: يجوز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض<sup>(٢)</sup>. قال: وفي قوله: ﴿يَقْضِيكُمْ تِلْكَ بِعَيْنٍ﴾ وجهان: أحدهما: أنه أراد النسب، أي: كلكم ولد آدم. ويجوز أن يكون معناه: دينكم واحد، لأنه ذكر هاهنا المؤمنات. وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب، وتُسَمَّى ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله ﷻ أن أمر العبيد وغيرهم مستو في باب الإيمان، وإنما كُره التزويج بالأمة، وحُرِّمَ إذا وَجَدَ إلى الحرة سبيلاً، لأن وَلَدَ الأمة من الحرة يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة ممتحنة في عشرة الرجال، وذلك يشق على الزوج. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: كلكم بنو آدم، فلا يتداخلكم شُموخ وأنفة من تزوج الإمام عند الضرورة. وقال ابن جرير: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ومن لم يستطع منكم طَولاً أن ينكح المحصنات [المؤمنات]، فليُنكح بعضكم من بعض، أي: لينكح هذا فتاة هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: الإمام ﴿يَاذَنْ أَهْلَهُنَّ﴾، أي: سادتهن. و«الأجور»: المهور. وفي قوله: ﴿وَالْمَعْرُوفُ﴾ قولان: أحدهما: أنه مقدم في المعنى، فتقديره: انكحوهن إذاذن أهلهن بالمعروف، أي: بالنكاح الصحيح: ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾. والثاني: أن المعنى: وآتوهن أجورهن بالمعروف، كمهور أمثالهن. قال ابن عباس: «محصنات»: عفاف غير زواني ﴿وَلَا مَخْذَاتٍ أَخَذْنَ﴾ يعني: أخلاء، كان الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى، ويستحلون ما خفي. وقال في رواية أخرى: «المسافحات»: المعلنات بالزنى. و«المتخذات أخذان»: ذات الخليل الواحد. وقال غيره: كانت المرأة تتخذ صديقاً تزني معه، ولا تزني مع غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أحصن» مضمومة الألف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: بفتح الألف، والصاد. قال ابن جرير: من قرأ بالفتح، أراد: أسلمن، فصرن ممنوعات الفروج عن الحرام بالإسلام، ومن قرأ بالضم، أراد: فإذا تزوجن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج. فأما «الفاحشة»، فهي الزنى، و«المحصنات»: الحرائر، و«العذاب»: الحد. قال القاضي أبو يعلى: وليس الإسلام والتزويج شرطاً في إيجاب الحد على الأمة، بل يجب وإن عُدِمَا، وإنما شرط الإحصان في الحد، لئلا يتوهم متوهم أن عليها نصف ما على الحرة إذا لم تكن محصنة، وعليها مثل ما على الحرة إذا كانت محصنة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى إباحة تزويج الإمام. وفي «العنت» خمسة أقوال: أحدها: أنه الزنى، قاله ابن

(١) وتام كلام ابن قتيبة كما في «اللسان»: مادة: فتى: يدل على ذلك قول الشاعر:

إِنَّ الْفَتَى حُمْلٌ كُلُّ مَلْمُوءَةٍ

وقال ابن هرمة:

قَدْ يَدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِثَاوَهُ

وقال الأسود بن يعفر:

يَا بَعْدَ زَيْدٍ فِي فَتَاؤِ فَرَقُوا

فِي آلِ غَرْفٍ لَوْ بَغِيَتْ لِي الْأُمَى

فَتَحَبَّرُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ لِعَمْرُومٍ

قَتَلُوا وَنَفْسِيأً بِعَمْدٍ حَسَنٍ تَأَدَّى

لَوَجَدْتِ فِيهِمْ أُمُوءَ الْفُجْدَادِ

وَيَزِيدُ وَإِنْهُمْ عَلَى الرُّثَادِ

(٢) في «البحر المحيط» ٢٢١/٣: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ لما خاطب المؤمنين بالحكم الذي ذكره من تجوز نكاح عادم طول الحرة المؤمنة للأمة المؤمنة، نبه على أن الإيمان هو وصف باطن، وأن المطلق عليه هو الله، فالمعنى: أنه لا يشترط في إيمان الفتيات أن يكونوا عالمين بذلك العلم اليقيني، لأن ذلك إنما هو الله تعالى، فيكفي من الإيمان منتهن إظهاره، فمن كانت مظاهرة للإيمان فنكاحها صحيح.

عباس، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنه الهلاك، ذكره أبو عبيدة، والزجاج. والثالث: لقاء المشقة في محبة الأمة، حكاه الزجاج. والرابع: أن العنت هاهنا: الإثم. والخامس: أنه العقوبة التي تعنته، وهي الحد، ذكرهما ابن جرير الطبري<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على إباحة نكاح الإمام المؤمنات بشرطين: أحدهما: عدم طول الحرية. والثاني: خوف الزنى، وهذا قول ابن عباس، والشعبي، وابن جبير، ومسروق، ومكحول، وأحمد، ومالك، والشافعي. وقد روي عن علي، والحسن، وابن المسيب، ومجاهد، والزهري، قالوا: ينكح الأمة، وإن كان موسراً، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس والجماعة: عن نكاح الإمام، وإنما ندب إلى الصبر عنه، لاسترقاق الأولاد.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ سُنُنَ الْكُوفِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ﴾ اللام بمعنى «أن» وهذا مذهب جماعة من أهل العربية، واختاره ابن جرير، ومثله ﴿وَأَمَرْتُ لِعُقُولٍ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿وَأَمَرْنَا لِسُلَيْمٍ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف: ٨]. والبيان من الله تعالى بالنص تارة، وبدلالة النص أخرى. قال الزجاج: «والسُنُنُ»: الطُّرُق، فالمعنى يدلكم على طاعته، كما دل الأنبياء وتابعيهم. وقال غيره: معنى الكلام: يريد الله لِيُذْهِبَ لَكُمْ سُنُنَ مِنْ قَبْلِكُمْ من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل وتجيئوا الحق، ويهديكم إلى الحق.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبَيِّلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: يريد أن يدلكم على ما يكون سبباً لتوبتكم. وفي الذين اتبعوا الشهوات أربعة أقوال: أحدها: أنهم الزناة، قاله مجاهد، ومقاتل، والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم اليهود خاصة، ذكره ابن جرير. والرابع: أهل الباطل، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُبَيِّلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عن الحق بالمعصية.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ التخفيف: تسهيل التكليف، أو إزالة بعضه. قال ابن جرير: والمعنى: يريد أن يُيسِّرَ لكم بإذنه في نكاح الفتيات المؤمنات لمن لم يستطع طولاً لحره. وفي المراد بضعف الإنسان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة. قال الحسن: هو أنه خُلِقَ من ماء مهين. والثاني: أنه قلة الصبر عن النساء، قاله طاووس، ومقاتل. والثالث: أنه ضعف العزم عن قهر الهوى، وهذا قول الزجاج، وابن كيسان.

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هُمْ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْزَةً عَنْ تَرَضٍ زَيْنِكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل: ما لا يحل في الشرع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْزَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «تجارة» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بالنصب، وقد بينا العلة في آخر (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره، وأن الله حرم على العبد قتل نفسه، وهذا الظاهر<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضاً، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقادة، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثالث: أن المعنى: لا تكلفوا أنفسكم عملاً ربماً أدى إلى قتلها وإن

(١) قال الطبري: والصواب من القول في قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الصَّغِيرَ﴾ أن الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الصَّغِيرَ﴾ ذلك لمن خاف منكم ضرراً في دينه ويدنه.

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٣/١٨٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته بيده يجرها بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسهم فسهمة بيده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن توفى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» ورواه البخاري ١١/١٠١ ومسلم ١٠٣/١ وغيرهما.

كان فرضاً، وعلى هذا تأولها عمرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جنباً في ليلة باردة، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال له: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فقال: يا رسول الله إني احتلمتُ في ليلة باردة، وأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فضحك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظها، فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض. والخامس: لا تقتلوا بارتكاب المعاصي.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتل النفس، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه عائد إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هاهنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: قتل النفس، وأكل الأموال بالباطل، قاله مقاتل.

﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَهُ مَا تَهْتُونَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَهُ مَا تَهْتُونَ عَنْهُ﴾ اجتناب الشيء: تركه جانباً. وفي الكبائر أحد عشر قولاً: أحدها: أنها سبع، فروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٢)</sup>. وقد روي هذا الحديث من طريق آخر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر سبع، الإشراك بالله أولهن، وقتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بداراً أن يكبروا، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات، وانقلاب إلى أعرابية بعد هجرة»<sup>(٣)</sup>. وروي عن علي عليه السلام قال: هي سبع، فعذ هذه<sup>(٤)</sup>. وروي عن عطاء أنه قال: هي سبع، وعدّ هذه، إلا أنه ذكر مكان الإشراك

(١) رواه الإمام أحمد في «المستدرك» ٢٠٣/٤، وأبو داود ١٤١/١، ورواه البخاري تعليقاً ٣٨٥/١، قال الحافظ ابن حجر: هذا التعليق وصله أبو داود والحاكم من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعتني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. ورواه أيضاً من طريق عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب، لكن زادا بين عبد الرحمن بن جبير وعمرو بن العاص رجلاً، وهو أبو قيس مولى عمرو بن العاص، وقال في القصة: «فغسل مغابته وتوضأ» وقال فيه: «لو اغتسلت مت» وذكر أبو داود أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية هذه القصة فقال فيها: تيمم. ورواه عبد الرزاق من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يذكر التيمم. والسياق الأول أليق بمراد المصنف - يعني البخاري - وإسناده قوي، لكنه علقه بصيغة التمرض، لكونه اختصره. وقال البيهقي: يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثم تيمم عن الباقي، وقال النووي: وهو متعين.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٥٨/٢: اختلفت الرواية عنه، فروى عنه فيها أنه غسل مغابته، وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم، ولم يذكر التيمم، وكان هذه الرواية أقوى من رواية التيمم. قال عبد الحق الإشبيلي: وقد ذكرها وذكر رواية التيمم قبلها - ثم قال: وهذا أوصل من الأول، لأنه عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن عمرو، والأولى التي فيها التيمم من رواية عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا قيس.

(٢) البخاري ٢٩٤/٥، ١٦٠/١٢، ومسلم ٩٢/١ والموبقات: المهلكات، قال المهلب: سميت بذلك، لأنها سبب لإهلاك مرتكبيها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر ١٦٠/١٢: المراد بالموبقة - يريد حديث البخاري «اجتنبوا السبع الموبقات» - هنا الكبيرة، كما ثبت في حديث أبي هريرة من وجه آخر أخرجه الزوار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «الكبائر الشرك بالله وقتل النفس... الحديث مثل رواية أبي الفيث إلا أنه ذكر بدل «السحر» «الانتقال إلى الأعرابية بعد الهجرة».

قلت: ومعنى هذه الجملة: الرجوع إلى سكنى البادية كالأعراب.

(٤) رواه ابن جرير ٢٣٥/٨، ولفظه: عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة، وعلي يخطب الناس على المنبر، فقال: يا أيها الناس إن الكبائر سبع، فأصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: ألا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت لأبي: يا أبا ما التعرب بعد الهجرة؟ كيف لحق هاهنا؟ فقال: يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيل، وجوب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان!! ورواه ابن مردويه مرفوعاً، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، ورفعه غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير.



والتعرب شهادة الزور وعقوق الوالدين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تسع، روى عبيد بن عمير، عن أبيه، وكان من الصحابة، عن النبي ﷺ أنه سئل ما الكبائر؟ فقال: «تسع، أعظمهن الإشراك بالله، وقتل نفس المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والسحر، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً<sup>(٢)</sup>». والثالث: أنها أربع، روى البخاري، ومسلم في «الصحاحين» من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر؛ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»<sup>(٣)</sup>. وروى أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عنها، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين» وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو شهادة الزور»<sup>(٤)</sup>. وروى عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربع: الإشراك بالله، والأمن لمكر الله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله<sup>(٥)</sup>. وعن عكرمة نحوه. والرابع: أنها ثلاث، فروى عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فاحتف - قال: والزور»<sup>(٦)</sup>. وروى البخاري، ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس - فقال: وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. وأخرجنا في «الصحاحين» من حديث ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله تعالى نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم منك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»<sup>(٧)</sup>. والخامس: أنها مذكورة من أول السورة إلى هذه الآية، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والسادس: أنها إحدى عشرة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر، والخيانة. روى عن ابن مسعود أيضاً. والسابع: أنها كل ذنب يختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثامن: أنها كل ما أوجب الله عليه النار في الآخرة، والحد في الدنيا، روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والتاسع: أنها كل ما عصي الله به، روى عن ابن عباس، وعبيدة، وهو قول ضعيف. والعاشر: أنها كل ذنب أوعده الله عليه النار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك في رواية، والزجاج. والحادي عشر: أنها ثمان: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة، والزنا، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، واقتطاع الرجل يمينه وعهده ثمناً قليلاً. رواه مخرز، عن الحسن البصري<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٨/٨.

(٢) رواه الحاكم مطولاً ٥٩١/٤، ٢٥٩/٤، وقال: قد احتجنا برواية هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي، وابنه عبيد مفتق على إخراجهم والاحتجاج به. وتعبه الذهبي في «مختصره» بأنهما لم يحتجا بعبد الحميد لجهالته، وثقته ابن حبان. ورواه أبو داود ١٥٧/٣، والنسائي ٨٩٠/٧، وذكره ابن كثير ٤٨١/١ عن رواية الحاكم، ثم قال: هكذا رواه الحاكم مطولاً، وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هانئ به، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم: رجاله كلهم محتج بهم في «الصحاحين» إلا عبد الحميد بن سنان، قلت: وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال البخاري: في حديثه نظر.

(٣) البخاري ٤٨٢/١١، ولئن نجده في مسلم من رواية عبد الله بن عمرو، وإنما هو في من رواية أنس بن مالك، وفيه «قول الزور» مكان قوله «واليمين الغموس» وزواه الإمام أحمد في «المسند» ١١٢/١١، وذكره ابن كثير ٤٨٣/١ من رواية «المسند» ونسبه للبخاري، والترمذي، والنسائي. واليمين الغموس: قال ابن الأثير في «النهاية»: هي اليمين الكاذبة الفاجرة، كالتى يقطع بها الحالف مال غيره، سميت غموساً، لأنها تنفس صاحبها في الإنم، ثم في النار، «وفعول» للمبالغة. وفي «عمدة القاري» ١٩٣/٢٣: قال ابن عبد البر: أكثر أهل العلم لا يرون في الغموس كفارة، ونقله ابن بطال أيضاً عن جمهور العلماء، وبه قال النخعي، والحسن البصري، ومالك ومن تبعه من أهل المدينة، والأوزاعي في أهل الشام، والثوري وسائر أهل الكوفة، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأصحاب الحديث. وقال الشافعي: فيها الكفارة، وبه قال طائفة من التابعين.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» ١٣١/٣، والبخاري ٣٤٥/١٠، ومسلم ٩٢/١.

(٥) خبر ابن مسعود ساقه الطبري من طرق كثيرة، وقال ابن كثير: هو صحيح إليه بلا شك.

(٦) رواه البخاري في «الأدب المفرد» ١٠١/١ وزاد الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦١/١٢ نسبته إلى البيهقي، والطبراني وقال: سنه حسن.

(٧) البخاري ٤١٣/١٣، ومسلم ٩٠/١، والحليلة: الزوجة، سميت بذلك لكونها تحل للزوج، وقيل: لكونها تحل معه.

(٨) قال أبو جعفر الطبري: وأولى ما قيل في تأويل «الكبائر» بالصحة، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً -

قوله تعالى: ﴿تَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ روى المفضل، عن عاصم: «يكفر» ويدخلكم» بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون فيهما، وقرأ نافع، وأبان عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر، عن عاصم: «مدخلًا» بفتح الميم هاهنا، وفي (الحج) وضم الباقون «الميم»، ولم يختلفوا في ضم «ميم» ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] قال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون «المدخل» مصدرًا، ويجوز أن يكون مكانًا، سواء فتح، أو ضم. قال السدي: السيات هاهنا: هي الصغائر. والمدخل الكريم: الجنة. قال ابن قتيبة: والكريم: بمعنى: الشريف.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَاسْتَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكِلُ شَيْءًا عَليَمَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله: يغزو الرجال، ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن النساء قلن: وددن أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه لما نزل ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ عَلَى آلِهِمْ يَتِمَّنَّ﴾ قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا، كما فضلنا عليهن في الميراث، وقال النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، والسدي<sup>(٣)</sup>. وفي معنى هذا التمني قولان: أحدهما: أن يتمنى الرجل مال غيره، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتمنى النساء أن يكن رجالاً. وقد روي عن أم سلمة أنها قالت: يا ليتنا كنا رجالاً، فنزلت هذه الآية. وللتمني وجوه: أحدها: أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويوزل عن الغير، فهذا الحسد. والثاني: أن يتمنى مثل ما لغيره، ولا يحب زواله عن الغير، فهذا هو الغبطة<sup>(٤)</sup> وربما لم يكن نيل ذلك مصلحة في حق المتمنى. قال الحسن: لا تمنّ مال فلان، ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال؟ والثالث: أن

من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالع في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦٣/١٢: ومن أحسن التعاريف، أي: تعريف الكبيرة قول القرطبي في «المفهم»: كل ذنب أطلق عليه نص كتاب أو سنة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخير في بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد التكرار عليه؛ فهو كبيرة. وعلى هذا ينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد، أو اللعن، أو الفسق، من القرآن، أو الأحاديث الصحيحة والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك، عرف منه تحرير عددها. وقال الذهبي في أوائل كتاب «الكبائر»: والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئاً من هذه العظام مما فيه حد في الدنيا، كالقتل، والزنى، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبيا محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض، ألا ترى أنه ﷺ عُدَّ الشرك بالله من الكبائر؟ مع أن مركبه مغل في النار، ولا يفر له أبداً. وقال الحافظ ١٦٢/١٢ بعد أن جمع كثيراً من الأحاديث في بيان الكبائر: فهذا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريح بأنه من الكبائر، أو من أكبر الكبائر صحيحاً وضيعاً مرفوعاً وموقوفاً، وقد تتبعته غاية تتبع وفي بعضه ما ورد خاصاً ويدخل في عموم غيره، ثم قال: والمعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعاً بغير تداعل من وجه صحيح، وهي السبعة المذكورة في حديث الباب - يعني حديث «اجتنبوا السبع الموبقات» والانتقال عن الهجرة والزنى والسرقة والعقوق واليمين القموس والإلحاد في الحرم وشرب الخمر، وشهادة الزور، والنميمة، وترك التنزه من البول، والغلول ونكت الصفقة وفراق الجماعة، فذلك عشرون خصلة، وتفاوت مراتبها، والمجمع على عدم من ذلك أقوى من المختلف فيه إلا ما عضده القرآن أو الإجماع فيلتحق بما فوقه.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٣٢٢/٦، والترمذي ١٢٧/٢، والحاكم ٢٠٥/٢، عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد عن أم سلمة، ووافقه الذهبي على تصحيحه، قال الشيخ أحمد شاكر: وأما حكم الترمذي في روايته من طريق ابن عيينة بأنه حديث مرسل، فإنه جزم بلا دليل، ومجاهد أدرك أم سلمة يتيماً وعاصرها، فإنه ولد سنة ٢١، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ على اليقين، والمعاصرة من الراوي الثقة تحمل على الاتصال إلا أن يكون الراوي مدلساً، ولم يزعم أحد أن مجاهداً مدلس إلا كلمة قالها القطب الحلبي في «شرح البخاري» حكاهما عنه الحافظ في «التهذيب» ٤٤/١٠، ثم عقب عليها بقوله: ولم أر من نسب إلى التدليس. وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٤/٦ رداً على من زعم أن مجاهداً لم يسمع من عبد الله بن عمرو: لكن سماع مجاهد من عبد الله بن عمرو ثابت وليس بمدلس.

(٢) في «الدر الثموري»: أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن عكرمة.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٦٤/٨، وابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) قال ابن كثير: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية، قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في صحيح البخاري ٦٥/٩ «لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكه في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل مال فلان لعلمت مثله» فإن هذا شيء غير ما نهى عنه الآية، وذلك أن الحديث حصص على تمنى مثل نعمة هذا، الآية نهت عن تمنى عين نعمة هذا.

تتمنى المرأة أن تكون رجلاً، ونحو هذا مما لا يقع، فليعلم العبد أن الله أعلم بالمصالح، فليرضى بقضاء الله، ولتكن أمانه الزيادة من عمل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِرَجَالٍ نَّصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد بهذا الاكتساب: الميراث، وهو قول ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه الثواب والعقاب. فالمعنى: أن المرأة ثابا كثواب الرجل، وتأثم كإثمه، هذا قول قتادة، وابن السائب، ومقاتل. واحتج على صحته أبو سليمان الدمشقي بأن الميراث لا يحصل بالاكتساب، وبأن الآية نزلت لأجل التمني والفضل.

قوله تعالى: ﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبان، وخلف في اختياره «سَلُّوا اللَّهَ» «فَسَلُّوا اللَّهَ» «فَسَلُّوا اللَّهَ» «وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» وما كان مثله من الأمر المواجه به، وقبله «واو» أو «فاء» فهو غير مهموز عندهم. وكذلك نقل عن أبي جعفر، وشيبة<sup>(١)</sup>. وقرأ الباقون بالهمز في ذلك كله، ولم يختلفوا في قوله: ﴿وَلَسْتُمْ لَهُمْ آفَاقًا﴾ [الممتحنة: ١٠] أنه مهموز. وفي المراد بالفضل قولان: أحدهما: أن الفضل: الطاعة، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه الرزق، قاله ابن السائب، فيكون المعنى: سلوا الله ما تتمنون من النعم، ولا تتمنوا مال غيركم.

﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم بِنَصِيحِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الموالى: الأولياء، وهم الورثة من العصبية وغيرهم. ومعنى الآية: لكل إنسان موالى يرثون ما ترك. وارتفاع الوالدين والأقربين على معنيين من الإعراب: أحدهما: أن يكون الرفع على خبر الابتداء، والتقدير: وهم الوالدان والأقربون، ويكون تمام الكلام قوله ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾. والثاني: أن يكون رفعاً على أن الفاعل التارك للمال، فيكون الوالدان، هم المولى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «عاقدت» بالالف، وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «عقدت» بلا ألف. قال أبو علي: من قرأ بالالف، فالتقدير: والذين عاقدتهم أيمانكم، ومن حذف الالف، فالمعنى: عقدت حلفهم أيمانكم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الحلف، كان الرجل يحالف الرجل، فأتيهما مات ورثه الآخر، فنسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وروى عنه عطية قال: كان الرجل يلحق الرجل في الجاهلية، فيكون تابعه، فإذا مات الرجل، صار لأهله الميراث، وبقي تابعه بغير شيء، فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ فأعطي من ميراثه، ثم نزل من بعد ذلك ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ وممن قال هم الحلفاء: سعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنهم الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ، هم المهاجرون والأنصار، كان المهاجرون يورثون الأنصار دون ذوي رحم للأخوة التي عقدها رسول الله ﷺ بينهم. رواه سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وبه قال ابن زيد. والثالث: أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية، هذا قول سعيد بن المسيب. فأما أرباب القول الأول،

(١) في «طبقات القراء» ٣٢٩/١: شيبه بن نصاح بن مرجس بن يعقوب إمام ثقة مفرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيا، ومولى أم سلمة ؓ، مسحت على رأسه، ودعت له بالخير.

(٢) في «الطبري» ٢٧٥/٨ عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم بِنَصِيحِهِمْ﴾ فكان الرجل يعاقد الرجل: أيهما مات ورثه الآخر، فأنزل الله ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في كتبه الله من المؤمنين والمؤمنات ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِنَّ أَرْكَامَكُمْ مَقْرُونَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٦] يقول: إلا أن يوصوا لأولياهم الذين عاقدوا وصية فهو لهم جائز من ثلث مال الميت، وذلك هو المعروف. قلت: وعلي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره، فالخير منقطع.

(٣) أخرجه البخاري ١٨٦/٨، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس، وتام الحديث: فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَمَلًا مِّمَّا تَرَكَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم بِنَصِيحِهِمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.

فقالوا: نسخ حكم الحلفاء الذين كانوا يتعاقدون على النصر والميراث بآخِر (الأنفال)، وإليه ذهب ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والثوري، والأوزاعي، ومالك، وأحمد، والشافعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هذا الحكم باقٍ غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالى المعاقدة. وذهب قوم إلى أن المراد: فاتَّوهم نصيبهم من النصر والنصيحة من غير ميراث، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد. وذهب قوم آخرون إلى أن المعاقدة: إنما كانت في الجاهلية على النصر لا غير، والإسلام لم يُغَيِّر ذلك، وإنما قرَّره، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً»<sup>(١)</sup> أراد: النصر والعون. وهذا قول سعيد بن جبير، وهو يدل على أن الآية محكمة.

﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِمَنْهَجِهِ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْمَكْلُوحُ قَنِينْتُ حَفِظْتُ لِلْقَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ شَوْزَهُمْ فَيُطَوِّدُكُمْ وَأَهْجُرُهُمْ فِي الْمَتَكَاكِجِ وَأَسْرُبُهُمْ فَإِنَّ أَلْمَنَكُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِنَّ سَكِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً لطم زوجته لطمَةً فاستعدت عليه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكر المفسرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري. قال ابن عباس: «قَوْمُونَ» أي: مسلطون على تأديب النساء في الحق. وروى هشام بن محمد، عن أبيه في قوله: ﴿إِنِّي بَالٍ قَوْمُوتٍ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ قال: إذا كانوا رجلاً، وأنشد:

أَكَلْ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا      وَنَارًا تَوْقُدُ بِاللَّيْلِ نَارًا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِمَنْهَجِهِ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: الرجال على النساء، وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل، وتوفير الحظ في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والخلافة، والإمارة، والجهاد، وجعل الطلاق إليه على غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني المهر والنفقة عليهن. وفي «الصالحات» قولان: أحدهما: المحسنات إلى أزواجهن، قاله ابن عباس. والثاني: العاملات بالخير، قاله ابن المبارك. قال ابن عباس: «وَالْقَانِتَاتُ»: المطيعات لله في أزواجهن، و«الحافظات للغيب»، أي: لغيب أزواجهن. وقال عطاء، وقتادة: يحفظن ما غاب عنه الأزواج من الأموال، وما يجب عليهن من صيانة أنفسهن لهن.

قوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ قرأ الجمهور برفع اسم «الله» وفي معنى الكلام على قراءتهم ثلاثة أقوال: أحدها: بحفظ الله إياهن، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. وروى ابن المبارك، عن سفيان، قال: بحفظ الله إياها

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ١٩٦١/٤، والإمام أحمد في «المسند» ٨٣/٤، وأبو داود، وابن جرير، والنسائي، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وإِنَّمَا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً» قال القرطبي في «المفهم»: معنى: لا حلف، لا يتحالف أهل الإسلام كما كان أهل الجاهلية، كانوا يتحالفون، وذلك أن المتحالفين كانوا يتناصرون في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وإن كان ظالماً، ويقوم دونه، ويدفع عنه بكل ممكن حتى يمنع الحقوق، ويصير به على الظلم والفساد، ولما جاء الشرع بالانتصاف من الظالم، وأنه يؤخذ ما عليه من الحق لا يمنعه أحد من ذلك، وحد الحدود، وبين الأحكام؛ أبطل ما كانت الجاهلية عليه من ذلك. قال النووي: وأما المواخاة في الإسلام، والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ، لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: «وَأَمَّا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً» وأما قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام» فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم.

(٢) الخبر في الأصول كلها معزو لابن عباس، وقد بحث في كتب «التفسير» فلم أجد أحداً عزاه إليه، ولا نقله عنه، وقد ذكره ابن جرير ٢٩١/٨ عن الحسن، وابن جريج، والسدي، وفي «الدر المنثور» ١٥١/٢: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير من طريق قتادة عن الحسن. وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق جرير بن حازم، عن الحسن. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ...

(٣) البيت في «سبويه» ٣٣/١، و«الأصمعيات» ص ٢٢١، و«الشعر والشعراء» ١٩٢ و«شواهد المعني» ٤٤٦/٣، و«الخزانة» ١٩١/٤، وهو لأبي ذؤاد الأيادي من قصيدة يصف بها فرساً. وقوله: «فوناراً توقد» هكذا الأصل، وهو موافق لرواية ابن قتيبة. وفي «الأصمعيات» «فوناراً توقد» وهو الموافق لرواية سبويه، و«الخزانة»، والمعني. والبيت شاهد للمطف على معمولي عاملين بتقدير «كل» و«تحسين» قال النحاس: ومن لم يعطف على عاملين رواه «فوناراً» بالنصب.

أن جعلها كذلك. والثاني: بما حفظ الله لهن مهورهن، وإيجاب نفقتهن، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: حافظات للغيب بالشيء الذي يحفظ به أمر الله، حكاه الزجاج. وقرأ أبو جعفر بنصب اسم الله. والمعنى: بحفظهن الله في طاعته.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَاوَضُ وَشُرَكَهُ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الظن لما يبدو من دلائل النشوز، قاله الفراء، وأنشد:

وَمَا خِفْتُ يَا سَلَامُ أَنْكَ عَائِي بِـ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتبية: والنشوز: بغض المرأة للزوج، يقال: تَشَرَّتْ المرأة على زوجها، ونشصت: إذا فركته، ولم تطمئن عنده، وأصل النشوز: الانزعاج<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: أصله من النشز، وهو المكان المرتفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿يُظَرِّمُونَ﴾ قال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب. قال الحسن: يعظها بلسانه، فإن أبت وإلا هجرها. واختلفوا في المراد بالهجر في المضجع على أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الجماع، رواه سعيد بن جبیر، وابن أبي طلحة، والعمري، عن ابن عباس، وبه قال ابن جبیر، ومقاتل. والثاني: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وخصيف عن عكرمة، وبه قال السدي، والثوري. والثالث: أنه قول الهُجْر من الكلام في المضجع، روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة. فيكون المعنى: قولوا لهن في المضجع هُجْراً من القول. والرابع: أنه هجر فراشها، ومضاجعتها. روي عن الحسن، والشعبي، ومجاهد، والنخعي، ومقسم، وقتادة. قال ابن عباس: أهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح. وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره، واللجاج فيه. ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز. قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد. وقال الشافعي: يجوز ضربها في ابتداء النشوز.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني في المضجع ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ أي: فلا تتجن عليها العلل. وقال سفيان بن عيينة: لا تكلفها الحب، لأن قلبها ليس في يدها. وقال ابن جرير: المعنى: فلا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يحل لكم من أبدانهم وأموالهم بالعلل، وذلك أن تقول لها وهي مطيعة لك: لست لي مُحبة، فتضربها، أو تؤذيها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لا تبغوا على أزواجكم، فهو ينتصر لهن منكم. وقال الخطابي: الكبير: الموصوف بالجلال، وكبر الشأن، يصغر دون جلاله كل كبير. ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنْتِكُمْ فَأَنْبِئُوا حُكَمَاءَ أَهْلِكُمْ وَحُكَمَاءَ أَهْلِكُمْ إِنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنْتِكُمْ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه الحذر من وجود ما لا يتيقن وجوده، قاله الزجاج. والثاني: أنه العلم، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: والشقاق: العداوة، واشتقاقه من المتشاقين، كل صنف منهم في شق. وال«الحكم»: هو القيم بما يسند إليه. وفي المأمور بإنفاذ الحكمين قولان: أحدهما: أنه السلطان إذا ترافعا إليه، قاله سعيد بن جبیر، والضحاك. والثاني: الزوجان، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحًا﴾ قال ابن عباس: يعني الحكمين. وفي قوله: ﴿يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ قولان: أحدهما: أنه راجع إلى الحكمين، قاله ابن عباس، وابن جبیر، ومجاهد، وعطاء، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه راجع إلى الزوجين، ذكره بعض المفسرين.

(١) صدره: أتاني كلام عن نُسَيْبٍ يَقُولُهُ. وهو لأبي الخول الطهوي، شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية. والبيت في «الخرائفة» ١٠٩/٣، و«مسقط اللكالي» ٥٧٩، و«معاني القرآن» ١٤٦/١، ٢٦٥، و«نوادير أبي زيد» و«الطبري» ٥٥٠/٤، ٢٩٩/٨.

(٢) في «غريب القرآن» ١٢٦ «إذا تركته... الارتجاع».

## فصل

والحكمان وكيلان للزوجين، ويُعتبر رضا الزوجين فيما يحكما به، هذا قول أحمد، وأبي حنيفة، وأصحابه. وقال مالك، والشافعي: لا يفتقر حكم الحكمين إلى رضا الزوجين<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَشَاةً دَسُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وحّدوه.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ قال الفراء: أغراهم بالإحسان إلى الوالدين.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذي بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الجار المسلم، قاله نوف الشامي. فيكون المعنى: ذي القربى منكم بالإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ روى المفضل، عن عاصم: «والجارِ الْجُنُبِ» بفتح الجيم، وإسكان النون. قال أبو علي: المعنى: والجار ذي الجنب، فحذف المضاف. وفي الجار الجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه جارك عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنه اليهودي والنصراني، قاله نوف الشامي<sup>(٢)</sup>. وفي الصاحب بالجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزوجة، قاله علي، وابن مسعود، والحسن، وإبراهيم النخعي، وابن أبي ليلى. والثاني: أنه الرقيق في السفر، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة. وعن سعيد بن جبيرة كالقولين. والثالث: أنه الرقيق، رواه ابن جريج، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. قال ابن زيد: هو الذي يُلصَقُ بك رجاء خيرك. وقال مقاتل: هو رفيقك حضراً وسفراً. وفي ابن السبيل أقوال قد ذكرناها في (البقرة).

(١) قال ابن جرير ٣٣١/٨: وأي الأمرين كان. فليس لهما - أي للحكمين - ولا لواحد منهما الحكم بينهما بالفرقة، ولا بأخذ مال إلا برضى المحكوم عليه بذلك، وإلا ما لزم من حق لأحد الزوجين على الآخر في حكم الله، وذلك ما لزم الرجل لزوجته من الثقة والإسكاف بمعروف إن كان هو الظالم لها. فاما غير ذلك، فليس ذلك لهما، ولا لأحد من الناس غيرهما، لا السلطان ولا غيره، وذلك أن الزوج إن كان هو الظالم للمرأة فللإمام السبيل إلى أخذه بما يجب لها عليه من حق، وإن كانت المرأة هي الظالمة زوجها الناشئة عليه، فقد أباح الله له أخذ القدية منها، وجعل إليه طلاقها على ما قد بيناه في سورة (البقرة). وإذا كان الأمر كذلك، لم يكن لأحد الفرقة بين رجل وامرأة بغير رضا الزوج، ولا أخذ مال من المرأة بغير رضاها بإعطائه إلا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس. وإن بعث الحكمين السلطان، فلا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة إلا بتوكيل الزوج إياهما بذلك، ولا لهما أن يحكما بأخذ مال من المرأة إلا برضى المرأة.

قلت: وقد تمسك الإمام مالك بلفظ الحكم، فرأى نفاذ حكم الحكمين عليهما في المال والفرقة، بخلاف أبي حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وابن حزم الظاهري وأصحابه، فإنهم يرون جميعاً أن نفاذ حكمهما عليهما متوقف على رضا الزوجين بتحكيمهما من قبل، لأن السياق يعين أن شأن الحكمين السعي في الإصلاح لا التفريق، ولا يعرف في اللغة، ولا في الشريعة: أصلحت بين الزوجين، أي: طلقتهما عليه، كما في «المحلى» ٨٧/١٠ لابن حزم، وقال ابن حزم: ليس في الآية ولا في شيء من السنن أن للحكمين أن يفرقا، ولا أن ذلك للحاكم.

(٢) ذهب ابن جرير الطبري في تفسير معنى «الجنب» في هذا الموضع إلى أنه الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً، وقال: إن «الجنب» في كلام العرب البعيد، كما قال أعشى بني قيس:

أتيت حُرَيْشاً زائراً عابداً  
فكان حُرَيْشٌ فسي عطاشي جامداً

يعني بقوله: «عن جنباً» عن بعد وغربة، ومنه قيل: اجتنب فلان فلاناً: إذا بعد منه وتجنبه، وجنبه خيره: إذا منعه إياه، ومنه قيل للجنب: جنباً، لاعتزاله الصلاة حتى يفتسل. فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، رواه البخاري في «صحيحه» كتاب «الأدب» ومسلم ٢٠٢٥/٤. ومنها ما رواه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ١٦٨، والترمذي ٣/ ١٢٩، والحاكم في «المستدرک» ٤/ ١٦٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ٤/ ٢٠٢٥ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك». وروى البخاري في «صحيحه» كتاب «الرقائق»، ومسلم كتاب «الإيمان»: مرفوعاً «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: المملوكين<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: يدخل فيه الحيوان البهيم. قال ابن عباس: والمختال: البطر في مشيته، والفخور: المفتخر على الناس بكبره. وقال مجاهد: هو الذي يعد ما أعطى، ولا يشكر الله، وقال ابن قتيبة: المختال: ذو الخيلاء والكبر. وقال الزجاج: المختال: الصِّلَفُ التَّيَاهُ الجهول. وإنما ذكر الاختيال هاهنا، لأن المختال يأنف من ذوي قربائه، ومن جيرانه إذا كانوا قراء.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكُفُّونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود. فأما سبب نزولها، فقال ابن عباس: كان كَرْزَمُ بن زيد، [حليف كعب بن الأشرف] وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا يخالطونهم، ويتصحون لهم، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر [فني ذهابها] ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي الذي بخلوا به وأمروا الناس بالبخل به قولان: أحدهما: أنه المال، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه إظهار صفة النبي ﷺ ونبوته، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «بالبخل» خفيفاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «بالبخل» محركاً، وكذلك في سورة (الحديد). وفي الذين آتاهم الله من فضله قولان: أحدهما: أنهم اليهود، أوتوا علم نعت محمد ﷺ فكتموا، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أرباب الأموال بخلوا بها، وكنمو الغنى، ذكره الماوردي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ قال الزجاج: معناه: جعلنا ذلك عتاداً لهم، أي: مثبتاً لهم.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً مِنَ النَّارِ وَلَا يَأْتِرُ الْآخِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَسَاءَ مَا يَكْنِ السَّيِّطُونَ لَكُمْ قَرِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنهم المنافقون، قاله السدي، والزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. والثالث: مشركو مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ، ذكره الثعلبي. والقرين: صاحب المؤالف، وهو فاعيل من الاقتران بين الشيتين. وفي معنى مقارنة الشيطان قولان: أحدهما: مصاحبته في الفعل. والثاني: مصاحبته في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رياء الناس، ولا يؤمنون بالله، لو آمنوا. وفي الإنفاق المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: الزكاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ تهديد لهم على سوء مقاصدهم.

(١) قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس، فلها ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه. قلت: والحديث رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه ٥١٩/١ عن أنس، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في «الزوائد». وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» ورواه النسائي، وإسناده صحيح والله الحمد. وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» رواه مسلم. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «هم إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلِبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» أخرجه.

(٢) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في «سيرته» ٢/٢٠٨، وابن جرير ٨/٣٥٣ عن ابن عباس، وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال الذهبي: لا يعرف. قلت: ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

(٣) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن ذكر الباذين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة، وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي حديث «الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم: العالم والغاوي والمنفق، المرائون بأعمالهم» يقول صاحب المال: ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك، فيقول الله: كذبت إنما أردت أن يقال: جواد فقد قيل، أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا، وهو الذي أردت بفعلك. والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، عن أبي هريرة.



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا قَالَ دَرُّوْا وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا قَالَ دَرُّوْا﴾ قد شرحنا الظلم فيما سلف، وهو مستحيل على الله ﷻ، لأن قوما قالوا: الظلم: تصرف فيما لا يملك، والكل ملكه، وقال آخرون: هو وضع الشيء في غير موضعه، وحكمته لا تقتضي فعلا لا فائدة تحته. ومثقال الشيء: زنة الشيء. قال ابن قتيبة: يقال: هذا على مثقال هذا، أي: على وزنه. قال الزجاج: وهو مفعول من الثقل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: يظن الناس أن المثقال وزن دينار لا غير، وليس كما يظنون. مثقال كل شيء: وزنه، وكل وزن يسمى مثقالاً، وإن كان وزن ألف. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ٤١﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن صنجة مثقال الميزان، فقال: فارسي، ولا أدري كيف أقول، ولكني أقول: مثقال، فإذا قلت للرجل: ناولي مثقالاً، فأعطاك صنجة ألف، أو صنجة حبة، كان ممثلاً. وفي المراد بالذرة خمسة أقوال: أحدها: أنه رأس نملة حمراء، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: ذرة يسيرة من التراب، رواه يزيد بن الأصم، عن ابن عباس. والثالث: أصغر النمل، قاله ابن قتيبة، وابن فارس. والرابع: الخردلة. والخامس: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس إذا طلعت من ثقب، ذكرهما الشعلبي. واعلم أن ذكر الذرة ضربٌ مثل بما يعقل، والمقصود أنه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: حسنة بالرفع. وقرأ الباقون بالنصب. قال الزجاج: من رفع، فالمعنى: وإن تحدثت حسنة، ومن نصب، فالمعنى: وإن تك فعلته حسنة.

قوله تعالى: ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ قرأ ابن عامر، وابن كثير: يُضَعِّفُهَا بالتشديد من غير ألف. وقرأ الباقون: يضاعفها بألف مع كسر العين. قال ابن قتيبة: يضاعفها بالألف: يعطي مثلها مرات، ويضعفها بغير ألف: يعطي مثلها مرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ أي: من قبله. والأجر العظيم: الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ قال الزجاج: معنى الآية: فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، فحذف الحال، لأن في الكلام دليلاً عليه. ولفظ «كيف» لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ. والشهيد: نبي الأمة. وبماذا يشهد؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: بأنه قد بلغ أمته. قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>، وابن جريج، والسدي، ومقاتل.

(١) نص كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٢٧: يضعفها، أي: يؤتي مثلها مرات، ولو قال: يضعفها لكان مرة واحدة. وفي «مجاز القرآن» ١/١٢٧: «يضاعفها»: أضعافاً، و«يضعّفها»: ضعفين. وفي «الطبري» ٨/٣٦٦. وأما قوله: «يضاعفها» فإنه جاء بالألف، ولم يقل «يضعّفها»، لأنه أريد به في قول بعض أهل العربية يضاعفها أضعافاً كثيرة، ولو أريد به في قوله: يضيف ذلك ضعفين، ل قيل: «يضعّفها» بالتشديد.

(٢) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا قَالَ دَرُّوْا...﴾ ١/٤٩٧: يخبر تعالى أنه لا يظلم عبداً من عباده يوم القيامة مثقال حبة خردل، ولا مثقال ذرة، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخُ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَكُنَّ الْأَمْمَاتُ لِلْغَايَةِ بِأَوْبَانٍ ٤٠﴾. وقال تعالى مخبراً عن لقمان أنه قال: ﴿يَبْنِيْ لَهُ إِنَّا تَكُ شَيْئًا وَكَانَ كَيْدُكَ خَيْرَكَ فَتَكُنْ فِي سَحَرَةٍ أَوْ فِي السَّكُونِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَكَبِيْرٌ حَكِيْمٌ ٤١﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكِتَابُ وَتُجْزَى الْأَمْمَاتُ ٤٢﴾. وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل، وفيه «يقول الله ﷻ: أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار» وفي لفظ: «أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقول أبو سعيد: إفرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا قَالَ دَرُّوْا﴾ الآية.

قلت: وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ٤/٢١٦٢ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيظلم بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أنفنى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها». ورواه الإمام أحمد ٣/١٢٣، والطحاوي في «مستدركه».

(٣) روى الإمام أحمد في «المستدرك» ٣٥٠٠ والبخاري ٨١/٩، ومسلم ٥٥١/١ عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتي أن أسمعه من غيري» فقرأت «النساء» حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ٤١﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنب، فرفعت رأسي، فرايت دموعه تسيل هذا لفظ مسلم.







يخاف، وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء، سواء كان قصيراً، أو طويلاً، وعدم الماء ليس بشرط في جواز التيمم للمريض، وإنما الشرط: حصول الضرر، وأما السفر، فعدم الماء شرط في إباحة التيمم، وليس السفر بشرط، وإنما ذكر السفر، لأن الماء يُعدم فيه غالباً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدًا يَتَنَكَّمُ مِنْ أَفْئِدَتِهِ﴾ «أو» بمعنى الواو، لأنها لو لم تكن كذلك، لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث. والغايط: المكان المظلم من الأرض، فكفي عن الحدث بمكانه، قاله ابن قتية. وكذلك قالوا للمزادة: راوية، وإنما الرواية للبعير الذي يُسقى عليه، وقالوا للنساء: طعائن، وإنما الطعائن: الهودج، وكُنْ يَكُن فيها، وسموا الحدث عذرة، لأنهم كانوا يلقون الحدث بأفنية الدور.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أو لامستم» بألف هاهنا، وفي (المائدة)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف في اختياره، والمفضل عن عاصم، والوليد بن عتبة، عن ابن عامر «أَوْ لَمَسْتُمْ» بغير ألف هاهنا، وفي (المائدة). وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي، والحكم، وحماد<sup>(١)</sup>. قال أبو علي: اللّمس يكون باليد، وقد اتسع فيه فأوقع على غيره، فمن ذلك ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: ٨] أي: عالجنا غيب السماء، ومنا من يسترقه فيلقيه إلى الكهنة، ويخبرهم به. فلما كان اللّمس يقع على غير المباشرة باليد، قال: ﴿فَلَمَسُوا بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧] فخصّ اليد، لثلاثا يلتبس بالوجه الآخر، كما قال: ﴿وَحَلَلْتُ آبَائَكُمْ الَّذِينَ مِنْ أُمَّلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] لأن الابن قد يدعى وليس من الصلب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّ يَحْدُوا مَاءً تَتَيَمَّمُوا﴾ سبب نزولها: أن عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فانقطع عقد لها، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فزلت هذه الآية، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى أخرجه البخاري ومسلم أيضاً: أن

(١) قال ابن جرير ٣٩٦/٨: وأولى القولين في ذلك الصواب قول من قال: عنى الله بقوله ﴿أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللّمس، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نساءه، ثم صلى ولم يتوضأ، ثم روى عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ثم يقبل، ثم يصلي ولا يتوضأ»، ثم روى عن عروة، عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نساءه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت». وحديث عائشة هذا، رواه أبو داود ٨٣/١، وابن ماجه ١٦٨/١، وأحمد في «المسند» ٢١٠/٦، وقد تكلم على هذا الحديث بعض الأئمة، والحق أنه صحيح. قال أبو عمر بن عبد البر: صححه الكوفيون وثبته لرواية الثقات من أئمة الحديث له، وحبيب لا ينكر لقائه عروة، لروايته عن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً.

قلت: ولم ينفرد حبيب برواية هذا الحديث، فقد تابعه عليه هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير. انظر «مسنن الدارقطني» من: ٥٠، وقد جاء الحديث بإسناد آخر صحيح عن عائشة، انظر «الجوهر النقي» ١/٢٥٠، و«نصب الراية» ٢٨/١.

وقال الإمام ابن رشد في «بداية المجتهد» ٢٩/١: وسبب اختلافهم في هذه المسألة اشتراك اسم اللّمس في كلام العرب، فإن العرب تطلق مرة على اللّمس الذي هو باليد، ومرة تكي به عن الجماع، فذهب قوم إلى أن اللّمس الموجب للطهارة في أية الوضوء هو الجماع في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ وذهب آخرون إلى أنه اللّمس باليد. ثم قال: «وقد احتج من أوجب الوضوء من اللّمس باليد، بأن اللّمس ينطلق حقيقة على اللّمس باليد، وينطلق مجازاً على الجماع، وأنه إذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز: فالأولى أن يحمل على الحقيقة، حتى يدل الدليل على المجاز. ولأولئك أن يقولوا: إن المجاز إذا كثّر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة، كالحال في اسم «الغائط» الذي هو أدل على الحدث - الذي هو فيه مجاز - منه على المظلم من الأرض، الذي هو فيه حقيقة. والذي اعتقده: أن اللّمس وإن كانت دلالة على المعنيين بالسواء أو قريباً من السواء: فإنه أظهر عندني في الجماع، وإن كان مجازاً، لأن الله تعالى قد كنى بالمباشرة واللمس عن الجماع، وهما في معنى اللّمس، وعلى هذا التأويل في الآية يحتاج بها في إجازة التيمم للجنب، دون تقدير تقديم فيها ولا تأخير، على ما سيأتي بعد، وترتفع المعارضة التي بين الآثار والآية على التأويل الآخر - يريد ابن رشد بالآثار هنا حديث عائشة في القبلة - وأما من فهم من الآية اللّمسين معاً فضعيف، فإن العرب إذا خاطبت بالاسم المشترك إنما تقصد به معنى واحداً من المعاني التي يدل عليها الاسم، لا جميع المعاني التي يدل عليها، وهذا بين بنفسه في كلامهم.

(٢) البخاري ١٨٩/٨، ومسلم ٢٧٩/١، ولفظه عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء! قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطمئن يده في =

عائشة استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله ﷺ رجالاً في طلبها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت آية التيمم<sup>(١)</sup>. والتيمم في اللغة: القصد، وقد ذكرناه في قوله: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَيْثُ﴾ وأما الصعيد: فهو التراب، قاله علي، وابن مسعود، والفراء، وأبو عبيد<sup>(٢)</sup> والزجاج، وابن قتيبة. وقال الشافعي: لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار. وفي الطيب قولان: أحدهما: أنه الطاهر. والثاني: الحلال.

قوله تعالى: ﴿فَأَنسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَدْبِكُمْ﴾ الوجه الممسوح في التيمم: هو المحدود في الوضوء. وفيما يجب مسحه من الأيدي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلى الكوعين حيث يقطع السارق، روى عمار عن النبي ﷺ أنه قال: «التيمم ضربة للوجه والكفين»<sup>(٣)</sup> وبهذا قال سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، والأوزاعي، ومكحول، ومالك، وأحمد، وإسحاق، وداد. والثاني: أنه إلى المرفقين، روى ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه تيمم، فمسح ذراعيه<sup>(٤)</sup>. وبهذا قال ابن عمر، وابنه سالم، والحسن، وأبو حنيفة، والشافعي، وعن الشعبي كالقولين. والثالث: أنه يجب المسح من رؤوس الأنامل إلى الآباط، روى عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلت الرخصة في المسح، فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط<sup>(٥)</sup>. وهذا قول الزهري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ قال الخطابي: «العفو»: بناء للمبالغة. و«العفو»: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء. وقيل: إنه مأخوذ من: عفت الريح الأثر: إذا درسته، وكان العافي عن الذنوب يمحوه بصفحه عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُرْسِلُوا بِرَبِّكَ إِلَى الَّذِينَ أَنْتَ مُخْلِصُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا هَدَيْنَاكُمْ وَإِنَّا لَنَاقِلُونَ﴾

خاصرتي، فلا يمتنع من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم «فتيمموا» فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه. فوجدنا العقد تحته. والبيداء: هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة، قاله ابن التين.

(١) البخاري ٣٧٣/١، ومسلم ٢٧٩/١.

(٢) في النسخة الأحمدية «وأبو عبيدة» وفي «مجاز القرآن» ١٢٨/١: الصعيد: وجه الأرض. وفي «اللسان» ٢٥٤/٣: وقال أبو إسحاق: الصعيد وجه الأرض، قال: وعلى الإنسان أن يضرب يديه وجه الأرض، ولا يبالي أكان في الموضع تراب أو لم يكن، لأن الصعيد ليس هو التراب، إنما هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره، قال: ولو أن أرضاً كلها صخر لا تراب عليه، ثم ضرب التيمم يده على ذلك الصخر، لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه، قال الله تعالى ﴿فَتَشَبَّهِ سَاحِلًا﴾ لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة خلافاً فيه أن الصعيد وجه الأرض. اهـ.

ونقل القرطبي أيضاً ٢٣٦/٥: عن الخليل، وابن الأعرابي، والزجاج. أن الصعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، وقد ذهب إلى تخصيص التيمم بالتراب الشافعي وأحمد وداد. وذهب مالك، وأبو حنيفة، وعطاء، والأوزاعي، والثوري إلى أنه مجزئ بالأرض وما عليها. وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٠٣/١: وكذلك كان تيمم بالأرض التي يصلي عليها، تراباً كانت أو سبخة أو رملًا. وصح عنه أنه قال: «حيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاة فمعه مسجده وطهوره». وهذا نص صريح في أن من أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهوره. ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال في طريقهم، وماؤهم في غاية القلة، ولم يروا عنه أنه حمل معه التراب، ولا أمر به، ولا فعله أحد من أصحابه، مع القطع بأن في المغاور الرمال أكثر من التراب، وكذلك أرض الحجاز وغيره. ومن تدبر هذا قطع بأنه كان تيمم بالرمل؛ والله أعلم، وهذا قول الجمهور.

(٣) البخاري ٣٧٧/١، ومسلم ٢٨٠/١، وأبو داود ١٣٦/١، والنسائي ١٦٩/١، وابن ماجه ١٥٨/١.

(٤) لم نجد في كتب السنة التي بين أيدينا هذا الحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس، وروى الزبار من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن عمار، قال: كنت في القوم حين نزلت الرخصة في المسح بالتراب إذا لم نجد الماء، فأمرنا، فضربنا واحدة للوجه ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين. قال الحافظ في «الدراية» ص ٣٦ بعد أن حسن إسناده: لكن أخرجه أبو داود، فقال: «إلى المناكب» وذكر أبو داود علته والاختلاف فيه. وحديث «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين» رواه الدارقطني، والحاكم من حديث ابن عمر وقد تفرد علي بن ظبيان برفعه، ووقفه غيره، وصوب وقفه الدارقطني، وأخرجه الدارقطني، والحاكم أيضاً من طريقين وإهي عن ابن عمر. قاله الحافظ ابن حجر. وقد روي من حديث جابر، ومن حديث عائشة، انظر «نصب الراية» ١٥٠/١، ١٥٤.

(٥) أبو داود ١٣٤/١، والنسائي ١٦٧/١. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٧٦/١٥: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهيم، وعمار، وما عدهما ضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه، فأما حديث أبي جهيم، فورد بذكر اليدين مجعلاً، وأما حديث عمار، فورد بذكر الكفين في «الصحيحين»، وبذكر المرفقين في «السنن» وفي رواية «إلى نصف الذراع» وفي رواية «إلى الآباط». فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع، ففيهما مقال، وأما رواية الآباط، فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي ﷺ، فكل تيمم صح للنبي ﷺ بعده، فهو ناسخ له، وإن كان وقع بغير أمره، فالحجة فيما أمر به، ومما يقوي رواية «الصحيحين» في الاكتفاء على الوجه والكفين كون عمار كان يقني بعد النبي ﷺ بذلك، ورواي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، ولا سيما الصحابي المجتهد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رفاعه بن زيد بن النابوت. والثاني: أنها نزلت في رجلين كانا إذا تكلم النبي ﷺ لوبا ألسنتهما وعاباه، روي القولان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنها نزلت في اليهود، قاله قتادة. وفي النصيب الذي أوتوه قولان: أحدهما: أنه علم نبوة محمد النبي ﷺ. والثاني: العلم بما في كتابهم دون العمل.

قوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَاةَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا من الاختصار، والمعنى: يشترون الضلالة بالهدى، ومثله: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٨] أي: تركنا عليه ثناء حسناً، فحذف الثناء لعلم المخاطب. وفي معنى اشتراهم الضلالة أربعة أقوال: أحدها: أنه استبدلهم الضلالة بالإيمان، قاله أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنه استبدلهم التكذيب بالنبي ﷺ بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره، قاله مقاتل. والثالث: أنه إيثارهم التكذيب بالنبي ﷺ لأخذ الرشوة، وثبوت الرئاسة لهم، قاله الزجاج. والرابع: أنه إعطاؤهم أحبارهم أموالهم على ما يصنعونه من التكذيب بالنبي ﷺ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ خطاب للمؤمنين. والمراد بالسبيل: طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [١٥]

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ فهو يعلمكم ما هم عليه، فلا تستنصحوهم، وهم اليهود، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ لكم، فمن كان وليه، لم يضره عدوه. قال الخطابي: «الولي»: الناصر، و«الولي»: المتولي للأمر، والقائم به، وأصله من الولي، وهو القرب، و«النصير»: فاعيل بمعنى فاعل<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعَنَا شَيْءٌ مِّنْكَ وَزَعَمْنَا أَنَّ لَدَيْنَ سُلْطَانًا وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنفَعَنَا شَيْءٌ مِّنْكَ لَكَانَ حَزَبًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّمْ يَفْعَلُوا إِلَّا لَلِيلَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ [١٦]

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال مقاتل: نزلت في رفاعه بن زيد، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وكلهم يهود. وفي «من» قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنها من صلة الذين أوتوا الكتاب، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. والثاني: أنها مستأنفة، فالمعنى: من الذين هادوا قوم يحرفون، فيكون قوله: يحرفون، صفة، ويكون الموصوف محذوفاً، وأنشد سيبويه:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما

أموت وأخرى ابتغي العيش أكلح<sup>(٣)</sup>

والمعنى: فمنهما تارة أموت فيها. قال أبو علي الفارسي: والمعنى: وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا، أي: إن الله ينصر عليهم. فأما «التحريف»، فهو التغيير. و«الكلم»: جمع كلمة. وقيل: إن «الكلام» مأخوذ من «الكلم»، وهو الجرح الذي يشق الجلد واللحم، فسمي الكلام كلاماً، لأنه يشق الأسماع بوصوله إليها، وقيل: بل لتشقيقه المعاني المطلوبة في أنواع الخطاب. وفي معنى تحريفهم الكلم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن الشيء، فإذا خرجوا، حرفوا كلامه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه تبديلهم التوراة، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، أي: عن أماكنه ووجوهه.

(١) أخرج الأول ابن جرير ٤٢٨/٨ من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول. ونسبه السيوطي في «الدر» ١٦٨/٢ إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) قال ابن كثير ٥٠٧/١ في تفسيره: يخبر تبارك وتعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتروكون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: يريدون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، ويتروكون ما أتمم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو يعلم بهم، ويحذرهم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: كفى به ولياً لمن لجأ إليه، ونصيراً لمن استنصره.

(٣) البيت لتميم بن مقبل، «ديوانه» ص ٢٤، و«الكتاب» ٣٧٦/١، و«الكامل» ٩٠٨/٣، و«حجاسة البحري» ١٨٣، و«الحيوان» ٤٨/٣. والكدرج: الاكتساب، يقال: فلان يكدرج على أهله. يقول: لا راحة في الدنيا، لأن وقتها قسمان، إما موت وهو مكروه عند النفس، وإما حياة وكلها سعي في المعيشة. واستشهد به سيبويه والمبرد على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، وتقديره الكلام: فمنها تارة أموت فيها، كما ذكره المؤلف رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال مجاهد: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ غَيْرَ مَسِّحٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: اسمع لا سمعت، قاله ابن عباس، وابن زيد، وابن قتيبة. والثاني: أن معناه: اسمع غير مقبول ما تقول، قاله الحسن، ومجاهد. وقد تقدم في (البقرة) معنى: وراعنا. قوله تعالى: ﴿لَيْتَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك ألسنتهم بذلك. وقال ابن قتيبة معنى ﴿لَيْتَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: أنهم يحرفون «راعنا» عن طريق المراعاة، والانتظار إلى السبب بالزعونة. قال ابن عباس: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما بدلوا، و﴿أَقْرَبُ﴾ أي: أعدل، ﴿وَلَكِنَّ لَمَنَّهُمُ اللَّهُ يُكَفِّرُهُمْ﴾ بمحمد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا قليل، وهم عبد الله بن سلام، ومن تبعه، قاله ابن عباس. والثاني: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، قاله قتادة، والزجاج. قال مقاتل: وهو اعتقادهم أن الله خلقهم ورزقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكَذِّبَ مَا يَأْتِيكُمْ بِمَا نَزَّلْنَا مَصْدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْفِتُهمْ كَمَا لَمْنَا أَصْحَابَ الْكَلْبِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكَذِّبَ مَا يَأْتِيكُمْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ دعا قوماً من أحرار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب [ابن أسد] إلى الإسلام، وقال لهم: إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق، فقالوا: ما نعرف ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي الذين أوتوا الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. وعلى الأول يكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: التوراة والإنجيل. والمراد بما نزلنا: القرآن، وقد سبق في (البقرة) بيان تصديقه لما معهم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ في طمس الوجوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إعماء العيون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه طمس ما فيها من عين، وأنف، وحاجب، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، واختيار ابن قتيبة. والثالث: أنه ردّها عن طريق الهدى، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي. وقال مقاتل: من قبل أن نطمس وجوهاً، أي: نحول الملة عن الهدى والبصيرة. فعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً. والمراد: البصيرة والقلوب. وعلى القولين قبله يكون المراد بالوجه: العضو المعروف.

قوله تعالى: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ خمسة أقوال: أحدها: نُصَيِّرُهَا في الأفقاء، ونجعل عيونها في الأفقاء، هذا قول ابن عباس، وعطية. والثاني: نُصَيِّرُهَا كالأفقاء، ليس فيها فم، ولا حاجب، ولا عين، وهذا قول قوم، منهم ابن قتيبة. والثالث: نجعل الوجه منبتاً للشعر، كالقروء، هذا قول الفراء. والرابع: نَنفِيهَا مدبرة عن ديارها ومواضعها. وإلى نحوه ذهب ابن زيد. قال ابن جرير: فيكون المعنى: من قبل أن نطمس وجوههم التي هم فيها. وناحتيتهم التي هم بها نزول، فنردّها على أدبارها من حيث جاؤوا بدياً من الشام<sup>(٣)</sup>. والخامس: نردّها في الضلالة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل.

(١) في «مشكل القرآن» ٢٩١: هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا حدثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا، وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، ويقولون له: راعنا، أيوهونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انتظرنا، حتى نكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أرعني سمعك وراعني، أي: انتظرني وترقب بي وتلوم علي، هذا ونحوه، وإنما يريد سبه بالزعونة في لغتهم، فقال الله سبحانه: ﴿يَنْ أَلَّذِينَ هَادُوا يُخَوِّنُونَ النَّبِيَّ عَنْ تَوَاتُؤِهِمْ وَيَقُولُونَ كَذًا وَكَا، ويقولون: ﴿وَرَوَيْنَا لَيْتَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: قلباً للكلام بها، ﴿وَلَمَّا فِي الَّذِينَ رَوَيْنَا لَيْتَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَمَنَّا وَتَمَنَّا﴾ مكان قولهم: سمعنا وعصينا، وقالوا: واسمع، مكان قولهم: لا سمعت، وانتظرنا، مكان قولهم: راعنا، لكان خيراً لهم وأقوم. والعرب تقول: نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد، قال الخطيب:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ لِبَنَاءِ عَاشِيَةٍ

(٢) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس.

(٣) في تفسير الطبري ٤٤٢/٨: وقال آخرون: معنى ذلك: من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التي هم بها، وناحتيتهم التي هم بها، فنردّها على أدبارها من حيث جاؤوا منه بدياً من الشام.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَلَائِهِنَّ﴾ يعود إلى أصحاب الوجوه. وفي معنى لعن أصحاب السبب قولان: أحدهما: مسخهم قردة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: طردهم في التيه حتى هلك فيه أكثرهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضُوعًا﴾ قال ابن جرير: الأمر هاهنا بمعنى المأمور، سُمِّيَ باسم الأمر لحدوثه عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغِي أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَتَغَيَّرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغِي أَنْ يَشْرَكَ بِهِ﴾ قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿يَكِيدُوا الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْتُلُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] قالوا لرسول الله ﷺ: والشرك؟ فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه<sup>(١)</sup>. وقد سبق معنى الإشراك.

والمراد من الآية: لا يغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين: أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكُوا مَن يَشَاءُ وَلَا يَخْلُفُونَ قَوْلًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ سبب نزولها: أن مرحب بن زيد، وبحري بن عون - وهما من اليهود - أتيا النبي ﷺ بأطفالهما، ومعهما طائفة من اليهود فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، قالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كُفِّرَ عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كُفِّرَ عنا بالنهار، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ قولان: أحدهما: ألم تُخبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: ألم تعلم، قاله الزجاج. وفي الذين يزكون أنفسهم قولان: أحدهما: اليهود على ما ذكرنا عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، وبه قال الحسن، وابن زيد. ومعنى «يزكون أنفسهم»: يزعمون أنهم أزكيا، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. وفي الذي زكوا به أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم يزعمون أنهم أزكيا، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. والثاني: أن اليهود قالوا: إن أبنائنا الذين ماتوا يزكوننا عند الله، ويشفعون لنا، رواه عطية، عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، هذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك. والرابع: أن اليهود والنصارى قالوا: ﴿هَٰمْ أَتَيْنَا اللَّهَ وَأَجَبْتُهُمْ﴾ [المائدة: ١٨] وقالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًى﴾ [البقرة: ١١١] هذا قول الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ اللَّهُ يُرِيكُم مِّنَ شَيْءٍ﴾ أي: يجعله زاكياً، ولا يظلم الله أحداً مقدار فتيل. قال ابن جرير: وأصل «الفتيل»: المفتول، صُرف عن مفعول إلى فاعل، كصرع، ودهين. وفي الفتيل قولان: أحدهما: أنه ما يكون في شق النواة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، وقتادة، وعطية، وابن زيد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ إذا دلكن، رواه العوفي، عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو مالك، والسدي، والفراء.

(١) ابن جرير ٤٤٩/٨، ونقله عنه ابن كثير، ثم قال: وقد رَوَاهُ ابْنُ مَرْثُومٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٤٥٠/٨: وقد أبانت هذه الآية على أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبريته شركاً بالله تعالى. قلت: وروى البخاري في «صحيحه» ٦٠/١ عن عبادة بن الصامت ﷺ: «وكان شهد بداراً، وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «يا أيوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بهتاناً فتضروا بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعنا على ذلك. ورواه مسلم ١٣٣٣/٣ والترمذي. وروى الإمام أحمد في «المسنَد» ١٦٦/٥ عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى ثلاثاً»، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر» ورواه الشيخان.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٨ بمعناه عن الكلبي.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى إِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٠)

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وهو قولهم: ﴿حَسْبُ آبَتُكَ اللَّهُ وَأَجِبْتُكَ﴾ وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَوْ نَصَرَهُمْ﴾ وقولهم: لا ذنب لنا، ونحو ذلك مما كذبوا فيه ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ أي: وحسبهم بقيلهم الكذب ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾ يبين كذبهم لسامعيه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (٥١)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أدينتا خير، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب، قدما مكة، فقالت لهما قريش: أنحن خير، أم محمد؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة في رواية<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: نزلت في كعب، وحبي، ورجلين آخرين من بني النضير قالوا لقريش: أنتم أهدى من محمد. والثالث: أن كعب بن الأشرف وهو الذي قال لكفار قريش: أنتم أهدى من محمد، فنزلت هذه الآية. وهذا قول مجاهد، والسدي، وعكرمة في رواية. والرابع: أن حبي بن أخطب قال للمشركين: نحن وإياكم خير من محمد، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد. والمراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود. وفي «الجبت» سبعة أقوال. أحدها: أنه السحر، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد، والشعبي. والثاني: الأصنام، رواه عطية، عن ابن عباس. وقال: عكرمة: الجبت: صنم. والثالث: حبي بن أخطب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: كعب بن الأشرف، رواه الضحاك، عن ابن عباس، وليث عن مجاهد. والخامس: الكاهن، روي عن ابن عباس، وبه قال ابن سيرين، ومكحول. والسادس: الشيطان، قاله سعيد بن جبيرة في رواية، وقتادة، والسدي. والسابع: الساحر، قاله أبو العالية، وابن زيد. وروى أبو بشر، عن سعيد بن جبيرة، قال: الجبت: الساحر بلسان الحبشة. وفي المراد بالطاغوت هاهنا ستة أقوال: أحدها: الشيطان، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد في رواية، والشعبي، وابن زيد. والثاني: أنه اسم للذين يكرنون بين يدي الأصنام يعبرون عنها ليضلوا الناس، رواه العوفي، عن ابن عباس. والثالث: كعب بن الأشرف، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: الكاهن، وبه قال سعيد بن جبيرة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. والخامس: أنه الصنم، قاله عكرمة. وقال: الجبت والطاغوت صنمان. والسادس: الساحر، روي عن ابن عباس، وابن سيرين، ومكحول. فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسميين. وقال اللغويون منهم ابن قتيبة، والزجاج: كل معبود من دون الله، من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جبت وطاغوت<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢١٠، والطبري من طريق ابن إسحاق ٤٦٩/٨ وفي سننه مجهول.

(٢) أثر عكرمة، رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم مرسلاً. وروى ابن جرير ٤٦٦/٨ عن ابن عباس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه. يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحميم، وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فانزلت: ﴿إِنَّكَ كَاذِبٌ كَرِيمٌ﴾ [الكوثر: ٣] وانزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ يَحْدُ لَكُمْ نَبِيرٌ﴾. وإسناده صحيح. وزاد السيوطي نسبه في «الدرر» ١٧١/٢ لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وقولهم «ألا ترى إلى هذا الصنوبر الأبر» في «النهاية» الصنوبر: سمفات تنبت في جذع النخلة، لا في الأرض، ثم قالوا للرجل الفرد الضعيف اللليل الذي لا أهل له ولا عقب ولا ناصر: «صنوبر». قال الاستاذ محمود شاكر: فأراد هؤلاء الكفار من قريش أن محمداً ﷺ - بأبي هو وأمي - صنوبر تنبت في جذع نخلة، فإذا قلع انقطع، فكذلك هو إذا مات، فلا عقب له. وكذبوا ونصر الله رسوله ﷺ وقطع دابر الكافرين. والأبر: الذي لا عقب له.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٤٦٥/٨: والصواب من القول في تأويل ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين، وذلك أن «الجبت» و«الطاغوت» اسمان لكل معظم عبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كأننا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبد، كانت معظمة بالعبادة من دون الله، فقد كانت جبروتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالوا في أهل الشرك بالله، وكذلك حبي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله، والكفر به، ورسوله، فكانا جبتين وطاغوتين.



قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لمشركي قريش: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الْآيِنِ ءَامَنُوا﴾، يعنون النبي وأصحابه طريقاً في الديانة والاعتقاد.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (٥٢) أَمْ لَمْ تَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴿أَمْ لَمْ تَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، فالتقدير: ليس لهم. وقال الفراء: قوله: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ جوابٌ لجزء مضمّر، تقديره: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نصيراً<sup>(١)</sup>. وفي «النقيير» أربعة أقوال: أحدها: أنه النقطة التي في ظهر النواة، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقناة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنه القشر الذي يكون في وسط النواة، رواه التيمي، عن ابن عباس. وروي عن مجاهد: أنه الخيط الذي يكون في وسط النواة. والثالث: أنه نقر الرجل الشيء يطرّف إبهامه، رواه أبو العالية، عن ابن عباس. والرابع: أنه حبة النواة التي في وسطها، رواه ابن أبي نجيع، عن مجاهد. قال الأزهري: «والفتيل» و«النقيير» و«القطمير»: تضرب أمثلاً للشيء التافه الحقيق.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٥٣) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ سبب نزولها: أن أهل الكتاب قالوا: يزعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأَيُّ ملك أفضل من هذا، فنزلت، رواه العوفي، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى ألف الاستفهام، قاله ابن قتيبة. والثاني: بمعنى «بل» قاله الزجاج، وقد سبق ذكر «الحسد» في (سورة البقرة) والحاسدون هاهنا: اليهود. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: النبي ﷺ، رواه عطية، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام. والثالث: العرب، قاله قناة. والرابع: النبي، والصحاب، ذكره الماوردي. وفي الذي آتاهم الله من فضله ثلاثة أقوال: أحدها: إباحة الله تعالى نبيه أن ينكح ما شاء من النساء من غير عدد، روي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه النبوة، قاله ابن جريج، والزجاج. والثالث: بعثة نبي منهم على قول من قال: هم العرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، والإنجيل، والزبور. كله كان في آل إبراهيم، وهذا النبي من أولاد إبراهيم. وفي الحكمة قولان: أحدها: النبوة، قاله السدي، ومقاتل. والثاني: الفقه في الدين، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الملك العظيم خمسة أقوال: أحدها: ملك سليمان، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: ملك داود، وسليمان في النساء، كان لداود مائة امرأة، وسليمان سبعمئة امرأة، وثلاثمئة سريّة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال السدي. والثالث: النبوة، قاله مجاهد. والرابع: التأييد بالملائكة، قاله ابن زيد في آخرين.

(١) قال الطبري ٤٧٥/٨: ورفع قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ ولم ينصب بـ «إذن» ومن حكمه أن تنصب الأفعال المستقبلية إذا ابتدئ الكلام بها، لأن معها «فأما» ومن حكمه إذا دخل فيها بعض جروف المطف على توجه إلى الابتداء بها مرة، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى، وهذا الموضع مما أريد به «فأما» في النقل عن «إذن» إلى ما بعدها، وأن يكون معنى الكلام: أم لهم نصيب، فلا يؤتون الناس نصيراً إذن. وانظر استيفاء الكلام على «إذن». فيسيوي ٤١١/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٣/١.

(٢) رواه ابن جرير ٤٧٨/٨ قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد مبسّط بالضعفاء: محمد بن سعد، قال الخطيب: هو لين في الحديث، وأبوه سعد بن محمد بن الحسن العوفي، ضعيف جداً، وعمه: وهو الحسن بن الحسن بن عطية العوفي، ضعفه ابن معين، وابن سعد، وأبو حاتم، والنسائي. وأبو: هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف أيضاً. قال البخاري في «الكبير»: ليس ذاك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وأبو أبيه: عطية بن سعد بن جندة العوفي، قال الحافظ في «الطهري»: صدوق يخطئ كثيراً، كان مدلساً.

(٣) قال ابن جرير ٤٧٩/٨: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول قناة وابن جريج الذي ذكرناه قبل، أن معنى «الفضل» في هذا الموضع: النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم، لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية تدل على أنها تقرّبط للنبي ﷺ وأصحابه، رحمة الله عليهم، على ما قد بينا قبل، وليس النكاح وتزوج النساء - وإن كان من فضل الله جل ثناؤه الذي آتاه عباده - بتقرّبط لهم ومدح.

(٤) سنده ضعيف.

والخامس: الجمع بين سياسة الدنيا، وشرع الدين، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَيَتَّقِ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (٥٥)

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ فيمن تعود عليه الهاء والميم قولان: أحدهما: اليهود الذين أنذرهم نبينا محمد ﷺ، وهذا قول مجاهد، ومقاتل، والفراء في آخرين. فعلى هذا القول في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: تعود على ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ، قاله مجاهد. قال أبو سليمان: فيكون الكلام مبنياً على قوله ﴿عَلَى مَا أَنذَرَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو النبوة، والقرآن. والثاني: أنها تعود إلى النبي ﷺ، فتكون متعلقة بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني بالناس: محمداً ﷺ، ويكون المراد بقوله: ﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ عبد الله بن سلام، وأصحابه. والثالث: أنها تعود إلى النبي عن آل إبراهيم، قاله الفراء. والقول الثاني: أن الهاء، والميم في قوله «فمنهم» تعود إلى آل إبراهيم، فعلى هذا في هاء «به» قولان: أحدهما: أنها عائدة إلى إبراهيم، قاله السدي. والثاني: إلى الكتاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير، وعكرمة، وابن يعمر، والجدري: «من صَدَّ عنه» برفع الصاد. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو رجاء والجوني: بكسر الصاد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلًّا نَبِغَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٥٦) قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ قال الزجاج: أي: نشويهم في نار. ويروى أن يهودية أدت إلى النبي ﷺ شاة مصليّة، أي: مشوية. وفي قوله: ﴿بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قولان: أحدهما: أنها غيرها حقيقة، ولا يلزم على هذا أن يقال: كيف بدلت جلود التذت بالمعاصي بجلود ما التذت، لأن الجلود آفة في إيصال العذاب إليهم، كما كانت آفة في إيصال اللذة، وهم المعاقبون لا الجلود. والثاني: أنها هي بعينها تعاد بعد احتراقها، كما تعاد بعد البلى في القبور. فتكون الغيرية عائدة إلى الصفة، لا إلى الذات، فالمعنى: بدلناهم جلوداً غير محترقة، كما تقول: صُغت من خاتمي خاتماً آخر. وقال الحسن البصري في هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فعادوا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ جَزَاءً فَرِيحًا يَوْمَ الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا آَرْجٌ مَطَهَّرَةٌ وَنَجْزِيهِمْ فِيهَا ظِلِيلًا﴾ (٥٧) ظِلِيلًا (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَنَجْزِيهِمْ فِيهَا ظِلِيلًا﴾ قال الزجاج: هو الذي يُظْلُ من الحرّ والريح، وليس كلُّ ظلٍّ كذلك، فأعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حرّ معه، ولا برد. فإن قيل: أفي الجنة برد أو حر يحتاجون معه إلى ظل؟ فالجواب: أن لا، وإنما خاطبهم بما يعقلون مثله، كقوله: ﴿وَلَمْ يَرْزُقْهُمْ فِيهَا فَرْجًا وَوَعِيًا﴾ [مريم: ٦٢] وجواب آخر: وهو أنه إشارة إلى كمال وصفها، وتمكين بنائها، فلو كان البرد أو الحرّ يتسلط عليها، لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَبَأُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَبِيًّا نَبِيًّا﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، طلب مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة، فذهب ليعطيه إياه، فقال العباس: بأبي أنت وأمي اجتمع لي مع السقاية، فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه للعباس، فقال النبي ﷺ: «هاهنا المفتاح» فأعاد العباس قوله، وكف عثمان، فقال النبي ﷺ: «أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله وباليوم الآخر» فقال: هاك يا رسول الله بأمانة الله، فأخذ المفتاح، ففتح البيت، فنزل جبريل بهذه الآية، فدفعه إليه. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال مجاهد،

(١) رجح ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٨٢ قول ابن عباس في تفسير «الملك» بملك سليمان، قال: لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، دون الذي قال: إنه ملك النبوة، ودون قول من قال: إنه تحليل النساء والملك عليهن، لأن كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيه من معانيه، إلا أن تأتي دلالة، أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجب التسليم لها.

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٧٤: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس مطولاً. قلت: والكلبي وأبو صالح ضعيفان لا يحتج بهما.

والزهري، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في الأمراء. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال زيد بن أسلم، وابنه، ومكحول، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وقال: أمر الأمراء أن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين. والثالث: أنها نزلت عامة، وهو مروى عن أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وقنادة، واختاره القاضي أبو يعلى. وأعلم أن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها، فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات. وقال ابن مسعود: الأمانة في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الصوم، وفي الحديث، وأشد ذلك في الودائع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ﴾ يقول: نعم الشيء يعظكم به، وقد ذكرناه في (البقرة).

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ وَاُولٰٓئِكَ سَبِيْلُ الْاَمْنِ﴾ فإن نَزَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّاَحْسَنُ تَاْوِيْلًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عمار بن ياسر كان مع خالد بن الوليد في سرية، فهرب القوم، ودخل رجل منهم على عمار، فقال: إني قد أسلمت، هل ينفعني، أو أذهب كما ذهب قومي؟ قال عمار: أقم فأنت آمن، فرجع الرجل، وأقام فجاء خالد، فأخذ الرجل، فقال عمار: إني قد أمته، وإنه قد أسلم، قال: أنتجبر علي وأنا الأمير؟ فتنازعا، وقاما على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ﴾ طاعة الرسول في حياته: امتثال أمره، واجتناب نهيه، وبعد مماته: اتباع سنته<sup>(٤)</sup>. وفي أولي الأمر أربعة أقوال: أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة<sup>(٥)</sup>، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف عن مجاهد. والثالث: أنهم أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن

(١) قال ابن كثير في تفسير الآية: يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أد الأمانة إلى من ائتمت، ولا تخن من خانت»، رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلاة والزكاة والصيام، والكفارات، والذنور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع وغير ذلك مما يأتون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله ﷻ بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤنن الحقوق إلى أهلها حتى يقتض للثأ للجماء من القرآن». قلت: وحديث «أد الأمانة...» رواه أبو داود في سننه ٣٩٣/٣، والترمذي ٢٥١٢/٢، والدارمي ٢٦٤/٢، والحاكم ٤٦٧/٢، كلهم من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: وهو حديث صحيح. وقد وهم الشيخ أحمد شاكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في عزو الحديث إلى الإمام أحمد وأهل السنن من طريق سمرة. وللإمام ابن تيمية رحمه الله رسالة أسماها «السياسة الشرعية» بناها على هذه الآية الكريمة، فارجع إليها، فإنها فريدة في بابها.

(٢) البخاري: ١٩٠/٨، ومسلم: ١٤٦٥/٣. قال الحافظ في «الفتح»: كذا ذكره - أي: البخاري - مختصراً، والمعنى: نزلت في قصة عبد الله بن حذافة، أي: المقصود منها في قصته قوله ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ﴾ - الآية. قلت: وقصة حذافة بطولها رواها الإمام أحمد ٦٢٢/٢، والبخاري ١٣/١٠٩، ومسلم ١٤٦٩/٣ عن علي رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي ويطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف».

(٣) ذكره ابن جرير بأطول مما ذكره المصنف ٤٩٨/٨ عن السدي، ونقله ابن كثير عنه ٥١٨/١ ثم قال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طرق عن السدي مرسلًا، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس، فذكره بنحوه والله أعلم.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: النكته في إعادة العامل في «الرسول» دون «أولي الأمر» مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى، كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف، هما القرآن والسنة، فكان التقدير: وأطيعوا الله فيما قضى عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، والمعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن. قلت: وقد روى أبو داود ٢٧٩/٤ بسند صحيح عن المقدام بن مدي كرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجئتم فيه من حلال فاحلوه، وما وجئتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرمه رسول الله ﷺ كما حرم الله».

(٥) رواه ابن جرير عن أبي هريرة بإسناد صحيح، وقد ذكره الحافظ في «الفتح» ١٩١/٨، وقال: أخرجه الطبري بإسناد صحيح.

أبي نجیح، عن مجاهد، وبه قال بكر بن عبد الله المزني. والرابع: أنهم أبو بكر، وعمر، وهذا قول عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: معناه: اختلفتم وقال كل فريق: القول قولي. واشتقاق المنازعة: أن كل واحد يتزعج الحجة.

قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرْسُولِ﴾ في كيفية هذا الرد قولان: أحدهما: أن رده إلى الله رده إلى كتابه، ورده إلى النبي رده إلى سنته، هذا قول مجاهد، وقتادة، والجمهور. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الرد يكون من وجهين: أحدهما: إلى المنصوص عليه باسمه ومعناه. والثاني: الرد إليهما من جهة الدلالة عليه، واعتباره من طريق القياس، والنظائر. والقول الثاني: أن رده إلى الله ورسوله أن يقول من لا يعلم الشيء: الله ورسوله أعلم، ذكره قوم منهم الزجاج. وفي المراد بالتأويل أربعة أقوال: أحدها: أنه الجزء، والثواب، وهو قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنه العاقبة، وهو قول السدي، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أنه التصديق، مثل قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رَبِّي﴾ [يوسف: ١٠٠] قاله ابن زيد في رواية. والرابع: أن معناه: ردكم إياه إلى الله ورسوله أحسن من تأويلكم، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلَكَأً بِعِيدًا﴾ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودي، فأتيا النبي ﷺ، ففضى لليهودي، فلما خرجا، قال المنافق: نطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبل إليه، فقصا عليه القصة، فقال: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، فاشتمل على السيف، ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن أبا بردة الأسلمي كان كاهناً يقضي بين اليهود، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن يهودياً ومنافقاً كانت بينهما خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي، لأنه لا يأخذ الرشوة، ودعا المنافق إلى حكاهم، لأنهم يأخذون الرشوة، فلما اختلفا، اجتمعا أن يحكما كاهناً، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي<sup>(٥)</sup>. والرابع: أن رجلاً من بني النضير قتل رجلاً من بني قريظة، فاخصموا،

(١) قال أبو جعفر: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء، والولاية، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالامر بطاعة الأئمة والولاية فيما كان له طاعة، وللمسلمين مصلحة. ثم ذكر الأحاديث التي وردت في الباب.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٥١٨/١ في تفسير الآية: وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله، ولا باليوم الآخر. وقوله: ﴿فَلْيَكُنْ لَهُمُ الْخُزُوعُ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: وأحسن عاقبة ومألاً، كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٩٢ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) نقل الخبر الهيثمي في «المجمع» ٦/٧ وقال: رواه الطبراني، ووجهه رجال الصحيح، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٧٨/٢ عن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة أبي بردة: وعند الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود، فذكر القصة في نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ قلت: وقوله: «فتنافر إليه ناس من المسلمين» هكذا جاءت في الأصول وفي «مجمع الزوائد» ٦/٧، و«الدر المنثور» ١٧٨/٢، و«لباب القول» ص: ٦٧، والطبري ٥١٠/٨ من رواية السدي «فقال المنافق من بني قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي بردة بن أبي عبيدة» وفي ابن كثير ٥١٩/١: «فتنافر إليه ناس من المشركين» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٩٢ «فتنافر إليه ناس من أسلم». وفي «المجمع» و«ابن كثير» و«الفتح» ٢٩/٥ و«الدر المنثور» و«أسباب النزول»: «أبو بردة» بدل «أبي بردة» وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٥٠٨/٨، عن الشعبي، ونسبه السيوطي في «الدر» لابن المنذر، وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٩٢ بسنده إلى الشعبي.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاهِدُوا فَمَا تَسْتَفْتِرُوا اللَّهَ لَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لِيَجْذِيَ اللَّهُ تَوَابًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ قال الزجاج: «من» دخلت للتوكيد. والمعنى: وما أرسلنا رسولاً إلا ليطاع. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى: الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الإذن نفسه، قاله مجاهد. وقال الزجاج: المعنى: إلا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما. قال ابن عباس: ظلموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول ﴿جَاهِدُوا فَمَا تَسْتَفْتِرُوا اللَّهَ﴾ من صنيعهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا سَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في خصومة كانت بين الزبير وبين رجل من الأنصار في شراج الحرة<sup>(١)</sup>، فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري، قال: يا رسول الله: أن كان ابن عمتك اقتل وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجذر» قال الزبير: فوالله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في المنافق، واليهودي اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف، وقد سبقت قصتهما، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ﴾ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يحكموك، وقيل: «لا» رد لزعمهم أنهم مؤمنون، والمعنى: فلا، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف، فقال: وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، أي: فيما اختلفوا فيه. وفي «الحرج» قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: الضيق، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وفي قوله: ﴿وَيَسْلُمُوا سَلِيمًا﴾ قولان: أحدهما: يسلموا لما أمرتهم به، فلا يعارضونك، هذا قول ابن عباس، والزجاج، والجمهور. والثاني: يسلموا ما تنازعا فيه لحكمك، ذكره الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا قُلْتُمْ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا مَا يُوعَدُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهًُا﴾ وَإِذَا كُنْتُمْ لَهُمْ آيَةً فَاصْبِرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّ إِنَّ قُلُوبَهُمْ خِلَافٌ وَإِلَهُكُمْ عَلِيمٌ ۝٢٧ وَلَهُدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من اليهود قال: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم، فقتلناها. فقال ثابت بن قيس بن الشماس: والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: «لو» يمتنع به الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جاءني زيد لجثته. والمعنى: أن

(١) الشراج، بكسر الشين، جمع شرج: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. والحرة: موضع معروف بالمدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنما أحرقت بالنار.

(٢) البخاري ٢٦/٥، ومسلم ١٨٣٠/٤، ولفظه عن عروة، عن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاخصمنا عند النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك، فتلون وجه النبي ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يربح إلى الجذر» فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. وقد أفاض الحافظ ابن حجر في «الفتح» في بيان صحة الحديث واتصاله فانظرو. قوله: «فقال الأنصاري سرح» أي: أطلق الماء، وإنما قال له ذلك، لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبسه لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع. وقوله: «أن كان ابن عمتك» بفتح همزة «أن» وهي للتعليل، كأنه قال: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك. وقوله: «حتى يرجع إلى الجذر» أي: يصير إليه، والجذر، بفتح الجيم: الحواجز التي تحبس الماء.

(٣) الطبري ٥٢٣/٨. قال الحافظ في «الفتح» ٢٩/٥: إنساده صحيح. وقد رجح ابن جرير هذا القول، وقال: إنه أولى بالصواب، لأن قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُوتِيَ آلُكَ﴾ ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فالحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى. ثم قال: وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما أحكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري.

(٤) ابن جرير ٥٢٦/٨، ونقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم أيضاً.

محبتيك امتنع لامتناع مجيئه، و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. والمعنى: لو أنا فرضنا على المؤمنين بك أن يقتلوا أنفسهم. قرأ أبو عمرو: «أَنْ أَقْتُلُوا» أنفسهم، بكسر النون، «أَوْ أُخْرَجُوا» بضم الواو. وقرأ ابن عامر، وابن كثير، ونافع، والكسائي: «أَنْ أَقْتُلُوا أَوْ أُخْرَجُوا» بضم النون والواو. وقرأ عاصم، وحزمة بكسرهما. والمعنى: لو فرضنا عليهم كما فرضنا على قوم موسى، لم يفعله إلا قليل منهم، هذه قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر: «إِلَّا قَلِيلًا» بالنصب. «وَلَوْ أَنَّهُمْ» يعني: المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك «فَقُلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ» أي: ما يذكرون به من طاعة الله، والوقوف مع أمره، «لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ» وأثبت لأمورهم. وقال السدي: «وَأَشَدُّ تَبَيُّنًا» أي: تصديقاً.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد المحبة لرسول الله ﷺ، فرأه رسول الله يوماً فعرف الحزن في وجهه، فقال: «يا ثوبان ما غير وجهك؟» قال: ما بي من وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: ما ينبغي أن نفارقك في الدنيا، فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي وهو محزون، فقال: «ما لي أراك محزوناً؟» فقال: يا رسول الله غداً ترفع مع الأنبياء، فلا نصل إليك. فنزلت هذه الآية. هذا قول سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: ومن يطع الله في الفرائض، والرسول في السنن. قال ابن قتيبة: والصديق: الكثير الصدق، كما يقال: فسيق، وسكير، وشريب، وخمير، وسكيت، وفجير، وعشيق، وضليل، وظليم: إذا كثرت منه ذلك. ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه ذلك، أو يكون عادة. فأما الشهداء، فجمع شهيد وهو القتل في سبيل الله. وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، قاله ثعلب. والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده. والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي. والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد الله. فأما الصالحون، فهو اسم لكل من صلحت سيرته وعلايته. والجمهور على أن النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين عام في جميع من هذه صفته<sup>(٤)</sup>. وقال عكرمة: المراد بالنبيين هاهنا محمد، والصديقين أبو بكر، والشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند عن الكلبي. (٢) الطبري ٥٣٤/٨، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح.

(٣) ابن جرير ٥٣٤/٨ بإسناد لا بأس به. وروى الطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢٥/٨ والضياء المقدسي في «صفة الجنة» عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى أتيتك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؟ فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال الضياء المقدسي: لا أرى بإسناده بأساً. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/٧: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

(٤) في «صحيح مسلم» ٣٥٣/١ عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ، فأتيته بوضوء وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» روى الإمام أحمد، والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة هكذا». ونصب أصميه - ما لم يبق والديه» قال الهيثمي في «الزوائد» ١٤٧/٨. روى أحمد، والطبراني بإسنادين، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح. وذكره قبل ذلك ٤٦/١ مختصراً، وقال: رواء البراز، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخي البراز، وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. قال ابن كثير بعدما روى جملة من الأحاديث: وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في «الصحيح» و«المسانيد» وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر ﷺ، وأرجو أن يبعثني الله معهم، وإن لم أعمل كعملهم.



قوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا﴾ قال الزجاج: «رفيقاً» منصوب على التمييز، وهو ينوب عن رفقاء. قال الشاعر:  
بها جيف الحسرى فأما عظامها  
فبيضٌ وأما جلدها فصليب<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

فبي خلقكم عظم وقد شجينا<sup>(٢)</sup>  
يريد: في خلقكم عظام<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الذي أعطى المذكورين ﴿مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا﴾ بالمقاصد والنيات.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا حُدُودًا جَدْرَكُمْ فَأَنْفَرُوا ثَبَاتٍ أَوْ أَنْفَرُوا جَمِيعًا﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿حُدُودًا جَدْرَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: احذروا عدوكم. والثاني: خذوا سلاحكم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَرُوا ثَبَاتٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: جماعات، واحدتها: ثبة، يريد جماعة بعد جماعة. وقال  
الزجاج: «الثبات»: الجماعات المتفرقة. قال زهير:

وقد أغدو على ثبّة كرام  
قال ابن عباس: فانفروا ثبات، أي: عصياً، سرايا متفرقين، أو انفروا [جميعاً يعني]<sup>(٤)</sup> كلكم.

### فصل

وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله: ﴿أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] وقوله: ﴿إِلَّا نَفِرُوا بِمُؤْنِكُمْ  
عَدَايَا لِّمَا﴾ [التوبة: ٣٩] منسوخات بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْنُونَ يَسْفِرُوا كَأَفَّةٍ﴾ [التوبة: ١٢٢] قال أبو سليمان الدمشقي:  
والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء.

﴿وَلَنْ يَنْفَرُوا لَنْ يَلْبِثُوا قَانَ أَصْبَحُ مُصِيبَةً قَالَتْ قَدْ أَقَرَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ إِذْ لَرَأَىٰ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿٧٢﴾ وَلَنْ أَصْبَحُكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ  
لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ يَبْنِكُمْ وَيَبْنُهُ مَوَدَّةٌ يَبْلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَرُوا لَنْ يَلْبِثُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، كعبد الله بن  
أبي، وأصحابه كانوا يثناقلون عن الجهاد، فإن لقيت السرية نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله عليّ، وإن لقوا  
غنيمَةً، قال: يا ليتني كنت معهم. هذا قول ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قلت  
علومهم بأحكام الدين، فتشبثوا لقلّة العلم، لا لضعف الدين، ذكره الماوردي، وغيره. فعلى الأول تكون إضافتهم إلى  
المؤمنين بقوله «منكم» لموضع نطقهم بالإسلام، وجريان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقة. قال ابن

(١) البيت للعقمة بن عبدة وهو في «المفضليات» ٣٩٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٢١، و«الكتاب» ١٠٧/١ وقد تقدم. قال الأعلام: الشاهد فيه وضع  
الجلد موضع الجلود، لأنه اسم جنس ينوب واحده عن جميعه فأفرد ضرورة لذلك. وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه، فجيف الحسرى - وهي  
المعينة من الإبل - مستقرة فيه. وقوله: «فأما عظامها فيض»، أي: أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتمعرت وبدا وضوحها. وقوله: «فأما جلدها  
فصليب» أي: محرم يابس، لأنه ملقى بالقلّة لا يدبغ، ويقال: «الصليب» هنا الولد، أي: قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه.

(٢) «الكتاب» ١٠٧/١، وصدره: لا تَنْفَرُوا الْقَتْلَ وقد سبينا. وهو للمسيب بن زيد مائة الغنوي، قال الأعلام: الشاهد فيه وضع «الحلق» مكان الحلق.  
وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه، فيقول: لا تنكروا قتلنا لكم، وقد سببتم منا، ففي خلقكم عظم بقتلنا لكم، «وقد شجينا» نحن  
أيضاً، أي: غصصنا بسيكم لمن سببتم منا، وهذا مثل.

(٣) قال سيبويه في «الكتاب» ١٠٧/١: وليس بمستكثر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا  
يستعمل في الكلام، ثم أنشد البيهقي اللذين ذكرهما المصنف. وفي «مجاز القرآن» ١٣١/١: والعرب تلتفظ بلفظ الواحد، والمعنى يقع على الجميع.  
قال العباس بن مرداس:

فقلنا أشلُّوا إنا أخوكم  
فقد برئت من الأخي السُّدور

وفي القرآن ﴿تَحْمِلُكُمْ ظُلُمًا﴾ [الحج: ٢٢] والمعنى: أطفألاً. وفي «البحر المحيط» ٢٨٨/٣: وجاء مفرداً، إما لأن «الرفيق» مثل الخليل، والصدق  
يكون للمفرد والمثنى، والمجموع بلفظ واحد، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاءً ويراد به الجمع، ويحسن ذلك هنا كونه فاصلة.

(٤) «ديوانه» ٧٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٧٠، و«مجاز القرآن» ١٣٢/١، و«الطبري» ٥٣٦/٨، و«اللسان» «ثبا» و«نشا» وفي «الديوان»: وقد أغدو على  
شُرْب كرام. والرواية التي استشهد بها المؤلف وغيره هي رواية الأعلام.

(٥) الزيادة من الطبري.



جرير: اللام في «لمن» لام تأكيد. قال الزجاج: واللام في «ليبطئن» لام القسم، كقولك: إن منكم لمن أحلف بالله لبطئن، يقال: «أبطأ الرجل» و«بطؤ». فمعنى «أبطأ»: تأخر، ومعنى «بطؤ»: ثقل. وقرأ أبو جعفر: (لَيُبطِئَنَّ) بتخفيف الهمزة. وفي معنى: «ليبطئن» قولان: أحدهما: لبطئن هو نفسه، وهو قول ابن عباس. والثاني: لبطئن غيره، قاله ابن جريج. قال ابن عباس: «والمصيبة»: النكبة. و«الفضل من الله»: الفتح والغنية.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص، والمفضل، عن عاصم: «كأن لم تكن» بالتاء، لأن الفاعل المسند إليه مؤنث في اللفظ. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: «يكن» بالياء، لأن التانيث ليس بحقيقي. قال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: يقولن يا ليتني كنت معكم، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، أي: كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم. ويجوز أن يكون هذا الكلام معترضاً به، فيكون المعنى: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معكم، فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله علي، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. فيكون معنى «المودة» أي: كأنه لم يعاقدكم على الإيمان<sup>(١)</sup>.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يشرون هاهنا: بمعنى يبتغون في قول الجماعة. وأنشدوا:  
وشررت... بُرداً لبتني  
من بُرد بُرد كنت هامة<sup>(٢)</sup>

و«برد»: غلام له باعه. ومعنى الآية: ليكن قتال المقاتلين على وجه الإخلاص، وطلب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ خرج مخرج الغالب، وقد يثاب من لم يغلب ولم يقتل.

﴿وَمَا لَكُم لَّا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْمَالُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿السَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾ قال الفراء: تقديره: وفي المستضعفين. وكذلك روي عن ابن عباس. وقال الزجاج: المستضعفون في موضع خفض، والمعنى في سبيل الله، وسبيل المستضعفين، أي: ما لكم لا تسمعون في خلاص هؤلاء؟ قال ابن عباس: وهم ناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا. و«القرية»: مكة في قول الجماعة. قال الفراء: وإنما خفض «الظالم» لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها، تقول: مرت بالرجل الواسعة داره<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: سألوا الله ولياً من عنده يلي إخراجهم منها، ونصيراً يمنعهم من المشركين. قال ابن عباس: فلما فتح رسول الله مكة، جعل الله ﷺ النبي ﷺ وليهم، واستعمل عليهم رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦)

(١) قال ابن عطية: المتناق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقاً وشكاً وكفراً بالله ورسوله، ثم يمتن عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجهي قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ التناقة بليغة، واعتراضاً بين القاتل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم «البحر المحيط» ٢٩٣/٣.

(٢) البيت لابن مفرغ، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، شاعر إسلامي، ولقب جده مفرغاً، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه، فشربه حتى فرغ، فلقب مفرغاً، ويكنى أبا عثمان، وهو من حمير، انظر أخباره في «الشعر والشعراء» ٣٢١، و«الأغاني» ١٨/١٨١. والبيت في «مجاز القرآن» ١/٤٨١، و«الأضداد» لابن السكيت: ١٨٥، و«الشعر والشعراء» ١/٣٢١، والكمال: ١/٣٢٥، و«الخرزاة» ٢/٢١٤. وفي «الخرزاة»: والهامة: أنثى الصدى وهو ذكر اليوم، وفي «مزج الذهب» للمسمودي: ومن العرب من يزعم أن النفس طائر ينسبط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل، لم يزل يطيف به مستوحشاً، فيصيح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يكون كضرب من اليوم، وهو أبداً مستوحش، ويوجد في الديار المعطلة، ومصارع القتل والقبور، وإنها لم تزل عند ولد الميت، ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبزه.

(٣) «معاني القرآن» ١/٢٧٧.

(٤) قال الحافظ في «الإصابة» ٢/٤٤٤: أورده العقبلي في ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده إليه عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس...

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّعْنَتِ﴾ الطاغوت هاهنا: الشيطان. وقال أبو عبيدة: الطاغوت هاهنا في معنى جماعة، كقوله: ﴿وَلَعْنَةُ الْخَزِيرِ﴾ معناه: ولحم الخنازير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: مكروه وصنيعه ﴿كَانَ ضَيِّقًا﴾ حيث خذل أصحابه يوم بدر.

﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبِهَ عَلَيْهِمُ الْإِنشَاءَ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمُ يَخْتَفُونَ نَاسًا كَتَفَتِهِ اللَّهُ أَوْ أَشَدَّ حَسْبَهُ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْإِنشَاءَ لَوْلَا أَعْرَضْنَا عَنْ آيِ رَبِّهِ قُلْ مَتَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ الْآخِرَةُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في نفر من المهاجرين، كانوا يجوبون أن يؤذن لهم في قتال المشركين وهم بمكة قبل أن يُفرض القتال، فنهوا عن ذلك، فلما أُذِن لهم فيه، كرهه بعضهم. روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو قول قتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت واصفة أحوال قوم كانوا في الزمان المتقدم، فحلّدت هذه الأمة من مثل حالهم، روى هذا المعنى عطية، عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئذ إلى قصة الذين قالوا: ابعت لنا ملكاً. وقال مجاهد: هي في اليهود. فأما كُفَّ اليد، فالمراد به: الامتناع عن القتال، ذلك كان بمكة. و«كتب» بمعنى: فُرض، وذلك بالمدينة، هذا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ﴾ في هذا الفريق ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون. والثاني: أنهم كانوا مؤمنين، فلما فرض القتال، ناقدوا جُبناً وخوفاً. والثالث: أنهم مؤمنون غير أن طبائعهم غلبتهم، فنفرت نفوسهم عن القتال. قوله: ﴿يَخْتَفُونَ النَّاسَ﴾ في المراد بالناس قولان: أحدهما: كفار مكة. والثاني: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ حَسْبَهُ﴾ قيل: إن «أو» بمعنى الواو، و«كتب» بمعنى: فرضت. و«لولا» بمعنى «هلا». قال الفراء: إذا لم تر بعدها اسماً، فهي استفهام، بمعنى هلا، وإذا رأيت بعدها اسماً مرفوعاً، فهي التي جوابها اللام، تقول: لولا عبد الله لضربتك. وقال ابن قتيبة: إذا رأيتها بغير جواب، فهي بمعنى «هلا» تقول: لولا فعلت كذا، ومثلاً «لوما» فإذا رأيت لـ «لولا» جواباً، فليست بمعنى «هلا» إنما هي التي تكون لأمر يقع بوقوع غيره، كقوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [لَبَّيْ فِي بَطْنِهِ] [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] قلت: فأما «لولا» التي لها جواب فكثيرة في الكلام، وأنشدوا في ذلك:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

فيه المشيب لزرت أم القاسم<sup>(٣)</sup>

وأما التي بمعنى «هلا» فأنشدوا منها:

تعذون عقر النيب أفصل مجديكم

بني صؤ طرى لولا الكمى المقنعا<sup>(٤)</sup>

(١) في «مجاز القرآن» ٧٩/١: «أولياؤهم الطاغوت» في موضع جمع، لقوله: «يخرجونهم».

(٢) ذكره الواحدى عن الكلبي، وروى ابن جرير ٥٤٩/٨ عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلّة فقال: «إني أمرت بالعفو، فلا تقتلوا»، فلما حوله الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية. وإسناده جيد، ورواه الحاكم في «المستدرک» مع اختلاف في لفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) البيت لمدي بن الرقاع، وهو في «غريب القرآن» ص ٥٠، و«الشعر والشعراء» ٦٠٢/٢، و«الكامل» ١٢٧/١، و«الأغاني» ٣١١/٩، و«أماشي المرتضى» ٥١١/١، و«السمط» ٥٢١/١. وعنا فيه المشيب: أفسده أشد الإفساد، وهي بالناء المثناة، وهي كذلك في «الشعر والشعراء» و«اللسان». وفي «السمط»: علا. وفي «أماشي المرتضى»: بدا. وفي حاشية أصل المرتضى: فشا. وفي «غريب القرآن»: عتا. وفي «الأغاني» و«الكامل»: عسا. قال ابن قتيبة: وكان بعض الرواة ينشد بيت عدي بن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

فيه المشيب لزرت أم القاسم

ويتكر على من يرويه: «عسا» قال: وكيف يسو الشيب وهو إلى أن يرق في كبر الرجل ويلين، أقرب منه إلى أن يغلظ ويقسو ويصلب.

(٤) البيت لجرير بن عطية، ونسبه بعضهم للأشهب بن ربيعة، وهو خطأ، وهو في ديوان جرير: ٣٣٨، و«النفاض» ٨٣٣، من قصيدة طويلة في مناقشة جرير والفرزدق، و«مجاز القرآن» ٥٢/١، و«شرح المفصل» ١٤٤/٨، و«الخرزانة» ٤٦١/١، ورواية «الديوان والنفاض»: «أفضل سعيكم». وقوله: «عقر النيب» عقر الناقة أو الفرس: ضرب قوائمها قطعها، والعرب تفعل ذلك إذا أرادوا نحر البعير كيلا يشرد عند النحر. والنيب، جمع ناب: وهي الناقة المسنة. ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معارقة أبيه غالب بن صعصعة، وسحيم بن وثيل الرياحي بمكان يقال له: صؤر، فقفر

أراد: فهلاً تعدون الكمي، والكمي: الداخل في السلاح. وفي الأجل القريب قولان: أحدهما: أنه الموت، فكانهم قالوا: هلاً تركتنا نموت موتاً، وعافيتنا من القتل، هذا قول السدي، ومقاتل. والثاني: أنه إمهال زمان، فكانهم قالوا: هلاً أخرت فرض الجهاد عنا قليلاً حتى نكثر ونقوى، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ أي: مدة الحياة فيها قليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْهَوْنَ فَيْلًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ولا يظلمون» بالياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: بالناء، وقد سبق ذكر المتاع والفتيل.

﴿أَتَيْنَاكُمْ تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشْكُودَةٍ وَإِنْ نُنْصِبُكُمْ حَسَنَةً يَكُونُوا هَٰذِهِ يَوْمَ عَذَابِ اللَّهِ وَإِنْ نُنْصِبُكُمْ سَيِّئَةً يَكُونُوا هَٰذِهِ يَوْمَ عَذَابِ اللَّهِ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ قَالَهُ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ بِفَقْهِنَا حَتَّىٰ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاكُمْ تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن المنافقين قالوا في حق شهداء أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا، وما قتلوا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، ومقاتل. والبروج: الحصون، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، وابن قتبية. وفي «المشيدة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الحصينة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المطولة، قاله أبو مالك، ومقاتل، وابن قتبية. والثالث: المحصنة، قاله هلال بن خباب، واليزيدي. والرابع: أنها المبنية بالشيد، وهو الجص، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها بروج في السماء، قاله الربيع بن أنس، والثوري. وقال السدي: هي قصور يبض في السماء مبنية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نُنْصِبُكُمْ﴾ اختلفوا فيهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون واليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله الحسن. والثالث: اليهود، قاله ابن السري. وفي الحسنة والسيئة قولان: أحدهما: أن الحسنة: الخصب، والمطر. والسيئة: الجذب، والغلاء، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن الحسنة: الفتح والغنيمة، والسيئة: الهزيمة والجراح، ونحو ذلك، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وفي قوله: ﴿يَوْمَ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: بشؤمك، قاله ابن عباس. والثاني: بسوء تدبيرك، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: الحسنة والسيئة، أما الحسنة، فأنعم بها عليك، وأما السيئة، فابتلاك بها.

قوله تعالى: ﴿قَالَهُ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ وقف أبو عمرو، والكسائي على الألف من «فما» في قوله: ﴿قَالَهُ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ و«قَالَهُ هَٰذَا أَلْكُتِبُ» و«قَالَهُ هَٰذَا أَلْتَوَلَّى» و«فما للذين كفروا» والباقون وقفوا على اللام. فأما «الحديث»، فقيل: هو القرآن، فكانه قال: لا يفقهون القرآن، فيؤمنون به، ويعلمون أن الكل من عند الله.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَٰهِدًا﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ في المخاطب بهذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، فتقديره: ما أصابك أيها الإنسان، قاله قتادة. والثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: ما أصابك الله من حسنة، وما أصابك الله به من سيئة، فالفعلان يرجعان إلى الله ﷻ. وفي «الحسنة» و«السيئة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحسنة: ما فُتح عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثاني: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، قاله أبو العالية. والثالث: الحسنة: النعمة، والسيئة، البلية، قاله ابن قتبية، وعن أبي أبي العالية نحوه، وهو أصح، لأن الآية عامة. وروى كرداب، عن يعقوب: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ»

سحيم خساً وأمسك وعقر غالب مئة أو مئتين. قال ابن الأثير في «النهاية» ١١٤/٣: وفي حديث ابن عباس: «لا تأكلوا من تعاقروا الأعراب فإني لا آمن أن يكون مما أهل به لغير الله» هو عقرهم الإبل، كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيمقر هذا إبلاً، ويمقر هذا إبلاً حتى يعجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسعةً وتفاخراً، ولا يقصدون به وجه الله، فشبه بما ذبح لغير الله. وقوله: «بني ضوطني»، يعني: يا بني الحمقى، قال في «اللسان»: ويقال للقوم إذا كانوا لا يفتنون غناء: «بنو ضوطني». الكمي: الشجاع الذي لا يهرب، فلا يحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. والمتنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر، ومعنى «تعدون»: تجملون وتحسبون، ولهذا عداه إلى مفعولين.

(١) ذكره الواحدي من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

بتشديد النون، ورفعها، ونصب الميم، وخفض اسم «الله» ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ بنصب الميم، ورفع السين<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عباس: وما أصابك من سيئة، فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك. وقرأ ابن مسعود: وأنا عدتها عليك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: فبذنبك، قاله الحسن، وقتادة، والجماعة. وذكر فيه ابن الأنباري وجهاً آخر، فقال: المعنى: أضمن نفسك، فأضمرت ألف الاستفهام، كما أضمرت في قوله ﴿وَلَكَ يَسَّةٌ﴾ أي: أو تلك نعمة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِتُنْذِرَ رُسُلًا﴾ قال الزجاج: ذكر الرسول مؤكّد لقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ والباء في «بالله» مؤكدة. والمعنى: وكفى بالله شهيداً. «وشهداً»: منصوب على التمييز، لأنك إذا قلت: كفى بالله، ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مبهماً. وفي المراد بشهادة الله هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً لك بأنك رسوله، قاله مقاتل. والثاني: على مقاتلهم، قاله ابن السائب. والثالث: لك بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب والنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف عاب الله هؤلاء حين قالوا: إن الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي ﷺ، وردة عليهم بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم عاد، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ فهل قال القوم إلا هكذا؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم أضافوا السيئة إلى النبي ﷺ تشاؤماً به، فردّ عليهم، فقال: كل بتقدير الله. ثم قال: ما أصابك من حسنة، فمن الله، أي: من فضله، وما أصابك من سيئة، فبذنبك، وإن كان الكل من الله تقديراً. والثاني: أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدر، تقديره: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدر في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولون: ربنا. ومثله ﴿أَوْ يَهْدِ أَدَىٰ مِنْ رَأْيِهِمْ فَيُدْخِلُهُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي: فخلق، ففدية. ومثله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: فيقال لهم. ومثله ﴿وَاللَّيْلُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] أي: يقولون سلام. ومثله ﴿أَوْ كَلِمَةٍ بِدَلِيلٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن. ومثله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] أراد: لعذبكم. ومثله ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] أي: يقولون. وقال الثمري بن توبل:

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا

أراد: أينما ذهب. وقال غيره:

فَأَقْسَمَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ

أراد: لرددناه.

﴿مَنْ يُؤِخِّرِ الرَّسُولَ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

(١) في «البحر المحيط» ٣/٣٠٢: وقرأت عائشة رضي الله عنها: فمن نفسك، بفتح الميم ورفع السين، فمن: استفهام معناه الإنكار، أي: فمن نفسك حتى ينسب إليها، المعنى: ما للنفس في الشيء فعل.

(٢) في «القرطبي» ٥/٢٨٥: وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وأبي وابن مسعود، وذكر القراءة، ثم قال: فهذه قراءة على التفسير، وقد أثبتنا بعض أهل الزيف من القرآن، والحديث بذلك عن ابن مسعود وأبي منقطع، لأن مجاهداً لم ير عبد الله ولا أياً.

(٣) في «البحر المحيط»: والعرب تحذف ألف الاستفهام، قال أبو خراش: رفونسي وقالوا يا خويلد لم ترع

أي: أهم هم؟ قلت: والبيت في «ديوان الهذليين» ٢/١٤٤، قال الشارح: رفوني: أي سكنوني وكان أصلها: رفؤوني، قال أبو سعيد: وأهل الحجاز يهزنون، فترك الهمزة. قلت: وفي «البحر المحيط»: «رفوني» وهو تحريف.

(٤) «مشكل القرآن» ١٦٨، «وآدب الكاتب» ١٨٣، «والمعاني الكبير» ٢/١٢٦٤، وهو من قصيدة له في «مختارات ابن الشجري» ١٩، وقبل هذا البيت قوله:

فَإِنْ أَنْتَ لَا تَنْصِيحَ فَنَسِي نَجْدًا

يقول: إذا لقيت قوماً ذوي نجدة في حرب، فلا تهيب الإقدام عليها، فإن الذي يخشى المنية تلقاه أين ذهب من الأرض.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» ٢٤٢ وفيه «أجذك» قال شارح الديوان: وقوله: «لو شيء» يريد لو أحد، وليس ل «لو» هنا جواب، كما أسك عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. فيقول: لو أحد أنا رسول الله لما أجبناء، ولكننا لم ندفعك عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني، فقد أطاع الله<sup>(١)</sup>، ومن أحيي، فقد أحب الله» فقال المنافقون: لقد قارب هذا الرجل الشرك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: من قَبِلَ ما أتى به الرسول، فإنما قبل ما أمر الله به، ومن تولى، أي: أعرض عن طاعته. وفي «الحفيظ» قولان: أحدهما: أنه الرقيب، قاله ابن عباس. والثاني: المحاسب، قاله السدي، وابن قتيبة.

### فصل

قال المفسرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السيف. ﴿وَيَتْلُوكَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوكَ طَاعَةً﴾ نزلت في المنافقين، كانوا يؤمنون عند رسول الله ﷺ ليأمنوا، فإذا خرجوا خالفوا، هذا قول ابن عباس. قال الفراء: والرفع في «طاعة» على معنى: أمرك طاعة.

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة: بيت، بسكون «التاء»، وإدغامها في «الطاء» ونصب الباقون «التاء». قال أبو علي: التاء والطاء والدال من حيز واحد، فحسن الإدغام، ومن بين، فلانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين. قال ابن قتيبة: والمعنى [فإذا برزوا من عندك، أي: خرجوا، بيت طائفة منهم غير الذي تقول، أي<sup>(٢)</sup>] قالوا: وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهاراً. قال الشاعر:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا      وَكَانُوا أَتُونِي بِشَيْءٍ نُكِّرَ<sup>(٣)</sup>

والعرب تقول: هذا أمر قد قُدرَ ليليل [وفرغ منه ليليل، ومنه قول الحارث بن حلزة:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا      أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضُوضَاءُ<sup>(٤)</sup>

وقال بعضهم: بيت، بمعنى: بذل، وأنشد:

وَبَيَّتَ قَوْلِي عِنْدَ الْمَلِكِ      قَاتِلَكَ اللَّهُ عَبْدًا كَفُورًا<sup>(٥)</sup>

وفي قوله: ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ قولان: أحدهما: غير الذي تقول الطائفة عندك، وهو قول ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: غير الذي تقول أنت يا محمد، وهو قول قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يكتب في الأعمال التي تشبهت الملائكة، قاله مقاتل في آخرين. والثاني: ينزله إليك في كتابه. والثالث: يحفظه عليهم ليجازوا به، ذكر القولين الزجاج، قال ابن عباس: فأعرض عنهم: فلا تعاقبهم، وثق بالله ﷻ، وكفى بالله ثقة لك. قال: ثم نسخ هذا الإعراض، وأمر بقتالهم. فإن قيل: ما الحكمة في أنه ابتدأ بذكرهم جملة، ثم قال: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ والكل منافقون؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما أهل التفسير: أحدهما: أنه أخبر عن سهر ليله، ودبر أمره منهم دون غيره منهم. والثاني: أنه ذكر من علم أنه يبقى على نفاقه دون من علم أنه يرجع.

(١) قول الرسول ﷺ: من أطاعني فقد أطاع الله، رواه البخاري ٩٩/١٣، ومسلم ١٤٦٦/٣ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ في «الفتح»: قوله: من أطاعني فقد أطاع الله: هذه الجملة منترجة من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١.

(٣) البيت لعبيدة بن همام، أخو بني العدوية من بني مالك بن حنظلة من بني تميم، وهو في «مجاز القرآن» ١٣٣/١، و«غريب القرآن» ١٣١، و«الكامل» ٧٣٩/٢، و«الحيوان» ٣٧٦/٤، و«تفسير الطبري» ٥٦٣/٨، نكر، بضمين، مثل نكر بضم فسكون: الأمر المنكر الذي تنكره، والبيت يشمه الذي بعده وهو:

لَأُنْكِحَ أَبْنَاهُمْ مِنْ لَدُنْكَ      وَهَلْ يَنْكِحُ الْعَبْدَ حَسْرَ لِحَرٍّ؟  
وقد ذكر الجاحظ في «الحيوان» خبر هذين البيتين في خبر النعمان بن المنذر ومثاله، وذلك أن أخاه المنذر بن المنذر خطب إلى عبيدة بن همام، فردّه أقبح الرد، وذكر البيتين.

(٤) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١. والبيت في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٤٥٢.

(٥) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي، وهو في «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ١٩٢/٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ٢٨٩/٥ وفيهما «عبد المليك» وفي «الطبري»، «قاتلك الله عبداً كنوداً».

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال الزجاج: «التدبر»: النظر في عاقبة الشيء. و«الدبر»: النحل، سُمي دبراً، لأنه يُنقَب ما يُنتفع به، و«الدبر»: المال الكثير، سُمي دبراً لكثرة، لأنه يبقى للأعقاب والأدبار. وقال ابن عباس: أفلا يتدبرون القرآن، فيتفكرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه. قال ابن قتيبة: والقرآن من قولك: ما قرأت الناقة سلى<sup>(١)</sup> قط، أي: ما ضمت في رحمها ولدأ، وأنشد أبو عبيدة:

هَجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>(٢)</sup>

وإنما سُمي قرآنًا، لأنه جمع السور، وضمها<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التناقض، قاله ابن عباس، وابن زيد، والجمهور. والثاني: الكذب، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومردول، إذ لا بد للكلام إذا طال من مردول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكره الماوردي في جماعته<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ أَشْطَرًا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلقت نساءك؟ قال: «لا». فخرج فنادى: ألا إن رسول الله لم يطلق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استنيط الأمر. انفرد بإخراجه مسلم، من حديث ابن عباس، عن عمر<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية من السرايا فقلبت أو غلبت، تحدثوا بذلك، وأفشوه، ولم يصبروا حتى يكون النبي هو المتحدث به. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي المشار إليهم بهذه الآية قولان: أحدهما: أنهم المنافقون. قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أهل النفاق، وضعفة المسلمين، ذكره الزجاج. وفي المراد بالأمن أربعة أقوال: أحدها: فوز السرية بالظفر والغنية، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله ﷺ من المودة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مُخرجاً من حديث عمر. وفي «الخوف» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النكبة التي تُصيب السرية، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجتمعون للنبي ﷺ، فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أشاعوه. وقال ابن جرير: والهاء عائدة على الأمر<sup>(٦)</sup>.

(١) في «اللسان: السلى: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة.

(٢) صدره: فزاعي عيطل آدماء بكر. والبيت لعمر بن كلثوم من مغلته المشهورة، وقد انفرد أبو عبيدة بهذه الرواية، انظر «شرح القصائد السبع الجاهليات» ٣٨٠. وهو في «مجاز القرآن» ٢/١ وغريب القرآن: ٣٣ و«تفسير الطبري» ٩٦/١ و«الجمهرة» ٢٢٩/١، و«اللسان» و«التاج» مادة قرأ. والعيطل: الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن. والأدماء: مع سواد المقلتين، ووصفها بأنها بكر، لأن ذلك أحسن لها، وهي في عهدا ذلك ألين وأسمن، وهجان اللون: يضاء كريمة.

(٣) رجح الطبري في «تفسيره» ٩٤/١ قول ابن عباس في تأويل «القرآن» بالتلاوة والقراءة. ونقل عنه أنه فسر قول الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: بيناء (فأتبع قرآنه) يقول اصله به. ثم قال: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيناء بالقراءة فاعمل بما بيناء لك بالقراءة.

(٤) قال ابن جرير ٥٦٧/٨: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعملوا حجة الله عليهم في طاعتك، واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم من التنزيل من عند ربهم لاتسق معانيه، واتلاف أحكامه، وتأيد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

(٥) مسلم ١١٠٥/٢ وهو حديث طويل فيه فوائد عظيمة، وتوجيهات قيمة، فارجع إليه.

(٦) في «الطبري» ٥٦٨/٨: «والهاء» في قوله: «أذاعوا به» من ذكر «الأمر» وتأويله: أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم، يقال منه: «أذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه» ومنه قول أبي الأسود:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوهُ﴾ يعني: الأمر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ حتى يكون هو المخبر به ﴿وَلَا تَأْتِي الْأُمَمُ مِنْهُمْ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أبو بكر، وعمر، قاله عكرمة. والثالث: العلماء، قاله الحسن، وقتادة، وابن جريج. والرابع: أمراء السرايا، قاله ابن زيد، ومقاتل. وفي ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الذين يتبعونه من المذيعين له، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أولو الأمر، قاله ابن زيد. والاستنباط في اللغة: الاستخراج. قال الزجاج: أصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، يقال من ذلك: قد أنبط فلان في غصراء، أي: استنبط الماء من طين حُرّ. والنبط: سُموا نبطاً، لاستنباطهم ما يخرج من الأرض. قال ابن جرير: ومعنى الآية: وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين بخير أو بشر أفسوه، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وذوو الأمر يتولون الخبر عن ذلك، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك من يبحث عنه من أولي الأمر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. في المراد بالفضل أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله. والثاني: الإسلام. والثالث: القرآن. والرابع: أولو الأمر. وفي الرحمة أربعة أقوال: أحدها: أنها الوحي. والثاني: اللطف. والثالث: النعمة. والرابع: التوفيق.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه راجع إلى الإذاعة، فتقديره: أذاعوا به إلا قليلاً. وهذا قول ابن عباس، وابن زيد، واختاره الفراء، وابن جرير<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه راجع إلى المستنبطين، فتقديره: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، وهذا قول الحسن، وقتادة، وإخثاره ابن قتيبة. فعلى هذين القولين، في الآية تقديم وتأخير. والثالث: أنه راجع إلى اتباع الشيطان، فتقديره: لا تتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم، وهذا قول الضحاک، واختاره الزجاج. وقال بعض العلماء: المعنى: لولا فضل الله بإرسال النبي إليكم، لضللتكم إلا قليلاً منكم كانوا يستدركون بعقولهم معرفة الله، ويعرفون ضلال مَنْ يَعْبُدُ غيره، ككس بن ساعدة.

﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَمَى اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَمْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ لما نذب الناس لموعده أبي سفيان بيد الصغرى بعد أحد، كره بعضهم ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي «فء» «فقاتل» قولان: أحدهما: أنه جواب قوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾، والثاني: أنها متصلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكرهما ابن السري. والمراد بسبيل الله: الجهاد.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: إلا المجاهدة بنفسك<sup>(٣)</sup>. و«حَرْضُ»: بمعنى حَضْضُ. قال الزجاج:

(١) نص كلامه في «جامع البيان» ٥٦٨/٨، ٥٧١: وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا عن عدوهم بغلبتهم إياهم ﴿أَوْ الْحَرَفِ﴾ يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصاية عدوهم منهم، ﴿أَنَّهُمْ يَدْعُو﴾ يقول: أفسوه ويشوه في الناس قبل رسول الله ﷺ، وقبل ما أتى سرايا رسول الله ﷺ... ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله ﷺ، وإلى أولي أمرهم، يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله ﷺ، أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن ثبت عندهم صحته، أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه، ويستخرجونه «منهم» يعني أولي الأمر، و«الهاء» و«الميم» في قوله «منهم» من ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه.

(٢) انظر «معاني القرآن» للفراء ٢٧٩/١، و«جامع البيان» ٥٧٧/٨.

(٣) قال ابن جرير الطبري: فأما قوله ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنه يعني لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدو وعدوك إلا ما حثك من ذلك من دون ما حثك غيرك منه، أي: إنك إنما تتبج بما اكتسبه دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك. وقال الزجاج: أمره بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه ضمن له النصر. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل أيكون ممن قال الله فيه: ﴿وَلَا تُلْهُوا بِالْأَمْرِ إِلَى الْبَلَاءِ؟﴾ قال: قد قال الله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ورواه الإمام أحمد عن أبي إسحاق، قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، إن الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إنما ذلك في النفقة. قلت: وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ٣٣٨/٥ عن «المسنَد» وقال: رجاله رجال الصحيح، غير سليمان بن داود الهاشمي وهو ثقة.



ومعنى «عسى» في اللغة: معنى الطمع والإشفاق. والإطماع من الله واجب. و«البأس»: الشدة. وقال ابن عباس: والله أشدّ عذاباً. قال قتادة: و«التنكيل»: العقوبة.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: «مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً» في المراد بالشفاعة أربعة أقوال: أحدها: أنها شفاعة الإنسان للإنسان، ليجتلب له نفعاً، أو يخلصه من بلاء، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وقاتدة، وابن زيد. والثاني: أنها الإصلاح بين اثنين، قاله ابن السائب. والثالث: أنه الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، ذكره الماوردي. والرابع: أن المعنى: مَنْ يَصْرُ شفعاً لوتر أصحابك يا محمد، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي الشفاعة السيئة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السعي بالنميمة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنها الدّعاء على المؤمنين والمؤمنات، وكانت اليهود تفعله، ذكره الماوردي. والثالث: أن المعنى من يشفع وتر أهل الكفر، فيقاتل المؤمنين، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: و«الكفل» في اللغة: النصب، وأخذ من قولهم: اكتفلت البعير، إذ أدركت على سنامه، أو على موضع من ظهره كساء، وركبت عليه. وإنما قيل له: كفل، لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيباً منه. وفي «المقيت» سبعة أقوال: أحدها: أنه المقنن، قال أحيدة بن الجلاح:

وذي ضِفْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ      وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتًا<sup>(٢)</sup>

والى هذا المعنى ذهب ابن عباس، وابن جرير، والسدي، وابن زيد، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والخطابي. والثاني: أنه الحفيظ، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال: هو بالحفظ أشبه، لأنه مشتق من القوت، يقال: قُتَّ الرجل أقوته قوتاً: إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته. والقوت: اسم الشيء الذي يحفظ نفسه [ولا فضل فيه على قدر الحفظ]، فمعنى المقيت: الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ. قال الشاعر:

أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو      سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحَسَابِ مُقِيتٌ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أنه الشهيد، رواه ابن أبي نجیح، عن مجاهد، واختاره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أنه الحسيب، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: الرقيب، رواه أبو شيبه عن عطاء. والسادس: الدائم، رواه ابن جرير عن عبد الله بن كثير. والسابع: أنه معطي القوت، قاله مقاتل بن سليمان. وقال الخطاب: المقيت يكون بمعنى معطي القوت، قال الفراء: يقال: فاته وأفاته.

﴿وَإِذَا حُيِّنْتُمْ يَنْجِئُوا فَجِئُوا بِحَسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: «وَإِذَا حُيِّنْتُمْ يَنْجِئُوا» في التحيّة قولان: أحدهما: أنها السلام، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني:

(١) «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ٥٨٤/٩، و«اللسان» مادة: قوت، و«الجمهرة» ٣٦/٢، ونسبه للزبير بن عبد المطلب. قال الأستاذ محمود شاكر: لم أجده للزبير، بل وجدته لأبي قيس بن رفاع، مرفوع القافية في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: ٢٤٣، وفي «الطبقات»: بعد أن ذكر تخريج البيت: وروايتهم «مقيتاً» وهو خطأ، ورواه ابن الشجري: «واني في مساهمة مقيت» والرفع في رواية ابن سلام وجه عربي صحيح، انظر ابن مالك في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» ٢٤/٢١، وتأويل البيت «وكنته على مساهمة مقيت» حذف خبر كان، لأنه ضمير متصل، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلاً، ويستغنى عنه بنية الضمير، يعني: وكنت ذا ضغن مثله وأنا على مساهمة مقيت. ومقيت: مقتدر، من قولهم: أفات على الشيء: اقتدر عليه وأطاقه.

(٢) البيت للسموأل بن عاديا، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٣٥، و«الأصمعيات» ٨٥، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٣٧، و«غريب القرآن» ١٣٣، و«اللسان» ٧٥/٢، وقوله:

لَيْتَ شِعْرِي! وَأَشْمَرَةً إِذَا مَا      قَرَّبُوها مِنْ شُورَةٍ فَفَرِيتُ

وقوله: «لبيت شعري» أي: ليت لي علماً حاضراً يحيط بما سوف يكون. وأشعرن: استفهام، يقول: وهل أشعرن. وقوله: «قربوها منشورة» يعني صنف أعماله يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفي «الصحاح»: المقيت: الحافظ للشيء والشاهد له. أي: أحرف ما عملت من سوء، لأن الإنسان على نفسه بصيرة.

الدعاء، ذكره ابن جرير، والماوردي. فأما «أحسن منها» فهو الزيادة عليها، وردها: قول مثلها. قال الحسن: إذا قال أخوك المسلم: السلام عليكم، فرد السلام، وزد: ورحمة الله. أو ردّ ما قال ولا تزد. وقال الضحاك: إذا قال: السلام عليك، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله. وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته، وهذا منتهى السلام. وقال قتادة: بأحسن منها للمسلم، أو ردّها على أهل الكتاب.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال مقاتل: نزلت في الذين شكّوا في البعث. قال الزجاج: واللام في «ليجمعنكم» لام القسم، كقولك: والله ليجمعنكم، قال: وجائز أن تكون سُميت القيامة، لقيام الناس من قبورهم، وجائز أن تكون، لقيامهم للحساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ إنما وصف نفسه بهذا، لأن جميع الخلق يجوز عليهم الكذب، ويستحيل في حقه.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَهُمْ يَمْ كُتِبَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وباء بالمدينة وجماعها، فخرجوا فاستقبلهم نفرٌ من المسلمين، فقالوا: مالكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتوبناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نأفقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه، فافترق فيهم أصحاب رسول الله، ففرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا نقتلهم، فنزلت هذه الآية، هذا في «الصحيحين» من قول زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن قوماً كانوا بمكة تكلموا بالإسلام وكانوا يعاونون المشركين، فخرجوا من مكة لحاجة لهم، فقال قوم من المسلمين: اخرجوا إليهم، فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عدوكم. وقال قوم: كيف نقتلهم وقد تكلموا بمثل ما تكلمنا به؟ فنزلت هذه الآية، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن قوماً قدموا المدينة، فأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة، فأظهروا الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، ومجاهد. والخامس: أن قوماً أعلنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية، وهذا قول الضحاك. والسادس: أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصابنا أوجاع في المدينة، فلعلنا نخرج فتماتل، فإننا كنا أصحاب بادية، فانطلقوا واختلف فيهم أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي. والسابع: أنها نزلت في شأن ابن أبيّ حين تكلم في عائشة بما تكلم، وهذا قول ابن زيد<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين. والمعنى: أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟ و«الفتنة»: الفرقة.

(١) «المسند» ٣/ ١٣١. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٧ عن أحمد وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، قلت: ولم يصرح ابن إسحاق بالحديث، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٧١، قال: في إسناده تدليس وانقطاع. وقال الحافظ في «الفتح»: وفي سبب نزولها قول آخر، أخرجه أحمد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، وذكر الحديث، ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي سلمة مرسلاً، فإن كان محفوظاً، احتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعاً. وقوله «اجتوبناها» أي أصابنا الجوى، وهو المرض وهاء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواها واسترخوها، ويقال: اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيها وإن كنت في نعمة، قاله في «النهاية».

(٢) «المسند» ٥/ ١٨٤، والبخاري ٨/ ١٩٣ ومسلم ٤/ ٢١٤٢. قال الحافظ في «الفتح»: وهذا هو الصحيح في سبب نزولها. وفي «الفتح»: وقوله «رجع ناسٌ ممن خرج معي» يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في «المغازي»، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رايه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج، وأجابهم النبي ﷺ فخرج، قال عبد الله بن أبي: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلاث الناس. قال ابن إسحاق في رواية: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر، وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي، فتأشدهم أن يرجعوا فأبوا، فقال: أبعدكم الله.

(٣) ابن جرير ٩/ ١٠، وابن أبي حاتم من طريق الموفى، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) ابن جرير ٩/ ١٣. وقوى قول من قال: إنها نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم من أهل مكة.

وفي معنى «أركسهم» أربعة أقوال: أحدها: ردّهم، رواه عطاء، عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: ركست الشيء، وأركسته: لغتان، أي: نكسهم وردّهم في كفرهم<sup>(١)</sup>، وهذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أوقعهم، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثالث: أهلكهم، قاله قتادة. والرابع: أضلّهم، قاله السدي. فأما الذي كسبوا، فهو كفرهم، وارتدادهم. قال أبو سليمان: إنما قال: أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله، لأن قوماً من المؤمنين قالوا: إخواننا، وتكلموا بكلمتنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الحجة، قاله الزجاج. والثاني: إلى الهدى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَرِثًا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا﴾ أخبر الله ﷻ المؤمنين بما في ضماير تلك الطائفة، لئلا يحسنوا الظن بهم، ولا يجادلوا عنهم، وليعتقدوا عداوتهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا تولوهم فإنهم أعداء لكم ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: يرجعوا إلى النبي ﷺ. قال ابن عباس: فإن تولوا عن الهجرة والتوحيد، ﴿فَتُذَوِّعُهُمْ﴾ أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم في الجبل والحرم<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: كانت الهجرة فرضاً إلى أن فتحت مكة. وقال الحسن: فرض الهجرة باق، وأعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب: من تجب عليه، وهو الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب، خوفاً على نفسه، وهو قادرٌ على الهجرة، فتجب عليه لقوله: ﴿إِنَّمَا تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ والثاني: من لا تجب عليه بل تستحب له، وهو من كان قادراً على إظهار دينه في دار الحرب. والثالث: من لا تستحب له، وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ولا على الحركة كالشيخ الفاني والزمن فلم تستحب له للحقوق المشقة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَمِيلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيقٌ أَوْ جَاءَتْكُمْ حُرُوفُهُمْ أَوْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوكُمْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَمِيلُونَ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة. وفي «يصلون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى يتصلون ويلجؤون. قال ابن عباس: كان هلال بن عويمر الأسلمي وأدع رسول الله ﷺ على أن لا يُعَيِّنَ ولا يُعَيَّنَ عليه. فكان من وصل إلى هلال من قومه وغيرهم، فلهم من الجوار مثل ما لهلال<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه بمعنى يتسبون، قاله ابن قتيبة، وأنشد:

إِذَا أَتَيْتُ قَالَتْ أَبْكَرُ بْنُ وَائِلٍ

وَبَكَرُ سَبَشَا وَالْأَنْوْفُ رَوَاحِمُ<sup>(٤)</sup>

(١) نص كلام ابن قتيبة في غريب القرآن ١٣٣: «وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ» أي: نكسهم وردّهم في كفرهم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «رَكَسَهُمْ» وهما لغتان ركست الشيء وأركسته.

(٢) في «مفاتيح الغيب» ٢٨١/٣: دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشركين بالزندقة والإلحاد، وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّيكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنته: ١] والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين، لأن ذلك هو الأمر الذي يتقرب به إلى الله تعالى، ويتوصل به إلى طلب السعادة في الآخرة، وإذا كان كذلك، كانت العداوة الحاصلة بسببه أعظم أنواع العداوة، وإذا كان كذلك، امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات العداوة حاصلاً فيه.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَمِيلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِيقٌ﴾ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادة، أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم، وهذا قول السدي، وابن زيد، وابن جرير. وانظر تفصيل القول في «المعني» ١٠/٥١٣، وقيل الأوطار ١٧٦/٨.

(٤) البيت للأعشى وهو في «ديوانه» ص ٨١، و«مجاز القرآن» ١/١٣٦، و«غريب القرآن» ١٢٣، و«تفسير الطبري» ٢٠/٩، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٠٩ =

يريد: إذا انتسبت، قالت: أكبراً، أي: يا آل بكر. وفي القوم المذكورين أربعة أقوال: أحدها: أنهم بنو بكر بن زيد مناة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقه بن مالك، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم بنو مدلج، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. والرابع: خزاعة وبنو مدلج، قاله مقاتل. قال ابن عباس: «والميثاق»: العهد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَاءُوكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: أو يصلون إلى قوم جاؤوكم، قاله الزجاج في جماعة. والثاني: أنه يعود إلى المطلوبين للقتل، فتقديره: أو رجعوا فدخلوا فيكم، وهو بمعنى قول السدي.

قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه إضمار «قد». والثاني: أنه خبرٌ بعد خبر، فقوله: ﴿جَاءُوكُمْ﴾: خبرٌ قد تم، و﴿حَصِرَتْ﴾: خبرٌ مستأنف، حكاها الزجاج. وقرأ الحسن، ويعقوب، والمفضل، عن عاصم: «حَصِرَ صُدُورُهُمْ» على الحال. و«حصرت»: ضاقت، ومعنى الكلام: ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم، أو يقاتلوا قومهم، يعني قريشاً. قال مجاهد: هلال بن عويمر هو الذي حَصِرَ صدره أن يقاتلكم، أو يقاتل قومه.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَتْ شَاةُ اللَّهِ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكَ﴾ قال الزجاج: أخبر أنه إنما كفَّهم بالرعب الذي قذف في قلوبهم. وفي «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله الحسن. والثاني: الصلح، قاله الربيع. ومقاتل.

### فصل

قال جماعة من المفسرين: معاهدة المشركين وموادعتهم المذكورة في هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال القاضي أبو يعلى: لما أعز الله الإسلام أمروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف<sup>(٢)</sup>.

من قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني. قال في «اللسان»: اتصلت: انتسبت، وفسرها شارح شعر الأعشى: إذا دعت: يعني بدعوى الجاهلية، وهو الاعتزاء. يقول: تدعى إليهم وتتسبب، وهي من إيمانهم اللواتي سببن وقد رغمت أنوفهن وأنوف رجالهن الذين كانوا يدافعون عنهن، ثم انهزموا عنهن وتركوهن للسياة. قلت: وما جرى عليه ابن قتيبة في تفسير هذه الآية سيقه إليه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١٣٦/١ وتعقبهما النحاس بقوله في «الناسخ والمنسوخ» ١٠٩: وهذا غلط عظيم، لأنه يذهب إلى أن الله تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهل الاحتجاج بأن ذلك كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن النسخ له (برائة)، وإنما نزلت (برائة) بعد الفتح وبعد أن انقطعت الحروب، وإنما يؤتى هذا من الجهل بقول أهل التفسير، والاجترار على كتاب الله، وحمله على المعقول من غير علم بأقوال المتقدمين. والتقدير على قول أهل التأويل: فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أولئك خزاعة صالحهم النبي ﷺ على أنهم لا يقاتلون، وأعطاهم الزمام والأمان، ومن وصل إليهم، فدخل في الصلح معهم، كان حكمه حكمهم ﴿وَإِذْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: وإلا الذين جاؤوكم حصرت صدورهم، وهم بنو مدلج وبنو خزاعة ضاقت صدورهم أن يقاتلوا المسلمين، أو يقاتلوا قومهم بني مدلج. و«حصرت»: خبر بعد خبر.

وفي «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية: فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد ﷺ وأصحابه وعهدهم.

(١) قال ابن كثير ٥٣٣/١: وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جعدان، عن الحسن أن سراقه بن مالك المدجلي حدثهم، قال: لما ظهر يعني النبي ﷺ على أهل بدر واحد، وأسلم من حولهم، قال سراقه بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أنشدك النعمة. فقالوا: صَ، فقال النبي ﷺ: «دعوه ما تريد؟» قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا، لم تخش قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد، فقال: «ذهب معه فاقبل ما يريد»، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا، فأنزل الله ﴿وَرُوَا نَو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً لَكُمْ تَسْعَدُوا يَتَمَّ أَرْبَابَهُ﴾ ورواه ابن مردويه، وقال: فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَسْلُونَ إِلَا قَوْمَ يَنْتَكُم وَيَسْتَكُنُّ﴾ فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم. قلت: والحسن لم يسمع من سراقه، وعلي بن زيد بن جعدان: ضعيف.

(٢) قال الخريفي: ولا تقبل الجزية إلا من يهودي أو نصراني أو مجوسي إذا كانوا مقيمين على ما عاهدوا عليه، ومن سواهم فالإسلام أو القتل. قال في «المغني» ٥٣٣/١٠: يعني من سوى اليهود والنصارى والمجوس لا تقبل منهم الجزية، ولا يقرّون بها، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن لم يسلموا قتلوا، هذا ظاهر منذهب أحمد، وروي عن الحسن بن ثواب أنها تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب، لأن حديث بريدة يدل بعمومه على قبول الجزية من كل كافر إلا أنه خرج منه عبدة الأوثان من العرب لغلظ كفرهم من وجهين: أحدهما: دينهم، والثاني: كونهم من وهط النبي ﷺ. وفي «نيل الأبطار» ٥٣/٨، وقوله: «فسلمهم الجزية» ظاهره عدم الفرق بين الكافر المعجمي والعربي، والكتابي وغير الكتابي، وإلى ذلك ذهب مالك، والأوزاعي، وجماعة من أهل العلم.

﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِكَلِمَتِهِمْ وَيُؤْمِنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَتَّعِزُّوا وَلَقَدْ رَأَوْا لَكُمْ الْإِسْلَامَ وَكَفَرُوا بِآيَاتِهِمْ فَحَذَرْتُمْ وَأَقْتُلْتُمُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُونَهُمْ وَأَوَّلَيْتُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا نَبِيًّا﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ﴾ اختلغوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أسد وغطفان، كانوا قد تكلموا بالإسلام ليأمنوا المؤمنين بكلمتهم، ويأمنوا قومهم بكفرهم، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في بني عبد الدار، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم أرادوا أخذ الأمان من النبي ﷺ، وقالوا: لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، قاله قتادة. والرابع: أنها نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، كان يأمن في المسلمين والمشركين، فيقتل الحديث بين النبي ﷺ وبينهم، ثم أسلم نعيم، هذا قول السدي. ومعنى الآية: ستجدون قوماً يظهرن الموافقة لكم ولقومهم، ليأمنوا الفريقين، كلما دعوا إلى الشرك، عادوا فيه، فإن لم يعتزلوكم في القتال، ويلقوا إليكم الصلح، ويكفوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم، أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث أدركنتموهم، وأولائكم جعلنا لكم عليهم حجة بينة في قتلهم.

### فصل

قال أهل التفسير: والكف عن هؤلاء المذكورين في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَوَيْدَتْهُ إِلَهُ أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيقَاتٌ فَوَيْدَتْهُ إِلَهُ أَهْلِهِ. وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَبْسِيَّامَ شَهْرَتَيْنِ مُتَكَابِلَيْنِ تَوَكُّبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَتْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا حَكِيمًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله، ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه، فخرج إلى المدينة فقالت أمه لابنيها أبي جهل، والحارث ابني هشام، وهما أخواه لأمه: والله لا يُظِلّتي سقف، ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى تأتيا بي به. فخرجا في طلبه. ومعهما الحارث بن زيد، حتى أتوا عياشاً وهو مُتَحَصِّنٌ في أطم، فقالوا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقف، ولم تذق طعاماً، ولا شرباً، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك، فنزل، فاوثقوه، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، فقدموا به على أمه، فقالت: والله لا أحلك من وثاقل حتى تكفر، فطرح موثقاً في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا، فقال له الحارث بن زيد: يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته. فغضب، وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم أفلت عياش بعد ذلك، وهاجر رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم أسلم الحارث بعده، وهاجر ولم يعلم عياش، فلقبه يوماً فقتله، فقيل له: إنه قد أسلم، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان، وقال: لم أشعر بإسلامه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وهو قول سعيد بن جبير، والسدي، والجمهور. والثاني: أن أبا الدرداء قتل رجلاً قال لا إله إلا الله في بعض السرايا، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر له ما صنع، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: معنى الآية: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة. والاستثناء ليس من الأول، وإنما المعنى: إلا أن يُخطئ المؤمن. وروى أبو عبيدة، عن يونس: أنه سأل رؤية عن هذه الآية، فقال: ليس له أن يقتله عمداً ولا خطأ، ولكنه أقام «الإلا» مقام «الواو» قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ  
لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال ابن جرير الطبري ٣٤/٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عرف عباده بهذه الآية ما على من قتل مؤمناً خطأ من كفارة ودية، وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقيله، وفي أبي الدرداء وصاحبه. وأي ذلك كان، فالذي عنى الله تعالى بالآية: تعريف عباده ما ذكرنا. وقد عرف ذلك من عقل عنه من عباده تنزيهه، وغير ضائرهم جهلهم بمن نزلت فيه.

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب، وقيل لسوار بن المضرب، وقيل لحضرمي بن عامر. وهو في سيبويه ٣٧١/١، «والكامل» ١٢٤٠/٣، «والبيان والبيان» ١/٢٢٨، و«شرح المفصل» ٨٩/٢، «والبحر المحييط» ٣٢١/٣، «وشواهد المغني» ٧٨، و«خزانة الأدب» ٥٢/٢. قال الأعلام: والشاهد فيه نعت «كل» =

أَرَادَ: وَالْفَرْقَدَانِ. وقال بعض أهل المعاني: تقدير الآية: لكن قد يقتله خطأ، وليس ذلك فيما جعل الله له، لأن الخطأ لا تصح فيه الإباحة، ولا النهي. وقيل: إنما وقع الاستثناء على ما تضمنته الآية من استحقاق الإثم، وإيجاب القتل. قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مَوْثُوقَةٍ﴾ قال سعيد بن جبير: عتق الرقبة واجب على القاتل في ماله، واختلفوا في عتق الغلام الذي لا يصح منه فعل الصلاة والصيام، فروي عن أحمد جوازه، وكذلك روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهذا قول عطاء، ومجاهد<sup>(١)</sup>. وروي عن أحمد: لا يجزئ إلا من صام وصلى، وهو قول ابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وإبراهيم، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّ مَسْلَمَةُ إِلَهَ أَهْلِيهِ﴾ قال القاضي أبو يعلى: ليس في هذه الآية بيان من تلزمه هذه الدية، واتفق الفقهاء على أنها عاقلة القاتل، تحملها عنه على طريق المواساة، وتلزم العاقلة في ثلاث سنين، كل سنة ثلثها. والعاقلة: العصبات من ذوي الأنساب، ولا يلزم الجاني منها شيء<sup>(٢)</sup>. وقال أبو حنيفة: هو كواحد من العاقلة. وللنفس ستة أبدال: من الذهب ألف دينار، ومن الورق اثنا عشر ألف درهم، ومن الإبل مائة، ومن البقر مائتا بقرة، ومن الغنم ألفا شاة، وفي الحلل روايتان عن أحمد، إحداهما: أنها أصل، فتكون مائتا حلة. فهذه دية الذكر الحر المسلم، ودية الحرة المسلمة على النصف من ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكْسِدُوا﴾ قال سعيد بن جبير: إلا أن يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ أَنْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وإن كان المقتول خطأ من قوم كفار، ففيه تحرير رقبة من غير دية، لأن أهل ميراثه كفار. والثاني: وإن كان مقيماً بين قومه، فقتله من لا يعلم بإيمانه، فعليه تحرير رقبة ولادية، لأنه ضيع نفسه بإقامته مع الكفار، والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال النخعي، وبالثاني سعيد بن جبير. وعلى الأول تكون «من» للتبعض، وعلى الثاني تكون بمعنى في.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حِثٌّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل من أهل الذمة يقتل خطأ، فيجب على قاتله الدية والكفارة، هذا قول ابن عباس، والشعبي، وقتادة، والزهري، وأبي حنيفة، والشافعي. ولأصحابنا تفصيل في مقدار ما يجب من الدية<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المؤمن يقتل وقومه مشركون، ولهم عقد، فديته لقومه، وميراثه للمسلمين، هذا قول النخعي.

بقوله: «إلا الفرقدان» على تأويل «غير» والتقدير: وكل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه، وهذا على مذهب الجاهلية، كأنه قال هذا قبل الإسلام، ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا. والفرقدان، ثنية فرقد: وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. وقال أبو حيان رحمه الله بعد أن نقل مقالة أبي عبيدة: والذي يظهر أن قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع، وهو قول الجمهور منهم أبان بن تغلب، والمعنى: لكن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ.

(١) قال ابن كثير ٥٣٤/١: والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه من الكفارة، سواء كان صغيراً أو كبيراً.

(٢) في «المعنى» ٤٩٦/٩: ولا تعلم بين أهل العلم خلافاً في أن دية الخطأ على العاقلة، قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم، وقد ثبت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به، وقد جعل النبي ﷺ دية عبد الخطأ على العاقلة بما قد رويناه من الأحاديث، وفيه تشبه على أن العاقلة تحمل دية الخطأ، والمعنى في ذلك أن جنائيات الخطأ تكثر، ودية الأدمي كثيرة، فإيجابها على الجاني في ماله يصحف به، فانتضت الحكمة إيجابها على العاقلة على سبيل المواساة للقاتل، والإعانة له تخفيفاً عنه إذا كان معذوراً في فعله، وينفرد هو بالكفارة. قال ابن كثير: وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله، قال الشافعي: لا أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فاخصصوا إلى رسول الله ﷺ فقضى أن دية جنيها غرة هيد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلها، وهذا يقتضي أن حكم عبد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية. لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثاً كالعمد لشبهه به. وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عمر، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جليمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صابنا صابنا، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرغ يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك من صنع خالد» قال ابن إسحاق: وبعث علياً، فودى قتلاهم، وما أنلف من أموالهم حتى مبلغه الكلب. وهذا يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

(٣) في «الكافي» ٧٨/٣: ودية الكتابي نصف دية المسلم، لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «دية المعاهد نصف دية المسلم» رواه أبو داود. وروي عنه: أن دية ثلث الدية، لما روي أن عمر جعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، إلا أنه رجع عن هذه الرواية، =

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ اختلفوا هل هذا الصيام بدل من الرقبة وحدها إذا عدها، أو بدل من الرقبة والدية؟ فقال الجمهور: عن الرقبة وحدها، وقال مسروق، ومجاهد، وابن سيرين: عنهما. واتفق العلماء على أنه إذا تخلل صوم الشهرين إفاطار لغير عذر، فعليه الابتداء، فأما إذا تخللها المرض، أو الحيض، فعندنا لا يقطع التابع، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة: المرض يقطع، والحيض لا يقطع، وفرق بينهما بأنه يمكن في عادة صوم شهرين بلا مرض، ولا يمكن ذلك في الحيض، وعندنا أنها معذورة في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: معناه: فعل الله ذلك توبة منه. قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل عليمًا بما يصلح خلقه من التكليف ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقضي بينهم، ويدبره في أمورهم.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ سبب نزولها: أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، وكان مسلماً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولا من بني فهر، فقال له: إيت بني النجار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام، فادفعوه إلى مقيس بن ضبابة، وإن لم تعلموا له قاتلاً، فادفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهري ذلك، فقالوا: والله ما نعلم له قاتلاً، ولكننا نعطى دية، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن ضبابة، فقال: تقبل دية أخيك، فيكون عليك سبّة ما بقيت. اقتل الذي معك مكان أخيك، وأفضل بالدية، فرمى الفهري بصخرة، فشدخ رأسه، ثم ركب بعيراً منها، وساق بقيتها راجعاً إلى مكة، وهو يقول:

قتلت به فهراً وحملت عقله  
وأدركت ثأري واضطجعتُ موسداً  
سُراة بني النجار أرباب فارع  
وكننت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، فقتل، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ قولان: أحدهما: متعمداً لأجل أنه مؤمن، قاله سعيد بن جبير. والثاني: متعمداً لقتله، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قولان: أحدهما: أنها جزاؤه قطعاً. والثاني: أنها جزاؤه إن جازاه. واختلف العلماء هل للمؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً توبة أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أن له توبة، وذهب ابن عباس إلى أنه لا توبة له.

= وقال: كنت أذهب إلى أن دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، فأتنا اليوم أذهب إلى نصف دية المسلم. قلت: أما حديث عمرو بن شعيب فرواه أيضاً أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وهو حديث حسن. وأما أثر عمر فقد رواه عنه سعيد بن المسيب، وهو مقطوع، لأن سعيداً لم يسمع من عمر.

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٩٨ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ١٩٦/٢ إلى البيهقي في «شعب الإيمان» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري ٦١/٩ من طريق ابن جريج عن عكرمة ونفظة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن ضبابة، فأعطاه النبي ﷺ الدية، قبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج: وقال غيره: ضرب النبي ﷺ دية على بني النجار، ثم بعث مقيساً، وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبي ﷺ، فاحتمل مقيس الفهري، وكان أيداً فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم ألقي يتنقى:

ثأرت به فهراً وحملت عقله  
فقال النبي ﷺ: «أظنه قد أحدث حدثاً، أما والله لئن كان فعل لا أومنه في جل ولا حرم، ولا سلم ولا حرب» فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزول هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾. وفي «سيرة ابن هشام» ٢٩٣/٢ قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتكم مسلماً، وجئتكم أطلب دية أخي، فبطل خطا. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعره بقوله:

شفي الثَّنَسُ أن قد مات بالقراع مُسَيِّداً  
وكانت هموم الثَّنَسِ من قبل قتلته.  
حسنت به وتري وأدركت ثأرتي  
ثأرت به فهراً وحملت عقله  
فُضِرَجَ ثَوْبِيهِ وَمَاءُ الْأَخْدَاعِ  
ثُلِمْتُ فَتَحْمِيْنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ  
وَكُنْنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ  
سُراة بني النجار أرباب فارع



## فصل

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟ فقال قوم: هي محكمة، واحتجوا بأنها خبر، والأخبار لا تحتل النسخ، ثم افرق هؤلاء فرقتين، إحداهما قالت: هي على ظاهرها، وقاتل المؤمن مخلد في النار. والفرقة الثانية قالت: هي عامة قد دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتله كافر، ثم أسلم الكافر، انهدرت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا ثبت كونها من العام المخصص، فأبي دليل صالح للتخصيص، وجب العمل به. ومن أسباب التخصيص أن يكون قتله مستحلاً، فيستحق الخلود لاستحلاله. وقال قوم: هي مخصوصة في حق من لم يتب، واستدلوا بقوله تعالى في الفرقان: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٥] [الفرقان]. وقال آخرون: هي منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْيِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].<sup>(١)</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ مُؤْمِنًا كَتَبْتُمْ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ مَكَائِدُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ فَمَرَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَتِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَمَلَّكُوتُ حَيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ بعث سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم، وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟! لا أذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال: «ادعوا لي المقداد فقال: يا مقداد أقتلت رجلاً قال لا إله إلا الله، فكيف لك بـ لا إله إلا الله غداً! قال: فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ مُؤْمِنًا كَتَبْتُمْ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ مَكَائِدُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ فَمَرَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَتِيلًا﴾ فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته؟ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل». رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن رجلاً من بني سليم مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه غنم، فسلم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتوّد [مننا]، فعمدوا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فنزلت هذه

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٤٦١/١: وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من توبة أم لا توبة له؟ فروى البخاري عن سعيد بن جبر قال: اختلف فيها علماء أهل الكوفة، فرحل فيها إلى ابن عباس فسأته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَشْكُلْ مُمْسِكًا مُتَعَمِّدًا﴾ وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقد روى النسائي عنه نحو هذا. وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه. ومن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبو سلمة، وعبيد بن عمير، والحسن، وقادة، والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم عنهم. وذهب الجمهور إلى أن التوبة منه مقبولة، واستدلوا بمثل قوله تعالى ﴿إِذَا لَمْ تَكُنْ يَدْفَعُ الْكُفَّانَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْفَقَ يَبْدُلُ اللَّهُ عَنْ يَمِينِهِ﴾ وقوله: ﴿وَيَتَوَرَّ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قالوا أيضاً: والجمع ممكن بين آية النساء هذه، وآية الفرقان فيكون معناه: فجزاؤه جهنم إلا من تاب، لا سيما وقد اتحد السبب، وهو القتل والموجب وهو التوعد بالعقاب. واستدلوا أيضاً بالحديث المذكور في الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنه قال: «بابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزونا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»، ثم قال: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عليه» ويحدث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» غيره في الذي قتل مئة نفس. وذهب جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه، الشافعي إلى أن القاتل عمداً داخل تحت المشية تاب أو لم يتب. وقد أوضحت في شرحي على «المتمقى» متمسك كل فريق. والحق أن باب التوبة لم يغلّق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك - وهو أعظم الذنوب وأشدّها - تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً، لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً. أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمسكاً من تسليمها أو بعضها. وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد من دون اعتراف ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

(٢) رواه البزار والطبراني في «الكبير» والدارقطني في «الأفراد» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٧: وإسناده جيد. وقد روى البخاري ١٧/١٢ شرح الفتح بعضه مختصراً تعليقا، فقال الحافظ: وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في «الأفراد» والطبراني في «الكبير» من رواية أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدمي عن حبيب وذكر الحديث بطوله - ثم قال: قال الدارقطني: تفرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه. قلت: أي الحافظ ابن حجر - قد تابع أبا بكر سفيان الثوري، لكنه أرسله. أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الثوري كذلك.

الآية. رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أن قوماً من أهل مكة سمعوا برسيرة لرسول الله ﷺ أنها تُريدُهم فهربوا، وأقام رجل منهم كان قد أسلم، يقال له: مرداس، وكان على السرية رجل، يقال له: غالب بن فضالة، فلما رأى مرداس الخيل، كبر ونزل إليهم، فسلم عليهم، فقتله أسامة بن زيد، واستاق غنمه، ورجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، ونزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: كان أسامة أمير السرية. والرابع: أن رسول الله بعث أبا حذرد الأسلمي، وأبا قتادة، ومحلّم بن جثامة في سرية إلى إضم<sup>(٣)</sup>، فلقوا عامر بن الأضيظ الأشجعي، فحيّاهم بتحية الإسلام، فحمل عليه محلّم بن جثامة فقتله، وسلبه بغيراً وسقاء. فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه، فقال: «أقتلته بعدما قال آمنت؟!» ونزلت هذه الآية. رواه ابن أبي حذرد، عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير، فقوله: ﴿إِذَا ضَرَجْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سرتهم وغزوتهم. وقوله: ﴿فَتَيَّزُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عارم: «فَتَيَّزُوا» بالنون من التبيين للأمر قبل الإقدام عليه. وقرأ حمزة، والكسائي وخلف (فتشبتوا) بالثاء من الثبات وترك الاستعجال، وكذلك قرؤوا في (الحجرات).

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم، والكسائي: «السلام» بالالف مع فتح السين. قال الزجاج: يجوز أن يكون بمعنى التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، وخلف، وجبلة عن المفضل عن عاصم: (السلم) بفتح السين واللام من غير ألف، وهو من الاستسلام. وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم: بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف. و«السلم»: الصلح. وقرأ الجمهور: «لَسْتُ مُؤْمِنًا»، بكسر الميم، وقرأ علي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن يعمر، وأبو جعفر: بفتح الميم من الأمان.

قوله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ و«عرضها»: ما فيها من مال، قلّ أو كثر. قال المفسرون: والمراد به: ما غنموه من الرجل الذي قتله.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْدَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ثواب الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنها أبواب الرزق في الدنيا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كذلك كنتم تأمنون من قومكم المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تخفوا من قالها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك كنتم تخفون إيمانكم بمكة كما كان هذا يخفي إيمانه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثالث: كذلك كنتم من قبل مشركين، قاله مسروق، وقاتدة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ في الذي مرّ به أربعة أقوال: أحدها: الهجرة، قاله ابن عباس. والثاني: إعلان الإيمان، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: الإسلام، قاله قاتدة، ومسروق. والرابع: التوبة على الذي قتل ذلك الرجل، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَتَيَّزُوا﴾ تأكيد للأول.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أُولَى الْأَصْرَارِ وَاللَّجَاهُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُتَجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتِيلِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسْفَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُتَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَتِيلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: نزلت هذه الآية من أجل قوم كانوا إذا

(١) «المسند»، والترمذي ٩٠/٤، والحاكم: ٢٤٥/٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه بمعناه البخاري ١٩٤/٨، ومسلم ٢٣١٩/٤ من طريق سفيان عن عمرو، عن عطاء عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٦/٩ عن أبي صالح، واسم الذي على رأس السرية عنده «قليب»، وانظر الاختلاف في اسمه «قليب» أو «فليت» في «الإصابة».

(٣) إضم: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة، وهو واد لأشجع وجهية.

(٤) «المسند»، ١١/٦، وابن جرير ٣٣/٩، وذكره البيهقي في «المجموع»، ٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات. قلت: وفي سند أحمد القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد، أورده الحافظ ابن حجر في «تعميل الخفعة»، ونقل عن البخاري أن له صحة ولا تصح، ولم يذكر عن أحد توثيقه.

حضرت غزاة يستأذنون في القعود. وقال زيد بن ثابت: إني لقاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ غشيت السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اكتب» (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الآية، فقام ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فوالله ما قضى كلامه حتى غشيت رسول الله السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون، فقال النبي ﷺ: ﴿عَبْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ فالحققتها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ﴾ يعني عن الجهاد، والمعنى: أن المجاهد أفضل. قال ابن عباس: وأريد بهذا الجهاد غزوة بدر<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: غزاة تبوك.

قوله تعالى: ﴿عَبْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة: (غير) برفع الراء، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وخلف، والمفضل: بنصبها. قال أبو علي: من رفع الراء، جعل «غير» صفة للقاعدين، ومن نصبها، جعلها استثناء من القاعدين. وفي «الضرر» قولان: أحدهما: أنه العجز بالزمانة والمرض، ونحوهما. قال ابن عباس: هم قوم كانت تحبسهم عن الغزاة أمراض وأوجاع. وقال ابن جبير، وابن قتبية: هم أولو الزمانة. وقال الزجاج: الضرر: أن يكون ضريراً أو أعمى أو زماً. والثاني: أنه العذر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَقَسَّلَ اللَّهُ التَّجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً﴾ في هؤلاء القاعدين قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بالضرر، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القاعدون من غير ضرر، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: والدرجة: الفضيلة. فأما الحسن في الجنة في قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿وَقَسَّلَ اللَّهُ التَّجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ﴾ قال ابن عباس: القاعدون هاهنا: غير أولي الضرر، وقال سعيد بن جبير: هم الذين لا عذر لهم.

﴿دَرَجَتِي يَنْتَهِي وَتَفَوُّدُهُ رَحْمَةُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿دَرَجَتِي يَنْتَهِي﴾ قال الزجاج: درجات في موضع نصب بدلاً من قوله: «أجراً عظيماً»، وهو مفسر للأجر. وفي المراد بالدرجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قل ابن محيريز: الدرجات: سبعون درجة ما بين كل درجتين حُضِرَ الفرس الجواد المضمر سبعين سنة<sup>(٣)</sup>، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أن معنى الدرجات: الفضائل، قاله سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>. قال قتادة: كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة. وقال ابن زيد: الدرجات: هي السبع التي ذكرها الله تعالى في براءة حين قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَغِيْبٍ كُنْ﴾... [التوبة: ١٢٠، ١٢١]. فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر في أول الكلام درجة، وفي آخره درجات؟ فنه جوابان: أحدهما: أن الدرجة الأولى تفضل المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر منزلة. والدرجات: تفضل المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضرر منازل كثيرة، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أن الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم، والدرجات: منازل الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

(١) «المسنَد» ١٨٤/٥، والبخاري ١٩٥/٨، وأبو داود ١٧/٣، والترمذي ٩٢/٤، والنسائي ٩/٦، ولفظه عند البخاري عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن النبي ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملأها علي قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فنقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله ﴿عَبْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾. واملأها - بضم أوله وكسر الميم وتشديد اللام - هو مثل يملأها. والرض: الدق. وسري: كشف. وروى البخاري عن البراء، قال: لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضرارته، فأنزل الله ﴿عَبْرَ أُولَى الضَّرَرِ﴾.

(٢) «البخاري» ١٩٧/٨.

(٣) حضر الفرس: ارتفاعه في عدوه، يقال: أحضر الفرس يحضر إحضاراً: عدا عدواً شديداً. والفرس المضمر: هو الذي أعد إعداداً للسياق والركض.

(٤) روى البخاري ٩/٦، ٣٤٩/١٣ عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في الجنة مائة درجة أهناها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» وروى مسلم ١٥٠١/٣ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «فيا أبا سعيد من رضي بالله رياءً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، ورجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعداها علي يا رسول الله ففعل، ثم قال: «والآخرى يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَابِعَةً فَهَبْجُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أناساً كانوا بمكة قد أقرروا بالإسلام، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر لم تدع قريش أحداً إلا أخرجه معهم، فقتل أولئك الذين أقرروا بالإسلام، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: نزلت في أناس تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع أبي جهل، فقتلوا يوم بدر، واعتذروا بغير عذر، فأبى الله أن يقبل منهم. والثاني: أن قوماً نافقوا يوم بدر، وارتابوا، وقالوا: غير هؤلاء دينهم وأقاموا مع المشركين حتى قتلوا، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجوا معه، فمن مات منهم قيل إن يلحق بالنبي، ضربت الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «التزي» قولان: أحدهما: أنه قبض الأرواح بالموت، قال ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الحشر إلى النار، قاله الحسن. قال مقاتل: والمراد بالملائكة ملك الموت وحده. وقال في موضع آخر: ملك الموت وأعوانه، وهم ستة، ثلاثة يملكون أرواح المؤمنين، وثلاثة يملكون أرواح الكفار. قال الزجاج: ﴿ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ نصب على الحال، والمعنى: تتوفاهم في حال ظلمهم أنفسهم، والأصل: ظالمين، لأن النون حذفت استخفافاً. فأما ظلمهم لأنفسهم، فيحتمل على ما ذكر في قصتهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الهجرة، والثاني: رجوعهم إلى الكفر، والثالث: الشك بعد اليقين. والرابع: إغاة المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَبِمِمْ كُنْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو سؤال توبيخ، والمعنى: كنتم في المشركين أو في المسلمين.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نستطيع أن نذكر الإيمان، قالت الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَابِعَةً﴾ يعني المدينة ﴿فَهَبْجُوا فِيهَا﴾ يعني: إليها. وقول الملائكة لهم يدل على أنهم كانوا يستطيعون الهجرة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ سبب نزولها: أن المسلمين قالوا في حق المستضعفين من المسلمين بمكة: هؤلاء بمنزلة الذين قتلوا ببدر، فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد. قال الزجاج: «المستضعفين» نصب على الاستثناء من قوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ قال أبو سليمان: «المستضعفون»: ذوو الأسنان، والنساء، والصبيان.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة، ولا قوّة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. والثاني: أنهم لا يعرفون طريقاً يتوجهون إليه، فإن خرجوا هلكوا، قاله ابن زيد. وفي «عسى» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الإيجاب، قاله الحسن. والثاني: أنها بمعنى الترجي. فالمعنى: أنهم يرجون العفو، قاله الزجاج.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرموا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية. قال: نكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم، قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ﴿وَرَبُّكَ أَكْثَرُ مِنْ يَدُولِكَ مَا تَكُنَّ أَرْضُكَ فِي اللَّهِ﴾ الآية [المكسوت: ١٠] فكتب المسلمون إليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزل فيهم ﴿فَمَنْ لَكُمْ بِذَلِكَ يَلْزَمُ مَا جَاءَكُمْ مِنْ بَدْرٍ مَا فَتَحْنَا ثُمَّ جَعَلْنَا لَكُمْ صَبْرًا وَكُنَّا بِكُمْ بِرَاحَةً لِقَوْمٍ كَثِيرٍ﴾ [النحل: ١١٠] فكتبوا إليهم بذلك: «إن الله قد جعل لكم مخرجاً» فخرجوا فأدبرهم المشركون، فقاتلهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/٧، وقال: ١٠. رواه البزار، ورجال رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة. وقوله «فأعطوهم الفتنة» أي: كفروا بعد إسلامهم. وفي البخاري ١٩٧/٨ سبب آخر لهذه الآية عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، قال: فُطِعَ على أهل المدينة بُعْثٌ، فاكْتَبَتْ فيه، فلقبت عكرمة مولى ابن عباس، فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكتنون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فانزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾

قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ قال سعيد بن جبير، ومجاهد: متزحزحاً عما يكره. وقال ابن قتيبة: المراعم والمهاجر: واحد، يقال: راغمت وهاجرت، وأصله: أن الرجل كان إذا أسلم، خرج عن قومه مُراعماً، أي: مغاضباً لهم، ومهاجراً، أي: مقاطعاً من الهجران، فقليل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي ﷺ هجرة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه. [قال الجعدي: عزيز المراعم والمذهب] (١). وفي السعة قولان: أحدهما: أنها السعة في الرزق، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: التمكن من إظهار الدين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اتفقوا على أنه نزل في رجل خرج مهاجراً، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه ضمرة بن العيص، وكان ضريباً موسيراً، فقال: احملوني فحمل وهو مريض، فمات عند التنعيم (٢)، فنزل فيه هذا الكلام، رواه سعيد بن جبير (٣). والثاني: أنه العيص بن ضمرة بن زبناخ الخزاعي أمر أهله أن يحملوه على سريه، فلما بلغ التنعيم مات، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو بشر عن سعيد ابن جبير. والثالث: أنه ابن ضمرة الجندعي مرض، فقال لبيته: أخرجوني من مكة، فقد قتلني غمها، فقالوا: أين؟ فأوماً بيده نحو المدينة، يريد الهجرة، فخرجوا به فمات في الطريق، فنزل فيه هذا، ذكره ابن إسحاق. وقال مقاتل: هو جُنْدُب بن ضمرة. والرابع: أن اسمه سبرة، فلما نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا نَفْسَهُمْ ظَالِمِينَ﴾ إلى قوله ﴿مُرْعَاً كَثِيراً﴾ قال لأهله وهو مريض: احملوني، فإني موسير، ولي من المال ما يُبلغني إلى المدينة، فلما جاوز الحرم، مات. فنزل فيه هذا، قاله قتادة. والخامس: أنه رجل من بني كنانة هاجر، فمات في الطريق، فسخر منه قومه، فقالوا: لا هو بلغ ما يريد، ولا أقام في أهله حتى يدفن، فنزل فيه هذا، قاله ابن زيد. والسادس: أنه خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام، خرج مهاجراً، فمات في الطريق، ذكره الزبير بن بكار، وقوله: «وقع» معنا: وجب.

﴿وَلَا تَرْهَقُوا فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْهَقُوا فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ روى مجاهد عن أبي عياش الزُّرْقِي قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان (٤)، وعلى المشركين خالد بن الوليد، [قال: فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر فيما بين الظهر والعصر] (٥). والضرب في الأرض: السفر،

(١) ما بين معقنين من تمام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٣٥. وصدر البيت «قطود يلاذ بأركانه» وهو في «ديوانه» ٣٣، و«مجاز القرآن» ١٣٨/١، و«الطبري» ١١٢/٩، و«اللسان» و«التاج» مادة رغم، و«الطود: الجبل العظيم المنيف. يلاذ: يتحصن، والمرام: المضطرب في البلاد والمذهب.

(٢) التنعيم: موضع في الحل بين مَرْ وسَرْف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير ١١٤/٩، والبيهقي في «سننه» ١٤/٩ عن سعيد بن جبير. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية. وفي إسناده أشعث بن سوار، وهو ضعيف. ورواه ابن جرير ١١٨/٩ بنحوه بإسناد آخر، وفيه شريك بن عبد الله القاضي، وهو صدوق يخطئ كثيراً، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ١٠/٧، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٠٧/٢ لأبي يعلى وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات، ثم لاين جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٤) عسفان: على مرحلتين من مكة.

(٥) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الطبري: ١٣١/٩، وأحمد في «المسنَد» ٩٥/٤، وأبو داود ١٦/٢، والنسائي ١٧٧/٣، والحاكم في «المستدرک» ٣٣٧/١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه البيهقي، وقال الحافظ ابن كثير في: «تفسيره»: وإسناده صحيح، وله شواهد كثيرة، ولفظه بتسامه: عن أبي عياش الزُّرْقِي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لقد أصبنا غفلة لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر، فلما حضرت العصر، قام رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، والمشركون أمامه، فصفت خلف رسول الله ﷺ صف، وصف بعد ذلك الصف صف آخر، فركع رسول الله ﷺ، وركعوا جميعاً، ثم سجد، وسجد الصف الذين يلونه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما صلى هؤلاء السجدتين وقاموا، سجد الآخرون الذين كانوا خلفهم، ثم تأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين، وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول، ثم ركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما جلس رسول الله ﷺ والصف الذي يليه، سجد الآخرون، ثم جلسوا جميعاً، فسلم عليهم جميعاً، فصلوها ببغسفان، وصلوها يوم بني سليم. هذا لفظ أبي داود.

والجُنَاح: الإثم، والقصر: النقص، والفتنة: القتل. وفي القصر قولان: أحدهما: أنه القصر من عدد الركعات. والثاني: أنه القصر من حدودها. وظاهر الآية يدل على أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية على غالب أسفار رسول الله ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو. وقيل: إن قوله: ﴿أَنْ تَقْرُوا مِنَ الْقَصْرِ﴾ كلام تام. وقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ كلام مبتدأ، ومعناه: وإن خفتم<sup>(١)</sup>. واختلف العلماء هل صلاة المسافر ركعتين مقصورة أم لا؟ فقال قوم: ليست مقصورة، وإنما فرض المسافر ذلك، وهو قول ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وسعيد بن جبيرة، والسدي، وأبي حنيفة، فعلى هذا القول قصر الصلاة أن تكون ركعة<sup>(٢)</sup> ولا يجوز ذلك إلا بوجود السفر والخوف، لأن عند هؤلاء أن الركعتين في السفر إذا لم يكن فيه خوف تمام غير قصر، واحتجوا بما روى ابن عباس أن النبي ﷺ صلى بذي قرد، فصفا خلفه صفين، صفاً خلفه، و صفاً موازي العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ولم يقضوا<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس أنه قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها مقصورة، وليست بأصل، وهو قول مجاهد، وطاووس، وأحمد، والشافعي. قال يعلى بن أمية: قلت لعمر بن الخطاب: عجبت من قصر الناس اليوم، وقد آمنوا، وإنما قال الله تعالى ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»<sup>(٥)</sup>.

### فصل

وإنما يجوز للمسافر القصر إذا كان سفره مُباحاً، وبهذا قال مالك، والشافعي، وقال أبو حنيفة: يجوز له القصر في سفر المعصية. فأما مدة الإقامة التي إذا نواها أتم الصلاة، وإن نوى أقل منها قصر، فقال أصحابنا: إقامة اثنين وعشرين صلاة. وقال أبو حنيفة: خمسة عشر يوماً. وقال مالك، والشافعي: أربعة أيام<sup>(٦)</sup>.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا صَلَاتَهُمْ إِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَائِهِمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلُوبُوا عَنْ صَلَاتِهِمْ وَاتَّبَعُوا فَيُؤْثِرُوا عَلَيْكُمْ مِثْلَهُ وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْمَرَةً أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ سبب نزولها: أن المشركين لما رأوا النبي ﷺ وأصحابه قد

(١) في «فتح القدير» للشوكاني ٤٧٠/١: ذكر معنى هذا الجرجاني والمهدوي وغيرهما ورده القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي. وقد حكى القرطبي عن ابن عباس معنى ما ذكره الجرجاني ومن معه. ومما يرد هذا ويدفعه الواو في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ وقد تكلف بعض المفسرين، فقال: إن الواو زائدة، وإن الجواب للشرط المذكور، أعني قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ هو قوله: «فلتقم طائفة».

(٢) جاء في «المبسوط» للسرخسي ٤٦/٢ والثاني: وهو ألا ينقص عدد الركعات بسبب الخوف عندنا، وكان ابن عباس يقول: صلاة المقيم أربع ركعات، وصلاة المسافر ركعتان، وصلاة الخوف ركعة، وبه أخذ بعض العلماء.

(٣) رواه النسائي ١٦٩/٣ ورجال إسناده ثقات، وذكر الحافظ في «التلخيص» ١٤١: أن الشافعي ذكر هذا النوع، فقال: روي حديث لا يثبت أنه صلى بذي قرد - وذكره - ثم قال: فتركناه. قال الحافظ ابن حجر: وقد صححه ابن حبان وغيره. وذو قرد: موضع على ليلتين من المدينة. وعن ثعلبة بن زهلم قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا، فصلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا. رواه أبو داود، والنسائي، وسكت عنه أبو داود، والمنذري، ورجال إسناده رجال الصحيح.

(٤) «المسنند» ٣٦٣/٣، ومسلم ٤٧٩/١، وأبو داود ٢٣/١، والنسائي ١٦٩/٣.

(٥) «المسنند» ١٧٥/١، ومسلم ٤٧٨/١، وأبو داود ٤/٢، والنسائي ١١٦/٣، وابن ماجه ٣٣٩/١، والترمذي ٩٢/٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحافظ ابن كثير ٥٤٤/١: وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ لَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ كَرَوْا﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة، بل ما كانوا يتنهضون إلا إلى غزو عام، أو في سرية خاصة، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب، أو على حادثة، فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّقُوا النَّاسَ وَلَكِنْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَإِنَّ شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ [التور: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي فِي خَيْرِكُمْ إِنَّكُمْ لَهُ عَاكِفُونَ﴾ [النساء: ٢٣]. قلت: وروى الإمام أحمد ٢٥٧/٣، والترمذي ٤٣١/٢، والنسائي ١١٧/٣ عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا الله رب العالمين، فصلى ركعتين. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) انظر «المغني لابن قدامة» ١٣٢/٢، و«إفراد المعاد» ٢٩/٣، و«فيل الأوطار» ٢٥٦/٣.

صلّوا الظهر، ندموا إذ لم يكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإنّ لهم صلاة هي أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعتنون العصر، فإذا قاموا فشدوا عليهم، فلما قاموا إلى صلاة العصر، نزل جبريل بهذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، ولا يدل على أن الحكم مقتصرٌ عليه، فهو كقوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال أبو يوسف: لا تجزئ صلاة الخوف بعد النبي ﷺ. والهاء والميم من «فيهم» تعود على الضارين في الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَاقْسَمْتُ لَهُمْ الصَّلَاةَ﴾ أي: ابتدأتها، ﴿فَلَقِمْ مَلَأَيْكَةً مِنْهُمْ مَمَكًا﴾ أي: لتقف. ومثله ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْنِهِمْ فَامَوْا﴾ [البقرة: ٢٠]. ﴿وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الباقون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه، ذكره ابن جرير. قال: وهذا السلاح كالسيف، يتقلده الإنسان، والخنجر يشده إلى ذراعه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ يعني المصلين معه ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: هم الطائفة التي لم تصل، أمرت أن تحرس الطائفة المصلية، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه أمروا إذا سجدوا أن ينصرفوا إلى الحرس. واختلف العلماء كيف ينصرفون بعد السجود، فقال قوم: إذا أتموا مع الإمام ركعة أتموا لأنفسهم ركعة، ثم سلموا، وانصرفوا، وقد تمت صلاتهم. وقال آخرون: ينصرفون عن ركعة، واختلف هؤلاء، فقال بعضهم: إذا صلوا مع الإمام ركعة وسلموا، فهي تجزئهم. وقال آخرون منهم أبو حنيفة: بل ينصرفون عن تلك الركعة إلى الحرس وهم على صلاتهم، فيكونون في وجه العدو مكان الطائفة الأخرى التي لم تصل، وتأتي تلك الطائفة. واختلفوا في الطائفة الأخرى، فقال قوم: إذا صلى بهم الإمام أطال التشهد حتى يقضوا الركعة الفائتة، ثم يسلم بهم، وقال آخرون: بل يسلم هو عند فراغه من الصلاة بهم، فإذا سلم قضوا ما فاتهم. وقال آخرون: بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة ويسلم هو، ولا تسلم هي، بل ترجع إلى وجه العدو، ثم تجيء الأولى، فتقضي ما بقي من صلاتها وتسلم، وتمضي وتجيء الأخرى، فتم صلاتها، وهذا مذهب أبي حنيفة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين صلوا أولاً. وقال الزجاج: يجوز أن يريد به الذين وجاه العدو، لأن المصلي غير مقاتل، ويجوز أن يكون الجماعة أمروا بحمل السلاح، لأنه أربح للعدو، وأحرى أن لا يقدموا عليهم. و«الجناح»: الإثم، وهو من: جنحت: إذا عدلت عن المكان، وأخذت جانباً عن القصد. والمعنى: أنكم إذا وضعت أسلحتكم، لم تعدلوا عن الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ يَكُمُ آذَى مِنْ مَطَرٍ﴾ قال ابن عباس: رخص لهم في وضع الأسلحة لثقلها على المريض وفي المطر، وقال: وخذوا حذرکم كي لا يتغفلوكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوكًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يعني صلاة الخوف، و«قضىتم» بمعنى: فرغتم.

(١) في «المنهاج» ٢/ ٢٦٨: ويجوز أن يصلي صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ، قال أحمد: كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز، وقال: ستة أوجه أو سبعة يروى فيها كلها جائز، وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: تقول بالأحاديث كلها، كل حديث في موضعه، أو تختار واحداً منها؟ قال: أنا أقول: من ذهب إليها كلها فحسن، وأما حديث سهل، فأنا أختاره. قلت: وحديث سهل الذي اختاره الإمام أحمد رواه الجماعة ولفظه عند مسلم ٥٧٥/١: عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصنّفهم خلفه صفين، فصلى بالذين يلونه ركعة، ثم قام، فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة، ثم سلم. وقال الحافظ في «التلخيص» ص ١٤١: رويت صلاة الخوف عن النبي ﷺ على أربعة عشر نوعاً ذكرها ابن حزم في جزء مفرد، وبعضها في «صحيح مسلم» ومعظمها في «سنن أبي داود». وذكر الحاكم منها ثمانية أنواع، وذكر ابن حبان تسعة، وقال: ليس بينها تضاد، ولكنه صلى صلاة الخوف مراراً، والمرء سبحانه له أن يصلي ما شاء عند الخوف من هذه الأنواع، وهي من الاختلاف المباح. ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: ما أعلم في هذا الباب حديثاً إلا صحيحاً.



قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الذكر لله في غير الصلاة، وهذا قول ابن عباس، والجمهور قالوا: وهو التسييح، والتكبير، والدعاء، والشكر. والثاني: أنه الصلاة، فيكون المعنى: فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم، هذا قول ابن مسعود. وفي المراد بالطمأنينة قولان: أحدهما: أنه الرجوع إلى الوطن عن السفر، وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الأمن بعد الخوف، وهو قول السدي، والزجاج، وأبي سليمان الدمشقي. وفي إقامة الصلاة قولان: أحدهما: إتمامها، قاله مجاهد، وقتادة، والزجاج، وابن قتيبة. والثاني: أنه إقامة ركوعها وسجودها، وما يجب فيها مما قد يترك في حالة الخوف، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: فرضاً. وفي «الموقوت» قولان: أحدهما: أنه بمعنى المفروض، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الموقت في أوقات معلومة، وهو قول ابن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابن قتيبة.

﴿وَلَا تَهْشُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْشُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزولها: أن النبي ﷺ أمر أصحابه لما انصرفوا من أحد أن يسيروا في أثر أبي سفيان وأصحابه، فشكوا ما بهم من الجراحات، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى «تهنوا»: تضعفوا، يقال: وَهَنَ يَهِنُ: إِذَا ضَعُفَ، وكلُّ ضَعْفٍ فَهْرٌ وَهْنٌ. وابتغى القوم: طلبهم بالحرب. و«القوم» هاهنا: الكفار ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ أي: توجعون، فإنهم يجدون من الوجع بما ينالهم من الجراح والتعب، كما تجدون، وأنتم مع ذلك ترجون ما لا يرجون. وفي هذا الرجاء قولان: أحدهما: أنه الأمل، قاله مقاتل. قال الزجاج: وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم. والثاني: أنه الخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: ولم يوجد الخوف بمعنى الرجاء إلا ومعه جحد، [فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك] كقوله: ﴿تَاللَّهِ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾ (نوح: ١٣) وقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (الجن: ١٤) قال الشاعر:

لا تترجسي حين تلاقي الذائدا  
أسبعة لأثت مراً واحداً<sup>(١)</sup>  
وقال الهذلي:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا  
ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف، لأنه أمل قد يخاف أن لا يتم، فعلى القول الأول يكون المعنى: ترجون النصر وإظهار دينكم والجنة. وعلى الثاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن طعنة بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق يَنْتَشِرُ من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار،

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، و«الأضداد» لابن الأثير ص ١١، و«اللسان»: مادة رجا، من غير نسبة. و«الذائد»: من ذاد الإبل: إذا طردها وساقها ودفعها.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ١٤٤/١، و«معاني القرآن» ٢٨٦/١، و«الطبري» ١٧٤/٩. وهذا البيت لأبي ذؤيب من قصيدة له، وصف فيها مشتار العسل من بيوت النحل، فقال قبل هذا البيت:

فلو كان حبل من ثمانين قامة  
تدلى عليها بالحبال مؤتقاً  
وتسعين باعاً نالها بالأنابيل  
شديدة الوصاة نابل وابن نابل

وقوله: لم يرج لسمها: أي: لم يخف ولم يبالها. وقوله: خالفها: أي دخل بيت النحل ليأخذ عسلها وقد خرجت إليه حين سمعت حسه فخالفها إلى بيوت عسلها غير هيب للسمها. ويروى «وخالفها» بالحاء، أي لازمها. والنوب: جمع نائب. وهو صفة للنحل أي: أنها تزعى ثم تنوب إلى بيتها لتضع عسلها، تهبط وتهذب. والعوامل: التي تعمل العسل، ويروى «العوامل» أي ذوات العسل.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، وما بين معنيين منه.

ثم خياها عند رجل من اليهود، فالتصمت الدرع عند طعمة، فلم توجد عنده، وحلف: مالي بها علم، فقال أصحابها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وليجادل عن صاحبنا فإنه بريء، فاتوه فكلّموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من اليهود، استودع طعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مليل الأنصاري، فجادل قوم طعمة عنه، وأتوا النبي ﷺ فسألوه أن يبرئه، ويكذب اليهودي، فنزلت الآيات، هذا قول السدي، ومقاتل. والثالث: أن مشربة رفاعة بن زيد نقتبت، وأخذ طعامه وسلاحه، فاتهم به بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة؛ بشير، ومبشر، وبشر، فذهب قتادة بن النعمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أهل بيت منّا فيهم جفاء تقبوا مشربة<sup>(٢)</sup> لعمي رفاعة بن زيد، وأخذوا سلاحه، وطعامه، فقال: انظر في ذلك، فذهب قوم من قوم بني أبيرق إلى النبي ﷺ، فقالوا: إن قتادة بن النعمان، وعمه، عمدوا إلى أهل بيت منّا يرمونهم بالسرقه وهم أهل بيت إسلام وصلاح، فقال النبي لقتادة: «رميتهم بالسرقه على غير بينة! فنزلت هذه الآيات. قاله قتادة بن النعمان<sup>(٣)</sup>. والكتاب: القرآن. والحق: الحكم بالعدل. «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِبِينَ»: أي لتقضي بينهم. وفي قوله: «وَمَا أَرَاكَ اللَّهُ» قولان: أحدهما: أنه الذي علمه، والذي علمه أن لا يقبل دعوى أحد على أحد إلا ببرهان. والثاني: أنه ما يؤدي إليه اجتهاده، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً» قال الزجاج: لا تكن مخاصماً، ولا دافعاً عن خائن. واختلفوا هل خاصم عنه أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه قام خطيباً فعذره. رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه همّ بذلك ولم يفعله، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه، وهو غير عالم بحقيقة أمره، لأن الله تعالى عاتب نبيه على مثل ذلك.

«وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانُ غَفُورًا رَحِيمًا»

قوله تعالى: «وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» في الذي أمر بالاستغفار منه قولان: أحدهما: أنه القيام بعذره. والثاني: أنه العزم على ذلك.

«وَلَا تَحْجِدُوا عَلَى الَّذِينَ يَمِتُّونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَاثِمًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ الْكَايِبِينَ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُنْشِئُونَ مَا لَا رَحْمَةَ مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَاطِطًا»

(١) إسناده ضعيف جداً.

(٢) الجفاء: غلظ الطبع، والمشرية، بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها: وهي الغرفة، أو العلية، أو الصفة بين الغرفة، والمشارب: الملاهي. هو قطعة من حديث طويل رواه الترمذي: ٩٣/٤، وابن جرير: ١٨١/٩، والحاكم: ٣٨٥/٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: وليس كما قال، ففي إسناده عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني لم يخرج له مسلم، وهو مجهول، لم يوثقه غير ابن حبان، انظر «تهذيب التهذيب» ٤٨٩/٧.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٥٥٠/١: وقوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِبِينَ وَمَا أَرَاكَ اللَّهُ» احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في «الصحيحين» عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «ألا إنما أنا بشر، وإني أقضي بئحو مما أسمع، ولعل أحداكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو يلبسها» وروى الإمام أحمد عن أم سلمة، قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في موارث بينهما قد دزست، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسقاطاً في عقه يوم القيامة» فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذعيا فالتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه» وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به زائد: «إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه». قلت: الحديث الأول في البخاري ٧٧/٥، ٢٩٩/١٢، ١٣٩/١٣، ١٥١، وفي مسلم: ١٣٣٧/٣ وقد استوفى الحافظ رحمه الله في «الفتح» ١٥١/١٣ الكلام على هذا الحديث فانظره. والحديث الثاني رواه أحمد في «المسند» ٣٢٠/٦، وإسناده حسن، ورواه أبو داود: ٤١٠/٣، مختصراً. والإسقاط: بكسر الهمزة وسكون السين: الحديدة التي تحرك بها النار وتسهر. وفي «تفسير ابن كثير»: «انتظاماً» وهو تحريف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجِدُ عَلَى الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يخونون أنفسهم، فيجعلونها خائنة بارتكاب الخيانة. قال عكرمة: والمراد بهم: طعمة بن أبيرق، وقومه الذين جادلوا عنه. وفي حديث العوفي عن ابن عباس قال: انطلق نفرٌ من عشيرة طعمة ليلاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إن صاحبنا بريء. والاستخفاء: الاستتار، والمعنى: يستترون من الناس لئلا يظلموا على خيانتهم وكذبهم، ولا يسترون من الله، وهو معهم بالعلم. وكلُّ ما فُكر فيه، أو خيض فيه بليل، فقد بَيَّت. وجمهور العلماء على أن المشار إليه بالاستخفاء، والتبَيُّت، قوم طعمة. والذي يَبْتَوا: احتيالهم في براءة صاحبهم بالكذب. وقال الزجاج: هو السارق نفسه، والذي بَيَّت أنه قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلف أنني لم أسرقها، فتقبل يميني، ولا تقبل يمين اليهودي.

﴿هَتَانَتْ هَتُولَاةٌ جَدَلَتْهُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿هَتَانَتْ هَتُولَاةٌ جَدَلَتْهُمْ عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: «ها» للتنبيه، وأعيدت في أوله. والمعنى: ها أنتم الذين جادلتم. والمجادلة، والجدال: شدة المخاصمة، والجدل: شدة القتل. والكلام يعود إلى مَنْ احتج عن السارق. فاما قوله: «عنهم» فإنه عائد إلى السارق. و«عليهم» بمعنى «لهم». والوكيل: القائم بأمر مَنْ وكَّله، فكانه قال: من الذي يتوكل لهم منكم في خصومة ربهم؟!<sup>(٢)</sup>

﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت خطاباً للسارق، وعرضاً للثوبة عليه. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها للنبي جادلوا عنه من قومه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه عني بها كل مسيء ومُذنب. ذكره أبو سليمان الدمشقي. وإطلاقها لا يمنع أن تكون نزلت على سبب. وفي هذا السوء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السرقة. والثاني: الشرك. والثالث: أنه كل ما يَأْثَم به. وفي هذا الظلم قولان: أحدهما: أنه رمي البريء بالثئمة. والثاني: ما دون الشرك<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أي: ومن يعمل ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يقول: ما يعود وباله عليه. قاله مقاتل، وهذه في طعمة أيضاً.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾<sup>(٦)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ جمهور العلماء على أنها نزلت متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول إذ رمى عائشة ؓ بالإفك. وفي قوله: ﴿خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن «الخطيئة» يمين السارق الكاذبة، و«الإثم»: سرقة الدرع، ورميه اليهودي، قاله ابن السائب. والثاني: أن «الخطيئة» ما يتعلق به من الذنب، و«الإثم»: قذف البريء، قاله مقاتل. والثالث: أن «الخطيئة» قد تقع عن عمد، وقد تقع عن خطأ، و«الإثم»: يختص العمد. قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وذكر الزجاج أن الخطيئة نحو قتل الخطأ الذي يرتفع فيه الإثم. والرابع: أنه لما سَمَى الله ﷻ بعض المعاصي خطيئة، وبعضها إثماً، أعلم أن من كسب ما يقع عليه أحد هذين الاسمين، ثم قذف به بريئاً، فقد احتمل بهتاناً، ذكره الزجاج أيضاً. فاما قوله: ﴿ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا﴾ أي: يقذف بما جناه بريئاً منه. فإن قيل: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف قال: «به» فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه أراد: ثم يرمي بهما، فاكتمى بإعادة الذكر على الإثم من إعادته على الخطيئة، كقوله: ﴿أَنْفُسُوهَا إِلَيْهَا﴾ فخص التجارة، والمعنى للتجارة واللّهو. والثاني: أن الهاء تعود على الكسب، فلما دلَّ بـ «يكسب» على الكسب، كنى عنه. والثالث:

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١/ ١٧٤ عن علي ؓ قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله تعالى لذلك الذنب إلا غفر له» وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا ذَنْبَةً أَوْ غَلَاً... أَلْتَسْتُمْ﴾ الآية (إك عمران: ١٣٥) ورواه الترمذي: ٢/ ٢٥٧، وابن حبان في «صحيحه» وهو حديث حسن. وقد ذكر في «التهذيب» ١/ ٢٦٨ تحيينه عن ابن عدي.

أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: ومن يكسب ذنباً، ثم يرم به. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والرابع: أن الهاء تعود على الإثم خاصة، قاله ابن جرير الطبري. وفي المراد بالبريء الذي قذفه هذا السارق قولان: أحدهما: أنه كان يهودياً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وابن زيد، وسماه عكرمة، وقتادة، زيد بن الشَّيمِر<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه كان مسلماً، روي عن ابن عباس، وقتادة بن النعمان، والسدي، ومقاتل. واختلفوا في ذلك المسلم، فقال الضحاك عن ابن عباس: هو عائشة لما قذفها ابن أبي، وقال قتادة بن النعمان: هو ليبيد بن سهل. وقال السدي، ومقاتل: هو أبو مُليل الأنصاري. فأما البهتان: فهو الكذب الذي يُحَيَّر من عظمه، يقال: بهت الرجل: إذا تحيَّر. قال ابن السائب: فقد احتمل بهتاناً برميه البريء، وإثماً مبيناً يمينه الكاذبة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبسوا على النبي ﷺ أمر صاحبهم، هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب. والثاني: وقد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: جنتك نبائعك على أن لا نُحشُر ولا نُعشُر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجبه، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك. وفي المراد بفضل الله ورحمته قولان: أحدهما: النبوة والعصمة. والثاني: الإسلام والقرآن، روي عن ابن عباس. قال مقاتل: لولا فضل الله عليك حيث بين لك أمر طعمة، وحولك بالقرآن عن تصديق الخائن؛ لَهَمَّت طائفة منهم أن يُضِلُّوكَ. قال الفراء: والمعنى: لقد هَمَّت. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ وقد همت بإضلاله؟ فالجواب: أنه لولا فضل الله عليك ورحمته، لظهر تأثير ما هموا به. فأما الطائفة، فعلي رواية ابن السائب عن ابن عباس: قوم طعمة، وعلى رواية الضحاك: وقد ثقيف. وفي الإضلال قولان: أحدهما: التخطئة في الحكم. والثاني: الاستزلال عن الحق. قال الزجاج: وما يضلون إلا أنفسهم، لأنهم يعملون عمل الضالين، فيرجع الضلال إليهم. فأما «الكتاب»، فهو القرآن. وفي «الحكمة» ثلاثة أقوال: أحدها: القضاء بالوحي، قاله ابن عباس. والثاني: الحلال والحرام، قاله مقاتل. والثالث: بيان ما في الكتاب، وإلهام الصواب، وإلقاء صحة الجواب في الرُّوع، قاله أبو سليمان الدمشقي، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشرع، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أخبار الأولين والآخرين، قاله أبو سليمان. والثالث: الكتاب والحكمة، ذكره الماوردي، وفي قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنة بالإيمان. والثاني: المنة بالنبوة، هذان عن ابن عباس. والثالث: أنه عام في جميع الفضل الذي خصه الله به، قاله أبو سليمان.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّبِعْنَا مِنْ حَتَّىٰ آتِيَنَّاكَ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ قَبْلَ الْقِسْفَةِ الْأُولَىٰ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم قوم طعمة، وقال مقاتل: وكلهم يهود تناجوا في أمر طعمة، وقال مجاهد: هو عام في نجوى جميع الناس. قال الزجاج: ومعنى النجوى: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان، سراً كان أو ظاهراً. ومعنى «نجوت الشيء» في اللغة: خلصته وألقيته، يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير وغيره. قال الشاعر:

فقلْتُ انجُؤًا عنها نجا الجلد إته

سُيرُضيكما منها سَنَامٌ وَغَارِيَةٌ<sup>(٢)</sup>

(١) في «الطبري» ١٨٧/٩، و«ابن كثير» ٥٥٣/١ زيد بن السمين.

(٢) البيت لأبي القمر الكلابي كما في «الخرزانة» ٢٢٧/٢ و«العيني» ٣٧٣/٣، ونسب في «الخرزانة» أيضاً إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وهو في «المجلد» و«اللسان» مادة نجا، و«إصلاح المنطق» ٩٤ و«المخصص» ١٧٥/٧، ٨١/١٥، ١٤٣ بدون نسبة. وقال في «اللسان»: قال الفراء: أضاف النجا إلى الجلد [وهما مترادفان] لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقوله تعالى: حق اليقين، ولدار الآخرة، والجلد نجا مقصور أيضاً، وقال ابن بري: ومثله ليزيد بن الحكم:

وقد نجوت فلاناً: إذا استنكته، قال الشاعر:

نَجُوتُ مُجَالِدًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ  
وأصله كله من النجوة، وهو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلاً:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعْقَوْتِهِ  
والمُستَكْنُ كَمَنْ يمشي بقُرُوح<sup>(٢)</sup>

والمراد بنجواهم: ما يدبرونه بينهم من الكلام. فأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، فيجوز أن يكون بمعنى: إلا في نجوى من أمر بصدقة، ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول، فيكون بمعنى: لكن من أمر بصدقة، ففي نجواهم خير<sup>(٣)</sup>. وأما قوله: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فالمعنى: حث عليها. وأما المعروف، ففيه قولان: أحدهما: أنه الفرض، روي عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع أفعال البر، وهو اختيار القاضي أبي يعلى، وأبي سليمان الدمشقي.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُنْذِرِينَ قُلُوبُهُ مَأْكُوتٌ﴾، وفي نسخة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بتكذيب طعمة، وبيان ظلمه، وخاف على نفسه من القطع والفضيحة، هرب إلى مكة، فلحق بأهل الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والسدي. وقال مقاتل: لما قدم مكة نزل على الحجاج بن علاط السلمي فأحسن نزله، فبلغه أن في بيته ذهباً، فخرج في الليل فنقب حائط البيت، فعلموا به فأحاطوا بالبيت، فلما رأوا، أرادوا أن يرحموا، فاستحيا الحجاج، لأنه ضيفه، فتركوه، فخرج، فلحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك، فنزل فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال غيره: بل خرج مع تجار فسرق منهم شيئاً، فرموا بالحجارة حتى قتلوه، وقيل: ركب سفينة، فسرق فيها مالاً، فعُلِمَ به، فألقي في البحر. والقول الثاني: أن قوماً قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، ثم ارتدوا، فنزلت فيهم هذه الآية، روي عن ابن عباس. ومعنى الآية: ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود، ومن بعد ما تبين له التوحيد والحكم، ويتبع غير دين المسلمين، نوله ما تولى، أي: نكله

= تفاوض من أطوي طوى الكشح دونه

ومن دون من صافيته أنت منطوي

قال: ويقوي قول الفراء بعد البيت قولهم: عرق النسا، وحبل الوريد، وثابت قطنة، وسعيد كرز. وفي «الخرزاة»: وقال ابن السرياني في شرح أبيات «إصلاح المنطق»: يريد: قشر عنها لحمها وشحمها، كما يقشر الجلد فإنها سمينة. وغاربها: ما بين السنام والعنق. قال صاحب «الخرزاة»: ويؤخذ من هذا التفسير أن «النجا» هنا اسم مصدر بمعنى النجو، على أنه مفعول مطلق، وليس اسماً للجلد فلا يكون كما قاله الفراء فتأمل.

(١) البيت في «الحيوان» ٢٥٢/١ للحكم بن عبد الله الأسدي، وورد بدون نسبة في «معجم مقاييس اللغة» ٣٩٨/٥، و«المخصص» ٢٠٩/١١، و«اللسان» مادة: جلد، ونكه، ونجا وفي «الحيوان» و«اللسان»: «قريب عهد»، وفي «المخصص» و«معجم مقاييس اللغة»: «حديث عهد». قلت: وقد جاء في النسخة الخطية لكتاب «الحيوان» التي رمز لها محقق الكتاب بـ «ل» و«نجوت» بالجيم، على الصواب كما هو في سائر المراجع، ولكن المحقق حذفها، ووضع مكانها «نجوت» بالحاء، ثم أثبت ما في نسخة «ل» بالهاش، وقال: هو تحريف.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» ٥٣، و«الأزمنة والأمكنة» ٩٣/٢ و«الأمالي» ١٧٧/١، ومختارات ابن السجري ١٠١، و«اللسان» ٣٠٨/١٥ ويروي أيضاً لأوس بن حجر في «ديوانه» ١٦، و«الشعر والشعراء» ١٦٠/١، و«الحيوان» ١٣٢/٦، و«الآغاني» ٧١/١١. وفي الديوان وبعض المراجع: «فمن بنجوته كمن بمغفله»، والمغفل: مستقر الماء. النجوة: ما ارتفع من الأرض. والعقوة: الساحة، وما حول الدار، والمحلة. والمستنكن: الذي استكن في بيته، ولكن: والقرواح: الأرض البارزة للشمس لا يسترها شيء. يريد أن المطر عم المرتفعات والمنخفضات، وأدرك الناس اللين في بيوتهم وخارجها.

(٣) في «الطبري» ٢٠٢/٩. وقال بعض نحوي الكوفة: قد تكون «من» في موضع خفض ونصب، أما خفض فعلى قولك: لا خير في كثير من نجواهم إلا في من أمر بصدقة، فتكون «النجوى» على هذا التأويل هم الرجال المناجون، كما قال جل ثناؤه ﴿وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ فَلَهُمْ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وكما قال ﴿وَكَيْفَ تَمْجُرُونَ﴾ [الإسراء: ٤٧] وأما نصب فعلى أن تجعل «النجوى» فعلاً فيكون نصباً، لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لأن «من» خلاف «النجوى» فيكون ذلك نظير قول الشاعر:

وقسفت فيها أصيلاً أسألها

عشت جواباً وما بالريح من أحد

إلا الأوازي لا يأس أبى بها

والنوي كالخوض بالمظلومة الجلي

وقد يحتمل «من» على هذا التأويل أن يكون رقماً كما قال الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس

قلت: وأراد بعض نحوي الكوفة: الفراء، وكلامه هذا في «معاني القرآن» ٢٨٧/١. مع بعض تغيير.

إلى ما اختار لنفسه، ونصله جهنم: ندخله إياها. قال ابن فارس: تقول صليت اللحم أصليه: إذا شويته، فإن أردت أنك أحرقت، قلت: أصليته. وساءت مصيراً، أي: مرجعاً يُصار إليه<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في حق طعمة بن أبيرق لما هرب من مكة، ومات على الشرك، وهذا قول الجمهور، منهم سعيد بن جبير. والثاني: أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مُنْهَك في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله منذ عرفت، وإني لنادمٌ مستغفرٌ، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. فأما تفسيرها، فقد تقدم.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّئَاتِنَا مَرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوسًا ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا﴾ «إِنْ» بمعنى: «ما» و«يدعون» بمعنى: يعبدون. والهاء في «دونه» ترجع إلى الله ﷻ. والقراءة المشهورة إنأتا. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «إِلَّا وَتْنَا»، بفتح الواو، والثاء من غير ألف. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين: «أُنْتَا» برفع الهمزة والنون من غير ألف. وقرأ أبو العالية، ومعاذ الفارئ، وأبو نُهَيْك: «أُنَاتَا»، برفع الهمزة وبألف بعد الثاء. وقرأ أبو السوار العدوي، وأبو شيخ الهنائي: «أُونَاتَا»، بهمزة مفتوحة بعدها واو وبألف بعد الثاء. وقرأ أبو هريرة، والحسن، والجوني: «إِلَّا أَنْتِي»، على وزن «فعلي». وقرأ أيوب السخيتاني: «إِلَّا وَتْنَا»، برفع الواو والثاء من غير ألف. وقرأ موزق العجلي: «أُنْتَا»، برفع الهمزة والثاء من غير ألف. قال الزجاج: فمن قال: إنأتا، فهو جمع أنثى وإنات، ومَنْ قال: أنتأ، فهو جمع إنات، ومن قال: «أُنْتَا»، فهو جمع وثن، والأصل: وَثْنٌ، إلا أن الواو إذا انضمت جاز إبدالها همزة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ [المرسلات: ١١] الأصل: وقتت. وجائز أن يكون أُنْتَا أصلها: أُنْتِ، فأتبعت الضمة الضمة، وجائز أن يكون أُنْتِ، مثل أَسَدٍ وأُسْدٍ. فأما المفسرون، فلم يفسروا في معنى الإناث أربعة أقوال: أحدها: إن الإناث بمعنى الأموات، قاله ابن عباس، والحسن في رواية، وقتادة. قال الحسن: كل شيء لا روح فيه، كالحجر، والخشب، فهو إناث. قال الزجاج: والموات كلها يخبر عنها، كما يخبر عن المؤنث، تقول من ذلك: الأحجار تعجبني، والدراهم تنفعني. والثاني: أن الإناث: الأوثان، وهو قول عائشة، ومجاهد. والثالث: أن الإناث اللات والعزى ومناة، كلهن مؤنث، وهذا قول أبي مالك، وابن زيد، والسدي. وروى أبو رجاء عن الحسن قال: لم يكن حيٌّ من أحياء العرب إلّا ولهم صنم يستمنونه: أنثى بني فلان، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: والمعنى: ما يدعون إلّا ما يُسَمُّونَه باسم الإناث. والرابع: أنها الملائكة كانوا يزعمون أنها بناتُ الله، قاله الضحّاك. وفي المراد بالشیطان ثلاثة أقوال: أحدها: شيطانٌ يكون في الصنم. قال ابن عباس: في كل صنم شيطان يترأى للسنة فيكلمهم. وقال أبي بن كعب: مع كل صنم جنيّة. والثاني: أنه إبليس. وعبادته: طاعته فيما

(١) قال ابن كثير ٥٥٤/١ في تفسير الآية: قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمدٍ منه بعد ما ظهر له الحق، وتبين له وانضح له. وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنَرَهُ سَبِيلَ النَّاصِيحِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون مخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفاً لهم، وتعظيماً لنبئهم، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب «أحاديث الأصول». ومن العلماء من ادعى تواتر معناها. والذي عول عليه الشافعي في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفة هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك، واستبعد الدلالة منها على ذلك. ولهذا تروى تعال على ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ مَا تَوَلَّى وَرَبُّهُ جَهَنَّمَ وَكَانَتْ مِصْبَرًا﴾ أي: إذا سلك هذا الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له، استدراجاً له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَكَانَ قُدُّوسًا غَافِرًا﴾ [الأنعام: ١١٠] وجعل النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلّا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿لَنُخْلِبَنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَلَنَمَسْكَنَّهُمْ بِمِصْبَرٍ كَثِيرٍ مِّنْ دُونِهِ لَنُقَذِّقَهُنَّ إِلَىٰ مِصْرٍ لَّكَبِيرٍ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]. وقال: ﴿وَلَا تُخْلِبُهُنَّ أَنَا وَلَا تَكْلُفُنَّ أَنَّهُنَّ كُفَرَاتٌ وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْهُنَّ فِي الْبَاطِلِ لَعَلَّهُنَّ يَرْجِعْنَ﴾ [الكهف: ٥٣]. قلت: وورد أكثر من حديث يصرح بأن الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، انظر «كشف الخفاء» للمجلوني ٣٥٠/٢.

سؤل لهم، هذا قول مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه أصنامهم التي عبدوا، ذكره الماوردي. فأما «المريد»، فقال الزجاج: «المريد»: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرّد مُروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المردود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املاس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرّد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. وفي قوله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه ابتداء دعاء عليه باللعن، وهو قول من قال: هو الأوثان. والثاني: أنه إخبار عن لعن متقدم، وهو قول من قال: هو إبليس. قال ابن جرير: المعنى: قد لعنه الله. قال ابن عباس: معنى الكلام: دحره الله، وأخرجه من الجنة. وقال - يعني إبليس -: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. وقال ابن قتيبة: أي: حظاً افترضته لنفسي منهم، فأصلهم. وقال مقاتل: النصيب المفروض: أن من كل ألف إنسان واحد في الجنة، وسائرهم في النار<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «الفرض» في اللغة: القطع، و«القرصة»: الثلثة تكون في النهر. و«الفرض» في القوس: الحزن الذي يشد فيه الوتر، والفرض فيما ألزمه الله العباد: جعله حتماً عليهم قاطعاً.

﴿وَلَا يَسْلَمُهُمْ وَلَا يَنْبِتُهُمْ وَلَا تَرْهَقُهُمْ فَلْيَنْبِتْكُمْ مَا أَذَاتُ الْأَشْجَرِ وَلَاسَئِرُهُمْ فَلْيَعْزِزْكُمْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاءً مُّبِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْلَمُهُمْ﴾ قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدعاء إليه. وفي قوله: ﴿وَلَا يَنْبِتُهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الكذب الذي يخبرهم به، قال ابن عباس: يقول لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث. والثاني: أنه التسويف بالتوبة، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه إيهامهم أنهم سينالون من الآخرة حظاً، قاله الزجاج. والرابع: أنه تزوين الأمانى لهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْبِتْكُمْ مَا أَذَاتُ الْأَشْجَرِ﴾ قال قتادة، وعكرمة، والسدي: هو شق أذن البحيرة. قال الزجاج: ومعنى «ينبتكم»: يقال: ينبت الشيء أبنته ينكاً: إذا قطعت، وينكته وينك، مثل: قطعه وقطع. وهذا في البحيرة كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن، وكان الخامس ذكراً، شقوا أذن الناقة، وامتنعوا من الانتفاع بها، ولم تُطرذ عن ماء، ولا مرعى، وإذا لقيها المعبي، لم يركبها. سؤل لهم إبليس أن هذا قرينة إلى الله تعالى. وفي المراد بتغيير خلق الله خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير دين الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن في رواية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والنخعي، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل. وقيل: معنى تغيير الدين: تحليل الحرام، وتحريم الحلال. والثاني: أنه تغيير الخلق بالخصاء، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو مروي عن أنس بن مالك. وعن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، كالقولين. والثالث: أنه التغيير بالوشم، وهو قول ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والحسن في رواية. والرابع: أنه تغيير أمر الله، رواه أبو شبة عن عطاء. والخامس: أنه عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرّموا من الأنعام، وإنما خلق ذلك للانتفاع به، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ في المراد بالولي قولان: أحدهما: أنه بمعنى الرب،

(١) وفي «القرطبي» ٣٨٨/٥ قلت: وهذا صحيح معنى، يفضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة: «ابعت بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعة وتسعين». أخرجه مسلم. وبعث النار: هو نصيب الشيطان.

(٢) أحمد في «المسند»، والبخاري ٤٨٣/٨، ومسلم ١٦٧٩/٣، ولقطة: «لعمركم الله الواشحات والمستوشحات، والنامصات والمنتمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله...» قلت: الواشمة هي التي تشم، والمستوشمة: هي التي تطلب الوشم، والوشم: أن يفرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحشى بكحل أو زور فيخضر. والمنتمصة والنامصة: التي تنف الشعر من وجهها. وقيل: هي التي تزيل شعر الحاجبين بالمناقش حتى ترقه وترفعه وتسويه. والمتلجة: التي تصنع الفلج بأسنانها إذا كانت متلاصقة، وذلك بأن تحك ما بينهما بالمرء حتى يتسع ما بين أسنانها.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٢٢٢/٩: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: ﴿وَلَا تَرْهَقُهُمْ فَلْيَنْبِتْكُمْ شَيْءٌ كَسَلِكُمْ اللَّهُ﴾ قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ﴿يُطَرِّدُ اللَّهُ إِلَى تَلَكَّ النَّاسِ عَنِّي لَا يَبْدِلُ لِيَنَّ اللَّهُ لَكُمْ أَلَيْسَ الْفِتْنَةُ﴾ [الروم: ٣٠] وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه، من خصاء ما لا يجوز خصاؤه ووشم ما نهى عن وشمه ووشره وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد الله، بتغيير ما خلق الله من دينه.



قاله مقاتل. والثاني: من الموالاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قال قائل: من أين لإبليس العلم بالعواقب حتى قال: ولا ضللتهم. وقال في (الأعراف): ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. وقال في (بنی اسرائیل): ﴿لَا خَيْرَ لَكَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾. فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ظن ذلك، فتحقق ظنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبا: ٢٠] قاله الحسن، وابن زيد. وفي سبب ذلك الظن قولان: أحدهما: أنه لما قال الله تعالى له: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ أَبَدًا﴾ [ص: ٨٥] علم أنه ينال ما يريد. والثاني: أنه لما استزل آدم، قال: ذرية هذا أضعف منه. والثاني: أن المعنى: لأحرصن ولا اجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب، قاله ابن الأنباري. والثالث: أن من الجائر أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يشكرون، ذكره الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على بعضهم فقال: ﴿نُوبِيَا مَفْرُوسًا﴾ وقال: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧] وقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون علم مآل الخلق من جهة الملائكة، كما بينا. والثاني: أنه لما لم ينل من آدم كل ما يريد، طمع في بعض أولاده، وأيس من بعض. والثالث: أنه لما عاين الجنة والنار، علم أنهما خلقتا لمن يسكنهما، فأشار بالنصيب المفروض إلى ساكني النار.

قوله تعالى: ﴿يَبْدُهُمْ﴾ يعني: الشيطان يعد أوليائه. وفيما يعدمهم به قولان: أحدهما: أنه لا بعث لهم، قاله مقاتل. والثاني: النصرة لهم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفيما يُمنِّيهم قولان: أحدهما: الغرور والأمان، مثل أن يقول: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا مرادك. والثاني: الظفر بأوليائه الله.

﴿يَبْدُهُمْ وَيُنْيِهِمْ وَمَا يَبْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ أَوَّلُكَ مَا وَهَنَتْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيمًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجِلُّهُمْ فَتَكُنْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَبَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَسَدُّ مِنْ اللَّهِ قِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوبًا﴾ أي: باطلاً يغرهم به. فاما المحيص. فقال الزجاج: هو المعيل والملجأ، يقال: حصت عن الرجل أحيص، ورووا: حصت أحيص بالجمع والضاد، بمعنى: حصت، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً، لأن القراءة ستة، والذي في القرآن أفصح مما يجوز، ويقال: حصت أحوص حوصاً وحياسة<sup>(١)</sup>: إذا خطت، قال الأصمعي: يقال: حص عين صقرك، أي: خط عينه، والحوص في العين: ضيق مؤخرها، ويقال: وقع في حيص بيص. وحاص باص: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمْلِكُ سَوْماً يَجْزِيَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الأديان اختصموا، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية، ثم خير بين الأديان بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب مسروق، وأبو صالح، وقتادة، والسدي. والثاني: أن العرب قالت: لا تُبعث، ولا نعدب، ولا نحاسب، فنزلت هذه الآية، هذا قول مجاهد<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: لا تُبعث، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة. قال الزجاج: اسم «ليس» مضمَر، والمعنى: ليس ثواب الله ﷻ بأمانيتكم، وقد جرى ما يدل على الثواب، وهو قوله: ﴿سَنَجِلُّهُمْ فَتَكُنْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. وفي المشار إليه بقوله «أمانيتكم» قولان: أحدهما: أنهم المسلمون على قول الأكثرين. والثاني: المشركون على قول مجاهد.

(١) في الأصول التي بين أيدينا «حياسة» والتصويب من «اللسان».

(٢) قال ابن عبيش شارح «المفصل» ١١٤/٤: العرب تقول: «وقع الناس في حيص بيص» إذا وقعوا في فتنة واختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وهما اسمان زكيا اسماً واحداً، وبنيا بناء «خمسة عشر» و«خيم» مأخوذ من: حاص يحيص: إذا فر، يقال: ما عنه محيص، أي: مهرب. و«بيص» مأخوذ من قولهم: باص بيوص: أي: فات سبق، لأنه إذا وقع الاختلاط والفتنة، فمنهم هارب، ومنهم فانت، ولذلك فرهما - أي الزمخشري - «بفتنة تموج بأهلها متأخرين ومتقدمين» فالحيص: التأخر والهرب، والبوص: التقدم والسبق، وكان ينبغي أن يقال: حيص بوص، غير أنهم أتبعوا الثاني الأول.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٠/٩.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، ورجع هذا القول الطبري ٢٣٢/٩.

فأما أمانى المسلمين، فما نقل من قولهم كتابنا ناسح للكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، وأمانى المشركين قولهم: لا نبعت، وأمانى أهل الكتاب قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وإن النار لا تمسنا إلا أياماً معدودة، وإن كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، فأخبر الله ﷻ أن دخول الجنة والجزاء بالأعمال لا بالأمانى. وفي المراد «بالسوء» قولان: أحدهما: أنه المعاصي، ومنه حديث أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْماً يُجْزَ بِهِ﴾ فإذا عملنا سوءاً جزينا به، فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تعرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟»<sup>(١)</sup> فذلك ما تُجْزَوْنَ به<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الشرك، قاله ابن عباس، ويحيى بن أبي كثير. وفي هذا الجزاء قولان: أحدهما: أنه عام في كل من عمل سوءاً فإنه يجازى به، وهو معنى قول أبي بن كعب، وعائشة، واختاره ابن جرير، واستدل عليه بحديث أبي بكر الذي قدمناه. والثاني: أنه خاص في الكفار يجازون بكل ما فعلوا، فأما المؤمن فلا يجازى بكل ما جنى، قاله الحسن البصري. وقال ابن زيد: وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم يعد للمشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: لا يجد من أراد الله أن يجزيه بشيء من عمله ولياً، وهو القريب، ولا ناصراً يمنعه من عذاب الله وجزائه.

﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ قال مسروق: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ... الْفَعْلَيْنِ﴾ الآية، وهذه تدل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل أحدهما إلا بوجود الآخر، وقد سبق ذكر «النقيير».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: خير الله بين الأديان بهذه الآية. «وأسلم» بمعنى: أخلص. وفي «الوجه» قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أنه التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القيام بما فرض الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي اتباع ملة إبراهيم قولان: أحدهما: اتباعه على التوحيد والطاعة. والثاني: اتباع شريعته، اختاره القاضي أبو يعلى. فأما الخليل، فقال ابن عباس: الخليل: الصفي، وقال غيره: المصافي، وقال الزجاج: هو المحب الذي ليس في محبته خلل. قال: وقيل: الخليل: الفقير، فجاز أن يكون إبراهيم سُمي خليل الله بأنه أحبه محبة كاملة، وجزاء أن يكون لأنه لم يجعل فقره وفاته إلا إليه، و«الخلة»: الصداقة، لأن كل واحد يسد خلل صاحبه، و«الخلة» بفتح الخاء: الحاجة، سُميت خلة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمي الخل الذي يؤكل خللاً، لأنه اختل منه طعم الحلاوة. وقال ابن الأنباري: الخليل: فعيل من الخلة، والخلة: المودة. وقال بعض أهل اللغة: الخليل: المحب، والمحب الذي ليس في محبته نقص ولا خلل، والمعنى: أنه كان يحب الله، ويحبه الله محبة لا نقص فيها، ولا خلل، ويقال: الخليل: الفقير، فالمعنى: اتخذه فقيراً إليه ينزل فقره وفاته به، لا بغيره. وفي سبب اتخاذ الله له خليلاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اتخذه خليلاً لإطعامه الطعام، روى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن الناس أصابتهم سنة فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام، وكانت له ميرة من صديق

(١) اللأواء: بفتح اللام والواو بينهما همزة ساكنة بالمد: المشقة والشدة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١/١٨١، وابن جرير ٩/٢٤٢، والحاكم في «المستدرک» ٣/٧٤، والبيهقي في «السنن» ٣/٣٧٣ عن أبي بكر ﷺ، وفي إسناده انقطاع بين التابعي أبي بكر بن أبي زهير الثقفي رواه عن أبي بكر الصديق وبين أبي بكر، لكن للحديث شواهد تؤيد صحته، من ذلك ما رواه الإمام أحمد في «المسند» ١٣/١١٥، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٩٩٣، والترمذي ٤/٩٤ عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْماً يُجْزَ بِهِ﴾ شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله تَبَلَّغَ، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا»، فقي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها، أو الشوكة يشاكها. وقوله: قاربوا: أي: اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا. وسددوا: منأ: اقتصدوا السداد وهو الصواب. والنكبة: ما يصب الإنسان من الحوادث.

(٣) نسبة السيوطي في «الدرر» ٢٠/٢٣٠ للبيهقي في «شعب الإيمان».



الأحكام. وقيل: الاستفتاء: الاستخبار. قال المفسرون: والذي استفتوه فيه، ميراث النساء، وذلك أنهم قالوا: كيف تراث المرأة والصبي الصغير؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَلِ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: موضع «ما» رفع، المعنى: الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن. وهو قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَكَ الْقُرْآنَ..﴾ الآية. والذي تلى عليهم في التزويج قوله تعالى: ﴿وَأَن جُفَّتْ أَلَا تُقِيطُوا فِي الْيَمَنِ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. وفي يتامى النساء قولان: أحدهما: أنهن النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم، كما تقول: يوم الجمعة. والثاني: أنهن أمهات اليتامى، فأضيف إليهن أولادهن اليتامى. وفي الذي كتب لهن قولان: أحدهما: أنه الميراث، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الصداق. ثم في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم أولياء المرأة كانوا يحوزون صداقها دونها. والثاني: ولي اليتيمة، كان إذا تزوجها لم يعدل في صداقها. وفي قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ قولان: أحدهما: وترغبون في نكاحهن رغبة في جمالهن، وأموالهن، هذا قول عائشة، وعبيدة. والثاني: وترغبون عن نكاحهن لقبهجن، فتمسكوهن رغبة في أموالهن، وهذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالسُّنْبَيْتُ مِنكُمْ أَلْوَدَانِ﴾ قال الزجاج: موضع المستضعفين خفض على قوله: ﴿وَمَا يَنْتَلِ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ﴾ المعنى: وفي الولدان. قال ابن عباس: يريد أنهم لم يكونوا يورثون صغيراً من الغلمان والجواري، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَمَنِ بِالْقِسْطِ﴾ قال الزجاج: موضع «أن» خفض، فالمعنى: في يتامى النساء، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط. قال ابن عباس: يريد العدل في مهرهن ومواريهن.

﴿وَإِن أَمْرًاؤُا حَافَتْ مِن بَيْلِهَآ شُؤْرًا أَوْ إِعْرَآضًا فَلَا جُنَآحَ عَلَيْهِآ أَن يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْزِرَتِ أَلْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن أَمْرًاؤُا حَافَتْ مِن بَيْلِهَآ شُؤْرًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن بنت محمد بن مسلمة كانت تحت رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما كبيراً، وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فنزلت هذه الآية، رواه الزهري عن سعيد بن المسيب<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: واسمها خويلة. والثالث: قد ذكرناه عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في نزول الآية التي قبلها. وقالت عائشة: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها تكون له محبة أو يكون لها ولد ففكره فراقه، فتقول له: لا تطلقني وأمسكني، وأنت في حل من شأني. رواه البخاري، ومسلم<sup>(٣)</sup>. وفي خوف النشوز

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ١٧/٢، والترمذي ٩٤/٤، والبيهقي في «السنن» ٢٩٧/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في «الفتح» بعد نقل هذا الحديث عن الترمذي: وله شاهد في «الصحيحين» من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية. قلت: روى الشيخان عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة. وأخرج أبو داود في «مسند» ٣٢٦/٢ عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أخي كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكته عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيمن من كل امرأة من غير ميسر حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها، أراه قال: ﴿وَإِن أَمْرًاؤُا حَافَتْ مِن بَيْلِهَآ شُؤْرًا﴾. وإسناده جيد.

(٢) «الموطأ» ٥٤٨/٢ عن ابن شهاب عن رافع بن خديج. و«الأم» ١٧١/٥، و«المسند» للشافعي ٢٨/٢، و«جامع البيان» ٢٧٥/٩، عن الزهري عن سعيد بن المسيب. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٠٨/٢ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مرفوعاً إلى رافع بن خديج، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في «السنن» من طريق أخرى مطولاً من طريق أبي اليمان عن شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري.

(٣) البخاري ١٩٩/٨، ومسلم ٢٣١٦/٤ ولفظه عن عائشة في قوله ﷺ: «﴿وَإِن أَمْرًاؤُا حَافَتْ مِن بَيْلِهَآ شُؤْرًا﴾» قالت: «نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلمله أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، ففكره أن يفارقها، فتقول له: أنت في حل من شأني».

قولان: أحدهما: أنه العلم به عند ظهوره. والثاني: الحذر من وجوده لآماراته. قال الزجاج: والنشوز من بعل المرأة: أن يُسيء عشرتها، وأن يمنعها نفسه ونفقتها. وقال أبو سليمان: نشوزاً، أي: نبوأ عنها إلى غيرها، وإعراضاً عنها، واشتغالاً بغيرها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُصَلِّحَا بينهما» بفتح الياء، والتشديد. والأصل: «يتصلحا»، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «يُصلحا» بضم الياء، والتخفيف. قال المفسرون: والمعنى: أن يوقعا بينهما أمراً يرضيان به، وتلوم بينهما الصبغة، مثل أن تصبر على تفضيله. وروي عن علي، وابن عباس: أنهما أجازا لهما أن يصطلحا على ترك بعض مهرها، أو بعض أيامها، بأن يجعله لغيرها. وفي قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قولان: أحدهما: خير من الفرقة، قاله مقاتل، والزجاج. والثاني: خير من النشوز والإعراض، ذكره الماوردي. قال قتادة: متى ما رضيت بدون ما كان لها، واصطلحا عليه، جاز، فإن أثبت لم يصلح أن يجسها على الخسف.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتُ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾ «أحضرت»: بمعنى: ألزمت. و«الشح» الإفراط في الحرص على الشيء. وقال ابن فارس: «الشح»: البخل مع الحرص، وتشاح الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما. وفيمن يعود إليه هذا الشح من الزوجين قولان: أحدهما: المرأة، فتقديره: وأحضرت نفس المرأة الشح بحقها من زوجها، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. والثاني: الزوجان جميعاً، فالمرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح عليها بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه، هذا قول الزجاج. وقال ابن زيد: لا تطيب نفسه أن يعطيها شيئاً فتحلله، ولا تطيب نفسها أن تعطيه شيئاً من مالها، فتعطفه عليها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: بالصبر على التي يكرهها. والثاني بالإحسان إليها في عشرتها.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يعني الجور عليها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه.

﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَقُولُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَحِيبُوا كُلَّ الْمَنِي لَتَذَرَوْهَا كَالْمَلَقَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَقُولُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ قال أهل التفسير: لن تطبقوا أن تسووا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك ليس من كسبكم ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك<sup>(١)</sup> ﴿فَلَا تَحِيبُوا﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسم. وقال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة فتدروا الأخرى كالمعلقة وقال ابن عباس: المعلقة: التي لا هي أئيم، ولا ذات بعل. وقال قتادة: المعلقة: المسجونة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْلَحُوا﴾ أي: بالعدل في القسمة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لميل القلوب.

﴿وَإِنْ يَفْقَرَا بَيْنَ اللَّهِ كَلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْقَرَا﴾ يقول: وإن أبت المرأة أن تسمح لزوجها بإيثار التي يميل إليها، واختارت الفرقة، فإن الله يغني كل واحد من سعته. قال ابن السائب: يغني المرأة برجل، والرجل بامرأة. ثم ذكر ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل

(١) قال أبو بكر بن العربي في «شرح الترمذي» ٨٠/٥: قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَظِيمُوا أَنْ تَقُولُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَحِيبُوا كُلَّ الْمَنِي لَتَذَرَوْهَا كَالْمَلَقَةِ﴾ فأخبر سبحانه أن أحداً لا يملك العدل بين النساء، والمعنى فيه تعلق القلب لبعضهن أكثر منه إلى بعض، فعذرهم فيما يكونون، وأخذهم بالمساواة فيما يظهرون. قلت: روى أبو داود ٣٢٦/٢ والترمذي بشرح ابن العربي ٨٠/٥، والنسائي ٦٤/٧، وابن ماجه ٦٣٤/١ بسند جيد عن عائشة قالت: إن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» وصححه أيضاً ابن كثير في «التفسير». ورواه الحاكم ١٨٧/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الترمذي: ومعنى قوله: «لا تلمني فيما تملك ولا أملك» إنما يعني به الحب والمودة.

التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب ﴿وَأَيُّكُمْ﴾ يا أهل القرآن<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قيل: وحده ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا﴾ بما أوصاكم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يضره خلافكم. وقيل: له ما في السموات، وما في الأرض من الملائكة، فهم أطوع له منكم. وقد ذكرنا في سورة (البقرة) معنى «الغني الحميد»، وفي (آل عمران) معنى «الوكيل».

﴿إِنْ يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِخَارِجٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين والمنافقين ﴿وَيَأْتِ بِخَارِجٍ﴾ أطوع له منكم. وقال أبو سليمان: هذا تهديد للكفار، يقول: إن يشأ يهلككم كما أهلك من قبلكم إذ كفروا به، وكذبوا رسله<sup>(٢)</sup>.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت من أجل المنافقين كانوا لا يصدّقون بالقيامة، وإنما يطلبون عاجل الدنيا، ذكره أبو سليمان. وقال الزجاج: كان مشركو العرب يتقربون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا، ويصرف عنهم شرّها، ولا يؤمنون بالبعث، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة عنده. وذكر الماوردي أن المراد بثواب الدنيا: الغنيمة في الجهاد، وثواب الآخرة: الجنة. قال: والمراد بالآية: حث المجاهد على قصد ثواب الله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَسُوا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن فقيراً وغنياً اختصما إلى النبي ﷺ، فكان صفوه<sup>(٣)</sup> مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها متعلقة بقصة ابن أبيرق، فهي خطاب للذين جادلوا عنه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. «والقوام»: مبالغة من قائم. والقسط: العدل. قال ابن عباس: كونوا قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت، ولو على أنفسكم. وقال الزجاج: معنى الكلام: قوموا بالعدل، واشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على الشاهد، أو على والديه، أو قريبه، ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود له ﴿غَنِيًّا﴾ فالله أولى به، وإن يكن ﴿فَقِيرًا﴾ فالله أولى به. فأما الشهادة على النفس، فهي إقرار الإنسان بما عليه من حق. وقد أمرت الآية بأن لا ينظر إلى فقر المشهود عليه، ولا إلى غناه، فإن الله تعالى أولى بالنظر إليهما. قال عطاء: لا تحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغني، فتمسكوا عن القول فيه. ومن قال: إن الآية نزلت في الشهادات، ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والزهري، وقاعدة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فلا تتبعوا الهوى، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق، قاله مقاتل. والثاني: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا، قاله الزجاج. والثالث: فلا تتبعوا الهوى كراهية أن تعدلوا عن الحق. والرابع: فلا تتبعوا الهوى فتعدلوا، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي: تلووا، وبواوين، الأولى مضمومة، واللام ساكنة<sup>(٥)</sup>. وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال: أحدها: أن يلوي الشاهد لسانه بالشهادة إلى غير الحق. قال ابن عباس: يلوي لسانه بغير الحق، ولا يقيم الشهادة على وجهها، أو يعرض عنها ويتركها. وهذا قول مجاهد،

(١) أي: ووصيتكم أنتم يا أهل القرآن، كما وصينا من كان قبلكم من أهل الكتابين: أن اتقوا الله.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْخِلْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِخَارِجٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ أي: هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه، كما قال: ﴿وَلَا تَتْلُوا تِلْكَ آيَاتِ اللَّهِ تَبْخَسًا لَّئِنْ تَكُنُوا مِنْ أَتْلِكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] وقال بعض السلف: ما آمنوا العباد على الله إذا أضاعوا أمره.

(٣) ابن جرير ٤٠٣/٩، وقوله «فكان صفوه» أي: ميله، وفي «الطبري» «ضلمه» وهو الميل أيضاً.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٦١).

(٥) من لوى يلوي، والأصل: تلووا، حذف الضمة عن الياء لثقلها، ثم الياء لالتقاء الساكنين، وضمت الواو من أجل واو الضمير.

وسعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد. والثاني: أن يلوي الحاكم وجهه إلى بعض الخصوم، أو يُعرض عن بعضهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن يلوي الإنسان عنقه إعراضاً عن أمر الله لكبره وعتوه<sup>(١)</sup>. ويكون: «أو تعرضوا» بمعنى: وتعرضوا، ذكره الماوردي. وقرأ الأعمش، وحزمة، وابن عامر: «تلوا» بواو واحدة، واللام مضمومة. والمعنى: أن تلوا أمور الناس، أو تتركوا، فيكون الخطاب للحكام<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عبد الله بن سلام، وأسدًا، وأسيداً ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلاماً، وسلمة، ويامين. وهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله نؤمن بك، وبكتابك، وبموسى، والتوراة، وعزير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسول، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن مؤمني أهل الكتاب كان بينهم وبين اليهود كلام لما أسلموا، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. وفي المشار إليهم بقوله: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المسلمون، قاله الحسن، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن اثبتوا على إيمانكم. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الضحاك، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة، وبيعسى والإنجيل: آمنوا بمحمد والقرآن. والثالث: المنافقون، قاله مجاهد، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بالستهم، آمنوا بقلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل» مضمومتين<sup>(٤)</sup>. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «نَزَّلَ على رسوله، والكتاب الذي أنزل» مفتوحتين. والمراد بالكتاب الذي نزل على رسوله القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل: كل كتاب أنزل قبل القرآن، فيكون «الكتاب» هاهنا اسم جنس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في اليهود آمنوا بموسى، ثم كفروا بعد موسى، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، هذا قول ابن عباس. وروي عن قتادة قال: آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا به بعد عوده، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد. والثاني: أنها في اليهود والنصارى، آمن<sup>(٥)</sup> اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل، وآمن النصارى بالإنجيل، ثم تركوه فكفروا به، ثم ازدادوا كفراً بالقرآن وبمحمد، رواه شيان عن قتادة. وروي عن الحسن قال: هم قوم من أهل الكتاب، قصدوا تشكيك المؤمنين، فكانوا يظهرون الإيمان ثم الكفر، ثم ازدادوا كفراً بشيئهم على دينهم. وقال مقاتل: آمنوا بالتوراة وموسى، ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كفروا من بعده، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن. والثالث: أنها في المنافقين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا على كفرهم، قاله مجاهد. وروى ابن جريج<sup>(٦)</sup> عن مجاهد ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال: ثبتوا عليه حتى ماتوا. قال ابن عباس: ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين. قال: وإنما علق امتناع المغفرة بكفر بعد كفر، لأن المؤمن بعد الكفر يُغْفَرُ له كفره، فإذا ارتدَّ طَوَّلَ بالكفر الأول.

﴿يَسِّرَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَسِّرَ الْمُنَافِقِينَ﴾ زعم مقاتل أنه لما نزلت المغفرة في (سورة الفتح) للنبي والمؤمنين قال عبد الله بن

(١) في النسخة الأحمدية: وعلوه.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٠٦ عن الكلبي، وليس فيه «يامين».

(٣) أي: على بنائها للمفعول، والثائب ضمير الكتاب.

(٤) في «الأحمدية»: أقر.

(٥) في «الأحمدية»: ابن جريج. والخير رواه ابن جريج عن ابن جريج، عن مجاهد.

(٦) في الأحمدية: للحاكم.



أبي ونفر معه: فما لنا؟ فنزلت هذه الآية. وقال غيره: كان المنافقون يتولّون اليهود، فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب. وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب. والعرب تقول: تحتك الضرب، أي: هذا بدل لك من التحية. قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع<sup>(١)</sup>

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ بِهِمْ عِندَ الرَّبِّ فَإِنَّ الْبُغْيَاءَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قال ابن عباس: يتخذون اليهود أولياء في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿أَيْنِئْتُمْ بِهِمْ﴾ أي: القوة بالظهور على محمد وأصحابه، والمعنى: أينتون بهم؟ قال مقاتل: وذلك أن اليهود أعانوا مشركي العرب على قتال رسول الله ﷺ. وقال الزجاج: أينغي المنافقون عند الكافرين العزة. والعزة: المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض غزاز. قال الأصمعي: «الغزاز»: الأرض التي لا تنبت. فتأويل العزة: الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال. قالت الخنساء:

كان لم يكونوا حمى يثقى إذ الناس إذ ذاك من عزّ برا<sup>(٢)</sup>

أي: من قوي وغلب سلب. ويقال: قد استعز على المريض<sup>(٣)</sup>، أي: اشتد وجعه. وكذلك قول الناس: يعز علي يفعل، أي: يشتد، وقولهم: قد عز الشيء: إذا لم يوجد، معناه: صعب أن يوجد، والباب واحد<sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا يَنْتَهَكُوا إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ وقرا عاصم، ويعقوب: «نَزَلَ» بفتح النون والزاي. قال المفسرون: الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم، قوله في (الأنعام ٦٨) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم. وآيات الله: هي القرآن. والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا من حديث غير الكفر والاستهزاء. ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن جالستموهم على ما هم عليه من ذلك، فأنتم ﴿يَنْتَهَكُوا﴾ وفي ماذا تقع المماثلة فيه قولان:

(١) «الكتاب» لسبب ١/٣٦٥، ٤٢٩، و«الخزاة» ٥٣/٤ قال البنادي: وهذا البيت نسب شراح آيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي «العمدة» لابن رشيق: ٢٩٢/٢: وما بعد سرقاً وليس يسرق اشتراك اللفظ المتعارف، كقول عترة:

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأشد تهتصرا

وقول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع /

والخيل: اسم جمع الفرس لا واحد له من لفظه، والمراد به الفرسان، وأراد بالخيل الأول: خيل الأعداء، والثاني: خيله، والضمير في «بينهم» للخليين. ودلفت: دنوت وزحفت. ووجيع: بمعنى موجع، يقول: إذا تلاقوا جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع. وهذا على سبيل التهكم.

(٢) «ديوانها» ١٤٤، و«الكامل» ٧٩٣/٢، ١٢٢٣/٣، و«مجمع الأمثال» ٣٠٧/٢، و«شواهد المغني» ٨٨، و«الحماسة» لابن الشجري ٢٤٦/١ قال ابن الشجري: و«عز»: معناه: غلب، من قول الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا فِي الْفُطُوحِ﴾ [ص: ٢٣]. و«بز»: معناه: سلب، تقول: بززت الرجل: إذا سلبت سلاحه، ويقال للسلاح المسلوب: هذا يز فلان. و«من»: في البيت بمعنى الذي، وموضعه مع «عز» رفع بالابتداء و«بز» خبرها، والجملة التي هي المبتدأ وخبره خير عن المبتدأ الأول الذي هو الناس، والمائد إلى الناس محذوف، كما حذف من قولهم: «السمن منون بدرهم» يريدون: منون منه، وكذلك التقدير: من عز منهم بز، ولا يجوز أن يكون «إذ ذاك» خبراً عن الناس لما ذكرته لك من امتناع الأخبار بطرف الزمان عن الأشخاص، وإذا بطل أن يكون «إذ ذاك» خبراً عن الناس، بقي أن يتعلق ببز، ولا يجوز أن تكون «من» شرطية، لأن الشرط وجوبه لا يعمل واحد منهما فيما قبله بإجماع البصريين، كما لا يتقدم على الاستفهام ما يكون في حيزه، وأجاز قوم من البنداديين أن يعمل جواب الشرط فيما تقدم عليه لمعارفته الاستفهام بكونه جزاء، فعلى قول هؤلاء تحتل «من» أن تكون شرطاً، فاما «ذاك» فموضعه رفع بالابتداء وخبره محذوف. أي: ذاك كائن أو موجود، ولا يجوز أن يكون موضع ذاك على انفراد خفضاً، لأن «إذ» لا تضاف إلا إلى جملة، فموضع الجملة التي هي ذاك وخبره جر.

(٣) استعز: بالبناء للمجهول، وفي الحديث «أنه استعز برسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه» أي: اشتد به المرض وغلبه، وأشرف على الموت.

(٤) في «الصحاح»: عز الشيء يبرز عزاً وعزة وعزاً: إذا قل لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعز فلان يبرز عزاً وعزاً أيضاً: أي: صار عزيزاً، أي: قوي بعد ذلة. وعز علي أن تفعل كذا، وعز علي ذاك، أي: حق واشتد، وفي المثل: «إذا عز أخوك فهن» وعز يعز عزاً: غلبه، وفي المثل «من عز عز».

أحدهما: في العصيان. والثاني: في الرضا بحالهم، لأن مُجالس الكافر غير كافر. وقد نُهت الآية على التحذير من مجالسة العصاة<sup>(١)</sup>. قال إبراهيم النخعي: إن الرجل ليجلس في المجلس فيتكلم بالكلمة، فيرضي الله بها، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله، وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعم من حوله.

﴿الَّذِينَ يَرْبِصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَنْتُمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَنْتُمْ تَحْتَوِزُوا عَلَيْنَا وَتَنْتَفِعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْبِصُونَ بِكُمْ﴾ قال أبو سليمان: هذه الآية نزلت في المنافقين خاصة. قال مقاتل: كان المنافقون يترصدون بالمؤمنين الدوائر، فإن كان الفتح، قالوا: ألم نكن معكم؟ فأعطونا من الغنيمة. وإن كان للكافرين نصيب، أي: دولة على المؤمنين، قالوا للكفار: ألم نستحوذ عليكم؟ قال المبرد: ومعنى: ألم نستحوذ عليكم: ألم نغلبكم على رأيكم. وقال الزجاج: ألم تغلب عليكم بالموالاة لكم. و«تستحوذ» في اللغة، بمعنى: نستولي، يقال: حذت الإبل، وحزتها: إذا استوليت عليها وجمعتها. وقال غيره: ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة؟ وقال ابن جريج: ألم نبين لكم أنا على دينكم؟ وفي قوله: ﴿وَتَنْتَفِعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: نمنعكم منهم بتخليطهم عنكم. والثاني: بما نعلمكم من أخبارهم. والثالث: بصرنا إياكم عن الدخول في الإيمان. ومراد الكلام: إظهار المنة من المنافقين على الكفار، أي: فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباس: يريد أنه آخر عقاب المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا سبيل لهم عليهم يوم القيامة، روى يسع الحضرمي عن علي بن أبي طالب أن رجلاً جاءه، فقال: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون، فقال: ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلًا. هذا مروى عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقناة. والثاني: أن المراد بالسبيل: الظهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظاهرون، والعاقبة لهم، وهذا المعنى في رواية عكرمة، عن ابن عباس. والثالث: أن السبيل: الحجة. قال السدي: لم يجعل الله عليهم حجة، يعني فيما فعلوا بهم من القتل والإخراج من الديار. قال ابن جرير: لما وعد الله المؤمنين أنه لا يدخل المنافقين مدخلهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخل المنافقين، لم يكن للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم: أنتم كنتم أعداءنا، وكان المنافقون أوليائنا، وقد اجتمعتم في النار<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْتَصِمُونَ لِلَّهِ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُنُافًا يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْتَصِمُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يعملون عمل المخادع. وقيل: يخادعون نبيّه، وهو خادعهم، أي:

(١) روى الإمام أحمد ١٤٨/٢ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٢٠/٤ وحسنه، والنسائي ١٩٨/١ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر» وهو حديث صحيح. قال ابن حجر: أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعاً وإسناده جيد، قلت: وليس في النسائي الشطر الثاني من الحديث، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود في «سننه» ٤٧٧/٣ عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد ٢١٠/١ عن عمر بسند فيه مجهول. وفي «القرطبي» ٤١٨/٥: فكل من جلس في مجلس مصيبة، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمصيبة وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٥١، وابن جرير ٣٢٧/٩ بإسناد صحيح، الحاكم ٣٠٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٢ نسبته للبرقي وعبد بن حميد وابن المنذر. و«يسع» بضم الياء في أوله وفتح السين، وسكون الياء الثانية: هو ابن معدان الحضرمي، ويقال: الكندي، وهو تابعي وثقه النسائي وغيره، مترجم في «التهذيب» ٣٨٠/١١ ووقع في «الأحمدية» وتفسير ابن كثير: «سبيل» وهو تصحف.

(٣) ذكر القرطبي في «تفسره» ٤١٩/٥ للآية التأويل الثالث: وهو أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتفاعدوا عن التوبة، فيكون تسلط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَبَّنَا آمَنَّا بِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كِبَىٰ أَلْيُكِبَ﴾ [الشورى: ٣٠] قال ابن العربي: وهذا نفس جداً. فيكون المعنى: إذن: إن الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيل ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون، يقومون بحقوق الإيمان ويتبعون هديه.

مجازيهم على خداعهم. وقال الزجاج: لما أمر بقبول ما أظهروا، كان خادعاً لهم بذلك. وقيل: خداعه إياهم يكون في القيامة بإطفاء نورهم، وقد شرحنا طرفاً من هذا في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا﴾ أي: متاقلين. و«كسالي»: جمع كسلان، و«الكسل»: التثاقل عن الأمر. وقرأ أبو عمران الجوني: «كسالي» بفتح الكاف، وقرأ ابن السميع: «كسلي»، بفتح الكاف من غير ألف. وإنما كانوا هكذا. لأنهم يصلون حذراً على دمائهم، لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يصلون ليراهم الناس. قال قتادة: والله لولا الناس ما صلى المنافق<sup>(٢)</sup>. وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سُمِّيَ قليلاً، لأنه غير مقبول، قاله علي عليه السلام، وفتادة. والثاني: لأنه رياء، ولو كان لله لكان كثيراً، قاله ابن عباس، والحسن. والثالث: أنه قليل في نفسه، لأنهم يقتصرون على ما يظهر، دون ما يخفى من القراءة والتسبيح، ذكره الماوردي.

﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِي لَهُ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذبذب: المتردد بين أمرين، وأصل المذبذب: التحرك، والاضطراب، وهذه صفة المنافق، لأنه محير في دينه لا يرجع إلى اعتقاد صحيح. قال قتادة: ليسوا بالمشركين المصّرّحين بالشرك، ولا بالمؤمنين المخلصين. قال ابن زيد: ومعنى «بين ذلك»: بين الإسلام والكفر، لم يظهروا الكفر فيكونوا إلى الكفار، ولم يصدقوا الإيمان، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباس: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِي لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى. وقد روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل المنافق: مثل الشاة العائرة بين الغنمين تُعْمَرُ إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، ولا تدري أيها تنبع»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبُدُونَ أَنْ تَحْكَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا بُيِّنًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ في المراد بالكافرين قولان: أحدهما: اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قال الزجاج: ومعنى الآية: لا تجعلوهم بطانتكم وخاصتكم. والسلطان: الحجة الظاهرة<sup>(٤)</sup>، وإنما قيل للأمير: سلطان، لأنه حجة الله في أرضه، واشتقاق السلطان: من السليط. والسليط<sup>(٥)</sup>: ما يستضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السليط. والعرب تؤثت السلطان وتذكره، تقول: قضت عليك السلطان، وأمرتك السلطان، والتذكر أكثر وبه جاء القرآن، فمن أنث، ذهب إلى معنى الحجة، ومن ذكر، أراد صاحب السلطان. قال ابن الأنباري: تقدير الآية: أتريدون أن تجعلوا الله عليكم بموالة الكافرين حجة بيّنة تلزمكم عذابه، وتكسبكم غضبه؟

﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذُّرَى الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نُصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذُّرَى الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الراء، وقرأ

(١) أخرج الإمام مسلم ٤٥١/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأفزعوا ولو حجوا، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فبصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وفي «السند» عن أبي هريرة رضي الله عنه «ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمتت صلاة العشاء، وأمرت فتياي يحرقون ما في البيوت بالنار». وروى الإمام مالك في «الموطأ» ٢٢٠/١ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فقرعها أربماً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» ورواه مسلم ٤٣٤/١، والترمذي ٣٠١/١، والنسائي ٢٥٤/١.

(٢) في «الأحمدية» المنافقون.

(٣) رواه الإمام أحمد ١٢٩/٧، ومسلم ٢١٤٦/٤ وابن جرير ٣٣٣/٩. والشاة العائرة: هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تنبع، من قولهم: عار الفرس والكلب وغيرهما بغير عياراً: إذ ذهب كأنه منفلت من صاحبه، فهو يتردد هنا وهنا. وقوله: تعير إلى هذه مرة. أي: تذهب في ترددها إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

(٤) روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله «تلك صلاة المنافق»: كل سلطان في القرآن حجة.

(٥) في «الأحمدية» التسليط، وهو خطأ. و«السليط» الزيت. قال: النابغة الجعدي:

بفضي كمثل سراج السليط  
ط لم يجعل الله فيه نحاساً

نظر «اللسان» مادة سلط.

عاصم، وحزمة، والكسائي، وخلف: بتسكين الراء. قال الفراء: وهي لغتان: قال أبو عبيدة: جهنم أدراك، أي: منازل، وأطابق<sup>(١)</sup>. فكل منزل منها: درك. وحكى ابن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: الدركات: مرق، بعضها تحت بعض. وقال الضحاك: الدرج: إذا كان بعضها فوق بعضها، والدرك: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقال ابن فارس: الجنة درجات، والنار دركات. وقال ابن مسعود في هذه الآية: هم في توايت من حديد مبهمه [عليهم]<sup>(٢)</sup>. قال ابن الأنباري: المبهمه: التي لا أفعال عليها، يقال: أمر مبهم: إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه، ولا بابه.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: مانعاً من عذاب الله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال مقاتل: سبب نزولها: أن قوماً قالوا عند ذكر مستقر المنافقين: فقد كان فلان وفلان منافقين، فتابوا، فكيف يُفَعَّل بهم؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: إلا الذين تابوا من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم بعد التوبة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: استمسكوا بدينه. ﴿وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، وإخلاصه: رفع الشرك عنه، قاله مقاتل. والثاني: أنه العمل، وإخلاصه: رفع شوائب النفاق والرياء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في «مع» قولان: أحدهما: أنها على أصلها، وهو الاقتران. وفي ماذا اقترنوا بالمؤمنين؟ فيه قولان: أحدهما: في الولاية، قاله مقاتل. والثاني: في الدين. والثواب. قاله أبو سليمان. والثاني: أنها بمعنى «من» فتقديره: فأولئك من المؤمنين، قاله الفراء.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ «ما» حرف استفهام، ومعناه: التقرير<sup>(٤)</sup>، أي: إن الله لا يعذب الشاكر المؤمن، ومعنى الآية: ما يصنع الله بعذابكم إن شكرتم نعمه، وأمتنتم به وبرسوله. والإيمان مقدم في المعنى وإن أُخِّر في اللفظ. وروي عن ابن عباس أن المراد بالشكر: التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: للقليل من أعمالكم، علماً بنياتكم، وقيل: شاكراً، أي: قابلاً.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ وَلَا مَن ظُلْمًا وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن ضيفاً تضيف قوماً فأسأوا قراءاً فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكوا، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً نال من أبي بكر

(١) تمام كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١٤٢: ويقال للجميل الذي عجز عن بلوغ الركبة: أعطني دركاً أصل به.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٦/٢: رواه ابن أبي شيبة، وهناد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في صفة النار عن ابن مسعود. قلت: وفي سنده انقطاع، لأن خيشمة بن عبد الرحمن الراوي عن ابن مسعود لم يسمع منه، ذكره الإمام أحمد، ورواه ابن أبي حاتم من طريق حماد بن سلمة: أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود... وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم بن عبد الرحمن صدوق يرسل كثيراً. وفي «الطبري» ٣٣٩/٩: من أبي هريرة: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكَاثِرِ﴾ قال: «في توايت تَرْتَجَّ عليهم» وفي «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: ورواه ابن أبي حاتم بسند حسن، ولفظه: «الدرك الأسفل: بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحته ومن فوقهم».

(٣) في «صحيح البخاري» ٢٠٠/٨: عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام علينا، فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكَاثِرِ﴾ فتبسع عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، ففرق أصحابه، فرماني بالحصي، فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم. قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا وَبَنَتْ لَهُمْ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صحة توبة الزنديق، وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ الْكَاثِرِ﴾ وقد استدل بذلك جماعة، منهم أبو بكر الرازي في «أحكام القرآن».

(٤) في «الأحذية»: التقدير، وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٣٤٧/٩، ونسب السيوطي في «الدر» للفريابي وعبد بن حميد، وجاء في «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: قال ابن عباس في تفسير الآية: يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرحس له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله ﴿لَا مَن ظُلْمًا﴾ وإن صبر فهو خير له. وروى أبو داود ١٠٧/٢ عن عائشة قالت: سُرق لها شيء، فجمعت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: «لا تسبني عنه» (قال الخطابي: لا تسبني عنه، =

الصدوق والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم ردة عليه، فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت؟! فقال: «إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه، ذهب الملك، وجاء الشيطان» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، هذا قول مقاتل. واختلف القراء في قراءة ﴿لَا مَن ظَلَمَ﴾ فقرأ الجمهور بضم الظاء، وكسر اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، والحسن، وابن المسيب، وأبو رجاء، وسعيد بن جبيرة، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، بفتحهما. فعلى قراءة الجمهور، في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن يدعو المظلوم على من ظلمه، فإن الله قد أرخص له، قاله ابن عباس. والثاني: إلا أن ينتصر المظلوم من ظالمه، قاله الحسن، والسدي. والثالث: إلا أن يخبر المظلوم بظلم من ظلمه، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وروى ابن جريج عنه قال: إلا أن يجهر الضيف بظلم من لم يضيفه. فأما قراءة من فتح الظاء، فقال ثعلب: هي مردودة على قوله: ﴿مَّا يَمْكُلُ اللَّهُ بِمَلَأِكُمْ﴾ إلا من ظلم. وذكر الزجاج فيها قولين: أحدهما: أن المعنى: إلا أن الظالم يجهر بالسوء ظملاً. والثاني: إلا أن تجهروا بالسوء للظالم. فعلى هذا تكون «إلا» في هذا المكان استثناءً مقطوعاً، ومعناها: لكن المظلوم يجوز له أن يجهر لظالمه بالسوء. ولكن الظالم قد يجهر بالسوء. واجهروا له بالسوء<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: إلا من ظلم، أي: أقام على النفاق، فيجهر له بالسوء حتى يثزع.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ أي: لما تجهرون به من سوء القول ﴿عَلِيمًا﴾ بما تخفون. وقيل: سميعاً لقول المظلوم، عليمٌ بما في قلبه، فليتبى الله، ولا يقل إلا الحق. وقال الحسن: من ظلم، فقد رخص له أن يدعو على ظالمه من غير أن يعتدي، مثل أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ أَوْ تُقَوِّا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ قال ابن عباس: يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة. وقال بعضهم: إن تبدوا خيراً بدلاً من السوء. وأكثرهم على أن «الهاء» في «تخفوه» تعود إلى الخير. وقال بعضهم: تعود إلى السوء.

أي: لا تخفني عنه بدعائك وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليل: اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه لكن إن اتري عليك فلا تفر عليه، لقوله: ﴿وَلَمَّا أَتَسَرَ بِدَّ عَلَيْهِ قَاتِلُهُ مَا عَقِبَ مِنْ سَيْلٍ﴾ وروى أبو داود ٣٧٧/٤ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الاستبان ما قالاً فعلى الباطل منهما ما لم يعتد المظلوم» [قلت: ورواه أحمد في المسند ١٩٤/١٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٥١٢/١، ومسلم ٢٠٠٠/٤، والترمذي ١٣٩/٣]. وقد روى البخاري ٧٧/٥، ومسلم ١٣٥٢/٣ عن عتبة بن عامر قال: قلنا: يا رسول الله إنك تبعنا، فتنزل يقوم فلا يقروننا، فما ترى في ذلك؟ فقال: «إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وإن لم يفعلوا، فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم» روى الإمام أحمد ١٣١/٤، وأبو داود عن المقدم أبي كريمة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف معروفاً، فإن حقاً على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زوجه وماله» وروى أحمد ١٣٠/٤ أيضاً عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليلة الضيف واجبة على كل مسلم، فإن أصبح بفاته معروفاً كان ديناً عليه، فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه» ورواه أبو داود ٤٦٩/٣، ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: إن لي جاراً يؤذيني، فقال له: «أخرج متاعك، فضعه على الطريق»، فأخذ الرجل متاعه، فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جار يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم اخزه» قال: فقال: ارجع إلى منزلك، وقال: لا أؤذيك أبداً» ورواه أبو داود ٤٦٠/٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٦/١ وهو حديث حسن.

(١) لم يذكره أحد من المفسرين سبباً لنزول الآية، وقد جاء معنى الحديث بدون ذكر سبب، فمن ابن المسيب قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأي بكر ﷺ، فأذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ، فقال: أوجدت علي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء يكلبه بما قال لك، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم يكن لأجلس إذ وقع الشيطان» رواه أبو داود هكذا مرسل ٣٧٧/٤ ومتصلاً من طريق ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه، قال المنذري: وذكر البخاري في «تاريخه» أن المرسل أصح.

(٢) في «مجمع البيان» للطبرسي ٢٧٣/٦ قال ابن جني: ظَلَمَ وظَلِمَ جميعاً على الاستثناء المنقطع، أي: لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره، ودل عليه قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمِينًا عَدِيمًا﴾ وموضع «من» نصب في الوجهين جميعاً، قال الزجاج: فيكون المعنى: لكن المظلوم يجهر بظلمته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظملاً، قال: ويجوز أن يكون موضع «من» رفعاً، على معنى: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، فيكون «من» بدلاً من معنى «أخذ». المعنى: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم، قال: وفيها وجه آخر لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، وهو أن يكون على معنى: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول. وقال الطبري: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿لَا مَن ظَلَمَ﴾ بضم الظاء، لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح.

(٣) ابن جرير ٣٤٤/٩

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَدُوًّا﴾ قال أبو سليمان: أي: لم يزل ذا عفوٍ مع قدرته، فاعفوا أنتم مع القدرة<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود كانوا يؤمنون بموسى، وعزير، والتوراة، ويكفرون بعيسى، والإنجيل، ومحمد، والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، آمن اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمن النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بمحمد والقرآن، قاله قتادة. ومعنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: يريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله، والإيمان برسله، ولا يصح الإيمان به والتكذيب برسله أو ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين إيمانهم ببعض الرسل، وتكذيبهم ببعض ﴿سَبِيلًا﴾ أي: مذهباً يذهبون إليه. وقال ابن جريج: ديناً يدينون به.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَمْرِ نَبِيِّهِمْ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِحَسَبِ عَمَلِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ذكره «الحق» هاهنا تأكيداً لكفرهم إزالةً لتوهم من يتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل<sup>(٢)</sup> يزيل عنهم اسم الكفر.

﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ فَوَسَّيْنَاهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَدَنِهِمْ مَا جَاءَهُمْ فَأَلْبَسْتُمْ عَلَيْهِمُ الْعِجْلَ عَنْ ذَلِكَ وَمَا أَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سألوه أن ينزل كتاباً عليهم خاصة، هذا قول الحسن، وقاتدة. والثاني: أن اليهود والنصارى أتوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نبايعك حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج. والثالث: أن اليهود سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً كما نزلت التوراة على موسى، هذا قول القرظي، والسدي. وفي المراد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: اليهود. وفي المراد بأهل الكتاب المنزل من السماء قولان: أحدهما: كتاب مكتوب غير القرآن. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بينا في (البقرة) معنى سؤالهم رؤية الله جهرة، واتخاذهم العجل. والبيّنات: الآيات التي جاء بها موسى. فإن قيل: كيف قال: ثم اتخذوا العجل، و«ثم» تقتضي التراخي والتأخر، أفكان اتخاذ العجل بعد قولهم: «أرنا الله جهرة؟» فغته أربعة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري. أحدهن: أن تكون «ثم» مردودة على فعلهم القديم، والمعنى: وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة، فخالفوا أيضاً، ثم اتخذوا العجل. والثاني: أن تكون مقدمة في المعنى، مؤخّرة في اللفظ، والتقدير: فقد اتخذوا العجل، ثم سألوا موسى أكبر من ذلك. ومثله «فَالْيَقِينُ ثُمَّ قَوْلٌ مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» [النمل: ٢٨] المعنى: فألقه إليهم، ثم انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم. والثالث: أن المعنى، ثم كانوا اتخذوا العجل، فأضمر الكون. والرابع: أن «ثم» معناها التأخير في الإخبار، والتقديم في الفعل، كما يقول القائل: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شربت الماء، ثم أخبركم أنني أكلت الخبز بعد إخباري بشرب الماء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ أي: لم نستأصل عبدة العجل. و«السلطان المبين»: الحجّة البينة. قال ابن عباس: اليد والعصا. وقال غيره: الآيات التسع.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٢/١٩٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٠١ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

(٢) في «الأحمدية»: ذكرهم بزيادة «هم» ولا معنى لها هنا.

(٣) في «البحر المحيط» ٣/٢٨٧: «ثم» للترتيب في الإخبار لا في نفس الأمر، ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل، فأبأهم والذين شجقوا غير الذين اتخذوا العجل.

﴿وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الْأَلْوَرُ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَظِيمًا﴾ (١٥٤)

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الْأَلْوَرُ بِمِثْقَلِهِمْ﴾ أي: بما أعطوا الله من العهد والميثاق: ليعملن بما في التوراة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ﴾ قرأ نافع: لا تعدوا، بتسكين العين، وتشديد الدال، وروى عنه ورش «تعدوا» بفتح العين، وتشديد الدال. وقرأ الباقون «تعدوا» خفيفة، وكلهم ضم الدال<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا هذا وغيره في (البقرة) و«الميثاق الغليظ»: العهد المؤكد.

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ وَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ وَقَوْلُهُمُ الْآيَاتِ بِمِثْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥)

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ﴾ «ما» صلة مؤكدة. قال الزجاج: والمعنى: فينقضهم ميثاقهم، وهو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يُبَيِّنُوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي ﷺ وغيره. والجالب للباء العامل فيها، وقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ﴾ أي: بنقضهم ميثاقهم، والأشياء التي ذكرت بعده حَرَمْنَا عليهم. وقوله: ﴿فَيُظَلَرُ﴾ بدل من قوله: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾، وجعل الله جزاءهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم. وقال ابن فارس: الطبع: الختم [ومن ذلك] طبع الله على قلب الكافر [كأنه] ختم [عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور] فلم يوفق لخير، والطابع: الخاتم يختم به<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا القليل، وهم عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: المعنى: إيمانهم قليل، وهو قولهم: ربنا الله، قاله مجاهد.

﴿وَيَكْفُرُهُمْ قَوْلِهِمْ عَنْ مَرْيَمَ بَنَتِنا عَظِيمًا﴾ (١٥٦)

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ في إعادة ذكر الكفر فائدة: وفيها قولان. أحدهما: أنه أراد: ويكفرهم بمحمد والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: ويكفرهم بالمسيح، وقد بشروا به، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما «البهتان» فهو في قول الجماعة: قذفهم مريم بالزنى.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الْفُقَرَاءِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ قال الزجاج: أي باعتبار فهم بقتلهم إياه، وما قتلوه، يُعَذِّبُونَ عذاب من قتل، لأنهم قتلوا الذي قتلوا على أنه نبي. وفي قوله: «رسول الله» قولان: أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: أنه رسول الله على زعمه. والثاني: أنه من قول الله، لا على وجه الحكاية عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: ألقي شبهه على غيره. وفيمن ألقي عليه شبهه قولان: أحدهما: أنه بعض من أراد قتله من اليهود. روى أبو صالح عن ابن عباس: أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى، أدخله جبريل خوخة لها روزنة، ودخل وراءه رجل منهم، فألقى الله عليه شبه عيسى، فلما خرج على أصحابه، قتلوه يظنونهم عيسى، ثم صلبوه، وبهذا قال مقاتل، وأبو سليمان. والثاني: أنه رجل من أصحاب عيسى، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عيسى خرج على أصحابه لما أراد الله رفعه، فقال: أيكم يُلقى عليه شبيهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد القول، فقام الشاب، فقال عيسى: اجلس، ثم أعاد، فقال الشاب: أنا، فقال: نعم

(١) في الطبري ٣٦٢/٩: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراءة المسلمين ﴿لَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ﴾ بتخفيف العين من قول القائل: عدوت في الأمر: إذا تجاوزت الحق فيه، أعدو عدواً وعدواً وعدواً، وقرأ ذلك بعض قراءة أهل المدينة «وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ» بتسكين العين وتشديد الدال، والجمع بين ساكنين، بمعنى تعدوا، ثم تدمج الدال فتصير دالاً مشددة مضمومة. وفي «النشر» ٢٤٤/٢: واختلفوا في «تعدوا» فقرأ أبو جعفر: بتشديد الدال مع إسكان العين، وكذلك روى ورش إلا أنه فتح العين، وكذلك قالون إلا أنه اختلف عنه في إسكان العين واختلاسها، فروى عنه العراقيون من طريقه: إسكان العين مع التشديد كأبي جعفر سواء، وهكذا وردت النصوص عنه، وروى المغاربة عنه: الاختلاس لحركة العين، ويعبر بعضهم عنه بالإخفاء فقرأوا من الجمع بين الساكنين. وانظر «إبراز المعاني» ٢٩٣.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ٤٣٨/٣، وما بين معقفيه منه.



أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الرجل، فقتلوه، ثم صلبوه<sup>(١)</sup>. وبهذا القول قال وهب بن منبه، و قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في المختلفين قولان: أحدهما: أنهم اليهود، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها كناية عن قتله، فاختلفوا هل قتلوه أم لا؟. وفي سبب اختلافهم في ذلك قولان. أحدهما: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد أُلقي على وجهه دون جسده، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، ذكره ابن السائب. والثاني: أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ يعنون الذي دخل في طلبه، هذا قول السدي. والثاني: أن «الهاء» كناية عن عيسى، واختلافهم فيه قول بعضهم: هو ولد زني، وقول بعضهم: هو ساحر. والثاني: أن المختلفين النصارى، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله، هل قتل أم لا؟ والثاني: أنها ترجع إليه، هل هو إله أم لا؟ وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله. والثاني: إلى نفسه، هل هو إله، أم لغير ردة، أم هو ساحر؟.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ غِلٍّ إِلَّا لِيَكَّ الْأَعْيُنُ﴾ قال الزجاج: «اتباع» منصوب بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. والمعنى: ما لهم به من علم إلا أنهم يتبعون الظن، وإن رُفِعَ جاز على أن يجعل علمهم اتباع الظن، كما تقول العرب: تحيتك الضرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الظن فيكون المعنى: وما قتلوا ظنهم يقيناً، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى العلم، أي: ما قتلوا [العلم به] يقيناً، تقول: قتلته يقيناً، وقتلته علماً [للرأي والحديث]<sup>(٢)</sup> هذا قول الفراء، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا: أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به، إنما كان ظناً. والثالث: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً، هذا قول الحسن. وقال ابن الأنباري: اليقين مؤخر في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه يقيناً.

﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ قِيلَ مَوْتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿٣٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به، ومثله ﴿وَلَا يَنْكَرُ إِلَّا وَادُّعَاهَا﴾ [مریم: ٧١]. وفي أهل الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الحسن، وعكرمة. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها راجعة إلى محمد ﷺ، قاله عكرمة. وفي هاء «موته» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المؤمنين. روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي<sup>(٣)</sup> قال: وهي في قراءة أبي: «قبل موتهم»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبیر. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبدٌ. وقال عكرمة: لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد ﷺ. والثاني: أنها تعود إلى عيسى. روى عطاء عن ابن عباس قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا أحد يعبد غير الله إلا أتبعه

(١) هو قطعة من خبر طويل رواه ابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٧٤/١ وصححه إسناده إلى ابن عباس. وقد استبعد الشيخ أحمد شاكر في «عمدة التفسير» ٣١/٤ صحة هذا الأثر، ورده، واستنتج أنه من أوامم المنهال بن عمرو الأسدي، راوياً عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، ثم قال: فالذي يؤمن به موقنين هو ما أخبرنا الله به في كتابه نصاً أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم دون أن ندخل في تفصيل كيف شبه لهم، وعلى من الناس ألقي شبهه؟ فهذا التفصيل لم تكلف الإيمان به، إذ لم يعلمنا الله ولا رسوله بشيء من ذلك التفصيل.

(٢) «غريب القرآن» ص ١٢٧، والزيادة منه.

(٣) الهوي، بضم الهاء، وكسر الواو والياء المشددة: مصدر هوى يهوي: إذا سقط من فوق إلى أسفل.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٨٢/٩، ولفظه: عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: هي في قراءة أبي «قبل موتهم» ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى. قيل لابن عباس: أرايت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي، فقيل: أرايت إن ضرب عنق أحد منهم؟ قال: يلجج بها لسانه.

وصدقه، وشهد أنه روح الله، وكلمته، وعبد، ونبيه<sup>(١)</sup>. وهذا قول قتادة، وابن زيد، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير<sup>(٢)</sup>، وعن الحسن كالقولين. وقال الزجاج: هذا بعيد، لعموم قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، والذين يبقون حينئذ شرمة منهم، إلا أن يكون المعنى: إنهم كلهم يقولون: إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نؤمن به.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْفَيْتَنَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يكون عليهم شهيداً أنه قد بلغ رسالات ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

﴿فَيُظَلِّقُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَيَمْدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَيُظَلِّقُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَيَمْدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، فحرم الله عليهم ما ذكر في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَعَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ١٤٦] عقوبة لهم. قال أبو سليمان: وظلمهم: نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وما ذكر في الآيات قبلها. وقال مجاهد: ﴿وَيَمْدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: صدهم أنفسهم وغيرهم عن الحق. قال ابن عباس: صدهم عن سبيل الله، يعني الإسلام، وأكلهم أموال الناس بالباطل، أي: بالكذب على دين الله، وأخذ الرشى على حكم الله، وتبديل الكتب التي أنزلها الله ليستديموا المآكل.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمُ الزَّبَابَ وَوَقَعُوا فِيهَا فَأَكَلُوا ثُلُثَهَا وَالْأُخْرَى أَكَلَتْ بِهَا السُّحَابُ الْغَائِيَّةُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمُ الزَّبَابَ﴾ أي: أعددتنا للكافرين، يعني اليهود. وقيل: إنما قال «منهم»، لأنه علم أن قوماً منهم يؤمنون، فيأمنون العذاب.

(١) ابن جرير ٣٨٠/٩ وإسناده صحيح، وقد صحح الحافظ ابن كثير الروايات التي جاءت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية.

(٢) قال أبو جعفر الطبري ٣٨٦/٩ وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه، والحق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته، لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم، كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقييره، لأن من مات مؤمناً بعيسى، فقد مات مؤمناً بمحمد ﷺ وجميع الرسل. وذلك أن عيسى صلوات الله عليه، جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم، فالمصدق بعيسى والمؤمن به، مصدق بمحمد وجميع أنبياء الله ورسله، كما أن المؤمن بمحمد، مؤمن بعيسى وجميع أنبياء الله ورسله. فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد كاذباً. وقال الحافظ ابن كثير ٥٧٧/١: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي ستوردنا إن شاء الله قريباً - فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الْيُؤْمِنُ بِهِ قُلْ مَوَدَّةٌ﴾ أي: قبل موت عيسى ﷺ الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿وَيَوْمَ الْفَيْتَنَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدتها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فاما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام - فهذا هو الواقع، وذلك: أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً تاماً له إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلِكَيْلَ الْكُفْرَةِ يَلْبَسُونَ﴾ يَلْبَسُونَ الْكِتَابَ حِجًّا إِذَا حَرَسَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ يَبْتَئِنَّا وَلَا الْيَقِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَافِرُونَ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَالُوا مَا نَكُنَّا بِمُؤْمِنِينَ بِرَبِّكَ فَكَلَّمَهُمْ﴾ أي: فلو كان يؤمنون بعيسى ﷺ لما رأوا بأساً. [المؤمن: ٨٤، ٨٥] وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول، حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما حينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه، لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته. فهذا ليس بجيد، إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً. ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق، أو ضرب بالسيف، أو افترسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى! فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره، لما قمنا والله أعلم. ومن تأمل هذا جيداً وأمن النظر اتضح له أنه هو الواقع - لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها الذي ذكرناه من تقرير وجود عيسى ﷺ، وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتماكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوهم في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزه وتقدس لا إله إلا هو.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِيْحُوْنَ فِي الْغَيْرِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِيْعِيْنَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِيْحُوْنَ فِي الْغَيْرِ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب، فأما الراسخون، فهم الثابتون في العلم. قال أبو سليمان: وهم عبد الله بن سلام، ومن آمن معه، والذين آمنوا من أهل الإنجيل ممن قَدِمَ مع جعفر من الحبشة، والمؤمنون، يعني أصحاب رسول الله. فأما قوله: ﴿وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ﴾ فهم القائمون بأدائها كما أمروا. وفي نصب «المقيمين» أربعة أقوال: أحدها: أنه خطأ من الكاتب، وهذا قول عائشة، وروي عن عثمان بن عفان أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها<sup>(١)</sup>. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والجحدري: «والمقيمون الصلاة» بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأ، بعيد جداً، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلِّحُه غيرهم؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. وقال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً، ليُصلِّحه من بعده<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه نسق على «ما» والمعنى: يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، فقيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء. والثالث: أنه نسق على الهاء والميم من قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك. قال الزجاج: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمَر المجرور إلا في الشعر. والرابع: أنه منصوب على المدح، فالمعنى: اذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة. وأنشدوا:

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ      سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفْنَةُ الْجُزُرِ  
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ      وَالطَّيِّبُونَ مَعَايِدَ الْأُزُرِ<sup>(٣)</sup>

(١) قال السخاوي: هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع، لأن عثمان رضي الله عنه جعل للناس إماماً يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بالسنتها؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيم غيرهم؟ وقد نقل ابن هشام في شرح «شذور الذهب» ٥٠ عن الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه قال: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ «إِنْ هَؤُلَاءِ» لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها. وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. أحدها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقررون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقيح اللحن غاية الاستقياح في الكلام، فكيف لا يستقيحون بقاءه في المصحف. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بالسنتها غير مستقيم، لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والمجمعي. والرابع: أنه قد ثبت في «الصحيح» أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوت» بالهاء على لغة الأنصار، فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنه، فأمرهم أن يكتبوه بالناء على لغة قريش. وقال الزمخشري: نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما نفتت إليه من لم ينظره في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم من النصب على الاختصاص من الائتقان، وغبي عليه أن السابقين الأولين كانوا أبعد همه في الفيرة على الإسلام، وذنب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدوا من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم. وقد روى أبو جعفر الطبري الرواية التي نسبت إلى عائشة أم المؤمنين بقوله: فلو كان ذلك خطأ من الكاتب، لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا. وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولا صلحوه بالسنتهم، ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب.

(٢) انظر كلام الزجاج هذا وكلام ابن تيمية رحمهما الله على الآية في «مجموع فتاويه» ١٥٣/١٥.

(٣) «مجاز القرآن» ١٤٣/١، و«سبويه» ١٠٤/١، و«الكامل» ٧٥١/٢، و«الأمالي» ١٥٤/٢، و«خزانة الأدب» ٣٠١/٢ وهما للخرق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها يشرين عمرو بن مرثد الضبيعي، وابنها علقمة بن بشر، وأخوها حسان وشرحيل، ومن قتل معه من قومه. قال البغدادى: وقولها: سم العداة.. السم: معروف وسبته مثله. والعداة: الأعداء، جمع عاد، كقضاة: جمع قاض. حكى أبو زيد: أشتت الله عاصيك، أي: عدوك. ولا يكون «العداة» جمع عدو، لأن «عدواً» فعول، وفعلول لا يجمع على فعلة، وإنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام. والأعداء: جمع عدو، أجروا فعولاً مجرى فعيل كشراف وأشراف، وقد جمعوا أعداء على أعادي. والآفة: العلة. والجزر، بضم فسكون: جمع جزور، والأصل بضمين كرسول ورسول، فسكن الثاني تخفيفاً. والجزور: هي الناقة التي تنحر، فإن كانت من الغنم فهي جزرة يفتحتن. وصفتهن أولاً بالشجاعة والنجدة، وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم، وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف، فكانهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها. والباء في «بكل»: ظرفية متعلقة بالنازليين. والمعترك، والمعرك، والمعركة: موضع القتال، وهو مشتق من: عركت الرعى الحب: إذا طعنته، أرادوا أن موضع القتال: يطحن كما تطحن الرعى ما يحصل فيها. وقولها: النازليين بكل معترك. يعني أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتدافعون: نزالي. وقولها: =

وهذا على معنى: اذكر النازلين، وهم الطيبون، ومن هذا قولك: مرتت بزيد الكريم، إن أردت أن تخلصه من غيره، فالخفض هو الكلام، وإن أردت المدح والثناء، فإن شئت نصبت، فقلت: بزيد الكريم، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريم. وتقول: جاني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وهذا القول اختيار الخليل، وسيبويه. فهذه الأقوال حكاها الزجاج، واختار هذا القول.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّوِيِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَيُوسُفَ وَيُؤْتِسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: قال عدي بن زيد، وسكين: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوحي، وذكر هنالك. وإسحاق: أعجمي، وإن وافق لفظ العربي، يقال: أسحقه الله يسحقه إسحاقاً، ويعقوب: أعجمي. فأما يعقوب، وهو ذكر الحجل وهي القبيح<sup>(٢)</sup> فعربي، كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللخوي<sup>(٣)</sup>. وأيوب: أعجمي، ويونس: اسم أعجمي. قال أبو عبيدة، يقال: يُؤنس ويونس بضم النون وكسرهما، وحكى أبو زيد الأنصاري عن العرب همزة مع الكسرة والضمة والفتحة. وقال الفراء: يونس بضم النون من غير همزة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: يونس بالهمز، وبعض بني عُقيل يقول: يونس بفتح النون من غير همز. والمشهور في القراءة يونس برفع النون من غير همز. وقد قرأ ابن مسعود، وقتادة، ويحيى بن يعمر، وطلحة: يونس بكسر النون مهموزاً. قرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والجحدري: يونس بفتح النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يونس بفتح النون مهموزاً. وقرأ أبو السماك العدوي: يونس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزاً. وهارون: اسم أعجمي، وباقي الأنبياء قد تقدم ذكرهم. فأما الزبور، فأكثر القراء على فتح الزاي، وقرأ أبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش، وحزمة بضم الزاي. قال الزجاج: فمن فتح الزاي، أراد: كتاباً، ومن ضم، أراد: كُتِباً. ومعنى ذكر «داود» أي: لا تنكروا تفضيل محمد بالقرآن، فقد أعطى الله داود الزبور. وقال أبو علي: كأن حمزة جعل كتاب داود أنحاء، وجعل كل نحو زبراً، ثم جمع، فقال: زُبوراً. وقال ابن قتيبة: الزُّبور فُعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو من قولك: زبرت الكتاب أزبره زبراً: إذا كتبه، قال: وفيه لغة أخرى: الزُّبور بضم الزاي، كأنه جمع<sup>(٤)</sup>.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تأكيد كَلَّمَ بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة. روى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت ثعلباً يقول: لولا أن الله تعالى أكد الفعل بالمصدر،

والطيبون. أرادت أنهم أعفاء في فروجهم، لأن العرب تكني بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه، كقولهم: ناصح الجيب، يريدون الفؤاد، فكنا عنه بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً من. قال ابن خلف: إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيه، فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج، يراد أنه: لا يعقد إزاره على فرج زانية وكذلك طهارة الذيل. وإذا وصف بطهارة الكم أو الرदन وهو الكم بعينه: أرادوا أنه لا يسرق ولا يخون وإذا وصفوه بطهارة الجيب: أرادوا أن قلبه لا ينطوي على غش ولا مكروه، وقد يكون عن عفة الفرج طيب الحجة كما قال النابغة:

رقاق النسمال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

(١) مسيرة ابن هشام: ٥٦٢/١، وابن جرير ٤٠٠/٩ عن ابن عباس، وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: لا يعرف. وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد بن بني قتيقاع، ذكرهم ابن هشام في «السيرة» في الأعداء من يهود.

(٢) في «اللسان» ٣٥١/٢: القبيح، الحجل، والقبيح: الكروان مغرب، وهو بالفارسية كيج مغرب، القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والقبيحة: تقع على الذكر والأنثى حتى تقول: يعقوب، يخص بالذكر، لأن الهاء إنما دخلته على أنه الواحد من الجنس، وكذلك النعامة حتى تقول: ظليم، والنحلة حتى تقول: يعسوب.

لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمت لك فلاناً بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولاً، فلما قال: تكلماً لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله<sup>(١)</sup>.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ أي: لكلا يحتجوا في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل، لأن هذه الأشياء إنما تجب بالرسل<sup>(٢)</sup>.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَنْهَى بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يُعَلِّمُكُمُ الْكَلِمَاتُ الَّتِي يَشْهَدُونَ وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ دخل على جماعة من اليهود، فقال: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن السائب. قال الزجاج: الشاهد: الميّن لما يشهد به، فالله ﷻ بين ذلك، ويعلم مع إباته أنه حق. وفي معنى ﴿أَنْزَلَهُ يُعَلِّمُكُمُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنزله وفيه علمه، قاله الزجاج. والثاني: أنزله من علمه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّكَلِمَةُ يَشْهَدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يشهدون أن الله أنزله. والثاني: يشهدون بصدقك<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا﴾ قال الزجاج: «الباء» دخلت مؤكدة. والمعنى: اكتفوا بالله في شهادته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود كفروا بمحمد، وصدّوا الناس عن الإسلام، قال أبو سليمان: وكان صدّهم عن الإسلام قولهم للمشرّكين ولأتباعهم: ما نجد صفة محمد في كتابنا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ لا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يبيّراً

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود أيضاً كفروا بمحمد والقرآن. وفي الظلم المذكور هاتنا قولان: أحدهما: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه جحدهم صفة النبي محمد ﷺ في كتابهم.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يريد من مات منهم على الكفر. وقال أبو سليمان: لم يكن الله ليستر عليهم قبيح فعالهم، بل يفضحهم في الدنيا، ويعاقبهم بالقتل والجلاء والسبي، وفي الآخرة بالنار ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ ينجون فيه. وقال مقاتل: طريقاً إلى الهدى ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني كان عذابهم على الله هيناً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا﴾

(١) وفي «القرطبي» ١٨/٦: قال النحاس: وأجمع التحويين على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وأنه لا يجوز في قول الشاعر:

استملا البحر عرض وقال قطني

أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: «تكلماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٣٧/١٣، ومسلم ٢١١٤/٤ واللفظ له عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد أحب إليه الملع من الله ﷻ من أجل ذلك ملح نفسه، وليس أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

(٣) «سيرة ابن هشام» ٢١١/٢، وابن جرير ٤٠٩/٩ عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله ﷻ» فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَنْهَى بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يُعَلِّمُكُمُ الْكَلِمَاتُ الَّتِي يَشْهَدُونَ وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا﴾ وزاد السيوطي نسبة في «الدر» ٢٤٨/٢ إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل». قلت: وفي سننه محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول كما تقدم.

(٤) في «الأحمدية»: بصدق.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكلام عام، وروي عن ابن عباس أنه قال: أراد المشركين. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالهدى، والصدق.

قوله تعالى: ﴿فَقَامُوا حَيًّا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج عن الخليل وجميع البصريين: إنه منصوبٌ بالحمل<sup>(٢)</sup> على معناه، لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، وأنت تدفعه عن أمرٍ فتدخله في غيره، كان المعنى: انته وأنت خيراً لك، وادخل في ما هو خير لك. وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

فواعديه سَرَحَتْنِي مَالِكُ  
كَانَهُ قَالَ: إِنِّي مَكَاناً أَسْهَلُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم، وعن إيمانكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون من إيمان أو كفر ﴿حَكِيمًا﴾ في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا ابْنُ مَرْيَمَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا حَيًّا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، السيد والعاقب، ومن معهما. والجمهور على أن المراد بهذه الآية: النصارى. وقال الحسن: نزلت في اليهود والنصارى. والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السَّعر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغلو النصارى في عيسى: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه قولهم: إنه لغير رُسدة. وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالزيادة في التشدد فيه<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا تقولوا: إن الله له شريك أو ابن أو زوجة. وقد ذكرنا معنى «المسيح» والكلمة في (آل عمران). وفي معنى ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه روحٌ من أرواح الأبدان. قال أبي بن كعب: لما أخذ الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحاً من تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم، فحملت به. والثاني: أن الروح النفخ، فسُمي روحاً، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم. ومنه قول ذي الرمة:

(١) وفي «مجاز القرآن» ١٤٣/١ ﴿فَقَامُوا حَيًّا لَكُمْ﴾ نصب على ضمير جواب «يكن خيراً لكم» وكذلك كل أمر ونهي. قلت: ويريد بقوله: «ضمير» الإضمار الذي هو المصدر، لا بمعنى المضمَر في اصطلاح النحاة.

(٢) في «الأحمدية» على الحمل.

(٣) «ديوانه» ٣٤٩ وروايته فيه:

وواعديه سدرتني مَالِكُ  
أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أَسْهَلُ

وسيبويه ١٤٣/١، و«الخرائفة» ٢٨٠/١، و«ابن جرير» ٤١٥/٩. قال الأعلام: الشاهد فيه نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله، لأنه لما قال: «فواعديه سرحني مالك أو الربا بينهما» علم أنه مزج لها دأع إلى إتيان أحدهما، فكانه قال: إني أسهل الأمرين عليك. وهذا تفسيره على مقالة سيبويه. ونقل صاحب «الخرائفة» عن ابن خلف معناه أنها قالت لأمتها: واعدية الليلة أن يقصد السرحين، ويلتصم مكاناً سهلاً يقرب من ذلك الموضع، لأنها إذا علوا الرى عرف مكانهما وشنع أمرهما. و«أسهل» أعمل: تفضيل من السهولة ضد الحزونة، والمفضل عليه محلوف تقديره: أسهل منهما. وسرحنا مالك: شجرتان لمالك، والسرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر عظيم لا شوك له. والربى: جمع رهوة: المشرف من الأرض، وكانت الرى بين السرحين.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه - ممن زعم أنه على دينه - فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحِبَّتَهُمْ رُؤُسَهُمْ أَرْبَابًا بَيْنَ دُوبِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وروى الإمام أحمد ٢٢٦/١ عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله» ورواه البخاري: ٣٣٥/٦. قلت: قال الحافظ ابن حجر: وقوله: «لا تطروني» بضم أوله، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً: مدحته فأطرت في مدحه. وقوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

وَقُلْتُ لَهُ اَزْفَعَهَا إِلَيْكَ وَأَخِيهَا بِرُوحِكَ وَاقْتَنَنَ لَهَا قِيَّةً قَدْرًا<sup>(١)</sup>

هذا قول أبي روق. والثالث: أن معنى ﴿رُوحٌ يَنْتَه﴾ إنسان حي بإحياء الله له. والرابع: أن الروح: الرحمة، فمعناه: ورحمة منه، ومثله ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ يَنْتَه﴾ [المجادلة: ٢٢]. والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى مريم، والذي ألقاها رُوحٌ منه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان الدمشقي. والسادس: أنه سناه روحاً، لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح، ولهذا المعنى سمي القرآن روحاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: ﴿يُرِزُّ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢٢] أي: بالوحي، ذكره الثعلبي. فأما قوله: «منه» فإنه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا يَنْتَه﴾ [الجن: ١٣]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنَنْتَه﴾ قال الزجاج: رفعه بإضمار: لا تقولوا ألقاها ثلاثة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾ أي: ما هو إلا إله واحد ﴿شَيْكَنَهُ﴾ ومعنى «سبحانه»: تبرئته من أن يكون له ولد. قال أبو سليمان: ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: فيما على خلقه، مدبراً لهم.

﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْبُوتُ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَخَّرَ لَنِيهِمْ جَمِيعًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ سبب نزولها: أن وفد نجران وفدوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد لم تذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول له؟ هو عبد الله، قالوا: بل هو الله، فقال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله، قالوا: بلى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: معنى يستنكف: يأنف، وأصله في اللغة من تكفت الدمع: إذا نحته بأصبعك من خذك. قال الشاعر:

فبانوا فلولا ما تذغر منهم  
من الجلف لم ينكف لعينيك مذمغ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْبُوتُ﴾ قال ابن عباس: هم حملة العرش.

﴿تَمَّا الْآيَاتِ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مضاعفة الحسنات. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قال: يدخلون الجنة، ﴿وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

(١) «ديوانه» ص ٢٤٦، وابن جرير ٤٢٠/٩، و«اللسان» مادة «روح» من جملة آيات نعت بها النار وقبل البيت:

فَلَمَّا بَدَتْ كُنْتَهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ  
بَطْلَاءٌ لَمْ تُكْمَلْ فِرَاصاً وَلَا شِبْرًا  
وقلت: ... البيت وبعدة:

وظاهر لها من يابس الشُّخْتِ واستمعن  
ولما تَنَمَّثَتْ تَأْكُلُ الرُّمَّ لَمْ تَذْغُ  
فَلَمَّا جَعَرَتْ فِي الْجَزْلِ جَرِيًّا كَانَهُ

وقوله: ارفعها إليك. أي: قال لصاحبه: خلها بيدك، وارفعها إلى فمك، ثم أحبها بروحك أي: انفخ لها نفخاً يسيراً، واقته لها قيته قدراً، يأمره بالرقق والنفخ القليل شيئاً فشيئاً، كأنه جعل النفخ قوتاً لهذه النار، يقدر لها تقديراً شيئاً بعد شيء حتى تكتمل.

(٢) «اللسان» ٣٤٠/٩، و«تاج العروس» ٢٦١/٦ ولم ينسبها لقاتل. وفي «التلهيب»: فماتوا. وانظر كلام الزجاج في «القرطبي» ٢٦١/٦.

(٣) في «الدر المشهور» ٢٤٩/٢: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والإسماعيلي في «معجمه» بسند ضعيف عن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: أجورهم: يدخلهم الجنة. ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا. وذكره ابن كثير عن ابن مردويه، ثم قال: وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد. وفي «المجمع» ١٣/٧: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي عن عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكرو، وبقيته رجاله وثقوا. قلت: ذكره الذهبي في «الميزان» ١٠٩/١، وقال: روى عن الأعمش، وعنه بقية بخبر عجيب منكرو. قلت: يريد به هذا الخبر.



قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في البرهان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحجة، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: القرآن، قاله قتادة. والثالث: أنه النبي محمد ﷺ، قاله سفيان الثوري. فأما النور المبين، فهو القرآن، قاله قتادة، وإنما سماه نوراً، لأن الأحكام تبين به بيان الأشياء بالنور.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّرَتْ لَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَتَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ مِرْكَاتٌ مُسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: استمسكوا. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى النور وهو القرآن، قاله ابن جريج. والثاني: تعود إلى الله تعالى، قاله مقاتل. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نفس الرحمة، والمعنى: سيرهم، قاله أبو سليمان. وفي «الفضل» قولان: أحدهما: أنه الرزق في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه الإحسان، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى مِرْكَاتٍ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: يوفقهم لإصابة الطريق المستقيم. وقال ابن الحنفية: الصراط المستقيم: دين الله.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَّةِ إِنْ أَسْرَأَ هَلْكَ لَيْسَ لَمْ وَلَدٌ وَلَكَمْ أَخْتُ فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَثَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في جابر بن عبد الله. روى أبو الزبير عن جابر قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني هو وأبو بكر [وهما ماشيان] فوجدني قد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، وقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ وكان لي تسع أخوات، ولم يكن لي ولد. فلم يجبني بشيء، ثم خرج وتركني، ثم رجع إلي وقال: «يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله ﷻ قد أنزل في أخواتك، وجعل لهن الثلثين»، فقرأ علي هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾ فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية في<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الصحابة أهمهم بيان شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول قتادة. وقال سعيد بن المسيب: سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ كيف نورث الكلالة؟ فقال: «أو ليس قد بين الله تعالى ذلك، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَّةً﴾» فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَسْرَأَ هَلْكَ لَيْسَ لَمْ وَلَدٌ﴾ أي: مات ﴿لَيْسَ لَمْ وَلَدٌ﴾ يريد: ولا والد: فاكتمى بذكر أحدهما، ويدل على المحذوف أن الفتيا في الكلالة، وهي من ليس له ولد ولا والد.

قوله تعالى: ﴿وَلَكَمْ أَخْتُ﴾ يريد من أبيه وأمه ﴿فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ﴾ عند انفرادها ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي: يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن لها ولد ولا والد، وهذا هو الأخ من الأب والأم، أو من الأب ﴿إِنْ كَانَتْ أَتْنَتَيْنِ﴾ يعني: أختين. وسئل الأخض ما فائدة قوله «اثنتين» و«كانتا» لا يُفسر إلا باثنتين؟ فقال: أفادت العدد العاري عن الصفة، لأنه يجوز في «كانتا» صغيرتين، أو حرتين، أو صالحتين، أو طالحتين، فلما قال: «اثنتين» فإذا إطلاق العدد على أي وصف كانتا عليه ﴿فَلَهُمَا الثَّلَثَانِ﴾ من تركه أخيهما الميت ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ يعني المخلفين.

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تضلوا. وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما: أن لا تضلوا، فأضمرت لا. والثاني: كراهية أن تضلوا، وهو قول البصريين. قال ابن جريج: أن تضلوا في شأن الموارث.

(١) أبو داود: ١٦٤/٣، والطحاوي في «مسنده» ١٧/٢، وابن جرير: ٤٣٢/٩، والبيهقي في «السنن» ٢٣١/٦، وروى مسلم في «صحيحه» ١٢٣٤/٣ عن جابر بن عبد الله قال: مرضت، فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ، ثم صب علي من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم ير علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَّةِ﴾ وروى البخاري: ١٨٢/٨، ومسلم: ١٢٣٥/٣ عن جابر ﷺ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي فأفقت، قلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزل ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٣١/٩، وهو حديث مرسل، وفي سننه سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف.

## سورة المائدة (١)

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدينة. وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلها مدينة. وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَكُمْ أَلَّوْ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ أَتَمُّوا بِهَيْمَةَ الْآلَمَةِ إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكُمْ وَعَلَى الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين: أحدهما: أنهم المؤمنون من أمتنا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج. و«العقود»: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة. وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهود. واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال: أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلّ وحرم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن. والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلف الذي كان بينهم، قاله قتادة. والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج، وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين. والخامس: أنها عقود الناس بينهم، من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَكَلْتُمْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْآلَمَةِ﴾ في بهيمة الأنعام ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. وقال الربيع: هي الأنعام كلها. وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها. والثالث: أنها وحوش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، وروي عن ابن عباس، وأبي صالح. وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمر الوحشية. قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميز، وكل حي لا يميز فهو بهيمة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكُمْ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه. وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْسَتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَلَى الْقَيْدِ﴾ قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال. وقال غيره: المعنى: أحت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطیادها وأنتم حرم، قال الزجاج: الحرم: المحرمون، وواحد الحرم: حرام، يقال: رجل حرام، وقوم حرم. قال الشاعر:

(١) روى الحاكم في «المستدرک» ٣١١/٢ عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه الإمام أحمد وزاد: «وسألناها عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: القرآن».

(٢) في الحديث عن النبي ﷺ قال: «فكافة الجنين ذكاة أمه» رواه أبو داود ١٣٦/٣، والترمذي ١٧٨/١، وابن ماجه ١٠٦٧/٢ من حديث جابر وهو حديث صحيح. وفي «المغني» ٥١/١١: إذا خرج الجنين ميتاً من بطن أمه بعد ذبحها أو وجده ميتاً في بطنها، أو كانت حركته بعد خروجه كحركة المذبوح فهو حلال. روي هذا عن عمر وعلي وبه قال سعيد بن المسيب، والنخعي، والشافعي، وإسحاق وابن المنذر.

(٣) وفي «القرطبي» ٣٥/٦: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْسَتْ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «وكل ذي ناب من السباع حرام».

فقلت لها فيشي إليك فانني

حرام وإنسي بعد ذاك لبيب<sup>(١)</sup>

أي: ملب. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد. ﴿يَكَلِّمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُخَلِّمُوا شَعْمَكَ اللَّهُ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْمَدَىٰ وَلَا أَلْفَلَقَةَ وَلَا عَاتِينَ اللَّيْلِ الْحَرَامَ يَتَنَوَّنَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِ وَرِشْوَةً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْئًا قَوْمٌ أَن سَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَمَآوُؤُوا عَلَى الْآلِ وَالْقَوْمِ وَلَا تَمَآوُؤُوا عَلَى الْآلِ وَالْمَدَدِينَ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُخَلِّمُوا شَعْمَكَ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن شريح بن ضبيعة<sup>(٢)</sup> أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، فقال: إن لي أمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر، وما الرجل بمسلم»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحديبية، خرج شريح إلى مكة معتمراً، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال السدي: اسمه الحُطَمُ بن هند البكري<sup>(٤)</sup>. قال: ولما ساق السرح جعل يرتجز:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ

ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزارٍ على ظَهْرٍ وُضِمَ

باتوا نياماً وابنٌ هندی لم ينم

بات يُقَاسِمُهَا غِلَامٌ كَالزَّلَمِ

خَدَّلَجُ السَّاقِينَ مَسْوُوحُ الْقَدَمِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٤٥، و«السمط» ٢/٧٩١، و«الانقباض» ٤٧٥، و«شرح أدب الكاتب» للجواليقي ٤١١، و«القرطبي» ٦/٣٦٦. قال البطليوسي: سمي المضرب، لأنه شب بامرأة، فغار أخوها لذلك، فضره بالسيف ضربات عديدة، ويروى لشبل بن الصامت المري وبعدة:

فَصَدَّتْ بِمِيشِي شَادِي وَتَبَسُّمَتْ

بمعجفاء عن غزلٍ لهنَّ غُرُوبٌ

وأراد بالغر: أسنانها، والغروب: جمع غرب، وهو حد الأسنان. وصف أن محبوبته لقيها وهو محرم ملب، فتورع عن الكلام معها، ومعنى «فيشي»: أرجعي. و«الحرام»: المحرم. و«البيب» هاتماً بمعنى: ملب وهو نادر، لأن فعلاً لا يستعمل بمعنى «فعل». و«بعد» بمعنى: «مع» وقوله: «فيشي إليك» أمر بعد أمر على معنى التأكيد في إبعادها عن نفسه.

(٢) في «أسباب النزول» للواحدي: ضبيع الكندي.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ١٠٧ عن ابن عباس بدون سند.

(٤) رواية السدي هذه أخرجه ابن جرير ٩/٤٧٢. ورواه أيضاً ابن جرير، وابن المنذر من طريق عكرمة.

(٥) الرجز في «الأغانى» ١٤/٤٤، و«حجاسة» أبي تمام ١/٣٥٤، و«رغبة الأمل» ٤/٧٥، و«البيان والتبيين» ٢/٣٠٨. وقد اختلفوا في نسبة هذا الشعر اختلافاً كثيراً، فنسب في «الحجاسة» لرشيد بن رميض العنزي، ونسب أيضاً للأغلب المجلي، وللأخضر بن شهاب، ولجابر بن جني التغلبي، وانظر «السمط» ٧٢٩، ولعل الحطم أنشده مدحاً لنفسه فيما فعل من سوق السرح. وقبل هذا الرجز:

هَذَا أَوَانُ الشَّيْءِ فَاشْتَدَّ زَيْمٌ

قال المروزي: وزيم اسم فرس، وقوله: قد لفها. يريد الإبل، وجعل الفعل لليل على المجاز. والمعنى: جمعها برجل متناهي القوة، عنيف السوق، يكسر الطرائد بعضاً على بعض، لقله رفقها وكثرة عصفه، ولأنه قليل الفكر فيها إذا كانت حُصِلَتْ بالغارة، فإن سلمت فهي غُتْمٌ، وإن تلفت فليست بثرْم، فالعوض منها بالقرب. وقوله: الحطم: بناء للمبالغة، وهو من الحطم: الكسر. وقوله:

ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزارٍ على ظَهْرٍ وُضِمَ

يقول: لا يرفق هذا الرجل بوساقه رفق الرعاة، ولا رفق الجزار، وذلك أن الراعي مكترى لاستصلاح مرعيه، وحفظ ما ضم إليه بجهد، والجزار لا يستهلك ماله، ولا يعنف عنف من لا يبالي به، وهذا صفة المغوار، القليل الفكر في فساد ما يحويه منها، الذاهب عن استبقائها، لا يبالي كيف استوسقت، على أي حالة تحصلت. وقوله: باتوا نياماً... يقول: مكث الناس النائمون في ليلهم، وهذا الرجل لم ينم، لأنه كان يَبْتَ للغارة، ثم قال: بات يقاسيها أي: يعاني الغارة كيف يوقعها ويدبرها، متى يأخذ فيها غلام مدبج الخلق، خفف ثقف مشمس، كأنه قدح. يعني ابن هند. والزلم، بفتح الزاي وضمها: القدح كان يستقسم به. قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَنْفَقُوا بِالْأَنْزَلِ﴾. ويجوز أن يكون المضمرون في «باتوا» المغار عليهم. وقوله: خدلاج الساقين، يصفه بأنه غليظ الساقين، ولوطه الأرض صوت، ولقدهم خفق، وهو سرعة الخطو مع ضرب الأرض بها، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل والسير، وشدة بلاته وصبره على الكد. وقال الأستاذ محمود شاكر: وخدلاج الساقين: ممتلئ الساقين، وهذا غير حسن في الرجال، وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابي:

مَسْهَفُ الْكَشْحَيْنِ خَفَاقُ الْقَدَمِ

أي: ضامر أخصر، وخفاق القدم: لأقدامه خفق متتابع على الأرض من سرعته وهو يحدو بالإبل. ورواية المصنف «مسحوق القدم» أي: ليس لباطن قدميه أخمص، فأسفل قدميه مستو أملس لين، ليس فيهما تكسر ولا شقاق.

والثاني: أن ناساً من المشركين جاؤوا يؤمنون البيت يوم الفتح مهلين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل نغير عليهم، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَأَيِّنَ أَكَيْتَ الْحَرَامَ﴾<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: وشعائر الله: ما جعله الله علماً لطاعته. وفي المراد بها هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك. والثاني: أنها ما حرم الله تعالى في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: دين الله كله، قاله الحسن. والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء. والخامس: حرم الله، قاله السدي. والسادس: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة، والزجاج. والسابع: أنها أعلام الحرم، نهامهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أراوا دخول مكة، ذكره الماوردي، والقاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرُ الْحَرَامَ﴾ قال ابن عباس: لا تُجْلُوا القتال فيه. وفي المراد بالشهر الحرام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذو القعدة، قاله عكرمة، وقادة. والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم. قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كل سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرمت كذا. والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري. والهدي: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء. وفي القلائد قولان: أحدهما: أنها المقلدات من الهدي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم في الجاهلية، ليأمنوا به عدوهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم، فمن لقوه مقلداً نفسه، أو بعيه، أو مشعراً بُدْئُهُ أو سائِقاً هدياً لم يُتعرض له. قال ابن عباس: كان من أراد أن يسافر في غير الأشهر الحرم، قلد بعيه من الشعر والوبر، فيأمن حيث ذهب. وروى مالك بن مغول<sup>(٣)</sup> عن عطاء قال: كانوا يقلدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم. فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من السمر، فلم يعرض له أحد، وإذا رجع تقلد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد<sup>(٥)</sup>. وقال الفراء: كان أهل مكة يقلدون بلحاء الشجر، وسائر العرب يقلدون بالوبر والشعر. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تستحلوا المقلدات من الهدي. والثاني: لا تستحلوا أصحاب القلائد. والثالث: أن هذا نهى للمؤمنين أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم، فيقلدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء، وبه قال مطرف، والربيع بن أنس<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأَيِّنَ أَكَيْتَ الْحَرَامَ﴾ «الآم»: القاصد، والبيت الحرام: الكعبة، والفضل: الربح في التجارة، والرضوان من الله يطلبونه في حجهم على زعمهم. ومثله قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَا إِلَهَكَ الْكَبِيرَ﴾ [طه: ٩٧] وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠] وهو يدل على إحرام متقدم<sup>(٧)</sup>.

- (١) أخرجه ابن جرير ٤٧٤/٩: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...
- (٢) رجع ابن جرير الطبري ما ذهب إليه عطاء من قوله - حين سئل عن شعائر الله -: حرمت الله، اجتناب سخط الله، واتباع طاعته، فذلك شعائر الله.
- (٣) في «الأحمدية» «معمل» وهو تصحيف. ومالك هذا ثقة، روى له الجماعة، مترجم في «التلخيص» ٢٢/١٠.
- (٤) ابن جرير ٤٦٨/٩ وفي سنده سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. و«للحاء» بكسر اللام: قشر الشجرة.
- (٥) ابن جرير ٤٦٨/٩ وإسناده صحيح. والسمر، بفتح السين وضم الميم: ضرب من الشجر، صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس، وليس في العضاء شيء أجود خشياً منه، ينقل إلى القرى فتغنى به البيوت. وقوله: «تقلد من السمر» يريد قشره.
- (٦) اختار ابن جرير أن الله نهى عن استئصال حرمة المقلد، هدياً كان أو إنساناً دون حرمة القلادة، فمعنى الآية على ما اختاره: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله، ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا المقلد نفسه بقلائد الحرم.
- (٧) قال ابن كثير ٥/٢: وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه، فقد أباحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبيل أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح، ومن قال: إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أكثر، والذي يتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم.



## فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء، كذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدى قبل أوان ذبحه. واختلفوا في «القلائد» فقال قوم: يحرم رفع القلايد عن الهدى حتى ينحر، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا الفاصدين إلى البيت. والثاني: أنها منسوخة، وفي المنسوخ منها أربعة أقوال: أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي. والثاني: أنها وردت في حق المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهى المسلمون بهذه الآية عن التعرض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله: «فَأَقْضُوا الشَّرْكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُنَّ» [التوبة: ٥] وهذا قول الأكثرين. والثالث: أن الذي نسخ قوله: «وَلَا تَأْتِيَنَّ أَلْيَافَ الْحَرَمِ» نسخه قوله: «فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَدَّ عَاهِمَهُمْ هَكَذَا» [التوبة: ٣٨] روي عن ابن عباس، وقاعدة. والرابع: أن المنسوخ منها: تحريم الشهر الحرام، وأمن البيت الحرام: إذا كانوا مشركين. وهدي المشركين: إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْيَتَةُ وَالَّذِي وَلَدَتْهُ أُمُّ الْيَتِيمِ وَمَا أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ يَدُ وَالْمُنْفِقَةُ وَالْمُؤَدَّةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْقِمُوا إِلَّا أَنْ لَكُمْ بِهِ مَوَازِينُ ذَلِكَ يَسْتَأْذِنُ الْيَوْمَ النَّبِيُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيَارِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْهُمْ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ يَمِينٌ وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ وَإِنَّا فَمَنْ أَشْطَرُ فِي مَخَصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾» قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْيَتَةُ» <sup>(١)</sup> مفسر في (البقرة)، فأما «المنخقة» فقال ابن عباس: هي التي تختنق تموت، وقال الحسن، وقاعدة: هي التي تختنق بجبل الصائد وغيره. قلت: والمنخقة حرام كيف وقع ذلك. قال ابن قتيبة: «والموقوذة»: التي تضرب حتى توفد، أي: تشرف على الموت، ثم ترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة <sup>(٢)</sup>، ومنه يقال: فلان وقيد، وقد وقذته العباد. «والمتردية»: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بئر، يقال: تردى: إذا سقط. «والنطيحة»: التي تنطحها شاة أخرى، أو بقرة، «فعيلة» في معنى «مفعولة» «وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ» وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبْعُ: بسكون الباء. والمراد: ما اقتصره فأكل بعضه «إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه. فأما الاستثناء، ففيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: «وَالْمُنْفِقَةُ». والثاني: أنه يرجع إلى ما أكل السبع خاصة، والعلماء على الأول.

## فصل في الذكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السن. قال الخليل: الذكاء:

(١) يستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيره، لما رواه مالك ٢٢/١، والشافعي ٢١/١، وأحمد ٢١٤/١، وأبو داود ٥٤/١، والترمذي ٩٦/١، والنسائي ١٧٤/١، وابن ماجه ١٣٦/١، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحهما» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وكذلك الجراد لما روى الشافعي ١٧٣/٢، وأحمد ١٠٣/٨، وابن ماجه ١٠٧٣/٢، والدارقطني ٥٤٠، والبيهقي ٢٥٤/١ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحل لكم ميتان ودمان، فأما الميتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكلب والطحال» وقد رواه سليمان بن بلال - أحد الأثبات - عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه عليه، وصحح الموقوف أبو زرعة الرازي وأبو حاتم. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» ٩: نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرّم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع.

(٢) في «صحيح مسلم» ١٥٢٩/٣ أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرمي بالمرعاض الصيد فأصيب، قال: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله، وإن أصاب بمرعاضه فليأكله هو وقيد فلا تأكله» وفي «المغني» ٢٥/١١: المرعاض: عود محدد، وربما جعل في رأسه حديد، قال أحمد: المرعاض يشبه السهم يحذف به الصيد، وربما أصاب الصيد بحدته فخرق وقتل قبيح، وربما أصاب بمرعاضه فقتل بقله فيكون موقوذاً فلا يباح، وهذا قول علي، وعثمان، وعمار، وابن عباس وبه قال النخعي ومالك، والثوري، والشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأبو ثور. وقال الشوكاني في «فتح القدير» ٨/٢: وقد سألت جماعة من أهل العلم عن الصيد بالبنادق الحديدية التي يجعل فيها البارود والرصاص إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً، والذي يظهر لي أنه حلال، لأنها تخرق وتدخل في الغالب من جانب منه، وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله» فاعتبر الخرق في تحليل الصيد.

أن تأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول. وذُكِّيت النار، أي: أتممت إشعالها. وقد روي عن عليّ، وابن عباس، والحسن، وقتادة أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تُظَرِّف، أو ذنب يتحرك، فأكله حلالاً. قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شقَّ جوفه، وأُبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله. ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلاً لو قطع حُشوة آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول<sup>(١)</sup>. وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان: إحداهما: أنه الحلقوم والمريء، والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً، لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله. والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، وهو موضع النفس، وفيه شعب تتشعب منه في الرئة. والمريء: مجرى الطعام، والودجان: عرقان يقطعهما الذابح. فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفري الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين، أو غير منزوعين<sup>(٣)</sup>. وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين. فأما البعير إذا توحش، أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره<sup>(٤)</sup>. وقال

(١) في «المغني» لابن قدامة ٦١/١١ والمنخقة، والموقوفة، والمتردية، والنطيحة وأكيلة السج وما أصابها مرض فماتت به محرمة إلا أن تدرك ذكاتها لقوله تعالى: ﴿لَا مَا ذُكِّمْتُمْ﴾ وفي حديث جارية كعب أنها أصيبت شاة من غنمها، فأدركتها فذبحتها بحجر فسل النبي ﷺ فقال: «كلوها» رواه أحمد والبخاري. فإن كانت لم يبق من حياتها إلا مثل حركة المذبوح لم تبح بالذكاة، لأنه لو ذبح ما ذبحه المجوسي لم يبيح، وإن أدركها وفيها حياة مستقرة بحيث يمكنه ذبحها حلت لمعوم الآية والخبر، وسواء كانت قد انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه أو تعيش لمعوم الآية والخبر، ولأن النبي ﷺ لم يسأل ولم يستفصل. وقد قال ابن عباس في ذنب عدا على شاة فقمرها، فوقع قصيبها بالأرض، فأدركها فذبحها بحجر قال: يلقي ما أصاب الأرض ويأكل سائرهما. وقال أحمد في بهيمة عقرت بهيمة حتى تبين فيها آثار الموت إلا أن فيها الروح يعني فذبحت قال: إذا مصمت بذنبها، وطرفت بعينها، وسال الدم، فأرجو إن شاء الله تعالى أن لا يكون يأكلها بأس، ورؤى ذلك بإسناده عن عقيل بن عمير وطاوس وقالوا: تحركت، ولم يقلوا: سال الدم، وهذا على مذهب أبي حنيفة. وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن شاة مريضة خافوا عليها الموت، فذبحوها فلم يعلم منها أكثر من أنها طرقت بعينها أو حركت يدها أو رجلها أو ذنبها بضعف فنهز الدم قال: فلا بأس به، وقال ابن أبي موسى: إذا انتهت إلى حد لا تعيش معه لم تبح بالذكاة، ونص عليه أحمد فقال: إذا شق الذنب بطنها فخرج قصيبها فذبحها لا تؤكل، وقال: إن كان يعلم أنها تموت من عقر السج فلا تؤكل وإن ذكاه، وقد يخاف على الشاة الموت من العلة والشيء يصيبها فيبادهها فذبحها فيأكلها وليس هذا مثل هذه، لا يدري لعلها تعيش، والتي قد خرجت أمعاؤها يعلم أنها لا تعيش، وهذا قول أبي يوسف والأول أصح، لأن عمر ﷺ انتهى به الجرن إلى حد علم أنه لا يعيش معه فوصى بقبولت وصاياه، ووجبت العبادة عليه، وفي ما ذكرنا من عموم الآية والخبر وكون النبي ﷺ لم يستفصل في حديثه جارية كعب ما يرد هذا وتحمل نصوص أحمد على شاة خرجت أمعاؤها وبانت منها فتلك لا تحل بالذكاة، لأنها في حكم الميت، ولا تبقى حركتها إلا كحركة المذبوح، فأما ما خرجت أمعاؤها ولم تبين منها فهي في حكم الحياة، تباح بالذبح ولهذا قال الخري فيمن شق بطن رجل فأخرج حشوته فقطعها فأبانه، ثم ضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الأول، ولو شق بطن رجل، وضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الثاني. وقال بعض أصحابنا: إذا كانت تعيش معظم اليوم حلت بالذكاة، وهذا التحديد بعيد يخالف ظواهر النصوص ولا سبيل إلى معرفته، وقوله في حديث جارية كعب: «فأدركتها فذكتها بحجر» يدل على أنها بادرتها بالذكاة حين خافت موتها في ساعتها، والصحيح أنها إذا كانت تعيش زمناً يكون الموت بالذبح أسرع منه، حلت بالذبح، وأنها متى كانت مما لا يتيقن موتها كالمریضة أنها متى تحركت وسال دمه حلت والله أعلم.

(٢) في «المغني» ٤٤/١١: وأما الفعل فيعتبر قطع الحلقوم والمريء، وبهذا قال الشافعي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يعتبر مع هذا قطع الودجين، وبه قال مالك وأبو يوسف، لما روى أبو هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فقطع الجلد ولا تفري الأوداج، ثم ترك حتى تموت. رواه أبو داود ١٣٦/٣. [قال المنذري: وفي إسناده عمرو بن عبد الله الصنعاني وقد تكلم فيه غير واحد] وقال أبو حنيفة: يعتبر قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. ولا خلاف في أن الأكل قطع الأربعة، الحلقوم والمريء والودجين.

(٣) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨/٤، وأبو داود: ١٣٤/٣، والنسائي: ٢٢٦/٧، والترمذي: ١٨٠/١ وابن ماجه: ١٠٦١/٢ عن رافع بن خديج قال: قلت: يا رسول الله إننا نقلى العدو غداً وليس معنا مدى، فقال النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعضم، وأما الظفر فمدى الحيشة».

(٤) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨، والنسائي: ٢٢٨/٧، وأبو داود عن رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فند بعير من إبل القوم، ولم يكن معهم خيل، فرمى رجل بسهم فحبسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا». وفي =



مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه<sup>(١)</sup>. فإن رمى صيداً، فأبان بعضه، وفيه حياة مستقرة، فذكاه، أو تركه حتى مات جازأكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النصب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله: ﴿سَكَّنَ لَكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَرَأَى آسَافُ قُلُوبَهَا﴾ [الإسراء: ٢٧]. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج. وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو: على النُّصْب، يفتح النون، وسكون الصاد، قال ابن قتيبة، يقال: نُصِبَ ونُصِبَ ونُصِبَ، وجمعه أنصاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا علم ما قسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استفعلت من القسم [قسم الرزق والحاجات]. قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَمٌ وزَلَمٌ. والاستقسام بها: أن يضرب [بها] فيعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهي، فكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم، فأجَبُوا أن يعرفوا قسم كل امرئ تعرفوا ذلك منها، فأخذ الاستقسام من القسم وهو النصب. قال سعيد بن جبيرة: الأزلام: حصى بيض، كانوا إذا أرادوا غدواً، أو رواحاً، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به. وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقارون بها. وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة. وقال مقاتل: في بيت الأصنام. وقال قوم: كانت عند سدنة الكعبة<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك، وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو أخرج من أجل نجم كذا.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والفسق: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَبِّئُكَ الْفَافِيْنَ كَذَّبُوا بِرِيسَمِكَ﴾ في هذا اليوم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم. والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه لم يرد يوماً بعينه، وإنما المعنى: الآن يشعرون كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فالיום استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد. قال الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءً وَيَوْمٌ نُسَرُ<sup>(٤)</sup>

= «المنفي»: روي ذلك عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وأبن عباس، وعائشة عليها السلام، وبه قال مروق، والأسود، والحسن، وعطاء، والشعبي، والحكم، وحماد، والثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور.

(١) ذكر في «المنفي» أن الإمام أحمد قال: لعل مالكا لم يسمع حديث رافع بن خديج. وتناول ابن العربي في «أحكام القرآن» الحديث بأن مفاده جواز حبس ما ند من البهائم بالرمي وغيره، لا أن ذلك ذكاة لها.

(٢) روى البخاري ٢٧٦/١ من ابن عباس عليه السلام أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

(٣) قال الحافظ ابن كثير: وقد أمر الله المؤمنين إذا تردوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما روى الإمام أحمد والبخاري ٤٠/٣ وأهل السنن عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شراً لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» لفظ أحمد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في «الشواهد الكبرى» ٥٦٥/١ للميني، والنمر بن تولب: شاعر مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر =

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره. وفي معنى يأسهم قولان: أحدهما: أنهم يتسوا أن يرجع المؤمنون إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: يتسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وإنما يتسوا من إبطال دينهم لما نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعملوا أنهم لا يقدرون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظناً منهم أن كفرهم يبق. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ قال ابن جريج: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم، وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية من كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿أَلَيْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُمْ عَلَيْكُمْ يَمَعَتِي﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعرفة في يوم جمعة. وفي لفظ «نزلت عشية عرفة»<sup>(١)</sup> قال سعيد بن جبيرة: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحداً وثمانين يوماً. فأما قوله: ﴿أَلَيْمَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه ليس بيوم معين، رواه عطية عن ابن عباس، وقد ذكرنا هذا آنفاً. وفي معنى إكمال الدين خمسة أقوال: أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسدي، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم. والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامث، قاله سعيد بن جبيرة، وقادة. وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره، وذلل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تنزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم. والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفرائض فلم تنزل تنزل عليه حتى قبض، روي عن ابن جبيرة أيضاً. والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج. والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها. وفي إتمام النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقادة. والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد. والثالث: الإظهار على العدو، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَنِي أَمَطَرُ﴾ أي: دعت الضرورة إلى أكل ما حُرِّم عليه. ﴿فِي مَحَصَةٍ﴾ أي: مجاعة، والخصص: الجوع. قال الشاعر يذم رجلاً:

يَرَى الْخُمْصَ تَعَذِّباً وَإِنْ يَلْقَى شُبْعَةً يَبِثْ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهِمًا<sup>(٣)</sup>

وهذا الكلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما. قوله: ﴿عَبْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ قال ابن قتيبة: غير مائل إلى ذلك، و«الجنف»: الميل. وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: غير متعمد للإثم. وفي معنى «تجانف الإثم» قولان: أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين. والثاني: أن

= الرباب، وكان من ذوي النعمة والوجاعة جواداً وقابلاً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي ﷺ فكتب له كتاباً فكان في أيدي أهله. وقوله: «فيوم علينا ويوم لنا» يريد أن الدهر يومان، يوم يكون علينا وفيه نساء، ويوم يكون لنا وفيه نسر ونفرح. (١) البخاري ٢٠٣/٨، ومسلم ٢٣١٢/٤، ولفظ مسلم قريب من سياقة المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٣٧/١، والترمذي ٩٦/٤، والنسائي ١١٤/٨.

(٢) قال ابن كثير: والصواب الذي لاشك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقادة بن دهامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير رحمه الله.

(٣) البيت لحاتم الطائي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«نوادير أبي زيد» ١١١، و«طبقات فحول الشعراء» ٤٨٣، و«الأغاني» ١٢٢/١٦، و«غريب القرآن» ١٤١. وقوله:

لِحَا اللَّهِ مُعْمَلُوكَ مُنْهَاهُ وَمِنْهُ  
مَنْ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى كَبُوساً وَمَطْعَمَا  
وللشعر في «طبقات ابن سلام» خير فانظره.

يتعرض لمعصية في مقصده، قاله قتادة. وقال مجاهد: من بغى وخرج في معصية، حرم عليه أكله. قال القاضي أبو يعلى: وهذا أصح من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماع تجانف الإثم مع الاضطراب، وذلك إنما يصح في سفر العاصي، ولا يصح حمله على تناول الزيادة على سد الرمق، لأن الاضطراب قد زال. قال أبو سليمان: ومعنى الآية: فمن اضطرب فأكله غير متجانف لإثم، فإن الله غفور، أي: متجاوز عنه، رحيم إذ أحل ذلك للمضطرب<sup>(١)</sup>.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ الَّتِي أُمِرَتْ بِقَتْلِهَا؟ فَتَنَزَّلُ هَذِهِ الْآيَةُ، أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup> وَكَانَ السَّبَبُ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَتْلِهَا أَنْ جَبْرِيلَ ﷺ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَذَّنَ لَهُ، فَلَمْ يَدْخُلْ وَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ» فَنَظَرُوا فَإِذَا فِي بَعْضِ بَيْتِهِمْ جُرُوءٌ<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سماه رسول الله: زيد الخير، قال: يا رسول الله إنا قومٌ نصيد بالكلاب والبزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرّم الله الميتة، فماذا يحلّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبيرة<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ومعنى الكلام: يسألونك أي شيء أحلّ لهم؟ قل: أحلّ لكم الطيبات، وأحلّ لكم صيد ما علمتم من الجوارح، والتأويل أنهم سألوها عنه ولكن حذف ذكر صيد ما علمتم، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها المباح من الذبائح. والثاني: أنها ما استطابته العرب مما لم يحرم. فأما «الجوارح» فهي

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١٤/٢: «قَوْلُهُ ﴿فَتَنَزَّلُ فِي حَقِّهَا آيَةٌ مِّنَ رَبِّكَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجَسَهُ أَي: فَمِنْ احْتِاجٍ إِلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرُمَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلضَّرُورَةِ الْجَائِيَةِ إِلَى ذَلِكَ، فَلَهُ تَنَاوُلُهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لَهُ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَاجَةَ عَبْدِهِ الْمُضْطَرِّ وَانْتِقَارَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَيَنْجِزُ عَنْهُ وَيَغْفِرُ لَهُ. وَفِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ١٧٠/٨ وَ«صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْ ابْنِ عَمْرِو مَرْفُوعاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُغْمُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ» لَفْظُ ابْنِ حِبَّانَ. [قُلْتُ: وَفِي «الْمَجْمَعِ» ١٦٢/٣: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَالبَزَارُ وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ] وَفِي لَفْظِ لَأَحْمَدَ ٢٣٨/٧ «مَنْ لَمْ يَقْبَلْ رُغْمَةَ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ جِبَالِ عَرَفَةَ». وَلِهَذَا قَالَ الْقَهْقَاهُ: قَدْ يَكُونُ تَنَاوُلُ الْمَيْتَةِ وَاجِباً فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَهُوَ مَا إِذَا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهَا، وَقَدْ يَكُونُ مَنُوباً، وَقَدْ يَكُونُ مَبَاحاً، بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ. وَاسْتَخْلَفُوا هَلْ يَتَنَاوَلُهَا قَدْرٌ مَا يَسُدُّ بِهِ الرَّمَقَ، أَوْ لَمْ يَسُدَّ عَلَى أَقْوَالٍ، كَمَا هُوَ مَقْرُوفٌ فِي كِتَابِ «الْأَحْكَامِ». وَفِيمَا إِذَا وَجَدَ مَيْتَةً وَطَعَامَ الْغَيْرِ، أَوْ صَيْدًا وَهُوَ مُحْرَمٌ، هَلْ يَتَنَاوَلُ الْمَيْتَةَ أَوْ ذَلِكَ الصَّيْدَ وَيُلْزِمُهُ الْجَزَاءَ، أَوْ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيُضْمِنُ بَدْلَهُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، هُمَا قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ جَوَازِ تَنَاوُلِ الْمَيْتَةِ أَنْ يَعْضِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَجِدُ طَعَاماً كَمَا قَدْ تَوَهَّمَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ وَغَيْرِهِمْ! بَلْ مَتَى اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ جَازَ لَهُ. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ ٢١٨/٥ عَنْ أَبِي رَافِعٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بَارِضٌ تَصَيِّبْنَا بِهَا الْمُخَصَّصَةُ فَتَمُتُ تَحِلُّ لَنَا بِهَا الْمَيْتَةُ؟ فَقَالَ: «إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا، وَلَمْ تَغْتَبِقُوا، وَلَمْ تَحْتَفِضُوا بَقْلًا، فَشَأْنُكُمْ بِهَا». فَتَرَدُّ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ إِسْنَادُ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ «الصَّحِيحِينَ». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ٥٣٨/٩. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «مَا لَمْ تَصْطَبِحُوا» يَعْنِي بِهَذَا الْغَدَاءِ، «وَمَا لَمْ تَغْتَبِقُوا» يَعْنِي بِهَذَا الْمَشَاءِ. «أَوْ تَحْتَفِضُوا بَقْلًا فَشَأْنُكُمْ بِهَا» أَي: فَكُلُوا مِنْهَا. قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: يَرَوِي هَذَا الْحَرْفَ - يَعْنِي قَوْلَهُ أَوْ تَحْتَفِضُوا - عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: «تَحْتَفِضُوا» بِالْهَمْزَةِ وَتَحْتَفِضُوا بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَالْحَاءِ. «وَتَحْتَفِضُوا» بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ. وَتَحْتَفِضُوا بِالْحَاءِ وَالتَّخْفِيفِ، وَيَحْتَمِلُ الْهَمْزَ، كَذَا ذَكَرَهُ فِي «التَّضْيِيرِ»، وَقَوْلُهُ: «غَيْرُ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ» أَي: مُتَعَامٍ لِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبَاحَ ذَلِكَ لَهُ. وَسَكَتَ عَنِ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ١٧٣: «فَتَنَزَّلُ فِي حَقِّهَا آيَةٌ مِّنَ رَبِّكَ عَلَيْهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ يَقُولِ بَانَ الْعَاصِي بِسُفْرِهِ لَا يَتَرَخَّصُ بِشَيْءٍ مِنْ رُخْصِ السُّفْرِ، لِأَنَّهُ الرُّخْصُ لَا تَنَالُ بِالْمَعَاصِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) «الْمُسْتَدْرَكُ» ٣١١/٢: وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يَخْرُجْ، وَوَافِقُهُ عَلَى تَصْحِيحِهِ الذَّهَبِيُّ. وَفِي سَنَدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَدْ عَنَّنْهُ. وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ٥٤٥/٩ بِسَنَدٍ فِيهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ نَشِيطِ الرِّيدِيِّ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ لَا تَحِلُّ الرِّوَايَةُ عَنْهُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٩/٦، ٣٩١ نَحْوَ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ أَبِي رَافِعٍ فِي ثَقْلِ الْكَلَابِ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ. قُلْتُ: وَإِطْلَاقُ الْمُنْصِفِ لَفْظَ الصَّحِيحِ عَلَى «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» فِيهِ تَسَاهُلٌ لَيْسَ كُلُّ مَا فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» صَحِيحاً، بَلْ فِيهِ الضَّعِيفُ وَالْمَوْضُوعُ.

(٣) رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ ١٦٦٤/٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرْتَنِي مِيمُونَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِعًا فَقَالَتْ مِيمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ اسْتَكْرَتْ هَيْتَكَ مِنْذُ الْيَوْمِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ وَاعِدَنِي أَنْ يُلْقِيَنِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يُلْقِنِي أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي» قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جُرُوءٌ كَلْبٍ تَحْتَ قِسْطِهَا لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَا فُضِّحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَ جَبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ: «قَدْ كُتِبَ وَعْدَتِي أَنْ تُلْقِيَنِي الْبَارِحَةَ» قَالَ: أَجَلَ لَنَا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ، حَتَّى إِذَا يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبٍ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرَكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ.

(٤) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَزَيْدِ بْنِ مَهْلَهٍ الطَّائِفِيِّ. وَفِي سَنَدِهِ ابْنُ لَهِيْعَةَ، قَالَ الْحَفَظُ فِي «التَّقْرِيبِ» صَدُوقٌ خَلَطَ بَعْدَ احْتِرَاقِ كَبْتِهِ، وَعَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ الرَّائِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قِيلَ: لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ.

ما صيد به من سباع البهائم والطيور، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم. قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح. وفي تسميتها بالجوارح قولان: أحدهما: لكسب أهلها بها. قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب. والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسدته استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه، وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئاً، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعَلَّم الصيد بالأكل، والفهد والكلب وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

وفي قوله: «مَكْلَبَيْنِ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: رجل مكلب وكلاي، أي: صاحب صيد بالكلاب. والثاني: أن معنى «مكلبين»: مُصَرِّين على الصيد، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثالث: أن «مكلبين» بمعنى: معلمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب. قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين، «مُكْلَبَيْنِ»، بسكون الكاف، يقال: أكلب الرجل: إذا كثرت كلابه، وأمشى: إذا كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكلباً.

قوله تعالى: «تَلْبَسُونَ بِلِبَاسِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ» قال سعيد بن جبيرة: تؤذّبونهم لطلب الصيد. وقال الفراء: تؤذّبونهم أن لا يأكلن صيدهن. واختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم يؤكل، روي عن ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي. والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي، وهو أصح لما بينا أن جوارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فأبيح ما أكلت منه. فعلى هذا إذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبيح أكله. فأما ما ل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه، وقال مالك: يباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أبيع. وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أبيع، وإن أمكنه فلم يذكه، لم يبيح، وبه قال مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين. فأما الصيد بكلب المجوسي، فروى عن أحمد أنه لا يكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري، لقوله تعالى: «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ» وهذا خطاب للمؤمنين. قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن كان معلماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله<sup>(١)</sup>، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله تعالى: «فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ» قال الأخفش: «من» زائدة، كقوله: «فِيهَا مِنْ بَرٍّ» [النور: ٤٣]. قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَّمَكُمْ فِي هَاءِ الْكُنْيَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْإِرْسَالِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالسَّادِي، وَعِنْدَنَا أَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ فِي إِبَاحَةِ الصَّيْدِ<sup>(٢)</sup>. والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة. قوله تعالى: «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» قال سعيد بن جبيرة: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) روى الإمام أحمد، ومسلم ١٢٠٠/٣ عن جابر قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم ذي الثغتين فإنه شيطان» وروى أبو داود ١٤٤/٣، والدارمي ٩٠/٢ عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فافعلوا منها كل أسود بهيم».

(٢) قال في «المعني»: فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً، لم يبيح. هذا تحقيق المذهب. وروى البخاري ٩٢/٢١ «شرح المعني» ومسلم ١٥٣١/٣ عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل كلباً وأسمي. قال: «إن أرسلت كلبك وسميت فأخذ، فقتل، وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه». قلت: إني أرسل كلباً فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذ؟ قال: «فلا تأكل فإنما سميت على كلبك، ولم تسم على غيره».

﴿أَيُّومَ أَحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحَتُ وَيَطْمَأَنَّكُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعْمَانَكُمْ حِلٌّ لَكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِيحِينَ وَلَا مُتَجِدِّي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّومَ أَحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحَتُ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يريد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه الآية، ويجوز أن يريد اليوم الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿أَيُّومَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿أَيُّومَ أَحْكَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وقيل: ليس بيوم معين. وقد سبق الكلام في «الطيبات» وإنما كرر إحلالها تأكيداً. فأما أهل الكتاب، فهم اليهود والنصارى. وطعامهم: ذبائحهم، هذا قول ابن عباس، والجماعة. وإنما أريد بها الذبائح خاصة، لأن سائر طعامهم لا يختلف بمن تولى من مجوسي وكتابي، وإنما الذكاة تختلف، فلما خص أهل الكتاب بذلك، دل على أن المراد الذبائح، فأما ذبائح المجوس، فأجمعوا على تحريمها. واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الأوثان، فروي عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس بها، وتلا قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَنْتَهُمُ﴾ [المائدة: ٥١] وهذا قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعكرمة، وقناة، والزهري، والحكم، وحمام. وقد روي عن علي، وابن مسعود في آخرين أن ذبائحهم لا تحل. ونقل الخرقى عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين: إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، مالك. والثانية: لا تباح. وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب بد نزول القرآن، لم يبح أكل ذبيحته<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَطَعْمَانَكُمْ حِلٌّ لَكُمْ﴾ أي: وذبائحهم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئاً كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً. قال الزجاج: والمعنى: أحل لكم أن تطعموهم.

### فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا زَكَّرَ إِلَهُ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] والصحيح أنها أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله، فيحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره، فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيهن قولان: أحدهما: العفاف، قاله ابن عباس. والثاني: الحرائر، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قولان: أحدهما: الحرائر أيضاً، قاله ابن عباس. والثاني: العفاف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي، فعلى هذا القول يجوز تزويج الحررة منهن والأمة.

### فصل

وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية. وقد روي عن عثمان أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية. وعن طلحة بن عبيد الله أنه تزوج يهودية. وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك. واختلفوا في نكاح الكتابية الحرة، فقال ابن عباس: لا تحل. والجمهور على خلافه، وإنما كرهوا ذلك، لقوله تعالى: ﴿لَا يَحْدُ قَوْمًا يُمُوتُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] والنكاح يوجب الود. واختلفوا في نكاح نساء تغلب، فروي عن علي عليه السلام الحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي، وروي عن ابن عباس الإباحة. وعن أحمد روايتان. واختلفوا في إماء أهل الكتاب، فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه قال الأوزاعي، ومالك،

(١) في «الأم» للشافعي ٦/٥: «ولا يحل نكاح حرائر من دان من العرب دين اليهودية والنصرانية، لأن أصل دينهم كان الحنيفية، ثم ضلوا بعبادة الأوثان، وإنما انتقلوا إلى دين أهل الكتاب بعده، لا بأنهم كانوا الذين دانوا بالتوراة والإنجيل ففضلوا عنها وأحدثوا فيها، إنما ضلوا عن الحنيفية ولم يكونوا كذلك، لا تحل ذبائحهم، كذلك كل أجمعي كان أصل دين من مضى من آباء عبادة الأوثان ولم يكن من أهل الكتابين المشهورين، التوراة والإنجيل، فدان دينهم، لم يحل نكاح نسايتهم».

والثيِّب بن سعد، والشافعي، وأصحابنا، وروي عن الشعبي، وأبي مسيرة جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة. فأما المجوس، فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شدَّ من قال: إنهم أهل كتاب، ويطل قولهم قوله ﷺ: «سُئِلُوا بِهِمْ سُنَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>. فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السَّفَاح»، و«الأخذان» فقد سبق في سورة (النساء).

قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» سبب نزول هذا الكلام: أن الله تعالى لما رخص في نكاح الكتابيات قلن ينيهن: لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يبح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوج الرجل منا الكتابية وليست على ديننا، فنزلت: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل بن حيان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر. وروى ليث عن مجاهد: ومن يكفر بالإيمان، قال: الإيمان بالله تعالى. قال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحله الله، فهو كافر. وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدم. وسمنت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه يقول: إنما أباح الله ﷺ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فَحَذَرَ نَاكِحَهُنَّ<sup>(٢)</sup> من الميل إلى دينهن بقوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

«يَتَأْتِيَا الذَّيْبَ» إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْوَةِ فَانْسَلُوا وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الرِّافِي وَأَنْسَحُوا رُءُوسَكُمْ وَأَرْبَابَكُمْ إِلَى الْكَمْبِيِّ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِيَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

قوله تعالى: «إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْوَةِ» قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: «إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَوِذْ بِأَلَلَّهِ» [النحل: ٩٨] قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا أخيت فأخ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البر. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدماً ومؤخراً، تقديره: إذا غسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة. وللعلماء في المراد بالآية قولان: أحدهما: إذا قمت إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضماً في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء. والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثاً كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وعكرمة، وابن سيرين. ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ، ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجباً، ثم نسخ بالسنة، وهو ما روى بُريدة أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: لقد صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عمداً فعلته يا عمر»<sup>(٤)</sup>. وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا

(١) رواه مالك في «الموطأ» ٢٧٨/١، والشافعي في «مسنده» ١٣٠/٢، وغيرهما، وفيه كلام انظره في «نصب الرابة» ٤٤٨/٣.

(٢) في نسخة الرباط: نكاحهن.

(٣) روى ابن جرير ١٢/١٠، والنحاس في «التاسخ والمنسوخ» ١١٩ عن مسعود بن علي الشيباني قال: سمعت عكرمة يقول: كان علي عليه السلام يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية «يَتَأْتِيَا الذَّيْبَ» إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْوَةِ فَانْسَلُوا وَجُوهَكُمْ... الآية. وهذا الأثر ساقه ابن كثير في «تفسيره» ٢٢/٢، وساق معه أثرين آخرين عن علي، ثم قال: وهذه طرق جيلة عن علي، يقي بعضها بعضاً.

(٤) أحمد في «المسند» ٣٥٠/٥، ومسلم ٢٣٢/١، وأبو داود ٨٢/١، والنسائي ٨٦/١، وابن ماجه ١٧٠/١، والترمذي ٨٩/١ وقال: حديث حسن صحيح. وروى البخاري ٢٧٣/١ عن سويد بن النعمان قال: فخرنا مع رسول الله ﷺ عام خير حتى إذا كنا بالصهياة صلى لنا رسول الله ﷺ العصر، فلما صلى دعا بالأطعمة، فلم يوت إلا بالسويق، فأكلنا وشربنا، ثم قام النبي ﷺ إلى المغرب، فقمض ثم صلى لنا المغرب ولم يتوضأ. قال أبو جعفر الطبري ١٩/١٠: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: إن الله عني بقوله: «إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الْكَلْوَةِ فَانْسَلُوا» جميع أحوال قيام القائم إلى الصلاة، غير أنه أمر فرض بفشل ما أمر الله بفعله القائم إلى صلاته، بعد حدث كان منه ناقض طهارته، وقبل إحداث الوضوء منه، وأمر ندب لمن كان على طهر قد تقدم منه، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته، ولذلك كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة، ثم صلى يومئذ الصلوات كلها بوضوء واحد، ليعلم أمته أن ما كان يفعل ﷺ من تجديد الطهر لكل صلاة، إنما كان منه أخذاً بالفضل وإيثارة منه لأحب الأمور إلى الله، ومسارة منه إلى ما تنبه إليه ربه لا على أن ذلك كان عليه فرضاً واجباً. قلت: ومنع الجمهور أنه يستحب الوضوء لكل صلاة، لما روى الإمام أحمد في «المسند» ٢٥٥/١٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء» أو مع =

قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْمُرْقَفِ﴾ «إلى» حُرِّفَ موضوعاً للغاية، وقد تدخل للغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرقفين. فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه، وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره، وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدّر برقع الرأس. والثانية: بمقدار ثلاث أصابع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْكَمِيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفاً على مسح الرأس، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بفتح اللام عطفاً على الغسل، فيكون من المقدم والمؤخر. قال الزجاج: الرُّجُل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدّ الكعيبين، عُلِمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغسل التحديد بالكعيبين، كما جاء في تحيد اليد «إلى المرافق» ولم يجر في شيء من المسح تحديد. ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحدد بالكعيبين يدل على الغسل، فينسق بالغسل على المسح. قال الشاعر:

يَا لَيْتَ بَغْلِكَ قَدْ غَدَا

مَنْقَلْدًا سَيْفًا وَرُمْحًا<sup>(٢)</sup>

والمعنى: وحاملاً رمحاً. وقال الآخر:

عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا<sup>(٣)</sup>

والمعنى: وسقيتها ماءً بارداً. وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجر على الإبتاع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جحر ضبّ خرب. وقال ابن الأنباري: لما تأخرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرّب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه، كقولهم: جحر ضبّ خرب<sup>(٤)</sup>، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمي الغسل مسحاً، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح. وقال أبو علي: مَنْ جَرَّ فُحْجَتَهُ أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتماعاً: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين: أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف

كل وضوء سواك، ولأخبرت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل» وإسناده صحيح، وقد سقط من إسناده في طبعة الشيخ أحمد شاكر للمسد: أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يتوضأ عند كل صلاة. قيل له: فأنتم كيف تصنعون؟ قال: كنا ننصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث. رواه أحمد في «المسند» بترتيب الساعاتي ٥٤/٢، والبخاري ٨٥/١، والنسائي ٨٥/١، وأبو داود ٨١/١، والترمذي ٨٨/١، والبيهقي في «السنن» ١٧٠/١. وعن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث. رواه أحمد ٢٢٥/٥، وأبو داود ٤٣/١ وإسناده حسن.

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٢: وقوله: ﴿وَأَسْكُرُوا يَدَيْكُمْ﴾ اختلفوا في هذه الباء هل هي للإصاق وهو الأظهر، أو للتبعض وفيه نظر، على قولين، ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل، فليرجع في بيانه إلى السنة. وقد ثبت في «الاصحاحين» من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه: أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو جد عمرو بن يحيى - وكان من أصحاب النبي ﷺ: هل تستطيع أن تربني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم، فعدا بوضوء، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين إلى المرققين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدير، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه. قلت: الحديث في البخاري ٢٥٨/١، ومسلم ٢١٠/١. وفي «المعني» ١١٢/١: لا خلاف في وجوب مسح الرأس، وقد نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَأَسْكُرُوا يَدَيْكُمْ﴾ واختلف في قدر الواجب، فروي عن أحمد وجوب مسح جميعه في حق كل أحد، وهو ظاهر كلام الخرقى، ومذهب مالك، وروي عن أحمد: يجزئ مسح بعضه. قال أبو الحارث: قلت لأحمد: فإن مسح برأسه وترك بعضه؟ قال: يجزئه.

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٦٥، وتفسير الطبري ١٤٠/١، و«الكامل» ٢٨٩/١، و«أمالي المرتضى» ٥٤/١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/٣٢١، و«شرح الحماسة» للمزوقي ١١٤٧/٣، و«اللسان» مادة: قلد، ونسبه في حواشي ابن القوطية على «الكامل» ١٨٩ طبع ليبسك لعبد الله بن الزبير. ويروى الشطر الأول منه «ورأيت زوجك في الوضي» وفي «اللسان» تقلد الأمر: احتمله وكذلك تقلد السيف.

(٣) تمامه: حتى شئت هائلة عيناها. وهو في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«أمالي المرتضى» ٢٥٩/٢، و«أمالي ابن الشجري» ٣٢١/٢، و«الإنصاف» ٢٥٣، وشرح «شواهد المعني» ٣١٤، و«الخرزانه» ٤٩٩/١. قال الميني: ١٨١/٤: أنشده الأصمعي وغيره، ولم أر أحداً عزاه إلى قائله. وشتت: بمعنى أقامت شتاء، ففي القاموس: شتا باليد: أقام به شتاء، كشتى وتشتى. وهائلة: من هملت العين: إذا صبت دمعها، وعيناها فاعل «عمالة».

(٤) قال أبو حيان في «البحر» ٤٣٧/٣: وهو تأويل ضعيف جداً، ولم يرد إلا في التمت حيث لا يليق على خلاف فيه قد قرر في علم العربية.



الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة، وقال أبو عبيدة: ﴿تَطَيَّقُ مَسْحًا بِالشَّوْقِ﴾، أي: ضرباً، فكان المسح بالآية غسل خفيف. فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثاً؟ قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون. والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، علم أنه في حكم الغسل لموافقة الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حمل ذلك على الغسل لاجتماع فقهاء الأمصار على الغسل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَمْبَيْنِ﴾ «إلى» بمعنى «مع» والكعبان: العظامان الناشتان من جانبي القدم.

قوله تعالى: ﴿وَأَن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، واجتلبت الهمزة توصلاً إلى النطق بالسكان، وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في سورة (النساء) بقوله: ﴿حَتَّى تَغْتَابِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ و«الحرَج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعاً حين رخص في التيمم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم. قال مقاتل: من الأحداث والجنابة، وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُسَمِّحْ بِمَسْحَتِهِ عَلَيْكُمْ﴾ في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال: أحدها: بغفران الذنوب. قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن حمران قال: مررت على عثمان بفخارة من ماء، فدعا بها فتوضأ، فأحسن الوضوء ثم قال: لو لم أسمع من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما توضأ عبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث التمسته في القرآن، فالتسمت هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا تَحَوَّلْنَا لَكَ قَتْمًا يُبْكِي﴾ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسَمِّحَ بِمَسْحَتِهِ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ١، ٢] فعلمت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت الآية التي في «المائدة»: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله ﴿وَلْيُسَمِّحْ بِمَسْحَتِهِ عَلَيْكُمْ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر

(١) قال القرطبي ٩٢/٦: إن لفظ «المسح» مشترك يطلق بمعنى المسح، ويطلق بمعنى الغسل، قال الهروي: أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الداردي عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري قال: «المسح» في كلام العرب يكون غسلًا ويكون مسحًا، ومنه يقال للرجل إذا توضأ، فغسل أعضائه: قد تمسح، ويقال: مسح الله ما بك: إذا غسلك وطهرتك من الذنوب. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن «المسح» يكون بمعنى «الغسل» فترجح قول من قال: إن المراد بقراءة الخفض الغسل، بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجه الأئمة. وقال الحافظ ابن كثير ٢٦/٢: ومن أحسن ما يستدل به على أن «المسح» يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ٧٥/١ عن النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بكوز من ماء، فأخذ منه حنفة واحدة، مسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث». رواه البخاري في «الصحيح» ببعض معناه. قلت: رواه البخاري في «كتاب الأثرية» ٧١/١٠ ولفظه: عن عبد الملك بن مسيرة سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي ﷺ أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه وذكر رأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت. قال الحافظ: وفي رواية بهز: «فأخذ منه كفاً فمسح وجهه وذراعيه ورأسه ورجليه» وكذلك عند الطيالسي «فغسل وجهه ويديه ومسح على رأسه ورجليه» ومثله في رواية عمرو بن مرزوق عند الإسماعيلي. ويؤخذ منه أنه في الأصل: ومسح على رأسه ورجليه، وأن «آدم» - وهو أحد رواة الحديث - توقف في سياقه، فغير بقوله: وذكر رأسه ورجليه. ووقع في رواية الأعمش، فغسل يديه ومضمض واستنشق، ومسح بوجهه وذراعيه ورأسه، وفي رواية علي بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيلي: مسح بوجهه ورأسه ورجليه. والأحاديث التي جاءت بالغسل كثيرة، ففي البخاري ٢٣٢/١، ومسلم ٢١٤/١ عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرتها، فأدركنا وقد أرقعتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار» وهو في «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم» ٢١٣/١ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للأعقاب من النار»، وروى مسلم ٢١٥/١ عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع ثم صلى. وروى أبو داود ٨٢/١، وابن ماجه ٢١٨/١ عن أنس بن مالك أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقد توضأ وترك موضع الظفر لم يصبه الماء، فقال له النبي ﷺ: «ارجع فأحسن وضوءك» قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح. وفي «الصحيحين» و«السنن» عن عثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاوية، وعبد الله بن زيد بن عاصم، والمقداد بن معد يكره: أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوءه إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم.

لهم<sup>(١)</sup>. والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد. والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل، وأبو سليمان. والرابع: ببيان الشرائع، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَيَشْكُرُوا لِلَّهِ الَّذِي أَنْفَقَكُمْ بَعْدَ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٧)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلها. وفي هذا حث على الشكر. وفي الميثاق أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به. قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكرهم ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء. والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجهم من ظهروه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقروا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ اللَّهُ﴾ قال مقاتل: انتقوه في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّاتُ الْمُنِيرَاتُ مَأْمُونًا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَقْدُلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّاتُ الْمُنِيرَاتُ مَأْمُونًا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضاً، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ أَنْ سَدَّكُمْ عَنِ السَّجْدِ الْحَرَامِ﴾. روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> وبه قال مقاتل. والثاني: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقول رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية والتي بعدها، هذا قول الحسن. والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهتموا بقتله، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله مجاهد، وقائدة. ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿اعْدِلُوا﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: إلى التقوى. والمنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

﴿عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٩)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ<sup>(١٠)</sup>

(١) نسبة السيوطي في «الدر» ٢٤٦/٢ إلى ابن المبارك في «الزهد»، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن دارة عن حمران مولى عثمان، عن عثمان ﷺ... وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث صحاح عن النبي ﷺ. روى مسلم ٢١٦/١ عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وروى مالك في «الموطأ» ٣٠/١، والبخاري ٢٢٨/١، ومسلم ٢٥٠/١، والنسائي ٩١/١ عن عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها». وروى مسلم ٢٠٩/١، وأبو داود ٨٠/١، والنسائي ٩٢/١، والترمذي ٧٨/١، وابن ماجه ١٥٩/١ عن عتبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوتي فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» فقلت: ما أجود هذا! فلما قافل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت فإذا عمر، قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً، قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو تسبح، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وزاد الترمذي بعد قوله «ورسوله»: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» وسندها حسن. وروى مالك ٣٢/١، ومسلم ٢١٥/١، والترمذي ٦/١ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها بجلده مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب» وروى مسلم ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغتو فإتبع نفسه فمطعها أو موقها، و«الطهور» الوضوء. و«يوقها» يهلكها.

(٢) في النسخة الأحمدية: روي نحو هذا عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير ٩٦/١٠ عن عبد الله بن كثير.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ في معناها قولان: أحدهما: أن المعنى: وعدهم الله أن يغفر لهم ويأجرهم، فاكتمى بما ذكر عن هذا المعنى. والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة. وقد بينا في (البقرة) معنى «الجحيم».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من محارب قال لقومه: ألا أقتل لكم محمداً؟ فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفكك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزه، ويهيم به، فيكفيه الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: لا، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: يمتني الله منك، فأغمد السيف، فنزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر بن عبد الله. وفي بعض الألفاظ: فسقط السيف من يده. وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئاً، ولا عاقبه. واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم. قال ابن عباس: صنعوا له طعاماً، فأوجي إليه بشأنهم، فلم يأت<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد، وعكرمة: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحي عظيمة لي طرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن بني ثعلبة، وبني محارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي وأصحابه، وهم ببطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقننا بهم، فأطلع الله نبيه على ذلك، وأنزل صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُعْظِيَنَّكُم بِجَنَّتِي تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره. وقال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة. وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن، ومعناه: أنه ضمين ليعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضميناً عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه. وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنقابة شبيهة بالعرفاة. والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة. وقال ابن

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٥٢ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عمرو بن عبيد عن جابر أن رجلاً... وقد سقط من إسناده الحسن، فقد رواه ابن هشام في «السيرة» ٢/٢٠٥ عن ابن إسحاق وحدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ص ٦ من طريق معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر. وقصة هذا الأعرابي - وهو غورث بن الحارث - ثابتة في «الصحاحين» بدون ذكر السبب، فقد روى البخاري ٧/٣٣٠، ومسلم ١/٥٧٦ عن ستان بن أبي ستان الدؤلي عن جابر بن عبد الله ﷺ أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قتل رسول الله ﷺ قتل معه، فأدركتهم القافلة في وادٍ كثير الغضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في الغضاء يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجتنا، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اختلط سفي» وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يملك مني؟ قلت له: الله. فما هوذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

(٢) رواه ابن جرير ١٠٥/١٠ وابن أبي حاتم وسنده ضعيف لا يحتج به.

(٣) خبر مجاهد وعكرمة رواه ابن جرير ١٠٢/١٠٣، وانظر ابن هشام ١٩٠/٢.

(٤) ابن جرير ١٠٥/١٠ وفيه «وهو ببطن نخل» قال الأستاذ محمود شاكر: هكذا قال في الغزوة السابعة وهي في كثير من الروايات «الغزوة التاسعة» وهي «غزوة ذي أمر» بنجد، انظر ابن سعد ١/٢٤٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١١٠/١. والذي جاء في الأخبار أن صلاة الخوف كانت في السنة السابعة.

فارس: النقيب: شاهد القوم، وضمينهم. والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي، وهذه الأقوال تتقارب. قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نقب الرجل على القوم ينقب: إذا صار نقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عُرف عليهم: إذا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النقبة، ويجمع الثُّقْب والثُّقْب. قال الشاعر:

مَبْذُولًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ<sup>(١)</sup>

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عُمق ودخول، ومن ذلك نقتب الحائط، أي: بلغت في النقب آخره، والنقبة من الجرب: داءٌ شديد الدخول. وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم. ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وخذ من قومك اثني<sup>(٢)</sup> عشر نقيباً، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاخاروا النقباء. وفيما بعثوا له قولان: أحدهما: أن موسى بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخير الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنهم بعثوا ضمناً على قومهم بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي نبوتهم قولان: أحدهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَسَالَ اللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم. وفي المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور. والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل. ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، أي: بالعون والنصرة. وفي معنى: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقطادة، والسدي. والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضَهُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ في هذا الإقراض قولان: أحدهما: أنه الزكاة الواجبة. والثاني: صدقة التطوع. وقد شرحنا في (البقرة) معنى القرض الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أي: أخطأ قصد الطريق.

﴿فَيَسْأَلُ عَنْهُمْ نَحْنُهُمْ يَشْفَقُهُمْ لَمَّا كُنْتُمْ لَكُمْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَيَسْأَلُ عَنْهُمْ نَحْنُهُمْ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقصوا، فنقبضهم لعناهم. وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل. والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قاسية» بالألف، يقال: قست، فهي قاسية، وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، عن عاصم: «قسيّة» بغير ألف مع تشديد الياء،

(١) البيت للريد بن الصمة من جملة أبيات في «الشعر والشعراء» ٣٠٢/١ و«الأغاني» ٢٢/١٠، و«اللسان» مادة نقب، قالها في الخساء بنت عمرو بن الشريد، وقد مر بها وهي تنها بغيراً لها، فودت بئذ حتى فرغت منه، ثم نصت عنها ثيابها فافغسلت، ودريد يراها وهي لا تشعر به، فأعجبته، فانصرف إلى رحله وأنا يقول:

خَيَا تُمَاضِرَ وَارْبِعُوا صُخْبِي      وَفُئُوا فِلَانٍ وَفَوْفَكُمُ خُصْبِي  
أَخْنَأَسَ قَدَمَاهُ الْفَوَادُ بِكُمْ      وَأَصْحَابَهُ تَبَلُّ مِنَ الْخُصْبِ  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا مَمَمْتُ بِهِ      كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنَقَ جُزْبِ  
مَبْذُولًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ  
مَتَحَرَّرَ نَضْحُ الْهِنَاءِ بِهِ      نَضْحُ الْعَبِيرِ بِرِيطَةِ الْمَضْبِ  
فَلَيْسَ مِنْهُمْ عُنْيِي خُصْنَأَسَ إِذَا      عَفَى الْجَمِيعَ الْخُطْبُ مَا خُطْبِي

فخطبها إلى أبيها فردته وقالت: أتراني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح، ومرثة شيخ بني جشم؟

(٢) في الأحمدية «اثنا عشر» وهو خطأ.

لأنه قد يجيء فاعل وفعليل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم. «والقسوة»: خلاف اللين والرفقة. وقد ذكرنا هذا في (البقرة). وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال: أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَنْ قَوَائِمِهِ﴾ مبین في سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ احْتِسَابُ حَقِّهَا وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ النسيان هاهنا: الترك عن عمد. والحظ: النصيب. قال مجاهد: نسوا كتاب الله الذي أنزل عليهم. وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم. وفي معنى ﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قولان: أحدهما: أمروا. والثاني: أوصوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خِائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ وقرأ الأعمش «على خيانة منهم» قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائين، كما يقال: رجل طاغية، وراوية لحديث. قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قريظة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله ﷺ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ واختلَفوا في نسخها على قولين: أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور. واختلَفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آية السيف. والثاني: قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [التوبة: ٢٩] والثالث: قوله: ﴿وَلَمَّا تَخَفْتُمْ مِنْ قُوَّةِ خِيَانَتِهِ﴾ [الأنفال: ٥٨]. والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ، فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ. قال ابن جرير: يجوز أن يعنى عنهم في غدره فعلوها، ما لم ينصبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصغار، فلا يتوجه النسخ<sup>(١)</sup>.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقَهُمْ فَعَسَا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَآغَرْنَاهُ الَّذِينَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنْفِثُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال الحسن: إنما قال: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ﴾، ولم يُقَل: من النصارى، ليدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين اتبعوا المسيح. وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فسموا بهذا الاسم. قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد، فتركوا ما أمروا به.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ قال النضر: هيجنا، وقال المؤرج: حرشنا بعضهم على بعض. وقال الزجاج: أَلصَقْنَا بهم ذلك، يقال: غريت بالرجل غرى مقصوراً: إذا لصقت به، هذا قول الأصمعي. وقال غير الأصمعي: غريت به غراء ممدود، وهذا الغراء الذي يُغرى به إنما يلصق به الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً. وفي الهاء الميم من قوله «بينهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع. وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النسطورية واليعقوبية، والملكية، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى. وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

﴿يَتَأَخَذَ الْكُتُبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَيَعْلَمُ أَعْنِ كَثِيرٌ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

(١) نص كلام ابن جرير ١٣٥/١٠ قال أبو جعفر: والذي قاله قتادة وهو أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ - غير مدفوع إمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافياً كل معاني خلافه الذي كان قبله، فاما ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ، وليس في قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ...﴾ دلالة على الأمر بنفي معاني الصلح والعفو عن اليهود. وإذا كان ذلك كذلك وكان جائزاً مع إقرارهم بالصغار وأداءهم الجزية بعد القتال الأمر بالعفو عنهم في غدره هموا بها، أو نكفة غرموا عليها، ما لم ينصبوا حرباً دون أداء الجزية ويمتنعوا من الأحكام اللازمهم - لم يكن واجباً أن يحكم لقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ...﴾ الآية، بأنه ناسخ قوله: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّيْخِينَ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَفَّلَ الْكُتَيْبُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود. والثاني: اليهود والنصارى. والرسول: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَبِيتُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: أخفوا آية الرجم<sup>(١)</sup> وأمر محمد ﷺ وصفته ﴿وَيَقُفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه. فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه كان متلقياً ما يؤمر به، فإذا أمر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت. والثاني: أن عقد اللزمة إنما كان على أن يُقروا على دينهم، فلما كتموا كثيراً مما أمروا به، واتخذوا غيره ديناً، أظهر عليهم ما كتموه من صفته وعلامة نبوته، لتتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمداً ﷺ. وقال غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المبين، فهو القرآن.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب. ورضوانه: ما رضى الله تعالى. و«السُّبُل»، جمع سبيل، قال ابن عباس: سبل السلام: دين الإسلام. وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه. قال الزجاج: وجائز أن يكون «سبل السلام» طريق السلامة التي من سلكها سليم في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله عز وجل، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام. وقال الحسن: طريق الحق.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَاسْأَلْهُمْ وَأَمْسَكُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهاً ﴿قُلْ قَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: فلو كان إلهاً كما تزعمون لقدّر أن يرده أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمه، ولما نزل أمر الله بأمه لم يقدر أن يدفع عنها. وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم حيث قالوا للنبي: فهات مثله من غير أب. فإن قيل: فلم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل: وما بينهن؟<sup>(٢)</sup> فالجواب أن المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلْ فَلِمَ يُذَوِّبُكُمْ بِأَسْخَرِ بَشَرٍ مِمَّنْ خَلَقَ يَقُولُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَمُوتُ مَنِ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران. وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: إن ولدك بكري من الولد<sup>(٣)</sup>، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم، وتآكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أخرجوا كلّ مختون من بني إسرائيل. وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان

(١) ابن جرير ١٠/١٤١، والحاكم في المستدرک ٤/٣٥٩، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في النسخة الأحمدية «وما بينهم» والتصويب من نسخة «الرباط» والطبري.

(٣) الخبر في «الطبري» ٦/١٢٠، وابن كثير ٢/٣٥، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم. وجاء في «الطبري» ١٠/١٥١: «إن الله أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدنا من ولدك فأدخلهم النار...» وقال الأستاذ محمود شاكر في «المخطوطة»: «إلى إسرائيل إن ولدك من الولد أدخلهم النار» وهو غلط بلا معنى صوابه ما في المطبوعة على الأرجح. قلت: الصواب ما جاء في «المخطوطة» بزيادة «بكري» كما وردت في الأصل وفي «تفسير ابن كثير» وغيره.

معنى قولهم: ﴿حَسْبُ آبَتُكَ اللَّهُ﴾ أي: متا ابن الله. وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذب ولده، والحبیب لا يُعَذِّبُ حبیبه<sup>(١)</sup> وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يوماً بالنار. وقيل: معنى الكلام: فلم يعذب منكم من مسخه قرودة وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْنُ خَلْقٍ﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجَارُونَ بالإحسان والإساءة. قال عطاء: يغفر لمن يشاء، وهم الموحدون، ويعذب من يشاء، وهم المشركون.

﴿يَتَأَهَّلُ الْكَتِّبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرَقٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكَتِّبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ سبب نزولها: أن معاذ بن جبل، وسعد بن عباد، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل بيعته، وتصفونه بصفته. فقال وهب بن يهودا<sup>(٢)</sup>، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولا بشيراً ولا نذيراً [بعده]، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. فأما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يفتت فتوراً: إذا سكنت حدته، وانقطع عما كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف. وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ أربعة أقوال: أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل. والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة، قاله قتادة. والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك. والرابع: خمسمائة سنة وأربعون سنة، قاله ابن السائب. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ﴿عَلَى فَرَقٍ بَيْنَ الرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع منهم، قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد ﷺ خمسمائة سنة وتسعة وتسعون سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]. قال: والرابع لا أدري من هو. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون نبوة وسائرهما فترة. قال أبو سليمان الدمشقي: والرابع - والله أعلم - خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ ﴿نَبِيُّ ضَيْعِهِ قَوْمُهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ قال الفراء: كي لا تقولوا: [ما جاءنا من بشير]، مثل قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال غيره: لثلاث تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

(١) روى الإمام أحمد ١٠٤/٣ قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسمى، وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذه فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال: فخفضهم النبي ﷺ، فقال: «لا، والله لا يلقي حبيبه في النار» قلت: وإسناده صحيح، وحميد الطويل وإن قال بعضهم: إنه يدل على أنس، فإن الرواية بين وبين أنس ثابت، وهو ثقة صحيح كما قال الحافظ العلائي.

(٢) في «الطبري»، و«السيرة» و«الذكر المشهور»: «يهودا» بالذال.

(٣) ابن هشام ٥٦٣/١، وابن جرير ١٥٥/١٠ وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول. وزاد السيوطي نسبته في «الدر» ٢٢٩/٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الدلائل».

(٤) ونسبه ابن كثير إلى أبي عثمان النهدي وقاتدة في رواية عنه، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي. قال ابن كثير: وهو المشهور.

(٥) روى البخاري ٣٥٤/٦، ومسلم ١٨٣٦/٤ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ» قال الحافظ ابن كثير ٣٥/٢: وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له: خالد بن سنان، كما حكاه القاضي وغيره. وقال الحافظ في «الفتح»: واستدل به، أي: بالحديث على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبيا ﷺ وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة (يس) كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبين، وكانا بعد عيسى. والجواب أن هذا الحديث يُضَمُّ ما ورد من ذلك، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى. وقصة خالد بن سنان أخرجه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس، ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصحابة. قلت: يريد كتاب «الإصابة» فانظره ٤٥٨/١.

(٦) ما بين معقنين من «معاني القرآن» للفراء ٣٠٣/١.



قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ نُبِيًّا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء الذين أُرسلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي. وبماذا جعلهم ملوكاً؟ فيه ثمانية أقوال: أحدها: بالمن والسلوى والحجر. والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجة وخادماً. والثالث: بالزوجة والخادم والبيت<sup>(١)</sup>، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد. والرابع: بالخادم والبيت، قاله عكرمة. والخامس: بتخليتهم الخدم، وكانوا أول من تملك الخدم، ومن اتخذ خادماً فهو ملك، قاله قتادة، والسادس: بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السدي. والسابع: بال منازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك. والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَمَا تَمْيُتُونَ أَحَدًا مِنْ آلِكَائِ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد. قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم<sup>(٢)</sup>. وفي الذي أتاهم ثلاثة أقوال: أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن جرير: ما أوتي أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أوتوا. والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي. والثاني: أن الخطاب لأمه محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup>، وأبي مالك.

﴿يَقُولُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَى آدَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ادْخُلُوا﴾ وقرأ ابن محيصن: يا قوم، بضم الميم، وكذلك ﴿يَقُولُ اذْكُرُوا يَمَّةً﴾ ﴿يَقُولُ اذْكُرُوا﴾ [الأعراف: ٥٩] وفي معنى «المقدسة» قولان: أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج. قال: وقيل للسطل: القدس، لأنه يُطَهَّر منه، وسُمِّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمّاها مقدسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدسة: المباركة، قاله مجاهد. وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال: أحدها: أنها أريحا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أريحا: هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائفة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس. فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو معرّب. قال الفرزدق:

وَبَيْتَانِ بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَهُ

وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلْيَاءٍ مُشْرِفٌ<sup>(٤)</sup>

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله

(١) روى مسلم في «صحيحه» ١١٠/١٨ بشرح النووي، وابن جرير ١٦١/١٠ عن أبي عبد الرحمن الخُبَازي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل، فقال: ألسنا من فقاء المهاجرين، فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأتت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأتت من الملوك.

(٢) قال ابن كثير: ٣٧/٢: والمقصود كانوا أفضل زمانهم، ولا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملوكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وخبر ابن عباس رواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أثر سعيد بن جبيرة رواه ابن جرير ١٦٤/١٠ عن السدي.

(٤) «ديوانه» ٣٣/٢، و«المعرب» ٣٢، و«معجم البلدان» ٣٩٢/١، و«اللسان»: مادة «أيل» وفي النسخة الأحمدية: «وبنيان» وهو تصحيف. وإيلياء: بكسر الهمزة في أوله ثم ياء، ثم لام مكسورة ثم ياء وألف ممدودة. قال في «القاموس»: ويقصر ويشد فيهما، وإلياً: بياء واحدة ويقصر.

لكم، قاله محمد بن إسحاق. وقال ابن قتيبة: جعلها لكم. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم. فإن قيل: كيف قال: فإنها محرمة عليهم، وقد كتبها لهم؟ فغنه جوابان: أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصوا حرّمها عليهم. والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، واليهام صارت، ولم يعن موسى أن الله كتبها للذين أمروا بدخولها بأعينهم. قال ابن جرير: ويجز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأريد به الخصوص، فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا آيَاتِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته. والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

﴿قَالُوا يَمْشِيَنَّ إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال الزجاج: الجبار من الآدميين: الذي يُجبر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيْنُ الْجَبَرِيَّةِ، والجَبَرِيَّةُ بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوتُ والجَبُورَةُ والتَّجَارُ والجَبَرُوتُ. وفي معنى وصفه هؤلاء الجبارين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ذوي قوّة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا عظام الخلق والأجسام، قاله قتادة. والثالث: أنهم كانوا قتّالين، قاله مقاتل.

### الإشارة إلى القصة

قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلاً ليأتوه بخبرهم، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيه بخبركم، فأعطوهم حبةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم: قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكههم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين. وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجرتِه وعلى رأسه حُزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكنم رجلان. وقال مجاهد: لما رأى الثقباء الجبارين وجدوهم يدخل في كُفٍّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عقود عنهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبتها خمسة أو أربعة، فرجع الثقباء كلُّهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع، وابن يوقنا<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذَلُوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ في الرجلين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: ابن يوقنا، وهما من الثقباء. والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس. والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وأبو رجاء، وأيوب: «يُخَافُونَ» بضم الياء، على معنى أنهما كانا من العدو، فخرجوا مؤمنين. وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خافوا الله وحده. والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قول الحق. والثالث: يُخَافُ منهم، على قراءة ابن جبيرة. وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال: أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء. والثالث: الهدى، قاله الضحاك. والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف.

(١) كان الأجدر بالمصنف أن لا يذكر هذه الأخبار الإسرائيلية الكاذبة التي وضعها القصاص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والقيم، فدونها في كثير من التفسير. وغير لنا أن تقتصر في وصفهم على ما ذكر الله تعالى في الآيات الكريمة دونما زيادة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ﴾ قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية، فإنهم قد مُلثوا منا رُعباً وقرعاً.

﴿قَالُوا يَبْسُوتُ إِنَّا كُنَّا نَدْعُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَتَنَّاكَ إِنَّا هُنَا قَائِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَتَنَّاكَ﴾ قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء. وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربك النصر. وقال غيرهما: إذهب أنت وليجُنِّك ربك. قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد شهيداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُذِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسُرَّ به<sup>(١)</sup>. وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغمام لكنا معك<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَبِلْ الْقَوْلَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فيه قولان: أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالملك له، وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نفعني مال [قط] ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله<sup>(٣)</sup> يعني: أنني متصرف حيث صرّفتني، وأمرك جائز في مالي.

قوله تعالى: ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَبِلْ الْقَوْلَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم. وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميّز. وفي المراد بالفاسقين ثلاثة أقوال: أحدها: العاصون، قاله ابن عباس. والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد. والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة. قال السدي: غضب موسى حين قالوا له: اذهب أنت وربك، فدعا عليهم، وكان عجلة من موسى عجلها.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَهَيُوتُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ الإشارة إلى الأرض المقدسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها. فأما نصب «الأربعين»، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوباً بـ «يهيئون»<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: لا يجوز أن يتنصب بالتحريم، لأن التفسير جاء أنها محرمة عليهم أبداً. قلت: وقد اختلف المفسرون في ذلك، فذهب الأكثرون،

(١) «المسند» ٢٥٩/٥، ٦٥/٦، ١٧٤، والبخاري ٢٢٣/٧، ٢٠٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٩/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ ابن كثير في «البدایة والنهایة» عن البخاري، ثم قال: انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في مواضع من «صحيحه». وقوله: «مما عُذِلَ به» قال الحافظ: بضم المهملة وكسر الدال المهملة، أي: وزن، أي: من كل شيء يقابل ذلك من الذنوبات.

(٢) «المسند» ٩٧/٢٠ بترتيب الساعاتي. ورواه النسائي وابن حبان وابن مردويه. قال الحافظ ابن كثير في «البدایة والنهایة» ٣٦٣/٣ بعدما رواه عن «المسند»: وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. وبرك الغمام: قال في «النهاية» بفتح الباء وتكسر، وتضم الفين وتكسر، وهو موضع باليمن. وقال السهيلي في «الروض الألف» ٦٥/٢: وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحجة.

(٣) «المسند» ١٨٣/١٣، وابن ماجه ٣٦٦/١. وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده إلى أبي هريرة في مقال، لأن سليمان بن مهران الأعمش يئلس وكذا أبو معاوية إلا أنه صرح بالحديث، فزال التلبس، وبقية رجاله رجال الصحيح، وتقبيه الشيخ أحمد شاکر في شرح «المسند» بقوله: وهذا تعليل منه غير جيد ولا سديد، فإنه - كما قال - قد صرح أبو معاوية والأعمش بالحديث في رواية ابن ماجه، فلم يبق موضع للكلام، ولا يسمى هذا الإسناد حجتاً بأن فيه مقالاً. ثم رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح صحيحة على شرط الشيخين، والصحيحان روايا الكثير بهذا الإسناد. قلت: الذي في «سنن ابن ماجه» تصريح أبي معاوية بالسماع، وأما الأعمش فلم يصرح. ورواه ابن حبان في «صحيحه» ٣٣١/٢ من مصورة «التقايسم والأنواع» وذكر السيوطي أوله في «الجامع الصغير» ونسبه لأحمد وابن ماجه ورمز له بالحسن، وزاد شارحه المناوي أنه رواه أبو يعلى أيضاً، ثم قال: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل وهو ثقة مأمون، وليس هذا الحديث من شرط «الزوائد» للهيثمي، ولم يوجد فيه.

(٤) في «المكبري» ٢١٣/١: «أربعين سنة» ظرف لـ «محرمة» فالتحريم على هذا مقدار «وبتبهون» حال من الضمير المجزوء، وقيل: هي ظرف لـ «يبتهون» فالتحريم على هذا غير مؤقت.

منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرّمت عليهم أبداً. قال عكرمة: فإنها محرمة عليهم أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة، وذهب قومٌ، منهم الربيع بن أنس، إلى أنها حرّمت عليهم أربعين سنة، ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير. قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عاماً في حق الكل، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم. قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون ويضلون<sup>(١)</sup>.

### الإشارة إلى قصّتهم

قال ابن عباس: حرّم الله على الذين غصّوا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها. وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظل؟ فظلّ عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلا مات، ولم يشهد الفتح. وفيه قول آخر أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حي شتّم رغداً، وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة. إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح مدينة الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدامتهم غير يوشع وكالب، وإنما حرّمت على الذين لم يطيعوا. وفي مسافة أرض التيه قولان: أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس. قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخاً. والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخاً، حكاه مقاتل أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ الْمُتَفِينِينَ﴾ قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل<sup>(٢)</sup>. وقال ابن قتيبة: يقال: أسيت على كذا، أي: حزنت، فأناسي أسى.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ النبا: الخبر. وفي ابني آدم قولان: أحدهما: أنهما ابنا لُصْلُبِه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلب، هذا قول الحسن، والعلماء على الأول، وهو أصح، لقوله: ﴿كَيْفَ يُؤَرِّى سَوْءَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدفن، ولأن النبي ﷺ قال عنه: «إنه أول من سن القتل»<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى:

(١) في مجاز القرآن: ١٦٠: أي: يحورون ويحارون ويضلون. وفي «الطبري»: ١٩٩/١٠: يحارون ويضلون. قلت: وجاء في هامش نسخة الرباط ما نصه: لهم: يحارون.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤٠/٢ بعد تفسير الآيات: وهذه القصة تضمنت تبريع اليهود، وبيان فضائلهم ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتها فيما أمراه به من الجهاد، فضمنت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله وكتابه وصفه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعلم بالنصر والظفر بأعدائهم، وهذا مع ما شاهدوا من فعل الله بعلومهم وفروع من العذاب والنكال، والفرق له ولجنوده في اليوم وهم ينظرون، لتقر به أعينهم، وما بالعد من قدم، ثم يتكلمون من مقاتلة أهل بلد بني بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر الممشار في عدة أهلها وعددهم. فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وانفضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الليل. هذا وهم في جهلهم بمعهم، وفي غيهم بترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداءه، ويقولون مع ذلك: نحن أبناء الله وأحباؤه!! قبيح الله وجوههم التي مسخ منها الخزائير والقروء، والزهم لعنة تصحبه إلى النار ذات الوجود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلوة، وقد فعل، وله الحمد من جميع الوجود.

(٣) «الفسنة» ٢٢٦/٥، والبخاري ٢٦٦/٦، ١٦٩/١٢، ٢٥٦/١٣، والمسلم ١٣٠٣/٣، والترمذي ٩٢/٢، والنسائي ٨٢/٧، وابن ماجه ٨٧٣/٢ من حديث ابن مسعود مرفوعاً، ولفظه: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل» وقوله: «كفل منها» الكفل، =

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: كما كان. والقربان: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في (آل عمران). وفي السبب الذي قربا لأجله قولان: أحدهما: أن آدم ﷺ كان قد نهي أن يُنكِحَ المرأةَ أخاها الذي هو توأماها<sup>(١)</sup>، وأجبر له أن يُنكِحَها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فولدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحنُّ بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة صاحب غنم، فقال: هَلَمْ فَلتَقْرَبْ قرباناً، فأبينا تَقْبُلَ قربانه فهو أحنُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصَبْرٍ<sup>(٢)</sup> من طعام، فَتَقَبَّلَ الكبش، فحزنه الله في الجنة أربعين خريفاً، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فوَلَدَ آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهما قرباه من غير سبب<sup>(٤)</sup>. روى العوفي عن ابن عباس أن ابني آدم كانا قاعدَيْنِ يوماً، فقالا: لو قربنا قرباناً، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرع، فنزلت النار، فأكلت الشاة، وترك الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تَقْبُلُ، وأنت خيرٌ مني! لأقتلنك. واختلفوا هل قابيل وأخته ولدا قبل هابيل وأخته، أم بعدهما؟ على قولين، وهل كان قابيل كافراً أو فاسقاً غير كافر؟ فيه قولان. وفي سبب قبول قربان هابيل قولان: أحدهما: أنه كان اتقى الله من قابيل. والثاني: أنه تقرب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشرِّ ماله. وهل كان قربانهما بأمر آدم، أم من قبل أنفسهما؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان وأدم قد ذهب إلى زيارة البيت. والثاني: أن آدم أمرهما بذلك. وهل قُتل هابيل بعد تزويج أخت قابيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لثلاث يصل إليها. والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَأْتِيَنَّكَ﴾ وروى زيد عن يعقوب: «لَأَقْتُلَنَّكَ» بسكون النون وتخفيفها. والقائل: هو الذي لم يُتَقَبَّلَ منه. قال الفراء: إنما حذف ذكره لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت<sup>(٥)</sup>، وإذا اجتمع السفیه والحليم حُمِد، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مر بي رجل وامرأة، فأعنت، وأنت تريد أحدهما، لم يجوز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مرادك<sup>(٦)</sup>. وفي المراد بالمتقين قولان: أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ لِي يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ إِنَّ أَخَافَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أنا بمنتهصر لنفسي، قاله ابن عباس. والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة. وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان: أحدهما: أنه منعه التجرُّع مع قدرته

= بكر أوله وسكون الفاء، النصب، وأكثر ما يطلق على الأجر، والضعف على الإثم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيَمْنَعَنَّ مِنَ الذَّنْبِ﴾ [الحديد: ٢٨] ووقع على الإثم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(١) التوام والتَّوَم والتَّوَم والتَّوَم: هو من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، ذكرًا وأنثى، أو ذكرًا مع الأنثى. ويقال أيضاً: توأم للذكر، وتوامة للأنثى. «لسان العرب».

(٢) الصبرة: كومة من الطعام بلا كيل ولا وزن، ويقال: اشترت الشي صبرةً، أي: بلا كيل ولا وزن.

(٣) ابن جرير الطبري ٢٢٣/١، وابن كثير ٤٢/٢ عن ابن أبي حاتم، وجود إسناده، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢٢٣/٢ نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساکر، وجود إسناده أيضاً. قال الشيخ أحمد شاكر: وهو خبر - كما ترى - ليس من السنة النبوية، بل ظاهره يدل على أنه مما أخذ ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

(٤) قال ابن كثير: وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَكَ فَتَقَبَّلَ مِنْ آدَمَ كُلًّا﴾ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ لِمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دون. قلت: وخبر ابن عباس الذي ساقه المصنف عن العوفي ضعيف جداً.

(٥) في النسخة الأحمدية: «أعيت» وهو تحريف.

(٦) اختصر المؤلف رحمه الله كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٠٥/١ وإليك نصه بتمامه قال: ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلك، لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفیه والحليم حمد، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يشكل. ولو قلت: مر بي رجل وامرأة فأعنت، وأنت تريد أحدهما لم يجوز حتى يبين، لأنهما ليس فيهما علامة تستدل بها على موضع المعونة، إلا أن تريد: فأعنتهما جميعاً.

على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر<sup>(١)</sup>، وابن عباس. والثاني: أن دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً، قاله الحسن، ومجاهد<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذكر أنه قتله غيلةً، فلا يدعى ما ليس في الآية إلا بدليل<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروي عن مجاهد أيضاً<sup>(٤)</sup> قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول. وقد روى البخاري، ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقتل نفس ظملاً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل» فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتي أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثاني: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَمْيُوا أَنْ يَتَّبِعَهُمْ﴾ [النمل: ١٠] أي: أن لا تميم بكم، ومنه قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(٥)</sup>

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب. والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك، فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرِكُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْفَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حب العجل، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَاسِيَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: شجعته، قاله مجاهد. والثالث: زينت له، قاله قتادة. والرابع: رخصت له، قاله أبو الحسن الأخفش. والخامس: أن «طَوَّعَتْ» فَعَّلَتْ من «الطوع» والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: آناه طوعاً، حكاة

(١) في «الطبري» عن عبد الله بن عمرو.

(٢) قال القرطبي ١٣٦/٦: وقال مما يجوز التعبد به، إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعاً، وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر. وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع، واحتجوا بحديث أبي ذر، وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة، وكف اليد عند الشبهة على ما بيناه في كتاب «التذكير». قلت: حديث أبي ذر في «المستد» ١٤٩/٥، وأبي داود ١٤٢/٤، وابن ماجه ١٣٠٨/٢ وفيه «أُرِيْتُ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَمْنِي حَتَّى تَفْرُقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدَّمَاءِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: اللَّهُ رَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَقْعَدُ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقُ عَلَيْكَ بَابَكَ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَتْرَكَ؟ قَالَ: فَاتٌ مِنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ. قَالَ: فَأَخَذَ سِلَاحِي؟ قَالَ: إِذَنْ تَشَارِكُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرَوْكَ شِمَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقَ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ» وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة، انظر «سنن أبي داود»، كتاب الفتن.

(٣) انظر كلام ابن جرير مطولاً في «التفسير» ٢١٤/١٠.

(٤) قال ابن كثير ٤٤/٢: وهذا قول وجده عن مجاهد وأخشي أن يكون غلطاً، لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه. قلت: القائل ابن كثير -: وقد يترحم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له «ما ترك القاتل على المقتول من ذنب» وقد روى الزوار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به، فروى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قتل الصبر لا يمر بلبن إلا معاه». وهذا لا يصح، ولو صح فمعناه: أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فاما أن تحمل على القاتل فلا. ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيأخذ له من حسنته بقدر مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها، والقتل أعظمها وأشدّها.

(٥) «ديوانه» ٣٢، ومشكل القرآن ١٧٤، والصناعتين: ١٧٤، والطبري ٤٢/١٣. وقد أضمر حرف النفي - وهو «لا» - لدلالة المعنى عليه، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد، ولو كان الكلام إثباتاً لوجب تأكيد الفعل بالنون. والأوصال: جمع وصل بالكسر: وهو كل عضو يفصل من آخر.

الزجاج عن المبرد. وقال ابن قتيبة: شايئته وانفادت له، يقال: لساني لا يطوع بكذا، أي: لا ينقاد<sup>(١)</sup>. وهذه المعاني تتقارب. وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثالث: رضع رأسه بين حجرين. قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس، وأخذ طائراً فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان له «هابيل» يومئذ عشرون سنة. وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال: أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس. والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق. والثالث: عند عقبة جراء، حكاه ابن جرير الطبري. وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَلْبَرِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج. والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَنْتَجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُرَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ قال ابن عباس: حملة على عاتقه، فكان إذا مشى تخطف يده ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جنبه حتى رأى غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث له الأرض حتى وراه بعد أن حملة سنين. وقال مجاهد: حملة على عاتقه مائة سنة. وقال عطية: حملة حتى أروح<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: حملة ثلاثة أيام. وفي المراد بسواة أخيه قولان: أحدهما: عورة أخيه. والثاني: جيفة أخيه.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِرِينَ﴾ فإن قيل: أليس الندم توبة، فلم لم يقبل منه؟ فنعته أربعة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصت بخصائص لم تشارك فيها، قاله الحسن بن الفضل. والثاني: أنه ندم على حملة لا على قتله. والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله. والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ذِكْرُكَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ مَن قَتَلُوا نَفْسًا بَعْدَ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلُوا النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ نُوحٌ مِنْ رَبِّهِمْ فَبَشَّرَهُمْ بِذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرُوفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ذِكْرُكَ﴾ قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلماً. وقال أبو عبيدة: من جنابة ذلك، ومن جري ذلك. قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وأهل خباءٍ صالحٍ ذاتٌ بينهم  
قد احتربوا في عاجلٍ أنا آجله<sup>(٤)</sup>  
أي: جانبه وجارٍ ذلك عليهم. وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

(١) وتماز كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٤٢: ومنه يقال: أتيت طائناً وطوراً وكراً، ولو كان من «أطاع» لكان مطيعاً وطاعة وإطاعة.

(٢) يقال: أروح اللحم، وأراح: أثنى وسطعت له ريح خبيثة.

(٣) نسب أبو عبيدة في «مجاز القرآن» إلى الخنوت وهو توبة بن مفرس أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وإنما ساء الخنوت الأحف بن قيس، لأن الأحف كلمه، فلم يكلمه احتقاراً له، فقال: إن صاحبكم هذا لخنوت. والخنوت: المتجبر الذاهب بنفسه، المستصغر للناس. وذكره الأحمدي في «المؤلف والمختلف» ٩١ وقال: قتل أخواه... فأدرك الأخذ بشارهما، وجزع على أخويه جزعاً شديداً. وكان لا يزال يبكي أخويه، فطلب إليه الأحف أن يكف فأبى، فسما الخنوت، وهو الذي يمنعه النيط أو البكاء من الكلام. ونسب التبريزي في شرح «إصلاح المنطق» والشتري في «شرح ديوان زهير» إلى خوات بن بجير الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ والحق بشعر زهير بن أبي سلمى في «ديوانه» بشرح الششتري.

(٤) «مجاز القرآن» ١٣٣/١، «إصلاح المنطق» ٩، «الطبري» ٢٣١/١٠، و«ديوان زهير» بشرح الششتري ٣٣، و«اللسان» مادة: أجل. وفي رواية لابن بري في «اللسان».

وأهل خباءٍ أسمين فجمعهم  
واقبلت أسعى أسأل القوم مالهم

ويرى الشطر الأول من البيت الثاني «فأقبلت في الساعين أسأل عنهم». قال الششتري: ومعنى البيت: أنه وصف تأريشه بين قوم مصطلحين وسعيه بينهم بالفساد حتى أوقعهم في حرب وعاجل شر أجله عليهم، أي: جناه وأحدثه، ثم زعم أنه بعد ما كادهم وبعت الحرب بينهم جعل يسأل عن الساعين بالشر المهيجين له بين القوم، كما يسأل الإنسان عما جهل.



فعلى هذا يحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح. و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. ومعنى «تَكَرَّرَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ» أي: قتلها ظلماً ولم تقتل نفساً. «أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ» «فساد» منسوق على «نفس»، المعنى: أو بغير فساد تستحق به القتل. وقيل: أراد بالفساد هاهنا: الشرك. وفي معنى قوله: «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» خمسة أقوال: أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: أنه صلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعاً، قاله مجاهد، وعطاء. وقال ابن قتيبة: يُعَذَّبُ كما يُعَذَّبُ قاتل الناس جميعاً. والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً، قاله ابن زيد. والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعِينُوا ولي المقتول حتى يُقِيدوه منه، كما لو قتل أوليائهم جميعاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والخامس: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والقول بالعموم أصح. فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كل إثم من قتل الناس جميعاً، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَنْ يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟ فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعاً، معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثله، وكلما زاد قتلاً زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَرَاتٍ» [الأنعام: ١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطي بمثل ذلك عشر مرات. وهذا الجواب عن سؤال سائل إن قال: إذا كان من أحيا نفساً فله ثواب مَنْ أحيا الناس، فما ثواب من أحيا الناس كلهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين. والذي أراه أن التشبيه بالشئ قريب منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كل إثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائق من شخص واحد، فالمقتول يتصور منه نشر عدد الخلق كلهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «وَمَنْ أَحْيَاهَا» خمسة أقوال: أحدها: استنقاذها منهلكة، روي عن ابن مسعود، ومجاهد. قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك. وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شَدَّ عَضُدَ نَبِيٍّ أو إمام عادلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعاً. والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية. والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة. والرابع: أن يزرع عن قتلها وينهى. والخامس: أن يعين الولي على استيفاء القصاص، لأن في القصاص حياة، ذكرهما القاضي أبو يعلى. وفي قوله: «فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» قولان: أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعاً، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: فعلى جميع الناس شكره، كما لو أحياهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ» يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكركم.

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ لَكُمْ فِي ذَلِكَ حَرْزٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من غُرينة قدموا المدينة، فاجتزووها، فبعثهم رسول الله في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فصحوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله في آثارهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم

(١) قال ابن جرير ٢٤١/١٠: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلها، فاستحققت القود بها والقتل قصاصاً - أو بغير فساد في الأرض بحرب الله ورسوله وحرب المؤمنين فيها - فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه، كما أوعده ذلك - من فعله - ربه بقوله: «وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا فَمَتَّعُوا بِهِ خَيْرًا وَأَوْفَوْا لَهُمْ جَزَاءَهُمْ حَسْبًا وَنُصِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُمْ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا» [سورة النساء]. وقال ابن كثير في تفسير الآية ٤٦/٢: أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم بهذا الاعتبار، ولهذا قال: «فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا». وفي «البحر المحيط» لأبي حيان ٤٦٨/٣: وقال ابن عطية: والذي أقول: إن التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات، لكن الشبه قد يحصل من ثلاث جهات. إحداها: القود فإنه واحد، والثانية: الوعيد، فقد وعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك غاية العذاب، فإن تربته يخرج من النار بعد ذلك بسبب التوحيد، فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك. والثالثة: انتهاك الحرمه، فإن نفساً واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمتتهك في واحدة ملحوظ بعين متتهك الجميع.

وأرجلهم من خلاف، وسَمَّرَ أعينهم، وألقاهم بالحِجَّةِ حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس<sup>(١)</sup>، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أن قوماً من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخير الله رسوله بهذه الآية: إن شاء أن يقتلهم، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أن أصحاب أبي بردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاؤوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهْجِ، ومن مَرَّ بهلال إلى رسول الله ﷺ لم يُهْجِ، فمَرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناسٍ من قوم هلال، فَهَتَّؤُوا إِلَيْهِمْ، فقتلوه وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضراً، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن. واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز. وفي معناها للعلماء قولان: أحدهما: أنه سَمَّاهُم محاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب، فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي. والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله. وقال سعيد بن جبير: أراد بالمحاربة الله ورسوله، الكفر بعد الإسلام. وقال مقاتل: أراد بها الشرك. فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا﴾ اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟ فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلُوا وَصُلُّوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال، قُتِلُوا. قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبقضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُتِبَ لَهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول أكثر اللغويين. وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال، قُتِلُوا وَصُلُّوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتِلُوا وَلَمْ يُصَلُّوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا، قُتِلُوا وَصُلُّوا. وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أي الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل. وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصَلَّبُ وَيُجْعَلُ بِرِمَجٍ حَتَّى يَمُوتَ. واختلفوا في مقدار زمان الصلب، فعندنا أنه يُصَلَّبُ بمقدار ما يشتهر صلبه. واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام، وهو مذهب

(١) «المسنَد» ١٦٣/٣ من طريق معمر بن قتادة، ١٧٠، ٢٣٣ من طريق سعيد بن قتادة، ٢٨٧ من طريق حماد بن قتادة، ٢٩٠ من طريق عفان بن قتادة، والبخاري: ٢٨٩/١، ١٠٨/٦، ٣٥٢/٧، ٢٠٦/٨، ٩٩/١٢، ومسلم ١٥٣/١، وأبو داود ١٨٦/٤، والنسائي ٩٧/٧، ومسنن البيهقي ٦٢/٨. عريضة، بضم العين المهملة وفتح الراء وآخرها نون ثم هاء: حي من قضاة وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني. واجتوى الأرض بالبدل: إذا كره المقام فيه وإن كان في نعمة، وقيله الخطابي بما إذا تضرر بالإقامة وهو المناسب هنا، وقيل: أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول. وفسره روي بتشديد الميم وتخفيفها، وضبط في الأصل بالتشديد. ووقع لمسلم من رواية عبد العزيز «وسمل» بالتخفيف واللام. قال الخطابي: السمل: فقه العين بأي شيء كان. قال أبو ذؤيب الهذلي:

سَمَلْتُ بِشُرْكَ فَهِيَ عَوْرَتِي

وَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا

قال: «والسمر» لغة في «السمل» ومخرجهما متقارب. قال: وقد يكون من السمار، يريد: أنهم كحلوا بأبمال قد أحيت. قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع التصريح بالمراد عند المصنف - يعني البخاري - من رواية وهيب عن أيوب، ومن رواية الأوزاعي عن يحيى كلاهما عن أبي قلابة. ولفظه: ثم أمر بمساير فأحيت فكحلهم بها. قلت: وإنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم قصاصاً، لأنهم سملوا آيين الرعاة. وقد جاء التصريح بذلك عن أنس في «صحيح مسلم» ١٥٧/١١. والحره، بفتح الحاء: أرض ذات حجارة سود نخرات، كانتا أحرقتا بالنار، ومدينة رسول الله ﷺ بين حرتين.

(٢) النسائي ١٠١/٧، وأبو داود: ١٨٧/٤، وتامه: فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل، وليست هذه الآية للرجل المسلم، فمن قتل وأفسد في الأرض وحارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمتنع ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصاب. وإسناده حسن، ورواه الطبري ٢٤٤/١٠ من قول عكرمة والحسن البصري. وقد ضعف القرطبي هذا القول، ورده بقوله تعالى: ﴿هَلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَيْءٍ يُنْفِرُ لَهُمْ تَأَنَّا قَدْ سَأَلْنَا﴾ ويقول ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله رواه مسلم». وقال أبو ثور: وفي الآية دليل على أنها نزلت في غير أهل الشرك، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُوبُ﴾ وقد أجمعوا على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدينا فأسلموا أن مداهم نكرم، فدل ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام. وقال ابن كثير ٤٨/٢ وتبعه الشوكاني في «فتح القدير» ٢٢/٢: والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات.

أبي حنيفة، وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده. قال أبو عبيدة: ومعنى «من خلاف» أن تُقَطَّع يَدُهُ اليمنى ورجله اليسرى، يُخَالَفُ بَيْنَ قَطْعِهِمَا. فأما «النفي» فأصله الطرد الإبعاد. وفي صفة نفيهم أربعة أقوال: أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطر إلى ذلك. والثاني: أن يُطلبوا لِنَقَامِ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ، فَيُعْبَدُوا، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إخراجهم من مدينتهم إلى مدينة أخرى، قاله سعيد بن جبير. وقال مالك: ينفي إلى بلد غير بلده، فبحسب هناك. والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه. وقال أصحابنا: صِفَةُ النفي: أن يُشْرَدَ ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصَلَ في بلد نُفِيَ إلى بلد غيره. وفي «الخزي» قولان: أحدهما: أنه العقاب. والثاني: الفضيحة. وهل يثبت لهم حكم المحاربين في المصر، أم لا؟ ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر<sup>(١)</sup> وهو قول أبي حنيفة. وقال الشافعي، وأبو يوسف: المصر والصحارى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حق السَّارِقِ، خلافاً لمالك<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحريهم وفسادهم، وأمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دم، وهذا لا خلاف فيه. فأما المحاربون المسلمون، فاختلفوا فيهم، ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم من انتحام القتل والصلب والقطع والنفي. فأما حقوق الأديين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي<sup>(٣)</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُقُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهْدُوا فِي سَبِيلِهِ لِمَلَّكُمْ تَقْلُحُونَ﴾ <sup>(٢٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَاصَوْا بِهِمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَشَلَّكَ مَعَهُمْ لِقَتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا يَقُولُ عَنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>(٢٣)</sup> يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ <sup>(٢٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ في «الوسيلة» قولان: أحدهما: أنها القرية، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء. وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه. قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه. وأنشد: إذا غفل الواشون غُدًّا لَوْضِلْنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ<sup>(٤)</sup>

والثاني: المحبة، يقول: تحبوا إلى الله، هذا قول ابن زيد:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(١) في «المغني» ٣٠١/١: وتثبت أحكام المحاربين بشروط ثلاثة. أحدها: أن يكون ذلك في الصحراء، فإن كان ذلك منهم في القرى والأمصار، فقد توقف أحمد رحمه الله فيهم، وظاهر كلام الخرقى أنهم غير محاربين، وبه قال أبو حنيفة، والثوري، وإسحاق... وقال كثير من أصحابنا: هو قاطع حيث كان، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي، وأبو يوسف، وأبو ثور.

(٢) في «القرطبي» ١٥٣/٦: ولا يراعى في المال الذي يأخذه المحارب نصاباً كما يراعى في السرقة، وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٥٩٨/٢.

(٣) قال الخرقى: فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا بحقوق الأديين من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعنى لهم عنها. قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي، وأبو ثور.

(٤) «مجاز القرآن» ١٦٤/١، «الطبري» ٢٩٠/١٠، «القرطبي» ١٥٩/٦، وقاله لا يعرف. واستشهد أبو عبيد أيضاً - على أن الوسيلة معناها القرية - ببيت عترة:

إِنَّ السَّرْجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ

إِنْ يَأْخُذُكَ تَكُنْ لِي وَتَخْضَبِي

وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ٣٩٦، «الطبري» ٢٩٠/١٠، «الخزانة» ١١/٣ من أبيات قالها لامرأته، وكانت لا تزال تذكر خيله، وتلومه في فرس كان يؤثره على خيله، ويسقيه ألبان إبله فقال:

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ

فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

إِنَّ الْغَنَبُوقَ لَهُ وَأَنْتَ مَسْجُومَةٌ

فَنَأْؤُمِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْوِصِي

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءٌ شَرٌّ بَارِدٌ

إِنْ السَّرْجَالُ مَالٌ.....

وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحَدَجُهُ

إِنْ كُنْتَ سَائِلَتِي غَبُوقاً فَاذْهَبِي.....

وابن النعمانة عند ذلك مركبي

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ قال ابن السائب: نزلت في طعمة بن أبيرق، وقد مضت قصته في سورة (النساء). و«السارق»: إنما سُمِّي سارقاً، لأنه يأخذ الشيء في خفاء، واسترق السمع: إذا تسمع مستخفياً. قال المبرد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحداً بعينه، وإنما هو كقولك: مَنْ سَرَقَ فاقطع يده<sup>(١)</sup>. وقال ابن الأنباري: وإنما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يده. قال الفراء: وإنما قال: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ لأن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا دُكِرَ مضافاً إلى اثنين فصاعداً، جمع، تقول: قد هُشمت رؤوسهما، وملأت [ظهورهما] وبطورهما [ضرباً]. ومثله ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] وإنما اختير الجمع على الثنية، لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الإنسان: اليدين، والرجلين، والعينين، فلما جرى أكثره على هذا، دُهِبَ بالواحد منه إذا أُضيف إلى اثنين مذهب الثنية، وقد يجوز تثنيتهما. قال أبو ذؤيب:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ  
كنوافذ العُبط الشبي لا تُرَقع<sup>(٢)</sup>

### فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كل سارق، وبينت السُّنة أن المراد به السارق لينصاب من جزز مثله، كما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء، والصبيان، وأهل الصوامع<sup>(٣)</sup>. واختُلِفَ في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين: أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم من العروض<sup>(٤)</sup> وهو قول مالك<sup>(٥)</sup>. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة

(١) في «معاني القرآن» للفراء ٣٠٦/١: وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ مرفوعان بما عاد من ذكرهما، والنصب فيهما جائز، كما يجوز: أزيد ضربته؟ و: أزيداً ضربته، وإنما تختار العرب الرفع في «السارق والسارقة» لأنها غير موقتين، فوجهها توجيه الجزاء، كقولك: من سرق فاقطعوا يده. ومن لا يكون إلا رفعاً، ولو أردت سارقاً بعينه، أو سارقة بعينها، كان النصب وجه الكلام. ومثله ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّاهُمْ بِسِكِّمٍ فَكَاذِبَةٌ﴾ [النساء: ١٦] وفي قراءة عبد الله «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمنهما». وانظر كتاب سيره ٧١/١.

(٢) «ديوان الهذليين» ٢٠/١، وشرح «أشعار الهذليين» ٤٠/١، و«معاني القرآن» للفراء ٣٠٧/١، و«جمهرة أشعار العرب» ٢٤٨ طبع صادر، وجاء فيها: «عط» وهو تحريف. والبيت من قصيدته العينية المشهورة التي يري بها بنه. تخالسا: جعل كل واحد منهما يختلس نفس صاحبه بالطن، والنوات: جمع نافذة وهي الطعن تنفذ حتى يكون لها راسان. عُطِط: جمع عبط، وأصل العبط: شق الجلد الصحيح، ونحر البعير من غير علة. قال الأخفش: شبه الطعنة بالثوب الجديد الذي قد قطع قطعة قطعة، فلا يقدر أحد على رقبته، وروى الأصمعي: «كنوات المُطَبِّ والعطب: القطن. يقول: إن كلاً من هذين البطلين قد اختلس نفس صاحبه بطعنات نوافذ تشبه في اتساعها ونفاذها وعدم اتسامها شقوقاً في ثياب جدد، لا ترقع بعد شقها، وهي شقوق الجيوب وأطراف الأكمام واللبول.

(٣) روى البخاري ١٠٤/٦، ومسلم ١٣٦٤/٣، وأبو داود ٧٢/٣، والترمذي، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. وروى مسلم ١٣٥٧/٣ عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليد». وروى أحمد ٢٥٧/٤ عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشه قال: «اغزوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثقه أحمد والمجلي، وضعفه ابن معين وغيره. وفيه رجاله ثقات.

(٤) وذلك أنه ورد عن النبي ﷺ أنه قطع يد السارق في ربع دينار. وفي ثلاثة دراهم. فقد روى أحمد ١١٠/١٦ بترتيب الساعاتي، ومالك: ٣٠١، والبخاري ٨٩/١٢، ومسلم ١٣١٢/٣، وأبو داود ١٩٢/٤، والنسائي ٧٨/٨، والترمذي ١٧٤/١ عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً. وفي رواية لمسلم ١٣١٢/٣، والنسائي ٨١/٨، وابن ماجه ٨٢٢/٢: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وفي رواية للبخاري ٨٩/١٢، والنسائي ٧٨/٨، وأبو داود ١٩٢/٤: «تقطع يد السارق في ربع دينار» وفي رواية للبخاري ٨٩/١٢: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً». وروى الإمام أحمد ١١٠/١٦، والبخاري ٩٣/١٢، ومسلم ١٣١٣/٣، وأبو داود ١٩٢/٤، والنسائي ٧٦/٨، والترمذي ١٧٤/١، وابن ماجه ٨٢٢/٢ عن ابن عمر أن النبي ﷺ قطع في مجن ثمة ثلاثة دراهم، وفي رواية «قيمة ثلاثة دراهم».

(٥) في «المدونة» ٦٥/١٦ قلت: رأيت إن سرق ما يساوي ثلاثة دراهم ذلك اليوم وهو لا يساوي ربع دينار اليوم لارتفاع صرف الدينار، أقطع فيه في قول مالك؟ قال: قال مالك: نعم يقطع إذا سرق قيمة ثلاثة دراهم ذلك اليوم. قال مالك: لأن النبي ﷺ قطع في ثلاثة دراهم، وإن عثمان بن عفان قطع في ثلاثة دراهم، وإن عمر قُوم الدية على اثني عشر ألف درهم، فلا ينظر إلى الصرف في هذه الأشياء إن ارتفع أو انخفض، وإنما ينظر في هذا إلى ما مضى به السنة. قلت: رأيت إن اتضع الصرف صرف الذهب فسرق ربع دينار من ذهب وهو لا يساوي ثلاثة دراهم، أقطع يده لأنه ربع دينار؟ قال: نعم وإنما تقوم الأشياء كلها بالذهب والفضة.

عشرة دراهم<sup>(١)</sup>. وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك برقع دينار، وغيره مقوّم به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قُطِع، فإن سرق نصاباً من الثَّبر، فعليه القطع. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصاباً مضروباً، فإن سرق منديلاً لا يساوي نصاباً، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع. وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافاً لأبي حنيفة. فإن سرق صَبِيّاً صغيراً حُرّاً، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلِي. وقال مالك: يقطع بكل حال. وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقیلاً يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال<sup>(٢)</sup> ويجب القطع على جاحد العارية عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافاً لأكثر الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

## فصل

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدرور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها، فكل ذلك حرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محبّز بالبناء. فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه. ونقل الميموني عن أحمد: إذا كان المكان مشتركاً في الدخول إليه، كالحمام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبَر الحافظ. ونقل عنه ابن منصور: لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع أجير حافظ. فأما النِّبَاش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

(١) في «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن ٣٠٤: قال محمد: قد اختلف الناس فيما تقطع فيه اليد، فقال أهل المدينة: ربع دينار، ورووا هذه الأحاديث، وقال أهل العراق: لا تقطع في أقل من عشرة دراهم، ورووا ذلك عن النبي ﷺ وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن عبد الله بن مسعود وعن غير واحد، فإذا جاء الاختلاف في الحدود، أخذ فيها بالثقة، وهو قول أبي حنيفة والعمامة من فقهاءنا. وانظر أدلة الحنفية في «نصب الرأية» ٣/ ٣٥٥ للزيلعي، و«مسند أبي داود» ١٩٣/٣، و«مسند أحمد» ١١/ ١٣٩، و«التعليق الممجّد» ٣٠٤ للكنوني، و«التعليق المغني على سنن الدارقطني» ٣٦٨.

(٢) في «تفسير القرطبي» ١٦٣/٦: إذا اجتمع جماعة فاشتركوا في إخراج نصاب من حرزه فلا يخلو، إما أن يكون بعضهم ممن يقدر على إخراجه، أو لا، إلا بتعاونهم، فإذا كان الأول فاختلف فيه علماؤنا على قولين: أحدهما: يقطع فيه. والثاني: لا يقطع فيه، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، قال: لا يقطع في السرقة المشتركة إلا بشرط أن يجب لكل واحد من حصته نصاب، لقوله ﷺ: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وكل واحد من هؤلاء لم يسرق نصاباً فلا قطع عليهم. ووجه القطع في إحدى الروايتين أن الاشتراك في الجناية لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل، قال ابن العربي: وما أقرب ما بينهما فإنما قلنا: الجماعة بالواحد صيانة للبناء، فلا يتعاون على سفكها الأعداء، فكذلك في الأموال مثله، لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على أن الجماعة إذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا ولا فرق بينهما. وإن كان الثاني وهو مما لا يمكن إخراجه إلا بالتعاون، فإنه يقطع جميعهم بالاتفاق من العلماء، ذكره ابن العربي.

(٣) في «شرح المفردات» للبهوتي ٢٠٨: يقطع جاحد العارية كالسارق، وجزم به جماعة من الأصحاب وهو المذهب، قطع به في «التفتيح» و«الإقناع» و«المنتهى» وهو قول إسحاق، وصح الشيخ الموفق والشارح وجماعة: لا قطع عليه، وهو قول الخري، وأبي إسحاق بن شاقلا، وأبي الخطاب، وسائر الفقهاء، لقوله ﷺ: «لا قطع على الخائن»، رواه أحمد وأصحاب «السنن» وصححه الترمذي، ولأن الواجب قطع السارق، والخائن ليس بسارق، فأشبه جاحد الوديعة وغيرها من الأمانات. ولنا حديث عائشة قالت: كانت امرأة تستعير المتاع وتجده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلّموه فكلّم النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لا أراك تكلمني في حد من حدود الله تعالى»، ثم قام النبي ﷺ خطيباً وقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» قال: قطع يدها. متفق عليه. قال أحمد: لا أعرف شيئاً يدفعه، والجواب عنه بأنها قطعت بسرقته لا بجدها، لا يلائم سياق الخبر. قلت: وجاء في البخاري: أنها سرت. قال الحافظ ٧٩/١٢ وقد وقع في رواية معمر عن الزهري في هذا الحديث أن المرأة المذكورة كانت تستعير المتاع وتجده. أخرجه مسلم وأبو داود، وأخرجه النسائي من رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري بلفظ: «استعارت امرأة على السنة ناس يعرفون وهي لا تعرف حليا بفاعته، وأخذت ثمنه، الحديث. قال شيخنا في «شرح الترمذي» - أي الحافظ العراقي -: اختلف على الزهري، فقال الليث ويونس وإسماعيل بن أمية، وإسحاق بن راشد: سرت، وقال معمر وشعيب: إنها استعارت وجحدت. ثم قال الحافظ: وجزم جماعة بأن معمر تفرد عن الزهري بقوله: «استعارت وجحدت» وليس كذلك، بل تابعه شعيب كما ذكره شيخنا عند النسائي، ويونس كما أخرجه أبو داود من رواية أبي صالح كاتب الليث عن الليث، وعلقه البخاري لليث عن يونس لكن لم يسق لفظه. قلت: وبذلك يتبين أن قول البهوتي - بعد أن ذكر الحديث بلفظ «استعارت» - متفق عليه، وهم، وانظر الكلام على هذا الحديث في «الفتح» ٧٧/١٢.

## فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مفصل الكف، ومن مفصل الرجل. فأما اليد اليسرى والرجل اليمنى، فروى عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروى عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي. ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. ويجتمع القطع والغرم موبراً كان أو معسراً. وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان. وقال مالك: يضمنها إن كان موبراً، ولا شيء عليه إن كان معسراً.

قوله تعالى: ﴿تَكْلَأُ مِنَ اللَّهِ﴾ قد ذكرنا «النكال» في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال سعيد بن جبير: شديد في انتقامه، حكيم إذ حكم بالقطع. قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنهت، فقلت: والله عزيز حكيم. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة كانت قد سرت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبد الله بن عمرو<sup>(٢)</sup>. وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَبِالَّذِينَ هَادُوا سَتَمُونَ لِلْكَذِبِ سَتَمُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوبَةٍ الْكَفَرُ مِنْ بَدِّ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مر بيهودي وقد حمموه<sup>(٣)</sup> وجلدوه، فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونقيم على الوضع، فقلنا: تعالوا نُجَمِّعْ على شيء نقيم على الشريف والوضع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فُرجم،

(١) قال الخري: ولا يقطع إلا بشهادة عدلين أو اعتراف مرتين. ولم يذكر المصنف رحمه الله الشهادة، لأن كل من حفظ عنه من أهل العلم يوجب القطع بشهادة حرين مسلمين.

(٢) «المسند» ١٨٥/١٠، وابن جرير ٢٩٩/١٠ ولفظه «عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ، فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله: إن هذه المرأة سرتنا، قال قومها: فنحن نغديها، يعني أهلها، فقال رسول الله ﷺ: «اطعموها» فقالوا: نحن نغديها بخمسة دنانير، قال: «اطعموها» قال: فقطعت يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فانزل الله ﷻ في سورة المائدة ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ...﴾ إلى آخر الآية. وهو في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٧٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله شقاق. قلت: وفي إسناده أيضاً يحيى بن عبد الله بن شريح المعافري. قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة. ونقله ابن كثير في «التفسير» ٥٧/٢ عن «مسند أحمد»، وقال: وهذه المرأة هي المبزومة التي سرت، وحديثها ثابت في «الصحيحين» من رواية الزهري عن عروة عن عائشة.

(٣) في «اللسان» وحمم الرجل: سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم، وفي حديث الرجم: أنه مر بيهودي محمّ مجلود، أي: مسود الوجه.

ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في ابن سوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروى عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهودياً، ثم قال: سلوا محمداً فإن كان بُعِثَ بالذِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والخامس: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حصارهم على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبِج، قاله السدي<sup>(٤)</sup>. قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أنزل على حُكم سعدٍ، فأشار بيده: إنه الذَّبِج، وكان حليفاً لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أنني قد حُثْتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود. ﴿سَتُعَوْنُ لَلكَذِبِ﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء. قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكون رَفَعَهُ على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب. وفي معناه أربعة أقوال: أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك. والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له. والثالث: سماعون للكذب الذي بذلوه في توراتهم. والرابع: سماعون للكذب، أي: قائلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل. وفي قوله: ﴿سَتُعَوْنُ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ﴾ قولان: أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم. والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدلون التوراة. وفي السَّمَاعِينَ للكذب، وللقوم الآخرين قولان: أحدهما: أن «السَّمَاعِينَ للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون [الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ] يهود فذكَ. والثاني: بالعكس من هذا. وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيروا الرِّجَم، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: تغيير ما يسمعون من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن. والثالث: إخفاء صفة النبي ﷺ. والرابع: إسقاط القود بعد استحقاقه. والخامس: سوء التأويل. وقال ابن جرير: المعنى يُحَرِّفُونَ حكم الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَرِّ مَوَاضِعِهِ﴾ قال الزجاج: أي: من بعد أن وَضَعَهُ الله مواضعه، فأحلَّ حلاله وحرم حرامه. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيئَتُنَا هَذَا فَخْذُهُ﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلاً وامرأة من أشrafهم زنيا، فكان أحدهما الرِّجَم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزَّانِينِ إذا أَحْصَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجَم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعْطُونَ قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت قريظة من النضير لم يَرْضَوْا إلا بالقود تعزراً عليهم، فقتل بنو النضير رجلاً من قريظة عمداً، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتلكم قتيلاً عمداً، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيئاً عليكم القود، فإن قُلبَتْ منكم الذِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر<sup>(٥)</sup>. وفي معنى «فاحذروا» ثلاثة أقوال: أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد. والثاني: فاحذروا أن تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به. والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ في «الفتنة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقاتدة. والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج. قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعته في الكفر.

(١) «المسند» ٢٨٦/٤، ومسلم ١٣٢٧/٣، وأبو داود ٢٥١/٤، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٣٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨. وتامه: فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ الْآخِرَةَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيئْتُمْ هَذَا فَخْذُوهُ﴾ يقول: اتوا محمداً، فإن أكرمكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجَم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَرْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَرْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في الكفار كلها. واختار ابن كثير هذا السبب، وقال: هو الصحيح.

(٢) ابن جرير: ٣٠٤/١٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨١/٢. وزاد نسبه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر. قلت: وفي سننه مجهول.

(٣) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وزاد السيوطي نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٤) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) ابن جرير: ٣١٥/١٠ من طريق يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة...



قوله تعالى: ﴿لَرَّ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَطْلُبَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدْ أن يظهر قلوبهم من دس الكفر، ووسخ الشرك بطهارة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ أما حزبي المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاح النبي على كفرهم، وحزبي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم. قال مقاتل: وحزبي قريظة يقتلهم وسبيهم، وحزبي النضير يجلّونهم.

﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ فَإِنْ جَاءَكَ فَاعْلَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَغْتَرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاعْلَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾ قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها. وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر «السُّخْتُ» مضمومة الحاء مثقلة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة «السُّخْتُ» ساكنة الحاء خفيفة. وروى خارجة بن مصعب عن نافع «أَكْثَرُونَ لِلْسُّخْتِ» بفتح السين وجزم الحاء. قال أبو علي: السُّخْتُ والسُّخْتُ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليس بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحت، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير. وفي المراد بالسحت ثلاثة أقوال: أحدها: الرُّشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود. والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاعْلَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فيمن أريد بهذا الكلام قولان: أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيريين دينين، والقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حبي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاعْلَمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

### فصل

اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ﷺ كان مخيراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنْ أَعْلَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَزَلَّ اللَّهُ﴾ فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيرون إذا ترافعوا إليهم، إن شاؤوا حكموا بينهم، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح<sup>(٢)</sup>، لأنه لا تنافي بين الآيتين، لأن إحداهما خيّرت بين الحكم وتركه. والثانية بينت كيفية الحكم إذا كان<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) قال أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩: وهو الصحيح من قول الشافعي. قال في كتاب «الجزية»: ولا خيار له إذا تحاكموا إليه، لقوله ﷺ: ﴿حَقٌّ يُطْرَأُ الْجَزْيَةُ مَنْ يَرَوْهُمُ سَوْرَةٌ﴾ [التوبة: ٢٩] وهذا من أصلح الاحتجاجات، لأنه إذا كان معنى: «وهم صاغرون» أن تجري عليهم أحكام المسلمين، وجب ألا يردوا إلى أحكامهم، فإذا وجب هذا فالآية منسوخة، وهو أيضاً قول الكوفيين: أبي حنيفة، وزفر، وأبي يوسف، ومحمد، لا اختلاف بينهم إذا تحاكم أهل الكتاب إلى الإمام أنه ليس له أن يعرض عنهم، غير أن أبا حنيفة قال: إذا جاءت المرأة والزوج، فعليه أن يحكم بينهما بالعدل، فإن جاءت المرأة وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم... وقال الباقون: بل يحكم.

(٢) وقد أتى بهذا القول عطاء بن أبي رباح، ومالك بن أنس. ذكر ذلك النحاس عنهما في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩، والقرطبي في «الأحكام» ١٨٤/٦، وإليه ذهب قتادة كما في «الطبري» ١٠/٣٣٠، وسعيد بن جبير كما ذكره المؤلف عنه في «ناسخ القرآن» الورقة ٨٣. واختاره أبو جعفر الطبري، لعدم التعارض بين الآيتين، ولأنه لم يصح به خبر عن رسول الله ﷺ، ولم يجمع عليه علماء المسلمين.

(٣) ذكر هذا الكلام المؤلف رحمه الله أيضاً في «نواسخ القرآن» الورقة: ٨٤.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾ قال المفسرون: هذا تعجيب من الله ﷻ لنيبه من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم ما تحاكموا إليه فيه، وتقرع لليهود إذ يتحاكمون إلى من يجحدون نبوته، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون صحتها.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن. والثاني: حكمه بالقود، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة. والثاني: من بعد تحكيمك. وفي قوله: ﴿وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة. والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوتك.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّاسُخُونَ فِي الْأَخْبَارِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ كَفَّرَ عَنْكُمْ سُلْحَهُكُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي بُيُوتِكُمْ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْكُمْ وَلَهُ الْقُدْرَةُ أُولَئِكَ يُصْطَفُونَ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيين، وقد سبق. والهدى: البيان. فالتوراة مبينة صحة نبوة محمد ﷺ، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه. و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات. وفي النبيين الذين أسلموا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الأنبياء من لدن موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة أقوال: أحدها: أسلموا لحكم الله، رضوا بقضائه. والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء. والثالث: أسلموا أنفسهم إلى الله ﷻ. والرابع: أسلموا لما في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى عليه السلام. قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان: أحدهما: أنه سُمي بذلك لاستسلامه وانقياده لربه. والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله: «وَرَجُلًا سَلَامًا لِرَجُلٍ»<sup>(١)</sup> [الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له. والثاني: أن المراد بالنبيين محمد ﷺ، قاله الحسن، والسدي. وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [النساء: ٥٤]. وفي الذي حكم به منها قولان: أحدهما: الرجم والقود. والثاني: الحكم بسائرهما ما لم يرد في شرعه ما يخالف. والثالث: النبي محمد ﷺ، ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ قال ابن عباس: تابوا من الكفر. قال الحسن: هم اليهود. قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا. فأما «الربانيون» فقد سبق ذكرهم في (آل عمران). وأما «الأخبار» فهم العلماء واحدهم خبر وجبر، والجمع أخبار وجبور. وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأخبار: جبر بكسر الحاء. وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الخبر وهو الأثر الحسن، قاله الخليل. والثاني: أنه من الجبر الذي يكتب به، قاله الكسائي. والثالث: أنه من الخبر الذي هو الجمال والبهاء. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب جِزُّهُ وَسَبْرُهُ» أي: جماله وبهاؤه. فالعالمُ بَيِّهٌ بجمال العلم، وهذا قول قطرب. وهل بين الربانيين والأخبار فرق أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لا فرق، والكل العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج. وقد روي عن مجاهد أنه قال: الربانيون: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأخبار. وقال السدي: الربانيون العلماء، والأخبار القراء. وقال ابن زيد: الربانيون: الولاة، والأخبار: العلماء، وقيل: الربانيون: علماء النصارى، والأخبار: علماء اليهود.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ كَفَّرَ عَنْكُمْ سُلْحَهُكُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي بُيُوتِكُمْ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْكُمْ وَلَهُ الْقُدْرَةُ أُولَئِكَ يُصْطَفُونَ﴾ قال ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا. والثاني: العلماء بما استحفظوا. قال ابن جرير: «الباء» في (١) كنا في الأصل «سالمًا» بالآلف وكسر اللام اسم فاعل. وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب؛ أي خالصاً من الشركة، وواقفهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن. وقرأ الباقون: بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وصف به للمبالغة في الخلو من الشركة.

(١) كنا في الأصل «سالمًا» بالآلف وكسر اللام اسم فاعل. وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب؛ أي خالصاً من الشركة، وواقفهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن. وقرأ الباقون: بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وصف به للمبالغة في الخلو من الشركة.

قوله: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ من صلة الأحبار. وفي قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ قولان: أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرّجْم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال إنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا أَلَنَّاكُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، وابن عامر، والكسائي «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف، وكلاهما حسن. وقد أشرنا إلى هذا في (آل عمران). ثم في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد، والعمل بالرّجْم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: الخطاب لليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرّجْم، ونعت محمد، واخشوني في كتمانهم. والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَمَانِيَّتِي مَنَّا قَلِيلًا﴾ في المراد بالآيات قولان: أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن. والثاني: الأحكام والفرائض. والثلث: القليل المذكور في (البقرة). فأما قوله: ﴿وَمَنْ لَّئِيَّكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقوله تعالى بعدها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِغُونَ﴾ «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِغُونَ». فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحو هذا المعنى. والثالث: أنها عامة في اليهود، وفي هذه الأمة، قاله ابن مسعود، والحسن، والنخعي، والسدي. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز. والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي. وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان: أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى. والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملة. وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود، فهو ظالم وفاسق<sup>(١)</sup>. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَاً أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرْحَ الْجُرْحَ﴾ قَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّئِيَّكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿نَبَاً﴾ أي: في التوراة. قال ابن عباس: وكنتم عليهم فيها أن النفس بالنفس، فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين بالنفس، ويفقون العينين بالعين؟ وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جرح، فخفف الله عن أمة محمد بالدية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾، ينصبون ذلك كله ويرفعون «والجروح» وكان نافع، وعاصم، وحزمة ينصبون ذلك كله، وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصباً،

(١) وقد ارتضى هذا المذهب أبو جعفر الطبري في «تفسيره» ٣٥٨/١٠، فإنه قال: فكل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، فهو بالله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزل في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي. وفي «القرطبي» ١٩٠/٦: قال ابن مسعود، والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرّم، فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن»: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا - يعني اليهود - واخترع حكماً يخالف به حكم الله، وجعله ديناً يعمل به، فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره.

(٢) «الطبري» ٢٥٧/١٠، وعلي بن أبي طلحة لم يسع من ابن عباس ﷺ. وروى الحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٢ من طريق مفيان بن عيينة، عن هشام بن خثيرة عن طاووس عن ابن عباس: أنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرأ ينقل عن الملة «وَمَنْ لَّئِيَّكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» كفر دون كفر. ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

ويرفع ما بعد ذلك. قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجُمْل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفاً، لا أنه مما كُتِبَ على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب. قال القاضي أبو يعلى: وقوله: العين بالعين، ليس المراد قلع العين بالعين، لتعذر استيفاء المماثلة، لأننا لا نقف على الحد الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمة، وصفة ذلك أن تُشَدَّ عين القالع، وتُحْمَى مرآة، فتقدم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لأن منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد. وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب. وأما الأذن، فيجب القصاص إذا استوعبت، وعرف المقدار. وليس في عظم قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضها، برد بمقدار ذلك. وقوله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يشير إلى القصاص. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ في هاء «له» قولان: أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدق بالقصاص كفر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(١)</sup>، والحسن، والشعبي. والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب<sup>(٢)</sup> من جنايته، لأنه إذا كان مُصْرّاً فعقوبة الإصرار باقية.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِثَرِهِمْ بَعِثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ بِرُوحِنَا وَصَفَرًا إِبْرَاهِيمَ فِيهِ يَسْمَعُ وَالزَّيْنَبُ فِيهَا تَحْمِلُ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِثَرِهِمْ﴾ أي: وأتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿بَعِثْنَا﴾ فجعلناه يقفو آثارهم ﴿مَصَدَقًا﴾ أي: بعثناه مُصَدِّقًا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿وَأَنبِئْهُمْ بِالْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكراراً للآول، لأن الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَنَ لَّيَحْكُمَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾ قرأ الأكثرون بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأعمش، وحزمة بكسر اللام، وفتح الميم على معنى «كي»، فكانه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلْنَا بَيْنَكُمُ بَرَّةً وَمِنْهَا مَا وَكَلْنَا اللَّهُ لِنَلْجَلَكُمْ أُنْهُ وَجِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْقَصِيذَ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى. وفي «المهيمن» أربعة أقوال: أحدها: أنه المؤيمن<sup>(٣)</sup> رواه التميمي<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك. وقال المبرد: «مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقط الماء، وهرقت، وإياك وهياك. وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن

(١) قول عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه الطبري ٣٦٢/١٠، والبيهقي في «السنن» ٥٤/٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٦٣/٢ من تفسير ابن أبي حاتم من طريق الطيالسي عن شعبة، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٨٨/٢ وزاد نسبه للفرابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) في النسخة الأحمدية «مات» وهو خطأ.

(٣) قوله: «المؤيمن» كذا في الأصول المخطوطة التي بين أيدينا، وفي الطبري وسائر المراجع: «المؤمن».

(٤) هو أربعة ويقال: أريد التميمي الكوفي، روى التفسير عن ابن عباس، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق.

مؤمن على ما قبله من الكتب، إلا أن ابن أبي نجيج روى عن مجاهد: ومُهِمَّنَا عليه<sup>(١)</sup>. قال: محمد مؤتمن على القرآن. فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيماً عليه، فتكون هاء «عليه» راجعة إلى القرآن. وعلى غير قول مجاهد ترجع إلى الكتب المتقدمة. والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثالث: أنه المصدق على ما أخبر عن الكتب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريب من القول الأول. والرابع: أنه الرقيب الحافظ، قاله الخليل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾ يشير إلى اليهود ﴿يَسَاءَ أَرْزَلَهُ اللَّهُ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَنَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾. قال أبو سليمان: المعنى: فترجع عما جاءك. قال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحضن.

قوله تعالى: ﴿يَكُلِّ جَمَلًا يَكُفُّ شَرَّهٗ وَمِنْهَا جَآئِلٌ﴾ قال مجاهد: الشريعة: السنة، والمنهاج: الطريق. وقال ابن قتيبة: الشريعة والمنهاج واحد، والمنهاج: الطريق الواضح. فإن قيل: كيف نسق «المنهاج» على «الشريعة» وكلاهما بمعنى واحد؟ فنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقاً من وجهين: أحدهما: أن «الشريعة» ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرّد. والثاني: أن «الشريعة» الطريق الذي ربما كان واضحاً، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنباري. فلما وقع الاختلاف بين الشريعة والمنهاج، حُسِّنَ نسق أحدهما على الآخر. والثاني: أن الشريعة والمنهاج بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين. قال الحطّين: قال الحطّين:

أَلَا حَبْدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ<sup>(٣)</sup>

فنسق البعد على النأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقاً له في المعنى، ذكره ابن الأنباري، وأجاب عنه أرباب القول الأول، فقالوا: «النأي» كل ما قلّ بعده أو كثر كأنه المفارقة، والبعد إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتها. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لكل ملة جعلنا شريعةً ومنهاجاً، فلاهل التوراة شريعة، ولاهل الإنجيل شريعة، ولاهل القرآن شريعة، هذا قول الأكثرين. قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد، فالتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرم [ما يشاء] بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يُقبل غيره، التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل. والثاني: أن المعنى: لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شريعةً ومنهاجاً، هذا قول مجاهد<sup>(٤)</sup>.

(١) في «تحاف فضلاء البشر» ١٢١: وعن ابن محيصن «ومهيماً» يفتح الميم الثانية «عليه» في موضع رفع على التياية إن كان حالاً من الكتاب، فإن كان حالاً من كاف «إليك» فأناب الفاعل ضمير مستتر يعود إليه ﷺ، والجمهور على كسرهما اسم فاعل.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» ٦٥/٢: وقوله تعالى ﴿وَمِنْهَا جَآئِلٌ﴾ قال ابن عباس: مؤتمناً عليه، وقال: القرآن أمين على كل كتاب قبله، وروى عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد نحو ذلك. وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل. وعن ابن عباس: أي: حاكماً على ما قبله من الكتب. وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها وأكملها وأعظمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، ولهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريم، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ لَمْ يَكُنْ لَكَ لَوْ كُنْتَ تَحْتَ يَدَيْهِ﴾ [الحجر: ٩] فاما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، وعطاء الخراساني، وابن أبي نجيج عن مجاهد أنهم قالوا في قوله: «ومهيماً عليه» يعني محمداً ﷺ أمين على القرآن، فإنه صحيح في المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظراً، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظراً. وبالجملة فالصحيح الأول. وقال أبو جعفر ابن جرير بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ. وذلك أن «المهيمن» عطف على «المصدق» فلا يكون إلا صلة لما كان المصدق صفة له. قال: ولو كان لأمر كما قال مجاهد، لقال: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، مهيماً عليه. يعني: من غير عطف.

(٣) «ديوانه» ١٤٠، و«الموشح»: ٩١ من قصيدة يمدح بها بني سعد، و«اللسان» مادة: «نأي» وفيه قول الحطّين:

وهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ

إنما أراد المفارقة، ولو أراد البعد لما جمع بينهما.

(٤) قال ابن كثير في «التفسير» ٦٦/٢: ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات فبيننا واحد» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ١٥٩] «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [آل عمران: ١٥٩]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لجمعكم<sup>(١)</sup> على الحق. والثاني: لجعلكم على ملّة واحدة ﴿وَلَكِنْ يَسْتَوِيكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتب، وبين لكم من الملل. فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله: ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ﴾: نبينا محمداً مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله: ﴿يَسْتَوِيكُمْ﴾؟ فالجواب: أنه خطاب لنبينا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم. قال ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائباً، فأرادت الخبر عنه أن تغلب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا عَلَى خَيْرٍ﴾ قال ابن عباس، والضحاك: هو خطاب لأمة محمد ﷺ. قال مقاتل: والخيرات: الأعمال الصالحة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين. قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلة والحجج، وغداً بينه بالمجازاة.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ يَفْضِلُكَ عَلَى بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ ذُرِّيَّتٌ مِّنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها: أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتته عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفت أننا أحرار اليهود وأشرافهم، وأننا إن تبعناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وذكر مقاتل: أن جماعة من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبل، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية. قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكراراً لما تقدم، وإنما نزلت في شيئين مختلفين، أحدهما: في شأن الرجم، والآخر: في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: عن حكمك. والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم. وفي ذكر البعض قولان: أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما يصيبهم ببعض ما يستحقونه. والثاني: أن المراد به الكل، كما يُذكر لفظ الواحد، ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَفْتُمْ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ١] والمراد: جميع المسلمين. وقال الحسن: أراد ما عجله من إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ قال المفسرون: أراد اليهود. وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: الكذب، قاله ابن زيد. والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

﴿أَنَّهُمْ لِلْجَاهِلِيَّةِ يَتَوَنُّوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَّ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُفْسِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لِلْجَاهِلِيَّةِ يَتَوَنُّوْنَ﴾ قرأ الجمهور «يتغنون» بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله: ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. وقرأ ابن عامر «تبغون» بالفاء، على معنى: قل لهم. وسبب نزولها: أن النبي ﷺ لما حكم بالرجم على اليهوديين تعلق بنو قريظة ببني النضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً أعطونا سبعين وسقاً<sup>(٤)</sup> من تمر، وإن قتلنا منهم واحداً أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإن قتلنا منهم رجلاً قتلوا به

- أُنْأَقَاتُورُ (الأنبياء: ٢٥) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوبَ﴾ [النحل: ٣٦] وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس، وخفيفاً، فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامنة.

(١) في النسخة الأحمدية: لجمعكم.

(٢) كذا في الأصول المخطوطة «أسيد» بالياء، وفي «سيرة ابن هشام» ٥٦٧/١، والطبري ٣٩٣/١٠، وابن كثير ٦٧/٢، و«الدر المنثور» ٢٩٠/٢ «كعب بن أسد».

(٣) قلت: في سنده عند الطبري محمد مولى زيد بن ثابت لم يوثقه غير ابن حبان.

(٤) الوسق يفتح الواو وكسرها: حمل بعير، أو ستون صاعاً، وهو مكيال لهم.

رجلين، وإن قتلنا امرأة قتلوا بها رجلاً، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم» فقال بنو النضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولناخذن بأمرنا الأول، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل الجاهلية؟<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا» قال ابن عباس. ومن أعدل؟ وفي قوله: «لَقَوْمٌ يُؤْفِكُونَ» قولان: أحدهما: يؤفكون بالقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: يؤفكون بالله، قاله مقاتل. وقال الزجاج: مَنْ أيقن بتبين عدل الله في حكمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ» في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي ثابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذبح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله إن لي موالين من اليهود، وإنني أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطية العوفي<sup>(٥)</sup>. والثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفة من الناس أن يُدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بفلان اليهودي، فأخذ منه أماناً، أو أنهز معه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٦)</sup>، ومقاتل. قال الزجاج: لا تتولهم في الدين. وقال غيره: لا تستصروا بهم، ولا تستعينوا، «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» في العون والنصرة.

قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» فيه قولان: أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر. والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

﴿فَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَمَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالَّتِجِّ أَوْ آخَرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُضِلَّهُمْ عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَبْدِيلٌ﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: «فَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ» قال المفسرون: نزلت في المنافقين، ثم لهم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يعمرون<sup>(٨)</sup> المنافقين ويقرضونهم فيؤادونهم، فلما نزلت «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ» قال المنافقون: كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة وسعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وممن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعين: مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، قاله عطية العوفي. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مقاتل. والثاني: النفاق، قاله الزجاج. وفي قوله: «يسارعون فيهم» ثلاثة أقوال: أحدها: يسارعون في مولاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: في رضاهم،

(١) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقد جاءت آثار عن ابن عباس أن بني النضير وبني قريظة تحاكموا إلى النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ حملهم على الحق، وجعل الدية بينهم سواء. انظر «مسند أحمد» ١٤٥/٥، و«الطبري» ٣٢٧/١٠، و«ابن كثير» ٦٠/٢، و«الدر المنثور» ٢٨٤/٢.

(٢) روى البخاري ١٨٥/١٢ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

(٣) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقول عكرمة ذكره ابن جرير في «تفسيره» ٣٩٨/١٠.

(٤) ابن جرير ٣٩٥/١٠، وفيه عطية بن سعد العوفي، وصفه الحافظ في «التقريب» بقوله: صدوق يخطئ كثيراً، وأنه مدلس. وروى الطبري بمعنى أيضاً من طريق ابن إسحاق: حدثني والذي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد... وسنده حسن، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٠/٢، وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر. وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال: «نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله ﷺ فبرأت إليه من حلف يهود، وظاهرت رسول الله ﷺ والمسلمين عليهم».

(٥) «الطبري» ٣٩٧/١٠. وقوله «يدال عليهم الكفار»، الإدالة: الغلبة، يقال: أدبل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. ومنه حديث أبي سفيان، وهرقل: نُدال عليه ويُدال علينا، أي: تغلب مرة ويغلبنا أخرى.

(٦) أي: يجلبون لهم الطعام.



قاله ابن قتيبة. والثالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزجاج: وفي المراد «بالدائرة» قولان: أحدهما: الجذب والمجاعة، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: نخشى أن يدور علينا الدهر بمكرهه، يعنون الجذب، فلا يبايعونا، و[نمتار فيهم] فلا يبيعروننا. والثاني: انقلاب الدولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل. وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: فتح مكة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: فتح قرى اليهود، قاله الضحاك. والثالث: نصر النبي ﷺ على من خالفه، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: الفرج، قاله ابن قتيبة. وفي «الامر» أربعة أقوال: أحدها: إجلاء بني النضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الجزية، قاله السدي. والثالث: الخصب، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج. وفيما أسروا قولان: أحدهما: موالاتهم. والثاني: قولهم: لعل محمداً لا ينصر.

﴿وَقُولِ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ الْكِتَابِ أَتَمُوتُوا بِمَا جَاءَ مِنْكُمْ لَمَّا أَخَذْتُمُ الْمَالَ عَلَى مَعْنَى أَنْ يَقُولَ وَرَفَعَهُ الْبَاقُونَ، فَجَعَلُوا

الكلام مستأنفاً. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: يقول، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة. قال المفسرون: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جاداً في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك؟ فلما قُتِلَ قريظة، لم يُطَقْ أحدٌ من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حُصِدُوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يعنون المنافقين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان. وقال مقاتل: جهد أيمانهم: القسم بالله. وقال الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمْ لَمُتُّمْ﴾ على عدوكم ﴿حِطَّتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بنفاقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «يرتد»، بإدغام الدال الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين. قال الزجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سُكِّنَ مِنَ الْمُضَاعَفِ، ظهر التضعيف. فأما «يرتد» فادغمت الدال الأولى في الثانية، وحُرِّكَتِ الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين. قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي يقوم يُحِبُّهُمْ ويحبُّونه. وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن ﷺ، وقاتدة، والضحاك، وابن جريج. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره. والثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن، أيضاً. والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري، روى عياض الأشعري<sup>(١)</sup> أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» يعني: أبا موسى<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنهم أهل اليمن، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي. والسادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وَعَدَ فَأَتَى بِقَوْمٍ فِي زَمَنِ عَمْرٍ كَانُوا أَحْسَنَ مَوْقِعاً فِي الْإِسْلَامِ مَعَ اِرْتَد.

(١) عياض الأشعري: هو عياض بن عمرو الأشعري. مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ مسلماً، وروى عن أبي موسى وامرأة أبي موسى، وروى عنه الشعبي وسماك بن حرب. قال الحافظ: وروايته عن امرأة أبي موسى عند مسلم. مترجم في «التهذيب» ٢٠٢/٨، و«الإصابة» ٥٠/٣، و«التاريخ الكبير» للبخاري ١٩/٤.

(٢) ابن جرير ٤١٥/١٠، و«طبقات ابن سعد» ١٠٧/٤، والحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٣، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦/٧، وقال: رواه الطبراني في «معجمه» ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٢/٢ وزاد نسبه لابن أبي شيبه في «مسنده»، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْغُلظَةِ﴾ قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أهل رِقَّة على أهل دينهم، أهل غُلْظَةٍ على من خالفهم في دينهم. وقال الزجاج: معنى «أذلة»: جانبهم لئِن على المؤمنين، لا أنهم أذلاء. ﴿يَجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوْمَةً لَا تَكُونُ إِلَّا نَكْرَ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن الصحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوقيفه، فقال: ﴿ذَلِكَ نَقُولُ اللَّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محبتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ اللَّهُ رَسُولُكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَالزُّكُونَ وَالزُّكُونَ وَالزُّكُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُوَ الْقَبِيلُونَ (٥٥)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ اللَّهُ رَسُولُكُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاؤا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن قوماً قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبعُد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وأذن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله ﷺ فإذا مسكين يسأل الناس، فقال رسول الله ﷺ: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم. قال: «ماذا؟» قال: خاتم فضة. قال: «من أعطاك؟» قال: ذاك القائم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه وهو راکع، فقرا رسول الله ﷺ هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال مقاتل. وقال مجاهد: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راکع. والثاني: أن عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه اليهود نزلت هذه الآية في حقه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، قاله عكرمة. والرابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْذِنُ الزُّكُونَ وَهُمْ زَكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدق علي عليه السلام بخاتمه في ركوعه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن من شأنهم إيتاء الزكاة وفعل الركوع. وفي المراد بالركوع ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نفس الركوع على ما روى أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: إن الآية نزلت وهم في الركوع. والثاني: أنه صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه الخضوع والخشوع، وأنشدوا: لا تُذِلُّ الْفَقِيرَ عَظْمُكَ أَنْ تَرَى كَيْفَ يَوْمًا وَالْغُرْقُودُ رَقْعَةً<sup>(٤)</sup>

ذكره الماوردي. فأما «حزب الله» فقال الحسن: هم جند الله. وقال أبو عبيدة: أنصار الله<sup>(٥)</sup>. ثم فيهم قولان:

(١) قال ابن كثير في «التفسير» ٧٠/٢: وقوله ﷻ: ﴿يَجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوْمَةً لَا تَكُونُ إِلَّا نَكْرَ﴾ أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصددهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل. وروى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: «أمرني خليلي ﷺ بسبع: أمرني بحب المساكين والفقراء منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني، وأمرني أن أصل الرحم وإن أضررت، وأمرني ألا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأى، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنه من كنز تحت العرش». قلت: أخرجه أحمد في «المسنَد» ١٥٩/٥ وسنده حسن، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٦٥/٧، ونسبه للطبراني في «الصغير» والكبير، وقال: ورجاله رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر وهو ثقة، ورواه البزار.

(٢) روى ابن مردويه من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قلت: محمد بن السائب متروك، نقل الذهبي في «ميزان الاعتدال» عن البخاري أن يحيى وابن مهدي تركاه، وروى عنه عن سفيان قال: قال لي الكلبي: كل ما حدثك عن أبي صالح فهو كذب، وأبو صالح ضعيف، وخاصة فيما يروي عنه الكلبي. ولذلك قال ابن كثير رحمه الله: هذا إسناد لا يفرح به، ثم قال ابن كثير: ورواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدنا، وجهالة رجالها.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٧١/٢: وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة - أي جملة: وهم راكعون - في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْذِنُ الزُّكُونَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن تعلمه من أئمة الفتوى. ثم ساق الآثار الرواية في ذلك، وأبان عن عوارها.

(٤) قاله الأصبط بن قُرَيْب عن عوف بن كعب السعدي التميمي، شاعر جاهلي قديم، أمام قومه إليه، فانتقل عنهم إلى آخرين ففعلوا كالأولين، فقال: بكل واد بنو سعد. يعني: قومه. والبيت في «البيان والتبيين» ٣٤١/٣، والشعر والشعراء ٣٤٣/١، و«الأمالي» ١٠٧/١، و«حسانة ابن الشجري» ١٣٧، و«الحامسة البصرية» ١٣٤، و«زهر الآداب» ٥١٧/١، و«الأغانى» ٦٨/١٨، و«شواهد الغني» ٣٣٤/٤، و«شواهد السيوطي» ١٥٥. وقوله: لا تذلل روي: لا تُعَاد، وروي: لا تحقرن. وروي: لا تُهَيِّن، والأصل: لا تهينن الفقير حذفت النون الخفيفة لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة.

(٥) وأنشد أبو عبيدة في ذلك قول رؤبة:

فَكَيْفَ أَضْمَرُ وَيَلَالُ حَنْزَبِي

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عباس. والثاني: الأنصار، ذكره أبو سليمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمُ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ تَمِيمِينَ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ سبب نزولها: أن رفاعه بن زيد بن ثابت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرتا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يواؤونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. فأما اتخاذهم الذين هُزُوا ولعباً، فهو إظهارهم الإسلام، وإخفاؤهم الكفر، وتلاعيبهم بالدين. والذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، والكفار: عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة: «الكفار» بالتصبي على معنى: لا تتخذوا الكفار أولياء. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «الكفار» خفضاً، لقرب الكلام من العامل الجار<sup>(٢)</sup>، وأمال أبو عمرو الألف. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تولوهم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة، فقد خالفت في هذا الأذان الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت، وأسمج هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وقال السُّدِّي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذ سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرق الكاذب، فدخلت خادمه ذات ليلة بنارٍ وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله. والمناداة: هي الأذان، واتخاذهم إياها هزواً: تضاحكهم وتغامزهم ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكِتَابُ هَلْ تَعْقِلُونَ ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكِتَابُ هَلْ تَعْقِلُونَ﴾ سبب نزولها: أن نفرأ من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فذكر جميع الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم ديناً شراً من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عباس. وقرأ الحسن، والأعمش: «تَعْقِلُونَ» بفتح القاف. قال الزجاج: يقال: نَقَمْتُ على الرجل أَنْقَمَ، ونَقِمْتُ عليه أَنْقَمَ، والأول أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منا إلا إيماننا، وفسقكم، لأنكم علمتم أننا على حق، وأنكم فسقتم.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتُوهُ عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ اقْرَدَةً وَالْخَارِبَ وَعَدَّ الطَّلُوتُ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ قال المفسرون: سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دين أقل خطأً منكم في الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم. وفي قوله: ﴿بَشَرٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قاله ابن عباس. والثاني: بشرٌ مما نقمت من إيماننا، قاله الزجاج. فأما «المثوبة» فهي الثواب. قال الزجاج: وموضع «مَن» في قوله: «مَن لَعَنَهُ اللَّهُ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان خفضاً، فمن خفض جعله بدلاً من «شراً» فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فيأصمار «هو» كأن قائلأ قال: مَن ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله. قال وأبو صالح عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله. وروي عن ابن

هو في «ديوانه» ١٦ من أرجوزة يملح بها بلال بن أبي بردة، وأضوى: أضعف وأرق.

(١) ابن جرير الطبري: ٢٩١/١٠ ورجاله ثقات، خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) وتقدير الآية على هذه القراءة: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء.

(٣) عزاء السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٤/٢ لليهقي في «دلائل النبوة» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

عباس أن المسخّن من أصحاب السبت: مسخ شباههم قردة، ومشايخهم خنازير. وقال غيره: القردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى. وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظن أن هذه القردة والخنازير هي المسوخ بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْفَرْدَ وَالْمُنْثَى﴾ فدخل الألف واللام يدل على المعرفة، وعلى أنها القردة التي تعاین، ولو كان أراد شيئاً انقراض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصحّ حديث أم حبيبة في «المسوخ» فيكون كما قال عليه السلام. قلت أنا: وحديث أم حبيبة في «الصحيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممّا مُسِخ؟ فقال النبي ﷺ: «[إن الله] لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك»<sup>(١)</sup> وقد ذكرنا في سورة (البقرة) عن ابن عباس زيادة بيان ذلك، فلا يلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾<sup>(٢)</sup> فيها عشرون قراءة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكسائي: «وعبد» بفتح العين والباء والدال، ونصب تاء «الطَّاغُوتِ». وفيها وجهان. أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت. والثاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت. وقرأ حمزة: «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ» بفتح العين والدال، وضم الباء، وخفض تاء الطاغوت. قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعَلَ على فَعْل. وقال الزجاج: وجهها أن الاسم بني على «فَعْل» كما تقول: عَلِمَ زيد، ورجل حَذَرَ، أي: مبالغ في الحذر. فالمعنى: جعل منهم خَدَمَ الطاغوت ومن بلغ في طاعة الطاغوت الغاية<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، «وَعَبَدُوا» بفتح العين والباء، ورفع الدال على الجمع «الطاغوت». بالنصب. وقرأ ابن عباس، وابن أبي عبيدة: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال، إلا أنهم كسروا تاء «الطاغوت». قال الفراء: أرادوا «عبدة» فحذفوا الهاء<sup>(٤)</sup>. وقرأ أنس بن مالك: «وَعَبِدَ» بفتح العين والدال وياء بعد الباء وخفض تاء «الطاغوت». وقرأ أيوب، والأعمش: «وَعَبَدَ»، برفع العين ونصب الباء والدال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن السميع: «وعابد» باللف، مكسورة الباء، مفتوحة الدال، مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثاب: «وَعَبَدَ» برفع العين والباء وفتح الدال، مع كسر تاء الطاغوت. قال الزجاج: هو جمع عبيد، وَعَبَدَ مثل رَغِيف، ورَغُف، وسرير، وسُرُر، والمعنى: وجعل منهم عبيد الطاغوت. وقرأ أبو عمران الجوني، ومورق العجلي، والنخعي: «وَعَبِدَ» برفع العين وكسر الباء مخففة، وفتح الدال مع ضم تاء «الطاغوت». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وَعَبَدَ» بفتح العين والدال، وتشديد الباء مع نصب تاء الطاغوت. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وَعَبَدَ» بفتح العين والدال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء الطاغوت. وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ منصوبة بعد الدال «الطاغوت» باللف وواو وياء بعد الغين على الجمع. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «وَعَبَدَ» برفع العين وفتح الباء والدال مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطاغوت». وقرأ سعيد بن جبير، والشعبي: «وَعَبَدَ» مثل حمزة، إلا أنهما رفعوا تاء «الطاغوت». وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: «وَعَبَدَ» بفتح العين ورفع الباء والدال مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ أبو الأشهب العطاردی: «وَعَبَدَ» برفع العين وتسكين الباء، ونصب الدال، مع كسر تاء

(١) مسلم: ٢٥١/٤، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠/٥.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء ٢١٤/١: وأما قوله: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ» فإن تكن فيه لغة مثل: حَذَرَ وعَجَل فهو وجه، وإلا فإنه أراد - والله أعلم - قول الشاعر:

أَبْنِي أُبَيْيَسَى إِنْ أَمَحُّمَ      أُمَّةٌ وَإِنْ أَبَاكُمَ عُبُودُ

وهذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي، فأما في القراءة فلا. قلت: والبيت لأوس بن حجر، وهو في «ديوانه» ٢١، «والصالح»، «واللسان» و«التاج»: عبد. قلت: ورواه ابن سيده في «المختص» ٩٥/٣: «وإن أباكم وغب».

(٣) «معاني القرآن» ٣١٤/١، وفي الطبري ٤٤١/١٠: ولو قرئ ذلك «وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ» بالكسر كان له مخرج في العربية صحيح، وإن لم أستجز اليوم القراءة بها، إذ كانت قراءة الحجة من القراءة بخلافها. ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها: عبدة الطاغوت، ثم حذفت الهاء للإضافة كما قال الراجز: قام ولاها فسقوه صرخداً، يريد: قام ولاتها، فحذف التاء من «ولاتها» للإضافة. قلت: وصرخداً: موضع بالشام، من عمل حوران، تنسب إليه الخمر الجيدة.

«الطاغوت». وقرأ أبو السَّمَاك: «وَعَبْدَةٌ» بفتح العين والياء والدال وتاء في اللفظ بعد الدال مرفوعة مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ معاذ القارئ: «وعابد» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضم الدال. وقرأ أبو حيوة: «وَعَبَادَ» بتشديد الباء ويألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدال. وقرأ ابن حَزَلَم، وعمرو بن فائد: «وَعَبَادُ» مثل أبي حيوة إلا أن العين مفتوحة والدال مضمومة. وقد سبق ذكر «الطاغوت» في سورة (البقرة). وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام. والثاني: الشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ شِرْكٌ مِّمَّا﴾ أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكاناً من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا نعرف شراً منكم، قليل: من كان بهذه الصفة، فهو شرّ منهم.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَغْنَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ قال قتادة: هؤلاء ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيخبرونه أنهم مؤمنون بما جاء به، وهم متمسكون بضلاتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، فالكفر معهم في حالتهم، ﴿وَاللَّهُ أَغْنَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ من الكفر والنفاق.

﴿وَرَوَىٰ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ يُسَبِّحُونَ فِي الْآثِرِ وَالْعَدْوَنِ وَأَحْلَاهُمُ السَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصَلُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوَىٰ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، أي: يبادرون ﴿فِي الْآثِرِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المعاصي، قاله ابن عباس: والثاني: الكفر، قاله السدي. فأما العدوان فهو الظلم. وفي «السحت» ثلاثة أقوال: أحدها: الرشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين. والثالث: الربا.

﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَتَيْنَاهُمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ «لولا» بمعنى: «هلا» و«الرَّبَّانِيُّونَ» مذكورون في (آل عمران)، و«الأحبار» قد تقدم ذكرهم في هذه السورة. وهذه الآية من أشد الآيات على تاركي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذم. قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْقِي كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِذَا دُرِّجَتْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ مَا أَزِلَ إِلَيْكَ رِجْلٌ مِّنْهُمْ وَلَكِنَّ الْغُلَّةَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فتن خاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة. وقال مقاتل: فتن خاص وابن صلوبا<sup>(١)</sup>، وعازر بن أبي عازر. وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به كَفَّتْ عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة. والثالث: أن النصراني لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحاً، لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً. والمغلولة: الممسكة المنقبضة. وعن ماذا عَنُوا أنها ممسكة، فيه قولان: أحدهما: عن العطاء، قاله ابن عباس، وقاتدة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: ممسكة عن عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: غلت في جهنم، قاله الحسن. والثاني: أمسكت

عن الخير، قاله مقاتل. والثالث: جُعِلُوا بُخْلَاء، فهم أبخل قوم، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغل أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى: فغلت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله: ﴿كَتَبْتُ بِذَلِكَ آيٍ لِّهَبٍ﴾ [الهب: ١] وقوله: ﴿لَتَنَحْنَنَّ آلَ مَرْيَمَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ عَائِيَتٌ﴾ [الفتح: ٢٧]. وفي قوله: ﴿وَلِيُتْرِكَ مَا قَالُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أبعادوا من رحمة الله. والثاني: عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار. والثالث: مُسَخَّرُوا قردة وخنازير. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من لمن شيئاً لم يكن للجنة أهلاً رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله إياهم». قال الزجاج: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى «يد الله»: نعمته، وهذا خطأ ينقضه ﴿بَلْ يَذَّكُّ الْمُسْلِمِينَ﴾ فيكون المعنى على قولهم: نعمته، ونعم الله أكثر من أن تحصى. والمراد بقوله: بل «يَذَّكُّ الْمُسْلِمِينَ»: أنه جواد يتفق كيف يشاء<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري. قال ابن عباس: إن شاء وسَّع في الرزق، وإن شاء قَسَّر.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُذِكرَكَ كَيْدُ يَتِيمٍ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَافِقًا وَنُكْرًا﴾ قال الزجاج: كلما أنزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم. «والطغيان» هاهنا: الغلو في الكفر. وقال مقاتل: وليزيدن بني النضير ما أنزل إليك من ريك من أمر الرجم والذماء طغياناً وكفراً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُهُمُ الْفِتْنَةُ وَالْفِتْنَةُ﴾ فيمن عنى بهذا قولان: أحدهما: اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. فإن قيل: فأين ذكر النصارى؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ أَوْلِيَاءَ﴾. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ لَمُلَاقًا اللَّهُ﴾ ذكر لإيقاد النار مَثَلٌ ضَرْبٌ لاجتهادهم في المحاربة، وقيل: إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم. وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجُدِّ في حربهم، أوقدوا ناراً، وتحالفوا. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فزقههم الله. والثاني: كلما مكروا مكرأ رده الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بمحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزجاج. والثالث: بالكفر. والرابع: بالظلم، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآكُنْتُمْ مِنْ جَنْتِ النَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ بالله وبرسله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَالْآيَاتِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفُرُوا مِنْ تَوْفِيقِهِ وَفِي غَتِّ آيَاتِهِمْ أَنَّهُ مُفْتَصِّدَةٌ وَكَيْدٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَالْآيَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا بما فيها. وفيما أنزل إليهم من ربهم قولان: أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل. والثاني: القرآن، لأنهم لما خطبوا به، كان نازلاً إليهم.

قوله تعالى: ﴿لَأَكْفُرُوا مِنْ تَوْفِيقِهِ وَفِي غَتِّ آيَاتِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لأكلوا بقطر السماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقاتل. والثاني: أن المعنى: لو سَّع عليهم، كما يقال: فلان في خير من قرنه إلى

(١) روى البخاري ٢٦٥٠/٨، ٣٤٧/١٣، ومسلم ٦٩١/٢ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يغيثها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرايتكم ما أتفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغيث ما في يمينه». قال: وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفع ويخفض. وقال: يقول الله تعالى: اتَّقِ أَتَقِ عَالِيكَ». وقوله: سحاء، بفتح السين وتشديد الحاء، أي: دائم الصب والهطل بالمطاء. وقوله: لا يغيثها، أي: لا يتقصها. والليل والنهار: منصوبان على الظرف.

قدمه، ذكره الفراء، والزجاج. وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَرَزَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله تعالى: ﴿يَنْتَهُم أَنَّهُ مُتَّفِئِدَةٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس، ومجاهد. وقال القرطبي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله. و«الاقتصاد» الاعتدال في القول والعمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧)

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت على أسباب، روى الحسن أن النبي ﷺ قال: «لما بعثني الله برسالته، ضقت بها ذرعاً، وعرفت أن من الناس من يكذبني»، وكان رسول الله ﷺ، يهاب قريشاً واليهود والنصارى، فأنزل الله هذه الآية (١). وقال مجاهد: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «يا رب كيف أصنع؟ إنا أنا وحدي يجتمع علي الناس»، فأنزل الله ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى مَقَاتِلَ: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم جعلوا يستهزؤون به، فسكت عنهم، فحُضِرَ بهذه الآية. وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحرس فيرسل معه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه الآية، فقال: «يا حمّاه إن الله قد عصمني من الجن والإنس» (٢). وقال أبو هريرة: نزل رسول الله ﷺ ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، فقال: يا محمد من يمنعني منك؟ فقال: «الله»، فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى مَقَاتِلَ: قالت عائشة: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: «ألا رجلٌ صالح يحرسني الليلة»، فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «من هذا؟ فقال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطة، فنزلت ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى مَقَاتِلَ: فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة آدم وقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى» (٣). قال الزجاج: قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلغ جميع ما أنزل إليك، ولا تراقب أحداً، ولا تترك شيئاً منه مخافة أن ينالك مكروه، فإن تركت منه شيئاً، فما بلغت (٤). قال ابن قتيبة: يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى مَقَاتِلَ: وقال ابن عباس: إن كتبت آية فما بلغت رسالتي. وقال غيره: المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك جهراً، فإن أخفيت شيئاً منه لخوف أذى يلحقك، فكأنك ما بلغت شيئاً. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «رسالته» على التوحيد. وقرأ نافع «رسالاته» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِكَ مَا يَهْدَى مَقَاتِلَ: قال ابن قتيبة: أي: يمنعك منهم. وعصمة الله: منعه للعبد من المعاصي، ويقال: طعام لا يعصم، أي: لا يمنع من الجوع. فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسرت رباعيته، ويبلغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من أواخر ما نزل.

(١) نسه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣٩٨ لأبي الشيخ.

(٢) نقل ابن كثير في «التفسير» ٢/٧٨ عن ابن مردويه خبراً بمعناه عن جابر بن عبد الله، ثم قال: وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية، ثم أخرج عن ابن مردويه الحديث الذي ذكره المصنف، وقال: رواه الطبراني عن يعقوب بن خيلان العماني عن أبي كريب به، وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم.

(٣) الخبر في «موارد الظلماني» في زوائد ابن حبان، ٤٣، ونقله ابن كثير عن ابن مردويه وابن حبان. وفي سننه مؤمل بن إسماعيل المدودي وهو صدوق سيء الحفظ، وانظر ترجمته في «التهذيب» ١٠/٣٨٠.

(٤) الترمذي ٤/٩٦، والطبري ١٠/٤٦٩، والحاكم ٢/٣١٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد حسن الحافظ في «الفتح» إسناده.

(٥) روى البخاري ٨/٢٠٦، ومسلم ١/١٥٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة. والثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمْ أَلْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنَّكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَعَيْنًا وَّكَفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمْ أَلْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حق؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجمدتم ما فيها، فانا بريء من إحدائكم». فقالوا: نحن على الهدى، وناخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. فأما أهل الكتاب، فالمراد بهم اليهود والنصارى. وقوله: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لستم على شيء من الدين الحق حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وإقامتهما: العلم بما فيهما، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ. وفي الذي أنزل إليهم من ربهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في (البقرة). وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بينا هناك. فأما رفع «الصابئين» فذكر الزجاج عن البصريين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: «والصابئون» محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء. والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً، وأنشدوا:

وَالْأَفَاعِلُ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ وَأَنْتُمْ

المعنى: فاعلموا أنا بغية ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها. قال ابن عباس: كان فيمن كذبوا، محمد، وعيسى، وفيمن قتلوا، زكريا، ويحيى. قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود، والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختص اليهود.

﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوُونَ فَتَنَةً فَمَوُوا وَكُفُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَحُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصَوْرِهِمْ بِصِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوُونَ فَتَنَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تكون» بالنصب. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «تكون» بالرفع، ولم يختلفوا في رفع «فتنة». قال مكي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، وأضمر معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتأكيد، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتقدير: أنه لا تكون فتنة. ومن نصب جعل «أن» هي الناصبة للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنوا. ولو كان قبل «أن» فعل لا يصلح للشك، لم يجوز أن تكون إلا مخففة من الثقيلة، ولم يجوز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَنَّا بَرَزْنَا عَلَى رَءِيسِ مَا عَمِلُوا فَتَمُوتُ فَتَنَةً﴾ [المزمل: ٢٠] قال أبو علي: الأفعال ثلاثة: فعلٌ يدلُّ على ثبات الشيء واستقراره، نحو العلم واليقين، وفعلٌ يدلُّ على خلاف الثبات والاستقرار، وفعلٌ يجذب إلى هذا مرة، وإلى هذا أخرى، فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشورى: ٢٢] قال أبو علي: الأفعال ثلاثة: فعلٌ يدلُّ على ثبات الشيء واستقراره، وفعلٌ يجذب إلى هذا مرة، وإلى هذا أخرى، فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشورى: ٢٢]

(١) الليث لبشر بن أبي خازم من قصيدة يهجو بها أوس بن حارثة. وهو في «ديوانه» ١٦٥، وسيبويه ٢٩٠/١، وشواهد العيني ٢٧١/٢ وقيله:

إِذَا جَسَزْتَ نَوَاصِييَ أَكْ بَدْرٍ

فَادْوَهَا وَأَسْرَى فِي السَّوْثَاقِ

وقصة البيتين أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤا بني لأم من طيء، فأسرتهم طيء، وجزوا نواصيههم، وقالوا: منّا عليكم ولم تقتلكم، فغضب بنو فزارة، فانتصر لهم بشر للحلف الذي كان بينهم وبين بني أسد قومه. والمعنى: أدوا إلينا نواصي بني بدر، واحملوا معها أسرارهم، وإلا فإنّا وأنتم متعادون أبداً.

أَلَحُّ الْيَتِيمَ ﴿٢٥﴾ [النور: ٢٥] ﴿أَرَيْتُمْ إِنْ أَلَّهَ رَبِّي﴾ [المعلق: ١٤] وما كان على غير وجه الثبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده «أَنْ» الخفيفة، كقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَّكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَلِفَكُمْ أَلَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿فَخَشِيْتُمْ أَنْ يُرْفِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢] وما كان متردداً بين الحالين مثل حسبْتُ وظننت، فإنه يُجعل تارةً بمنزلة العلم، وتارةً بمنزلة أرجو وأطمع وكلتا القراءتين في ﴿وَحْيِيْتُمْ أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ قد جاء بها التنزيل. فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَعُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ [الحجرات: ٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْمُوتُوا﴾ [العنكبوت: ٤] ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُؤْتُوا﴾ [العنكبوت: ٢٢] ومثل مذهب مَنْ رفع: ﴿أَحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠] قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم، ولا يبتليهم بقتلهم الأنبياء، وتكذيبهم الرسل.

قوله تعالى: ﴿فَسَمُوا وَصَمُوا﴾ قال الزجاج: هذا مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا، ورأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل. وقال غيره: هو ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦٦]. والثاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمداً يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدّقوا، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ قولان: أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل. والثاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عمي وصم كثير منهم، كما تقول: جاءني قومك أكثرهم. قال ابن الأنباري: هذه الآية نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل أن يُبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً، وقدرُوا أن هذا الفعل لا يكون مؤيقاً لهم، وجانباً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحْيِيْتُمْ أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ أي: ظنوا ألا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصموا بمجانبة الحق. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عرّضهم للتوبة بأن أرسل محمداً ﷺ وإن لم يتوبوا، ثم عموا وصموا بعد بيان الحق بمحمد، كثير منهم، فخص بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلهم على خلاف رسول الله ﷺ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لَكُمْ قِبْلَةً تَقْبِلُونَهَا اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لَنَلْقَاهُ مِنْ عَدَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لَنَلْقَاهُ﴾ قال مجاهد: هم النصارى. قال وهب بن منبه: لما ولد عيسى لم يبق صنم إلا خرب لوجهه، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي ولد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة قد حفت بأمه، فليخلف عندي اثنان من مردتك. فلما أصبح، خرج بهما في صورة الرجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أب. فقال إبليس: ما هذا بشراً، ولكن الله أحب أن يتمثل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحب أن يتخذ ولدأ. وقال الثالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهاً في الأرض، فألحقوا هذا الكلام على السنة الناس، ثم تفرّقوا، فتكلم به الناس. وقال محمد بن كعب: لما رفع عيسى اجتمع منه من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة، فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما

بدا له، ثم صعد إلى السماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكفم والأبرص إلا الله. وقال الثاني: ليس كذلك، لأننا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أمه، ولكنه ابن الله. وقال الثالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أمه من عمل غير صالح. فقال الرابع: لقد قلتم قبيحاً، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته، فخرجوا، فاتبع كل رجل منهم عُنُقاً<sup>(١)</sup> من الناس. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن النصارى قالت: الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكل واحد منهم إله. وفي الآية إضممار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دل على المحذوف قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾. قال الزجاج: ومعنى ثالث ثلاثة: أنه أحد ثلاثة. ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ للتوكيد. والذين كفروا منهم، هم المقيمون على هذا القول. وقال ابن جرير: المعنى: ليمس الذين يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر يسلك سبيلهم، عذاب أليم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَجِيماً ۝٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ قال الفراء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩١].

﴿مَّا أَلْسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَشْرُ صِدْقَةٍ ۖ كَانَا يَکْذِبَانِ ۚ أَلَطَعَامُ أَظْلَرُ ۚ کَيْفَ بُنِیْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ ۚ أَلَمْ یُذْکَرُوا ۝٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا أَلْسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته. والمعنى: أنه ليس بإله، وإنما حكمه حكم من سبقه من الرسل. وفي قوله: ﴿وَأَشْرُ صِدْقَةٍ﴾ رد على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة. قال الزجاج: والصدقة: المبالغة في الصدق، وصدیق «فعل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلان سكت، أي: مبالغ في السكوت. وفي قوله: ﴿كَانَا يَکْذِبَانِ ۚ أَلَطَعَامُ أَظْلَرُ ۚ﴾ قولان: أحدهما: أنه بين أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يقيمه إلا أكل الطعام فليس بإله، قاله الزجاج. والثاني: أنه نُبّه بأكل الطعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لأكل الطعام من الحدث، قاله ابن قتيبة. قال: وقوله: ﴿أَنْظَرُ ۚ کَيْفَ بُنِیْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ من اللطف ما يكون من الكناية. و«يؤفكون»: يُصرفون عن الحق ويُعدّلون، يقال: أفك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه، وأرض مأفوك: محرومة المطر والنبات، كان ذلك صُرف عنها وعدل.

﴿قُلْ أَتُشْكِرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَيْئاً وَلَا نَفْعاً ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُشْكِرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى ابن مريم ما لا يملك لكم ضرراً في الدنيا، ولا نفعاً في الآخرة. والله هو السميع لقولهم: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، العليم بمقاتلتهم.

﴿قُلْ يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي رَبِّكُمُ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاكِهِ السَّبِيلِ ۝٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ﴾ قال مقاتل: هم نصارى نجران. والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا غير الحق في عيسى. وقد يتنا معنى «الغلو» في آخر سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال أبو سليمان: من قبل أن تضلوا. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم رؤساء الضلالة من اليهود. والثاني: رؤساء اليهود والنصارى. والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبينا ﷺ نُهَر أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

﴿لَمِيسَ الْإِنِّ كَقَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنَاتِ إِتْرَافِيلَ﴾ في لعنهم قولان: أحدهما: أنه نفس اللعن، ومعناه: المباحدة من الرحمة. قال ابن عباس: لُعِنُوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى في الإنجيل. قال الزجاج: وجاز أن يكون داود وعيسى أغليماً أن محمداً نبي، ولعنوا من كفر به. والثاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى، فصاروا خنازير. وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية، فمسخوا قردة. ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا؛ قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَمَّا عَصَا﴾ أي: ذلك اللعن بمصعبتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره ونهيه، وباعتدائهم في مجاوزة ما حذره لهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ التناهي: تفاعل من النهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر. وذكر المفسرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال: أحدها: صيد السمك يوم السبت. والثاني: أخذ الرشوة في الحكم. والثالث: أكل الربا، وأثمان الشحوم. وذكر المنكر منكرًا يدل على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدل على ما قلنا، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريبه، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال الزجاج: اللآم دخلت للقسم والتوكيد، والمعنى: لبئس شيئاً فعلهم.

﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْا الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ رَوَى كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَمَا أَتَىكَ إِلَهٌ مَا أَتَدْرَهُمْ أَوَّلِيَّةً وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين، فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَيِّئُونَ فِيهِمْ﴾. وفي الذين كفروا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأول. والثاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب هذا القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: بشما قدموا لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «أن» في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَرَقْنَاهُ ذَلِكَ بَيْنَ مَنْهُمْ قَبِيلَيْنِ وَهُمْ بَنَاتُ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ زَكَرَ أَعْيُنُهُمْ تَوَيْضٌ مِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاجْعَلْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه. قال سعيد بن جبير: بعث النجاشي قوماً إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها<sup>(٢)</sup>، وسنذكر قصتهم فيما بعد. قال الزجاج: واللام في «لتجدن» لام القسم، والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال، و«عداوة» منصوب على التمييز، واليهود ظاهرها المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ.

(١) أحمد ٥/٢٦٨، وأبو داود ٤/١٧٢، والترمذي ٤/٩٧، وابن ماجه ٢/١٣٢٧، وابن جرير ١٠/٤٩٢ عن عبد الله بن مسعود ؓ. قال المنطري: وأبو عبيدة لم يسع من آية فهو منقطع.

(٢) اختار الإمام أبو جعفر الطبري أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان. فأما الذين قالوا: إنا نصارى، فهل هذا عام في كل النصرى، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصرى كانوا متمسكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد ﷺ أسلموا، قاله قتادة. والقول الثاني: أنه عام. قال الزجاج: يجوز أن يراد به النصرى، لأنهم كانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ قال الزجاج: «القس» و«القسيس»: من رؤساء النصرى. وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما «الرهبان» فهم العباد أرباب الصوامع. قال ابن فارس: الترقب: التعبد، فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين وزهباناً، وليس ذلك من أمر شريعتنا؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ. قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصرى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح من آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصرى أقبح من مقالة اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَتَكَبَّرُونَ﴾، أي: لا يتكبرون عن اتباع الحق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ يَقُولُونَ﴾ قال ابن عباس: لما حضر أصحاب النبي ﷺ بين يدي النجاشي، وقرؤوا القرآن، سمع ذلك القسيسون والرهبان، فأنحدت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُنَادُوا بِالنَّبِيِّ﴾. وقال سعيد بن جبير: بعث النجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقوا، وقالوا: نعرف الله، وأسلموا، وذهبوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ يَقُولُونَ﴾.. الآية. وقال السدي: كانوا اثني عشر رجلاً؛ سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم.

قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي: مع من يشهد بالحق. وللمفسرين في المراد بالشاهدين هاهنا أربعة أقوال: أحدها: محمد وأمه، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن. والرابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٤ ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّتْ جَنَّتِي مَحْمُودٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٥ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٨٦

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: لا مهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا. وفي القوم الصالحين ثلاثة أقوال: أحدها: أصحاب رسول الله، قاله ابن عباس. والثاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد. والثالث: المهاجرون الأولون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: ثواب المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا ظَنَيبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا بِكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَتِينَ﴾ ٨٧ ﴿وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأَ بِهِ مُؤْمُسُكُمْ﴾ ٨٨

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا ظَنَيبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرّموا اللحم والنساء على أنفسهم، وأرادوا جبّ أنفسهم ليتفرغوا للعبادة، فقال رسول الله: «لم أؤمر بذلك»، ونزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى أبو صالح عن ابن عباس: قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواتفوا على

ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال السدي: كان سبب عزيمهم على ذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فلم يزدهم على التخويف، فرق الناس، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه. وقال عكرمة: إن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالم مولى أبي حذيفة في أصحابه، تبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح<sup>(٢)</sup> وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاص، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللحم، أقبلت على النساء، وإنني حرمت علي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن ضيفاً نزل بعد الله بن راحة، ولم يكن حاضراً، فلما جاء، قال لزوجته: هل أكل الضيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك علي حرام. فقالت: وهو علي حرام إن لم تأكله، فقال الضيف: وهو علي حرام إن لم تأكلوه، فلما رأى ذلك ابن راحة قال: قربي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال: أحسنت، ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ رواه عبد الرحمن بن زيد عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما «الطيبات» فهي اللذيزات التي تشتهيها النفوس مما أبيح. وفي قوله: «ولا تعتدوا» خمسة أقوال: أحدها: لا تجبوا أنفسكم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن. والثالث: لا تسبوا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة. والرابع: لا تحرموا الحلال، قاله مقاتل. والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرمة، ذكره الماوردي.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قُصِيَامًا تِلْكَ آيَاتُ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ آيَاتِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا آيَاتَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد سبق ذكر «اللفو» في سورة (البقرة).

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «عقدتم» بغير ألف، مشددة القاف. قال أبو عمرو: معناها: وكدمت. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «عقدتم» خفيفة بغير ألف، واختارها أبو عبيد. قال ابن جرير: معناه: أوجمتوها على أنفسكم. وقر ابن عامر: «عاهدتم» بألف، مثل «عاهدتم». قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشددة لا تحتل إلا عقد قول. فأما المخففة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول. وذكر المفسرون في معنى الكلام قولين: أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم في التعمد لليمين، قاله مجاهد. والثاني: بما عقدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿فَكَفَرْتُمْهُ﴾ قال ابن جرير: الهاء عائدة على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾

## فصل

فأما إطعام المساكين، فروى عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن في آخرين: أن لكل مسكين

(١) ابن جرير ٥١٩/١٠ عن عكرمة بمعناه، وخرجه السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) المسوح: جمع مسح بكسر فسكون: وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان.

(٣) الترمذي ٩٧/٤، وابن جرير ٥٢٠/١٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى البخاري ٢٠٧/٨ عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ، وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نخصي؟ فهناك عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا نِكَاحَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

(٤) ابن جرير ٥١٩/١٠، وزاد السيوطي في «الدر المثلث» نسبه إلى ابن أبي حاتم.

مَذْبُورٌ، وبه قال مالك، والشافعي. وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، قال عمر، وعائشة: أو صاعاً من تمر، وبه قال أبو حنيفة. ومذهب أصحابنا في جميع الكفارات التي فيها إطعام، مثل كفارة اليمين، والظهار، وفدية الأذى، والمفردة في قضاء رمضان، مَذْبُورٌ، أو نصف صاع تمر أو شعير. ومن شرط صحة الكفارة، تملك الطعام للفقراء، فإن غداهم وعشاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جبير، والحكم، والشافعي. وقال الثوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك. ولا يجوز صرف مدين إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفارة، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز. قال الزجاج: وإنما وقع لفظ التذكير في المساكين، ولو كانوا إنثاءً لأجزأ، لأن المغلب في كلام العرب التذكير. وفي قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِئِنُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قولان: أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عباس، ومجاهد. والثاني: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، الحسن، وابن سيرين. وروي عن ابن عباس قال: كان أهل المدينة [يقولون]: للحر من القوت أكثر مما للمملوك، وللكبير أكثر ما للصغير، فنزلت ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِئِنُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسه. وفي كسوتهم خمسة أقوال: أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، والشافعي. والثاني: ثوبان، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيب، والحسن، وابن سيرين، والضحاك. والثالث: إزار ورداء وقيص، قاله ابن عمر. والرابع: ثوب جامع كالمحفة، قاله إبراهيم النخعي. والخامس: كسوة تجزئ فيها الصلاة، قاله مالك. ومذهب أصحابنا: أنه إن كسا الرجل، كساه ثوباً، والمرأة ثوبين، درعاً وخماراً، وهو أدنى ما تُجزئ فيه الصلاة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر: «أو كسوتهم»، بضم الكاف. وقد قرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ<sup>(١)</sup>: «أو كاسوتهم» بهجمة مكسورة، مفتوحة الكاف، مكسورة التاء والهاء. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنهما فتحا الهمزة. قال المصنف: ولا أرى هذه القراءة جائزة، لأنها تسقط أصلاً من أصول الكفارة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَبَّةٍ﴾ تحريرها: عتقها، والمراد بالربة: جملة الشخص. واتفقوا على اشتراط إيمان الربة في كفارة القتل لموضع النص. واختلَفوا في إيمان الربة المذكورة في هذه الكفارة على قولين: أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيّد. والثاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد رضي الله عنه في إيمان الربة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع، والمنذورة، روايتان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَرَّ يَحْدُ﴾ اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال: أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن. والثاني: ثلاثة درهم، قاله سعيد بن جبير. والثالث: إذا لم يجد إلا قَدْرَ ما يكفّر به، صام، قاله قتادة. والرابع: مئتي درهم، قاله أبو حنيفة. والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته يومه وليلته، قاله أحمد، والشافعي. وفي تنابع الثلاثة أيام، قولان: أحدهما: أنه شرط، وكان أبي، وابن مسعود يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، وقتادة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا. والثاني: ليس بشرط، ويجوز التفريق، وبه قال الحسن، ومالك، وللشافعي فيه قولان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَثْرَةُ آيَاتِنَا عَلَيْكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتُم وحشتم. وفي قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أقلّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ وأنشدوا:

قَلِيلَ الْأَيَّامِ حَافِظَ لِيَمِينِهِ<sup>(٢)</sup>

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها. والثالث: راعوها لكي تؤدّوا الكفارة عند الحنث فيها.

(١) هو معاذ بن الحارث أبو الحارث، ويقال: أبو حليمة، الأنصاري المدني المعروف بالقارئ. روى عنه نافع وابن سيرين، وحدث عنه نافع مولى ابن عمر، توفي بالحرّة سنة ثلاث وستين، وهو ابن سبع وستين. «طبقات القراء» لابن الجزري ٣٠١/٢.

(٢) وتامه: وإن سبقت منه الآية برت. والبيت لكثير عزة. «ديوانه» ٢٢٠/٢، «اللسان»: مادة «ألي»، ولم ينسبه.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن سعد بن أبي وقاص أتى نفراً من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تحرم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجلٌ لحي<sup>(١)</sup> جمل فضربه، فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه<sup>(٢)</sup>. وقال سعيد بن جبيرة: صنع رجل من الأنصار صنيعاً، فدعا سعد بن أبي وقاص، فلما أخذت فيهم الخمرة افتخروا واستبوا، فقام الأنصاري إلى لحي بعير، فضرب به رأس سعد، فإذا الدم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النبي ﷺ، فنزل تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾. والثاني: أن عمر بن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في (البقرة) فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في النساء ﴿لَا تَقْرَبُوا السَّكَارَةَ وَأَنْتُمْ مُكْرَهُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو مسرة عن عمر<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن أناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثملوا عث بعضهم ببعض، فلما صَحَّوْا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!! والله لو كان بي رؤوفاً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرنا الخمر والميسر في (البقرة)، وذكرنا في «النصب» في أول هذه السورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب. وذكرنا هناك «الأزلام». فأما الرَجَس، فقال الزجاج: هو اسمٌ لكل ما استُفْذِرَ من عمل، يقال: رَجَسَ الرَّجُلُ يَرْجُسُ، وَرَجَسَ يَرْجَسُ: إذا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجَسُ بفتح الراء: شدة الصوت، فكان الرُّجَسُ، العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رعد رجاس: إذا كان شديد الصوت.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾ قال ابن عباس: من تزين الشيطان. فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس من فعله؟ فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، المَزِين له، ألا ترى أن رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾ قال الزجاج: اتركوه. واشتقاقه في اللغة: كونوا جانباً منه. فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوها؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرَجَس، والرَجَس واقع على الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه، ذكره ابن الأنباري.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَكِينًا مِّمَّا فَتَنُوا ۚ وَنُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَمَمَانًا مِّنَ الْغَمِّ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ وَلَئِنْ لَّمْ يَرَوْا فِيكُم مَّا تُوعَدُونَ لَيَأْخُذَنَّ بِكُمُ الْعَذَابُ ۚ﴾ أما «الخمر» فوقع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والممارسة. وأما الميسر، فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيَقْمَرُ ويبقى حزناً سلباً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء.

(١) لحي الجمل، بفتح اللام وسكون الحاء، وهما لحيان، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

(٢) ابن جرير ٥٦٩/١٠، والمسنند ٨٢/٣، ومسلم ١٨٧٧/٤، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، و«التاسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس ٤٠.

(٣) لم نجد هذا الخبر عن سعيد بن جبيرة في شيء من المراجع التي بين أيدينا.

(٤) «المسنند» ٣١٦/١، و«مسند أبي داود» ٤٤٤/٣، و«مسند النسائي» ٢٨٦/٨، والترمذي ٩٨/٤، والطبري ٥٦٦/١٠، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، و«التاسخ والمنسوخ» للنحاس: ٣٩. ونقل الحافظ في «الفتح» وابن كثير في «التفسير» تصحيحه عن علي بن المديني والترمذي.

(٥) ابن جرير ٥٧١/١٠، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ١٤١/٤، قال الذهبي: قلت: صحيح على شرط مسلم. وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه: الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: رد علي أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى: الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: لم يحرمها، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم تنته، فلما نزلت ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَبَاطِنَ الْأَيْمِ﴾ [الأعراف: ٣٣] حُرِّمَتْ، لأن «الإثم» اسم للخمر. وهذا القول ليس بشيء والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمركم، واحذروا خلافهما ﴿كَانَ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَّمَ رَسُولُكُمْ﴾ محمد ﴿الْبَلَّغُ الْبَيْنِ﴾ وهذا وعيد لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققتم العذاب لتوليكم. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُبَيِّنُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حُرِّمَتْ، قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. و«الجناح»: الإثم. وفيما طعموا ثلاثة أقوال: أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خبزاً وأدماء ولا ماءً ولا نوماً. قال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم  
وإن شئت لم أطعم نفاقاً ولا برداً<sup>(٢)</sup>

النفاق: الماء [البارد] الذي ينقخ الفؤاد ببرده، والبرد: النوم. والثاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر. والثالث: ما طعموا من المباحات. وفي قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوا بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا المعاصي والشرك. والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره. وفي قوله: ﴿وَأَمَنُوا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله ورسوله. والثاني: آمنوا بتحريمها. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال: أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ. والثاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم. والثالث: أنها الدوام على التقوى. والرابع: أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم، والثانية لمن شربها بعد التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَنُوا﴾ في هذا الإيمان المُعَاد قولان: أحدهما: صدقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ. والثاني: آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال: أحدها: اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا ظلم العباد. والثالث: توقوا الشبهات. والرابع: اتقوا جميع المحرمات. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ إِلَٰهٌ مَن دُونِ اللَّهِ يُدْعَىٰ تِلْكَ أَلِفَاتٌ يُدْعَىٰ بِهَا آلِهَتُهُمْ وَمَا هُمْ بِإِلَٰهٍ إِلَّا خَلْقٌ مِّمَّنْ خَلَقَ أَشْهَرُهُمْ يُدْعَىٰ بِهِ الْبَاطِلُ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) «مسند الطيالسي» ١٨/٢، والطبري ٥٧٩/١٠، والترمذي ٩٨/٤، وهذا حديث حسن صحيح. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٠/٢ وزاد نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وروى البخاري ٢٠٩/٨، ومسلم ١٤٨/١٣، والنسائي ٢٨٧/٨ عن أنس ﷺ قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت، فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حُرِّمَتْ، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة، قال: وكانت غمرهم يرمونها في الضيق، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾. وروى أحمد ٢٤١/٤ بسند حسن عن ابن عباس قال: لما حُرِّمَتْ الخمر قال أناس: يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾.

(٢) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«اللسان» مادة: نفع.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا اللَّهَ يَغْتَوِيَنَّ مِنَ الْغَيْبِ﴾ قال المفسرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النبي ﷺ بالتَّعْمِيمِ<sup>(١)</sup>، كانت الوحوش والطير تغشاهم في رحالهم، وهم مُحْرَمُونَ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، ونهوا عنها ابتلاء. قال الزجاج: اللام في «ليبلونكم» لام القسم، ومعناه: لنختبرن طاعتكم من معصيتكم. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها للتعويض، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه عنى صيد البر دون صيد البحر. والثاني: أن عنى الصيد ما داموا في الإحرام كأن ذلك بعض الصيد. والثاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَأَجْعَلُوا آلَ يَحْيَىٰ مِنَ الْآلِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَمِمَّا حَرَّمَ﴾ قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصيد، والذي تناله الرماح: كبار الصيد.

قوله تعالى: ﴿يَقْتُلْهُ اللَّهُ﴾ قال مقاتل: ليرى الله من يخافه بالغيب ولم يره، فلا يتناول الصيد وهو مُحْرَمٌ ﴿فَنَ قَتَلَ﴾ فأخذ الصيد عمداً بعد النهي للمُحْرَمِ عن قتل الصيد ﴿فَلَمْ يَدْعُوا بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يوسع بطنه وظهره جلدًا، وتسلب ثيابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَ تِلْكَ بِسَكِينٍ أَوْ عَدَلٍ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَعَلَىٰ أَرْسِهِ مِمَّا آثَرَ اللَّهُ عَلَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُصْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ بين الله ﷻ بهذه الآية من أي وجوه تقع البلوى، وفي أي زمان، وما على من قتله بعد النهي؟. وفي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: وأنتم محرمون بحج أو عمرة، قاله الأكثرون. والثاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجدًا. والثالث: الجمع بين القولين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعَمَّدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يتعمد قتله ذاكراً لإحرامه، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتعمد قتله ناسياً لإحرامه، قاله مجاهد. فاما قتله خطأ، ففيه قولان: أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور. قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السُّنة في الخطأ، يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمد في جوب الجزاء. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الضبع صيد وفيه كبش إذا قتله المحرم»<sup>(٤)</sup> وهذا عام في العمد والمخطئ.

قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختص ذلك بالعمد. والثاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداد. وعن أحمد روايتان: أصحهما الوجوب.

قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاء ومثل» مضافة وبخفض «مثل». وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «فجزاء» منون «مثل» مرفوع. قال أبو علي: من أضاف، فقوله: ﴿وَمِنْ النَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، وإنما قال: مثل ما قتل، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أكرمُ مثلك، يريدون: أنا أكرمك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول، والتقدير: فعليه جزاء. قال ابن قتيبة: النعم: الإبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإبل. وقال الزجاج: النعم في اللغة: الإبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نعم، وإن انفردت البقر والغنم، لم تسم نعمًا.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: والصيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللحم، كالغزال، وحمار الوحش،

(١) التعميم: موضع بين مَرْ وِصَف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التعميم يحرم من أراد العمرة.

(٢) نسبة السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣٢٧ إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٣) أبو داود ٣/٤٨٥، وابن ماجه ٢/١٠٣٠، والدارقطني ١/٢٦٦، والبيهقي ٥/١٨٣، والحاكم ١/٤٥٢، ٤٥٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. ورواه النسائي ٥/١٩١، والترمذي ١/١٠٤، ولفظه عن ابن أبي عمير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع، فأمرني بأكليها. قلت: أصيد هي؟ قال: نعم. قلت: أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال في «علله الكبير»: سألت عنه البخاري فصحه، وقال البيهقي: هو حديث جيد تقوم به الحجة.

والنعامة، ونحو ذلك، أو كان متولداً من حيوان يؤكل لحمه، كالسمع، فإنه متولد من الضبع والذئب، وما عدا ذلك من السباع كلها فلا جزاء على قاتلها؛ سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه، فقتلها دفعاً عن نفسه، لأن السبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية، ولأن النبي ﷺ أجاز للمحرم قتل الحية، والعقرب، والفوسقة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسبع العادي<sup>(١)</sup>. قال: والواجب بقتل الصيد فيما له مثل من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة، وظاهر الآية يرد ما قال، ولأن الصحابة حملوا الآية على المثل من طريق الصورة، فقال ابن عباس: المثل النظير، ففي الظبية شاة، وفي النعامة بغير.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهِ دَأْوُ عَدُوِّكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

قوله تعالى: ﴿وَنُكْمٌ﴾ يعني: من أهل ملكتكم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلِغُ الْكَيْبَةِ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدراً أن يهدي. ولفظ قوله «بالغ الكيبة» لفظ معرفة، ومعناه: التكرة. والمعنى: بالغاً الكيبة، إلا أن التنوين حُذف استخفافاً. قال ابن عباس: إذا أتى مكة ذبحه، وتصدق به.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ منوناً ﴿طَعَامٌ﴾ رفعاً. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ رفعاً غير منون «طعام مساكين» على الإضافة. قال أبو علي: من رفع ولم يصف، جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان، لأن الطعام هو الكفارة، ولم يصف الكفارة إلى الطعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطعام، فلأنه لما خير المكفر بين الهدى، والطعام، والصيام، جازت الإضافة لذلك، فكانه قال: كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعام مساكين. وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظير، أو قيمة الصيد؟ فيه قولان: أحدهما: قيمة النظير، وبه قال عطاء، والشافعي، وأحمد. والثاني: قيمة الصيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك. وفي قدر الإطعام لكل مسكين قولان: أحدهما: مذان من بُرٍّ، وبه قال ابن عباس، وأبو حنيفة. والثاني: مُدٌّ برٍّ، وبه قال الشافعي، وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكُمْ﴾ قرأ أبو رزين، والضحاك، وقاتدة، والجحدري، وطلحة: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ بكسر العين. وقد شرحنا هذا المعنى في (البقرة). قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدٍّ برٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يوماً. وقال أبو حنيفة: يصوم يوماً عن نصف صاع في الجميع. وقال مالك، والشافعي: يصوم يوماً عن كل مُدٍّ من الجميع.

## فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب، أم على التخيير؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير، وبين الصيام، وبين الإطعام. والثاني: أنه على الترتيب، إن لم يجد الهدى، اشترى طعاماً، فإن كان معسراً صام، قاله ابن سيرين. والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال جمهور الفقهاء.

(١) روى البخاري ٣٠/٤، ومسلم ٨٥٧/٢، والترمذي ١٠٣/١، والنسائي ١٨٨/٥، وابن ماجه ١٠٣١/٢ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يقتلن في الحرم، والفارة، والمقرب، والغراب، والحدأة، والكلب العقور». ورواه البخاري ومسلم عن طريق ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: المقرب، والفارة، والكلب العقور، والغراب، والحدأة» وقول المصنف «الفوسقة» يريد بها الفارة، وقد وردت اللفظة في البخاري من حديث جابر. وقوله: «السبع العادي» هو قطعة من حديث، قال الحفاظ في «التلخيص» ٢٢٤/١: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في حديث. وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف وإن حسنه الترمذي، وفيه لفظة منكورة وهي قوله: «ويومي الغراب ولا يقتله». وأما الحية، فقد روى مسلم ٨٥٦/٢ عن عائشة مرفوعاً «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأفع، والفارة، والكلب العقور، والحدأة». وروى مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ أمر بقتل حية وهو بنى.

قوله تعالى: ﴿لَيْدُونَ وَيَاكَ أَسْرُوبُ﴾ أي: جزاء ذنبه. قال الزجاج: «الوبال»: ثقل الشيء في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيل: إذا كانا ثقلين. قال الله ﷻ: ﴿فَأَعْذَنَّهُ أَهْذًا وَيَاكَ﴾ [الزلزل: ١٦] أي: ثقيلاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما سلف في الجاهلية، من قتلهم الصيد، وهم محرمون، قاله عطاء. والثاني: ما سلف من قتل الصيد في أول مرة، حكاه ابن جرير، والأول أصح. فعلى القول الأول يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام، وعلى الثاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى. قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
قوله تعالى: ﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة، وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد. وقد روي عن ابن عباس، والنخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثاني، إنما وعد بالانتقام.

﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ وَمِمَّا عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال أحمد: يؤكل كل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح، لأن التمساح يأكل الناس يعني: أنه يَفْرُسُ. وقال أبو حنيفة، والثوري: لا يباح منه إلا السمك. وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كل ما فيه من ضفدع وغيره. فأما طعامه، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما نبذه البحر ميتاً، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة. والثاني: أنه مليحة<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والسدي. وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين. واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المilih وما لفظه. والثالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البرّ، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بائه، حكاه الزجاج. وفي المتاع قولان: أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنه الحل، قاله النخعي. قال مقاتل: متاعاً لكم، يعني: المقيمين، وللسيارة، يعني: المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أما الاصطيد، فمحرم على المحرم، فإن صيد لأجله، حُرْم عليه أكله خلافاً لأبي حنيفة، فإن أكل فعلية الضمان خلافاً لأحد قولي الشافعي. فإن ذبح المُحرّم صيداً، فهو ميتة خلافاً لأحد قولي الشافعي أيضاً. فإن ذبح الحلال صيداً في الحرم، فهو ميتة أيضاً، خلافاً لأكثر الحنفيّة.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ فَيَكُنْ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ ذَلِكَ يُسَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسَلِّمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفِي عَنْهُمْ عَلَيْهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ جعل بمعنى: صيّر. وفي تسمية الكعبة كعبة قولان: أحدهما: لأنها مربعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثاني: لعلوها وتوثقها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب: إذا تتأ ثديها. ومعنى تسمية البيت بأنه حرام: أنه حُرْم بصاد عنده، وأن يختلئ ما عنده من الخلا، وأن يُعَصَّدَ شجره<sup>(٣)</sup>، وعظمت حرمة. والمراد بتحريم

(١) البيت لقعب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه: ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو من جملة أبيات قالها في أناس من قومه، كانوا يناصبونه العداوة، ويتبعون عثراته، ويشهرونها في الناس. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ١٧٧، و«الحماسة» ٣/ ١٤٥٠، و«السمطة» ١/ ٣٦٢، و«الانقباض» ٢٩٢، و«شواهد المغني» للسيوطي: ٣٢٦، و«شرح المصنوع» ٤٧٠، و«اللسان»: أذن. ورواية الشطر الثاني في المراجع التي ذكرت آنفاً عدا «مجاز القرآن»:

مَنْ يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وبعد البيت:

وإن ذكرت بشراً عندهم أذنبوا

صمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به

لبست الخلتان الجهل والجبن

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم

(٢) المilih: على وزن فيل: هو المملح، يقال: سمك مilih ومملح ومملّح.

(٣) روى البخاري ٤٠/ ٤ عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ولا يختلئ خلاها، ولا يعصّد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف»، قال المباس: يا رسول الله إلا الأذخر لصاغتاً =

البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَلَدُ الْكَمَةِ﴾ وأراد: الحرم<sup>(١)</sup>. والقيام: بمعنى القوام. وقرأ ابن عامر: قيماً بغير ألف. قال أبو علي: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدراً، كالشيع، أو حذف الألف وهو يريد بها، كما يقصر الممدود. وفي معنى الكلام ستة أقوال: أحدها: قياماً للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: قياماً لأمر من توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس. قال قتادة: كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها، لم يُتناول، ولم يُقَرَّب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام، لم يعرض له ولم يقربه، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر، فأحمته ومنعته من الناس، كان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من إحاء السَّمَر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله. حواجز ألَّفها الله بين الناس في الجاهلية<sup>(٢)</sup>. والثالث: قياماً لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستقبلت، قاله الحسن. والرابع: قوام دنيا وقوام دين، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>. والخامس: قياماً للناس: أي: مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزجاج. والسادس: قياماً لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها، ذكره بعض المفسرين. فأما الشهر الحرام، فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضاً فيها، فكان ذلك قواماً لهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً أو قلد بعيه أمر كيف تصرف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَسْلُوَا﴾ ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأكم به عن الله يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا تخفى عليه خافية. والثاني: أن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها، وتأخذ الأموال بغير حقها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشهر الحرام، كفُّوا عن القتل. والمعنى: جعل الله الكعبة أمناً، والشهر الحرام أمناً، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتاً يزول فيه الخوف لهلكوا، فذلك يدل على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والثالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكة في الشهور المعلومه فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلوا بذلك على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والرابع: أن الله تعالى جعل مكة أمناً، وكذلك الشهر الحرام، فإذا دخل الطيبي الوحشي الحرم، أنس بالناس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب، فإذا خرجا عن حدود الحرم، طلبه الكلب، ودُغِر هو منه، والطيَّار يأنس بالناس في الحرم، ولا يزال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا قرب منه عدل عنه، ولم يطر فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجَّع طرح نفسه على سقف البيت استشفاء به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشهر قد دللنا على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَدُونُ وَمَا تَكْشُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُهُ﴾ في هذه الآية تهديد شديد. وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شريح بن ضبيعة وأصحابه، وهم حجاج اليمامة حين هم المسلمون بالغارة عليه، وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وقبورنا. قال: «إلا الإذخر» قال الحافظ: وقوله: «ولا يخطئ غلاماً» بالخاء المعجمة، والخلئ: مقصور، وذكر ابن التين أنه وقع في رواية القاسبي بالمد، وهو الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه. وقوله «لا يعضد» أي: لا يقطع. قوله «الإذخر» هو نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح، له أصل متدفن، وقفيان دقاق، ينبت في السهل والحرث، وأهل مكة يسقون به البيوت بين الخشب، ويسدون الخلل بين اللبنة في القبور، ويستعملونه بدلاً من الحلفاء في الوعود.

(١) حد حرم مكة، من طريق المدينة: ثلاثة أميال عند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت نزار، وهي دون التعيم، ويعرف الآن بمساجد عائشة. وحده من طريق اليمن: سبعة أميال عند أضاة لبن. وحده من طريق العراق: سبعة أميال على ثنية خل بالمقطع. وحده من الجعرانة: تسعة أميال في شعب عبد الله بن خالد، وحده من طريق جدة: عشرة أميال عند منقطع الأعشاش. وحده من طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة: سبعة أميال عند طرف عرفة، وحده من بطن عرفة: أحد عشر ميلاً. عن «مفيد الأنام» ٢٥٥/١.

(٢) الخبر في الطبري ٩٣/١١، والزيادة منه.

(٣) الذي في «مجاز القرآن» ١٧٧/١: «جعل الله البيت الحرام قياماً للناس» أي: قواماً. وقال حميد الأرقط: قوام دنيا وقوام دين.

وهل هذه الآية محكمة، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدل على أن الواجب على الرسول التبليغ، وليس عليه الهدى. والثاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السيف<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَزَلَّى الْأَكْثَرُ الْأَلْبَنِي لَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ روى جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل إلا الطيب» فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. وفي الخبيث والطيب أربعة أقوال: أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: المؤمن والكافر، قاله السدي. والثالث: المطيع والعاصي. والرابع: الرديء والجيد، ذكرهما الماودي. ومعنى الإعجاب هاهنا: السرور بما يتعجب منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ سُؤَالٌ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ سُؤَالٌ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فقال: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم»، فقام رجل من قريش، يقال له عبد الله بن خذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: «أبوك خذافة»، فقام آخر، فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضىنا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، إنّا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم من أبائنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup>، وقتادة عن أنس<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «إن الله كتب عليكم الحج»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكث عنكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم»، فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس<sup>(٦)</sup>. والثالث: أن قوماً كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجورية عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والرابع: أن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسائبة،

(١) القول الأول هو الصحيح، لأن الآية خبر، وهو لا يقبل النسخ، والقصر فيها إضافي يراد به تقرير أن الرسول ﷺ ليس مكلفاً بإيجاد الإيمان في قلوبهم، إذ هذا ليس في مقدور أحد سوى الله جل جلاله.

(٢) «أسباب النزول» ص ١٢٠ للواحدي.

(٣) الطبري ١٠٣/١١ من طريق عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة. وعبد العزيز: هو عبد العزيز بن أبان الأموي من ولد سعيد بن العاص، ذكره الذهبي في «الميزان»، وقال عنه: أحد المتروكين، وكذب يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: فيه نظر. وقيس: هو ابن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي صدوق تغير لما كبر. على أن ابن كثير نقله في «تفسيره» ١٠٥/٢ عن الطبري، وقال: إسناده جيد.

(٤) البخاري ٢٣٠/١٣، ومسلم ٨٣٤/٤، وابن جرير ٧٩/١١ بالفاظ مقاربة وبأطول مما رواه المصنف. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٤/٢ نسبته إلى ابن حميد، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٥) ابن جرير ١٠٥/١١ وسنده حسن، وفيه «فقام محصن الأسدي» في الرواية الثانية «عكاشة بن محصن الأسدي». ورواه أحمد في المسند ٥٠٨/٢، ومسلم ٩٧٥/٢، والسائل رجل، ولم يبين في الخبر اسمه، وليس فيه ذكر الآية ونزولها، ولفظه «خطبنا رسول الله ﷺ»، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: فروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وقد أشار الحافظ في «الفتح» ٢٢٠/١٣ إلى هذا الحديث، وما فيه من زيادة السؤال عن الحج، ثم قال: وأخرجه الدارقطني مختصراً، وزاد فيه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ سُؤَالٌ» وله شاهد عن ابن عباس عند الطبري في «التفسير».

(٦) قال النووي في «شرح مسلم» ١٠١/٩: «هذا الرجل هو الأقرع بن حابس، كذا جاء مبيئاً في غير هذه الرواية» قلت: الرواية التي جاء فيها مبيئاً هي من حديث ابن عباس عند أحمد في «المسند» ٨٤/٤، ٢٢٤، ١٧٢/٤، ١٧٥.

(٧) البخاري: ٢١٢/٨، والطبري: ٩٨/١١، وأبو الجورية: هو حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح بن عرعة الجرهمي، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة.



والوصيلة، والهام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال جبير. والخامس: أن قوماً كانا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة. والسادس: أنها نزلت في تمتيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: «أشياء» في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف. وتبد لكم: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه. وقال ابن عباس: إن تبد لكم، أي: إن نزل القرآن فيها بتغليظ، ساءكم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنَّا جِنَّةَ يَئُزُّكَ الْقُرْآنُ﴾ أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتهم حينئذ عنها تبد لكم. وفي قوله: ﴿عَنَّا اللَّهُ عَنَّا﴾ قولان. أحدهما: أنه إشارة إلى الأشياء. والثاني: إلى المسألة. فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. وعلى القول الثاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوال. أحدها: أنهم الذين سألو عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، الحسن. والثاني: أنهم قوم صالح حين سألو الناقة، هذا على قول السدي. وهذان القولان يخرجان على أنهما سألو الآيات. والثالث: أن القوم هم الذين سألو في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزاء، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، قاله ابن زيد. وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض لشدد. والرابع: أنهم الذين قالوا لنبي لهم: ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضاً، وهو يخرج على من قال: إنما سألو عن الجهاد والفرائض تمتياً لذلك. قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَوَّنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به. وفي «البحيرة» أربعة أقوال. أحدها: أنها الناقة إذا نُجِجَتْ خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى شقوا أذنها، وكانت حراماً على النساء لا يتنفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيشعدون إلى الخامسة، فيبيكون أذنها، قاله عطاء. والثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق، والفراء. قال ابن إسحاق: كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس فيهن ذكر، شبيبت، فإذا نُجِجَتْ بعد ذلك أنثى، شقت أذنها، وسُميت بحيرة، وخلت مع أمها. والرابع: أنها الناقة كانت إذا نُجِجَتْ خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً بحروا أذنها، أي: شقوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها لم يركبها، قاله الزجاج. فأما «السائبة»<sup>(٢)</sup>، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة، وهي المسمية، كقوله: ﴿يَنْبَغِي رَأْيِيكَ﴾ أي مرضية. وفي السائبة خمسة أقوال. أحدها: أنها التي تُسَبِّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجزؤون منها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يُسَبِّب من ماله ما شاء، فيأتي به

(١) ابن جرير: ١١١/١١ من طريق خفيف عن مجاهد عن ابن عباس وخروجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٦/٢ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه وخفيف: هو خفيف بن عبد الرحمن الجزري. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، سمى الحفظ، خلط بأخرو، رمي بالإرجاء.

(٢) روى البخاري ٢١٣/٨، ومسلم ٢١٩٢/٤ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الغضامي يجر قصبه في النار، وكان أول من سبب السوايب». وروى البخاري ٢١٤/٨ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سبب السوايب» والقصب، بضم القاف وسكون الصاد المهملة: الأمعاء.

خزنة الآلهة، فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه إلا النساء فلا يطعمونهن شيئاً منه إلا أن يموت، فيشترك فيه الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الشعبي: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجلاً، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء. والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث، سببت، فلم تركب، ولم يجز لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدّها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء. والرابع: أنها البعير يُسبب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله تعالى من مرض، أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قتيبة. قال الزجاج: كان الرجل إذا نذر شيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى. والخامس: أنه البعير يحجج عليه الحجة، فيُسبب، ولا يستعمل شكراً لنجاحها، حكاه الماوردي عن الشافعي. وفي «الوصيلة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الشاة كانت إذا نُتِجَتْ سبعة أبطن، نظروا إلى السابغ، فإن كان أنثى، لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً، ذبحوه، فأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وذهب إلى نحوه ابن قتيبة، فقال: إن كان السابغ ذكراً، ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تركت في النعم، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح لمكانها، وكانت لحومها حراماً على النساء، ولبن الأنثى حراماً على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء. والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر<sup>(١)</sup> في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تتنّى بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويذعنونها الوصيلة، أي: وصلت إحدهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيّب. والثالث: أنها الشاة تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذكر دون الإناث، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين<sup>(٢)</sup> عناقين، فإذا ولدت في سابغها عناقاً وجدياً، قيل: وصلت أخاها، فحُجرت مجرى السائبة، قاله الفراء. والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، قاله الزجاج. وفي «الحام» ستة أقوال: أحدها: أنه الفحل، ينتج من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسبونه لأصنامهم، ولا يحمل عليه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، واختاره أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزؤون وبره، ولا يمتعون ماء، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء. والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل، قاله أبو روق. والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين، فيخلّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي عن الشافعي. قال الزجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما رويانا عن أهل اللغة. وقد أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً، وإن الذين كفروا افتروا على الله ﷻ. قال مقاتل: وافترأؤهم: قولهم: إن الله حرمه وأمرنا به. وفي قوله: «وَأَكْفَرْتُمْ لَا يَقُولُونَ» قولان: أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي. والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَاءَلُوا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُ مَا كَانَ مَابَاطِلُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم هذه الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرّمهم على أنفسهم، قالوا: «حَسْبُنَا» أي: يكفينا «مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» من الدين والمنهاج «أَوَّلُ مَا كَانَ مَابَاطِلُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا» من الدين «وَلَا يَتَذَكَّرُونَ» له، أي: يتبعونهم في خطئهم.

(١) يقال: ابتكرت الحامل: إذا ولدت بكرها، وأنت في الثاني، وثالث في الثالث.

(٢) العناق: الأنثى من ولد المعز.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ كتب إلى هجر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية، فلما آتاه الكتاب، عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقرؤا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيوف، وأما أهل الكتاب والمجوس، فاقبل منهم الجزية» فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجباً لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هجر، وأهل الكتاب الجزية، فهلاً أكرههم على الإسلام، وقد ردّها على إخواننا من العرب، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً، قبلها من مجوس هجر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن الرجل كان إذا أسلم، قالوا له: سهت آباءك وضللهم، وكان ينبغي لك أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالّ، وليس بمهتدي<sup>(٢)</sup>. وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلها بعد. وقال ابن مسعود: تأويلها في آخر الزمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: لا يضرركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا هديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قاله حذيفة بن اليمان، وابن المسيب. والثاني: لا يضرركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيه على الجزاء.

### فصل

فعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه آية السيف. والثاني: أن آخرها نسخ أولها. روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ والناسخ: قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. والهدى هاهنا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>(٤)</sup>.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢/١، ١٧، ٣٣، ٥٢ عن قيس بن أبي حازم، قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه» قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٠٩/٢: وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني. وقال ابن جرير ١٥٢/١ بعد أن أورد الآثار: وأولى هذه الأقوال، وأصح التاويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ فيها، وهو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الزموا العمل بطاعة الله، وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: فإنه لا يضرركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يركبه، أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظمناً لمسلم أو معاهد، ومنعه منه، فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تمادي فيه غيه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم، وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه. وإنما قلنا ذلك أولى التاويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره، أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط، ويتعاونوا على البر والتقوى، ومن القيام بالقسط الأخذ على يدي الظالم، ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف، وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله ﷺ ترك ذلك، وهي حال المجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصاً له تركه، إذا قام حيثنأ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه. وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فبين أنه قد دخل في معنى قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ مما قاله حذيفة وسيد بن المسيب من أن ذلك (إذا أتممتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر).

(٢) ابن جرير الطبري ١٣٩/١، وذكر الهيثمي في «المجمع» ١٩/٧، وقال: رواء الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود.

(٣) ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه «نواسخ القرآن» ورقة ٨٥ أربعة أشياء تدل على إحكام هذه الآية هي في إيجاز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَرَبٌ فِي الْأَرْضِ فَأَشْفَقْتُمْ مُبِيتَةَ الْمَوْتِ عَشْرَتُهُمَا مِنْ بَنُو الْقَبَلَةِ يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَشْفَوِي بِهِ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ثَوْقًا وَلَا تَكُنُّوا شُهَدَاءَ اللَّهِ إِنَّمَا إِنْ لَكُمْ الْأَيْمِينُ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان تميم الداري، وعدي بن بدءا يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجل من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جاماً كان معه من فضة، وكان مخوّصاً بالذهب، فقالا: لم نره، فأتى بهما إلى النبي ﷺ، فاستحلفهما بالله: ما كتما، وخلي سبيلهما. ثم إن الجام وُجد عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الداري، وعدي بن بدء، فقام أولياء السهمي، فأخذوا الجام، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها<sup>(١)</sup>. قال مقاتل: واسم الميت: بُزَيْل بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيين، فأسلم تميم، ومات عدي نصرانياً<sup>(٢)</sup>. فأما التفسير، فقال الفراء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فحذف «شهادة»، ويقوم «اثنان» مقامهما. وقال ابن الأنباري: معنى الآي: ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت، وأردتم الوصية اثنان. وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشهادة على الوصية التي ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور. والثاني: أنها إيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد. والثالث: أنها شهادة الوصية، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣] جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيداً، واستدل أرباب هذا القول بقوله: ﴿يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قالوا: والشاهد لا يلزمه يمين. فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته. وقوله: ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، أي: وقت الوصية. وفي قوله: «منكم» قولان: أحدهما: من أهل دينكم وملتكم، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وابن سيرين، والشعبي، وهو قول أصحابنا والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله الحسن، وعكرمة، والزهري، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ﴾ تقديره: أو شهادة آخرين من غيركم. وفي قوله: «من غيركم» قولان: أحدهما: من غير ملتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول. والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله أرباب القول الثاني. وفي «أو» قولان: أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس، وابن جبير، والثاني: أنها للتخيير، ذكره الماوردي.

١ - أن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ﴾ يقتضي إغراء الإنسان بمصالح نفسه، ويضمن الإخبار بأنه لا يعاقب بضلال غيره، وليس من مقتضى ذلك ألا ينكر على غيره، وإنما غاية الأمر أن يكون ذلك مسكوتاً عنه، فيقف على الدليل.

٢ - أن الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ﴾ أمر بإصلاحها وأداء ما عليها، وقد ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصار من جملة ما على الإنسان في نفسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدليل قوله ﷺ فيها: ﴿إِنَّمَا أَفْتَدِيكُمْ﴾.

٣ - أن الآية قد حملها قوم على أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، فيحتلّ لا يلزمون بغيرها.

٤ - أنه لما عاينهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة، أعلمهم بهذه الآية أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه، وأنه لا يضره ضلال غيره إذا كان مهتدياً، حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الدم والمقاب قال: وإذا تلمحت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هاهنا مدخل، وهذا أحسن الوجه في الآية.

(١) البخاري ٣٠٧/٥، ٣٠٩، وأبو داود: ٤١٨/٣، والترمذي ١٠٠/٤، وحسنه، وابن جرير ١٨٥/١١، والبيهقي في «السنن» ١٦٥/١٠. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٤٢/٢، وزاد نسبه إلى ابن المنذر والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه. والجام: إتمام من فضة. وقوله: (كان مخوّصاً بالذهب) أي: عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل وهو ورقه، والتخويس: أن يجعل على الشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل.

(٢) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي منسوب إلى جده الدار بن هانئ وقد عد على رسول الله ﷺ سنة تسع وأسلم، وكان نصرانياً، وأما عدي بن بدء، فكان نصرانياً، ويذكر أنه أسلم، لكن الحافظ ابن حجر صحح في «الإصابة» في ترجمته أنه مات نصرانياً.

(٣) نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٢٣ يقول: شاهدان أو وصيان، وقد اختلف فيه، وروى الاثنان الشهادة، أي: ليشهدكم اثنان من المسلمين.



﴿إِن عُرِيَ عَنْ أَنفُسِهِمْ أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ يُقْصِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لِينُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن عُرِيَ عَنْ أَنفُسِهِمْ أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ قال المفسرون: لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عدياً وتيمماً، فاستحللتهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما، فحلها، وخلّى سبيلهما، ثم ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿إِن عُرِيَ عَنْ أَنفُسِهِمْ أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ ومعنى «عثر»: أطلع، أي: إن عثر أهل الميت، أو من يلي أمره، على أن الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا ﴿أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ لميلهما عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «استحق» بضم التاء، «الأوليان» على الشنية. وفي قوله ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهما الذميان. والثاني: الوليان. فعلى الأول في معنى «استحقَّ عَلَيْهِمُ» أربعة أقوال: أحدها: استحق عليهم الإيصاء، قال ابن الأنباري: المعنى: من القوم الذين استحق فيهم الإيصاء، استحقه الأوليان بالميت، وكذلك قال الزجاج: المعنى: من الذين استحققت الوصية أو الإيصاء عليه. والثاني: أنه الظلم، والمعنى: من الذين استحق عليهم ظلم الأوليان، فحذف الظلم، وأقام الأوليين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضاً. والثالث: أنه الخروج مما قاما به من الشهادة، لظهور خيانتهم. والرابع: أنه الإثم، والمعنى: استحق منهم الإثم، ونابت «على» عن «من» كقوله: ﴿عَلِ النَّاسِ يَسْتَوُونَ﴾ [المطففين: ٢٧] أي: منهم. وقال الفراء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو على الفارسي. وعلى هذه الأقوال مفعول «استحق» محذوف مُقَدَّر. وعلى القول الثاني في معنى «استحقَّ عَلَيْهِمُ» قولان: أحدهما: استحق منهم الأوليان، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزجاج. فأما «الأوليان»، فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما: الأولى، والجمع: الأولون. ثم للمفسرين فيهما قولان: أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور. قال الزجاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البذل مما في «يقومان» والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين. وقال أبو علي: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأخران يقومان مقامهما، هما الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في «يقومان». والتقدير: فيقوم الأوليان. والقول الثاني: أن الأوليان: هما الذميان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، فعلى هذا يكون المعنى: يقومان، إلا من الذين استحق عليهم. قال الشاعر:

فليت لنا من ماء زَرْمٍ شَرِبَةً      مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانٍ<sup>(١)</sup>

أي: بدلاً من ماء زمزم. وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص وعاصم<sup>(٢)</sup>: «استحق» بفتح التاء والحاء «الأوليان» على الشنية، والمعنى: استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «استحق» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأولين» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع، والتقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذكر. ألا ترى أنه قد تقدم ﴿ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على قوله: ﴿أَوْ فَاخْرَاجُوا مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وروى الحلبي عن عبد الوارث «الأولين» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهي تننية: أول. وقرأ الحسن البصري: «استحق» بفتح التاء والحاء، «الأولان» تننية «أول» على البذل من قوله: «فأخران». وقال ابن قتيبة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرفنا كيف يشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال: ﴿ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي: عدلان من المسلمين [تشهدونهما على الوصية]، وعلم أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْ فَاخْرَاجُوا مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير أهل دينكم، ﴿وَإِنَّا صَرَفْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتكم ﴿فَأَمَّا بَيْنَكُمْ وَمِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وتم الكلام. فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر خاصة إن أمكن إشهداهما في

(١) في «اللسان الطهيان»: كأنه اسم قلّة جبل، والطهيان: خشية يرد عليها الماء، ثم أنشد البيت، ونسب للأحول الكندي.

(٢) في النسخة الأحمدية: وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص عن عاصم.

السفر] والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما [ثم قال] ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاكِ فَيُفْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تحسبونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم في شهادتهما، وخشيتم أن يكونا قد خانا، أو بدّلا، فإذا حلفا، مضت شهادتهما. فإن عثر [بعد هذه اليمين] أي: ظهر على أنهما استحقا إثما، أي: حثا في اليمين بكذب [في قول] أو خيانة [في ودیعة]، فأخران، أي: قام في اليمين مقامهما رجلا من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان، يقال: هذا الأولي بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال: هذا الأولي، وهذان الأوليان، و«عليهم» بمعنى: «منهم». فيحلفان بالله: لقد ظهرنا على خيانة الذميين، وكذبهما، وما اعتدنا عليهما، ولشهادتنا أصح، لكفرهما وإيماننا، فيرجع على الذميين بما اختانا، وينقض ما مضى من الحكم بشهادتهما تلك<sup>(١)</sup>. وقال غيره: لشهادتنا، أي: ليمتنا أحق، وسميت اليمين شهادة، لأنها كالشهادة على ما يحلف عليه أنه كذلك. قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص، والمقلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله، ودفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت.

﴿ذَلِكَ آدَعٌ أَنْ يَأْتُوا بِالْقَهْدَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آيَتِنَاهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ آدَعٌ﴾ أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين، أقرب إلى إتيان أهل الذمة بالشهادة على وجهها، أي: على ما كانت، وأقرب أن يخافوا أن ترد أيمان أولياء الميت بعد إيمانهم، فيحلفون على خيانتهم، فيفتضحوا، ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تحلفوا كاذبين، أو تخونوا أمانة، واسمعوا الموعدة.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ قال الزجاج: نصب «يوم» محمول على قوله: «واتقوا الله»: واتقوا يوم جمعه للرسول. ومعنى مسأله للرسول توبيخ الذين أرسلوا إليهم. فاما قول الرسول: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ففيه ستة أقوال: أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنم، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ثم ترد إليهم عقولهم، فينطلقون بحجتهم، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلا علم أنت أعلم به منا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المراد بقوله: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، قاله ابن جريج، وفيه بُعْد. والرابع: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزجاج. والخامس: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمرنا، ونحن نعلم ما أظهرنا، ولا نعلم ما أضمرنا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباري. والسادس: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يستحق الجزاء بما تقع به الخاتمة، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: إذا رد الأنبياء العلم إلى الله أبلست الأمم، وعلمت أن ما أتته في الدنيا غير غائب عنه، وأن الكل لا يخرجون عن قبضته.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ قال الخطابي: العلام: بمنزلة العليم، وبناء «فَعَال» بناء التكثير، فاما «الغيوب» فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ يَتِمِّي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيكِ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُخَلِّقُ النَّاسَ فِي الصُّبْحِ وَتَكْمُلُ لَيْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقُكَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُتَرَىٰ الْأَكْشَمُ وَالْأَرْمَسُ بِإِذْنِي وَإِذْ خُشِعَ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَ فِيهِمْ آلِئِنَّتِي فَنَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾ قال ابن عباس: معناه: وإذ يقول.

قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُ يَتِمِّي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيكِ﴾ في تذكيره النعم فائدتان: إحداهما: إسماع الأمم ما خصه به من



الكرامة. والثانية: تأكيد حجته على جاحده. ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهرها، وأتاها برزقها من غير سبب. وقال الحسن: المراد بذكر النعمة: الشكر. فأما النعمة، فللفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع. فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنْفَعُ فِيهَا﴾ وفي (آل عمران) «فيه»؟ فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع، وأنت على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطير، و«فيها» للهيئة، ذكره أبو على الفارسي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا بَيْعٌ بُيُوتٍ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي (هود) والصف ﴿إِلَّا بَيْعٌ بُيُوتٍ﴾، وقرأ في (يونس) ﴿لَسَوْفَ يَكُونُ﴾ بالف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة ﴿بَيْعٌ بُيُوتٍ﴾ بغير ألف، فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحر»، أشار إلى الشخص.

﴿وَإِذْ أَتَيْنَا إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ مَأْمُونًا بِرَسُولِي قَالُوا مَا مَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وفي الروحي إلى الخواريين قولان. أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفراء. وقال السدي: كذب في قلوبهم. والثاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الخواريين و«إلى» صلة، قاله أبو عبيدة. وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى. والثاني: عيسى عليه السلام. وقوله: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتوحيد. وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج: أي: هل يقدر. وقرأ الكسائي: «هل يستطيع» بالشاء، ونضب الرب. قال الفراء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربك. قال ابن الأنباري: ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الخواريين شكوا في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل يستطيع تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنه يريد: هل يسهل عليك. وقال أبو علي: المعنى: هل يفعل ذلك بمسالتك إياه<sup>(١)</sup>. وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم، فرد عليهم عيسى بقوله: اتقوا الله، أن<sup>(٢)</sup> تنسبوه إلى عجز، والأول أصح. فأما «المائدة» فقال اللغويون: المائدة: كل ما كان عليه من الأخوة طعام، فإذا لم يكن عليه طعام، فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب، فليس بكأس، ذكره الزجاج. قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول للطبق الذي تهدي عليه الهدية: هُوَ الْمُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهدية، فإذا كان فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طبقاً أو خواناً أو غير ذلك. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل ﴿يَبْدُو رَأْيِي﴾ [الحاقة: ٢١]. قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفتعل المطلوب منه العطاء، قال الشاعر:

إلى أمير المؤمنين الممتاد<sup>(٣)</sup>

وَمَادَ زَيْدٌ عُمَرَا: إذا أعطاه. قال الزجاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلة من: ماد يمد: إذا تحرك، فكانها تميد بما عليها. وقال ابن قتيبة: المائدة: الطعام، من: مادني يمدني، كأنها تميد الأكليين، أي: تعطيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الأكليون.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إن نزلت وكذبتم، عذبتهم، قاله مقاتل. والثاني: أن تسألوه ما لم تسأله الأمم قبلكم، ذكره أبو عبيد. والثالث: أن تشكوا في قدرته.

﴿قَالُوا نُؤِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَّا وَنَقْلَمَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقَتَا وَكُنَّا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

(١) في «نسخة الرباط» ما يفعل ذلك بمسالتك إياه.

(٢) في «الأحمدية» «أي» بدل «أن» وهو خطأ.

(٣) الرجز لرؤبة، وهو في «ديوانه» ٤٠، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/١٨٣، و«اللسان»: مادة «ميد»، وقوله: نهدي رؤوس المتفرجين الأنداد. والمتفرجون: المتعمنون المتوسعون في لذات الدنيا وشهواتها، والأنداد: جمع ند بكسر النون، وهو هنا بمعنى الضد، يقال للرجل إذا خالفك، فأردت وجهاً تذهب إليه، ونازعك في ضده: هو ندي ونديدي، حكاه قطرب كما في «الأضداد» ٢/٦٥٦ لأبي الطيب الحلبي. ويأتي أيضاً بمعنى المثل والشبه. وانظر «الأضداد» ٢٣ لابن الأنباري. يقول: تقتل الخارجين على أمير المؤمنين، ثم نهدي إليه رؤوسهم، وهو المسؤول دون الناس.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا زَيْدٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا﴾ هذا اعتذار منهم يتنوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه، وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدة الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: ليزدادوا إيماناً، ذكره ابن الأنباري. والثالث: للتبرك بها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَنُظْمِرَ قُلُوبُنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً. والثاني: إلى أن الله تعالى قد اختارنا أعواناً لك. والثالث: إلى أن الله تعالى قد أجابك. وقال ابن عباس: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم لا تسألونه شيئاً إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألوهم المائدة. فمعنى: ﴿وَنُظْمِرَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أننا إذا صمنا ثلاثين يوماً لم نسأل الله شيئاً إلا أعطانا. وفي هذا العلم قولان: أحدهما: أنه علم يحدث لهم لم يكن، وهو قول من قال: كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم. والثاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم. وقرأ الأعمش: ﴿وتعلم﴾ بالياء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا. وفي قوله: ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: من الشاهدين لله بالقدرة، ولك بالنبوة. والثاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال. والثالث: من الشاهدين عند من يأتي من قوما بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي. والرابع: من الشاهدين لك عند الله بأداء ما بعث به.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وقرأ ابن محيصن، وابن السميع، والجحدري: «ولاولنا وآخرنا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو، والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسدي. وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيداً. وقال ابن قتيبة: عيداً، أي: مجمعاً. قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه. وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ عيداً للعود من الترح إلى الفرح.

قوله تعالى: ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة نبيك. وقرأ ابن السميع، وابن محيصن، والضحاك «وأنه منك» بفتح الهمزة، وينون مشددة. وفي قوله: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ قولان: أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك. والثاني: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ يَوْمِكُمْ فَإِنِّي أَخَذْتُ عَذَابًا لَا أُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر «مُرْسِلُهَا» بالتشديد، وقرأ الباقون خفيفة. وهذا وعد بإجابة سؤال عيسى. واختلف العلماء: هل نزلت، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر، ثم توضأ، واغتسل، وصَفَّ قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأ رأسه خضوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده، وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فبينما عيسى كذلك، هَبَطَتْ علينا مائدة من السماء، سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها، وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذاباً، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديل مغلف، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية. قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فاكشف عنها، فاستأنف وضوءاً جديداً، وصلى ركعتين، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كل البقل ما خلا الكراث، وعند رأسها الخل، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون، وعلى رغيف خمس رمانات. فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله آمين طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تتبهون! ما أخوفني عليكم. قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً. قال عيسى: ليس ما ترون عليها من طعام



لِي يَحْيَىٰ إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ في زمان هذا القول قولان: أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج. والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السدي، والأول أصح. وفي «إذ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله له، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ [سبا: ٥١] والمعنى: إذا. قال أبو النجم:

ثُمَّ جَزَاكَ اللَّهُ عِيسَى إِذْ جَزَىٰ جَنَاتٍ عَذَنَ فِي السَّمَوَاتِ الْعِلَا<sup>(١)</sup>

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «إلهين»، لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أني [غلب فعل الذكر] ذكروهما. فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهاً، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشراً، وإنما ولدت إلهاً، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ أَي: براءة لك من السوء ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَيٍّ﴾ أي: لست أستحق العبادة، فأدعوا الناس إليها. وروى عطاء بن السائب عن مسيرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى: ﴿هَآءَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اعْبُدُونِي وَإِنِّي لَأَنْهَيْتُ مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ رُعيد كل مفصل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وبالعبودية في قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحده.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> أي: على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم، [وقوله] ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فيه قولان: أحدهما: بالرفع إلى السماء. والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل. و«الرقيب» مشروح في سورة (النساء)، و«الشهيد» في (آل عمران).

﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَلَا تُحِبُّوا إِلَهُكُمْ فَإِنَّكُمْ تَقْرُبُونَ إِلَهُكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَلَا تُحِبُّوا إِلَهُكُمْ﴾ قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فببوتة كانت منهم. وقال الزجاج: علم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ﴾ أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا،

(١) «الأضداد» لابن الأثير: ١١٩، و«أضداد» أبي الطيب: ٢٨/١، وابن جرير: ٢٣٥/١١، والصاحبي: ١١٢، و«اللسان»: طها. وفيها: العلالي بدل «السوات» وهي جمع «عليه» بكسر العين وتشديد اللام المكسورة، والياء المشددة: وهي الفرة العالية من البيت، وأراد ذلك في (عليين) المذكورة في القرآن.

(٢) روى الإمام أحمد ٣٥١/٢، والبخاري ٢١٥/٨، ومسلم ٢١٩٤/٤، وأبو داود الطيالسي ٢٢٥/٢ عن ابن عباس ؓ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حافة عرلة غرلاً» ثم قال «كُنَّا بَدَلًا أَوَّلَ حَسَنِي فُيُودٍ وَنَعْمًا عَيْنًا إِنْ كُنَّا قَتِيلِينَ...» إلى آخر الآية، ثم قال: «وَالَا وَإِنْ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يَكْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَلَيْتَ يَجَاهُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، يُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِمَدَنِي، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَلَا تُحِبُّوا إِلَهُكُمْ فَإِنَّكُمْ تَقْرُبُونَ إِلَهُكُمْ﴾ قال: «فَيَقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مَرْتَدِينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ». وقوله: «غُرْلًا» جمع أغرل، أي: غير مختونين، أي: أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم، ولا ينقص منهم شيء، بل يتم لهم كل ما نقص منهم.

وإن تغفر لهم، أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمن، فذلك تفضل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبتهم؛ فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلاً إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك. وقال غيره: العفو لا ينقص عزك، ولا يخرج عن حكمك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلة بآية يرددها: ﴿إِنْ تُدِيتُهُمْ فَأَنَا بَعْدُ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ (١).

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضُوا عَنْهُ وَاللَّهُ عَزَّ ذَٰلِكَ الْقَوْدُوسُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَوْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قرأ الجمهور برفع اليوم، وقرأ نافع بنصبه على الظرف. قال الزجاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، والمراد باليوم: يوم القيامة. وإنما خص نفع الصدق به، لأنه يوم الجزاء. وفي هذا الصدق قولان: أحدهما: أنه صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة. والثاني: صدقه في الآخرة ينفعهم هنالك. وفي هذه الآية تصديق لعيسى فيما قال.

قوله تعالى: ﴿رَضُوا عَنْهُ﴾ أي: بطاعتهم، ﴿رَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه. وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيه على عبودية عيسى، وتحريض على تعلق الآمال بالله وحده.



(١) «المسند» ١٤٩/٥ ولفظه عن أبي ذر قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿إِنْ تُدِيتُهُمْ فَأَنَا بَعْدُ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٣﴾ فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها. قال: «سألت ربي ﷻ الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله ﷻ شيئاً» ورجاله ثقات، خلا جسة بنت دجاجة العامرية، فإنه لم يوثقها سوى العجلي وابن حبان، وقال البخاري: عند جسة عجائب. انظر «تهذيب التهذيب» ٤٠٦/١٢.

## سورة الأنعام

### فصل في نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس: أن (الأنعام) مما نزل بمكة. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد. وروى يوسف بن مهرة عن ابن عباس قال: نزلت سورة (الأنعام) جملةً ليلاً بمكة، وحولها سبعون ألف ملك<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هي مكة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً؛ وكتبوها من ليلتهم، غير ست آيات وهي: ﴿قُلْ تَكَلَّأْنَا أَثُلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الثلاث آيات [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إلى آخر الآيتين [الأنعام: ٩٣، ٩٤]. وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَنَّتْ يَلَمُّونَ أَنْتُمْ مَرْكُزٌ مِنْ رَبِّكَ يُلَاقِي﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَنَّتْ يَلَمُّونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. وروى عن ابن عباس، وقتادة قال: هي مكة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة؛ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَقْرُورَاتٍ وَغَيْرَ مَقْرُورَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وذكر أبو الفتح ابن شيطا أنها مكة، غير آيتين نزلتا بالمدينة ﴿قُلْ تَكَلَّأْنَا﴾ والتي بعدها [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَسْبُ لِلَّهِ الْوَلِيُّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ ﴿

فأما التفسير، فقال كعب: فاتحة (الكهف) فاتحة (الأنعام)، وخاتمتها خاتمة (هود)؛ وإنما ذكر السموات والأرض، لأنهما من أعظم المخلوقات. والمراد «بالجعل»: الخلق. وقيل: إِنَّ «جَعَلَ» ههنا: صلة؛ والمعنى: والظلمات. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن. والثاني: الليل والنهار، قاله السدي. والثالث: جميع الظلمات والأنوار. قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمات قبل النور، والجنة قبل النار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان «بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ»، أي: يجعلون له عديلاً، فيعبدون الحجارة الموات، مع إقرارهم بأنه الخالق لما وُصف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساوته به. قال أبو عبيدة: هو مقدم ومؤخر، تقديره: يعدلون ببرهم. وقال الضُّعْرُ بن شميل: الباء: بمعنى «عن».

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: آدم، وذلك أنه لما شك المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام؟ أعلمهم أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت، والثاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقْبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية. والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني. والخامس: أن الأول: قضاء حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا،

(١) ذكره ابن كثير ١٢٢/٢ عن الطبراني في «الكبير» وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف ضعفه ابن سعد، والإمام أحمد، وابن معين وغيرهم. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣ نسبته لأبي عبيد، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه.

قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياءهم وخاطبهم. والسادس: أن الأول: أجل من قدم مات من قبل، والثاني: أجل من يموت بعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْهُمُ﴾ أي بعد هذا البيان ﴿تَتَزَوَّجُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: تشكُّون، قاله قتادة، والسدي. وفيما شكوا فيه قولان: أحدهما: الوجدانية. والثاني: البعث. والثاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماوردي.

﴿وَمَوْ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: هو المعبود في السموات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري. والثاني: وهو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض، قاله الزجاج. والثالث: وهو الله في السموات، ويعلم سرهم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير. والرابع: أنه مقدَّم ومؤخَّر. والمعنى: وهو الله يعلم سرهم وجهركم في السموات والأرض، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش. وفي «الآية» قولان: أحدهما: أنها الآية من القرآن. والثاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر. والمراد بالحق: القرآن. والأنباء: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

﴿إِن يَرَوْا كَمَ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْآرِضِ مَا لَمْ تُكُنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِزْزَارًا وَجَعَلْنَا الْآلِهَةَ تَحَرِي مِنْ

قِيَمِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ القرن: اسم أهل كل عصر، وسموا بذلك لاقترانهم في الوجود. وللمفسرين في المراد بالقرن سبعة أقوال: أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النبي ﷺ. والثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بشر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. والرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإيباس بن معاوية. والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري. والسادس: سبعون سنة، ذكره الفراء. والسابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قَلَّتِ السُّنُونُ، أو كثرت؛ بدليل قوله ﷺ: «خيركم قرني» يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين «ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup> يعني: الذين أخذوا عن التابعين. فالقرن: مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم؛ واشتقاق القرن: من الاقتران. وفي معنى ذلك الاقتران قولان: أحدهما: أنه سمي قرناً، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج. والثاني: أنه سمي قرناً، لأنه يَقْرُنُ زماناً بزمانٍ، وأُمَّةً بأمَّةٍ، قاله ابن الأنباري. وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة.

قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْآرِضِ﴾ قال ابن عباس: أعطيتناهم ما لم نُعطَكم. يقال: مَكَّنْتُه ومَكَّنْتُ له: إذا أقدرت على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة. وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب. فأما السماء: فالمراد بها المطر. ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا. و «المدرار»: مفعال، من دَرَّ، يَدِرُّ؛ والمعنى: نرسلها كثيرة الدَّرِّ. ومفعال: من أسماء

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري في «صحيحه» ١٩٠/٥ بشرح «الفتح» عن عمران بن حصين ؓ، وتامه، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة، قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قوموا يَخُونُونَ ولا يُؤْتَمِنُونَ، ويشهدون ولا يستشهدون، وينلرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» ورواه البخاري ١٩١/٥، ومسلم ١٩٦٣/٤ في «صحيحهما» عن عبد الله بن مسعود ؓ عنه بلفظ «خير الناس قرني»، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تنشق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» ورواه مسلم ١٩٦٢/٤ بلفظ «خير أمي قرني». وانظر الكلام على هذا الحديث في «فتح الباري» ٥/٧.



المبالغة، كقولهم: امرأة مذكّار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مثنث. فإن قيل: السماء مؤنثة، فلم ذكّر مدراً؟ فالجواب: أن حكم ما انعدل من النعوت عن منهاج الفعل وبناءه، أن يلزم التذكير في كل حال، سواء كان وصفاً لمذكر أو مؤنث؛ كقولهم: امرأة مذكّار، ومعطار؛ وامرأة مذكّر، ومؤنث؛ وهي كفور، وشكور. ولو بُنيت هذه الأوصاف على الفعل، لقيل: كافرة، وشاكرة، ومُذَكِّرة؛ فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة؛ كقولهم: النعل لبستُها، والفأس كسرتُها، وكان إيتارهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل، والمعدول عن مثلي الأفاعيل. والمراد بالمدّار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه؛ يعني: أنها تَدِرُّ وقت الحاجة إليها؛ لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، ففسد، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسَوْهُ بِإِلَيْهِمْ لَقَالِ الْيَهُودُ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنتك رسوله، فتزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. قال ابن قتيبة: والقرطاس: الصحيفة، يقال للرامي إذا أصاب الصحيفة: قُرْطَسَ<sup>(١)</sup>. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: القرطاس قد تكلموا به قديماً. ويقال: إن أصله غير عربي. والجمهور على كسر قافه، وضمها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر.

فأما قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْهُ بِإِلَيْهِمْ﴾ فهو تأكيد لنزوله، وقيل: إنما علّقه باللمس باليد إبعاداً له عن السحر، لأن السحر يَتَحَيَّلُ في المراثيات، دون اللموسات. ومعنى الآية: إنهم يدفعون الصحيح.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ لَفَقِحَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد؛ و «لولا» بمعنى «هلا» ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ نصده: ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكٌ﴾ فعابونه ولم يؤمنوا، ﴿لَفَقِحَ الْأَمْرُ﴾؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: لماتوا، ولم يؤخروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عباس. والثاني: لقامت الساعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثالث: لعجل لهم العذاب، قاله قتادة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً، لجعلناه في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية الملك على صورته، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لشبّنا عليهم. يقال: ألّبت الأمر على القوم، ألّبه: أي: شبهته عليهم، وأشكّله. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكّوا، فلا يدرون أملك هو، أم آدمي؟ فأضللناهم بما به ضلّوا، قبل أن يُبعث الملك. وقال الزجاج: كانوا يلبسون على ضعفهم في أمر النبي ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم؛ فقال تعالى: لو رأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيهِ من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منه. وقرأ الزهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبسنا»، بالتشديد، «عليهم ما يلبسون»، مشددة أيضاً.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْزَيْ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالْيَهُودِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا

كَتَبَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمَكِيدِينَ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْزَيْ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالْيَهُودِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا

(١) اختصر المؤلف رحمه الله كلام ابن قتيبة، وإليك نصه بتمامه من «غريب القرآن» ١٥٠: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾ أي: صحيفة، وكذلك قوله: ﴿يَجْمَلُونَ قَالِيَسَ﴾ أي: صحفاً. قال المرار:

عَقِبَ الْمَنَاوِلَ غَيْرَ مَثَلِ الْإِنْسِي  
فَرَقَّتْ تَعْتَرِفُ الصَّحِيفَةُ بَعْدَهَا  
وَالْإِنْسِي: جمع نفس، مثل قح وأقح وأقحاح. أراد غير مثل النفس عرته بالقرطاس، ثم قال: «فوقفت تعترف الصحيفة» فأعلمك أن القرطاس هو الصحيفة، ومنه يقال للرامي إذا أصاب: قرطس، إنما يراد أصاب الصحيفة.

بَعْدَ الرُّمَانِ عَرَفْتُهُ بِالْقُرْطَاسِي  
عَمَسَ الْكِتَابَ وَقَدْ يُرَى لَمْ يَغْمَسِي

مكروه فعله، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٤٣]؛ أي: ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم. قال السدي: وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْبَيْعَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال ابن عباس: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين. قال الزجاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وجائز أن يكون كتب في اللوح المحفوظ؛ وإنما حُوِّطَ الخلق بما يعقلون، فهم يعقلون أن تؤكد الشيء المؤخر أن يحفظ بالكتاب. وقال غيره: رحمته عامة؛ فمنها تأخير العذاب عن مستحقه، وقبول توبة العاصي.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْبَيْعَةِ﴾ اللام: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه. وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بالشرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق فيهم من القضاء. وقال ابن قتيبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا.

﴿وَلَكُمْ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالْأَنْبَارِ وَهُوَ السَّيِّعُ الْغَالِي﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالْأَنْبَارِ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملكم على ما تدعوننا إليه الحاجة؛ فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وفي معنى «سكن» قولان: أحدهما: أنه من السكنى. قال ابن الأعرابي: «سكن» بمعنى حل. والثاني: أنه من السكون الذي يضاد الحركة. قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقر بالنهار، ويتشر بالليل؛ ومنها ما يستقر بالليل، ويتشر بالنهار. فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن السكون أعم وجوداً من الحركة. والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك. والثالث: أن في الآية إضماراً؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله: ﴿تَفَيَّكُمُ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨٢] أراد: والبرد؛ فاختصر.

﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْفَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ قُلْ لِي إِثْرٌ أَنْ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسَدَّ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُتَشَكِّكِ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْفَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر مقاتل أن سبب نزولها، أن كفار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية. وهذا الاستفهام معناه الإنكار؛ أي: لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه، وأعبده، وأستعنه.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجمهور على كسر راء «فاطر». وقرأ ابن أبي عبيدة برفعها. قال أبو عبيدة: الفاطر، معناه: الخالق. وقال ابن قتيبة: المبتدئ. ومنه «كل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup> أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم. وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها. قال الزجاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق؟ والانفطار: الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنفطار: ١] فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقاً قاطعاً. والانفطار، والفطور: تقطُّع وتشقُّق.

(١) البخاري (١٩٧/٣) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» ورواه البخاري أيضاً (١٧٦/٣) ومسلم في «صحيحه» (٢٠٤٧/٤) بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» ثم يقول أبو هريرة: «وَفُطِرَ اللَّهُ أَلَيْهِ فُطْرُ كُلِّ نَاسٍ مَلَكًا لَا يُبَيِّنُ لِيحْنُ اللَّهِ» الآية. ورواه أحمد في «المستند» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعمر عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً، وإما كفوراً» وفي رواية لمسلم (٢٠٤٨/٤): «ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة، حتى يعمر عنه لسانه، وفي رواية له أيضاً: «حتى يبين عنه لسانه».

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ يَطْلُمُ وَلَا يَلْعَمُ﴾ قرأ الجمهور بضم الياء من الثاني؛ ومعناه: وهو يَرْزُق ولا يُرْزُق، لأن بعض العيد يرزق مولاه. وقرأ عكرمة والأعمش «ولا يطعم» بفتح الياء. قال الزجاج: وهذا الاختيار عند البصرياء بالعربية، ومعناه: وهو يَرْزُق وَيَطْعُم ولا يأكل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُنَبِّئُكُمْ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ أَسَدٌ﴾ أي: أول مسلم من هذه الأمة؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الأخفش: معناه: وقيل لي: لا تكوننَّ، فصارت: أمرت، بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: أمرت، قد أخبر أنه قيل له.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٣] والصحيح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، وإنما هو معلق بشرط، ومثله: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: ٦٦].

﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْقَرَارُ الْمُنِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مَنْ يَصْرِفْ﴾ بضم الياء وفتح الراء، يعنون: العذاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يَصْرِفْ» بفتح الياء وكسر الراء؛ الضمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ ومما يحسن هذه القراءة قوله ﴿فَقَدْ رَحِمْنَاهُ﴾، فقد اتفق إسناد الضميرين إلى اسم الله تعالى، ويعني بقوله: «يَصْرِفْ» العذاب «يَوْمَئِذٍ»، يعني: يوم القيامة، «وَذَلِكَ» يعني: صرف العذاب.

﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ كَافٍ لَهُ إِلَّا هُوَ وَلَنْ يَسْأَلَكَ يَوْمَئِذٍ فَمَوْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ﴾ الضر: اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان، من فقر، ومرض، وغير ذلك؛ والخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان. وللمفسرين في الضر والخير قولان: أحدهما: أن الضر: السقم؛ والخير: العافية. والثاني: أن الضر: الفقر، والخير: الغنى.

﴿وَمَوْ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَمَوْ لَكُمْ لَقِيدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً؛ فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التسخير والتذليل.

﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةٍ عَلَى اللَّهِ شَيْئاً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً آخَرَةً قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةٍ﴾ سبب نزولها: أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: قل لقريش: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول. وقال الزجاج: أمره الله أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نبوته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ ففي الإنذار به دليل على نبوته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي؛ وفيه خبر ما كان وما يكون؛ ووعده فيه بأشياء، فكانت كما قال. وقرأ عكرمة، وابن السميع، والجحدري «وأوحى إلي» بفتح الهمزة والحاء: «القرآن» بالنصب؛ فأما «الإنذار»، فمعناه: التخويف، ومعنى «وَمَنْ بَلَغَ» أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له. قال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ، وكلمه<sup>(١)</sup>. وقال أنس بن مالك: لما نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقبصر وكل جبار يدعوهم إلى الله ﷻ.

(١) الطبري ٢٩١/١١ دون قوله: «وكلمه» وفيه: ثم قرأ ﴿وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُوا﴾ ونسبه ابن كثير: ١٢٦/٢ إلى ابن أبي حاتم، وقال: زاد أبو خالد - وهو أحد رواة الخبر - «وكلمه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم. قال الفراء: وإنما قال: «أخرى» ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع؛ والجمع يقع عليه التانيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥٢].

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَرْفُوتُهُ كَمَا يَرْفُوتُ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة والإنجيل؛ وهذا قول الجمهور. والثاني: أنه القرآن. وفي هاء «يعرفونه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله السدي. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه بمكة ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَرْفُوتُهُ كَمَا يَرْفُوتُ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٧، والأنعام: ٢١] فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأننا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذلك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع النساء. والثاني: أنها ترجع إلى الدين والنبي. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمداً رسول الله، قاله قتادة. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدال على صدقه؛ ذكره الماوردي. وفي ﴿الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مشركو مكة. والثاني: كفار أهل الكنائس.

﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادعاء شريك معه. وفي «آياته» قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثاني: القرآن، قاله مقاتل. والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية: الشرك.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِمْيَا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِمْيَا﴾ انتصب «اليوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم. قال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم. وقرأ يعقوب: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ «ثُمَّ يَقُولُ» بالياء فيهما. وفي الذين عنى قولان: أحدهما: المسلمون والمشركون. والثاني: العابدون والمعبدون. وقوله: ﴿إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ﴾ سؤال توبيخ. والمراد بشركائهم: الأوثان؛ وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله. وفي معنى: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ قولان: أحدهما: يزعمون أنهم شركاء مع الله. والثاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ يَفْتَنُكُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ يَفْتَنُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثم لم تكن» بالياء، «فتنتهم» بالرفع. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالياء أيضاً، «فتنتهم» بالنصب؛ وقد رويت عن ابن كثير أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكن» بالياء، «فتنتهم» بالنصب. وفي «الفتنة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عباس، والضحاك: لم يكن كلامهم. والثاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم. قال ابن الأنباري: فالمعنى: اعتذروا بما هو مهلك لهم، وسبب لفضيحتهم. والثالث: أنها بمعنى البلية. قال عطاء الخراساني: لم تكن بليتهم. وقال أبو عبيد: لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة. والرابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتنتهم. قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه. ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوباً، فإذا وقع في هلكة تبرأ منه؛ فيقول: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه. قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرفت العرب في ذلك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «والله ربنا» بكسر الباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بنصب الباء. وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان: أحدهما:

أنهم المشركون. والثاني: المنافقون<sup>(١)</sup>. ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم إذا دخلوا النار، ورأوا أهل التوحيد يخرجون، حلفوا [واعتذروا]، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد. والثالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرؤوا، وحلفوا: ما كنا مشركين، قاله مقاتل.

﴿أَشْزَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَشْزَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل. ﴿وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يَدْعُونَ ويختلفون من أن الأصنام شركاء الله، وشفعائهم في الآخرة.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ يَرَوْا كُذُّبًا يَتَّبِعُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بِجُودُنَا يَنْقُضُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَا مَلَاحَ إِلَّا أَشْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يَهْتَمَّ عَنْهُ وَتَوَدَّ عَنْهُ ۚ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْتُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ سبب نزلوها: أن نفرأ من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، وأميمة وأبي ابن خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا إليه، ثم قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيني، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية؛ وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. فاما «الأكِنَّة»، فقال الزجاج: هي جمع كِنَان، وهو الغطاء؛ مثل عِنَان وأعِنَّة. وأما: «أن يَفْقَهُوهُ»؛ فمَنْصُوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أَكِنَّةً لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة؛ ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبها إلى «أن». «الوقر»: ثَقُلَ السمع، يقال: في أذنه وَقْرٌ، وَقَدَّ وَقَرَّتِ الْأُذُنُ، تُوقَرُ. قال الشاعر:

وَكَلَامٌ سَائِيٌّ قَدْ وَقَرَّتْ

أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ<sup>(٣)</sup>

والوقر، بكسر الواو: أن يُحْمَلَ البعير وغيره مقدار ما يطيق، يقال: عليه وَقْرٌ، ويقال: نخلة موقرة، وموقرة. وإنما فُعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفقهوه، ولم يسمعه؛ ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُذُّبًا﴾ أي: كل علامة تدل على رسالتك، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾. ثم أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَشْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ما سَطَّر من أخبارهم وأحاديثهم. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: أساطير الأولين: كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم. وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أسطورة. وقال بعضهم: أساطيرة؛ ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عباديد، ومذاكير، وأبائيل. وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سطر منها، أي: ما كتب، ومنه قوله: ﴿تَافَكَّرَ وَمَا يَسْطَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [القلم] أي: يكتبون، واحدا سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل<sup>(٤)</sup>. والقول الثاني: أن معنى أساطير الأولين: الترهات. قال أبو عبيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز الترهات. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشككة، يقول قائلهم: قد

(١) قال ابن كثير بعد أن نقل هذا القول عن ابن عباس: وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَهُكُمْ فَإِنْ شَاءَ جَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المجادلة: ١٨].

(٢) الطبري ٣٠٢/١١، وذكره ابن كثير ١٢٧/٢ عن ابن أبي حاتم وإسناده حسن، ونصه: عن سعيد بن جبيرة قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَأَقْرَبُ نَبَأًا مَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ كَيْفَ كُنَّا﴾ [النساء: ٤٢] قال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَأَقْرَبُ نَبَأًا مَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا نجعد، فقالوا: ﴿وَأَقْرَبُ نَبَأًا مَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فنحن الله على أفرامهم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ كَيْفَ كُنَّا﴾ وفي رواية للطبري ٣٧٤/٨: تبين أن السائل هو نافع بن الأزرق، وكان يأتي ابن عباس ليلقي عليه من مشابه القرآن.

(٣) البيت للمصنف البغدادي من قصيدة حكيمية أجبتها صاحب «المفضليات» ٢٩٣.

(٤) «غريب القرآن» ٣٧.

أخذنا في ترهات البساس، يعني: قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل؛ وعما يعرف إلى ما لا يعرف. و«البساس»: الصحاري الواسعة، والترهات: طرق تشعب من الطريق الأعظم، فتكثر وتشكل، فجعلت مثلاً لما لا يصح وينكشف. فإن قيل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحى من الله. والثاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل. فعلى الجواب الأول تكون «أساطير» من التسطير، وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات، وقد شرحنا معنى الترهات.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْفَرُونَ عَنْهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعدوا عما جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه، فقال: ما لي عنه صبر؛ فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك؛ فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم، وقال:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ  
فَاضْطَغَ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ  
وَعَرَضَتْ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ  
لَوْ لَا الْمَلَأَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةٌ  
حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثُّرَابِ دَفِينًا  
وَأُبْشِرْ وَقَرِّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونًا  
مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا  
لَوْ جَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينًا

فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن كفار مكة كانوا يبهون الناس عن اتباع النبي ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال ابن الحنفية، والضحاك، والسدي. فعلى القول الأول، يكون قوله: «وهم» كناية عن واحد؛ وعلى الثاني: عن جماعة. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. ثم فيه قولان: أحدهما: يبهون عن أذاه. والثاني: عن أتباعه. والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. «وَيَنْفَرُونَ» بمعنى يبعدون. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿لَا أَنْفُسُهُمْ﴾ بالتباعد عنه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكونها.

﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ قُتِلَ عَلَى الْآثَارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ قُتِلَ عَلَى الْآثَارِ﴾ في معنى «وقفوا» ستة أقوال: أحدها: حبسوا عليها، قاله ابن السائب. والثاني: غرضوا عليها، قاله مقاتل. والثالث: عاينوها. والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: «على» هاهنا بمعنى «في». والسادس: جعلوا عليها وقفاً، كالوقوف المؤبدة على سبيلها، ذكره الماوردي. والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتمهم في تلك الحال، لرأيتم عجباً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «تكذب»، والنون من «نكون». قال الزجاج: والمعنى أنهم تمنوا الرد، وضمنوا أنهم لا يكذبون. والمعنى: يا ليتنا نُرَدُّ، ونحن لا نكذب بآيات ربنا، رُدُّنا أو لم نُرَدِّ، ونكون من المؤمنين، لأننا قد عاينا ما لا نكذب معه أبداً. قال: ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى «يا ليتنا نرد»، يا ليتنا لا نكذب، كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق. وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذب - واللَّهُ - بآيات ربنا، ونكون - والله - من المؤمنين.

(١) هو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق، ثقة فاضل مترجم في «التهذيب».

وقرأ حمزة إلا العجلى<sup>(١)</sup>، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذب»، والنون من «نكون». قال مكي بن أبي طالب: وهذا النصب على جواب التمني، وذلك بإضمار «أن»، حملاً على مصدر «نرد»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدرًا، فعطف بالواو مصدرًا على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا ردًا، وانتفاءً من التكذيب، وكونًا من المؤمنين. وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نكذب»، ونصب النون من «نكون»؛ فالرفع قد بينا علته، والنصب على جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَأَ لَكُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٧٨) وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَكُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ «بل»: هاهنا ردٌ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردوا لأمنوا. وقال الزجاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي؛ تقول: ما جاء زيد، بل عمرو. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن. والثاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بالسنتهم، قاله مقاتل. والثالث: بدا لهم جزاء ما كانوا يخفونه، قاله المبرد. والرابع: بدا للاتباع ما كان يخفيه الرؤساء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهُوا عنه من الشرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا تَكْذِبْ يَأَيُّهَا الرَّبِّانِ وَتَكُونُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. قال ابن الأنباري: كذبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم، أنهم إن رُدُّوا، آمنوا ولم يكذبوا، ولم يكذبهم في التمني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث. قال مقاتل: لما أخبر النبي ﷺ كفار مكة بالبعث، قالوا هذا. وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو ردوا لقالوه.

﴿وَلَوْ تَرَكْنَا بِهِ إِذْ وَفَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا بِهِ إِذْ وَفَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: عُرِضُوا على ربهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾. وقال غيره: أليس هذا البعث حقًا؟ فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

﴿فَتَدْخِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِلَهًا كَوْنًا إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَنَتْهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا بِهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْثَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ (٨١)

قوله تعالى: ﴿فَتَدْخِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِلَهًا كَوْنًا﴾ إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم. والمراد بقاء الله: البعث والجزاء، والساعة: القيامة؛ والبنته: الفجأة. قال الزجاج: كل ما أتى فجأة فقد بغت، يقال: قد بغت الأمر يَبْغَتْ بَغْتًا وبِغْتَةً؛ إذا أتاه فجأة. قال الشاعر:

وَلَكِنَّهُمْ بَأْسُوا وَلَمْ أَحْسِنْ بَغْتَةً وَأَفْطَحُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَحْسَرُنَا﴾ الحسرة: التلطف على الشيء الفات، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا. فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فَتَدْخِلُ عليه «يا» للتنبية، والمراد تنبيه الناس لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرىك هاهنا، لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمعني؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله. وقال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبٌ، فهذا زمانك. فأما التفریط فهو: التضييع. وقال الزجاج: التفریط في اللغة: تقبلة العجز<sup>(٣)</sup>. وفي المكني عنه بقوله: «فيها» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الدنيا، فالمعنى: على ما

(١) هو أبو أحمد عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح العجلي الكوفي نزيل بغداد، مقرر مشهور ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيات، وعن سليم عن حمزة أيضاً، مات في حدود العشرين ومائتين.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣، و«الكامل» ٨٧٨، و«اللسان»: بغت، وهو ليزيد بن ضبة مولى لثيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه، غلبت على نسبه، لأن أباه مات وخلفه صغيراً. وهو شاعر إسلامي.

(٣) في «اللسان»: وقال الزجاج: ﴿كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾، أي: كان أمره التفریط، وهو تقديم العجز.



ضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل. والثاني: أنها الصَّفقة، لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة، وترك ذكرها اكتفاءً بذكر الخسران؛ قاله ابن جرير. والثالث: أنها الطاعة، ذكره بعض المفسرين. فأما الأوزار، فقال ابن قتيبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظهر. وقال ابن فارس: الوزر: الثقل. وهل هذا الحمل حقيقة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هاني: يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلما كان هؤلاء عظمه عليه، وزاده خوفاً، فيقول: بشس الجليس أنت، مالي ولك؟ فيقول: أنا عمك، طالما ركبتني في الدنيا، فلا ريكك اليوم حتى أخزيك على رؤوس الناس، فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السدي، وعمرو بن قيس الملائي<sup>(١)</sup>، ومقاتل. والثاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزجاج. قال فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يتحمل، ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ﴾: بشس الشيء شيئاً يزرونه، أي يحملونه.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها، إلا كالشيء يلعب به. والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدنيا. والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللعب: ما لا يُجدي نفعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ اللام: لام القسم، والدار الآخرة: الجنة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ فيعملون لها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «يعقلون» بالياء، في (الأنعام) و (الأعراف) و (يوسف) و (يس)، وقرأوا في (القصص) بالتاء. وقرأ نافع كل ذلك بالياء، وروى حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء، إلا في (يس) ﴿فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٧)، بالياء. وقرأ ابن عامر الذي في (يس) بالياء، والباقي بالتاء.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا بِكَيُودُكَ وَلَكِنَّ الْغُلَّيْلِينَ بِأَيْدِي اللَّهِ يَحْمِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبنا قط فننتهمك اليوم، ولكننا إن نتبعك نتخطف من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذب النبي في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي ﷺ، قالوا فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح. والثالث: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب<sup>(٢)</sup>. وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لبي عبد مناف؟ فأنزل الله هذه الآية. والرابع: أن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من يسمع كلامك غري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والنبوة، فمأذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما الذي يقولون، فهو التكذيب للنبي ﷺ، والكفر بالله. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهون به.

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن قيس الملائي الكوفي، ثقة فاضل متعب، مترجم في «التلخيص» وغيره. وقد خرج الطبري أثره ٣٢٧/١١، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وإسناد ابن أبي حاتم فيما رواه ابن كثير (١٢٩/٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق.

(٢) الطبري: ٣٣٤/١١، مرسلاً عن ناجية بن كعب الأسدي، ورواه الترمذي ١٠٣/٤ عن علي، ثم رواه مرسلاً من رواية ناجية بن كعب دون ذكر علي، وقال: وهذا أصح، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٥/٢ موصولاً بإسناد آخر غير إسناد الترمذي، وصححه على شرط الشيخين، قال الشيخ أحمد شاکر في «عمدة التفسير» (٢٥/٥): فالواصل زيادة من ثقتين، فهي مقبولة على اليقين، وقد تعقب الذهبي تصحيح الحاكم إياه «على شرط الشيخين» بأنهما لم يخرجها لناجية شيئاً. وهذا صحيح، فإن الشيخين لم يخرجها لناجية بن كعب الأسدي شيئاً، ولكنه تابعي ثقة، فالحديث صحيح، وإن لم يكن على شرطهما.

(٣) الطبري: ٣٢٢/١١.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَكُونُ الْكُفْرُ بِاللَّهِ عِلًّا بَلْ يَكُونُ كُفْرًا بِآيَاتِهِ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْهُ﴾. وفي معناها قولان: أحدهما: لا يُكْفَرُكَ كاذباً؛ قاله ابن قتيبة. والثاني: لا يكذبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آيات الله، ويتعرضون لعقوباته. قال ابن الأنباري: وكان الكسائي يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبت الرجل: إذا نسبته إلى الكذب وصنعة الأباطيل من القول؛ وأكذبه: إذا أخبرته أن الذي يحدث به كذب، ليس هو الصانع له. قال: وقال غير الكسائي؛ يقال: أكذبت الرجل: إذا أدخلته في جملة الكذابين، ونسبته إلى صفتهم، كما يقال: أبخلت الرجل: إذا نسبته إلى البخل، وأجبت: إذا وجدته جباناً. قال الشاعر:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ      وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ<sup>(١)</sup>

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، وابن عامر: «يَكْذِبُونَكَ» بالتشديد وفتح الكاف؛ وفي معناها خمسة أقوال: أحدها: لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد وبهت، قاله قتادة، والسدي. والثاني: لا يقولون لك: إنك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب. والثالث: لا يكذبونك في السر، ولكن يكذبونك في العلانية، عداوة لك، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت. والخامس: لا يكذبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزجاج. وقال أبو علي: يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلفت اللفظتان، إلا أن «فعلت»: إذا أرادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من «أفعلت». ويؤكد أن القراءتين بمعنى، ما حكاه سيوبه أنهم قالوا: قللت، وأقللت، وكثرت، وأكثرت بمعنى. قال أبو علي: ومعنى «لا يكذبونك»: لا يقدرون أن ينسبك إلى الكذب فيما أخبرت به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما يقال: أحمدت الرجل: إذا أصبته محموداً، لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة: «وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَكَاتِبُونَكَ بِالْحَقِّ» بالسنتهم ما يعلمونه يقيناً، لعنادهم. وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثالث: القرآن، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَيِّلَ لِكَيْتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٢)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقي منهم. قال ابن عباس: «فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا» رجاء ثوابي، «وَأَوْدُوا» حتى نُشِروا بالمناسير، وخرقوا بالنار: «حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا» بتعذيب من كذبهم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَيِّلَ لِكَيْتِ اللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا خُلف لمواعيده، قاله ابن عباس. والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج. والثالث: لا مبدل لحكوماته، وأفضيته النافذة في عبادته، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله: «وَلَكِنَّ حَقَّقَ كَلِمَةَ الْكَافِرِينَ» [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي عليهم. فعلى هذا القول والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: «لَا تَحْزَنُ إِنَّا وَرَسُولٌ» [المجادلة: ٢١]. والرابع: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يُبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله: «لَا رَيْبَ فِيهِ» [البقرة: ٢٦]. والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنصروا. وقيل إن: «مين»: صلة.

(١) البيت للكيميت بن زيد الأسدي من قصيدته الرائعة في مدح آل البيت.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٦/٦) و (١٢٦/٧) و (٢٨١/١٢) عن خباب بن الأرت ؓ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برودة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا نستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله واللتب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَكًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَكَوْشًا اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ سبب نزولها: أن الحارث بن عامر أتى النبي ﷺ في نفر من قريش فقال: يا محمد، اتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. و «كبر»: بمعنى «عظم». وفي إعراضهم قولان: أحدهما: عن استماع القرآن. والثاني: عن اتباع النبي ﷺ. فأما «النفق»، فقال ابن قتيبة: النفق في الأرض: المدخل، وهو السرب. والسلم في السماء: المصعد. وقال الزجاج: النفق: الطريق النافذ في الأرض. والنافقاء، ممدود: أحد جحرة اليربوع يخرقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقها، حتى إن رابه ريب، دفع برأسه ذلك المكان وخرج، ومنه سمي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنافقاء الذي ظاهره غير بين، وباطنه حفر في الأرض. و «السلم» مشتق من السلامة، وهو الشيء الذي يسلمك إلى مصعدك. والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأن في الكلام دليلاً عليه. وقال أبو عبيدة: السلم: السبب والمراقبة، تقول: اتخذنتي سلماً لحاجتك، أي: سبباً. وفي قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ قولان: أحدهما: بآية قد سألك إياها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك، ومثل آيات الأنبياء، كعصا موسى، ونافقة صالح. والثاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله تعالى: ﴿وَكَوْشًا اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لو شاء أن يطعهم على الهدى لطبعهم. والثاني: لو شاء أنزل ملائكة تضطربهم إلى الإيمان، ذكرهما الزجاج. والثالث: لو شاء لأمنوا كلهم، فأخبر أنما تركوا لإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى. والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر بعضهم. والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له، لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين. ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد به سماع قبول. وفي المراد بالموت قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقناة، فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون؛ فأما الكفار، فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله، ثم يحشرهم كفاراً، فيجيبون اضطراراً<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله مثلاً؛ والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فكَذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكل. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِلَّ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء قريش. و «لولا»: بمعنى «ملا»؛ وقد شرحناها في سورة (النساء). وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء. وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنبوة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يعلمون بأن الله قادر على إنزال الآية. والثاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم. والثالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلْمٍ يَطِرُ بِهَا يَجَازِيهِ إِلَّا أَنْتُمْ أُنْتَلِكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ لَكَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد كل ما دب على الأرض. قال الزجاج: وذكر الجناحين توكيد، وجميع ما خلق لا يخلو إما أن يدب، وإما أن يطير.

(١) قال الطبري ٣٤١/١١: ﴿وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، لا يعقلون دعاء، ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينجزون عما هم عليه من تكذيب رسول الله وخلافهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمُّ أَثَالِكُمْ﴾ قال مجاهد: أصناف مصنفه. وقال أبو عبيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه. وفي معنى «أمثالكم» أربعة أقوال: أحدها: أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في معرفة الله، قاله عطاء. والثالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزجاج. والرابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبغى الرزق، وتتوقى المهلك، قاله ابن قتيبة. قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى رغب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي ﷺ ويتمسكوا بطاعته، كما جعل للطير أفهاماً يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذكور منها لإتيان الأنثى، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه القرآن. روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم. فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى: ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجملًا، وإما دلالة، كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلُو لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنْ رَئَيْتَ مِثْرَوتَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة. روى أبو ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر، «أندري فيما انتطحتا؟» قلت: لا. قال: «لكن الله يدري، وسيقضي بينهما»<sup>(١)</sup>. وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فيقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عباس، والضحاك.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُوءُ وَبُكْمٍ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَنْشَأْ يَجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ «سُوءُ وَبُكْمٍ» عن القرآن لا يسمعون، «وَبُكْمٍ» عنه لا ينطقون به، «فِي الظُّلُمَاتِ» أي: في الشرك والضلالة. «مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يُضِلَّهُ» فيموت على الكفر، «وَمَنْ يَنْشَأْ يَجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، وهو الإسلام.

﴿ثُمَّ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرَأَيْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «أرايتم» و «أرايتكم» و «أرايت» بالالف في كل القرآن مهموزاً؛ ولين الهزمة نافع في الكل. وقرأ الكسائي بغير همز ولا ألف. قال الفراء: العرب تقول: أرايتك، وهم يريدون: أخبرني. فأما عذاب الله، ففي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل. فأما الساعة، فهي القيامة. قال الزجاج: وهو اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، وللوقت الذي يبعثون فيه.

قوله تعالى: ﴿أَعَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ أي: أندعون صنماً أو حجراً لكشف ما بكم<sup>(١)</sup> فاحتج عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ جواب لقوله: «أرايتكم»، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

(١) «المسند» ١٦٢/٥ و ١٧٣، و«الطبري» ٣٤٨/١١.

(٢) الطبري ٣٤٧/١١، والحاكم ٣١٦/٢ وقال: صحیح علی شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣١/٢ ثم قال: وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ١١/٣ وزاد نسبه لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وروى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٧/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: «تؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». والجلحاء: الشاة إذا لم تكن ذات قرن، والقرناء: الشاة الكبيرة القرن.

﴿بَلْ إِنَّمَا تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُنْكِرُونَ﴾ ٤١

قوله تعالى: ﴿بَلْ إِنَّمَا تَدْعُونَ﴾ قال الزجاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشدائد إلا إياه؛ وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم، وهذا على اتساع الكلام مثل قوله: ﴿وَسَتِلِّي الْقُرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢)، أي: أهل القرية. ﴿وَتَسْأَلُونَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تركون»؛ ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيتهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتُهُم بِالْبَاسِ وَأَلْفَرُّوْا لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ﴾ ٤٢

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالصوهم، فأخذناهم بالباس؛ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الزمانة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها الجوع، ذكره الزجاج. وفي الضراء ثلاثة أقوال: أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: النقص في الأموال والأنفس، ذكره الزجاج. والثالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ﴾ أي: لكي يتضرعوا. والتضرع: التذلل والاستكانة، وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرعوا..

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٣

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه: «فهلاً». والباس: العذاب. ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أخذوا بالشدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالهم فأصروا عليها.

﴿فَلَمَّا سَوَّا مَّا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَّجُوا مَا أُوْتُوا أَخَذْتُهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَوَّا مَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: تركوا ما وعظوا به. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد رخاء الدنيا وسرورها. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَحْنَا» بالتشديد هنا وفي (الأعراف)، وفي (الأنبياء): «فُتِّحَتْ»، وفي (القمم): «فَتَحْنَا»، والجمهور على تخفيفهن. قال الزجاج: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاماً، وما فُتح عليهم، فاستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله «كل شيء»: التأكيد، كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثر ما يصفه والإطباب فيه، كقوله: ﴿رَأَوَيْتَ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وقال الحسن: من وُسِّع عليه فلم ير أنه لم يُكرمه، فلا رأي له؛ ومن قُتِر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ في المبلس خمسة أقوال: أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وقال في رواية أخرى: الآيس من كل خير. وقال الفراء: المبلس: اللئس المنقطع رجاءه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجة، فلا يكون عنده جواب: قد أبلس. قال العجاج:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُّكْرَسًا      قَالَتْ نَعَمْ أَغْرِفُهُ! وَإِبْلَسًا<sup>(٢)</sup>

أي: لم يحز جواباً. وقيل: المكرس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبوّلت، فيكرب بعضه بعضاً. والثاني: أنه

(١) في «تفسير المنار» ٤١٤/٧: والآية تنيد أن البأس والضراء وما يقابلها من السراء والنعماء، مما يتربى وينتهز به الموفقون من الناس، وإلا كانت النعم أشد وبالاً عليهم من النقم، وهذا ثابت بالاختيار، فلا خلاف في أن الشدائد مصلحة للفساد، وأجدر الناس بالاستفادة من الحوادث المومن، كما ثبت في حديث صيب مرفوعاً في «صحيح مسلم»: «حجياً لأمر المومن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمومن، إن أصابته سره شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

(٢) «مجاز القرآن» ١/١٩٣، و«معاني القرآن» للفراء: ٣٣٥، و«الطبري» ١١/٣٦٣، و«الكامل» ٥٣٩، و«اللسان» و«التاج»: بلس.

المفتضح. قال مجاهد: الإبلان: الفضيحة. والثالث: أنه المهلك، قاله السدي. والرابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة، وأنشد لرؤية: وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وإبلان<sup>(١)</sup> أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن. وقال الزجاج: هو الشديد الحسرة، الحزين، اليأس. وقال في موضع آخر: المبلس: الساكت المتحير.

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال ابن السائب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم. والمعنى: أنهم استؤصلوا. وقال أبو عبيدة: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم. قال ابن قتيبة: هو كما يقال: اجثت أصلهم. قال المفسرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَوِّفُونَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: أذهبها، ﴿وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ حتى لا تعرفون شيئاً ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزجاج. وقال الفراء: إذا كنت عن الأفاعيل، وإن كثرت، وحذت الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذني. والثاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفراء. فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشمل عليه، لأن من أخذ سمعه وبصره وختم على قلبه لم يهتد. والثالث: أنها تعود على السمع، ويكون ما عطف عليه داخلاً معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزجاج. والجمهور يقرؤون: ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ﴾ بكسر هاء «به». وروى المسيبي<sup>(٢)</sup> عن نافع: «به أنظر». بالضم. قال أبو علي: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب؛ ومن ضم، فعلى قول من قال: فحسبنا بهو ويدار هو الأرض، فحذف الواو.

قوله تعالى: ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَوِّفُونَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: يعرضون فلا يعتبرون. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ قال الزجاج: البغته: المفاجأة؛ والجهرة: أن يأتيهم وهم يرونه. ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

﴿وَمَا يُزِيلُ الَّذِينَ يَمُنُونَ إِلَّا بِمَنْشُورٍ﴾ (٢١) ﴿وَمَا يُزِيلُ الَّذِينَ يَمُنُونَ إِلَّا بِمَنْشُورٍ﴾ (٢٢) ﴿وَمَا يُزِيلُ الَّذِينَ يَمُنُونَ إِلَّا بِمَنْشُورٍ﴾ (٢٣)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُزِيلُ الَّذِينَ يَمُنُونَ إِلَّا بِمَنْشُورٍ﴾ أي: بالثواب؛ ومنذرين بالعقاب، وليس لإرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق، وعقاب من كذب في تمام الآية والتي بعدها. وقال ابن عباس: يفسقون: بمعنى يكفرون.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِيَّيْكَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٤)

(١) «ديوانه» ٦٧، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«اللسان»: بلس، ورواية «ديوانه» و«عرفت يوم الخميس».

(٢) هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المدني، إمام جليل، عالم بالحديث، قيم في قراءة نافع، شابط لها، محقق، فقيه. انظر «طبقات القراء» ١/ ١٥٧.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزاً فستغني به، فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: وهذه الآية متصلة بقوله: ﴿قَوْلًا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَائِكَةً مِنْ رَبِّهِ﴾، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه ملك، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر. وقرأ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة، والجاحدري: «إني ملك» بكسر اللام. وفي الأعمى والبصير قولان: أحدهما: أن الأعمى: الكافر، والبصير: المؤمن، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: الأعمى: الضال والبصير: المهتدي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ قولان: إحداهما فيما بينكم لكم من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق رسوله. والثاني: فيما ضرب لكم من مثل الأعمى والبصير، وأنهما لا يستويان.

﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ إِلَيْ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ دُونَهُ وَكَذَلِكَ نَقُصُّهُمْ عَنْ أَنْبَاءِ اللَّهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ﴾ قال الزجاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مذكراً لجميع الخلق، لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر، لاعترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه، وإما كتابي، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبّاءه، فأعلم ﷺ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع. وقال غيره: ليس لهم من دونه ولي، أي: ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع، لأن شفاعة الشافعين بأمره. وقال أبو سليمان الدمشقي: هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَرْسِلْ إِيَّاهُ الْقُرْآنَ لِأَشَدِّكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٩].

﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالْقِسْفَةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: فتي، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال. قالت قریش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك. فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال خباب بن الأرت: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النبي ﷺ، يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشرف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نعم». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً، فأتي بأديم ودواة، ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ فرمى بالصحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. فلدنونا نه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته<sup>(٢)</sup>. وقال ابن مسعود: مر الملاء من قریش على رسول الله ﷺ وعنده خباب، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعاً لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشرف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا، وأدنى لاتباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته<sup>(٤)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه

(١) رواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢، ومسلم بنحوه مختصراً ١٨٧٨/٤، ورواه بنحوه الطبري ٣٧٨/١١، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣٥/٢ بنحوه عن سعد، وقال: رواه الحاكم في «مستدرکه» من طريق سفيان وقال: على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» من طريق المقدم بن شريح به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٧٦/١١ بمعناه، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١٣٤/٢) من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا حديث غريب، فإن الآية منكبة، والأقرع بن حابس، وعيينة، إنما أسلموا بعد الهجرة بدهر. ورواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢.

(٣) رواه أحمد في «المستند» رقم (٣٩٨٥) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ورواه الطبري ٣٧٤/١١، ٣٧٥.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٣٧٩/١١، ٣٨٠ بأطول منه.



الآيات نزلت في الموالى، منهم بلال، وصهيب، وجناب، وعمار، ومهجع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة؛ وأن قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُنْشَرَوْا إِلَيْ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضاً. وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن ناساً من الأشراف قالوا للنبي ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك، فليصلوا خلفنا. فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في هذا الدعاء خمسة أقوال: أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عباس. وقال مجاهد: هي الصلوات الخمس؛ وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصبح والعصر. وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي؛ ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك. والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي، وعنه كالقول الأول. والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك. والرابع: أنه تعلم القرآن غداة وعشية، قاله أبو جعفر. والخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له، وعبادته، قاله الزجاج. وقرأ الجمهور: «بالغداة»؛ وقرأ ابن عامر هاهنا وفي (الكهف) أيضاً: «بالغدوة» بضم الغين وإسكان الدال ويعدها واو. قال الفراء: والعرب لا تدخل الألف واللام على «الغدوة»، لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب؛ يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غداة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة. وقال أبو علي: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة، وتتعرف باللام؛ وأما غداة، فمعرفة. وقال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غداة ويكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر. فإن قيل: دعاء القوم كان متصلاً بالليل والنهار، فلماذا خص الغداة والعشي؟ فالجواب: أنه نبه بالغداة على جميع النهار، وبالعشي على الليل، لأنه إذا كان عمل النهار خالصاً له، كان عمل الليل أصفى.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال الزجاج: أي يريدون الله، فيشهد الله لهم بصحة النيات، وأنهم مخلصون في ذلك. وأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن. والثاني: حساب الأرزاق. والثالث: أنه بمعنى الكفاية؛ والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن الأنباري؛ عظم هذا الأمر على النبي ﷺ، وخوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء على الضعفاء.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يَقُولُوا أَهْوَآءُ مَنْ أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْمُتَكِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً بعضهم ببعض. و «فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا؛ ﴿يَقُولُوا أَهْوَآءُ﴾، يعني الكبراء؛ ﴿أَهْوَآءُ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَنْ أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة. قال ابن السائب: ابتلى الله الرؤساء بالموالي؛ فإذا نظر الشريف إلى الوضع قد آمن قبله، أنف أن يسلم، ويقول: سبقني هذا؟

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْمُتَكِبِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية. والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر. والاستفهام في «أليس»، معناه التقرير، أي: إنه كذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ وَنُفُوهُكُمْ سَوَاءٌ بِمَهَلِكِهِمْ سَاءٌ تَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا أصبنا دنوباً عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في الذين نهي عن طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: «الحمد لله الذي

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١١/٣٩٠، ٣٩١ من طريق مجمع بن سمعان قال: سمعت ما هان. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبه إلى القرطبي وعبد بن حميد، ومسدد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم. وما هان هو أبو سالم الكوفي الأعور، ثقة عابد، روى عن ابن عباس وأم سلمة، قتلته الحجاج سنة ثلاث وثمانين.

جعل في أمي من أمرني أن أبداهم بالسلام، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحزمة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء. والرابع: أن عمر بن الخطاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرؤساء إلى الإسلام. فلما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، جاء عمر يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أنها نزلت مبشرة بإسلام عمر بن الخطاب؛ فلما جاء وأسلم، تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأما قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِكَائِنًا﴾ فمعناه: يصدقون بحججنا وبراهيننا.

قوله تعالى: ﴿نَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفاً لهم؛ وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أنه أمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى السلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات. وفي السوء قولان: أحدهما: أنه الشرك. والثاني: المعاصي. وقد ذكرنا في سورة (النساء) معنى «الجهالة». قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إنه من عمل منكم سوءاً» «فإنه غفور» بكسر الالف فيهما. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الالف فيهما. وقرأ نافع: بنصب ألف «أنه» وكسر ألف «فإنه غفور». قال أبو علي: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيراً للرحمة؛ ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه» من عمل» جعل «أن» بدلاً من الرحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء، أضمر خبراً تقديره: «فله: أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا لَكُمْ قَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣]، معناه: فله أن له نار جهنم. وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرحمة، واستأنف ما بعد الفاء.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبين لك حججنا في كل حق ينكره أهل الباطل. قال ابن قتيبة؛ ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرقة شيئاً بعد شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ولتستبين» بالياء، «سبيل» بالرفع. وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالياء أيضاً، إلا أنهما نصبا السبيل. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ولتستبين» بالياء، «سبيل» بالرفع. فمن قرأ «ولتستبين» بالياء أو التاء، فلأن السبيل تذكر وتؤنث على ما بينا في (آل عمران)، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وفي سبيلهم التي بُيِّنَتْ له، قولان: أحدهما: أنها طريقهم في الشرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عباس. والثاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إظهار مجالسته واتباعه، قاله أبو سليمان. فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولتستبين» وسبيلها أن تكون شرطاً لفعل يتقدمها أو يأتي بعدها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين: أحدهما: أنها شرط لفعل مضمَر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين. والثاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: تفصل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اللَّهُ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُنْهَيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام. وفي معنى «تدعون» قولان: أحدهما: تدعونهم أكلة. والثاني: تعبدون؛ قاله ابن عباس. وأهواؤهم: دينهم. قال الزجاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البينة والبرهان. ومعنى «إذا» معنى الشرط؛ والمعنى: قد ضللت إن عبدتها. وقرأ طلحة، وابن أبي ليلي: «قد ضللت» بكسر اللام.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عُدِدُوا لِي إِلَّا الْيَمِينُ وَالْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْفَنَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد اتنا بالعذاب الذي تعبدنا به، استهزاء؛ وقام النضر عند الكعبة وقال: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فأتنا بالعذاب؛



وفي الرطب واليابس، خمسة أقوال: أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية. والثاني: الرطب: ما يُنبت، واليابس: ما لا يُنبت. والثالث: الرطب: الحي، واليابس: الميت. والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله. والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه رطباً، ويعلمه يابساً. وفي الكتاب المبين قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مقاتل. والثاني: أنه علم الله المتقن؛ ذكره الزجاج. فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري: أحدها: أنه أحصاها في كتاب لتقف الملائكة على نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يريد به النوم، لأنه يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم، كما يقبض بالموت. وقال ابن عباس: يقبض أرواحكم في منامكم. وجرحتم: بمعنى كسبتم. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ أي: يوقظكم فيه، أي: في النهار. ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم، فدل بالبقطة بعد النوم على البعث بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْغَافِرُ ذُو الْعَرْشِ وَرَسُولٌ عَلَيْكُمْ حِفْظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُكَ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْزَعُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولٌ عَلَيْكُمْ حِفْظَةٌ﴾ الحفظة: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعله. وفيما يحفظونه قولان: أحدهما: أعمال بني آدم؛ قاله ابن عباس. والثاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقرأ حمزة: «توفاه رسلنا» وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ﴾ [يوسف: ٣٠]. وفي المراد بالرسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله ابن عباس. وقال النخعي: أعوانه يتوفون النفوس، وهو يأخذها منهم. والثاني: أن المراد بالرسل ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الحفظة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْزَعُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يضيعون. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾؟ [السجدة: ١١] فعنه جوابان: أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرسل ملك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد. والثاني: أن أعوان ملك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكل إلى فعله. وقيل: تَوَفَّى أعوان ملك الموت بالنزع، وتَوَفَّى ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتَوَفَّى الله تعالى بأن يخلق الموت في الميت.

﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَيُّ ۖ أَلَا لَهُ الْخُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني العباد. وفي متولي الرُّد قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتْهم بالموت إلى الله تعالى. والثاني: أنه الله ﷻ، ردهم بالبعث في الآخرة. وفي معنى ردهم إلى الله تعالى، قولان: أحدهما: أنهم ردوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده. والثاني: أنهم ردوا إلى تديره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفرداً بتدبيرهم، فلما مكنتهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفهم عنه بالموت، فصاروا مردودين إلى تديره.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخُكْمُ﴾ يعني القضاء. وبيان سرعة الحساب في (البقرة) (١).

(١) يعني: تقدم بيان سرعة الحساب في سورة (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعٌ الْحَسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَدْعُونَهُ فَضْرَعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُقَرَّبُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾، مشددين. وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم. قال الزجاج: والمشددة أجود للكثرة. وظلمات البر والبحر: شدائدها؛ والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل. قال الشاعر:

فَدَيْ لِبَنِي دُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَ نَأَقِي

قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ فَضْرَعًا﴾ أي: مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «وخفية» بكسر الخاء؛ وكذلك في (الأعراف). وقرأ الباقون بضم الخاء، وهما لغتان. قال الفراء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة، خفوة، وخفوة. ومعنى الكلام، أنكم تدعون في أنفسكم، كما تدعونه ظاهراً: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا﴾، كذلك قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «لئن أنجبتنا»، وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «لئن أنجانا» بالفتح، لمكان الغيبة في قوله: «تدعون». وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلون الجيم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَذِهِ﴾ يعني: في أي شدة وقعتم، قلتم: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ﴾. قال ابن عباس: و«الشاكرون» هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوْا الله مخلصين فأنجاهم. فاما «الكرب» فهو الغم الذي يأخذ بالنفس، ومنه اشتقت الكربة.

﴿قُلْ هُوَ الْغَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُزَيِّنَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَبْيَتَ لَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْغَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصِب قوم لوط، وأصحاب الفيل. والذي من تحت أرجلهم: كما حُصِف بقارون، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. وقال غيرهم: ومنه الطوفان، والريح، والصيحة، والرجفة. والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم. والذي من تحتهم: من سَفَلَتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السوء؛ والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا﴾ قال ابن عباس: يَبْسُ فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فرقاً. قال ابن قتيبة: يلبسكم: من الالتباس عليهم<sup>(١)</sup>. والمعنى: حتى تكونوا شيعاً، أي: فرقاً مختلفين. ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب. وقال الزجاج: يلبسكم، أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أَيْتَهُ. ومعنى شيعاً: أي يجعلكم فرقاً، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيُزَيِّنُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: يقتل بعضكم بيد بعض. وفيمن غَيَّي بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) البيت أشده سيويه في «الكتاب» ٢١/١، ونسبه لمقاس العائذي، واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث... وهو شاعر جاهلي كما نص عليه ابن دريد في «الاشتقاق»، وذكر الرزباني أنه مخضرم. ورواية الشطر الثاني عند سيويه:

«إِذَا كَانَ يَوْمٌ فَوْ كَوَاكِبِ أَشْهُبٍ»

وأورد بعده لعمرو بن شاس بيتاً آخر هو:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بِلَاءَنَا

فالمصنف لفق البيت من البيتين، قال الأعلام: أراد: وقع يوم، أو حضر يوم، ونحو ذلك مما يقتصر فيه على الفاعل، وأراد باليوم يوماً من أيام الحرب، وصفه بالشدّة، فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب، ونسبه إلى الشبهة، إما لكثرة السلاح الصفيّة فيه، وإما لما ذكره من النجوم، ودخل بن شيان بن بني بكر بن وال، وكان مقاس نازلاً فيهم، وأصله من قريش من عائلة، وهم حي منهم.

(٢) في «غريب القرآن»: من الالتباس عليكم.

أنها في المسلمين أهل الصلاة، هذا مذهب ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة. وقال أبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العذاب للمشركين، وبإتي الآية للمسلمين، قاله الحسن. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم، فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح ببيضتكم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها تهذّب للمشركين، قاله ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

﴿وَكَذَّبَ بِرَبِّهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِرَبِّهِ قَوْمُكَ﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن تصريف الآيات. والثالث: عن العذاب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لست حفيظاً على أعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن. والثاني: لست حفيظاً عليكم، أخذكُم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله، قاله الزجاج.

### فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان: أحدهما: أنه اقتضى الاختصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أن معناه: لست حفيظاً عليكم، إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار؛ فعلى هذا هو محكم.

﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير. قال السدي: فاستقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبَيِّنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون. والثاني: اليهود. والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن. وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿وَإِمَّا يُبَيِّنُكَ﴾ وقرأ ابن عامر: «يُبَيِّنُكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية. ومثل هذا: عَرَّمْتُهُ وأَعَرَّمْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿مَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ [الطلاق: ١٧]. والمعنى: إذا أنساك الشيطان، فعدت معهم ناسياً نَهَيْتَا لك، فلا تقعد بعد الذكرى. والذكر والذكرى: واحد. قال ابن عباس: قم إذا ذكرته؛ والظالمون: المشركون.

(١) «المسند» ١٣٤/٥، ١٣٥، و«الطبري» ٤٢٢/١١، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١/٧، ثم قال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: - أي الهيثمي - والظاهر أن من قوله: «فمضت اثنتان إلى آخره» من قول رفيع: (يعني أبا العالية) فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة. وقال الحافظ في «الفتح» ٢٢٠/٨: وقد أعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك ستة وخمسين وعشرين من الوفاة النبوية، فكان حديثه انتهى عند قوله: «لا محالة» والباقي من كلام بعض الرواة، وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره، وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص، وهو وجود الصحابة، والقرون الفاضلة، وقد روى أحمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ أَتَذْكُرُ﴾ إلى آخرها فقال: أما إنها كائنة، ولم يأت تأويلها بعد، وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها.

(٢) «صحيح مسلم» ٢٢١٦/٤ عن سعد بن أبي وقاص، و«المسند» ٢٤٠/٥، و«ابن ماجه» ١٣٠٣/٢ عن معاذ بن جبل ؓ، وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلما استهزأوا بالقرآن، وخاضوا فيه، فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننهم عن الخوض، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإننا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل، والأولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: يتقون الخوض.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعْكُمْ﴾ يعني: حساب الخائضين. وفي «حسابهم» قولان: أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم. والثاني: عقوبة خوضهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ ذُكِّرُوا﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكروهم. وفيما تذكرونهم به، قولان: أحدهما: المواقف. والثاني: قيامكم عنهم. قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرغبة في مجالستكم. قوله تعالى: ﴿لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الاستهزاء. والثاني: يتقون الوعيد.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاعتصار على تذكيرهم، ثم نسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. والصحيح أنها محكمة، لأنها خير، وإنما دلت على أن كل عبد يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ عَزْزُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَقُولَ كُلُّ عَدُوٍّ لَكَ يُوْعَذُ بِهَا فَأُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٢)

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ عَزْزُهُمْ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار. والثاني: اليهود والنصارى. وفي اتخاذهم دينهم لعباً ولهواً، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها. والثاني: أنهم دانوا بما اشتبهوا، كما يُلْهَوْنَ بما يشتهون. والثالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتبهوا، كما يلهون إذا اشتبهوا. قال الفراء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يُلْهَوْنَ في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير.

### فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، قولان: أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرِ وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا﴾ [المائدة: ١١] فعلى هذا، هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾ أي: عظ بالقرآن. وفي قوله: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ قولان: أحدهما: لثلا تبسل نفس، كقوله: ﴿أَنْ تَبْسَلَ﴾ [النساء: ١٧٦]. والثاني: ذكّرهم بإسالة المسلمين بجناياتهم لعلهم يخافون. وفي معنى «تبسل» سبعة أقوال: أحدها: تُسَلَّم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. وقال ابن قتيبة: تُسَلَّم إلى الهلكة. قال الشاعر:

وإيسالي بسني بغير جرم  
بَعَزَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقٍ<sup>(١)</sup>  
أي: بغير جرم أجرمناه؛ والبَعُزُ: الجناية. وقال الزجاج: تُسَلَّم بعملها غير قادرة على التخلص. والمستبسل:

(١) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي كما قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» ١١٤/٢، وهو في «نوادير أبي زيد» ١٥١، و«مجاز القرآن» ١٩٤/١، و«غريب القرآن» ١٥٥، و«الطبري» ٤٤٥/١١، و«القرطبي» ١٦/٧، و«شواهد الكشاف» ٢٠٠، و«اللسان» و«التاج» «بسل» و«بعر».



المستسلم الذي لا يعلم أنه يقدر على التخلص. والثاني: نُفَضِّح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: تُدْفَع، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: تُهْلَكُ، روي عن ابن عباس أيضاً. والخامس: تُحْبَسُ وتُؤَخَذ، قاله قتادة، وابن زيد. والسادس: تُجْزَى، قاله ابن السائب، والكسائي. والسابع: تُرْتَهَن، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: تُرْتَهَن وتسلم؛ وأنشد:

مُنَالِكَ لَا أَزْجُو حَيَاةَ تَسْرُئِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ<sup>(١)</sup>

سمير الليالي: أبد الليالي. فأما الولي: فهو الناصر الذي يمنعها من عذاب الله. والعدل: الفداء. قال ابن زيد: وإن تفقد كل فداء لا يقبل منها. فأما الحميم، فهو الماء الحار. قال ابن قتيبة: ومنه سمي الحقام.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى امْتَثِلْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا لِسُلَيْمَ رَبِّ الْمَلَكِيَّاتِ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ اللَّهِ إِلَيْهِ تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أنعبد ما لا يضرنا إن لم نعبد، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام. ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ وقرأ حمزة: «استهواه الشياطين»، على قياس قراءته: ﴿تَوَلَّيْتُ رُشْدَنَا﴾. وفي معنى «استهواها» قولان: أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تشبه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوي به في الأرض، ففضله. والثاني: زينت له هواه، قاله الزجاج. قال: و«حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: أتبعوا سبلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضل، فحيرته الشياطين، وأصحابه على الطريق يدعونه: يا فلان هلم إلينا، فإننا على الطريق، فيأبى. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، دعاه أبوه وأمه إلى الإسلام فأبى. قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ هذا رد على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجر عن إجابته كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا لِسُلَيْمَ﴾ قال الزجاج: العرب تقول: أمرتك أن تفعل، وأمرتك لتفعل، وأمرتك بأن تفعل. فمن قال: «بأن» فالباء للإلصاق. والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: «أن تفعل» فعلى حذف الباء؛ ومن قال: «لتفعل» فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر. قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وجهان: أحدهما: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصلاة. والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقهما للحق. والثاني: خلقهما حقاً. والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق. والرابع: خلقهما بالحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الزجاج: الأجود أن يكون منصوباً على معنى: واذكر يوم يقول كن فيكون، لأن بعده ﴿وَلَا قَالَ لِزَيْهٍ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا. وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل. والثاني: ما يكون في القيامة. والثالث: أنه الصور، وما ذكر من أمر الصور يدل عليه، قالهما الزجاج. قال: وخص ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء ليدل على سرعة أمر البعث.

(١) البيت للشنفرى، وهو شاعر جاهلي من معاليك العرب وفناكم، وهو في «الطرائف» ٣٦، و«مجاز القرآن» ١/١٩٥، و«الشعر والشعراء» ١/٢٦، و«الحمامة» بشرح التبريزي ٢/٦٣، وشرح «المفصليات» ١٩٧، و«الطبري» ١١/٤٤٦، و«اللسان» و«التاج»: بسل. وقوله: سمير الليالي، ويروى «سجيس الليالي» وهما بمعنى: معنى «مبسل بالجرائر» أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم.

قوله تعالى: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الكائن لا محالة ﴿وَلَكِنَّ الْمَلِكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾. وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «نَفَخَ» بنونين. ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩]. وفي «الصور» قولان: أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه؛ روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصور، فقال: «هو قرن ينفخ فيه»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق. وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطْحَنَاهُمْ عَدَاةَ الْجَمْعَيْنِ  
بِالصَّابِحَاتِ فِي غُبْرِ النَّفْعَيْنِ  
نَطْحاً شَدِيداً لَا كَنَظَحِ الصُّورَيْنِ<sup>(٢)</sup>

وأنشد الفراء:

لَوْلَا ابْنُ جَفْدَةٍ لَمْ يُفْتَحْ فُهَنْدُوكُكُمْ

وهذا اختيار الجمهور. والثاني: أن الصور جمع صورة؛ يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله قتادة، وأبو عبيدة. وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو جحزر، وأبو المتوكل «في الصور» بفتح الواو. قال ثعلب: الأجود أن يكون الصور: القرن، لأنه قال ﷺ: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ ثم قال: «ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ نُفْرَيْنِ»؛ ولو كان الصور، كان: ثم نفخ فيها، أو فيها؛ وهذا يدل على أنه واحد؛ وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين. وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات؛ الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة النيام لرب العالمين»<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى، يعني: نفخة الصعق.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ الْغَيْبُ﴾ وهو ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه، ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه. وقال الحسن: يعني بذلك السر والعلانية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَى أَنَّهُ اتَّخَذَ أَسْوَماً إِلَٰهَةً إِيَّكَ وَكَوَمَكَ فِي مَثَلِ مِثْبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَى أَنَّهُ اتَّخَذَ أَسْوَماً إِلَٰهَةً إِيَّكَ وَكَوَمَكَ فِي مَثَلِ مِثْبِينَ﴾، في «آزر» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، والحسن، والسدي، وابن إسحاق. والثاني: أنه اسم صنم، فأما اسم أبي إبراهيم، فتأرجح، قاله مجاهد. فيكون

(١) «المسند» ١٠/١٠، ١١، «الترمذي» ٢٩٥/٣، وصححه، وأبو داود في «سننه» ٣٢٦/٤، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٣٦/٢، ٥٠٦، ٥٦٠/٤، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) الرجز في «غريب القرآن» ٢٦ بدون نسبة، والأول والثالث في «اللسان» (صور) والصابحات: الخيل الصالحة.

(٣) البيت بدون نسبة في «معاني القرآن» للفراء ٢٤٠/١، «المعرب» للجواليقي ٢٦٧، وابن جرير الطبري ٤٦٣/١١، «نسب قریش» ٣٤٥، «اللسان»: صور. وابن جعدة: هو عبد الله بن جعدة بن هيرة المخزومي، وكان أبو جعدة بن هيرة على خراسان ولاء علي بن أبي طالب ﷺ، والقهنتز، بضم القاف والهاء وسكون التون وضم الدال من لغة خراسان، يعنون بها الحصن أو القلعة. وقد استشهد الفراء وابن جرير بالبيت على أن العرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصور.

(٤) هو قطعة من حديث طويل ساقه بطوله الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٤٦/٢ من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني. قال الشيخ أحمد شاكر: هو حديث ظاهر النكارة، وإسماعيل بن رافع رواه قال فيه ابن معين: لي بشي، وقال أبو حاتم: هو منكر الحديث، وقال ابن جبان في كتاب «المجروحين» ص ٨٣ - ٨٤ (مخطوط مصور): كان رجلاً صالحاً إلا أنه قلب الأخبار، حتى صار القلب على حديث المتأخر التي يسبق إلى القلب أنه كالمتمم لها. قلت: وروى البخاري ٤٢٤/٨، ومسلم ٢٢٧٠/٤ عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: آبيت. قال: أربعون شهراً؟ قال: آبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: آبيت. ثم ينزل الله من السماء ماء فينبئون كما ينبت البقل. وقوله: «آبيت» قال الحافظ: معناه: امتنعت عن القول بتعيين ذلك، لأنه ليس عندي في ذلك توفيق. وقد رجح غير واحد من العلماء أنها نفختان فقط.

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر: أما أن اسم والد إبراهيم «آزر» فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني. وأما التأويل والتلاعب بالألفاظ، فما هو إلا إنكار مقنع لمضمون الكلام ومعناه، وسواء أكان اسمه في قول أهل النسب نقلاً عن الكتب السابقة «تأرجح» أو لم يكن، فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدق ما نص عليه القرآن، وبدلالة لفظ «أبيه» على معناه الوضعي في اللغة، والقرآن هو المهيمن على ما قبله من كتب الأديان السابقة. ثم يقطع كل شك، ويذهب بكل تأويل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ٢٧٦/٦ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قفرة وغبرة»، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني... إلى آخر الحديث. وليس بعد هذا النص مجال للتلاعب.

المعنى: أتخذ آزر أصناماً؟ فكانه جعل أصناماً بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار. والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبب بعيب، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه المعوج، كأنه عابه بريغه وتعيجه عن الحق، ذكره الفراء. والثاني: أنه المخطئ، فكانه قال: يا مخطئ أتخذ أصناماً؟ ذكره الزجاج. والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان. قال ابن الأثير: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه. والجمهور على قراءة «آزر» بالنصب. وقرأ الحسن، ويعقوب بالرفع. قال الزجاج: من نصب، فموضع «آزر» خفض بدلاً من أبيه؛ ومن رفع فعلى النداء.

﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مِّنَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿مَلِكًا مِّنَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: «نري» بمعنى أرينا. قال الزجاج: والملوك بمنزلة الملوك، إلا أن الملوك أبلغ في اللغة، لأن الواو والتاء يزدان للمبالغة؛ ومثل الملوك: الرغبت والرهبوت. قال مجاهد: ملكوت السموات والأرض: آياتها؛ تفرجت له السموات السبع، حتى العرش، فنظر فيهن، وتفرجت له الأرضون السبع، فنظر فيهن. وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار. وقال السدي: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات والأرض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السبع، حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السموات والأرض ليستدل به، وليكون من الموقنين. وفي ما يورق به ثلاث أقوال: أحدها: وحدانية الله وقدرته. والثاني: نبوته ورسالته. والثالث: ليكون موقناً بعلم كل شيء حساً، لا خبراً.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ قال الزجاج: يقال: جن عليه الليل، وأجنه الليل: إذا أظلم، حتى يستر بظلمته، ويقال لكل ماستر: جن، وأجن، والاختيار أن يقال: جن عليه الليل وأجنه الليل.

### الإشارة إلى بدء قصة إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عباس قال: وُلد إبراهيم في زمن نُمرود، وكان لنمرود كُهان، فقالوا له: يولد في هذه السنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يده، فعزل النساء عن الرجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكهان لنمرود: إن الغلام قد حمل به الليلة. فقال: كل من ولدت غلاماً فاقتلوه. فلما أخذ أم إبراهيم المخاض، خرجت هاربة، فوضعت في نهر يابس، ولقته في خرقة، ثم وضعت في خلفاء<sup>(١)</sup>، وأخبرت به أباه، فأتاه، فحفر له سرباً، وسد عليه بصخرة، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه، حتى شب وتكلم، فقال لأمه: من ربي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك. قال: فمن رب أبي؟ قالت: أسكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض، ابنك. فأتاه، فقال له مثل ذلك. فلما جنّ عليه الليل، دنا من باب السرب، فنظر فرأى كوكباً. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم «رأى»، بفتح الراء والهمزة؛ وقرأ أبو عمرو: «رأى»؛ بفتح الراء وكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم. «رأى»، بكسر الراء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهو أت في ستة مواضع: ﴿رَأَىٰ الْقَمَرَ﴾ [النحل: ٨٥] وفي النحل ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسُ﴾ [النحل: ٨٥] وفي النحل ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وقرأ أبو بكر عن

(١) في «اللسان» الحلفاء: ثبت أطرافه محددة، كأنها أطراف سعف النخل والخوص، بنبت في مغايض الماء والنزوز، الواحدة: حلفة، مثل قصبة وقصباء، وطرفة وطرفاء.

عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف في اختياره: بكسر الراء وفتح الهمزة في الكل، وروى العبسي كسرة الهمزة أيضاً، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو؛ وابن عامر، والكسائي: بفتح الراء والهمزة. فإن اتصل ذلك بمكني، نحو: رآك، ورواه؛ وراها؛ فإن حمزة، والكسائي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضل، وأبان، والقزاز عن عبد الوارث، والكسائي عن أبي بكر: يكسرون الراء، ويميلون الهمزة. وفي الكوكب الذي رآه قولان: أحدهما: أنه الزهرة، قاله ابن عباس، وقناة. والثاني: المشتري، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هذا ربي، فعبدته حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل. وهذا القول لا يرتضى، والمتأهلون للنسبة محفوظون من مثل هذا على كل حال. فاما قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَقْبَلَ الْعَشْتَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟ والثاني: أنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ليعيب آلهتهم ويربهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضرهم في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿إِنِّي شَيْكَلِيكَ﴾، وإما أن يضرهم: يقولون، فيكون كقوله: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر ابن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل يقوم يعبدون صنماً، فأظهر تعظيمه، فأكرموه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاوهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا. والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربي؟ فاضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَأَمِنَ مَنْ فُهِمَ اللَّتَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣٤] أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِسَوَائِي ط      غَلَسَ الظُّلَامُ مِنَ الرَّيَابِ حَيَالاً<sup>(١)</sup>

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضر إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ أنه إشارة إلى الصانع. وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر، لا ترى فيه إلا أثر مدبر. و«أفل» بمعنى: غاب؛ يقال: أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً.

قوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: حبّ ربّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبراً.

﴿قَلَمًا رَءَا الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي قَلَمًا أَقَلَّ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوَّيِّ الضَّالِّينَ﴾ قَلَمًا رَءَا الشَّمْسَ بَارِعَةً قَال هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ قَلَمًا أَقَلَّتْ قَالَ يَنْقَوِي إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

قوله تعالى: ﴿قَلَمًا رَءَا الْقَمَرَ﴾ قال ابن قتيبة: سمي القمر قمراً لبياضه؛ والأقمر: الأبيض؛ وليلة قمراء، أي: مضية. فاما البازغ، فهو الطالع. ومعنى ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي﴾: لئن لم يثبتني على الهدى. فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل. والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربي، قاله الأخفش. والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى. والرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التائث، وإنما يشبه لفظها المذكر، فجاز تذكرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَعَاجَزُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجَوْنَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَ وَلَا آخَاثَ مَا تُشْرِكُونَ يَوْمَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

(١) البيت للأخطل من قصيدة بهجو بها جريراً، وهو في «ديوانه» ٤١، ومجاز القرآن ٥٦/١، والكمال ٦١١، والطبري ٣٦١/١، «والنهاية»، و«اللسان» (كذب) و«شواهد المعني» ٥٢، و«الخزانة» ٤١١/٢، ٤٥٢/٤.



قوله تعالى: ﴿وَوَكَّيْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا لصلبه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولدًا لإسحاق: ﴿كَلَّا﴾ من هؤلاء المذكورين: ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشدنا.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ دُرِّيَّةٍ﴾ في «هاء الكناية»، قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى نوح؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، ومقاتل، وابن جرير الطبري. والثاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء. وقال الزجاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى، واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لوطاً، وليس من ذرية إبراهيم. وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لوطاً في المعاضدة والنصرة، ثم قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ من أبين دليل على أنه إبراهيم، لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم. فأما «يوسف» فهو اسم أعجمي. قال الفراء: «يوسف». بضم السين من غير همز، لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: «يوسف» بالهمز، وبعض العرب يقول: «يوسف» بكسر السين، وبعض بني عُقِيل يقول: «يوسف» بفتح السين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين. فأما عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطاً؛ فأسماء أعجمية، وجمهور الفراء يقرؤون «اليسع» بلام واحدة مخففاً، منهم ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي هاهنا وفي (ص): «الْيَسْعُ» بلامين مع التشديد. قال الفراء: وهي أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يُعْقَل»، إذا كان في معنى فلان، ألفاً ولاماً، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصحى من الكلام. وأنشدني بعضهم:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بِنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكاً  
شَدِيدُ أَخْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ<sup>(١)</sup>

فلما ذكر الوليد بالآلف واللام، أتبعه يزيد بالآلف واللام، وكل صواب. وقال مكّي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: لَيْسَعُ، فأدخلوا عليه حرف التعريف. وباقي أسماء الأنبياء قد تقدم بيانها، والمراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ عَابَةَ وَزَيْنَةَ﴾ «من» هاهنا للتبعيض. قال الزجاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم. ﴿وَزَيْنَةَ﴾ مثل اخترانهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه. فأما الصراط المستقيم، فهو التوحيد.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُدْعَى بِهِ يَشْكُرُ مِنْ بَعْدِهِ وَكَلَّا أَنتُمْ لَمَسْتُمْ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُدْعَى بِهِ يَشْكُرُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ قال ابن عباس: ذلك دين الله الذي هم عليه: ﴿يُدْعَى بِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَعَبَّ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْفِكْرَ وَالشُّرْعَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم. والحكم: الفقه، والعلم، ﴿فَإِنْ يَنْكَرُوا﴾ يعني بآياتنا. وفيمن أشير إليه بـ «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقتادة. والثاني: أنهم قريش، قاله السدي. والثالث: أمة النبي ﷺ، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ قال أبو عبيدة: فقد رزقناها قوماً. وقال الزجاج: وكلنا بالإيمان بها قوماً. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والسدي. والثاني: الأنبياء والصالحون، قاله الحسن. وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان. وهذا اختيار الزجاج، وابن جرير. والثالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء. والرابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

(١) البيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد يمدح فيها أبا العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. وهو في «معاني القرآن» للفراء ١/٣٤٢، و«المنهاج» ٥٢، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ٢٥٢. وقوله: «بأخوان الخلافة» فالأخوان جمع الحنو وهو الجهة والجانب، ويقال: أخاء الأسور لما تشابه منها وأشكال المخرج منه. والكاهل: اسم لما بين الكتفين، ويعبر بشدة الكاهل عن القوة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدُوا قُلْ لَا أَتْلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْمَلَكِ﴾ ٩٠

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني النبيين المذكورين. وفي قوله تعالى: ﴿فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدُوا﴾ قولان: أحدهما: بشرائهم وبسننهم فاعمل، قاله ابن السائب. والثاني: اقتد بهم في صبرهم، قاله الزجاج. وكان ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، يشنون الهاء من قوله: ﴿اقتده﴾ في الوصل ساكنة. وكان حمزة، وخلف، ويعقوب، والكسائي عن أبي بكر، واليزيدي في اختياره، يحذفون الهاء في الوصل. ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه. قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن. والذكرى: العظة. والعالمون هاهنا: الجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْمَعُونَ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَتُفْسَدُ كَثِيرًا وَظَلَمُوا مَا لَوْ تَوَلَّوْا أَنَّهُمْ وَلَا ءَابَاؤُهُمْ هَلْ يَرْءَى اللَّهُ تَمَرَهُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْمُونَ﴾ ٩١

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن مالك بن الصيف رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «أئتشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يَغْضُ الحبر السمين؟» قال: نعم. قال «فأنت الحبر السمين». فغضب، ثم قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة: نزلت في مالك بن الصيف. والثاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم». قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فنزلت هذه الآية، رواه الواهبي عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله، فأتينا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣ - ١٥٦]. فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن كعب. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، أتاهم الله علماً فلم يتفعلوا به، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله السدي. والسادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والسابع: أن أولها، إلى قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ في مشركي قريش. وقوله: ﴿مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد. وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما عظموا الله حق عظمت، قاله ابن عباس، والحسن، والفراء، وثعلب، والزجاج. والثاني: ما وصفوه حق صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل. والثالث: ما عرفوه حق معرفته، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُونَ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَتُفْسَدُ كَثِيرًا وَظَلَمُوا مَا لَوْ تَوَلَّوْا أَنَّهُمْ وَلَا ءَابَاؤُهُمْ هَلْ يَرْءَى اللَّهُ تَمَرَهُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْمُونَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس، لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاؤوا.

قوله تعالى: ﴿يَدُونَهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها» و«يخفون» بالياء فيهن. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي؛ بالتاء فيهن. فمن قرأ بالياء، فلان القوم غيب، بدليل قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب؛ والمعنى: تبون منها ما تحبون، وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ونحو ذلك مما كتّموه.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا لَوْ تَوَلَّوْا أَنَّهُمْ وَلَا ءَابَاؤُهُمْ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد. فعلى الأول: علّموا ما في التوراة؛ وعلى الثاني: علّموا على لسان محمد ﷺ.

(١) رجع هذا القول ابن كثير وقال: إنه الأصح، لأن الآية مكية، واليهود لا يتكروا إزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر كما قال: ﴿أَكُنْ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَرِيحًا إِنْ يَكُلُ يَنْهَمُ أَنْ يُلَوِّا النَّاسَ﴾ [يونس: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ أَنَّ يُؤْمِنُوا بِكَ يَنْصُرُوا إِلَٰهَكَ﴾ [الأنعام: ٩٤، ٩٥].



قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ﴾ تهديد. وخوضهم: باطلهم. وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن. قال الزجاج والمبارك: الذي يأتي من قبله الخير الكثير. والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَاحِثٌ أَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسِعٌ أَمْ الْقُرْآنُ وَمَنْ حَوْلَهُ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ أَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُنَزِّلَ أَمْ الْقُرْآنُ﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «ولينزله» بالياء؛ فيكون الكتاب هو المنذر. وقرأ الباقر: بالياء، على الخطاب للنبي ﷺ. فأما أم القرى، فهي مكة. قال الزجاج: والمعنى: لتنذر أهل أم القرى. وفي تسميتها بأم القرى أربعة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها أقدمها، قاله ابن قتيبة. والثالث: لأنها قبله جميع الناس، يؤمنونها. والرابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال ابن عباس: يريد الأرض كلها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى النبي محمد ﷺ. والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به؛ ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه بالآخرة حقيقة، ولا يعتد به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُعْزَزُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ يَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أولها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل في مسلمة الكذاب. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحيان؛ فإذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول لرسول الله ﷺ: هذا وذاك سواء. فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾﴾ أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلَقْنَا آخِرَهُ﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فقال رسول الله ﷺ: «كذا أنزلت علي، فاكبتها» فشك حيثن، وقال: لئن كان محمد صادقاً، لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً، لقد قلت كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة. والقول الثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السدي. والثالث: أنها نزلت في مسلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة. فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾ وذاك مفترٍ أيضاً؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدل على جرأته. والثاني: أنه خص بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ بعد أن عم بقوله: ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه ليس كل مفترٍ على الله يدعي أنه يوحى إليه، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَأُنْزِلُ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول. قال ابن عباس: يعنون الشعر، وهم المستهزون. وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح. قال الزجاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ كُنَّا لَقَنَّا بِشَيْءٍ هَذَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة، فأخرجهم الكفار

معه إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزل فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله أبو سليمان. والثالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدَّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله. قال الزجاج: وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو تراه في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً. ويقال لكل من كان في شيء كبير: قد غمر فلاناً ذلك. قال ابن عباس: غمرات الموت: سكراته. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: سميت غمرات، لأن أهوالها يغمرن من يقعن به.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْكُكُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالضرب، قاله ابن عباس. والثاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضحاك. والثالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفراء. وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عند الموت. قال ابن عباس: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأبدانهم، وملك الموت يتوقأهم. والثاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في النار، قاله الحسن. قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ فيه إضمار «يقولون» وفي معناه قولان: أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم. والثاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

قوله تعالى: ﴿فُجِّرُوا عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال أبو عبيدة: الهون: مضموم، وهو الهوان؛ وإذا فتحوا أوله، فهو الرفق والدعة. قال الزجاج: والمعنى: تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد. **﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ سبب نزولها: أن النضر بن الحارث قال: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. ومعنى فرادى: وحداً. وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبخ به المشركين يوم القيامة. قال أبو عبيدة: فرادى، أي: فرد فرد. وقال ابن قتيبة: فرادى: جمع فرد. وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال متقاربة المعنى: أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس. والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن. والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل. والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه، قاله الزجاج. والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد. والثاني: حفاة عراء غرلاً. والغزل: القلف. والثالث: أحياء. و«حَوَّلْنَاكُمْ» بمعنى ملكتناكم. «وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» أي: في الدنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني، وبقي الندم على سوء الاختيار. وفي شفعايتهم، قولان: أحدهما: أنها الأصنام. قال ابن عباس: شفعاؤكم، أي: ألهمتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و«زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ» أي: عندكم شركاء. وقال ابن قتيبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء. والثاني: أنها الملائكة؛ كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بالرفع، وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف. قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز، ومعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم. وقال ابن الأنباري: التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها. قال أبو علي: الذين رفعوه، جعلوه اسماً، فاستندوا الفعل الذي هو «تَقَطَّعَ» إليه؛ والمعنى: لقد تقطع وصلكم. والذين نصبوا، أضمرنا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل؛ فالتقدير: لقد تقطع وصلكم بينكم. وفي الذي كانوا يزعمون قولان: أحدهما: شفاعة ألهمتهم. والثاني: عدم البعث والجزاء.

**﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْثِ وَخَرَجُ الْحَبِّ مِنَ أَلْيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنَّ تَوَكُّوْنَ﴾**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْثِ﴾ في معنى الفلق قولان: أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحب والنوى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الفلق بمعنى الشق. ثم في معنى

الكلام قولان: أحدهما: أنه فلق الحبة عن السنبل، والنواة عن النخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الشقان اللذان في الحب والنوى، قاله مجاهد، وأبو مالك. قال ابن السائب: الحب: ما لم يكن له نوى، كالبرّ والشعير؛ والنوى: مثل نوى التمر.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ أَنَّى مِنْ آلَيْهِ وَخَرَجَ آلَيْهِ مِنْ آلَيْهِ﴾ قد سبق تفسيره في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

﴿فَالْقَائِلُ الْقَائِلُ وَجَعَلَ الْقَائِلُ سَكَنًا وَالْقَائِلُ حُسْبَانًا فَكَانَ تَقْدِيرُ الْقَائِلِ الْقَائِلِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَالْقَائِلُ الْقَائِلُ﴾ في معنى الفلق قولان قد سبقا. فأما الإصباح، فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح. وقال الزجاج: الإصباح والصبح واحد. وللمفسرين في الإصباح، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من الليل. والثالث: أنه نور النهار، قاله الضحاك. وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجحدري: ﴿فالق الإصباح﴾ بفتح الهمزة. قال أبو عبيد: ومعناه جمع صبح.

قوله تعالى: ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «جاعل» بآلف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وجعل» بغير ألف. «الليل» نصباً. قال أبو علي: من قرأ: «جاعل» فلاجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأن فاعلاً هاهنا، بمعنى: «فعل» بدليل قوله: ﴿الْقَائِلُ وَالْقَائِلُ بِحُسْبَانٍ﴾. فأما السكن، فهو ما سكنت إليه. والمعنى: أن الناس يسكنون فيه سكناً راحة. وفي الحسبان قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: خذ من كل شيء بحسابه، أي: بحسابه. وفي المراد بهذا الحساب، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يجريان إلى أجل يجعل لهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السدي. والثالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور والأعوام، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن معنى الحسبان؛ الضياء، قاله قتادة. قال الماوردي، كأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَرُزِّيلَ عَلَيْهِمْ حُسْبَانًا مِنْ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، أي: ناراً. قال ابن جرير: وليس هذا من ذلك في شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَمْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ﴾ جعل، بمعنى خلق. وإنما امتن عليهم بالنجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَصَّلَكُمْ فَصْلًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿فَصَّلَكُمْ فَصْلًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، إلا رؤيساً: بكسر القاف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقر» ومن نصب، فالمعنى: «فلکم مستقر». فأما مستودع، فبالفتح لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودع» وعلى كسر القاف: «منكم مستودع». وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال: أحدها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأضلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقاتدة، والسدي، وابن زيد. والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود. والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأضلاب، رواه ابن جبیر عن ابن عباس. والرابع: المستقر والمستودع في الرحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس. والخامس: المستقر حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس. والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر. والسابع: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وهو عكس الذي قبله، روي عن الحسن. والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد. والتاسع: المستقر في الأضلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو عكس الأول.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ يَنْطَلِعُهَا فِتْنَانٌ دَابِيَّةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانِ الزَّيْتُونِ وَالزَّيْتَانِ شُشْبَةً وَفَصَّرَ مُشْتَبِهًا أَنْظَرُوا إِلَيْنَا ثَمَرَهُ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْجُوهُ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر. وفي قوله تعالى: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: نبات كل شيء من الثمار، لأن كل ما ينبت، فنباته بالماء. والثاني: رزق كل شيء وغذاؤه. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان: أحدهما: من الماء، أي: به. والثاني: من النبات. قال الزجاج: الخضر بمعنى الأخضر؛ يقال: اخضر، فهو أخضر، وخضر، مثل عور، فهو أغور، وعور.

قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر ﴿حَبًا مُتَرَاكِبًا﴾ كالسنبل والشعير. والمتراكب: الذي بعضه فوق بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّخْلِ يَنْطَلِعُهَا فِتْنَانٌ دَابِيَّةٌ﴾ وروى الخفاف عن أبي عمرو: «فتوان» بضم القاف؛ وروى هارون عنه بفتحها. قال الفراء: معناه: ومن النخل ما فتوانه دانية؛ وأهل الحجاز يقولون: «فتوان» بكسر القاف؛ وقيس يضمنونها؛ وضبة، وتميم يقولون: «فتيان». وأنشدني المفضل عنهم:

فَأُتِثَّ أَعَالِيهِ وَأَدَّتْ أَصُولُهُ  
وَمَالَ بِقَنْيَانٍ مِنَ الْبُسْرِ أَخْمَرًا<sup>(١)</sup>

ويجتمعون جميعاً، فيقولون: «فتو» ولا يقولون: «قني» ولا «قني» وكلب يقولون: «ومال بقنيان». قال المصنف: والبيت لامرئ القيس؛ ورواه أبو سعيد السكري: «ومال بقنوان» مكسورة القاف مع الواو، فيه أربع لغات: قنوان، وقنوان، وقنيان، وثنيان؛ و«أثت»: كثرت؛ ومنه: شعر أثيت. و«أدت»: اشتدت. وقال ابن قتيبة: القنوان: عذوق النخل، واحدها: قنو، جمع على لفظ ثنية؛ ومثله: صنو وصنوان في الثنية، وصنوان في الجميع. وقال الزجاج: قنوان: جمع قنو، وإذا ثنيته فهما قنوان، بكسر النون. ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها فتوان بعيدة» لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحابة؛ قد كانت غير سحابة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة؛ كقوله تعالى: ﴿سَرَبِيلٌ يَتَكَبَّمُ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨١]. وقال ابن عباس: القنوان الدانية: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانِ الزَّيْتُونِ وَالزَّيْتَانِ شُشْبَةً﴾ قال الزجاج: هو نسق على قوله: «خضرًا» ﴿وَالزَّيْتُونُ وَالزَّيْتَانُ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزيتون والرمان؛ وقد روى أبو زيد عن المفضل: «وجنات» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَفَصَّرَ مُشْتَبِهًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشتبهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مشتبهاً ورقه، مختلفاً ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول. والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضاً، ومنه ما يخالف. قال الزجاج: وإنما قرن الزيتون بالرمان، لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره. قال الشاعر:

بُورِكَ الْمَيْتِ الْغَرِيبُ كَمَا بُو  
رِكَ نَضْحُ الرُّمَانِ وَالزَّيْتُونِ

ومعناه: أن البركة في ورقه اشتماله على عوده كله.

قوله تعالى: ﴿أَنْظَرُوا إِلَيْنَا ثَمَرَهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿أَنْظَرُوا إِلَيْنَا ثَمَرَهُ﴾، و﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، و﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٥]. بالفتح في ذلك. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالضم فيهن. قال الزجاج: يقال: ثَمَرَةٌ، وَثَمَرٌ، وَثِمَارٌ، وَثَمَرٌ؛ فمن قرأ: «إِلَيْنَا ثَمَرَهُ» بالضم أراد جمع الجمع. وقال أبو علي: يحتمل وجهين. أحدهما هذا، وهو أن يكون الثمر جمع ثمار. والثاني: أن تكون الثمر جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأكُم، وخشبة وخُشْب. قال الفراء: يقول: انظروا إليه أول ما يَغْقِدُ، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه

(١) البيت لامرئ القيس، «ديوانه» ٦٧، «واللسان»: قنا. من قصيدته المستجادة، وهو من أولها يصف ظن الحي يشبهها بالنخل. وقوله: أثت أعاليه، أي: عظمت والتفت من ثقل حملها. وقوله: أدت، أي: تثت ومالت.

ويلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعُ، بفتح الباء، وبعض أهل نجد يضمونها. قال ابن قتيبة: يقال: يَنْعَت الثمرة، وأينعت: إذا أدركت، وهو اليَنْع واليَنْع. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن محيصن: «وَيُنْعِه» بضم الباء. قال الزجاج: الينع: النضج. قال الشاعر:

فِي قَبَابِ حَوْلِ دَسْكَرَةِ

حَوْلَهَا الرِّثْيُونُ قَدْ يَنْعَا<sup>(١)</sup>

وبيّن الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» قال ابن عباس: يصدقون أن الذي أخرجها النبات قادر على أن يحيي الموتى. وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِنِّ﴾ وَخَرَفُوا لَمْ يَبَيِّنْ وَيَنْدَبْ يَمُرْ سَبْحَتَهُ وَتَقَلَّ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِنِّ» جعلوا، بمعنى وصفوا. قال الزجاج: نصب «الجن» من وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجعلوا الله الجن شركاء؛ ويكون الجن مفعولاً ثانياً، كقوله: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِئْتِ» [الزخرف: ١٩]. والثاني: أن يكون الجن بدلاً من شركاء، ومفسراً للشركاء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجحدري: «شركاء الجن» برفع النون؛ وقرأ ابن أبي عتبة، ومعاذ القارئ: «الجن» بخفض النون. وفي معنى جعلهم الجن شركاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِنْسِ نَسَبًا» [الصافات: ١٥٨] فسمى الملائكة جنّاً لاجتماعهم، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والثالث: أن الزنادقة قالوا: الله خالق النور والماء والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وفيهم نزلت هذه الآية. قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» في الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثاً؟ ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» وقرأ نافع: «وخرقوا» بالتشديد، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادّعوا الملائكة بنات الله، والنصارى المسيح، واليهود عزيزاً. وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وخرقوا» بحاء غير معجمة وتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «خارقوا» بألف وخاء معجمة. قال السدي: أما «البنون»، فقول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله. وأما البنات فقول مشركي العرب: الملائكة بنات الله. قال الفراء: خرّقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى افتروا. وقال أبو عبيدة: خرّقوا: جعلوا. قال الزجاج: ومعنى: «بغير علم»: أنهم لم يذكروه من علم، إنما ذكروه تكذّباً.

﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّ يَكُونُ لَهُ يَوْمَ ذَلِكَ لَمَّا تَخْلَقُ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: «أَنَّ يَكُونُ لَهُ يَوْمَ ذَلِكَ لَمَّا تَخْلَقُ كُلُّ شَيْءٍ» قال الزجاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة! واحتج عليهم في نفي الولد بقوله: «وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ» فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له! فإذا نُسب إليه الولد، فقد جعل له مثل.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾

(١) «الحيوان» ١/٤، و«الكامل» ٢٢٦/١، و«مجاز القرآن» ٢٠٢/١، و«الطبري» ٥٨٠/١١، و«خزانة الأدب» ٢٧٩/٣، و«اللسان»: ينح. قال المبرد: قال أبو عبيدة: هذا الشعر مختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأوحص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. وفي «اللسان» قال ابن بري: هو للأوحص، أو يزيد بن معاوية، أو عبد الرحمن بن حسان، ونسبه صاحب «اللسان» في مادة: «دمكر» إلى الأخطل. والدمكرة: بناء كالقصر، كانت الأعاجم تتخذ للشرب والملاهي.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الإدراك قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة. والثاني: بمعنى الرؤية. وفي «الأبصار» قولان: أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور. والثاني: أنها العقول، رواه عبد الرحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ. ففي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء. وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرؤية، لما صح عن رسول الله ﷺ من الرؤية<sup>(١)</sup>، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث. والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومقاتل. ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمْ نَافِثَةً ۖ إِنَّ بِهَا نَافِثَةً ۖ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقيّد النظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾ فيه القولان. قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه، فأعلم الله أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه؛ فكيف به ﷻ؟! فأما «اللطيف»، فقال أبو سليمان الخطابي: هو البرّ بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الأعرابي: اللطيف: الذي يوصل إليك أَرْكَ في رفق؛ ومنه قولهم: لطف الله بك؛ ويقال: هو الذي لَطَفَ عن أن يُدْرِكَ بالكمفية. وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده؛ والخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾. نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله ﷻ غني عن خلقه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

## فصل

وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بأية السيف. وقال بعضهم: معناها: لست رقيباً عليكم، أحصي أعمالكم؛ فعلى هذا لا وجه للنسخ.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ قال الأخفش: «وكذلك» معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: ومثل ما يبيّن فيما تلي عليك، نبين الآيات. قال ابن عباس: نصّر الآيات، أي: نبينها في كل وجه، ندعوهم بها مرة، ونخوفهم بها أخرى. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن «دارست». قال ابن الأنباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنزمتهم الحجة، وليقولوا: دارست؛ وإنما صرّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها؛ فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أدّاهم إلى أن قالوا: دارست، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَالنَّفْعُ مَالٌ يَرْغَبُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحِزْنًا﴾ [القصص: ٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوّاً وحزناً. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ١٦١/٢: تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجابر، وصهيب، ويلا، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بهتة وكرمه.

بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست» بالالف وسكون السين وفتح التاء؛ ومعناها: ذاكرت أهل الكتاب. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «درست» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب. قال المفسرون: معناها: تعلمت من جبر، ويسار. وسنبين هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ بَسَرُهُ﴾ [النحل: ١٠٣] إن شاء الله. وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «درست» بفتح الراء والسين وسكون التاء من غير ألف. والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست. أي: قد مضت وامتحنت. وجميع من ذكرنا فتح الدال في قراءته. وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسَتْ» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر؛ ومعناها: فُرِثَتْ. وقرأ أبي بن كعب: «دُرِسَتْ» بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء. قال الزجاج: وهي بمعنى: «دُرِسَتْ» أي: امتحنت؛ إلا أن المضمومة الراء أشد مبالغة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورق: «دُرِسَتْ» برفع الدال، وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «دُرِسَتْ» بفتح الراء والسين بلا ألف ولا تاء. وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بالالف.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَنَبَّأُ﴾ يعني: التصريف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما تبين لهم من الحق فيقبلوه.

﴿أَلَيْسَ مَا أَرْسِلُ إِلَيْكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال المفسرون: نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال حكاهما الزجاج: أحدها: لو شاء لجعلهم مؤمنين. والثاني: لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان. والثالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم. قال ابن عباس: وباقى الآية نسخ بآية السيف.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنْ رَبَّهُمْ تَرَجَّهُمْ وَقَبَّحَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: لتنتهين يا محمد عن سب آلهم وعبيها، أو لنهجون إلهك الذي تعبده، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة. ومعنى «يدعون»: يعبدون، وهي الأصنام. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبوا من أمرهم بعبعها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى، لأنهم كانوا يقررون أنه خالقهم، وإن أشركوا به<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: ظلماً بالجهل. وقرأ يعقوب: «عُدْوًا»، بضم العين والدال وتشديد الواو. والعرب تقول في الظلم: عدا فلان عُدْوًا وعُدْوًا. وعدا، أي: ظلم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل عملهم من خير أو شر. قال المفسرون: وهذه الآية نسخت بآية الخطاب في آية السيف.

﴿وَأَنسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ لِيَنْ جَاءَهُمْ مَالُهُ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآلِثُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْرِكُمْ أَنَّهُمَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أُنْفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل في [الشعراء: ٤٤]: ﴿إِنْ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آتَاءُ اللَّهِ﴾ قال المشركون: أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أنزلها عليهم

(١) ومن هذا القيل - وهو ترك المصلحة للدعوى ففسدها أرجح منها - ما رواه الإمام أحمد ٤٨/١٠، ٤٩، والبخاري ٣٣٨/١٠، ومسلم ٩٢/١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أباه الرجل يسب أباه، ويسب أمه يسب أمه».



لكي يؤمنوا؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فاثنتا بمثل هذه الآيات حتى نصدقك: فقال: «أي شيء تحبون؟» قالوا: أن تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: «فلأن فعلت تصدقوني؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لتبتعنك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها، إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ: «اتركهم حتى يتوب تائبهم»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: «يَجْهَلُونَ»، هذا قول محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا معنى «جَهْدَ أَيْتِنَهُمْ» في (المائدة)؛ وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: «لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَقْرَأَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلُوءًا» [الإسراء: ٩٠].

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» أي: هو القادر على الإتيان بها دون أحد من خلقه. «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا» أي: يدريكم أنها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الالف، فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: «يشعركم» للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم. وقال أبو علي: التقدير: وما يُشْعِرُكُمْ إيمانهم؟ فحذف المفعول. والمعنى: لوجأت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا»؛ فقلت: ما معناها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع؛ إنما قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ثم ابتدأ فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ»؛ كان ذلك عذراً لهم. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحزمة، والكسائي: «أنها»، بفتح الالف؛ فعلى هذا، المخاطب بقوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» رسول الله ﷺ وأصحابه؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. وفي قراءة أبي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعل». يقولون: اتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك. قال عدي بن زيد:

أَعَاذِلْ مَا يُنْذِرُنِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي

إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى عَدِي<sup>(٢)</sup>

أي: لعل منيتي. وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، وسيبويه، والفراء في توجيه هذه القراءة. والثاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة؛ كقوله تعالى: «قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجَدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: «وَحَكَّمُوا عَلَى قَرْنَيْهِ أَفْلَحْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [الأنبياء: ٩٥] ذكره الفراء ورده الزجاج واختار الأول. والأكثر على قراءة: «يؤمنون» بالياء؛ منهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، بالتاء، على الخطاب للمشركين. قال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأن الذين أقسموا غيب، ومن قرأ بالتاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب.

«وَنَقَلْنَا آيَاتَهُمْ وَأَنْصَرَفَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَمَهِونَ»

قوله تعالى: «وَنَقَلْنَا آيَاتَهُمْ وَأَنْصَرَفَهُمْ» التقلب: تحويل الشيء عن وجهه. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحلنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا؛ فالمعنى: لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ونقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوتائهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل. والرابع: أن ذلك التقلب

(١) «الطبري» ٣٨/١٢، وقال ابن كثير بعد أن أورده: وهذا مرسل، وله شواهد من وجوه آخر.

(٢) «جمهرة أشعار العرب» ١٧٩، و«الشعر والشعراء» ١٧٨/٨، و«اللسان»: أنن، وغيرها، من قصيدة له حكيمة.

في النار عقوبة لهم، ذكره الماوردي. وفي هاء «به» أربعة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن النبي ﷺ. والثالث: عما ظهر من الآيات. والرابع: عن التقلب. وفي المراد بـ «أول مرة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرة الأولى: دار الدنيا. والثاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم. والثالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت. والطغيان والعمه المذكوران في سورة (البقرة).

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكَلْبَكةَ وَكَلَّمَهُمُ النَّوَّكُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكَلْبَكةَ﴾ سبب نزولها: أن المستهزئين أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة، فقالوا له: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحق ما تقول، أم باطل؟ أو أربنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو اتنا بالله والملائكة قبلاً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صلح عن ابن عباس. ومعنى الآية: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوا، وكلمهم الموتى، فشهدوا لك بالنبوة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿قُبْلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنوا أنهم متى شأوا آمنوا، ومتى شأوا لم يؤمنوا. فاما قوله: ﴿وَقَبْلَا﴾، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابن قتيبة: معناها: معاينة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: ﴿قُبْلَا﴾ بضم القاف والياء. وفي معناها، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الضَّنْفُ، فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً قبلاً، قاله مجاهد، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً، إلا أنه: الكفيل، فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فكفَّلَ بصحة ما تقول، اختاره الفراء، وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، فَلَاَنْ لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى. فالجواب: أنه لو كَفَّلْتَ الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى المقابل، فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فقابلهم، قاله ابن زيد. قال أبو زيد: يقال: لقيت فلاناً قَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا، وهو للمواجهة. قال أبو علي: فالمعنى في القرآن - على ما قاله أبو زيد - واحد، وإن اختلفت الألفاظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى. والثاني: أنهم يجهلون أنهم لو أتوا بكل آية ما آمنوا.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: وكما جعلنا لك ولأمتك شياطين الإنس والجن أعداء، كذلك جعلنا لمن تقدّمك من الأنبياء وأمهم؛ والمعنى: كم ابتليناك بالأعداء، ابتلينا مَنْ قَبْلَكَ، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى. قال الزجاج: «عدو»: في معنى أعداء، و «شياطين الإنس والجن»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسر له؛ ويجوز أن يكون: «عدوًا» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لأمهم. وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مردة الإنس والجن، قاله الحسن، وقادة. والثاني: أن شياطين الإنس: الذين مع الإنس، وشياطين الجن: الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أن شياطين الإنس والجن: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي﴾ أصل الوحي: الإعلام والدلالة بستر وإخفاء. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأمر. والثاني: يوسوس. والثالث: يشير. وأما «زُخْرُفَ الْقَوْلِ»، فهو ما زُيِّنَ منه، وحُسِّنَ، وموّه، وأصل الزخرف: الذهب. قال أبو عبيدة: كل شيء حَسَنَتُهُ وزَيَّنَتُهُ وهو باطل، فهو زخرف. وقال الزجاج: «الزخرف» في اللغة: الزينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزَيِّنُ لبعض الأفعال القبيحة؛ و «غُرُورًا» منصوب على المصدر؛ وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إحياء الزخرف من القول: معنى الغرور، فكانه قال: يَغُرُّونَ غُرُورًا. وقال

ابن عباس: ﴿رُحِرَ الْقَوْلُ غُرُورًا﴾: الأمانى بالباطل. قال مقاتل: وكلّ إبليس بالإنس شياطين يُضِلُّونَهُمْ، فإذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجن، قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضلّل أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض. وقال غيره: إن المؤمن إذا أعى شيطانه، ذهب إلى متمرّد من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين. وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، لأنّي إذا تعرّضت من ذاك ذهب عني، وهذا يجُرُّني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة. والثاني: ترجع إلى الكفر. والثالث: إلى الغرور، وأذى النّبيين.

قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال مقاتل: يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب. وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياهم، وما يختلقون من كذب، وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بأية السيف.

﴿وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَهُهُ أَثَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْرَأُوا مَا هُمْ مُقَرَّبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَهُهُ﴾ أي: وتلعل؛ والهاء: كناية عن الزخرف والغرور. والأفئدة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة. قال ابن الأنباري: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أثدّة الذين لا يؤمنون بالآخرة، و(وليبرضوا) الباطل، ﴿وَلَيَقْرَأُوا﴾ أي: ليكتبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً، إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماوردي. فاما الحكم، فهو بمعنى الحاكم؛ والمعنى: أفغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم؟ و«الكتاب»: القرآن، و«المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور. والثاني: رؤساء أصحاب النبي محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ قرأ ابن عمر، وحفص عن عاصم: «منزل» بالتشديد؛ وخففها الباقون.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع؛ وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب: «كلمة» على التوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قس في كلمته، أي: في خطبته، وزهير في كلمته، أي: في قصيدته. وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة. والثاني: أقضيته وعداته. والثالث: وعده ووعيده، وثوابه وعقابه. وفي قوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قولان: أحدهما: صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما قضى وقدر. والثاني: صدقاً فيما وعد وأوعد، وعدلاً فيما أمر ونهى. وفي قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قولان: أحدهما: لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والتقصان منها. والثاني: لا تخلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.

﴿وَلَن تُلَاحِظَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُعْبِلُونَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَكْفُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن تُلَاحِظَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ سبب نزولها: أن الكفار قالوا للمسلمين: أنا نأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفراء. والمراد بـ «أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ»: الكفار. وفي ماذا يطعمهم؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أكل الميتة. والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام. والثالث: في عبادة الأوثان. والرابع: في اتباع ملل الآباء؛ و«سَبِيلِ اللَّهِ»: دينه. قال ابن قتيبة: ومعنى «يَخْرُصُونَ»: يحدسون ويوقعون؛ ومنه قيل

للمحارص. فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس على يقين من كفره؟! فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظن والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَرِينَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ﴾ قال الزجاج: موضع «مَنْ» رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله. وقرأ الحسن: «مَنْ يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح. قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَيْدَ لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ يَتَّبِعُونَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَرِينَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا؟ وموضع «أن» نصب، لأن «في» سقطت، فوصل المعنى إلى «أن» فنصبها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم» مرفوعتان؛ وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «فُصِّلَ بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فُصِّلَ بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بضم الحاء. قال الزجاج: أي: فُصِّلَ لكم الحلال من الحرام، وأحل لكم في الاضطرار ما حُرِّمَ. وقال سعيد بن جبيرة: فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم، يعني: ما بُيِّنَ في (المائدة) من الميتة، والدم، إلى آخر الآية. ﴿وَإِنَّ كَيْدَ لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ﴾ يعني: مشركي العرب يضلون في أمر الذبائح وغيره. قرأ ابن كثير. وأبو عمرو: «لَيُضِلُّونَ» وفي (يونس: ٨٨): «وَرَبَّنَا لَيُضِلُّوا» وفي (إبراهيم: ٣٠): «أَنْدَادًا لَيُضِلُّوا» وفي (الحج: ٩): «ثَلَاثِي عِظْفُوهُ لَيُضِلُّ» وفي (لقمان: ٢٦): «لَيُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرُ عِلْمُ» وفي (الزمر: ٤٨): «أَنْدَادًا لَيُضِلُّ» بفتح الياء في هذه المواضع الستة؛ وضمهم عاصم، وحمزة، والكسائي. وقرأ نافع، وابن عامر: «لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ». وفي (يونس): «لَيُضِلُّوا» بالفتح؛ وضمًّا<sup>(١)</sup> الأربعة الباقية. فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا؛ ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضلال، لأن كل مُضِلٌّ ضَالٌّ وليس كل ضَالٍّ مُضِلًّا.

﴿وَذَرُوا ظُلْمَ الْإِنْتِرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الْأَوَّلَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَجَرُونَ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظُلْمَ الْإِنْتِرِ وَبَاطِنَهُ﴾ في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ فعلى هذا، في ظاهره وباطنه قولان: أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسار؛ قاله الضحاك، والسدي. قال الضحاك: وكانوا يرون الاستسار بالزنا خللاً. والثاني: أن ظاهره نكاح المحرمات، كالأمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزنا، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه عام في كل إثم. والمعنى: ذروا المعاصي، سرًّا وعلانيتها؛ وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته. والثالث: أن الإثم: المعصية<sup>(٢)</sup>، إلا أن المراد به هاهنا أمر خاص. قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم؛ إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزنا.

(١) أي: نافع، وابن عامر المتقدم ذكرهما.

(٢) روى الإمام أحمد في «المستند» ١٨٢/٤، ومسلم في «صحيحه» ١٩٨٠/٤ عن النواس بن سميان الأنصاري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكهرت أن يطلع عليه الناس».

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا تَرَىٰ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّلُواكَ ۚ وَإِنْ أَلْفَتْكُمْ إِلَهُكُمْ لَشُرُّكُمْ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا تَرَىٰ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سبب نزولها: مجادلة المشركين للمؤمنين في قولهم: أأأكلون مما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله! على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] هذا قول ابن عباس. وقال عكرمة: كتبت فارس إلى قريش: إن محمداً وأصحابه لا يأكلون ما ذبحه الله، ويأكلون ما ذبحوا لأنفسهم؛ فكتب المشركون إلى أصحاب النبي ﷺ بذلك، فوقع في أنفس ناسٍ من المسلمين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية. وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه الميتة والمنخقة، إلى قوله: ﴿وَمَا دُيْعَ عَلَى النَّعُيبِ﴾ [المائدة: ٣] روي عن ابن عباس. والثالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء. والرابع: أنه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه؛ وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

### فصل

فإن تعدد ترك التسمية، فهل يباح؟ فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسياً أبيحت. وقال الشافعي: لا يحرم في الحالين جميعاً. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التسمية عمداً يمنع الإباحة، فقد نسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله: ﴿وَلَعَلَّامُ الْزِينِ أُولُوا الْكِتَابِ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وعلى قول الشافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإن أكل ما لم يذكر عليه اسم الله لفسق، أي: خروج عن الحق والدين. وفي المراد بالشياطين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم شياطين الجن، روي عن ابن عباس. والثاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة؛ فعلى الأول: وحيهم الوسوسة، وعلى الثاني: وحيهم الرسالة. والمراد «أولياهم» الكفار الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ترك أكل الميتة. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش. والثاني: اليهود؛ ﴿وَإِنَّ أَلْفَتْكُمْ إِلَهُكُمْ لَشُرُّكُمْ﴾ في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَشُرُّكُمْ﴾

﴿أَوْ مَن كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ ثَوْرًا بِمَشَىٰ يَوْمَ فِي الْأَيَّامِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِحَاجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ اختفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث، وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى ما جاء به؟ سقاه عقولنا، وسب ألهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: في عمر بن الخطاب، وأبي جهل، قاله زيد بن أسلم، والضحاك. والرابع: في النبي ﷺ، وأبي جهل، قاله مقاتل. الخامس: أنها عامة في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قولان: أحدهما: كان ضالاً فهديناه، قاله مجاهد. والثاني: كان جاهلاً، فعلمناه، قاله الماوردي. وقرأ نافع: «ميتاً» بالتشديد. قال أبو عبيدة: الميتة، مخففة: من ميتة، والمعنى واحد. وفي «التور» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الهدى، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، قاله الحسن. والثالث: العلم. وفي قوله: ﴿بِمَشَىٰ يَوْمَ فِي الْأَيَّامِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يهتدي به في الناس، قاله مقاتل. والثاني: يمشي به بين الناس إلى الجنة. والثالث: ينشر به دينه في الناس، فيصير كالماشي، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ المثل: صلة؛ والمعنى: كمن هو في الظلمات. وقيل: المعنى: كمن لو شبه بشيء، كان شبيهه من في الظلمات. وقيل: المراد بالظلمات هاهنا: الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمِينَ يَسْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَنْتَفِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكما زينا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فساق مكة أكابرها، فكذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة. وقال ابن قتية: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر؛ و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء.

قوله تعالى: ﴿يَسْكُرُوا فِيهَا﴾ قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف. قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب. قال مجاهد: أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة، ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للناس: هذا شاعر، وكاهن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحق.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَمًا حِثٌّ يَجْعَلُ رِسَالَتُهُ سِمْصِيْبَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَسْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ سبب نزولها: أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كغرسني وهان، قالوا: مئاً نبي يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نطيعه أو أن يأتينا وحى كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم. وقال أبو سليمان: تعود على المجادلين في تحريم الميتة. قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدخان. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمداً صادق. قال الضحاك: سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحي.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَهْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتُهُ﴾ بنصب التاء على التوحيد؛ والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنن أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً، فنزل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَهْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطعن كان يتوجه عليهم، فيقال: إنما كانوا رؤساء فأتبعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة لبيتم أبي طالب، دون أبي جهل، والوليد، وأكابر مكة.

قوله تعالى: ﴿سِمْصِيْبَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ قال أبو عبيدة: الصغار: أشد الذل. وقال الزجاج: المعنى هم، وإن كانوا أكابر في الدنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله. وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار. وقال الفراء: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «من». وقال أبو رزق: صغار في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة. ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَخِيْبًا حَرَبًا كَأَنَّمَا يُصِغْدُ فِي الْحَمَةِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ، وأبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ قال ابن الأعرابي: الشرح: الفتح. قال ابن قتية: ومنه يقال: شرحت لك الأمر، وشرحت اللحم: إذا فتحته. وقال: ابن عباس: «يشرح صدره» أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان. وقد روى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يلقفه الله في القلب، فيفتح القلب». قالوا: فهل لذلك من أماراة؟ قال: «نعم». قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبري» ١٠٠/١٢، ١٠١ من طريقتين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وأورده ابن كثير ١٧٤/٢، بعد أن ذكره من طريق مرسل عن أبي جعفر الهاشمي، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً. وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على الحديث في «تفسير الطبري» ٩٩/١٢، ١٠٢.

قوله تعالى: ﴿صَيِّقًا﴾ قرأ الأكثرون بالتشديد. وقرأ ابن كثير: «صَيِّقًا»، وفي [الفرقان: ١٣]: «مَكَانًا صَيِّقًا» بتسكين الياء خفيفة. قال أبو علي: الصَّيِّقُ، والصَّيِّقُ: مثل المَيْتِ، والمَيْتِ.

قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «حَرَجًا» بفتح الراء. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء. قال الفراء: وهما لغتان.. وكذلك قال يونس بن حبيب النحوي: هما لغتان، إلا أن الفتح أكثر على السنة العرب من الكسر، ومجرهما مجرى الدَّنْفِ والدَّنِيفِ. وقال الزجاج: الحرج في اللغة: أضيّق الضيق.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَاعِدُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يَصْعَدُ» بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد من غير ألف. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يَصَاعِدُ» بتشديد الصاد وبعدها ألف. وقرأ ابن كثير: «يَصْعَدُ» بتخفيف الصاد والعين من غير ألف والصاد ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تَصْعَدُ» بناء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب: «يتصاعد» بألف وتاء. قال الزجاج: قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾. و«يَصْعَدُ»، أصله: «يتصاعد»، و«يتصعد»، إلا أن التاء تدغم في الصاد لقربها منها، والمعنى: كأنه كُلف أن يَصْعَدَ إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السماء بُتُوءًا عن الإسلام والحكمة. وقال الفراء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السماء، وليس يقدر على ذلك. وقال أبو علي: «يَصْعَدُ» و«يَصَاعِدُ»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصْعَدُنِي شيء كما تصعدتني خطبة النكاح، أي: ما شق علي شيء مشقتها.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك. ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الْوَحْشَ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. يعني: أن الله يسلطه عليهم. والثاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: أنه العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزجاج. وهذه الآية تقطع كلام القدرية، إذ قد صرحت بأن الهداية والإضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود. والثاني: التوحيد، قاله ابن عباس. والثالث: ما هو عليه من الدين، قاله عطاء. ومعنى استقامته: أنه يؤدي بسالكه إلى الفوز. قال مكي بن أبي طالب: و«مستقيماً»: نصب على الحال من «صراط»، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيماً، ولم يؤت بها لتفريق بين حالتين، إذ لا يتغير صراط الله عن الاستقامة أبداً، وليست هذه الحال كالحال من قولك: «هذا زيد راكباً»، لأن زياداً قد يخلو من الركوب.

﴿لَمْ دَارُ السَّكْوِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَارُ السَّكْوِ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن السلام هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها دار السلامة التي لا تنقطع، قاله الزجاج. والثالث: أن تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿اتَّخَذُوا سَبِيلَهُ﴾ [الحجر: ٤٦]، وبعد استقرارهم: ﴿وَاللَّهُ لِيَكُنْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سَلَامٌ عَلَيْهِمْ] [الرعد: ٢٣]، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا سَلَكْنَا سَبِيلَنَا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وعند لقاء الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وقوله: ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُونَ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. ومعنى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات.

﴿يَوْمَ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدٍ يَمْشُونَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقالوا لهم من الذين آمنوا: ﴿وَلَقَدْ كُنَّا مِنْ أَفْوَاجٍ بَعْضَنَا يَتَّبِعُ بَعْضًا وَلَقَدْ كُنَّا مِنَ الْآلِفَةِ أَتَقَاتٍ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُنَا إِلَى سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا أَلْفًا﴾ [الأنبياء: ٢٤]



قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيمًا﴾ يعني الجن والإنس. وقرأ حفص عن عاصم: «يشحروهم» بالياء. قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حرّمه الله من الميتة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ﴾ فيه إضمار، فيقال لهم: يا معشر؛ والمعشر: الجماعة، أمرهم واحد، والجمع: المعاشر. وقوله: ﴿فَبِمَا أَتَيْنَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: من إخوانهم وإضلالهم. ﴿وَقَالَ أُولَئِكَ وَمَنْ أَلَّاهُمْ﴾ يعني الذين أضلهم الجن. ﴿وَكُنَّا أَسْتَنْتَعُ بَعْضًا يَتَمَتَّعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن استمتع الإنسان بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فزلوا وادبوا، وأرادوا ميتاً، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله؛ واستمتع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء. والثاني: أن استمتع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يفرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي. واستمتع الإنس بالجن: أن الجن زَيَّنَتْ لهم الأمور التي يهوّونها، وشهّوا إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال محمد بن كعب، والزجاج. والثالث: أن استمتع الجن بالإنس: إغواؤهم لإياهم. واستمتع الإنس بالجن: ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك. والمراد بالجن في هذه الآية: الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا أَلْفًا أَلْفَةً أَجَلَتْ لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسدي. والثاني: الحشر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا نَأْتِيكُمْ مَوْتًا﴾ قال الزجاج: المئوي: المقام؛ و﴿خَلِيلِينَ﴾ منصوب على الحال. المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ مذبذبون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدتهم في محاسبتهم. ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يزيدهم من العذاب. وقال بعضهم: إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب؛ وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحة في (هود) إن شاء الله.

﴿وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ في معناه أربعة أقوال: أحدها: نجعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة. والثاني: نُتَبِّعُ بعضهم بعضاً في النار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة. والثالث: نسلط بعضهم على بعض، قاله ابن زيد. والرابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من المعاصي.

﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ وَالْإِنْسَ أَلْفَ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِيدُكُمْ إِقَاءَةً يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِمَيَّةٍ أَذْنًا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ وَالْإِنْسَ أَلْفَ يَأْتِيكُمْ﴾ قرأ الحسن، وفتادة: «تأتكم» بالياء، ﴿رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾. واختلفوا في الرسالة إلى الجن على أربعة أقوال: أحدها: أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسل الجن، هم الذين سمعوا القرآن، فوَلَّوْا إلى قومهم مننرين، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنور من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيتلّعون الجن ما سمعوا. والثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك، ومقاتل، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام. والرابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج. قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلْفَ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾ مانعاً أن تكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْقَوْلُ وَالْتَمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما هو خارج من الملح وحده. وفي دخول الجن الجنة إذا آمنوا قولان: أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضحاك. والثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار ويصيروا تراباً، رواه سفيان عن ليث.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أي: يقرؤون عليكم كتيب. ﴿وَيُزِيدُكُمْ إِقَاءَةً﴾ أي: يخوفونكم بيوم القيامة. وفي

قوله: ﴿وَشَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ قولان: أحدهما: أقرنا على أنفسنا بإنذار الرسل لنا. والثاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرسل إياهم. ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ بِالنَّارِ﴾ أي: بزيبتها، وإمهالهم فيها. ﴿وَنَهَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أقروا أنهم كانوا في الدنيا كافرين. وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر.

﴿وَلَاكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكٌ الْفَرَى يَطْلُرُ وَأَهْلُهَا غَوِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَاكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكٌ الْفَرَى يَطْلُرُ﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل، وأمر عذاب من كذب، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلككم حتى يبعث إليهم رسولا. قال ابن عباس: «بظلم» أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَوِلُونَ﴾ لم يأتهم رسول.

﴿وَلَاكُلِّي دَرَجَتَيْنِ مِمَّا عَصَاوُا وَمَا رَبُّكَ بِفَذِلٍ مِمَّا يَتَكَلَّبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَاكُلِّي دَرَجَتَيْنِ مِمَّا عَصَاوُا﴾ أي: لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشرأ. وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَتَكَلَّبُونَ﴾ قرأ الجمهور بالياء؛ وقرأ ابن عامر بالياء على الخطاب.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَدْلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُؤْكِرٍ﴾

﴿إِنَّكَ مَا تُوعِدُونَ لَا تَأْتِي وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ يريد: الغني عن خلقه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته. وقال غيره: بالكل. ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك؛ وقيل: هذا الوعيد لأهل مكة؛ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَدْلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُؤْكِرٍ﴾ يعني: آباءهم الماضين. ﴿إِنَّكَ مَا تُوعِدُونَ﴾ به من مجيء الساعة والحشر ﴿لَا تَأْتِي وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾ أي: بفائتين. قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني.

﴿فَقُلْ يَقَوْمِ اقْبَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَِّّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «مكاناتكم» على الجمع. قال ابن قتيبة: أي: على موضوعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة. وقال الزجاج: اعملوا على تمكنكم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك.

قوله تعالى: ﴿إِنَِّّي عَامِلٌ﴾ أي عامل ما أمرني به ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «تكون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي، بالياء. وكذلك خلافهم في [القصص: ١٢٧]، ووجه التأنيث، اللفظ، ووجه التذكير، أنه ليس بتأنيث حقيقي. وعاقبة الدار: الجنة. والظالمون هاهنا: المشركون. فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز. فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد؛ فكانه قال: أقيموا على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزجاج.

## فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أن المراد بها التهديد؛ فعلى هذا هي محكمة. والثاني: أن المراد بها ترك القتال؛ فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِئْسِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَّا شُكْرُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ قال ابن قتيبة: ذراً، بمعنى خلق. ﴿وَمِنَ الْحَرْثِ﴾ وهو الزرع. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم. وكانوا إذا زرعوا، خطوا خطأ، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما

جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لألهمهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة؛ وإذا حصدوا ما جعلوه لألهمهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعاده إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله؛ فإذا ولدت إنانها ميتاً أكلوه، وإذا ولدت أنعام ألهمهم ميتاً عظموه فلم يأكلوه. وقال الزجاج: معنى الآية: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، جعلوا لشركائهم نصيباً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلّهِ بِرَحْمَتِهِ وَهَذَا لَشُرِّكَائِنَا﴾، فدل بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشركاء؛ وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزك ما لشركائهم، ردوا الزاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غني؛ وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزك ما لله، أقروه على ما به. قال المفسرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضيفان والمساكين. فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَيْكَ اللَّهُ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب ألهمهم في الزرع إلى النفقة على خدامها. فأما نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضاً. والثاني: أنهم كانوا يتقربون به، فيذبحونه لها. والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه. وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان. فأما قوله: «بزعمهم» فقرأ الجمهور: بفتح الزاي، وقرأ الكسائي، والأعشى: بضمها. وفي الزعم ثلاث لغات ضم الزاي، وفتحها، وكسرهما. ومثله: السَّقَط، والسَّقَط، والسَّقَط؛ والفَتَك، والفَتَك، والفَتَك؛ والرَّعْم، والرَّعْم، والرَّعْم. قال الفراء: فتح الزاي في الرَّعْم، لأهل الحجاز؛ وضمها لأسد؛ وكسرهما بعض قيس فيما يحكي الكسائي.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُتَكِبِّينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَعَدَّوهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زَيْن. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون «وكذلك» مستأنفاً، غير مشار به إلى ما قبله؛ فيكون المعنى: وهكذا زَيْن. وقرأ الجمهور: «زَيْن» بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من «قَتَلَ»، وكسر الدال من «أَوْلَادِهِمْ»، ورفع «الشركاء»؛ وجه هذه القراءة ظاهر. وقرأ ابن عامر؛ بضم زاي «زَيْن»، ورفع اللام [من «قَتَلَ»]، ونصب الدال من «أَوْلَادِهِمْ»، وخفض «الشركاء». قال أبو علي: ومعناها: قتل شركائهم أَوْلَادَهُمْ؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «زَيْن» بالرفع، «قَتَلَ» بالرفع أيضاً، «أَوْلَادِهِمْ» بالجر، «شركائِهِمْ» رفعاً. قال الفراء: رَفَعَ القتل إذ لم يسم فاعله؛ ورفع الشركاء بفعل نواه، كأنه قال: زَيْنه لهم شركائِهِمْ. وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة: قال: كأنه قيل: مَنْ زَيْنه؟ فقال: شركائِهِمْ. قال مكي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضاً أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشركاء؛ فيصير الشركاء اسماً للأولاد، لمشاركتهم للأباء في النسب والميراث والدين. وللمفسرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: شركائِهِمْ في الشرك، قاله قتادة. والثالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزجاج. والرابع: أنهم العُواة من الناس، ذكره الماوردي. وإنما أضيف الشركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه. وفي الذي زَيْنوه لهم من قتل أولادهم قولان: أحدهما: أنه وأد البنات أحياء خيفة الفقر، قاله مجاهد. والثاني: أنه كان يحلف أحدهم أنه إن ولد له كذا وكذا غلاماً أن ينحر أحدهم، كما حلف عبد المطلب في نحر عبد الله، قاله ابن السائب، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لِيُزِدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم. وفي هذه اللام قولان: أحدهما: أنها لام «كي». والثاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [القصص: ٨] أي: آل أمرهم إلى الردى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: ليخلطوا. قال ابن عباس: ليُدخلوا عليهم الشك في دينهم؛ وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزوين الشياطين.

قوله تعالى: ﴿فَعَدَّوهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك؛

فقال: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي؛ يكذبون؛ وهذا تهديد ووعد، فهو محكم. وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾ الحرت: الزرع، والحجر: الحرام؛ والمعنى: أنهم حرّموا أنعاماً وحرثاً جعلوه لأصنامهم. قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام: حجر، لأنه حُجر على الناس أن يصيبوه. وقرأ الحسن، وقتادة: «حُجر» بضم الحاء. قال الفراء: يقال: حُجِر، وحُجِر، بكسر الحاء وضمها؛ وهي في قراءة ابن مسعود: «حرج»، مثل: «جذب» و«جبد». وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان: أحدهما: أنها البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. والثاني: أنها الذبائح التي للأوثان؛ وقد سبق ذكرهما.

قوله تعالى: ﴿لَا يَطْمَعُ إِلَّا مَنْ نَسِيَ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد. وفيمن أطلقوا له تناولها قولان: أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قالها ابن السائب. والثاني: عكسه، قاله ابن زيد. قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان. وفي قوله: ﴿وَأَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنها الحام، قاله ابن عباس. والثاني: البحيرة، كانوا لا يحثجون عليها، قاله أبو وائل. والثالث: البحيرة، والسائبة، والحام، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾ هي قربان آلهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة. وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحثجون عليها؛ وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ لَهُمْ﴾، فعلى قوله؛ الصفتان لموصوف واحد. وقال مجاهد: كان من إيلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء؛ لا إن ركبوا، ولا إن حملوا، ولا إن حلبوا، ولا إن نبتجوا. وفي قوله: ﴿أَمْثَلُ الَّذِي أَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَأَعْتَدْنَا لَهُ جُزَاءً يَبْكُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء. والثاني: أن إضاعتهم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا يقولون: هو حرم ذلك.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ خَالِصَةٌ لِّذُنُوبِهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَرْزَقْنَاهُمْ إِنَّا كُنَّا فِيهِ شُرَكَاءَ﴾

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ خَالِصَةٌ لِّذُنُوبِهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَرْزَقْنَاهُمْ إِنَّا كُنَّا فِيهِ شُرَكَاءَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ خَالِصَةٌ لِّذُنُوبِهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَرْزَقْنَاهُمْ إِنَّا كُنَّا فِيهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني بالأنعام: المحرمات عندهم، من البحيرة، والسائبة، والوصيلة. وللمفسرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللبن، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: الأجنة، قاله مجاهد. والثالث: الولد واللبن، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُنُوبِهِمْ﴾ قرأ الجمهور: «خالصة» على لفظ التانيث. وفيها أربعة أوجه: أحدها: أنه إنما أنثت، لأن الأنعام مؤنثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفراء. والثاني: أن معنى «ما» التانيث، لأنها في معنى الجماعة؛ فكانه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزجاج. والثالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علامة» و«نسابة». والرابع: أنه أجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التانيث عن الأسماء المذكرّة، كقولك: عطاؤك عافية، والرخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباري. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خالص» بالرفع، من غير هاء. قال الفراء: وإنما ذكر لتذكير «ما». وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصة» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر، قال الزجاج: والمعنى: ما خلص حياً. وقرأ قتادة: «خالصة» بالنصب. فأما الذكور، فهم الرجال، والأزواج: النساء.

قوله تعالى: ﴿وَأَن يَكُن مِّمَّنْ﴾ قرأ الأكثرون: «يكن» بالياء، «ميتة» بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ «ما». والمعنى وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة. وقرأ ابن كثير: «يكن» بالياء، «ميتة» بالرفع. وافقه ابن عامر في رفع الميتة، غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتة» بالنصب. والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ﴾ يعني الرجال والنساء. ﴿سَيَبْرُهُمْ وَصَفَهُمْ﴾ قال الزجاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب.

﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(١٤٠)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتلوا» بالتشديد. قال ابن عباس: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب. وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة، ويغذو كلبه. وقال الزجاج: وقوله: «سفهًا» منصوب على معنى اللام، تقديره: للسفه؛ تقول: فعلت ذلك حذر الشر. وقرأ ابن السميع، والجحدري، ومعاذ القارئي: «سفهاء» برفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمدة وبالنصب والهمز.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُغْتَلًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مَشْكُورٍ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآمَنُوا بِحَقِّ يَوْمٍ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا لَكُمْ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِيفِينَ﴾<sup>(١٤١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر ما يعرّش، كالكرم، والقرع، والبطيخ؛ وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنخل، والزروع، وسائر الأشجار. والثاني: أن المعروشات: ما أنبت الناس؛ وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار، رويًا عن ابن عباس. والثالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عرّش، ومنه ما لم يعرّش، قاله الضحاك. والرابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عرّش عنها، وغير المعروشات: سائر الشجر التي لا تعرّش، قاله أبو عبيدة. والأكل: الثمر. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبًا﴾، قد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ هذا أمر بإباحة؛ وقيل: إنما قدّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنُوا بِحَقِّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، والكسائي: بكسرهما، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء. وفي المراد بهذا الحق قولان: أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاووس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقاتدة في آخرين؛ فعلى هذا، الآية محكمة. والثاني: أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد. وهل نسخ ذلك، أم لا؟ إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة؛ وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم. فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد؛ وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما المزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج؛ إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه؛ إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى. وفي قوله: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يُحجف به، قاله أبو العالية، وابن جريج. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا لَكُمْ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِيفِينَ﴾. والثاني: أن الإسراف: منع الصدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أنه

الإِنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزهري. والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية العوفي، وابن السائب. والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد. والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

﴿وَمِنَ الْأَنْكَرِ حَمُولَةٌ وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَنْبِيْهُ أَرْوَجُ﴾  
قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْكَرِ حَمُولَةٌ وَفَرْشًا﴾ هذا نسق على ما قبله؛ والمعنى: أنشأ جثات، وأنشأ حملة وفَرْشًا. وفي ذلك خمسة أقوال: أحدها: أن الحمولة: ما حل من الإبل، والفرش: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: أن الحمولة: ما انتفعت بظهورها، والفرش: الراعية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن الحمولة: الإبل، والخليل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحْمَلُ عليه. والفرش: الغنم: رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: الحمولة: من الإبل، والفرش: من الغنم، قاله الضحاك. والخامس: الحمولة: الإبل والبقر. والفرش: الغنم وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «حمولة» بضم الحاء.

قوله تعالى: ﴿كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا تحرموا ما حرمت مما جرى ذكره: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه. قال: وقوله: ﴿تَنْبِيْهُ أَرْوَجُ﴾ بدل من قوله: ﴿حَمُولَةٌ وَفَرْشًا﴾. والزوج، في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر. قال المصنف؛ وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزوج: ما كان معه آخر من جنسه، فحيث يقال لكل واحد منهما: زوج.

﴿وَمِنَ الْفَكَائِ أُنْثَيٌّ وَمِنَ الْمَعَزِ أُنْثَيٌّ قُلْ لِلَّذِكْرِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيَّيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَّيْنِ يَنْبُوِي بِمِلٍّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أُنْثَيٌّ وَمِنَ الْبَقَرِ أُنْثَيٌّ قُلْ لِلَّذِكْرِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيَّيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَّيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَسَّحَكُمْ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا يُفْسِدُ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْفَكَائِ أُنْثَيٌّ﴾ الضأن: ذوات الصوف من الغنم، والمعز: ذوات الشعر منها. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «المعز» بفتح العين. وقرأ نافع، وحزمة، وعاصم، والكسائي: بتسكين العين. والمراد بالأنثيين الذكر والأنثى. ﴿قُلْ لِلَّذِكْرِ حَرَمٌ﴾ من الضأن والمعز حرم الله عليكم ﴿أَرِ الْأُنْثَيَّيْنِ﴾ منها؟. المعنى: فإن كان ما حرم عليكم الذكركين، فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين، فكل الإناث حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فيكون كل جنين حراماً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ألحقكم التحريم من جهة الذكركين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذكركين، حُرِّمَ عليهم كل ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كل أنثى؛ وإن قالوا: من جهة الرحم، حُرِّمَ عليهم الذكر والأنثى. وقال ابن جرير الطبري: إن قالوا: حُرِّمَ الذكركين، أوجبوا تحريم كل ذكر من الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذكور منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حُرِّمَ الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها. قال المفسرون: فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يحرمون أجناساً من النعم، بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال. وفي قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِكْرِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيَّيْنِ﴾ إبطال لما حرموه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي قوله: ﴿أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَّيْنِ﴾، إبطال قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْكَرِ خَالِصَةٌ لِّلذَّكَرِ وَلِلنَّسَاءِ عَلَى أَرْوَجٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَنْبُوِي بِمِلٍّ﴾ قال الزجاج: المعنى: فسروا ما حرمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُغْوِلُ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابن عباس: يريد عمرو بن لحي، ومن جاء بعده. والظالمون هاهنا: المشركون.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بِلَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل، إنما يثبت بالوحي. وقال طاووس، ومجاهد: معنى الآية: لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا. والمراد بالطعام: الأكل. ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة. قرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء، «ميتة» نصباً. وقرأ ابن عامر: «إلا أن تكون» بالياء، «ميتة» بالرفع؛ على معنى: إلا أن تقع ميتة، أو تحدث ميتة. ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوح، فأما اللحم إذا خالطه دم، فلا بأس به. قال الزجاج: المسفوح: المصبوب. وكانوا إذ ذكوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم. والرجس: اسم لما يقتنر، وللعذاب. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقاً. ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: رُفِعَ الصوت على ذبحه باسم غير الله، فسمي ما ذُكِرَ عليه غير الله فسقاً؛ والفسق: الخروج من الدين.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ. والثاني: أنها جاء جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّمَ بعد ذلك ما حُرِّمَ. والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذُكِرَ فيها. والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخقة والموقودة، وفي السُّنَّة من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير<sup>(١)</sup>. وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهَا أَوْ أَلْوَانًا أَوْ مَا اتَّخَذَ يُطْعِمُ ذَلِكَ جَرَّتْنَاهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَا وَكَانَ تَصَيفُوتٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «ظفر» بسكون الفاء؛ وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة. وفي ذي الظفر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنعام، والإوز، والبط، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقاتدة، والسدي. والثاني: الإبل فقط، قاله ابن زيد. والثالث: كل ذي حافر من الدواب، ومخلب من الطير، قاله ابن قتيبة. قال: وسمي الحافر ظفراً على الإستعارة؛ والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة؛ وأنشدوا:

سَأَمْنَعُهَا أَوْ سَوَفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَاهُ لَمْ تُشَقِّقْ<sup>(٢)</sup>

أراد قدميه؛ وإنما الأظلاف للشاء والبقرة. قال ابن الأنباري: الظفر هاهنا، يجري مجرى الظفر للإنسان. وفيه ثلاث لغات. أعلاهن: ظُفر؛ ويقال: ظُفر، وأظفور. وقال الشاعر:

(١) روى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: «حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية» وزاد أحمد: «ولحم كل ذي ناب من السباع» وقد صح النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية من حديث البراء بن عازب، وابن عمر، وأبي هريرة، وزاهر الأسلمي، وابن أبي أرفى. وروى الجماعة إلا البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» وروى مسلم في «صحيحه» ١٥٣٤/٣ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع حرام».

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١١٦، و«الصناعتين» ٣٠١، و«الموازنة» ٤٤، و«الأمالي» ١٢٠/٢. وفي «السمط» ٧٤٦: البيت لعقنان بن قيس بن حاصم بن عبيد اليربوعي، وكان النعمان بن المنذر استعمل الغلاق بن عمرو الرباعي على هجائن من يلي أرضه من العرب، وكانت لعقنان هذا هجائن، فأخفاها، فطلبها الغلاق، فعمد عقنان بإبله حتى أتى النعمان، فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً. فقال قصيدة منها:

سواء عليكم شؤؤها وهجائنُها وإن كان فيها واضح اللون يسبري  
سامنها - الليث - وهذه من أقيح الاستعارات، وإنما يريد بقوله: أظلاؤه لم تشقق: أنه متمل مرتفه، فلم تشقق قدماء.



فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ذَا جَنَاحٍ وَذَا ظُفْرٍ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ أَذْرَكَ مَنْ مَضَى

وقال الآخر:

فَأَصْبَحْتُ مَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظُفْرِي

لَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظُفْرٍ عَلَى الْعِدَى

وقال الآخر:

وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قَيْدُ أَظْفُورٍ<sup>(١)</sup>

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الْأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما حرّم من ذلك شحوم الثروب خاصة، قاله قتادة. والثاني: شحوم الثروب والكلّى، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جريج. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما علق بالظهر من الشحوم، قاله ابن عباس. والثاني: الألية، قاله أبو صالح، والسدي. والثالث: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة. فأما الحوايا، فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، وابن قتيبة: هي المباعر. وقال ابن زيد: هي بنات اللين، وهي المرائب التي تكون فيها الأمعاء. وقال الفراء: الحوايا: هي المباعر، وبنات اللين. وقال الأصمعي: هي بنات اللين، واحدها: حاوية، وحوية. قال الشاعر:

الْجَا حِظَّ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةِ<sup>(٢)</sup>

أَفْتُلُّهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ

وقال الآخر:

فَحِيحُ الْأَفَاعِي أَوْ نَقِيحُ الْعَقَارِبِ<sup>(٣)</sup>

كَأَنَّ نَقِيحَ الْحَبِّ فِي حَاوِيَاةِ

وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوى من البطن، أي: ما استدار منها. وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوى من الأمعاء، أي: استدار. وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوى من البطن، فاجتمع واستدار، وهي بنات اللين، وهي المباعر، وتسمى: المرائب، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنهما على عظم، قاله السدي. والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس، والعيني، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج. واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التحريم. فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح؛ والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه نسق على ما حرّم، لا على الاستثناء؛ فالمعنى: حرّمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرم، قاله الزجاج. فأما «أو» المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَوْفَرُّكُمْ﴾ [الذمر: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيتهم. وفي بغيتهم قولان: أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الربا. والثاني: أنه تحريم ما أحل لهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَبَصِيرَةٍ وَلَا يَزِدُّكُمْ عَنْ الْقَوْلِ الْغَيْرِ﴾ [التجويد: ١٧]

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ قال ابن عباس: لما قال رسول الله ﷺ للمشرّكين: «هذا ما أوحى إليّ أنّه محرّم على المسلمين وعلى اليهود»، قالوا: فإنك لم تصب، فنزلت هذه الآية. وفي المكذّبين قولان: أحدهما: المشرّكون، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود، قاله مجاهد. والمراد بذكر الرحمة الواسعة، أنه لا يجعل بالعقوبة. والبأس: العذاب. وفي المراد بالمجرمين قولان: أحدهما: المشرّكون. والثاني: المكذّبون.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» و«أساس البلاغة»: ظفر، وروايته فيهما:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهَا الْأُولَى إِذَا اذْهَدَتْ

(٢) البيت في «اللسان»: حوي، منسوب لعليّ عليه السلام.

(٣) قاله جرير، وهو في «ديوانه» ٨٣، و«معجم مقاييس اللغة» ١١٢/٢، و«اللسان»: حوى.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَعْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْ تَتَّبِعْتُمْ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنتُمْ تَحْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: إذا لزمتمهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَعْنَا﴾، فاجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكانهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه؛ وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيتكم إنهم ضالون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم، لأنهم تعلّقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر؛ ومشية الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلّل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: قالوا لرسولهم مثلما قال هؤلاء لك، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرّمتم ﴿إِنْ تَتَّبِعْتُمْ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لا اليقين؛ و «إن» بمعنى «ما». و «تحرصون»: تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ قال الزجاج: حجّته البالغة: تبيّنه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة. قال السدي: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوم أخذ الميثاق.

﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَتْكُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَتْكُمْ﴾ قال الزجاج: زعم سيبويه أن «هلم» هاء ضمت إليها «لَمْ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة؛ فأكثر اللغات أن يقال: «هلم»؛ للواحد والاثنتين والجماعة؛ بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يشي ويجمع ويؤث، فيقول للذكر: «هلم»، وللمرأة: «هلمي»، وللإثنين: «هلمّا»، وللثنتين: «هلمّتا»، وللجماعة: «هلمّوا»، وللنساء: «هلمّن». وقال ابن قتيبة: «هلم»، بمعنى: «تعال» وأهل الحجاز لا يشئونها ولا يجمعونها. وأهل نجد يجعلونها من «هلمّمت»، فيشئون ويجمعون ويؤثون؛ وتوصل باللام، فيقال: «هلم لك»، «وهلم لكما». قال: وقال الخليل: أصلها «لَمْ»، وزيدت الهاء في أولها. وخالفه الفراء، فقال: أصلها «هل» ضَمَّ إليها «أَمْ»؛ والرفعة التي في اللام من همزة «أَمْ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها؛ وكذلك «الهم» يرى أصلها: «يا الله أمنا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركزت الهمزة. وقال ابن الأنباري: معنى «هلم»: أقبل؛ وأصله: «أَمْ يا رجل»، أي: «أقصد»، فضموا «هل» إلى «أَمْ» وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أَمْ» عن التصرف، وحولوا ضمة همزة «أَمْ» إلى اللام، وأسقطوا الهمزة، فاتصلت الميم باللام. وإذا قال الرجل للرجل: «هلم»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: «لا أهلم» و «لا أهلم». قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حرم البحيرة، والسائبة. قال مقاتل: الذين يشهدون أن الله حرم هذا الحرث والأنعام، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ أن الله حرّمه ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تصدّق قولهم.

﴿قُلْ تَسَاءَلُوا أَتِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّكُمْ وَإِسَافَتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا أَتِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ «ما» بمعنى «الذي». وفي «لا» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ [الأعراف: ١٢]. والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي نافية؛ فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، محمولاً على المعنى؛ فتقديره: أتِل عليكم أن لا تشركوا، أي: أتِل تحريم الشرك. والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: ٢٣] محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحساناً، ذكرهما الزجاج. والثالث: أن الكلام تم عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾. ثم في قوله: «عليكم» قولان: أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا. وفي هذا الشرك قولان: أحدهما: أنه ادعاء شريك مع الله ﷻ. والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْدُلُوا أَرْكَانَكُمْ﴾ يريد دفن البنات أحياء. ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن الفواحش: الزنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن الاستسار به، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرمات. وما بطن: الزنا، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا، قاله الضحاك. والرابع: أنه عام في الفواحش. وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سريها، قاله قتادة. والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع، وفي تفسير قوله: ﴿وَدُّوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأحكام: ١٢٠]. والنفس التي حرم الله: نفس مسلم أو معاهد. والمراد بالحق: إذن الشرع.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْيَتِيمَ الْكَافِرَ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِ اللَّهُ أَوْفُؤًا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إنما خص مال اليتيم، لأن الطمع فيه، لقلة مراعيه وضعف مالكة، أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب. والرابع: أنه حفظه عليه، وتشيمره له، قاله الزجاج. قال: و«حتى» محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده، فادفعوه إليه. فأما الأشد، فهو استحكام قوة الشباب والسن. قال ابن قتيبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النبات إلى حد الرجال. يقال: بلغ أشده: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان. وقال أبو عبيدة: الأشد لا واحد له منه؛ فإن أكرهوا على ذلك، قالوا: شُدٌّ، بمنزلة: صَبٌّ، والجمع: أَصْبٌ. قال ابن الأنباري: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشد: شُدٌّ، بضم الشين. وقال بعض البصريين: واحد الأشد: شِدة، كقولهم: نعمة، وأنعم. وقال بعض أهل اللغة: الأشد: اسم لا واحد له. وللمفسرين في الأشد ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، روي عن عائشة ؓ. والرابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة. والسادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري. والسابع: ثلاثون سنة، قاله السدي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فكانه يشير إلى النسخ. والثامن: بلوغ الحُلُم، قاله زيد بن أسلم، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس، وهو الصحيح. ولا أظن بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسروا الآية بما ذكر عنهم، وإنما أظن أن الذين جمعوا التفاسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢، والقصص: ١٤] إلى هذا المكان؛ وذلك نهاية الأشد، وهذا ابتداء تمامه؛ وليس هذا مثل ذلك. قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حُذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشده؛ فإذا بلغ أشده، فأنستم منه رشداً، فادفعوا إليه ماله. قال المصنف: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح؛ وإنما استفيد إيناس الرشد والإسلام من آية أخرى؛ وإنما أطلق في هذه الآية ما قُيد في غيرها، فحمل المطلق على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه. و﴿الْيَتِيمَ الْكَافِرَ﴾ أي: وَزْنَ الميزان. والقسط: العدل. ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسَهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا تضيق عنه. قال القاضي أبو يعلى: لما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما التحديد بأقل القليل كُلفنا الاجتهاد في التحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ أي: إذا تكلمتم أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة. وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجه الإنسان على نفسه من نذر وغيره. ﴿ذَلِكُمْ﴾

وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أي: لتذكروهم وتأخذوا به. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] و ﴿يَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦] و ﴿يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] و ﴿أَنْ يَذَكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]، و ﴿يَذَكِّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] مشدداً ذلك كله. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كل ذلك بالتشديد، إلا قوله: ﴿أَوَلَا يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] فأنهم خففوه. روى أبان، وحفص عن عاصم: «يذكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن. قرأ حمزة، والكسائي: «يذكرون» مشدداً إذا كان بالياء، ومخففاً إذا كان بالياء.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: «وَأَنَّ» بفتح الالف مع تشديد النون. قال الفراء: إن شئت جعلت «أَنَّ» مفتوحة بوقوع «اتل» عليها؛ وإن شئت جعلتها خفصاً، على معنى: ذلکم وصاکم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر بفتح الالف أيضاً، إلا أنه خفف النون، فجعلها مخففة من الثقيلة؛ وحكم إعرابها حكم تلك. وقرأ حمزة، والكسائي: بتشديد النون مع كسر الالف. قال الفراء: وكسر الالف على الاستئناف. وفي الصراط قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإسلام. وقد بينا إعراب قوله: «مستقيماً» أيضاً. فأما «السُّبُلُ»، فقال ابن عباس: هي الضلالات<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: البدع والشبهات. وقال مقاتل: أراد ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: فضلكم عند يه.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْتَمِسُوا رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال الزجاج: «ثم» هاهنا للمعطف على معنى التلاوة؛ فالمعنى اتل ما حرم ربكم، ثم اتل عليكم ما آناه الله موسى. وقال ابن الأنباري: الذي بعد «ثم» مقدّم على الذي قبلها في النية؛ والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ في قوله: «تماماً» قولان: أحدهما: أنها كلمة متصلة بما بعدها؛ تقول: أعطيتك كذا تماماً على كذا، وتماماً لكذا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن قوله: «تماماً» كلمة قائمة بنفسها، غير متصلة بما بعدها؛ والتقدير: آتينا موسى الكتاب تماماً، أي: في دفعة واحدة، لم نفرّق إنزاله كما فرّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي المشار إليه بقوله: «أحسن» أربعة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه، قاله ابن زيد. والثاني: تماماً على إحسان الله تعالى إلى موسى؛ وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما». والقول الثاني: أنه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فالمعنى: تماماً للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله، وكانت بُيُوتُ موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أنه كل محسن من الأنبياء، وغيرهم. وقال مجاهد: تماماً على المحسنين، أي: تاماً لكل محسن. وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَنْ»، و «على» بمعنى لام الجر؛ ومن هذا قول العرب: أتم عليه، وأتم له. قال الراعي:

رَعَيْتُهُ أَشْهَرًا وَخَلَا عَلِيًّا<sup>(٢)</sup>

أي: لها. قال ابن قتيبة: ومثل هذا أن تقول: أوصي بمالي للذي غزا وحج؛ تريد: للغازين والحاجين. والقول الرابع: أنه موسى. ثم في معنى: «أحسن» قولان: أحدهما: أحسن في الدنيا بطاعة الله ﷻ. قال الحسن،

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٨٢/٤، ١٨٣، والحاكم في «المستدرک» ١/٧٣ عن النّوّاس بن سميان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَبْتِي الصراط سوران، فيها أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم». وخرجه ابن كثير في «التفسير»، ثم قال: إسناده حسن صحيح. وقوله: «تموجوا» قال القاري في «شرح المشكاة»: بتشديد الجيم من الأعوجاج، كذا في نسخة السيد وغيره، وفي نسخة: بتشديد الواو على حذف إحدى التاءين، وهو تأكيد لما قبله، أي: لا تميلوا إلى الأطراف. قلت: ووقع في «المسند»: «ولا تفرجوا» وهو تحريف.

(٢) تمامه: فطار التي فيها واستغارا. وهو في «أدب الكاتب» لابن قتيبة: ٤٠١ آيات يصف بها ناقة ذات سمن. قال الجواليقي: رعته، أي: رعت هذه الناقة هذا النبات أشهراً، وتخلت به، لم يزعجه غيرها. وطار التي، أي: ارتفع الشحم، واستغارا، أي: هبط فيها ودخل.

وقتادة: تماماً لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا. وقال الربيع: هو إحسان موسى بطاعته. وقال ابن جرير: تماماً لنعمنا عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا. والثاني: أحسن من العلم وكُتِبَ الله القديمة؛ وكأنه زيد على ما أحسنه من التوراة؛ ويكون «التمام» بمعنى الزيادة، ذكره ابن الأنباري. فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يعمر: «على الذي أحسن»، بالرفع. قال الزجاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء. وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكل، وأبو العالية: «على الذين أحسن» برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون؛ وهي تحتمل الإحسان، وتحتمل العلم.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْصِلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ قَاتِبٌ وَأَقْرَأُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ﴾ يعني القرآن، ﴿قَاتِبٌ وَأَقْرَأُوا﴾ أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قال الزجاج: لتكونوا راجين للرحمة.

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْحِكْمَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَلْنَفِيلِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذبوا أنبياءهم؛ فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكننا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الفراء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا. وذكر الزجاج عن البصريين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا؛ ولا يجوزون إضمار «لا». فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكة؛ والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى، وكنا غافلين عما فيها. و«دراستهم»: قراءتهم الكتب. قال الكسائي: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَلْنَفِيلِ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلغتنا، فأنزل الله كتابا فبلغتهم لتقطع حججهم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْمَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: إنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مبلون بالآذان والأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون لا يكتبون. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشبهات. قال ابن عباس: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجة، وهو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والرحمة، والنعمة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر ﴿مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني محمداً والقرآن. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض فلم يؤمن بها. وسوء العذاب: قبيحه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَا لَرَّ تَكُنَّ مَأْتٍ مِنْ قَبْلٍ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِثْمِهَا حَرِيرًا فَلْيُنْظَرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تأتيهم» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يأتيهم» بالياء. وهذا الإتيان لقبض أرواحهم. وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: أو يأتي أمر ربك<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: أو يأتي إهلاكه وانتقامه، إما بعذاب عاجل، أو بالقيامة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وروى عبد الوارث إلا القراز: بتسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون.

(١) خرج ابن الجوزي هنا على مذهب السلف في هذا النقل.

وفي هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن مسعود. وفي رواية زارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس، آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(٢)</sup>.. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، طُبع على كل قلب بما فيه، [و] كفي الناس العمل»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثالث: أنه إحدى الآيات الثلاث، طلوع الشمس من مغربها، والدابة، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة؛ والأول أصح. والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح؛ وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذٍ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. وقال الضحاک: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه، كما يقبل منه قبل الآية. وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أن الملحده والمنجمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَرْغِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### فصل

وفي قوله: ﴿قُلْ أَنْتَظِرُ إِيَّاهُ مُنْظَرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به التهديد، فهو محكم. والثاني: أنه أمر بالكف عن القتال، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «فَرَقُوا» مشددة. وقرأ حمزة، والكسائي: «فارقوا» بآلف. وكذلك قرؤوا في [الرم: ٣٢]؛ فمن قرأ؛ «فَرَقُوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحاک، وقتادة، والسدي. والثالث: اليهود، قاله مجاهد. والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن. فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه ديناً، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به. والشَّيْع: الفرق والأحزاب. قال الزجاج: ومعنى «شيعت» في اللغة: اتبعت. والعرب تقول: شاعكم السلام، وأشاعكم، أي: تبعكم. قال الشاعر:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقِي      بَرُّودُ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>

وتقول: أتيتك غداً، أو شيعاً، أي: أو اليوم الذي يتبعه. فمعنى الشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين. وفي قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: لست من قتالهم في شيء؛ ثم نسخ بآية السيف، وهذا مذهب السدي. والثاني: لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك برءاء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

(١) «المسند» ٣/٣١، و«الطبري» ١٢/٢٤٧، و«الترمذي» ٢/١٣٣. وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) «المسند» رقم (٧١٦١)، و«البخاري» ٨/٢٢٣، و«مسلم» ٢/١٩٤، و«أبو داود» ٤/١٦٣، و«ابن ماجه» ٢/٢٣٥٢. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٥٧/٣ وزاد نُسبته إلى عبد بن حميد، وعبد الرزاق، والنسائي، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، والطبراني، وابن أبي عدي.

(٣) «المسند» ٣/١٣٣، و«الطبري» ١٢/٢٥٣، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/٢٥٠. وقال: رجال أحمد ثقات. وقال ابن كثير بعد أن ذكره ٢/١٩٥: هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يخرج أحد من الكتب الستة.

(٤) البيت غير منسوب في «أساس البلاغة»، و«اللسان»: شيع.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يَنْظُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «عشر» بالتونين، «أمثالها» بالرفع. قال ابن عباس: يريد: من عملها، كتبت له عشر حسنات. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا﴾ جزاء ﴿مِثْلُهَا﴾. وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. والسيئة: الشرك، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي. والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر». فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد، فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟ فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السيئة. وقد أشرنا إلى هذا في (المائدة) عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فإن قيل: المثل مذكر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنث؟ فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة؛ وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا نِيلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال الزجاج: أي: دلّني على الدين الذي هو دين الحق. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قِيَمًا» مفتوحة القاف، مشددة الياء. والقيم: المستقيم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «قِيَمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء. قال الزجاج: وهو مصدر، كالصَّغَر والكَبَر. وقال مكي: من خففه بناء على «فَعَلَ» وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قَوْمًا» كما قالوا: عَوْض، وجَوْل، ولكنه شذ عن القياس. قال الزجاج: ونصب قوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دل على عرفني ديناً؛ ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالمعنى: هداني صراطاً مستقيماً ديناً قِيَمًا. و«حنيفاً» منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يريد: الصلاة المشروعة. والنسك: جمع نسكة. وفي النسك هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنها الذبائح؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: الدين، قاله الحسن. والثالث: العبادة. قال الزجاج: النسك كل ما تُقَرَّب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح. والرابع: أنه الدين، والحج، والذبائح، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي». وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»، ثم المفسرين في معناه قولان: أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله. والثاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه. ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال الحسن، وقادة: أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رُبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُيْبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهِمْ وَلَا يُزْ وَارِدَةٌ وَنَدَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَيْكَ رُجُوعٌ بَيِّنٌ يَنْصُرُ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رُبًّا﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُيْبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يؤخذ سواها بعملها. وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها. ﴿وَلَا يُزْ وَارِدَةٌ وَنَدَّ أُخْرَىٰ﴾ قال الزجاج: لا تؤخذ نفس أئمة بإثم أخرى. والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره. قال أبو سليمان: ولما ادّعت كل فرقة من اليهود والنصارى أو المشركين أنهم أولى بالله من



غيرهم، عرفهم أنه الحاكم بينهم بقوله: ﴿فَتَنَزَّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ ونظيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّعِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة. قال الشماخ: تُصَيِّبُهُمْ وَتُخَطُّنِي الْمَنَايَا وَأَخْلَفَ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعٍ<sup>(١)</sup> وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس. والثاني: أن بعضهم يخلف بعضاً؛ قاله ابن قتية. والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج. قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: في الرزق، والعلم، والشرف، والقوة، وغير ذلك ﴿لِّتَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سماه سريعاً، لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريب. والثاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.



(١) «ديوانه» ٥٨، و«مجاز القرآن» ٢٠٩/١، و«الطبري» ٢٨٨/١٢، و«القرطبي» ١٥٨/٧، و«اللسان»، و«التاج»: ربح. والربوع: جمع ربع، وهو جماعة الناس الذين ينزلون ربعاً يسكنونه، يقول: أبقي في قوم بعد قوم.

## سورة الأعراف

### فصل في نزولها

روى العوفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عباس، أن سورة الأعراف من المكي، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. وروي عن ابن عباس، وقتادة أنها مكية، إلا خمس آيات؛ أولها قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ﴾. وقال مقاتل: كلها مكية، إلا قوله: ﴿وَسَأَلْتَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٧٢] فإنهن مدنيات.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### ﴿التَّصَّ ١﴾

فأما التفسير، فقله تعالى: ﴿التَّصَّ ١﴾ قد ذكرنا في أول سورة (البقرة) كلاماً مجملاً في الحروف المقطعة أوائل السور، فهو يعم هذه أيضاً. فأما ما يختص بهذه الآية ففيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثاني: أنه قَسَمَ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن الألف مفتاح اسمه «الله»، واللام مفتاح اسمه «الطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، والصاد مفتاح اسمه «صادق»، قاله أبو العالية. والخامس: أن ﴿التَّصَّ ١﴾ اسم للسورة، قاله الحسن. والسادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والسابع: أنها بعض كلمة. ثم في تلك الكلمة قولان: أحدهما: المصور، قاله السدي. والثاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماوردي.

#### ﴿يَكُنْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَكُنْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء. ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «أ ب ت ث» ثمانية وعشرون حرفاً؛ فالمعنى: حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يرتفع الكتاب بإضمار: هذا الكتاب. وفي الحرج قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. والثاني: أنه الضيق، قاله الحسن، والزجاج. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب؛ فعلى هذا، في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يضيفُ صدرك بالإبلاغ، ولا تخافُ، قاله الزجاج. والثاني: لا تشكُّ أن من عند الله. والقول الثاني: أنها ترجع إلى مضمَر، وقد دل عليه الإنذار، وهو التكذيب، ذكره ابن الأنباري. قال الفراء: فمعنى الآية: لا يضيفُ صدرك أن كذبوك. قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ بِهِ﴾ مقدَّم، والمعنى: أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه. ﴿وَيُذَكِّرُ﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض؛ فأما النصب؛ فعلى قوله: أنزل إليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، أي: ولتنذكُر به ذكرى، لأن في الإنذار معنى التذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين. فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى «لتنذر»: لأن تنذر؛ المعنى: للإنذار والذكرى، وهو في موضع خفض.

#### ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إن قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: «اتَّبِعُوا»؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى. والثاني: أن الخطاب الأول خاص له؛ والثاني محمول على الإنذار، والإنذار في طريق القول، فكأنه قال: لتقول لهم منذراً: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: أن الخطاب الثاني للمشركون، ذكره جماعة من

المفسرين؛ قال: والذي أنزل إليهم القرآن. وقال الزجاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النبي ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ١٧]. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ آيَاتٍ﴾ أي: لا تتولوا من عدل عن دين الحق؛ وكل من ارتضى مذهباً فهو ولي أهل المذهب. وقوله تعالى: ﴿فَلْيَلَا مَا تَذْكُرُونَ﴾ ما: زائدة مؤكدة؛ والمعنى: قليلاً تذكرون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تذكرون» مشددة الذال والكاف. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تذكرون» خفيفة الذال مشددة الكاف. قال أبو علي: من قرأ «تذكرون» بالتشديد، أراد «تذكرون» فأدغم التاء في المذال، وإدغامها فيها حسن، لأن التاء مهموسة، والمذال مجهورة؛ والمجهور أزيد صوتاً من المهموس وأقوى؛ فإدغام الأنقص في الأزيد حسن. وأما حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هولاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة. وقرأ ابن عامر: «يتذكرون» بياء وتاء، على الخطاب للنبي ﷺ؛ والمعنى قليلاً ما يتذكر هولاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ «كم» تدل على الكثرة، و«رب»: موضوعة للقلّة. قال الزجاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ محمول على لفظ القرية؛ والمعنى: فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له؛ إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون. قال ابن قتيبة: بأسنا: عذابنا. وبياتاً: ليلاً. وقائلون: من القائلة نصف النهار. فإن قيل: إنما آتاهم البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدم الإهلاك؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت؛ وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معاً، قاله الفراء. والثاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكنها، وكان بأسنا قد جاءها، فأضمر الكون، كما أضمر في قوله: ﴿وَأَنْتَبَهُوا مَا كُنُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: ما كانت الشياطين تتلوه. وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: إن يكن سرق. والثالث: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً، أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَلِّيكَ وَرَأَيْتُكَ إِكْ﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي: رافعت ومتوفيك، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ قال الفراء: فيه واو مضمرة؛ والمعنى: فجاءها بأسنا بياتاً، أو هم قائلون، فاستقلوا نسقاً على نسق<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ١٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قال اللغويون: العدوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى: ما كان قولهم وتداعيههم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم. قال ابن الأنباري: وللدعوى في الكلام موضعان: أحدهما: الإِدعاء. والثاني: القول والدعاء. قال الشاعر:

إِذَا مَلَكَتْ رَجُلِي دَعْوَتِي أَشْتَفِي بِدَعْوَاكَ مِنْ مَذَلٍ بِهَا فِيْهُونَ<sup>(٢)</sup>

﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا الْيَوْمَ أَرْسِلْ إِنْ شِئْتَ الْفَرَسَ ١٣﴾ فَلْيَقْصِرْ عَلَيْهِمْ سَبِيلَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا الْيَوْمَ أَرْسِلْ إِنْ شِئْتَ الْفَرَسَ﴾ يعني: الأمم يسألون: هل بلغكم الرسل، وماذا أجبتهم؟ ويسأل الرسل: هل بلغتم، وماذا أجبتهم؟. ﴿فَلْيَقْصِرْ عَلَيْهِمْ سَبِيلَ﴾ أي: فلنخبرهم بما عملوا بعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن الرسل والأمم. وقال ابن عباس: يوضع الكتاب، فيتكلم بما كانوا يعملون.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥﴾ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَسَاءَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ ١٦﴾

(١) وتام كلام الفراء في معاني القرآن ٣٧٢: ولو قيل لكان جائزاً، كما تقول في الكلام: أتيتني والياً، أو وأنا معزول، وإن قلت: أو أنا معزول، فانت مضمر الواو.

(٢) البيت لكثير عزة، «ديوانه» ٢٤٥/٢، والطبري ٣٠٤/١٢، ونهاية الأرب ١٢٥/٢، واللسان: مذل. ومذلت رجله مذلّاً بفتح وسكون، ومذت: خدرت، وكانوا يزعمون أن المرء إذا خدرت رجله، ثم دعا باسم من أحب، زال خدرها.

قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي: العدل. وإنما قال: «موازينه» لأن «من» في معنى جميع، يدل عليه قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾. وفي معنى «يُظْلَمُونَ» قولان: أحدهما: يجحدون. والثاني: يكفرون. قال الفراء: والمراد بموازينه: ووزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدون: حذاء دارك. قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ      عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ<sup>(١)</sup>  
يعني: مثل كلامه ولفظه.

### فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به. وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟ فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْمِينُ سِجْلًا، كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ كَرَمٌ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتُكَ كِتَابَتِي الْحَافِظُونَ؟» فيقول: لا يا رب. فيقول: أَلَمْ يَكُنْ عِندَ أَوْ حَسَنَةً؟ فَيَبْهَتُ الرَّجُلُ، فيقول: لا يا رب؛ فيقول: بلى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ السِّجْلَتَانِ فِي كِفَّةٍ، وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ قال: فطاشت السِّجْلَتَانِ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup>. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْأَكُولِ الشَّرِيبِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»<sup>(٣)</sup>، فَعَلَى هَذَا يَوْزَنُ الْإِنْسَانُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَوْزَنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي مِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، فَتَنْتَقِلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيْتَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، فَيُخْفَ وَزْنُهُ<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الْحَسَنُ: لِلْمِيزَانِ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ دَاوُدَ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرِيهِ الْمِيزَانَ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ؛ فَقَالَ: يَا إِلَهِي، مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَيْهِ حَسَنَاتٍ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُدَ، إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَنْ عَبْدِي، مَلَأْتُهُ بِتَمْرَةٍ. وَقَالَ حَزِيفَةُ: جَبْرِيلُ صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: زِنْ بَيْنَهُمْ، وَرَدُّ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَيُرَدُّ عَلَى الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ مَا وَجَدَ لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَردَ عَلَى سَيِّئَاتِ الظَّالِمِ، فَيَرْجِعُ وَعَلَيْهِ مِثْلُ الْجِبَالِ. فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ الْأَعْمَالِ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي وَزْنِهَا؟ فَالجواب أن فيه خمسة حكم: إحداهما: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا. والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة. والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر. والرابعة: إقامة الحجة عليهم. والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم. ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ فَلْيَلا مَا تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكناكم إياها. والثاني: سهّلنا عليكم التصرف فيها. وفي المعاييش قولان: أحدهما: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب. والثاني: ما تتوصلون به إلى المعاييش، من زراعة، وعمل، وكسب. وأكثر القراء على ترك الهمز في «معايش» وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة. قال

(١) في «اللسان»: والميزان: المقدار، أنشد ثعلب: قد كنت .....

(٢) «المسنَد» ١٩٧/١١، و«سنن الترمذي» ٣/٣٦٧، وابن ماجه ١/١٤٣٧، والحاكم في «المستدرک» ١/٥٢٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/١٠٧ من طريق ابن أبي حاتم عن أبي هريرة بلفظ: «يؤتى بالرجل الأكل الشرب العظيم فيوزن بحية فلا يزنه». وروى البخاري ٨/٣٢٤، و«مسلم» ٤/٢١٤٧ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِيَّانِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: «أَقْرَأُوا: ﴿لَا تُقِيمُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفْسًا﴾» [الكهف: ١٠٥].

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» بأطول مما هنا، ونسبه إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

الزجاج: وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة، نحو صحيفة وصحائف؛ فصحيفة من الصحف؛ والياء زائدة، فأما معاش، فمن العيش؛ فالياء أصلية.

قوله تعالى: ﴿فَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل. وقال ابن عباس: يريد أنكم غير شاكرين.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَنْجِدُوا إِدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ولقد خلقناكم في ظهر آدم، ثم صورناكم في الأرحام، رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس. والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال، وصورناكم في أرحام النساء، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم»، يعني ذريته من بعده، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم» في ظهره، قاله مجاهد. والخامس: «خلقناكم» نطفاً في أصلاب الرجال، وترائب النساء، «ثم صورناكم» عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب. والسادس: «خلقناكم» في بطون أمهاتكم، «ثم صورناكم» فيما بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر. والسابع: «خلقناكم»، يعني آدم خلقناه من تراب، «ثم صورناكم»، أي: صورناه، قاله الزجاج، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه؛ فمن قال: عنى بقوله: «خلقناكم» آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم؛ ومن قال: صورنا ذريته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهية الذر. والثامن: «ولقد خلقناكم» يعني الأرواح، «ثم صورناكم» يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد». وفي «ثم» المذكورة مرتين قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش. والثاني: أنها للترتيب، قاله الزجاج.

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا سَجَدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَّكَ آلَا سَجَدَ﴾ «ما» استفهام، ومعناها الإنكار. قال الكسائي: «لا» هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟ وقال الزجاج: موضع «ما» رفع. والمعنى: أي شيء منعك من السجود؟ و«لا» زائدة مؤكدة؛ ومثله: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَمَلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]. قال ابن قتيبة: وقد تزداد «لا» في الكلام. والمعنى: طرحتها لإبائه في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد «لا» لأنه لم يسجد. ومثله: ﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] على قراءة من فتح «أنها»، فزاد «لا» لأنهم لم يؤمنوا؛ ومثله: ﴿وَحَرِّمُوا عَلَى قَرِيبِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. وقال الفراء: «لا» هاهنا جحد محض، وليست بزائدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتأويل: من قال لك: لا تسجد؛ فأحل المنع محل القول، ودخلت بعده «أن» ليدل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه. وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السجود، فأحوجك أن لا تسجد؟ قال الزجاج: وسؤال الله تعالى لإبليس ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ﴾ توبيخ له، ولِيُظْهِرَ أَنَّهُ معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ﴾ إنما هو جواب، أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السجود فضلي عليه. ومثله قولك للرجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح؛ وإنما الجواب: كنت صالحاً، فيجيب بما يُحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص، وخفي عليه فضل الطين على النار؛ وفضله من وجوه: أحدها: أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطين الهدوء والرزانة. والثاني: أن الطين سبب الإنبات والإيجاد، والنار سبب الإعدام والإهلاك. والثالث: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفريقها.

﴿قَالَ فَاقْبِطْ مِنِّي مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاقْبِطْ مِنِّي﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهم: أنها ترجع إلى السماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن. والثاني: إلى الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ إن قيل: فهل لأحد أن يتكبر في غيرها؟ فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر في غيرها. وأما الصاغر، فهو الدليل. والصغار: الذل. قال الزجاج: استكبر إبليس بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك.

﴿قَالَ أَنْظِرْ لِيَ يَوْمَ يُمْتَوْنَ﴾ ١٤ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْ﴾ أي أمهلني وأخرني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُمْتَوْنَ﴾، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم. وقد بين مدة إمهاله في (الحجر) بقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ١٦ [الحجر: ٢٨]. وفي ما سأل الإمهال له قولان: أحدهما: الموت. والثاني: العقوبة. فإن قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ وليس أحد أنظر سواه؟ فالجواب: أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بأجلهم، فهو منهم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْنَدَنَّ لَكَ مِرْطَكَ التَّسْتِيمِ﴾ ١٧

قوله تعالى: ﴿فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾ في معنى هذا الإغواء قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإضلال، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه بمعنى الإهلاك، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مریم: ٥٩]، أي: هلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى «فيمًا» قولان: أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي. والثاني: أنها بمعنى الجزاء، أي فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني ﴿لَأَقْنَدَنَّ لَكَ مِرْطَكَ التَّسْتِيمِ﴾. قال الفراء، والزجاج: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظهر والبطن. وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه طريق مكة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبیر؛ كأن المراد صدهم عن الحج. والثاني: أنه الإسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفية، ومقاتل. والثالث: أنه الحق، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَا يَنْتَهُرُ بَيْنَ يَدَيْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٨

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَنْتَهُرُ بَيْنَ يَدَيْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: «من بين أيديهم» أشككهم في آخرتهم، «ومن خلفهم» أرغبهم في دنياهم، «وعن أيمنهم» أي: من قبل حسناتهم، «وعن شمائلهم» من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس. والثاني: مثله، إلا أنهم جعلوا «من بين أيديهم» الدنيا، «ومن خلفهم» الآخرة، قاله النخعي، والحكم بن عتيبة. والثالث: مثل الثاني، إلا أنهم جعلوا «وعن أيمنهم» من قبل الحق أصدهم عنه، «وعن شمائلهم» من قبل الباطل أردهم إليه، قاله مجاهد، والسدي. والرابع: «من بين أيديهم» من سبيل الحق، «ومن خلفهم» من سبيل الباطل، «وعن أيمنهم» من قبل آخرتهم، «وعن شمائلهم» من أمر الدنيا، قاله أبو صالح. والخامس: «من بين أيديهم» «وعن أيمنهم» من حيث يبصرون، «ومن خلفهم» «وعن شمائلهم» من حيث لا يبصرون، نقل عن مجاهد أيضاً. والسادس: أن المعنى: لا تصرفن لهم في الإضلال من جميع جهاتهم، قاله الزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التأكيد. والسابع: «من بين أيديهم» فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، «ومن خلفهم» فيما مضى من أعمارهم، فلا يتوبون فيه من معصية، «وعن أيمنهم» من قبل الغنى، فلا ينفقونه في مشكور، «وعن شمائلهم» من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محذور، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٩ فيه قولان: أحدهما: موحدین، قاله ابن عباس. والثاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل. فإن قيل: من أين علم إيليس ذلك؟ فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة (النساء).

﴿قَالَ لَنْحَرِجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَمَكُ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَيَكَادُمْ أَشْكُو أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَشْتَكُوا وَلَا تَقَرَّ عَنَّا الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْحَرِجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ وقرأ الأعمش: «مذموماً» بضم الذال من غير همز. قال الفراء: «الذَّامُ: الذَّمُّ؛ يقال: ذامت الرجل، أذامته ذاماً؛ وضممته، أذمته ذمّاً؛ وذمته، أذيمه ذيمّاً؛ ويقال: رجل مذووم، ومذموم، ومذيم، بمعنى. قال حسان بن ثابت:

وأقاموا حتى أبجروا جميعاً  
في مقامٍ وكُلُّهم مَذْذُومٌ<sup>(١)</sup>

(١) «سيرة ابن هشام» ١٥٠/٢، وفيها: «حتى أبجروا... وكلهم مذموم» والبيت من قصيدة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد.

قال ابن قتية: المذموم: المذموم بأبلغ الذم. والمدحور: المقصى المبعد. وقال الزجاج: معنى المذموم كمنعنى المذموم، والمدحور: المبعد من رحمة الله. واللام من «الأملاء»: لام القسم؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل له: من تبعك، أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. فلام «الأملاء» هي لام القسم، ولام «لمن تبعك» توطئة لها. فأما قوله: «منهم» فقال ابن الأنباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم، لأنه حين قال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» [الأمراف: ١١] كان مخاطباً لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: «لَكُنْ يَمَكَ وَنَتَمُ» فجعلهم غائبين، لأن مخاطبهم في ذا الموضوع توقع لبساً؛ والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. ومن قال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» خطاب لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من ذكرهم؛ والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللبس. قال الشاعر:

أرى الخَطَفَى بَدَأَ الْفِرْزْدُقَ شِغْرَهُ  
ولكنَّ خيراً من كُليبٍ مُجاشِعُ

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكفى بالخطفى من ابنه.

قوله تعالى: «لَأَنبَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ» يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من الشياطين.

«قَسَمَ لَنَا الْفَيْلُكُ يَبْقَى لَنَا مَا دُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاهِمَا وَقَالَ مَا نَبُحْنَا رَبَّنَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْكَافِرِينَ»

قوله تعالى: «قَسَمَ لَنَا الْفَيْلُكُ» قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصوت. قال ابن فارس: الوسواس: صوت الحلي، ومنه وسواس الشيطان. و «لهما» بمعنى «إليهما»، «يَبْقَى لَنَا» أي: ليظهر لهما «مَا دُرِيَ عَنْهُمَا» أي: ستر. وقيل: إن لام «ليدي» لام العاقبة؛ وذلك أن عاقبة الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، ولم تكن الوسوسة لظهورها. قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ» قال الأخفش، والزجاج: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونوا ملكين. وقال ابن الأنباري: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكفى بـ «أن» من «لا» فأسقطها. فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفاً إلى أن يكون ملكاً، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟ فغته جوابان: أحدهما: أنه عرف قريهم من الله، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة: «أَوْ تَكُونَا مِنَ الْكَافِرِينَ» لا تموتان أبداً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: «أن تكونا ملكين» بكسر اللام، وهي قراءة الزهري.

«وَنَاسِيَهُمَا إِلَى لَحْمَا لَيْنَ الشَّجَرَةِ» قَدْ لَهْمَا يُمْرُزُّ لَهْمًا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوَاهِمُهُمَا وَطَوَفَا بِحُفُوفَيْهَا عَلَيْهِمَا مِنْ دَرَى اللَّبَنَةِ وَكَادَهُمَا رَبُّهُمَا أَوْ أَتَاهُمَا عَنْ يَمِينِ الشَّجَرَةِ وَأَقْبَلَ لَحْمًا إِلَى الْفَيْلُكِ لَكُمَا عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبَّنَا خَلَقْنَا أَشْهَابًا وَإِنْ تُرْمَى تَقَرُّ لَنَا وَتَرْحَمُنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَذَابٌ وَلَكِنَّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرً وَمَتَّعَ إِلَى جِيءٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِيهَا جَبُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: «وَنَاسِيَهُمَا» قال الزجاج: حلف لهما، فدلأهما في المعصية بأن غرهما. قال ابن عباس: غرهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً.

قوله تعالى: «فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ» أي: فلما ذاقا ثمر الشجرة. قال الزجاج: وهذا يدل على أنها ما ذاقاها ذواقاً، ولم يبالغا في الأكل. والسواة كناية عن الفرج، لا أصل له في تسميته. ومعنى: «وَطَوَفَا» أخذوا في الفعل؛ والأكثر: طَفِقَ يَطْفُقُ؛ وقد رويت: طَفِقَ يَطْفُقُ، بكسر الفاء، ومعنى: «بِحُفُوفَيْهَا» يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقع النعل: خصاف. وفي الآية دليل على أن إظهار السواة قبيح من لدن آدم؛ ألا ترى إلى قوله: «يَبْقَى لَنَا مَا دُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاهِمَا» فإنهما بادرا يستتران لقبح التكشف. وقيل: إنما سميت السواة سواة، لأن كشفها يسوء صاحبها. قال وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما. وقرأ الحسن: «سَوَاتُهُمَا» على التوحيد؛ وكذلك قرأ: «يَخْضِفَانِ» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وقرأ الزهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان: أحدهما: ورق التين، قاله



ابن عباس. والثاني: ورق الموز، ذكره المفسرون. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ يعني الأرض. واختلف القراء في تاء «تخرجون»؛ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا؛ وفي الروم: ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ١٩]. وفي الزخرف: ﴿كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]. وفي الجاثية: ﴿لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٣٥]. وقرأهن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء. وفتح ابن عامر التاء في (الأعراف) فقط. فأما التي في (الروم): ﴿إِذَا أَنتَرْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وفي ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] فمفتوحتان من غير خلاف.

﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ وَجْهِكَ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ مَّا كُنْتَ أَتَى لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ مَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، من علينا باللباس. وفي معنى ﴿أَزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: خلقتناكم. والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه. والثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباساً. وأكثر القراء قرؤوا: وريشاً. وقرأ ابن عباس، والحسن، وزر بن حبيش، وقتادة، والمفضل، وأبان عن عاصم: «وريشاً» بألف. قال الفراء: يجوز أن تكون الرياش جمع الريش. ويجوز أن تكون بمعنى الريش كما قالوا: لبس، ولباس. قال الشاعر:

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللَّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ  
بِأَطْرَافِ طِفْلِ زَانَ عَيْلًا مُوَشَّمًا<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس، ومجاهد: «الرياش»: المال؛ وقال عطاء: المال والتعم. وقال ابن زيد: الريش: الجمال؛ وقال معبد الجهني: الريش: الرزق؛ وقال ابن قتيبة: الريش والرياش: ما ظهر من اللباس. وقال الزجاج: الريش: اللباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تَرِيشُ فلان، أي: صار له ما يعيش به. أنشد سيبويه:

رِيشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مِنْكُمْ  
وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا<sup>(٢)</sup>

وعلى قول الأكثرين: الريش والرياش بمعنى. قال قطرب: الريش والرياش واحد. وقال سفيان الثوري: الريش: المال، والرياش: الثياب.

قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: «ولباسُ التقوى» بالرفع. وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب اللباس. قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش؛ ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بإضمار: هو؛ المعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين. وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال: أحدها: أنه السميت الحسن، قاله عثمان بن عفان؛ ورواه الذئبال بن عمرو عن ابن عباس. والثاني: العمل الصالح، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسدي؛ فعلى هذا، سمي لباس التقوى، لأنه يقي العذاب. والرابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزبير. والخامس: الحياء، قاله معبد الجهني، وابن الأنباري. والسادس: ستر العورة للصلاة، قاله ابن زيد. والسابع: أنه الدرع، وسائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي. والثامن: العفاف، قاله ابن السائب. والتاسع: أنه ما يَتَّقَى به الحر والبرد، قاله ابن بحر. والعاشر: أن المعنى: ما يَلْبَسُهُ المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: ولباس التقوى خير من الثياب، لأن الفاجر، وإن كان حسن الثوب، فهو بادي العورة: و «ذلك» زائدة. قال الشاعر في هذا المعنى:

(١) البيت لمحميد بن ثور الهلالي، «ديوانه» ١٤، و«معاني القرآن» للقرافي ١/ ٣٧٥، و«الطبري» ١٢/ ٣٦٤، و«المخصص» ٤/ ٣٥، و«اللسان»: «لبس» و«طفل». الطفل: البنان الناعم، أراد: مسحه بأطراف بنان طفل. والغيل: الساعد الريان الممتلئ. والموشم: عليه الوشم. والوشم: زينة الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام، ولعن فاعلها.

(٢) البيت لجريج، «ديوانه» ٥٠٦ يمدح هشام بن عبد الملك، وأنشد سيبويه ٢/ ٤٥ ونسبه للراعي. والمام: الشيء اليسير، وهو أيضاً: الزيادة في النوم، وأصله من ألم بالمتزل: إذا نزل به ثم رحل.

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ غُرَبَانَا

قال ابن الأنباري: ويقال: لباس التقوى، هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري، إذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعري في الطواف.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ مَّآثِرِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: يعني: الثياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذكروا، فيعتبروا في صنعه.

﴿يَبْقَىٰ مَادَمَ لَا يَقِينَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّكُمْ يَرَنْتُمْهُ هُوَ وَقِيلَهُ مِن مَّحَبَّتِهِ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ مَادَمَ لَا يَقِينَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراة؛ والمعنى: لا يخذعكنم ولا يضلكنم بغروره، فيزين لكم كشف عوراتكم، كما أخرج أبويكم من الجنة بغروره. وأضيف الإخراج ونزع اللباس إليه، لأنه السبب. وفي «لباسهما» أربعة أقوال: أحدها: أنه النور، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وقد ذكرناه عن ابن منبه. والثاني: أنه كان كالظفر؛ فلما أكل، لم يبق عليهما منه إلا الظفر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن زيد. والثالث: أنه التقوى، قاله مجاهد. والرابع: أنه كان من ثياب الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ أي: ليري كل واحد منهما سواة صاحبه. ﴿إِنَّكُمْ يَرَنْتُمْهُ هُوَ وَقِيلَهُ﴾ قال مجاهد: قيله: الجن والشياطين. قال ابن عباس: جعلهم الله يبحرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبني آدم لا يرونهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال الزجاج: سلطناهم عليهم، يزدون في غيهم. وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

﴿وَإِذَا قُلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِن كَانَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلُوا فَحْشَةً﴾ فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي. والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المشركون؛ والفاحشة: الشرك، قاله الحسن، وعطاء. قال الزجاج: فأعلمهم عز وجل أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم فيحه؟!.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد، فصلوا فيه، ولا يقولن أحدكم: أصلي في مسجد، قاله ابن عباس، والضحاك، واختاره ابن قتيبة. والثاني: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد. والثالث: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون غيره، قاله الربيع بن أنس. والرابع: اقصدا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء. وفي قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قولان: أحدهما: مُفَرِّدين له العبادة. والثاني: موحدين غير مشركين. وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء. والثاني: كما خلقتكم بقدرته، كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿فِيهَا نَحْيُونَ فِيهَا تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. والثالث: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تعودون، ذكره الماوردي.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُم أَخَذُوا أَشْيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ قال الفراء: نصب الفريق بـ «تعودون». وقال ابن الأنباري: نصب «فريقاً» و «فريقاً» على الحال من الضمير الذي في «تعودون»، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين، بعضهم سعداء، وبعضهم أشقياء.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السابقة.

﴿يَنْبَغِي مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١)

قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تعلق على فرجها سيوراً، وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَغَضُهُ أَوْ كُؤُلُهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية (١) قاله ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلبقهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية. وقال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحمس، قريش وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبيه أحمس، فإن لم يجد من يُعيره من الحمس، ألقى ثيابه وطاف عرياناً، فإن طاف في ثياب نفسه، جعلها حراماً عليه إذا قضى الطواف، فلذلك جاءت هذه الآية. وفي هذه الزينة قولان: أحدهما: أنها الثياب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطواف، قاله ابن عباس، والحسن في جماعة. والثاني: أنه ورد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج. والثالث: أنه ورد في التزين بأجمل الثياب في الجمع والأعياد، ذكره الماوردي. والثاني: أن المراد بالزينة: المشط، قاله أبو رزين.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حجهم دسماً، ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً، تعظيماً لحجهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾. وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم، قاله ابن عباس. والثاني: لا تأكلوا حراماً، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد. والثالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل. والرابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزجاج. ونقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. قال النصراني: ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الداء، وعودوا كل بدن ما اعتاد» (٢). فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً. قال المصنف: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب».

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفَعَّلَ الْآيَاتِ يَقُولُ بِمَا يَكُونُ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين عيروا المسلمين، إذ

(١) مسلم في «صحيحه» ٢٣٢٠/٤ من طريق غندر عن شعبة، و«الطبري» ٣٩٠/١٢. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٩/٢ - ٣٢٠ من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة، ولكن قال: نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾. ثم قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» وقال: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره. نعم عند ابن أبي الدنيا في الصمت من جهة وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وللخلال من حديث عائشة: «الأزم دواء، والمعدة داء، وعودوا بدنأ ما اعتاد». وأورد الغزالي في «الإحياء» من المرفوع: «البطنة أصل للداء، والحمية أصل للدواء، وعودوا كل بدن بما اعتاد». وقال مخرجه: «لم أجد له أصلاً».

لبسوا الثياب في الطواف، وأكلوا الطيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يُحرّمون أشياء أحلّها الله، من الزروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراً، قاله طاووس، وعطاء. وفي زينة الله قولان: أحدهما: أنها ستر العورة؛ فالمعنى: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟ والثاني: أنها زينة اللباس. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها الحلال. والثاني: المستلذ. ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البحائر، والسوائب، والوصائل، والحوامي التي حرّموها، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه السُّنَنُ، والألبان، واللحم، وكانوا حرّموه في الإحرام، قاله ابن زيد. والثالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ قال ابن الأنباري: «خالصة» نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يُلِيس سقوطها. قال الشاعر:

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي شَاحِباً  
كَأَنَّكَ يَخْمِنُكَ الطَّعَامَ طَبِيبُ  
تَسْتَأْجِ أَحْدَاثَ تَخْرُتْنَ إِخْوَتِي  
فَشَيْبَنَ رَأْسِي، وَالْحُطُوبُ تُشِيبُ

أراد: فقلت لها: الذي أكسبني ما ترين، تتأج أحداث، فحذف لانكشاف المعنى. قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم. وقرأ نافع: «خالصة» بالرفع. قال الزجاج: ورفعهما على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب: والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا، خالصة يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ﴾ أي: هكذا نبينها.  
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِقَرَىٰ أَخَىٰ وَأَنْ تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ قرأ حمزة: ﴿رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ بإسكان الياء. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن المراد بها الزنا، ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سره، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزنا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال علي بن الحسين. والثالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن ما ظهر: الزنا، وما بطن: العزل، قاله شريح. والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهلية عراً، وما بطن: الزنا، قاله مجاهد. والسادس: أنه عام في جميع المعاصي. ثم في «ما ظهر منها وما بطن» قولان: أحدهما: أن الظاهر: الغلانية، والباطن: السر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماوردي. وفي الإثم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: المعاصي كلها، قاله مجاهد. والثالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء. قال ابن الأنباري: أنشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا عبيدة أنشد:

نَشْرَبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَاراً  
وَنَرَى الْمُشْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَاراً<sup>(١)</sup>

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب. وأنشدنا رجل آخر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى شَلَّ عَقْلِي  
كَذَاكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفاً أيضاً في شعر من يحتج بشعره، وما رأيت أحداً من أصحاب الغريب أدخل

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: أنم، «التاج»: منك. «المك»: الأراج.

الإثم في أسماء الخمر، ولا سمّتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام. فإن قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم، فصواب، لا لأنه اسم لها. فإن قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كل الفواحش إثم؟ فالجواب: أن كل فاحشة إثم، وليس كل إثم فاحشة، فكان الإثم كل فعل مذموم؛ والفاحشة: العظيمة. فاما البغي، فقال الفراء: هو الاستطالة على الناس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَشْرَبُوا﴾ قال الزجاج: موضع «أن» نصب؛ فالمعنى: حرّم الفواحش، وحرّم الشرك. والسلطان: الحجة.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْصِفُونَ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ سبب نزولها: أنهم سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت، قاله مقاتل. وفي الأجل قولان: أحدهما: أنه أجل العذاب. والثاني: أجل الحياة. قال الزجاج: الأجل: الوقت المؤقت. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً﴾ المعنى: ولا أقل من ساعة. وإنما ذكر الساعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

﴿يَنْبِئُ آدَمَ إِنَّا يَا أَيُّهَا رُسُلُكُمْ عَلَيْكُمْ عَاقِبَتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦) ﴿فَنَزَّلْنَاهُ مِن مَّاءٍ مَّكَدٍ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ يَكْفُلُهُمْ نَحْنُ كَافِرِينَ﴾ (٣٧) ﴿يَا أَيُّهَا رُسُلُكُمْ إِنَّا جَاءَنَاهُمْ رَسُولًا مِّنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنتُمْ تَدْعُونَا إِلَى دِينِ اللَّهِ قَالُوا قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَكُفُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٣٨)

قوله تعالى: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ إِنَّا يَا أَيُّهَا رُسُلُكُمْ﴾ قال الزجاج: أضمر: «فأطيعوهم». وقد سبق معنى «إما» في سورة [البقرة: ٣٨]؛ والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَكْفُلُهُمْ نَحْنُ كَافِرِينَ﴾ ففي معناه سبعة أقوال: أحدها: ما قدّر لهم من خير وشر، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيجزون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ما كتّب عليهم من الضلالة والهدى، قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير: من السعادة والشقاوة. والرابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الربيع، والقرظي، وابن زيد. والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي. والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلها: أنه من افترى على الله كذباً، أسودّ وجهه، قاله مقاتل. والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكَ نَارًا تَلْقَى﴾ (٣٦) [الليل: ١٤]، قاله الزجاج. فإذن في الكتاب خمسة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: كتّب الله كلها. والثالث: القرآن. والرابع: كتاب أعمالهم. والخامس: القضاء.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله النخعي. والثاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة. وفي قوله: «يتوفّونهم» ثلاثة أقوال: أحدها: يتوفّونهم بالموت، قاله الأكثرون. والثاني: يتوفّونهم بالحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن. والثالث: يتوفّونهم عذاباً، كما تقول: قتل فلاناً بالعذاب، وإن لم يمت، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهذا سؤال تبكييت وتقريع. قال مقاتل: المعنى: فليمتعوك من النار. قال الزجاج: ومعنى ﴿صَلُّوا عَلَيْنَا﴾: بطلوا وذهبوا، فيعرفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْغِيَةِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّغَتْ لَهَا وَهَوُّوا وَكُفُّوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجُوهُمْ لَوْلَاهُم مَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ جُزْءًا مِّنَ الْغِيَةِ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ كَذِبًا﴾ (٣٩)

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾ إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة، لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة. قال ابن قتيبة: و«في» بمعنى: «مع». وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان: أحدهما: مضت إلى العذاب. والثاني: مضت في الزمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ أَهْلٌ مَلَّةً﴾ وهذه أخوة الدين والملة، لا أخوة النسب. قال ابن عباس: يلعون من كان قبلهم. قال مقاتل: كلما دخل أهل ملّة، لنوا أهل ملّتهم، فيلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم القيمون هذا الملقى حين أطعناكم. وقال الزجاج: إنما تلاعنوا، لأن بعضهم ضل باتباع بعض.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذَارَكُوا﴾ قال ابن قتيبة: أي: تداركوا، فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون لما بعدها، يريد: تابعوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَخْرِجْنَهُنَّ لِأُولِنَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: آخر أمّة لأول أمّة، قاله ابن عباس. والثاني: آخر أهل الزمان لأولهم الذين شرعوا له ذلك الدين، قاله السدي. والثالث: آخرهم دخولاً إلى النار، وهم الأتباع، لأولهم دخولاً. وهم القادة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾ قال ابن عباس: شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً.

قوله تعالى: ﴿فَنَازِلُهُنَّ عَذَابًا مُّضَاعَفًا﴾ قال الزجاج: أي: عذاباً مضاعفاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ أي: عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون. قرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يعلمون»، بالياء. قال الزجاج: والمعنى: لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقون: «تعلمون» بالتاء، وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك. وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿لِكُلِّ ضِعْفٌ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتباع. قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْنًا مِنْ فَضْلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عباس. والثاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

﴿وَقَالَتْ أُولُنَّهُنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْنًا مِنْ فَضْلٍ فَذَرُونَهُنَّ الْفَلَاحُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل: من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُكْذِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحجبنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء، وتكبروا عن الإيمان بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تُفْتَحْ»؛ بالتاء، وشددوا التاء الثانية. وقرأ أبو عمرو: «لَا تُفْتَحْ» بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «لَا يُفْتَحْ» بالياء مضمومة خفيفة. وقرأ اليزيدي عن اختياره: «لَا تُفْتَحْ» بياء مفتوحة ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ بنصب الباء، فكأنه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب، كأنه يشير إلى الله ﷻ. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسدي في آخرين، والأحاديث تشهد به<sup>(١)</sup>. والثاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل. وفي السماء قولان: أحدهما: أنها السماء المعروفة، وهو المشهور. والثاني: أن المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها، لأن الجنة في السماء، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الجمل: هو الحيوان المعروف. فإن قال قائل: كيف خص الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛

(١) انظر مستند أحمد ٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، وتفسير الطبري ٤٢٤/١٢، وابن كثير ٢/٢١٣.

والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يبغي عنك شيئاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والقتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، فإنهم يقدمونه في القوة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ﴾ [الناحية: ١٧]، فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباري. قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْسُ<sup>(١)</sup> الغليظ. قال المصنف: وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم. قال: وروى مجاهد عن ابن عباس: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها. قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة. قال ابن الأنباري: فالجملُ يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجملُ، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال، قيل في جمعها: جُمْلٌ، كما يقال: حُجْرَةٌ، وَحَجَرٌ، وَظُلْمَةٌ، وَظُلْمٌ. وكذلك من قرأ: «الجملُ» يسوغ له أن يقول: الجُمْلُ، بمعنى الجُمْلُ، وأن يقول: الجُمْلُ، جمع جُمْلَةٌ، مثل بُسْرَةٍ، وَبُسْرٌ. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال. وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ: «الجملُ» بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحك، والجحدري. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «الجملُ» بفتح الجيم، ويسكون الميم خفيفة.

قوله تعالى: ﴿فِي سَرٍّ لَّيَالٍ﴾ السَّم فِي اللُّغَةِ: الثَّقَبُ. وفيها ثلاث لغات: فتح السين، وبها قرأ الأكثرون، وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف، وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعي عن نافع. قال ابن القاسم: والخياط: المَخِيطُ، بمنزلة اللحاف والملحف، والقرام والمقرم. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: «في سم المَخِيطِ». وقال الزجاج: الخياط: الإبرة، وسمُّها: ثقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً. قال ابن قتيبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويبيض القار.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة.

﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَسَبُوا الْفَوَاحِشَ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المهاد: الفراش. وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال: أحدها: اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد. والثاني: ما يغشاهم من فوقهم من اللخان، قاله عكرمة. والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ فمن عني بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أهل بدر. روى الحسن عن علي عليه السلام أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾. وروى عمرو بن الشريد عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾. والثاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا. روى كثير النُّوَّاء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في علي، وأبي بكر، وعمر. قلت لأبي جعفر: فاي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسحخن يده ويكمد بها خاصرة

(١) القلس، بفتح القاف ويسكون اللام: جبل غليظ من جبال السفن.



أبي بكر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أنهم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح. والرابع: أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا هَلَبُوا وَثَقُوا، أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ». فوالذي نفسي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة، تعرض لهم عيان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم. فاما النزح، فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر. وقال ابن قتيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: «لَمَسَدٌ لِّئَلَّا هَدَّكَ إِلَهُكَ» قال الزجاج: معناه: هدايا لما صيرنا إلى هذا. قال ابن عباس: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته. وروى عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منشور، فيطوفون بهم كطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشرونهم بما أعد الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهن، فيستخفن الفرح، فيقمن على أشكف الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلو أن الله ذلله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالشَّر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزراي المبوثة، فعند ذلك قالوا: «لَمَسَدٌ لِّئَلَّا هَدَّكَ إِلَهُكَ وَمَا كُنَّا لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَّكَ اللَّهُ» كلهم قرأ «وما كنا» بإثبات الواو، غير ابن عامر، فإنه قرأ «ما كنا لنهتدي» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو، أن القصة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله «رَأَيْمُهُمْ كَلْبُهُ» [الكهف: ٢٢].

قوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَيْنَا بِالْحَقِّ» هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً. «وَوَدُّوا أَنْ يَلَكُمُ لَكِنَّةٌ» قال الزجاج: إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكانه قيل لهم: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر «أورثموها» غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «أورثموها» مدغمة، وكذلك قرؤوا في [الزخرف: ٧٢]. قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والتاء مهموستان متقاربتان. وفي معنى «أورثموها» أربعة أقوال: أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فاما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة»<sup>(٢)</sup>، فذلك قوله: «أورثموها» يَكُنْ كَثُرَ تَمَلُّوْنَ. وقال بعضهم: لما سُمي الكفار أمواتاً بقوله: «أَثَرُهُ عِزٌّ لِحَيَاتِهِ» [النحل: ٢١]. وسمى المؤمنين أحياء بقوله: «لتنذر من كان حياً»<sup>(٣)</sup> [يس: ٧٠] أورث الأحياء الموتى. والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جعلت جزاء لأعمالهم، وثواباً عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام

(١) «البخاري» ٧٠/٥، و ٣٤٦/١١ [شرح الفتح]، و«الطبري» ٣٨/١٤ قال الحافظ ٣٤٦/١١: قوله: «والذي نفس محمد بيده» هذا ظاهره أنه مرفوع كله، وكذا في سائر الروايات، [إلا في رواية عفان عند الطبري] قال: فإنه جعل هذا من كلام قتادة، فقال بعد قوله: «في دخول الجنة» قال: وقال قتادة: «والذي نفسي بيده لأحدهم أهدى... إلخ. وفي رواية شبيب بن إسحاق بعد قوله: «في دخول الجنة» قال: فوالذي نفسي بيده... إلخ. فأبهم القائل، فعلى رواية عفان يكون هو قتادة، وعلى رواية غيره يكون هو النبي ﷺ، وزاد محمد بن المنهال عند الإسعيلي: قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من جمعهم، وهكذا عند عبد الوهاب وروح. وفي رواية بشر بن خالد وعفان جميعاً عند الطبري قال: وقال بعضهم... فذكروا، وكذا في رواية شبيب بن إسحاق، ويونس بن محمد، والقاتل: وقال بعضهم: هو قتادة، ولم أقف على تسمية القائل.

(٢) «الطبري» ٦/١٨ من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً بلفظ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْآزِفُونَ» [سورة الحديد: ٢٠]. وكذلك أورده ابن كثير ٣/٢٣٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد في «المستند» بنحوه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٣٩٩ وذكر رواية أخرى له، ثم قال: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.

(٣) كذا الأصل «لتنذر» بالتاء، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وأما قراءة حفص، فبالياء «لتنذر».

الدرجات بالأعمال. فلما كان يفسّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثاً. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

﴿وَأَذَانُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّهُمْ يَبْتَنُونَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَابًا لَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفْرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعيير. ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكسائي يكسرهما. قال الأخفش: هما لعتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَذَانُ مَوْذُونٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى مناد: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قتيل ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ خفيفة النون ساكنة. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿أَنْ﴾ بالتشديد، «لعنة الله» بالنصب. قال الأخفش: و «أَنْ» في قوله: ﴿أَنْ تَلْعَلُ الْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠]، و: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾، هي «أَنْ» الثقيلة خففت. قال الشاعر:

فِي فُتَيْحَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا  
أَنْ هَالِكٌ كُلٌّ مَنْ يَخْفَى وَيَنْتَعِلُ<sup>(١)</sup>  
وَأَشْدُ أَيْضًا:

أَكَاثِيرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا  
عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبِهِ خَرِيصُ<sup>(٢)</sup>  
ومعناه: أنه كلانا؛ وتكون «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا» في معنى: أي. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أذن المَوْذُونُ أن لعنة الله على الذين كفروا وصُدُّوا عن سبيل الله، وهو الإسلام. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَابًا﴾ مفسر في [الك عمران: ٢٩٩]. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: وهم بكون الآخرة كافرون.

﴿وَيَبْتَنُونَ بَيْنَهُمْ جَاهٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَجَالُ يَعْرِوْنَ كُلًّا يَبْتَغُونَ وَأَذَانُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَنْ يَنْغُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَبْتَنُونَ جَاهٌ﴾ أي بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَمْ تُبَّ﴾ [الحديد: ١٣]، فسمي هذا السور بالأعراف لارتفاعه. قال ابن عباس: الأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار، له عرف كعرف الديك. وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يعني: على ذراها، خلقتها كخلقة عرف الديك. قال اللغويون: الأعراف عند العرب: كل ما ارتفع من الأرض وعلا؛ يقال لكل عالٍ: عُرف، وجمعه: أعراف. قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيفَافٍ  
كَالْعَلَمِ الْمُوفِيِّ عَلَى الْأَعْرَافِ<sup>(٣)</sup>  
وقال الآخر:

وَرُبُّنَا بِنَاءٌ أَبَاءَ كِرَامٍ  
عَلَوْا بِالمَجْدِ أَعْرَافِ الْبِنَاءِ

وفي «أصحاب الأعراف» قولان: أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور. وزعم مقاتل أنهم من أمة محمد ﷺ خاصة. وفي أعمالهم تسعة أقوال: أحدها: أنهم قوم قُتِلُوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمتعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله، وهذا مروى عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم

(١) قاله الأشعري، وهو في «ديوانه» ٥٩، وسيبويه ٢٨٢/١، ٤٤٠، ٤٨٠ - ١٢٣/٢، و«الطبري» ٤٤٤/١٢، و«أمالى الشجري» ٢/٢، و«الإصناف» ٨٩، و«الخزانة» ٥٤٧/٣ - ٣٥٦/٤. وهذا البيت أشدّه هكذا سيبويه، وتبعه النحاة، وهو ملفق من بيتين، يقول الأعشى في قصيدته:

إِذَا تَرْتَنَّنَا حَقًّا لَا فَمَالٌ لَنَا  
أَنْ لَيْسَ يَذْنُغُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الْجَبِلُ

البيت غير منسوب في «سيبويه» ٤٤٠/١، و«الإصناف» لابن الأنباري: ٨٩، ١٨٣، و«أمالى ابن الشجري» ١/١٨٨، وقوله: أكاشره: أضاحكه.

(٢) البيت غير منسوب في معجاز القرآن ٢١٥/١، و«الطبري» ٤٥٠/١٢، و«غريب القرآن» ١٦٨، و«اللسان»: نوف. والكناز: المجتمع اللحم القوية، والتفاف: الطويل، والعلم: الجبل.

(٤) «الطبري» ٥٥٨/١٢، وفيه أبو معشر نجح بن عبد الرحمن السدي المدني وهو ضعيف، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/٢١٦ عن سعيد بن منصور، ثم قال: ورواه ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به.

وسيثاتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، والشعبي، وقناة. والثالث: أنهم أولاد الزنا، رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، ومجاهد؛ فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزهة. والخامس: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم. والسادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى. والسابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباري. والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المنجوفي في تفسيره. والتاسع: أنهم قوم عملوا لله، لكنهم راؤوا في عملهم، ذكره بعض العلماء. والقول الثاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعترض عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث. وقيل: معنى قوله: ﴿وَكُلُّ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنة من أهل النار، ذكره الزجاج، وابن الأنباري. وفيه بُعد وخلاف للمفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُنَ كَلًّا يُسَيِّئُ﴾ أي: يعرف أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار. وسيما أهل الجنة: بياض الوجوه، وسيما أهل النار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسيما: العلامة. وإنما عرفوا الناس، لأنهم على مكان عال يشرفون فيه على أهل الجنة والنار. ﴿وَرَأَوْنَاهُ﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾. وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَلْمُزُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطعمون في دخولها، قاله الجمهور. والثاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يذهب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطعمون في دخولها، هذا قول السدي.

﴿وَرَأَوْا صُرُفًا أَبْصَرْتُمْ لِقَاءَهُ أَصْحَابُ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا صُرُفًا أَبْصَرْتُمْ﴾ يعني أصحاب الأعراف. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة. وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النار، أي: حيالهم.

﴿وَرَأَوْنَاهُ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَمْرُؤُهُمْ يُسَيِّئُ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْنَاهُ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَمْرُؤُهُمْ يُسَيِّئُ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أمية بن خلف، يا أبي بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظّمون عن الإيمان.

﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ رَحْمَةً أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا أَشْرَ فَخَزَنُوا﴾

قوله تعالى: ﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ رَحْمَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله لأهل النار: ﴿أَهْوَلُوا﴾ يعني أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ رَحْمَةً أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ رواه وهب بن منبه عن ابن عباس. قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اقلع عليهم ربهم فقال لهم: «ادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزؤون بهم، كسلمان، وصهيب، وخباب، فينادون الكفار: ﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ وأنتم في الدنيا ﴿لَا يَنْتَهِمُ اللَّهُ رَحْمَةً﴾ قاله ابن السائب. فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. وقد ذكر المفسرون في قوله: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون خطاباً من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه. والثاني: [أن] يكون خطاباً من الله لأهل الجنة. والثالث: أن يكون خطاباً من أهل الأعراف لأهل الجنة، ذكرهما الزجاج. فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾: اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنة. وروى مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكللة



ابن الأنباري: وهذا إجماع أهل العلم. والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة. والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل. ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حيثئذ. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافاً في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيداً من وجهين: أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٢٨]. فإن قيل: فهلاً خلقها في لحظة، فإنه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه أراد أن يقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن التثبت في تهديد ما خلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة. والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. والرابع: أنه علم عباده التثبت، فإذا تثبت من لا يزل، كان ذو الزلل أولى بالتثبت. والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْوَعْدِ﴾ قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير؛ وكل سرير لملك يسمى عرشاً؛ وقيلما يُجمع العرش إلا في اضطراب؛ واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

مَجْدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِمَجْدِ أَهْلٍ  
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا  
سَرْجَعًا لَا يَنَالُهُ نَاطِرُ الْعَيْنِ

رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أُنْسَى كَبِيرًا  
سَ وَسْوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا  
مِنْ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا

وقال كعب: إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض. وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء. وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية. وقد شد قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر؛ ألم يسمعو قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْوَاءِ﴾ [مرد: ٧] أتراه كان المُلْك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:

حَتَّى اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ  
ويقول الشاعر أيضاً:

هُمَا اسْتَوِيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعًا

عَلَى عَرْشِ الْمُلُوكِ بَعْنِيرُ زُورٍ

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله ﷻ لم يزل مستولياً على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

قوله تعالى: ﴿يُعْثِي آلِيلَ الْهَارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُعْثِي» ساكنة الغين خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُعْثِي» مفتوحة الغين مشددة؛ وكذلك قرؤوا في [الرعد: ٢٣]. قال الزجاج: المعنى: أن الليل يأتي على النهار فيغطيه؛ وإنما لم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿يَكُونُ آلِيلٌ عَلَى الْهَارِ وَيَكُونُ الْهَارُ عَلَى آلِيلٍ﴾ [الزمر: ٢٥]. وقال أبو علي: وإنما لم

= عليه علي بن المديني، والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشبهه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي.

يقول: يغشي النهار الليل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿سَرَّيْلٌ يَتَّبِعُكُمْ الْغَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وانتصب الليل والنهار، لأن كل واحد منهما مفعول به. فأما الحثيث، فهو السريع.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ قرا الأكثرون: بالنصب فيهن، وهو على معنى: خلق السموات والشمس. وقرا ابن عامر: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات» بالرفع فيهن هاهنا وفي [النحل: ١٢]، تابعه حفص في قوله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ في [النحل: ١٢] فحسب. والرفع على الاستئناف. والمسخرات: المذلللات لما يراد منهن من طلوع وأقول وسير على حسب إرادة المدبر لهن.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَالْأَمْرُ﴾. وقيل: الأمر: القضاء. قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وكذلك قال القتيبي، والزجاج. وقال أبو مالك: افعل من البركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبلة. وقال الفراء: تبارك: من البركة؛ وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا. والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع؛ والمتبارك: المرتفع. والثالث: أن المعنى: باسمه يُتبرك في كل شيء، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى «تبارك» تقدس، أي: تظهر، ذكره ابن الأنباري أيضاً.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُنْدِرِينَ﴾ ٥٥

قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ التضرع: التذلل والخضوع. والخُفية: خلاف العلانية. قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا تسمع إلا همساً. ومن هذا حديث أبي موسى: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»<sup>(١)</sup>. وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب. والثاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٦

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان. والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل. والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة. والرابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب. والخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه. والسادس: لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قولان: أحدهما: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الرد، وطمعاً في الإجابة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الفراء: رأيت العرب تؤنث القرية في النسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منا قريب، من القرب والبعد، ذكروا وأنثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خلفاً من المكان، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَلَّيْلُ بَعْدَ نَوْمِهَا﴾ [هود: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَلُّ الشَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولو أنث ذلك لكان صواباً. قال عروة:

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَذْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدٌ<sup>(٢)</sup>

(١) «البخاري» ٩٤/٦، و«مسلم» ٢٠٧٦/٤. وقوله: «اربعوا على أنفسكم»: قال النووي: أي: ارققوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان ليعلم من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تعدون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣٨١/١، و«الطبري» ٤٨٨/١٢، وهو في «ديوان عروة بن حزام»، وفي «تزيين الأسواق» ٨٤/١، و«مسقط اللآلي» ٤٠١ من شعر له، صواب إنشاده على البناء:

فَتَذْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ  
لَهَا بَيْنٌ جَلِيدٍ وَالْمَعْظَامُ دَبِيبٌ

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ  
وَأَنِّي لَتَشْفِئَانِي لَذَكَرَكَ فِتْرَةٌ

وقال الزجاج: إنما قيل: «قريب» لأن الرحمة والغفران والعتو بمعنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جاز أن تكون الرحمة هاهنا في معنى المطر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا مَّقَالًا سَفَقَتْهُ لِيلُهُ مَنِيَّ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ تَخْرُجُ الْمَوْتُ لَمَلَكُم تَنْكُرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الرياح» على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «الريح» على التوحيد. وقد يأتي لفظ التوحيد، ويراد به الكثرة، كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، ومثله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ ﴿١٠١﴾ [المصر: ٢].

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع: «نُشْرًا» بضم النون والشين؛ أرادوا جمع نشور؛ وهي الرياح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب. قال أبو عبيدة: النُّشْر: المتفرقة من كل جانب. وقال أبو علي: يحتمل أن تكون النشور بمعنى المنتشر، وبمعنى الناشئ؛ يقال: أنشأ الله الرياح، مثل أحياها، فنشرت، أي: حييت. والدليل على أن إنشار الرياح إحيائها قول الفقعي:

وَهَبْتُ لَهُ رِيحَ الْجَنُوبِ وَأُخِيَّتْ لَهُ رِيْدَةُ يَحْيِي الْمِيَاءَ نَسِيْمُهُ<sup>(١)</sup>

ويدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت. قال الشاعر:

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيْحُ فَأَقْمِدَ الْيَوْمَ وَأَسْتَرْيِحُ

والريْدَةُ والريْدانة: الريح. وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: «نُشْرًا» بالنون مضمومة وسكون الشين، وهي في معنى «نُشْرًا». يقال: كُتِبَ وَكُتِبَ، ورُسِّلَ ورُسِّلَ. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والمفضل عن عاصم: «نُشْرًا» بفتح النون وسكون الشين. قال الفراء: النُّشْر: الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب. وقال ابن الأنباري: النُّشْر: المنتشرة الواسعة الهبوب. وقال أبو علي: يحتمل النُّشْر أن يكون خلاف الطي، كأنها كانت بانقطاعها كالمطرية. ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النشر: أنها المتفرقة في الوجوه؛ ويحتمل أن يكون معناها: النشر الذي هو الحياة، كقول الشاعر:

[حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مُمًّا رَأُوا] يَا عَجَبًا لِمَيَّتِ النَّاشِرِ<sup>(٢)</sup>

قال: وهذا هو الوجه. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النخعي، ومسروق، ومورق العجلي: «نُشْرًا» بفتح النون والشين. قال ابن القاسم: وفي النُّشْر وجهان: أحدهما: أن يكون جمعاً للنشور، كما قالوا: عَمُدٌ وَعَمَدٌ، وإِهَابٌ وَأَهَبٌ. والثاني: أن يكون جمعاً، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غَائِبٌ وَغَيْبٌ، وحافِدٌ وَحَفْدٌ؛ وكل القراء نَوْنُ الكلمة. وكذلك اختلافهم في [الفرقان: ٤٨] و [النمل: ٦٣]. هذه قراءات من قرأ بالنون. وقد قرأ آخرون بالباء؛ فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرِي» بالياء المضمومة وسكون الشين مثل فُعْلَى. قال ابن الأنباري: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشر بالمطر. والأصل ضم الشين، إلا أنهم استقلوا الضميتين. وقرأ ابن خثيم، وابن جلد مثله، إلا أنهما نَوْنًا الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: بضم الباء والشين، وهذا على أنها جمع بشيرة. والرحمة هاهنا: المطر؛ سماء رحمة لأنه كان بالرحمة. و «أَقْلَتْ» بمعنى حملت. قال الزجاج: السحاب: جمع سحابة. قال ابن فارس: سمي السحاب لانسحابه في الهواء.

قوله تعالى: ﴿مَقَالًا﴾ أي: بالماء. وقوله تعالى: ﴿سَفَقَتْهُ لِيلُهُ﴾ رد الكناية إلى لفظ السحاب، ولنظفه لفظاً واحداً. وفي قوله: ﴿لِيلُهُ﴾ قولان: أحدهما: إلى بلد. والثاني: لإحياء بلد. والميْت: الذي لا يُنْبِتُ فيه، فهو محتاج إلى المطر. وفي قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الكناية ترجع إلى السحاب. والثاني: إلى المطر، ذكرهما الزجاج. والثالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباري. فأما هاء ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ فتحتمل الأقوال الثلاثة.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: ريد، والريْدَةُ: الريح اللينة.

(٢) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ١٨ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل في المناقرة التي جرت بينهما.



قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كما أحيينا هذا البلد. وقال مجاهد: نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به. قال ابن عباس: يرسل الله تعالى بين النفتين مطراً كمني الرجال، فنبت الناس به في قبورهم كما نبثوا في بطون أمهاتهم.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال الزجاج: لعل ترج. وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض؛ والمعنى: لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله، وأنه يبعث الموتى.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِيهِ زَيْتٌ وَالزَّيْتُونَ لَهُ يَنْجُونَ وَيَخْرِجُونَ لَكُمْ تِلْكَ الْمَرْبُوعَ الْبَاقِيَةَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ يعني الأرض الطيبة الثرية، ﴿يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «يُخْرِجُ» بضم الباء وكسر الراء، «نَبَاتُهُ» بنصب التاء، ﴿وَالزَّيْتُونَ لَهُ يَنْجُونَ﴾ كذلك أيضاً. وقد روى أبان عن عاصم: «لا يُخْرِجُ» بضم الياء وكسر الراء. والمراد بالذي خبت: الأرض السبخة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَنْجِرُ الْوَعْدَ إِنَّا وَاعَدُونَ﴾ قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف. وقرأ أبو جعفر: «نَكْدًا» بفتح الكاف. وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: «نَكْدًا» بإسكان الكاف. قال أبو عبيدة: قليلاً عسيراً في شدة، وأنشد:

لَا تُنْجِرُ الْوَعْدَ إِنَّا وَاعَدُونَ وَأَغْطَيْتُ أَغْطَيْتُ تَأْفِهُنَّ نَكْدًا<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر؛ فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبأن أثره عليه، فنبته بالبلد الطيب الذي يُمرع ويخصب ويحسن أثر المطر عليه؛ وعكسه الكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَكَلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِسَكَلَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ رَسَلْتُ رَجُلًا وَأَصْحٰهُ لَكُمْ وَأَعْلٰهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحُدوه؛ وكذلك في سائر القصص بعدها. قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي: «غيره» بالخفض. قال أبو علي: جعل غيراً صفة لـ «إله» على اللفظ.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ قرأ أبو عمرو: «أُولَئِغْكُمْ» ساكنة الباء خفيفة اللام. وقرأ الباقون: «أُولَئِغْكُمْ» مفتوحة الباء مشددة اللام.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحٰهُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلٰهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من مغفرته لمن تاب، وعقوبته لمن أصر. وقال مقاتل: أعلم من نزول العذاب ما لا تعلمونه؛ وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عذبوا قبلهم.

﴿أَوْ عَجِبْتَ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ لِيَذْرَئَنَّ وَلَهُ كُفْرًا زَعَمَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَادِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتَ﴾ قال الزجاج: هذه واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة. وفي الذكر قولان: أحدهما: الموعظة. والثاني: البيان. وفي قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ﴾ قولان: أحدهما: أن «على» بمعنى: «مع»، قاله الفراء. والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿قَوْمًا عَادِينَ﴾ قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه.

﴿وَالَّذِينَ كَانُوا يُشْرِكُونَ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَقَامَةٍ ۖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِسَقَامَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ رَسَلْتُ رَجُلًا وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٦﴾ أَوْ عَجِبْتَ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْكُرُ لِيَذْرَئَنَّ وَلَهُ كُفْرًا زَعَمَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَادِينَ﴾

مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بَشَطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتْلُوْنَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَحْذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا قَالَيْنَا يَمَا صَدَقْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿لَنَاهُمْ هَؤُلَاءِ﴾. قال الزجاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم. ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم. وقال أبو سليمان الدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح؛ وإنما سماه أخاهم، لأنه كان نسيباً لهم، وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ قال ابن قتيبة: السفاهة: الجهل. وقال الزجاج: السفاهة: خفة الحلم والراي؛ يقال: ثوب سفيه، إذا كان خفيفاً. ﴿وَلِنَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْكُذِبِ﴾ فكفروا به، ظانين، لا مستيقنين. ﴿قَالَ يَتْلُوَنَّ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبوه به من السفاهة بنفيه فقط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَكُنَّا نَاصِحٌ أَيْبٌ﴾ قال الضحاك: أمين على الرسالة. وقال ابن السائب: كنت فيكم أميناً قبل اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ ذِكْرِهِمُ النِّعْمَةَ حَيْثُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَأَسْكَنْهُمْ مَسَاكِنَهُمْ﴾. ﴿وَرَادَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بَشَطَةً﴾ أي: طولاً وقوة. وقال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعاً. قال الزجاج: وآلاء الله: نعمه؛ واحدها: إلى. قال الشاعر:

أَبْيَضُ لَا يَزِمُ الْهَزَالَ وَلَا  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا «إِلْيَا»، «وَالِي».

قوله تعالى: ﴿قَالَيْنَا يَمَا صَدَقْنَا﴾ أي: من نزول العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أن العذاب نازل بنا. وقال عطاء: في نبوتك وإرسالك إلينا.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَكُمْ أَنْتُرَ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ رِجْسًا مِمَّا قَلْعُوا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ﴾ قال ابن عباس: عذاب وسخط. وقال أبو عمرو بن العلاء: الرجز؛ بالزاي، والرجس؛ بالسين؛ بمعنى واحد، قلبت السين زايًا.

قوله تعالى: ﴿أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَكُمْ أَنْتُرَ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ يعني: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان: أحدهما: أنهم سمّوها آلهة. والثاني: أنهم سمّوها بأسماء مختلفة. والسلطان: الحجة. ﴿فَانظُرُوا﴾ نزول العذاب ﴿إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إياي.

﴿وَلِإِنْ تُمُودَ أَمَانَتِهِمْ مَدِينًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِبَرَةٌ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ رُفِعَ تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسْمُوها يَوْمَ يَأْتِيَنَّكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ثَمُودَ مِنْ شُؤْلِهِمَا فَصُورًا وَنَجَّوْنَا الْجِبَالَ يَوْمًا فَاذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِإِنْ تُمُودَ﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقبلة ماثها. قال ابن فارس: الثمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ﴾ في إضافتها إليه قولان: أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله. والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال: «لکم» لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم. وفي وجه كونها آية قولان: أحدهما: أنها خرجت من صخرة لمساء، فتمخضت بها تمخض الحامل،

ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه. قوله تعالى: ﴿ذَرُّوْهَا تَاْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها. و«تأكل» مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْؤُوا نِسْوَ﴾، أي: لا تصيبنها بعقر.

قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم؛ يقال: بَوَّأ فلان منزلاً: إذا نزل. وبَوَّأته: أنزلته. قال الشاعر: وبَوَّأْتُ فِي صَمِيمٍ مَغْشَرَهَا قَتَمَ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّوْهَا<sup>(١)</sup> أي: أنزلت من الكريم في صميم النسب؛ قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَدَّرُونَ مِنْ سُهْلَيْهَا قُصُورًا﴾ السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شُيِّد وعلا من المنازل. قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء. قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبنى البنيان، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب؛ فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً.

﴿قَالَ أَلَمْأَلِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَسْتَمْتُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْأَلِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وقرأ ابن عامر ﴿وَقَالَ لَكُلَّا﴾ بزيادة واو؛ وكذلك هي في مصاحفهم. ومعنى الآية: تكبروا عن عبادة الله. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ يزيد: المساكين. ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ لأنهم المؤمنون. ﴿أَتَسْتَمْتُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا﴾ هذا استفهام إنكار. ﴿فَمَقَرُّوا النَّاقَةَ وَعَتَرًا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَثْنَانَا بِمَا نَدْعَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيًّا ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَقَرُّوا النَّاقَةَ﴾ أي: قتلوها. قال ابن قتيبة: والعقر يكون بمعنى القتل، ومنه قوله ﴿عِنْدَ ذِكْرِ الشَّهَدَاءِ: (من عقر جواده)<sup>(٢)</sup>﴾ وقال ابن إسحاق: كَمَن لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها، ثم نحرها. قال الأزهرى: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحرًا، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره.

قوله تعالى: ﴿وَعَتَرًا﴾ قال الزجاج: جاوزوا المقدار في الكفر. قال أبو سليمان: عتوا عن اتباع أمر ربهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا نَدْعَا﴾ أي: من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال الزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وحّد الدار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ [مود: ٦٧] ففته جوابان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل. والثاني: أنه أراد بالدار: المديار، فاكتمى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كُلُّوا فِي نِصْفٍ بِظَنِّكُمْ تَعِيشُوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿جِثِيًّا﴾ قال الفراء: أصبحوا رماداً جائماً. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا

(١) البيت لإبراهيم بن هرمة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، و«اللسان»: بوا، وشواهد المعنى: ٢٨٠.

(٢) رواء ابن ماجه ٩٣٤/٢ عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «من أمريق دمه وعقر جواده» قال في «الزوائد»: إسماعيل ضعيف لضعف محمد بن ذكوان.

موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى «جاثمين»: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْنَ لَكَدًا أَبْلَسْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ التَّصْوِيعَ ۖ وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ يَلْقَوْنَ أَتَأْتُونَ التَّحِيصَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَمْرِ مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ۖ وَمَا كُنْتُمْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن يخرج من بين أظهرهم، فإني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ التَّحِيصَ﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَمْرٍ﴾ قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ﴾ هذا استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أمر به. وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني لوطاً وأتباعه المؤمنين ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونُ﴾ قال ابن عباس: يتنزهون عن أديار الرجال وأديار النساء.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۖ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٩﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ في أهله قولان: أحدهما: ابتداء. والثاني: المؤمنون به. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقيين في عذاب الله تعالى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «من الغابرين» لأن صفة النساء مع صفة الرجال تُذكر إذا أشرك بينهما.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ قال ابن عباس: يعني: الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، ورفعها، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا شِعَارَ اللَّهِ قَالَ يَلْقَوْنَ أَصْحَابُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْيَمَانَ وَلَا تَبْخَسُوا الْكَيْسَ أَنفُسَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال قتادة: مدين: ماء كان عليه قوم شعيب، وكذلك قال الزجاج، وقال: لا ينصرف، لأنه اسم البقعة. وقال مقاتل: مدين: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه. وقال أبو سليمان الدمشقي: مدين: هو ابن مديان بن إبراهيم، والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة. فالمعنى: وإلى أهل مدين. قال شيخنا أبو منصور اللخوي: مدين اسم أعجمي. فإن كان عربياً، فإلياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا الْكَيْسَ أَنفُسَهُمْ﴾ قال الزجاج: الْبَخْسُ: النقص والقلّة؛ يقال: بَخَسْتُ ابْنَحْسُ؛ بالسین، وبخست عينه، بالصاد لا غير. ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين بما أخبرتكم عن الله. ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي كَيْلٍ جَرِيٍّ تَوَعَّدُونَ وَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ مَّامَتٍ بِهِ وَتَوَعَّدُونَهَا عِوَجًا وَذَكْرًا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا تَكَذَّبْتُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي كَيْلٍ جَرِيٍّ﴾ أي: بكل طريق ﴿تَوَعَّدُونَ﴾ من آمن بشعيب بالشر، وتخوفونهم بالعذاب والقتل. فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول، فهلاً قال: توعدون بكذا؟ فالجواب: أن العرب إذا أحلّت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر؛ يقولون: أوعدت فلاناً. وكذلك إذا أفردوا وعدت من مفعول، لم يدل



أَلَا أُبْلِغُ بِزِيْ عُضْمٍ رَّشُوْلًا  
بَأْنِي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غَنِيً<sup>(١)</sup>  
قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القاضي: الفاتح والفتاح. قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وينكشف؛ فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.  
قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كأن لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عباس، والأخفش. قال حاتم طي:

غَنِيْنَا زَمَانًا بِالسَّغْلِكِ وَالْغِنَى  
فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ  
قال الزجاج: معنى غنينا: عشنا. والصعلوك: الفقر، والعرب تقول للفقر: الصعلوك. والثاني: كأن لم يتعموا فيها، قاله قتادة. والثالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل. والرابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزجاج، قال الأصمعي: المغاني: المنازل؛ يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به. وقال ابن قتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا. قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ للمبالغة في ذمهم؛ كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراسنا.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّيْنَاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أعرض. والثاني: انصرف. ﴿وَقَالَ يَتَوَلَّى لَكَ يَسْلَتِي﴾ قال قتادة: أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه؛ كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. ﴿فَكَيْفَ مَاتَ﴾ أي: أحزن. وقال ابن إسحاق: أصاب شعيباً على قومه حزن شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: كيف آسى على قوم كافرين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالضَّرَةِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ﴾<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ قال الزجاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها. وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذبوه. ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَءِ وَالضَّرَةِ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضراء في [الأنعام: ٤٢]، وتفسير التضرع في هذه السورة [الأعراف: ٥٥]. ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسوء الله في المكذبين، وتهديد قريش.  
﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالضَّرَةَ فَخَذَّوْهُمْ بَقَنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السيئة: الشدة؛ والحسنة: الرخاء، قاله ابن عباس. والثاني: السيئة: الشر؛ والحسنة: الخير، قاله مجاهد.  
قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالضَّرَةَ﴾ فنحن مثلهم، يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا داب الدهر، وليس بعقوبة. ﴿فَخَذَّوْهُمْ بَقَنَةٍ﴾ أي: فجاء بنزول العذاب ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله، حتى أهلكهم الله.

قوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٠، و«إصلاح المنطق» ١١٢، و«الطبري» ١٢/ ٥٦٤، و«السمط» ٩٢٧، و«القرطبي» ١٣/ ٩٤، و«اللسان» و«التاج»: فتح. وبنو عسّم: رطم عمرو بن معد يكرب الزبيدي. والبيت مختلف في غزوه، انظر تعليق الراجكوتي في «سقط اللالي» ٩٢٧.

(٢) «البيان» في «ديوان حاتم» ١١٩، و«الأغاني» ١٧/ ٢٩٦، و«خزانة الأدب» للبغدادي ٢/ ١٦٣.

(٣) في «الديوان»، و«الخزانة»: «فما زادنا بأوا» والبأو: الكبر والفخر.





قوله تعالى: ﴿فَقُلُّوا يٰٓهَآ﴾ قال ابن عباس: فكذبوا بها. وقال غيره: فجحجوها بها.

قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلٰٓى اَنْ لَا اَقُوْلَ عَلٰٓى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقُّ﴾ «على» بمعنى الباء. قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع «على»؛ تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة. وقال أبو عبيدة: «حقيق» بمعنى؛ حريص. وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «حَقِيقٌ عَلٰٓى» بتشديد الباء وفتحها، على الإضافة. والمعنى: واجب عليّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: العصا. «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي: أطلق عنهم؛ وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة. «فَإِذَا هِيَ ثَغْبَانٌ مُّثِينٌ» قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة. قال الفراء: الثغبان: أعظم الحيات، وهو الذكر. وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثغبان: الحية الذكر.

﴿وَرَزَقَ يَدَّٔهُ إِذَا هِيَ بَيْسَآةٌ لِلنَّظِيرِ﴾ ١٠٨ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْرِ رَعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِرٌّ عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُ ١١٠ قَالُوا أَرْسِلْ أَرْسِلْ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١١ يَأْتُوكَ يَكْلِي سَجِرَ عُلْبِ ١١٢ وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَرَعَوْتَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَبِنَ الْمَقْرِبِينَ ١١٤ قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّمَا أَنْ ثَلَفَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ لَكُنْ نَحْنُ الْمَلِكِينَ ١١٥ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ سَبِيحٌ عَظِيمٌ ١١٦ وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُلُونَ ١١٧ قَوَّعَ الْحَقُّ وَطَلَّ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ ١١٨ فَنُفِخَ فِي هَٰذِكَ وَانْفَلَكُوا صُنْفِيرِينَ ١١٩ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ١٢٠ قَالُوا مَا مَسَّ رَبِّيَ الْمَلَكِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ١٢٢

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَ يَدَّٔهُ﴾ قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فغفروا على وجوههم؛ ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت. قال مجاهد: بيضاء من غير برص.

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُ﴾ قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليّ؟ وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملا انقطع عند قوله: ﴿مَنْ أَرْضَكُمْ﴾. قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول الملا، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟

قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْ﴾ قرأ ابن كثير «أرجهؤ» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ. وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو؛ وكانا يهزمان: «مرجؤن» [النوبة: ١٠٦] و«ترجي» [الأحزاب: ٥١]. وقرأ قالون والمسيبي عن نافع «أرجه» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الباء، ولا يهزم. وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهزم بين الجيم والهاء. وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع؛ وهي قراءة الكسائي. وقرأ حمزة: «أرجه» ساكنة الهاء غير مهموز، وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل، وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر، وكذلك اختلافهم في سورة [الشعراء: ٣٦]. قال ابن قتيبة أَرْجُءُ: آخره؛ وقد يهزم، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته. ومنه قوله: ﴿فَرَجَىٰ مَن نَّفَاةٌ يَهْتَرُ﴾ [الأحزاب: ٥١]. قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس؛ وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ يعني مدائن مصر، «حَاشِرِينَ» أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم. وقال ابن عباس: هم الشرط.

قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ يَكْلِي سَجِرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «سَجِرَ»، وفي [يونس: ١٧٩]: «يَكْلِي سَجِرَ»؛ وقرأ حمزة، والكسائي: «سَجَارَ» في الموضعين؛ ولا خلاف في [الشعراء: ٣٧] أنها: «سَجَارَ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: «إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ» مكسورة الألف على الخبر، وفي [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصاً روى عن عاصم في [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» بهمزتين. وقرأ أبو عمرو: «إَيْنَ لَنَا» ممدودة في السورتين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن

عاصم: يهزمتين في الموضعين. قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَالَكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله تعالى: ﴿سَكْرَتَا أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ قال أبو عبيدة: عَشَوُا أَعْيُنَ النَّاسِ وأخذوها. ﴿وَأَسْرَبُونَهُمْ﴾ أي: خَوْفُهُمْ. وقال الزجاج: اسْتَدْعَوْا رَهْبَهُمْ حتى رهبهم الناس.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ وقرأ عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام، خفيفة القاف هاهنا وفي [طه: ٦٩]، و[الشعراء: ٤٥]. وروى البزّي، وابن فليح عن ابن كثير: ﴿تَلْقَفُ﴾ بتشديد التاء. قال الفراء: يقال: لَقَفْتُ الشَّيْءَ، فَنَا لَقَفُهُ لَقْفًا وَلَقْفَانًا، والمعنى: يتبع. قوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُودُونَ أَي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيات.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس: امتبان. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَمَكُونُ﴾ من السحر.

### (الإشارة إلى قصتهم)

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولاً: أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اثنان وسبعون ألفاً، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: اثنا عشر ألفاً، قاله كعب. والخامس: سبعون ألفاً، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف. والسادس: سبعمائة. وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب في رواية، كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفاً متخبرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين ألف سبعمائة. والسابع: خمسة وعشرون ألفاً، قاله الحسن. والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة. والتاسع: ثمانون ألفاً، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: بضعة وثلاثون ألفاً، قاله السدي: والحادي عشر: خمسة عشر ألفاً، قاله ابن إسحاق. والثاني عشر: تسعة عشر ألفاً، رواه أبو سليمان الدمشقي. والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي. فاما أسماء رؤسائهم، فقال ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحطط، ومُصَفَّى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا. ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورا، وعازورا. وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون. قال ابن عباس: القوا حبلاً غلاظاً، وخشباً طولاً، فكانت ميلاً في ميل، فألقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من جبالهم وعصيتهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاما ثمانين ذراعاً، فابتلعت ما القوا من جبالهم وعصيتهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة، والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلداً، فأقبلت الحيّة نحو فرعون، فصاح: يا موسى، يا موسى، فأخذها موسى، وعرفت السحرة أن هذا من السماء، وليس هذا بسحر، فخرّوا سُجُداً، وقالوا: آمنا برب العالمين، فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ربّ موسى وهارون، فأصبحوا سحرة، وأمسا شهداء. وقال وهب بن منبه: لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها، فقتل بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً. وقال السدي: لقي موسى أمير السحرة، فقال: أرايت إن غلبتك غداً، أتؤمن بي؟ فقال الساحر: لأتئين غداً بسحر لا يغلبه السحر، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك. فإن قيل: كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وفعل السحر كفر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فالتقوا. والثاني: التقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل، ذكرهما الماوردي. والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا القوا، ألقى عصاه فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ﴾؟ وإنما سجدوا باختيارهم؟ فالجواب أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره، اضطهرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحاً وتعظيماً لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن الأباري. قال ابن عباس: لما آمنت السحرة، أتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَتَنَّمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ مَادَدَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَكَرَّمُكَ كَرَّمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِنُفْرَجَا مِنْهَا أَهْلَهَا سَوَفَ تَنَالُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْبَطَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأُنْصِبُكُمْ مِنْ تَحْتِ يَدَيْكُمْ ثُمَّ أَجْمِعَنَّ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّكَ مُتَقَلِّبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ءَأَمْتُمْ بِدِّ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «ءَأَمْتُمْ به» بهزمة ومدة على الاستفهام. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أَأَمْتُمْ به» فاستفهموا بهزتين، الثانية ممدودة. وقرأ حفص عن عاصم: «أَأَمْتُمْ به» على الخبر. وروى ابن الإخريط<sup>(١)</sup>: عن ابن كثير: «قال فرعون وأمتمت به» قلب همزة الاستفهام واواً، وجعل الثانية مليةً بين بين. وروى قبل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط، غير أنه كان يهزم بعد الواو. وقال أبو علي: همز بعد الواو، لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام همزة «أَفَعَلْتُمْ» فحققتها ولم يخفها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم، ﴿لَأَقِظَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَعْيُنَكُمْ عَلَى الْخَلَفِ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب فرعون.

﴿وَمَا نَقِمْ يَمَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِإِنِّي رَبِّيَ لَنَا جَاءَتْهُ رَبِّيَ أَفْخَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّاهُ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقِيلُ آبَاءَكُمْ وَنَسْتَعِي. نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقِمْ يَمَّا﴾ أي: وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا إلا لأننا آمنّا. ﴿رَبِّيَ أَفْخَ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ قال مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَقَّاهُ مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

قوله تعالى: ﴿أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ هذا إغراء من الملائكة لفرعون. وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان: أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نسايتهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل. والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ جمهور القراء على نصب الراء؛ وقرأ الحسن برفعها. قال الزجاج: من نصب «ويذرك» نصبه على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أيتذكر منك أن تنذر موسى وأن يذكرك؟ ومن رفعه جعله مستأنفاً، فيكون المعنى: أتذكر موسى وقومه، وهو يذكرك وأهلكك؟ والأجود أن يكون معطوفاً على «أتذكر» فيكون المعنى: أتذكر موسى، وأيتذكرك موسى؟ أي: أنطلق له هذا؟.

قوله تعالى: ﴿وَالْإِهْتَكُ﴾ قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَكْفُرُون﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال غيره: كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقريباً إليه. وقال الحسن: كان يعبد تيساً في السر. وقيل: كان يعبد البقر سرّاً. وقيل: كان يجعل في عنقه شيئاً يعبد به. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: «والإهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبالف بعدها. قال الزجاج: المعنى: ويذرك وربوبيتك. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإلاهة: العبادة؛ فالمعنى: ويذرك وعبادة الناس إياك. قال ابن قتيبة: من قرأ: «والإهتك» أراد: ويذرك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلهة. قال الأعشى:

فَمَا أَذْكَرُ الرُّفْبِ حَتَّى انْقَلَبْتُ قُبَيْلَ الْإِلَهِةِ مِنْهَا قَرِيبَا

يعني الشمس. والرفب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله تعالى: ﴿سَنْقِيلُ آبَاءَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سنقتل» و ﴿يَقْتُلُونَ آبَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١] بالتشديد، وخففها نافع. وقرأ ابن كثير: «سَنْقِيلُ» خفيفة، و «يَقْتُلُونَ» مشددة. وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه. ﴿وَرَبِّيَ أَفْخَ عَلَيْنَا قَاهِرُونَ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان. فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على آبائهم، فقال موسى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما يفعل بكم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ

يَنْكَأَ مِنْ يَكَاوِيٍّ. وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يوزئها» بالتشديد. فاطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَغِيثُ يُلتَمِيزُ﴾ فيها قولان: أحدهما: الجنة. والثاني: النصر والظفر.

﴿قَالُوا أَوْيَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُّكُمْ وَتَسْتَظِلُّكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَقْمَلُونَ﴾ ولقد أخذنا مال فرعون باليسين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْيَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ في هذا الأذى ستة أقوال: أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن. والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي. والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسحرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جوير. والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللين، وكانوا يعطونهم التبن الذي يخلطونه في الطين؛ والثاني أنهم كلّفوا ضرب اللين وجعل التبن عليهم، قاله ابن السائب. والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إياهم ما لا يطيقونه، قاله مقاتل. والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب. وفي قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ قولان: أحدهما: تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس. والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا، ومن بعد ما جئتنا به، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُّكُمْ﴾ قال الزجاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطِيع الله فيه فهو واجب.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَظِلُّكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الاستخلاف قولان: أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه. وفي الأرض قولان: أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس. والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُ كَيْفَ تَقْمَلُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مَالَ فِرْعَوْنَ بِالْيُسَيْنِ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: ابتليانهم بالجدوب. وآل فرعون: أهل دينه وقومه. وقال مقاتل: هم أهل مصر. قال الفراء: «بالسين» أي: بالقحط والجدوب عاماً بعد عام. وقال الزجاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، ومعناه: جذب السنة، وشدة السنة. وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة، تُرِقُّ القلوب، وتُرْغِب فيما عند الله وفي الرجوع إليه. قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذعبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر. فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت رباً كما تزعم، فاملا لنا نيل مصر، فقال: غُدوة يصحبكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أي شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أحيي بالماء في نيل مصر غدوة أصبح، فيكذبوني؟! فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس بدرة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماءً، فاملأه، فما علم إلا بخير الماء لما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت إليها. ولو صح، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفته عاداً.

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَغْفِرُوا يَوْمَئِذٍ إِنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه. ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وهي

القحط والجذب والبلاء ﴿يَطْرُقُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتترك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّا طَرَفَهُم بِعَدِّ اللَّهِ﴾ قال أبو عبيدة: «ألا تنبيه وتوكيد ومجاز. «طائرهم» حظهم ونصيبهم. وقال ابن عباس «أَلَا إِنَّا طَرَفَهُم بِعَدِّ اللَّهِ» أي: إن الذي أصابهم من الله. وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنَسْحَرَكُنَّ بِهَا مِمَّا نَحْنُ لَكَ بِمُؤَيِّدٍ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالْقَصَاصَ وَالْدَّمَ ۖ كَذَّبُوا فَأَرْسَلْنَا بِمُهَيَّيَاتٍ فَاتَتْهُمُ كُلًّا تَبْرًا ﴿١٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ قال الزجاج: زعم النحويون أن أصل «مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ، ف «ما» الأولى هي «ما» الجزاء، و «ما» الثانية هي التي تزداد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و «ما» تزداد فيه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] كقولك: إن تثقفهم، وقال: ﴿وَمَا تَرْضَىٰ عَنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٢٨]، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس. قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى «مه» الكف، يحسن الوقف على «مه»، والاختيار أن لا يوقف عليها دون «ما» لأنها في المصحف حرف واحد. وفي الطوفان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الماء. قال ابن عباس: أرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبيرة، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك، ومقاتل، واختاره الفراء، وابن قتية. والثاني: أنه الموت، روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ <sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير. والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد، ووهب أيضاً. وفي القمل سبعة أقوال: أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وقال به. والثاني: أنه الدبى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء. وقال قتادة: القمل: أولاد الجراد. وقال ابن فارس: الدبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنته. والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقيل: هذه الدواب هي السوس. والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت. والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم. والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد. والسابع: أنه الحمنان، واحدها: حمنانة، وهي ضرب من القردان، قاله أبو عبيدة. وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القمل» برفع القاف وسكون الميم. وفي الدم قولان: أحدهما: أن ماءهم صار دماً، قاله الجمهور. والثاني: أنه رعا ف أصابهم، قاله زيد بن أسلم.

### (الإشارة إلى شرح القصة)

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأبنت لهم شيئاً لم يبتئ قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أبنت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القمل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحي، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برية، فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُوبهم دماً، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذب لا يقدر

(١) «الطيري» ٥١/١٣ وفي سنده المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف، والحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس. وخرجه ابن كثير ٢٤٠/٢ من رواية ابن مردويه عن يحيى بن يمان به وقال: وهو حديث غريب.

عليه، فقال فرعون: أقسم بالله يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم وَعَذَّبَ ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُفَصِّلُهَا﴾ قال ابن قتبية: بين الآية والآية فصل. قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبب إلى السبب، ثم ييقن عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. قال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوماً. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمل والضفادع والدم. وفي قوله: ﴿فَاسْتَكَبُّوا﴾ قولان: أحدهما: عن الإيمان. والثاني: عن الانزجار.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ۚ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَوْمَهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: نزل بهم العذاب. وفي هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه طاعون أهلكت منهم سبعين ألفاً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، قاله ابن زيد. قال الزجاج: «الرجز»: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدة قلقه شديدة متتابعة. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها. ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال من بيت إلى بيت، سريع، نحو قوله:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَبَذْتُ أَخْب فِيهَا وَأَضْغُ

وزعم الخليل أن الرِّجْزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث.

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به. والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك. والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عن آمن. والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَجَلٌ هُمْ بِلِقَاؤِهِ﴾ أي: إلى وقت غرقهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ أي: يتقصون العهد.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم بإحلال نعمتنا بهم، وتلك النعمة تغريقتنا إياهم في اليم. قال ابن قتبية: اليم: البحر بالسريرية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها. والثاني: عن النعمة.

﴿وَأَرْسَلْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ مَسْكِدَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَمَتَ لَكُمُ رَبُّكَ الْحَشَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۚ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ يَنْكُتُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ﴾ أي: يُسْتَدْلُونَ بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال. ﴿مَسْكِدَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن. والثاني: مشارق أرض الشام ومصر. والثالث: أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال ابن عباس: بالماء والشجر.

قوله تعالى: ﴿وَكَمَتَ لَكُمُ رَبُّكَ الْحَشَىٰ﴾ وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَعْصِمُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصاص: ٥٠]، وقد بيَّنا علة تسمية ذلك كله في (آل عمران: ١٤٦).

قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعة الله تعالى. والثاني: على أذى فرعون.

قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا ﴿مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ﴾ من العمارات والمزارع. والدمار: الهلاك.

﴿وَمَا كَانُوا بِعِرْشُوتَ﴾ أي: يبنون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يعرِشون» بكسر الراء هاهنا وفي [النحل: ٤٦٨]. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما. وقرأ ابن أبي عيلة: «يعرِشون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ: إذا بنى.

قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب: «يَعْكُفُونَ» بضم الكاف. وقوا حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف. وقرأ ابن أبي عيلة: بضم الياء وتشديد الكاف. قال الزجاج: ومعنى «يَعْكُفُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ»: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ. قال قتادة: كان أولئك القوم نزولاً بالركة، وكانوا من لحم. وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر. وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ يَنْظِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ قال ابن قتيبة: مُهْلَك. والبار: الهلاك.

﴿قَالَ أَغْيَرُ اللَّهِ أَنْبِيَكُمْ إِلَهِهَا وَهُوَ فَضْلَكُمْ عَلَى الْفَالِغِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغْيَرُ اللَّهِ أَنْبِيَكُمْ إِلَهِهَا﴾ أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: العَالَمُونَ هاهنا: عالموا زمانهم.

﴿إِذْ أَخْبَرْتُمْ رَبَّنَا بِمَا فَعَرْتُمْ يَسُوءُكُمْ سَوَاءَ الْمَدَائِبِ يَقُولُونَ بَنَاءَكُمْ رَسَخَتْكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ

عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْبَرْتُمْ﴾ قرأ ابن عامر: «إِذْ أَنْجَاكُمْ» على لفظ الغائب المفرد.

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ يَمِثُّ رَبِّيهِ أَنْبِيَتُ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي

وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ المعنى: وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة. قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشراً، فكانت فتنتهم في ذلك العشر. فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إليّ من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه. فإن قيل: ما معنى: ﴿فَنَمَّ يَمِثُّ رَبِّيهِ أَنْبِيَتُ لَيْلَةً﴾ وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليالٍ، لا ساعات. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر. وقد بينا في سورة [البقرة: ٥١] لماذا كان هذا الوعد.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ قال ابن عباس: مُرْهُم بِالْإِصْلَاحِ. وقال مقاتل: ارفق.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِثْلِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنْ أَظْهَرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تُرَى وَلَكِنْ أَظْهَرِ إِلَيْكَ فَإِنْ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ فَمَّا جَاءَهُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْغَائِبِينَ﴾

﴿يُمُوسَى إِنْ أَصْطَلَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ يَرْسُلْنِي وَيَكْلِمُنِي فَمَنْ مَّا عَاتَيْتُكَ وَكَانَ مِنْكَ الشَّاكِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِثْلِنَا﴾ قال الزجاج، أي: للوقت الذي وقفتا له. ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أسمعته كلامه، ولم يكن فيما بينه وبين الله شيء فيما سمع أحد. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَظْهَرِ إِلَيْكَ﴾ أي: أرني نفسك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تُرَى﴾ تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿لَنْ يَنصَرُّهُ أَيُّدًا بِمَا فَتَحَتْ آيَاتُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنيهِ في النار بقوله: ﴿يَكِيدُ يُقِيمُ حَيْثُ رَزَقَ﴾ [الزخرف: ١٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول



موسى: «أرني»، ولم يُرد؛ أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأجيب عما سأل. وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: «لا أرى»، ألا ترى أن نوحاً لما قال: ﴿إِنِّي أَنبِيٌ مِّنْ أَهْلِ﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا لَيْسَ مِنِّي أَهْلًا﴾ [هود: ٤٦]. ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَهَنَّمُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنشَأْتُ مَكَّاءَ﴾ أي ثبت ولم يتضعض.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَزَىٰ رِئُومُ﴾ قال الزجاج: ظهر، وبان. ﴿جَمَلُكُمْ دَكَّاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿دَكَّاءَ﴾ منونة مقصورة هاهنا وفي [الكهف: ٩٨]. وقرأ عاصم: ﴿دَكَّاءَ﴾ هاهنا منونة مقصورة، وفي [الكهف: ٩٨]: «دكاء» ممدودة غير منونة. وقرأ حمزة، والكسائي: «دكاء» ممدودة غير منونة في الموضعين، قال أبو عبيدة: «جعل دكاً» أي: مندكاً، والدك: المستوي؛ والمعنى: مستوياً مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكاء، أي: ذاهية السنام مستوي ظهرها. قال ابن قتيبة: كان سنامها دكاً، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككت: دقت، فأبدلت القاف كافاً لتقارب المخرجين. وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿جَمَلُكُمْ دَكَّاءَ﴾: ساخ الجبل. قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلى لها، وتواضع زبير فتجلى له.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مَوْثَنٌ صَوْغًا﴾ فيه قولان: أحدهما: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: ميتاً، قاله قتادة، ومقاتل، والأول أصح، لقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقي في غشيته يوماً وليلة.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ بَنِي إِلَٰهٍ﴾ فيما تاب منه ثلاثة أقوال: أحدها: سؤاله الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنك لن ترى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ فتح ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ ابن كثير، ونافع: «برسالتني». قال الزجاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿يُرْسَلَنِي وَيَكَلِّمُنِي﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْقَهُ وَآمَرَ قَوْمَكَ بِأَخَذُوا بِحَبِيبِ سَانِيَةٍ دَارَ الْقَنَاقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في ماهية الألواح سبعة أقوال: أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس. والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: زمرد أخضر، قاله مجاهد. والرابع: بَرَد، قاله أبو العالية. والخامس: خشب، قاله الحسن. والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه. والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: لوحان، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحاً، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِكَلِمَتِهِمْ شُهَدَاءَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله: ﴿فَقَدْ صَدَّقَ قَوْلُكُمْ﴾ [التحريم: ٤]. والثالث: عشرة، قاله وهب. والرابع: تسعة، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره. والثاني: من الحكم والغير.

قوله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾ أي: نهياً عن الجهل. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.

قوله تعالى: ﴿فَتَحَدَّثَا يُؤْمَرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بجذ وحزم، قاله ابن عباس. والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: بشكر، قاله جوير.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قَوْلَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ﴾ إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حسن، قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق: **إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا** **بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ<sup>(١)</sup>**

أي: عزيزة طويلة. وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى: يأخذوا بها. والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال: أحدها: أنهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، ففعل الخير هو الأحسن. والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأمرنا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية. والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح. والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق. والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَتَقِينَ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأريكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

﴿سَأُصْرِفُ عَنْ ءَاتِيِ الْآلِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَاتِيَوْ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتْنَةِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأُصْرِفُ عَنْ ءَاتِيِ الْآلِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات. والثاني: أنها عامة، وهو أصح. وفي الآيات قون: أحدهما: أنها آيات الكتب المثلوة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أمنعهم فهمها. والثاني: أمنعهم من الإيمان بها. والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال. والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسما والارض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكير والاعتبار بما خلقت. وفي معنى يتكبرون قولان: أحدهما: يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول. والثاني: يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرشدة» بضم الراء خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «سبيل الرشدة» بفتح الراء والشين مثقلة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ قال الزجاج: فعل الله بهم ذلك بأنهم «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ»، أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين. ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائهم غافلين.

﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْوٍ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَمْ يَخُورْ أَلَمْ يَرَ أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْوٍ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات. «مِنْ حُلِيِّهِمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «مِنْ حُلِيِّهِمْ» بضم الحاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «حُلِيِّهِمْ» بكسر الحاء. وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. والحلي: جمع حلي، مثل ثدي وثديي، وهو اسم لما يُتَحَسَّنُ به من

الذهب والفضة. قال الزجاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام. والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجنة فقط. قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس. فأما الثَّوَار، فهو صوت البقرة، يقال: حَارَتْ البقرة تَحُورًا، وَجَارَتْ تَجَارًا؛ وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَعَا البعير وَجَزَجَرَ وَهَذَرَ وَقَبَقَبَ، وَصَهَلَ الفرس وَحَمَحَمَ، وَشَهَقَ الحمار وَنَهَقَ، وَشَحَجَ البغل، وَثَغَثَ الشاة وَيَعَرَثَ، وَتَأَجَّتِ الثَّعْجَةُ، وَبَعَمَ<sup>(١)</sup> الظبي وَنَزَبَ<sup>(٢)</sup>، وَزَارَ الأسد وَنَهَتْ وَنَأَتْ، وَوَعَوَعَ الذئب، وَنَهَمَ الفيل، وَرَقَعَ<sup>(٣)</sup> القرد، وَضَبَحَ الثَّغْلُبُ، وَعَوَى الكَلْبُ وَنَبَحَ، وَمَاءَتِ السُّتُورُ، وَصَأَتِ الفارة، وَنَعَقَ الغُرَابُ معجمة الغين، وَزَقَا الدَّيْكَ وَسَقَعَ، وَصَفَرَ النُّسْرُ، وَهَذَرَ الحمام وَهَذَلَ، وَنَقَضَتِ الضَّفَادِعُ وَنَقَّتْ، وَعَزَقَتِ الجُنُ. قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يُتبعها مثلها، وبهذا قال وهب، ومقاتل. وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الريح فيه؛ وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوراء» بجيم مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكُفُّهُمْ﴾ أي: لا يستطيع كلامهم. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يبين لهم طريقاً إلى حجة. ﴿أَتُخَذُوا﴾ يعني اتخذوه إلهًا. ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: مشركين.

﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَيْن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْمًا قَالَ يَنْتَظِرُونِي مِنْ بَدْدِي أَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَضَعُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْعِزُ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٢)</sup> قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوُجُلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي أَلْبَابِهِمْ وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُفْسِدِينَ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا. قال الزجاج: يقال للرجل الندام على ما فعل، المتحسر على ما فرط: قد سَقَطَ في يده، وأسقط في يده. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَ» بفتح السين. قال الزجاج: والمعنى: ولما سَقَطَ الندم في أيديهم، يشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين. قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى.

قوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يرحمنا ربنا» ويغفر لنا» بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ترحمنا» وتغفر لنا» بالثاء، «ربنا» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿غَضَبِنَا أَيْمًا﴾ في الأياف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: الجزع، قاله مجاهد. والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وقال أبو الدرداء: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿يَنْتَظِرُونِي مِنْ بَدْدِي﴾ فتح ياء «بعدي» أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بشئ ما عملتم بعد فراقني من عبادة العجل. ﴿أَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ قال الفراء: يقال: عَجَلْتُ الأمر والشئ: سبقته، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثته. قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له! قال الحسن: يعني وَغَدَ الأربعين ليلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ التي فيها التوراة. وفي سبب إلقائه إياها قولان: أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فآلفاها، قاله قتادة، وفيه بُعد. قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفِعَ منها ستة أسباع، وبقي سبع.

قوله تعالى: ﴿وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال: أحدها: لحيته وذؤبته. والثاني: شعر رأسه. والثالث: أذنه. وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه بينهم وترك الحقوق به، وتعريفوا ما أحدثوا بعده

ليرجع إليهم فيتلافهم ويردهم إلى الحق، وذلك قوله: ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ كُنْتُمْ سُلُوكًا ۝١٥٣﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].  
قوله تعالى: ﴿إِنِّ أُمٌّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قال ابن أم» نصباً. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤]. قال الزجاج: من فتح الميم، فلكثرته استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من يقول: «يا ابن أمي» بإثبات الياء. قال الشاعر:

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شُقَيْقَ نَفْسِي      أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ<sup>(١)</sup>

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: «يا ابن أم» أمًا، ويحذف الألف، ومن كسر: «ابن أمي» فيحذف الياء. فإن قيل: لم قال: «يا ابن أم» ولم يقل: «يا ابن أب»؟ فالجواب أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له ذلك ليرفقه عليه. قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد. وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاة الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل ﴿اسْتَفْهَمُوا﴾ أي: استدلوني. ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ﴾ قرأ عبد الله بن عباس، ومالك بن دينار، وابن عاصم: «فلا تَشْمِتْ» بقاء مفتوحة مع فتح الميم، «الأعداء» بالرفع. وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكسر الميم، «الأعداء» بالنصب. وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبله مثل ذلك، إلا أنهما رفعاً «الأعداء». ويعني بالأعداء: عبدة العجل. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهم عبدة العجل. فلما تبين له عُذْرُ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: ما أمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزجاج. فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية. قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ قال ابن عباس: كذلك أعاقب من اتخذ إلهاً دوني. وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلَّةً، وقرأ هذه الآية. وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّةً تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى. قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوُجُلَ سَيِّئَاتِهِمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدعٍ إلى يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيعِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيعِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشرك. والثاني: الشرك وغيره من الذنوب. ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيعِهَا﴾ يعني السيئات. وفي قوله: ﴿وَوَآمَنُوا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله، وهو يُخْرِجُ على قول من قال: هي الشرك. والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيعِهَا﴾ يعني السيئات.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي شَجَرِهَا هَذِي ذَرَّةٌ لِذِينَ هُمْ يُرْسِمُونَ ۝١٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران «سَكَّتْ» بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضب» بالنصب. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري «سَكَّتْ» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرهما. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة «سَكَّنَ» بنون. قال الزجاج: «سكت» بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكَنًا: إذا سكن، وسكت يسكت سَكَنًا وسكوتًا: إذا قطع الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن

(١) البيت في «الطبري» ١٢٩/١٣، و «أمالى الزبيدي» ٩، و «جمهرة أشعار العرب» ٢٦٢، و «اللسان»: شق، وهو لأبي زيد حرملة بن المنذر الطائي من

قصيدة يرثي ابن أخته اللجلاج، ويقال: يرثي أخاه اللجلاج، ويروي البيت:

يَا ابْنَ غَنَسَاءِ شُقَيْقُ نَفْسِي يَا      لَجْلَاجُ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ

ورواية المصنف، هي رواية النحاة جميعاً في كتبهم في «باب النداء». وقوله: «شقيق» تصغير شقيق، وهو الأخ.

الغضب، على القلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي. والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول هو قول أهل العربية.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ يعني التي كان ألقاها. وفي قوله: ﴿وَفِي فُتُوحِهَا﴾ قولان: أحدهما: وفيما بقي منها؛ قاله ابن عباس. والثاني: وفيما نُسخ فيها؛ قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّإِيقَاتٍ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَهُمْ إِنِّي بِإِنِّ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ المعنى: اختار من قومه، فحذف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم، وأنشدوا:

مِنَّا الَّذِي اخْتَارَ الرُّجَالَ سَمَاحَةً  
وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرُّعَازُ<sup>(١)</sup>

هذا قول ابن قتيبة، والفراء، والزجاج. وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليأخذ التوراة، أمر أن يأتي معه سبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البكالي. والثاني: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقى بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك؛ قاله وهب بن منبه. والرابع: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فغل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربه إلا بإذن منه. فأما الرجفة فهي الحركة الشديدة. وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ادعاهم على موسى قتل هارون؛ قاله علي بن أبي طالب. والثاني: اعتداهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا؛ نُقِلَ عن ابن عباس. وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمرهم بالمعروف، ولم ينههم عن المنكر، ولم يزيلوهم. والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿كُنْ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]؛ قاله السدي وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي﴾ قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلَ وَإِنِّي﴾ قال الزجاج: لو شئت أمئتهم قبل أن تبليهم بما أوجب عليهم الرجفة. وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتموني.

قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأَسْهَاقُ مِنَّا﴾ قال المبرِّد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تُهلِكُنَا. وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد: لست تفعل ذلك. و«الأسهاق» هاهنا: عبدة العجل. وقال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل. وإنما أهلكوا بقولهم: ﴿إِنَّا اللَّهُ جَهْرَةً﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وأبو العالية. والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

(١) البيت للفوزق، «ديوانه» ٥١٦، و«القياض» ٦٩٦، و«مسيب» ١٨/١، و«الكامل» ٣٢/١، و«مالي ابن الشعري» ١٨٦/١، و«الغزاة» ٣/٦٦٩، و«اللسان»: خير. وعنى بهذا البيت آباء غالباً، وهو أحد أجواد بني تميم.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشْأَتِكَ وَرَخِصْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي الثَّوَرَةِ وَالْإِصْبِلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أَعْتَبُوا فِيهِمْ فَأُولَئِكَ لَا مَلَائِكَةٌ تَخْلُفُونَهُمْ هُنَا أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَكُونُ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَاتِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَمَّا جَاءَكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ أي: حقق لنا وأوجب ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي. وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢] كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء. وقرأ أبو وجزة السعدي: ﴿إِنَّا هِدْنَا﴾ بكسر الهاء. قال ابن الأنباري: المعنى: لا تتغير؛ يقال: هاد يهود ويهيد.

قوله تعالى: ﴿قَالِ عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشْأَتِكَ﴾. وقرأ الحسن البصري، والأعمش، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب.

قوله تعالى: ﴿وَرَخِصْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في هذا الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة؛ وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البر والفاجر، وفي الآخرة هي للمؤمنين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحْنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد. والرابع: أن الرحمة تَسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري: قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخرة. قال المفسرون: معنى «فَسَأَكْتُبُهَا»: فسأوجبها. وفي الذين يتقون قولان: أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس. والثاني: للمعاصي، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ الْأَرْكَانَ﴾ قولان: أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور. والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، ذهب إلى أنها العمل بما يركي النفس ويظهرها. وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت ﴿وَرَخِصْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فترعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقالت اليهود: نحن نتقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فترعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾. وقال نَوْفٌ: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم، والمرأة، والحر، والعبد، والصغير، والكبير. فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس والبيع، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: «المفلحون». وفي هؤلاء المذكورين في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: «المفلحون» قولان: أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ، وتبعه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه لا يكتب. والثاني: لأنه من أم القرى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ﴾ أي: يجدون نعته ونبوته.

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون «يجدلونه مكتوباً عندهم»

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٠٨/٤ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ مائةَ رحمة، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس، والبهائم والهوام، فبها يتطافون، وبها يتراحمون، وبها تملأ الوحش على ولبها، واغفر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام. وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك. وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته. وفي الطيبات أربعة أقوال: أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يُحل لهم الحلال. والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيعه. والثالث: أنها الشُّحوم المحرمة على بني إسرائيل. والرابع: ما كانت العرب تحرّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي الخباثت ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرام، والمعنى: ويحرّم عليهم الحرام. والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات. والثالث: ما كانوا يستحلونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ غَنَمٌ بِمَرْعَاهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي «إصرهم». وقرأ ابن عامر «أصارهم» ممدودة الألف على الجمع. وفي هذا الإصر قولان: أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، وأكل الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتِبَ على باب بيته: إن كفرته أن تنزع عينك، فنيّرُهما.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَعْظَمُ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: ذكر الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأغلال: أنه كان عليهم أن لا يقبل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني بمحمد ﷺ وروى أبان «وعزّروه»، بتخفيف الزاي. وفي المعنى قولان: أحدهما: نصره وأعانوه، قاله مقاتل. والثاني: عظموه، قاله ابن قتيبة. والنور الذي أنزل معه: القرآن سماء نوراً، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون. وفي قوله «معه» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «عليه». والثاني: بمعنى أنزل في زمانه. قال قتادة: أما نصره، فقد سبقتم إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي يَأْتُو وَكَذَلِكَ﴾ في الكلمات قولان: أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كلمات: آياته. والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْدُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ فيه قولان: أحدهما: يدعون إلى الحق. والثاني: يعملون به. قوله تعالى: ﴿وَبِهِ يَبْدُلُونَ﴾ قال الزجاج: وبالحق يحكمون. وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي.

﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ أي: وأوجعنا إناثاً إلى موسى إذ استسقنهم قومه، أي: ضرب إصبعك المعجزة فانبجست منه اثنتا عشرة عينة قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الفتنم وأنزلنا عليهم النار والسلاطين كلوا من كسبت ما ردقنكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿وَلَوْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِسْبَةُ اللَّهِ فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُكُمْ سَرِيذَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿بَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُكُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرقناهم: ﴿اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر ولداً، فولد كل واحد منهم سبطاً. قال الفراء: وإنما قال اثنتي عشرة والسبط ذكر، لأن بعده «أماماً» فذهب بالتأنيث إلى الأم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزاً. وقال الزجاج: المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة، «أسباطاً» نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرقناهم أسباطاً، فيكون «أسباطاً» بدلاً من «اثنتي عشرة»



و «أَمَّا» من نعت أسباط. والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل لِفُصِّلَ بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق. وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، واحد: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟ قوله تعالى: ﴿فَأَبْجَسَتْ مِنْهُ﴾ قال ابن قتيبة: انفجرت؛ يقال: تَبَجَّسَ الماء، كما يقال: تَفَجَّرَ؛ والقصة المذكورة في سورة البقرة: ٥٨ - ٦٠.]

قوله تعالى: ﴿فَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْخَطِيئَاتُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «نغفر لكم خطيئاتكم» بالثاء مهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمرو ﴿فَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْخَطِيئَاتُ﴾ مثل: قضاياكم، ولا ثاء فيها. وقرأ نافع «تَغْفَرُ» بالثاء مضمومة «خطيئاتكم» بالهمز وضم الثاء، على الجمع، وافقه ابن عامر في «تَغْفَرُ» بالثاء المضمومة، لكنه قرأ «خطيئتكُم» على التوحيد.

﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَمْدُودُ فِي السَّيِّئِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاثُهُمْ يَوْمَ سَأْتِيهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ﴾ يعني أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرّره على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يعلم إلا بوحى. وفي القرية خمسة أقوال: أحدها: أنها أيلة، رواه ثمره عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، قتادة، والسدي. والثاني: أنها مدين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة. والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري. والخامس: أنها قرية يقال لها: مقنا، بين مدين وعينونا، قال له ابن زيد. ومعنى: ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة البحر وبقره. وعلى شاطئه. ﴿إِذْ يَمْدُودُ﴾ قال الزجاج: أي: يَظْلِمُونَ، يقال: عدا فلان يعدو عُذْوَاناً وَعُدَاً وَعُدُوّاً وَعُدُوّاً: إِذَا ظَلَمَ، وموضع «إِذْ» نصب؛ والمعنى: سلّمهم عن وقت عُذْوِهِمْ في السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاثُهُمْ﴾ في موضع نصب أيضاً بـ «يَمْدُودُونَ» والمعنى: سلّمهم إِذْ عُذُّوا في وقت الإتيان. ﴿شُرْعًا﴾ أي: ظاهرة. ﴿كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نخبرهم بفسقهم. ويحتمل على بعد أن يكون المعنى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ كذلك، أي: لا تأتِيهِمْ شُرْعًا؛ ويكون: ﴿بَلَّوْنَهُمْ﴾ مستأنفاً. وقرأ الحسن، والأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم: «يُسَبِّتُونَ» بضم الياء.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَظُنُّونَ قَوْلًا اللَّهُ مُهِلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِنْ رَبُّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق؛ فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ يَظُنُّونَ قَوْلًا اللَّهُ مُهِلِكُهُمْ﴾ لا موهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: ﴿مَعذَرَةٌ إِنْ رَبُّكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «معذرة» رفعاً، أي: موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله. وقرأ حفص عن عاصم: «معذرة» نصباً، وذلك على معنى نعتذر معذرة. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ أي: وجائز أن يتنفقوا بالموعظة فيتركوا المعصية.

﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوِّ وَأَعَذَّنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ رَبِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا﴾ يعني تركوا ما وعظوا به ﴿أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوِّ﴾ وهم الناهون عن المنكر. والذين ظلموا هم المعتدون في السبت.

قوله تعالى: ﴿بِعَدَابِ رَبِّهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «بئس» على وزن فاعيل، فالهمزة بين الباء والياء. وقرأ نافع: «بئس» بكسر الباء من غير همز. وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز. وروى خارجة عن نافع: «بئس» بفتح الباء من غير همز، على وزن «فَعَلٍ». وروى أبو بكر عن عاصم: «بئس» على وزن «فَعَلٍ». وقرأ

ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيْتَسٍ» على وزن «فَيْعَالٍ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومعاذ القاري: «بَيْسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «نَيْسٍ». وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيْسٍ» بتشديد الباء مثل «قَيْمٍ». وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: «بَيْسٍ» بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعْلٍ». وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائِسٍ» بألف ومدة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فَاعِلٍ». قال أبو عبيدة: البئس: الشديد، وأنشد:

حَنَقًا عَلَيَّ وَمَا تَرَى لِي فِيهِمْ أَثَرًا بَيْتِسًا<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: يقال: بئس يئس بأساً. والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة. وقال ابن جرير: «فلما عتوا» أي: تمردوا فيما نهوا عنه؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ٦٥] قصة مسخهم. وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكُوتُكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة، وقال: هو من أذنتك بالامر. وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى أذن؛ كما يقال: تعلَّم أن فلاناً قائم، أي: أعلم. وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل. والثاني: حتم، قاله عطاء. والثالث: وعد، قاله قطرب. والرابع: تآلى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ عَنْهُمْ﴾ أي: على اليهود، وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم. ﴿مَنْ يَسْأَلُهُمْ﴾ أي: يوليهم ﴿مَوْتَ الْكَلْبِ﴾. وفي المبعوث عليهم قولان: أحدهما: أنه محمد ﷺ وأمه، قاله ابن عباس. والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: ولم يجِب الخراج نبي قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك إلى النبي ﷺ. وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم. وفي سوء العذاب أربعة أقوال: أحدها: أخذ الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: أنه القتال حتى يسلما، أو يُعطوا الجزية.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْمَسْكِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ قال أبو عبيدة: فرّقناهم فرقاً. قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم واقتراق كلمتهم. ﴿وَيَنْهَاهُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ. ﴿وَرَبِّهِمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يُبعث عيسى، وقبل ارتدادهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَكْلَفُونَهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِالْمَسْكِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وهي الجذب، والشر، والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحت على الطاعة، أما النعم فلطلب الأزياد منها، وخوف زوالها، والنقم فلكشفها، والسلامة منها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يتوبوا.

﴿خَلَفَ مِنْ بَيدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى يَقُولُونَ سَيُعَذِّبُنَا لَئِنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ يُفْلِتُ يَأْخُذُوهُ أَوْ يُؤَخِّدْ عَلَيْهِمْ يُشِيقُ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأَخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَيدِهِمْ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم. ﴿خَلْفٌ﴾ وقرأ الجوني، والجحدري: «خَلَفَ» بفتح اللام. قال أبو عبيدة: الخَلْفُ والخَلْفُ واحد؛ وقوم يجعلون المحرك اللام، للصالح، والمسكن، لغير الصالح. وقال ابن قتيبة: الخَلْفُ: الردي من الناس ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول. وقال ابن الأنباري: أي: ما تستعمل العرب الخَلْفَ، بإسكان اللام، في الردي المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح. وقد يوقع الخَلْفَ على

الممدوح، والخَلْفُ على المذموم؛ غير أن المختار ما ذكرناه. وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: النصارى. والثالث: أن الخَلْف من أمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد. فإن قيل: الخَلْف واحد، فكيف قال: «يأخذون» وكذلك قال في [مریم: ٥٩] «أضاعوا»؟ فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين: أحدهما: أن الخَلْف جمع خالف، كما أن المركب جمع راكب، والشَّرْب جمع شارب. والثاني: أن الخَلْف مصدر يكون للثنتين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها. وقيل: سماء عرضاً، لقلة بقائه. قال ابن عباس: يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام. وقيل: هو الرثوة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان: أحدهما: أنه من الدنوّ. والثاني: أنه من الدناءة.

قوله تعالى: ﴿سَيُفَرِّقَنَّ لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إنا لا نواخذ، تميئاً على الله الباطل. والثاني: أنه ذنب يفرقه الله لنا، تأميلاً لرحمة الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَلَنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ يُثْلَمُ بِأَعْلُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن. والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخُذْ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: وكّد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار.

قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوف على «ورثوا». ومعنى «درسوا ما فيه»: قرؤوه، فكانه قال: خالفوا على علم. «وَالذَّارُ الْآخِرَةُ» أي: ما فيها من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّذِكْرِ أَقْلًا يَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون: بالياء.

﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي وحفص عن عاصم «يمسكون» مشددة، وقرؤوا «وَلَا تُسَكِّرُوا بِعِصْمِ الْكُفَرِ» مخففة [المتنحة: ١٠] وقرأهما أبو عمرو بالتشديد. وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما. ويقال: مسكت بالشئ، وتمسكت به، واستمسكت به، وامسكت به. وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يحرفوه، منهم [عبد الله] بن سلام وأصحابه. قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: «إنا» وما بعده، وله ضمير مقدر بعد «المصلحين» تأويله: والذين يمسكون الكتاب إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وَعَدَهُمْ حفظ الأجر بشرط، إذ كان منهم من لم يصلح. قال: وقلا بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسكون بالكتاب، وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايةهم بالمصلحين، كما يقال: عليّ لقيت الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراى: لقيته ورويت عنه. قال الشاعر:

فيا ربّ ليلي أنت في كلّ موطنٍ

وأنت الذي في رَحْمَةِ اللَّهِ أَطْمَعُ<sup>(١)</sup>

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

﴿وَرَأَى نَفَقًا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ غُلَّةٌ وَظَنَّ أَنَّهُ نَاقٌ بِهِمْ حُذُوا مَا ءَاتَيْتَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى نَفَقًا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: واذكر لهم إذ تنقنا الجبل، أي: رفعناه. قال مجاهد: أخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالغُلَّة، ف قيل لهم: لتؤمنن أو ليقعن عليكم. وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرفع فوقهم، فقال: لناخذُ أمري، أو لأرمينكم به.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَا أَنَّهُ رَاقِعٌ بِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الظن المعروف. والثاني: أنه بمعنى اليقين. وباقي الآية مفسر في سورة [البقرة: ٦٣].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان» - ونعمان قريب من عرفة - ذكره ابن قتيبة «فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنتهرم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً، وقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»<sup>(١)</sup> ومعنى الآية: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم. فقله: «من ظهورهم» بدل من «بني آدم». وقيل: إنما قال: «من ظهورهم» ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهوره. وقوله تعالى: ﴿وَذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع. قال أبو علي: الذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أشهدهم على أنفسهم بإقرارهم، قاله مقاتل. والثاني: دلهم بخلقه على توحيده، قاله الزجاج. والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ والمعنى: وقال لهم: ألسنت بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. قال السدي: قوله: «شهدنا» خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. ويحسن الوقف على قوله: «بلى» لأن كلام الذرية قد انقطع. وزعم الكلبي أن الذرية لما قالت «بلى» قال الله للملائكة: «اشهدوا» فقالوا: «شهدنا». وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: جمعهم جميعاً، فجعلهم أزواجاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أنك إلهنا. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أبابكم آدم ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم نعلم بهذا. وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيّة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ قرأ أبو عمرو «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. وقرأ الباقر بالتاء فيهما. قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: «وإذا أخذ ربك» وقوله: «قالوا بلى»، وحجة من قرأ بالتاء أنه قد جرى في الكلام خطاب «ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا». ومعنى قوله: «يقولوا»: لثلاث يقولوا، ومثله: ﴿أَنْ يَبْدَى بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وفي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار. والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: هذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لثلاث يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فاحتجاج به قائم.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَيْنِهِمْ﴾ فأتبعنا منهاجهم على جهل منا بالكهنتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ في دعواهم أن معك إلهاً. فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم. وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، ورغب فيهم عقولاً وأنهم أعرفوا بها ما عرض

(١) «المسند» ١٥١/٤، وهو في «مجمع الزوائد» ٢٥/٧ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. ونقله ابن كثير في «التفسير» عن أحمد وقال: وقد روى هذا الحديث الثنائي في كتاب التفسير من «سننه» عن محمد بن عبد الرحمن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به، ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً. وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة فوقه، وكذا رواه إسماعيل بن عليه، وكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت.

عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفاً، ومعنى إسهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] يريد: هم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقتك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي: بين وأعلم. وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَمْ تُحِثْ بِرَجْمَتِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما بيناً في أخذ الميثاق الآيات، ليتدبرها العباد فيعملوا بموجبها. ﴿وَلَمْ تُحِثْ بِرَجْمَتِ﴾ أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آلِ لُؤْيَ ءَاتَيْنَاهُ مِنَّا نَسْلَحَ وَمِنْهَا فَأَتَيْنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آلِ لُؤْيَ ءَاتَيْنَاهُ مِنَّا نَسْلَحَ وَمِنْهَا فَأَتَيْنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: بلعم بن باعوراء. وروى عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي. وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعاماً من أهل اليمن. وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبارين. والثاني: أنه أُمَيَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم، وكان أُمَيَّة قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولاً، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر. والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشقاق، وروى عن ابن المسيب نحوه. والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبه نَبَاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أُنثى كلبه نَبَاحَةً يعبرنا الناس بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس، والذي روي لنا في هذا الحديث «وكانت سَمِجَةً» بكسر الميم، وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمِجٌ: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِجٌ؛ بكسرها. والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن. والسادس: أنه يكمل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة. وفي الآيات خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: أنها كتاب من كتب الله ﷻ. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتاباً فانسلك منه. والثالث: أنه أوتي النبوة، فَوُشِّدَ قَوْمُهُ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الجال. والرابع: أنها حُجج التوحيد، وفهم أدلته. والخامس: أنها العلم بكتب الله ﷻ. والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى ﷺ غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفاراً، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل ديني، ولا ينبغي لي أن أدعو عليه، فأمر الملك أن تحت خشبة لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعو على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقد قد منعني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلي بك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة،

فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب، بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم. فقال: يا رب، فكما سمعت دعاءه عليّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزيّنوا النساء ويرسلوهنّ في العسكر ليفشو الزنا فيهم، فنصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعاً، فقال: لا تهربوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوت عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا. وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع، لا موسى.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتبعت القوم: إذا لحقتهم، وتبعتهم: سرت في أثرهم. وقرأ طلحة بن مصرف: «فاتبعه» بالشدديد. وقال اليزيدي: أتبعه وأتبعه: لغتان. وكان «أتبعه» خفيفة بمعنى: قفاه، و«أتبعه» مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: أتبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك. وقال الزجاج: يقال: تبع الرجل الشيء وأتبعه بمعنى واحد. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعْ هَذَا﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَآرِثِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل. والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ في هاء الكناية في «رفعناه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور: فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه. والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. وقال الزجاج: لو شئنا لعلنا بينه وبين المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن. قال الزجاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة. والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه ركن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك، لأنها حملته عليه. وقيل: أرضى بني عمه وقومه. والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا؛ وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه. وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾ معناه: أن هذا الكافر، إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتَي الكلب، فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن ترك وريض كان أيضاً لاهثاً، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثاً؛ وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضاً لهث. قال المفسرون: زُجِرَ في ميثامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم ينزجر، وخاطبته أتانة فلم ينته، فضرِبَ له هذا المثل ولسائر الكفار؛ فذلك قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لأن الكافر إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ وهو مع إرسال الرمبل إليه كمن لم يأت رسول ولا بينة.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ﴾ قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَافِرًا يَلْعَلُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ يقال: ساء الشيء يسوء. إذا قُبِحَ، والمعنى: ساء مثلاً مثل القوم، فحُذِفَ المضاف، فنُصِبَ «مثلاً» على التمييز.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَافِرًا يَلْعَلُونَ﴾ أي: يَضُرُّونَ بالمعصية.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَعَصِيبًا مِثْلَ النِّعْنِ وَالَّذِينَ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَافِرَاتٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا. قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب.

قوله تعالى: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ رَجَافًا﴾ (القصص: ٨) ومثله قول الشاعر:

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزّيه بموت ابنه، فقال:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ

لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُؤَلَّدُ

وقد أخبر الله ﷺ في هذه الآية بنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لما أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يُبصر

ولم يسمع. وقال محمد بن القاسم النحوي: أراد بهذا كله أمر الآخرة، فإنهم يعقلون أمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَافِرَاتٌ﴾ شبههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها، فلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند، فيُقدم على النار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُحَانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ سبب نزولها أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال أبو جهل: ليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل. فأما الحسنی، فهي تأنيت الأحسن. ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعمو والرحمة دون السخط والنقمة. وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء، وكذلك في [النحل: ١٠٣] و[السجدة: ١٤٠]. وقرأ حمزة: «يَلْحَدُونَ» بفتح الحاء والياء فيهن. ووافقه الكسائي، وخلف في [النحل: ١٠٣]. قال الأخفش: أَلْحَدَ وَلَحَدَ: لغتان؛ فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكان الإلحاد: العدول عن الاستقامة. وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون؛ [فيقولون: اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك] ومنه لَحَدُ القبر، لأنه في جانب. قال الزجاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعو بما لم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي؛ ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك. قال أبو سليمان الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاد، ومما يُسمع على السنة العامة قولهم: يا سبحان، يا برهان، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس. وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن. وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سموها بها أو ثابتهن، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.



## فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرِكْ وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِداً﴾ (المندر: ١١)، وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأن قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْعَدُونَ فِيْ أَسْتَهْجَاءٍ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ (١٨١)

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ أي: يعملون به، ﴿وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ أي: وبالعامل به يعدلون. وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس. وكان ابن جريج يقول: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمي، بالحق يأخذون ويعطون ويقضون»<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها»<sup>(٢)</sup> ثم يقرأ: ﴿وَمَنْ قَوَّرَ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٢). [الأعراف: ١٥٩]. والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الأنبياء. والرابع: أنهم العلماء، ذكر القولين الماوردي.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٣) وَأَمَّا لَهُمْ إِلَهٌ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة. وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش.

قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم. وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجَة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مَرَقَة مرقاة؛ ومنه: دَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئاً بعد شيء؛ ودرج القوم: إذا ماتوا بعضهم في إثر بعض. وقال الزبيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم. وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم. وقال الأزهري: سَنَأْخِذُهُمْ قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطهم به ويركونون إليه، ثم يأخذهم على غرثهم أغفل ما يكونون. قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة. وفي قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج. والثاني: بالهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا لَهُمْ﴾ الإِمْهَالُ والتأخير.

قوله تعالى: ﴿إِلَهٌ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ قال ابن عباس: إن مكري شديد. وقال ابن فارس: الكيد: المكر؛ فكل شيء عالجته فأنت تكيده. قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة [البقرة: ١٥] و[آل عمران: ٥٤] من ذكر الاستهزاء والخداع والمكر.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (١٨٥) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ هَيَاتِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٦﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَ هَادِي لَمْ يَزِدْهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشاً فخذلاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فحذَّروهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله الحسن، وقاتة. ومعنى الآية: أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، أي: جنون، فحُثُّهم على التفكير في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون. ﴿إِنَّ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا﴾

(١) «الطبري» ٢٨٦/١٣، وابن كثير: ٢/٢٦٩، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/١٤٩، وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ٣/١٤٩ ونسبه لابن جريج، وابن المنذر، وعبد بن حميد.

(٣) «الطبري» ٢٨٩/١٣، وابن كثير ٢/٢٧٠. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

يَذَرُ أَي: مخوف ﴿ثُمَّ يَنْبِئُ طَرِيقَ الْهَدَى﴾. ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا على أن لها صناعاً مدبراً؛ وقد سبق بيان الملكوت في سورة [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ ابن مسعود، وأبي، والجحدري: «آجالهم». ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق الله من الأشياء كلها، وفي أن عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار ﴿فَيَأْتِي حَذِيثٌ بِمَدَدٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني القرآن وما فيه من البيان. ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَكَا هَادٍ لَهُمْ وَيَذَرُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «ونذرهم» بالنون والرفع. وقرأ أبو عمرو: بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ونذرهم» بالياء مع الجزم خفيفة. فمن قرأ بالرفع، استأنف، ومن جزم «ونذرهم» عطف على موضع الفاء. قال سيوريه: وموضعها جزم؛ فالمعنى: من يضل الله يذره؛ وقد سبق في سورة [البقرة: ١٥] معنى الطغيان والعمه.

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ إِنْكَ مُرْسَهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنِي رُوحَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعَثَةٌ يَسْتَأْذِنُكَ كَأَنَّكَ حَافٍ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد، بيننا وبينك قرابة؛ فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة. والمراد بالساعة هاهنا التي يموت فيها الخلق.

قوله تعالى: ﴿إِنْكَ مُرْسَهَا﴾ قال أبو عبيدة: أي: متى مُرساها؟ أي: متنهاها. ومرسا السفينة: حيث تنتهي. وقال ابن قتيبة: «آيان» بمعنى: متى؛ و«متى» بمعنى: أي حين، ونرى أن أصلها: أي أوان؛ فحذفت الهمزة [والواو]، وجعل الحرفان واحداً، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي. قال الزجاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: قد استأثر بعلمها ﴿لَا يُجِيبُنِي رُوحَهَا﴾ أي: لا يظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكل يخافونها، محسنهم ومسيئهم. والثاني: عظم شأنها في السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: خفي أمرها، فلم يعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السموات والأرض، قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعَثَةٌ﴾ أي: فجأة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَافٍ عَنَّا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه من المقدم والمؤخر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفي، أي: برّ بهم، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ فِي حَوِيٍّ﴾ [مریم: ٤٧]. قال العوفي عن ابن عباس، وأسباط عن السدي: كأنك صديق لهم. والثاني: كأنك حفي بسؤالهم، مجيب لهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم. وقال خصيف عن مجاهد: كأنك تحب أن يسألوك عنها. وقال الزجاج: كأنك قريح بسؤالهم. والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاک عن ابن عباس، وهو قول ابن زيد، والفراء. والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجیح عن مجاهد. وقال عكرمة: كأنك سؤول عنها. وقال ابن قتيبة: كأنك معني بطلب

(١) قال أبو جعفر الطبري ٢٩٣/١٣: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، وجاز أن يكون كانوا من قريش، وجزاء أن يكون كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان.

(٢) روى البخاري ٧٧/١٣ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «للقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، وللقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، وللقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه، وللقوم الساعة وقد رفع أكله إلى فيه فلا يطعمها» وهو جزء من حديث طويل، يدل على أن الساعة تأتي بئنة. وقوله: «يلبط حوضه» يفتح أوله من الثلاثي، ويضمه من الرباعي، والمعنى: يصلحه بالطين والمدر، فيسد شقوقه، ليملاء ويسقي منه دوابه.

علمها. وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، والحفي في كلام العرب: المعني.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ فَنَعْمًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا يعلمها إلا هو ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس هاهنا أهل مكة. وفي قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل. والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِلَّا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا ضَرًّا﴾ سبب نزلها أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تُجذب، فترحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. وفي المراد بالنفع والضرر قولان: أحدهما: أنه عام في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور. والثاني: أن النفع: الهدى، والضرر: الضلالة، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي؛ ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لو كنت أعلم بجذب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيات لسنه الجذب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله مجاهد. والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه. ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لم يلحطني تكذيب، قاله الزجاج. فأما الغيب، فهو كل ما غاب عنك. ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العمل الصالح. والثاني: المال. والثالث: الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد. والثالث: الجنون، قاله الحسن. والرابع: التكذيب، قاله الزجاج. فعلى قول الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلقاً بما قبله.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَشَابَهَا حَمَلًا خَفِيًّا قَمَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَيْنَ مَا أَتَيْتَا صَليماً لَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَكِرِيتِ﴾ ﴿لَمَّا أَتَاهُمَا صَليماً جَمَلًا لَمْ شُرَكَاهُ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء. ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: لِيَأْنَسَ بِهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا. ﴿فَلَمَّا تَشَابَهَا﴾ أي: جامعها. قال الزجاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع. والحمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجته شجرة. والحمل، بكسر الحاء: ما يُحْمَل. والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله تعالى: ﴿قَمَرَتْ بِهِ﴾ أي: استمرت به، قعدت وقامت ولم يُثقلها. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: «فاستمرت به». وقرأ أبي بن كعب، والجوني: «استمارت به» بزيادة ألف. وقرأ عبد الله بن عمرو، والجدري: «فمازت به» بآلف وتشديد الراء. وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: «قَمَرَتْ به» خفيفة الراء، أي: شكت وتمارت أحملت، أم لا؟ ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: صار حملها ثقيلاً. وقال الأخفش: صارت ذا ثقل. يقال: ائمرنا، أي: صرنا ذوي ثمر.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا﴾ يعني آدم وحواء ﴿لَيْنَ مَا أَتَيْتَا صَليماً﴾ وفي المراد بالصالح قولان: أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخاف أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقادة.

## شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء، فقال: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؛ وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك، أم يخرج من فيك، أو منخريك؟ فأخزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس فقال: كيف تجدنيك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنساناً مثلك ومثل آدم، أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم. فلما ولدته سوياً، جاءها إبليس فقال: لم لا تُسمّيه بي كما وعدتني؟ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليماً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾<sup>(١)</sup>. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «شركاء» بضم الشين والمد، جمع شريك. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «شُرَكَاء» مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع. قال أبو علي: من قرأ «شُرَكَاء» حذف المضاف، وكأنه أراد: جعل له ذا شريك، وذوي شريك؛ فيكون المعنى: جعلاً لغيره شُرَكَاء، لأنه إذا كان التقدير: جعلاً له ذوي شريك، فالمعنى: جعلاً لغيره شُرَكَاء؛ وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ «شركاء». وقال غيره: معنى «شركاء»: شريكاً، فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشريك في الطاعة، لا في العبادة؛ ولم يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يُطلق العبد على من ليس بملوك. قال الشاعر:

وإني لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً

وما فيَّ إلا تِلْكَ مِنْ شَيْمَةِ الْعَبْدِ<sup>(٢)</sup>

وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلِدَ لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾<sup>(٣)</sup>، هذا قول الجمهور، وفيه قول ثانٍ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لشكر، وآخرها مَثَلُ ضربه الله لمن يعبد في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾. وروى قتادة عن الحسن، قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهو دُوهم ونَصْرُوهم<sup>(٤)</sup>. وروي عن الحسن، وقاتدة قالوا: الضمير في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء. وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلق، فالمعنى: جعل له ذلك الولد شركاء. وإنما قيل: «جعلاً» لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى. قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء. فتأويل الآية: فلما آتاها صالحاً، جعل أولادَهُما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿وَمَثَلِ الْفَرَصَةِ﴾ [يوسف: ٤٨٢]. وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ يَشْرَكَكَ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا

(١) «الطبري» ٣٠٧/١٣ - ٣٠٨. ثم قال الطبري عقبه: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء صالحاً، ليكونان لله من الشاكرين، والصالح قد يشمل معاني كثيرة، منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير، وإذا كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول بوجوب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يعم كما عمه الله فيقال: إنهما قالوا: لئن آتيتنا صالحاً بجميع معاني الصلاح.

(٢) البيت للمفتي الكندي وهو في «الحمامة» ١١٨٠/٣، و«الأمالي» ٢٧٧/١، ورواية الشطر الثاني فيهما: «وما شيمة لي غيرها تشبه العبداء».

(٣) «الطبري» ٣١٢/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢. وطريق ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

(٤) «الطبري» ٣١٥/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢. وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن عليه السلام أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه، وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برتنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.

تخلق شيئاً. وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الأصنام، وهي لا تخلق شيئاً. وقوله: ﴿وَمَنْ يَخْلُقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «ما» ثم قال: «وهم يُخْلِقُونَ» لأن «ما» تقع على الواحد والاثنيين والجميع؛ وإنما قال: «وهم» وهو يعني الأصنام، ون عابديها ادَّعَوْا أنها تعقل وتميز، فأجريت مجرى الناس، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتُمْ لِي صَدِيقٌ﴾ [يوسف: ٤٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّخَذُوا مُسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، قال الشاعر:

تَمَرُّزْتُهَا وَالذِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ  
وَأُنْشَدُ ثَعْلَبَ لَعْبَةَ بْنِ الطَّيِّبِ:

إِذْ أَشْرَفَ الذِّيكُ يَدْعُو بَغْضَ أَسْرَرِهِ  
لَمَّا جَعَلَهُ يَدْعُو، جَعَلَ الذِّيكَةَ قَوْمًا، وَجَعَلَهُمْ مَعَاذِلَ، وَهَمُ الَّذِينَ لَا سِلَاحَ مَعَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَسْرَةً؛ وَأَسْرَةُ الرَّجُلِ: رَهْطُهُ وَقَوْمُهُ.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْ نَقْرَأْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَهْتَوتُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْ نَقْرَأْ﴾ يقول: إن الأصنام لا تستطيع نصر مَنْ عبدها، ولا تمنع مِنْ نفسها.

﴿وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ ادَّعَوْتَهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَادِقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُوهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأصنام، فالمعنى: وإن دعوتهم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم، لأنهم لا يعقلون. والثاني: أنها ترجع إلى الكفار، فالمعنى: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يتبعوكم، فدعائكم إياهم وصمتكم عنهم سواء، لأنهم لا يقدرون على الحق. وقرأ نافع ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بسكون التاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُنثَالِكُمْ قَدْ دَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمْسُحُونَ بَنِيَّ أَرَأَيْتُمْ أَتَيْدُ بِطَبَاشِيرٍ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بَنِيَّ أَمْ لَكُمْ أَذْكَانٌ يَسْمَعُونَ بَنِيَّ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الْأَزْوَاجَ نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ بِرَأْيِ الْأَنْبِيَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام: ﴿عِبَادُ أُنثَالِكُمْ﴾ في أنهم مسخرون مذللون لأمر الله. وإنما قال «عباد» وقال: ﴿قَدْ دَعَوْهُمْ﴾، وإن كانت الأصنام جماداً، لما بيَّنا عند قوله: ﴿وَمَنْ يَخْلُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: فليجيبوكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن لكم عندهم نفعاً وثواباً. ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ بَنِيَّ﴾ في المصالح: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَيْدُ بِطَبَاشِيرٍ بَنِيَّ﴾ في دفع ما يؤذي. وقرأ أبو جعفر «يطشون» بضم الطاء هاهنا وفي القصص: ١٩ و [الدخان: ١٦]. ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَيْدُ بِطَبَاشِيرٍ بَنِيَّ﴾ المنافع من المضار ﴿أَمْ لَكُمْ أَذْكَانٌ يَسْمَعُونَ بَنِيَّ﴾ تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا مَنْ هم أفضل منه. ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ قال الحسن: كانوا يخوفونه بالهتيم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ أي: لا تؤخروا ذلك. وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرأون: ﴿ثم كيدون﴾ بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل. وروى ورش، وقالون، والمسيبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف. فأما «تنظرون» فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف. ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ أي: ناصري ﴿أَلَيْسَ نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ وهو القرآن، أي: كما أئدني بإزالة الكتاب بنصري.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَهْتَوتُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمتنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

(١) البيت في «المفضليات» ١٤٣ من قصيدة قالها بعد وقعة القادسية حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة ١٣، فهزموهم وتبعوهم إلى المدائن. والمعازيل: العزل من السلاح.

﴿وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْهَبُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ في المراد بهؤلاء قولان: أحدهما: أنهم الأصنام. ثم في قوله: ﴿وَتَرْهَبُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعيناً مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الميسور، وقد سبق شرحه في سورة [البقرة: ٢١٩]. وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال: أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد<sup>(١)</sup> فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء. والثاني: أنه المال، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية الضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخَت بالزكاة، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ قولان: أحدهما: أنهم المشركون، أمر بالإعراض عنه، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلته على سفهمهم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم. وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم، وطرفها منسوخان على ما بيّنا.

﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَامْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّكَ الْبَرُّ الْقَوِيُّ إِذَا مَسَّهُمْ طَلَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ قال ابن زيد؛ لما نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: «يا رب كيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>». فأما قوله: ﴿وَلَمَّا﴾ فقد سبق بيانه في سورة [البقرة] في قوله: ﴿لَمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنْهُ هُدًى﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: ولما تستخفك منه خفة وغضب وعجلة. وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس. قال الزجاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته. وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «طيف» بغير ألف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «طائف» بألف ممدوداً مهموزاً. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: «طَيْفٌ» بتشديد الياء من غير ألف. وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يلهم بك، حكى عن الفراء. وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، قال الشاعر:

(١) «الطبري» ٣٢٦/١٣، ٣٢٧، وابن كثير: ٢٧٧/٢. وروى البخاري في «صحيحه» ٢٢٩/٨ عن عبد الله بن الزبير: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ» قال: ما أنزل الله [أي هذه الآية] إلا في أخلاق الناس. وروى البخاري أيضاً ٢٢٩/٨ أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من الثغر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: ساستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: يني يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ ﴿١٩٩﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.

(٢) «الطبري» ٣٢٨/١٣.

(٣) وقال «الطبري» ٣٢٩/١٣: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنا: خذ العفو من أخلاق الناس وارك الخالطة عليهم، وقال: أمر بذلك النبي ﷺ في المشركين.

(٤) «الطبري» ٢٣٣/١٣، وابن كثير: ٢٧٨/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٤/٣ عن ابن جرير الطبري: وابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

أَلَا يَا لَقَظْمٍ لَطِيفِ الْخَيَالِ أَرَّقَ مِنْ نَازِحِ ذِي دَلَالٍ<sup>(١)</sup>

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة والخطرة، حكى عن أبي عمرو. وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللمة من الشيطان، والطيف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف؛ والطيف عند أهل اللغة: اللثم من الشيطان؛ وزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تذكروا الله إذا هموا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد. والثاني: تفكروا فيما أوضح الله لهم من الحجة، قاله الزجاج. والثالث: تذكروا غضب الله؛ والمعنى: إذا جرأهم الشيطان على ما لا يحل، تذكروا غضب الله، فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكير.

﴿وَلِيُخَوِّثَهُمْ بِمَذُوبِهِمْ فِي آلَتِي ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيُخَوِّثَهُمْ﴾ في هذه الهاء والميم قولان: أحدهما: أنها عائدة على المشركين؛ فتكون هذه الآية مقدمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين ﴿بِمَذُوبِهِمْ فِي آلَتِي﴾ قرأ نافع: «يمدونهم» بضم الياء وكسر الميم. والباقون: بفتح الياء وضم الميم. قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحَمَّدُ وَيُسْتَحَبُّ: أمدت، على أفعلت، كقوله: ﴿أَيُّدُونِي بِسَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] ﴿أَنَّمَا يُدِثُّهُمُ مِنْ مَالٍ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مدت؛ كقوله: ﴿وَسَلَّطْنَا فِي طُفَيْنِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؛ فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء، إلا أن وجه قراءة نافع بمنزلة ﴿فَقَبَّرْتَهُمْ بِسَدَابِ آلِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٤]. قال المفسرون: ﴿بِمَذُوبِهِمْ فِي آلَتِي﴾ أي: يزيئونهم لهم، ويريدون منهم لزومه؛ فيكون معنى الكلام: إن الذين اتَّقُوا إذا جرَّهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين، يمدونهم في الغي، هذا قول الأكثرين من العلماء. وقال بعضهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم لقوله: «من الشيطان»؛ فالمعنى: وإخوان الشياطين يمدونهم. والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين؛ فالمعنى: وإخوان المتقين من المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة منهم ابن الأنباري. فإن قيل: كيف قال: «وإخوانهم» وليسوا على دينهم؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب، أو في كونهم من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان؛ وإن قلنا: إنهم الشياطين، فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ وقرأ الزهري، وابن أبي عبيدة: «لا يقصرون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: أقصر يقصر، وقصر يقصر. قال ابن عباس: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تقصر عنهم؛ فعلى هذا يكون قوله: «يقصرون» من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور؛ ويخرج على القول الثاني أن يكون هذا وصفاً للإخوان فقط.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُخَوِّئُ لَكَ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ يعني به المشركين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتاً. قاله ابن السائب. والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان: أحدهما: هلأ افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين، وحكى عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك. والثاني: هلأ طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُخَوِّئُ لَكَ مِنْ رَبِّي﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، واحداً منها: بصيرة. وقال الزجاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه.

(١) البيت لأمية بن عائذ في شرح «أشعار الهذليين» ٤٩٤/٢، قال السكري: الطيف: ما جاء في المنام، يقول: هذا الخيال جاء من امرأة نازحة ذات دلال، والدلال: الشكل والهيئة الحسنة، والنازح: البعيد، والأرق: أن يغمض عينه مرة ويفتحها أخرى، ويروي: «يؤرق» أي: يسهر فيه.



﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٤)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية (١)، قاله ابن عباس. والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي ﷺ شيئاً، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما قرُضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والخاص: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد، وعمر بن دينار في آخرين (٢).

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُؤًى الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ في هذا الذكر أربعة أقوال: أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار. والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرّاً في نفسه، قاله قتادة. والثالث: أنه يُحَرِّمُ الله باللسان. والرابع: أنه ذكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان: أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد. والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين.

قوله تعالى: ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ التضرع: الخشوع في تواضع؛ والخيفة: الحذر من عقابه.

قوله تعالى: ﴿وَدُؤًى الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الجهر: الإعلان بالشيء؛ ورجل جهر الصوت: إذا كان صوته عالياً. وفي هذا نص على أنه الذكر باللسان؛ ويحتمل وجهين: أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء، وكلاهما مندوب إلى إخفائه (٣)، إلا أن صلاة الجهر قد بُيِّنَ أدبها في قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُكَ يَهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. فأما الغدو فهو جمع غُدوة؛ والآصال جمع أَصْل، والأصل جمع أَصِيل؛ فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشيات. وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب؛ وأنشد:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَأَقْعُدُ فِي أَنْبَاءِهِ بِالْأَصَائِلِ (٤)

وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدو: صلاة الفجر؛ والآصال: صلاة العصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبرون ويتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وفي هذه العبادة قولان: أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها. وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُونَهُ﴾ قولان: أحدهما: يثنيونه عن السوء. والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلّون. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأناً منكم، لا يتكبرون عن عبادة الله. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله، أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فمضيت فلي النار» (٥).



(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٥٥/٣ عن ابن مردويه عن رواية ابن عباس.

(٢) قال «الطبري» ٣٥٢/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأم به يسمعه، وفي الخطبة.

(٣) روى البخاري ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غافياً، إنكم تدعون سميماً قريباً وهو معكم» واللفظ لسم.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في «ديوان الهذليين» ١/١٤١، ومجاز القرآن ١/٢٣٩، و«الأغاني» ٥٧/٦، و«الخرائز» ٤٧٩/٢، ٥٦٤.

(٥) رواه مسلم ٨٧/١، وابن ماجه ٣٣٤/١ عن أبي هريرة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٥٨/٣ وزاد نسبته للبيهقي.

## سورة الأنفال

وهي مدنية بإجماعهم. وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات، أولها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ عَلَى الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا»، فأما المشيخة، فنبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإننا كنا لكم رداءً؛ فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت سورة (الأنفال)، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفاً يوم بدر، فقال: يا رسول الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله، فقال: «أذهب فاطرحه في القَبَضِ» فرجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله؛ فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة (الأنفال)، فقال: «أذهب فخذ سيفك»<sup>(٣)</sup>. وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطيهم منها شيئاً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي المراد بالأنفال ستة أقوال: أحدها: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. وواحد الأنفال: نَقْلُ، قال ليبد: **إِنْ تَقَوَّى رَبُّنَا خَيْرٌ نَقَلَ** وبإذن الله رئيسي وعجل<sup>(٤)</sup>

والثاني: أنها ما نَقَلَ رسول الله ﷺ القاتل من سلب قتيله. والثالث: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عَبد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء. وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنه الخمس الذي أخذه رسول الله ﷺ من الغنائم، قاله مجاهد. والخامس: أنه أنفال السرايا، قاله علي بن صالح بن حي. وحكي عن الحسن قال: هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش. والسادس: أنها زيادات يُؤثَرُ بها الإمام بعض الجيش لما يراه من المصلحة، ذكره الماوردي. وفي «عن» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال؛ وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن». والثاني: أنها أصل،

(١) «الطبري» ٣٦٨/١٣، ورواه أبو داود في «مسنده» ١٠٢/٣ رقم (٢٧٣٧) مع اختلاف يسير، وكذلك البيهقي ٢٩١/٦ - ٢٩٢، والحاكم ١٣١/٢ - ١٣٢، وقال: صحيح، وأقره الذهبي. وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٤/٢ وزاد نُسبته إلى النسائي، وابن حبان، وابن مردويه. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٣، ونسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن العنبر، وأبي الشيخ.

(٢) «الطبري» ٣٧٦/١٣، ورواه مسلم ٥٣/١٢ - ٥٤ بأطول منه، وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٣/٢، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٩١/٦.

(٣) «المسنَد» ٧٨/٣، و«الطبري» ٣٧٣/١٣، و«الأموال» لأبي عبيد (٣٠٣) وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون لم يدرك سعداً، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في خلال الخبر: قتلت سعيد بن العاص، وقال غيره: العاص بن سعيد. قال أبو عبيد: هذا عندنا هو المحفوظ. وفي «الإصابة» ٣٦/٣: وأخرجه البيهقي من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعيد قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت أنا سعيد بن العاص، قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه، والصواب: العاص بن سعيد بن العاص، فإنه قتل يوم بدر كافراً، أما سعيد بن العاص بن أمية، فإنه مات قبل بدر مشركاً.

(٤) «ديوانه» ١٧٤، و«مجاز القرآن» ٢٤٠/١، و«جمهرة الأشعار» ٧، و«الطبري» ٣٦٦/١٣، و«غريب القرآن» ١٧٧، و«اللسان»: نقل. وقوله: خير نفل، هذه رواية الأصمعي، وروى أبو عبيدة: خير النفل، قال أبو الحسن: النفل: الفضل والعطية. والريث: مصدر رثت أريث: إذا أبطأت.

والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين. وذكر أنهم إنما سألوا عن حكمها لأنها كانت حراماً على الأمم قبلهم.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حراماً في شرائع الأنبياء المتقدمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال آخرون: المراد بالأنفال شيان: أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه، يستخرج به نصحبهم، ويحرضهم على القتال. والثاني: ما يفضل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فغنمنا إبلاً، فأصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيراً، ونقلنا بعيراً بعيراً؛ فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقٍ إلى وقتنا هذا.

### فصل

ويجوز التَّغْلُّ قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فهو له، وبه قال الجمهور. فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان. وهل يستحق القاتل سلب المقتول إذا لم يشترط له الإمام؟ فيه قولان: أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي. والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك؛ وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤْتُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَذِكْرَ رَسُولِهِ﴾ يحكمان فيها ما أرادا، ﴿فَأَتَوْهُمُ اللَّهُ بِتَرْكِ مَخَالِفَتِهِ﴾ وأصلحوا ذات بينكم. قال الزجاج: معنى «ذات بينكم» حقيقة وصلحكم. والبين: الوصل؛ كقوله: ﴿لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ثم في المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن يردَّ القوي على الضعيف، قاله عطاء. والثاني: ترك المنازعة تسليماً لله ورسوله. قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إذا ذكرت عظمته وقدرته وما خوف به من عصاه، فزعت قلوبهم، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَ  
عَلَىٰ أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ<sup>(١)</sup>  
يقال: وجَل يُوْجَل ويَجَل ويَجَل ويَجَل، هذه أربع لغات حكاها سيوريه. وأجودها: يُوْجَل. وقال السدي: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله فيترع عنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ أي: آيات القرآن. وفي قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تصديقاً، قاله ابن عباس. والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به فزادوا إيماناً بزيادة الآيات. والثاني: يقيناً، قاله الضحاك. والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس. وقد ذكرنا معنى التوكل في [آل عمران: ١٢٢].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني الزكاة.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «حقاً» منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة «أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ»، فالمعنى: أحق ذلك حقاً. قال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شك في إيمانهم كشك المنافقين. قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم، والرزق الكريم: ما أعد لهم فيها.

(١) البيت لمعن بن أوس في «مجاز القرآن» ١/٢٤٠، و«الاقتضاب» ٤٦٣، و«شرح حاشية أبي تمام» للمروزي ٣/١١٢٦، و«الحماسة البصرية» ١٤١، و«الغزاة» ٣/٥٠٥.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاهُونَ ۝٤٠ يَجْعَلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَدْمًا بَيْنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في متعلق هذه الكاف خمسة أقوال: أحدها: أنها متعلقة بالأنفال. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن تأويله: امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون، قاله الفراء. والثاني: أن الأنفال لله والرسول ﷺ بالحق الواجب، كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك، قاله الزجاج. والثالث: أن المعنى: يسألك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك في خروجك، حكاه جماعة من المفسرين. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا﴾، والمعنى: إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمداً خيراً لكم وإن كرهه بعضكم، هذا قول عكرمة. والثالث: أنها متعلقة بقوله: ﴿يَجْعَلُونَكَ﴾، فالمعنى: مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون، قاله الكسائي. والرابع: أنها متعلقة بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بينك بالحق، ذكره بعض ناقلي التفسير. والخامس: أن «كما» في موضع قسم، معناها: والذي أخرجك من بيتك، قاله أبو عبيدة، واحتج بأن «ما» في موضع «الذي» ومنه قوله: ﴿وَمَا عَلَّمَكَ الذِّكْرَ وَالْأَنْثَى ۝٤١﴾ [الببل: ٣] قال ابن الأنباري: وفي هذا القول بُغْد، لأن الكاف ليست من حروف الإقسام. وفي هذا الخروج قولان: أحدهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال. والثاني: أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة. وفي معنى قوله: «بالحق» قولان: أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق. والثاني: أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك. وفي قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاهُونَ﴾ قولان: أحدهما: كارهون خروجك. والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهة لأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ يعني في القتال يوم بدر، لأنهم خرجوا بغير عُدَّة، فقالوا: هلاً أخبرتنا بالقتال لناخذ العُدَّة، فجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال. وفي قوله: ﴿يَعِدُّ مَا يَبَيِّنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تبين لهم فرضه. والثاني: تبين لهم صوابه. والثالث: تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرْتَ به. وفي «المجادلين» قولان: أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ أي: في لقاء العدو «وَهُمْ يَنْظُرُونَ»، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظراً إليه، وعالمًا به. وعلى قول ابن زيد: كأنما يساقون إلى الموت حين يُدْعَوْنَ إلى الإسلام لكرهتهم إياه.

﴿وَرَادَّ يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٢﴾ قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريداهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش للمنعم عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَرَادَّ يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ﴾، والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين. والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لحربنا ركايبكم، فقد أحرزناها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَوَدُّوا أَنْ عَرَّ ذَاتِ الشُّوْكَ﴾ أي: ذات السلاح. يقال: فلان شاكي السلاح؛ بالتخفيف، وشاك في السلاح؛ بالتشديد، وشاك. قال أبو عبيدة: ومجاز الشوك الحد؛ يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم. وقال الأخفش: إنما أنت ذات الشوك؛ لأنه يعني الطائفة.

قوله تعالى: ﴿وَرَادَّ يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٢﴾ قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريداهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش للمنعم عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَرَادَّ يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ﴾، والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين. والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لحربنا ركايبكم، فقد أحرزناها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَوَدُّوا أَنْ عَرَّ ذَاتِ الشُّوْكَ﴾ أي: ذات السلاح. يقال: فلان شاكي السلاح؛ بالتخفيف، وشاك في السلاح؛ بالتشديد، وشاك. قال أبو عبيدة: ومجاز الشوك الحد؛ يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم. وقال الأخفش: إنما أنت ذات الشوك؛ لأنه يعني الطائفة.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُخَيِّقُ ما أنزل إليك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهِ﴾ أي: بعبادته التي سبقت من إعزاز الدين، كقوله: ﴿يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجتث أصلهم؛ وقد بيّنّا ذلك في [الأنعام: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق. وفي هذا الحق القولان المتقدمان. فأما الباطل، فهو الشرك؛ والمجرمون هاهنا: المشركون.

﴿إِذَا تَسْتَفِيشُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَتَى مُدْكُمُ الْإِلَهِ مِنَ الْمَلَكِكُو مُرْدَفِينِ ۖ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلَظْمَةً بِرَبِّهِمْ ۚ وَمَا الْقَسْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَسْتَفِيشُونَ رَبَّكُمْ﴾ سبب نزولها ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وثيف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مَدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إني أنهلك هذه العصابة لا تُعَبِّدُ في الأرض أبداً» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كذاك<sup>(١)</sup> مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك؛ وأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذَا﴾ قال ابن جرير: هي من صلة «بيطل». وفي قوله: ﴿تَسْتَفِيشُونَ﴾ قولان: أحدهما: تستنصرون. والثاني: تستجيرون. والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص. وفي المستغيثين قولان: أحدهما: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسلمون، قاله الزهري. والثاني: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله السدي. فأما الإمداد فقد سبق في [آل عمران: ١٢٤]. وقوله: ﴿بِأَنِّي﴾ قرأ الضحاك، وأبو رجا: «بِأَلَفٍ» بهمزة ممدودة وبألف على الجمع. وقرأ أبو العالية. وأبو المتوكل: «بِأَلُوفٍ» برفع الهمزة واللام ويواو بعدها على الجمع. وقرأ ابن حنّلم<sup>(٣)</sup>، والجحدري: «بِأَلُفٍ» بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف، وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِإِلْفٍ» بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف. فأما قوله: ﴿مُرْدَفِينِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مُرْدَفِينِ» بكسر الدال. قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء: هم المتتابعون. وقال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيدا دابتي؛ فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية. والثاني: أن يكونوا جاؤوا بعدهم؛ تقول العرب: بنو فلان مردوفونا، أي: هم يجيئون بعدنا. قال أبو عبيدة: مردفين جاؤوا بعد. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مُرْدَفِينِ» بفتح الدال. قال الفراء: أراد: فَعَلَ ذلك بهم، أي: إن الله أردف المسلمين بهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: «مُرْدَفِينِ» بفتح الراء والدال مع التشديد. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مُرْدَفِينِ» برفع الراء وكسر الدال. وقال الزجاج: يقال: ردت الرجل: إذا ركبته خلفه، وأردفته: إذا أركبته خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرَادِفُ، ولا يقال: لا تُرْدِفُ. ويقال: ردت الرجل: إذا جثت بعده. فمعنى «مردفين» يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرْدَفِينِ ومُرْدَفِينِ ومُرْدَفِينِ، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر. قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرْدَفِينِ لأنك طرحت حركة التاء على الراء؛ وإن شئت لم تطرح حركة التاء، وسكرت الراء لالتقاء الساكنين. والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضممة الميم. وقد سبق في [آل عمران: ١٢٦] تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وكان مجاهد يقول: ما أمد الله النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذه الألف التي ذكرت في [الأفعال: ١٠]، وما ذكر الثلاثة والخمسة إلا بشري، ولم يُعَدِّوا بها؛ والجمهور على خلافه، وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في [آل عمران: ١٢٦].

(١) هكذا وقع لجماهير رواة مسلم «كذاك»، ولبعضهم: «كفاك» وكل بمعنى. وفي الطبري، و«مسند أحمد»، وتفسير ابن كثير: «كفاك».

(٢) «الطبري» ٤٠٩/١٣، ورواه مسلم ١٣٨٤/٣ مطولاً، وأحمد في «المسند» رقم ٢٠٨ و ٢٢١.

(٣) هو تميم بن حنّلم الضبي أبو سلمة الكوفي.

﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ وَيَرْسُلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ﴾ قال الزجاج: «إذ» موضعها نصب على معنى: وما جعله الله إلا بشري، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إذ يغشاكم النعاس. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إذ يغشاكم» بفتح الباء وجزم الغين وفتح الشين وألف «النعاس» بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يُغْشِيكُم» بضم الباء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، «النعاس» بالنصب. وقرأ نافع: «يُغْشِيكُم» بضم الباء وجزم الغين وكسر الشين، «النعاس» بالنصب. وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَلِيُثَبِّتَ بِهِ قُلُوبَكُمْ﴾ إذ يغشاكم النعاس. قال الزجاج: و «أمنته» منصوب: معفول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ أَمْنًا وأمانًا وأمنته. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالية، وابن يغمر، وابن محيصن: «أمنته منه» بسكون الميم.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْسُلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال ابن عباس: نزل النبي ﷺ يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء، فأصاب المسلمين الظمأ، وجعلوا يصلون محدثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين، فأنزل الله عليهم مطراً، فشرّبوا وتطهروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء. وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيد، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة. وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالَت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذاب الله وغضبه، إذ الرجز: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ الربط: الشد. و «على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم. وفي الذي ربط به قلوبهم وقواها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل. والثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ في هاء «به» فلان: أحدهما: أنها ترجع إلى الماء؛ فإن الأرض كانت رَمَلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: ويثبت بالربط الأقدام، ذكره الزجاج.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالَتْنِي قُلُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَاضِرُوا قُوَّةَ الْأَعْيَانِ وَأَقْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا أَنَّهُ رَسُولُهُ وَمَنْ يُتَاقَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَلَاكُ اللَّهُ شَهِيدُ الْحَقِاقِ ﴿٧٦﴾ ذَلِكَ كُمْ فَعَدُوُّهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ قال الزجاج: «إذ» في موضع نصب، والمعنى: وليربط إذ يوحى. ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إذ يوحى. قال ابن عباس: وهذا الوحي إلهام.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وهم الذين أمد بهم المسلمين. «أَنِّي مَعَكُمْ» بالعون والنصرة. ﴿فَفَتَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن. والثاني: بشرهم بالنصر؛ فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل. والثالث: نبتوهم بأشياء تُلْقُونَهَا في قلوبهم تقوى بها، ذكره الزجاج. والرابع: صححوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد، ذكره الثعلبي. فأما الرعب، فهو الخوف. قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السوائي عن الرعب الذي ألّاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطست فيطش، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿قَاضِرُوا قُوَّةَ الْأَعْيَانِ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلمهم الله تعالى ذلك. والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من

المفسرين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فاضربوا الأعناق، و «فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس. والثاني: اضربوا الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكوة. وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الفراء: علمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: البنان: أطراف الأصابع. قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرجل. والثاني: أنه كل مفصل، قاله عطية، والسدي. والثالث: أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء، والمعنى: أنه أباحهم قتلهم بكل نوع، هذا قول الزجاج. قال واشتقاق البنان من قولهم: أبى بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يُعتمَل كل ما يكون للإقامة والحياة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾ «ذلك» إشارة إلى الضرب، و «شاقوا» بمعنى: جانبوا، فصاروا في شق غير شق المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَذُوقُوا﴾ خطاب للمشركين؛ والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا. وفي فتح «أن» قولان: أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين. والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار. فإذا أقيمت الباء، نصبت. وإن شئت، جعلت «أن» في موضع رفع؛ يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَ الدِّينُ كَفَرُوا حَقًّا فَلَا تُؤْلَعُوا الْأَذْيَارَ ۖ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّرُهُمْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا أَوْ مُتَحَدِّثًا ۚ إِنَّكَ فَتَنَّا قَدَّ بَكَةً يَضْحَكُ مِنْكَ اللَّهُ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمَخِيذُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَ الدِّينُ كَفَرُوا حَقًّا﴾ الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم؛ قاله الليث. والتزاحف: التداني والتقارب، قال الأعشى:

لِمَنِ الْقَلْعَانِ سَيَرُهُنَّ تَزْحَفُ

قال الزجاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتموهم للقتال فلا تدبروا ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ﴾ يوم حربهم ﴿دُبْرَهُ﴾ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة؛ ف «متحرفاً» و «متحيزاً» منصوبان على الحال. ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء؛ فيكون المعنى: إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً. وأصل متحيز؛ مُتَحَيِّزٌ؛ فأدغمت الياء في الواو. قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مرجعه إليها؛ ولا يدل ذلك على التخليد.

## فصل

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هذه خاصة في أهل بدر، وهو مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وابن جبير، وقتادة، والضحاك. وقال آخرون: هي على عمومها في كل منهزم؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. وقال آخرون: هي على عمومها، غير أنها نسخت بقوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَنَّ سَابِرَةً يَلْتَمِزُوا وَمَاتَيْنِ﴾ [الأشغال: ٦٦] فليس للمسلمين أن يفروا من مثلهم، وبه قال عطاء بن أبي رباح. وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: لا يفر رجل من رجلين؛ فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس. وقد نُقل نحو هذا عن ابن عباس. وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفاً، فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثر عددهم. ونقل نحو هذا عن مالك؛ ووجهه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هُزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة»<sup>(١)</sup> إذا صبروا وصدقوا.

﴿قَلَّمَ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ قَلَّلَهُمْ وَمَا رَيْتَ إِذْ رَيْتَ وَلَكِنْ اللَّهُ رَزَىٰ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ﴾ ﴿ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤَنِّ كِيدَ الْكَافِرِينَ ۖ﴾

(١) رواه أبو داود رقم (٢٦١١) عن ابن عباس بلفظ: «لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة» وقال: والصحيح أنه مرسل، ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولم يصححه، لأنه يروى سنناً ومرسلاً ومعضلاً. قال ابن القطان: لكن هذا ليس بعله فالأقرب صحته.



قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وقرأ ابن عامر، وأهل الكوفة إلا عاصماً «ولكن الله قتلهم» ولكن الله رمى بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما. وسبب نزول هذا الكلام أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا، هذا معنى قول مجاهد. فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفاً من حصباء، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة»<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»؛ فما بقي مشرك إلا شغل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وذلك يوم بدر؛ وهذا قول الأكثرين. وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت؛ يقال: شاه وجهه يشوه شوهاً وشوهاً، ويقال: رجل أشوه، وامرأة شوهاء؛ إذا كانا قبيحين. والثاني: أن أبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي ﷺ يريد، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، وطعنه النبي ﷺ بحرته، فسقط أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعته دم، فاتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يقدّم مكة؛ فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه. والثالث: أن رسول الله ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم. والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم. والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم. والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم. وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة. والثاني: وما بلغ رميك كفاً من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك؛ قاله الزجاج. والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَسْلَيْنَ لِّلْمُؤْمِنِينَ مِنۢ بَلَاءٍ حَسَنًا﴾ أي: لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والاجر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنبأتهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ قال الزجاج: موضعه رفع: والمعنى: الأمر ذلکم. وقال غيره: «ذلکم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله. والذي ذكرناه في فتح «أن» في قوله: ﴿وَأَنَّ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو مذكور في فتح «أن» هذه.

قوله تعالى: ﴿مُؤْمِنٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر «مُؤْمِنٌ» بفتح الواو وتشديد الهاء منونة «كيداً» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «موهنٌ» ساكنة الواو، «كيداً» بالنصب. وروى حفص عن عاصم موهنٌ كيداً مضاف. والموهن: المضعف، والكيد: المكر.

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَرُوا فَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدَ وَلَنْ نَقُوْا عَنْكُمْ فَتَقْتُمُ فَيَكَا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> يَأْتِيهَا الْآيَاتُ مَأْتِيًا أَلِيمًا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أصحاب رسول الله ﷺ استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية؛ وهذا المعنى مروى عن أبي بن كعب، وعطاء الخراساني. والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، فقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله السدي. والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه

بالحق؛ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأشغال: ٣٢]، فعذبوا يوم بدر، قاله ابن زيد. فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا» قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: المشركون؛ وهو الأشهر. وفي الاستفتاح قولان: أحدهما: أنه الاستنصار؛ قاله ابن عباس، والزجاج في آخرين. فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَصْرُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ وَإِنْ قُلْنَا: إنهم المشركون؛ احتمل وجهين: أحدهما: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَ النَصْرُ عَلَيْكُمْ. والثاني: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا لِأَحِبِّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ جَاءَ النَصْرُ لِأَحِبِّ الْفَرِيقَيْنِ. والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إِنْ تَسْأَلُوا الْحُكْمَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ الْحُكْمُ؛ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ عَكْرَمَةُ، وَمَجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تَنَادَيْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة. وفي معناه قولان: أحدهما: إِنْ تَتَّبِعُوا عَنْ قِتَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْكَفْرِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. والثاني: إِنْ تَتَّبِعُوا عَنْ اسْتِفْتَا حُكْمٍ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ، لَا لَهُمْ، ذِكْرُهُ الْمَآوِرِي. وفي قوله: ﴿وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدَ﴾ قولان: أحدهما: وَإِنْ تَوَدُّوا إِلَى الْقِتَالِ، نَعْدَ إِلَى هَزِيمَتِكُمْ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. والثاني: وَإِنْ تَوَدُّوا إِلَى الْاسْتِفْتَا، نَعْدَ إِلَى الْفَتْحِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ السَّيِّدِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَنفِي عَنكَ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله» بكسر الالف. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وإن» بفتح الالف. فمن قرأ بكسر «أن» استأنف. قال الفراء: وهو أحب إلي من فتحها. ومن فتحها، أراد: ولأن الله مع المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لَا تَوَلَّوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. والثاني: لَا تَوَلَّوْا عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ﴿وَأَنَّهُمْ سَمِعُوا﴾ ما نزل من القرآن، روي القولان عن ابن عباس.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي، ومقاتل. وفي معنى الكلام قولان: أحدها: أنهم قالوا: سمعنا، ولم يتفكروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزجاج. والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكى عن مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي. والدواب: اسم كل حيوان يذُبُّ؛ وقد بينا في سورة [البقرة: ١٨] معنى الصم والبكم، ولم سَمَاهُمْ بِذَلِكَ.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ولو علم فيهم صدقاً وإسلاماً. والثاني: لو علم فيهم خيراً في سابق القضاء. والثالث: لو علم أنهم يَضْلُحُونَ. والرابع: لو علم أنهم يَضْعَوْنَ. وفي قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه، قاله الزجاج. والثاني: لزرعهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يشهدون بنبوتك، حكاه الماوردي. وفي قوله: ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ قولان: أحدهما: مكذبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وهم معرضون عما أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِهِ مُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ أي: اجيبوا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يعني الرسول ﴿لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أن الذي يحييكم: كل ما يدعو الرسول إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس. وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلق قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «الم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قلت: بلى، ولا أعود إن شاء الله»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الحق، رواه شيبان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال السدي. والرابع: أنه أتباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد. والخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق. وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويعليهم. والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء. فيخرج في إحيائهم خمسة أقوال: أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة. والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياة الأبد في الآخرة. والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة. والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميت. والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداء أحياء، ولأن الجهاد يُعزهم بعد ذلهم، فكأنهم صاروا به أحياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ وفيه عشرة أقوال: أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: يحول بين المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك والفراء. والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: المعنى: يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصلون على ما قدمتم. والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سره، كقوله: ﴿وَعَنْ أَزْوَاجِهِمْ لَا يَدْرِيْنَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦] وهذا معنى قول قتادة. والخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً إلا بإذنه، قاله السدي. والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة. والسابع: يحول بين المرء وبين ما يتمنى بقلبه من طول العمر والنصر وغيره. والثامن: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه. والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضر العبد شيئاً في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تخيبيه عنه. والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري. وحكى الزجاج أنهم لما فكروا في كثرة عدوهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، أعلمهم الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبده بالخوف الأيمن، ويبدل عدوّه بالقوّة الضعف؛ وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلب للقلوب، المتصرف فيها<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ إِتِىَ تَحْتُرَتْ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ لَا تُفْسِدَنَّ أَلْسِنَكُمْ خَاسَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زماناً، وما نرى أننا من أهلها، فإذا نحن المغنيون بها. والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ولم يسمهما. والثالث: أنها عامة، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم، فيعصمهم الله بالعذاب. وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضاً. والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن. وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهن يوم الجمل. وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال: أحدها: القتال.

(١) «البخاري» ١١٩/٨، ٢٣١ دون قوله «قلت: بلى ولا أعود إن شاء الله» وهذه الزيادة إنما وردت عند أحمد في «المستد» ٦٥/١٨ بترتيب الساعاتي، والترمذي ١١١/٢ من حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٤٥/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك». وروى الترمذي ٣٦/٢ عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكتر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقليبها كيف شاء». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والثاني: الضلالة. والثالث: السكوت عن إنكار المنكر. والرابع: الاختيار. والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد. والسادس: البلاء. والسابع: ظهور البدع. فاما قوله: ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء. وإن كان نهياً، كقوله: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْ يُدْخِلُوا عَلَيْكُمْ خَلِيقًا مِثْلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٨] أمرهم، ثم نهاهم؛ وفيه تأويل الجزاء. وقال الأخفش: «لا تصيب» ليس بجواب، وإنما هو نهى بعد نهى؛ ولو كان جواباً ما دخلت النون. وذكر ابن الأنباري فيها قولين: أحدهما: أن الكلام تأويله تأويل الخير، إذ كان المعنى: إن لا يتقوها، تُصِبُّ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والظالمين؛ فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول: لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جواباً للأمر، أو كالجواب له، فأكد له شبه النهي، فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه. والثاني: أنها نهى محض، معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا؛ فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله: «لا يحطمتكم». وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا. والثاني: لا يصيبن عقاب الفتنة. فإن قيل: فما ذنب من لم يظلم؟ فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة<sup>(١)</sup>. وقد قرأ علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب: «لتصيبن الذين ظلموا» بغير ألف.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ أَتَاسٌ فَتَوَكَّكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِعُونَ وَوَدَّكُمْ مِنَ الْطَّاغِيتِ مَلَكٌكُمْ فَتُكْرَهُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عدوتهم قليلة، وهم مهجرون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون. وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدرًا، والمسلمون قليلون يومئذ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثر. والثاني: جعل لكم ماوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِعُونَ﴾ قولان: أحدهما: قواكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور. والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَوَدَّكُمْ مِنَ الْطَّاغِيتِ﴾ قولان: أحدهما: أنها الغنائم التي أحلها لهم، قاله السدي. والثاني: أنها الخيرات التي مكنتهم منها، ذكره الماوردي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّضُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر؛ وذاك أن النبي ﷺ لما حاصر قريظة سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعث إليهم، فقالوا: ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح فلا تفعلوا، فطاعوه، فكانت تلك خيانتة؛ قال أبو لبابة: فما زالت قدمائي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، والأكثرين. وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أدنو ق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء فحلّه بيده، فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال

(١) روى البخاري ٩٤/٥ - ٢١٦ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقروا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

رسول الله ﷺ: «يجزئك الثلث»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أخرجوا إليه واكتموا»، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمداً يريدكم، فخذوا حذرکم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبه. والرابع: أن قوماً كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. وفي خيانة اللؤي قولان: أحدهما: ترك فرائضه. والثاني: معصية رسوله. وفي خيانة الرسول قولان: أحدهما: مخالفته في السر بعد طاعته في الظاهر. والثاني: ترك سنته. وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفرائض، قاله ابن عباس. وفي خيانتها قولان: أحدهما: تنقيصها. والثاني: تركها. والثاني: أنها الدين، قاله ابن زيد؛ فيكون المعنى: لا تُظهروا الإيمان وتُبطنوا الكفر. والثالث: أنها عامة في خيانة كل مؤتمن، ويؤكد نزولها في ما جرى لأبي لبابة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ فَتَنَةً وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنَفُّوا اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ قُرْآنًا وَيَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ فَتَنَةً﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة. فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿إِن تَنَفُّوا اللَّهَ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلَ لَكُمْ قُرْآنًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وابن قتيبة، والمعنى: يجعل لكم مخرجاً في الدين من الضلال. والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي. والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء. والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

﴿وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَنْكُرُونَ وَيَكْفُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمُنْكَرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتَ قِيلٌ﴾ فالمعنى: أذكر المؤمنين ما من الله به عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

### الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لما بوع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكانكم به قد كُر عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشrafهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وثاق، وتربصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يشب أصحابه فأخذه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم. فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربوه به ضربة رجل واحد، فيفرق دمه في القبائل، فما أظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. ففترقوا

(١) خبر أبي لبابة أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ١٣٤، وأخرج بعضه الطبري ٤٨١/١٣، وابن هشام ٢٣٦/٢.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» بعد أن أورد عن ابن جرير: هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٤٨٣/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيائته وخيانة رسوله وخيائنه أمانته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. وقال ابن كثير ٣٠١/٢: والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

عن ذلك. وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله ﷺ، أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لئلا أصبحوا، فأروا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقصروا أثره حتى بلغوا الجبل، فعمروا بالغار، فأروا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت<sup>(١)</sup>. فأما قوله: ﴿لِيُثْبِتُكَ﴾ فقال ابن قتيبة: معناه: ليحبسوك. يقال: فلان مثبت وجعاً: إذا لم يقدر على الحركة. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين. وكان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيت ويشدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب، وقد سبق بيان المكر في (آل عمران: ٥٤).

﴿وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا هَذَ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة، وأنه لما سمع رسول الله ﷺ يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا. وفي قوله: ﴿هَذَ سَمِعْنَا﴾ قولان: أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك. والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله، وكان النضر يختلف إلى فارس تاجراً، فيسمع العبّاد يقرؤون الإنجيل. وقد بين التحديّ كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾. وقد سبق معنى الأساطير في (الأنعام: ٢٥).

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِندِكَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النضر أيضاً، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القاتل لهذا؛ قاله أنس بن مالك، وهو مخرج في «الصحاحين»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا، ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَّةٌ مُّعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. وفي المشار إليه بقوله: ﴿إِن كَانَتْ هَذَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَّةٌ مُّعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَّةٌ مُّعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَّةٌ مُّعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أهل مكة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. قال ابن عباس: لم تُعَذَّبْ قرية حتى يخرج نبيها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان الله ليعذبهم وأنت حي؛ قاله أبو سليمان. والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به من قبلهم وأنت حي؛ ذكره أبو سليمان الدمشقي.

### فصل

قال الحسن، وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأفعال: ٣٤]، وفيه بُعد، لأن النسخ لا يدخل على الأخبار. وقال ابن أبزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَّةٌ مُّعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فخرج

(١) «سيرة ابن هشام» ١/ ٤٨٠ - ٤٨٣ قال فيه ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره ممن لا أنهم عن عبد الله بن عباس. ورواه أحمد في «مسنده» رقم (٣٢٥١) مختصراً، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وذكره الهيثمي في «المجموع» ٢٧/ ٧ مختصراً أيضاً وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وفيه رجال الصحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٩ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والخطيب، وهو في «الطبري» ١٣/ ٤٩٤ و ٤٩٧ مختصراً.

(٢) «البخاري» ٨/ ٢٣٢، و«مسلم» ٤/ ٢١٥٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٠ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك.

إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، كلام مبتدأ من إخبار الله ﷻ. وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال: أحدها: وما كان الله معذب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزجاج. والثاني: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبتون ويقولون: غفرانك؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول. والثالث: وما كان الله معذبهم، يعني المشركين، وهم - يعني المؤمنين الذين بينهم - يستغفرون؛ روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك، وأبو مالك. قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلاً، وأخذ أهل البصرة فلاناً، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد. والرابع: وما كان الله معذبهم وفي أصلاهم من يستغفر الله، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم؛ فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه؛ فوصفهم بصفة ذراريهم، وغلبوا عليهم كما غلب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله. والخامس: أن المعنى: لو استغفروا لما عذبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب؛ وهذا كما تقول العرب: ما كنت لأهيك وأنت تكرمي؛ يريدون: ما كنت لأهيك لو أكرمتي؛ فاما إذ لست تكرمي، فإنك مستحق لإهانتني، وإلى هذا القول ذهب قتادة والسدي. قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين. وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الاستغفار المعروف؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى الصلاة؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه بمعنى الإسلام، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنَّا أُولَآئِهُ إِذَا لَمُتُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأولى نفت ذلك. وهل المراد بهذا: العذاب الأول، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين: أحدهما: كون النبي ﷺ فيهم. والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم؛ فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقيين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة. والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن العذاب الثاني قُتل بعضهم يوم بدر، والأول استئصال الكل؛ فلم يقع الأول لما قد علم من إيمان بعضهم، وإسلام بعض ذراريهم، ووقع الثاني. والثاني: أن العذاب الأول عذاب الدنيا. والثاني: عذاب الآخرة؛ قاله ابن عباس. فيكون المعنى: وما كان الله معذب المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: وهم يصدون ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أوليائه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أُولَآئِهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد»، وهو قول الجمهور. قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بهذا. والثاني: أنها تعود إلى الله ﷻ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أُولَآئِهِ﴾ أي: ما أوليائه ﴿إِلَّا الْمُنْفِقُونَ﴾ للشرك والمعاصي، ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى بيت الله.

(١) «الطبري» ٥٠٩/١٣، ٥١٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١٨١/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.



﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢٥)

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر. فأما المكاء، ففيه قولان: أحدهما: أنه الصفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة. قال ابن فارس: يقال: مكأ الطائر [يمكو] مكاءً: إذا صفّر، ويقال: مكبث يده [تمكى] مكى، مقصور، أي: غلظت وخشنت، ويقال: تمكى: إذا توضأ. وأشدوا:

[إِنَّكَ وَالْجَوْرَ عَلَى سَبِيلٍ] كَالْمُتَمَكِّي بِدَمِ الْقَتِيلِ<sup>(١)</sup>

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفيّو، وجعل يصفّر فيهما. والثاني: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به، وبالتصديّة على محمد ﷺ صلاته، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء إدخال الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير. وفي التصديّة قولان: أحدهما: أنها التصفيق، قاله [ابن] عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: صدّى: إذا صفّق يديه. قال الراجز:

صَدَّتْ بِحَدِّ وَجَلَّتْ عَنْ حَدِّ وَأَنَا مِنْ غَرَوِ الْهَوَى أَصْدِي<sup>(٢)</sup>

الغرو: العجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب. والثاني: أن التصديّة: صدّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير. وقال ابن زيد: هو صدّهم عن سبيل الله ودينه. وزعم مقاتل أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفرون، ورجلان عن يساره فيصفقان، فيتخلط على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله بيدر، فذلك قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بتوحيد الله. فإن قيل: كيف سمي المكاء والتصديّة صلاة؟ فنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صلّتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلّة، قال الشاعر:

قُلْتُ لَهُ أَظْهَمَنِي عَمِيمٌ تَمَرًا فَكَانَ تَمَرِي كَهَرَّةٍ وَزَبْرًا

أي: أقام الصباح عليّ مقام التمر. والثاني: أن من كان المكاء والتصديّة صلاته، فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: من السخاء عيبه، فلا عيب له، قال الشاعر:

فَتَى كَمُلْتُ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا<sup>(٣)</sup>

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْرَجُونَ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المطعميين ببدر، وكانوا اثني عشر رجلاً يطعمون الناس الطعام، كل رجل يطعم يوماً، وهم: عتبة، وشيبة، ومُنَبِّه وُنَبِيّه ابنا الحجاج، وأبو البختري<sup>(٤)</sup>، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأخوه الحارث، وحكيم بن حزام، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ سوى من استجاش من

(١) البيت في «اللسان» مكأ، ونسبه إلى عترة الطائي، وعترة هذا: هو عترة بن عُكْبَرَة الطائي، وعكبرة أم أمه، وبها يعرف، وهو عترة بن الأخرس بن ثعلبة بن صبيح بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود، شاعر محسن وفارس. «المؤتلف والمختلف» ٢٢٥.

(٢) «غريب القرآن» لابن قتيبة ١٧٩. وانظر «ديوان بشار» ٢٢٢/٢ - ٢٢٣.

(٣) البيت للناطقة الجعدي، «ديوانه» ١٧٣ طبع المكتب الإسلامي، و«الحمامة» ٩٦٩/٢، و«الخزانة» ١٢/٢، و«شرح شواهد المغني» ٢٠٩.

(٤) هو سعيد بن فيروز الطائي.

العرب، قاله سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحُد. والثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك. فأما سبيل الله، فهو دين الله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة نفقتهم ندامة، لأنهم لم يظفروا.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَجْعَلُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَيْرُورُ﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «ليميز» خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي «ليميز» بالتشديد وهما لغتان: مِزَتْهُ وَمِيزَتْهُ. وفي لام «ليميز» قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: «فَيَسْتَفِقُونَهَا» قاله ابن الأنباري. والثاني: أنها متعلقة بقوله: «إِلَى جَهَنَّمَ يَحْشَرُونَ»، قاله ابن جرير الطبري. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال السدي، ومقاتل: يميز المؤمن من الكافر. والثاني: ليميز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾. قال الزجاج: الركم؛ أن يُجْعَلَ بعض الشيء على بعض، يقال: ركمت الشيء أركمه ركاماً؛ والركام؛ الاسم؛ فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض؛ ومن قال: أموالهم، فله في ذلك قولان: أحدهما: أنها أُلْقِيَتْ في النار ليعذب بها أربابها، كما قال تعالى: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جِجَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]. والثاني: أنهم لما عظموا في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار، ليرى من عبدهما ذُلُّهما.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في أبي سفيان وأصحابه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة، يُغْفَرْ لَهُمْ ما قد سلف من حربهم، فلا يُؤَاخَذُونَ به؛ وإن يعودوا إلى المحاربة، فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أولياءه؛ وقيل: في قتل من قُتِل يوم بدر وأسر. والثاني: إن ينتهوا عن الكفر، يُغْفَرْ لَهُمْ ما قد سلف من الإثم؛ وإن يعودوا إليه، فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة حين أخذوا بالعذاب المستأصل. قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ كَلَّمَهُ اللَّهُ فَإِنِ اتَّخَذُوا اللَّهُ بِمَا يَمْلِكُونَ بَصِيرَةً﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك. وقال الزجاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر؛ ويدل عليه قوله: ﴿وَيَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ كَلَّمَهُ اللَّهُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذُوا﴾ أي: عن الكفر والقتال، ﴿فَاتَّخَذُوا اللَّهُ بِمَا يَمْلِكُونَ بَصِيرَةً﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً: «بما تعملون» بالباء.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْنَمُ الْمَوْتُ وَيَغْنَمُ النَّصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم. قال ابن قتيبة: ﴿يَغْنَمُ الْمَوْتُ﴾ أي: نعم الولي ﴿وَيَغْنَمُ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر، مثل قدير وقادر، وسميع وسامع.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللِّسَى وَالسَّكِينِ وَآلِ النَّبِيِّينَ إِن كُنْتُمْ أَمِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) الطبري ١٣/٥٣٠.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١/١١١ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قلنا: يا رسول الله، أنواخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والأخر».

وروى مسلم أيضاً في «صحيحه» ١/١١٢ من حديث عمرو بن العاص ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله».

قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَمُوا أَمَّا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾ اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما يختلفان. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن الغنيمة: ما ظهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب. والثاني: أن الغنيمة: ما أخذ عنوةً، والفيء: ما أخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري. وقيل: بل الفيء: ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كالعشور، والجزية، وأموال المهادنة، والصلح، وما هربوا عنه. والثاني: أنهما واحد، وهما: كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف؛ فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سماه الله تعالى: أنفالاً وغنائم؛ وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يأخذ في الحرب، فقد سماه: فيئاً؛ وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة. وأما قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء. قال مجاهد: المَخِيطُ من الشيء.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ وروى عبد الوارث: «حُفْمُهُ» بسكون الميم. وفي المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن نصيب الله مستحق يُصرف إلى بيته. قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس، ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة؛ وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال. والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين: أحدهما: لأنه المتحكم فيه، والمالك له، والمعنى: فأن للرسول خمسة ولذي القربى، كقوله: ﴿يَتَنَزَّلُكَ عَنِ الْآفَاقِ قُلُ الْآفَاقِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]. والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور. فعلى هذا، تكون الواو زائدة، كقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ وَلَمْ نَكُنْ لَّيْجِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣] المعنى: ناديتنا، ومثله كثير.

## فصل

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة؛ فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية. وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم. والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور. والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم. فسهم الله ﷻ وسهم رسوله عائد على ذوي القربى، لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئاً، وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

## فصل

فأما سهم الرسول ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيئاً. وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين. وفيما يُصنع به قولان: أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة. والثاني: أنه يُصرف في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفئ، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة. وأما ذوو القربى، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع قريش. قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم؛ فأبى علينا قوماً، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى. والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي. والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة. وبماذا يستحقون؟ فيه قولان: أحدهما: بالقرابة، وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: بالفقر، لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة. وقد سبق في [البقرة: ١٧٧] معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل. وينبغي أن تعتبر في اليتيم أربعة أوصاف: موت الأب، وإن كانت الأم باقية. والصَّغَرُ، لقوله ﷻ: ﴿لَا يَتَمَّ بِعَدِّ حُلُمٍ﴾<sup>(١)</sup>. والإسلام، لأنه مال للمسلمين. والحاجة، لأنه مُعَدُّ للمصالح.

(١) رواه أبو داود ١٥٦/٣ من حديث علي بن أبي طالب بلفظ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمت يوم إلى الليل» قال المنذري: في إسناده يحيى بن محمد المدني الجاري، قال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن حبان: يجب التكتب عما انفرد به من الروايات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَأْنَا عَلَىٰ عَدِيْنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين. والذي أنزل عليه يومئذ قوله: ﴿يَتَّبِعُونَكَ عَلَى الْأَفْئَالِ﴾ [الأفان: ٤١] نزلت حين اختلفوا فيها، فالمعنى: إن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول في هذا أيضاً.

﴿إِذْ أَنتُمْ بِالْمُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَّةِ الْآخِرَةِ وَالرَّكِبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَعْبُدِ وَلَكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢)

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ بِالْمُدَّةِ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بالعدوة» و «العدوة» العين فيهما مكسورة. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بضم العين فيهما. قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر. وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين. قال ابن السكيت: عُدوة الوادي وعدوته: جانبه؛ والجمع: عُدى وعُدَى. والدنيا: تأنيث الأدنى؛ وضدها: القصوى، وهي تأنيث الأقصى؛ وما كان من النعوت على «فعلَى» من ذوات الواو، فإن العرب تحوّلته إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت؛ والعليا، من: علوت؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول، وليس في هذا اختلاف، إلا أن أهل الحجاز قالوا: القصوى، فأظهروا الواو، وهو نادر؛ وغيرهم يقول: القصيا. قال المفسرون: إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة، وعدوكم بشفيره الأقصى من مكة، وكان الجمعان قد نزلا وادي بدر على هذه الصفة، والركب: أبو سفيان وأصحابه. قال الزجاج: من نصب «أسفل» أراد: والركب مكاناً أسفل منكم، ويجوز الرفع على معنى: والركب أشد تسفلاً منكم. قال قتادة: وكان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله. وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَعْبُدِ﴾ قولان: أحدهما: لو تواعدتم، ثم بلغكم كثرتهم، لتأخرتم عن الميعاد، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو تواعدتم على الاجتماع في المكان الذي اجتمعتم فيه من عدوتي وادي بدر لاختلفتم في الميعاد، قاله أبو سليمان. وقال الماوردي: كانت تقع الزيادة والنقصان، أو التقدم والتأخر من غير قصد لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾ وهو إعزاز الإسلام، وإذلال الشرك.

قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وروى خلف عن يحيى: «لِيَهْلِكَ» بضم الياء وفتح اللام.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «من حي» بياء واحدة مشدد، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير. وروى شبل عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «حيي» بيايين، الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع. فمن قرأ بيايين، بيّن ولم يُدغم. ومن أدغم ياء «حيي» فلا اجتماع حرفين من جنس واحد. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ليقتل من قُتل من المشركين عن حُجة، ويبقى من بقي منهم عن حُجة. والثاني: ليكفر من كفر بعد حُجة، ويؤمن من آمن عن حُجة.

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا لَمْ يَلْمِزُوا لَمْ يَلْمِزُوا فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ السُّدُورِ﴾ (٤٣)

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكَ قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلاً، كان ذلك تبييناً لهم. قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليهم بما يضمنونه، إذ حدثهم بما رأيت في منامك. والثاني: إذ يريكم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب. ومعناه عندهم: إذ يريكم الله في موضع منامك، أي: بعينك؛ ثم حذف الموضع، وأقام المنام مقامه.

= وقد حسنه النووي في «الأذكار» و«الرياض». وقال المناوي: وفي رواية للبخاري «بعد حلم» كما هي رواية المصنف هنا. وفي «المقاصد الحسنة» للسخاوي: رواه أبو داود عن علي في حديث، وقد أعله غير واحد، وحسنه النووي متمسكاً بسكوت أبي داود عليه، لا سيما وهو عند الطبراني في «الصغير» من وجه آخر عن علي، بل له شواهد عن جابر، وأنس وغيرهما.

(١) قال ابن كثير: ٣١٥/٢. وهذا القول غريب.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَلَيْتَنَّ﴾ أي: لاجتنبتم وتأخرتم عن حربهم. وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولراوا ذلك في وجهك.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَنَزَّعْتَنَّهُ فِي الْآثَرِ﴾ أي: لاختلقتهم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم، ﴿وَلَتَكُنَّ اللَّهُ سَلَمٌ﴾ من المخالفة والفشل.

﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ لِيَكُونَ الْقَيْمُ فِي أَصْحَابِكُمْ فَلِيَا يُغَالِظَكُمْ فِي أَصْحَابِهِمْ يَقْنِصُ اللَّهُ آمُرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ لِيَكُونَ الْقَيْمُ فِي أَصْحَابِكُمْ فَلِيَا﴾ قال مقاتل: صدق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة عدوهم قبل لقائهم، بأن قللهم وقت اللقاء في أعينهم. وقال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جاني: أئراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة؛ حتى أخذنا رجلاً منهم، فسالناه، فقال: كئنا ألفاً. قال أبو صالح عن ابن عباس: استقل المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض. فإن قيل: ما فائدة تكرير الروية هاهنا، وقد ذكرت في قوله: ﴿إِذْ يُرِيدُكُمْ اللَّهُ؟﴾ فنه جوابان: أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة. والثاني: أن الأولى للنبي ﷺ خاصة، والثانية له ولأصحابه. فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم. فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال، والقتال سبب النصر، فقللهم لذلك. والثاني: أنه قللهم لئلا يتأهب المشركون كل التأهب؛ فإذا تحقق القتال، وجددهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم. والثالث: أنه قللهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية للمشركين ومنبهاً على نصرة الحق.

﴿يَتَأْتِيهَا الْوَيْلُ مَأْتِيًا إِذَا لَيْسَتْ فِيكَ فَائِزَتَا وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَمَلَكُمْ نَزْلُوحَاتٌ﴾<sup>(٢)</sup> وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَتْ فِيكَ فَائِزَتَا﴾ الفنة: الجماعة. ﴿وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الدعاء والنصر. والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وروى أبان: «ويذهب» بالياء والجزم. وفيه أربعة أقوال: أحدها: تذهب شدتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال السدي: حدثكم وجدكم. وقال الزجاج: صولتكم وقوتكم. والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: تنقطع دولتكم، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال هبَّتْ له ريح النصر: إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم، أي: الدولة. والرابع: أنها ريح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فنضرب وجوه العدو؛ ومنه قوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأهلكث عاذ بالذُّبُور»<sup>(٤)</sup>، وهذا قول ابن زيد، ومقاتل.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيشَةً وَالنَّاسِ يُصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ حُجِطٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ قال المفسرون: هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن غيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمر. فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا فعل حتى نرد بدراناً فنقيم ثلاثاً، وننحر البجر، ونظم الطعام، ونسقى الخمر، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا. فساروا إلى بدر، فكانت الواقعة؛ فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. فأما البطر؛ فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها. والرياء: العمل من أجل رؤية الناس. وسبيل الله هاهنا: دينه.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهْدُ الْقَيْطَانِ أَعْتَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَيْتَانِ تُكْمَصُ عَلَى عَيْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَصَافٌ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) أحمد في «المسند» رقم (٢٩٨٤)، و«البخاري» ٤٣٢/٢، و«مسلم» ٦١٧/٢، كلهم من رواية عبد الله بن عباس ؓ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعَ لَهُمُ السَّيْلَ بْنَ عَصَلَهُمْ﴾ قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْقَائِلِينَ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. وفي المراد بأعمالهم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شركهم. والثاني: مسيرهم إلى بدر. والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحدهما الأخرى. وفي المراد بالفتتين قولان: أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور. والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿تَكَصَّرَ عَلَى عَنَبٍ﴾ قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء. وقال ابن قتيبة: رجع الفهقري. قال ابن السائب: كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه، أخذاً بيد الحارث بن هشام؛ فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾؛ فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ النَّاسَ سَرَاةً، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. قال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، ذكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له بهم. وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني. وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة، فيكون انتهاء إنظاره، فيقع به العذاب. ومعنى «نكص» رجع هارباً بخزي وذل. واختلفوا في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

﴿إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ والثاني: ﴿إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج. فأما الذين في قلوبهم مرض، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام بمكة، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرهاً؛ فلما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين، ارتابوا وناقضوا، وقالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين. وعدَّهم مقاتل، فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منية بن الحجاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة. والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: أنهم قوم مرتابون، لم يُظهروا عداوة النبي ﷺ، ذكره الماوردي. والمرض هاهنا: الشك، والإشارة بقوله: «هؤلاء» إلى المسلمين؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلة المسلمين، فلم يشكوا في أن قريشاً تغلبهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَذَرَفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ الجمهور «يتوفى» بالياء. وقرأ ابن عامر «تتوفى» بتاءين. قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾. وفي المراد، بالملائكة ثلاثة أقوال: أحدها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثاني: ملائكة العذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿يَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يضربون وجوههم بيد لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا. والثاني: أنهم جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم، والذين وراءهم ضربوا أدبارهم. والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذ ساقوهم إلى النار. والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسيطا من نار. وهل المراد نفس الوجه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَذَرَفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ قولان: أحدهما: أنه في الدنيا؛ وفيه إضمار «يقولون»، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْجِعُ إِزْهَاجُ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: ويقولان. قال النابغة:

كَانَكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَفِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنْ<sup>(١)</sup> والمعنى: كأنك جمل من جمال بني أقيش، هذا قول الفراء وأبي عبيدة. والثاني: أن الضرب لهم في الدنيا، فإذا وردوا يوم القيامة إلى النار، قال خزنتها: ذوقوا عذاب الحريق، هذا قول مقاتل.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٥١)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: بما كسبت من قبائح أعمالكم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٥٢)</sup> لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر، وإن كان كفرهم بقضائه، لأنه مالك، فله التصرف في ملكه كما يشاء، فيستحيل نسبة الظلم إليه.

﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ سَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٥٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادتهم. والمعنى: كذب هؤلاء كما كذب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك. قال ابن عباس: أيقن آل فرعون أن موسى نبي الله فكذبوه، فكذلك هؤلاء في حق محمد ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا بِثَمَّةٍ أُنْعِمَ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بَالْفُسَيْمِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا بِثَمَّةٍ أُنْعِمَ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا﴾ بالكفران وترك الشكر. قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة، أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمداً ﷺ، فلم يعرفوا النعم عليهم، فغضب الله ما بهم. وقال السدي: كذبوا بمحمد، فنقله الله إلى الأنصار. قال أبو سليمان الخطابي: والقوي يكون بمعنى القادر، فمن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال، والمخلوق، وإن وصف بالقوة، فقوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة.

﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَلِيمٌ﴾<sup>(٥٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذب أهل مكة بمحمد والقرآن، كم كذب آل فرعون بموسى والتوراة، وكذب من قبلهم بأنبيائهم. قال مكي بن أبي طالب: الكاف من «كذاب» في موضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيرنا بهم لما غيروا تغييراً مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأول للعادة في العذاب؛ تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلاً مثل عادتنا في آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني الأمم المتقدمة، بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالريح، فكذلك أهلكنا كفار مكة بيدر. وقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الذين أهلكوا بيدر.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ في «من» أربعة أقوال: أحدها: أنها صلة؛ والمعنى: الذين عاهدتهم. والثاني: أنها للتبعية؛ فالمعنى: إن شر الدواب الكفار. وشرهم الذين عاهدت ونقضوا. والثالث: أنها بمعنى «مع»؛ والمعنى: عاهدت معهم. والرابع: أنها دخلت، لأن العهد أخذ منهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزٍ﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾

(١) «مجاز القرآن» ٤٧/١، و«الكتاب» ٣٢٧/١، و«الكامل» ٣٣٩، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٠٠/١، و«اللسان»، و«التاج»: قفع، و«الخزانة» ٢/٣١٢. وقفع الشيء: صوت، ويقولون: فلان يقفع له بالشان، وهو مثل يضرب لمن يروعه ما لا حقيقة له، وبنو أقيش: فخذ من أشجع، ويقال: هم من عكل، وإلهم غير عناق، يضرب بفارها المثل، فجعل عينة بن حصن المهجو كالجمال النافر لجبهته وخفته عند الفزع، والشن: الجلد البالي.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٤/٤ عن أبي ذر الغفاري ؓ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...» الحديث.



قولان: أحدهما: لا يَتَّقُونَ نقض العهد. والثاني: لا يَتَّقُونَ الله في نقض العهد. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا؛ ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

﴿فَإِنَّمَا تَتَّقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَنَزَرَهُ يَهُدُ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تَتَّقْنَهُمْ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: فإن تتقنهم. فعلى قوله، تكون «ما» زائدة. وقد سبق بيان «فأما» في [البقرة: ٣٨]. قال ابن قتبية: فمعنى «تتقنهم» تطفر بهم. ﴿فَنَزَرَهُ يَهُدُ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من أعدائك. قال: ويقال: شرد بهم، أي: سمع بهم، بلغة قريش. قال الشاعر:

أَطُوفُ فِي الْأَبَاطِحِ كُلِّ يَوْمٍ      مَخَافَةً أَنْ يُشَرِّدَ بِي حَكِيمٌ<sup>(١)</sup>

وقال ابن عباس: نكل بهم تنكيلاً يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلهم يذكرون النكال فلا يتقضون العهد.

﴿وَلِئَامًا تَحْفَافُ مِنْ قَوْمٍ حَيَّاتُهُ فَأَنِيبُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبِيتُ الْحَافِينَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلِئَامًا تَحْفَافُ مِنْ قَوْمٍ حَيَّاتُهُ﴾ قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة، وهي نقض عهد. وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة. وفي قوله: ﴿فَأَنِيبُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فالتى إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء، هذا قول الأكثرين، واختاره الفراء، وابن قتبية، وأبو عبيدة. والثاني: فانبد إليهم جهراً غير سر، ذكره الفراء أيضاً في آخرين. والثالث: فانبد إليهم على مهل، قاله الوليد بن مسلم. والرابع: فانبد إليهم على عدل من غير حيف، وأنشدوا:

فَاضْرِبْ وَجْهَ الْغُذْرِ الْأَعْدَاءِ      حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ<sup>(٢)</sup>

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِذْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِذْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «ولا تحسبن» بالثاء وكسر السين؛ إلا أن عاصماً فتح السين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين. وفي الكافرين هاهنا قولان: أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره. و«سبقوا» بمعنى فاتوا. قال ابن الأباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات؛ فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبن أنهم فاتوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ الجمهور بكسر الالف. وقرأ ابن عامر: بفتحها؛ وعلى قراءته اعتراض. لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ «يَحْسَبَنَّ» بالياء، وقرأ «أَنَّهُمْ» بالفتح، فقد أقرهم على أنهم لا يعجزون؛ ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا؟ فقد أجاب عنه ابن الأباري فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يحسبن أنهم يعجزون؛ و«لا» زائدة مؤكدة. وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وآباءهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يُعْزَوْنَ على كفرهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: أنها الرمي، رواه عقبه بن

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: شرد. وأطوف: أطوف، وحكيم: رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٢) البيت في «الطبري» غير منسوب ٧٧/١٤، والغذر بضمين، جمع غدور، مثل صبور، وهو القائد المستمرئ للغدر.

عامر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال الحكم بن أبان: هي النبل. والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة. والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة. والرابع: أنه كل ما يُتَّقَى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو؛ وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور. وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ إناثها.

قوله تعالى: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ﴾ روى رويس، وعبد الوارث «تَرْهَبُونَ» بفتح الراء وتشديد الهاء، أي؛ تخيفون وترعبون به العدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: من دون كفار العرب. واختلفوا فيهم على خمسة أقوال: أحدها: أنهم الجن. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم الجن، وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فرس عتيق»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد. والثالث: أهل فارس، قاله السدي. والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد. والخامس: اليهود، قاله مقاتل.

﴿وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَائِزَةً لِّمَا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم «لِلْإِسْلَامِ» بكسر السين. قال الزجاج: السُّلْمُ: الصلح والمسالمة. يقال: سَلِمَ وَسَلِمَ وَسَلِمَ في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فويل إليه. قال الفراء: إن شئت جعلت «لها» كناية عن السُّلْم لأنها توثق، وإن شئت جعلتها للفعلية، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَدِيدٍ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]. فإن قيل لم قال «لها» ولم يقل: «إليها»؟ فالجواب: أن «اللام» و «إلى» تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى. وفيمن أريد بهذه الآية قولان: أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف. والثاني: أهل الكتاب، فإن قيل: إنها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة. وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجه النسخ لها بآية الجزية.

﴿وَلَا يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُوا﴾ قال مقاتل: يعني يهود قريظة: ﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾. قال الزجاج: فإن الذي يتوكل كفايتك الله ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾ أي: قوأك. وقال مقاتل: قوأك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألف الله بينهم بالإسلام. وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة؛ فلو أن رجلاً لطم رجلاً. لقتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثاره، قال بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: حسبك الله، وحسب من اتبعك، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل، والأكثر. والثاني: حسبك الله ومتبعوك، قاله مجاهد. وعن الشعبي كالقولين. وأجاز الفراء والزجاج الوجهين. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع، والقول الأول أصح.

(١) روى مسلم في «مصححه» ١٣/٦٤ عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَلَا يُرِيدُوا لَهُمْ مَا اسْتَلَفْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، رواه أبو داود في «سننه» رقم ٢٥١٥، وابن ماجه رقم ٢٨١٣، والحاكم ٣٢٨/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/٣٢٢ من رواية ابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمَا لَا يَخْبَلُونَ﴾ قال: «هم الجن» ثم قال: ورواه الطبراني عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد: قال رسول الله ﷺ: «لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل» وقال: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا مته.

﴿يَأْتِيهَا النَّارُ حَرَضًا مُؤَيَّنَةً عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مَسِيرُونَ يَقْبَلُوا يَأْتِيَنَّ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتَهُ يَأْتِيُوا النَّارَ مِنَ الْيَمِينِ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ خُفَّ اللَّهِ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتَهُ سَابِرَةٌ يَقْبَلُوا يَأْتِيَنَّ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلَمْ يَقْبَلُوا الْفَتْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَرَضٍ مُؤَيَّنَةٍ عَلَى الْقِتَالِ﴾ قال الزجاج: تأويله: خُفِّم. وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه. والعارض: الذي قد قارب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مَسِيرُونَ يَقْبَلُوا يَأْتِيَنَّ﴾ لفظٌ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضاً في أول الأمر، ثم نسخ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ خُفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار. قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر. واتفق القراء على قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ ففروا «يكن» بالياء، واختلفوا في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتَهُ يَأْتِيُوا النَّارَ﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، بالياء فيها. وقرأهما عاصم، وحزمة، والكسائي: بالياء. وقرأ أبو عمرو «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالياء. قال الزجاج: من أنت، فللفظ المائة؛ ومن ذكر، فلان المائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله: «يغلبوا»، وكذلك المائة الصابرة هم رجال، ففروها بالياء، لموضع التذكير. فأما أبو عمرو، فإنه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله: «صابرة» أنت الفعل، ولما رأى «يغلبوا» مذكراً، ذكر. ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء، يغلبوا مائتين، لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا؛ وذلك معنى قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ﴾ وروى المفضل «وعلم» بضم العين «أن فيكم ضَعْفًا» بضم الضاد. وقرأ عاصم، وحزمة: بفتح الضاد. وكذلك خلافهم في [الرم: ٥٥]، قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال الزجاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعْفُ والضَّعْفُ، والمَكْثُ والمَكْثُ، والفَقْرُ والفَقْرُ، وفي اللغة كثير من باب فَعَلَ وفُعِلَ، والمعنى واحد. وقرأ أبو جعفر «وعلم أن فيكم ضَعْفًا» على فُعْلًا. فأما قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْفِخَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْفِخَ فِي الْأَرْضِ﴾ روى مسلم في أفرادهِ من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأسير منهم سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكَّنِّي من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، تمكَّنْ حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهُوي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت. فقال النبي ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء. لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة، فأنزل الله ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ إلى قوله ﴿عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. وروى عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى

(١) «الطبري» ٦٣/١٤ ورواه أحمد في «المستدر» رقم ٢٠٨ و٢٢١ مطولاً، ورواه مسلم في «صحيحه» ١٣٨٣/٣ - ١٣٨٥ كذلك مطولاً، وقد رواه المؤلف من رواية مسلم مختصراً بمعناه، وروى بعضه أبو داود في «سننه» رقم ٢٦٩٠، ورواه الترمذي ١٣٤/٢ مختصراً، والواحد في «أسباب النزول» =

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾ إلى قوله ﴿حَلَاكًا مَّيْمَنًا﴾، فلقى النبي ﷺ عمر، فقال: «كاد يصيبنا في خلافك بلاء»<sup>(١)</sup>. فأما الأسرى، فهو جمع أسير، وقد ذكرناه في [البقرة: ٨٥]. والجمهور قرؤوا «أن يكون» بالياء، لأن الأسراء مذكرون. وقرأ أبو عمرو «أن تكون»، قال أبو علي: أنت على لفظ الأسرى، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنث اللفظ. والأكثرون قرؤوا «أسرى» وكذلك ﴿لَمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾. وقرأ أبو جعفر، والمفضل «أسارى» في الموضعين، ووافقهما أبو عمرو، وأبان في الثاني. قال الزجاج: والإثخان في كل شيء: قُوَّة الشيء وشِدَّتُهُ. يقال: قد اثخنه المرض: إذا اشتدت قُوَّتُهُ عليه. والمعنى: حتى يبالغ في قتل أعدائه. ويجوز أن يكون المعنى: حتى يتمكن في الأرض. قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافراً قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض. وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، ولم يكن قد اثخن في الأرض بعد. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ وهو المال. وكان أصحاب النبي ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف. وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قولان: أحدهما: يريد لكم الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة، ذكره الماوردي.

### فصل

وقد روي عن ابن عباس، ومجاهد في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِنَّمَا مَتَّ بَدُّ وَلَمَّا فِدَاةً﴾ [محمد: ٤]، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ؛ فلما كثروا واشتد سلطانهم، نزلت الآية الأخرى، وبيّن هذا قوله: ﴿حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْآخِرِينَ﴾.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ في معناه خمسة أقوال: أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيُجْلُ لكم الغنائم لمسكم فيما تعجلتم من المغنم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية. والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة لعوقبتم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن إسحاق: سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي، ولم يكن نهاهم. والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجيع عن مجاهد. والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، فذكره الزجاج. والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعذبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان: أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى القضاء.

﴿تَكُونُوا مِمَّا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ حَلَاكًا مَّيْمَنًا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوَفِّقُكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُنْذِرُكُمْ وَيُغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿تَكُونُوا مِمَّا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ قال الزجاج: الفاء للجزاء. والمعنى: قد أحلت لكم الفداء فكلوا. والحلال منصوب على الحال. قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها، رحيم بكم إذ أحلها لكم. فجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت يوم بدر على القبض<sup>(٢)</sup>، وقسمها النبي ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب. وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فداه، وكلف أن يفدي ابني أخيه، فأدّى عنها ثمانين أوقية من ذهب. وقال النبي ﷺ: «أضعفوا

= مطولاً ١٣٧ - ١٣٨، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٢٨٩ من رواية أحمد بطوله وقال في آخره: ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به.

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٣/ ٢٠٢ عن أبي نجيع في «الحلية» من طريق مجاهد عن ابن عمر ﷺ.  
(٢) القبض بفتح القاف والباء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: القبض: الذي تجمع عنده الغنائم، وقال غيره: بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم.

على العباس الفداء» فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية. فقال العباس لرسول الله ﷺ: لقد تركتني ما حييت أسأل قريشاً بكفّي. فقال له: «أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل؟» فقال: أي الذهب؟ فقال: «إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهو لك ولولدك» فقال: ابن أخي، من أخبرك؟ فقال: «الله أخبرني»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم؛ وأمر ابني أخيه فأسلما. وفيهم نزلت: ﴿قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ يَتَكُ الْأَسْرَى﴾ الآية. وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أسر يوم بدر. وقال ابن زيد: لما بُعِثَ رسول الله ﷺ أتاه رجال، فقالوا: لولا أننا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. فلما كان يوم بدر، قال المشركين: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحلنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة. فأما الذين قُتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمْ النَّبِيُّ تَوَلَّوْا أَنفُسَهُمْ﴾ [النحل: ٢٨]. وأما الذين أسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أننا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم. فذلك قوله: ﴿قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ يَتَكُ الْأَسْرَى﴾ إلى قوله: ﴿عَلَيْدُ حَكِيدٍ﴾. فأما قوله: ﴿إِن يَصْلَحِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَيْرًا﴾ فمعناه إسلاماً وصدقاً ﴿وَيُؤْتِكُمْ حَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء. وفيه قولان: أحدهما: أكثر مما أخذ منكم. والثاني: أحل وأطيب. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة: «مما أخذ منكم» بفتح الخاء؛ يشيرون إلى الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَيُؤْتِرُ لَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله، قاله الزجاج. والثاني: يغفر لكم خروجكم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ يعني: إن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم. وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين؛ وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلموا بالإسلام. وقال مقاتل: المعنى: إن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتك بيدر. قال الزجاج: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخيانة إن خانوها، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَفْزَكُمُ الْكُفْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا﴾ يعني: الأنصار، أووا رسول الله، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم. ﴿أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في قولان: أحدهما: في النصرة. والثاني: في الميراث. قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «ولايتهم» بفتح الواو. وقرأ حمزة: بكسر الواو. قال الزجاج: المعنى: ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا. ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإمارة؛ وإذا فتحت، فهي من النصرة. وقال يونس النحوي: الولاية، بالفتح، لله ﷻ، والولاية، بالكسر، من وُلِّيت الأمر. وقال أبو عبيدة: الولاية، بالفتح، للمخالف؛ والولاية، للمخلوق. قال ابن الأباري: الولاية، بالفتح، مصدر الولي، والولاية: مصدر الوالي، يقال: ولي بين الولاية، ووالي بين الولاية؛ فهذا هو الاختيار؛ ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا. وقال ابن فارس: الولاية، بالفتح، النصرة، وقد تكسر. والولاية، بالكسر: السلطان.

## فصل

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية مولاة النصر والمودة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. فاما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأشغال: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الَّذِينَ﴾ أي: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد. وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصر من لم يهاجر إلا أن يستنصره.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ فَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [٧٣] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُكُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ تُغْفَرُوا وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس. والثاني: في النصر، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الميراث، فالمعنى: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يرجع إلى التناصر. فالمعنى: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين، قاله ابن جريج. وبيانه أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توكلاً حقاً، ويتبرأ من الكافر جداً، أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين. فإذا هجر المسلم أقرابه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقرابه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ أبو هريرة. وابن سيرين، وابن السميع: «كثير» بالثاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَاءُكُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك. والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٥]

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين. قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في الموارث بالهجرة. قال ابن عباس: أخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن - وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة [النساء: ١١، ١٢]. والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزجاج.



## سورة التوبة

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

### فصل في نزولها

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] فإنها نزلت بمكة. روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة)<sup>(١)</sup>. وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهداً تُنبئُ، ووصايا تُنفذُ.

### فصل

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، قاله مجاهد. والثاني: ﴿أَنْزِلُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، قاله أبو الضحى، وأبو مالك. والثالث: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، قاله مقاتل. وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فإنهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة.

### فصل

ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة؛ وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: الْمُقَشَّقِشَةُ، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة، لأنها بعثت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد، وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج.

### فصل

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال: أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المثني، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب، فيقول: «ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت (الأنفال) من أوائل ما نزل بالمدينة، و (براءة) من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ وقُبض رسول الله ﷺ، ولم يُبين لنا أنها منها، فظننا أنها منها؛ فمن ثَمَّ قرئت بينهما ولم أكتب بينهما: «بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٢)</sup>. وذكر نحو هذا المعنى عن أبي بن كعب. قال الزجاج: والشبه الذي بينهما، أن في (الأنفال) ذكر اليهود، وفي (براءة) نقضها. وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة. والثاني: رواه

(١) «البخاري» ٢٢٧/٨.

(٢) «المستد» ٣٩٩/١، وأبو داود ٢٩٠/١، والترمذي ١٣٤/٢ وحسنه، وابن أبي داود في «المصاحف» ٣١، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٥٨، والحاكم ٣٣٠/٢، وصححه، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٠٧/٣ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وقد ضعف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه بأنه لا أصل له في تعليقه على «المستد»، فانظروا.



محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: لم لم تكتبوا في (براءة) «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان. وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين. والثالث: أن رسول الله ﷺ، لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي.

### فصل

فأما سبب نزولها، فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهوداً بنتتها مع رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل (براءة) في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم ليقم للناس الحج في تلك السنة، ويحث معه صدراً من (براءة) ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار، دعا رسول الله ﷺ علياً، فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر (براءة) وأذن في الناس بذلك» فخرج علي على ناقه رسول الله ﷺ العضاء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أنزل في شأني شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار، وأنتك صاحبي على الحوض»؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر أميراً على الحج، وسار علي ليؤذن بـ (براءة).

### فصل

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول (براءة) خمسة أقوال: أحدها: أربعون آية، قاله علي ﷺ. والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة. والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء. والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل.

### فصل

فإن توهم متوهم أن في أخذ (براءة) من أبي بكر، وتسليمها إلى علي، تفضيلاً لعلي على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي ﷺ أجرى العرب في ذلك على عادتهم. قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها؛ وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من ليس من رهط النبي ﷺ: هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلة بما فعل. وقال عمرو بن بحر: ليس هذا بتفضيل لعلي على أبي بكر، وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حمل العقد، وكان لا يتولى ذلك إلا السُّد منهم، أو رجل من رهطه ذِيئاً، كأخ، أو عم؛ وقد كان أبو بكر في تلك الحجة الإمام، وعلي يأتهم به، وأبو بكر الخطيب، وعلي يسمع. وقال أبو هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذنين الذين بعثهم يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ فأذن معنا علي بـ (براءة) وبذلك الكلام. وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ علياً يؤذن بأربع كلمات: «ألا لا يحج بعد العام مشرك، ألا ولا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ألا ومن كانت بينه وبين محمد مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله».

### فصل

فأما التفسير، فقولته تعالى: ﴿بِرَّاءَةٌ﴾ قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثله: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ٢]. وقال الزجاج: يقال: برئت من الرجل والذئب براءة، وبرئت من المرض؛ وبرأت أيضاً أبرأ برءاً، وقد رووا: برأت أبرؤ برءاً. ولم نجد في ما لاهم همز: قَعَلْتُ أَفْعَل، إلا هذا الحرف. ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحته: أبريه برئاً، غير مهموز. وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءة» بالنصب. قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان. والخطاب في قوله: ﴿إِلَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمراد رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة، وأصحابه راضون؛ فكانهم بالرضا عاهدوا أيضاً؛ وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ. وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جذيمة.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم من مكروه. إن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب، فعنه جوابان: أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب. قال عترة:

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحْتُ عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةِ مَخْرَمٍ ②

هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: فقل لهم: سيجحوا في الأرض، أي: اذهبوا فيها، وأقبلوا، وأدبروا، وهذا قول الزجاج. واختلفوا فيمن جعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها للمشركين كافة، من له عهد، ومن ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي. والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله ﷺ قد آمنه أقل من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود؛ فأما من لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد؛ فأما أرباب العهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مددهم، قاله ابن السائب. ويؤكد ما روي أن علياً نادى يومئذ: ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهد إلى مدته. وفي بعض ألفاظ: فأجله أربعة أشهر. واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس. والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله مجاهد، والسدي، والقرظي. والثالث: أنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، قاله الزهري. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي الحجة، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام. والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار» ③، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: وإن أُجِلْتُمْ هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ قال الزجاج: الأجود فتح «أن» على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرهما على الاستئناف. وهذا ضمان من الله نصرته المؤمنين على الكافرين.

﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَلَهُمْ كَيْدٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ آتٍ بِهِ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِهِ﴾ أي: إعلم؛ ومنه أذان الصلاة. وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعكرمة، والجحدري، وابن يعمر: ﴿وَأَذِّنْ﴾ بكسر الهمزة وقصرها ساكنة الذال من غير ألف.

(١) البيت في «شرح القصائد السبع الطوال» ٢٩٩، و«مجاز القرآن» ٢٣/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٠ من معلقته المشهورة، وقوله: شطت مزار العاشقين، يعني: شطت عبلة مزار العاشقين، أي: بعدت من مزارهم. وفي «شرح المعلقات»: حلت بأرض الزائرين، والزائرون: الأعداء، جعلهم يزأرون زئير الأسد، شبه وعيدهم بالزئير، يقول: نزلت الحبيبة بلاد أعدائي، ففسر عليّ طلابها.

(٢) الحديث في «المسنند» ٣٧/٥، والبخاري ٤٥٩/٣ و ٢٤٤/٨ و ٦/١٠، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧. ولفظه في البخاري ٦/١٠ عن أبي بكره ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم هذا؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن مداهكم وأمواكم - قال محمد (ابن سيرين): - وأحرصكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أفعالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضكم رقاب بعض، ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، فكان محمد (ابن سيرين) إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ، ثم قال (أي النبي ﷺ): «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت».



المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على». وقال الزجاج: «كل مرصد» ظرف، كقولك: ذهب مذهباً، فلست تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقدام.  
قوله تعالى: ﴿إِنْ تَابُوا﴾ أي: من شركهم. وفي قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ قولان: أحدهما: اعترفوا بذلك. والثاني: فعلوه.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿إِنَّمَا مَنَّا بَدَدٌ وَإِنَّمَا فِتْنَةٌ﴾ [محمد: ٤]، قاله الحسن، وعطاء في آخرين. والثاني: بالعكس، وأنه كان الحكم في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبراً، وإنما يجوز المن أو الفداء بقوله: ﴿إِنَّمَا مَنَّا بَدَدٌ وَإِنَّمَا فِتْنَةٌ﴾ ثم نسخ بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَفِى الْمَشْرِكِينَ﴾، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخير، إن شاء من عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبراً، أي ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعل، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقَ فَمَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونهى عنه، فأجزه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. وفي قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم. والثاني: ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمته إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بكتاب الله.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ②

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضاً. وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين. والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد. وذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلاحاً على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقده فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا في قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح، إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب» فوثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشاً أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيئوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم إن قريشاً ندمت على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فآخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم وكانت غزاة الفتح. قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة. قال ابن الأعرابي: وقوله: «وأن بيننا عيبة مكفوفة» مثل: أراد: أن صلحنا مُحْكَمٌ مُسْتَوْثَقٌ منه، كأنه عيبة مشرحة. وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نسخ بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَفِى الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ وَبَدَّوهُمْ﴾.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْجُوا فَيْكُمْ إِلَّا ذَمًّا يَزِيدُكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَنَّا قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ③

قوله تعالى: ﴿كَيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق، قال الشاعر:

وَحَبَّرْتُ مَانِي أُنْمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى

أي: فكيف مات وليس بقرية؟ ومثله قول الحطيئة:

فَكَيْفَ وَلَمْ أَغْلَمْهُمْ خَذَلُوكُمْ

أي: فكيف تلوموني على مدح قوم؟ واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضمر. وقوله: ﴿يَظْهَرُوا﴾ يعني: يقدروا ويظفروا. وفي قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يحفظوا. والثاني: لا يخافوا، قاله السدي. والثالث: لا يراعوا، قاله قطرب. وفي الإل خمسة أقوال: أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل، والفراء، وأنشدوا:

إِنَّ الْوُشَاةَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمْ

لَا يَرْقُبُونَ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمًّا

وقال الآخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ

كَأَلِ السَّفْبِ مِنْ رَأْلِ التُّعَامِ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن. والثالث: أنه الله تعالى، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة. والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه الحلف، قاله قتادة. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف: «إيلاً» بياء بعد الهمزة. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «الآل» بفتح الهمزة وتشديد اللام. وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والضحاك في آخرين. والثاني: التذم من لا عهد له، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

لَا يَرْقُبُونَ بِنَا إِلَّا وَلَا ذِمًّا

والثالث: الأمان، قاله الزبيدي، واستشهد بقوله: «ويسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْضَوَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك. والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكرهن الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ﴾ قال ابن عباس: خارجون عن الصدق، ناكثون للعهد.

﴿أَشْرَوْا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ مَسْكًا فَلَيْلًا فَصَكُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِذْهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup> فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَخَرَعُوا لِي الْإِسْلَامَ فَفَعَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَشْرَوْا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ مَسْكًا فَلَيْلًا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد. والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح. فعلى الأول، آيات الله: حججه. وعلى الثاني: هي آيات التوراة. والشنن القليل: ما حصلوه بدلاً من الآيات. وفي وصفه بالقليل وجهان: أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل. والثاني: لأنه من عَرْض الدنيا الذي بقاؤه قليل. وفي قوله: ﴿فَصَكُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ثلاثة

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة النبيلة في «الأصمعيات» ٩٩، و«طبقات فحول الشعراء» ١٧٦، و«أمانى القالي» ١٥١/٢، و«جمهرة أشعار العرب» ١٣٥، و«معاني القرآن» للفراء ٤٢٤/١.

(٢) «ديوانه» ١٤٠ وفيه: على موطن ولا أدبكم قذوا. وقوله: خذلوكم على معظم، قال أبو عمرو: أي: لم يخذلوكم في أمر حدث. وقوله: ولا أدبكم قذوا، أي: لم يقعوا في حسيب.

(٣) قاله حسان بن ثابت الأنصاري، «ديوانه» ٤٠٧، و«اللسان»: «أل» وهو من آيات حجا بها أبا سفيان قبل إسلامه. والسقب: هو ولد الناقة ساعة يولد، والرأل: ولد النعام، يقول: ما قرابتك في قریش إلا قرابة الفصل من ولد النعام، أي: لست منهم في نسب.

(٤) «المستند» رقم ٩٥٩، وأبو داود رقم ٤٥٣٠، و«السنائي» ٢٠/٨، كلهم من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو جزء من حديث طويل، وسنده صحيح.

أقوال: أحدهما: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة. والثاني: عن دينه بمنع الناس منه. والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

﴿وَأَن تَكْفُرًا أَتَمَنَّهُمْ مِنْ بَدِّ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقِيلُوا أَهْمَةُ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَكْفُرًا أَتَمَنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم فينصر خزاعة، وهم الذين هموا بإخراج رسول الله ﷺ. فأما النكت، فمعناه: النقض. والأيمان هاهنا: العهود. والظعن في الدين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

قوله تعالى: ﴿فَقِيلُوا أَهْمَةُ الْكُفْرِ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أئمة» بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق الأولى وتلين الثانية. والمراد بأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم صادقة؛ هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون. وقرأ ابن عامر «لا إيمان لهم» بالكسر<sup>(١)</sup>؛ وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان، والثاني: لا أمان لهم، تقول: آمنت إيماناً، والمعنى: فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ قولان: أحدهما: عن الشرك. والثاني: عن نقض العهود. وفي «لعل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الترجي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء. قاله الزجاج. والثاني: أنها بمعنى: «كي»، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿أَلَا تَقْنِيلُونَ قَوْمًا تَكْفُرًا أَتَمَنَّهُمْ وَهَكُمَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمْهُمُ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ﴾ قِيلَ لَهُمْ يَمُوتُ بِهِمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُقْبِلُ صُورٌ قَوِيْرٌ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَيَذْهَبُ غَيْظٌ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقْنِيلُونَ قَوْمًا﴾ قال الزجاج: هذ على وجه التوبيخ، ومعناه الحض على قتالهم. قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله ﷺ الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة. وفي قوله: ﴿وَهَكُمَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قولان: أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن هم بإخراج النبي ﷺ من مكة. والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهموا بمعاونة المتناقضين على إخراجهم من المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمْهُمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بدؤوكم بإعاتتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس. والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمْهُمُ﴾ قال الزجاج: اتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه؟ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى إن كنتم مصدقين بعدابه وثوابه.

قوله تعالى: ﴿وَيُقْبِلُ صُورٌ قَوِيْرٌ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني خزاعة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبُ غَيْظٌ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كربها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليها.

قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ قال الزجاج: هو مستأنف، وليس بجواب «قَاتِلُوهُمْ». وفيمن غني به قولان: أحدهما: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة. والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بَنِيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى.

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف، دون كسرها، لإجماع الحجة من القراءة على القراءة به، وإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله: لا عهد لهم، والأيمان التي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف، لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين.

﴿أَرْ حَبِشْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَكِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَهِدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَنْجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا الْمُنَافِقِينَ وَلِلَّهِ جُزْءٌ بِمَا قَمَلْتُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْ حَبِشْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله ﷺ الخروج معه إلى الجهاد تعذيراً، قاله ابن عباس. وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ. قال الفراء: ولو أريد به الابتداء، لكان إما بالالف، أو بـ «هل»، ومعنى الكلام: أن تُتركوا بغير امتحان يبين به الصادق من الكاذب. ﴿وَلَكِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ﴾ أي: ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم؛ وقد كان يعلم ذلك غيباً، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل. فاما الوليجة، فقال ابن قتبية: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخیلاً من المشركين وخليطاً وواذاً؛ وأصله من الولوج. قال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>(١٦)</sup>  
 ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَرٍ بَالٍ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّوْهُ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُنْتَدِينَ﴾<sup>(١٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مسجد الله» على التوحيد، ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع. وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي على الجمع فيهما. وسبب نزولها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فغيروهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لنحن أفضل منكم أجراً؛ إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية<sup>(١٦)</sup>، قاله مقاتل في جماعة. وفي المراد بالعمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني: البناء له وإصلاحه؛ فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: يجب على المسلمين منهم من ذلك. قال الزجاج: وقوله: ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها. فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي. والثاني: أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على مميّز، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه. والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرّضوا على اتباعه، فلما آمنوا بهم وكذبوه، دلوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَرٍ بَالٍ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمان لا يتم إلا به؟ فالجواب: أن فيه دليلاً على الرسول، لقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله. فإن قيل: ﴿فَمَسَّوْهُ﴾ ترج، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك. فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها؛ وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

﴿أَجَلَتْمْ سِقَايَةَ الْمَآءِ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْفَرَارِ كُنْ أَمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنِّدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١٨)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَارُوقُونَ<sup>(١٩)</sup> يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَمْ يَفِيَا قِيَمَةً مُقِيمَةً<sup>(٢٠)</sup> خَلِيلِكَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(٢١)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَجَلَتْمْ سِقَايَةَ الْمَآءِ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: رواه مسلم في «صحيحه» من حديث



النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أغمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نغمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني<sup>(٢)</sup>، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرَم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس. والرابع: أن علياً والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بت في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي. والخامس: أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد. هكذا ذكر مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة، لأن طلحة هذا لم يسلم. والسادس: أن علياً قال للعباس: ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ فقال: ألسْتُ في أفضل من الهجرة، ألسْتُ أسقي حاج بيت الله وأمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مُرَّةُ الهَمْداني، وابن سيرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: أجمعتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قال الحسن: كان يُنبذ زبيب، فيسْقُون الحاج في الموسم. وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه، فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ ذِيَّةٌ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. والمعنى: أعظم من غيرهم درجة. والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير. فاما النعيم، فهو لين العيش، والمقيم: الدائم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ هُمْ أَكْثَرُ بِلَاوَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنه لما أمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون: ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فيرق قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد. والرابع: أن نفراً ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل. والخامس: أن النبي ﷺ لما أمر الناس بالجهاز لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاونهم عى قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْرَبُوا بِهَا نَفْسًا وَمَنْ مَلَكَكُمْ فَرَحَبُوا فِي سَبِيلِهِ فَرَحَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

- (١) «الطبري» ١٦٩/١٤، ومسلم ٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٨/٣ وزاد نُسبته لأبي داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
- (٢) العاني: الأسير.
- (٣) «الطبري» ١٧٠/١٤ وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية، في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين تخلفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن علي بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرننا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين. والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناها عن ابن عباس. فأما العشيرة، فهم الأقارب الأذنون. وروى أبو بكر عن عاصم «وعشيرائكم» على الجمع. قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمعت قلت: عشيرائكم؛ وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعاها. وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر. والاعتراق بمعنى الاكتساب. والترص: الانتظار. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والاكثرون، ومعنى الآية: إن كان المَقَام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿وَبَحْرَةً فَتَحْنَهَا كَسَادَةً﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة. والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في أماكن. قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يُجَزَّ (١)، مثل، صوامع، ومساجد. وجُري «حنين» لأنه اسم لمذكر، وهو واد بين مكة والطائف، وإذا سُمِّيَتْ ماءً أو وادياً أو جبلاً باسم مذكر لا علة فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وجراء، وبُيَير، ودابق (٢). ومعنى الآية: أن الله ﷻ أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم. وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفاً، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: كانوا اثني عشر ألفاً، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي. والرابع: أحد عشر ألفاً وخمسمائة، قاله مقاتل. قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغَلَبَ اليوم من قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووكّلوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾. وقال سعيد بن المسيب: القائل لذلك أبو بكر الصديق. وحكى ابن جرير أن القائل لذلك رسول الله ﷺ. وقيل: بل العباس. وقيل: رجل من بني بكر.

قوله تعالى: ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: برحبها. قل الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: صافت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها.

### الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، تأمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس (٣)، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما التقوا أعجبتهم كثرتهم فهُزِمُوا. وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبينا على الغنائم، فأقبلوا بالسهم، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ (٤). وبعضهم يقول: ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث. وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان، فجعل النبي يقول للعباس: «تأو: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة» فنادى، وكان صيئاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا

(١) إجراء الاسم عند الكوفيين صرفه وتثنيته، وعدم إجرائه: منع صرفه. (٢) دابق: قرية من قرى حلب.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن. (٤) البخاري ٢٤/٨، ومسلم ١٢/١٢١.

لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ثم قال للعباس: «ناولني حصيات» فناولته، فقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها، وقال: «انهزموا ورب الكعبة»، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب، فرماه به فانهزموا. وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُوداً لَمْ تَرْوَهَا وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً﴾ أي: بعد الهزيمة. قال أبو عبيدة: هي فَيْعِلَةٌ من السكون، وأنشد:

لِلْوَ قَبْرِ غَالِهَا مَاذَا يُجِنُّ  
لَقَدْ أَجْنَسُ سَكِينَةً وَوَقَاراً<sup>(٣)</sup>

وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُوداً لَمْ تَرْوَهَا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة. وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال: أحدها: ستة عشر ألفاً، قاله الحسن. والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف. وهل قاتلت الملائكة يومئذ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبيزى، ومقاتل. والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي. والرابع: بالقتل، والأسر، وسبي الأولاد، وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوفقه للتوبة من الشرك.

﴿يُنَادِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: فذر. قال الزجاج: يقال لكل شيء مستفذر: نجس. وقال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نجس، إلا وقبلها رجس، فإذا أفردوها قالوا: نجس. وفي المراد بكونهم نجساً ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز. وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ. والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة. والثالث: أنه لما كان علينا اجتناهم كما تجتنب الأنجاس، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم. ﴿بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر وقرئت (براءة). وقد أخذ أحمد رحمته الله بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي. واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد، فروي عنه المنع أيضاً إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك. وروي عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، ومسائر المساجد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميع: «عائلة». قال سعيد بن جبيرة: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَكَذَا﴾ شق على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَفْتَدِمُونَ عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ الآية. قال

(١) «مسند أحمد» رقم ١٧٧٥ بنحوه، ورواه مسلم ١١٥/١٢ - ١١٧ بنحوه أيضاً. وذكره الطبري ١٨٢/١٤ - ١٨٣، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣/ ٣٢٧، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٤/٣ - ٢٢٥، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن سعد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) «مسند أحمد» ٢٨٦/٥ عن أبي عبد الرحمن الفهري، والطبري في «التفسير» ١٨٥/١٤، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨١/٦ - ١٨٢ وقال: رواه البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات.

(٣) البيت لأبي حريق الكلب في «مجاز القرآن» ٢٥٥/١، و«اللسان»: سكن.

الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعيل عيلة: إذا افتقر. وأعال إعالة فهو يعيل: إذا صار صاحب عيال. وقال أبو عبيدة: العيلة هاهنا مصدر عال فلان: إذا افتقر، وأنشد:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدرى الغني متى يعيل<sup>(١)</sup>

وللمفسرين في قوله: «وإن قولان: أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر. والثاني: أنها بمعنى «وإذا»، قاله عمرو بن فايد. قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره. وفي قوله: «فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَكَّ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة. والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك. والثالث: أن أهل نجد، وجُرَش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظُفْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم، «حَكِيمٌ» فيما حكم في المشركين.

«فَتِلْكَ الْأَيَّاتُ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٩﴾»

قوله تعالى: «فَتِلْكَ الْأَيَّاتُ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى. قال الزجاج: ومعناها لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، لأنهم أقروا بأنه خالقهم وأنه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون. وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرون بها، فكانوا كمن لا يُقِرُّ به.

قوله تعالى: «وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قال سعيد بن جبير: يعني الخمر والخنزير.

قوله تعالى: «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» في الحق قولان: أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة. والثاني: أنه صفة للدين، والمعنى: ويدِينون الدين الحق<sup>(٢)</sup>؛ فأضاف الاسم إلى الصفة. وفي معنى «يدِينون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، والمعنى: لا يطيعون الله طاعة حق، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه. ثم في جملة الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ﷺ، لأنه ناسخ لما قبله. والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد ﷺ.

قوله تعالى: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» قال ابن الأنباري: الجزية: الخراج المَجْعُول عليهم؛ سميت جزية، لأنها قضاء لما عليهم؛ أخذ من قولهم: جَزَى يَجْزِي: إذا قضى؛ ومنه قوله تعالى: «لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» [البقرة: ٤٨]، وقوله: «وَلَا تَجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «عَنْ يَدٍ» ستة أقوال: أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي. وقال الزجاج: عن قهر وذُل. والثاني: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم. والثالث: أنه إعطاء المبتدئ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢٥٥/١، ومعاني القرآن» للفراء ٢٥٥، و«جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«اللسان» و«التاج» عيل، وهو من قصيدته التي قالها في حرب بينه وبين قومه من الأوس وبني النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فعدت قومه مجيء أحيحة وقومه من الأوس، فضربها حتى كسر يدها وطلقها، وبعد هذا البيت قرين له: وما تدري إذا أجمعت أمراً

(٢) قال ابن كثير ٣٤٧/٢: فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآبائهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل، علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأتقين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلذلك لا يفهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم.

(٣) هو قطعة من حديث طويل، فقد روى البخاري ١٥/١٠، ومسلم ١٥٥٣/٣ واللفظ له عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما تبدأ به في يومنا هذا (يعني يوم عيد الأضحى) نصلي، ثم نرجع فنفتح، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن فزع (يعني قبل صلاة العيد) فإثم هو لحم قمنه لأمله، ليس من السك في شيء، وكان أبو بردة بن نيار (خال البراء بن عازب) قد فزع (يعني قبل الصلاة) فقال: «عندني جذعة خير من ستة» فقال: انبيها ولن تجزي عن أحد بعدك.

بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم. والخامس: عن إنعام عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاها الزجاج. والسادس: يؤدونها بأيديهم، ولا ينفذونها مع رسلهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ صَعَرُونَ﴾ الصاغر: الذليل الحقير. وفيما يَكْلُفُونَهُ من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال: أحدها: أن يمشوا بها مُكَلِّبِينَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن لا يُحْمَدُوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي. والثالث: أن يكونوا قِيَاماً والأخذ جالساً، قاله عكرمة. والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار. والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

### فصل

واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من سُبِي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية؛ فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

### فصل

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، فهم أهل القتال. فأما الزَّيْمُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

### فصل

فأما مقدارها، فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعون درهماً، وسواء في ذلك الغني والفقير. وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار. وهل تجوز الزيادة والنقصان مما يؤخذ منهم؟ نقل الأثر من أحمد: أنها تزداد وتنقص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

### فصل

ووقت وجوب الجزية: آخر الحول، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول. فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟ عندنا لا تسقط. وقال أبو حنيفة: تسقط. فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام. فأما إن مات؛ فكان ابن حامد يقول: لا تسقط. وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن تسقط.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَن يَذُوقُونَ ﴿١٧﴾ أَتُحْكَدُوا أَجْرَهُمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَن تَقُولُوا لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «عزير» ابن الله» بغير تنوين. وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوناً. قال مكي بن أبي طالب: من نون عزيراً رفعه على الابتداء، و «ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين. ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين. ومن لم ينون «عزيراً» جعله أيضاً مبتدأ،

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان أحد تلامذة الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الحنابلة» ١/١٤٥.

و «ابن» صفة له؛ فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافاً لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمَر تقديره: عزيز بن الله نبيناً وصاحبنا. وسبب نزولها أن سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نَشْعُكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال ابن عمر، وابن جريج: إن القائل لذلك فنحاص. فأما العزيز، فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي معرب، وإن وافق لفظ العربية، فهو عبراني؛ كذا قرأته عليه. وقال مكِّي بن أبي طالب: العزيز عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزروه. وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزيز الله تعالى؛ فعاد إليه الذي نُسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة؛ فقالوا: ما أوتيتها إلا لأنه ابن الله. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن يختصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزيز غلاماً، فتركه. فلما توفي عزيز ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزيز؛ فكذبوه وقالوا: قد حَدَّثنا آباؤنا أن عزيزاً مات ببابل، فإن كنتَ عزيزاً فأملل علينا التوراة؛ فكتبها لهم؛ فقالوا: هذا ابن الله. وفي الذين قالوا هذا عن عزيز ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس. والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي. والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج. والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس. فإن قيل: إن كان قول بعضهم، فلم أُضيف إلى جميعهم؟ فته جوابان: أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جثت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلاً واحداً. والثاني: أن من لم يقل، لم ينكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: لكونه ولد من غير ذكر. والثاني: لأنه أحى الموتى، وأبرأ الكُمَّةَ والبُرصَ؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [المائدة: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَنفُسِهِمْ﴾ إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟ فالجواب: أن المعنى: إنه قول بالغم، لا بيان فيه، ولا برهان، ولا تحته معنى صحيح، قاله الزجاج.

قوله تعالى: «يضاهون» قرأ الجمهور: من غير همز. وقرأ عاصم: ﴿يَشْهَبُونَ﴾. قال ثعلب: لم يتابع عاصماً أحد على الهمز. قال الفراء: وهي لغة. قال الزجاج: «يضاهون» يشابهون قول مَنْ تَقَدَّمَهُمْ من كَفَرْتَهُمْ، فإنما قالوه اتباعاً لمُتَقَدِّمِهِمْ. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة؛ والأكثر ترك الهمز؛ واشتاقه من قولهم: امرأة ضهاء، وهي التي لا يثبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال. قال ابن الأنباري: يقال: ضاهيت، وضاهات: إذا شَبِهَتْ. وفي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزيز ابن الله، قاله قتادة، والسدي. والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليداً، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وفي قوله: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس. والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة. والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ يَوْفُكُونَ﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿أَتُحَدَّثُوا أَخْبَارَهُمْ﴾ قد سبق في [المائدة: ٤٤] معنى الأخبار والرهبان. وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلَّوه، وإذا حرما عليهم شيئاً حرَّموه»<sup>(٢)</sup>. فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالآرياب وإن لم يقولوا: إنهم آرياب.

(١) «الطبري» ٢٠٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٢٩/٢، وزاد نسبه لابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي ١٣٦/٢، وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أمين ليس بمعروف في الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ قال ابن عباس: اتخذوه رباً.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يخذلوا دين الله بتكذيبهم، يعني: أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إطفائه بذلك. وقال الحسن وقادة: نور الله: القرآن والإسلام. فاما تخصيص ذلك بالأفواه، فلما ذكرنا في الآية قبلها. وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ قال الفراء: إنما دخلت «إلا» هاهنا، لأن في الإباء طرفاً من الجحد، ألا ترى أن «أبى» كقولك: «لم أفعل»، و«لا أفعل»، فكانه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر:

فَهَلْ لِي أَمُّ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبَى اللَّهَ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنًا<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره. قال مقاتل: «يتم نوره» أي: يظهر دينه.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ يعني محمداً ﷺ «بِالْهُدَى» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: بيان الفرائض. فاما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلمه شرائع الدين كلها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل<sup>(٢)</sup>. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي. والقول الثاني: أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَكُونُنَّ أََمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَيْمَانِ يُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ﴾ الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وفي الباطل أربعة أقوال: أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس. والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن. والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان. والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى. والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل، لأنه معظم المقصود من المال. وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان: أحدهما: الإيمان برسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه الحق والحكم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت عامة

= ررواه «الطبري» ٢١٠/١٤ من طرق عن عدي بن حاتم، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٣٠/٣، وزاد نسبة لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».

(١) قاله المتلمس، وهو في «معاني القرآن» للقرآن ٤٣٣/١، من قصيدة له يرد فيها على من عير أمه مطلعها:

يَمِينِي أَمِي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَانَ بِسُكْرَمٍ

وهي في «مختارات ابن الشجري» ٣١ وقوله: ابننا، أراد: أبننا، فزاد الميم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢١٥/٤، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى (جمع) لي الأرض، فرايت مشارقتها ومغارها، وإن أمتي سيبليها ملكها ما زوي لي منها». وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٣/٤، عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلى هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بمن عزيز، أو بطل ذليل، عزاً يمز به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشر والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً اللذل والصغار والجزية. وروى أحمد في «المسند» ٤/٦، عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بمن عزيز أو ذل ذليل، إما يهزمهم الله ﷻ فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيبلىون لها». وروى مسلم ٢٢٣٠/٤، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبلع الليل والنهار حتى تميد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) أن ذلك تاماً، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريباً طيبة فتوقى كل من في قلبه مقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».



في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك. والثاني: أنها خاصة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي. وفي الكثر المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما لم تؤدّ زكاته. قال ابن عمر: كل مال أدبث زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة. والثاني: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز. والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نُسَخ. فإن قيل: كيف قال: «ينفقونها» وقد ذكر شيئين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز والأموال. والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحُذِف الذهب، لأنه داخل في الفضة، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما

عندك راضٍ والرأي مختلف<sup>(٢)</sup>

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ، ذكر القولين الزجاج. وقال الفراء: إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين، كقوله: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَيْلَةً أَوْ إِبْطًا ثُمَّ يَرِ بِه بَرَكًا» [النساء: ١١٢]، وقوله: «وَإِذَا زَاوَأَ يَحْزَنُهُ أَوْ تَمَرًا أَنْفَسُوهُ إِلَيْهَا» [الجمعة: ١١]، وأنشد:

إنني ضمنت لمن أناني ما جئني

وأبى وكان وكنت غير غدير<sup>(٣)</sup>

ولم يقل: غديرين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى. قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبّروا عن أحدهما استغناءً بذلك، وتحقيقاً لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر، وأنشد:

فمن يك أمسى بالمدينة رخله

فإنني وقيارٌ بها لغريب<sup>(٤)</sup>

والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع. وقال حسان بن ثابت:

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ

ود ما لم يُعاصَ كان جُئونا<sup>(٥)</sup>

ولم يقل: يعاصيا.

﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَدْرُؤُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْذُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: على الأموال. قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حذته<sup>(٦)</sup>. وقال ابن عباس: هي حية تنطوي على جنبه وجبهته، تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ﴾ فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنتم لأنفسكم ﴿تَدْرُؤُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْذُرُونَ﴾ أي: عذاب ذلك. فإن قيل: لم خصّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟ فالجواب: أن هذه المواضع مجوفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل. وكان أبو ذر يقول: بشر الكنازين بكفي في الجباه وكفي في الجنوب

(١) أثر ابن عمر رواه الطبري ٢١٨/١٤، وإسناده صحيح. ورواه بمعناه مالك في «الموطأ» ٢٥٦/١.

(٢) قائله عمرو بن امرئ القيس من بني الحارث بن الخزرج، جاهلي قديم، وهو جد عبد الله بن رواحة، والبيت في «جمهرة أشعار العرب» ٢٣٧، وسيبويه ٣٧/١ (منسوباً لقيس بن الخطيم) وهو خطأ، و«معاني القرآن» ٤٣٤/١، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«الخزانة» ١٩٠/٢.

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ٤٣٤/١، ونسبه سيبويه في «الكتاب» ٣٨/١ للفرزدق.

(٤) قائله ضايع بن الحارث اليربوعي وهو في «الأصمعيات» ١٦، و«سيبويه» ٣٨/١، و«القرطبي» ٢٤٦/٦، و«شواهد المغني» ٢٩٣، و«الخزانة» ٢٢٣/٤، و«اللسان»، و«التاج»: قير.

(٥) «ديوانه» ٤١٣، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«القرطبي» ١٢٨/٨، و«الجمهرة» ٢٠٧/٢، و«اللسان»: شرح، والشرح: الحد، أي: غاية ارتفاعه، يعني بذلك أقصى قوته ونفادته وعنفوانه.

(٦) «الطبري» ٢٣٣/١٤، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٩/٧ - ٣٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأورده ابن كثير ٣٥٢/٢ من طريق ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: ولا يصح رفعه والله أعلم. وخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٣٣/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وكي في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الغني إذا رأى الفقير، انقبض؛ وإذا ضمه وإياه مجلس، ازور عنه وولاه ظهره، قاله أبو بكر الوراق.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّتِي أَلْفَمْتُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِّلُوا الشُّرُكِينَ كَافَّةً كَمَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك؛ وكانوا يستحلون المحرم عاماً، ويحرمون مكانه صفر، وتارة يحرمون المحرم ويستحلون صفر. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن عدد شهور المسلمين التي تُعبدوا بأن يجعلوه لستهم؛ اثنا عشر شهراً على منازل القمر؛ فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتد به أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعض يوم. وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر». وقرأ أبو جعفر: «اثنا عشر»، وأحد عشر، و«تسعة عشر»، بسكون العين فيهن.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم، قاله الأكثرون. وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرُمًا لمعنيين: أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضاً. والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وكذلك تعظيم الطاعات فيها. والثاني: أنها الأشهر التي أجل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّتِي أَلْفَمْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس. والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ اختلفوا في كناية «فيهن» على قولين: أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهراً، قاله ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، كفعل أهل النسيء. والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء؛ واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: ثلاث ليالٍ خَلُون، وأيام خلون؛ فإذا جُزئت العشرة قالوا: خلت ومضت؛ ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هُنَّ، وهؤلاء؛ فإذا جُزئت العشرة، قالوا: هي، وهذه؛ إرادة أن تُعرف سمة القليل من الكثير. وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه؛ والقلة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة، يقولون: وجهٌ إليك أكْبُشاً فاذْبِخْهُنَّ، وكِبَاشاً فاذْبِخْهَا؛ فلهذا قال: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله: «فيهن» الأربعة. ومن قال من المفسرين: إنه يعني بقوله: «فيهن» الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل. وعلى قول من قال: ترجع «فيهن» إلى الأربعة؛ يُخرَج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال: أحدها: أنه المعاصي؛ فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله: ﴿يُزَيِّلُ وَمِيكَنَلُ﴾ [البقرة: ٩٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿فَكَفَّهِنَّ وَخَلَّ وَرَوَّاهُنَّ﴾ [الرحمن: ٦٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله: ﴿فَلَا رَقَّتْ وَلَا فَسُوكَ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وإن كانا منهياً عنه في غير الحج،

(١) «الطبري» ٢٣٠/١٤، وفي «صحيح مسلم» ٢/٦٩٠، عن الأحنف بن قيس قال: كنت في نفر من قرش، فمر أبو ذر وهو يقول: «بشر الكافرين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكي من قبل أفتاتهم يخرج من جباههم»، قال: ثم تنحى فقعده، قال: قلت: من هذا قالوا: أبو ذر، قال: فقامت إليه فقلت: ما شيء سمعتك تقول قبيل، قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ. . . . وروى مسلم أيضاً ٢/٦٨٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحصى عليه في نار جهنم فيجمل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». . . .

وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأموراً بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسء، وهو تحليل شهر محرم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق. والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تبدؤوا بالقتال، قاله مقاتل. والرابع: أنه ترك القتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل. والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريباً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا كَانَ حَرَامًا لَهُمْ أَنْ يُحْلِلُوا إِذْ عَاهَدُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُمْ سَوْءُ عَمَلِكُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الجمهور على همز النسء ومدّه وكسر سينه. وروى شبل عن ابن كثير: «النسء» على وزن النشح. وفي رواية أخرى عن شبل: «النسيء» مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر؛ والمراد بالكلمة التأخير. قال اللغويون: النسء: تأخير الشيء. وكانت العرب تحرم الأشهر الأربعة، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم؛ فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم، فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضاً إلى الشهر الذي بعده؛ ثم تندفع الشهور شهراً بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها، فكانهم يستنثون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله ﷻ أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلوا الحرام، وحرّموا الحلال: ﴿لِيُؤْاطَفُوا﴾ أي: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام، وتحريم الحلال. وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصّدْرَ عن منى، قام رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يردّ لي قضاء؛ فيقولون: أنستنا شهراً؛ يريدون: أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرْم لا يُغيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما يتأ. وقيل: إنما كانوا يستحلون المحرم عاماً، فإذا كان من قابل ردّوه إلى تحريمه. قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة. وقال مجاهد: كان أول من أظهر النسء جنادة بن عرف الكناني، فوافقت حجة أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إلا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»<sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نعيم بن ثعلبة.

قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يُضَلُّ» بفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد، على ما لم يُسم فاعله. وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: «يُضَلُّ» بضم الياء وكسر الضاد؛ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: يُضَلُّ الله به. والثاني: يُضَلُّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم. والثالث: يُضَلُّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنوه لهم. قال أبو علي: التقدير: يُضَلُّ به الذين كفروا تابعهم. وقال ابن القاسم: الهاء في «به» راجعة إلى النسء، وأصل النسء: المنسوء، أي: المؤخر، فينصرف عن «مفعول» إلى «فعليل» كما قيل: مطبوع وطبيخ، ومقدور وقدير، قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسء كُشِفَت تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر؛ والأول اختيارنا.

﴿يَتَأْتِيَكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مَآثِرًا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلَبْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْكُمْ وَالْحَكِيمُ الَّذِي مَنَعَ الْأَخِرَةَ فَمَا مَنَعَ الْحَكِيمَ الَّذِي فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

(١) رواه أحمد في «المسنَد» ٣٧/٥، والبخاري ٦/١٠، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧ عن أبي بكره ﷺ، وقد أوردنا الحديث بطوله صفحة (٥٦٧).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجذب وحر شديد، وقد طابت الثمار، عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿ما لكم﴾ استفهام معناه التبويخ. وقوله: ﴿أنفروا﴾ معناه: اخرجوا. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر حاج إلى ذلك. وقوله: ﴿أَتَأْتَلْتُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أراد: تقاتلتم، فأدغم التاء في التاء، وأحدث الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم. وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تقاتلتم». وفي عنى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تقاتلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد. والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا، قاله الضحاك. والثالث: تقاتلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرَضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتمتع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يُتمتع به الأولياء في الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا نَفِرُوا بِمُؤَذِّنِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَنَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا نَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَفِرُوا بِمُؤَذِّنِكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما حثهم على غزو الروم تقاتلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قوم: هذه خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتقاتلوا عنه، فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَنَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوماً غير متقاتلين. ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه، كما لم يضُرَّه ذلك إذ كان بمكة. وفي هاء «تَضُرُّوهُ» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن. والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزجاج.

## فصل

وقد روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، قالوا: نُسخ قوله: ﴿إِلَّا نَفِرُوا بِمُؤَذِّنِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال أبو سليمان الدمشقي: ليس هذا من المنسوخ، إذ لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها. وذكر القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الغور العدو، ففرض على الناس النفير إليهم، ومتى استغفوا عن إعانة من وراءهم، غُدر القاعدون عنهم. وقال قوم: هذا في غزوة تبوك، ففرض على الناس النفير مع رسول الله ﷺ.

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُثُودٍ لَمْ تَرْوَاهُ وَجَعَلَ كُلِّكُمُ الْأَذِينَ كَفَرُوا الشُّغْلَ وَكَلِمَةً اللَّهُ فِي الْعَالِيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ﴾ أي: بالنفير معه: ﴿فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانة على أعدائه، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ اثْنَيْنِ﴾ العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة، قال الزجاج: وقوله: ﴿ثَلَاثَ اثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفرداً إلا من

(١) «الطبري» ٢٥٣/١٤، عن مجاهد، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٣٧/٣، وزاد نسبة لسيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٥٨) عن المستورد أخى بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحداكم أصبهه هذه - وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة - في اليوم، فلينظر بهم ترجع»، ورواه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٤، والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر.

(٣) رواه بنحوه أبو داود في «مسنده» رقم (٢٥٠٦) وفي سننه نجدة بن نفع وهو مجهول. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٩/٣، وزاد نسبة لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».

أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر. وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر. فأما الغار، فهو ثقب في الجبل، وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيب الريح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غارته. قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السُّفَرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَأَنَّ الْفَتَى يَسْعَى لِنَارِهِ دَائِبًا<sup>(١)</sup>

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور. قال مجاهد: مكث فيه ثلاثاً. وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب «الحداثق». قال أنس بن مالك: أمر الله ﷻ شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عجل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام. وصاحبه في هذه الآية أبو بكر، وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(٣)</sup> وفي السكينة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس. والثاني: الوقار، قاله قتادة. والثالث: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتية، وهو أصح. وفي هاء «عليه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت. واحتج من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئناً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تنبيه، والتقدير: فأُنزل الله سكينة عليهما، فاكتمى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله: «وَاللَّهُ رَسُولُهُ أَحَىٰ أَنْ يُرْسُوهُ» [التوبة: ٦٢]، ذكره ابن الأباري.

قوله تعالى: «وَأَيْتَكُمْ» أي: قوّاه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف. «يُحْشَرُونَ لَمْ تَرَوْكَ» وهم الملائكة. ومتى كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس. والثاني: لما كان في الغار، صرّفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزجاج. فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه» وهما متفتحتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجاً. فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ ونظير هذا قوله: «لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَسُولِهِ وَتَرْضَوْهُ وَتَقْرَبُوهُ» [التفتح: ٨] يعني النبي ﷺ، «وَتَسْبِّحُوهُ» يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: «رَبِّعَكَ كَلِمَةً الَّتِي كَفَرُوا السُّفُلُ» فيها قولان: أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. وقرأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، ويعقوب: «وكلمة الله» بالنصب.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» أي: في انتقامه من الكافرين: «حَكِيمٌ» في تديبه.

«اتَّبِعُوا خُفَاءً وَقَالُوا لَا وَجْهَ لَنَا بِمَنْزِلِكُمْ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَمْ حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

قوله تعالى: «اتَّبِعُوا خُفَاءً وَقَالُوا لَا وَجْهَ لَنَا بِمَنْزِلِكُمْ» سبب نزولها أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٤)</sup>. وفي معنى «خُفَاءً وَقَالُوا» أحد عشر قولاً: أحدها: شيوخاً

(١) البيت في «اللسان» غور غير منسوب.

(٢) ابن سعد في «الطبقات» ١/٢٢٩، عن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار: أمر الله شجرة.. الحديث. وفي سننه ضعيف ومجهول. وفي «مسند أحمد» ٨٧/٥، من حديث ابن عباس: «... فمروا بالغار فأروا على باب نهج العنكبوت»، وفي سننه عثمان الجذري لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) «البخاري» ١٠/٧، و«مسلم» ٤/١٨٥٤، دون قوله: وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، وأبي حنيفة، وابن حبان، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٤١، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/٢٤٦، ونسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

وشباباً، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشمر بن عطية، وابن زيد في آخرين. والثاني: رجاله وركبانه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي. والثالث: نشاطاً وغير نشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل. والرابع: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس. ثم في معنى هذا الوجه قولان: أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلّة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء. والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكى عن الزجاج. والخامس: ذوي عيال، وغير عيال. قاله زيد بن أسلم. والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع، قاله ابن زيد. والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم. والثامن: أصحاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجوير. والتاسع: عزاباً ومتأهلين، قاله يمان بن رباب. والعاشر: خفافاً إلى الطاعة، وثقالاً عن المخالفة، ذكره الماوردي. والحادي عشر: خفافاً من السلاح، وثقالاً بالاستكثار منه، ذكره الثعلبي.

### فصل

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْتَفِرُّوا كَآفَّةً﴾<sup>(١)</sup> [التوبة: ١٢٢]. وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿أَنَسَ عَلَى الصُّعَكَاءِ وَلَا عَلَى الرِّضَى﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعاً، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه غيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قوياً. وإن كان له مال وقوة، فعليه الجهاد بالنفس والمال. ومن كان معيماً عاجزاً، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والتناقل عنه. والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكم من الثواب.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك. ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضًا قَرِيبًا. والعَرَض: كلُّ ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفرًا قاصداً، أي: سهلاً قريباً، لَاتَّبَعُوكَ طمعاً في المال ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ قال ابن قتيبة: الشقة: السفر؛ وقال الزجاج: الشقة: الغاية التي تُقَصَّد؛ وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقة شاقّة.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رجعتهم إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ بضم الواو، وكذا أين وقع، مثل: ﴿لَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ﴾ [التكليف: ١٨]، كأنه لما احتج إلى حركة الواو، حركت بالضم لأنها أخت الواو، والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكذب والنفاق ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

﴿عَمَّا أَثَبَّكَ لَمْ أَذْنُ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْإِذْيُ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّا أَثَبَّكَ لَمْ أَذْنُ لَهُمْ﴾ كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلّف لما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين. قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذَه الفداء من الأسارى؛ فعاتبه الله كما تسمعون. قال مورّق: عاتبه ربّه بهذا. وقال سفيان بن عيينة: انظر

(١) وقد ذهب إلى إحكام الآية ومنع النسخ جماعة، منهم ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي، وحكى القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو، ففرض على الناس الثغر إليهم، ومتى استفتوا عن إعادته من وراءهم عذر القاعدون عنهم.

(٢) أخرجه السيوطي في «الدرر» ٢/٣٦٦، من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن السدي.

إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيَّره بالذنب. وقال ابن الأنباري: لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلاً زرتني.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الْآيَاتِ صَدَقُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له. والثاني: لو لم تأذن لهم، لقعُدوا وبيان لك كذبهم في اعتذارهم. قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقول: ﴿فَإِذَا لَمْ يَشْفَكَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢].

﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفِينِ ۝﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَزَانَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَرْدُّونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ﴾ قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان.

### فصل

وروي عن ابن عباس أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَمْ يَدْعُوا حَتَّىٰ يَسْتَذِئِبُوا﴾ إلى آخر الآية [النور: ٦٢]. قال أبو سليمان الدمشقي: وليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝﴾ لَوْ خَرَجُوا فِكرَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِكرَ سَمْعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْقَالِبِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ يعني المستأذنين له في القعود. وفي المراد بالعدَّة قولان: أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: السلاح، والمركوب، وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والانبعاث: الانطلاق، والتبُّط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ في القائل لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ألهموا ذلك خذلاناً لهم، قاله مقاتل. والثاني: أن النبي ﷺ قاله غضباً عليهم. والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكرهما الماوردي. وفي المراد بالقاعدین قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بغير عذر، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى. قال الزجاج: ثم أعلم الله ﷻ لم كره خروجهم، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِكرَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ والخبال: الفساد وذهاب الشيء. وقال ابن قتيبة: الخبال: الشر. فإن قيل: كان الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟ فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما خرج، ضرب عسكره على ثنية الوداع، وخرج عبد الله بن أبي، فضرب عسكره على أسفل من ذلك؛ فلما سار رسول الله ﷺ، تخلف ابن أبي فيمن تخلف من المنافقين، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم. وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل. قال الزجاج: يقال: أوضعت في السير: أسرعت.

قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ قال الفراء: يبيغونها لكم. وفي الفتنة قولان: أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة. قال الحسن: لأضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

(١) قال السيوطي في «الدرر» ٤٤٧/٣: وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، عن الحسن البصري قال: كان عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نبتل، ورفاعة بن زيد بن تابوت من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ مِن بَشَلٍ وَكَثِيرًا لِّكَ الْأَثَرُ﴾ إلى آخر الآية، وهي الآية التي بعد هذه.



قوله تعالى: ﴿وَقَبِضْ سَعْمُونَ لَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: من يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة، وابن إسحاق.

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ بَيْنَ قَبْلٍ وَكَأَلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَقَّ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ﴾ في الفتنة قولان: أحدهما: الشر، قاله ابن عباس. والثاني: الشر، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: من قبل غزوة تبوك. وفي قوله: ﴿وَكَاَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ خمسة أقوال: أحدها: بَعَا لَكَ الغوائل، قاله ابن عباس. وقيل: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على طريقه ليلاً ليفتكوا به، فسلمه الله منهم. والثاني: احتالوا في تشئت أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أبي يوم أحد بأصحابه. والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم. والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالاة المشركين في الباطن. والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النصر ﴿وَبَيَّنَّ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي وَلَا تَقْبِضُ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال للجد بن قيس: «يا جد، هل لك في جلد بني الأصفر، لعلك أن تغتم بعض بنات الأصفر»، فقال: يا رسول الله، اتدني لي فأقيم، ولا تفتني بنات الأصفر. فأعرض عنه، وقال: «قد أفنت لك»، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ فِي الْمَنَافِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس. وفي قوله: ﴿وَلَا تَقْبِضُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تفتني بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: لا تكسبني الإثم بأمرك إِيَّاي بالخروج وهو غير متيسر لي، فأثم بالمخالفة، قاله الحسن، وفتادة، والزجاج. والثالث: لا تكفرني بالزامك إِيَّاي الخروج، قاله الضحاك. والرابع: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ في هذه الفتنة أربعة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: الإثم، قاله فتادة، والزجاج. والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلٍ وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فَرِحُوا﴾ (٦٠)

﴿لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ أي: نصر وغنيمة. والمصيبة: القتل والهزيمة. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾

أي: عَمِلْنَا بالحزم فلم نخرج. ﴿وَيَسْأَلُونَ وَهُمْ فَرِحُوا﴾ بمصابك وسلامتهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قضى علينا، قاله ابن عباس. والثاني: ما بين لنا في كتابه من أننا نظفر فيكون ذلك حسناً لنا، أو نقتل فتكون الشهادة حسناً لنا أيضاً، قاله الزجاج. والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: ناصرنا.

﴿قُلْ هَلْ نَرَبُّونَ بِأَ إِلَّا اخَذَ الْحُسَيْنِيُّ وَنَحْنُ نَرَبُّنَا بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ يَأْخُذَ بِنَاصِرِنَا﴾ (٦٢)

﴿قُلْ هَلْ نَرَبُّونَ بِأَ﴾ أي: نتنظرون. والحسينان: النصر والشهادة. ﴿وَنَحْنُ نَرَبُّنَا بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ في هذا العذاب قولان: أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس. والثاني: الموت، قاله ابن جرير.

﴿قُلْ هَلْ نَرَبُّونَ بِأَ﴾ أي: نتنظرون. والحسينان: النصر والشهادة. ﴿وَنَحْنُ نَرَبُّنَا بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ في هذا العذاب قولان: أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس. والثاني: الموت، قاله ابن جرير.

(١) أورده السيوطي في «الدر» ٣/٢٤٨، من رواية محمد بن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» من طريقه عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَنَّكَ﴾ يعني: القتل.

﴿قَدْ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ سبب نزولها أن الجد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افستنت. ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقت طائعين أو مكريين لن يُتَقَبَلَ منكم. ومثله في الشعر قول كثير:

أسيشي بنا أو أحسنني لا ملومة  
لدينا ولا مقلية إن تَقَلَّتْ<sup>(٢)</sup>

لم يأمرها بالإساءة، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدنا. قال الفراء: ومثله ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿وَمَا سَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْ هُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَمَا سَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تقبل» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يقبل» بالياء. قال أبو علي: من أثت، فلان الفعل مسند إلى مؤث في اللفظ؛ ومن قرأ بالياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكيره؛ كقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقرأ الجحدري: «أن يقبل» بياء مفتوحة، «نفقاتهم» بكسر التاء. وقرأ الأعشى: «نفقتهم» بغير الف، مرفوعة التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يقبل» بالياء «نفقتهم» بنصب التاء على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ هُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ «منهم»، والتقدير: وما منهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرماً.

﴿فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بها في الآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتبية. فعلى هذا، في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: ليُعَذِّبَهُمْ بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر، قاله ابن زيد. والثالث: أن المعنى: ليُعَذِّبَهُمْ بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله، قاله الحسن. فعلى هذا، ترجع الكناية إلى الأموال وحدها. والرابع: ليُعَذِّبَهُمْ بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، ذكره الماوردي. فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقَ أَفْسُهُمْ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السهم: إذا جاوز الهدف.

﴿وَلَيَكُونَنَّ بِاللَّهِ إِلَهُكُمْ لَيْسَ لَكُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَنْصُرُكُمْ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٩) لَوْ يَخْتُلِفُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَقَرَّةً أَوْ مَدْعَاً لَوَلَّوْا

إِلَيْهِ وَهُمْ يَخْمَعُونَ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَيَكُونَنَّ بِاللَّهِ إِلَهُكُمْ لَيْسَ لَكُمْ مِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون، و «يَخْمَعُونَ» بمعنى يخافون. فاما الملجأ، فقال الزجاج: الملجأ واللجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتَحَصَّنُ فيه. والمغارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه. وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبيدة: «أو مُغَارَات» بضم الميم؛ لأنه يقال: أغرت

(١) «الطبري»: ٢٩٤/١٤، وفي سنده انقطاع.

(٢) البيت لكثير عزة: «ديوانه» ٥٣/١، من قصيدته المشهورة، «الطبري» ٢/٢٩٤، و ٢٩٣/١٤، و «معاني القرآن» للفراء ١/٤٤١، يقال: فلا يقلبه قلبى، فهو مقلي: كرهه وأبغضه، وتقلي: تبغض، أي: استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه.

وَعُرْتُ: إِذَا دَخَلْتَ الْغُورَ. وَأَصْلُ مُدْخَلَ: مَدْتَخَلَ، وَلَكِنْ التَّاءُ تَبْدَلُ بَعْدَ الدَّالِ دَالًا، لِأَنَّ التَّاءَ مَهْمُوسَةٌ، وَالدَّالُ مَجْهُوودٌ، وَالتَّاءُ وَالدَّالُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ الْكَلَامُ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَخْفَتْ. وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَأَبُو الْجَوَازِ: «أَوْ مُتَدْخَلًا» بَرَفْعِ الْمِيمِ، وَتَاءُ وَدَالٍ مُفْتُوحَتَيْنِ، مُشَدَّدَةُ الْخَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو عَمْرٍاءُ: «مُتَدْخَلًا» بِنُونٍ بَعْدَ الْمِيمِ الْمُضْمُومَةِ. قَرَأَ الْحَسَنُ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَيَعْقُوبُ: «مَدْخَلًا» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ وَسُكُونِهَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَالَ: «مَدْخَلًا» فَهُوَ مَنْ دَخَلَ يَدْخُلُ مَدْخَلًا؛ وَمَنْ قَالَ: «مُتَدْخَلًا» فَهُوَ مَنْ أَدْخَلْتَهُ مُدْخَلًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْصَانَا وَمُضْبَحُنَا  
بِالْخَيْرِ صَبَّحُنَا رُبِّي وَمَسَانَا<sup>(١)</sup>

وَمَعْنَى مُدْخَلَ وَمُتَدْخَلَ: أَنَّهُمْ لَوْ وَجَدُوا قَوْمًا يَدْخُلُونَ فِي جَمَلَتِهِمْ «لَوَلَّوْا» إِلَيْهِ، أَي: إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ «وَهُمْ يَبْتَغُونَ» أَي: يَسْرِعُونَ إِسْرَاعًا لَا يَرْدُ فِيهِ وَجْهُهُمْ شَيْءٌ. يَقَالُ: جَمَعَ وَطَمَحَ: إِذَا أَسْرَعَ وَلَمْ يَرُدَّ وَجْهَهُ شَيْءٌ؛ وَمَنْهَ قِيلَ: فَرَسَ جَمُوحٌ لِلَّذِي إِذَا حَمَلَ لَمْ يَرِدْهُ اللَّجَامُ.

﴿وَمَنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَلَئِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْشِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فِيمَنْ نَزَلَتْ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ذُو الْخَوَاصِرَةِ التَّمِيمِي، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا: أَعْدَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>. وَيَقَالُ: أَبُو الْخَوَاصِرِ. وَيَقَالُ: ابْنُ ذِي الْخَوَاصِرَةِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا يُعْطِي مُحَمَّدٌ مِنْ يَشَاءُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: «يَلْمِزُكَ» يَعْنِيكَ وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ. يَقَالُ: هَمَزْتَ فَلَانًا وَلَمْزْتَهُ: إِذَا اغْتَبَيْتَهُ وَعَيْتَهُ؛ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى كَسْرِ مِيمِ «يَلْمِزُكَ». وَقَرَأَ يَعْقُوبُ، وَنُظِيفٌ عَنْ قَنْبَلٍ، وَأَبَانٌ عَنْ عَاصِمٍ، وَالْقَزَازُ عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ: «يَلْمِزُكَ» وَ«يَلْمِزُكَ» وَ«لَا تَلْمِزُوا» بِضَمِّ الْمِيمِ فِيهِنَّ. وَقَرَأَ ابْنُ السَّمِيعِ: «يَلْمِزُكَ» مِثْلُ: يَفَاعِلُكَ. وَقَدْ رَوَاهَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فَاعِلْتُ فِي هَذَا مِنْ وَاحِدٍ، نَحْوُ: طَارَقَتِ النَّعْلُ، وَعَافَاهُ اللَّهُ، لِأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: «يَلْمِزُكَ» بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ، مِثْلُ: يَفْعَلُكَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يَقَالُ: لَمَزْتَ الرَّجُلَ أَلْمَزَهُ وَالْمُزَهُ، بِكَسْرِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا: إِذَا عَيْتَهُ، وَكَذَلِكَ: هَمَزْتَهُ أَهْمَزَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْنِي لِي مَكَاثِرَةً  
وَإِنْ تَعَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ<sup>(٣)</sup>

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾  
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهِمَا وَالْمُؤَلَّفُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أَي: قَنَعُوا بِمَا أُعْطُوا. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ فِي الزِّيَادَةِ، أَي: لِكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ. وَهَذَا جَوَابُ «لَوْ»، وَهُوَ مُحذُوفٌ فِي الْفَلْظِ. ثُمَّ بَيَّنَّ الْمُسْتَحَقَّ لِلصَّدَقَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ اِخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْفَقِيرَ: الْمُتَعَفِّفُ عَنِ السُّؤَالِ، وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي يَسْأَلُ بِهِ رَمَقًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَالزَّهْرِيُّ، وَالْحَكَمُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمُقَاتِلٌ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْفَقِيرَ: الْمُحْتَاجُ الَّذِي بِهِ زَمَانَةٌ، وَالْمَسْكِينُ: الْمُحْتَاجُ الَّذِي لَا زَمَانَةَ بِهِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَالثَّلَاثُ: الْفَقِيرُ: الْمَهَاجِرُ، وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي لَمْ يَهَاجِرْ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ، وَالنَّخَعِيُّ. وَالرَّابِعُ: الْفَقِيرُ: فَقِيرُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَسْكِينُ: مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْفَقِيرَ: مَنْ لَهُ الْبُلْغَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمَسْكِينُ: الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَيَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ الرَّابِعِ:

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في «الأغاني» ١٢٩/٤، و«اللسان» مسا.

(٢) «الطبري»: ٣٠٣/١٤، وإسناده صحيح، وقصة ذو الخويصرة معرة عن سبب النزول رواها البخاري في «صحيحه» ٤٥٥/٦، ومسلم ١٦٥/٧ من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري.

(٣) البيت لزياد الأعجم في «الطبري» ٣٠١/١٤، و«مجاز القرآن» ٢٦٣/١، و«شواهد الكشاف» ١٥٢، و«إصلاح المنطق» ٤٧٥، و«الجمهرة» لابن دريد ١٨/٣، و«المقاييس» ٦٦/٦، و«اللسان»: همز.

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلْوَيْتُهُ

وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يُشْرَكَ لَهُ سَبَدٌ<sup>(١)</sup>

فسماء فقيراً، وله حلوبة تكفيه وعياله. وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين؛ يريد: أنا أسوأ حالاً من الفقير. والسادس: أن الفقير أمس حاجة من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ. قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالاً من الفقير. وقال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالاً من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة؛ المفقور الذي نزع فقرة من فقر ظهره، فكانه انقطع ظهره من شدة الفقر؛ فصرف عن مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبيخ، قال الشاعر:

لَمَّا رَأَى لُبَدَ النَّسُورِ تَطَايَرَتْ

رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْرَلِ<sup>(٢)</sup>

قال: ومن الحجة لهذا القول قوله: «أَمَّا السَّيِّئَةُ فَكَانَتْ لِسَكِينٍ يَمْلُؤُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا وَكَانَ وَلاَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا» [الكهف: ١٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً؛ قال: وهو الصحيح عندنا. قوله تعالى: «وَالْمَكِيلِينَ عَلَيْهَا» وهم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منها بقدر أجور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بركة.

قوله تعالى: «وَالْمُؤَلَّفَةَ لِقُلُوبِهِمْ» وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون. فأما المسلمون، فصنفان؛ صنف كانت نيئاتهم في الإسلام ضعيفة، فتألفهم تقوية لنياتهم، كمُئِنَّة بن حصن، والأقرع؛ وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم. وأما المشركون، فصنفان؛ صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألفهم دفعاً لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل؛ وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أمية. وقد ذكرت عدد المؤلفات في كتاب «التلقيح». وحكمهم باقي عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ. قال الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفات لقلوبهم.

قوله تعالى: «وَفِي الرِّقَابِ» قد ذكرناه في سورة [البقرة: ١٧٧].

قوله تعالى: «وَالْفَكْرَيْنِ» وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء. قال قتادة: هم ناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير، وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قضِيَ دينه أن يعود إلى الاستدانة لذلك؛ ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله تعالى: «وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعني: الغزاة والمرابطين. ويجوز عندنا<sup>(٣)</sup> أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم. وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: «وَأَنْ سَبِيلِ» هو المسافر المنقطع به، وإن كان له مال في بلده؛ قاله مجاهد، وقاتدة، وأبو حنيفة، وأحمد. فأما إذا أراد أن ينشئ سفراً، فهل يجوز أن يعطى؟ قال الشافعي: يجوز، وعن أحمد مثله؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ١٧٧] فيه أقوالاً عن المفسرين.

قوله تعالى: «فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ» يعني أن الله افترض هذا.

(١) «ديوانه» ٥٥، «إصلاح المنطق» ٣٢٦، «والاقتضاب» ١١٤، والحلوبة: الناقة التي تحلب، وقوله: وفق العيال، أي: لها لين قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. وقيل: قدر ما يقوتهم، وكل شيء طابق شيئاً فهو وفق له. والسبد: الشعر. وقيل: الوبر. فإذا قيل: ماله سبد ولا ليد، فمعناه: ماله ذو وير ولا صوف متلب، يكتى بهما عن الإبل والغنم.

(٢) البيت للبيد، «ديوانه» ٢٧٤، «واللسان»: فقر، ومعجم البلدان ٢٧٨/٦، «ومعجم مقاييس اللغة» ٩٠/٤، «والحيوان» ٣٢٦/٦، وقوله: كالفقير، ويروى: كالمقير، ويروى: كالكسير. والأعرل: المائل الذنب توصف به الخيل. والقوادم: أربع ريشات في مقدم الجناح، الواحدة: قادمة، والفقير: المكسور الفقار، وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العقب.

(٣) أي: عند الحنابلة.

## فصل

وحدُ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين: أن يكون مالكاَ لخمسين درهماً، أو عدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته، أو لا يقوم. والثاني: أن يكون له كفاية، إما من صناعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربهها بكفايته. وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكاَ لنصاب تجب عليه فيه الزكاة. فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة، فهم بنو هاشم، وبنو المطلب. وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب. ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبنو المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافاً لأبي حنيفة. فأما موالي بني هاشم وبنو المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافاً لمالك. ولا يجوز أن يعطي صدقته مَنْ تلزمه نفقته؛ وبه قال مالك، والثوري. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يعطي والدًا وإن علا، ولا ولدًا وإن سفل، ولا زوجة، ويعطي مَنْ عداهم. فأما الذمي؛ فالأكثر على أنه لا يجوز إعطاؤه. وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد مسلماً، أعطى الذمي. ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف؛ وهو قول أبي حنيفة، ومالك؛ وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة. فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تقصر فيه الصلاة، فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يُجزئه؛ وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة؛ يكره نقلها، وتجزئه. قال أحمد: ولا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً. وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزاءً. فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجة من غير حد. فإن أعطى من يظنه فقيراً، فبان أنه غني، فهل يجوز؟ فيه عن أحمد روايتان.

﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ فَلْأَذُنْ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَنُكَرًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن خذام بن خالد، والجلال بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإننا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجللاس: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أذن سامعة، ثم نأتيه فيصدقنا؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من المنافقين يقال له: بُنْتَل بن الحارث، كان ينم حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين، ف قيل له: لا تفعل؛ فقال: إنما محمد أذن، مَنْ حَدَّثَهُ شيئاً، صدقه؛ نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية؛ قاله محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup>. والثالث: أن ناساً من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديع بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقروه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقاً، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن ما يقوله محمد حق، وإنكم لشر من الحمير؛ ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامراً كاذب، وحلف عامر أنهم كذَّبوا، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق، وكذب الكاذب؛ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْشَكُمْ﴾، قاله السدي<sup>(٢)</sup>. فأما الأذى فهو عيبه ونقل حديثه. ومعنى ﴿أَذُنٌ﴾ يقبل كل ما قيل له. قال ابن قتبية: الأصل في هذا أن الأذن هي السامعة، ف قيل لكل من صدق بكل خير يسمعه: أذن. وجمهور القراء يقرؤون ﴿هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ﴾ بالتثنية. وقرأ نافع ﴿هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ﴾ بإسكان الذال فيهما. ومعنى ﴿أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: أذن خير، لا أذن شر؛ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن عمر، وابن أبي عتبة «أَذُنٌ» بالتثنية «خَيْرٌ» بالرفع. والمعنى: إن كان كما قلت، يسمع منكم ويصدقكم، خير لكم من أن يكذبكم. قال أبو علي: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة، كما قال الخليل، إنما سميت الناب من

(١) «الطبري» ٣٢٥/١٤، و «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣ عن السدي، وأورده «الطبري» ٣٢٩/١٤، ٣٣٠ عن قتادة سبباً لنزول الآية التي بعدها ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْشَكُمْ﴾.

وأورده السيوطي كذلك في «الدر» ٢٥٣/٣ عن قتادة من طريق ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعن السدي من طريق ابن أبي حاتم.

الإبل، لمكان الباب البازل، فسميت الجملة كلها به، فأجروا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها. ثم بين ممن يقبل، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان؛ والمعنى: يصدق الله ويصدق المؤمنين. وقال الزجاج: يسمع ما ينزله الله عليه، فيصدق به، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. وقرأ حمزة «ورحمته» بالخفض. قال أبو علي: المعنى: أذن خير ورحمة. والمعنى: مستمع خير ورحمة.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَكُمُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَكُمُ﴾ قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلون. وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أبي، حلف لا يتخلف عن رسول الله ﷺ، وليكوننَّ معه على عدوه. وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالغيب. وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في «ليرضوكم» بمعنى القسم، والمعنى: يحلفون بالله لكم ليرضيتكم. قال: وهذا خطأ، لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليَرْضُوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يُرْضُونَ في المستقبل. قلت: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج، وقد مال إليه الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالتوبة والإنابة. والثاني: بترك الطعن والعيب. فإن قيل؛ لم قال: «يَرْضَوْهُ» ولم يقل: يرضوهما؟ فقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَلَا يُفْقِهَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿أَلَمْ يَلْمَؤْا أَنْهُمْ مِنْ يُكَادُّوهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتَ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ خَلِيقًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمَؤْا﴾ روى أبو زيد عن المفضل «ألم تعلموا» بالتاء. : ﴿أَنْتُمْ مَنْ يُكَادُّوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس. والثاني: من يعادي الله، كقولكم: من يُجَانِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أي: يكون في حد، واللَّهُ وَرَسُولُهُ في حد.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ الجمهور: «فأن» بفتح الهمزة. وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عملة: بكسرها. فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم. ودخلت «إن» مؤكدة. ومن قال: «فأن له» فإنما أعاد «أن» الأولى تأكيداً؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أؤكد.

﴿يَحْذَرُ الْكُفَّيْنُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ مَا تَحْذَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْكُفَّيْنُونَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المنافقين كانوا يعيرون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني مجلدت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(١)</sup>. والثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل ﷺ ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان. وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ الْكُفَّيْنُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم. والثاني: أنه أمر من الله ﷻ لهم بالحرز، فتقديره: ليحذر المنافقون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن، ويعذب الكافر؛ يريدون: يرحم وليعذب، فيسقطون اللام، ويَجْرُونَ مجرى الخبر في الرفع، وهم لا ينون إلا الدعاء؛ والدعاء مضارع للأمر.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَخِرُوا﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديداً. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ مَا تَحْذَرُونَ﴾ وجهان: أحدهما: مظهر ما تُسِرُّون. والثاني: ناصر من تخذلون، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَخْشَى وَلَكِنَّهُ قُلِ إِيَّاكُمْ وَآبَاءَكُمْ وَرَسُولَكُمْ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ لَا تَسْتَكْبِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ إِنْ تَقِفْ عَنْ طَاعَتِهِ يَنْكِرْ تَعَدَّتْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِبِينَ﴾

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣.





أولياء بعض، ﴿يَأْمُرُونَ بِالشُّكْرِ﴾ وهو الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان. وفي قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿سُوا اللَّهَ فَنَسِيحٌ﴾ قال الزجاج: تركوا أمره، فتركهم من رحمته وتوفيقه. قال: وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم، كما تقول: عَذْبُكَ حَسْبُ فِئْلِكَ، وحَسْبُ فلان ما نزل به، أي: ذلك على قدر فعله. وموضع الكاف في قوله: ﴿كَأَلَيْكَ مِنْ قِيلِكُمْ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم. وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَمْتُمْوا عَلَى قِيَمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: استمعوا بنصيبتهم من الآخرة في الدنيا. وقال الزجاج: بحظهم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْضُمْ﴾ أي: في الطعن على الذين وتكذيب نبيكم كما خاضوا. ﴿أَوَّلَيْكَ حِطَّتْ أَفْئَتُهُمْ فِي الذَّنْبِ﴾ لأنها لم تقبل منهم، وفي الآخرة، لأنهم لا يثابون عليها، ﴿وَأَوَّلَيْكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٍ إِزْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد نمروذ بن كنعان ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ يعني قوم شعيب. ﴿وَالْمُؤَيَّدِينَ﴾ قرى لوط. قال الزجاج: وهم جمع مؤنثكة، ائتمكت بهم الأرض، أي: انقلبت. قال: ويقال: إِنَّهُمْ جَمِيعٌ مِنْ أَهْلِكَ، [كما] يقال للهلك: انقلبت عليه الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني هذه الأمم ﴿رُشْلُهُمْ بِالْيَسَنِتِ﴾ فكذبوا بها، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبياً ينذرهم، والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤِثِّرُونَ الصَّالَةَ وَيُؤْثِرُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ وَلَسَبَتْ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قال أبو عبيدة: في جنات عُدْن، يقال: عَدَنَ فلان بأرض كذا، أي: أقام؛ ومنه: المعْدِن، وهو في معدِن صدق، أي: في أصل ثابت. قال الأعشى:

وإن تَسْتَضِيفُوا إِلَى جِلْمِهِ تُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنَ<sup>(١)</sup>

أي: رزين لا يُسْتَخَف. قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطْنَانُ الْجَنَّةِ، وبُطْنَانُهَا: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷻ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسليم، والجنان حولها محدقة بها.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ قال ابن عباس: أكبر مما يوصف. وقال الزجاج: أكبر مما هم فيه من النعيم. فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟ فعه جوابان: أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب. وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: رينا وما لنا لا نرضى، وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الموجب للنعيم الرضوان، والموجب ثمرة الموجب، فهو الأصل.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

(١) «ديوانه» ١٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٦٤، و«الطبري» ١٤/ ٣٥٠، و«اللسان»: وزن. واستضاف إليه: لجأ إليه عند الحاجة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١١/ ٣٦٣ - ٣٦٤، و«مسلم» ٤/ ٢١٧٦.

قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار، فبالسيف. وفي جهاد المنافقين قولان: أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس. والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، قتادة. فإن قيل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم؟ فالجواب: أنه إنما أمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذه بظاهر أمره، ولا يبحث عن سره.

قوله تعالى: ﴿وَإِظْهَرْ عَلَيْهِمُ﴾ قال ابن عباس: يريد شدة الانتهاز لهم، والنظر بالبغضة والمقت. وفي الهاء والميم من «عليهم» قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس. والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل.

﴿يَحْلُوتُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ مَا نَقَلُوا وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَبْتَكَرُوا يَكُوبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿يَحْلُوتُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم؛ فقال الجلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقاً، لنحن شر من الحمير. فقال عامر بن قيس: والله إنه لصق، ولأنتم شر من الحمير؛ وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاس فقال: ما قلت شيئاً، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين. والثاني: أن عبد الله بن أبي قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والثالث: أن المنافقين كانوا إذا خلوا، سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وطعنوا في الدين؛ فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئاً، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما كلمة الكفر، فهي سبهم رسول الله ﷺ، وطعنهم في الدين. وفي سبب قوله: ﴿وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ابن أبي حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت فيهم حين هموا بقتل رسول الله، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي هم رجل يقال له: الأسود. وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلاً، هموا بقتله ليلة العقبة. والثالث: أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن شر من الحمير؛ وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شر من الحمير، هم المنافق بقتله؛ فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَوْمًا يُبَالَوْنَ﴾، هذا قول مجاهد. والرابع: أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجاً نباهي به رسول الله ﷺ؛ فلم ينالوا ما هموا به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر:

مَا نَقَمَ النَّاسُ مِنْ أَمِيَّةٍ إِلَّا  
وَأَنْهُمْ سَادَةُ الْمُؤَلَّوْكَ وَلَا

وهذا ليس مما يُنْقَمُ، وإنما أراد، أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:

بِهِنَّ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُؤْتَهُمْ

أي: ليس فيهم عيب. قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من معاشهم، فلما قدم عليهم، غنموا، وصارت لهم الأموال. فعلى هذا، يكون الكلام عاماً. وقال قتادة: هذا في عبد الله بن أبي. وقال عروة: هو

(١) البیتان لعبد الله بن قيس الرقيات «ديوانه» ٤، و «الكامل» ٦٤٨، و «طبقات فحول الشعراء» ٥٣٣، و «مجاز القرآن» ١٧٠/١، و «الأغاني» ١٦٠/٤، و «غريب القرآن» ١٩٠، و «السمط» ٢٩٥، و «شواهد المغني» ٢١١، و «الخزانة» ٦٦٨/٣.

(٢) «ديوانه» ١١، و «مختار الشعر الجاهلي» ١٦١، و «العمدة» ٤٥/٢، و «الصناعتين» ٤٠٨.

الجلال بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى؛ فلما نزلت ﴿فَإِنْ يَتُوبَا بِكَ خَيْرًا لَّكَ﴾ قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتُوبَا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان. قال ابن عباس: كما تولى عبد الله بن أبي، ﴿يَعِدُّهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الَّذِينَ﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطبيقه» قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة، لسارت» فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً، لأوتيت كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً، فتمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة. فسأل عنه رسول الله ﷺ، فأخبر خبره، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!» وأنزل الله تعالى: ﴿حُذِرْ مِنْ أَنْزَلِمَ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ٩]، وأنزل فرائض الصدقة؛ فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، وكتب لهما كتاباً يأخذان الصدقة، وقال: «مرا بشعلبة، وبفلان» رجل من بني سليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي. فانطلقا؛ فأخبر السلمي، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك؛ فقال: خذاه، فلن نفسي بذلك طيبة؛ فأخذاه منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرا بشعلبة فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿بِمَا كَاثُرًا يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج إلى ثعلبة، فأخبره؛ فأتى رسول الله، وسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: «إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك»؛ فجعل يحثو التراب على رأسه. فقال: «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني». فرجع إلى منزله. وقُبِض رسول الله، ولم يقبل منه شيئاً، فلما ولي أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عثمان، سأله أن يقبلها؛ فقال: لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها؛ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه. روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: مر ثعلبة على مجلس، فاشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا. فأتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد؛ فقص الله علينا شأنه. والثاني: أن رجلاً من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجهد له جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصَّدق منه، ولأصِلنَّ، فأتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس. قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة. والثالث: أن ثعلبة، ومُعْتَب بن قشير، خرجا على ملأ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصَّدقنَّ. فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومُعْتَب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصَّدقن. فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما التفسير، فقوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ أي: قال: علي عهد الله ﴿لَنُصَدِّقَنَّ﴾ الأصل: لننصَّدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها. ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير. وقد روى كهُمَس عن معبد بن ثابت أنه قال: إنما هو شيء نَوَّه في أنفسهم ولم يتكلموا به؛ ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِسُورَةٍ خَيْرًا مِنْهَا وَهُمْ لَا يُعْلَمُونَ﴾؟

(١) «الطبري» ٣٧١/١٤ - ٣٧٢ وخروجه الليثي في «المجمع» ٣١١/٧ - ٣٢٢ وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهماني وهو متروك. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: رواه الطبراني، والبيهقي في «الدلائل» والشعب، وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مرفوع، كلهم من طريق علي بن يزيد الألهماني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وقال: وهذا إسناد ضعيف جداً.

﴿فَلَمَّا مَاتَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ جَحَلُوا يَدَهُمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا مَاتَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ﴾ أي: ما طلبوا من المال: ﴿جَحَلُوا يَدَهُمْ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

﴿فَاعْقَبْنَاهُمْ بِمَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿فَاعْقَبْنَاهُمْ﴾ أي: صير عاقبة أمرهم النفاق. وفي الضمير في «أعقبهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم ببخلهم بما نلدروا نفاقاً، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ يعني المنافقين: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ وهو ما في نفوسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ حديثهم بينهم.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَنَعْيٍ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أبو مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام؛ فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء، وإن كان الله ورسوله لَنَعْنِينَ عن هذا الصاع، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الأنصاري قولان: أحدهما: أنه أبو خيثمة، قاله كعب بن مالك. والثاني: أنه أبو عقيل. وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال: أحدها: عبد الرحمن بن يَسْجَانَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ ويقال: ابن يَسْجَانَ؛ ويقال: سَيْحَان<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو عقيل بن قيس. والثاني: أن اسمه الْخَبْجَاب، قاله قتادة. والثالث: الْخُبَاب. قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف، وجاء عاصم بن عدي بن الْعَجْلَان بمائة وَسَق من تمر. و﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعني يعيبون. و﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المتطوعين، قال الفراء: أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاءً مشددة. والجهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجهد. قال أبو عبيدة: الجهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم. وقال ابن قتيبة: الجهد: الطاقة؛ والجهد: المشقة. قال المفسرون: عُني بالمطَّوِّعِينَ عبدُ الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل. وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: جازاهم على فعلهم، وقد سبق هذا المعنى.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «سوف استغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم»؛ فنزل قوله: ﴿سَوْءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٤٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وظاهر قوله: «استغفر لهم» الأمر، وليس كذلك؛ إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يُغْفَرُ لَهُمْ، فهو كقوله: ﴿أَتَيْقُظُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين. وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على

(١) «الطبري» ٣٨٨/١٤، «البخاري» ٢٣٤/٣، «مسلم» ٢٤٩/٨، «أسباب النزول» للواحدي ١٤٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٢٢/٣ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «المعرفة».

(٢) في الأصل: ابن مسعود، وكذا جاء في «الدر» وهو خطأ، والتصويب من المراجع التي ذكرت في التعليق السابق، وأبو مسعود: هو أبو مسعود الأنصاري البصري، واسمه عتبة بن عمرو بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ شهد العقبة.

(٣) «الطبري» ٣٨٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) انظر «فتح الباري» ٢٤٩/٨، فقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام على أبي عقيل هذا.

السبعين، رجي لهم الغفران. ثم نسخت بقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾. فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أخبر بأنهم كفروا؟ فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر. فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟ فالجواب: أن العرب تستكثر في الأحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

﴿تَرَى الْمَخْلُوفِينَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَرَى الْمَخْلُوفِينَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. والمخلف: المتروك خلف من مضى. «بمقعدهم» أي: بقعودهم. وفي قوله: ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة. والثاني: أن معناه: مخالفة رسول الله ﷺ، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ، قاله الزجاج. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خَلَفَ رسول الله»، ومعناها: أنهم تأخروا عن الجهاد. وفي قوله: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ﴾ قولان: أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي. وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لمن خالف أمر الله. وقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون. قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فقهت الحديث أفقهه؛ وكل علم بشيء: فقه. ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفقه: فهم الشيء. وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

﴿تَلَيَّسَكُمْ فَلَا تَبُوءُوا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَلَيَّسَكُمْ فَلَا تَبُوءُوا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ لفظة لفظ الأمر، ومعناه التهديد. وفي قلته ضحكهم وجهان: أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لما يتوجه إليهم من الوعيد. والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، ويقاؤها قليل. ﴿وَلَبِئْسَ الْكِرَامُ﴾ في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليكون الدموع في النار، حتى لو أجزت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليكني. قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من النفاق والمعاصي.

﴿إِنْ رَجَعْتَ إِلَى ظِلِّهِمْ يَتَنَبَّؤْكَ لِلخُرُوجِ فُلًا لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكَ رَضِيئٌ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْبِلْهُ مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ رَجَعْتَ إِلَى ظِلِّهِمْ يَتَنَبَّؤْكَ لِلخُرُوجِ﴾ أي: ردك من غزوة تبوك إلى المدينة ﴿إِلَى ظِلِّهِمْ﴾ من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر. وإنما قال: ﴿إِلَى ظِلِّهِمْ﴾ لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقاً. ﴿يَتَنَبَّؤْكَ لِلخُرُوجِ﴾ معك إلى الغزو، ﴿فُلًا لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ إلى غزاة، ﴿إِنَّكَ رَضِيئٌ بِالْقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك. وذكر الماوردي في قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قولين: أحدهما: أول مرة دُعيتهم. والثاني: قبل استئذانكم. فأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذين خلف بعد شاخص، فقدع في رحله، وهو الذي يتخلف عن القوم. وفي المراد بالخالفين قولان: أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعدار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن، وقتادة.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّاوُا وَهُمْ فَكَيْفَ تُبْقِوهُنَّ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه؛ فقال: آذني أصلي عليه، فأذنه؛ فلما



إِلَى الْحَزَنِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَنَزَ<sup>(١)</sup>

أي: فقد جاء بعذر. ويجوز أن يكون «المعذرون» الذين يعذرون، يوهمون أن لهم عذراً، ولا عذر لهم. ويجوز في النحو: المعذرون؛ بكسر العين، والمُعذرون؛ بضم العين، غير أنه لم يُقرأ بهما، لأن اللفظ بهما يثقل. ومن قرأ «المعذرون» بتسكين العين، فتأويله: الذين أعذروا وجاؤوا بعذر. وقال ابن الأنباري: المعذرون هاهنا: المعذرون بالعين الصحيح. وأصل الكلمة عند أهل النحو: المعتذرون، فحوّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الذال من التاء، وأدغمت في الذال التي بعدها، فصارتا ذالاً مشددة. ويقال في كلام العرب: اعتذر: إذا جاء بعذر صحيح، وإذا لم يأت بعذر. قال الله تعالى: ﴿ثَلَّ لَا تَمْتَدِّرُوا﴾ فدل على فساد العذر، وقال لبيد:

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَنَزَ

أي: فقد جاء بعذر صحيح. وكان ابن عباس يقرأ «المعذرون» ويقول: لعن الله المعذرين. يريد: لعن الله المقصّرين من المتنافقين وغيرهم. والمعذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح؛ فبان من هذا الكلام أن لهم عذراً على قراءة من خفف. وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد؟ فيه قولان. قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذن لهم في التخلف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ﷺ، وقعد آخرون من المتنافقين بغير عذر وإظهار علّة، جرأة على الله تعالى.

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُ مَا يُفْقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الذَّمِّ حَرَجًا أَلَّا يَحْدُثُوا مَا يُفْقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿لَمَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَنْتِزُونَكُمُ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَلَاحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَتْلَوْنَ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر، قاله قتادة. والثاني: في ابن [أم] مكتوم، قاله الضحاك. وفي المراد بالضعفاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الزمنى والمشايخ الكبار، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم الصغار. والثالث: المجانين؛ سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي. والصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانة، أو عَمَى، أو سِنٌ، أو ضَعَف في الجسم. والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال، و ﴿الَّذِينَ لَا يَحْدُثُ﴾ هم المُتْلُونَ، والخرج: الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله، وفيه وجهان: أحدهما: أن المعنى: إذا برثوا من النفاق. والثاني: إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل. فإن قيل بالوجه الأول، فهو يعم جميع المذكورين. وإن قيل بالثاني، فهو يخص المقلّين. وإنما شُرط النصح، لأن من تخلف بقصد السعي بالفساد، فهو مذموم؛ ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من طريق بالعقوبة، لأن المحسن قد سد بإحسانه باب العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ نزلت في البكّائين، واختلف في عددهم وأسمائهم؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: من ستة: عبد الله بن مغفل، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُليّة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عُمر، وثعلبة بن عتبة<sup>(٢)</sup>، أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم، فقال: ﴿لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فانصرفوا باكين<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان: سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن عتبة: عمرو بن عتبة. قال: وقيل منهم معقل بن يسار. وروى أبو إسحاق عن أشياخه أن البكّائين سبعة من الأنصار: سالم بن عُمر، وعُليّة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحُمام بن الجموح، وعبد الله بن

(١) البيت للبيد: «ديوانه» ٢١٤، و«معجم القرآن» ١٦/١، و«الطبري» ١١٩/١، و«الأغاني» ٩٨/١٤، و«مشكل القرآن» ١٩٨، و«رسالة الغفران» ٤٢٩، و«المعتمد الفريد» ٤٩/١، و«الغزاة» ٢١٧/٢، و«اللسان» عذر. وقوله اعتذر هنا، بمعنى أعتز أي: بلغ أقصى الغاية في العذر.

(٢) ضبطه الحافظ في «الإصابة» بالعين المهملة، كما في الأصل، وفي «الطبري» بالعين المعجمة.

(٣) «سيرة ابن هشام» ٥١٨/٢، بنحوه، والسيوطي في «الدرر» ٢٦٧/٢.



مغفل. وبعض الناس يقول: بل، عبد الله بن عمرو المزني، وعرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف. وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن، وهم سبعة؛ وقد ذكروهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن. وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرن، وسويد بن مقرن، ومعتل بن مقرن، وسنان بن مقرن، وعقيل بن مقرن، وعبد الرحمن بن مقرن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرن. وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه. وفي الذي طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس. والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك. والثالث: النعال، قاله الحسن.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤﴾  
تُرْذَرُونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةُ قَبْلَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يعتذرون إليكم إذا رجعت من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿وَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن علمتم خيراً وتبتم من تخلفكم ﴿ثُمَّ تُرْذَرُونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةُ﴾ فيخبركم بما كنتم تعملون في السر والعلانية.

﴿سَيَعْلَنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَزَاءٍ بِمَا كَانُوا بِكَافِبِينَ ٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَنُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: حلف منهم بضعة وثمانون رجلاً، منهم جَدَّ بن قيس، ومُعْتَب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم. والثاني: لأجل إعراضكم. وقد شرحنا في [المائدة: ٩٠] معنى الرجس.

﴿يَعْلَنُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ فَلَمَّا رَضُوا عَنْهُمْ قَاتَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْلَنُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: حلف عبد الله بن أبي النبي ﷺ: لا أتخلف عنكم، ولا كونن معك على عدوك، وطلب منه أن يرضى عنه، وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعمر بن الخطاب، وجعلوا يترضون النبي ﷺ وأصحابه، وكان رسول الله ﷺ قال لما قدم المدينة: ﴿لا تجالسوهم ولا تكلموهم﴾<sup>(١)</sup>.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلِكُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: نزلت في أعراب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر.

قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَمْلِكُوا﴾ قال الزجاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم. تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليف بأن تفعل، أي: هذا الفعل مسير فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ «أن»، وإن أتيت بالياء، صلح بـ «أن» وغيرها، فنقول: أنت جدير بأن تقوم، وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكانها عوض من المحذوف. فاما قوله: ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض. وقيل: المراد بالآية أن الأعم في الحرب هذا.

﴿وَيَٰۤاَۤلْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذْ مَأْوِيًّا مَّعْرُومًا وَيَرْتَضِ بِكُمْ الدَّارَ بِرَ عَلَيْهِمْ دَابِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَٰۤاَۤلْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذْ مَأْوِيًّا﴾ إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة ﴿مَعْرُومًا﴾ لأنه لا يرجو له ثواباً. قال ابن قتيبة: المعرّم: هو العرّم والخسر. وقال ابن فارس: العرّم: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللّازم، وسمي الغريم لإلحاحه. وقال غيره: العرّم: التزام ما لا يلزم.

(١) أخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٦٨/٣، من طريق ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن السدي بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْصُدْ﴾ أي: ويتنظر ﴿يَكُ الدَّوَابُّ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة. وقيل: يتنظر موت الرسول ﷺ، وظهور المشركين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحمزة، والكسائي: «السَّوْءُ» بفتح السين؛ وكذلك قرؤوا في سورة [الفتح: ٦]، والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء. قال الفراء: وفتح السين من السَّوْء هو وجه الكلام. فمن فتح، أراد المصدر من: سُوْءُهُ سُوْءٌ وَمَسَاءَةٌ. ومن رفع السين، جعله اسماً، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب. ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨] ولا في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَتَنَّا ظَرْفَ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢] لأنه ضدُّ لقولك: رَجُلٌ صِدْقٌ. وليس للسَّوْء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيضم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَبِّحُوهُمْ لِلَّهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغفار. وفي قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ قولان: أحدهما: في الجهاد. والثاني: في الصدقة. فاما القربات، فجمع قُرْبَة، وهي: ما يقرب العبد من رضى الله ومحبه. قال الزجاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها. وفي المراد بصلوات الرسول قولان: أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس. والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة، والزجاج، وأنشد الزجاج:

عليك مثل الذي صَلَّى فَاغْتَمِضِي

نَزَمًا، فَإِنَّ لِحْنِبِ الْمَرْءِ مَضْطَجِعًا<sup>(١)</sup>  
قال: إن شئت قلت: مثل الذي، ومثل الذي؛ فالأول أمرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوت. والثاني: بمعنى: عليك مثل هذا الدعاء.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّا قُرْبَىٰ لَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قُرْبَة» لهم خفيفة. وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرْبَة» لهم بضم الراء. وفي المشار إليها وجهان: أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم. والثاني: إلى صلوات الرسول. قوله تعالى: ﴿سَبِّحُوهُمْ لِلَّهِ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس: في جته.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فيهم ستة أقوال: أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقاتادة. والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي الحديبية، قاله الشعبي. والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم سبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي. والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ قرأ يعقوب: «والأنصار» برفع الراء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبَعُوهُمْ بإحسان إلى أن تقوم الساعة.

(١) البيت لأعشى قيس من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنفي، «ديوانه» ١٠١ و«اللسان»: صلى.

ومن قال هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدوا بهم في أفعالهم، ففضل أولئك بالسبق، وإن كانت الصلبة حاصلة للكل. وقال عطاء: اتباعهم إياهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْآَنْهَارُ﴾ قرأ ابن كثير: «من تحتها» فزاد «من» وكسر التاء الثانية.

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعم الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا يَلْمِزُكَ مِّنْ تَلْمِزِهِمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ﴾ قال ابن عباس: مزيعة، وجبهة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون. قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ قال ابن عباس: مرونا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أبي، وجند بن قيس، والجلال، ومعتب، ووخوح، وأبو عامر الراهب. وقال أبو عبيدة: عتوا ومرنوا عليه، وهو من قولهم: تمرّد فلان، ومنه: شيطان مرید. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا﴾، وليس يجوز في الكلام: من القوم قعدوا؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدهن: أن تكون «من» الثانية مردودة على الأولى؛ والتقدير: ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون، ثم استأنف «مردوا». والثاني: أن يكون في الكلام «من» مضمرة، تقديره: ومن أهل المدينة من مردوا؛ فأضمرت «من»، للدلالة «من» عليها، كقوله: ﴿وَمَا يَنَالُ لَكُمْ مَقَامٌ مَّكْرُمٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] يريد: إلا من له مقام معلوم؛ وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله: «منافقون». والثالث: أن «مردوا» متعلق بمنافقين، تقديره: ومن أهل المدينة منافقون مردوا، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿لَا تَلْمِزُهم فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا لَا يَعْلَمُهَا أَنْتَ حَتَّى تُنْفِلَهم بِهِم. والثاني: لا تعلم عواقبهم.

قوله تعالى: ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ فيه عشرة أقوال: أحدها: أن العذاب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قاله ابن عباس. قال: وقام رسول الله ﷺ يوم الجمعة خطيباً، فقال: «يا فلان اخرج فإنك منافق، ويا فلان اخرج»<sup>(١)</sup> ففضحهم. والثاني: أن العذاب الأول: إقامة الحدود عليهم. والثاني: عذاب القبر؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منه، والآخر: الجهاد الذي يؤمرون به، قاله الحسن. والرابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال أبو مالك. والخامس: الجوع والقتل، رواه سفيان عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. والسادس: القتل والسبي، رواه معمر عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: القتل والأسر. والسابع: أنهم عذبوا بالجوع مرتين، رواه خُصيف عن مجاهد. والثامن: أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قاله ابن زيد. والتاسع: أن الأول: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثاني: في القبر بمنكر ونكير، قاله مقاتل بن سليمان. والعاشر: أن الأول بالسيف، والثاني عند الموت؛ قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاب جهنم.

﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَرِيَّ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنهم عشرة رهط تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فلما دنا رجوع رسول الله ﷺ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد. فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «من هؤلاء؟» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى تطلقهم أنت وتعذرهم، فقال: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا

(١) «الطبري» ٤٤١/١٤ - ٤٤٢، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٣٣/٧، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقري، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

عني وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عن ابن عباس أن الذين تخلّفوا كانوا ستة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن جذام الأنصاري. وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا سبعة. والثاني: أنها نزلت في أبي لبابة وحده. واختلفوا في ذنبه على قولين: أحدهما: أنه خان الله ورسوله بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النزول على حكم سعد أنه الذبيح، وهذا قول مجاهد<sup>(٣)</sup>، وقد شرحناه في [الأنفال: ٢٧]. والثاني: أنه تخلّف عن تبوك<sup>(٤)</sup>، قاله الزهري. فأما الاعتراف، فهو الإقرار بالشيء عن معرفة. والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التوبة والقبول.

قوله تعالى: ﴿خَطَرُوا عَمَلًا صَالِحًا وَاتَّخَرُ سَبِيلًا﴾ قال ابن جرير: وضع الواو مكان الباء، والمعنى: بآخري سيء، كما تقول: خلطت الماء واللبن. وفي ذلك العمل قولان: أحدهما: أن العمل الصالح: ما سبق من جهادهم، والسيء: التأخر عن الجهاد، قاله السدي. والثاني: أن العمل الصالح: توبتهم، والسيء: تخلّفهم، ذكره الفراء. وفي قوله: «عسى» قولان: أحدهما: أنه واجب من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق، وذلك يصد عن الله والإهمال.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ صَدَقَةً﴾ قال المفسرون: لما تاب الله ﷻ على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق به عنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>. وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها تطوعاً، قاله ابن زيد، والجمهور. والثاني: الزكاة، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ وقرأ الحسن «تطهّروهم بها» بجزم الراء. قال الزجاج: يصلح أن يكون قوله: «تطهّروهم» نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة. والأجود أن يكون للنبي ﷺ، المعنى: فإنك تطهّروهم بها ف «تطهّروهم» بالجزم، على جواب الأمر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم، تطهّروهم. ولا يجوز في «تزكّيهم» إلا إثبات الياء، اتّباعاً للمصحف. قال ابن عباس: «تطهّروهم» من الذنوب، «وتزكّيهم»: تصلّحهم. وفي قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: استغفر لهم، قاله ابن عباس. والثاني: ادع لهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ صَلَاتُكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «إن صلواتك» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «إن صلّاتك» على التوحيد. وفي قوله: ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: طمأنينة لهم أن الله قد قَبِلَ منهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: تثبيت وسكون. والثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: وَقَارٌ لهم، قاله قتادة. والخامس: تزكية لهم، حكاه الثعلبي. قال الحسن، وقاتدة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خَلَفُوا.

(١) «الطبري» ٤٤٧/١٤ - ٤٤٨، و «أسباب النزول» لإلواحي ١٤٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) «الطبري» ٤٤٨/١٤ - ٤٤٩، والسيوطي في «الدر» ٢٧٣/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) «الطبري» ٤٥١/١٤، والسيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، ونسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد مختصراً. وعن سعيد بن المسيب مطولاً ونسبه للبيهقي.

(٤) «الطبري» ٤٥٢/١٤، وقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في المترفين بخطأ فعلهم في تخلّفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة. وقال ابن كثير ٣٨٥/٢. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المنزّلين الخطائين المخلفين المتلوّثين.

(٥) «الطبري» ٤٥٤/١٤ - ٤٥٥.

﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤) وَقُلِ اتَّبِعُوا سَبِيلَ اللَّهِ فَتَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ قرأ الجمهور «يعلموا» بالياء. وروى عبد الوارث «تعلموا» بالتاء. وقوله: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: من عبده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي يقبلها. ومثله ﴿خُذِ الْقَمْرَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اتَّبِعُوا﴾ قال ابن زيد: هذا خطاب للذين تابوا.

﴿وَأَخْرَجُوا مُجِيزًا لِلَّهِ إِنَّا جَعَلْنَاهُمْ إِمَآةً يُوَدُّ عَلَيْهِمْ وَآلَهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦)

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُجِيزًا﴾ وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي «مُجِزًا» بغير همز. والآية نزلت في كعب بن مالك، ومُراد بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر، ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري؛ فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: ﴿وَعَلَّ الْكَلْبَةَ الْغَالِيَةَ خُلُقًا﴾ [التوبة: ١١٨]. قال الزجاج: «وأخرون» عطف على قوله: «ومن أهل المدينة»، فالمعنى: منهم منافقون، ومنهم «أخرون مُجِزُونَ» أي: مؤخرون؛ و «إمّا» لوقوع أحد الشيتين، والله تعالى عالم بما يصير إليه أمرهم، لكنه خاطب العباد بما يعلمون، فالمعنى: ليكن أمرهم عندكم على الخوف والرجاء. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم بما يفعله بهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا سَبَّحُوا بُرْكَاتِهِ كَثِيرًا وَذَكَرُوا آيَاتِهِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِينَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا سَبَّحُوا بُرْكَاتِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «والذين» بواو، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ نافع، وابن عامر: «الذين» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. قال أبو علي: من قرأ بالواو، فهو معطوف على ما قبله، نحو قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلْعَنُكَ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، والمعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً. ومن حذف الواو، فعلى وجهين: أحدهما: أن يضم - ومنهم الذين اتخذوا - كقوله: أكفرتم، المعنى: فيقال لهم: أكفرتم. والثاني: أن يضم الخبر بعد، كما أضم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، المعنى: يُنتقم منهم ويعذبون. قال أهل التفسير: لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجداً قباء، ويعثوا إلى رسول الله ﷺ، فأتاهم فصلى فيه؛ حسدهم إخوانهم بنو عثم بن عوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مسجداً، ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وأبنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر فأتي بجند الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء؛ وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد ومن داره أخرج المسجد، وتبثل بن الحارث، وبيجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومُعْتَب بن قُشَيْر، وعَبَّاد بن حُثَيْف، ووديعه بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وابناه يزيد<sup>(١)</sup> ومُجَمِّع؛ وكان مُجَمِّع إمامهم فيه، ثم صلحت حاله، وبهزج جد عبد الله بن حنيفة، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «ما أردت بما أرى؟» فقال: والله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب. وقال مقاتل: الذي حلف مُجَمِّع. وقيل: كانوا سبعة عشر؛ فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد ابتئنا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه؛ فدعا بقميصه ليلسه، فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبرهم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن الدُخْشُم في آخرين، وقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه»

(١) كذا الأصل يزيد، والذي في «الطبري» و«سيرة ابن هشام»، و«ابن كثير»، و«الدرر»: «زيد».

وأحرقوه، وأمر به رسول الله ﷺ أن يتخذ كُناسة تُلقي فيها الجيف<sup>(١)</sup>. ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً. فاما التفسير، فقال الزجاج: «الذين» في موضع رفع، المعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. و«ضراراً» انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حذفت اللام، أفضى الفعل فنصب. قال المفسرون: والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء، «وَكُفِّرُوا» بالله ورسوله «وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ» لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم، والإرصاد: الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار. «وَلَيَحْلِلَنَّ إِنْ أَرَدْنَا» أي: ما أردنا «إِلَّا الْحُسْنَى» أي: ما أردنا بابتناؤه إلا الحسنى؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: طاعة الله. والثاني: الجنة. والثالث: فعل التي هي أحسن من إقامة الدين والاجتماع للصلاة. وقد ذكرنا اسم الحالف.

﴿لَا تَقْعُدُوا فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّهِ يَجَالُ يُخَوِّتُ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَكْرِهُ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْعُدُوا فِيهِ﴾ أي: لا تصل فيه أبداً. «لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى» أي: بني على الطاعة، وبناء المتقون «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» أي: منذ أول يوم. قال الزجاج: «وَمِنْ» في الزمان، والأصل: منذ ومذ، وهو الأكثر في الاستعمال. وجائز دخول «من» لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعض، ومثله قول زهير:

لِمَنْ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الْجَجْرِ أَقْوَنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ

وقيل: معناه: مِنْ مَرَّ حَجَجٍ وَمِنْ مَرَّ شهر. وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذي فيه منبره وقبره. روى سهل بن سعد أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد الرسول، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «هو مسجدي هذا»<sup>(٣)</sup> وبه قال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنه مسجد قباء، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وقتادة، وعروة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك، ومقاتل. والثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة، قاله محمد بن كعب.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يَجَالُ يُخَوِّتُ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل قباء كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، أتاهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي أثنى الله به عليكم» فقالوا: إنا نستنجي بالماء<sup>(٥)</sup>. فعلى هذا، المراد به الطهارة بالماء. وقال أبو العالية: أن يتطهروا من الذنوب.

﴿أَتَمَنَّا أَسْكَسَ بَيْكُنْهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْكَسَ بَيْكُنْهُ عَلَى شَفَا حَرْبٍ هَكَذَا فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَمَنَّا أَسْكَسَ بَيْكُنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «أسس» بفتح الألف في الحرفين جميعاً وفتح النون فيهما. وقرأ نافع، وابن عامر «أسس» بضم الألف «بنيانه» برفع النون. والبنيان مصدر يراد به المبني. والتأسيس: إحكام أس البناء، وهو أصله، والمعنى: المؤسس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو رضوانه خير، أم المؤسس بنيانه غير متقٍ؟ قال الزجاج: وشفا الشيء: حره وحذه. والشفا مقصور، يكتب بالألف، ويشنى شفوان.

(١) «الطبري» ٤٦٨/١٤، وأورده السيوطي بنحوه في «الدر» ٢٧٧/٣.

(٢) «ديوانه» ٨٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٣. وروى الأصمعي: ومن دهر. قوله: من شهر، أراد: من شهور. وأقوين: خلون. والقنة: أعلى الجبل، أو هي الجبل الذي ليس بمشتر.

(٣) «الطبري» ٤٧٩/١٤، وأحمد في «المسند» ٣٣١/٥، و«مسلم» ١٠١٥/٢ بنحوه، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٣٤/٧ وقال: رواه كلاً أحمد، والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح.

(٤) «الطبري» ٤٨٧/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣.

(٥) السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣ بنحوه، ونسب للطبراني، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿جُرُفٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «جُرُف» مثقلاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «جُرُف» ساكنة الراء. قال أبو علي: فالضم الأصل، والإسكان تخفيف، ومثله: الشُّغْل والشُّغْل. قال ابن قتيبة: المعنى: على حرف جرف هائر. والجرف: ما يتجرف بالسيول من الأودية. والهاثر: الساقط. ومنه: تهوّر البناء وإنهار: إذا سقط. وقرأ ابن كثير، وحمزة «هار» بفتح الهاء. وأمال الهاء نافع، وأبو عمرو. وعن عاصم كالقراءتين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنهَارٍ بِهِ﴾ أي: بالباقي ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾. قال الزجاج: وهذا مثل، والمعنى: أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهوّر بأهله فيها. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة، فروي فيها الدخان. قال جابر: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان.

﴿لَا يَزَالُ بُنِنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِنُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضرار ﴿الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: شكاً ونفاقاً، لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بناءه، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بناءه، قاله ابن السائب ومقاتل. والثالث: أن المعنى: لا يزال هدم بنيانهم حرازة وغيظاً في قلوبهم، قاله السدي، والمبرد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «إلا» وهو حرف استثناء. وقرأ يعقوب «إلى أن» فجعله حرف جر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بفتح التاء. ثم في المعنى قولان: أحدهما: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتل في آخرين. والثاني: إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم نداماً وأسفاً على تفریطهم، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَلَىٰ عِلِّيِّهِمْ خُفَا فِي التَّوَارِيخِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِيرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ سبب نزولها أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع، لا ثقل ولا نستقبل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ﴾ الآية، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. فأما اشتراء النفس، فبالجهاد. وفي اشتراء الأموال وجهان: أحدهما: بالإتفاق في الجهاد. والثاني: بالصدقات. وذكّر الشراء هاهنا مجازاً، لأن المشتري حقيقة هو الذي لا يملك المشتري، فهو كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. والمراد من الكلام أن الله أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم عن ذلك بالجنة، فعبّر عنه بالشراء لما تضمن من عوض ومعوض. وكان الحسن يقول: لا والله، إن في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت بيعته. وقال قتادة: ثابتهم والله فأعلى لهم.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» فاعل ومفعول. وقرأ حمزة، والكسائي: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» مفعول وفاعل. قال أبو علي: القراءة الأولى بمعنى أنهم يقتلون أولاً ويقتلون، والأخرى يجوز أن تكون في المعنى كالأولى، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم؛ فإن لم يقدّر فيه التقديم، فالمعنى: يقتل من بقي منهم بعد قتل من قُتل، كما أن قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن من بقي يقتل من قُتل. ومعنى الكلام: إن الجنة عوض عن جهادهم، قُتلوا أو قُتِلُوا. ﴿وَصَدَّقَ عَلَيْهِ﴾ قال



(١) «الطبري» ٥١٠/١٤، وأحمد في «المسند» ٤٣٣/٥، و«البخاري» ١٧٦/٣ - ١٧٧، و ٢٥٨/٨ و ٣٨٩/٨، و«مسلم» ٢١٣/١ - ٢١٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي شبة، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، واليهيقي في «الدلائل».

النبي ﷺ يستغفر له، فقال المسلمون: ما يمتنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين، فنزلت هذه الآية. قال أبو الحسين بن المنادي<sup>(١)</sup>: هذا لا يصح، إنما قال النبي ﷺ لعمه: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» قبل أن يموت، وهو في السياق، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت، فلا، فانقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه. والثاني: أن النبي ﷺ مرَّ بقبر أمه أمنة، فتوضأ وصلى ركعتين، ثم بكى، فبكى الناس لبكائه، ثم انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ فقال: «مرت بقبر أُمِّي فصليت ركعتين، ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها، فنهيت، فبكيت، ثم عدت فصليت ركعتين، واستأذنت ربي أن أستغفر لها، فزجرت زجراً، فأبكاني»، ثم دعا براحله فركبها؛ فما سار إلا هنيئاً، حتى قامت الناقة لثقل الوحي؛ فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآية التي بعدها، رواه بريدة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً استغفر لأبيه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أنتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليل عن علي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه»، فنزلت هذه الآية، ويُنْ عذر إبراهيم، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. ومعنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجُبَيْرِ﴾ أي: من بعد ما بان أنهم ماتوا كفاراً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَنْ مَرَّةٍ وَوَعْدَآ إِنِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار، وذلك قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي﴾ [مریم: ٤٧]، وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محظور حتى أخبره الله بذلك. والثاني: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن؛ فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر، ترك الدعاء له. فعلى الأول، تكون هاء الكناية في «إِيَّاهُ» عائدة على آزر، وعلى الثاني، تعود على إبراهيم. وقرأ ابن السميع، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك: «وعدها أباه» بالباء. وفي الأوَّ ثمانية أقوال: أحدها: أنه الخاشع الدُّعَاء المتضرع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ. والثاني: أنه الدُّعَاء، رواه زُرُّ عن عبد الله، وبه قال عبيد بن عمير. والثالث: الرحيم، رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود، وبه قال الحسن، وقتادة، وأبو مسرة. والرابع: أنه الموقن، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. والخامس: أنه المؤمن، رواه العوفي، ومجاهد، وابن أبي طلحة عن ابن عباس. والسادس: أنه المسبِّح، رواه أبو إسحاق عن أبي مسرة، وبه قال سعيد بن المسيب، وابن جبير. والسابع: أنه المتأوِّه لذكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوَّاه مجاز فَعَالَ من التأوِّه، ومعناه: متضرع شَفَقاً وقرَّناً ولزوماً لطاعة ربه، قال المُتَّعِب:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٌ      تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ<sup>(٥)</sup>

والثامن: أنه الفقيه، رواه ابن جريج عن مجاهد. فأما الحليم، فهو الصفوح عن الذنوب.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُزِيلَ قُوَّتَهُ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ شَيْئاً عَلَيْهِ ۝١٥ إِنَّ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَالْأَرْضُ يَتَّبِعُهُ وَبُيُوتُكُمْ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٦﴾

(١) هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين بن المنادي (٢٥٦ - ٣٣٦ هـ) عالم بال تفسير والحديث من أهل بغداد. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضلها وإطلاعه، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه، آخر من روى عنه محمد بن فارس اللقوي، من كتبه «اختلاف العدد» و«دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعايات».

(٢) «الطبري» ٥١٢/١٤ مختصراً، وأحمد في «مسند» ٣٥٩/٥، و«مسلم» ٦٧١/٢، بمعناه، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٤/٣ عن ابن مردويه.

(٣) «الطبري» ٥١٤/١٤، ٥١٥، وأحمد في «المسند» رقم ٧٧١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبته للطائلي، وابن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والفضاء في «المختارة».

(٤) «الطبري» ٥١٣/١٤.

(٥) البيت في «الطبري» ٥٣٤/١٤، و«المفضليات» ٢٩١، و«مجاز القرآن» ٢/٢٧٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٣١، و«السمط» ٥٦، و«القرطبي» ٨/٢٧٦، و«اللسان»: أوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ يَصِلُ قَوْمًا﴾ الآية، سبب نزولها: أنه لما نزلت آية الفرائض، وجاء النسخ، وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل أمر القبله والخمر، ومات أقوام على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قوم: المعنى أنه يبين أنه لم يكن ليأخذهم بالاستغفار للمشركين قبل تحريره، فإذا حرّمه ولم يمتنعوا عنه، فقد ضلوا. وقال ابن الأنباري: في الآية حذف واختصار، والتأويل: حتى يتبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه، فعند ذلك يستحقون الضلال؛ فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال؛ يريدون: فتجرت فكسبت.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَهْمُ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذكر معهم، كقوله: ﴿فَأَذَّنَ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأشغال: ٤١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾ قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرّ شديد، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعقبون عليه، وكانوا في فقر، وربما اقتسم الثمرة اثنان، وربما مص الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر. وقيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتبس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، وحتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: «تحب ذلك؟» قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء<sup>(١)</sup>، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم «كاد يزيع» بالياء. وقرأ الباقر بالياء، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين هموا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم ترغ عن الإيمان، قاله الزجاج. والثالث: أن القلوب كادت تزيع تلفاً بالجد والشدة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة.

﴿وَمَنْ أَلْفَنَتْهُ أَلْفٌ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا سَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْحَمُ الْوَّابِينَ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْفَنَتْهُ أَلْفٌ خَلَفُوا﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، والشعبي، وابن عمر: «خالقوا» بالفاء، وقرأ معاذ القارئ، وعكرمة، وحמיד: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المخففة. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو العالية: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام مع تشديدها. وهؤلاء هم المرادون بقوله: ﴿وَالْآخِرُونَ مُّجِزُونَ﴾ وقد تقدّمت أسماؤهم [التوبة: ١٠٦]. وفي معنى «خَلَفُوا» قولان: أحدهما: خَلَفُوا عن التوبة، قاله ابن عباس، ومجاهد. فيكون المعنى: خَلَفُوا عن توبة الله على

(١) قالت السماء: أي، أقبلت بالسحاب.

(٢) «الطبري» ٥٤١/١٤ - ٥٤٢، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ١٩٤/٦ - ١٩٥. وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار ثقات. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨٦/٣ وزاد نسبة لابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة».

أبي لبابة وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك. والثاني: خُلفوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة. وحديثهم مندرج في توبة كعب بن مالك<sup>(١)</sup>، وقد رويتها في كتاب «الحدائق».

قوله تعالى: ﴿حَرَجَ إِذَا سَأَلْتَهُمُ الْأَرْضَ بِمَا رَجَبْتُمْ﴾ أي: ضاقت مع سَعَتِهَا، وذلك أن المسلمين مُنعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي ﷺ مُعرضاً عنهم. ﴿وَسَأَلَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بالهم والغم. ﴿وَوَلَّوْا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ أي: لا معتصم من الله ومن عذابه إلا هو. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أعاد التوبة تأكيداً، ﴿يَسْتَوُوا﴾ قال ابن عباس: ليستقيموا. وقال غيره: وقَّهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما ييطلها. وسئل بعضهم عن التوبة النصوح، فقال: أن تضيق على التائب الأرض، وتضيق عليه نفسه، كتوبة كعب وصاحبيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في قصة الثلاثة المتخلفين. والثاني: أنها في أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد ﷺ وكونوا مع الصادقين. وفي المراد بالصادقين خمسة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عمر. والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبیر، والضحاك. وقد قرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «مع الصادقين» بفتح القاف وكسر النون على الشنية. والثالث: أنهم الثلاثة الذين خُلفوا، صدقوا النبي ﷺ عن تأخيرهم، قاله السدي. والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في الجهاد، قاله ابن جريج. قال أبو سليمان الدمشقي: وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. والخامس: أنه عام، قاله قتادة. و«مع» بمعنى: «من»، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: «وكونوا من الصادقين».

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَلُونَ مِنْهُ خِزْفًا وَلَا يُنْفِقُونَ فَنَقَدَ صَوْبَهُ وَلَا كِبِيرَهُ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ يَوْمَ عَمَلٍ صَحْبٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ فَنَقَدَ صَوْبَهُ وَلَا كِبِيرَهُ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ يَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس: يعني: مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ في غزوة غزاه، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لا يرضوا لأنفسهم بالخضف والدعة ورسول الله في الحر والمشقة. يقال: رغبت بنفسي عن الشيء: إذا ترفعت عنه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ﴾ وهو العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التعب ﴿وَلَا مَخَصَصَةٌ﴾ وهي المجاعة ﴿وَلَا يَطَلُونَ مِنْهُ خِزْفًا﴾ أسراً أو قتلاً أو هزيمة، فأعلمهم الله أنه يجازيهم على جميع ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ فَنَقَدَ صَوْبَهُ﴾ قال ابن عباس: ثمرة فما فوقها. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ مقبلين أو مدبرين ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ﴾ أي: أثبت لهم أجر ذلك. ﴿يَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن ﴿مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اختلف المفسرون في هذه الآية، فقالت طائفة: كان في أول الأمر لا يجوز التخلف عن رسول الله ﷺ حين كان الجهاد يلزم الكل؛ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفَرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]؛

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ يُسِيرُوا كَأَنَّهُمْ ظُلُومٌ لَا تُبْصَرُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ بَيْنَهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

[illegible]

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قد أمر بقتال الكفار على العموم، وإنما يُتَدَا بالأقرب فالأقرب. وفي المراد بمن يلهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الروم، قاله ابن عمر. والثاني: قريظة، والنضير، وخيبر، وفدك، قاله ابن عباس. والثالث: الديلم، قاله الحسن. والرابع: العرب، قاله ابن زيد. والخامس: أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب، قاله قتادة. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أنه ينبغي أن يقاتل أهل كل ثغر الذين يلونهم. قال: وقيل: كان النبي ﷺ ربما تخطى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون ذلك أهيب له، فأمر بقتال من يليه ليُسْتَرَّ بذلك. وفي الغلظة ثلاث لغات: غِلْظَة، بكسر الغين؛ وبها قرأ الأكثرون. وعَلْظَة، بفتح الغين، رواها جيلة عن عاصم. وعُظْظَة، بضم الغين، رواها المفضل عن عاصم. ومثلها: جَذوة وجَذوة وجَذوة، ووجنة ووجنة ووجنة، ورغوة ورغوة ورغوة، وريبة وريبة وريبة، وقسوة وقسوة وقسوة، وألوة وألوة وألوة: في اليمين. وشاة لَجْبة ولَجْبة ولَجْبة: قد ولَّى لَينها. قال ابن عباس في قوله «غلظة»: شجاعة. وقال مجاهد: شدة.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ هذا قول المنافقين بعضهم لبعض استهزاء بقول الله تعالى. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَوَذَّابُنَا لَهُمْ﴾ لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً. ﴿وَقَدْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزولها. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ أي: شك ونفاق. وفي المراد بالرجس ثلاثة أقوال: أحدها: الشك، قاله ابن عباس. والثاني: الإثم، قاله مقاتل. والثالث: الكفر، لأنهم كلما كفروا بسورة زاد كفرهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين. وقرأ حمزة: «أو لا ترون» بالثاء على الخطاب للمؤمنين. وفي معنى: ﴿يُنْفِثُونَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: يكذبون كذبة أو كذبتين يُضِلُّونَ بها، قاله حذيفة بن اليمان. والثاني: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: يُبْتَلَوْنَ بالغزو في سبيل الله، قاله الحسن، وقناة. والرابع: يُفْتَنُونَ بالسَّنة والجوع، قاله مجاهد. والخامس: بالأوجاع والأمراض، قاله عطية. والسادس: يَنْقُضُونَ عهدهم مرة أو مرتين، قاله يمان. والسابع: يكفرون، وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي ﷺ بما تكلموا به إذ خَلَوْا، علموا أنه نبي، ثم يأتيهم الشيطان فيقول: إنما بلغه هذا عنكم، فيشركون، قاله مقاتل بن سليمان. والثامن: يُفْضَحُونَ بإظهار نفاقهم، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: من نفاقهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتعظون. ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ يَوْمَ يَأْتِيكُمْ بِهِمْ﴾ أي: من نفاقهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتعظون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس: كانت إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخطبهم رسول الله ﷺ وعرض بهم في خطبته، شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، يقولون: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ يَوْمَ يَأْتِيكُمْ﴾ من المؤمنين إن قمتم؟ فإن لم يره أحد، خرجوا من المسجد. قال الزجاج: كأنهم يقولون ذلك إيماءً لئلا يعلم بهم أحد، ﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا﴾ عن المكان، وجائز عن العمل بما يسمعون. وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به.

قوله تعالى: ﴿صَرَخَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: عن الإيمان. وقال الزجاج: أضلهم مجازاة على فعلهم. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء. وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومجرب عن أبي عمرو: بفتحها. وفي المضمومة أربعة أقوال: أحدها: من جميع العرب، قاله ابن عباس؛ وقال: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ. والثاني: ممن تعرفون، قاله قتادة. والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قاله جعفر الصادق. والرابع: بشر مثلكم، فهو أكد للحجة، لأنكم تفقهون عن من هو مثلكم، قاله الزجاج. وفي المفتوحة ثلاثة أقوال: أحدها: أفضلكم خلقاً. والثاني: أشرفكم نسباً. والثالث: أكثركم طاعة لله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: شديد عليه ما شق عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. والثاني: شديد عليه ما أنتمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سماء باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: «رؤوف» فعول، من الرأفة، وهي أرق من الرحمة؛ ويقال: «رؤف»، وأنشد:

تري للمؤمنين عليك حقاً  
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم<sup>(١)</sup>

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: يكفيني ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. وقرأ ابن محيصن: «العظيم» برفع الميم. وإنما خص العرش بالذكر، لأنه الأعظم، فيدخل فيها الأصغر. قال أبي بن كعب: آخر آية أنزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٨٨/١٤ - ٥٨٩، والحاكم في «المستدرک» ٣٣٨/٢، و«المسند» ١١٧/٥ وفي سننه علي بن زيد بن جدعان. قال الهيثمي في «المجمع» ٣٦/٧: وهو ثقة سيح الحفظ وبقية رجاله ثقات، ورواه أحمد في «المسند» ١٣٤/٥ بأطول منه عن عمر بن شقيق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، ورجاله ثقات خلا عمر بن شقيق فإنه مجهول.



## سورة يونس

## فصل في نزولها

روى عطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وعكرمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: ٤٠]. وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وقال مقاتل هي مكية، غير آيتين، قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ والتي تليها [يونس: ٩٤، ٩٥]. وقال بعضهم: هي مكية إلا آيتين، وهي قوله: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ﴾ والتي تليها [يونس: ٥٨، ٥٩].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

فأما قوله: ﴿الرَّ﴾ قرأ ابن كثير: «الر» بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الر» على الهجاء مكسورة. وقد ذكرنا في أول سورة (البقرة) ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خُصَّت هذه الكلمة بستة أقوال: أحدها: أن معناها: أنا الله أرى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنا الله الرحمن، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه بعض اسم من أسماء الله. روى عكرمة عن ابن عباس قال: «الر» و«حم» و«ن» حروف الرحمن. والرابع: أنه قَسَمَ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، وقاتدة. والسادس: أنه اسم للسورة، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿تِلْكَ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى «هذه»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة. والثاني: أنه على أصله. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، قاله مجاهد، وقاتدة؛ فيكون المعنى: هذه الأقاصيص التي تسمعونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل. والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن، قاله الزجاج. والثالث: أن «تلك» إشارة إلى «الر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتحة بها السور هي «مَائِتُ الْكِتَابِ» لأن الكتاب بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع، ذكره ابن الأنباري. قال أبو عبيدة: «الْمُكَبِّرِ» بمعنى المحكم المبيّن الموضح؛ والعرب قد تضع فعلاً في معنى مفعّل، قال الله تعالى: ﴿مَا لَدَى عِذِّكَ﴾ [آ: ٢٣، ١٨] أي: مُعَذِّدٌ.

﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُحْمًا مِنْهُمْ أَنْ أُنْذِرَ النَّاسَ وَلِيُحْذَرُوا الْيَوْمَ أَمَّا أَنْ لَهَرُ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [١] إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ اللَّهُ رَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوا اللَّهَ تَذَكُّرًا ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة، والمراد بالرجل: محمد ﷺ. ومعنى «وَمِنْهُمْ»: يعرفون نسبه، قاله ابن عباس، فأما الألف فهي للتوبيخ والإنكار. قال ابن الأنباري: والاحتجاج عليهم في كونهم عجبوا من إرسال محمد، محذوف هاهنا، وهو مبين في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيمَنَتَهُمْ﴾ [الزعر: ٣٢]، أي: فكما وضع لكم هذا التفاضل بالمشاهدة، فلا تنكروا تفضيل الله من شاء بالنبوة؛ وإنما حذفه هاهنا اعتماداً على ما بيّنه في موضع آخر. قال: وقيل: إنما عجبوا من ذكر البعث والنشور، لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما، فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك، مثل قوله: ﴿وَهُوَ أَمَرْتُ عَلَيْهِ﴾ [الرم: ٢٧]،

(١) «الطبري» ١٣/١٥، وأخرجه السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

وقوله: ﴿يَسْبِيهَا الَّذِينَ أَنشَأَهَا آوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ١٧٩]. وفي المراد بقوله: ﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه الثواب الحسن بما قَدَّمُوا من أعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه أبو صالح قال: عمل صالح يُقدِّمون عليه. والثاني: أنه ما سبق لهم من السعادة في الذكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: سابقة صدق. والثالث: شفيع صدق، وهو محمد ﷺ يشفع لهم يوم القيامة، قاله الحسن. والرابع: سَلَفَ صدق تقدُّمهم بالإيمان، قاله مجاهد، وقتادة. والخامس: مقام صدق لا زوال عنه، قاله عطاء. والسادس: أن قدم الصَّدق: المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والسابع: أن القدم هاهنا: مصيبة المسلمين بنبيهم ﷺ وما يلحقهم من ثواب الله عند أسفهم على فقدته ومحبتهم لمشاهدته، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: لِمَ أثار القدم هاهنا على اليد، والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان؟ فالجواب: أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقدُّم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يُتقدَّم فيه ولا يقع فيه تأخر، قال ذو الرمة:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا      مع الحَسَبِ العَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ<sup>(١)</sup>

فإن قيل: ما وجه إضافة القدم إلى الصدق؟ فالجواب: أن ذلك مدح للتقدم، وكل شيء أضافته إلى الصدق، فقد مدحته؛ ومثله: ﴿أَذِلَّنِي مُنْخَلَّ صِدْقِي وَأَفْرَجَنِي مَخْرَجَ صِدْقِي﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقِي﴾ [القمر: ٥٥]. وفي الكلام محذوف، تقديره: أوحينا إلى رجل منهم، فلما اتاهم الوحي ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ ثِينٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «لَسَاحِر» بالف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لَسَحَر» بغير ألف. قال أبو علي: قد تقدم قوله: ﴿أَنَّ أَوْحِيًا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ فمن قال: ساحر، أراد الرجل؛ ومن قال: سحر، أراد الذي أوحى سحر، أي: الذي تقولون أنتم فيه: إنه وحي، سحر. قال الزجاج: لما أنذرهم بالبعث والنشور، فقالوا: هذا سحر، أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ وقد سبق تفسيره في [الأعراف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْأُمُورَ﴾ قال مجاهد: يقضيه. وقال غيره: يأمر به ويمضيه.

قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس. قال الزجاج: لم يَجْزِ لِلشَّفِيعِ ذكر قبل هذا، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا. والثاني: أن المعنى: لا ثاني معه، مأخوذ من الشُّفْع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء. فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ قال مقاتل: وحُدوه. وقال الزجاج: المعنى: فاعبدوه وحده. وقوله: ﴿تَذَكَّرْتُمْ﴾

معناه: تَتَعَطَّلُونَ.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَسَاءُ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: مصيركم يوم القيامة ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «وَعَدَ الله» منصوب على معنى: وعدكم الله وعداً، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه: الوعد بالرجوع، و«حقاً» منصوب على: أحق ذلك حقاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ قرأه الأكثرون بكسر الالف. وقرأت عائشة، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو العالية، والأعمش: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فعلى الاستئناف، ومن فتح، فالمعنى: إليه مرجعكم، لأنه يبدأ الخلق. قال مقاتل: يبدأ الخلق ولم يكن شيئاً، ثم يعيده بعد الموت. وأما القسط، فهو العدل. فإن قيل: كيف خصَّ جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً؟ فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو

(١) «ديوانه» ٣٦١ طبع المكتب الإسلامي، والبيت من قصيدة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، يقول بعده:

خلال النبي المصطفى عنده      وعثمان والفاروق بعد أبي بكر

ورواية البيت في الديوان: «طمت على الفخر». والعاذي القديم، وطمت: علت.

عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فاما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل حار فهو حميم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرُوا مَنَازِلَ لِلْمَاجِدِ وَالْحَسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَمِدُونَ (٢) إِنَّ الْآيَاتِ لَا يَرُوحُونَ لِقَاتِنَا وَرَوْحُوا بِالْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِهَا وَالْآيَاتِ هُمْ عَنِ مَائِنَاتِنَا عَافِلُونَ (٣) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ لِنَارٍ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) إِنَّ الْآيَاتِ مَآثُورًا وَعَجِلُوا الصَّلَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّوَافِلِ (٥) دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا لَهُ رَبِّي السَّكَتِ (٦)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ قرأ الأكثرون: «ضياء» بهمزة واحدة. وقرأ ابن كثير: «ضياء» بهمزتين في كل القرآن، أي: ذات ضياء. ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ أي: ذات نور. ﴿وَقَدَرُوا مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له، فحذف الجار، والمعنى: هيًّا ويسر له منازل. قال الزجاج: الهاء ترجع إلى «القمر» لأنه المقدر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً. وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأن به تعلم الشهور. وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكفني بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله: ﴿وَأَلَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسِلَ﴾ [التوبة: ٦٢]. قال ابن قتيبة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة، ثم يستمر. وهذه المنازل، هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسماؤها عندهم الشُّرطان، والبُطَيْن، والثُّرَيَّا، والدَّبَرَان، والهَقْمَةُ، والهَنْعَةُ، والذُّرَاعُ، والثَّوْرَةُ، والظُّرْفُ، والجبهة، والزُّبُرَةُ، والصَّرْفَةُ، والعَوَاءُ، والسَّمَاكُ، والغُفَرُ، والزُّبَانِي، والإكليل، والقلب، والشَّوْطَةُ، والنعام، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بُلُغ، وسعد السُّعُود، وسعد الأخية، وقرغ الدُّلُو المقدم، وقرغ الدلو المؤخر، والرَّشَاء وهو الحوت.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي للحق، من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «يفصل» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نفصل الآيات» بالنون، والمعنى: يبيها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يستدلون بالآيات على قدرته.

قوله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَمِدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: عقوبة الله. فيكون المعنى: إن الآيات لمن لم يحمله هواه على خلاف ما وضع له من الحق.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قال ابن عباس: لا يخافون البعث. ﴿وَرَوْحُوا بِالْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ اختاروا ما فيها على الآخرة. ﴿وَالْمَنَازِلَ بِهَا﴾ آثروها. وقال غيره: ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. ﴿وَالْآيَاتِ هُمْ عَنِ مَائِنَاتِنَا عَافِلُونَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها آيات القرآن ومحمد، قاله ابن عباس. والثاني: ما ذكره في أول السورة من صنعه، قاله مقاتل. فاما قوله: ﴿عَافِلُونَ﴾ فقال ابن عباس: مكذبون. وقال غيره: مغرضون. قال ابن زيد: وهؤلاء هم الكفار.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ قال مقاتل: من الكفر والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. والثاني: يجعل لهم نوراً يمشون به بإيمانهم. والثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. والرابع: يشيهم بإيمانهم. فاما الهداية، فقد سبقت لهم. قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو.

قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم. وقد شرحنا ذلك في أول [الأعراف: ٥٠]. وفي المراد بهذا الدعاء قولان: أحدهما: أنه استدعائهم ما يشتهون. قال ابن عباس: كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم ما يشتهون؛ فإذا طعموا، قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك آخر دعاؤهم. وقال ابن جريج: إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم الملك بما اشتهو، فيسلم عليهم، فيردون عليه فذلك قوله: ﴿وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ﴾. فإذا أكلوا، حمداً ربهم؛ فذلك قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا لَهُ رَبِّي السَّكَتِ﴾. والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعوهم به، قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض، وتحية الملائكة لهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى يُصَيِّبُهُم بالسَّلام. والثالث: أن التَّحِيَّةَ: المُلْكُ، فالمعنى: مُلْكُهُمْ فِيهَا سَالِمٌ، ذَكَرَهُمَا المَاورِدي. قوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَدَعُوا إِلَى الْكُفْرِ عِزًّا﴾. قرأ أبو مجلز، وعكرمة، ومجاهد، وابن يعمر، وقتادة، ويعقوب: «أَنَّ الحَمْدَ لله» بتشديد النون ونصب الدال. قال الزجاج: أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه. وقال ابن كيسان: يفتتحون كلامهم بالتوحيد، ويختمونه بالتوحيد.

﴿وَلَوْ يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُكَ فِي طَلْعِنَاهُمْ﴾

بِمَعْنَاهُمْ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٨]. والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته. وفي المراد بالآية قولان: أحدهما: ولو يعجل الله للناس الشر إذا دعوا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم، واستعجلوا به كما يعجل لهم الخير، لهلكوا، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة، حكاها الماوردي. ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها. وقد قرأ الجمهور: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ﴾ بضم القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بضم اللام. وقرأ ابن عامر: ﴿لَقُضِيَ﴾ بفتح القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بنصب اللام. وقد ذكرنا في أول (سورة البقرة: ١٥) معنى الطغيان والعمه.

﴿وَإِذَا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ دَعَاكَ لِجَنَّتِهِمْ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّ كَآفًا لَمْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ مِمَّا سَأَلُوا كَذَلِكَ﴾

زَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ﴾ اختلَفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أبي حذيفة، واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، قاله عطاء. و «الضرر»: الجهد والشدة. واللام في قوله: ﴿لِجَنَّتِهِمْ﴾ بمعنى «على». وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إذا سأل الضر دعا على جنبه، أو دعا قاعداً، أو دعا قائماً، قاله ابن عباس. والثاني: إذا سأل الضر في هذه الأحوال، دعا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّ كَآفًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبْتَلَى، ولم يُعْظَ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مرَّ طاغياً على ترك الشكر. قوله تعالى: ﴿كَآفًا لَمْ يَدْعُنَا﴾ قال الزجاج: «كان» هذه مخففة من الثقيلة، المعنى: كأنه لم يدعنا، قالت الخنساء:

كَأَن لَمْ يَكُونُوا جَمِيًّا يُثَقِّلِي

إِذَا النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنَ عَرَّ بَرًّا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المعنى: كما زَيْنَ لهذا الكافر الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرِّخَاءِ، كذلك زَيْنَ للمسلمين، وهم المجاوزون الحدَّ في الكفر والمعصية، عملهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَلْقَوْنَ إِلَّا كِتَابَ الْمُنِيرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال مقاتل: هذا تخويف لكفار مكة. والظلم هاهنا بمعنى الشرك. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَلْقَوْنَ إِلَّا كِتَابَ الْمُنِيرِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه عائد على أهل مكة، قاله مقاتل. والثاني: على القرون المتقدمة، قاله أبو سليمان. قال ابن الأنباري: ألزهمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق وإلثامهم الباطل. وقال الزجاج: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي﴾ أي: نعاقب ونهلك ﴿الْقَوْمَ الْمُنْجِرِينَ﴾ يعني المشركين من قومك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَنِيِّهِمْ لِتَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ قال ابن عباس: جعلناك يا أمة محمد خلائف، أي: استخلفناك في الأرض. وقال قتادة: ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار.

﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبَاءُنَا يَنْتَوِي سَوَاءً لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتْ بِشْرَهُ إِنْ عَرِيَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُنْزِلَ مِنْ تَلْقَائِي نَفِيقٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبَاءُنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة، قاله مجاهد، وقتادة. والمراد بالآيات: القرآن. و«يرجون» بمعنى: يخافون. وفي علّة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان: أحدهما: أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة، وآية الرحمة بالعذاب، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور، لأنهم لا يؤمنون به، وكرهوا عيب آلهتهم، فطلبوا ما يخلو من ذلك، قاله الزجاج. والفرق بين تبديله والإتيان بغيره، أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ حرك هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. ﴿مِنْ تَلْقَائِي نَفِيقٌ﴾ حركها نافع، وأبو عمرو؛ وأسكنها الباقون، والمعنى: من عند نفسي، فالمعنى: أن الذي أتيت به من عند الله، لا من عندي فأبدله. ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ فتح هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو. ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: في تبديله أو تغييره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني في القيامة.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بيّنا في نظيرتها في [الأنعام: ١٥]. ومقصود الآيتين تهديد المخالفين؛ وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذْرَكُمْ يَدُّ فَفَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ لَا يُقْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن؛ وذلك أنه كان لا يُنزل عليّ، فيأمرني بتلاوته عليكم. ﴿وَلَا أَذْرَكُمْ يَدُّ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: «وَلَا أَذْرَكُمْ» بلام التوكيد من غير ألف بعدها، يجعلها لاماً دخلت على «أذراكم». وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أذركم» بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وشيبة بن نصاح: «ولا أذرائكم» بناء بين الألف والكاف. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «عُمُرًا» بسكون الميم. قال أبو عبيدة: وفي العمر ثلاث لغات: عمر، وعُمُر، وعُمُر. قال ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أنه ليس من قبلي. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يريد: إني لم أفتّر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً. والمجرمون ها هنا: المشركون.

﴿وَيَقُولُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ لَا تَعْلَمُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ شَيْئًا تَبْتَغُونَ عَمَّا يُدْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعنون الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كنايةها على لفظ كناية الأدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في [الأمراء: ١٩١] عند قوله: ﴿وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾. وفي قوله: ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: شفاعونا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: شفاعونا في إصلاح معاشنا في الدنيا، لأنهم لا يَقْرُونَ بالبعث، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَبَخْتُمُ اللَّهَ بِمَا لَا يَمْلِكُ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله أن له شريكاً، ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَفْتُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَفْتُمْ﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البقرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم؛ لقضي بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدين. والثاني: أن الكلمة: أن لكل أمة أجلاً، وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته. والثالث: أن الكلمة: أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه. وفي قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة. والثاني: بنزول العذاب على المكذبين.

﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾<sup>(٢٠)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَوْلَا﴾ يعني المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاً ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن سؤالك: لم تنزل الآية؟ غيب، ولا يعلم علّة امتناعها إلا الله. والثاني: أن نزول الآية متى يكون؟ غيب، ولا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: انتظروا نزول الآية. والثاني: قضاء الله بيننا بإظهار المحق على المبطل.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ سَتَتُمُ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي مَائَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَنَكَّرُونَ﴾<sup>(٢١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا على أهل مكة بالجذب فحقطوا سبع سنين، أتاه أبو سفيان، فقال: ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدقناك، فدعا لهم، فسقوا ولم يؤمنوا، ذكره الماوردي. قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا: الكفار. وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرحمة: العافية والسرور، والضراء: الفقر والبلاء، قاله ابن عباس. والثاني: الرحمة: الإسلام، والضراء: الكفر، وهذا في حق المنافقين، قاله الحسن. والثالث: الرحمة: الخصب، والضراء: الجذب، قاله الضحاك. وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الجحود والرد، قاله أبو عبيدة. والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله، فيقولون: سقينا بنوء كذا، قاله مقاتل بن حيان. والرابع: أن المكر: النفاق، لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: جزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الحفظة ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَنَكَّرُونَ﴾ أي: يحفظون ذلك لمجازاتهم عليه. وقرأ يعقوب إلا رويساً وأبا حاتم، وأبان عن عاصم: «يمكرون» بالياء.

﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَّهْتُمْ يَمًا يَبْرِجُ مَظِينَةٌ وَفَرَّجُوا يَمًا جَاءَتْهَا رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَاُ اللَّهِ عَظِيمِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ آمَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup> فَلَمَّا أَهْلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَرٍ الْقَحْيَ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِمَنِيكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا سَرَّجْنَكُمْ فَأَنزَلْنَاهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكُمُ﴾ أي: الله الذي هو أسرع مكرًا، هو الذي يسيركم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب، وفي البحر على السفن، فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر، وهو في المعنى مثل قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا بَيَاطٌ كَبِيرٌ﴾ [النساء: ٢٢]. والملك: السفن. قال الفراء: الملك تذكر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعاً، قال تعالى هاهنا: ﴿جَاءَتْهَا﴾ فأنث، وقال في [آل عمران: ٤١] ﴿فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ فذكر.

قوله تعالى: ﴿وَجَّهْتُمْ يَمًا﴾ عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم. قال الزجاج: كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز أن يردّه إلى الغائب، قال الشاعر:

سَلَّطْتَ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ  
قوله تعالى: ﴿يَرْبِجُ طَيْبَةً﴾ أي: لَيْتَهُ. ﴿وَوَرَّخُوا بِهَا﴾ لَيْتَهَا. ﴿جَاءَتْهَا﴾ يعني الفلك. قال الفراء: وإن شئت جعلتها للريح، كأنك قلت: جاءت الريح الطيبة ريح عاصف، والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد عصفت الريح وأعصفت، والألف لغة لبني أسد. قال ابن عباس: الريح العاصف: الشديدة. قال الزجاج: يقال: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، وأعصفت، فهي معصف ومعصفة. ﴿وَمَا هُمْ بِالْمَوْجِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: من كل أمانة الموج.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه التوهم. وفي قوله: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: دنوا من الهلكة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بيلد، فقد دنا أهله من الهلكة. وقال الزجاج: يقال لكل من وقع في بلاء: قد أحيط بفلان، أي: أحاط به البلاء. والثاني: أحاطت بهم الملائكة، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ تَحْلِيصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ دون أولئهم. قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا: ﴿لَيْنَ أَيْبَتْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الريح العاصف ﴿تَنكُرُونَ مِنَ الشُّكْرِينَ﴾ أي: الموحدين.

قوله تعالى: ﴿يَتَوَنَّنُ فِي الْأَرْضِ﴾ البغي: الترامي في الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى فساد. قال ابن عباس: يتنغن في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد. ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ﴾ يعني أهل مكة. ﴿إِنَّمَا يَبْقِيَكُمْ عَلَى أُنُفُسِكُمْ﴾ أي: جنانية مظالمكم بينكم على أنفسكم. وقال الزجاج: عملكم بالظلم عليكم يرجع.

قوله تعالى: ﴿مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وحفص، وأبان عن عاصم: ﴿مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ بنصب المتاع. قال الزجاج: من رفع المتاع، فالمعنى أن ما تتلونه بهذا البغي إنما تستفنون به في الدنيا، ومن نصب المتاع، فعلى المصدر. فالمعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا. وقرأ أبو المتوكل، واليزيدي في اختياره، وهارون العتكي عن عاصم: ﴿متاع الحياة﴾ بكسر العين. قال ابن عباس: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، أي: منفعة في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَتْ بِهِ السَّمَاءُ فَانْخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا لَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدْ زُورُوا عَلَيْهِمْ أَمْ تَكُنَّ أَزْهَىٰ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْثِلِ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَتْ بِهِ السَّمَاءُ﴾ هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبها بمطر نزل من السماء ﴿فَانْخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يعني التفت النبات بالمطر، وكثر ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من المرعى. ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ قال ابن قتيبة: زينتها بالنبات. وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنفش والنور والزهر وكل شيء زُفِرَ. زخرف. وقال الزجاج: الزخرف: كمال حسن الشيء.

قوله تعالى: ﴿وَازْبَيَّتْ﴾ قرأه الجمهور «وازيبت» بالتشديد. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن يعمر: بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي، على وزن: وَأَفْعَلْتُ. قال الزجاج: من قرأ «وازيبت» بالتشديد، فالمعنى: وتزينت، فأدغمت التاء في الزاي، وأسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل؛ ومن قرأ «وازيبت» بالتخفيف على أفعلت، فالمعنى: جاءت بالزينة. وقرأ أبي، وابن مسعود: «وتزيبت».

قوله تعالى: ﴿وَطَرَ أَهْلُهَا﴾ أي: أيقن أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَدْ زُورُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على ما أنبتته، فأخبر عن الأرض، والمراد النبات، لأن المعنى مفهوم. ﴿أَمْ تَكُنَّ أَزْهَىٰ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْثِلِ﴾ قال الزجاج: لم تعمر. والمغاني: المنازل التي



يعمرها الناس بالنزول فيها. يقال: غَنَيْنَا بِالْمَكَانِ: إِذَا نَزَلُوا بِهِ. وقرأ الحسن: «كَأَن لَّمْ يَغْفَرْ» بالياء، يعني الحصيد. قال بعض المفسرين: تأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب، حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه، وظن أنه ممتع بذلك، سلب عنه بموته، أو بحادثة تهلكه، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته، فإذا تزَيَّنت به الأرض، وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك، أهلكه الله، فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّكِينِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعًا وَلَآ رَهَقَ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّكِينِ﴾ يعني الجنة. وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّكِينِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. واعلم أن الله عَمَّ بالدعوة، وخصَّ بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه. وفي المراد بالصراف المستقيم أربعة أقوال: أحدها: كتاب الله، رواه علي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: الإسلام، رواه الثَّوَّاس بن سمعان عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقناة. والرابع: المخرج من الضلالات والشُّبُه، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسنى: كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخلَّة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرِّف من جهةها، يدل على هذا قول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت  
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَوَّ غَلَامُنَا  
هَصْرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ<sup>(٣)</sup>  
وَرُضْتُ فَلَذْتُ صَغْبَةً أَيْ إِذْلَالٍ

أي: إلى الأمر المحبوب. وهصرْتُ بمعنى مدت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة للكلام، كما تقول العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده. والشماريخ كناية عن الذوائب. ورضت، معناه: أذلت. ومن أجل هذا قال: أي إذلال، ولم يقل: أي رياضة. وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال: أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، وبه قال الأكثرون. والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصر، قاله عبد الرحمن بن سابط. والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. الخامس: الأمانة، ذكره ابن الأنباري. وفي الزيادة ستة أقوال: أحدها: أنها النظر إلى الله ﷻ. روى مسلم في «صحيحه» من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ»<sup>(٥)</sup>. وبهذا القول قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى

(١) «الطبري» ١٧١/١ - ١٧٢ عن علي مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً. وقد خرج ابن كثير في «تفسيره» ٢٧/١ من رواية ابن أبي حاتم عن علي مرفوعاً، بسند ضعيف أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٥/١ عن علي مرفوعاً، وزاد نسبته لابن أبي شيبه، والترمذي وضعفه، وابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، ومداره على الحارث الأعور، قال الحافظ ابن كثير في «الفضائل» ٥: «وقد تكلموا فيه، بل قد كذب بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد وهم بعضهم في رفعه».

(٢) «الطبري» ١٧٦/١، وخرجه أحمد في «المسند» ١٨٢/٤ - ١٨٣، ونقله ابن كثير ٢٧/١ من رواية «المسند»، وقال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث الليث بن سعد به، ورواه الترمذي، والنسائي جميعاً عن علي بن حجر، عن بقة، عن جبير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن الثَّوَّاس بن سمعان به، وهو إسناده حسن صحيح. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥/١، وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن الثَّوَّاس مرفوعاً، ونص الحديث: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنيتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط ناع يدعوك يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا. وداع يدعوك من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحها فإنك إن تفتحها تلج، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: معارج الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

(٣) ديوانه: ٣٢. وقوله: تنازعنا الحديث، أي: حدثني وحدثتها، وأصله من النزوع بالدلو، وهو جذبها. ومعنى أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها.

(٤) «الطبري» ٦٥/١٥ بسند ضعيف جداً، وذكره ابن كثير ٤١٤/٢ من رواية ابن أبي حاتم بسنده، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٥ وزاد نسبته للدارقطني في الرؤية، وابن مردويه.

(٥) الحديث في «مسلم» ١٦٣/١ ولفظه: عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ». ورواه أحمد =

الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، رواه الحكم عن علي، ولا يصح<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الزيادة: مضاعفة الحسنه إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس، والحسن. والرابع: أن الزيادة: مغفرة ورضوان، قاله مجاهد. الخامس: أن الزيادة: أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة، قاله ابن زيد. السادس: أن الزيادة: ما يشتهونه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ أي: لا يغشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش: «قَتَرٌ بِإِسْكَانِ التَّاءِ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس: سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج: القتر: الغبرة التي معها سواد. والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء. والثالث: الخزي، قاله مجاهد. والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة. وفي اللذة قولان: أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس. والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِيهَا وَرَهَقُهُمْ ذُلٌّ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ تَاسِيَةٍ كَانَتْ أَقْشَبَتْ وَجُوهَهُمْ قَطْمًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا الشر. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِيهَا﴾ في الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أن فيها إضمار «لهم»، المعنى: لهم جزاء سيئة بمثلها، وأنشد ثعلب:

فَمِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ عَنْهُ فَقُلْ لَهُمْ  
مُلِمٌّ يَلْنِي لَمَّةٌ ثُمَّ إِنَّهُ  
أَرَادَ هُوَ مُلَمٌّ، وهذا قول الفراء.

والثاني: أن فيها إضمار «منهم»، المعنى: جزاء سيئة منهم بمثلها، تقول العرب: رأيت القوم صائم وقائم، أي: منهم صائم وقائم، أنشد الفراء:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الضُّبْحُ فِي عَالَسٍ  
وَعُودَ الْبَقْلِ مَلْسِيٍّ وَخَصُودُ

أي: منه ملوي، وهذا قول ابن الأنباري. وقال بعضهم: الباء زائدة هاهنا، و «من» في قوله: ﴿مِنْ تَاسِيَةٍ﴾ صلة، والمعاصم: المانع. ﴿كَانَتْ أَقْشَبَتْ وَجُوهَهُمْ﴾ أي: ألبست: ﴿قَطْمًا﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة: «قَطْعًا» مفتوحة الطاء، وهي جمع قطعة. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: «قَطْعًا» بتسكين الطاء. قال ابن قتيبة: وهو اسم ما قطع. قال ابن جرير: وإنما قال: «مُظْلِمًا» ولم يقل: «مُظْلِمَةٌ» لأن المعنى: قطعاً من الليل المظلم، ثم حذفت الألف واللام من «المظلم»، فلما صار نكرة، وهو من نعت الليل، نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ، وقوم يسمون ما كان كذلك حالاً، وقوم قطعاً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَرَى بَيْنَهُمْ وَكَانَ شُرَكَائُهُمْ مَّا كَانُوا إِذَا نَادَى تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فَمَكَرَ بِاللَّهِ شَيْدًا فَيَنَّا وَيَبْنِيكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا﴾ قال ابن عباس: يُجْمَعُ الْكُفَارُ وَالْكَهْتَمُ. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ﴾ أي: ألهتكم. قال الزجاج: «مكانكم» منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، أي: انتظر مكانك، فهي كلمة جرت على الوعيد.

قوله تعالى: ﴿فَرَقْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهِمْ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: «فرايلنا» بآلف، قال ابن عباس: فرقنا بينهم وبين ألهتهم. وقال

= ٣٣٣/٦ و ١٦/٦، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٥ وزاد نسبة للطيالسي، وهناد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والدارقطني في الروية، وابن مردويه، والبيهقي في «الأنباء والصفات». واللفظ الذي ساقه المؤلف «الزيادة: النظر إلى وجه الله ﷻ» ذكره السيوطي من رواية الدارقطني، وابن مردويه عن صهيب.

(١) «الطبري» ٦٩/١٥ عن الحكم بن عتيبة، عن علي، وهو ضعيف لإرساله، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٦ من طريق الحكم بن عتيبة عن علي، وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في الروية.

﴿هَٰلِكَ بَلَاؤُ كُلِّ نَفْسٍ مَّا أَسْأَلْتُ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قد جعلت دلوِي تَسْتَلِيْنِي [ولا أُرِيدُ تَبْعَ الْقَرْنِ] <sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿رُدُّوْا﴾ أي: في الآخرة ﴿إِلَّا لِلّٰهِ مَوْلٰهُمُْ الْحَقُّ﴾ الذي يملك أمرهم حقاً، لا مَنْ جعلوا معه من الشركاء. ﴿وَمَكَّلَ عَنْهُمْ﴾ أي: زال وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ﴾ من الآلهة.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ﴾ المطر، ومن الأرض النبات، ﴿أَنْتَ بَيْنَهُ السَّمْعُ﴾ أي: خلق السمع والأبصار. وقد سبق معنى إخراج الحي من الميت، والميت من الحي (آل عمران: ٤٢٧).

قوله تعالى: ﴿زَمَنٌ يُبَيِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: أمر الدنيا والآخرة ﴿سَيَبْلُغُونَ اللَّهَ﴾ لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله، فكان ذلك دليل توحيده. وفي قوله: ﴿أَفَلَا نَنْفُكُونَ﴾ قولان: أحدهما: أفلا تتعظون، قاله ابن عباس. والثاني: تتقون الشرك، قاله مقاتل.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ بُصِرْتُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكَ الْمُنَّى﴾ قال الخطابي: الحق هو المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه، فهو حق.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ قال ابن عباس: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيي ولا يميت؟ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ رَيْبُكَ عَلَى الَّذِينَ فَتَنُوا أَهْلَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قل هل من شركائكم من ابتدأ اللئق ثم يبيدوا في الله سبحانه اللئق ثم يبيدوا فأن تؤذكون ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فَقُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُبْعَثَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ قُلُوبُ كَيْفَ تَعْبُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْدُكَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كلمة بك»،

وفي آخر السورة كذلك. وقرأ نافع، وابن عامر الحرفين «كلمات» على الجمع. قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، أي: ومثل أفعالهم جازاهم ربك، والمعنى: حق عليهم أنهم لا يؤمنون. وقوله: ﴿أَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من ﴿كُنْتُمْ رِيفَةً﴾ وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب. وذكر ابن الأنباري في ﴿كَذَلِكَ﴾ قولين: أحدهما: أنها إشارة إلى مصدر «تُصْرَفُونَ»، والمعنى: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك. والثاني: أنه بمعنى هكذا. وفي معنى «حقت» قولان: أحدهما: وجبت. والثاني: سبقت. وفي كلمته قولان: أحدهما: أنها بمعنى وعده. والثاني: بمعنى قضائه. ومن قرأ «كلمات» جعل كل واحدة من الكلم التي توعدوا بها كلمة. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٣٧ و ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَيِّ﴾ أي: إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَا يَهْدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع «يَهْدِي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: الأصل يهتدي، فادغمت التاء في الدال، فطرحت فتححتها على الهاء. وقرأ نافع إلا ورساً، وأبو عمرو: «يَهْدِي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يُشِمُّ الهاء شيئاً من الفتح. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَهْدِي» بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال. قال أبو علي: والمعنى: لا يهدي غيره إلا أن يَهْدِي هو، ولو هُدِيَ الضَّمُّ لم يهتد، ولكن لما جعلوها كمن يعقل، أجريت مجراه. وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم: «يَهْدِي» بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك روى أبان وجبله عن المفضل وعبد الوارث، قال الزجاج: أتبعوا الكسرة الكسرة، وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء. وروى حفص عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر عنه: «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء، إلا أن الهاء كُسرَت للقاء الساكنين. وقرأ ابن السميع: «يهتدي» بزيادة تاء. والمراد بقوله: ﴿أَنْتُمْ لَا يَهْدُونَ﴾ الصم ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ﴾. وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت، وليست كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي، إلا أنهم لما اتخذوها آلهة، عبَّر عنها كما يعبر عن من يعقل، ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ ولهذا المعنى قال في صفتها: ﴿أَنْتُمْ﴾ لأنهم جعلوها كمن يعقل. ولما أعطاهما حقها في أصل وضعها، قال: ﴿يَتَأْتِي لِمَنْ تَبَدَّلَ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ [سرم: ٤٤]. وقال الفراء: ﴿أَنْتُمْ لَا يَهْدُونَ﴾ أي: أتعبدون ما لا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول؟ وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجزور؟

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: كلهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما يستيقنون أنها آلهة، بل يظنون شيئاً فيُتبعونه. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: ليس هو كاليقين، ولا يقوم مقام الحق. وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ قَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا جواب قولهم: ﴿أَنْتَ يَقْتَرِي غَيْرَ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُ﴾ [يونس: ١٥] وجواب قولهم: ﴿أَقْرَبْتَهُ﴾ [الفرقان: ٤]. قال الفراء: ومعنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، فجاءت «أن» على معنى ينبغي. وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون «أن» مع «يفترى» مصدرًا، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً. ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتُنصَبُ «أن» بفقد الخافض في قول الفراء، وتخفُض بإضمار الخافض في قول الكسائي. وقال ابن قتيبة: معنى ﴿أَنْ يَقْتَرَى﴾ أي: يضاف إلى غير الله، أو يُخْتَلَق.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة، قاله ابن عباس. فعلى هذا، إنما قال: ﴿الَّذِي﴾ لأنه يريد الوحي. والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور، ذكره الزجاج. والثالث: تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن، لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل سماعهم القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ والفرائض التي فرضها عليهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلَ لَهُ الْبُكُورُ فَهُمْ لَا يَخِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلَ لَهُ الْبُكُورُ﴾ في «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى بل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِحُجُوبٍ مِّثْلِهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فاتوا بسورة مثل سورة منه، فذكر المثل لأنه إنما التمس شبه الجنس، ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ممن هو في التكذيب مثلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلُ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء. والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به، لأنهم شاكرون فيه. وفي قوله: ﴿وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلُ﴾ قولان: أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد. والتأويل: ما يؤول إليه الأمر. والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله، قاله الزجاج. قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدو ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل: أين؟ فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين: قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ١١].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: قريش، قاله مقاتل بن سليمان. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم من يؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: يشك ولا يصدق.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ قال عطاء: يريد المكذبين، وهذا تهديد لهم.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ رَافِعُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا نَزِيلٌ وَمَا تَكْمُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في يهود المدينة، كانوا يأتون رسول الله ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشفاء، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في المستهزئين، كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب، فلم ينتفعوا، فنزلت فيهم هذه الآية، والقولان مرويان عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في مشركي قريش، قاله مقاتل. قال الزجاج: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم. ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جهالاً. وقال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم، لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: يريد متعجبين منك. ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ﴾ يريد أن الله

أعمى قلوبهم فلا يبصرون. وقال الزجاج: ومنهم من يُقِيل عليك بالنظر، وهو من بغضه لك وكرهته لما يرى من آياتك كالأعمى. وقال ابن جرير: ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نُبُوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق. وقال مقاتل: و «لو» في الآيتين بمعنى «إذا».

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٤)

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك، لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولكن الناس» بتخفيف النون وكسرهما، ورفع الاسم بعدها.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّهِمْ شِعْرًا وَلَا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ وقرأ حمزة: «يحشرهم» بالياء. قال أبو سليمان الدمشقي: هم المشركون.

قوله تعالى: ﴿كَانَ لَرُبِّهِمْ شِعْرًا وَلَا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: كأن لم يلبثوا في قبورهم، قاله ابن عباس. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. قال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: إذا بُعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاج: وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخ لهم، وإثبات الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبَّخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسبتني دخول النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ هو من قول الله تعالى، لا من قولهم، والمعنى: خسروا ثواب الجنة إذ كذبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة.

﴿وَإِنَّا رُبَّنَا بَعْضُ الَّذِي نُوَدِّعُ أَوْ نَتَوَكَّلُ فَإِنَّا مَرَجُّهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (١٦) وَلَكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رُبَّنَا بَعْضُ الَّذِي نُوَدِّعُ﴾ قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم. ﴿أَوْ نَتَوَكَّلُ﴾ قيل أن نريك ﴿وَإِنَّا مَرَجُّهُمْ﴾ بعد الموت، والمعنى: إن لم نتقم منهم عاجلاً، انتقمنا أجلاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب. قال الفراء: «ثم» هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: «ثم» هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبله: «ثُمَّ الله شهيد» بفتح التاء، يراد به: هنالك الله شهيد.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم، قضى بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن. وقال غيره: إذا جاءهم في الدنيا، حُكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية. والثاني: إذا جاء يوم القيامة، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا جاء شاهداً عليهم. والثالث: إذا جاء في القيامة وقد كُتِبوا في الدنيا، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بين الأمة، فائيب المحسن وعوقب المسيء. والثاني: بينهم وبين نبيهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ في القائلين هذا قولان: أحدهما: الأمم المتقدمة، أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا ﷺ، قاله أبو سليمان. وفي المراد بالوعد قولان: أحدهما: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: قيام الساعة. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنت وأتباعك.

﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهِي وَإِلَٰهُكُمْ فَلَا يَسْتَعِزُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾ (٤٩) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابِي يَوْمًا مَّاذَا يَسْتَعِجِلُونَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠) ﴿أَنزِلْ إِدَا مَا وَفَّعَ ءَامَنُكُمْ يَوْمَ ءَالَفْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾ (٥١) ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥٢)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهِي وَإِلَٰهُكُمْ﴾... الآية، قد ذكرت تفسيرها في آيتين من [الأعراف: ٣٤ و ١٨٨].

قوله تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابِي يَوْمًا مَّاذَا يَسْتَعِجِلُونَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليلاً. وقوله: ﴿مَّاذَا﴾ في موضع رفع من جهتين: إحداهما: أن يكون «ذا» بمعنى الذي، المعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون؟ ويجوز أن يكون «مَّاذَا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون؟ والهاء في «منه» تعود على العذاب. وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى؟ وعودها على العذاب أجود، لقوله: ﴿أَنزِلْ إِدَا مَا وَفَّعَ ءَامَنُكُمْ يَوْمَ ءَالَفْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾، نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا وقع العذاب آمناً به؛ فقال الله تعالى موثقاً لهم: ﴿أَنزِلْ إِدَا مَا وَفَّعَ ءَامَنُكُمْ يَوْمَ ءَالَفْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾، هنالك تؤمنون فلا يُقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون؟ فأضمر: تؤمنون به مع «ءَالَفْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ» مستهزئين، وهو قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا، عند نزول العذاب ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفصوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم.

﴿يَسْتَعِزُّونَكَ أَفْئُوهُ قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَكَيْفٌ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعِزُّونَكَ أَفْئُوهُ قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَكَيْفٌ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعنيون البعث والعذاب. ﴿قُلْ إِي﴾ المعنى: نعم ﴿رَبِّي﴾، وفتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وإنما أقسم مع إخباره تأكيداً. وقال ابن قتيبة: «إِي» بمعنى «بل» ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ قال ابن عباس: بسابقين. وقال الزجاج: لستم ممن يُعجز أن يجازي على كفره.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنِ اتَّخَذْتُ مِنَ الَّذِينَ لَاتَدَّتْ بِهِمْ وَاسْأَلُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ دَفْعًا لِّبَيْنِهِمْ يَنْصَرِفُونَ﴾ (٥٤) ﴿أَلَا إِنَّ إِلَهًا لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَا يَغْفِرُونَ﴾ (٥٥) ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنِ اتَّخَذْتُ مِنَ الَّذِينَ لَاتَدَّتْ بِهِمْ وَاسْأَلُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ دَفْعًا لِّبَيْنِهِمْ يَنْصَرِفُونَ﴾ أي: بين الفريقين. وقال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل: «أسأروا الندامة» بمعنى أظهروا، لأنه ليس بيوم تصنع ولا تصير، والإسرار من الأضداد؛ يقال: أسررت الشيء، بمعنى: أخفيته. وأسرته: أظهرته، قال الفرزدق:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه

أسرَّ الحروري الذي كان أضمر<sup>(١)</sup>

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم، لأن النار ألتهتهم عن التصنع والكتمان. وعلى الأول: كتموها قبل إحراق النار لإياهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ إِلَهًا لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَا يَغْفِرُونَ﴾ قال ابن عباس: ما وعد أوليائه من الثواب، وأعداءه من العقاب. ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَغْفِرُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَقَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَذَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) ﴿قُلْ تَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ﴾ يعني القرآن. ﴿وَشَقَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: دواء لداء الجهل. ﴿وَهَذَى﴾ أي: بيان من الضلالة.

(١) البيت في «أضداد الأصمعي» ٢١، و«أضداد السجستاني» ١٥١، و«أضداد ابن السكيت» ١٧٦، و«أضداد ابن الأنباري» ١٤٦، و«أضداد أبي الطيب» ٣٥٣، و«اللسان» و«التاج»: سرر، منسوبة فيها جميعاً إلى الفرزدق، وليس في «ديوانه».



﴿قُلْ يَفْضِلِ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَيَذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلِ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وهلال بن يساف. وروي عن الحسن، ومجاهد في بعض الرواية عنهما، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري، والحسن في رواية. والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر. والخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك، وزيد بن أسلم، وابنه، ومقاتل. والسادس: أن فضل الله ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد، واختاره الزجاج. والسابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان. والثامن: فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عينة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وقاتدة، وأبو العالية، ورويس عن يعقوب: «فلتفرحوا» بالثاء. وقرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل مثل ذلك، إلا أنهم كسروا اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «فبذلك فافرحوا». قال ابن عباس: بذلك الفضل والرحمة. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: مما يجمع الكفار من الأموال. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس: «تجمعون» بالثاء. وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله: ﴿يَفْضِلِ اللَّهُ﴾ خبر لاسم مضمر، تأويله: هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته، فبذلك التطول من الله فليفرحوا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ بَيْنَهُ حَرَامًا وَمَكَلًا قُلْ مَا اللَّهُ أَدَبَكُمْ أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ تَقَرَّبُونَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار قريش، كانوا يحرمون ما شاؤوا، ويحلون ما شاؤوا. و «أَنْزَلَ» بمعنى خلق. وقد شرحنا بعض مذاهبيهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة والسائبة وغير ذلك في (المائة: ١٠٣) و (الانعام: ١٣٩).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا اللَّهُ أَدَبَكُمْ﴾ أي: في هذا التحليل والتحريم.

﴿وَمَا عَلَّمُوا الْقُرْآنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَرَأَيْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمُوا الْقُرْآنَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿وَلَئِنْ أَرَأَيْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ تأخير العذاب عنهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَسْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي: في عمل من الأعمال، وجمعه: شؤون. ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الشأن. قال الزجاج: معنى الآية: أي وقت تكون في شأن من عبادة الله، وما تلوت من الشأن من قرآن. والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى: وما تلوت من الله، أي: من نازل منه من قرآن، ذكره جماعة من العلماء. والخطاب للنبي ﷺ، وأمه داخلون فيه، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ قال ابن الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاء عائدة على العمل. قال ابن قتيبة: تفيضون بمعنى تأخذون فيه. وقال الزجاج: تتشرون فيه، يقال: أفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه وخاضوا. ﴿وَمَا يَسْرُبُ﴾ معناه: وما يبعد. وقال ابن قتيبة: ما يبعد ولا يغيب. وقرأ الكسائي «يعزب» بكسر الزاي هاهنا وفي [سبأ: ٣]. وقد بينا مثقال ذرة في سورة [النساء: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما. وقرأ حمزة، وخلف، ويعقوب، برفع

الراء فيهما. قال الزجاج: مَنْ قرأ بالفتح، فالمعنى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرّة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فُتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿وَلَا فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ﴾ روى ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكر الله»<sup>(١)</sup>. وروى عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْطِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﷻ» قالوا: يا رسول الله، مَنْ هُمْ، وما أَعْمَالُهُمْ لَعَلَّنَا نَحْبُهُمْ؟ قال: «هَمُّ قَوْمٍ تَحَابَبُوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتِمَاطُونَهَا، فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ»، ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٢٢﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرى له، رواه عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت، قاله الضحاك، وقتادة، والزهري. والثالث: أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه، كقوله: ﴿وَيُبَشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَأُبَشِّرُوا بِالنَّجَى﴾ [فصلت: ٢٠]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [التوبة: ٢١]، وهذا قول الحسن، واختاره الفراء، والزجاج، واستدلا بقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: لا خُلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تَبْدَلْ الكلمات، لم تَبْدَلْ المواعيد. فأما بشرهم في الآخرة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنه عند خروج الروح تبشّر برضوان الله، قاله ابن عباس. والثالث: أنها عند الخروج من قبورهم، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جِئْتُمُوهُمُ الْغَلِيظُ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس: تكذيبهم. وقال غيره: تظاهروا عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم. وتم الكلام هاهنا. ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جِئْتُمُوهُمُ﴾ أي: الغلبة له، فهو ناصرك وناصر دينك، ﴿هُوَ أَلْسَمُ﴾ لقولهم: ﴿أَلْمَلِيْهُ﴾ بإضمارهم، فيجازيهم على ذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَسْجُدُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْجُدُوا إِلَّا أَكْفَرًا وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٦﴾

(١) «الطبري» ١٢٠/١٥ مرسلاً، وأورد ابن كثير في «التفسير» ٤٢٢/٢ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٣ وزاد نسبه إلى المبارك، والحكيم الترمذي في «نواهد الأصول»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٢١/١٥، وأبو داود رقم (٣٥٢٧)، وذكره الحافظ ابن كثير وقال: إسناده جيد، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب، ورواه الطبري ١٢٢/١٥، وأحمد ٣٤٣/٥ مطولاً من حديث أبي مالك الأشعري، وفي سنده شهر بن حوشب. وروى معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغططهم النبيون والشهداء» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) انظر رواية الحديث عن هذلول الصحابة في «الطبري» ١٢٥/١٥ - ١٤٠. و«الدر» ٣١١/٣ - ٣١٣.

(٤) «الطبري» ١٣١/١٥، والسيوطي في «الدر» ٣١١/٣ وزاد نسبه لأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبر أن أوليائه المتقين البشري في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ من الثواب الجزيل، وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عه - جل ثناؤه - أن لهم البشري في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة.



قوله تعالى: ﴿وَشَرَّكَاءَكُمْ﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المعنى: وادعوا شركاءكم. وقال الزجاج: الواو هاهنا بمعنى «مع»، فالمعنى: مع شركائكم. تقول: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، أي: مع فصيلها. وقرأ يعقوب: «وشركاؤكم» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنتُمْ عَلَىٰ كُرْبٍ عَلَيْنَا غُثَّةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يكن أمركم مكتوماً، قاله ابن عباس. والثاني: غماً عليكم، كما تقول: كرب وكربة، قاله ابن قتيبة. وذكر الزجاج القولين. وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: ثم اقضوا إلي ما في أنفسكم، قاله مجاهد. والثاني: افعلوا ما تريدون، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: معناه: اقضوا إلي بمكروهم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون: مات ومضى.

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنِّي إِجْرًا إِنِ اتَّبَعْتُمُ إِلَّا عَنِّي وَلَا عَلَ اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَن آتِيَنَّ مِنَ السَّيْلِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوا فَجَعَلْنَاهُ مِن مَّعَمٍ فِي الْأَفْلَاقِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَفْرَقْنَا الْيَوْمَ الْكَذِبَ وَالْحَقَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: اعرضتم عن الإيمان. ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنِّي إِجْرًا﴾ أي: لم يكن دعائي إياكم طمعاً في أموالكم.

قوله تعالى: ﴿إِنِ اتَّبَعْتُمُ خَلْقًا﴾ حرَّك هذه الباء ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ أي: جعلنا الذين نجوا مع نوح خلقاً ممن هلك.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا فَكَذَّبُوا بِهَا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعبيّاً. ﴿فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بان لهم أنهم رسل الله. ﴿فَمَا كَانُوا﴾ أي: أولئك الأقوام ﴿يُؤْمِنُونَ بِهَا كَذِبًا﴾ يعني الذين قبلهم. والمراد: أن المتأخرين مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب. وقال مقاتل: فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطِيعُ﴾ أي: كما طيعنا على قلوب أولئك، ﴿كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ يعني المتجاوزين ما أمروا به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ﴾ يعني الرسل الذين أرسلوا بعد نوح. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرٌ شَيْئٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَيْحَرُّ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَبَدَّ عَلَيْنَا مَاهِدًا وَلَكِنَّا لَكَا الْكُذِبَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْتَوِي بِكُلِّ بَيْتٍ عَالِيَةٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ السَّعِيرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَفْقُوا مَا أَنْتُمْ مُقْلِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَفْقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا يَشْعُرُ بِهِ الْيَسْحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطِيلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلِ الْمُتَكِبِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكْذِبُونَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وهو ما جاء به موسى من الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَرُّ هَذَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ، وهو قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرٌ شَيْئٌ﴾. ثم قرره فقال: ﴿أَيْحَرُّ هَذَا؟﴾ قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة تفضيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزاً، فيقول: أحق ما أرى؟ معظماً لما ورد عليه. وقال غيره: تقدير الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم: هو سحر؟ أم سحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُ وَقَدْ آخِرَهُ لِيَسْأَلُوا بِغُرُوحِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا﴾ قال ابن قتيبة؛ لتصرفنا. قال: لفئ فلاناً عن كذا: إذا صرفته. ومنه الالتفات، وهو الانصراف عما كنت مقبلاً عليه.



الْقَرِيَّةَ [يوسف: ٨٢]. وعلى القول الثاني يرجع ذكر الملائكة إلى الذرية. قال ابن جرير: وهذا أصح، لأنه كان في الذرية من أبوه قبطي وأمه إسرائيلية، فهو مع فرعون على موسى.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعني فرعون، ولم يقل: يفتنهم، لأن قومه كانوا على من كان عليه. وفي هذه الفتنة قولان: أحدهما: أنها القتل، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَرْعَوْتَ لِمَالِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: متناول في أرض مصر ﴿وَلَا لِيَنَّ الْمُشْرِكِينَ﴾ حين كان عبداً فادعى الربوبية.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِٱللَّهِ فَٱلَّيْلُ نَوَقَرٌ﴾ لما شكى بنو إسرائيل إلى موسى ما يهددهم به فرعون من ذبح أولادهم، واستحياء نساءهم، قال لهم هذا. وفي قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا تهلكننا بعذاب على أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من قبلك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم. والثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، والقولان مرويان عن مجاهد. والثالث: لا تسلطهم علينا فيفتنونا بنا، لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى، وأبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿أَن تَوَدَّ ٱلْقَوْمُكَآ يَهْرُؤُنَا﴾ قال المفسرون: لما أرسل موسى، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرت كلها، ومنعوا من الصلاة، وكانوا لا يصلون إلا في الكنائس؛ فأمر أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفاً من فرعون. و «تودَّ» معناه: اتخذوا، وقد شرحناه في [الأعراف: ٧٤]. وفي المراد بمصر قولان: أحدهما: أنه البلد المعروف بمصر، قاله الضحاك. والثاني: أنه الإسكندرية، قاله مجاهد. وفي البيوت قولان: أحدهما: أنها المساجد، قاله الضحاك، والثاني: القصور، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهد، وعكرمة، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي، وابن زيد. وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقبل لهم: اجعلوا بيوتكم قبله بدلاً من المساجد. والثاني: اجعلوها قبلاً القبلة، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قِيلَ مكة. وقال مجاهد: أمروا أن يجعلوها مستقبله الكعبة، وبه قال مقاتل، وقتادة، والفراء. والثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضاً، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سعيد بن جبیر. والرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبله لكم في الصلاة، فهي قبله اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر. فإن قيل: البيوت جمع، فكيف قال: «قبله» على التوحيد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: من قال: المراد بالقبلة الكعبة، قال: وخذت القبلة لتوحيد الكعبة. قال: ويجوز أن يكون أراد: اجعلوا بيوتكم قبلاً، فاكتمى بالواحد عن الجمع، كما قال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم

فقد برئت من الإحن الصدور

يريد: إنا إخوانكم. ويجوز أن يكون وخذ «قبلة» لأنه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله، وقصداً لما كنتم تستعملونه في المساجد. ويجوز أن يكون وخذها، والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئاً قبلة، ومكاناً قبلة، ومحلة قبلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس: أتموا الصلاة ﴿وَيَذَرُوا الْمُتَشَابِهَ﴾ أنت يا محمد. قال سعيد بن جبیر: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَآئِةٌ فَرَعَوْتَ وَمَلَكٌ رَّيَّةٌ وَأَنزَلَا﴾ قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ وفي لام «لِيُضِلُّوا» أربعة أقوال: أحدها: أنها لام «كي» والمعنى: آتيتهم ذلك كي يضلوا، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها لام العاقبة، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال، ومثله قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحَرَّابٌ﴾ [القصص: ٨]. أي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً، لا أنهم قصدوا ذلك، وهذا كما تقول للذي كسب مالا فأذاه إلى الهلاك: إنما كسب فلان لحتفه، وهو لم يكسب المال طلباً للحتف، وأنشدوا:

وللخراب يُجِدُّ النَّاسُ عَمْرَانَا

وللمنايا تُرَبِّي كُلَّ مُرْضِعَةٍ

وقال آخر:

كما لخراب الدُّور تُبْنِي الْمَسَاكِينَ

وللموتِ تَغْدُو الْوَالِدَاتُ مِخَالَهَا

وقال آخر:

فللموتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَ

فإن يَكُنِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ

أراد: عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك، هذا قول الزجاج. والثالث: أنها لام الدعاء، والمعنى: ربنا ابتلهم بالفضل عن سبيلك، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنها لام أجل، فالمعنى: آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم، ومثله قوله: «سَيَلُونُ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ يَتَوَضَّعُونَ عَنْكُمْ» [التوبة: ٩٥] أي: لأجل إغراضكم، حكاه بعض المفسرين. وقرأ أهل الكوفة إلا المفضل، وزيد، وأبو حاتم عن يعقوب: «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أي: ليضلوا غيرهم. قوله تعالى: «رَبَّنَا أَتَيْتَنَا» روى الحلبي عن عبد الوارث: «اطمُس» بضم الميم «عَلَّ أَنْوَلِيَهُمْ» وفيه قولان: أحدهما: أنها جعلت حجارة، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والفراء. وقال القرظي: جُعل سَكْرُهُمْ حجارة. وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة. وقال مجاهد: مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع. وقال الزجاج: تطميس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها. والثاني: أنها هلكت، فالمعنى أهلك أموالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، ومنه يقال: طُمست عينه، أي: ذهب، وطُمس الطريق: إذا عفا ودرس. وفي قوله: «وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أربعة أقوال: أحدها: أطبع عليها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أهلكهم كفاراً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: اشدت عليها بالضلالة، قاله مجاهد. والرابع: أن معناه: قَسَّ قُلُوبَهُمْ، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: «فَلَا يُؤْمِنُوا» فيه قولان: أحدهما: أنه دَعَاءٌ عليهم أيضاً، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، قاله الفراء، وأبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: معناه: فلا آمنوا، قال الأعشى:

وَلَا تَلْقُنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ<sup>(١)</sup>

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوِي

معناه لا انبسط، ولا لقيتني. والثاني: أنه عطف على قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»، فالمعنى: أنك آتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا، حكاه الزجاج عن المبرد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «حَقَّ رِزْقُكَ الْكَافِرِينَ» قال ابن عباس: هو الغرق، وكان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فقال الله تعالى: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا»، وكان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. فان قيل: كيف قال: «دَعْوَتُكُمَا» وهما دعوتان؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دَعَوَاتٍ وكلامٍ يطول كما بيَّنا في [الأعراف: ١٥٨] أن الكلمة تقع على كلمات، قال الشاعر:

هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمٌ<sup>(٣)</sup>

وكان دعا دعوة قَوْمِهِ

فأوقع «دعوة» على الفاظ بيَّنا آخر بيته. والثاني: أن يكون المعنى: قد أُجِيبَتْ دعواتكما، فاكثفى بالواحد من ذكر الجميع، ذكر الجوابين ابن الأنباري. وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ «دَعَوَاتُكُمَا» بالالف وفتح العين. والثالث: أن موسى هو الذي دعا، فالدعوة له، غير أنه لما آمَنَ هارون، أشرك بينهما في الدعوة، لأن التأمين على الدعوة منها. وفي قوله: «فَأَسْتَقِيمًا» أربعة أقوال: أحدها: فاستقيما على الرسالة وما أمرتكما به، قاله أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ٥٨ من قصيدته في هجاء يزيد بن مسهر الشيباني، و«الطبري» ١٥/١٨٣.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٥/١٨٥: والصواب من القول في ذلك، أنه في موضع جزم على الدعاء، بمعنى (فلا آمنوا)، وإنما اخترت ذلك، لأن ما قبله دعاء وذلك قوله: «رَبَّنَا أَتَيْتَنَا» فالحاق قوله: «فَلَا يُؤْمِنُوا» إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأرلى.

(٣) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ٤٣، و«مجاز القرآن» ١/٢٠٨، و«الطبري» ٨/٧٧، و«القرظي» ٧/١٥٨، و«اللسان» و«التاج» ربح.



ابن عباس. والثاني: فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعة الله، قاله ابن جرير. والثالث: فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه. والرابع: فاستقيما على ديني، ذكرهما أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد تاء «تَتَّبِعَانِ». وقرأ ابن عامر بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون «تَتَّبِعَانِ»، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة، وكُسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين. قال أبو علي: ومن خفض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة، فإن شئت كان على لفظ الخبر، والمعنى الأمر، كقوله: ﴿يَرْصُقْ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨ و ٢٣٤] و ﴿لَا تُصَاكَّرْ وَلَا تَلَاةٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك، وإن شئت جعلته حالاً من قوله: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ تقديره: استقيما غير متبعين. وفي المراد بسبيل الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم فرعون وقومه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف جاز أن يدعو موسى على قومه؟ فالجواب: أن بعضهم يقول: كان ذلك بوحى، وهو قول صحيح، لأنه لا يُظن بنبي أن يُقدم على مثل ذلك إلا عن إذن من الله ﷻ، لأن دعاءه سبب للانتقام.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ قال أبو عبيدة. أتبعهم وتبعهم سواء. وقال ابن قتيبة: أتبعهم لحقهم. ﴿بَنِيَّ وَعَدُوًّا﴾ أي: ظلماً. وقرأ الحسن «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتشديد، وكذلك شدودا «عُدُوًّا» مع ضم العين.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ مَا أَنتَ أَنتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «أنه» بفتح الألف، والمعنى: آمنت بأنه. فلما حذف حرف الجر، وصل الفعل إلى «أن» فنصب. وقرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، كأنه قال: آمنت، فقلت: إنه. قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب. قال ابن الأنباري: جنح فرعون إلى التوبة حين أغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملائكة، فقيل له: ﴿مَالِكُنَّ﴾ أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله ﷻ؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل. وجاء في الحديث أن جبريل جعل يدسُ الطين في فم فرعون خشية أن يُغفر له<sup>(١)</sup>. قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرُخاء يذكركم في الشدة، إن يونس ﷺ كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال الله: ﴿فَلَوْلَا أَنتُمْ كَأَنَّ مِنَ الْفَيْسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [البقرة: ١٤٣ و ١٤٤]، وإن فرعون كان عبداً طاعياً ناسياً للذكر الله تعالى، فلما أدركه الفرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَالِكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّكُمْ تَتَّبِعُ﴾ وقرأ يعقوب «تُنَجِّيك» مخفف. قال اللغويون منهم يونس وأبو عبيدة: نُلقيك على نجوة من الأرض، أي: ارتفاع، ليصير علماً أنه قد غرق. وقرأ ابن السميع «تُنَجِّيك» بحاء. وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة أقوال: أحدها: أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي من المدائن من قوم فرعون: ما أغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر، فأوحى الله إلى البحر أن اللفظ فرعون عرياناً، فكانت نجاة عبدة، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن اللفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقاً، فصار لا يقبل غريقاً إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً عليهم الحديد، فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به. وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كذب بعض بني إسرائيل بغرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل قُصيراً أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إسرائيل بدرج كان له من لؤلؤ لم يكن لأحد

(١) «المستند» ١٦/٤، ونقله ابن كثير في «التفسير» ٤٣٠/٢ عن الطيالسي، وقال: وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضاً، وابن جرير أيضاً من غير وجه عن شعبة، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٤٠/٢ وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي.

مثلها. فأما وجهه فقد غيَّره سُخْطُ الله تعالى. والثالث: أنه كان يدَّعي أنه رب، وكان يعبدُه قوم، فبيَّن الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجه من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿يَذْكُرُكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح. والثاني: بدرعك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرف بدرعه. والثالث: نلقبك عرياناً، قاله الزجاج. والرابع: ننجيكَ وحدك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقاتلتك، فإني لو كنت إلهاً ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة. والثاني: لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي. والثالث: لمن تخلف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان: أحدهما: عبرة للناس. والثاني: علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدَّعي أنه رب، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لَمَنْ خَلَقَكَ﴾ بالقاف.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْجاً صَدُوقٍ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا نَزَّلْنَا إِلَيْكَ فَتَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَتَّيَبِتُ اللَّهُ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْهُمْ كَذَبَتْ رَبُّكَ لَا يَوْمُوتُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق، أي منزلاً كريماً. وفي المراد ببني إسرائيل قولان: أحدهما: أصحاب موسى. والثاني: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال: أحدها: أنه الأردن، وفلسطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الشام، وبيت المقدس، قاله الضحاك وقطادة. والثالث: مصر، روي عن الضحاك أيضاً. والرابع: بيت المقدس، قاله مقاتل. والخامس: ما بين المدينة والشام من أرض يثرب، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. والمراد بالطيبات: ما أحل لهم من الخيرات الطيبة. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ يعني بني إسرائيل. قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدقين، ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ﴾ يعني القرآن، وروي عنه: حتى جاءهم العلم، يعني محمداً. فعلى هذا يكون العلم هاهنا: عبارة عن المعلوم. وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلفوا في تصديقه، وكفر به أكثرهم بغياً وحسداً بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهوره.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره من الشاكين، بدليل قوله في آخر السورة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي﴾ [يونس: ١٠٥]، ومثله قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَوِّضِينَ إِلَيْكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الاحزاب: ٣٨] ثم قال: ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [الاحزاب: ٣] ولم يقل: بما تعمل، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ، وهو المراد به. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك، لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده: إن كنت ابني فبرئني، ولعبيده: إن كنت عبدي فاطعني، وهذا اختيار الفراء. وقال ابن عباس: لم يكن رسول الله ﷺ في شك، ولا سأل. والثاني: أن تكون «إن» بمعنى «ما» فالمعنى: ما كنت في شك ﴿فَتَسْأَلِ﴾، المعنى: لسا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره الزجاج. والثالث: أن الخطاب للشاكين، فالمعنى: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد، فسأل، روي عن ابن قتيبة. وفي الذي أنزل إليه قولان: أحدهما: أنه أنزل إليه أنه رسول الله. والثاني: أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

قوله تعالى: ﴿تَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم اليهود والنصارى. وفي الذين أمر بسؤالهم منهم قولان: أحدهما: من آمن، كعبد الله بن سلام، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أهل الصدق منهم، قاله الضحاك، وهو يرجع إلى الأول، لأنه لا يصدق إلا من آمن. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا كلام مستأنف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْآلِيمَ حَقَّتْ﴾ أي؛ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي؛ قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال: أحدها: باللعنة. والثاني: بنزول العذاب. والثالث: بالسخط. والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أتت فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لَكُمْ بِإِيمَانِهِمْ كَشَفَعْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَنقُصُكُمْ فِي بَإِئِنَّ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أي: قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ﴾، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس. والثاني: أنها بمعنى: فهلاً، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلاً كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و «إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قوم يونس. قال الفراء: نُصِبَ القوم على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها؟ تقول: ما قام أحد إلا أخوك، فإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً، نصبت، لانقطاعهم من الجنس، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً. وذكر ابن الأنباري في قوله: «إلا» قولين آخرين: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا، وهذا مروي عن أبي عبيدة، والفراء ينكره. والثاني: أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه تقديره: حتى يروا العذاب الآليم إلا قوم يونس، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع.

قوله تعالى: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: صرفنا عنهم ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي: عذاب الهوان والذل ﴿وَنَنقُصُكُمْ إِنَّا جِنٌ﴾ أي: إلى حين آجالهم.

### الإشارة إلى شرح قصتهم

ذكر أهل العلم بالسِّيَر والتفسير أن قوم يونس كانوا بـ «نينوى» من أرض الموصل، فأرسل الله ﷻ إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام، فأبوا، فأخبرهم أن العذاب مصيَّبهم بعد ثلاث، فلما تغشاهم العذاب، قال ابن عباس، وأنس: لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل، وقال مقاتل: قدر ميل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حرَّ العذاب على أكتافهم، وقال سعيد بن جبيرة: غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر، وقال بعضهم: غامت السماء غيماً أسود يظهر دخاناً شديداً، فغشي مدينتهم، واسودَّت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح، وحثَّوا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدَّة ولدها من الناس والأنعام، وعجَّوا إلى الله بالتوبة الصادقة، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن تراؤوا المظالم بينهم، حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه، فيرده. وقال أبو الجلد<sup>(١)</sup>: لما غشيهم العذاب، مَنَّوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حيُّ حين لا حيٍّ، يا حيُّ مُحيي الموتى، يا حيُّ لا إله إلا أنت، فقالوها، فكُشِفَ العذاب عنهم. قال مقاتل: عَجَّوا إلى الله أربعين ليلة، فكُشِفَ العذاب عنهم. وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة. قال: وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم، فقيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذباً؟ وكان من يكذب بينهم ولا بيِّنة له يُقْتَل، فانصرف مغاضباً، فالتقمه الحوت. وقال أبو صالح عن ابن عباس: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: شُعيا، فقيل له: اتت فلاناً المَلِك، فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبياً قوياً أميناً، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال الملك ليونس: اذهب إليهم، فقال: ابعث غيري، فعزم عليه أن يذهب، فأتى بحر الروم، فركب سفينة، فالتقمه الحوت، فلما خرج من بطنها أمر أن ينطلق إلى قومه، فانطلق نذيراً لهم، فأبَوْا عليه، فوعدهم بالعذاب، وخرج، فلما تابوا رُفِعَ عنهم. والقول الأول أثبت عند العلماء، وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم. وسيأتي شرح قصته في التمام الحوت إياه في

(١) أبو الجلد، بفتح الجيم، وسكون اللام، هو جيلان بن أبي فروة الأسدي.

مكانه إن شاء الله تعالى [الصفات: ١٤٢]. فإن قيل: كيف كُشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَف عن فرعون حين آمن؟ فنعته ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية. والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له، ذكره الزجاج. والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف مَنْ تقدّمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَن تَكْفُرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة. قال الأخفش: جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» تأكيداً كقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُ إِلَّا هَذَيْنِ أَن تَتَّبِعَ﴾ [النمل: ٥١].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَن تَكْفُرُ النَّاسَ﴾ قال المفسرون، منهم مقاتل: هذا منسوخ بآية السيف، والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ، لأن الإكراه على الإيمان لا يصح، لأنه عمل القلب.

﴿وَمَا كَانَتْ لَيْفِينَ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَيْفِينَ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: بقضاء الله وقدره. والثاني: بأمر الله، روي عن ابن عباس. والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء. والرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل. والخامس: بعلم الله. والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ أي: ويجعل الله الرجس. وروي أبو بكر عن عاصم: «ونجعل الرجس» بالنون. وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه السخط، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الإثم والعدوان، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: العذاب، قاله الحسن، وأبو عبيدة، والزجاج. الخامس: العذاب والغضب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ. وقيل: لا يعقلون حججه ودلائل توحيده.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِي إِلَيْنَا أَفَأَنْتُمْ وَالْأَنْدَرُ عَنْ قَوْلِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقاً مدبراً. ﴿وَمَا تُنْفِي إِلَيْنَا أَفَأَنْتُمْ وَالْأَنْدَرُ عَنْ قَوْلِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ يَوْمَ السَّعْيِ ١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني كفار قريش. ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن الأنباري: أي: مثل وقائع الله بمن سلف قبلهم، والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب، وقد قصد بها أيام الشرور والأفراح إذا قام دليل بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ هلاكي ﴿إِلَى مَعَكُمْ يَوْمَ السَّعْيِ﴾ لنزول العذاب بكم. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب إذا نزل، فلم يهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقرأ يعقوب، وحفص، والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر: «ننج المؤمنين» بالتخفيف. ثم في هذا الإنجاء قولان: أحدهما: ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذّبين، قاله الربيع بن أنس. والثاني: ننجيهم في الآخرة من النار، قاله مقاتل.

﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي قَعَّدُون مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَلَأُرْسِلَنَّ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَن أَعِدَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَعَلْتَكَ إِنَّا مِنَّا الْغَالِبِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يعني أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الإسلام ﴿فَلَا أَعْبُدُ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي قَعَّدُون مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿وَلَٰكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي﴾ يقدر أن يمتكهم. وقال ابن جرير: معنى الآية: لا ينبغي لكم أن تشكوا في ديني، لأنني أعبد الله الذي يمتع وينفع ويضر، ولا تستنكروا عبادة من يفعل هذا، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا وتذكروا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر. فإن قيل: لم قال: ﴿الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ ولم يقل: «الذي خلقكم»؟ فالجواب: أن هذا يتضمن تهديدهم، لأن ميعاد عذابهم الوفاة.

قوله تعالى: ﴿وَأَن أَعِدَّ وَجْهَكَ﴾ المعنى: وأمرت أن أقم وجهك، وفيه قولان: أحدهما: أخلص عملك. والثاني: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك. وفي المراد بالحنيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المتبع، قاله مجاهد. والثاني: المخلص، قاله عطاء. والثالث: المستقيم، قاله القرطبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن تركت عبادته. و «الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَمْزِجْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِلَىٰ يَدَيْكَ يُخْرِجُكَ فَلَا رَآءَ لِلْفَيْلِ يَصِيبُ يَوْمَ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَمْزِجْ﴾ أي: بشدة وبلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لذلك ﴿إِلَّا هُوَ﴾ دون ما يعبد المشركون من الأصنام. وإن يصيب بخير، أي: برحاء ونعمة وعافية، فلا يقدر أحد أن يمنعك إياه. ﴿يُصِيبُ يَوْمَ﴾ أي: بكل واحد من الضر والخير.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: فإنما يكون وبال ضلاله على نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعنى: لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتناع من الهلاك. قال ابن عباس: وهذه منسوخة بآية القتال، والتي بعدها أيضاً، وهي قوله: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب. والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ. أما الآية الأولى، فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في [الأنعام: ١٠٧]. وأما الثانية، فقد ذكرنا نظيرتها في سورة [البقرة: ١٠٩] قوله: ﴿فَاعْتَصِرُوا وَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.



## سورة هود

[عليه السلام]

## فصل في نزولها

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية كلها، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقادة. وزوي عن ابن عباس أنه قال: هي مكية، إلا آية، وهي قوله: ﴿وَأَقْرِضْكَ سَلَكُوتَ طَرْقِي النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وعن قتادة نحوه. وقال مقاتل: هي مكية كلها، إلا قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَبْعَ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢] وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَسْنُوْكَ يُدَبِّرْنَ السِّيَاقَ﴾ [هود: ١١٤]. وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، عجل إليك الشيب، قال: «شيبتي هود وأخوانها: الحاقة، والواقعة، وعم يتساءلون، وهل أذاك حديث الغاشية»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كُنْتُ أَهَيْتُمْ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾

فأما «الر» فقد ذكرنا تفسيرها في سورة (يونس). قال الفراء: و «كُنْتُ» مرفوع بالهجاء الذي قبله، كأنك قلت: حروف الهجاء هذا القرآن، وإن شئت رفعت به بضمار «هذا كتاب»، والكتاب: القرآن. وفي قوله: «أَهَيْتُمْ» أربعة أقوال: أحدها: أحكمت فما تُنسَخُ بكتاب كما تُسَخُ الكتب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قتادة، ومقاتل. والرابع: أحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد. فإن قيل: كيف عمَّ الآيات هاهنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله: «وَهُنَّ أَيْتٌ تُحْكَمُ» [آ عمران: ٢٨]؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الإحكام الذي عمَّ به هاهنا غير الذي خصَّ به هناك. وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال، قد أسلفنا منها أربعة في قوله: «أَهَيْتُمْ» الخامس: أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمن الجكم المعجزة. ومعنى الإحكام الخاص: زوال اللبس، واستواء السامعين في معرفة معنى الآية. والجواب الثاني: أن الإحكام في الموضوعين بمعنى واحد. والمراد بقوله: «أَهَيْتُمْ» أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلت طعام زيد، يعنون: بعض طعامه، ويقولون: قُتلنا وربَّ الكعبة، يعنون: قُتل بعضنا، ذكر ذلك ابن الأنباري. وفي قوله: «ثُمَّ فَصَلْتُ» ستة أقوال: أحدها: فصلت بالحلل والحرام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فصلت بالثواب والعقاب، رواه جسر بن فرقد عن الحسن. والثالث: فصلت بالوعد والوعيد، رواه أبو بكر الهذلي عن الحسن أيضاً. والرابع: فصلت بمعنى فسرت، قاله مجاهد. الخامس: أنزلت شيئاً بعد شيء، ولم تنزل جملة، ذكره ابن قتيبة. والسادس: فصلت بجميع ما يُحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وثبت نبوة الأنبياء، وإقامة الشرائع، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ أي: من عنده.

﴿أَلَا سُبُّوْا إِلَا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْهُنَّ لَذِيْرٌ وَبِيْرٌ﴾ ﴿وَأَن أَسْتَفْهَرُوا رِيْكَوْا ثُمَّ تَوَبُّوْا إِلَيْهِ يَغْفِرْكُمْ مَنَّمَا حَسَا إِلَا أَكَلِ نُسَى وَيُوْزِيْ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍ﴾ ﴿إِلَّا اللَّهَ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾

(١) «جامع الترمذي» ١٦٢/٢، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد ثبت، قال: فشيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ٨٧: وأطال الدارقطني في ذكر علله، واختلاف طرقه في أوائل كتاب «العلل». وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ٢٥٥، ٢٥٦. للحافظ السخاوي.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال الفراء: المعنى: فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا﴾. و «أن» في موضع النصب بالقائق الخافض. وقال الزجاج: المعنى: آمركم أن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ وأن استغفروا. قال مقاتل: والمراد بهذه العبادة: التوحيد. والخطاب لكفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ ثُمَّ تُوِيُوا إِلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الاستغفار والتوبة هاهنا من الشرك، قاله مقاتل. والثاني: استغفروه من الذنوب السالفة، ثم تويوا إليه من المستأنفة متى وقعت. وذكر عن الفراء أنه قال: «ثم» هاهنا بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِكُمْ نَسْأًا حَسَنًا﴾ قال ابن عباس: يفضل عليكم بالرزق والسعة. وقال ابن قتية: يُعْزَمُكم. وأصل الإمتاع: الإطالة، يقال: أمتع الله بك، ومتّع الله بك، إمتاعاً ومتاعاً، والشئ الطويل: ممتع، يقال: جبل ممتع، وقد متع النهار: إذا تطاول. وفي المراد بالأجل المسمى قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ كُلٌّ فِي فَضْلٍ فَسَلِّمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنّة وخير فضله، وهو الجنة. والثاني: يؤتبه فضله من الهداية إلى العمل الصالح. والثاني: أنها ترجع إلى العبد، فيكون المعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعته ثواب ذلك الفضل الذي زاده، فيفضله في الدنيا بالمرتلة الرفيعة، وفي الآخرة بالثواب الجزيل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تُعرضوا عما أمرتم به، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وَأَنْ تَوَلَّوْا» بضم التاء. ﴿فَإِنْ أَتَاكَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه إضمار «قل». واليوم الكبير: يوم القيامة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ لِيَسْتَحْفَظُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ الشُّدْرِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يظهر له، فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفَضُّوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه محمد بن عباد عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله ﷺ، ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله، قاله عبد الله بن شداد. والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشنا ثيابنا وثبنا صدورنا على عداوة محمد ﷺ، كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كنتموا، ذكره الزجاج. والخامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله ﷺ إذا سمعوا منه القرآن حنّوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليعبد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ﴾ يقال: ثبنت الشيء: إذا عطفته وطوبته. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: يكتون ما فيها من العداوة لمحمد ﷺ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ينتون صدورهم على الكفر، قاله مجاهد. والثالث: يحتنونها لئلا يسمعو كتاب الله، قاله قتادة. والرابع: يثنونها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن زيد. الخامس: يثنونها حياة من الله تعالى، وهو يخرج على ما حكينا عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: وكان ابن عباس يقرأها: «أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتَوْنِي صُدُورُهُمْ» وفسرها أن ناساً كانوا يستحيون أن يُفَضُّوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. فَتَنْتَوْنِي: تَقْعُزْ عَلِيَّ، وهو فعل للصدور، معناه: المبالغة في ثني الصدور، كما تقول العرب: أحلولى الشيء، يحلّولي: إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة، قال عنترة:

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٣، عن الكلبي.

(٢) «البخاري» ٢٦٤/٨، والطبري ٢٣٦/١٥، وخرجه السيوطي في «الدرر» ٣٢٠/٣ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.



أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا وَقَاتِلَ ذِكْرَكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا  
وَقَوْلِكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ  
فعلى هذا القول، هو في حق المؤمنين، وعلى بقية الأقوال، هو في حق المنافقين. وقد خُرج من هذه الأقوال في  
معنى «يَتَوَكَّلُونَ صُدُورَهُمْ» قولان: أحدهما: أنه حقيقة في الصدور. والثاني: أنه كتمان ما فيها.  
قوله تعالى: «لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ» في هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى  
رسوله ﷺ.

قوله تعالى: «أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ» قال أبو عبيدة: العرب تدخل «ألا» تأكيداً وإيجاباً وتنبهاً. قال ابن قتيبة:  
«يستغشون ثيابهم» أي: يتغشونها ويستترون بها. قال قتادة: أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى ظهره، واستغشى ثيابه،  
وأضمر هم في نفسه. قال ابن الأنباري: أعلم الله أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم.  
قوله تعالى: «إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ السُّرُورِ» وقد شرحناه في [آل عمران: ١١٩].

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ ثُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْتَاطُكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَكِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مُعْجُزَاتٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْئٌ﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ» قال أبو عبيدة: «من» من حروف الزوائد، والمعنى: وما دابة، والدابة: اسم لكل حيوان يذب. وقوله: «إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» قال العلماء: فضلاً منه، لا وجوباً عليه. و«على» هاهنا بمعنى «من». وقد ذكرنا المستقر والمستودع في سورة [الأنعام: ٦٧].

قوله تعالى: «كُلٌّ فِي كِتَابٍ» أي: ذلك عند الله في اللوح المحفوظ، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في علم الله ﷻ.

قوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» قال ابن عباس: عرشه: سريره، وكان الماء إذ كان العرش عليه على الريح. قال قتادة: ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض.

قوله تعالى: «يَبْتَاطُكُمْ» أي: ليبخبركم الاختبار الذي يجازي عليه، فيثيب المعبر بما يرى من آيات السموات والأرض، ويعاقب أهل العناد.

قوله تعالى: «إِنَّكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله ﷻ، وأسرع في طاعة الله، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ (٢). والثاني: أيكم أعمل بطاعة الله، قاله ابن عباس. والثالث: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة. والرابع: أيكم أزهد في الدنيا، قاله الحسن وسفيان.

قوله تعالى: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْئٌ» قال الزجاج: السحر باطل عندهم، فكانهم قالوا: إن هذا إلا باطل بين، فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتى.

﴿وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَهُ أَنتُمْ مَعْدُودُونَ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهَشُونَ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِدِيهِ يُسْتَهْزَئُونَ﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: «وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ» قال المفسرون: هؤلاء كفار مكة، والمراد بالآمة المعدودة: الأجل المعلوم، والمعنى: إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها. «لَيَقُولَنَّ مَا يَجْهَشُونَ» وإنما قالوا ذلك تكديماً واستهزاءً.

(١) «ديوانه» ١٩٢، ومختار الشعر الجاهلي ١/ ٣٨٠. وقوله: قاتل الله، تعجب، وذكرك. تقول: قاتل الله الطلول ما أجلها للأحزان، وأبعتها للثوق. واحلولى: حلي في عينك وسررت به. يقول: وقاتل قولك للشئ تحبه ولا تناله. ليت هذا الشئ لي.

(٢) «الطبري» ١٥/ ٢٥٠ - ٢٥١، وهو حديث ضعيف بمرة، في سنه داود بن المحبر الطائي الثقفي صاحب كتاب «العقل»، وهو صاحب مناكير، وفيه أيضاً عبد الواحد بن زيد، منكر الحديث، ضعيف بمرة. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣/ ٣٢٢ من رواية داود بن المحبر في كتاب «العقل»، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ مَعَهُمْ قُوَّةٌ﴾. وقال بعضهم: لا يُصرف عنهم العذاب إذا أتاهم. وقال آخرون: إذا أخذتهم سيوف رسول الله ﷺ لم تُغمد عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلو كلمة الإخلاص.

قوله تعالى: ﴿وَوَافِّيهِمْ﴾ قال أبو عبيدة: نزل بهم وأصابهم. وفي قوله: ﴿فَمَا كَانُوا بِرِيْدٍ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الرسول والكتاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس، فيكون المعنى: حاق بهم جزاء استهزائهم. والثاني: أنه العذاب، كانوا يستهزئون بقولهم: ﴿فَمَا يَحْيِيهِمْ﴾، وهذا قول مقاتل.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس. والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي. والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج. والمراد بالرحمة: النعمة، من العافية، والمال، والولد. واليؤوس: القنوط، قال أبو عبيدة: هو فعول من يئس. قال مقاتل: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفور لله في نعمه في الرخاء.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبٍ مِّنْهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْبَاقِينَ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً﴾ قال ابن عباس: صحة وسعة في الرزق. ﴿بَعْدَ ضَرْبٍ﴾ بعد مرض وفقر. ﴿لَيَكُونَنَّ مِنَ الْبَاقِينَ﴾ يريد الضر والفقر. ﴿إِنَّهُ لَنَجَّىٰ﴾ أي: يبطر ﴿نَجْوً﴾ قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه. فإن قيل: ما وجه عيب الإنسان في قوله: ﴿ذَهَبَ الْبَقِيَّةُ عَنِّْي﴾، وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال: (فرحين)؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: إنما عابه بقوله: ﴿ذَهَبَ الْبَقِيَّةُ عَنِّْي﴾ لأنه لم يعترف بنعمة الله، ولم يحمده على ما صُرف عنه. وإنما ذمه بهذا الفرح، لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا يَنْسِينِي الْحَدَثَانِ عِزِّي  
ولا أَلْقِي مِنَ الْفَرْحِ الْإِزَارَ<sup>(١)</sup>

يعني من المرح. وفرح الشهداء فرح لا يبر فيه ولا خيلاء، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قال الفراء: هذا الاستثناء من الإنسان، لأنه في معنى الناس، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ۝١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا. [المعر: ٢، ٣]. وقال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الذين صبروا. قال ابن عباس: الوصف الأول للكفار، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ.

﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَافِيًا بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ تُنْزِلُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ﴿أَتَيْتَ بِشَرْءٍ لَّا خَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]، فهم النبي ﷺ لا أن يُسمعهم عيب آلهتهم رجاء أن يتبعوه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: فلعلك تارك تبلغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة، وضائق بما كُلِّفَتْه من ذلك صدرك، خشية أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز. والثاني: فلعلك لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تنوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك. فأما الضائق، فهو بمعنى الضيق. قال الزجاج: ومعنى ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: كراهية أن يقولوا. وإنما عليك أن تنذرهم بما يوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم باقتراحهم من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحافظ. والثاني: الشهيد، وقد ذكرناه في

[آل عمران: ١٧٣].

(١) البيت لابن أحمر في «مجاز القرآن» ١/١١١، وغيره، منسوب في «الكامل» ٤٠، ٦٧٣ وفيه: ولا أرخي من المرح الإزار.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِّثْلِهِ مُتَّفَعِينَ﴾ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَنْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ أَنْزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَمْ يَلْمِ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ «أم، بمعنى «بل»، و «افتراه» أتى به من قبل نفسه. ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ أنتم في معارضتي ﴿بِسُورٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة ﴿مُتَّفَعِينَ﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَنْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ في قولكم: «افتراه». ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة، فقد قامت الحجة عليهم لكم. فإن قيل: كيف وحّد القول في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ ثم جمع في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾؟ فنه جوابان: أحدهما: أن الخطاب للنبي ﷺ وحده في الموضعين، فيكون الخطاب له بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ تعظيماً، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم، هذا قول المفسرين. والثاني: أنه وحّد في الأول لخطاب النبي ﷺ. وجمع في الثاني المخاطبة للنبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن الأباري.

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ أَنْزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده. والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا ذلك. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر. وفيمن خطب به قولان: أحدهما: أهل مكة، ومعنى إسلامهم: إخلاصهم لله العبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوْفَ إِلَهِمْ أَفْغَلَتْهُمْ فِيهَا وَفَزَ فِيهَا لَا يَخْشَوْنَ﴾ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَكَلْبٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها في اليهود والنصارى، قاله أنس. والرابع: أنها في أهل الرياء، قاله مجاهد. وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنما هي في الكافر، لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿نَوْفَ إِلَهِمْ أَفْغَلَتْهُمْ﴾ أي: أجور أعمالهم ﴿فِيهَا﴾. قال سعيد بن جبیر: أعطوا ثواب ما عملوا من خير في الدنيا. وقال مجاهد: مَنْ عمل عملاً من صلة، أو صدقة، لا يريد به وجه الله، أعطاه الله ثواب ذلك في الدنيا، ويدراً به عنه في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَفَزَ فِيهَا﴾ قال ابن عباس: أي في الدنيا. ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ أي: لا يُنْقِصُونَ من أعمالهم في الدنيا شيئاً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ عملوا لغير الله ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾ أي: ما عملوا في الدنيا من حسنة ﴿وَكَلْبٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لغير الله ﴿يَعْمَلُونَ﴾

## فصل

وذكر قوم من المفسرين، منهم مقاتل، أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله، أعطي فيها ثواب عمله من الرزق والخير، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿عَمَلًا لَهُمْ فِيهَا مَا كَفَّاهُ لِمَنْ تُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا لا يصح، لأنه لا يوفى إلا لمن يريد.

﴿أَفَنَنْتَ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَتَتَوَهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مَوْعِدَ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتْ لَهُمْ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ مِنْ رَبِّهِ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ في المراد بالينة أربعة أقوال: أحدها: أنها الدين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثالث: القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: البيان، قاله مقاتل.

وفي المشار إليه بـ «مَنْ» قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أنهم المسلمون، وهو يخرج على قول الضحاك. وفي قوله: «يَتْلُوهُ» قولان: أحدهما: يتبعه. والثاني: يقرؤه. وفي هاء «يَتْلُوهُ» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن، وقد سبق ذكره في قوله: «فَأَتُوا بِشُرِّ سُوْرٍ يَتْلُوهُ مُفْتَرِينَ» [هود: ١٣]. وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه لسان رسول الله ﷺ الذي كان يتلو القرآن، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة في آخرين. والثالث: أنه علي بن أبي طالب. و«يَتْلُوهُ» بمعنى يتبعه، رواه جماعة عن علي بن أبي طالب، وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي. والرابع: أنه رسول الله ﷺ هو شاهد من الله تعالى، قاله الحسين بن علي ﷺ. الخامس: أنه ملك يحفظه ويسدده، قاله مجاهد. والسادس: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق، وإن كان قد أنزل قبله، لأن النبي ﷺ بشرت به التوراة، قاله الفراء. والسابع: أنه القرآن ونظمه وإعجازه، قاله الحسين بن الفضل. والثامن: أنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله ﷺ. وفي هاء «منه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى النبي ﷺ. والثالث: إلى البيّنة.

قوله تعالى: «رَبِّينَ قَبْلِهِ» في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: إلى القرآن، قاله ابن زيد. والثالث: إلى الإنجيل، أي: ومن قبل الإنجيل «كُتِبَ مُوسَى» يتبع محمداً بالتصديق له، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: والمعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلاً على أمر النبي ﷺ، فيكون «كُتِبَ مُوسَى» عطفاً على قوله: «يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» أي: ويتلوه كتاب موسى، لأن موسى وعيسى بشراً بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل. ونصب «إماماً» على الحال. فإن قيل: كيف تتلوه التوراة، وهي قبله؟ قيل: لما بشرت به، كانت كأنها تالية له، لأنها تبعته بالتصديق له. وقال ابن الأنباري: «كُتِبَ مُوسَى» مفعول في المعنى، لأن جبريل تلاه على موسى، فارتفع الكتاب، وهو مفعول بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذلك، أي: تلاه جبريل أيضاً، كما تقول العرب: أكرمت أخاك وأبوك، فيرفعون الأب، وهو مكرم على الاستئناف، بمعنى: وأبوك مكرم أيضاً. قال: وذهب قوم إلى أن «كُتِبَ مُوسَى» فاعل، لأنه تلا محمداً بالتصديق كما تلاه الإنجيل.

## فصل

فتلخيص الآية: أفمن كان على بيّنة من ربه كمن لم يكن؟ قال الزجاج: ترك المضادّ له، لأن في ما بعده دليلاً عليه، وهو قوله: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْأَصْحَابِ» [هود: ٢٤]. وقال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوماً ركنوا إلى الدنيا، جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتمى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه. وقال ابن الأنباري: إنما حذف لانكشاف المعنى، والمحذوف المقدر كثير في القرآن والشعر، قال الشاعر:

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولُهُ

سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعاً<sup>(١)</sup>

فإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه، رسول الله ﷺ، فمعنى الآية: ويتبع هذا النبي شاهد، وهو جبريل ﷺ «منه» أي: من الله. وقيل: «شاهد» هو علي بن أبي طالب، «منه» أي: من النبي ﷺ. وقيل: «يتلو» يعني القرآن، يتلوه جبريل، وهو شاهد لمحمد ﷺ أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى. وقيل: ويتلو رسول الله ﷺ القرآن وهو شاهد من الله. وقيل: ويتلو لسان رسول الله ﷺ القرآن، فلسانه شاهد منه. وقيل: ويتبع محمداً شاهد له بالتصديق، وهو الإنجيل من الله تعالى. وقيل: ويتبع هذا النبي شاهد من نفسه، وهو سمّته وهديه الدالّ على صدقه.

(١) البيت لامرئ القيس: «ديوانه» ٢٤٢، والطبري ١٧٧/١٥، وشكل القرآن ١٦٦، والخزانة ٢٢٧/٤. قوله: لو شيء، يريد: لو أحد، وليس له «لو» هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: «وَرَبُّكَ أَفْوَكَ هَؤُلَاءِ بِذُنُوبِهِمْ» [الرعد: ٣] فنقول: لو أحد أنا رسول الله ﷺ، ولكننا لم ندفعك عن ذلك.

وإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه المسلمون، فالمعنى: أنهم يتبعون رسول الله ﷺ وهو البيّنة، ويتبع هذا النبي شاهد له بصدقه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رَزَّحُمُ﴾ إنما سماه إماماً، لأنه كان يهتدى به، «ورحمة» أي: وذا رحمة، وأراد بذلك التوراة، لأنها كانت إماماً وسبباً لرحمة من آمن به.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى أصحاب موسى. والثاني: إلى أصحاب محمد ﷺ. والثالث: إلى أهل الحق من أمة موسى وعيسى ومحمد. وفي هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى التوراة. والثاني: إلى القرآن. والثالث: إلى محمد ﷺ. وفي المراد بالأحزاب هاهنا أربعة أقوال: أحدها: جميع الملل، قاله سعيد بن جبير. والثاني: اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثالث: قريش، قاله السدي. والرابع: بنو أمية، وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي، وآل أبي طلحة بن عبد العزى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: إليها مصيره، قال حسان بن ثابت:

أَوَزَدْتُسُوهَا حَيَاضَ الْمَوْتِ صَاحِبِيَّةً فَالْأَنَارَ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتَ لَأَقْبِيهَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾ قرأ الحسن، وكتادة: «مُرية» بضم الميم أين وقع. وفي المكني عنه قولان: أحدهما: أنه الإخبار بمصير الكافر به، فالمعنى: فلا تك في شك أن موعد المكذب به النار، وهذا قول ابن عباس. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: فلا تك في شك من أن القرآن من الله تعالى، قاله مقاتل. قال ابن عباس: والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْضُونَ عَنَّا رَبَّهُمْ﴾ قال الزجاج: ذكر عرضهم تأكيداً لحالهم في الانتقام منهم، وإن كان غيرهم يعرض أيضاً. فأما «الأشهاد» ففيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الرسل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مجاهد، وكتادة. والثالث: الخلائق، روي عن قتادة أيضاً. وقال مقاتل: «الأشهاد» الناس، كما يقال: على رؤوس الأشهاد، أي: على رؤوس الناس. والرابع: الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد. الخامس: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وفائدة إخبار الأشهاد بما يعلمه الله: تعظيم بالأمر المشهود عليه، ودفع المجاهدة فيه.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُودُنَهَا عِوَا وَمَ بِالْآخِرَةِ مُمْ كَفَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد تقدم تفسيرها في [الأعراف: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَ بِالْآخِرَةِ مُمْ كَفَرُونَ﴾ قال الزجاج: ذكرت «هم» ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: لم يُعْجِزُونِي أَنْ أَمْرُ الْأَرْضِ فَتُخَفَّ بِهِمْ. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا ولي لهم ممن يعبدون يمنهم مني. وقال ابن الأنباري: لما كانت عادة العرب جارية بقولهم: لا وزر لك مني ولا نفق، يعنون بالوزر: الجبل، والنفق: السرّب، وكلاهما يلجأ إليه الخائف، أعلم الله تعالى أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هرباً، ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من الأرض ويلجأ إليه. قال: وقوله: «من أولياء» يقتضي محذوفاً، تلخيصه: من أولياء يمنعونهم من عذاب الله، فحذف هذا لشهرته.

قوله تعالى: ﴿يَضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني الرؤساء الصادقين عن سبيل الله، وذلك لإضلالهم أتباعهم واقتداء غيرهم بهم. وقال الزجاج: ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في دار الدنيا، ولا لهم ولي يمنع من انتقام الله، ثم استأنف ﴿يَضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لعظم كفرهم بنبيه وبالبعث والنشور.

(١) «ديوانه» ٤٢٤. والفاحية: من الإبل والغنم: التي تشرب ضحى، وهي هنا على المثل، وحياض الموت ترشيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَاوًا يَسْتَلِيمُونَ أَلَسَّحَ﴾ فيمن غني بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكفار. ثم في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم لم يقدروا على استماع الخير، وإبصار الحق، وفعل الطاعة، لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك، هذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعون، وبما كانوا يبصرون حُجج الله ولا يعتبرون بها، فحذف الباء، كما تقول العرب: لأجزيتك ما عملت، وبما عملت، ذكره الفراء، وأشد ابن الأنباري في الاحتجاج له:

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَصْيَافِ نَيْشًا وَنُبْذِلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ<sup>(١)</sup>

أراد: نغالي باللحم. والثالث: أنهم من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي ﷺ ما كانوا يستطيعون أن يفهموا ما يقول، قاله الزجاج. والقول الثاني: أنهم الأصنام، فالمعنى: ما كان للألهة سمع ولا بصر، فلم تستطع لذلك السمع، ولم تكن تبصر. فعلى هذا، يرجع قوله: ﴿مَا كَاوًا﴾ إلى أوليائهم، وهي الأصنام، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس أيضاً. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِرُونَ﴾ [١١] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلَّوْا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ إِلَى رَبِّهِمْ أَُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [١٢] مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَى وَالْأَصْبَرِ وَالسَّيِّعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَقَلَّا نَذْكُرُونَ [١٣]

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال ابن عباس: يريد: حقاً إنهم الآخسون. وقال الفراء: «لاجرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأنتيتك، لا جرم لقد أحسنت، وأصلها من جرم، أي: كسبت الذنب. قال الزجاج: ومعنى «لاجرم»: «لا» نفي لما ظنوا أنه يقع، كأن المعنى: لا يقع ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الآخسون، أي: كسب لهم ذلك الفعل الخسران. وذكر ابن الأنباري أن «لا» رد على أهل الكفر فيما قدروهم من اندفاع الشر عنهم في الآخرة، والمعنى: لا يندفع عنهم عذابي، ولا يجدون ولياً يصرف عنهم نقمتي، ثم ابتداء مستأنفاً «جرم»، قال: وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى: كسب كفرهم وما قدروهم من الباطل وقوع العذاب بهم. فـ «جرم» فعل ماضٍ، معناه: كسب، وفاعله مضمَر فيه من ذكر الكفر وتقرير الباطل. والثاني: أن معنى جرم: أحقَّ وصَحَّحَ، وهو فعل ماضٍ، وفاعله مضمَر فيه، والمعنى: أحقَّ كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم، قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتَ فِزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا<sup>(٣)</sup>

أراد: حقت الطعنة فزارة بالغضب. ومن العرب من يغيّر لفظ «جرم» مع «لا» خاصة، فيقول بعضهم: «لا جُرم»، ويقول آخرون: «لا جَر» بإسقاط الميم، ويقال: «لا إذا جرم» و«لا إذا جر» بغير ميم، و«لا إن ذا جرم» و«لا عن ذا جرم»، ومعنى اللغات كلها: حقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: خافوا ربهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنابوا إلى ربهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: تابوا إلى ربهم، قاله قتادة. والرابع: اطمأنوا، قاله مجاهد. والخامس: أخلصوا، قاله مقاتل. والسادس: تخشعوا لربهم، قاله الفراء. والسابع: تواضعوا لربهم، قاله ابن قتيبة. فإن قيل: لم أوثرت «إلى» على اللام في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، والعادة جارية بأن يقال أخبتوا لربهم؟ فالجواب: أن المعنى: وَجَّهوا خوفهم وخشوعهم وإخلاصهم إلى ربهم، واطمأنوا إلى ربهم. قال الفراء: وربما جعلت العرب «إلى» في موضع اللام، كقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [١٤] [الزلزلة: ٥٥]، وقوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِلَدٍّ لِّهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقد يجوز في العربية: فلان يخبت إلى الله، يريد يفعل ذلك موجهً إلى الله. قال بعض المفسرين: هذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله ﷺ، وما قبلها نازل في المشركين. ثم ضرب للفريقين مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَى وَالْأَصْبَرِ﴾

(١) تقدم البيت ٥٦٨.

(٢) نسبة البطليوسي في «الانقباض» لأبي أسماء بن الضرية، وقيل: بل هو لمطية بن عفيف.

(٣) «مجاز القرآن» ١/١٤٧، و«الانقباض» ٣١٣، و«ميسيبو» ٤١٨/١، و«معاني القرآن» ٨٠، و«القرطبي» ٤٥/٦، و«اللسان»، و«الناج»: جرم، و«الخزانة» ٣١٠/٤، و«شواهد الكشاف» ٣٢.

قال مجاهد: الفريقان: المؤمن والكافر. فأما الأعمى والأصم فهو الكافر، وأما البصير والسميع فهو المؤمن. قال قتادة: الكافر عَمِيَ عن الحق وُصِمَ عنه، والمؤمن أبصر الحق وسمعه ثم انتفع به. وقال أبو عبيدة: في الكلام ضمير، تقديره: مثل الفريقين كمثل الأعمى. وقال الزجاج: مثل الفريقين المسلمين كالْبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنهم في عداوتهم وتركهم للفهم بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: هل يستويان في المشابهة؟ والمعنى: كما لا يستويان عندكم، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر عند الله. وقال أبو عبيدة: «هل» هاهنا بمعنى الإيجاب، لا بمعنى الاستفهام، والمعنى: لا يستويان. قال الفراء: وإنما لم يقل: «يستون» لأن الأعمى والأصم من صفة واحد، والسميع والبصير من صفة واحد، كقول القائل: مررت بالعاقل واللييب، وهو يعني واحداً، قال الشاعر:

وما أذري إذا يئُمنْتُ أرضاً أريدُ الخيرَ أيهما يلييني<sup>(١)</sup>

فقال: أيهما. وإنما ذكر الخير وحده، لأن المعنى يُعرف، إذ المبتغي للخير متي للشر. وقال ابن الأنباري: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والسميع والبصير صفتان لمؤمن، فردُّ الفعلُ إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة، كما تقول: العاقل والعالم، والظالم والجاهل، حضراً مجلسي، فتثني الخبر بعد ذكر الأربعة، لأن الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعقل، وكذلك المنعوت بالجهل هو المنعوت بالظلم، فلما كان المنعوتان اثنين، رجع الخبر إليهما، ولم يُلتفت إلى تفريق الأوصاف، ألا ترى أنه يسوغ أن تقول: الأديب واللييب والكريم والجميل قصدي، فتوحد الفعل بعد أوصاف لعله أن الموصوف بهن واحد، ولا يمتنع عطف النعوت على النعوت بحروف العطف، والموصوف واحد، فقد قال تعالى: ﴿التَّحِيُّنُ الْكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] ثم قال: ﴿الْأَمْرُؤُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُوتِ عَنِ الشُّكْرِ﴾ فلم يقتض دخول الواو وقوع خلاف بين الأمرين والناهين، وقد قيل: الأمر بالمعروف ناو عن المنكر في حال أمره، وكان دخول الواو دلالة على الأمر بالمعروف، لأن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر، كما ينفرد الحامدون بالحمد دون الساتحين، والساتحون بالسياحة دون الحامدين، ويدل أيضاً على أن العرب تنسق النعت على التعت والمنعوت واحد، كقول الشاعر يخاطب سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان:

يَظُنُّ سَعِيدٌ وابْنُ عمرو بِأَنِّي إذا سَامَنِي ذَلَا أَكُونُ بِهِ أَزْضَى

فسق ابن عمرو على سعيد، وهو سعيد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِمْبارِ ﴿٧٠﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا آتِيًا هُمْ أَأُولُنَا بِأَدَىٰ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكَ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَحْكُمُكَ كَذِبًا ﴿٧١﴾ قَالَ يَقُولُونَ ابْنُ آدَمَ إِنْ كُنْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ رَّبِّي وَآلِئِنْ رَجَعْتَ مِن عِندِهِ فَمُيَّبِتٌ عَلَيْكَ أَنْتَ لَكُمُومًا وَأَنْتَ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٧٢﴾ وَنَقُولُ لَكَ عَلَيْنَا مَا لَآ إِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا آتَا يَطْرُدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْغَوْنَ رَبِّهِمْ وَلِكُلِّ أُنْكُرًا قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي «إني» بفتح الالف، والتقدير: أرسلناه بأنّي، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الإخبار عن الغائب إلى خطاب نوح قومه. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمة «إني» بكسر الالف، فحملوه على القول المضمر، والتقدير: فقال لهم: إني لكم نذير.

قوله تعالى: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: إنساناً مثلنا، لا فضل لك علينا. فأما الأراذل، فقال ابن عباس: هم السَّفلة. وقال ابن قتيبة: هم جمع «أرذل»، يقال: رجل رَذُلٌ، وقد رَذُلَ رذالة ورُدُولَة. ومعنى الأراذل: الشرار.

قوله تعالى: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ قرأ الاكثرون «بادي» بغير همز. وقرأ أبو عمرو بالهمز بعد الدال. وكلهم همز «الرأي»



غير أبي عمرو. وللعلماء في معنى «بادي» إذا لم يهزم ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأردالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أن المعنى أن هؤلاء القوم أتبعوك في ظاهر ما يرى منهم، وطوئتهم على خلافك. والثالث: أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلت، ولو رجعوا إلى التفكير لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهزم، لأنه من بدا، يبدو؛ إذا ظهر. فأما من همز «بادي» فمعناه: ابتداء الرأي، أي أتبعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من فضل في الخلق، قاله ابن عباس. والثاني: في الملك والمال ونحو ذلك، قاله مقاتل. والثالث: ما فُضِّلتم بأتباعكم نوحاً، ومخالفتكم لنا بفضيلة نتبعكم طلباً لها، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تَطْلُكُم كَذِبٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: نتيقنكم، قاله الكلبي. والثاني: نحسبكم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْرُوفٍ رَّيِّ﴾ أي: على يقين وبصيرة. قال ابن الأنباري: وقوله: «إِنْ كُنْتُمْ» شرط لا يوجب شكاً يلحقه، لكن الشك يلحق المخاطبين من أهل الزيف، فتقديره: إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي عِنْدَكُمْ. ﴿وَمَا لَكُنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الهداية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَعَمِيَتْ» بتخفيف الميم وفتح العين. قال ابن قتيبة: والمعنى: عميت عنها، يقال: عمي عليّ هذا الأمر: إذا لم أفهمه، وعميت عنه بمعنى. قال الفراء: وهذا مما حوِّلت العرب الفعل إليه، وهو في الأصل لغیره، كقولهم: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي، وإنما الإصبع تدخل في الخاتم، والرجل في الخف، واستجازوا ذلك إذ كان المعنى معروفاً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَعَمِيَتْ» بضم العين وتشديد الميم. قال ابن الأنباري: ومعنى ذلك: فعمّاها عليكم إذ كنتم ممن حُكم عليه بالشقاء. وكذلك قرأ أبي بن كعب، والأعمش: «فعمّاها عليكم». وفي المشار إليها قولان: أحدهما: البينة. والثاني: الرحمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكُمْ فَمَا أَفَى﴾ أي: أُنزلمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لا تقدر أن تُلزمكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك. وقيل: كان مراد نوح عليه السلام ردّ قولهم: ﴿وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فبيّن فضله وفضل من آمن به بأنه على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وقد آتاه رحمةً مِنْ عِنْدِهِ، وسلب المكذِبون ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا أَتْلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على نصحي ودعائي إياكم «مَالاً» فتتهموني. وقال ابن الأنباري: لما كانت الرحمة بمعنى الهدى والإيمان، جاز تذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَاسَأُوا﴾ قال ابن جريج: سألوهم طردهم أفنة منهم، فقال: لا يجوز لي طردهم، إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم. وفي قوله: «وَلَكِنْ أَتْلُكُمْ فَرَأَيْتُمْ أَتْلُكُمْ» قولان: أحدهما: تجهلون أن هذا الأمر من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: تجهلون لأمركم إياي بطرد المؤمنين، قاله أبو سليمان.

﴿وَيَتَقَرَّرُ مَنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْبَيْتَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَوِي أَعْيُنُكُمْ أَنْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ إِيَّاهُ لَمَنِ الظُّلُمَاتُ قَالُوا يَنْشُرُ قَدْ جَدَلْنَا فَكَفَرْتَ جَدَلْنَا فَأَيْنَا بِمَا هَدَانَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّمَا بِأَيْدِيكُمْ يَدُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُغِيرٍ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتَقَرَّرُ مَنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من يمنعي من عذاب الله إن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: أراد بالخزائن: علم الغيب المطوي عن الخلق،

لأنهم قالوا له: إنما أتبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك، فقال لهم: ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر. وإنما قيل للغيوب: خزائن، لغموضها عن الناس واستتارها عنهم. قال سفيان بن عيينة: إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزنة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ قيل: إنما قال لهم هذا، لأن أرضهم أجديت، فسألوه: متى يجيء المطر؟ وقيل: بل سألوه: متى يجيء العذاب؟ فقال: ولا أعلم الغيب. وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَا رَبُّكَ إِلَّا بِشَرٍّ مِمَّا لَنَّا﴾ [هود: ٢٧]. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تحتقر وتستصغر المؤمنين. قال الزجاج: «تزدري» تستقل وتستخس، يقال: زريت على الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأزريت به: إذا قصرت به. وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً، لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبدلت منها الدال لجهرها.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يُؤْمِنَهُمْ اللَّهُ خَبَرًا﴾ قال ابن عباس: إيماناً. ومعنى الكلام: ليس لي أن أطلع على ما في نفوسهم فأقطع عليهم شيء، وليس لاحترقكم إياهم يبطل أجرهم. ﴿إِنِّي إِذَا لَيِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن قلت هذا الذي تقدم ذكره، وقيل: إن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَدَلْنَا﴾ قال الزجاج: الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة، وهو مأخوذ من الجدل، وهو شدة القتال، ويقال للصقر: أجدل، لأنه من أشد الطير. ويُقرأ «جَدَلْنَا».

قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَ يَمَّا صَدَقْنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أنه يأتينا.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾ أي أنصحكم. وفي هذه الآية شرطان، فجواب الأول النصيحة، وجواب الثاني النصح.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَوِّبَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يضلكم، قاله ابن عباس. والثاني: يهلككم، حكاه ابن الأنباري. وقال: هو قول مرغوب عنه. والثالث: يضلكم ويهلككم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿هُوَ رَكُومٌ﴾ أي: هو أولى بكم، يتصرف في ملكه كما يشاء ﴿وَالَّذِي تُرْجَمُونَ﴾ بعد الموت.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَكُنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ مَعِيَ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرَبِّهِمْ سَمِعًا مُخَضَّيُونَ﴾ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: أيقولون: (افترأه؟) قال ابن قتيبة: الافتراء: الاختلاق. ﴿فَعَلَّ إِجْرَائِي﴾ أي: جرم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت. ﴿وَأَنَا بِرَبِّهِمْ سَمِعًا مُخَضَّيُونَ﴾ في التكذيب. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «فعلني إجرامي» بفتح الهمزة.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيْ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا بَيْتَيسَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٨)

قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيْ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ قال المفسرون: لما أوحى إليه هذا، استجاز الدعاء عليهم، فقال: ﴿لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا بَيْتَيسَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: لا تحزن. وقال الفراء، والزجاج: لا تستكن ولا تحزن.

قال أبو صالح عن ابن عباس: فلا تحزن إذا نزل بهم الغرق ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَأَصْنَعَ أَلْفَاكَ بَاطِنًا وَوَحْيًا وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِلَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٩) رَضَعَ أَلْفَاكَ وَكَلَّمَ مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعَ أَلْفَاكَ﴾ أي: وأعمل السفينة. وفي قوله: ﴿بَاطِنًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بمرأى منا، قاله ابن عباس. والثاني: بحفظنا، قاله الربيع. والثالث: بعلمنا، قاله مقاتل. قال ابن الأنباري: إنما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، تقول: خرجنا إلى البصرة في السفن، وإنما جمع، لأن من عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا. وفي قوله: ﴿وَوَحْيًا﴾ قولان: أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها. والثاني: وبتعليمنا إياك كيف تصنعها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الدِّينِ مَلَكُومًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تسألني الصفح عنهم. والثاني: لا تخاطبني في إمهالهم. وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه.

### الإشارة إلى كيفية عمل السفينة

روى الضحاك عن ابن عباس قال: كان نوح يُضرب ثم يُلف في لَبْدٍ فيُلقي في بيته، يُرَوَّن أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم. حتى إذا يش من إيمان قومه، جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا، فقال: يا بني، انظر هذا الشيخ لا يفررك، قال: يا أبت أمكني من العصا، فأخذها فضربه ضربة شجوة مؤصحة<sup>(١)</sup>، وسالت الدماء على وجهه، فقال: رب قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدهم، وإلا فصبّرني إلى أن تحكم، فأوحى الله إليه ﴿أَنْتَ كَنْ يُّؤَمَّرُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾، قال يا رب، وما الفلك؟ قال: بيت من خشب يجري على وجه الماء أنتجى فيه أهل طاعتي، وأغرق أهل معصيتي، قال: يا رب، وأين الماء؟ قال: إني على ما أشاء قدير، قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: أغرس الشجر، فغرس الساج<sup>(٢)</sup> عشرين سنة، وكفت عن دعائهم، وكفوا عنه، إلا أنهم يستهزئون به، فلما أدرك الشجر، أمره ربه، فقطعه وجفّفه ولقّفه، فقال: يا رب، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاث صور، رأسه كراس الطاوس، وجوّؤه كجوّؤ الطائر، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة، وبعث الله إليه جبريل يعلمه، وأوحى الله إليه أن عجّل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني، فاستأجر نجارين يعملون معه، وسام، وجام، ويافت، معه ينتحون السفينة، فجعل طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعاً، وعلوها ثلاثاً وثلاثين، وفجّر الله له عين القار تغلي غلياناً حتى طلاها. وعن ابن عباس قال: جعل لها ثلاث بطون، فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام، وفي الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى. وروي عن الحسن أنه قال: كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع، وماتتا ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وقال قتادة: كانت فيما ذكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال ابن جريج: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ومائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس، وفي أسفلها السباع. وزعم مقاتل أنه عمل السفينة في أربعمئة سنة.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم رأوه يبني السفينة وما رأوا سفينة قط، فكانوا يسخرون ويقولون: صرت بعد النبوة نجاراً؟ وهذا قول ابن إسحاق والثاني: أنهم قالوا له: ما تصنع؟ فقال: أبني بيتاً يمشي على الماء، فسخروا من قوله، وهذا قول مقاتل. وفي قوله: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: إن تسخروا من قولنا فإننا نسخر من غفلتكم. والثاني: إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فإننا نسخر منكم عند الغرق، ذكره المفسرون. والثالث: إن تسخروا منا في الدنيا، فإننا نسخر منكم في الآخرة، قاله ابن جرير. والرابع: إن تستجهلونا، فإننا نستجهلكم، قاله الزجاج. والخامس: إن تسخروا منا، فإن نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية، ليتفق اللفظان كما بينا في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْتَبْشِرُ بِكُمْ﴾ [البقرة: ١٥]، هذا قول ابن الأنباري. قال ابن عباس: لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد، ومعناه: فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية، ومن هو أحمد عاقبة. قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُذَلُّه، وهو الغرق. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ في الآخرة.

(١) الموصحة: الشجة التي بلغت العظم، فأوضحت عنه. ولا قصاص في شيء من الشجاج إلا في الموصحة، وفي غيرها الدية.  
(٢) الساج: شجر ينظم جداً، ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الدبلوماسية، يتغطى الرجل بورقته منه، فتكته من المطر، وله رائحة طيبة تشابه رائحة ورق الجوز مع ريقه ونعمة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا وَقَارَ الشُّوْرُ قُلْنَا اتَّجِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَفِيَةٍ ائْتَيْنِي وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء أمرنا بعذابهم وإهلاكهم. والثاني: جاء عذابنا وهو الماء، ابتداءً بجنابت الأرض فدار حولها كالإكليل، وجعل المطر ينزل من السماء كأفواه القرب، فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هرباً من الماء حتى اجتمعن عند السفينة، فحينئذٍ حمل فيها من كل زوجين اثنين.

قوله تعالى: ﴿وَقَارَ الشُّوْرُ﴾ الفور: الغليان؛ والفؤارة: ما يفور من القدر، قاله ابن فارس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: التنور: اسم فارسي معرب لا تعرف له العرب اسماً غير هذا، فلذلك جاء في التنزيل، لأنهم خطبوا بما عرفوا. وروي عن ابن عباس أنه قال: التنور، بكل لسان عربي وعجمي. وفي المراد بهذا التنور ستة أقوال: أحدها: أنه اسم لوجه الأرض، رواه عكرمة عن علي عليه السلام. وروى الضحاك عن ابن عباس: التنور: وجه الأرض، قال: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة، والزهري. والثاني: أنه تنوير الصبح، رواه أبو جحيفة عن علي عليه السلام. وقال ابن قتيبة: التنوير عند الصلاة. والثالث: أنه طلوع الفجر، روي عن علي أيضاً، قال: «وفار التنور»: طلوع الفجر. والرابع: أنه طلوع الشمس، وهو منقول عن علي أيضاً. والخامس: أنه تنور أهله، روى العوفي عن ابن عباس قال: إذا رأيت تنوراً أهلك يخرج منه الماء، فإنه هلاك قومك. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أنه تنور آدم عليه السلام، وهبه الله لنوح، وقيل له: إذا فار الماء منه، فاحمل ما أمرت به. وقال الحسن: كان تنوراً من حجارة، وهذا قول مجاهد، والفراء، ومقاتل. والسادس: أنه أعلى الأرض وأشرفها<sup>(١)</sup>. قال ابن الأنباري: شُبِّهَتْ أعالي الأرض وأماكنها المرتفعة لعلوها، بالتأثير. واختلفوا في المكان الذي فار منه التنور على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبة العرنى عن علي عليه السلام. وقال زر بن حبیش: فار التنور من زاوية مسجد الكوفة اليمنى. وقال مجاهد: نبع الماء من التنور، فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف بالله ما كان التنور إلا بناحية الكوفة. والثاني: أنه فار بالهند، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه كان في أقصى دار نوح، وكانت بالشام في مكان يقال له: عين وردة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اتَّجِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَفِيَةٍ ائْتَيْنِي﴾. وروى حفص عن عاصم: «من كل» بالتنوين. قال أبو علي: والمعنى: من كل شيء، ومن كل زوج زوجين، فحذف المضاف. وانتصاب «اثنين» على أنهما صفة للزوجين، وقد علم أن الزوجين اثنين، ولكنه تأكيد. قال مجاهد: من كل صنف، ذكراً وأنثى. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً، ويكون اثنين، وهو هاهنا واحد، ومعنى الآية: احمل من كل ذكر وأنثى اثنين. وقال الزجاج: المعنى: احمل زوجين اثنين من كل شيء، والزوج في كلام العرب يجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما: زوجان، يقال: عندي زوجان من الطير، إنما يريد ذكراً وأنثى فقط. وقال ابن الأنباري: إنما قال «اثنين» فثنى الزوج، لأنه قصد قصد الذكر والأنثى من الحيوان، وتقديره: من كل ذكر وأنثى.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك. قال المفسرون: أراد بأهله: عياله وولده. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق عليه القول من الله بالإهلاك. قال الضحاك: وهم امرأته وابنه كنعان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معناه: واحمل من آمن. وفي عددهم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثمانين رجلاً معهم أهلهم، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن نوحاً حمل معه ثمانين إنساناً، وبنه الثلاثة، وثلاث نسوة لبنيه، وامرأة نوح، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثالث: كانوا ثمانين إنساناً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. والرابع: كانوا أربعين، ذكره ابن جريج عن

(١) قال ابن كثير ٤٤٥/٢ بعد أن ساق أكثر هذه الأقوال: وهذه أقوال غريبة.

ابن عباس. والخامس: كانوا ثلاثين رجلاً، رواء أبو نهيك عن ابن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، قال الحكم بن عتيبة: كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كنائه. قال قتادة: ذكر لنا أنه لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له، ونساؤهم، فجمعاهم ثمانية، وهذا قول القرظي، وابن جريج. والسابع: كانوا سبعة، نوح، و ثلاث كنان له وثلاثة بنين، قاله الأعمش. والثامن: كانوا عشرة سوى نسايتهم، قاله ابن إسحاق. وروي عنه أنه قال: الذين نَجَوْا مع نوح بنوه الثلاثة، ونساؤهم ثلاث، وستة ممن آمن به <sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ آتِكُمَا فِيهَا يَمِينُ اللَّهِ بِحَبْلٍ مَوْسَىٰ وَمُوسَىٰ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحاً للذين أمر بحملهم ﴿آتِكُمَا﴾ السفينة. قال ابن عباس: ركبوا فيها لعشر مضي من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء. وقال ابن جريج: رفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضي من رجب، فأنت موضع البيت فطافت به أسبوعاً، وكان البيت قد رُفِعَ في ذلك الوقت، ورست بباقردي <sup>(٢)</sup> على الجودي يوم عاشوراء. قال ابن عباس: قرض الفأر حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سَنُورَانِ، وكان في السفينة عَليّة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج خنزيران فأكلا ذلك <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَمِينُ اللَّهِ بِحَبْلٍ مَوْسَىٰ وَمُوسَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُجْرَاهَا» بضم الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وكسر الراء. وكلهم قرؤوا بضم الميم من «مرساها»، إلا أن ابن كثير، وأبا عمرو، وابن عامر، وحفصاً عن عاصم، كانوا يفتحون السين. ونافع، وأبو بكر عن عاصم، كانا يقرأنها بين الكسر والتفخيم. وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلونها. وليس في هؤلاء أحد جعلها نعتاً لله، وإنما جعل الوصفين نعتاً لله تعالى، الحسن، و قتادة، وحُميد الأعرج، وإسماعيل بن مجالد عن عاصم، فقرؤوا «مُجْرِيهَا وَمُوسَىٰهَا» بضم الميم، وبياءين صحيحتين، مثل مبدئها ومنشئها. وقرأ ابن مسعود: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وإمالة الراء بعدها ألف، «وَمُوسَىٰهَا» برفع الميم، وإمالة السين بعدها ألف. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم والراء، وبألف بعدها، «وَمُوسَىٰهَا»، برفع الميم وفتح السين، وبألف بعدها. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «مَجْرَاهَا وَمُوسَىٰهَا» بفتح الميم فيهما جميعاً، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الميمين، إلا أنه أمال الراء والسين فيهما. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن جبير، برفع الميم فيهما، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما جميعاً. فمن قرأ بضم الميمين، جعله من أجرى وأرسي. ومن فتحهما، جعله مصدرًا من جرى الشيء يجري مجرى، ورسي يرسي مرسى. قال الزجاج: قوله: ﴿يَمِينُ اللَّهِ﴾ أي: بالله، والمعنى: أنه أمرهم أن يسموا في وقت جريها وقت استقرارها. ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجراؤها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في «مَجْرَاهَا» أراد: أجراها الله مجرى، ومن فتحها، أراد: جرت مجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسي، قال: بسم الله، فرست.

﴿وَيَمْشِي بِمِثْلِ نَجْمٍ فِي سَمَاءٍ كَأَلْبِجَالٍ وَكَأَنَّهُ تُجَّاتٌ أُنْزِلَ فِيهَا نَارٌ وَكَانَتْ فِيهَا جِبَالٌ مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ سَائِرُ آلِ جِبَلٍ يَمْشِي بِمِثْلِ نَجْمٍ فِي سَمَاءٍ كَأَلْبِجَالٍ وَكَانَتْ فِيهَا جِبَالٌ مِّنَ الْكَافِرِينَ

قوله تعالى: ﴿وَيَمْشِي بِمِثْلِ نَجْمٍ فِي سَمَاءٍ كَأَلْبِجَالٍ﴾ شبهه بالجبال في عظمته وارتفاعه، ويقال: إن الماء ارتفع على

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَا آمَنَ نَجْمٌ إِلَّا قِيلَ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.

(٢) ضبطه ياقوت بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة بالقرب من جبل الجودي.

(٣) الخبر ذكره الطبري ٣٤٢/١٥ عن ابن عباس وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأورده ابن كثير عن ابن جرير واستغفريه، وليس يشك عاقل أن هذا الخبر من بقية أخبار بني إسرائيل، ولا يبلغ أن يكون شيئاً.

أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً، ويروى خمس عشرة ذراعاً. وذكر بعض المفسرين أنه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخاً من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لا يختلفون أنه كان كافراً. وفي اسمه قولان: أحدهما: كنعان، وهو قول الأكثرين. والثاني: اسمه يام، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ المعزل: المكان المنقطع. ومعنى العزل: التثنية. وفي معنى الكلام وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: في معزل من السفينة. والثاني: في معزل من دين أبيه.

قوله تعالى: ﴿بَنِيَّ اَرْكَبْ مَعًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «يا بني اركب» مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم «يا بني» مفتوحة الياء هاهنا، وباقي القرآن مكسورة. وروى حفص عنه بالفتح في كل القرآن «يا بني» إذا كان واحداً. قال النحويون: الأصل في «بُنِيَّ» ثلاث ياءات، ياء التصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ «يا بُني» أراد: يا بني، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدل عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة، استئثقالاً لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا.

قوله تعالى: ﴿سَكَوَى﴾ أي: ساقط وأرجع ﴿إِلَّا جَبَلٍ يَخَصِمُنِي﴾ أي بمعنى ﴿مِنَ الْكَلْبِ﴾ أي: من تغريق الماء. ﴿قَالَ لَا عَصِمَ آلِيَّومَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا مانع اليوم من أمر الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا معصوم، ومثله: ماء دافق، أي: مدفوق، وسرر كاتم، وليل نائم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾ قال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم. قال مقاتل: إلا من رحم فركب السفينة.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّ يَبْنُهَا الْمَوْجُ﴾ في المكني عنهما قولان: أحدهما: أنهما ابن نوح والجبل الذي زعم أنه يعصمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: نوح وابنه، قاله مقاتل.

﴿قَبِلَ تَارِضُ ابْنِ أَبِي مَالٍكَ وَبَسْكَةُ أُمِّهِ وَفِيضُ الْمَاءِ وَفِيضُ الْأَمْرِ وَاسْتَرَتْ عَلَى الْكُرُوفِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤) وَكَادَى نُوْجٌ رَجُلَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنْ أَبَى مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (١٥) قَالَ يَسْتَوْجِ إِنَّهُ لَيَسَّ مِنْ أَهْلِيكَ إِنَّهُ عَمَلٌ عَمْرٍ مَصْلَحٌ فَلَا تَنْتَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَطَعْتُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغَيِّرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْكَارِثِينَ (١٧) ﴿

قوله تعالى: ﴿زَيْلٌ يَنْزِلُ أَلَيْكَ مَاءٌ كَ﴾ وقف قوم على ظاهر الآية، وقالوا: إنما ابتلعت ما نبع منها، ولم تبتلع ماء السماء، فصار ذلك بحاراً وأنهاراً، وهو معنى قول ابن عباس. وذهب آخرون إلى أن المراد: ابلي ماءك الذي عليك، وهو ما نبع من الأرض ونزل من السماء، وذلك بعد أن غرق ما على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَقْلِي﴾ أي: أمسكي عن إنزال الماء. قال ابن الأنباري: لما تقدم ذكر الماء، علم أن المعنى: أقلعي عن إنزال الماء.

قوله تعالى: ﴿رَفِغَ الْمَاءُ﴾ أي: نقص. قال الزجاج: يقال: غاض الماء يغيض: إذا غاب في الأرض. ويجوز إسماع الفهم في الغين.

قوله تعالى: ﴿وَقُتِلَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس: غرق من غرق، ونجا من نجا. وقال مجاهد: قضى الأمر: هلاك قوم نوح. وقال ابن قتيبة: «وقضى الأمر» أي: فرغ منه. قال ابن الأنباري: والمعنى: أحكمت هلكة قوم نوح، فلما دلت القصة على ما بين هلكتهم، أغنى عن نعت الأمر.

قوله تعالى: ﴿رَأْسَوْنَ﴾ يعني السفينة ﴿عَلَّ الْيُودِيَّ﴾ وهو اسم جبل. وقرأ الأعمش، وابن أبي عبيدة: «على الجودي» بسكون الياء. قال ابن الأنباري: وتشديد الياء في «الجودي» لأنها ياء النسبة، فهي كالياء في علوي،

وهاشمي. وقد خففها بعض القراء. ومن العرب من يخفف ياء النسبة، فيسكنها في الرفع، والخفض، ويفتحها في النصب، فيقول: قام زيد العلوي، ورأيت زيداً العلوي. قال ابن عباس: دارت السفينة بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه. واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بالموصل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: بالجزيرة، قاله مجاهد، وقتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل. والثالث: أنه بناحية آبد، قاله الزجاج. وفي علة استوائها عليه قولان: أحدهما: أنه لم يغرق، لأن الجبال تشامت يومئذ وتناولت، وتواضع هو فلم يغرق، فأرست عليه، قاله مجاهد. والثاني: أنه لما قلَّ الماء أُرْسَتْ عليه، فكان استوائها عليه دلالة على قلة الماء.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْبِّدْنَا لَاقِوَرَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: بُدِّدَا من رحمة الله للقوم الكافرين. فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟ فالجواب: أن أجالهم حضرت، فأمتوا بالفرق، قاله الضحاك، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنْ آتَيْتَنِي مِنْ أَهْلٍ﴾ إنما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَتَمُّ الْوَاعِدِينَ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق. واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين: أحدهما: أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنه ولد على فراشه لغير رثدة<sup>(١)</sup> ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري بإسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته فجرت. وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خاتته، وعن مجاهد نحو ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلِدَ على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان: أحدهما: ليس من أهل دينك. والثاني: ليس من أهلك الذين وعدتكم نجاتهم. قال ابن عباس: ما بقت امرأة نبي قط<sup>(٣)</sup>، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدتكم نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولاجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: «إنه عمل» رفع منون «غير صالح» برفع الراء، وفيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح، قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: «رب إن ابني من أهلي»، فرجعت الكناية إليه. والثاني: أنه يرجع إلى المسؤول فيه. وفي هذا المعنى قولان: أحدهما: أنه لغير رثدة، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: من قال: هو لغير رثدة، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عملٌ غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف المضاف، وأقام العمل مقامه، كما تقول العرب: عبد الله إقبال وإدبار، أي: صاحب إقبال وإدبار. وقرأ الكسائي: «عَمِلٌ» بكسر الميم وفتح اللام «غير صالح» بفتح الراء، يشير إلى أنه مشرك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «فلا تسألن» بفتح اللام، وتشديد النون، غير أن نافعاً، وابن عامر، كسرا النون، وفتحها ابن كثير، وحذفوا الياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، بسكون اللام وتخفيف النون، غير أن أبا عمرو، وأبا جعفر، أثبتا الياء في الوصل، وحذفوها في الوقف، ووقف عليها يعقوب بالياء، والباقون يحذفونها في الحالين. قال أبو علي: من كسر النون، فقد عدَّى السؤال إلى مفعولين، أحدهما: اسم المتكلم، والآخر: الاسم الموصول، وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم

(١) يقال: ولد لغير رثدة، أي: لغير نكاح صحيح.

(٢) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن ذنية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج.

(٣) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وكذا روي عن مجاهد أيضاً، وعكرمة، والضحاك، وميمون بن مهران، وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر ابن جرير الطبري، وهو الصواب الذي لا شك فيه.



لاجتماع التونات. وأما إثبات الياء في الوصل فهو الأصل، وحذفها أخف، والكسرة تدل عليها، وتعلم أن المفعول مراد في المعنى. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نسبته إليه، وليس منه. والثاني: في إدخاله إياه في جملة أهل الذين وعده نجاتهم. والثالث: سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك. والثاني: من الجاهلين بوعدِي، لأنِّي وعدت بإنجاء المؤمنين. والثالث: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلِكَ.

﴿وَلَقَدْ يَنْجُو أَصَاطِيرَ إِسْلَامٍ وَمِنَّا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرٍ مِّن مَّعْلُومٍ وَأَمَّا سَنَنَهُمْ فَمَنْ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْجُو أَصَاطِيرَ﴾ قال ابن عباس: يريد: من السفينة إلى الأرض ﴿يَسْلَوِيَّ﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أباً للبشر جميعاً، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَعَلَىٰ أَمْرٍ مِّن مَّعْلُومٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك، والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأَمَّا﴾ أي: من الذرية أيضاً، والمعنى: وفيمن نصف لك أمم، وفيمن نقص عليك أمره أمم. ﴿سَنَنَهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿فَمَنْ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. قال محمد بن كعب القرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذٍ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات، ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب.

﴿يَنَّاكَ مِنْ أَتْلِهِ الْغَيْبِ حُجُبًا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْغَيْبَ لَشَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وَإِلَىٰ عَاوِ أَخَاهُمُ هُودًا قَالَ يَنْفَوِّرْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ يَنْفَوِّرْ لَا أَشْكُرَ عَلَيْكَ جَبْرًا إِنْ أَجْرُكَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَنْفَوِّرْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْذِرًا وَبَارِكًا فِي قُوَّةٍ إِلَىٰ قَوْمِكُمْ وَلَا تَنْوَلُوا جَبْرِيَّتَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَنَّاكَ مِنْ أَتْلِهِ الْغَيْبِ﴾ في المشار إليه بـ «تلك» قولان: أحدهما: قصة نوح. والثاني: آيات القرآن، والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك. فإن قيل: كيف قال هاهنا: «تلك»، وفي مكان آخر «ذلك»؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: «تلك» إشارة إلى آيات القرآن، و «ذلك» إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصحى، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامعٌ قوله: قد فرحت به، وقد سررت بها، فإذا ذُكر، عني القدوم، وإذا أنْتُ، ذهب إلى القُدْمة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يعني القرآن. ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه: ﴿إِنَّ الْغَيْبَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿لِلْغَيْبِ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [يونس: ٧٢] إلى قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْذِرًا﴾ وهذا أيضاً قد سبق تفسيره في سورة [الأنعام: ٦١]. والسبب في قوله لهم ذلك، أن الله تعالى حبس المطر عنهم ثلاث سنين، وأعقم أرحام نساءهم، فوعدهم إحياء بلادهم ويسط الرزق لهم إن آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَبَارِكًا فِي قُوَّةٍ إِلَىٰ قَوْمِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الولد وولد الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزدكم شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: خصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْوَلُوا جَبْرِيَّتَ﴾ قال مقاتل: لا تعرضوا عن التوحيد مشركين.

قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بحجة واضحة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ يعنون الأصنام. ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بقولك، و «الباء» و «عن» يتعاقبان.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْثٌ آلِهَتِنَا يَسُوءُ قَالِ إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ إِلَهَ بَرِيَّتِي وَمَا تَشْكُرُونَ﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُظْهِرُونِ ﴿٥٩﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِعَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ قَوْلُ﴾ أي: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض أهلكنا أصابك بجنون لسبك إياها، فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير. قال ابن قتبية: يقال: عراني كذا، واعتراني: إذا ألم بي. ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائل: عار، ومنه قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقْتُ بِي

عَلَى خَوْفٍ تُظَلُّ بِِي الظُّلُونُ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَشْهَدُ اللَّهَ...﴾ إلى آخر الآية. حرك ياء «إني» نافع. ومعنى الآية: إن كنتم تقولون: إن الآلهة عاقبتني لطعني عليها، فإني على يقين من عيبها والبراءة منها، وما أنا ذا أزيد في الطعن عليها، ﴿يَكِيدُونِي كَيْدًا﴾ أي: احتالوا أنتم وأوثانكم في ضري، ثم لا تمهلون. قال الزجاج: وهذا من أعظم آيات الرسل، أن يكون الرسول وحدة وأُمَّته متعاونة عليه، فيقول لهم: كيدوني، فلا يستطيع أحد منهم ضربه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوا كُودَكُمْ﴾ (يونس: ٧١). وقال محمد ﷺ: ﴿إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (المرسلات: ٢٩).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَمِينٍ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: أنها في قبضته ومملكه وسلطانه. فإن قيل: لم خص الناصية؟ فالجواب: أن الناصية هي شعر مقدم الرأس، فإذا أخذت بها من شخص، فقد ملكت سائر بدنه، وذلك لك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إضمار، تقديره: إن ربي يدل على صراط مستقيم. فإن قيل: ما وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَمِينٍ﴾ وبين كونه على صراط مستقيم؟ فنعنه جوابان: أحدهما: أنه لما أخبر أنه أخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفى عليه مستر. والثاني: أن المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم، فهو لا يظلمهم، ولا يريد إلا العدل<sup>(٢)</sup>، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُنَبِّئُكُمْ بِهِ إِلَهُكُمْ وَمَسْخَلْتُ رَبِّي قَوْلًا غَيْرَكَ وَلَا تَعْرُومُهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه فعل ماض، معناه: فإن عرضوا. فعلى هذا، في الآية إضمار، تلخيصه: فإن عرضوا فقل لهم قد أبلغتكم، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أنه خطاب للحاضرين، وتقديره: فإن تتولَّوا، فاستقلوا الجمع بين تأمين متحركتين، فاقصر على إحداهما، وأسقطت الأخرى، كما قال النابغة:

المرء يَهْوَى أَنْ يَعْمِيَ  
تَفَنَّى بِشَاشْتُهُ وَبُـ  
وَصَصَّرْتُ الْأَيَّامَ حَشْـ

شَ وَطَوَّلُ عَيْشِي قَدْ يَضُرُّهُ<sup>(٣)</sup>  
قَى بَغْدُ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرَّةٌ  
تَى مَا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهُ

أراد: وتتصرف الأيام، فأسقط إحدى التامين، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَلْتُ رَبِّي قَوْلًا غَيْرَكَ﴾ فيه وعيد لهم بالهلاك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيهم بها. والثاني: أن «على» بمعنى اللام، فالمعنى: لكل شيء حافظ، فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء.

﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رِجْعَتَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء عذابنا، قاله ابن عباس. والثاني: جاء أمرنا بهلاكهم. قوله تعالى: ﴿نَجِيتَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رِجْعَتَا بَيْنَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: نجيتاهم من العذاب بنعمتنا. والثاني: نجيتاهم بأن هديناهم إلى الإيمان، وعصمتاهم من الكفر، روي القولان عن ابن عباس.

(١) «ديوانه» ٩٤ بشرح ابن السكيت، و«غريب القرآن» ٢٥٥، و«اللسان»: عري.

(٢) قال ابن كثير ٤٥٠/٢: وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وعلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك والتصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إلا إلا هو، ولا رب سواه.

(٣) الأبيات في «أمالى القالي» ٩/٢، و«الوحشيات» ١٥٥، و«أمالى المرتضى» ٢٦٦/١، و«حماسة البحري» ١٣٦، و«الخراتة» ٥١٤/١.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شديد، وهو ما استحقه قوم هود من عذاب الدنيا والآخرة.

﴿وَلَكَ عَادٌ جَدُّوًا يَكِيدُ رَيْبَهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿وَلَكَ عَادٌ﴾ يعني القبيلة. ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لقاتل أن يقول: إنما أرسل إليهم هود وحده، فكيف ذكر بلفظ الجمع؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قد يذكر لفظ الجمع ويراد به الواحد، كقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] والمراد به النبي ﷺ وحده. والثاني: أن من كذب رسولا واحداً فقد كذب الكل. والثالث: أن كل مرة ينذرهم فيها هي رسالة مجددة وهو بها رسول.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: واتباع الأتباع أمر الرؤساء. والجبار: الذي طال وفات اليد. وللعلماء في الجبار أربعة أقوال: أحدها: أنه الذي يقتل على الغضب ويعاقب على الغضب، قاله الكلبي. والثاني: أنه الذي يجبر الناس على ما يريد، قاله الزجاج. والثالث: أنه المسلط. والرابع: أنه العظيم في نفسه، المتكبر على العباد، ذكرهما ابن الأنباري. والذي ذكرناه يجمع هذه الأقوال، وقد زدنا هذا شرحاً في [المائدة: ٢٢]. وأما العنيد: فهو الذي لا يقبل الحق. قال ابن قتيبة: العنود، والعنيد، والعاند: المعارض لك بالخلاف عليك.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾ (٥٥) ﴿وَلَا تُمَوِّدُوا أَخَاهُمْ سَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّرُ أَبْعَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٥٦) ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا بَلْ هَذَا أَتَنَبَّأُ أَنْ تَقْدَمَ مَا بَعَدُ آبَائِكَ إِنَّنَا لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٧) ﴿قَالَ يَتَقَوَّرُ أَبْعَدُوا إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَأَنَّيْ بَيْنَهُ رَحْمَةً فَهَمَّ بِضَرْفٍ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ مَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَقْصِيرٍ﴾ (٥٨) ﴿وَيَتَقَوَّرُ هَذِهِ. قَالَهُ اللَّهُ لَكُمْ آيَةُ فَادْرَأُوا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَاخُذُكَ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٩) ﴿فَعَفَرُواهَا فَقَالَ تَمَسُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذَابٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (٦٠) ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَرْسُلًا بَيْنَنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يَرْجِعُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٦١) ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ﴾ (٦٢) ﴿كَانَ لَمْ يَنْتَوِ بِهَا أَلَا إِنَّ تُمَوِّدًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدًا لَتُمَوِّدُ﴾ (٦٣) ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنْ رَبِّهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا سَلِّمُوا قَالَ سَلِّمْتُ فَمَا لَكُمُ أَنْ جَاءَ بِمِثْلِ حَبِيلٍ﴾ (٦٤)

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: ألحقوا لعنة تصرف معهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: وفي يوم القيامة لعنوا أيضاً. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: بريهم، فحذف الباء، وأنشدوا:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ  
[فقد تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ] (١)

قال الزجاج: قوله: ﴿أَلَا﴾ ابتداء وتنبية، و﴿بُعِدًا﴾ منصوب على معنى: أبعدهم الله فبعدوا بعداً، والمعنى: أبعدهم من رحمة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقكم من آدم، وآدم خلق من الأرض. والثاني: أنشأكم في الأرض. وفي قوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أعمركم فيها، أي: جعلكم ساكنيها مدة أعماركم، ومنه العمري (٢)، وهذا قول مجاهد. والثاني: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة، قاله الضحاك. والثالث: جعلكم عُمارها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا بَلْ هَذَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم، لأنه كان ذا حسب وثروة، قاله كعب. والثاني: أنه كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما أظهر إنذارهم، انقطع رجاءهم منه، وإلى نحو هذا ذهب مقاتل. والثالث: أنهم كانوا يرجون خيره، فلما أنذرهم، زعموا أن رجاءهم لخيره قد انقطع، ذكره المارودي.

(١) البيت لمعرو بن معد يكرب الزبيدي في «الكتاب» ١٧/١.

(٢) «عمري» بضم فسكون، مصدر مثل الرجعي، وأعمره الدار: جعله يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلى صاحبها، وكان ذلك من فعل الجمالية، فأبطله الله بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا رَجُلٌ أَمِيرٌ عَمْرِي لَهُ وَلَعْبُهُ، فَإِنَّمَا لِلَّذِي أَطْعَمَهَا، لَا تَرْجِعْ إِلَى الَّذِي أَطْعَمَهَا، لِأَنَّهُ أَطْعَمَ عَطَاةً وَقَمَتَ فِيهِ الْمَوَارِثُ» رواه مسلم في «صحيحه» ١٢٤٥/٣.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَبِئْسَ أَهْلُهَا﴾ إن قال قائل: لم قال هاهنا: «وإننا» وقال في ﴿إِنَّهُمْ﴾: «وإننا؟» فالجواب: أنهما لغتان من لغات قريش السبع التي نزل القرآن عليها. قال الفراء: من قال: «إننا» أخرج الحرف على أصله، لأن كناية المتكلمين «نا» فاجتمعت ثلاث نونات، نونا «إن» والنون المضمومة إلى الألف؛ ومن قال: «إننا» استثقل الجمع بين ثلاث نونان، وأسقط الثالثة، وأبقى الأولتين؛ وكذلك يقال: إني وإني، ولعلي ولعلني، وليتي وليتي، قال الله في اللغة العليا: ﴿لَعَلَّيْ أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غانر: ٣٦]، وقال الشاعر في اللغة الأخرى:

أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مخلداً<sup>(١)</sup> أرىني جواداً مات هزلاً لعلني  
وقال الله تعالى: ﴿يَكَلِّفُنِي كُفْتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ٧٣]، وقال الشاعر:

كُفْنِي جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أَصَادُفُهُ وَأَتْلُفُ بَعْضَ مَالِي<sup>(٢)</sup>  
فأما التريب، فهو الموقع للربة والتهمة. والرحمة يراد بها هاهنا: النبوة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخِيرٍ﴾ التخيير: التقصان. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما تزيدوني غير بصارة في خسارتكم، قاله ابن عباس. وقال الفراء: المعنى: فما تزيدوني غير تخسير لكم، أي: كلما اعتذرتم عندي بعذر فهو يزيدكم تخسيراً. وقال ابن الأعرابي: غير تخسير لكم، لا لي. وقال بعضهم: المعنى: فما تزيدوني بما قلتكم إلا نسيتي لكم إلى الخسارة. والقول الثاني: فما تزيدوني غير الخسران إن رجعت إلى دينكم، وهذا معنى قول مقاتل. فإن قيل: فظاهر هذا أنه كان خاسراً، فزادوه خساراً، فقد أسلفنا الجواب في قوله: ﴿لَوْ حَرَجُوا فِيكَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خِلَالاً﴾ [التوبة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ آلِكَ لَكُمُ آيَةٌ﴾ قد شرحناها في سورة [الأعراف: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ﴾ أي: استمتعوا بحياتكم، وعبر عن الحياة بالتمتع، لأن الحيي يكون متمتعاً بالحواس.

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قال المفسرون: لما عُقرت الناقة صَعِدَ فصيلها إلى الجبل، ورغا ثلاث مرات، فقال صالح: لكل رغبة أجل يوم، ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهكم مضمرة، واليوم الثاني مضمرة، واليوم الثالث مضمرة؛ فلما أصبحوا في اليوم الأول، إذا وجوههم مضمرة، فصاحوا وضجوا، وبكوا، وعزفوا أنه العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، إذا وجوههم محمرة، فضجوا، وبكوا، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب؛ فتكفئوا وألقوا أنفسهم بالأرض، لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الرابع، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وقال مقاتل: حفرُوا لأنفسهم قبوراً، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع، ولم يأتيهم العذاب، ظنوا أن الله قد رحمهم، فخرجوا من قبورهم يدعوا بعضهم بعضاً، إذ نزل جبريل، فقام فوق المدينة فسد ضوء الشمس، فلما عاينوه، دخلوا قبورهم، فصاح بهم صيحة: موتوا، عليكم لعنة الله، فخرجت أرواحهم، وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ﴾ أي: العذاب «غَيْرُ مَكْدُوبٍ» أي: غير كذب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «يؤيِّدُ» بكسر الميم. وقرأ الكسائي بفتحها مع الإضافة. قال مكي: من كسر الميم، أعرب وخفض، لإضافة الخزي إلى اليوم، ولم يتيه؛ ومن فتح، بنى اليوم على الفتح، لإضافته إلى غير متمكن، وهو «إذ». وقرأ ابن مسعود «ومن خزي» بالتثنية، «يومئذٍ» بفتح الميم. قال ابن الأنباري: هذه الواو في قوله: «ومن خزي» معطوفة على محذوف، تقديره: نجيتاهم من العذاب ومن خزي يومئذ.

(١) البيت لحطاط بن يعفر، أخي الأسود بن يعفر، وهما أخوان من بني نهشل بن دارم، جاهليان، ويروى لحاتم الطائي، ولنعم بن أوس، وهو في «الشعر والشعراء» ٢٠٢، و«مجاز القرآن» ٥٥، و«الحماسة» ٢٥٤/٤، و«عيون الأخبار» ١٨١/٣، و«أمالي القاضي» ٩٢/٢، و«القرطبي» ١٢٧/٢، و«اللسان»، و«التاج»: أنن، و«الغزاة» ١٩٥/١.

(٢) البيت لزيد الخيل، وهو في «الكتاب» ٣٨٦/١، و«اللسان»: ليت، و«الغزاة» ٤٤٦/٢.

قال: ويجوز أن تكون دخلت لفعل مضمر، تأويله: نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم من خزي يومئذ. قال: وإنما قال: «وَأَخَذَ» لأن الصيحة محمولة على الصباح.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ اختلفوا في صرف «ثمود» وترك إجرائه في خمسة مواضع: في [هود]: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ وفي [الفقران: ٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَمْصَحَ الرَّبُّنَ﴾ وفي [المنكوت: ٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُم﴾ وفي [النجم] ﴿وَتَمُودًا قَدْ أَفْلَحَ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر بالتونين في أربعة مواضع منها، وتركوا «أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ» فلم يصرفوه. وقرأ حمزة بترك صرف هذه الخمسة الأحرف، وصرفهن الكسائي. واختلف عن عاصم، فروى حسين الجعفي عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعة الأحرف مثل أبي عمرو؛ وروى يحيى بن آدم أنه أجرى ثلاثة، في [هود: ٦٨] ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ﴾ وفي [الفقران: ٣٨] و [المنكوت: ٣٨]. وروى حفص عنه أنه لم يجز شيئاً منها مثل حمزة. واعلم أن ثموداً يراد به القبيلة تارة، ويراد به الحي تارة. فإذا أريد به القبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به الحي، صرف. وما أخللنا به، فقد سبق تفسيره [الأحرف: ٧٣، والنوبة: ٧٠] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِإِذْنِهِم﴾. والرسل هاهنا: الملائكة. وفي عددهم ستة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثلاثة، جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقال مقاتل: جبريل، وميكائيل، وملك الموت. والثاني: أنهم كانوا اثني عشر، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ثمانية، قاله محمد بن كعب. والرابع: تسعة، قاله الضحاك. والخامس: أحد عشر، قاله السدي. والسادس: أربعة، حكاه الماوردي. وفي هذه البشرية أربعة أقوال: أحدها: أنها البشرية بالولد، قاله الحسن، ومقاتل. والثاني: بهلاك قوم لوط، قاله قتادة. والثالث: بنبوته، قاله عكرمة. والرابع: بأن محمداً يخرج من صلبه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَكْنَا﴾ قال ابن الأنباري: انتصب بالقول، لأنه حرف مقول، والسلام الثاني مرفوع بإضمار «عليكم». وقال الفراء: فيه وجهان: أحدهما: أنه أضمر «عليكم» كما قال الشاعر:

فَقُلْنَا السَّلَامَ فَأَتَقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا  
فَمَا كَانَ إِلَّا وَنُودَهَا بِالْحَوَاجِبِ<sup>(١)</sup>

والعرب تقول: التقتنا قتلنا: سلام سلام. والثاني: أن القوم سلموا، فقال حين أنكرهم هو: سلام، فمن أنتم؟ لإنكاره إياهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «قال سلم»، وهو بمعنى سلام، كما قالوا: جَلَّ وحلال، وجرم وحرام؛ فعلى هذا، يكون معنى «سلم»: سلام عليكم. قال أبو علي: فيكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلف اللفظان. وقال الزجاج من قرأ: «سلم» فالمعنى: أمرنا سلم، أي: لا بأس علينا.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَيْتَ﴾ أي: ما أقام حتى جاء بعجل حنيد، لأنه ظنهم أضيافاً، وكانت الملائكة قد جاءت في صورة الغلمان الوضاء. وفي الحنيد ستة أقوال: أحدها: أنه النضيج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الذي يَقْطُرُ مائِهَ وَدَسْمُهُ وقد شوي، قاله شمر بن عطية. والثالث: أنه ما حفرت الأرض ثم غمته، وهو من فعل أهل البادية، معروف، وأصله: محنود، قليل: حنيد، كما قيل: طيبخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول. هذا قول الفراء. والرابع: أنه المشوي، قاله أبو عبيدة. والخامس: المشوي بالحجارة المحماة، قاله مقاتل، وابن قتيبة. والسادس: السميطة، ذكره الزجاج، وقال: يقال: إنه المشوي فقط، ويقال: المشوي الذي يقطر، ويقال: المشوي بالحجارة.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَسِيلُ إِلَيْهِمْ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْفَخْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا تَسِيلُ إِلَيْهِمْ﴾ يعني العجل ﴿نَكَرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم. قال أبو عبيدة: نكرهم وأنكرهم واستنكرهم، سواء، قال الأعشى:

فَأَنكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتَ  
مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا<sup>(٢)</sup>

(١) «اللسان»: وما.

(٢) قاله الأشعي الكبير يمين بن قيس من فصيلة يمدح بها هودة بن علي الحنفي: «ديوانه» ١٠١، و«الطبري» ٣٨٨/١٥، و«مجاز القرآن» ٢٩٣/١، و«القرطبي» ٦٧/٩، و«شواهد الكشاف» ١٦٩، و«المصاح»، و«اللسان»، و«التاج»: نكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر في نفسه خوفاً. قال الفراء: وكانت شئاً في زمانهم إذا ورد عليهم القوم فأتوهم بالطعام فلم يمسوه، ظنوا أنهم عدو أو لصوص، فهناك أوجس في نفسه خيفة، فראوا ذلك في وجهه، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِيَّاكَ قَوْراً لوطاً﴾ قال الزجاج: أي: أرسلنا بالعباد إليهم. قال ابن الأنباري: وإنما أضمر ذلك هاهنا، لقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى.

﴿وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ دُونِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قَالَتْ يَتَزَوَّجُ أَكْثَرُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ﴾ واسمها سارة. واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال: أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب. والثاني: كانت قائمة تخدعهم، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: كانت قائمة تصلي، قاله محمد بن إسحاق. وفي قوله: ﴿فَضَحَكْتُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الضحك هاهنا بمعنى التعجب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «ضحكت»: حاضت، قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتبية: وهذا من قولهم: ضحكت الأرب؛ إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد، لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى «ضحكت»: حاضت. قال ابن الأنباري: أنكر الفراء، وأبو عبيدة، وأبو عبيد، أن يكون «ضحكت» بمعنى حاضت، وعرفه غيرهم. قال الشاعر:

تَضَحَّكَ الضُّبُعُ لَقَتْلَى هُذَيْلٍ      وَتَرَى الذُّبَّ لَهَا يَسْتَهْلُ<sup>(١)</sup>

قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض. والثالث: أنه الضحك المعروف، وهو قول الأكثرين. وفي سبب ضحكها ستة أقوال: أحدها: أنها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه، وقالت: من ماذا يخاف إبراهيم، وإنما هم ثلاثة، وهو في أهله وغلمانهم؟ رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: أنها ضحكت من بشارة الملكة لإبراهيم بالولد، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وهب بن منبه؛ فعلى هذا، إنما ضحكت سروراً بالبشارة، ويكون في الآية تقديم وتأخير، المعنى: وأمراته قائمة فبشرنها فضحكت، وهو اختيار ابن قتبية. والثالث: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، فله فتاة. والرابع: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجباً لأضيافنا، نخدمهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السدي. والخامس: ضحكت سروراً بالأمن، لأنها خافت كخوف إبراهيم، قاله الفراء. والسادس: أنها كانت قالت لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإنه سينزل العذاب بقومه، فلما جاءت الملكة بعذابهم، ضحكت سروراً بموافقتها للصواب، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أبشري أيها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد. وفي معنى الورا قولان: أحدهما: أنه بمعنى «بعد»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل، وابن قتبية. والثاني: أن الورا: ولد الولد، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الشعبي، واختاره أبو عبيدة. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء إسحاق وهو ولد لصلبه، وإنما الورا: ولد الولد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: المعنى: ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الورا لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الورا يعقوب، لم يُعلم هذا الورا منسوب إلى إسحاق، أم إلى إسماعيل؟ فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس. قال: ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على جهة المجاز، فكان تأويل الآية: من الورا المنسوب إلى سارة، وإلى إبراهيم من جهة إسحاق، يعقوب. ومن حمل الورا على «بعد» لزم ظاهر العربية. واختلف القراء في «يعقوب»، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يعقوب» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «يعقوب» بالنصب. قال الزجاج: وفي رفع «يعقوب»

وجهان: أحدهما: على الابتداء المؤخر، ومعناه التقديم؛ والمعنى ويعقوبُ يَحْدُثُ لها من وراء إسحاق. والثاني: وثبت لها من وراء إسحاق يعقوبُ. ومن نصبه، حملة على المعنى، والمعنى: وهبنا لها إسحاق، وهبنا لها يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّىٰ أُمُّهُ وَهُمَا عَلِيمُونَ﴾ هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم. ولم تُرد بها الدعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفف على السنة النساء عند الأمر العجيب. وقولها: ﴿أَلَيْسَ﴾ استفهام تعجب. قال الزجاج: و ﴿مَتَّعَهُمَا﴾ منصوب على الحال. قال ابن الأنباري: إنما أشارت بقولها هذا لتنبه على شيخوختيه. واختلفوا في سن إبراهيم وسارة يومئذٍ على أربعة أقوال: أحدها: أنه كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه كان إبراهيم ابن مائة سنة، وسارة بنت تسع وتسعين، قاله مجاهد. والثالث: كان إبراهيم ابن تسعين، وسارة مثله، قاله قتادة. والرابع: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين، قاله عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْمَةُكَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: من قضائه وقدرته، وهو إيجاد ولد من بين كبيرين. قال السدي: قالت سارة لجبرئيل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر، فقالت: هو إذن لله ذبيح.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْمَةُكَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه من دعاء الملائكة لهم. والثاني: أنه إخبار عن ثبوت ذلك لهم. ومن تلك البركات وجود أكثر الأنبياء والأسباط من إبراهيم وسارة. والحميد بمعنى المحمود. فأما المجيد، فقال ابن قتيبة: بمعنى الماجد، وهو الشريف. وقال أبو سليمان الخطابي: هو الواسع الكرم. وأصل المجد في كلامهم: السعة، يقال: رجل ماجد: إذا كان سخياً واسع العطاء. وفي بعض الأمثال: في كل شجر نار، واستمجد المرءُ والعفار<sup>(١)</sup>، أي: استكثرا منها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ ابْنُ دَاوُدَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ يعني الفرع الذي أصابه حين امتنعوا من الأكل. ﴿يَجِدُكَ﴾ فيه إضمار أخذ وأقبل يجادلنا، والمراد: يجادل رسلنا. قال المفسرون: لما قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُونَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [النكبت: ٣١]، قال: أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذٍ: ﴿إِنِّي فِيهَا لَوَطٌ﴾ قالوا نَحْنُ أَكْثَرُ يَمِينٍ فِيهَا [النكبت: ٣١]، هذا قول ابن إسحاق. وقال غيره: قيل له: إن كان فيهم خمسة لم تعذبهم، فما كان فيهم سوى لوط وابنتيه. وقال سعيد بن جبير: قال لهم: أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا؛ وكان إبراهيم يعذبهم أربعة عشر مع امرأة لوط، فسكت وأطمأنت نفسه؛ وإنما كانوا ثلاثة عشر فأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ﴾ قد فسرناه في لبراء: [١١٤]. فعند ذلك قالت الرسل لإبراهيم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ يعنون الجدال. ﴿إِنَّمَا ذَاكَ آثَرُ رَبِّكَ﴾ بعدايمهم. وقيل: قد جاء عذاب ربك، فليس بمرود، لأن الله قد قضى به.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لَّوْطًا بِرٍّ﴾ وَمَتَّى يَمُومَ دَرَكًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ بِكُمْ رَبٌّ لِمَا لَا يُبْلَغُ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿١١٥﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لَكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿١١٦﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُفُؤُكَ لَنَبْغُلَاكَ إِنَّا كَاشِرُونَ بِكَ لَنُقْطِعَنَّ بِكَ الْيَدَيْنِ مِنَّا أَلَيْسَ أَتَمَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لَّوْطًا﴾ قال المفسرون: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فَأَتَوْهَا

(١) المرخ والعفار: شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسرى من أغصانها الزناد فيقتلح بها.

(٢) أي: من النار، كأنهما أخذتا من النار ما هو حسيهما فصلحا للاقتراح بهما، فشبهتا بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد.



عشاء. وقال السدي عن أشياخه: أترَّهًا نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم، لقوا بنت لوط تستقي الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فَرَقًا عليهم من قومها؛ فأتت أباهما، فقالت: يا أبتاه، أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم؛ وقد كان قومه نَهْؤُهُ أن يضيف رجلاً؛ فجاء بهم، ولم يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط؛ فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاؤا يَهْرَعُونَ إليه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَمُوتُ يَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ساء ظنه بقومه، قاله ابن عباس. والثاني: ساء مجيء الرسل، لأنه لم يعرفهم، وأشفق عليهم من قومه، قاله ابن جرير. قال الزجاج: وأصل «سيء بهم» سُوءٌ بهم، من السوء، إلا أن الواو أسكنت ونقلت كسرتها إلى السين.

قوله تعالى: ﴿وَصَاقَ يَمَّ ذَرْعًا﴾ قال ابن عباس: ضاق ذرعاً بأضيافه. قال الفراء: الأصل فيه: وضاق ذرعه بهم، فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط، ونُصِبَ الذرع بتحول الفعل عنه، كما قال: ﴿وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ مَكِينًا﴾ [نم: ٢٤] ومعناه: اشتعل شيب الرأس. قال الزجاج: يقال: ضاق فلان بأمره ذرعاً: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً. وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه؛ فالذرع كناية عن هذا المعنى. والثاني: أن معناه: ضاق صبره وعظم المكروه عليه؛ وأصله من ذرع فلاناً القيء: إذا غلبه وسبقه. والثالث: أن المعنى ضاق بهم، وُسْعُهُ، فتأب الذرع والذراع عن الوسع، لأن الذراع من اليد، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون: ليس هذا في وُصْعِي؛ ويدل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع، فيقولونه: ضقت بهذا الأمر ذراعاً، قال الشاعر:

إِلَيْنِكَ إِلَيْنِكَ ضَاقَ بِهِمُ ذِرَاعًا

فأما العصب، فقال أبو عبيدة: العصب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر، وأنشد:

يَوْمَ عَصِيبٍ يَفْصِيبُ الْأَبْطَالَ عَصَبُ الْقَوِي السَّلَمَ الطَّوَالَا<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيد: يقال: يوم عصب، ويوم عصبص: إذا كان شديداً.

قوله تعالى: ﴿يَهْرَعُونَ إِلَى﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: «يهرعون» يسرعون. وقال الفراء، والكسائي: لا يكون الإهراع إلا إسراعاً مع رعدة. قال ابن قتيبة: الإهراع شبيه بالردة، يقال: أهرع الرجل: إذا أسرع، على لفظ ما لم يسم فاعله، كما يقال: أَرْعِد. قال ابن الأنباري: الإهراع فعل واقع بالقوم وهو لهم في المعنى، كما قالت العرب: قد أولع الرجل بالامر، فجعله مفعولاً، وهو صاحب الفعل، ومثله: أَرْعِد زيد، وسُهي عمرو من السهو، كل واحد من هذه الأفعال خرج الاسم معه مقدراً تقدير المفعول، وهو صاحب الفعل لا يُعرف له فاعل غيره. قال: وقال بعض النحويين: لا يجوز للفعل أن يُجعل فاعله مفعولاً، وهذه الأفعال المذكورة فاعلوها محذوفون، وتأويل «أولع زيد»: أولعه طبعه وجبَلته، و«أَرْعِد الرجل»: أَرْعِد غضبه، و«سُهي عمرو» جعله ساهياً ماله أو جهله، و«أهرع» معناه: أهرعه خوفه ورعبه؛ فلهذه العلة خُرج هؤلاء الأسماء مخرج المفعول به. قال: وقال بعض اللغويين: لا يكون الإهراع إلا إسراع المذعور الخائف؛ لا يقال لكل مسرع: مهرع، حتى ينضم إلى إسرعه جزع وذعر. قال المفسرون: سبب إهراعهم، أن امرأة لوط أخبرتهم بالأضياف. ﴿وَيَنْبَغِي﴾ أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط ﴿كَأَوْأَ يَمْلُونَ الْكَيْفَاتِ﴾ يعني فعلهم المنكر. وفي قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ قولان: أحدهما: أنهن بناته لصلبه، قاله ابن عباس. فإن قيل: كيف جمع، وقد كن اثنتين؟ فالجواب: أنه قد يقع الجمع على اثنتين، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِفُكَيْهِنَّ شَهِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧٨]. والثاني: أنه عنى نساء أمته، لأن كل نبي أبو أمته، والمعنى: أنه عرض عليهم التزويج، أو أمرهم أن يكتفوا بنسائهم، وهذا مذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج. فإن قيل: كيف عرض تزويج المؤمنات

على الكافرين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ، قاله الحسن، والثاني: أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، قاله الزجاج، ويؤكد أنه عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

قوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قل مقاتل: هن أحل من إتيان الرجال.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه قولان: أحدهما: اتقوا عقوبته. والثاني: اتقوا معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْزَوْنَ فِي ضَعْفٍ﴾ حرك ياء «ضيفي» أبو عمرو، ونافع. وفي معنى هذا الخزي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الفضيحة، قاله ابن عباس. والثاني: الاستحياء، والمعنى: لا تفعلوا بأضيافي فعلاً يلزمني الاستحياء منه، لأن المضيف يلزمه الاستحياء من كل فعل يصل إلى ضيفه. والعرب تقول: قد خزي الرجل يخزي خزاية: إذا استحيى، قال الشاعر:

مِنَ الْبَيْضِ لَا تَخْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ      بِهَا مِرْطَظَهَا أَوْ زَايِلَ الْحَلِيِّ جِيْدَهَا

والثالث: أنه بمعنى الهلاك، لأن المعرة التي تقع بالمضيف في هذه الحال تُلْزَمُ هلكة، ذكرهما ابن الأنباري. قال ابن قتية: والضيف هاهنا: بمعنى الأضياف، والواحد يدل على الجميع، كما تقول: هؤلاء رسولي ووكيلي.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ في المراد بالرشد قولان: أحدهما: المؤمن. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روي عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون الرشد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم مرشد يعظكم ويعرفكم قبيح ما تاتون؟ فيكون الرشد من صفة الفاعل، كالعليم، والشهيد. ويجوز أن يكون الرشد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشاد يصرفكم عن إتيان هذه المعرة؟ فيجري رشد مجرى مفعول، كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما: مالنا فيهن حاجة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، قاله ابن إسحاق، وابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَتَذَكَّرُ بِهِ مَا تُذَكَّرُ﴾ قال عطاء: وإنك لتعلم أنا نريد الرجال، لا النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُوَّةٌ﴾ أي: جماعة أقوى بهم عليكم. وقيل: أراد بالقوة البطش. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُوَّةٌ﴾ أي: انضم إلى عشيرة وشيعة تمنعني. وجواب «لو» محذوف على تقدير: لُحِلْتُ بينكم وبين المعصية. قال أبو عبيدة: قوله: «أوي» من قولهم: أويت إليك، فأنا أوي أويتاً، والمعنى: صرت إليك وانضمت. ومجاز الركن هاهنا: العشيرة العزيزة الكثيرة المنفعة، وأنشد:

يَا أوي إلسي رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ      فِي عَدَدِ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بَانِي<sup>(١)</sup>

والطَّيْسُ: الكثير، يقال: أتاناً لبن طيس، وشراب طيس، أي: كثير. واختلفوا أي وقت قال هذا لوط؟ فروي عن ابن عباس أن لوطاً كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وهو ينظرهم ويناشدهم وراء الباب، وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما يلقي من الكرب، قالوا: يا لوط إنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم؛ ففتحت الباب، فدخلوا، واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم، فانصرفوا يقولون: النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض؛ وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى تصبح، يوعدونه؛ فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، قال: لو أهلكتموهم الآن، فقالوا: أليس الصبح ب قريب؟ وقال أبو صالح عن ابن عباس: إنهم لما تواعدوه، قال في نفسه: ينطلق هؤلاء القوم غداً من عندي، وأبقى مع هؤلاء فيهلكوني، فقال: لو أن لي بكم قوة. قلت: وإنما يتوجه هذا إذا قلنا إنه كان قبل علمه أنهم ملائكة. وقال قوم: إنه إنما قال هذا لما كسروا بابه وهجموا عليه. وقال آخرون: لما نهاهم عن أضيافه فأبوا قال

هذا. وفي الجملة، ما أراد بالركن نصر الله وعونه، لأنه لم يخل من ذلك، وإنما ذهب إلى العشيرة والأسرة. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ قال مقاتل: فيه إضممار، تقديره: لن يصلوا إليك بسوء، وذلك أنهم قالوا للوط: إنا نرى معك رجالاً سحروا أبصارنا، فستعلم غداً ما تلقى أنت وأهلك؛ فقال له جبريل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾. قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأَ بِأَهْلِكَ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «فأسر» بإثبات الهمز في اللفظ من أسريت. وقرأ ابن كثير، ونافع: «فأسر بأهلك» بغير همز من سريت، وهما لغتان. قال الزجاج: يقال: سريت، وأسريت: إذا سرت ليلاً، قال الشاعر:

سريت بهم حتى تكلّ مطيهم  
وقال النابغة:

أَسْرَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْنَا جَامِدَ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>

وقد روه: سرت. فأما أهله، فقال مقاتل: هم امرأته وابنته، واسم ابنته: رُبْنَا وَزُغْرْنَا. وقال السدي: اسم الكبرى: رِيَّة، واسم الصغرى: عروبة، والمراد بأهله: ابتاء. فأما القِطْع، فهو بمعنى القطعة؛ يقال: مضى قطع من الليل، أي: قطعة. قال ابن عباس: يريد به: آخر الليل. وقال ابن قتيبة: «يقطع» أي: ببقية تبقى من آخره. وقال ابن الأنباري: ذكر القِطْع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال: عندي قطع من الثوب، بمعنى: عندي قطعة. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْقَؤُكُمْ أَحَدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لا يتخلف منكم أحد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: أنه الالتفات المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا لَّكَ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بنصب التاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن جهمز عن أبي جعفر برفع التاء. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فالمعنى: فأسر بأهلك إلا أمرأتك. ومن قرأ بالرفع، حملة على «ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك». وإنما أمروا بترك الالتفات لثلاثين عظيم ما ينزل بهم من العذاب. قال ابن الأنباري: وعلى قراءة الرفع، يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن أمرأتك، فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم؛ فإذا كان استثناء منقطعاً، كان التفاتاً معصية لربها، لأنه ندب إلى ترك الالتفات. قال قتادة: ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هذه العذاب، التفتت فقالت: واقوماه، فأصابها حجر فأهلكها، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ للعذاب «الشَّعْبُ».

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ يَقْرَبُ﴾ قال المفسرون: قالت الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الشَّعْبُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، فقالوا له: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ يَقْرَبُ؟﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَمَعْنَا عَلَىهَا سَائِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُنْشُورٍ ﴿٨٢﴾ مَّسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ بِمِنِ الْفَالِطِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمر الله الملائكة بعذابهم. والثاني: أن الأمر بمعنى العذاب. والثالث: أنه بمعنى القضاء بعذابهم.

قوله تعالى: ﴿جَمَعْنَا عَلَيْهَا سَائِلَهَا﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات، وهي قرى قوم لوط، وقد ذكرناها في

(١) «الطبري» ٤١٩/١٥ - ٤٢٠، وزواه الترمذي ١٣٩/٢ وقال: حديث حسن، والحاكم ٥٦١/٢ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري ٢٩٧/١ دون قوله: «وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه».

(٢) «ميوه» ٤ بشرح ابن السكيت، و«مجاز القرآن» ٢٩٥/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٥٠/١، و«القرطبي» ٧٩/٩، و«اللسان»، و«الناج»: سرت. وأسرت: إذا أمطرت ليلاً، وقوله: «من الجوزاء سارية» كقولك: سقينا بنوه كذا، أي: أصابه المطر ليلاً، وتزجي: تسوق وتدفع على النور جامد البرد.

[إبراء: ٧٠]، ونحن نشير إلى قصة هلاكهم هاهنا. قال ابن عباس: أمر جبريل لوطاً بالخروج، وقال: اخرج وأخرج غنمك وبقرك، فقال: كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة؟ فبسط جناحه، فحمله وبيتته ومالهم من شيء، فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربّه، فقال: يا رب ولّني هلاك هؤلاء القوم، فأوحى الله إليه أن تولّ هلاكهم؛ فلما أن بدا الصبح، غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه، ثم صعد بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب، ثم كفّأها عليهم، وسمعوا وَجِبَةً<sup>(١)</sup> شديدة، فالتفت امرأة لوط، فرماها جبريل بحجر فقتلها، ثم صعد حتى أشرف على الأرض، فجعل يُثَبِّعُهُمْ مُسَافِرَهُمْ وَزَعَاتِهِمْ وَمَنْ تَحَوَّلَ عَنْ الْقَرْيَةِ، فرماهم بالحجارة حتى قتلهم. وقال السدي: اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها. وقال غيره: كانت خمس قرى، أعظمها سدوم، وكان القوم أربعة آلاف ألف. وقيل: كان في كل قرية مائة ألف مقاتل، فلما رفعها إلى السماء، لم ينكسر لهم إناء ولم يسقط حتى قلبها عليهم. وقيل: نجا من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم. وانفرد سعيد بن جبير، فقال: إن جبريل وميكائيل تولّيا قلبها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرى. والثاني: إلى الأمة. وفي السجّل سبعة أقوال: أحدها: أنها بالفارسية سَنَكْ وكلّ، السنك: الحجر، والكل: الطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وقال مجاهد: أولها حجر، وآخرها طين. وقال الضحاك: يعني الآجر. قال ابن قتيبة: من ذهب إلى هذا القول، اعتبره بقوله: ﴿حِجَارَةً يَنْ لِيِّنٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] يعني الآجر. وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء. والثاني: أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة، قاله عكرمة. والثالث: أن السجّل: اسم السماء الدنيا، فالمعنى: حجارة من السماء الدنيا، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الشديد من الحجارة الصلب، قاله أبو عبيدة، وأنشد لابن مقبل:

[وَرَجَلَةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ غُرُضٍ] ضرباً تواصت به الأبطال سَجِينًا<sup>(٢)</sup>

وردة هذا القول ابن قتيبة، فقال: هذا بالنون، وذاك باللام، وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجت، أي: حبست، كأنه يثبت صاحبه. الخامس: أن قوله: «من سجّل» كقولك: من يسجلّ، أي: مما كُتِبَ لهم أن يعدّبو به، وهذا اختيار الزجاج. والسادس: أنه من أسجلته، أي: أرسلته، فكانها رسالة عليهم. والسابع: أنه من أسجلت: إذا أعطيت، حكى القولين الزجاج. وفي قوله: ﴿تَنْشُرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتبع بعضه بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: مصفوف، قاله عكرمة، وقناة. والثالث: نضد بعضه على بعض، لأنه طين جُمع فجعل حجارة، قاله الربيع بن أنس.

قوله تعالى: ﴿سَوَّيْنَاهُ﴾ قال الزجاج: أي معلّمة، أخذ من السومة، وهي العلامة. وفي علامتها ستة أقوال: أحدها: بياض في حمرة، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أنها كانت مختومة، فالحجر أبيض وفيه نقطة سوداء، أو أسود وفيه نقطة بيضاء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها المخططة بالسواد والحمرة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: عليها نضح من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع، قاله عكرمة، وقناة. والخامس: أنها كانت معلّمة بعلامة يُعرف بها أنها ليست من حجارة الدنيا، قاله ابن جريج. والسادس: أنه كان على كل حجر منها اسم صاحبه، قاله الربيع. وحكي عن بعض من رأى تلك الحجارة أنه قال: كانت مثل رأس الإبل، ومثل مبارك الإبل، ومثل قبضة الرجل. وفي قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن المعنى: جاءت من عند ربك، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: عند ربك معذرة، قاله أبو بكر الهذلي. والثالث: أن

(١) الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهذّة.

(٢) «ديوانه» ٣٣٣، و«مجاز القرآن» ٢٩٦، و«الطبري» ١٥ / ٤٣٤، و«جمهرة أشعار العرب» ١٦٢، و«منتهى الطلب» ٤٤، و«المعاني الكبير» ٩٩١، و«اللسان»: سجن.

المعنى: هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيداناً بنفاذ قدرته وشدة عذابه، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى قوله: «عند ربك»: في خزائنه التي لا يُتصوَّر في شيء منها إلا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا نَلَنَّا غَيْرُهَا فِي يَوْمٍ مَحْضٍ﴾ في المراد بالظالمين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالظالمين هاهنا كفار قريش، خوَّفهم الله بها، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عام في كل ظالم؛ قال قتادة: والله ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط، فاتقوا الله وكونوا منه على حذر. والثالث: أنهم قوم لوط، فالمعنى: وما هي من الظالمين، أي: من قوم لوط يبعيد، والمعنى: لم تكن لتخطئهم، قاله الفراء.

﴿وَلَا مَدِينَةٍ آخَرَةٍ تُعَذِّبُ إِلَّا نَعْنَعُهَا فِي يَوْمٍ مَحْضٍ﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَهْلُهَا مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ إِنَّكُمْ بِعَذَابِهِ وَإِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٥﴾ وَنَقُورُ أَهْلَ الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ بِالْإِسْطِ وَلَا تَبْحَثُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَدِينَةٍ﴾ قد ذكرناه في [الأعراف: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ﴾ أي: لا تطفئوا؛ وكانوا يطفئون مع كفرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ بِعَذَابِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رخص الأسعار، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: سعة المال، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة، وابن زيد. وقال الفراء: أموالكم كثيرة، وأسعاركم رخيصة، فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غلاء السعر، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: القسط والجذب والغلاء. والثاني: العذاب في الدنيا، وهو الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: عذاب النار في الآخرة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَتُورُوا الْيَكْبَالَ وَالْيَزَانَ بِالْإِسْطِ﴾ أي: أتثو ذلك بالعدل. والإيفاء: الإتمام. ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بنقص المكيال والميزان.

﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَمَلَكُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَعْذُ مَا بَيْنَنَا أَوْ أَنْ تَقْسَمَ فِي أَمْرِنَا مَا نَفْعُوكَ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْكَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَهْلُهَا إِنْ كُنْتُمْ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَوَقَفْتُمْ بَيْنَهُمَا حَسْبًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَهًا مَا أَنهَلَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْصَلْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَنَقُورُ لَا يَجْرِبُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ نَزْلَ مَا آتَاكُمْ قَوْمٌ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٩٠﴾ وَاسْتَنْفِرُوا رَيْبَكُمْ ثُمَّ ثَبَرُوا إِلَيْهِ إِنْ رَزَقْتُمْ رِجْسًا وَدُودًا ﴿٩١﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَعَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِمُرْشِرٍ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ أَهْرَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنْ رَزَقْتُمْ رِجْسًا وَدُودًا ﴿٩٣﴾ وَنَقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَرَأَتْهُ هُودٌ كَذِبٌ وَأَرْتَقِيُوا إِلَى مَعَكُمْ رَيْبٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا فَنَبِّئْنَا شُعَبًا وَآلِيَيْنَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي يَدِيهِمْ جِثْيِيكٌ ﴿٩٥﴾ كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيمَا آتَاهُمَا لِيَتْلُو كَمَا بَدَأَتْ تَتُودُ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ما أبقي الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، خير من البخس، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الله خير لكم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سفيان. والثالث: طاعة الله خير لكم، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: حظكم من الله خير لكم، قاله قتادة. والخامس: رحمة الله خير لكم، قاله ابن زيد. والسادس: وصية الله خير لكم، قاله الربيع. والسابع: ثواب الله في الآخرة خير لكم، قاله مقاتل. والثامن: مراقبة الله خير لكم، ذكره الفراء. وقرأ الحسن البصري: «تقية الله خير لكم» بالناء.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله ﷻ، عرفوا صحة ما يقول. وفي قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أمرت بقتالكم وإكراهكم على الإيمان. والثاني: ما أمرت بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا. والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم.

قوله تعالى: ﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «أصلواتك» على التوحيد. وفي المراء بصلواته ثلاثة أقوال: أحدها: دينه، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش. والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثير الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَوَ أَنْ نَقَعَلَ بِحِ أَمْوَالِكُمْ مَا نَشَاءُ﴾ قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرُك أن تترك ما يعبد آباؤنا، أو أن تترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف، قاله ابن عباس؛ فالمعنى: قد تراضينا فيما بيننا بذلك. والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد. وقال القرظي: عُذِبُوا في قطعهم الدراهم. قال ابن الأنباري: وقرأ الضحاك بن قيس الفهري «ما تشاء» بالتاء، ونسق «أن تفعل» على «أن تترك»، واستغنى عن الإضمار. قال سفيان الثوري: في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن أبي عبيدة: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري. وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء. والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفية الجاهل، فكفى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سبّوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله ﷻ عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي. والرابع: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ هَلَنْ يَنْتَرُونَ مِنِّي﴾ قد تقدم تفسيره (هود: ٢٨ و ٦٣) وفي قوله: ﴿وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحلال؛ قال ابن عباس: وكان شعيب كثير المال. والثاني: النبوة. والثالث: العلم والمعرفة. قال الزجاج: وجواب الشرط هاهنا متروك، والمعنى: إن كنت على بينة من ربي، أتبع الضلال؟ فترك الجواب، لعلم المخاطبين بالمعنى، وقد مر مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾ قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم ارتكبه. وقال الزجاج: ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد بما آمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتي. وقدر طاقتي: إيلاعكم لا إجباركم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرْبِيَّتِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فتح تاء «تربيّتي» أهل المدينة، وابن عامر. ومعنى الكلام: ما إصابتي الحق في محاولة صلاحكم إلا بالله. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوضت أمري، وذلك أنهم تواعدوه بقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَيْبٍ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ﴿وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: أرجع.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ حرك هذه الياء ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. قال الزجاج: لا تكسبكم عداوتكم إياي أن تعذبوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ يَنْصُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا قريباً من مساكنهم. والثاني: أنهم كانوا حديثي عهد بعدذاب قوم لوط. قال الزجاج: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها. قال ابن الأنباري: إنما وُعد بعيداً، لأنه أزاله عن صفة القوم، وجعله نعتاً مكان محذوف، تقديره: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ قد سبق معنى الرحيم. فأما الودود: فقال ابن الأنباري: معناه: المحب لعباده، من قولهم: وددت الرجل أودّه وُدّاً وودّاً، ويقال: وددت الرجل ووداداً وودادة وودادة. وقال الخطابي: هو اسم مأخوذ من الود؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون فعولاً في محل مفعول، كما قيل: رجل هيبوب، بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم. والوجه الآخر: أن

يكون بمعنى الوادة، أي: أنه يؤدّ عباد الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم بِتَقْبُلِ أعمالهم؛ ويكون معناه: أن يؤدّدهم إلى خلقه، كقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَكُمْ الزَّجْنَ وَثًا﴾ [مريم: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مَا نَقَعُ كَيْثًا يَمَّا نَقُولُ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: ما نفقه صحة كثير مما نقول، لأنهم كانوا يتدبّرونه بغيره، ويجوز أن يكونوا لاستقلالهم ذلك كأنهم لا يفقهونه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ إِنَّا ضَعِيفًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريراً؛ قال ابن عباس، وابن جبير، وقناة: كان أعمى. قال الزجاج: ويقال: إن حمير تسمى المكفوف: ضعيفاً. والثاني: ذليلاً، قاله الحسن، وأبو روق، ومقاتل. وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولا نبياً به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزاً عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم هاهنا بمعنى الشتم والأذى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِمُزِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بكرم. والثاني: بمتنع أن تقتلك. قوله تعالى: ﴿أَرْهَطِيْ أَعْرُ عَلَىكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وأسكن ياء «رهطي» أهل الكوفة، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي في، ولا تراعون الله في؟

قوله تعالى: ﴿وَأَتَذَكَّرُهُمْ وَرَأَيْتُمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفراء: المعنى: رميتم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبا بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر:

تَمِيمٌ بَنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي  
وَالثَّانِي: أَنَّهَا كَنَاءَةٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ شُعَيْبٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِن كَرِهَ رَبِّي بِمَا تَكْمُلُونَ حَيْطٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿سَوَّى تَكْمُلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]. فإن قال قائل: كيف قال هاهنا «سوف» وفي سورة أخرى «فسوف»؟ [الأنعام: ١٣٥] فالجواب: أن كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء، دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها، بنوا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧]، والمعنى: فقالوا: أتتخذنا، بالفاء، فحذفت الفاء لتمام ما قبلها. قال امرؤ القيس:

فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّوِّ مَالِكَ حِيلَةً  
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي<sup>(١)</sup>  
خَرَجْتُ بِهَا أَنَشِي تَجَرَّ وَرَاءَنَا  
عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالٌ مِرْطٌ مُرَحَّلٍ

قال ابن الأنباري: أراد: فخرجت، فأسقط الفاء لتمام ما قبلها. ويروى: فقمّت بها أمشي. قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقُوا إِلَى مَكِّكُمْ رَبِّي﴾ قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّتِ اللَّيْلُ ظَلَمُوا الْقَيْمَةَ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عذّب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم، حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فاصابهم حرٌ شديد، فبعث الله الظلّة، فتنادوا: هلم إلى الظل؛ فدخلوا جميعاً في الظلّة، فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد، إلا قوم شعيب وصالح، فأما قوم صالح، فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب، فأخذتهم من فوقهم، نشأت لهم سحابة كهية الظلّة فيها ريح بعد أن امتنعت الريح عنهم، فَأَتَوْهَا يَسْتَظِلُّونَ تحتها فأحرقتهم.

(١) البيت تقدم ٢٤٧، وهو أيضاً في «الكامل» ٤٣٠، و«ذيل الأماي» ٧٨، و«أضداد ابن الأنباري» ٢٥٦.

(٢) «ديوانه» ١٤، والمرط: إزار خزله علم، وإنما تجر مرطها ليخفى أثره وأثرها فلا يستدل عليهما، والمرحل: الموشى، وهو ضرب من البرود.



قوله تعالى: ﴿كَأَيِّدَتِ سَعُودٌ﴾ أي: كما هلكت ثمود. قال ابن قتيبة: يقال: بَعَدَ يَبْعَدُ: إِذَا كَانَ بَعْدَهُ هَلَكَةٌ وَيَبْعَدُ يَبْعَدُ: إِذَا نَأَى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ ثِينٍ ﴿١٧٠﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ فَالْعَمْرَأُ أَثَرُ فِرْعَوْنَ وَمَا أَثَرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧١﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ قال الزجاج: بعلامانا التي تدل على صحة نبوته. ﴿وَسُلْطَانٍ ثِينٍ﴾ أي: حجة بيّنة.

قوله تعالى: ﴿فَالْعَمْرَأُ أَثَرُ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرهم به من عبادته واتخاذها إلهاً. ﴿وَمَا أَثَرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: مرشد إلى خير.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٧٢﴾﴾ قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال الزجاج: يقال: قَدَمْتُ الْقَوْمَ أَقْدَمُهُمْ، قَدْماً وَقُدُوماً: إِذَا تَقَدَّمْتَهُمْ؛ والمعنى: يقدمهم إلى النار؛ ويدل عليه قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ قال ابن عباس: أوردهم بمعنى أدخلهم. وقال قتادة: يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال المفسرون: الورد: الموضع الذي ترده. وقال ابن الأنباري: الورد: مصدر معناه: الورد، تجعله العرب بمعنى الموضع المورود؛ فتلخيص الحرف: ويتس المدخل المدخول النار.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٧٣﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. في هذه اللعنة قولان: أحدهما: أنها في الدنيا الغرق، وفي الآخرة عذاب النار، هذا قول الكلبي، ومقاتل. والثاني: أنها اللعنة في الدنيا من المؤمنين، وفي الآخرة من الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال ابن قتيبة: الرد: العطية؛ يقول: اللعنة بس العطية؛ يقال: رَفَدْتُهُ أَرْفُدُهُ: إِذَا أَعْطَيْتَهُ وَأَعْتَهُ. والمرفود: المعطى.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقَضُ عَلَيْهِ مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٧٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى﴾ يعني ما تقدم من الخبر عن القرى المهلكة. ﴿نَقَضُ عَلَيْهِ﴾ أي: نخبرك به. ﴿مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال قتادة: القائم: ما يرى مكانه، والحصيد: لا يرى أثره. وقال ابن قتيبة: القائم: الظاهر العين، والحصيد: الذي قد أبيض وحُصد. وقال الزجاج: القائم: ما بقيت حيطانه، والحصيد: الذي خُصِفَ به وما قد امحى أثره.

﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ عِزًّا تَنْبِيءٍ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ﴾ أي: بالعذاب والإهلاك. ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ أي: فما نفعتهم ولا دفعت عنهم شيئاً ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالهلاك. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿عِزًّا تَنْبِيءٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخسير، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقاتدة، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الشر، قاله ابن زيد. والثالث: التدمير والإهلاك، قاله أبو عبيدة. فإن قيل: الآلهة جماد، فكيف قال: ﴿زادهم﴾؟ فتنه جوابان: أحدهما: وما زادتهم عبادتها. والثاني: أنها في القيامة تكون عوناً عليهم فتزيدهم شراً.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَمِيرٌ شَدِيدٌ ﴿١٧٦﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ أي: وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذُ ربك ﴿إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ وصف القرى بالظلم، والمراد أهلها. وقال ابن عباس: الظلم هاهنا: بمعنى الكفر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ تَحْشُرُ لَهُ الْأَنَاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴿١٧٧﴾ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا لِمَنْ أَعَدَّ اللَّهُ عَذَابًا لِمَنْ كَفَرَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم. والآية: العبرة والعظة. ﴿ذَلِكَ يَوْمَ تَحْشُرُ﴾

لَهُ النَّاسُ ﴿لَأَنَ الْخَلْقِ يُحْشَرُونَ فِيهِ، وَيَشْهَدُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَأَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ ﴿رَوَى زَيْدٌ عَنْ يَعْقُوبَ، وَأَبُو زَيْدٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ: «وَمَا يُؤَخِّرُهُ بِالْيَاءِ» وَالْمَعْنَى: وَمَا نُؤَخِّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا لَوْ تَ مَعْلُومٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَيَنْهَرُ شَرِيْقٌ وَرَسِيْدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ قَمَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْبَلَاءِ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَمَلَةٌ غَيْرُ يُجَدُّونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي: «يوم يأتي» بياء في الوصل، وحذفوها في الوقف؛ غير أن ابن كثير كان يقف بالياء، ويصل بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة بغير ياء في الوصل والوقف. قال الزجاج: الذي يختاره النحويون «يوم يأتي» بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء، وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً. وقد حكى الخليل، وسيبويه، أن العرب تقول: لا أدري، فتحذف الياء، وتجتزئ بالكسرة، ويزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. وقال الفراء: كل ياء ساكنة وما قبلها مكسورة، أو واو ساكنة وما قبلها مضموم، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالكسرة من الياء، وبالضمة من الواو، وأنشدني بعضهم:

كَفَّاكَ كَفًّا مَا تَلَيْقُ ذَرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُغَطِّ بِالسَّيْفِ الدُّمَامَا

قال المفسرون: وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ يعني: يأتي ذلك اليوم، لا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فكل الخلائق ساكنون، إلا مَنْ أذن الله له في الكلام. وقيل: المراد بهذا الكلام الشفاعة.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ شَرِيْقٌ﴾ قال ابن عباس: منهم من كتب عليه الشقاوة، ومنهم من كتبت له السعادة.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الزفير كزفير الحمار في الصدر، وهو أول ما ينهق، والشهيق كشهيق الحمار في الحلق، وهو آخر ما يفرغ من نهيقه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل، والفراء. وقال الزجاج: الزفير: شديد الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وهما من أصوات المكروبين. وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق. والثاني: أن الزفير في الحلق، والشهيق في الصدور، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والربيع بن أنس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف. وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير، لأن الشهيق رُدُّ النَّفْسِ، والزفير إخراج النَّفْسِ. وقال غيره: الزفير: الشديد، مأخوذ من الزُّفْرِ، وهو الحَمَلُ على الظهر لشدة؛ والشهيق: النَّفْسُ الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شاق، أي: طويل. والثالث: أن الزفير زفير الحمار، والشهيق شهيق البغال، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعروف فيه قولان: أحدهما: أنها السموات المعروفة عندنا، والأرض المعروفة؛ قال ابن قتيبة، وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ؛ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السموات والأرض، وما اختلفت الحجرة والديرة<sup>(١)</sup>، وما أطت الإبل<sup>(٢)</sup>، في أشباه لهذا كثيرة، ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، فخطبهم الله بما يستعملون في كلامهم. والثاني: أنها سموات الجنة والنار وأرضهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال: أحدها: أن الاستثناء في حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: «إلا ما شاء ربك» قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها. قال الزجاج: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا

(١) الحجرة: ما يخرج البعير من بطنه ليضعه ثم يبتلعه، والديرة: كثرة اللبث وسيلانه، واختلفت: أن الدرة تسفل إلى الرجلين، والديرة: تملو إلى الرأس.

(٢) يقال: أظلت الإبل تظط أطيطاً: أنت تعباً وحيناءً أو رزمة. وفي المثل: «لا أفعل ذلك ما أطت الإبل».

أنهم خالدون أبداً. والثالث: أن المعنى: خالدين فيها أبداً، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفتنيهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود. والرابع: أن «إلا» بمعنى «سوى»، تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن تقول: لأسكننك في هذه الدار حولاً إلا ما شئت؛ تريد: سوى ما شئت أن أزيدك. الخامس: أنهم إذا حُشروا ويُسْعِدوا، فهم في شروط القيامة؛ فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للحساب، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار. والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضاً. والسابع: أن «إلا» بمعنى «كما»، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَكِبُوا مَا تَكِبُوا﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي. فأما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه استثناء لا يفعله. والثاني: أن «إلا» بمعنى «سوى». والثالث: أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبثهم في القبور. والرابع: أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدهم من النعيم الذي لم يُذكر. والخامس: أن «إلا» كـ «ما»، وهذه الأقوال قد سبق شرحها. والسادس: أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموحدين، ثم أدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة: فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدةً. واختلف القراء في «سعدوا» فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «سَعِدُوا» بفتح السين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها، وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿عَلَّاهُ غَيْرَ مَحْدُودٍ﴾ نُصِبَ عطاء بما دل عليه الكلام، كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاءً.

والمجدوذ: المقطوع؛ قال ابن قتيبة: يقال: جذذت، وجدذت، وجذفت، وإذا قطعت.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعُثُ هَؤُلَاءَ مَا يَحْكُمُونَ إِلَّا كَمَا يَبْعُثُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مُتَوَشِّصٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: فلا تك يا محمد في شك ﴿مِّمَّا يَبْعُثُ هَؤُلَاءَ﴾ المشركون من الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلدون آباءهم، ﴿وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قدر لهم من خير وشر، قاله ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية. والثالث: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد. وقال بعضهم: لا ينقصهم من عذاب آبائهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا وَكَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقِيتَ يَسْمُوعِيلَ مِنْهُ مُرْسٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن. قال المفسرون: وهذه تعزية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد؛ إني أخرت أمتك إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك. وقال ابن قتيبة: لولا نظرة لهم إلى يوم الدين لفضي بينهم في الدنيا. وقال ابن جرير: سبقت من ربك أنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، لفضي بين المصدق منهم والمكذب بإهلاك المكذب وإنجاء المصدق<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْيَ بْنَ شَكٍّ مِنْهُ﴾ أي: من القرآن ﴿مُرْسٍ﴾ أي: موقع للرب.

(١) نص ابن جرير في «التفسير»: ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿لَقِيتَ يَسْمُوعِيلَ﴾ يقول: لفضي بين المكذب منهم به والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجاءه المصدق به.



فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكَوَّةَ طَرَفِي الْكَتَاكِ...﴾ الآية، فدعا الرجل فقراها عليه، فقال عمر: أهى له خاصة، أم للناس كافة؟ قال: «لا، بل للناس كافة»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله، فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية، فقال الرجل: ألي هذه الآية؟ فقال: «لمن عمل بها من أمتي»<sup>(٢)</sup>. وقال معاذ بن جبل: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل، فقال: يا رسول الله، ما تقول في رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له، فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا أصابه منها، غير أنه لم يجامعها؟ فقال له النبي ﷺ: «توضاً وضوءاً حسناً، ثم قم فصل»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال معاذ: أهى له خاصة، أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل هي للمسلمين عامة»<sup>(٣)</sup>. واختلفوا في اسم هذا الرجل، فقال أبو صالح عن ابن عباس: هو عمرو بن غزوة الأنصاري، وفيه نزلت هذه الآية، كان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمرأ، فأعجبته، فقال: إن في البيت تمرأ أجود من هذا، فانطلقني معي حتى أعطيك منه؛ فذكر نحو حديث معاذ<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري. وذكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ أنه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري<sup>(٥)</sup>. وذكر في الذي قال للنبي ﷺ: أله خاصة؟ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو اليسر صاحب القصة. والثاني: معاذ بن جبل. والثالث: عمر بن الخطاب. فاما التفسير، فقلوه: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكَوَّةَ﴾ أي: أتم ركوعها وسجودها. فاما طرفا النهار، ففي الطرف الأول قولان: أحدهما: أنه صلاة الفجر، قاله الجمهور. والثاني: أنه الظهر، حكاه ابن جرير. وفي الطرف الثاني ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صلاة المغرب، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: العصر، قاله قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: الظهر، والعصر، قاله مجاهد، والقرظي. وعن الضحاك كالأقوال الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿وَزُلْكَائِنَ الْأَيْلِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «وَزُلْكَائِنَ» بضم اللام. قال أبو عبيدة: الزُلف: الساعات، واحدها: زُلفَة، أي: ساعة ومترلة وقربة، ومنه سميت المزدلفة، قال العجاج:

نَاجٍ طَوَاهِ الْأَيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا  
طَيِّبِ اللَّيَالِي زُلْفَا زُلْفَا  
سَمَاوَةِ الْهَلَالِ حَائِي أَخَقَّ زُلْفَا<sup>(٦)</sup>

قال ابن قتيبة: ومنه يقال أزلفني كذا عندك، أي: أداني؛ والمزالف: المنازل والذُرَج، وكذلك الزُلف. وفيها للمفسرين قولان: أحدهما: أنها صلاة العتمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعوف عن الحسن، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال ابن زيد. والثاني: أنها صلاة المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس أيضاً، ورواه يونس عن الحسن، ومنصور عن مجاهد، وبه قال قتادة، ومقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْصَكَوَّةَ يُذْهِبُ الْكَتَاكِ﴾ في المراد بالحسنات قولان: أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، ومجاهد، والقرظي، والضحاك، والمقاتلان: ابن سليمان،

(١) «الطبري» ٥١٦/١٥ عن علقمة والأسود عن ابن مسعود، ورواه أحمد في «المستند» رقم (٤٢٥٠) و (٤٢٩٠)، ومسلم في «صحيحه» ٢١١٦/٤، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٤٦٨)، والترمذي ١٣٩/٢.

(٢) «الطبري» ٥١٩/١٥، و«مستند أحمد» رقم (٣٦٥٣) و (٤٠٩٤)، ورواه البخاري ٢٦٨/٨ - ٢٦٩، ومسلم ٢١١٥/٤، والترمذي ١٣٩/٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) «الطبري» ٥٢٠/١٥ - ٥٢٢، ورواه الترمذي ١٣٩/٢ من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست، وقد روى عن عمر ورأه، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ مرسلاً، والحديث بمعنى الذي قبله.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٩/٨: وأما قصة ابن غزوة، فأخرجها ابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكَوَّةَ طَرَفِي الْكَتَاكِ﴾ قال: نزلت في عمرو بن غزوة وكان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع تمرأ فأعجبته... الحديث ١ هـ. والكلبي وأبو صالح: ضعيفان.

(٥) لقد فصل الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٨/٨، ٢٦٩ القول في اسم هذا الرجل، فارجع إليه إن شئت.

(٦) «ديوانه» ٨٤/١، و«الطبري» ٧٧/١٢، و«اللسان»: حقف، و«الكامل» للمبرد ١/١٢٩، ٨٣٤/٣. وسماوة الهلال: أعلاه. واحقوقف: يريد: اعوج، وإنما هو افعول، من الحقف، والحقف: النقا من الرمل يعوج ويدق، يريد: طواه الأين كما طورت الليالي سماوة الهلال.

وابن حيان. والثاني: أنها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، رواه منصور عن مجاهد. والأول أصح، لأن الجمهور عليه، وفيه حديث مسند عن رسول الله ﷺ، رواه عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ أنه توضعاً، وقال: «من توضعاً وضوئي هذا، ثم صلى الظهر، عُفِّرَ له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ومن صلى العصر، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة الظهر، ومن صلى المغرب، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، عُفِّرَ له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ، ثم إن قام فتوضعاً وصلى الصبح، عُفِّرَ له ما بينه وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يلذهبن السيئات»<sup>(١)</sup>. فأما السيئات المذكورة هاهنا، فقال المفسرون: هي الصفات من الذنوب. وقد روى معاذ بن جبل، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني؛ قال: «أتق الله حيثما كنت»، قال: قلت: زدني؛ قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قلت: زدني؛ قال: «خالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَكَيْلٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ في المشار إليه بـ «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: إقام الصلاة. والثالث: جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة، والنهي عن الطغيان، وترك الميل إلى الظالمين، والقيام بالصلاة. وفي المراد بالذكرى قولان: أحدهما: أنه بمعنى التوبة. والثاني: بمعنى العظة.

﴿وَأَمَّا رَبٌّ فَأَنَّ اللَّهَ لَا يُفْصِحُ كَيْدَ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا رَبٌّ﴾ فيما أمر بالصبر عليه قولان: أحدهما: لما يلقاه من أذى قومه. والثاني: الصلاة. وفي المراد بالمحسنين ثلاثة أقوال: أحدهما: المصلون، قاله ابن عباس. والثاني: المخلصون، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المحسنون في أعمالهم، قاله أبو سليمان.

﴿تَذَكَّرُوا أَنَّ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ قَبْلَكُمْ أَوَّلُوا بَنِيَّةً يَتَذَكَّرُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَتَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الْذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَافَرُوا بِحُرْمَتِ﴾

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا أَنَّ مِنَ الْقُرُونِ﴾ قال ابن عباس، والفراء: المعنى: فلم يكن. وقال ابن قتبية: المعنى: فهلاً كان من القرون من قبلكم أولوا بنية. وروى ابن جماز عن أبي جعفر «أولوا بنية» بكسر الباء وسكون القاف وتخفيف الياء. وفي معنى «أولوا بنية» ثلاثة أقوال: أحدها: أولوا دين، قاله ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: قوم لهم بنية، وفيهم بنية: إذا كانت بهم مُسكة وفيهم خير. والثاني: أولوا تمييز. والثالث: أولوا طاعة، ذكرهما الزجاج، وقال: إذا قلت: فلان فيه بنية، فمعناه: فيه فضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع، أي: لكن قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد. قال مقاتل: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشرك إلا قليلاً ممن أنجينا من العذاب مع الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا مع ظلمهم ما أتروا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم. قال الفراء: آثروا اللذات على أمر الآخرة. قال: ويقال: اتبعوا ذنوبهم السيئة إلى النار.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَعْلَاهَا مَكِيلٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بغير جرم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: بشرك، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان. وفي قوله: ﴿وَأَعْلَاهَا مَكِيلٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) «الطبري» ٥١٢/١٥، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٥١٣) وفي آخره زيادة، «قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وخرجه العيشي في «المجمع» ٢٩٧/١ بنحو حديث أحمد، وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل، وخرجه أيضاً ١٥٣/٥ عن أبي ذر الغفاري، وخرجه الترمذي ٢٠/٢ عن أبي ذر، ومعاذ، ولفظه عند الترمذي: «أتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي بعض النسخ: حسن. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٤/١ عن أبي ذر بلفظ الترمذي، ورواه عن معاذ بلفظ «فقال: يا رسول الله أوصني، قال: اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، قال: يا رسول الله زدني، قال: إذا سألت فاحسن، قال: يا رسول الله زدني، قال: استقم، ولتحسن خلقك» وقال: صحيح الإسناد من رواية البصريين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد روي عن النبي ﷺ أنه أوصى بهذه الوصية معاذاً وأباً ذر من وجوه أخرى.

ينتصف بعضهم من بعض، رواه قيس بن أبي حازم عن جرير. قال أبو جعفر الطبري: فيكون المعنى: لا يهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين، وإنما يهلكهم إذا تظالموا. والثاني: مصلحون لأعمالهم، متمسكون بالطاعة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مؤمنون، قاله مقاتل.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ﴾ (١١٨) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَتْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۚ﴾ (١١٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال ابن عباس: لو شاء أن يجعلهم كلهم مسلمين لفعل. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الحق وأهل الباطل، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ فيكون المعنى: إن هؤلاء يخالفون هؤلاء. والثاني: أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: هم أهل الحق. وقال الحسن: أهل رحمة الله لا يختلفون. قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه يرجع إلى ما هم عليه. قال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقاً يُرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرحم يختلف. والثاني: أنه يرجع إلى الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس أيضاً، واختاره الزجاج، قال: لأن اختلافهم مؤديهم إلى سعادة وشقاوة. قال ابن جرير: واللام في قوله: «ولذلك» بمعنى «على». والثالث: أنه يرجع إلى الاختلاف، رواه مبارك عن الحسن. والرابع: أنه يرجع إلى الرحمة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة؛ فعلى هذا يكون المعنى: ولرحمته خلق الذين لا يختلفون في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: وجب قول ربك: ﴿لَأَتْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من كفار الجنة، وكفار الناس. ﴿وَلَا تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَعَلْنَا فِي هَٰذِهِ الْقُرْآنِ وَفُؤَادَكَ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُصُّ﴾ قال الزجاج: «كلاً» منصوب بـ «نقص»، المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. و «ما» منصوبة بدلاً من كل، المعنى: نقص عليك ما نُبِّئُ به فؤادك؛ ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي هَٰذِهِ الْقُرْآنِ وَفُؤَادَكَ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المشار إليه بـ «هذه» أربعة أقوال: أحدها: أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، ورواه شيان عن قتادة. والثاني: أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الأفاضيل المذكورة. والرابع: أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري. وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البيان. والثاني: صدق القصص والأنباء. والثالث: النبوة. فإن قيل: أليس قد جاء الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟ فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة بـ «هذه» إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا: إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد، بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبين إهلاك الأمم، وشرح مآلهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين. والثاني: أن بعض الحق أركد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، ولهذا يقول الناس: فلان في الحق: إذا كان في الموت، وإن لم يكن قبله في باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكان الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج. والثالث: أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضاً، فهو كقوله: ﴿وَالْفَصْلَةُ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨)، وقوله: ﴿يَجْتَزِيلُ وَيُكَيِّدُ﴾ (البقرة: ٩٨)، وهذا مذهب ابن الأنباري. والرابع: أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ۖ﴾ (١٢١) ﴿وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ۖ﴾ (١٢٢)



قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا.

### فصل

قال المفسرون: وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم، والافتناع بإنذارهم، وهي منسوخة بآية السيف. واعلم أنه إذا قلنا: إن المراد بالآية التهديد، لم يتوجه نسخ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ قرأ نافع، وحفص عن عاصم ﴿يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بضم الياء. وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم «يرجع» بفتح الياء، والمعنى: إن كل الأمور ترجع إليه في المعاد. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وحده. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: ثق به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «تعملون» بالثاء. وقرأ الباقون بالياء. قال أبو علي: فمن قرأ بالياء، فالمعنى: قل لهم: وما ربك بغافل عما يعملون. ومن قرأ بالثاء، فالخطاب للنبي ﷺ ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو أعم من الياء، وهذا وعيد، والمعنى: إنه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة «هود».



## سورة يوسف [عليه السلام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾

### فصل في نزولها

هي مكة بالإجماع. وفي سبب نزولها قولان: أما القول الأول، فروي عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿تَمَّ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُثْنِيهَا ثَنَانِي﴾<sup>(١)</sup> [الزمر: ٢٣] كل ذلك يؤمرون بالقرآن. وقال عون بن عبد الله: ملأ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُثْنِيهَا ثَنَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم إنهم ملأوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَمَّ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فأراد الحديث، دلهم على أحسن القصص، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص<sup>(٢)</sup>. والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله ﷻ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه. وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول (يونس)، إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ ملأ وسامة، فقالوا له: حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل، فقال: «تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل، هي آيات الكتاب المبين». وفي معنى «المبين» خمسة أقوال: أحدها: البين حلاله وحرامه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم، رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. والثالث: البين هداه ورشده، قاله قتادة. والرابع: المبين للحق من الباطل. الخامس: البين إعجازه فلا يعارض، ذكرهما الماوردي.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة [النساء: ٨٢]. وقد اختلف الناس، هل في القرآن شيء بغير العربية، أم لا، فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية. وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب، مثل «سجيل» و«المشكاة» و«اليم» و«الطور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال أبو عبيد<sup>(٣)</sup>: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة،

(١) «الطبري» ٥٥٣/١٥، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ وزاد نسبة إلى إسحاق بن راهويه، والبخاري، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه.  
(٢) «الطبري» ٥٥٢/١٥، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ من طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود، فهو مرسل. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٥٥.  
(٣) في الأصل: أبو عبيدة، وهو خطأ، لأن الكلام الآتي كلام أبي عبيد القاسم بن سلام يرد به على شيخه أبي عبيدة، وانظر «المعرب»: ٥ للجواليقي.



قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْئِبُكَ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيتم من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك. وقد شرحنا في [الأنعام: ٨٧] معنى الاجتباء. وقال ابن عباس: يصطفيك بالنبوة.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه. والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، ذكره الزجاج. قال مقاتل: و «من» هاهنا صلة.

قوله تعالى: ﴿وَوَيْدُكَ يَمُوتُ عَلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس. والثاني: بإعلاء الكلمة. والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي. وفي «إِلَّا يَتَّقُونَ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ولده، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل.

والثالث: أهله، قاله أبو عبيدة، واحتج بأنك إذا صغرت الآل، قلت: أهيل. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ رَءِيفٌ﴾ قال عكرمة: فنعته على إبراهيم أن نجاه من النار، ونعته على إسحاق أن نجاه من الذبح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم حيث يضع النبوة «حَكِيمٌ» في تدبير خلقه.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ﴾ أي: في خير يوسف وقصة إخوته (آيات) أي: عبر لمنم سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية. وقرأ ابن كثير «آية». قال المفسرون: وكان اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فمعجوا من ذلك. وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال.

أحدها: الدلالة على صدق محمد ﷺ حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدهم، ولا نظر في الكتب. والثاني: ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه. والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله. والرابع: ضبط نفس وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة. والخامس: حدوث السرور بعد اليأس.

فإن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضاً؟ فتنه جوابان.

أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتمى بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله: ﴿تَذَكَّرُكُمْ الْحَرُّ﴾ [النمل: ٨١].

والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضاً؛ وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخير.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَخَوَيْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ يعني إخوة يوسف. «لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ» يعنون ابن يامين. وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نساء. ويامين بمعنى الوجد، وكان أخاه لأمه وأبيه. والباقون إخوته لآبيه دون أمه.

فأما العصبية، فقال الزجاج: هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضاً في الفعل، ويتعصب بعضهم لبعض.

وللمفسرين في العصبية ستة أقوال.

أحدها: أنها ما كان أكثر من عشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها ما بين العشرة إلى الأربعين، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قادة. والثالث: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبيرة والرابع: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد. والخامس: الجماعة، قاله ابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والسادس: عشرة، قاله مقاتل. وقال الفراء: العصبية عشرة فما زاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: لفي خَطَلًا من رأيه، قاله ابن زيد. والثاني: في شَقَاءٍ، قاله مقاتل؛ والمراد به عناء الدنيا. والثالث: لفي ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا، لأن نفعنا له أعمى. قال الزجاج: ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفاراً، إنما أرادوا: إنه قَدَّمَ ابنتين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعنا أكثر.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ قال أبو علي: قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي: «مبِينٌ اَقْتُلُوا» بضم التنوين، لأن تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، فحركوه بالضم لِيَتَّبِعُوا الضمة الضمة، كما قالوا: «مَدٌّ» و«ظُلُمَاتٌ». وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، بكسر التنوين، فلم يتبعوا الضمة كما قالوا: «مَدٌّ» و«ظُلُمَاتٌ». قال المفسرون: وهذا قولهم بينهم: ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ قال الزجاج: نصب «أَرْضًا» على إسقاط «في»، وأفضى الفعل إليها؛ والمعنى: أو اطرحوه أرضاً يبعد بها عن أبيه. وقال غيره: أرضاً تأكله فيها السباع.

قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف. ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: من بعد يوسف. ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: صالحين بالتوبة من بعد قتله، قاله ابن عباس. والثاني: يصلح حالكم عند أبيكم، قاله مقاتل. وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب، وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للخطايا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَفْعَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ﴾ (١٢) ﴿قَالُوا يَبْنَائَنَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمْ نَلْقَهُوْنَ﴾ (١٣) ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُطُونَ﴾ (١٤) ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٥) ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَيْرُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثالث: روبيل، قاله قتادة، وابن إسحاق. فأما غيبة الجب، فقال أبو عبيدة: كل شيء غيَّبَ عنك شيئاً فهو غيبة، والجب: الرُكبة التي لم تطو. وقال الزجاج: الغيبة: كل ما غاب عنك، أو غيَّبَ شيئاً عنك، قال المنخَّل:

فإن أنا يؤمأ غيَّبْتُني غيَابَتِي

فيسيروا يسِيرِي في العشيرة والأهل

والجب: البشر التي لم تطو؛ سميت جباً من أجل أنها قُطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه. وقال ابن عباس: ﴿فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ أي: في ظلماته. وقال الحسن: في قعره. وقرأ نافع: «غيابات الجب» فجعل كل منه غيبة. وروى خارجة عن نافع: «غيابات» بتشديد الياء. وقرأ الحسن، وقاتدة، ومجاهد: «غِيبة الجب» بغير ألف مع إسكان الياء. وأين كان هذا الجب، فيه قولان: أحدهما: بأرض الأردن، قاله وهب. وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: بيت المقدس، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذه بعض من يسير. ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ﴾ أي: إن أضمرتم له ما تريدون. وأكثر القراء قرووا «يلقظه» بالياء. وقرأ الحسن، وقاتدة، وابن أبي عبله بالناء. قال الزجاج: وجميع النحويين يجيزون ذلك، لأن بعض السيارة سيارة، فكأنه قال: تلتقطه سيارة بعض السيارة. وقال ابن الأنباري: من قرأ بالناء، فقد أثَّ فعل بعض، وبعض مذكر، وإنما فعل ذلك حملاً على المعنى، إذ التأويل: تلتقطه السيارة، قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السُّنْبِينَ أَخْذَنَ مِنِّي

كَمَا أَخَذَ السُّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ<sup>(١)</sup>

أراد: رأت السنين، وقال الآخر:

طَوَّلَ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَوَّنَ طَوَّلِي وَطَوَّنَ عَرْضِي<sup>(٢)</sup>

(١) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٩٨/١، و«الطبري» ٥٦٧/١٥، و«الكامل» للمبرد ٤٨٦، و«السرائر» آخر ليلة من الشهر يستمر فيها الهلال، أي: يخفي.

(٢) البيت للمعاج في ملحق ديوانه ٨١، و«الكتاب» ١٩/١، و«مجاز القرآن» ٩٩/١، و«الطبري» ٨٧/٧، و«البيان والتبيين» ٦٠/٤، و«شواهد المغني» ٢٩٧، و«المغني» ٣٩٥/٣، و«الخرائفة» ١٦٨/٢.

أراد: اللبالي أسرع، وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الرُّزْمِ تَوَاضَعَتْ

أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وَتَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعُهُ

أراد: كما شرقت القناة.

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قال: لأبيه: (مالك لا تأمنّا قرأ الجماعة «تأمنّا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم؛ قال مكي: لأن الأصل «تأمنّا» ثم أَدغمت النون أوولى، وبقي الإشمام يدل على ضمه النون الأولى. والإشمام: هو ضم شفتيك من غير صوت يُسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الرّوم إشماماً؛ والرّوم: صوت ضعيف يُسمع خفياً. وقرأ أبو جعفر «تأمنّا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمنّا» بنونين على الأصل، والمعنى: مالك لا تأمنّا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبير ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش ﴿وَرَأَى لَهُ لُتْصَحُونَ﴾ فيما أشرنا به عليك؛ «أزِيلُهُ مَعَنَا عَدَا» إلى الصحراء. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال: إني لَيُخْرُتُني أن تذهبوا به، فقالوا: مالك لا تأمنّا.

قوله تعالى: ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنة؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.

وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال.

أحدها: نَلَّه، قاله الضحاك. والثاني: نَسَّع، قاله قتادة. والثالث: نَأْكَل، يقال: رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:

وَخَبِيبٌ لِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ

وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لُخْمِي رَتَّعٌ<sup>(١)</sup>

أي: أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «يرتع ويلعب» بالياء فيهما وجزم العين والباء، يعنون «يوسف». وقرأ نافع: «نرتع» بكسر العين من «نرتع» من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضاً، أي يحفظ؛ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. وقد رويت عن ابن كثير أيضاً «نرتعي» بإثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نُرتِع» بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، «ونلعب» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إيلنا.

فأما قوله: ﴿وَلْيَلْعَبْ﴾ فقال ابن عباس: نلهو.

فإن قيل: كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذكر اللعب؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، قاله أبو عمرو بن العلاء. والثاني: أنهم عَنَوْا مباح اللعب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيُخْرُتُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: يحزنني ذهابكم به، لأنه يفارقني فلا أراه. ﴿وَأَكَاثُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَنْبُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «الذنب» بالهمز في الثلاثة المواضع. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، وشيبة بغير همز. قال أبو علي: «الذنب» مهموز في الأصل. يقال: تذاءبَتِ الريح: إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذنب. وفي علة تخصيص الذنب بالذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى في منامه أن الذنب شد

(١) «ديوانه» ٣٤٥، «ومجاز القرآن» ١٩٧/١، «والنفاض» ٩٦٩، «والكتاب» ١٩/١، ٢٥، «والكامل» للمبرد ٤٨٦، «والطبري» ١٧/٢، «والأضداد» ٢٩٦ لابن الأنباري، «واللسان» «والنجاح» سورة: «والخزانة» ١٦٦/٢.

(٢) البيت للأعشى الكبير يميون بن قيس، ديوانه: ١٢٣، «واللسان» شرق، ومعنى تشرق: تغص، وصدر القناة: أعلاها.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠ - ٢٠٢، تعد ممن أغلى الشعر وأنفسه، وقد فضلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدّها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها البيمة لما اشتملت عليه من الأمثال. وهو أيضاً في «الشعر والشعراء» ٣٨٤، «والخزانة» ٥٤٧/٢، ورواية الشطر الأول فيها: «ويُحْيِي إِذَا لَاقِيَهُ».

على يوسف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن أرضهم كانت كثيرة الذئب، قاله مقاتل. والثالث: أنه خافهم عليه فكفى بذكر الذئب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: غافلون في اللعب. والثاني: مشغولون برعيتكم.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا لِلْغَيْبِ رَوَّادِينَ﴾ أي: عاجزون. قال ابن الأنباري: ومن قرأ «عصبة» بالنصب، فتقديره: ونحن نجتمع عصبة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا لَتَمَتِّنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ في الكلام اختصار وإضمار، تقديره: فأرسله معهم فلما ذهبوا. ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب.

### الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون: قالوا ليوسف: أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد؟ قال: بلى، قالوا: فسل أباك أن يرسلك معنا، قال: أفعل، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بني؟ قال: نعم يا أبت، قد أرى من إخوتي اللين واللطف، فانا أحب أن تأذن لي، فأرسله معهم، فلما أصرحوا، أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعل يلجأ إلى هذا، فيضربه، وإلى هذا، فيؤذيه، فلما فطن لما قد عزموا عليه، جعل ينادي: يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لأخزتك ذلك وأبكاك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاء شديداً. قال الضحاك عن ابن عباس: فأخذه روبيل فجلد به الأرض، ثم جثم على صدره وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي لا تقتلني، قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكرها، فنادى يوسف: يا يهوذا اتق الله في، وخل بيني وبين من يريد قتلي، فأدرسته له رحمة، فقال يهوذا: يا إخوتاه، ألا أدلكم على أمرٍ هو خير لكم وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة، قالوا: نفعل؛ فانطلقوا به إلى الجب، فخلعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، لِمَ نزعتم قميصي؟ ردوه عليّ أستر به عورتِي ويكون كفنًا لي في مماتي؛ فأخرج الله له حجراً في البئر مرتفعاً من الماء، فاستقرت عليه قدماء. وقال السدي: علوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردوا عليّ قميصي أتورى به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً، فدلّوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها؛ فلما أَلْقَوْهُ في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه، فبعث الله إليه ملكاً، فحلّ عنه وأخرج له حجراً من الماء، فقعد عليه؛ وكان يعقوب قد أدرج فميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم أُلقي في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه الملك حيثنذ، وأضاء له الجب. وقال الحسن: أُلقي في الجب، فَعَذَّبَ ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب؛ ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى، نهض جبريل ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريح المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفي عليك شيء من أمري. فلما قالها حفته الملائكة، فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يروعون حول الجب. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما أُلقي يوسف في الجب، قال: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لي فرجاً بما أنا فيه؛ قال: فما بات فيه. وفي مقدار سنّه حين أُلقي في الجب أربعة أقوال.

أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله الحسن. والثاني: ست سنين، قاله الضحاك. والثالث: سبع عشرة، قاله ابن السائب، وروي عن الحسن أيضاً. والرابع: ثمان عشرة.



قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فيه قولان.

أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه وحي حقيقة. قال المفسرون: أوحى إليه لتخيرن إخوانك بأمرهم، أي: بما صنعوا بك وأنت عالي عليهم. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان.

أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأولى يكون الكلام من صلة «لتنبتهم»؛ وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه». قال حميد: قلت للحسن: أيحسد المؤمن المؤمن؟ قال: لا أبالك، مانسأك بني يعقوب؟.

﴿وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيُزَكِّيْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكْذِبْ وَلَئِنْ كُنَّا لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ لَأَنَّا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ وقرأ أبو هريرة، والحسن، وابن السميع، والأعمش: «عشاء» بضم العين.

قال المفسرون: جاؤوا وقت العتمة ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: ما لكم يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: نتضل، قاله ابن عباس، وابن قتيبة، قال: والمعنى، يسابق بعضنا بعضاً في الرمي. والثاني: نشد، قاله السدي. والثالث: نتصيد، قاله مقاتل. فيكون المعنى على الأول: نستبق في الرمي لننظر أينا أسبق سهماً؛ وعلى الثاني: نستبق على الأقدام؛ وعلى الثالث: للصيد.

قوله تعالى: ﴿وَزَكَّيْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾ أي: ثيابنا. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق. وفي قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبتك، قاله الزجاج.

﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَيِّدٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال اللغويون: معناه: بدم مكذوب فيه، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب مكذوب، وللعلل معقول، وللجلد مجلود، قال الشاعر:

حَتَّى إِذَا لَمْ يَشْرُكُوا لِعِظَامِهِ  
لَحْماً وَلَا لِسُؤَادِهِ مَفْعُولاً<sup>(١)</sup>  
أراد: عقلاً. وقال الآخر:

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ

بُلِّغَ الْعَزَاءَ وَأَذْرَكَ الْمَجْلُودَ

يريد: أذرك الجلد. ويقولون: ليس لفلان عقد رأي، ولا معقود رأي، ويقولون: هذا ماء سكب، يريدون: مسكوباً، وهذا شراب صب، يريدون: مصبوباً، وماء غور، يعنون: غائراً، ورجل صوم، يريدون: صائماً، وامرأة نوح، يريدون: نائحة؛ وهذا الكلام مجموع قول الفراء، والأخفش، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. قال ابن عباس: أخذوا جدياً فذبوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتهم، لو كان أكله الذئب لخرق القميص. وقال قتادة: كان دم طيبة. وقرأ ابن أبي عبيدة: «بدم كذباً» بالنصب. وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية: «بدم كذب» بالدال غير معجمة، أي: بدم طري.

قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: زَيَّتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ غير ما تصفون ﴿فَصَبْرٌ جَيِّدٌ﴾ قال الخليل: المعنى: فشاني

(١) البيت للرامي النعمري من قصيدة له يملح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة، «ديوانه» ١٣٧، «وأساس البلاغة» عقل.

صبر جميل، والذي اعتقده صبر جميل. وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزى نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصباً. وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل. وقرأ ابن مسعود، وأبي، وأبو المتوكل: «فصبراً جميلاً» بالنصب. قال الزجاج: والصبر الجميل، لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ السَّمِيعُ عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: على ما تصفون من الكذب. والثاني: على احتمال ما تصفون.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوٌ قَالَ يَبِشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرَوْهُ يَصْنَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا يَمْلُوكَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: قوم يسرون ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ قال الأخفش: أنت السيارة وذكر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال. وقال الزجاج: الوارد: الذي يَرِدُ الماء ليستقي للمقوم. وفي اسم هذا الوارد قولان: أحدهما: مالك بن دُعر بن يؤيب بن عيفا بن مين بن إبراهيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مجلت بن رعويل، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوٌ﴾ أي: أرسلها. قال الزجاج: يقال: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوها: إذا أخرجتها. ﴿قال يا بشراي﴾ قرأه ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر: «يا بشراي» بفتح الياء وإثبات الألف. وروى ورش عن نافع «بشراي» و «محياي» [الأنعام: ١٦٢] و «مثواي» [يوسف: ٢٣] يسكون الياء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي «يا بشري» بألف بغير ياء. وعاصم بفتح الراء، وحزمة، والكسائي يميلانها. قال الزجاج: من قرأ «يا بشراي» فهذا النداء تنبيه للمخاطبين، لأن البشري لا تجيب ولا تعقل؛ فالمعنى: أبشروا، يا أيها البشري هذا من أوانك، وكذلك إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، يا أيها العجب هذا من حينك؛ وقد شرحنا هذا المعنى [عمود: ٦٩ و ٧٤]. فاما قراءة من قرأ ﴿يَبِشْرَىٰ﴾ فيجوز أن يكون المعنى: يا من حضر، هذه بشري. ويجوز أن يكون المعنى: يا بشري هذا أوانك، على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين. وذكر السدي أنه نادى بذلك أحدهم وكان اسمه بشري. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عبيدة: «يا بُشْرَىٰ» بتشديد الياء وفتحها من غير ألف. قال ابن عباس: لما أدلى دَلْوُهُ؛ تعلق يوسف بالحبل فنظر إليه فإذا غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشري، فقالوا: ما وراءك؟ قال: هذا غلام في البئر، فأقبلوا يسألونه الشركة فيه، واستخرجوه من الجُبِّ، فقال بعضهم لبعض: اكتنموه عن أصحابكم لئلا يسألونكم الشركة فيه، فإن قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر؛ فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر، فنظروا، فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف، فقالوا لهم: هذا غلام أبى منا، فقال مالك بن دعر: فأننا اشتريه منكم، فباعوه بعشرين درهماً وحلّة ونعلين، وأسره مالك بن دعر من أصحابه، وقال: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَوْهُ يَصْنَعُ﴾ قال الزجاج: «بضاعة» منصوب على الحال، كأنه قال: وأسروه جاعليه بضاعة. وقال ابن قتية: أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة. وفي الفاعلين لذلك قولان: أحدهما: أنهم وارِدو الجب، أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنهم إخوته، أسروا أمره، وباعوه، وقالوا: هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا يَمْلُوكَ﴾ يعم الباعة والمشتريين.

﴿وَأَسْرَوْهُ يَحْتَرِبُ دَرَاهِمَ مَمْدُودَةٍ وَكَأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْزُّهْدِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَوْهُ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته: وشريت، بمعنى

(١) قال ابن جرير الطبري ١٦٩/١٢، طبع البايع الحلبي: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: وأسروا القوم المدلي دلوهم ومن معه من أصحابه من رفقة السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه بخفيه منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء، وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلان يكون ما وليه من الخبر خيراً عنه، أشبه من أن يكون خيراً ممن هو بالخبر عنه غير متصل.

اشترته. فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان: أحدهما: أنهم إخوانه، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوانه، قاله الحسن، وقتادة. وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَنَّيَنَّ بَنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي. قال ابن قتبية البخس: الخسيس الذي يُخس به البائع. والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قال الفراء: إنما قيل: «معدودة» لِيُسْتَدَلَّ بها على القلة. وقال ابن قتبية: أي: سيرة، سهل عددها لقلتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزِنُونَ أقل من أربعين درهماً، وقيل: إنما لم يَزِنُوها لزهدهم فيه. وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال: أحدها: عشرون درهماً، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، ووهب بن منبه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: عشرون درهماً وحلّة، ونعلان، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: اثنان وعشرون درهماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أربعون درهماً، قاله عكرمة في رواية، وابن إسحاق. الخامس: ثلاثون درهماً، ونعلان، وحلّة، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إما أن تُقَرَّلَ لنا بالعبودية، وإما أن نأخذك منهم فنقتلك، قال: بل أقر لكم بالعبودية، ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه. قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشتروا به نعالاً وخفافاً. وكان بعض الصالحين يقول: والله ما يوسف - وإن باعه أعداؤه - بأعجب منك في بيعك نفسك بشهوة ساعية من معاصبك.

قوله تعالى: ﴿وَكَاَنُوا فِيهِ مِنَ الْآزِيدِينَ﴾ الزهد: قلة الرغبة في الشيء. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنهم إخوانه، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. وفي علّة زهدهم قولان: أحدهما: رداؤه. والثاني: أنهم قصدوا بُعد يوسف، لا الثمن. والثاني: أنهم السيارة الذين اشتروه. وفي علّة زهدهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ارتابوا لقلّة ثمنه. والثاني: أن إخوانه وصفوه عندهم بالخيانة والإباق. والثالث: لأنهم علموا أنه حر.

﴿وَقَالَ الْكَلْبُ اشْتَرَيْتَنِي مِنْ قُرَيْشٍ لِمَرْكَبِهِمْ أَكْرَمِي مَوْلَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَمَا أَوْ يَنْجِذُوا وَلَكِنَّكَ مَكْنَأٌ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ اشْتَرَيْتَنِي مِنْ قُرَيْشٍ﴾ قال وهب: لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً، وزنه ورقاً، وزنه حبراً، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين ديناراً، وزوجني نعل، وثوبين أبيضين، فلما رجع إلى منزله قال لامرأته: أكرمي مثواه. وقال قوم: اسمه أطفير. وفي اسم المرأة قولان: أحدهما: راعيل بنت راعيل، قاله ابن إسحاق. والثاني: أزيلخا بنت تملیخا، قاله مقاتل. قال ابن قتبية: «أَكْرَمِي مَوْلَاهُ» يعني أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان: إذا أقمت به. وقال الزجاج: أحسنني إليه في طول مقامه عندنا. قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: «أَكْرَمِي مَوْلَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَمَا»، وابنة شعيب حين قالت: «يَكُنَّيْتُ أَسْتَجِرُّهُ» [التقصير: ٢٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر. وفي قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَمَا﴾ قولان: أحدهما: يكفينا إذا بلغ أمورنا. والثاني: بالربح في ثمنه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نَنْجِذَهُمْ وَلَكِنَّا﴾ قال ابن عباس: ننبأه. وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء. قوله تعالى: ﴿وَكذلكَ مَكْنَأٌ لِيُوسُفَ﴾ أي: وكما أنجبناه من إخوانه وأخرجناه من ظلمة الجُبِّ، مكنأً له في الأرض، أي: ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزانها. ﴿وَلَنُعَلِّمَهُ﴾ قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في «ولنعلمه» لفعل مضمر هو المجتلب للام، والمعنى: مكنأً ليوسف في الأرض، واختصاصه بذلك لكي نعلمه من تأويل

الأحاديث. وقد سبق تفسير «تأويل الأحاديث» [يوسف: ٦]. «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَمْرِهِ» في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: أنه غالب على ما أراد من قضائه، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: غالب على أمر يوسف حتى يبلغه ما أراد له، وهذا معنى قول مقاتل. وقال بعضهم: والله غالب على أمره حيث أمر يعقوب يوسف أن لا يقصّ رؤياه على إخوته، فعلموا بها، ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوه، فكادوه، ثم أراد إخوة يوسف قتلَه، فلم يقدروا لهم، ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة فيندرس أمره، فعلا أمره، ثم باعوه ليكون مملوكاً، فغلب أمره حتى ملك، وأرادوا أن يعطفوا أباهم، فأباهم، ثم أرادوا أن يغفروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألغوه على القميص، فلم يخف عليه، ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين فقالوا: «إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» [يوسف: ٩٧]، ثم أرادوا أن يمحوا محبته من قلب أبيه، فإزدادت، ثم أرادت أزيلخا أن تلقي عليه التهمة بقولها: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا» [يوسف: ٢٥]، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها، وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى، فبقي الساقى حتى لبث في السجن بضع سنين.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» قد ذكرنا معنى الأشد في [الأنعام: ١٥٢]، واختلف العلماء في المراد به هاهنا على ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. والثاني: ثمانين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أربعون سنة، قاله الحسن. والرابع: بلوغ الحلم، قاله الشعبي، وربيع، وزيد بن أسلم، وإبنة. الخامس: عشرون سنة، قاله الضحاك. والسادس: أنه من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، قاله الزجاج. والسابع: أنه بلوغ ثمان وثلاثين سنة، حكاه ابن قتيبة. والثامن: ثلاثون سنة، ذكره بعض المفسرين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «آتَيْنَاهُ حُكْمًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقه والعقل، قاله مجاهد. والثاني: النبوة، قاله ابن السائب. والثالث: أنه جعل حكيماً، قاله الزجاج، قال: وليس كل عالم حكيماً، إنما الحكيم: العالم المستعمل علمه، الممتنع به من استعمال ما جهل فيه. والرابع: أنه الإصابة في القول، ذكره الثعلبي. قال اللغويون: الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ، ويمنع منهما، ويرد النفس عما يشينها ويعدو عليها بالضرر، ومنه: حكمة الدابة. وأصل أحكمت في اللغة: منعت، وسمي الحاكم حاكماً، لأنه يمنع من الظلم والزيغ. وفي المراد بالعلم هاهنا قولان: أحدهما: الفقه. والثاني: علم الرؤيا.

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته، نثيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجيه من الهلكة، ونستنقذه من الضلالة فتجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف. وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الصابرون على النوائب. والثاني: المهتدون، روي عن ابن عباس. والثالث: المؤمنون. قال محمد بن جرير: هذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فالمراد به محمد ﷺ، والمعنى: كما فعلت بيوسف بعد ما لقي من البلاء فمكثته في الأرض وآتيته العلم، كذلك أفعل بك وأنجيك من مشركي قومك.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْآيَةُ هُوَ فِي يَتِيمَاهَا عَنْ نَقِيدِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُتُوبَ وَقَاتَ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَكَادَ اللَّهُ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: «وَرَوَدَتْهُ الْآيَةُ هُوَ فِي يَتِيمَاهَا عَنْ نَقِيدِهِ» أي: طلبت منه الواقعة، وقد سبق اسمها. قال

(١) قال ابن جرير الطبري ١٧٧/١٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى يوسف - لما بلغ أشده - حكماً وعلماً. والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر عن رسول الله ﷺ، ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال ﷺ حتى تثبت حجة بوضحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حيثلو.

الزجاج: المعنى: راودته عما أرادته مما يريد النساء من الرجال. ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ ابن كثير: «هَيْتُ لك» بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «هَيْتُ لك» بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وهي مروية عن علي بن أبي طالب. وروى الخُلواني عن هشام عن ابن عامر مثله، إلا أنه همزه. قال أبو علي الفارسي: هو خطأ. وروي عن ابن عامر: «هَيْتُ لك» بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة. قال الزجاج: هو من الهيئة، كأنها قالت: تهيأت لك. وعن ابن محيصن، وطلحة بن مصرف مثل قراءة ابن عباس؛ إلا أنها بغير همز. وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء، وهي قراءة أبي رزين، وحמיד. وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء مع الهمز، وهي قراءة أبي العالية. وقرأ ابن خثيم مثله، إلا أنه لم يهمز. وعن الوليد بن مسلم عن نافع بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن يعمر، والجحدري: «هَيْتُ لك» برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة. وقرأ أبي بن كعب: «ها أنا لك». وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء بغير همز. قال الزجاج: وهو أجود اللغات، وأكثرها في كلام العرب، ومعناها: هلم لك، أي: أقبل على ما أدعوك إليه، وقال الشاعر:

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا<sup>(١)</sup>  
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا

أي: فأقبل وتعال. وقال ابن قتيبة: يقال: هَيْتَ فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به، قال الشاعر:

قَدْ رَابِنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أُنْكَغَا      لَوْ كَانَ مُغْنِيًا بِهَا لَهَيَّا<sup>(٢)</sup>

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله: «هَيْتُ لك» بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: أنها عربية، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخرًا، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تنثية، ولا جمع، ولا تانيث، يقال: لاثنين: هيت لكما، وللجميع: هيت لكم، وللنسوة: هيت لكنن. والثاني: أنها بالسرانية، قاله الحسن. والثالث: بالحوارية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا، يقال: عدت عيادًا ومعاذًا ومعاذة. ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ أي: إن العزيز صاحبي ﴿أَحْسَنَ تَوَكُّلًا﴾، قال: ويجوز أن يكون ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني الله ﷻ ﴿أَحْسَنَ تَوَكُّلًا﴾ أي: تولاني في طول مُقامي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إن فعلت هذا فختت في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم. وقيل: الظالمون هاهنا: الزناة.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهُمْ يَهَا تَوَلَّوْا أَنْ دَمًا بِرُءُوسِهِمْ كَذَلِكَ يُصَرِّفُ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهُمْ﴾ الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته ما لم يواقع. فأما هم أوليها، فقال المفسرون: دعت إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همها على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان من جنس همها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهم بي، وأنت تريد: اختلف الهمين. واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه. قالوا: ورجوعه عما هم به من ذلك خوفًا من الله تعالى يمحو عنه سبب الهم، ويوجب له علو المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: أن

(١) البيتان في مجاز القرآن ١/٣٠٥، والطبري ١٢/١٧٩، والقرطبي ٩/١٦٤، والصحاح، واللسان، والتاج: هيت. وقوله: عتق، أي: ماثلون إليك ومتطرونك.

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٢١٥، واللسان: هيت، والقرطبي ٩/١٦٥، والشرط الثاني في «الصحاح»: هيت. والكرّي: المستأجر.

ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل علمه. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار، فلما أتيها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أرعدت وقالت: إن هذا لعمل ما عملته قط، فممت عنها وأعطيتها المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فزال ثلث الحجر. والحديث معروف<sup>(١)</sup>، وقد ذكرته في «الحدائق»، فعلى هذا نقول: إنما همت، فترقت همتها إلى العزيمة، فصارت مصرّة على الزنى. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهم ذنباً، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يواخذ بما هجس في نفسه، وقد قال ﷺ: «عفي لأمّتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل»<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ: «هلك المصرون»، وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرّق بين حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيواخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزمًا. ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها عليه سيئة»<sup>(٣)</sup>. واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: «قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ لَئِنْ رَجَعْتُ وَقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ نَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية. فإن قيل: فقد سوى القرآن بين الهمتين، فلم فرقتم؟ فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم ترقّت همتها إلى العزيمة، بدليل مرادتها واستلقاتها بين يديه، ولم تعدد همتها مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها، بدليل هربه منها، ويقول: «معاذ الله»، وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم. ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزنى. والقول الثاني: أنها همت به أن يفرشها، وهمّ بها، أي: تمنّاها أن تكون له زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والقول الثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقدم جواب «لولا» عليها، كما يقال: قد كنت من الهالكين، لولا أن فلاناً خلّصك، لكنت من الهالكين، ومنه قول الشاعر:

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ لئن كنت مقتولاً وتسلّم عامرٌ

أراد: لئن كنت مقتولاً وتسلّم عامر، فلا يدعني قومي، فقدم الجواب. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب «لولا» عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، فأما البيت المستشهد به فمن اضطراب الشعراء، لأن الشاعر يضيق الكلام به عند اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره، فيضع الكلمة في غير موضعها، ويقدم ما حكمه التأخير، ويؤخر ما حكمه التقديم، ويعدل عن الاختيار إلى المستقيح للضرورة، قال الشاعر:

جَزَى رُبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بَنَ حَاتِمٍ بِتَرْكِي وَخِذْلَانِي جَزَاءَ مَوْثَرٍ

تقديره: جزى عني عدي بن حاتم ربه، فاضطر إلى تقديم الرب. وقال الآخر:

لَمَّا جَفَا إِخْوَانَهُ مُضْعَبًا أَدَّى بِذَاكَ الْبَيْعِ صَاعًا بِصَاعٍ

أراد: لما جفا مصعباً إخوانه، وأنشد الفراء:

طَلَبًا لَعُرْفِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى بَعْدَمَا تَنَقَّطَتْ بِي دُونَكَ الْأَسْبَابُ

فزاد تاء على «تنقطعت» لا أصل لها ليصلح وزن شعره، وأنشد ثعلب:

(١) هو في «صحيح البخاري» ٣٤٠/٤ و ٣٦٩ و ١٢/٥ و ٣٦٧/٦، ومسلم ٢٠٩٩/٤، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) رواه البخاري ١١٦/٥ و ٤٧٨/١١ ولفظه: «إن الله تجاوز لأمّتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم به». ورواه مسلم ١١٧/١ ولفظه: «إن الله تجاوز لأمّتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به». ورواه أيضاً أصحاب السنن الأربعة، كلهم عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه مسلم ١١٧/١.

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكَّلَكَ شَيْئٌ

فَالزَّمِي الْخَفْضَ وَانْعَمِي تَبَيَّضُضِي<sup>(١)</sup>

فزاد ضاداً لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت، وقال الفرزدق:

هُمَا تَفْلَا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوْنِهِمَا

عَلَى النَّايِحِ الْعَاوِي أَشَدُّ لَجَامِيَا

فزاد وواو بعد الميم ليصلح شعره. ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة، لأنها من ضرورات الشعراء. والقول الرابع: أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمئنته فضربني، ذكره ابن الأنباري. والقول الخامس: أنه هم بالفرار منها، حكاة الثعلبي، وهو قول مردول، أفترأه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها! قال بعض العلماء: كان هم يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء، وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا على خوف منه، وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم، وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيراً لهم، ولكن لثلاث تقنطوا من رحمته. يعني الحسن: أن الحجة للأنبياء ألزم، فإذا قبل التوبة منهم، كان إلى قبولها منكم أسرع. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة أو عملها، إلا يحيى بن زكريا، فإنه لم يهم ولم يعملها»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانٌ رَبِّي﴾ جواب «لولا» محذوف. قال الزجاج: المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به. قال ابن الأنباري: لزنا، فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنى عنه. وفي البرهان ستة أقوال: أحدها: أنه مثل له يعقوب. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: نُودِي: يا يوسف، أتزني فتكون مثل الطائر الذي تنف ريشه فذهب يطير فلم يستطع؟ فلم يعط على النداء شيئاً، فنودي الثانية، فلم يعط على النداء شيئاً، فتمثل له يعقوب فضرب صدره، فقام، فخرجت شهوته من أنامله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاصباً على أنامله، فادبر هارباً، وقال: وحقك يا أبت لا أعود أبداً. وقال أبو صالح عن ابن عباس: رأى مثال يعقوب في الحائط عاصباً على شفتيه. وقال الحسن: مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاصباً على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولداً، إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً، فنقص بتلك الشهوة ولداً. والثاني: أنه جبريل ﷺ. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: مثل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر تنف ريشه! فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب. والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السوءة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك. والرابع: أن الله بعث إليه ملكاً، فكتب في وجه المرأة بالدم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> قاله الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد بن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيه، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> [الإسراء: ٣٢] فقام هارباً، وقامت، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما مكتوب: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فَيْدٌ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقام هارباً، فلما عاد، قال الله تعالى لجبريل: أدرك عبيدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاصباً على كفه أو أصبعه

(١) البيت في «مشكل القرآن» ٢٣٥، و«الطبري» ٢١٤/١، و«أمالى ابن السجري» ١٩٧/١، و«اللسان»: ييض، خفض.

(٢) الحديث في «الطبري» ٣٧٧/٦، ٣٧٨ موقوفاً ومرفوعاً بالفاظ مختلفة، وأورده ابن كثير ٣٦١/١ من رواية ابن أبي حاتم مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وموقوفاً، ووصف المرفوع بأنه غريب جداً، وقال بعد أن ذكر الموقوف: فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع. وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٢ مرفوعاً وموقوفاً أيضاً، وقال: وهو أقوى إسناداً من المرفوع.



وهو يقول: يا يوسف، أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟! وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿أَفْتَرَىٰ هُوَ قَاهِرٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٢٣] فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب: ﴿وَلَوْ عَلَيَكُمُ الْخُطُوبُ ۖ كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [الأنعام: ١٠، ١١]، فانصرفا، فلما عادا عادت وعليها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فولى يوسف هارباً. والخامس: أنه سيده العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب. والسادس: أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنى، روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف يُظن بنبي الله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟! هذا غاية القبح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كذلك أريناه البرهان ﴿لِيَصْرِفَ عَنْهُ الشَّوْءَ﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ ركوب الفاحشة. ﴿إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا اللَّغْوِيِّينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

﴿وَأَسْتَبَيْنَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ يُعَذَّبَ أَلَيْسَ ۚ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ رِيَتْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿وَلَنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ رِيَتْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَيْنَا الْبَابَ﴾ يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي أن تسبق إمساك الباب لئلا يخرج، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلف، فجذبت إليه، فقدت قميصه من دبر، أي: قطعت من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا، ألقيا سيدهما، أي: صادقا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقة بالقول مبرقة لنفسها من الأمر: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ قال ابن عباس: تريد الزنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ أي: ما جزاؤه إلا السجن ﴿أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ تعني الضرب بالسياط، فغضب يوسف حيثئذ وقال: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي﴾. وقال وهب بن منبه: قال له العزيز حيثئذ: أختنتي يا يوسف في أهلي، وغدرت بي، وغررتني بما كنت أرى من صلاحك؟ فقال حيثئذ: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يُعلم به قول الصادق. وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صبياً في المهد، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين. والثاني: أنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شئ القميص من قدامه فأنبت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة. وقال بعضهم: كان ابن خالة المرأة. والثالث: أنه شئ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: «من أهلها». فإن قيل: كيف وقعت شهادة الشاهد هاهنا معلقة بشرط، والشارط غير عالم بما يشرطه؟ فتنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه، فكانه سمع بعض كلام

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٢/١٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعدو قاطعة بأي ذلك من أي، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عاليه.

يوسف وأزليخا، فعلم، غير أنه أوقع في شهادته شرطاً ليلزم المخاطبين قبول شهادته من جهة العقل والتمييز، فكانه قال: هو الصادق عندي، فإن تدبرتم ما أشرطه لكم، عقلتكم قولي. ومثل هذا قول الحكماء: إن كان القدر حقاً، فالحرص باطل، وإن كان الموت يقيناً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق. والجواب الثاني: أن الشاهد لم يقطع بالقول، ولم يعلم حقيقة ما جرى، وإنما قال ما قال على جهة إظهار ما يسنح له من الرأي، فكان معنى قوله: «وشهد شاهد»: أعلم ويؤمن. فقال: الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليوقف على الخائن. فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي في المهد، كان دخول الشرط مصححاً لبراءة يوسف، لأن كلام مثله أعجوبة ومعجزة لا يبقى معها شك.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ﴾ في هذا الرائي والقائل: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ قولان: أحدهما: أنه الزوج. والثاني: الشاهد. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى تمزيق القميص، قاله مقاتل. والثاني: إلى قولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، فالمعنى: قولك هذا من كيدكن، قاله الزجاج. والثالث: إلى السوء الذي دعت إليه، ذكره الماوردي. قال ابن عباس: «إن كيدكن» أي: عملكن «عظيم» تخلطن البريء والسقيم.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ إِلَٰهَكَ ۖ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ المعنى: يا يوسف أعرض. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: وهو الشاهد، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزوج، ذكره جماعة من المفسرين. قال ابن عباس: أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد، واكتمه عليها. وروى الحلبي عن عبد الوارث: «يوسف أعرض عن هذا» بفتح الراء على الخبر. قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: استغفني زوجك لثلاث يعاقبك، قاله ابن عباس. والثاني: توبي من ذنبك فإنك قد أثمت. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إِلَٰهَكَ ۖ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يعني: من المذنبين. قال المفسرون: ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء، وهو قوله: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وفي عددهن قولان: أحدهما: أنهن كن أربعاً: امرأة ساقى الملك، وامرأة صاحب دواته، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب سجنه، قاله ابن عباس. والثاني: أنهن خمس: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة السجان، وامرأة صاحب الدواة، وامرأة الأذن، قاله مقاتل. فأما العزيز، فهو بلغتهم الملك، والفتى بمعنى العبد. قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى. وإنما تكلم النسوة في حقها، طعناً فيها، وتحقيقاً لبراءة يوسف.

قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: بلغ حبه شغاف قلبها. وفي الشغاف أربعة أقوال: أحدها: أنه جلد بين القلب والفرزد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه غلاف القلب، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: ولم يُرد الغلاف، إنما أراد القلب، يقال: شغفت فلاناً: إذا أصبت شغافه، كما يقال: كبده: إذا أصبت كبده، وبطته: إذا أصبت بطنه. والثالث: أنه حبة القلب وسويده. والرابع: أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف، وأنشدوا:

وَكُنْ حَالٌ هَمْ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولُ الشَّغَافِ تَبَنِّيهِ الْأَصَابِعُ<sup>(١)</sup>

ذكر القولين الزجاج. وقال الأصمعي: الشغاف عند العرب: داء يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشراسيف: مقام رؤوس الأصلاع، واحدها: شرسوف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعلي بن الحسين، والحسن

(١) البيت للناطقة الليباني، «ديوانه» ٧٩، و«مجاز القرآن» ٣٠٨/١، و«الطبري» ١٢/١١٠، و«الأمالي» للقاتي ٢٠٥/١، و«السمط» ٤٨٩، و«الصالح»، و«اللسان»، و«التاج»: شغف، و«القرطبي» ١٧٦/٩، و«الخرائفة» ٤٢٩/١.

البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبيدة: «قد شعفها» بالعين. قال الفراء: كأنه ذهب بها كل مذهب، والشَّعَف: رؤوس الجبال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي صَلَافٍ شَيْنٍ﴾ أي: عن طريق الرشد، لحبها إياه. والميين الظاهر. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَهُ عَنْ ثَقْيِهِ فَنُصِصَهُمْ وَلَكِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُورٌ لِّيَصْجَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعني: امرأة العزيز، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهن وعيبن لها، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكرًا، لأنها كانت أطلعتن على أمرها، واستكتمتن، فمكرن وأفشين سرها. والثاني: أنه مكر حقيقة، وإنما قلن ذلك مكرًا بها لتريهن يوسف، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ قال الزجاج: أفعلت من العتاد، وكل ما اتخذته عُدَّةً لشيء فهو عتاد، والعتاد: الشيء الثابت اللازم. وقال ابن قتيبة: أعتدت بمعنى أعدت. فأما المتكأ، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المجلس؛ فالمعنى: هيات لهن مجلسًا، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه الوسائد اللاني يتكئن عليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الزجاج: المتكأ: ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث. والثالث: أنه الطعام، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال ابن قتيبة: يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، قال جميل بن معمر:

فَطَلَلْنَا فِي نَعْمَةٍ وَأَتَّكْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلِيلَةٍ<sup>(١)</sup>

والأصل في هذا أن من دَعَوْتَهُ ليطعم، أعددت له التُّكَّةَ للمقام والطمانينة، فسمي الطعام مُتَّكًا على الاستعارة. قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ، لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، ونُهِيت هذه الأمة عن ذلك<sup>(٢)</sup>. وقرأ مجاهد «مُتَّكًا» بإسكان التاء خفيفة، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الأُتْرُج، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحيى بن يعمر في آخرين، ومنه قول الشاعر:

لَتَشْرَبُ الْإِنَّمُ بِالضُّوَاعِ جَهَارًا وَتَرَى الْمُتَّكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا<sup>(٣)</sup>

يريد: الأُتْرُج. والثاني: أنه الطعام أيضاً، قاله عكرمة. والثالث: أنه كل شيء يُحْرُجُ بالسكاكين، قاله الضحاك. والرابع: أنه الزُّمَّارِدُ<sup>(٤)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. وقد روي عن جماعة أنهم فسروا المتكأ بما فسروا به المتك، فروي عن ابن جريج أنه قال: المتكأ: الأُتْرُج، وكل ما يُحْرُجُ بالسكاكين. وعن الضحاك قال: المتكأ: كل ما يُحْرُجُ بالسكاكين. وفرق آخرون بين القراءتين، فقال مجاهد: من قرأ «مُتَّكًا» بالثقل، فهو الطعام، ومن قرأ بالتخفيف، فهو الأُتْرُج. قال ابن قتيبة: من قرأ «مُتَّكًا» فإنه يريد الأُتْرُج، ويقال: الزُّمَّارِدُ. وأياً ما كان، فإني لا أحسبه سمي مُتَّكًا إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البَثْكَ، فأبدلت الميم منه باء، كما يقال: سَمَدُ رأسه وَسَبَدَه، إذا استأصله، وشر لازم، ولازب، والميم تبدل من الباء كثيراً، لقرب مخرجيهما.

قوله تعالى: ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَجِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ إنما فعلت ذلك، لأن الطعام الذي قدمته لهن يحتاج إلى السكاكين. وقيل: كان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها. قال وهب بن منبه: ناولت كل واحدة منهن أُتْرُجَةً وسكينًا، وقالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت ليوسف: ﴿اخرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾. قال الزجاج: إن شئت ضمنت التاء من قوله: «وقالت»، وإن شئت كسرت، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء، فلثقل

(١) «ديوانه» ١٨٨، و«مشكل القرآن» ١٣٨، و«أساس البلاغة»: قلل، و«الأغاني» ٩٧/٧، و«القرطبي» ١٧٨/٩، و«شرح شواهد المغني» ١٢٦.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أكل وأنا متكأ».

(٣) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٧٨/١٢، و«اللسان»: أنم، و«التاج»: متك.

(٤) الزمَّارِد: الرقاق الملفوف باللحم، وغيره، أو هو شيء يشبه الأُتْرُج. وفي «الطبري»: الزمَّارِد، بدل: الزمَّارِد.

الضمّة بعد الكسرة. ولم يمكنه أن لا يخرج، لأنه بمنزلة العبد لها. وذكر بعض أهل العلم أنها إنما قالت: «أخرج» وأضمرت في نفسها «عليهن»، فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان قد نطق به، ومثله ﴿إِنَّمَا تَلَوْتُمْ لِرَبِّهِمْ آيَاتِ﴾ (الإنسان: ٢٩)، لم يقولوا ذلك، إنما أضمره، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: أخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل. وفي قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ قولان: أحدهما: أعظمته، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حُضِنَ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: حُضِنَ مِنَ الْفَرْحِ، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نَأْتِي النِّسَاءَ لَدَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا  
نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا<sup>(١)</sup>

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، وردّه بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حُضِنَ»، ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمته حُضِنَ، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حَزَزْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وكن يحسن أنهن يقطعن طعاماً، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قطعن أَيْدِيَهُنَّ حتى ألقينها، قاله مجاهد، وقاتدة. والثالث: كَلَمْنَ الْأَكْثُ وَأَبْنُ الْأَنَامِلِ، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿وَقَلْنَ حَسَّ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو «حاشا» بآلف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين: أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:

بِأَيِّ الْحَشَا أُمْسَى الْخَلِيْطُ الْمُبَايِسُ

أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشاً من أن يكون بشراً، لفرط جماله. وقيل: صار في حشاً مما قرفته به امرأة العزيز. وقال ابن عباس، ومجاهد: «حاش لله» بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و«بشراً» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أجبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ﴿مَا هُمُكُنَّ أَهْلُهُنَّ﴾ [المجادة: ٢٢]، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشراً» منصوب، لأنه خبر أقوى اللغات، و«ما» بمنزلة «ليس». قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا بشر» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو السَّوَّار، «ما هذا بشري» بكسر الباء والشين مقصوراً منوناً. قال الفراء: أي: ما هذا بمشترى. وقرأ ابن مسعود: «بشراء» بالمد والهمز مخفوضاً منوناً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ قرأ أبي، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو حيو، والجحدري: «ملك» بكسر اللام. قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال المفسرون: لما ذهلت عقولهن فقطعن أَيْدِيَهُنَّ، قالت لهن ذلك. فإن قيل: كيف أشارت إليه وهو حاضر بقولها: «فذلكن»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أشارت بـ «ذلكن» إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس. والثاني: أن في الكلام إضمار «هذا» تقديره: فهذا ذلكن. ومعنى «لمتني فيه» أي: في حبه. ثم أقرت عندهن، فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَّجْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ. فَاسْتَعْمَمَ﴾ أي: امتنع.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّانِعِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة الجيدة تخفيف «وليكونن» والوقف عليها بالألف، لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربن زيدا، وإذا وقفت قلت: اضربا. وقد قرئت «وليكونن» بتشديد

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٢/٢٥٥، و«القرطبي» ١٢/١٨٠، و«اللسان»: كبر.

النون، وأكرمها، لخلاف المصحف، لأن الشديدة لا يبدل منها شيء والصاغرون: المذلولون.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنِ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ قال وهب بن منبه: لما قالت: «فلذلك الذي لمتني فيه» قلن: لا لوم عليك، قالت: فاطلبن إلى يوسف أن يسعفني بحاجتي، فقلن: يا يوسف افعل، فقالت: لئن لم يفعل لأخلدنه السجن، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾. وقرأ يعقوب: «السَّجْن» بفتح السين هاهنا فحسب. قال الزجاج: من كسر سين «السجن» فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، المعنى: أن أسجن أحب إلي. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: إلّا تعصمني ﴿أَصْبُ إِلَيْنِ﴾ أي: أويل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صبواً وصَبُوءاً وصَبَاءً. وإذا مال. وقال ابن الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهم اصرف عني كيدهن، ولذلك قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾. قال: فإن قيل: إنما كادته امرأة العزيز وحدها، فكيف قال: «كيدهن»؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة في السفن، وهو لم يخرج إلا في سفينة واحدة. والثاني: أن المكثي عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها. والثالث: أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَدْوٍ مَا رَأَى الْأَيَّاتِ لَيْسُجُنَّهُ حَتَّى جِئَ﴾ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَدْوٍ مَا رَأَى الْأَيَّاتِ﴾ في المراد بالآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: جَمَالَهُ وَعِفَّتُهُ، ذكره الماوردي. قال وهب بن منبه: فأشار النسوة عليها بسجنه رجاء أن يستهوينه حين يخلو لهن في السجن، وقلن: متى سجنته قطع ذلك عنك قالة الناس التي قد شاعت، ورأوا أنك تبغضينه، وبذلك السجن لك، فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزد إلا بُعْداً عنها، فلما يشتت، قالت لسيدها: إن هذا العبد قد فضحني، وقد أبغضت رؤيته، فائذن لي في سجنه، فأذن لها، فسجنته وأضرَّتْ به. وقال السدي: قالت: إما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري، وإما أن تحبسه كما حبستني، فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف. قال الزجاج: كان العزيز أمر بالإعراض فقط، ثم تغير رأيه عن ذلك. قال ابن الأنباري: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: «ثم بدا لهم» أي: ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه. والثاني: ثم بدا لهم في يوسف بداء، فقالوا: والله لنسجنه، فاللام جواب يمين مضمرة. فأما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء. الخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

﴿وَوَدَّعَلَ مَعَهُ السِّجْنُ فَتَنَّا قَالِ أَمْ دُهُمَّا إِنَّي أَرْسَيْتُ أَقْصَرَ حَبْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنَّي أَرْسَيْتُ أَحْمَلَ فَوْقَ رَأْسِي حَبْرًا تَأْكُلُ الْكَطِيرَ مِنْهُ نَيْتَنَا وَيَأْوِلِيهِ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الشَّامِصِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعَلَ مَعَهُ السِّجْنُ فَتَنَّا﴾ قال الزجاج: فيه دليل على أنه حُبْس، وإن لم يُذكر ذلك. و «فتيان» جائر أن يكونا حَدَثَيْنِ أو شَيْخَيْنِ، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: «فتيان» لأنهما كانا مملوكين، والعرب تسمي المملوك فتى، شاباً كان أو شيخاً. قال المفسرون: عُمرُ ملك مصر فملَّوه، فدسُّوا إلى خبَّازِه وصاحب شرابه أن يسامه، فبلغه ذلك فحبسهما، فكان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين: هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني. واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت كذباً، وإنما سألاه تجريباً، قاله ابن مسعود، والسدي. والثاني: أنها كانت صدقاً، قاله مجاهد، وابن إسحاق. والثالث: أن الذي صُلبَ منهما كان كاذباً، وكان الآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ يعني الساقى ﴿إِنِّي أَرَيْتُ﴾ أي: في النوم ﴿أَنصُرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً. وفي تسمية العنب خمرًا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه، لأن المعنى لا يلتبس، كما يقال: فلان يطبخ الآجر ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللين ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري: وإنما كان كذلك، لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل، كقولهم: فلان يطبخ آجرًا. والثاني: أن الخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب، قاله الضحاك، والزجاج. قال ابن القاسم: وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. والثالث: أن المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٤٨٢]. قال أبو صالح عن ابن عباس: رأى يوسف ذات يوم الخباز والساقى مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ قالا: رأينا رؤيا، قال: قُصَّاهَا عَلَيَّ، قال الساقى: إني رأيت كأنني دخلت كرمًا فجنيت ثلاثة عناقيد عنب، فعصرتهن في الكأس، ثم أتيت به الملك فشربه، وقال الخباز: رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلامن فأكل منها، ﴿نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: أخبرنا بتفسيره. وفي قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنه كان يعود المرضى ويداويهم ويعزي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: إنا نراك محسنًا إن أنبأتنا بتأويله، قاله ابن إسحاق. والثالث: إنا نراك من العالمين قد أحسنت العلم، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفًا، كما حذف في قوله: ﴿وَفِيهِ يَصْمِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] يعني العنب والسمسم. وإنما علموا أنه عالم، لنشره العلم بينهم. والرابع: إنا نراك ممن يحسن التأويل، ذكره الزجاج. والخامس: إنا نراك محسنًا إلى نفسك بلزومك طاعة الله، ذكره ابن الأنباري.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ﴾ وَمَا عَلَيْنَا مِنَ الشُّرْكِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَزُولُ فِيهِ الْحَمْدُ وَلَهُ الْحُكْمُ إِنَّكُمْ إِلَهُاتٌ دُونَهُ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَأَنبَأَتْ بِلَهُ مَا بَاءَتْ بِزَيْمَةٍ وَأَسْحَقُ بِتَفْهُوتٍ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَفَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ بِصَحِيحِ الْجَنَّةِ مَا زَيَّابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما، لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى عليه السلام، وهو قول الحسن. والثاني: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في المنام إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتیکما في اليقظة، هذا قول السدي. قال ابن عباس: فقالا له: وكيف تعلم ذلك، ولست بساحر، ولا عراف، ولا صاحب نجوم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. فإن قيل: هذا كله ليس بجواب سؤالهما، فأين جواب سؤالهما؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاها إلى نصيبهما من الآخرة، قاله قتادة. والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما، قاله ابن جريج. والثالث: أنه ابتداء بدعائهما إلى الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، قاله الزجاج. والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليعرض عن مطالبة بالجواب، فلما ألحأ أجابهما، ذكره ابن الأنباري. فاما الملة فهي الدين. وتكرير قوله: ﴿هُمَّ﴾ للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: أن الله عصمنا من الشرك. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أتباعنا الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: ذلك من فضل الله علينا، أن جعلنا أنبياء ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أن بعثنا إليهم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ من أهل مصر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤخذونه.

قوله تعالى: ﴿مَّا زَيَّابٌ مُتَّفِقُونَ﴾ يعني: الأصنام من صغير وكبير ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أعظم صفة في المذبح ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام؟ فاما الواحد، فقال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة، فإن كل شيء سواء يُدعى واحداً من جهة، غير واحد من جهات، والواحد لا يثنى من لفظه، لا يقال: واحداً. والقهار: الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره: القهار: الذي قهر كل شيء فذلَّه، فاستسلم وذلَّ له.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُهَا أُثَرٌ وَابَاقُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْكُفْرُ إِلَّا أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْنَعِي السِّجْنِ إِنَّمَا أَحَدُكُمْ فَتَسْقِي رَبِّهِ حَمْرًا وَإِنَّمَا الْآخَرُ فِضْلٌ فَتَأْكُلُ الظِّلُّ مِنْ رَأْسِهِ فَبُذِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إنما جمع في الخطاب لهما، لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما. وقوله: ﴿من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ يعني: الأرباب والآلهة، ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام، فكانها أسماء فارغة، فكانهم يعبدون الأسماء لأنها لا تصح معانيها. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة لعبادتها. ﴿إِنْ الْكُفْرُ إِلَّا أَمْرٌ﴾ أي: ما القضاء والأمر والنهي إلا له. ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ أي: المستقيم، يشير إلى التوحيد. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أنه لا يجوز عبادة غيره. والثاني: لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَحَدُكُمْ فَتَسْقِي رَبِّهِ حَمْرًا﴾ الرب هاهنا: السيد. قال ابن السائب: لما قص الساقى رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما رأيت! أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضاءها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز: بش ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة أيام، ثم يبعث إليك الملك عند انقضاءهن، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿فَبُذِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: فرغ منه، وسيقع بكما، صدقتما أو كذبتما. فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه حتم ذلك لوجي آتاه من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: ﴿فَبُذِيَ الْأَمْرُ﴾ دل على أنه بوجي. والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾، قال أصحاب هذا الجواب: معنى «فبُذِيَ الْأَمْرُ»: قُطِعَ الجواب الذي التمسناه من جهتي، ولم يعن أن الأمر واقع بكما. وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنِي الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ يعني الساقى. وفي هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الظن الذي يخالف اليقين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: عند صاحبك، وهو الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً حُبِسَ ظملاً. واسم الملك: الوليد بن الرِيَّان.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَنِي الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف لربه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق. والثاني: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده، قال مجاهد، ومقاتل، والزجاج، وهذا نسيان عمد، لا نسيان سهو، وعكسه القول الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ أي: غير ما كان قد لبث قبل ذلك، عقوبة له على تعلقه بمخلوق. وفي البضع تسعة أقوال: أحدها: ما بين السبع والتسع، روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب<sup>(١)</sup> قريشاً عند نزول: ﴿الْعَمَّ ۖ فَلَبِثَ الْأَرْبَعُ ۖ﴾ [الروم: ١، ٢٢]، قال له رسول الله ﷺ: «ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع إلى التسع»<sup>(٢)</sup>. والثاني: اثنتا عشرة سنة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: أنه ما بين الخمس إلى السبع، قاله الحسن. والخامس: أنه ما بين الأربع إلى التسع، قاله مجاهد. والسادس: ما بين الثلاث إلى التسع، قاله الأصمعي، والزجاج. والسابع: أن البضع يكون بين الثلاث والتسع والعشر، قاله قتادة. والثامن: أنه ما دون العشرة، قاله الفراء، وقال الأخفش: البضع: من واحد إلى عشرة. والتاسع: أنه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يعني ما بين الواحد إلى الأربعة. وروى الأثرم عن أبي عبيدة: البضع: ما بين ثلاث

(١) ناحب: راهن، والمناجاة: المرافعة. قال الجمعي: وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك (أي: الرهان).

(٢) «المستد» ١٦٨/٤ وإسناده صحيح، و«الطبري» ١٧/٢١، والترمذي ١٥٠/٢، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.



وخمس. وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال: أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربع عشرة، قاله الضحاك. والثالث: سبع سنين، قاله قتادة. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: «أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»، قيل له: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلاً؟ لأطيلن حبسك، فبكى، وقال: يا رب، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُ لِلرُّؤْيَا مُعْذِرٌ﴾ (٤٣)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ يعني ملك مصر الأكبر ﴿إِنِّي أَرَى﴾ يعني في المنام، ولم يقل: رأيت، وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل: أرى، بمعنى رأيت. قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حبسه، دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشّره بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه، فلما أمسى الملك من ليلته، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذنابهن فأكلنهن إلى القرنين، ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن، ولم يزد في اليابسات شيء، فدعا أشرف قومه فقصها عليهم، فقالوا: «أَصْنَعْتَ أَكْثَرًا». قال الزجاج: والعجاف: التي قد بلغت في الهزال الغاية. والملا: الذين يُرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم، واللام في قوله: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ دخلت على المفعول للتبيين، المعنى: إن كنتم تعبرون. ثم بين باللام فقال: «الرؤيا». ومعنى عبرت الرؤيا وعبرتها: أخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها، واشتقاقه من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل عبرت النهر: بلغت إلى عبره، أي: إلى شطه، وهو آخر عرضه. وذكر ابن الأنباري في اللام قولين: أحدهما: أنها للتوكيد. والثاني: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى: إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا.

﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرًا وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِكُلِّينَ﴾ (٤٤)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرًا﴾ قال أبو عبيدة: واحداً ضغث، مكسورة، وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات، تُجمع من الرؤيا كما يُجمع الحشيش، فيقال: ضغث، أي: ملء كف منه. وقال الكسائي: الأضغاث: الرؤيا المختلطة. وقال ابن قتيبة: «أضغاث أحلام» أي: أخلاط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل، فيكون فيها ضروب مختلفة. وقال الزجاج: الضغث في اللغة: الحزمة والباقة من الشيء، كالبلق وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أخلاط أضغاث، أي: حزم أخلاط، ليست برويا بيّنة، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِكُلِّينَ﴾ أي: ليس للرؤيا المختلة عندنا تأويل. وقال غيره: وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بالعين. والأحلام جمع حلم، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح وما يبطل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥) يُؤسِّفُ أَيُّهَا الضَّيِّقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَمَّا هُمْ يَمْلِكُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعني الذي تخلص من القتل من الفتيين، وهو الساقى، وهو الساقى، أي: تذكر شأن يوسف وما وصّاه به. قال الزجاج: وأصل اذكر: اذكر، ولكن التاء أبدلت منها الدال، وأدغمت الدال في الدال. وقرأ الحسن: وادكر، بالذال المشددة. وقوله: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين، وهو الزمان الذي لبثه يوسف بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابن عباس، والحسن «بعد أمة» أراد: بعد نسيان. فإن قيل: هذا يدل على أن الناسي في قوله: ﴿فَأَسْنَسُهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾ هو الساقى، ولا شك أن من قال: إن الناسي يوسف يقول: لم ينس الساقى. فالجواب: أن من قال: إن يوسف نسي، يقول: معنى قوله: «وادكر» ذكر، كما تقول العرب: احتلب بمعنى حلب، واغندى بمعنى غدا، فلا يدل إذاً على نسيان سبقه. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: إنما لم يذكر الساقى خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تأويل رؤياه، خوفاً من أن يكون ذكره ليوسف سبباً لذكره الذنب الذي من أجله حبس، ذكر هذا الجواب ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنبَأْتُكَ بِمَا إِلَيْهِ﴾ أي: من جهة يوسف ﴿فَارْسُلُونِي﴾ أثبت الياء فيها وفي ﴿وَلَا تَقْرَؤُنَّ﴾ [يوسف: ٦٠] ﴿أَنْ تُنَادُوا﴾ [يوسف: ٩٤] يعقوب في الحالين، فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطب أتباعه. وفي الكلام اختصار، المعنى: فارسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق. والصديق: الكثير الصدق، كما يقال فستيق، وسكير، وقد سبق بيانه [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَاهُ إِلَى النَّاسِ﴾ يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه. وفي قوله: ﴿لَمَّا هُمْ يَمْكُثُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون تأويل رؤيا الملك. والثاني: يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك. وذكر ابن الأنباري في تكرير «لعل» قولين: أحدهما: أن «لعل» الأولى متعلقة بالإفتاء، والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاها بمعنى «كي». والثاني: أن الأولى بمعنى «عسى»، والثانية بمعنى «كي» فأعيدت لاختلاف المعنيين، وهذا هو الجواب عن قوله: ﴿لَمَّا هُمْ يَمْكُثُونَ إِذَا أَنْفَكُوا إِلَيْكَ أَهْلَهُمْ لَمَّا هُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]. قال المفسرون: كان سيده العزيز قد مات، واشتغلت عنه امرأته. وقال بعضهم: لم يكن العزيز قد مات، فقال يوسف للساقى: قل للملك: هذه سبع سنين مُخْصِبَات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يُحْتَالَ لهن، فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يُصْنَع؟ فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «دَابًّا» ساكنة الهمزة، إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهزأها. وروى حفص عن عاصم «دَابًّا» بفتح الهمزة. قال أبو علي الأكثر في «دَاب» الإسكان، ولعل الفتح لغة، ومعنى «دَابًّا» أي: زراعة متوالية على عادتكم، والمعنى: تزرعون دائبين. فتاب «دَاب» عن «دائبين». وقال الزجاج: المعنى: تدأبون دَابًّا، ودل على تدأبون «تزرعون» والداب: الملازمة للشيء والعادة. فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كان بروحي من الله ﷻ. والثاني: أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك. والثالث: أنه أضمر «إن شاء الله» كما أضمر إخوته في قولهم: ﴿وَنَبِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفُظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، فأضمروا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنه كالآمر لهم، فكانه قال: ازرعوا.

قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ﴾ فإنه أبقى له، وأبعد من الفساد. والشَّداد: المجذبات التي تشتد على الناس. ﴿يَا كُنْ﴾ أي: يُذهبن ما قدمتم لهن في السنين المخصبات، فوصف السنين بالأكل، وإنما يؤكل فيها، كما يقال: ليل نائم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَلَا مِمَّا تَحْمِلُونَ﴾ أي: تحززون وتثخرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَصْعَدُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ إن قيل: لِمَ أشار إلى السنين وهي مؤنثة بـ «ذلك»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم: أحدهما: أن السبع مؤنثة، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكر، كقوله: ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْطَفِرَاتٌ يَوْمَ﴾ [المزل: ١٨] فذكر منطفاً لما لم يكن في السماء علم التأنيث، قال الشاعر:

فَلَا مُزْنَةَ وَذَكَتْ وَذَقَهَا

وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا<sup>(١)</sup>

فذكر «أقبل» لما وصفنا. والثاني: أن «ذلك» إشارة إلى الجذب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يَأْتِي النَّاسُ﴾ فيه قولان: أحدهما: يصيبهم الغيث، قاله ابن عباس. والثاني: يثاثن بالخصب. ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَصْعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يصعدون» بالياء. وقرأ

(١) البيت من شعر عامر بن جوين الطائي في «سبويه» ٢٤٠/١، و«معاني القرآن» ١٢٧/١، و«الكامل» ٦٦٠/١، و«شرح شواهد المغني» ٣١٩، و«الخرقة» ٢١/١، ٢٢.

حمزة، والكسائي بالتاء، فوجَّها الخطاب إلى المستفتين. وفي قوله: «يعصرون» خمسة أقوال: أحدها: يعصرون العنب والزيت والشرات، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والجمهور. والثاني: «يعصرون» بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: تفسير «يعصرون» يحتلبون الألبان لِسَعَةِ خَيْرِهِمْ وَأَسَاعِ خَصِيمِهِمْ، واحتج بقول الشاعر:

فَمَا عِصْمَةُ الْأَغْرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ

طَعَامٌ وَلَا دَرٌّ مِنَ الْمَالِ يُفْصَرُ

أي: يُحْلَب. والثالث: ينجون، وهو من العَصْر، والعَصْر: النجاء، والعَصْرَة: المنجاة. ويقال: فلان في عَصْرَة: إذا كان في حصن لا يُقَدَّر عليه، قال الشاعر:

صَادِيحًا يَسْتَنْغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ

أي: غيائًا للمغلوب المقهور، وقال عدي:

لَوْ يَغْيِرُ الْمَاءُ حَلْقِي شَرِقٌ

هذا قول أبي عبيدة. والرابع: يصيبون ما يحبون، روي عن أبي عبيدة أيضاً أنه قال: المعتصر: الذي يصيب الشيء ويأخذه، ومنه هذه الآية. ومنه قول ابن أحمر:

فَإِنَّمَا الْمَغْيِشُ بِرِيَايِهِ

والخامس: يعطون ويفضلون لِسَعَةِ عَيْشِهِمْ، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة. وقرأ سعيد بن جبير: «يُعْصَرُونَ

بضم الياء وفتح الصاد. وقال الزجاج: أراد: يُمَطَّرُونَ من قوله: ﴿وَأَرْزَلْنَا مِنْ الْمُعْمِرِينَ مَا بَعَثْنَا﴾ [النبا: ١٤].

﴿وَقَالَ لِلِكِ أَتُونِي يَوْمَ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ مَثَلَهُ مَا بِالِ الْنِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ لِيْهِنَّ إِنْ رَبِّي يَكْفِيهِنَّ عِلْمٌ﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِي مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّنَّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلِكِ أَتُونِي يَوْمَ﴾ قال المفسرون: لما رجع الساقى إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صحة ما قال، فقال: اتنوني بالذي عبر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبى أن يخرج حتى تبين براءته مما قُرف به، فقال: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ يعني الملك ﴿مَثَلَهُ مَا بِالِ الْنِسْوَةِ﴾ وقرأ ابن أبي عبيدة: «النسوة» بضم النون، والمعنى: فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وإنما أشفق أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: ﴿إِنْ رَبِّي يَكْفِيهِنَّ عِلْمٌ﴾ أنه يعني الله تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم براءتي. وقد روي عن نبينا ﷺ أنه استحسّن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج، فقال ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ [ابن الكريم] يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبت»<sup>(١)</sup>. وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال: أحدها: أنه خلطها بالنسوة، لحسن عشرة فيه وأدب، قاله الزجاج. والثاني: لأنها زوجة ملك، فصانها. والثالث: لأن النسوة شاهدات عليها له. والرابع: لأن في ذكره لها نوع تهمة، ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي. قال المفسرون: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكن وقصتنكن ﴿إِذْ رَوَدُّنَّ يُوسُفَ﴾. فإن قيل: إنما راودته واحدة، فلم جمعهن؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه جمعهن في السؤال ليعلم عين المارودة. والثاني: أن أزليخا راودته على نفسه، وراوده باقي النسوة على القبول منها. والثالث: أنه

(١) البيت لأبي زيد الطائي من قصيدة يرثي بها اللجاج ابن أخته وكان من أحب الناس إليه، وهو في «الطبري» ٢٣٣/١٢، ومجاز القرآن ٣١٣/١، واللائقصاب ٣٩٠، والقرطبي ٢٥٥/٩، واللسان: عصر.

(٢) البيت لمعدي بن زيد، في «الكتاب» ٤٦٢/١، ومجاز القرآن ٣١٤/١، والجمهرة ١٥٤/٢، واللسان، والتاج: عصر، والعيني ٤٥٤/٤، وشواهد المعني ٢٥٥، والمخزاة ٥٩٤/٣ و٤٦٠/٤، ٥٢٤.

(٣) «الترمذي» ١٣٩/٢ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن. ورواه البخاري ٢٧٧/٨، عن أبي هريرة بهذا الصدد بلفظ: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». ورواه مسلم ١٣٣/١ و١٨٣٩/٤ بنحو حديث البخاري.

جمعهم في الخطاب، والمعنى لواحدة منهم، لأنه قد يوقع على النوع وصف الجنس إذا أمن من اللبس، يدل عليه قول النبي ﷺ للنساء: «إِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>، فجمعهم في الخطاب والمعنى لبعضهم، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿قُلْتُ كَيْفَ لِلَّهِ﴾ قال الزجاج: قرأ الحسن بتسكين الشين، ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز، لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز، ولا هو من كلام العرب. فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من سوء، فقالت امرأة العزيز: ﴿أَلَمْ تَكُنْ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من الحصّة، أي: بانت حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل. وقال ابن القاسم: «حصص» بمعنى وضع وانكشف، تقول العرب: حصص البعير في بروكه: إذا تمكن، وأثر في الأرض، وفرّق الحصى. وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان: أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برّأته، قالت: لم يبق إلا أن يُقبل عليّ بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء. والثاني: أنها أظهرت التوبة وحقت صدق يوسف، قاله الماوردي.

﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال مقاتل: «ذلك» بمعنى هذا. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع وأشباهه، لقرب الخير من أصحابه، فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا، ولما كان متقضياً، أمكن أن يشار إليه بذلك، ون المتقضي كالفائز. واختلفوا في القائل لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئاً ثم تصله بالحكاية عن آخر، ونظير هذا قوله: ﴿يُؤَيِّدُ بِنَاصِيكَ﴾ [الاعراف: ١١٠] هذا قول الملا: ﴿مَتَّاعًا تَأْمُرُونَ﴾ قول فرعون. ومثله: ﴿وَجَعَلُوا آيَةً أَهْلِيهَا آيَةً﴾ [النمل: ٣٤] هذا قول بلقيس: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قول الله تعالى. ومثله: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفَدًا﴾ [يس: ٥٢] هذا قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ وإنما يجوز مثل هذا في الكلام، لظهور الدلالة على المعنى واختلفوا، أين قال يوسف هذا؟ على قولين: أحدهما: أنه لما رجع الساقى إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك، قال حينئذ: «ذلك ليعلم»، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن جريج. والثاني: أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردّي رسول الملك، ليعلم. واختلفوا في المشار إليه بقوله: «ليعلم» وقوله: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أنه العزيز، والمعنى: ليعلم العزيز أنني لم أخنه في امرأته «بِالْغَيْبِ» أي: إذا غاب عني، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. والثاني: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الملك، والمشار إليه بقوله: «لم أخنه» العزيز، والمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز في أهله بالغيب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن المشار إليه بالشيئين، الملك، فالمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخنه، يعني الملك أيضاً، بالغيب. وفي وجه خيانة الملك في ذلك قولان: أحدهما: لكون العزيز وزيره، فالمعنى: لم أخنه في امرأة وزيره، قاله ابن الأنباري. والثاني: لم أخنه في بنت أخته، وكانت أزليخا بنت أخت الملك، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الله، فالمعنى: ليعلم الله أنني لم أخنه، روي عن مجاهد، قال ابن الأنباري: نَسَبَ العلم إلى الله في الظاهر، وهو في المعنى للمخلوقين، كقوله: ﴿حَقٌّ تَمَّزَ الْجَاهِلِينَ مَكْرُ﴾ [محمد: ٣١]. فإن قيل: إن كان يوسف قال هذا في مجلس الملك، فكيف قال: «ليعلم» ولم يقل: لتعلم، وهو يخاطبه؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه كان حاضراً عند الملك، فإنما أثر الخطاب بالياء توقيراً للملك، كما يقول

(١) هذه قطعة من حديث طويل رواه البخاري ٣٤٥/١ من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «إني أرى أكثر أهل النار»، و«مسلم» ٨٦/١ من حديث عبد الله بن عمر، ولفظ مسلم بتمامه: «في معشر النساء تصلفن وأكثرن من الاستغفار، فإني أرى أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهم جزلة (ذات عقل وراي): وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب متكبر» قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهنا نقصان العقل، وتمتكت اللبالي ما تصلي، وتقطر في رمضان، فهنا نقصان الدين».

الرجل للوزير: إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي. وإن قلنا: إنه كان غائباً، فلا وجه لدخول التاء، وكذلك إن قلنا: إنه عنى العزيز، والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئذ. والقول الثاني: أنه قول امرأة العزيز، فعلى هذا يتصل بما قبله، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه. والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته، حكى القولين الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمُكَابِرِينَ﴾ قال ابن عباس: لا يصوب عمل الزناة، وقال غيره: لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبته.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذِهِ أَسْتَلْظِمُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَمِينُ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْمَلُنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيصٌ عَلَيْهِ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُفِصِلُ بِهِ رَحْمَتَنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ﴾ في القائل لهذا ثلاثة أقوال، وهي التي تقدمت في الآية قبلها. فالذين قالوا: هو يوسف، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه لما قال: ﴿يَلْمَزُ أَيُّ لَمْ أُخْشَ بِالْغَيْبِ﴾ غمزه جبريل، فقال: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن يوسف لما قال: «لم أخنه» ذكر أنه قد همّ بها فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال ذلك، خاف أن يكون قد زغى نفسه، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله الحسن. والرابع: أنه لما قاله، قال له الملك الذي معه: اذكر ما هممت به، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله قتادة. والخامس: أنه لما قاله، قالت امرأة العزيز: ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله السدي. والذين قالوا: هذا قول امرأة العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي أني كنت راودته. والذين قالوا: هو العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف، لأنه قد خطر لي.

قوله تعالى: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ويعقوب إلا رويساً: «بالسوء إلا» بتحقيق الهمزتين. وقرأ أبو عمرو، وابن شبنوذ عن قبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى. وروى نظيف عن قبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياءً. وقرأ أبو جعفر، وورش، ورويس بتحقيق الأولى وتلين الثانية بين بين، مثل: «السُّوءَ عَلَاً». وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى وواواً، وأدغمها في الواو التي قبلها، فتصير وواواً مكسورة مشددة قبل همزة «إلا».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ قال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد. قال أبو صالح عن ابن عباس: المعنى: إلا من عصم ربي. وقيل: «ما» بمعنى «من». قال الماوردي: ومن قال: هو قول امرأة العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي في قهره لشهوته، أو في نزوعها عنه. ومن قال: هو قول العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي بأن يكفيه سوء الظن، أو يشبته، فلا يعجل. قال ابن الأنباري: والقول بأن هذا قول يوسف، أصح، لوجهين: أحدهما: لأن العلماء عليه. والثاني: لأن المرأة كانت عابدة وثن، وما تضمنته الآية، أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله ﷻ. وقال المفسرون: فلما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته، قال: ﴿أَتُؤْتِنِي بِهَذِهِ أَسْتَلْظِمُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد. فإن قيل: فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك: «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب»، فكيف قال الملك: «أتؤتيني به» وهو حاضر عنده؟! فالجواب: أن أرباب هذا القول يقولون: أمر الملك بإحضاره ليقفده الأعمال في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل يوسف على الملك، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، كان كلما كلمه بلسان، أجابه يوسف بذلك اللسان، فعجب الملك، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فقال: «إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفافاً، فذكرها له، قال: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزور زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجمع الطعام، فيأتيك الناس فيمتارون، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف: ﴿أَجْمَلُنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: ويريد بقوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قد مكنتك في ملكي واتممتك فيه. وقال مقاتل: المكين: الوجه، والأمين: الحافظ.

قوله تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِينَ﴾ أي: خزائن أرضك. وفي المراد بالخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج. والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: وإنما سأل ذلك، لأن الأنبياء بُعثوا بالعدل، فلعلم أنه لا أحد أقوم بذلك منه. وفي قوله: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: حفيظ لِمَا وَلِّيتَنِي، عليهم بالمجاعة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حفيظ لما استودعني، عليهم بهذه السنين، قاله الحسن. والثالث: حفيظ للحساب، عليهم بالألسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا يَرُدُّونَ على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة. واختلفوا، هل ولَّاهُ الملك يومئذٍ، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولَّاهُ بعد سنة، روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله أخِي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة». وذكر مقاتل أن النبي ﷺ قال: «لو أن يوسف قال إني حفيظ عليهم إن شاء الله، لملك من وقته». قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. وقال أهل السَّيَر: أقام في بيت الملك سنة، فلما انصرفت، دعاه الملك، فتوجَّه، وردَّاهُ بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كِلَّةٌ<sup>(١)</sup> من إسترىق، فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته، وفوَّضَ أمره إليه، وعزل قُطَيفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، ثم إن قُطَيفير هلك في تلك الليالي، فزوَّجَ الملكُ يوسفَ بامرأة قُطَيفير، فلما دخل عليها، قال: أليس هذا خيراً مما تريدِينَ؟ فقالت: أيها الصَّدِيقُ لا تلمني، فإني كنت امرأة حسنة في مُلْكٍ ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنتين، إفرائيم، وميشا، واستوسق له ملك مصر. والقول الثاني: أنه ملكه بعد سنة ونصف، حكاه مقاتل عن ابن عباس. والثالث: أنه سلَّم إليه الأمر من وقته، قاله وهب، وابن السائب. فإن قيل: كيف قال يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تمليكهُ، على ما ذكرنا عن النبي ﷺ. والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمره في قولهم: ﴿وَيَزِيرُ أَهْلَنَا﴾. والثالث: أنه أراد أن حفظي وعلمي يزيدان على حفظ غيري وعلمي، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول، ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟ فالجواب: أنه لما خلا مدحُه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحبيه وجور يطله، كان ذلك جميلاً جائزاً، وقد قال نبينا ﷺ: «أنا أكرم ولد آدم على ربه»<sup>(٢)</sup>، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار». وقال ابن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور في قوله: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: اجعلني على خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فحذف ذلك، لأن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يدل عليه، والمعنى: ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في دفع المكروه عنه، وتخليصه من السجن، وتقريبه من قلب الملك، أقدرناه على ما يريد في أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: ينزل حيث أراد. وقرأ ابن كثير، والمفضل: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَصِيبُ رِجْمَتًا﴾ أي: نخشعُ بنعمتنا من النبوة والنجاة ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَشِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المؤمنين. يقال: إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحُلِيِّهم، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم برقابهم، ثم قال للملك: كيف ترى صنْعَ ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني قد اعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم. وكان يوسف لا يَشِيعُ في تلك الأيام، ويقول: إني أخاف أن أنسى الجائع.

(١) الكِلَّةُ: ستر رقيق يخالط شبه البيت يتوقى فيه من البعوض.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» ٢٠١/٢ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ بِلَفْظٍ: «أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ» وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ جُزْءٌ مِّنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ. وَفِي سَنَدِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «التَّرْغِيبِ»: لَيْسَ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ المعنى: ما نُعطي يوسف في الآخرة، خير مما أُعطيناه في الدنيا، وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر.

﴿وَجَعَلَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ إِخْوَهُ يُوسُفَ﴾ روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فُؤِض الملك إلى يوسف أمر مصر، تَلَفَّف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فأمنوا به وأحبُّوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوبُ ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورافته، فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأقروته مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، فقال: من أين أبلستم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا والله، ولكننا من كنعان، أصابنا الجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخاً، وكنا اثني عشر فأكل أحنذا الذُّب، قال: فمن يعلم صدقكم؟ اتنوني بأخيكم الذي من أبيكم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلَّموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكَلَّمهم ليشبه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بئسكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكننا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، وقد خلفنا عند أبنائنا أخاً له من أمه، فقال: إن كنتم صادقين، فخلِّفوا عندي بعضكم رهناً، واتنوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون. واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين: أحدهما: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما عرفهم حتى تعرَّفوا إليه، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ قال مقاتل: لا يعرفونه. وفي علَّة كونهم لم يعرفوه قولان: أحدهما: أنه جاوزه مقدِّرين أنه ملك كافر، فلم يتأملوا منه ما يزلو به عنهم الشك. والثاني: أنهم عاينوا من زِيَّة وحليته ما كان سبباً لإنكارهم. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لابساً ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب. فإن قيل: كيف يخفى من قد أُعطي نصف الحسن، وكيف يشبهه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقه طفلاً ورأوه كبيراً، والأحوال تتغير، وما توهموا أنه ينال هذه المرتبة. وقال ابن قتيبة: معنى كونه أُعطي نصف الحسن، أن الله جعل للحسن غاية وحدّاً، وجعله لمن شاء من خلقه، إما للملائكة، أو للحرور، فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن، فكأنه كان حُسنًا مقارباً لتلك الوجوه الحسنة، وليس كما يزعم الناس من أنه أُعطي هذا الحسن، وأُعطي الناس كلُّهم نصف الحسن.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتَّقُوا رَبَّ إِنَّ رَبَّكُمْ لَا تَرَوْكَ اتِّقَ أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَّ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ يقال: جهَّزَت القوم تجهيزاً: إذا هيأت لهم ما يصلحهم، وجهاز البيت: متاعه. قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بغيراً، وقال: ﴿لَا تَرَوْكَ اتِّقَ أَوْفَى الْكَيْلِ﴾ أي: أنتم ولا أبخسُ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ يعني: المضيفين، وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يعني به؛ فيما بعد، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال، قاله وهب بن منبه.

﴿قَالُوا سَوَّيْهِ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَنَقُولُ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَّيْهِ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: نطلبه منه، والمرادة: الاجتهاد في الطلب. وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَقُولُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وإنا لجاوؤك به، وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبي. والثاني: أنه توكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضَمِنُوهُ عائداً إلى المرادة، فيصح معنى التوكيد. والثالث: وإنا لمديمون المطالبة به لأبينا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المرادة، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: كيف جاز



ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر من الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر. والثاني: أنه طلبه لا ليحبسه، فلما عرفه قال: لا أفارقك يا يوسف، قال: لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر فظيع، قال: افعل ما بدا لك، قاله كعب. والثالث: أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف. والرابع: ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه. والخامس: ليعجل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته. وكل هذه الأجوبة مدخولة، إلا الأولى، فإنه الصحيح. ويدل عليه ما رويناه عن وهب بن منبه، قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إليّ تعرفني؟! فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: قل ليعقوب: خفت عليه الذنب، ولم تؤمني؟.

﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ اجْعَلُوا يَسْتَفْتِي فِي رِجَالِهِمْ لَمَلَهُمْ بِعَرُوفَتَا إِذَا انْشَلَكُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ لَمَلَهُمْ بِرَجُوعَتِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «لفتيته». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «لِفَتْنِيَّتِهِ». قال أبو علي: الفتية جمع فتى في العدد القليل، والفتيان في الكثير. والمعنى: قال لغلماناه: ﴿اجْعَلُوا يَسْتَفْتِي فِي رِجَالِهِمْ﴾ وهي التي اشتروا بها الطعام ﴿فِي رِجَالِهِمْ﴾، والرحل: كل شيء يُعَدُّ للرحيل. ﴿لَمَلَهُمْ بِعَرُوفَتَا﴾ أي: ليعرفوها ﴿إِذَا انْشَلَكُوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِيهِمْ لَمَلَهُمْ بِرَجُوعَتِ﴾ أي: لكي يرجعوا. وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه تخوَّف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلوا إسماها حتى يردوها، قاله الضحاك. والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فردَّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكمراً وتفضلاً، ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي. والرابع: ليعلموا أن طلبه لتؤدبهم لم يكن طمعاً في أموالهم، ذكره الماوردي. والخامس: أنه أراهم كرمه وبره ليكون ادعى إلى عؤدبهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مِنَّا أَخَاكَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفِظُوكَ﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ سَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾ قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قَدِمْنَا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته. وفي قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ قولان قد تقدم في قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: ٦١]. فإن قلنا: إنه لم يكِلْ لهم، فلفظ «منع» بَيِّن. وإن قلنا: إنه خوفهم منع الكيل، ففي المعنى قولان: أحدهما: حُكِم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت والله النار بما فعلت. والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فتاب «منع» عن «يُمنع» كقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَ﴾ [الهمزة: ٣] أي: يخلده وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْأَنْزَارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِي﴾ [المائدة: ١١٦] أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مِنَّا أَخَاكَ نَكْتَلْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «نكتل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكتل» بالياء. والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعنا الكيل.

قوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: لا أنتمك إلا كامني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه. ﴿فَالله خَيْرُ حَفِظًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «حفظاً»، والمعنى: خير حفظاً من حفظكم. وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «حَبَرٌ حَفِظًا» بالف. قال أبو علي: ونصبه على التمييز دون الحال.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا يَسْتَعْتَبُهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ يَضَعُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَيَنْبِرُ أَهْلُنَا وَنَحْفِظُ أَخَاكَ وَكَذَلِكَ كَيْلٌ بِبَيْتِ ذَلِكَ كَيْلٌ بِبَيْتِ﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِيَ بِهَذَا إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ بِكُمْ فَلَمَّا مَاتَهُ مَوْثِقُهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ يَبْنَؤُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدْ وَأَدْخُلُوا مِنْ الْبَابِ مُتَّفِقِينَ وَمَا أَفْضَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

شَيْءٌ إِلَّا إِلَهَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. قال الزجاج: الأصل «رُودَتْ»، فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وبقيت الراء مضمومة. ومن قرأ بكسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في: قيل، وبيع، ليدل على أن أصل الدال الكسر.

قوله تعالى: ﴿مَا نَبِيٌّ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها استفهام، المعنى: أي شيء نبغي وقد رُدَّتْ بضاعتنا إلينا؟ والثاني: أنها نافية، المعنى: ما نبغي شيئاً، أي: لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه، بل تكفينا هذه في الرجوع إليه، وأرادوا بذلك تطيب قلبه ليأذن لهم بالعود. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والجحدري، وأبو حيوة: «ما تبغي» بالياء، على الخطاب ليعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَيَذِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نجلب لهم الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: مار أهله يميزهم مَيِّراً، وهو مائر لأهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَمْثَانَا﴾ فيه قولان: أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا، قاله الأكثرون. والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِدُّكَ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: وثر بعير، يعنون بذلك نصيب أخيه، لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من جمل بعير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذلك كيل سريع، لا حيس فيه، يعنون: إذا جاء معنا، عَجَّلَ الملك لنا الكيل، قاله مقاتل. والثاني: ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه، قاله الزجاج. والثالث: ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يُثْقَنَا، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوُثِّقَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: تعطوني عهداً أثق به، والمعنى: حتى تحلفوا لي بالله ﴿لَأَتَأْتِيَ بِهٖ﴾ أي: لتردته إلي. قال ابن الأنباري: وهذه اللام جواب لمضمر، تلخيصه: وتقولوا: والله لتأتيني به.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد. والثاني: أن يُحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الإتيان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُ﴾ أي: أعطوه العهد، وفيه قولان: أحدهما: أنهم حلفوا له بحق محمد ﷺ ومنزلته من ربه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم حلفوا بالله تعالى<sup>(١)</sup>، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشهيد. والثاني: كفيل بالوفاء، رُوي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِيدٍ﴾ قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: «لا تدخلوا» يعني مصر «من باب واحد». وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولي جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه خاف أن يُغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من النهمة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة، قاله إبراهيم النخعي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لن أدفع عنكم شيئاً قضاه الله، فإنه إن شاء أهلككم متفرقين، ومصدقه في الآية التي بعدها ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادته أن

(١) وهو الذي عليه أكثر المفسرين.

يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم. قال الزجاج: «إلا حاجة» استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها. قال ابن عباس: «قضاها» أي: أبداها وتكلم بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَ لَدُو عِلْمٍ لَنَا عَلَيْنَهُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإنه لدو علم أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: وإنه لعامل بما علم، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: سمي العمل علماً، لأن العلم أول أسباب العمل. والرابع: وإنه لمتيقن لوعدها، قاله الضحاك. والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب. والسادس: وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بني إلا ما قضاه الله، قاله مقاتل. والسابع: وإنه لدو علم لتعليمنا إياه، قاله الفراء.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَعْهَادَهُ قَالَ إِنَّهُ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني إخوته ﴿ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَعْهَادَهُ﴾ يعني بنيامين، وكان أخاه لأبيه وأمه، قاله قتادة، وضمه إليه وأنزله معه. قال ابن قتيبة: يقال: آوَيْتُ فلاناً إليّ، بمد الالف، إذا ضممته إليك، وأوَيْتُ إلى بني فلان، بقصر الالف: إذا لجأت إليهم. وفي قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ أَنَا أَخُوكَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالباب، وأدخل أخاه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: بنيامين، قال: فما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوي، فوثب إليه فاعتنقه، فقال: «إني أنا أخوك»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال ابن إسحاق: أخبره أنه يوسف. والثاني: أنه لم يعترف له بذلك، وإنما قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب بن منبه. وقيل: إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حياً لأجلستني معه، فضمه يوسف إليه، وقال: إني أرى هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته. فلما جاء الليل، نام كل اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسف: هذا ينام معي. فلما خلا به، قال: هل لك أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي فهلك، فقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال: أيها الملك، ومن يجد أحماً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: ﴿إِنَّهُ أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ قال قتادة: لا تأس ولا تحزن، وقال الزجاج: لا تحزن ولا تستكبر. قال ابن الأنباري: «تبئس»: تقتل، من البؤس، وهو الضرُّ والشدة، أي: لا يلحقنك بؤس بالذي فعلوا.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدهما أبي أمهم للأصنام، فقال: لا تبئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرقونك، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ

لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَضْنَعًا

وقال آخر:

فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذُبَايِحَ

وَانْصَحَ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا

أراد: فقد كان، وهذا مذهب مقاتل. والثالث: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبينا عنا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَمَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَقْدِيرُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلَيْسَ جَاءَ بِهِ جَدْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ قال المفسرون: أوفى لهم الكيل، وحمل لـ «بنيامين» بعيراً باسمه كما حمل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع، فهما اسمان واقعان على شيء واحد، كالبُرِّ والحنطة، والمائدة والخوان. وقال بعضهم: الاسم الحقيقي: الصواع، والسقاية وصف، كما يقال: كوز، وإناء، فالاسم الخاص: الكوز. قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لثلاث أكال بغيره. وقيل: كال لإخوته بذلك، إكراماً لهم. قالوا: ولما ارتحل إخوة يوسف وأمعنوا، أرسل الطلب في أثرهم، فأدركوا وحبسوا، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قال الزجاج: أعلم مُعْلَم، يقال: أذنته بالشيء، فهو مؤذن به، أي: أعلمته، وأذنت: أكثرت الإعلام بالشيء، يعني: أنه إعلام بعد إعلام. ﴿إِنَّهَا

الْعَيْرُ يريد: أهل العير، فأنت لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتيبة: العير: القوم على الإبل. فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الحب، قاله الزجاج. والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير. والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف. والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِرُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي: عند نفسك، لا عندنا، وقول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»<sup>(١)</sup> أي: قال قولاً يشبه الكذب، وليس به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: على المؤذن وأصحابه. والثاني: أقبل المنادي ومن معه على إخوة يوسف بالدعوى. ﴿مَاذَا نَقُودُكَ﴾ ما الذي ضلّ عنكم؟ ﴿قَالُوا نَقُودُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصاع يذكر ويؤنث. وقد قرئ: «صياح» بياء، وقرئ: «صَوْع» بغين معجمة، وقرئ: «صَوْع» بعين غير معجمة مع فتح الصاد، وضمها، وقرأ أبو هريرة: «صاع الملك» وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد، إلا أن الصوغ، بالغين المعجمة، مصدر صغت، وُصف الإناث به، لأنه كان مصوغاً من ذهب. واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان قدحاً من زبرجد. والثاني: أنه كان من نحاس، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه كان شربة من فضة مرصعة بالجواهر، قاله عكرمة. والرابع: كان كأساً من ذهب، قاله ابن زيد. والخامس: كان من مس<sup>(٢)</sup>، حكاه الزجاج. وفي صفة قولان: أحدهما: أنه كان مستطيلاً يشبه المكوك. والثاني: أنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: ﴿وَلَمِنْ جَلَّةٍ بِيَوْمٍ﴾ يعني الصواع ﴿جَلَّ بَيْرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا يَوْمَ زَعِيدٍ﴾ أي: كفيّل لمن ردّه بالجمل، بقوله المؤذن.

﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفَيْدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ نُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ﴾ قال الزجاج: «تالله» بمعنى: والله، إلا أن التاء لا يقسم بها إلا في الله ﷻ. ولا يجوز تالرحمن لأفعلن، ولا: تربي لأفعلن. والتاء تُبدل من الواو، كما قالوا في وراث: تراث، وقالوا: يثّرن، وأصله: يوترن، من الوزن. قل ابن الأنباري: أبدلت التاء من الواو، كما أبدلت في التخمة والتراث والشّاه، وأصلهن من الوخمة والوراث والوجاه، لأنهن من الوخامة والوراث والوجه. ولا تقول العرب: تالرحمن، كما قال: تالله، لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله، ولم يكن بالرحمن، فجاءت التاء بدلاً من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يعنون يوسف ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفَيْدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لننظلم أحداً أو نسرق. فإن قيل: كيف حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردّوا الدراهم ولم يستحلّوها، فالمعنى: لقد علمتم أننا ردّدنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كعموا<sup>(٣)</sup> أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق.

(١) انظر حديث الشفاعة الطويل، البخاري ٣٠٠/٨، ومسلم ١٨٤/١. والكذبات الثلاث، قوله: ﴿نَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ تَكْمَلُ كَيْفُتُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة زوجته: «أختي».

(٢) في «اللسان»: المس: النحاس.

(٣) كم البعير: شد فاه، وقيل: شد فاه في هياجه لئلا يعض أو يأكل، والكم: ما كعم به.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿جَزَاءُ مَنْ يُجَدِّ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ أي: يُستعبد بذلك. قال ابن عباس: وهذه كانت سُنة آل يعقوب.

﴿بَدَأَ بِأَنْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وِعَاةِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤَسِّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مَنِ شَاءَ وَتُوقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿بَدَأَ بِأَنْعِيَتِهِمْ﴾ قال المفسرون: انصرف بهم المؤذن إلى يوسف، وقال: لا بد من تفتيش أمتعتكم، ﴿بَدَأَ﴾ يوسف ﴿بِأَنْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أَخِيهِ﴾ لإزالة التهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه، قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نبرح حتى ننظر في رحله، فهو أطيب لنفسك. فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخَرَهَا﴾ وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء. والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج. والثالث: إلى الصواع على لغة من أثته، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: فاقبلوا على بنيامين، وقالوا: أي شيء صنعت؟! فضحتنا وأزريت بأبيك الصديق، فقال: وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالك، وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤَسِّفَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة. والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم. والرابع: دبّرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه. قال ابن الأنباري: لما دبّر الله ليوسف ما دبّر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوته، شبه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في الرماد بالدين هاهنا قولان: أحدهما: أنه السلطان، فالمعنى: في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه القضاء، فالمعنى: في قضاء الملك، لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يُضرب ويُعْرَمُ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبينا أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه، لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب، فأجرى الله على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفاً حتى أظهره بمراده بمشيئة الله، فذلك معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علّة يستحق بها أخاه.

قوله تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مَنِ شَاءَ﴾ وقرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما. وقرأ أهل الكوفة «درجات» بالتثنية، والمعنى: ترفع الدرجات بصنوف العطاء، وأنواع الكرامات، وأبواب العلوم، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى، كما رفعنا يوسف. ﴿وَتُوقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ أي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره. وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه. والثاني: أنه نبّه على تعظيم العلم، وبين أنه أكثر من أن يحاط به. والثالث: أنه تعليم للعالم التواضع للآل يعجب.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَحَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاثِرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَرْثُومَ الْعَزِيزِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَرَاكَ سَيِّئاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَكَادَ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا نَظَرْنَا لِيُؤَسِّفَ﴾ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ يعنون بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون يوسف. قال المفسرون: عوقب يوسف ثلاث مرات، قال للساقى: ﴿أَنْكَرَنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾ فلبث في السجن بضع سنين، وقال للعزیز: ﴿يَسْتَلِمُ إِلَيَّ أَمُّ أَخْتِ وَأَلْقَيْتُ﴾، فقال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أَزِيئُ نَفْسٍ﴾، وقال لإخوته: «إنكم لسارقون»، فقالوا: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾. وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة أقوال: أحدها: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة، فيطعمه للمساكين، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه سرق مكحلة لخالته، رواه أبو مالك عن ابن عباس. والثالث: أنه سرق صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه

في الطريق، فعبره إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير، وهب بن منبه، وقتادة. والرابع: أن عمة يوسف - وكانت أكبر ولد إسحاق - كانت تحضن يوسف تحبه حباً شديداً، فلما ترعرع، طلبه يعقوب، فقالت: ما أقدر أن يغيب عني، فقال: والله ما أنا بباركه، فعمدت إلى منطقة إسحاق، فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها، فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب بذلك، وقالت: والله إنه لي أصنع فيه ما شئت، فقال: أنت وذاك، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذاك الذي عبره به إخوته، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والخامس: أنه جاءه سائل يوماً، فسرق شيئاً، فأعطاه السائل، فعبره بذلك. وفي ذلك الشيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان بيضة، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاة، قاله كعب. والثالث: دجاجة، قاله سفيان بن عيينة. والسادس: أن بني يعقوب كانوا على طعام، فنظر يوسف إلى غرق، فخبأه، فعبره بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعبره إخوته بذلك عند الغضب. والسابع: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عيلة: «فقد سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَفَ يَوْسُفُ فِي تَقْوِيهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا، وهي قوله: ﴿أَنْتَرُ سَرَّ مَكَّانًا﴾، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَّكَ أَحْ لَمْ يَنْ بَقِلْ﴾، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا يكون المعنى: أسرَّ جواب الكلمة فلم يجبهم عليها. والثالث: أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَرُ سَرَّ مَكَّانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: سرُّ صنعاً من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم، قاله ابن عباس. والثاني: سرُّ منزلة عند الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تقولون، قاله مجاهد. والثاني: بما تكذبون، قاله قتادة. قال الزجاج: المعنى: والله أعلم أسرق أخ له، أم لا. وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج الصواع من رحل أخيه، نقر الصواع، ثم أدناه من أذنه، فقال: إن صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فقال بنيامين: أيها الملك، سل صواعك عن أخي، أحي هو؟ ففقره، ثم قال: هو حي، وسوف تراه، فقال: سل صواعك، من جعله في رحلي؟ ففقر، وقال: إن صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت؟ فغضب روبيل، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فإذا مسَّ أحدهم الآخر ذهب غضبه، فقال: والله أيها الملك لنتركنًا، أو لأصيحنَّ صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما في بطنها، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنب روبيل فامسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فقال روبيل: ما هذا؟! إن في هذا البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومن يعقوب؟ فقال: أيها الملك، لا تذكر يعقوب، فإنه إسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله. فلما لم يجدوا إلى خلاص أخيهم سبيلاً، سألوه أن يأخذ منهم بديلاً به، فذلك قوله: ﴿يَكُونُ الْكَافِرُ إِنَّ لَهُ أُمَّ شَيْمًا كَبِيرًا﴾ أي: في سنه، وقيل: في قدره، ﴿فَخَذَ أَحَدًا مَكَانَهُ﴾ أي: تستعبده بدلاً عنه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: فيما مضى. والثاني: إن فعلت. ﴿قَالَ مِمَّا أَتَى﴾ قد سبق تفسيره [يوسف: ٢٣]، والمعنى: أعوذ بالله أن ناخذ بريئاً بسقيم.

﴿فَلَمَّا أَنْتَفَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَافِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّلْتُمْ فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَتِمَّ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ آيَاتُ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ آبَائِكُمْ سَرَقٌ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْتَفَسُوا مِنْهُ﴾ أي: أيسوا. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: يشوا من يوسف أن يخلِّي سبيل أخيه. والثاني: إلى أخيه، فالمعنى: يشوا من أخيه.

قوله تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم، يتناجون ويتناظرون ويتشاورون، يقال: قوم نجى، والجمع أنجية، قال الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَنِي

وَأَضْطَرَيْتُ أَغْتَاقَهُمْ كَالْأَرْشِيَةِ<sup>(١)</sup>  
وإنما وُحِدَ «نجياً» لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للثنتين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. وقال الزجاج: انفردوا متجاجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَيْفَ رُفِّمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كبيرهم في العقل، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يهودا، ولم يكن أكبرهم سناً، وإنما كان أكبرهم سناً روبييل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثاني: أنه كبيرهم في السن وهو روبييل، قاله قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَنتَ أَبَاكَمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ في حفظ أخيكم وردّه إليه ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَا فَطَرْتُ فِي يَوْسُفَ﴾ قال الفراء: «ما» في موضع رفع، كأنه قال: ومن قبل هذا تفریطكم في يوسف، وإن شئت جعلتها نصباً، المعنى: ألم تعلموا هذا، وتعلموا من قبل تفریطكم في يوسف. وإن شئت جعلت «ما» صلة، كأنه قال: ومن قبل فَرَطْتُمْ في يوسف. قال الزجاج: وهذا أجود الوجوه، أن تكون «ما» لغواً.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُنَبِّئَكَ الْآخِرَ﴾ أي: لن أخرج من أرض مصر، يقال: بَرِحَ الرجل بَرَاْحاً: إذا تنَحَّى عن موضعه. ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ بِهَا﴾ قال ابن عباس: حتى يبعث إلي أن أتيه، ﴿أَوْ يَخُذَكَ اللَّهُ تَاباً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أو يحكم الله لي، فيردُّ أخِي عليّ. والثاني: يحكم الله لي بالسيف، فأحارب من حبس أخِي. والثالث: يقضي في أمري شيئاً، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أعدلهم وأفضلهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقٌ﴾ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي: «سُرْق» بضم السين وتشديد الراء وكسرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا يَمًا عِلْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا، لأننا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعنى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً. والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقاتدة، ومكحول. قال ابن قتيبة: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتيك به أنه يسرق فيؤخذ. والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد. والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئاً، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد. والخامس: أن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرّقه، قاله ابن إسحاق. والسادس: ما كنا لغير ابنك حافظين، إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره. والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري. والثامن: لم نعلم أنك تُصَابُ به كما أصبَتْ يوسُف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان.

﴿وَسَقِلَ الْقَرْيَةَ أَتَىٰ كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدُوقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَقِلَ الْقَرْيَةَ﴾ المعنى: قولوا لأبيكم: سل أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: وأهل العير، وكان قد صاحبهم قوم من الكنعانيين. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعير فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء قد تخاطبهم الأحجار والبهائم، فعلى هذا تسلم الآية من إضمار.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَقُصُّوا حِيلَ عَنِّي أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(١) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في «اللسان»: نجا، وروايته فيه: «واضطرب القوم اضطراب الأرشية»، وهو غير منسوب في «مشكل القرآن» ٢٢٠، والقرطبي ٢٤١/٩. قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره: أنه يصف قوماً أتبعهم السير والسفر، فرددوا على ركابهم، واضطربوا عليها، وشد بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها. وقيل: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر المهم.



قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ في الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لم هذا، وقد شرحناه في أول السورة [يوسف: ١٨]. واختلفوا لأي علة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظن أن الذي تخلف منهم، إنما تخلف حيلة ومكرًا ليصدّقهم، قاله وهب بن منبه. والثاني: أن المعنى: سوّلت لكم أنفسكم أن خروجكم بأخيكم يجلب نفعا، فجزّ ضرراً، قاله ابن الأنباري. والثالث: سوّلت لكم أنه سرق، وما سرق. قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر. وقال مقاتل: أقام بمصر يهوذا وشمعون، فأراد بقوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ يعني: الأربعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هَوَ الْأَكْلِيَّةُ﴾ أي: بشدة حزني، وقيل: بمكانهم، ﴿الْكَلِيمُ﴾ فيما حكم علي.

﴿وَوَلَّكَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاسَافُ عَلَى يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)

قوله تعالى: ﴿وَوَلَّكَ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب، وانفرد بحزنه، وهيج عليه ذكر يوسف ﴿وَقَالَ يَاسَافُ عَلَى يُوسُفَ﴾ قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف. قال ابن قتيبة: الأسف: أشد الحسرة. قال سعيد بن جبیر: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يُعط الأنبياء قبلهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَلِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول: ﴿يَاسَافُ عَلَى يُوسُفَ﴾. فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه شكا إلى الله تعالى، لا منه. والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفي على يوسف. وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنى به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت راء أسفي، وهذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى في المعنى سواء، كما قال: ﴿يا حسرتنا﴾ والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مائم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثّم ولم يشك إلا إلى ربه، فلما كان قوله: ﴿يا أسفي﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. وقد روي عن الحسن أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعاً شديداً، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال: ﴿يا أسفي على يوسف﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: انقلبت إلى حال البياض. وهل ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه ذهب بصره، قاله مجاهد. والثاني: ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء، ذكره الماوردي. وقال مقاتل: لم يُبصر بعينه ست سنين. قال ابن عباس: وقوله: «من الحزن» أي: من البكاء، يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه، فلما كان الحزن سبباً للبكاء، سمي البكاء حزناً. وقال ثابت البناني: دخل جبريل على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: ما فعل، قال: ابيضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد. وقال الحسن البصري: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكظيم بمعنى الكاظم، وهو الممسك على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة. وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرَزِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) ﴿بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: والله، وجواب هذا القسم «لا» المضمرة التي تأويلها: تالله لا تفتن، فلما كان موضعها معلوماً خُفّ الكلام بسقوطها من ظاهره، كما تقول العرب: والله أقصدك أبداً، يعنون: لا أقصدك، قال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ بِمِيزِ الْوَأَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(١)</sup>

يريد: لا أبرح، وقالت الخساء:

فَأَقْسَنْتُ أُسَى عَلَى هَالِكٍ

أرادت: لا أُسَى، وقال الآخر:

لَمْ يَشْعُرِ الثُّغْنُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّ

تَالِهِ أُنْسَى مُصِيبَتِي أَبَدًا

وقرأ أبو عمران، وابن محيصن، وأبو حيوة: «قالوا بالله» بالباء، وكذلك كل قَسَم في القرآن. وأما قوله: «فتنا» فقال المفسرون وأهل اللغة: معنى «فتنا» تزال، فمعنى الكلام: لا تزال تذكر يوسف، وأنشد أبو عبيدة:

فَمَا فِتْنَتْ خَيْلٌ تُثُوبٌ وَتَدْعِي

وأنشد ابن القاسم:

فَمَا فِتْنَتْ مِنَّا رِعَالٌ كَانَتْهَا

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرْشًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الدِّنف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: أحرضه الحزن، أي: أدنفه. قال أبو عبيدة: الحرض: الذي قد أذابه الحزن أو الحب، وهي في موضع مُخْرَضٍ. وأنشد:

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَخْرَضَنِي

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفًا مريضًا. والثاني: أنه الزاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحاق: الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه. والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارص وحرض، فحارص يثني ويُجمع ويؤنث، وحرض لا يُجمع ولا يثني، لأنه مصدر، قاله الفراء. والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يعنون: الموتى. فإن قيل: كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير؟ فالجواب: أن في الكلام إضماراً، تقديره: إن هذا في تقديرنا وظننا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ قال ابن قتبية: البث: أشد الحزن، سمي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يئس.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ المعنى: إني لا أشكو إليكم، وذلك لما عَفَوْهُ بما تقدم ذكره. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قَوَّسَ ظهرك؟ قال: أمّا الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قَوَّسَ ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب، أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري، وقَوَّستَ ظهري، فاردد عليّ ريحاني أشمه شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر، فوعزتي لو كانا ميتين لنشترهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إليّ المساكين، وتدرى لم أذهبتُ بصرك، وقَوَّستَ ظهرك، وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد

(١) «ديوانها» ١٢٠.

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي: «ديوانه» ٥٨ وقد استشهد به أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٣١٦/١، و«الطبري» ٣٩/١٣، و«شواهد الكشاف» ١٦٨.

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي في «مجاز القرآن» ٣١٧/١، و«الطبري» ٤٢/١٣، و«القرطبي» ٢٥٠/٩، و«الاشتقاق» ٤٨، و«السمط» ٤٢٢، و«الصاحح»، و«اللسان»: حرض.

ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتنفد مع يعقوب، وإذا كان صائماً، أمر منادياً فنادى: من كان صائماً فليطفر مع يعقوب<sup>(١)</sup>. وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وجبت عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك شويت عناقاً وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه. وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديه، وهي تخور، فلم يرحمها. فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟ فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر. والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم. والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سببه.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أعلم من سلامة يوسف ما لا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون، قاله عطاء. والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾. وقال وهب بن منبه: لما قال له ملك الموت: ما قبضت روح يوسف، تباشر عند ذلك، ثم أصبح، فقال لبنيه: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قال أبو عبيدة: «تحسسوا» أي: تخبروا والتجسسوا في المظان. فإن قيل: كيف قال: «من يوسف» والغالب أن يقال: تحسست عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها «من» كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه. والثاني: أن «من» أوثرت للتبعض، والمعنى: تحسسوا خبراً من أخبار يوسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: من فرج الله، قاله ابن زيد. والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم. قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن المؤمن يرجو الله في الشدائد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ مَسْأَةً وَأَهْلُهَا الْفَرُّ رَجْعًا يَصْغَعُ مُرْجَحَةً فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قُلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يُوْسُفَ قَالَ أَنَا يُوْسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَصَبِّينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخُدُوتِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) أَذْهَبُوا بِقِمِيمِي هَذَا فَأَلْفَوْهُ عَلَى رِمَهِ أَبِي يَأْتِ بَعِيرًا وَأَتُوفٍ بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فخرجوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف، فـ ﴿قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ﴾ وكانوا يسمون ملكهم بذلك، ﴿مَسْأَةً وَأَهْلُهَا الْفَرُّ﴾ يعنون الفقر والحاجة ﴿رَجْعًا يَصْغَعُ مُرْجَحَةً﴾. وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال: أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت متاعاً رقيقاً كالحبل والغرارة<sup>(٢)</sup>، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والثالث: كانت أقطاً<sup>(٣)</sup> قاله الحسن. والرابع: كنت

(١) الحاكم في «المستدرک» ٣٤٨/٢ وقال: هكذا في سماعي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهماً من الراوي، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح، وقد رواه إسحاق بن راهويه مسنداً ١ هـ. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٨٨/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وقال: وهذا حديث غريب فيه تكرار. وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٤٠/٧، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، عن شيخه محمد بن أحمد الهاهلي البصري وهو ضعيف جداً. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج بعد الشدة»، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) الغرارة، بكسر الغين: الجُواتق، واحدة الغرائر، وربما كان معرباً. (٣) الأقط؛ اللبن المجفف الذي لم يترع زبده.

نعلاً وأدمًا، رواه جوير عن الضحاك. والخامس: كانت سوق المقل<sup>(١)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. والسادس: حبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح. والسابع: كانت صوفاً وشيئاً من سمن، قاله عبد الله بن الحارث. وفي المزجاة خمسة أقوال: أحدها: أنها القليلة. روى العوفي عن ابن عباس قال: دراهم غير طائلة، وبه قال مجاهد، وابن إسحاق، وابن قتيبة. قال الزجاج: تأويله في اللغة أن الترجية: الشيء الذي يدافع به، يقال: فلان يزجي العيش، أي: يدفع بالقليل ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوت، وليست مما يتسع به، قال الشاعر:

الزَاهِبُ الْمَاءَةُ الْهَجَانُ وَعَبْدَهَا

عُودًا تُزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا<sup>(٢)</sup>

أي: تدفع أطفالها. والثاني: أنها الرديئة، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: إنما قيل للرديئة: مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها، قال: وهي من الإزجاء، والإزجاء عند العرب: السُّوق والدفع، وأنشد:

لِيَبْنِكَ عَلَى يِلْحَانٍ ضَيْفٌ مُدْفَعٌ

وَأَزْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَزْمَلًا<sup>(٣)</sup>

أي: تسوقه. والثالث: الكاسدة، رواه الضحاك أيضاً عن ابن عباس. والرابع: الرثة، وهي المتاع الخلق، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والخامس: الناقصة، رواه أبو حصين عن عكرمة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوَّيْنَا لَنَا الْكَيْلَ﴾ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تصدَّق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدَّق، وليس به. والثاني: بردُ أخينا، قاله ابن جريج، قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصدقة لا تحل للأنبياء. والثالث: وتصدَّق علينا بالزيادة على حقنا، قاله ابن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا ﷺ، حكاه عنه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصْذِقِينَ﴾ أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَآ فَعَلْتُ يَٰيُوسُفُ وَأَخِيهِ﴾ في سبب قوله لهم هذا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخر الكتاب: «وكتب يهوذا» فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبدٍ كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون العقوبة، وأمر بهم ليقتلوا، فقالوا: إن كنت فاعلاً، فإذهب بامتعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، وقال: قد كان أبونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أخبر بهلكتنا أجمعين؟ فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره، وقال لهم هذا القول، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: ﴿مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُّ﴾ أدركته الرحمة، فقال لهم هذا، قاله ابن إسحاق. والثالث: أن يعقوب كتب إليه كتاباً: إن رددت ولدي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك، فبكى، وقال لهم هذا. وفي «هل» قولان: أحدهما: أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام. قال ابن الأنباري: والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمح ما آثرتهم من قطيعة الرحم وتضييع الحق، وهذا مثل قول العربي: أتدري من عصيت؟ هل تعرف من عايت؟ لا يريد بذلك الاستفهام، ولكن يريد تفضيح الأمر، قال الشاعر:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي

(١) السوق: طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو، ويقال لسويق المقل: الحنّي، ولسويق النبق: القنّي، وقال أعرابي يصفه: هو عدة المسافر، وطعام المجلان، وبلغة المريض.

(٢) البيت للأعشى في «ديوانه» ٢٩ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب، والهجان: جمع هجين، وهو الأبيض الكريم، يقال: إبل هجان، والعوذ: الحديثات التناج، وزجي الشيء: دفعه برفق، يقول: إن الممدوح يهب المائة من الإبل وعيها، تتبعها أطفالها تسعى خلفها.

(٣) البيت في «اللسان»: رمل، أنشده ابن بري شاهداً على أن الأرملة: المرأة التي لا زوج لها.

لم يرد الاستفهام، إنما أراد أن هذا غير مرجو عندهم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقي ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله: ﴿لَتَنبِتَنَّهُمْ يَأْتِرَهُمْ﴾. والثاني: أن «هل» بمعنى «قد» ذكره بعض أهل التفسير. فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سَعَوْا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنهم فرّقوا بينه وبين يوسف، فنَعَصُوا عيشه بذلك. والثاني: أنهم آذَوْه بعد فُقد يوسف. والثالث: أنهم سَبّوه لما قُذِف بسرقة الصاع. وفي قوله: ﴿إِذْ أَنتَرُ جِهْلُوكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: مذنبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصن: «إنك» على الخبر، وقراه آخرون بهمزيين محققين، وأدخل بعضهم بينها ألفاً<sup>(١)</sup>. واختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شَبَّهوه؟ على قولين: أحدهما: أنهم شَبَّهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية. والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق. وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تبسم، فشَبَّهوا ثناباه بثنابا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارة مثلها، فلما وضع التاج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ قال ابن الأنباري: إنما أظهر الاسم، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم المستحل منه، المراد قتله، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ وهم يعرفونه، وإنما قصد: وهذا المظلوم كظلمي.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَاثٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بخير الدنيا والآخرة. والثاني: بالجمع بعد الفرقة. والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قبل: «من يتقي ويصبر» بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء. والثاني: من يتق الزنى ويصبر على العزبة. والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس. والرابع: يتق معصية الله ويصبر على السجن، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْكَ اللَّهُ لَا يُصْبِحُ أَجْرَ الْمُتَعِينِينَ﴾ أي: أجر من كان هذا حاله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ نَاثٍ﴾ أي: اختارك وفضلك. وبماذا عنوا أنه فضلته فيه؟ أربعة أقوال: أحدها: بالملك، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالحلم والصنع، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ قال ابن عباس: لمذنبين آثمين في أمرك. قال ابن الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» على «مخطئين»، وإن كان «أخطأ» على «السن» أكثر من «خطئ» يخطأ» لأن معنى خطئ يخطأ، فهو خاطئ: آثم، ومعنى أخطأ يخطئ، فهو مخطئ: ترك الصواب ولم يأثم، قال الشاعر:

عَبَاذُكَ يَخْطَاوْنَ وَأَنْتَ رَبُّ  
بِكُفِّكَ الْمَنَايَا وَالْحُشُومِ<sup>(٢)</sup>

أراد: يأثمون. قال ويجوز أن يكون أثر «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآيات، لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها. وذكر الفراء في معنى «إن» قولين: أحدهما: وقد كنا خاطئين. والثاني: وما كنا إلا خاطئين.

(١) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري ٥٥/١٢: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالاستفهام، لإجماع الجماعة من القراء عليه. وقال ابن كثير ٤٨٩/٢: والقراءة المشهورة هي الأولى، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من ستين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكرم نفسه، فلها قالوا على سبيل الاستفهام: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ؟﴾

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: خطأ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً. قال ابن الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم، لأنه أول أوقات العفو، وسبيل العافي في مثله أن لا يراجع عقوبة. وقال ثعلب: قد تَرَبَّ فلان على فلان: إذا عَدَّد عليه ذنوبه. وقال ابن قتيبة: لا تعير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتكم، وأصل التريب: الإفساد، يقال: تَرَبَّ علينا: إذا أفسد، وفي الحديث: «إِذَا زُنْتُ أُمَّةً أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يَثْرِبْ»<sup>(١)</sup> أي: لا يعيرها بالزنى. قال ابن عباس: جعلهم في جِلٍّ، وسأل الله المغفرة لهم. وقال السدي: لما عَرَفَهم نفسه، سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا» وهذا القميص كان في قصة من فضة معلقاً في عنق يوسف لما ألقي في الحب، وكان من الجنة، وقد سبق ذكره [يوسف: ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾ قال أبو عبيدة: يعود مبصراً. فإن قيل: من أين قطع على الغيب؟ فالجواب: أن ذلك كان بالوحي إليه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزِلْ بِأَيْدِيكُمْ أَجْمُوعًا﴾ قال الكلبي كان أهله نحرأ من سبعين إنساناً.

﴿وَلَكَّا فَصَلَّى اللَّيْلِ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنَّا تُفِيدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكَّا فَصَلَّى اللَّيْلِ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان. وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنه، وأنا الآن أحمل قميصك لأسره، فجمله، قال ابن عباس: فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ لهم «أَبُوهُمْ» يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقربائه وولد ولده «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». ومعنى أجد: أشم، قال الشاعر:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ  
وَلَيْسَ قَبِيحُ الْجَسَدِ مَا تَجِدُونَهُ

فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الحب وبعد خروجه منه، والمسافة هناك أقرب؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج. والثاني: أن هذا القميص كان في قصة من فضة معلقاً في عنق يوسف على ما سبق بيانه، فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص. قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». وقيل: إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها، فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها رَوْحاً، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق، قال أبو صخر الهذلي:

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهْنِجُنِي  
نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن عباس: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخاً.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنَّا تُفِيدُونَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تُجْهَلُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: تَسْفُهُونَ، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك. والثالث: تَكْذِبُونَ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. والرابع: تَهْرَمُونَ، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال ابن فارس: الْقَدُّ: إنكار العقل من هرم.

(١) البخاري ٤/٣١٠، ومسلم ٣/١٣٢٨ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ٩٥٧.

والخامس: تعجزون، قاله ابن قتبية. وقال أبو عبيدة: تسفّهون وتعجزون وتلومون، وأنشد:

يَا صَاحِبِي دَعَا لَوْ مَيِّ وَتَفَنِّيدِي  
فَلَيْسَ مَا قَاتَ مِنْ أَمْرِ بِمَرْدُودِ<sup>(١)</sup>

قال ابن جرير: وأصل التنديد: الإفساد، وأقوال المفسرين تتقارب معانيها، وسمعت الشيخ أبا محمد بن الخشاب يقول: قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَفَنِّدِينَ﴾ فيه إضمار، تقديره: لأخبرتكم أنه حي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بنيه، لأن بنيه كانوا بمصر. وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل، يريد بذلك شقاء الدنيا.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَعِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّهُ أَقْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْفِثُ لَكَ ذُنُوبًا إِنَّا كُنَّا خَاطِبِينَ<sup>(٤)</sup> قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه شمعون، قاله الضحاك. فإن قيل: ما الفرق بين قوله هاهنا: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ﴾ وقال في موضع: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]؟ فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعاً، فدخل «أن» لتوكيد مضمي الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يعني القميص «عَلَى وَجْهِهِ» يعني يعقوب «فَارْتَدَّ بَعِيرًا»، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها. قال ابن الأنباري: إنما قال: ارتد، ولم يقل: رُدَّ، لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين، كقولهم: طالت النخلة، والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها. قال الضحاك: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن. وروى يحيى بن يمان عن سفیان قال: لما جاء البشير يعقوب، قال: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّهُ أَقْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أقوال قد سبق ذكرها قبل هذا بقليل.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْفِثُ لَكَ ذُنُوبًا﴾ سألوه أن يستغفر لهم ما أتوا، لأنه نبي مجاب الدعوة. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ في سبب تأخيرها لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مِظَنَّةُ الإجابة، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>. قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة. والثاني: إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراء. والثالث: إلى وقت السحر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، والسدي، ومقاتل. قال الزجاج: إنما أراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء، لا أنه ضَمَّنَ عليهم بالاستغفار، وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء ﷺ. والقول الثاني: أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد. قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿لَا تُزَيِّرْ عَلَيَّ الْيَوْمَ﴾ وإلى قول يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾. والثالث: أنه أخرهم ليسأل يوسف، فإن عفا عنهم، استغفر لهم، قاله الشعبي. وروي عن أنس بن مالك أنهم قالوا: يا أبانا إن عفا الله عنا، وإلا فلا قوة عين لنا في الدنيا، فدعا يعقوب وأمن يوسف، فلم يُجب فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا ما صنعوا به، واعتقد موافقهم من بعد على النبوة. قال المفسرون: وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي

(١) البيت لهما بن شكيم العدوي في «مجاز القرآن» ٣١٨/١، والطبري ٥٩/١٣، والقرطبي ٢٦٠/٩.

(٢) «الطبري» ٦٥/١٣ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قد قال أخي يعقوب: سوف استغفر لكم ربي، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة». وسنده ضعيف، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٠/٢ وقال: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر، والله أعلم.



راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله وولده. فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر، استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقى يعقوب، فأذن له، وأمر الملا من أصحابه بالركوب معه، فخرج في أربعة آلاف من الجند، وخرج معهم أهل مصر. وقيل: إن الملك خرج معهم أيضاً. فلما التقى يعقوب ويوسف، بكيا جميعاً، فقال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني، خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع. وقيل: إن يعقوب ابتداءً بالسلام، فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاتَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني: يعقوب وولده. وفي هذا الدخول قولان: أحدهما: أنه دخول أرض مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ يعني البلد. والثاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ أي: استوطنوها. وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أبوه وخالته، لأن أمه كانت قد ماتت، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أبوه وأمّه، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فالمعنى: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، هذا قول ابن جريج. والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم. والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال لهم هذا حين تلقاهم قبل دخولهم، على ما سبق بيانه. والرابع: أن «إن» بمعنى: «إذا» كقوله: ﴿إِن أَرَدْنَا نَصْنَعَكَ مِنَ التُّرَابِ ۚ﴾. قال ابن عباس: دخلوا مصر يومئذ وهم ثيف وسبعون من ذكر وأنثى. وقال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَعَلَ بِي بَدَدًا مِّن بَدَدِ أَن نُّزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِن رَّبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْمُبِينُ ۖ﴾

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْنَاهُ تَأْوِيلَ الْأَمْثَالِ ۚ فَاطِرُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نُوَفِّيْكَ مُسْلِمًا وَكَالْحَقِّ بِالصَّالِحِينَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في «أبويه» قولان قد تقدما في الآية التي قبلها. والعرش هاهنا: سرير المملكة، أجلس أبويه عليه ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يعني: أبويه وإخوته. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، قاله الجمهور. قال أبو صالح عن ابن عباس: كان سجودهم كهنة الركوع كما يفعل الأعاجم. وقال الحسن: أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا. قال ابن الأنباري: سجدوا له على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحيي بعضهم بعضاً بالسجود والاحتناء، فحضره رسول الله ﷺ، فروى أنس بن مالك قال: «قال رجل: يا رسول الله، أحدنا يلقي صديقه، أينحي له؟ قال: لا»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: وخرُّوا لله سُجَّدًا، رواه عطاء والضحاك عن ابن عباس، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكرًا لله إذ جمع بينهم وبين يوسف.

قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ أي: تصديق ما رأيت، وكان قد رآهم في المنام يسجدون له، فأراه الله ذلك في البقعة. واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال: أحدها: أربعون سنة، قاله سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ومقاتل. والثاني: اثنتان وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ثمانون سنة، قاله الحسن، والفضيل بن عياض. والرابع: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي. والخامس: خمس وثلاثون سنة، قاله قتادة. والسادس: سبعون سنة، قاله عبد الله بن شوذب. والسابع: ثمانين سنة، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أي: إليّ. والتأويل: البسط من الأرض. وقال ابن عباس: البدو: البادية، وكانوا أهل عمود وماشية.

(١) روى الترمذي في «جامعه» ٩٧/٢، وابن ماجه في «مسنده» ١٢٢: ٢، عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه، أينحي له؟ قال: «لا» قال: أفيلزمه ويقله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصاحبه؟ قال: «نعم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرْغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: أفسد بيننا. قال أبو عبيدة: يقال: نزع بينهم ينزع، أي: أفسد وهيج، وبعضهم يكسر زاي ينزع. ﴿إِنِّي رَقِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: عالم بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٢]. فإن قيل: قد تواتر على يوسف نعم خمسة، فما اقتصره على ذكر السجن، وهلا ذكر الجُبِّ، وهو أصعب؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه ترك ذكر الجُبِّ تكريماً، لئلا يذكر إخوته صنيعهم، وقد قال: ﴿لَا تَقْرِبْ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ﴾. والثاني: أنه خرج من الجُبِّ إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فكانت هذه النعمة أوفى. والثالث: أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له، بخلاف الجُبِّ، فشكر الله على عفوهِ. قال العلماء بالسَّير: أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة. وقال بعضهم: سبع عشرة سنة في هنا عيش، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يحمل إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل به ذلك، وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة، ثم إن يوسف تاق إلى الجنة، وعلم أن الدنيا لا تدوم فتمنَّى الموت، قال ابن عباس، وقناة: ولم يتمِّ الموت نبيّ قبله، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: ملك مصر ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبق تفسيرها [يوسف: ٦]. وفي «میز» قولان: أحدهما: أنها صلة، قاله مقاتل. والثاني: أنها للتبعض، لأنه لم يؤث كلَّ الملك، ولا كلَّ تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٦]. ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾ أي: الذي تلي أمري. ﴿تَوَفَّنِي سَلَامًا﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه. وكان ابن عقيل يقول: لم يتمِّ يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة، والمعنى: توفي إذا توفيتي مسلماً، قال الشيخ: وهذا الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَالْحَقِّي بِالْمَحْلِجِينَ﴾ والمعنى: ألحقني بدرجاتهم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة. والثاني: أباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك، قالوا: فلما احتضر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فشتَّاع الناس في دفنه، كلُّ يُحبُّ أن يُدفن في محلَّته رجاء البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع، فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان. قال الحسن: مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة. وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بستين.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَتَمَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك، فأنزله الله عليك دليلاً على نبوتك. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: عند إخوة يوسف ﴿إِذْ أَتَمَعُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: عزموا على إلقاءه في الجب ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بب يوسف، وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا ﷺ، لأنه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدلَّ على أنه أخبر بوحي.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن الأنباري: إن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحاً شافياً، وهو يؤمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا ظنه، فعزَّن رسول الله ﷺ، فعزَّاه الله تعالى بهذه الآية. قال الزجاج: ومعناها: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتلاوته وهدايتك إياهم ﴿مِنْ أَجْرِ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لَهُمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَنَجَاتُهُمْ﴾.

﴿وَكَايْنٍ مِنَ الْمَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمُرُوتٍ عَلَيْهِمَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ﴾ أي: وكم ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ أي: علامة ودلالة تدلهم على توحيد الله، من أمر السموات والأرض، ﴿بِمُرُوتٍ عَلَيْهِمَا﴾ أي: يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المشركون، ثم في

معناها المتعلق بهم قولان: أحدهما: أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم النصارى، يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون به، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، يؤمنون في الظاهر رثاء الناس، وهم في الباطن كافرون، قاله الحسن. فإن قيل: كيف وصف المشرك بالإيمان؟ فالجواب: أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان، وإنما المعنى: أن أكثرهم، مع إظهارهم الإيمان بالاستتھم، مشركون.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: الغاشية: المججلة تغشاهم. وقال الزجاج: المعنى: يأتيهم ما يغمرهم من العذاب. والبعثة: الفجأة من حيث لم توقع.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِحْنُ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٠٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ﴾ المعنى: قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أَدْعُو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي، أي: سُتِّي ومنهجي. والسبيل تذکر وتؤث، وقد ذكرنا ذلك في [آل عمران: ١٩٥]. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين. قال ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من الدعاء إلى الله ﷻ، لأنه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، ثم ابتداء فقال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِحْنُ اللَّهِ﴾ المعنى: وقل: سبحانه الله تنزيهاً له عما أشركوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ آتَتْهُمُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَلَّذِينَ أَنْقَرُوا أَمَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٠٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا نزل من أجل قولهم: هلا بعث الله ملكاً، فالمعنى: كيف تعجبوا من إرسالنا إياك، وسائر الرسل كانوا على مثل حالك ﴿يُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون. والمراد بالقرى: المدن. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء، قال قتادة: لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل العمود.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المنكرين نبوتك ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك. ﴿وَلَكِنَّهُمْ آتَتْهُمُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَلَّذِينَ أَنْقَرُوا﴾ من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ أَنْقَرُوا﴾ الشرك. قال الفراء: أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنْ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٦] والحق: هو اليقين، وقولهم: أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وحفص، والمفضل، ويعقوب: «تعتلون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يعقلون هذا فيؤمنوا.

﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّهِمْ فَنُجِيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْأَةٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُنْجِينَ﴾ (١١٠)

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ المعنى متعلق بالآية الأولى، فتقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدعوا قومهم، فكذبوهم، وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل، وفيه قولان: أحدهما: استيأسوا من تصديق قومهم، قاله ابن عباس. والثاني: من أن نعلب قومهم، قاله مجاهد. ﴿وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «كُذِّبُوا» مشددة الذال مضمومة الكاف، والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فيكون الظن هاهنا بمعنى اليقين، هذا قول الحسن، وعطاء، وقتادة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «كُذِّبُوا» خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، لأن الرسل لا يظنون ذلك. وقرأ أبو رزين، ومجاهد، والضحاك: «كُذِّبُوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضاً أنهم قد كذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرًا﴾ يعني: الرسل «فَنَجَّى مَن نَّشَاءُ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «فَنَجَّى» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، جميعاً عن عاصم، ويعقوب: «فَنَجَّى» مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نَجَّوْا عند نزول العذاب.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته. وروى عبد الوارث كسر القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء. ﴿عِبْرَةً﴾ أي: عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين: أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليك بعد استعباده، فإنَّ من فَعَلَ ذلك به، قادر على إعزاز محمد ﷺ وتعليه كلمته. والثاني: أن من تفكَّر، علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة مِنْ قَبْل نفسه، فاستدل بذلك على صحة نبوته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق. فعلى القول الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصديقاً لما بين يديه من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحْتَاج إليه من أمور الدين ﴿وَهُدًى﴾ بياناً ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدِّقون بما جاء به محمد ﷺ. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته<sup>(١)</sup>.



(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٨/٢: وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات، وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية، وعن الغيوب المجملية والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلماذا كان هدياً ورحمة لقوم يؤمنون، تهدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويتفنون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ويوم يفوز بالريح الميضة وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

## سورة الرعد

### فصل في نزولها

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية، إلا آيتين منها، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ إلى آخر الآية [الرعد: ٣١]، وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد. وروى عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ إلى آخرها [الرعد: ٣١]. وقال بعضهم: المدني منها قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْغَنِيِّ﴾ [الرعد: ١٤].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْأَرْثَ يَلَّكَ الْبَاسُ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِحَبْرٍ عَمِيدٍ تَرَوْهَا ثُمَّ اشْتَرَوْا عَلَى التَّرْتِيلِ وَسَعَرَ الْأَشْمَسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفْعِلُ الْآيَاتِ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ تُرَوْنَهَا ۝﴾ قوله تعالى: ﴿الْأَرْثَ﴾ قد ذكرنا في سورة (البقرة) جملةً من الكلام في معاني هذه الحروف. وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الكلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: أنا الله أعلم وأرى، رواه أبو الضحى عنه. والثاني: أنا الله أرى، رواه سعيد بن جبير عنه. والثالث: أنا الله الملك الرحمن، رواه عطاء عنه.

قوله تعالى: ﴿يَلَّكَ الْبَاسُ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ﴾ في «تلك» قولان، وفي «الكتاب» قولان قد تقدمت في أول (يونس).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ﴾ يعني: القرآن وغيره من الوحي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة. قال الزجاج: لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرّف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِحَبْرٍ عَمِيدٍ﴾ قال أبو عبيدة: العمد: متحرك الحروف بالفتحة، وبعضهم يحركها بالضمة، لأنها جمع عمود، وهو القياس، لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو، فجميعه مضموم الحروف، نحو رسول، والجمع: رسل، وحمار، والجمع: حُمُر، غير أنه قد جاءت أسامي استعمالوا جميعها بالحركة والفتحة، نحو عمود، وأديم، وإهاب، قالوا: آدم، وأقرب. ومعنى «عميد»: سوار، ودعائم، وما يعمد البناء. وقرأ أبو حيوة: «بغير عُمْد» بضم العين والميم. وفي قوله: ﴿تَرَوْهَا﴾ قولان: أحدهما: أن هاء الكتابة ترجع إلى السموات، فالمعنى: ترونها بغير عمد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والجمهور. وقال ابن الأنباري: «ترونها» خبر مستأنف، والمعنى: رفع السموات بلا دعامة تمسكها، ثم قال: «ترونها» أي: ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم، يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه. والثاني: أنها ترجع إلى العمد، فالمعنى: إنها بعدد لا ترونها، رواه عطاء، والضحاك عن ابن عباس، وقال: لها عمد على قاف، ولكنكم لا ترون العمد، وإلى هذا القول ذهب مجاهد، وعكرمة، والأول أصح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَعَرَ الْأَشْمَسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: ذلّلها لما يُراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت معلوم،

(١) قال ابن جرير الطبري ٩٤/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِحَبْرٍ عَمِيدٍ تَرَوْهَا ثُمَّ اشْتَرَوْا عَلَى التَّرْتِيلِ وَسَعَرَ الْأَشْمَسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفْعِلُ الْآيَاتِ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ تُرَوْنَهَا ۝﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك، ولا حاجة يجب التسليم لها بقول سواء. وقال ابن كثير ٤٩٩/٢ بعد أن ذكر قول إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد، وكذا روي عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّلُ الْفَلَكَ أَنْ تَنَاقُضَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فعلى هذا يكون قوله: ﴿تَرَوْهَا﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها، وهذا هو الأكمل في القدرة.

وهو فناء الدنيا. ﴿يَذَرُ الْأَثَرَ﴾ أي: يصرفه بحكمته. ﴿يُقِيمُ اللَّيْلَتِ﴾ أي: يبين الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك. وقرأ أبو رزين، وقتادة، والنخعي: «ندبر الأمر بفضل الآيات» بالنون فيها.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُنْشِئُ اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا﴾ قال الزجاج: أي جبلاً توابت، يقال: رسا الشيء يرسو رُسُوءًا، فهو راسي: إذا ثبت. و ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين. والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود.

قوله تعالى: ﴿يُنْشِئُ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤].

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ شُجُورَاتٍ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَيْتٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ شُجُورَاتٍ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الأرض السَّيْحَة، والأرض العذبة، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابن قتيبة، وهو يرجع إلى معنى الأول.

قوله تعالى: ﴿وَزَيْتٍ وَنَخِيلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿وَزَيْتٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ﴾ رفعاً في الكل. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان» خفضاً في الكل. قال أبو علي: من رفع، فالمعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنات، وفي الأرض زرع، ومن خفض حمله على الأعناب، فالمعنى: جنات من أعناب، ومن زرع، ومن نخيل.

قوله تعالى: ﴿صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ﴾ هذا من صفة النخيل. قال الزجاج: الصنوان: جمع صنو وصُنُو، ومعناه: أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأربع. وكذلك قال المفسرون: الصنوان: النخل المجتمع وأصله واحد، وغير صنوان: المتفرق. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، وابن جبير، وقتادة: «صُنَوَانٌ» بضم الصاد. قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صنوان» بكسر الصاد، وتميم وقيس يضمون الصاد.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تسقى» بالياء، و«نُفُضِلُ» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي «تسقى» بالياء أيضاً، لكنهما أمالا القاف. وقرأ الحسن «ويُفْضَلُ» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عمر «يُسْقَى» بالياء، و«نُفُضِلُ» بالنون، وكلهم كسر الضاد. وروى الحلبي عن عبد الوارث ضمَّ الياء من «يُفْضَلُ» وفتح الضاد، «بعضها» برفع الضاد. وقال الفراء: من قرأ «تُسْقَى» بالياء ذهب إلى تأنيث الزرع، والجنات، والنخيل، ومن كسر ذهب إلى النبت، وذلك كله يُسْقَى بماء واحد، وأكله مختلف حاوِض وحلو، ففي هذا آية. قال المفسرون: الماء الواحد: ماء المطر، والأكل: الثمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك، وفي هذا دليل على بطلان قول الطبايعين، لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دلَّ على مدبر قادر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

﴿وَإِنْ تَجَبَّ قَوْمٌ فَجَعَبْ قَوْمُهُمْ أَوْدًا كَمَا تَرَأَوْا لَنَا لَيْ خَلْقٌ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَافِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَبَّ﴾ أي: من تكذيبهم وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قدرة الله عز وجل في خلق الأشياء، فإنكارهم البعث موضع عجب. وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القِطْع المتجاورات وقدرة ربك في ذلك، فعجب جحدتهم البعث، لأنه قد بان لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيَّنَا» جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يمدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدٍّ. وقرأ نافع «أَيَّنَا» مثل أبي عمرو، واختلف عنه في المدِّ، وقرأ «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ» مكسورة على الخبر. وقرأ عاصم، وحزمة «إِذَا كُنَّا» «إِنَّا» بهزتين فيهما. وقرأ ابن عامر «إِذَا كُنَّا تُرَابًا» مكسورة الألف من غير استفهام، «إِنَّا» بهز ثم يمدُّ ثم بهز على وزن: عاعنًا. وروي عن ابن عامر أيضاً «إِذَا» بهزتين لا ألف بينهما. والأغلال جمع غُلٍّ، وفيها قولان: أحدهما: أنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج.

﴿يَسْتَعْلِفُونَكَ بِالْسَيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْمَاءٌ مِمَّا أَنْتَ مُذَرِّجٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٢) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تُبَيِّنُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٣) عَنِ النَّبِيِّ وَالشَّهَدَةِ الْكَبِيرِ الْمَتَّعِلِ (٤)

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْلِفُونَكَ بِالْسَيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس. والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة. والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل. وفي السينة والحسنة قولان: أحدهما: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بالشر قبل الخير، قاله قتادة. فأما: ﴿الْمَثَلُ﴾ فقرأ الجمهور بفتح الميم. وقرأ عثمان، وأبو رزين، وأبو مجلز، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والحسن، وابن أبي عبله برفع الميم. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها العقوبات، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المعنى: قد تقدّم من العذاب ما هو مثله وما فيه نكال، لو أنهم انتعظوا. وقال ابن الأنباري: المثَلَةُ: العقبة التي تُبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم: مثل فلان بفلان، إذا شان خلقه بقطع أنفه أو أذنيه، أو سمل عينيه ونحو ذلك. والثاني: أن المثالات: الأمثال التي ضربها الله ﷻ لهم، قاله مجاهد، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإنه لشديد العقاب للمصرين على الشرك. وقال مقاتل: لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب، وإنه لشديد العقاب إذا عذب.

## فصل

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، والمحققون على أنها محكمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ «لولا» بمعنى هلاً، والآية التي طلبوها، مثل عصا موسى وناقة صالح. ولم يقنعوا<sup>(٢)</sup> بما رأوا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَرِّجٌ﴾ أي: مخوف عذاب الله، وليس لك من الآيات شيء. وفي قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن المراد بالهادي: الله ﷻ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، فيكون المعنى: إنما إليك الإنذار، والله الهادي. والثاني: أن الهادي: الداعي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن الهادي: النبي ﷺ، قاله الحسن، وعطاء، وقاتدة، وابن زيد، فالمعنى: ولكل قوم نبي ينذرهم. والرابع: أن الهادي: رسول الله ﷺ أيضاً، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أنت منذر، وأنت هادٍ. والخامس: أن الهادي: العمل، قاله أبو العالية. والسادس: أن الهادي: القائد إلى الخير أو إلى الشر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت

(١) وهو الصحيح، فإنه وإن كان معنى «الظلم» كما يتبادر من سياق الآية هو الشرك، ولكن لا يترتب على هذا التفسير قبول دعوى النسخ، ذلك أن الله ﷻ وصف نفسه في الآية بأنه «شديد العقاب» كما وصف نفسه بأنه «ذو مغفرة» ومعنى هذا أنه إنما يغفر لمن رجع عن الشرك، وأتاب إلى الله، أما المصرون على الكفر، فإنه شديد العقاب لهم على كفرهم.

(٢) في نسخة: «يقنعوا».



عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر»، وأوماً بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي»<sup>(١)</sup>. قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة. ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته، رداً على منكري البعث، فقال: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ» من علقه أو مضغة، أو زائد أو ناقص، أو ذكرٍ أو أنثى، أو واحد أو اثنين أو أكثر، «وَمَا يَفِيضُ الْأَرْحَامُ» أي: وما تنقص، «وَمَا تَزْدَادُ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: ما تغيض: بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: وما تغيض: بالسَّقْطِ الناقص، وما تزداد: بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين. والثالث: وما تغيض: بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكت الدم فيعظم الولد، قاله مجاهد. والرابع: ما تغيض الأرحام: مَنْ ولدته من قبل، وما تزداد: مَنْ تلده من بعد، روي عن قتادة، والسُّدِّي.

قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» أي: بقدر. قال أبو عبيدة: هو مفعالٌ من القَدَرِ. قال ابن عباس: عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ تَقْدِيرًا.

قوله تعالى: «عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» قد شرحنا ذلك في [الأنعام: ٦]. و «الْكَبِيرُ» بمعنى: العظيم. ومعناه: يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، فهو أكبر من كُلِّ كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته. ويقال: «الكبير» الذي كَبُرَ عن مشابهة المخلوقين. فأما «الْمُتَعَالَى» فقرأ ابن كثير «المتعالى» بياء في الوصل والوقف، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو، وأثبتها في الوقف دون الوصل ابنُ سُنُبُوذٌ عن قُتَيْبِل، والباقون بغير ياء في الحالين. والمتعالى هو المنتزَعُ عن صفات المخلوقين، قال الخطابي: وقد يكون بمعنى العالِي فوق خَلْقِهِ. وروي عن الحسن أنه قال: المتعالى عَمَّا يقول المشركون.

«سَوَاءٌ مِنْكَ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ»

قوله تعالى: «سَوَاءٌ مِنْكَ» قال ابن الأنباري: ناب «سواء» عن مُسْتَوٍ، والمعنى: مستوٍ منكم «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ» أي: أخفاه وكتمه «وَمَنْ جَهَرَ بِهِ» أعلنه وأظهره، والمعنى: أن السرَّ والجهر سواء عنده.

قوله تعالى: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» فيه قولان: أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجه. يقال: سَرَبَتِ الإبل تَسْرِبُ: إذا مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدوا:

أرى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ  
وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ<sup>(٢)</sup>

أي: ذاهب. ومعنى الكلام: أن الظاهر والخفي عنده سواء، هذا قول الأكثرين. وروي العوفي عن ابن عباس: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ» قال: صاحب رِيَّةٍ بالليل، فإذا خرج بالنهار، أرى الناس أنه بريء من الإثم. والثاني: أن المستخفي بالليل: الظاهر، والسارب بالنهار: المستتر، يقال: انسرب الوحش: إذا دخل في كِنَاسِهِ، وهذا قول الأخفش، وذكره قطرب أيضاً، واحتج له ابن جرير بقولهم: خَفَيْتُ الشَّيْءَ: إذا أظهرته، ومنه «أَكَاذُ أَخْفِيَهَا» [طه: ١٥] بفتح الالف، أي: أظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري: سارِبٌ، لأنه صار في السَرَبِ مستخفياً.

(١) ابن جرير الطبري ١٠٨/١٣ وفي سنده الحسن بن الحسين العوفي الكوفي، قال أبو حاتم: لم يكن بصديق عندهم، وقال ابن عدي: لا يشبه حديث حديث الثقات، وقال ابن حبان: يأتي عن الأثبات بالمزقات، ويروي المقلوبات. وقد ساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته، وعده من منكراته، ثم قال: رواه ابن جرير في «تفسيره» عن أحمد بن يحيى عن الحسن بن معاذ، ومعاذ نكرة فلفل الآية منه، وقال في ترجمة معاذ بن مسلم: مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل سقاه في الحسن بن الحسين. وذكره ابن كثير ٥٠٢/٢ من رواية ابن جرير وقال: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.

(٢) البيت من قصيدة في «المفضليات» ٢٠٨، «ومنتهى الطلب» ٢٩٥، «والحماسة» بشرح المرزوقي ٧٢٨، «واللسان»: سرب. للأخفش بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو فارس المصا، والمصا فرسه، وهو شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر. وقوله: فهو سارب، أي: توجه للمرعى، يريد أن الناس أقاموا في موضع لا يجتثرون على النقلة إلى غيره، ونحن أعزاء نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعتنا.

﴿لَمْ مَعِيتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ مَعِيتُ﴾ في هاء «له» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: إلى الملك من ملوك الدنيا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: إلى الإنسان، قاله الزجاج. والرابع: إلى الله تعالى، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي المعقبات قولان: أحدهما: أنها ملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والحسن، وقتادة في آخرين. قال الزجاج: والمعنى: للإنسان ملائكة يعقبون، يأتي بعضهم يعقب بعض. وقال أكثر المفسرين: هم الحَفَظَةُ، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر<sup>(١)</sup>. وقال قوم، منهم ابن زيد: هذه الآية خاصة في رسول الله ﷺ، عزم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على قتله، فمنعه الله منهما، وأنزل هذه الآية. والقول الثاني: أن المعقبات حُرَّاس الملوك الذين يتعاقبون الحرس، وهذا مروى عن ابن عباس، وعكرمة. وقال الضحاك: هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى. وفي قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبعة أقوال: أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون، هذا على قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله. والثاني: أن المعنى: يحفظهم له من أمر الله، قاله ابن عباس، وابن جبير، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به. والثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. والرابع: يحفظونه من الجن، قاله مجاهد، والنخعي. وقال كعب: لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذَّبُون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعَوَزَاتِكُمْ، إِذَا لَتَخَطَّفَتْكُمْ الجن. وقال مجاهد: ما من عَنَبٍ إِلَّا وَمَلَكٌ مَوْكَلٌ به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فإذا أَرَادَهُ شيء، قال: وراءك وراءك، إِلَّا شيء قد قضي له أن يصيبه. وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام، فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدر خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وإن الأجل جُتِيَ حَصِينَةً. والخامس: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبو صالح، والفراء. والسادس: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يُسَلِّمُوهُ إِلَى ما قَدَّرَ لَهُ، ذكره أبو سليمان الدمشقي، واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يحفظونه من أمر الله، حتى إذا جاء القدر خَلَّوْا عَنْهُ. وقال عكرمة: يحفظونه لأمر الله. والسابع: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جريج. قال الأخفش: وإنما أَثَّتِ المعقبات لكثرة ذلك منها، نحو النسابة، والعلامة، ثم ذُكِرَ في قوله: «يحفظونه» لأن المعنى مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ أي: لا يسلبهم نِعَمَهُ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فيعملوا بمعاصيه. قال مقاتل: ويعني بذلك كفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: البلاء. قوله تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ أي: لا يردُّه شيء ولا تنفعه المعقبات. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أي: من ولي يدفع عنهم العذاب والبلاء.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنِشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خوفًا للمسافر وطمعًا للمقيم،

(١) روى البخاري ٢٨/٢، ومسلم ٤٣٩/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يرجع اللين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عيادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». قال ابن كثير ٥٠٣/٢ أي: للبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من غير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه يحرسانه، واحد من ورائه، وآخر من قدامه. فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وركابان.

قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقته والمقيم يرجو منفعة. والثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: خوفاً للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج. والرابع: خوفاً من العقاب وطمعاً في الثواب، ذكره الماوردي. وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول: إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ السَّحَابُ أَثْقَالاً﴾ أي: ويخلق السحاب الثقال بالماء. قال الفراء: السحاب، وإن كان لفظه واحداً، فإنه جمع واحدته سحابة، جعل نعتة على الجمع، كما قال: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ وَبَقَرٍ جَسَانُ﴾ [الرحمن: ٧٦] ولم يقل: أخضر، ولا حسن.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ. وَيُرْسِلُ الْغَوَاقِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجِيدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَمَالِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه، قاله مقاتل. والثاني: أنه الصوت المسموع. وإنما خُص الرعد بالتسبيح، لأنه من أعظم الأصوات. قال ابن الأنباري: وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمّني كلامك.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، وهو الأظهر. قال ابن عباس: يخافون الله، وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله شيء. والثاني: أنها ترجع إلى الرعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الْغَوَاقِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أريد بن قيس، وعامر بن الطفيل، أتيا إلى رسول الله ﷺ يريدان الفتك به، فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت»، فاما أريد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقت، وأما عامر فأصابته غدة فهلكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا قول الأكثرين، منهم ابن جريج<sup>(١)</sup>، وأريد هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه. والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلهك، أياقوت هو؟ أذهب هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقت، ونزلت هذه الآية، قاله علي<sup>(٢)</sup>. قال مجاهد: وكان يهودياً. وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله ﷺ إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى، فقال للرسول: وما الله، أمين ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع، فأعاد عليه الكلام، إلى أن رجع إليه ثالثة، فبينما هما يتراجعان الكلام، إذ بعث الله سحابة حيال رأسه، فرعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله ﷺ فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجِيدُونَ فِي اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: يكذبون بعظمة الله، قاله ابن عباس. والثاني: يخاصمون في الله، حيث قال قائلهم: أهو من ذهب، أم من فضة؟ على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَمَالِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: شديد الأخذ، قاله علي<sup>(٥)</sup>. والثاني: شديد المكر،

(١) «الطبري» ١٢٦/١٣ بنحوه، عن ابن جريج، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، ١٥٧ عن ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٢/٤، وزاد نسبه لأبي الشيخ عن ابن جريج، وذكره ابن كثير ٥٠٦/٢ من رواية الطبراني مطولاً بنحوه، وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك.

(٢) «الطبري» ١٢٥/١٣.

(٣) «الطبري» ١٢٥/١٣، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، وفي سنده علي بن أبي سارة الشيباني، قال أبو داود: تركوا حديثه، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: ضعيف، وذكره الهشمي في «المجمع» ٤٢/٧، وقال: رواه أبو يعلى، والبخاري في «الأوسط»، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف.

(٤) «الطبري» ١٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٢/٤ وزاد نسبه للخرائط.

شديد العداوة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية عنه: شديد الانتقام. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والنكال، وأنشد للأعشى:

فَرَحُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ      د، غَزِيرُ التُّدَى، شَدِيدُ الْمِحَالِ  
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُفْ      ط جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: شديد المكر واليد، وأصل المحال: الحيلة. والرابع: شديد القوة، قاله مجاهد. قال الزجاج: يقال: ما حلته محالاً: إذا قاوته حتى تبين له أيكما الأشد، والمحل في اللغة: الشدة. والخامس: شديد الحقد، قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسنداً من طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري، والنقاش، ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول مُتَكَرِّرٌ عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله ﷻ. والذي اختاره في هذا ما قاله عليّ ﷺ: شديد الأخذ، يعني: أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفله من عقوباته.

﴿لَمْ دَعَوْهُ لَنَلْقَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْطٍ كَفَتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَلَفَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي سَكَلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَعَوْهُ لَنَلْقَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قاله عليّ، وابن عباس، والجمهور، فالمعنى: له من خلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق، لاختلاف اللفظين. والثاني: أن الله ﷻ هو الحق، فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنام يدعونها آلهة. قال أبو عبيدة: المعنى: الذين يدعون غيره من دونه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي: لا يجيبونهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَيْطٍ كَفَتِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه العطشان يمدُّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغ، قاله عليّ ﷺ، وعطاء. والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، قاله مجاهد. والخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض على الماء حتى يؤدّيه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء، وأنشدوا:

وَأَنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمْ      كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِفْهُ أَنْسَابُهُ<sup>(٢)</sup>  
أَي: لم تحمله، والشوق: الجمل، وقال آخر:  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي سَكَلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

(١) «ديوانه» ٧، ٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٥، «المسقط» ٩٠٧، «القرطبي» ٩/٢٩٩، «اللسان» و«التاج»: محل. وقال ابن جرير بعد أن أورد البيت الأول: هكذا كان ينشد معمر بن المثنى فيما حدثت عن علي بن المغيرة عنه، وأما الرواية بعد فإنهم ينشدون:

نَرَحُ نَرَحٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ      د كَشِيرُ التُّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ

وفسر ذلك معمر بن المثنى، وزعم أنه عن به: العقوبة والمكر والنكال.

(٢) البيت لضاحي بن الحارث البرجمي، «الطبري» ١٣/١٢٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٧، «اللسان»: وسق، «والخزانة» ٤/٨٠.

(٣) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٣/١٢٩، «ومجاز القرآن» ١/٣٢٧، «القرطبي» ٩/٣٠٠.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلُّهُمْ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ﴾ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: من الملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾. وفي معنى سجد الساجدين كرهاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجد من دخل في الإسلام بالسيف، قاله ابن زيد. والثاني: أنه سجد ظل الكافر، قاله مقاتل. والثالث: أن سجد الكاره تذلل له وانقياده لما يريد الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: وتسجد ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً، وسجودها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الظل ما كان بالعدوات قبل انبساط الشمس، والفيء ما كان بعد انصراف الشمس، وإنما سمي فيئاً، لأنه فاء، أي: رجع إلى الحال التي كان عليها قبل أن تنبسط الشمس، وما كان سوى ذلك فهو ظل، نحو ظل الإنسان، وظل الجدار، وظل الثوب، وظل الشجرة، قال حميد بن ثور:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه

وقال ليبد:

بينما الظل ظليل مؤنق

وقال آخر:

أيا أثلاث القاع من بطن توضح

حينيني إلى أظلال كُنْ طویل<sup>(١)</sup>

وقيل: إن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله. وقد شرحنا معنى الغدو والأصال في [الأعراف: ٧].

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَعْبُدُكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ شَيْئاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ لَالِخَ عَالَمِينَ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم الزمهم الحجة بقوله: ﴿قُلْ أَفَأَعْبُدُكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ﴾ يعني: الأصنام توليتهم فعبدهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تستوي» بالثاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يستوي» بالياء. قال أبو علي: التأنيت حسن، لأنه فعل مؤنث، والتذكير سائح، لأنه تأنيت غير حقيقي. ويعني بالظلمات والنور: الشرك والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئاً.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: قُلْ ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء، وقد ذكرنا في [يوسف: ٣٩] معنى الواحد القهار.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أُتِيَءَةٌ جَلِيَّةٌ أَوْ مَنَعَ رَبُّكَ يُنْزِلُ مِنْ سَحَابٍ مِثْلُ نَظْمٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿١٨﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

(١) «ديوانه» ٤٠، و«اللسان»: فياً.

(٢) «ديوانه» ١٨١، وروايته فيه:

طال قسز السفس لسا طلفت

(٣) البيت لمجون ليلى: «ديوانه» ٢٢١، ولبعض الأعراب في «الزهر» ٢٦٦، وليحيى بن أبي طالب في «الأمالي» ١/١٢٣، و«مصارع المشاق» ١/٢٩٤، و«معجم البلدان»: قرقرى.

فإذا ما خضر الليل اضمحَل

لِرَبِّهِمُ الْحَسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِرَبِّهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ تَابُوا فِي الْأَرْضِ حَيًّا وَمَثَلُ مَعْمٍ لَأَفْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ لِلْهَادِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي، قل الماء، وإن هو اتسع، كثر. وقرأ الحسن، وابن جبير، وأبو العالية، وأيوب، وابن يعمر، وأبو حاتم عن يعقوب: «بِقَدَرِهَا» بإسكان الدال. وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ توسع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله: «بِقَدَرِهَا» أي: بقدر مياهها. ﴿فَأَسْتَكَلَّ أَكْثَرُ نَبَاتٍ رَاسِيًّا﴾ أي: عالياً فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله ﷻ. ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿رَبِّمَّا يُرِيدُونَ عَلَيَّ فِي النَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «تريدون عليه» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فليما قبله من الخطاب، وهو قوله: «أفأنتخذتم»، ويجوز أن يكون خطاباً عاماً للأكافة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: «أم جعلوا الله شركاء». ويعني بقوله: ﴿رَبِّمَّا يُرِيدُونَ عَلَيَّ﴾ ما يدخل إلى النار فيُذاب من الجواهر ﴿أَتَيْفَةً حَلِيَّةً﴾ يعني: الذهب والفضة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يعني: الحديد والصفير والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُنتفع بها، ﴿زَيْدٌ يَنْتَفِعُ بِهَا﴾ أي: له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر. وفيما ضرب له هذان المثالان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا يُنتفع به. والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيُطله. والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المتتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذكر هذا، يضرب الله مثل الحق والباطل، وقال أبو عبيدة: كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل. فاما الجفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال: أجفأت القدر بزيدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. وقال ابن الأنباري: «جفاء» أي: بالياً متفرقاً. قال ابن عباس: إذا مَسَّ الزبد لم يكن شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ الْكَافِرُ﴾ من الماء والجواهر التي زال زبدها ﴿فَيَنْتَفِعُ فِي الْأَرْضِ﴾ فيُنتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبقى الحق لأهله.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: الكفار. قال أبو عبيدة: استجبت لك واستجبتك سواء، وهو بمعنى: أجب. وفي الحسنی ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَأَفْتَدَوْا بِهِمْ﴾ أي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء. والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

﴿أَفَنْ يَسْتَرْحَمُونَكَ أَمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ لَقْئُ كَذِبٍ أَوْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنْ يَسْتَرْحَمُونَكَ أَمْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ لَقْئُ كَذِبٍ أَوْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة، وأبي جهل. ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ أي: إنما يَعتَظُّ ذو العقول. والتذكُّر: الاتعاظ.

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ لَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾ (١٦) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ في هذا العهد قولان: أحدهما: أنه ما عاهدكم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم. وفي الذي أمر الله به، ﷻ، أن يوصل، ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة [البقرة: ٢٧]، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدَّبَهُمُ اللَّهُ فِي تَحِيَّتِهِ الْأُولَى﴾ (١٨) جَنَّتٍ عَنْ يَمِينِكُمْ وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٩﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ فِيمَنْ عَنِى الدَّارِ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على ما أمروا به ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لرضاء ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال في طاعة الله. قال ابن عباس: يريد بالصلاة: الصلوات الخمس، وبالإففاق: الزكاة. قوله تعالى: ﴿يَدَّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يدفعون ﴿وَالْحَسَنَةُ النَّيِّتَةُ﴾. وفي المراد بهما خمسة أقوال: أحدها: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل، قاله ابن عباس. والثاني: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله سعيد بن جبیر. والثالث: بالعبو الظلم، قاله جوير. والرابع: بالحلم السفه، كأنهم إذا سفه عليهم حلموا، قاله ابن قتيبة. والخامس: بالتوبة الذنب، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغَيَّرْ اللَّهُ دِينَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: عقابهم الجنة، أي: تصير الجنة آخر أمرهم. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ صَلَاحٍ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: «صلح» بضم اللام. ومعنى «صلح»: آمن، وذلك أن الله تعالى الحق بالمومن أهل المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والشفعة والهدايا.

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: أضرر القول هاهنا، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان: أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملك فيسلم وينصرف. قال ابن الأنباري: وفي قول المسلم: سلام عليكم، قولان: أحدهما: أن السلام: الله ﷻ، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم. والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة. والثاني: أن معناه: إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا. وفيما صبرا عليه خمسة أقوال: أحدها: أنه أمر الله، قاله سعيد بن جبیر. والثاني: فضول الدنيا، قاله الحسن. والثالث: الدين. والرابع: الفقر، روي عن أبي عمران الجوني. والخامس: أنه فقد المحبوب، قاله ابن زيد.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢١) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ٢٧]. وقال مقاتل: نزلت في كفار أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: عليهم. ﴿اللَّهُ يَسْخَرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ بَاطِلٌ﴾ (٢٢) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْخَرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق. ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: يريد مشركي مكة، فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغوا وكذبوا الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إِلَّا لَهْوٌ بَاطِلٌ﴾ أي: كالشيء الذي يتمتع به، ثم يفنى<sup>(١)</sup>. ﴿يَسْخَرُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرِجَالٍ مِنَ الرِّبِّيَّةِ قُلُوبُ اللَّهِ يُغِيثُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٣) قوله تعالى: ﴿يَسْخَرُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ مثل آيات الأنبياء. ﴿قُلْ لَكُمْ

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢٢٩/٤ عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدهم أصبعه فيه في اليوم، فليظفر به يرجع، وأشار إلى السبابة»، ورواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٣/٤.



اللَّهُ يُعِزُّ مَنْ يُشَاءُ ۖ أَي: يرثه عن الهدى كما ردكم بعدما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء الله رجوعه، فكانه قال: ويهدي من يشاء.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَنَبَّأَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: ذكر الله على الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذكر الله اشمازت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»<sup>(١)</sup>، وقال أبو هريرة: طوبى: شجرة في الجنة، يقول الله ﷻ لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة»<sup>(٢)</sup>. وقال شهر بن حوشب: طوبى: شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها أغصانها، من وراء سور الجنة، وهذا مذهب عطية، وشمر بن عطية، ومغيث بن سمي، وأبي صالح. والثاني: أنه اسم الجنة بالحشية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى: اسم الجنة بالهندية، ومن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة، وعن مجاهد كالكولين. والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وفرقة عين لهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن معناه: نعيم لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعم ما لهم. الخامس: غبطة لهم، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والسادس: أن معناه: خير لهم، قاله النخعي في رواية، وفي أخرى عنه قال: الخير والكرامة اللذان أعطاهم الله. وروى معمر عن قتادة قال: يقول الرجل للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيراً، وهي كلمة عربية. والسابع: حسنى لهم، رواه سعيد عن قتادة عن الحسن. والثامن: أن المعنى: العيش الطيب لهم. و«طوبى» عند النحويين: فعلى من الطيب، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: تأويلها: الحال المستطابة والحلة المستلذذة، وأصلها: «طَبِي» فصارت الياء وأواً لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في «موقن» والأصل فيه «مُيقن» لأنه مأخوذ من اليقين، فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها وأواً.

قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ مَا تَنَبَّأَ﴾ المآب: المرجع والمثَلَب.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَى الْعَرْشِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقيل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب علي ﷺ: بسم الله الرحمن

(١) «الطبري» ١٤٩/١٣، ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وخرجه السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبة لأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه».

(٢) «الطبري» ١٤٧/١٣ من حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥١٣/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبة لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٧ بدون سند.

الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يوماً في الجُحْر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولى مُذْبِراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إليهن! فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ قال أبو عبيدة: هو مصدر بُت إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لَوِّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ۖ﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِ بَيْنَ قَبَائِلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: لو وسَّعت لنا أودية مكة بالقرآن، وسيَّرت جبالها فاحترناها، وأحييت من مات منا، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الزبير بن العوام: قالت قريش لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلهم، أو يصير هذه الصخرة ذهباً فتغنيانا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الاسراء: ٥٩]. ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: شَقَّتْ فَجُعِلَتْ أنهاراً، ﴿أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أحيوا حتى كَلِمُوا. واختلفوا في جواب «لو» على قولين: أحدهما: أنه محذوف. وفي تقدير الكلام قولان: أحدهما: أن تقديره: لكان هذا القرآن، ذكره الفراء، وابن قتيبة. قال قتادة: لو فُعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفُعل بقرآنكم. والثاني: أن تقديره: لو كان هذا كله لما آمنوا ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ زَلَّلْنَا إِلَيْهِمُ النَّجْمَ كُلَّهُ...﴾ إلى آخر الآية [الأنعام: ١١١]، قاله الزجاج. والثاني: أن جواب «لو» مقدَّم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا، ذكره الفراء أيضاً.

قوله تعالى: ﴿بَلَّ لَوِّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾ أي: لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ، لم ينفع ما اقترحوا من الآيات. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة أنه كان يقرأها كذلك، ويقول: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل. والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقاتدة، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: ويقال: هي لغة للثَّخَعِ<sup>(٣)</sup> «يأس» بمعنى «يعلم»، قال الشاعر:

أَقُولُ لَهُمْ بِالسُّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي

وإنما وقع اليأس في مكان العلم، لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من غيره. والثالث: أن المعنى: قد يش الذين آمنوا أن يهدوا واحداً، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، قاله أبو العالية. والرابع: أفلم يياس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي. وقال الزجاج: المعنى عندي: أفلم يياس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم جميع الكفار، قاله ابن السائب. والثاني: كفار مكة، قاله مقاتل. فأما القارعة، فقال الزجاج: هي في اللغة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها عذاب من السماء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: السرايا والطلائع التي كان يُفْهِدُها

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٧ بدون سند. وانظر ابن كثير ٥١٥/٢.

(٢) «الطبري» ١٥١/١٣ وسنده ضعيف، وأوده ابن كثير ٥١٥/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشر بن عمار، وعطية العوفي، وهما ضعيفان.

(٣) قال الطبري ١٥٣/١٣: وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحى من النسخ يقال لهم: وقيل.

(٤) البيت لسحيم بن وثيل البريوعي في «الطبري» ١٥٣/١٣، ومجاز القرآن ٣٣٢/١، والقرطبي ٣٢٠/٩، واللسان. و«التاج»: يش، و«شواهد الكشاف» ٢٦٨، وانظر الاختلاف في عزو البيت في «اللسان»، و«التاج»: يش. وزهد: فرس لعوف جد سحيم.

رسول الله ﷺ، قاله عكرمة. وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، فالمعنى: أو تحل أنت يا محمد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها القارعة، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: فتح مكة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القيامة، قاله الحسن.

﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ لَئِذَا رَأَوْا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مِمَّا قَالُوا يَوْمَ لَا يَكُونُ لِمَن يَدْعُو إِلَّا تَلَوَاتٌ عَلَىٰ عُرُوشِهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: نفسه ﷺ. ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمر خلقه، والتدبير لأرزقهم وأجالهم، وإحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أؤمن هو مجازي كل نفس بما كسبت، يثيبها إذا أحسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فترك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بيّنه بعد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كأنه قيل: كشركاთهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ولو سمّوهم بشيء من هذا لكدبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمّوهم بصفات الله، فقل لهم: اتنبهوا، أي: أنخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكاً، ولو كان لعلّمه؟ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله قتادة. والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿لَئِذَا رَأَوْا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر. قوله تعالى: ﴿وَصَدُّوا عَنِ الذِّبَالِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَصَدُّوا» بفتح الصاد، ومثله في: «حم المؤمن» [غافر: ٣٧]. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَصَدُّوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صدّوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد صدّهم الله عن سبيل الهدى.

﴿لَّمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ إِلَّا فِي الْأَفْئِدَةِ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ أَشَقُّ مِمَّا فِي الْأَوَّلِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ إِلَّا فِي الْأَفْئِدَةِ﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفارة، ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿مِمَّا فِي الْأَوَّلِ﴾ أي: مانع يقبهم عذابه. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَمَهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا فِي يَدَيْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول الجمهور. وقال ثعلب: خير المثل مضمر قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مثل الجنة، وفيما نقضه عليكم خبر الجنة ﴿أَكْثَمَهَا دَائِمٌ﴾ قال الحسن: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وَبُيُوتُهُمْ فِيهَا﴾ لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس. قوله تعالى: ﴿يَدَيْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ بِقُرْصَةٍ يَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ. قاله قتادة. والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قلّة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما نزل ذكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية. فاما

الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد. والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد المطلب، قاله مقاتل. والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي. وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته. والثالث: أنهم عرفوا صدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا خِصَامُ الْغَائِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم، أنزلنا عليك القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض. وقال أبو عبيدة: ديناً عربياً.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: في صلاتك إلى بيت المقدس: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ﴾ أن قبلتك الكعبة، قاله ابن السائب. والثاني: في قبول ما دعوك إليه من ملة آبائك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما لك من عذاب الله من قريب ينفعك ﴿وَلَا خِصَامُ الْغَائِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَهَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن اليهود عيروا رسول الله ﷺ بكثرة التزويج، وقالوا: لو كان نبياً كما يزعم، شغلته النبوة عن تزويج النساء، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: أن الرسل قبلك كانوا بشراً لهم أزواج، يعني النساء، وذرية، يعني: الأولاد. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره، وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله، قاله الحسن. والثاني: أنه من المقدم والمؤخر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، قاله الضحاك والفراء. والثالث: لكل أجل قدره الله ﷻ، ولكل أمر قضاء، كتاب أثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاء الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة التاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ويثبت» مشددة الباء مفتوحة التاء. قال أبو علي: والمعنى: ويثبت، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني. واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال: أحدها: أنه عام، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وقاتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يبدعه ثابتاً لا ينسخه، وهو المحكم. والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> من حديث حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك الموكل: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزداد فيها ولا ينقص منها». والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران، قاله مجاهد. والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجر أجله، قاله الحسن. والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روي عن سعيد بن جبيرة.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة. والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كله يكتب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث<sup>(٢)</sup>. وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى في ثلاث ساعات ييقن من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت»<sup>(٣)</sup>. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ﴾ أي: من العذاب وأنت حي ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ذلك، فليس عليك إلا أن تبلغ، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قال مقاتل: يعني الجزاء. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ﴾ نسخ بآية السيف وفرض الجهاد، وبه قال قتادة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَكْتُبُ لَكُمْ لَآ مُعَاقِبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. قال مقاتل: «أولم يروا» يعني: كفار مكة «أنا نأتي الأرض» يعني: أرض مكة «ننقصها من أطرافها» يعني: ما حولها. والثاني: أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أنه نقص أهلها وبركتها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال الشعبي: نقص الأنفس والشمات. والرابع: أنه ذهب فقهاؤها وخيار أهلها، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أنه موت أهلها، قاله مجاهد، وعطاء، وقاتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ لَكُمْ لَآ مُعَاقِبَ لِحُكْمِهِ﴾ قال ابن قتيبة: لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقص. وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة [البقرة: ٢٠٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا بِمَا مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَنَجْوَى السَّيْفِ الْأَكْثَرُ لِمَنْ عِنْدَ الذَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم، كما مكتر قريش برسول الله ﷺ ليقتلوه. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ يعين: أن مكر الماكرين مخلوق له، ولا يضر إلا بإرادته؛ وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتسكين له. ﴿بِمَا مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر، ولا يقع ضرر إلا بإذنه. ﴿وسيعلم الكافر﴾

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٧٠/١٣: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية، وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن، ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ للآيات بالعقوبة، وتهديم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلِمَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَهْلٍ كِتَابٍ﴾ يعلمهم بذلك أن لقضاه فيهم أجلاً ميثاقاً في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو حان هلاكه، أو انقضا من رفعة، أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيترك على ما هو عليه فلا يمحوه.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧١/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره، أخبر أنه يمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فكان بيناً أن معناه: وعنده أصل الميثاق منه والممحو، وجملته في كتاب لديه.

(٣) «الطبري» ١٧٠/١٣: وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورده السيوطي في «الدور» ٦٥/٤: وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٧٤/١٣: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم ليأبهم، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسول الله ﷺ للآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ثم ويخبرهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعانئون من فعل أهل بضرائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وسيعلم الكافر». قال ابن عباس: يعني: أبا جهل. وقال الزجاج: الكافر هاهنا: اسم جنس. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الكفار» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ عَنِ الدَّارِ﴾ أي: لمن الجنة آخر الأمر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. والثاني: كفار قريش. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالات على نبوتي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، قاله قتادة. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية. والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر. والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» بيه قراءة ابن السميع، وابن أبي عبيدة، ومجاهد، وأبي حيوة. ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي: «وَمَنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بضم الميم وكسر اللام وفتح الميم «الكتاب» بالرفع. وقرأ الحسن «وَمَنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بكسر العين وضم الميم «الكتاب» مضاف، كأنه قال: أنزل من علم الله تعالى.



## سورة إبراهيم

[عليه السلام]

وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم، إلا ما روي عن ابن عباس، وقناة أنهما قالا: سوى آيتين منها، وهما<sup>(١)</sup> قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ والتي بعدها [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبَ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْمُرِيدِ ۝ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَبِهِ لِنُكَفِّرُنَّ بِنِعْمَتِهِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١]. وقوله: ﴿كِتَبَ﴾ قال الزجاج: المعنى: هذا كتاب، والكتاب: القرآن. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: أن الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أن الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى، قاله مجاهد، وقناة. والثالث: أن الظلمات: الشك، والنور: اليقين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بامر ربهم، قاله مقاتل. والثاني: بتوفيق ربهم، قاله أبو سليمان. والثالث: أنه الإذن نفسه، فالمعنى: بما أذن لك من تعليمهم، قاله الزجاج، قال ثم بين ما الثور، فقال: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْمُرِيدِ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا مثل قول العرب: جلست إلى زيد، إلى العاقل الفاضل، وإنما تُعاد «إلى» بمعنى التعظيم للامر، قال الشاعر:

إِذَا حَدِيثَ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا  
دَعَوْتُ إِلَيْهِ لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي

فأعاد «دعوت» لتفخيم الأمر.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ﴾ قرا ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «الحميد لله» على البدل. وقرا نافع، وابن عامر، وأبان، والمفضل: «الحميد لله» رفعا على الاستئناف، وقد سبق بيان ألفاظ الآية.

﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰلٍ يَبْعِدُ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمُ ابْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ أي: يمتنعون الناس من الدخول في دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شرحناه في منها تهاونا بامر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شرحناه في [إلى عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فِي صَلَٰلٍ﴾ أي: في ذهاب عن الحق [يعير] من الصواب.

(١) في الأصل: وهي.

(٢) البيان لقيس لبي: «ديوانه» ٦٩، و«الأغاني» ٩/١٩٣، وتزيين «الأسواق» ٤٨.



قوله تعالى: ﴿إِلَّا يَلْسَانٌ قَوِيَّةٌ﴾ أي: بلغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة عند العرب: الكلام المنطوق به، وهو مأخوذ من قولهم: لُغَا الطائر يُلَغُو: إذا صَوَّت في الغلس. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجاحدي: ﴿إِلَّا يَلْسُنُ قَوْمَهُ﴾ برفع اللام والسين من غير ألف. وقرأ أبو الجزاء، وأبو عمران: ﴿يَلْسُنُ قَوْمَهُ﴾ بكسر اللام وسكون السين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبِيحُ لَهُمْ﴾ أي: الذي أرسل به فيفهمونه عنه. وهذا نزل، لأن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية، وهذا عربي!

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَخْرَجْتَ قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: «أن» مفسر، والمعنى قلنا له: أخرج قومك. وقد سبق بيان الظلمات والنور [البقرة: ٢٥٧]. وفي قوله: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نعم الله، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن قتبية. والثاني: أنها وقائع الله في الأمم قبلهم، قاله ابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها أيام نعم الله عليهم وأيام يقمهم ممن كفر من قوم نوح وعاد وثمود، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يعني: التذكير: ﴿لَا يَنْبَغُ لِكُلِّ صَكَّارٍ﴾ على طاعة الله وعن معصيته: ﴿شُكْرٌ﴾ لأنهم. والصَّار: الكثير الصبر، والشُّكور: الكثير الشكر، وإنما خص بالآيات، لانقضاء بها. وما بعد هذا مشروح في سورة [البقرة: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ لَيْنَ شُكْرِكَ لِأَزِيدَنَّكَ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَا أَنذَرُكُمْ يَوْمَ لَاقِيكُمْ بِنُورِ الْآزِفِ مِنْ قَلْبِكُمْ قُوْرُ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدُ وَالْأَزِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَلْعَلُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ٨ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا السَّمْعَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِنَ الْكَافِرِ شَيْءٍ قَالُوا إِنَّا نَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ لَا يَنْفَعُنَا اللَّهُ شَيْءٌ أَنْ تَقُولُوا نَحْنُ مُسْلِمُونَ مَا أَهْلُ الْآيَاتِ أَفَأَنْتُمْ تُنَادُونَ أَنْ نَعْبُدَ مَا يَنْتَوِيحُ فَاتُوتُنَا فَنَسْلُطَنَ فِيهِمْ ثُلَاسٍ﴾ ٩ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ١١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي بِلَدٍ فَأَوْرَاجُ الْوَيْلِ لَكُمُ الْكَيْلُ الْكَلِيلُ﴾ ١٢ ﴿وَلَنَسُجِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَتَأَتَّى وَعِيدِي﴾ ١٣

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ﴾ مذكور في [الأعراف: ١٦٧]. وفي قوله: ﴿لَيْنَ شُكْرِكَ لِأَزِيدَنَّكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن. والثاني: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. والثالث: لئن وُحِدتموني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه كفر بالتوحيد. والثاني: كفران النعم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَنذَرُكُمْ يَوْمَ لَاقِيكُمْ﴾ أي: غني عن خلقه، محمود في أفعاله، لأنه إما مفضل بفعله، أو عادل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَلْعَلُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال ابن الأنباري: أي: لا يحصي عددهم إلا هو، على أن الله تعالى أهلكت أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعُفَّت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم عضوا أصابعهم غيظاً، قاله ابن مسعود، وابن زيد. وقال ابن قتبية: «في» هاهنا بمعنى: «إلى»، ومعنى الكلام: عضوا عليها حقاً وغيظاً، كما قال الشاعر:

يَرُدُّونَ فِيهِ غَشْرَ الْحَسودِ<sup>(٢)</sup>

يعني: أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

(١) «الطبري» ١٨٤/١٣، «المسنند» ١٢١/٥، وذكره ابن كثير من رواية أحمد ٥٢٣/٢، ثم قال: ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبيان به، ورواه عبد الله ابنه أيضاً موقوفاً، وهو أشبه. وذكره السيوطي في «الدر» ٧٠/٤، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ذكره ابن قتبية غير منسوب في «المعاني الكبير» ٨٣٤، «غريب القرآن» ٢٣٠، وشرحه بقوله: «يعني أصابع يديه العشر يعضها غيظاً عليهم وحقاً» وفي «تفسير القرطبي» ٣٤٦/٩.

قَدْ أَفْنَى أَنْفَالَهُ أَزْمُهُ فَأَصْحَى يَعْضُ عَلَيَّ الْوَظِيفَا<sup>(١)</sup>

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأصحى يعض عليّ وظيف الذراع. والثاني: أنهم كانوا إذا جاءهم الرسول فقال: إني رسول، قالوا له: اسكت، وأشاروا بأصابعهم إلى أفواه أنفسهم، ردّاً عليه وتكدياً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم لما سمعوا كتاب الله، عجزوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل. ردّاً لقولهم، قاله الحسن. والخامس: أنهم كذبوهم بأفواههم، وردّوا عليهم قولهم، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه مثّل، ومعناه: أنهم كفّوا عما أمروا بقبوله من الحق، ولم يؤمنوا به. يقال: ردّ فلان يده إلى فمه، أي أمسك فلم يُجب، قاله أبو عبيدة. والسابع: ردّوا ما لو قبلوه لكان نعماً وأيادي من الله<sup>(٢)</sup>، فتكون الأيدي بمعنى: الأيادي، و«في» بمعنى: الباء، والمعنى: ردّوا الأيادي بأفواههم، ذكره الفراء، وقال: قد وجدنا من العرب من يجعل «في» موضع الباء، فيقول: أدلك الله بالجنة، يريد: في الجنة، وأنشدني بعضهم: وأرغب فيها عن لقيبط ورهطه ولكنني عن سننيس لست أزعب<sup>(٣)</sup>

فقال: أرغب فيها، يعني: بتأله، يريد: أرغب بها، وسننيس: قبيلة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي: على زعمكم أنكم أرسلتم، لا أنهم أقرؤا بإرسالهم. وباقي الآية قد سبق تفسيره (عود: ٦٢). ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَأْنٌ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيدهم ﴿يَدْعُوَكُمْ﴾ بالرسول والكتب ﴿لِيُفَيِّرَ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: «من» زائدة، كقوله: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَكْثَرِ حَقِيرَةٍ﴾ [الحاقة: ٤٧]، قال أبو ذؤيب:

جَزَيْتُكَ ضِغْفَ الْحَبِّ لَمَّا شَكَّرْتَهُ وَمَا إِنْ جَزَاكَ الضُّغْفُ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي<sup>(٤)</sup>

أي: أخذ. وقوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت، والمعنى: لا يعاجلكم بالعذاب. ﴿قَالُوا﴾ للرسول: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ما أنتم إلا بشر مثّلنا، أي: ليس لكم علينا فضل، والسلطان: الحجة. قالت الرسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فاعترفوا لهم بذلك، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنون: بالنبوة والرسالة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس ذلك من قِبل أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: بين لنا رشدنا. والثاني: عرفنا طريق التوكل. وإنما قصّ هذا وأمثاله على نبينا ﷺ ليقنّدي بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم.

قوله تعالى: ﴿لَتَكِلَنَّ الْأَظْلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين بالرسول. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم. ﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي. قال الفراء: العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعته عليه، فتقول: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من ذاك، ومثله ﴿وَيَقْتُلُونَ رُفُقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: رزقي إياكم.

قوله تعالى: ﴿وَنَافَ وَيَبِيدُ﴾ أثبت باء «ويعيدي» في الحالين يعقوب، وتابعه ورش في الرُّضَل.

﴿وَأَسْتَنْصَرُوا وَكَانَ كُلُّ جُنَدٍ عَنِيبٍ﴾ ١٥ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ جَهَنَّمَ وَشَقَّ مِنْ مَّاءٍ صَافٍ﴾ ١٦ ﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يَسْمِعُهُمْ﴾ ١٧ ﴿يَأْتِيهِمُ الْوَيْلُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمُحِيطِينَ بِرَبِّهِمْ﴾ ١٨ ﴿وَرَأَيْتُ عَذَابَ غِلَظٍ﴾ ١٩

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَنْصَرُوا﴾ يعني: استنصروا. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وحמיד،

(١) البيت لصخر النبي، كما في «ديوان الهذليين» ٧٣/٢، و«المعاني الكبير» لابن تقيّة ٨٣٤، و«غريب القرآن» ٢٣١. و«الأزم»: المعض الشديد، و«الوظيف»: الذراع. يقول: «قد أفنى أصابعه فهو يعض على مفصل بين الساعد والكف».

(٢) قال أبو جعفر الطبري: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود - أي القول الأول - أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غيظاً على الرسل، كما وصف الله ﷺ به إخوانهم من المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا خَلَا عُمَرُا عَلَيْكُمْ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ النَّبِيِّينَ، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من رد اليد إلى الفم.

(٣) «الطبري» ١٨٩/١٣، غير منسوب.

(٤) «مجاز القرآن» ٤٩/١، «ديوان الهذليين» ٣٥/١، و«شرح أشعار الهذليين» ٨٨/١.

وابن مُحَيِّصِن: «وَاسْتَفْتِحُوا» بكسر التاء على الأمر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الرسل، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهم الكفار، واستفتحهم: سؤالهم العذاب، كقولهم: ﴿رَبَّنَا نَجِّنَا مِنْ عَذَابِ هَذِهِ الْأَيَّةِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَنَابِ كُلَّ جَنَابٍ عَنِيبٍ﴾ قال ابن السائب: خسر عند الدعاء، وقال مقاتل: خسر عند نزول العذاب، وقال أبو سليمان الدمشقي: يس من الإجابة. وقد شرحنا معنى الجَبَّار والعنيد في [مرد: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ جَهَنَّمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى القُدَّام، قال ابن عباس، يريد: أمامه جهنم. وقال أبو عبيدة: «من ورائه» أي: قُدَّامة وأمامه، يقال: الموت من ورائك، وأنشد:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي  
وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاءُ وَرَائِيَا<sup>(١)</sup>  
والثاني: أنها بمعنى: «بَعْد»، قال ابن الأنباري: «من ورائه» أي: من بعد يأسه، فدلَّ «خاب» على اليأس، فكنى عنه، وحملت «وراء» على معنى: «بَعْد» كما قال النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً  
وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّوِّ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ<sup>(٢)</sup>  
أراد: ليس بَعْدَ الله مذهب. قال الزجاج: والوراء يكون بمعنى الخَلْف والقُدَّام، لأن ما بين يديك وما قُدَّامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي  
لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ<sup>(٣)</sup>  
قال: وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة. وسئل ثعلب: لم قيل: الوراء للأمام؟ فقال: الوراء: اسم لما توارى عن عينك، سواء أكان أمامك أو خلفك. وقال الفراء: إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر، تقول: وراءك برد شديد. وبين يديك برد شديد. ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك: هو وراءك، ولا للرجل وراءك: هو بين يديك.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا مِنْ مَاءٍ مَكِيدٍ﴾ قال عكرمة، ومجاهد، واللغويون: الصديد: القيح والدَّم، قاله قتادة، وهو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه. وقال القرظي: هو غُسالة أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة. وقال ابن قتيبة: المعنى: يُسقى الصديد مكانَ الماء، قال: ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: ما يُسقى ماءً كأنه صديد<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ والتجرج: تناول المشروب جُرعة جُرعة، لا في مرة واحدة، وذلك لشدة كراهته له، وإنما يُكره على شربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَشْفَعُ﴾ قال الزجاج: لا يقدر على ابتلاعه، تقول: ساغ لي الشيء، وأسغته، وروى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيُكْرَهُ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيَهُ الْكُوفُ﴾ أي: هم الموت وكربه وألمه ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كل شعرة في جسده، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال سفيان الثوري: من كل عِرْق. وقال ابن جريج: تتعلق نفسه عند

(١) البيت من كلمة لسوار بن المضرب في «الكامل» ٤٤٥، وهو في «مجاز القرآن» ٣٣٧/١، و«الطبري» ١/١٦، و«الجمهرة» ١/١٧٧، و ٤٩٥/٣، و«القرظي» ٣٥/١١، و«اللسان»، و«التاج»: «ورى».

(٢) «ديوانه» ١٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٧٥ من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري: «ديوانه» ١٧٠.

(٤) كذا الأصل، والذي في «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٣١: أي: يسقى ماءً كأنه صديد.

(٥) «الطبري» ١٣/١٩٦، و«المسند» ٥/٢٦٥، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٢٦/٢، من رواية أحمد في «المسند» وقال: وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث بقية بن الوليد عن صقر بن عمرو به. وذكره السيوطي في «الدر» ٧٢/٤ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، والطبراني، وأبي نعيم في «الحلية» و«صححه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

حنجرته، فلا تخرج من فيه فتموت، ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة. والثاني: من كل جهة، من فوقه وتحتة، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقُدَّامه، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها البلايا التي تصيب الكفار في النار، سماها موتاً، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: موتاً تنقطع معه الحياة. ﴿وَيَوْمَ رَأَيْهِ﴾ أي: من بعد هذا العذاب. قال ابن السائب: من بعد الصديد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾. وقال إبراهيم التيمي: بعد الخلود في النار. والغليظ: الشديد.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاقُ الْبَعِيدُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ قال الفراء: أضاف المثل إليهم، وإنما المثل للأعمال، فالمعنى: مثل أعمال الذين كفروا. ومثله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، أي: ترى وجوههم. وجعل العُصُوف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما العُصُوف للريح، وذلك جائز على جهتين: إحداهما: أن العُصُوف، وإن كان للريح، فإن اليوم يوصف به، لأن الريح فيه تكون، فجاز أن تقول: يوم عاصف، كما تقول: يوم بارد، ويوم حار. والوجه الآخر: أن تريد: في يوم عاصف الريح، فتحذف الريح، لأنها قد ذكرت في أول الكلام، كما قال الشاعر:

وَيُضْحِكُ عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا

إذا كَانَ يَوْمٌ مُّظْلِمُ الشَّمْسِ كَاسِفٌ  
يريد: كاسف الشمس. وروي عن سيبويه أنه قال: في هذه الآية إضمار، والمعنى: ومما نقص عليك مثل الذين كفروا، ثم ابتداء فقال: «أعمالهم كرماد». وقرأ النخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في يوم عاصف» بغير تنوين اليوم. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن كل ما يتقرب به المشركون يحبط لا ينتفعون به، كالرماد الذي سَفَتَهُ الريح فلا يُقدَّر على شيء منه، فهم لا يقدرُونَ مما كَسَبُوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاقُ الْبَعِيدُ﴾ من النجاة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ يَدْهُنَّكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٩﴾  
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ألم تُخَبِّرْ، قاله ابن السائب. والثاني: ألم تعلم، قاله مقاتل، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: أي: لم يخلقهن عبثاً، وإنما خلقهن لأمر عظيم. ﴿إِنَّ يَشَأْ يَدْهُنَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: يميكنكم يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع، وهذا خطاب لأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: بممتنع متعذر.

﴿وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّمُّونَ لِلَّذِينَ أُسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا نَحْنُ بِمُتَعَدِّينَ عَنَّا إِنَّ اللَّهَ لَحَدِيدٌ لَدَيْنُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَجْرَعْتَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجَبٍ﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لفظه لفظ الماضي، ومعناه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع، ﴿فَقَالَ الصُّمُّونَ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ أُسْتَكْبَرُوا﴾ وهم المتبوعون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ قال الزجاج: هو جمع تابع، يقال: تابع وتبع، ومثل: غائب وغيب، والمعنى: تبعناكم فيما دعوتونا إليه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا نَحْنُ بِمُتَعَدِّينَ عَنَّا﴾ أي: دافعون عنا ﴿وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. قال القادة: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ﴾ أي: لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم، يريدون: أن الله أضلنا فدعوناكم إلى الضلال، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَجْرَعْتَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نبكي ونضرع، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكانهم وتضرعهم، فَبَكَرُوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: تعالوا نصبر، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، فصبروا صبراً لم يُر مثله قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندها قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَجْرَعْتَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجَبٍ﴾. وروى مالك بن أنس

عن زيد بن أسلم قال: جَزَعُوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة. وقال مقاتل: جَزَعُوا خمسمائة عام، وصبروا خمسمائة عام. وقد شرحنا معنى المحيص في سورة [النساء: ١٢١].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَدَّعَاكُمْ فَأَلْفَنُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاتَّبَعْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخَتِي إِيَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: يعني به إبليس، يعني به إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ منه، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فحينئذ يجتمع أهل النار باللوم على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: وعدكم كَوْنُ هذا اليوم فَصَدَقَكُمْ ﴿وَوَدَّعَاكُمْ﴾ أنه لا يكون ﴿فَأَلْفَنُكُمْ﴾ الوعد ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أظهرت لكم حُجَّةً على ما ادَّعيت. وقال بعضهم: ما كنت أملككم فأكرهكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم ﴿فَاتَّبَعْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتموني من غير برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخَتِي﴾ أي: بمغيثي. قرأ حمزة «بمُصْرِخِي» فحرك الياء إلى الكسر، وحركها الباقون إلى الفتح. قال قطرب: هي لغة في بني يربوع؛ يعني: قراءة حمزة. قال اللغويون: يقال: استصرخني فلان فأصرخته، أي: استغاثني فأغثته. ﴿إِنَّ كَفَرْتُمْ﴾ اليوم بإشراككم إياي في الدنيا مع الله في الطاعة، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمر ربهم. وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ قد ذكرناه في [يونس: ٤١].  
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ قال المفسرون: ألم تر بعين قلبك فتعلم بإعلامي إياك كيف ضرب الله مثلاً. أي: بيّن شَبَهاً، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال ابن عباس: هي شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: طيبة الشجرة، فترك ذكر الشجرة اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النخلة، وهو في «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وقد رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وأنس بن مالك، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنها شجرة في الجنة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: أنها المؤمن، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عمله السماء. وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ فالمؤمن يذكر الله كل ساعة من النهار، رواه عطية عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا عَالٍ﴾ أعلاها عالٍ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: نحو السماء، وأكلها: ثمرها. وفي الحين هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه ثمانية أشهر، قاله علي عليه السلام. والثاني: ستة أشهر، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه بُكْرَة وعشية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والرابع: أنه السنة، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والخامس: أنه شهران، قاله سعيد بن المسيب. والسادس: أنه عُذْوَة وعشية وكلّ ساعة، قاله ابن جرير. فمن قال: ثمانية أشهر، أشار إلى مُدَّة حملها باطناً وظاهراً، ومن قال: ستة أشهر، فهي مدة حملها إلى حين صرامها، ومن قال: بُكْرَة وعشية، أشار إلى الاجتناء منها، ومن قال: سنة، أشار إلى أنه لا تحمل في السنة إلا مرةً، ومن قال: شهران، فهو مدة صلاحها. قال

(١) البخاري ١/١٣٠، ومسلم ٤/٢١٦٥، ولفظه عندهما: عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فعدوثني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هي النخلة». قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يذوق منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوها وحطباً وعصياً ومخاصر وحصراً وأحياناً وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها، ويتنقع به علناً للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه.

ابن المسيب: لا يكون في النخلة أكلها إلا شهرين. ومن قال: كل ساعة، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً. قال قتادة: تؤكل ثمرتها في الشتاء والصيف. قال ابن جرير: الطلع في الشتاء من أكلها، والبلح والبُسر والرطب والتمر في الصيف. فأما الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، فمن أوجه: أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها. والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها. والثالث: أن ثمرتها تأتي في كل حين، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بشمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إله إلا الله، صعدت إلى السماء، ثم جاء خيرها ومنفعتا. والرابع: أنها أشبه الشجر بالإنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها تنشعب غصونها من جوانبها، إلا هي، إذا قطع رأسها يبست، ولأنه لا تحمل حتى تلتفح، ولأنها فضلة تربة آدم ﷺ فيما يروى<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَثَلُ كَيْفِ حَيْثُو كَنْجَرٍ حَيْثُو أُبْحَثَ مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَيْفِ حَيْثُو﴾ قال ابن عباس: هي الشُّرك. وقوله: ﴿كَنْجَرٍ حَيْثُو﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الحنظلة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال أنس، ومجاهد. والثاني: أنها الكافر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عنه أنه قال: الكافر لا يقبل عمله، ولا يصعد إلى الله تعالى، فليس له أصل في الأرض ثابت، ولا فرع في السماء. والثالث: أنها الكُشْوَى<sup>(٣)</sup> رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه مثل، وليست بشجرة مخلوقة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والخامس: أنها الثوم، روي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿أُبْحَثُ﴾ قال ابن قتيبة: استؤصلت وقُطعت. قال الزجاج: ومعنى اجتثت الشيء في اللغة: أخذت جثته بكمالها. وفي قوله: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قولان: أحدهما: ما لها من أصل، لم تُضرب في الأرض عرقاً. والثاني: ما لها من ثبات. ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت.

﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ينبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الحياة الدنيا: زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرة: زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وفيه أحاديث تعضده<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن الحياة الدنيا: زمن السؤال في القبر، والآخرة: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس، وقاتدة. قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتشبيته إياه على الحق. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين، يضلهم عن هذه الكلمة، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من هداية المؤمن وإضلال الكافر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْفَرَارَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ في المشار إليهم سبعة أقوال: أحدها: أنهم الأفجرا من قریش: بنو أمية، وبنو المغيرة، روي عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والثاني: أنهم منافقو قریش، رواه أبو الطفيل عن علي. والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر، رواه أبو صالح

(١) هو حديث ضعيف ولنظ: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة إبيكم آدم». رواه أبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي حاتم، والعقيلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل»، وابن السني وأبو نعيم معاً في «الطب»، وابن مردويه من طريق مسرور بن سعيد التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي مرفوعاً. ومسرور بن سعيد التميمي غمزه ابن حبان، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال ابن عساكر: عروة لم يدرك علياً، والحديث غريب، والتميمي مجهول.

(٢) «الطبري» ٢١٢/١٣، من حديث حماد بن سلمة عن شعيب بن الجحباب عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

(٣) الكشوي: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.

(٤) انظر في «الطبري» ٢١٣/١٣ - ٢١٨، وابن كثير ٥٣١/٢ - ٥٣٨ الأحاديث الواردة في ذلك، عند تفسير هذه الآية.

عن ابن عباس. والرابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والخامس: المشركون من أهل بدر، قاله مجاهد، وابن زيد. والسادس: أنهم الذين قُتلوا ببدر من كفار قريش، قاله سعيد بن جبير، وأبو مالك. والسابع: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن. قال المفسرون: وتبديلهم نعمة الله كفرًا، أن الله أنعم عليهم برسوله، وأسكنهم حرمه، فكفروا بالله وبرسوله، ودعوا قومهم إلى الكفر به، فذلك قوله: ﴿وَأَعْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي: الهلاك. ثم فسر الدار بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ أي يقاسون حرَّها: ﴿وَيْتَسَّ الْقَرَارُ﴾ أي: بش المقر هي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا﴾ قد بيَّناه في سورة (البقرة: ٢٢)، واللام في «لِيُضِلُّوا» لام العاقبة، وقد سبق شرحها [يونس: ٨٨]، ومن قرأ «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أراد: لِيُضِلُّوا الناس عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيد لهم. قال ابن عباس: لو كان الكافر مريضاً لا ينাম، جائعاً لا يأكل ولا يشرب، لكان هذا نعيمًا يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من العذاب، ولو كان المؤمن في نعيم عيش، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة.

﴿قُلْ لِيَمَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُحْسِنُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِمَّا بَاتَى يَوْمَ لَا يَبْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٢٧) ﴿لِلَّهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (٢٨) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٢٩) ﴿وَاتَّخَذَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفُكَّارٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٠) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً وَاجْعَلْنِي وَمِنْهُ قَوْمًا مُتَقَدِّمِينَ وَالْأَنْصَارَ﴾ (٣١) ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْغَنَى الَّتِي بِيَدِكَ وَمَنْ عَصَاكَ فَلَاكَ غُفُورٌ رَجِيمٌ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيَمَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسكن ابن عامر، وحمة، والكسائي ياء «عبادي».

قوله تعالى: ﴿يُحْسِنُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: قل لعبادي: أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا وينفقوا، فحذف الأمران، وترك الجوابان، قال الشاعر:

فبأي أمرٍ أنلت أي أمرٍ

إذا قيل في الحرب من يُقدِّمُ

أراد: إذا قيل: من يُقدِّمُ تُقدِّمُ. ويجوز أن يكون المعنى: قل لعبادي أقيموا الصلاة، وأنفقوا، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر. ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم ليقيموا الصلاة، ولينفقوا، فحذف لام الأمر، لدلالة «قل» عليها. قال ابن قتيبة: والخلال مصدر خاللت فلاناً خللاً ومخاللةً، والاسم الخلَّة، وهي الصداقة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ أي: ذلَّلها، تجري حيث تريدون، وتركبون فيها حيث تشاؤون. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما. ﴿دَائِبَيْنِ﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران. ومعنى الدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه، راحة لأبدانكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لنتفعوا بمعاشكم، ﴿وَاتَّخَذَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتموه، قاله الحسن، وعكرمة. والثاني: من كل ما سألتموه، لو سألتموه، قاله الفراء. والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي، من كل شيء في زمانها شيئاً، قاله الأخفش. والرابع: من كل ما سألتموه وما لم تسألوه، لأنكم لم تسألوا شمساً ولا قمرًا ولا كثيراً من النعم التي ابتدأكم بها، فاكفيتي بالأول من الثاني، كقوله: ﴿سُرَّيْلُ رَبِّكُمْ الْهَرَّةُ﴾ [النحل: ٨١]، قاله ابن الأنباري. والخامس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقناة، وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: من كل ما بالتونين من غير إضافة، فالمعنى: آتاكم من كل ما لم تسألوه، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾ لا تطبقوا الإتيان على جميعها بالعدِّ لكثرتها. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال الزجاج: الإنسان اسم للجنس يُقصد به الكافر خاصة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكُفَّارُ﴾ الظُّلُم هاهنا: الشاكر غير من أنعم عليه، والكُفَّار: الجحود لنعيم الله تعالى.



قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ١٧٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ﴾ أي: جُنَّبْنِي وإلياهم، والمعنى: ثبُتني على اجتناب عبادتها. ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ الْآثَارِ﴾ يعني: الأصنام، وهي لا توصف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلُّوا بسببها، كانت كأنها أضلَّتْهم. ﴿فَتَنِّيَعْنِي﴾ أي: على ديني التوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي: فهو على ملَّتِي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم، قاله السدي. والثاني: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله مقاتل بن حيان. والثالث: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم أن تتوب عليه فتهديه إلى التوحيد، قاله مقاتل بن سليمان. وقال ابن الأنباري: يحتمل أن يكون دعا بهذا قبل أن يعلمه الله تعالى أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبيه.

﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قولان: أحدهما: أنها للتبعض، قاله الأخفش، والفراء. والثاني: أنها للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: مكة، ولم يكن فيها حرث ولا ماء. عند ﴿بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إنما سمي محرماً، لأنه يحرم استحلل حرماته والاستخفاف بحقه. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن هناك بيت حينئذٍ، إنما بناه إبراهيم بعد ذلك بمُدَّة؟ فالجواب من ثلاثة وجوه: أحدها: أن الله تعالى حَرَّمَ موضع البيت منذ خلق السموات والأرض، قاله ابن السائب. والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرْفَعَ أيام الطوفان. والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث هاهنا، ذكرهما ابن جرير. وكان أبو سليمان الدمشقي يقول: ظاهر الكلام يدل على أن هذا الدعاء إنما كان بعد أن بُني البيت وصارت مكة بلداً. والمفسرون على خلاف ما قال. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد أن إبراهيم خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر ومعه جبريل حتى قدم مكة وبها ناس يقال لهم: العمالق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذٍ ريوه حمراء، فقال إبراهيم لجبريل: أهاطنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم؛ فأنزلهما في مكانٍ من الحجر، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ الآية. وفتح أهل الحجاز، وأبو عمرو ياء «إِنِّي أَسْكَنْتُ».

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في متعلق هذه اللام قولان: أحدهما: أنها تتعلق بقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، فالمعنى: جنبهم الأصنام ليقيموا الصلاة، هذا قول مقاتل. والثاني: أنها تتعلق بقوله: ﴿أَسْكَنْتُ﴾، فالمعنى: أسكنتهم عند بيتك ليقيموا الصلاة، لأن البيت قِبلة الصلوات، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي: قلوب جماعة من الناس. قال ابن الأنباري: وإنما عبّر عن القلوب بالأفئدة، لقرب القلب من الفؤاد ومجاورته، قال امرؤ القيس:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ  
غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

كَأَنَّ فُؤَادِي كَلَّمَا مَرُّ رَاكِبٍ  
جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إِلَى وَغْرِ

وقال آخر:

وإن فُؤَاداً قَادَنِي لِصَبَابَةٍ  
إِلَيْكَ عَلَى طَوْلِ الْهَوَى لَصَبُورُ

يعنون بالفؤاد: القلب.

قوله تعالى: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: تَجَنُّ إِلَيْهِمْ. وقال قتادة: تنزع إليهم. وقال الفراء: تريد هم، كما تقول: رأيت فلاناً يهوي نحوك، أي: يريذك. وقرأ بعضهم: «تهوى إليهم» بمعنى: تهواهم، كقوله: ﴿رَدِّ لَكُمْ﴾

(١) «ديوانه» ١٥٥. وقوله: رمتني سهم، أي نظرت إلي نظرة فلم انتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاهنا: عينها.

[النمل: ٧٢]، أي: ردفكم. و «إلى» توكيد للكلام. وقال ابن الأنباري: «تهوي إليهم»: تنحط إليهم وتنحدر. وفي معنى هذا الميل قولان: أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون. والثاني: أنه حُب سُكنى مكة، رواه عطية عن ابن عباس. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليه، لحبَّه اليهود والنصارى، ولكنه قال: من الناس.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: ما نخفي من الوجد بمفارقة إسماعيل، وما نعلن من الحب له. قال المفسرون: إنما قال هذا لما نزل إسماعيل الحرم، وأراد فراقه.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْ لِي قُرْبَةً مِّنَ الْبِرِّ وَرَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي: بعد الكبر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قال ابن عباس: وُلد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وُوُلد له إسحاق وهو ابن مائة واثني عشرة سنة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «وتقبل دعائي» بياء في الوصل. وقال البزي عن ابن كثير: يصل ويقف بياء. وقال قنبل عن ابن كثير: يُشِمُّ البياء في الوصل، ولا يشتمها، ويقف عليها بالالف. الباقون: «دعاء» بغير ياء في الحالين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز، لدلالة الكسرة على البياء.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قال ابن الأنباري: استغفر لأبويه وهما حيَّان، طمعاً في أن يُهْدَيَا إلى الإسلام. وقيل: أراد بوالديه: آدم، وحواء. وقرأ ابن مسعود، وأبي، والنخعي، والزهري: «ولولدي» يعني: إسماعيل وإسحاق، يدل عليه ذكرهما بل ذلك. وقرأ مجاهد: «ولوالدي» على التوحيد. وقرأ عاصم الجحدري: «ولولدي» بضم الواو. وقرأ يحيى بن يعمر، والجوني: «ولولدي» بفتح الواو وكسر الدال على التوحيد. «يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» أي: يظهر الجزاء على الأعمال. وقيل: معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكثفي بذكر الحساب من ذكر الناس إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفْلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيُؤْتَوْا نَجْصَ فِيهِ الْأَبْصُرُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِبِينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفْلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، وقاتدة: «نؤخرهم» بالنون، أي: يؤخر جزاءهم ﴿لِيُؤْتَوْا نَجْصَ فِيهِ الْأَبْصُرُ﴾ أي: تشخص أبصار الخلائق لظهور الأحوال فلا تغتمض.

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإهطاع: النظر من غير أن يُظَرَّفَ الناظر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، وأبو الضحى. والثاني: أنه الإسراع، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال: أهطع البعير في سيره، واستهطع: إذا أسرع. وفي ما أسرعوا إليه قولان: أحدهما: إلى الداعي، قاله قاتدة. والثاني: إلى النار، قاله مقاتل. والثالث: أن المُهْطِع: الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿مُقْنِبِينَ رُؤُوسِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: رافعي رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة، وأنشد أبو عبيدة:

أَنْفَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَ  
كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَظْمَعَ<sup>(١)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٣٨/١٣، و«الطبري» ٣٧٧/٩. وأنفض رأسه: حركه كالتمتع، وأقنعه: رفعه، يقول: هُزَّ رأسه نحوي، ورفعته بآلتي كما يتأمل شيئاً فيه طمع له، وهو شاهد على أن الإقناع: هو الرفع.

وقال ابن قتيبة: المقنع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه. وقال الزجاج: رافعي رؤوسهم، ملتصقة بأعناقهم. و﴿مُهَيِّمَاتٌ مُّغْنِيْنَ رُءُوسِهِمْ﴾ نصبٌ على الحال، المعنى: ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطمين. والثاني: ناكسي رؤوسهم، حكاه الماوردي عن المؤرج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفَةٌ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاحصة. قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد. وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ الأفتدة: مساكن القلوب. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال قتادة: خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم، فأفندتهم هواء ليس فيها شيء. والثاني: وأفندتهم ليس فيها شيء من الخير، فهي كالخزبة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: وأفندتهم منخرقة لا تعي شيئاً، قاله مرة بن شراحيل. وقال الزجاج: متخرقة لا تعي شيئاً من الخوف. والرابع: وأفندتهم جوف لا عقول لها، قاله أبو عبيدة، وأنشد لحسان:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عُنِي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبَ هَوَاءٍ<sup>(١)</sup>

فعلى هذا يكون المعنى: أن قلوبهم خلت عن العقول، لِمَا رَأَوْا من الهول. والعرب تسمي كل أجوف خاوٍ. هواء. قال ابن قتيبة: ويقال: أفندتهم منخرقة من الخوف والجبن.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ أَجْلِ قَرِيبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أي: خوفهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني به: يوم القيامة؛ وإنما خصه بذكر العذاب، وإن كان فيه ثواب، لأن الكلام خرج مخرج التهديد للمصاة. قال ابن عباس: يريد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ أَجْلِ قَرِيبٍ﴾ أي: أمهلنا مدة يسيرة. وقال مقاتل: سألوا الرجوع إلى الدنيا، لأن الخروج من الدنيا قريب. ﴿نُحِبُّ دَعْوَتَكَ﴾ يعني: التوحيد، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: حلفتم في الدنيا أنكم لا تبغون ولا تتقلون من الدنيا إلى الآخرة.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْجِدٍ آلِيَيْنَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْجِدٍ آلِيَيْنَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: نزلتم في أماكنهم وقراهم، كالججر ومدين، والقرى التي عذب أهلها. ومعنى «ظلموا أنفسهم» أي: ضرروها بالكفر والمعصية. ﴿وَبَيَّتَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل الناجي «وَبَيَّيْن» بضم التاء. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيف عذبناهم، يقول: فكان ينبغي لكم أن تنزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكنهم بعدما علمتم فعلنا بهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَئِنْ زُورُوا مِنْهُ لَنَجْأَنَّكَ اللَّهُ تَحْلِفُ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنه نمرود الذي حاك إبراهيم في ربه، قال: لا أنهي حتى أنظر إلى السماء، فأمر بفرخي نسر فربيا حتى سما واستعلجا، ثم أمر بتابوت فثحت، ثم جعل في وسطه خشبة، وجعل على رأس الخشبة لحماً شديد الحمرة، ثم جوعهما وربط أرجلهما بأوتار إلى قوائم التابوت. ودخل هو وصاحب له في التابوت وأغلق بابه، ثم أرسلهما، فجعلا يريدان اللحم، فصعدا في السماء ما شاء الله، ثم قال لصاحبه: افتح وانظر ماذا ترى؟ ففتح، فقال: أرى الأرض كأنها الدخان، فقال له: أغلق، ثم صعد ما شاء الله،

(١) «ديوانه» ٧، «ومجاز القرآن» ١/٣٤٤، «والطبري» ١٣/٢٤١، «والقرطبي» ٩/٣٧٧، «واللسان»، «والناج»: هوا، والجوف: الخالي الجوف، يريد به الجبان، وكذلك النخب والهواء.

ثم قال: افتح فانظر، ففتح، فقال: ما أرى إلا السماء، وما نزداد منها إلا بُعداً، قال: فصوب خشبتك، فصوبتها، فانقضت النور تريد اللحم، فسمعت الجبال هدتها، فكادت تزول عن مراتبها. هذا قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عنه: كانت النور أربعة. وروى الشَّيْخُ عن أشياخه: أنه ما زال يصعد إلى أن رأى الأرض يحيط بها بحر، فكانها قلعة في ماء، ثم صعد حتى وقع في ظلمة، فلم يرَ ما فوقه ولم يرَ ما تحته، ففزع، فصوب اللحم، فانقضت النور، فلما نزل أخذ في بناء الصرح. وروي عن ابن عباس أنه بنى الصرح، ثم صعد منه مع النور، فلما لم يقدر على السماء، اتخذ حصناً، فأتى الله بنيانه من القواعد. وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والشَّاب، فرمى بسهم فعاد إليه ملطخاً بالدم، فقال: كُفِّتَ إِلَهَ السماء، وذلك من دم سمكة في بحر معلق في الهواء، فلما هاله الارتفاع، قال لصاحبه: صوب الخشبة، فصوبتها، فانحطت النور فظنت الجبال أنه أمر نزل من السماء فزالت عن مواضعها. وقال غيره: لما رأت الجبال ذلك، ظنه أنه قيام الساعة، فكادت تزول، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبیر، وأبو مالك. والقول الثاني: أنه يختصر، وأن هذه القصة له جرت، وأن النور لما ارتفعت تطلب اللحم إلى حيث شاء الله، نودي: يا أيها الطاغية، أين تريد؟ ففرق، ثم سمع الصوت فوقه، فنزل، فلما رأت الجبال ذلك، ظنت أنه قيام الساعة فكادت تزول، وهذا قول مجاهد. والثالث: أن المشار إليهم الأمم المتقدمة. قال ابن عباس، وعكرمة: مكرهم: شركهم. والرابع: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ حين هموا بقتله وإخراجه. وفي قوله: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه محفوظ عنده حتى يجازيهم به، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: وعند الله جزاء مكرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية: ﴿وَلَوْ كَادَ مَكْرُهُمْ﴾ بالдал. ﴿لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. وقرأ الأكثرون ﴿لَتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى من «لتزول» وفتح الثانية. أراد: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي: هو أضعف وأوهن، كذلك فسرها الحسن البصري. وقرأ الكسائي ﴿لَتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، أراد: قد كادت الجبال تزول من مكرهم، كذلك فسرها ابن الأنباري. وفي المراد بالجبال قولان: أحدهما: أنها الجبال المعروفة، قاله الجمهور. والثاني: أنها ضربت مثلاً لأمر النبي ﷺ، وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية، والمعنى: لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال، كما زال أمر الإسلام، قاله الزجاج. قال أبو علي؛ ويدل على صحة هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلُّفَ وَعْدِهِ رُشْلَةً﴾ أي: فقد وعدك الظهور عليهم. قال ابن عباس: يريد بوعده: النصر والفتح وإظهار الدين. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع ﴿ذُو أَنْتِقَارٍ﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم.

﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ وَتَسْكُنُ الْوَيْلَ لِلْأَوَّلِينَ الْقَهَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ﴾ وروى أبان «يوم تبدل» بالنون وكسر الدال «الأرض» بالنصب «والسموات» بخفض التاء، ولا خلاف في نصب «غير». وفي معنى تبديل الأرض قولان: أحدهما: أنها تلك الأرض، وإنما يزداد فيها ويُقص منها، وتذهب أكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتُمد مدَّ الأديم، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: بيسطها ويمدها مدَّ الأديم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تبدل بغيرها. ثم فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطية،

(١) «الطبري» ٢٥٢/١٣، وفي سننه جهالة، وهو جزء من حديث الصور المشهور، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١٤٦/٢ من رواية أبي القاسم الطبراني، وقال في آخره: ثم ذكره بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة. وقد اختلف فيه، فمن من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كاحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم، وعمر بن أبي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك الحديث. وقال ابن عدي: أحاديث كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت (أي ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياق فغريب جداً. ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سائفاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، والله أعلم.

رواه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وعطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها تُبَدَّل ناراً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أنها تُبَدَّل بأرض من فضة، قاله أنس بن مالك. والرابع: تُبَدَّل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه، قاله أبو هريرة، وسعيد بن جبير، والقرظي؛ وقال غيرهم: يأكل منها أهل الإسلام حتى يُفْرَغ من حسابهم. فأما تبديل السموت، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنها تُجَعَل من ذهب، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها تصير جناناً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أن تبديلها: تكوير شمسها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس. والرابع: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فمرة كالمُهَل، ومرة تكون كالدَّهان، قاله ابن الأنباري. والخامس: أن تبديلها أن تُطوى كطَي السَّجَل للكتاب. والسادس: أن تنشَقَّ فلا تُظَلَّ، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الذُّكُورَ﴾ أي: خرجوا من القبور.

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الذُّكُورَ﴾ أي: خرجوا من القبور. ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الذُّكُورَ﴾ أي: خرجوا من القبور. ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الذُّكُورَ﴾ أي: خرجوا من القبور.

قوله تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الذُّكُورَ﴾ يعني: الكفار ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يقال: قرنت الشيء إلى الشيء: إذا وصلته به. وفي معنى ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يُقَرَّنون مع الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أن أيديهم وأرجلهم قُرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد. والثالث: يُقَرَّن بعضهم إلى بعض، قاله ابن قتبية. وفي الأصناف ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأغلال، قاله ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج، وابن الأنباري. والثاني: القيود والأغلال، قاله قتادة. والثالث: القيود، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما السرايل، فقال أبو عبيدة: هي القُمص، واحدها سربال. وقال الزجاج: السربال: كل ما لبس. وفي القَطْرَانِ ثلاث لغات: فتح القاف وكسر الطاء، وفتح القاف مع تسكين الطاء، وكسر القاف مع تسكين الطاء. وفي معناه قولان: أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه قَطْرَان الإبل، قاله الحسن، وهو شيء يَتَحَلَّب من شجر تُهَنَّا به الإبل<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وإنما جُعِلَ لَهُم القَطْرَان، لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله تعالى المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لَقَدَّر، ولكنه حذَّوهم ما يعرفون حقيقته. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبيدة، وأبو حاتم عن يعقوب: «مِنْ قَطْرٍ» بكسر القاف وسكون الطاء والتنوين «أَن» بقطع الهمزة وفتحها ومدها. والقَطْر: النحاس، وأن: قد انتهى حره.

قوله تعالى: ﴿وَنَقَّصْنَاهُمْ نَسَاجِدَهُمْ﴾ أي: تلعوها. واللام في ﴿يَجْزِي﴾ متعلقة بقوله: ﴿وَبَرِّزُوا﴾.

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْمَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإنذار. والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أي: أنزل لِيُنْذَرُوا به، وليعملوا بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا﴾

أي: وليتعض ﴿أُولُوا الْأَنْبِيَاءِ﴾



(١) يقال: هنا الإبل يهنؤها ويهتها هنا وهناء: طلاها بالهناء، وهو القطران.

## سورة الحجر

وهي مكية كلها من غير خلاف نعلمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١].

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، جُمع له بين الاسمين. والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والقرآن: كتابنا. وقد ذكرنا في أول (يوسف) معنى المبين.

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «رُبَّمَا» مشددة. وقرأ نافع، وعاصم، وعبد الوارث «رُبَّمَا» بالتخفيف. قال الفراء: أسد وتميم يقولون: «رُبَّمَا» بالتشديد، وأهل الحجاز وكثير من قيس يقولون: «رُبَّمَا» بالتخفيف. وتيمم الزيات يقولون: «رُبَّمَا» بفتح الراء. وقيل: إنما قرئت بالتخفيف، لما فيها من التضعيف، والحروف المضاعفة قد تحذف، نحو «إِنْ» و«لَكِنْ» فإنهم قد خَفَّفُوهَا. قال الزجاج: يقولون: رُبُّ رَجُلٍ جَآنِي، وَرُبُّ رَجُلٍ جَآنِي، وأنشد:

أزهير إن يثيب القذال فيأنسي

هذا البيت لأبي كبير الهذلي<sup>(١)</sup>، وفي ديوانه:

رُبُّ هَيْضَلٍ مَرَسٍ لَقَفْتُ بِهِيْضَلٍ

رُبُّ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَقَفْتُ بِهِيْضَلٍ

والهَيْضَلُ: جمع هَيْضَلَة، وهي الجماعة يُغزى بهم، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال. و «رُبُّ» كلمة موضوعة للتقليل، كما أن «كم» للتكثير، وإنما زيدت «ما» مع «رُبُّ» ليليها الفعل، تقول: رُبُّ رَجُلٍ جَآنِي، وربما جَآنِي زيد. وقال الأخفش: أدخل مع «رُبُّ» ما، ليشكل بالفعل بعدها، وإن شئت جعلت «ما» بمنزلة «شيء»، فكأنك قلت: رُبُّ شيء، أي: رُبُّ وَدَّ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا. وقال أبو سليمان الدمشقي: «ما» هاهنا بمعنى «حين»، فالمعنى: رُبُّ حِينَ يَوَدُّونَ فِيهِ. واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنُخْرِجَ كما أخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وذهب إليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشفَعُ حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن

(١) «ديوان الهذليين» ٨٩/٢.

(٢) «الطبري» ٢/١٤، وفي سننه خالد بن نافع الأشعري، قال الذهبي في «الميزان»: ضعفه أبو زرعة والنسائي. وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وقال أبو داود: متروك الحديث. قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحد بن حنبل، ومسدد، فلا يستحق الترك. والحديث ذكره ابن كثير ٥٤٦/٢ عن الطبراني من حديث خالد بن نافع الأشعري. وأورده السيوطي في «الدر» ٩٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي عاصم في «السنن»، وابن أبي حاتم، والحاكم ومصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

(٣) الطبري ٣/١٤.

الكفار إذا عاينوا القيامة، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالاً من أحوال القيامة يعدُّب فيها الكافر ويسلم من مكروهها المؤمن، وَدُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أنه في الدنيا، إذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلموا مصيرهم، وَدُّوا ذلك، قاله الضحاك. فإن قيل: إذا قلت: إن «رَبِّ» للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيد تكثير ما يُتواعد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدهن: أن «ربما» تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريّان، والجؤن على الأسود والأبيض. والثاني: أن أحوال القيامة وما يقع بهم من الأحوال تكثر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، وَدُّوا ذلك. والثالث: أن هذا الذي حُوفوا به، لو كان مما يُؤدُّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف الندم إذا حصل فيه ولا يتيقنه، لوجب عليه اجتنابه. فإن قيل: كيف جاء بعد «ربما» مستقبل، وسيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟ فالجواب: أن ما وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا، فمستقبله بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَىٰ إِنَّ مَرِيمَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَحْسَبَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُرِضُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١]، على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبَّمَا تَجَزَّعَ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ  
رِلَهُ فُرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا﴾ [١] وَرَبَّتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمْلَ قَسُوفَ يَلْمُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿وَيَلْهَمُ الْأَمْلَ﴾ أي: يشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿قَسُوفَ يَلْمُونَ﴾ إذا وردوا القيامة وبأل ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد، وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [١] ﴿مَا تَسْبِيحٌ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِزُّونَ﴾ [٢]

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: ما عذبنا من أهل قرية ﴿إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أي أجل موقت لا يتقدم ولا يتأخر عنه. ﴿مَا تَسْبِيحٌ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «من» صلة، والمعنى: ما تتقدم وقتها الذي قدر لها بلوغه، ولا تستأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: «أجلها» لأن الأُمَّةَ لفظها مؤنث، وإنما قال: «يستأخرون» إخراجاً له على معنى الرجال.

﴿وَقَالُوا يَكْفَىٰ أَلَدَىٰ نَزَّلَ عَلَيْهِ الْإِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [١] ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٢] ﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرُونَ﴾ [٣]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَكْفَىٰ أَلَدَىٰ نَزَّلَ عَلَيْهِ الْإِكْرُ﴾ قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة. قال ابن عباس: والذكر: القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاء، لو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر، ما قالوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. قال أبو علي الفارسي: وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [١] [القلم: ٢].

قوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ قال الفراء: «لو ما» و «لو لا» لغتان معناهما: هلاً، وكذلك قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، وأنشد لابن مقبل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عَيْشُكُمْ

بِبَغْضٍ مَا فِيكُمْ إِذْ عَيْشُكُمْ عَوْرِي<sup>(١)</sup>  
قال المفسرون: إنما سألوا الملائكة ليشهدوا له بصدقه، وأن الله أرسله، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ما نَزَّلُ» بالتاء المفتوحة «الملائكة» بالرفع. وروى أبو بكر عن عاصم «ما نَزَّلُ» بضم التاء على ما لم يُسم فاعله. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف «ما نَزَّلُ» بالنون والزاي مشددة «الملائكة» نصباً. وفي المراد بالحق أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن. والثاني: الرسالة، قاله مجاهد. والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب. والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

(١) «ديوانه» ٧٦، «والطبري» ١٦/١٤، «ومجاز القرآن» ٣٤٦/١، «والقرطبي» ٤/١٠، «والبحر» لأبي حيان ٤٤٢/٥، «وشواهد الكشاف» ١٢٦، «واللسان»: بعض.



قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿إِذَا مُنْظَرُونَ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ من عادة الملوك إذا فعلوا شيئاً، قال أحدهم: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء، فخطبت العرب بما تعقل من كلامها. والذِّكر: القرآن، في قول جميع المفسرين. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الذِّكر، قاله الأكثرون. قال قتادة: أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، فالمعنى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من الشياطين والأعداء، لقولهم: «إنك لمجنون»، هذا قول ابن السائب، ومقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: رسلاً، فحُذِفَ المفعول، لدلالة الإرسال عليه. والشَّيْع: الفرق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة: الأئمة المتابعة بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إن كل نبي قبلك كان مبتلى بقومه كما ابتليت.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة. والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء. ومعنى الآية: كما سلكتنا الكفر في قلوب شيع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيب فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرسول. والثاني: القرآن. والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مضت سُنَّة الله في إهلاك المكذِّبين. والثاني: مضت سنتهم بتكذيب الأنبياء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ عَمَّ قَوْمٌ شٰٔسُورُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ أي يصعدون، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعله بالنهار. وفي المشار إليهم بهذا الصعود قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس، والضحاك، فالمعنى: لو كشف عن أبصار هؤلاء فرأوا باباً مفتوحاً في السماء والملائكة تصعد فيه، لما آمنوا به. والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن، وقتادة، فيكون المعنى: لو وصلناهم إلى صعود السماء، لم يستشعروا إلا الكفر، لعنادهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قرأ الأكثرون بتشديد الكاف. وقرأ ابن كثير، وعبد الوارث بتخفيفها. قال الفراء: معنى القراءتين متقارب، والمعنى: حُبْسَتْ، من قولهم: سَكَّرَتِ الرياح: إذا سكنت وركدت. وقال أبو عمرو بن العلاء: معنى «سُكِّرَتْ» بالتخفيف، مأخوذ من سُكَّرَ الشراب، يعني: أن الأبصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل. قال ابن الأنباري: إذا كان هذا معنى التخفيف، فَسُكِّرَتْ، بالتشديد، يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة. وقال أبو عبيد: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، من السُّكُور التي تمنع الماء الجِزْيَةَ، فكان هذه الأبصار منعت من النظر كما يمنع السُّكُور الماء من الجري. وقال الزجاج: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، فسروها: أغشيت، و«سُكِّرَتْ» بالتخفيف: تحيرت وسكنت عن أن تنظر، والعرب تقول: سَكِرْتُ الرِّيحُ تُسَكِّرُ: إذا سكنت. وروى العوفي عن ابن عباس: «إنما سُكِّرَتْ أبصارنا» قال: أخذنا بأبصارنا وشبه علينا، وإنما سُجِّرْنَا. وقال مجاهد: «سُكِّرَتْ» سُدَّتْ بالسُّحَر، فيتمائل لأبصارنا غير ما ترى.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٨﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّعَاءِ فَآبِعُمُ شَهَابٍ

ثِيَابٍ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، قاله ابن عباس، وأبو عبيدة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأسمائها: الحَمَل، والثَّور، والجُوزاء، والسَّرطان، والأسد، والسُّنبل، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدِّي، والدُّلو، والحوت. والثاني: أنها قصور، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال عطية: هي قصور في السماء فيها الجرس. وقال ابن قتيبة: أصل البروج: الحصون. والثالث: أنها الكواكب، قاله مجاهد، وقناة، ومقاتل. قال أبو صالح: هي النجوم العظام. قال قتادة: سُميت بروجاً، لظهورها.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ أي: حَسَّنَاهَا بالكواكب. وفي المراد بالناظرين قولان: أحدهما: أنهم المبصرون. والثاني: المعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: حَفَظْنَاهَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا شَيْطَانٌ أَوْ يَعْلَمَ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئاً إِلَّا اسْتِرَاقاً، ثم يتبعه الشهاب. والرجيم مشروح في [المرام: ٣٦]. واختلف العلماء: هل كانت الشياطين تُرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا ﷺ، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها لم تُرْمَ حتى بُعث ﷺ، وهذا المعنى مذكور في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقد أخرج في «الصحاحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب<sup>(١)</sup>، وظاهر هذا الحديث أنها لم تكن قبل ذلك. قال الزجاج: ويدل على أنها إنما كانت بعد مولد رسول الله ﷺ أن شعراء العرب الذين يمثلون بالبرق والأشياء المسرعة، لم يوجد في أشعارها ذكر الكواكب المنقضة، فلما حدث بعد مولد نبينا ﷺ، استعملت الشعراء ذكرها، فقال ذو الرُّمَّة:

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ      مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنه قد كان ذلك قبل نبينا ﷺ، فروى مسلم في «صححه» من حديث علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه، إذ رمي بنجم، فاستنار، فقال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم، قال: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة، ولكن ريثما إذا قضى أمراً، سُبِحَ حملة العرش، ثم سُبِحَ أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يستخبر أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء أهل سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن وُرمُون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرءون فيه ويزيدون»<sup>(٣)</sup>. وروي عن ابن عباس أن الشياطين كانت لا تُحجب عن السموات، فلما وُلد عيسى، مُنعت من ثلاث سموات، فلما وُلد رسول الله ﷺ، مُنعت من السموات كلها. وقال الزهري: قد كان يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله، ولكنها غُلِظت حين بُعث ﷺ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعلى هذا وجدنا الشعر القديم، قال بشر بن أبي خازم، هو جاهلي:

(١) البخاري ٢١٠/٢ و ٥١٣/٨، ومسلم ٣٣١/١، ولقظه في البخاري بتمامه: «عن ابن عباس ﷺ قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشاد فآمنّا به، ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ إِلَهُ الْجَنِّ﴾. ورواه الترمذي ١٦٧/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأورده ابن كثير ١٦٢/٢ من رواية البيهقي في «دلائل النبوة».

(٢) «ديوانه» ٣٦ طبع المكتب الإسلامي، و«مجاز القرآن» ٩٥/٢، و«الكامل للمبردة» ٨٣٣، و«الأمالي» للقالبي ٦٥/٣، و«اللسان» قصب، و«القرطبي» ٢٠٣/١٣. وقوله: في إثر عفريّة: أي: شيطان، وقوله: مسوم، أي: معلم، من السومة، وهي العلامة. ومعنى البيت: كان النور كوكب مسوم منقضب في إثر عفريّة في سواد الليل.

(٣) مسلم ١٧٥٠/٤ - ١٧٥١، وقد رواه المصنف بالمعنى، ورواه أحمد في «المسند» من حديث ابن عباس رقم (١٨٨٢، ١٨٨٣)، ولقظه المصنف قريب من لفظ أحمد.



قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شِئْنَا﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وهذا الكلام عام في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نَنْزِلُهَا﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثر مطراً من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمتنع من يشاء.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذِلْنَا مِنَ الْقَحْطِ مَاءً فَلْيَقْتَرِكُوا﴾ وما أُنشِرَ لَهُمْ يَحْيِيهِمْ ﴿وَلِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي. وَتُيْتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ وقرأ حمزة؛ وخلف: «الريح». وكان أبو عبيدة يذهب إلى أن «لوايح» بمعنى ملايح، فسقطت الميم منه، قال الشاعر:

لِيُبْنِكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِيَضْرَاعَةً وَأَشْعَثُ يَمْنَنُ طَوَّحْنُهُ الطَّوَائِحُ<sup>(١)</sup>

أراد؛ المطاوح، فحذف الميم، فمعنى الآية عنده: وأرسلنا الرياح ملقحة، فيكون هاهنا فاعل بمعنى مفعول، كما أتى فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿قُلُوْا دَافِعِي﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق، و ﴿يَسْئِرُ زَائِبَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١ والقارة: ٧] أي: مَرُضِيَّةٌ، وكقولهم: ليل نائم، أي: مَنُوم فيه، ويقولون: أبقل النبات، فهو باقل، أي: مُبْقِل. قال ابن قتيبة: يريد أبو عبيدة أنها تُلْقِحُ الشجر، وتُلْقِحُ السحاب كأنها تُنتجه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمي الرياحَ لَوَاقِحَ، والرياحَ لَاقِحاً، قال الطِّرِمَاح، وذكر بُرْدَا مَدَّهُ على أصحابه في الشمس يستظلون به:

قَلْبِي لَأَفْنَانُ الرِّيحِ ح لَاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلُ<sup>(٢)</sup>

فاللاقح: الجنوب، والحائل: الشمال، ويسمون الشمال أيضاً: عقيماً، والعقيم: التي لا تحمل، كما سموها الجنوب لاقحاً، قال كثير:

وَمَرْبُ بِسْفَسَافِ التَّرَابِ عَقِيمُهَا<sup>(٣)</sup>

يعني: الشمال. وإنما جعلوا الريح لاقحاً، أي: حاملاً، لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه، ثم تحله فينزل، فهي على هذا حامل، ويدل على هذا قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ [الاعراف: ٥٧] أي: حملت. قال ابن الأنباري: شبه ما تحمله الريح من الماء وغيره، بالولد الذي تشتمل عليه الناقة، وكذلك يقولون: حرب لاقح، لما تشتمل عليه من الشر، فعلى قول أبي عبيدة، يكون معنى «لوايح»: أنها ملقحة لغيرها، وعلى قول ابن قتيبة: أنها لاقحة نفسها، وأكثر الأحاديث تدل على القول الأول<sup>(٤)</sup>. قال عبد الله بن مسعود: يبعث الله الرياح لتلقح السحاب، فتحمل الماء، فتجمله ثم تمره، فيدر كما تدر اللقحة. وقال الضحاك: يبعث الله الرياح على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماءً. قال النخعي: تُلْقِحُ السحاب ولا تُلْقِحُ الشجر. وقال الحسن في آخرين: تُلْقِحُ السحاب والشجر، يعنون أنها تُلْقِحُ السحاب حتى يُمطر والشجر حتى يُثمر<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاذِلْنَا مِنَ الْقَحْطِ مَاءً﴾ يعين السحاب ﴿مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَلْيَقْتَرِكُوا﴾ أي: جعلناه سُقياً لكم. قال الفراء: العرب مجتمعون على أن يقولوا: سقيت الرجل، فأنا أسقيه: إذا سقيته لِسْقَتِهِ، فإذا أجروا للرجل نهراً

(١) البيت لنهشل بن حري على الأصح، شاعر مخضرم، وقد ينسب إلى غيره، وصوب البغدادى نسبة إلى نهشل. وهو في «الكتاب» ١/١٤٥، و«الطبري» ٢١/١٤، و«مجاز القرآن» ٣٩٩/١، و«الشتري» ١٤٥/١، و«اللسان»، و«التاج»: طبع. و«العيون» ٤٤٣، و«شواهد الكشاف» ٦٥.

(٢) البيت للطرماح «غريب القرآن» ٢٣٦.

(٣) غريب القرآن» ٢٣٧، و«اللسان»: سف.

(٤) وقد روى ابن جرير الطبري ٢٢/١٤ حديثاً مرفوعاً من حديث عيسى بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ: «الريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح، وهي التي ذكر الله تعالى في كتابه، وفيها منافع للناس»، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه وإن كانت قد تلحق السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاها السحاب والشجر: عملها فيه.

[قالوا: أسقيته وسقيته، وكذلك السُّقيا من الغيث، قالوا فيها: سقيت وأسقيت]<sup>(١)</sup>. وقال أبو عبيدة: كل ما كان من السماء، ففيه لغتان: أسقاه الله، وسقاه الله، قال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى

فجاء باللغتين. وتقول: سقيت الرجل ماءً وشراباً من لبن وغيره، وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف، إذا كان في الشُّفة؛ وإذا جعلت له شُرْباً، فهو: أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استسقيت له، كقول ذي الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي

وَأَسْقِيَهُ حَتَّى كَادَ ابْنُهُ

فإذا وهبت له إهاباً ليجعله سقاءً، فقد أسقيته إياه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَشْتَرُ لَكُمْ﴾ يعني: الماء المُنَزَّل ﴿يُخَذَّرِينَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بحافظين، أي: ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل. والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُتِلُ الْوَرِثُونَ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فناء الخلق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لِّلْمُتَخَذِرِينَ ۝ وَلَئِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِمَحْشَرِهِمْ لَأَنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ يقال: استقدم الرجل، بمعنى: تقدم، واستأخر، بمعنى: تأخر. وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأة حساء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ، فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول الصفِّ ثلثا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في آخر صف، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ حَضَّ على الصف الأول، فازدحموا عليه، وقال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة: لنبيعن دورنا، ولنشتري دوراً قريبة من المسجد حتى ندرِكَ الصف المتقدم، فنزلت هذه الآية؛ ومعناها: إنما تُجْزَوْنَ على النيات، فاطمأنوا وسكنوا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وللمفسرين في معنى المستقدمين والمستأخرين ثمانية أقوال: أحدها: لتقدم في الصف الأول، والتأخر عنه، وهذا على القولين المذكورين في سبب نزولها، فعلى الأول: هو التقدُّم للتقوى، والتأخر للخيانة بالنظر، وعلى الثاني: هو التقدُّم لطلب الفضيلة، والتأخر للعذر. والثاني: أن المستقدمين: من مات، والمستأخرين: من هو حي لم يمِت، رواه القوفي عن ابن عباس، وخُصِّيف عن مجاهد، وبه قال عطاء، والضحاك، والقرظي. والثالث: أن المستقدمين: من خرج من الخلق وكان. والمستأخرين: الذين في أصلاب الرجال، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والرابع: أن المستقدمين: من مضى من الأمم، والمستأخرين: أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: أن المستقدمين: المتقدمون في الخير، والمستأخرين: المبطون عنه، قاله الحسن، وقناة. والسادس: أن المستقدمين في صفوف القتال، والمستأخرين عنها، قاله الضحاك. والسابع: أن المستقدمين: من قُتِل في الجهاد، والمستأخرين: من لم يُقْتَل، قاله القرظي. والثامن: أن المستقدمين: أول الخلق، والمستأخرين: آخر الخلق، قاله الشعبي.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ يَِّنْ حَمَلٍ مَّسْتُورٍ ۝ وَاللَّمَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَلَمٍ مِّنْ نَّارٍ أَلْسُمُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ يَِّنْ حَمَلٍ مَّسْتُورٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِيدِينَ ۝﴾

(١) وفي هامش الأصل ما نصه: هذا سقط من الأصل، لأنه مكتوب بخط جديد، كان سقط منه ورقة، والحقت، ولعله غلط فأسقط ما بين «لا» «إلى»، وهو الذي وضعناه بين معقنين.

(٢) «ديوانه» ٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوار أبي زيد» ٢١٣، و«الشتري» ٢٣٥/٢، و«اللسان»، و«التاج»: سقى.

(٣) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٥٢، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوار أبي زيد» ٢١٣، و«الطبري» ٢٢/١٤، و«التاج»: سقى.

(٤) «الطبري» ٢٦/١٤، وذكره ابن كثير من رواية ابن جرير الطبري ٥٤٩/٢، وقال: حديث غريب جداً، وفيه نكارة شديدة. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٦/٤، وزاد نسبه للطيبالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ صَلَاسٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطين اليابس الذي لم تُصبه نار، فإذا نقرته صَلَّ، فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه الطين المتنن، قاله مجاهد، والكسائي، وأبو عبيد. ويقال: صَلَّ اللحمُ: إذا تغيرت رائحته. والثالث: أنه طين خُلطَ برمل، فصار له صوت عند نقره، قاله الفراء. فأما الحمأ، فقال أبو عبيدة: هو جمع حَمَاءَ، وهو الطين المتغير. وقال ابن الأنباري: لا خلاف أن الحمأ: الطين الأسود المتغير الريح. وروى السدي عن أشياخه قال: بُلُّ التراب حتى صار طيناً، ثم تُرْك حتى أنتن وتغير. وفي المسنون أربعة أقوال: أحدها: المتن أيضاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: المسنون: المتغير الرائحة. والثاني: أنه الطين الرطب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه المصبوب، قاله أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد. والرابع: أنه المخكوك، ذكره ابن الأنباري، قال: فمن قال: المسنون: المتن، قال: هو من قولهم: قد تَسَنَّى الشيء: إذا أنتن، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمْ يَبَسَّ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإنما قيل له: مسنون، لتقدم السنين عليه. ومن قال: الطين الرطب، قال: سمي مسنوناً، لأنه يسيل وينبسط، فيكون كالماء المسنون المصبوب. ومن قال: المصبوب، احتج بقول العرب: قد سنتت عليّ الماء: إذا صيبته. ويجوز أن يكون المصبوب على صورة ومثال، من قوله: رأيت سُنَّةَ وجهه، أي: صورة وجهه، قال الشاعر:

تُرِيكَ سُنَّةً وَجْهِهِ غَيْرَ مُقَرَّرَةٍ مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>(١)</sup>

ومن قال: المحكوك، احتج بقول العرب: سنتت الحجر على الحجر: إذا حككته عليه. وسمي الجِسْنُ سُنَّةً، لأن الحديد يُحْكُ عليه. قال: وإنما كُرِّرَتْ مِنْهُ لأن الأولى متعلقة بـ «خلقنا»، والثانية متعلقة بالصلصال، تقديره: ولقد خلقنا الإنسان من الصلصال الذي هو من حمأ مسنون.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس<sup>(٢)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه الضحاك أنه قال: الجانُّ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر. والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل. فإن قيل: ليس أبو الجن هو إبليس؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله. والثاني: أن الجانُّ أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذاً فرق على ما ذكرنا عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جاناً، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَلَلٍ﴾ يعني: قبل خَلَقَ آدم: ﴿مِنْ نَّارِ الشَّوْرِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ابن مسعود: من نار الريح الحارّة، وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم<sup>(٤)</sup>. والشَّوْمُ في اللغة: الريح الحارّة وفيها نار، قال ابن السائب: وهي نار لا دخان لها.

﴿نَسَجَ اللَّامِيكَةُ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إِلَّا إِبْلِيسَ إِنَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٦﴾ قَالَ إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٧﴾

(١) البيت لذي الرّمة، «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٨، و«القرطبي» ٢٢/١٠. والسّنة: الصورة، والندب: الأثر من الجراح والقراح. وقوله: غير مفرقة، أي: غير هجينة، عفيفة، كريمة. وخال: شامة.

(٢) روى أحمد في «المسند» رقم (٢٧٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يمسح شيئاً فبدع له نسلأ أو هابية، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك»، وهو حديث صحيح. وروى مسلم في «صحيحه» ٢٠٥١/٤، ٢٠٥٢، عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله القردة والخنازير، هي مما مسح؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلأ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». وروى مسلم أيضاً ٢٠٥١/٤، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله ﷺ القردة - قال مسمر وأراء: قال: والخنازير - من مسح، فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل لمسح نسلأ ولا عقياً، وقد كان القردة والخنازير قبل ذلك» أي: قبل مسح بني إسرائيل، فدل ذلك على أنها ليست من المسح.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٩٤/٤، عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(٤) روى البخاري ٢٣٨٨/٦، ومسلم ٢١٨٤/٤ عن أبي هريرة ؓ، ولفظ البخاري: أن النبي ﷺ قال: «فإنكم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بشعة وتسعين جزءاً كلهن مثل حرها».

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلَاسٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِذْ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِذْ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَرَّخْنَا﴾ أي: عدلتُ صورته، وأتممتُ خلقته ﴿وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا نعلم ماهيتها، وإنما أضافها إليه، تشريفاً لآدم، وهذه إضافة ملَك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخاً، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَرَّأُوا﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلًا» تدل على اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك اللعنة أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني: المعلوم بموت الخلائق فيه، فأراد أن يذيقه ألم الموت قبل أن يذيقه العذاب الدائم في جهنم.

قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ مفعول التزيين محذوف، والمعنى: لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه. ﴿وَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي: ولأضلنهم. والمخلصون: الذين أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص. وما أخللنا به من الكلمات هاهنا، فقد سبق تفسيرها في [الأعراف: ١٦] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاص، فالمعنى: إن الإخلاص طريق إلى مستقيم، و«علي» بمعنى «إلى». والثاني: هذا طريق علي جوازه، لأنني بالمرصاد، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك علي، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَارِعٌ﴾ [النجر: ١٤]. والثالث: هذا صراط علي استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان. وقرأ قتادة، ويعقوب: «هذا صراط علي» بكسر اللام ورفع الباء وتوניהا، أي: رفع.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَهِبُ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ فيهم أربعة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنهم المؤمنون. والثاني: المعصومون، رُوي عن قتادة. والثالث: المخلصون، قاله مقاتل. والرابع: المطيعون، قاله ابن جرير. فعلى هذه الأقوال، تكون الآية من العام الذي أريد به الخاص. وفي المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن جرير، فيكون المعنى: ليس لك حجة في إغوائهم. والثاني: أنه القهر والغلبة؛ إنما له أن يُغَرَّ وَيُزَيَّنَ، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومثل سفيان بن عيينة عن هذه الآية، فقال: ليس لك عليهم سلطان أن تلقهم في ذنب يضيق عفوي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: الذين اتَّبَعُوهُ.

قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ وهي دركاتها بعضها فوق بعض، قال علي ؑ: أبواب جهنم ليست كأبوابكم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وهكذا بعضها فوق بعض، ووصف الراوي عنه بيده وفتح أصابعه. قال ابن جرير: لها سبعة أبواب، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقال الضحاك: هي سبعة

(١) وفي نسخة: فيه أربعة أقوال، ويكون الضمير عائداً على القول.



أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يُخَرَّجون، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون. قال ابن الأنباري: لما اتصل العذاب بالباب، وكان الباب من سببه، سمي باسمه للمجاورة، كتسميتهم الحدث غائطاً.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَهُمُ﴾ أي: من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُورٌ﴾ والجزء: بعض الشيء.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾ ﴿١٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ؕ آمِينَ ﴿١٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿١٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَهمْ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾ ﴿١٥﴾ قد شرحنا في سورة [البقرة: ٢ و ٢٥] معنى التقوى والجنات. فأما العيون، فهي عيون الماء، والخمر، والسلسيل، والتنسيم، وغير ذلك مما ذُكر أنه من شراب الجنة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ المعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بسلامة من النار. والثاني: بسلامة من كل آفة. والثالث: بتحية من الله. وفي قوله: ﴿آمِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: آمين من عذاب الله. والثاني: من الخروج. والثالث: من الموت. والرابع: من الخوف والمرض.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في سورة [الأعراف: ٤٣] فإن المفسرين ذكروا ما هناك ها هنا من تفسير وسبب نزول.

قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منصوب على الحال، والمعنى: أنهم متوادون. فإن قيل: كيف نصب «إخواناً» على الحال، فأوجب ذلك أن التأخي وقع مع نزع الغِلِّ، وقد كان التأخي بينهم في الدنيا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري: فقال: ما مضى من التأخي قد كان تشويه صفاتٍ وشحناء، وهذا التأخي بينهم الموجود عند نزع الغِلِّ هو تأخي المصافاة والإخلاص، ويجوز أن يتصّب على المدح، المعنى: اذكر إخواناً. فأما السرر فجمع سرير، قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكلّلة بالزبرجد واللُّزَّ والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة<sup>(١)</sup>، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَهمْ﴾ أي: لا يصيهم في الجنة إعياء وتعَب.

﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢٢﴾ وَنَجَّيْنَاهُمْ عَنْ ضَيَافِ إِزْرِهِمْ ﴿٢٣﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا لَا تَوَلَّ إِنَّا نَبْتَرُكَ يُكَلِّمُ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سبب نزولها ما روى ابن المبارك بإسناد له عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: طلع علينا رسول الله من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه، ونحن نضحك، فقال: «ألا أراكم تضحكون؟» ثم أدير، حتى إذا كان عند الحجر، رجع إلينا القهقري، فقال: «إني لما خرجت، جاء جبريل ﷺ، فقال: يا محمد، يقول الله تعالى: لم تقط عبادي؟ نبئ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم<sup>(٢)</sup>». وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بتحريك ياء «عبادي» وياء «أني أنا»، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ عَنْ ضَيَافِ إِزْرِهِمْ﴾ ﴿٢٣﴾ قد شرحنا القصة في [هود: ٦٩] وبينّا هنالك معنى الضيف والسبب في خوفه منهم، وذكرنا معنى الوَلَّ في [الأنفال: ٢].

قوله تعالى: ﴿يُكَلِّمُ عَلِيمٌ﴾ أي: إنه يبلغ ويعلم.

﴿قَالَ ابْشِرْهُمْوَيَ عَلَيَّ أَن سَتَىٰ آلَكَ بِمَ بَشِّرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالُوا بِشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْطَلِقِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ

(١) أيلة: مدينة على شاطئ البحرين الفسطاط ومكة تعد من بلاد الشام.

(٢) «الطبري» ٣٩/١٤ وسنده ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥٣/٢ من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٠٢/٤، وزاد نسبتاً لابن مردويه. وجاء في «صحيح مسلم» ٢١٠٩/٤ حديث يصد هذه الآية دون سبب النزول، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنم أحد، ولو يعلم الكفار ما عند الله من الرحمة ما قط من جهنم أحد».

رَحْمَةً رَبِّهِمْ إِلَّا الصَّالُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَا لَوْطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَوْنُ الْغَدِيرِ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ مَا لَوْطُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمُذْهِبُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَنزِلْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ بَيْنَ أَهْلِكَ وَنَاتِعٌ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَذِهِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ابْشِرْ تَوْفِي﴾ أي: بالولد ﴿عَلَّ أَنْ مَسَّى الْكَبَرِ﴾ أي: على حالة الكبر والهرم ﴿فِيهِ يُبَشِّرُونَ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يُبَشِّرُونَ» بفتح النون. وقرأ نافع بكسر النون، ووافقه ابن كثير في كسرهما، لكنه شدها. وهذا استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره. ﴿قَالُوا ابْشِرْ تَكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بما قضى الله أنه كائن ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاطِنِينَ﴾ يعني: الآيسين. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «ومن يقنط» بفتح النون في جميع القرآن. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يقنط» بكسر النون. وكلهم قرؤوا ﴿وَمَنْ يَبْذِي مَا يَنْفُطُ﴾ [الشورى: ٢٨] بفتح النون. وروى خارجه عن أبي عمرو «ومن يقنط» بضم النون. قال الزجاج: يقال: قنط يقنط، وقنط يقنط، والقنوط بمعنى اليأس، ولم يكن إبراهيم قانطاً، ولكنه استبعد وجود الولد. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما أمركم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ أي: بالعباد. وقوله: ﴿إِلَّا مَا لَوْطٍ﴾ استثناء ليس من الأول. فأما آل لوط، فهم أتباعه المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «لمنْجُوهم» مشددة الجيم. وقرأ حمزة، السكاني «لمنْجُوهم» خفيفة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ المعنى: إنا لمنْجُوهم إلا أمراته ﴿قَدَرْنَا﴾ وروى أبو بكر عن عاصم «قَدَرْنَا» بالتخفيف، والمعنى واحد، يقال: قَدَرْتُ وقَدَرْتُ، والمعنى: قضيتا ﴿إِنَّا لَوْنُ الْغَدِيرِ﴾ يعني: الباقيين في العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ يعني: لا أعرفكم، ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يعنون: العذاب، كانوا يشكون في نزوله. ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الذي لا شك فيه من عذاب قومك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاكَ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: من خلفهم ﴿وَأَمْسَرُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ﴾ أي: حيث يأمرهم جبريل. وفي المكان الذي أُمروا بالمضي إليه قولان: أحدهما: أنه الشام، قاله ابن عباس. والثاني: قرية من قرى قوم لوط، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي: أوحينا إلي ذلك الأمر، أي: الأمر بهلاك قومه. قال الزجاج: فسر: ما الأمر بباقي الآية، والمعنى: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. فأما الدابر، فقد سبق تفسيره [الأنعام: ٤٥]، والمعنى: إن آخر من يبقى منكم يهلك وقت الصبح.

﴿وَمَا أَقْلُ الْمَذِيكَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَذِهِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَذِهِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمِينَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَقْلُ الْمَذِيكَةِ﴾ وهم قوم لوط، واسمها سدُوم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط، طمعاً في ركوب الفاحشة، فقال لهم لوط: ﴿إِنَّ هَذِهِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ أي: بقصدكم إياهم بالسوء، يقال: فضّحه يفضّحه: إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار. وقد أثبت يعقوب ياء «تفضحون»، «ولا تخزون» في الوصل والوقف.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: عن ضيافة العالمين.

قوله تعالى: ﴿بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ﴾ حرك ياء «بناتي» نافع، وأبو جعفر.

﴿لَمَرَكُ إِنَّمَا لَيْسَ سَكْرَتِهِمْ بِمَعْمُونٍ﴾ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الْمَیْمَةُ مَشْرِيقًا ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَإِسْبِلُ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَرَكُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: وحياتك يا محمد، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: لَعِيشُك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الأخفش، وهو يرجع إلى معنى الأول. والثالث: أن معناه: وحقك على أمتك، تقول العرب: لَعَمْرُ الله لا أقوم، يعنون: وحق الله، ذكره ابن الأنباري. قال: وفي العنبر

ثلاث لغات: عَمْرٌ وَعُمَرُ وَعُمَرُ، وهو عند العرب: البقاء. وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا: العَمْرُ والعُمَرُ في معنى واحد، فإذا اشتمل في القسم، فُتح لا غير، وإنما آثروا الفتح في القسم، لأن الفتح أخف عليهم، وهم يؤكدون القسم بـ «العَمري» و «العَمرك»، فلما كثر استعمالهم إياه، لزموا الأخف عليهم، قال: وقال النحويون: ارتفع «العَمرك» بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لَعَمْرِكَ قَسَمِي، ولَعَمْرِكَ ما أَقْسِمُ به، وحُذف الخبر، لأن في الكلام دليلاً عليه. المعنى: أقسم ﴿إِنَّهُمْ لَبَيْنَ سَكْرَتِهِمْ بِمَعُونَةٍ﴾. وفي المراد بهذه السكرة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الضلالة، قاله قتادة. والثاني: بمعنى الغفلة، قاله الأعمش. وقد شرحنا معنى العَمه في سورة [البقرة: ١٥]. وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: قوم نينا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتَهُمُ النَّارَ﴾ يعني: صيحة العذاب وهي صيحة جبريل ﷺ. ﴿ثُمَّ رُفِعَ﴾ قال الزجاج: يقال: أشرقتا، فنحن مشرقون: إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما يقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصبح، يقال: شَرقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وصَفَت، هذا أكثر اللغة. وقد قيل: شَرقت وأشرقت في معنى واحد، إلا أن «مشرقين» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلِينَ﴾ قد فسرنا الآية في سورة [هود: ٨٢]. وفي المتوسمين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المتفرسون، روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> قال: المتفرسون، وبهذا قال مجاهد، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: يقال: توسمت في فلان الخير، أي: تبينته. وقال الزجاج: المتوسمون، في اللغة: النَّظَارُ الْمُتَبَيَّنُونَ في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء، يقال: توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسم ذلك فيه. وقال غيره: المتوسم: الناظر في السمة الدالة على الشيء. والثاني: المعتبرون، قاله قتادة. والثالث: الناظرون، قاله الضحاك. والرابع: المتفكرون، قاله ابن زيد، والفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُ﴾ يعني: قرية قوم لوط ﴿لَيْسَ لِي بُيُوتٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: لِبُطْرِيقٍ واضح، رواه نهشل عن الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال ابن زيد: لِبُطْرِيقٍ متبين. والثاني: لِبُهْلَاكٍ. رواه أبو رزق عن الضحاك عن ابن عباس، والمعنى: إنها بحال هلاكها لم تُعمر حتى الآن، فالاعتبار بها ممكن، وهي على طريق قریش إذا سافروا إلى الشام.

﴿وَإِنَّ كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَالِينَ﴾ ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ وَأَنبَأَهُمَا لِيَأْمُرَ ثَمِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَانَ أَحَصَبُ الْأَيْكَةِ ظَلَالِينَ﴾ قال الزجاج: معنى «إِنَّ» واللام: التوكيد، والأيك: الشجر الملف، فالفصل بين واحده وجمعه، الهاء. فالمعنى: أصحاب الشجرة. قال المفسرون: هم قوم شعيب، كان مكانهم ذا شجر، فكذبوا شعيباً فأهلكوا بالحر كما بينا في سورة [هود: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُ﴾ في المكنى عنهما قولان: أحدهما: أنهما الأيكة ومدينة قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: لوط وشعيب، ذكره ابن الأنباري. وفي قوله: ﴿لِيَأْمُرَ ثَمِيمٌ﴾ قولان: أحدهما: لبطريق ظاهر، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وقيل للطريق: إمام، لأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد. والثاني: لفي كتاب مستبين، قاله السدي. قال ابن الأنباري: «وإنهما» يعني: لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَصَبُ الْجَبْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَأَنبَأْتَهُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ مَعْزِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَصَبُ الْجَبْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني بهم ثمود. قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحجر بين المدينة والشام. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه اسم الوادي الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج. والثاني: اسم

(١) «الطبري» ٤٦/١٤، ورواه الترمذي ١٤٠/٢ من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم ٥٥٥/٢، وابن جرير، وأورد السيوطي في «الدر» ١٠٣/٤ وزاد في نسبه للبخاري في «التاريخ»، وابن السني وأبي نعيم معاً في الطب، وابن مردويه، والخطيب. وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ١٩، و«فيض القدير» ١٤٤/١.

مدينتهم، قاله الزهري، ومقاتل. قال المفسرون: والمراد بالمرسلين: صالح وحده، لأنه من كَذَبَ نبياً فقد كَذَبَ الكل. والمراد بالآيات: الناقة، قال ابن عباس: كان فيها آيات: خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً، ﴿كَانُوا عَنْهَا مُنْمَكِينَ﴾ لم يفكروا فيها ولم يستدلوا بها.

﴿وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُتِيَ بِهِنَّ﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُمْسِكِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَفْخَفَتْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْخَبَ الصَّخْرَ الْجَبِيلَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُتِيَ بِهِنَّ﴾ قد شرحناه في [الأمراء: ٧٤]. وفي قوله: ﴿أَفْخَفَتْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أحدها: آمنين أن تقع عليهم. والثاني: آمنين من خرابها. والثالث: من عذاب الله ﷻ. وفي قوله: ﴿مَاءٌ كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قولان: أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال. والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدق وعقاب المكذب. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: وإن القيامة لآتية، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿فَأَصْخَبَ الصَّخْرَ الْجَبِيلَ﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جنح وثُحش. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف. فأما: ﴿الْخَلَّاقُ﴾ فهو خالق كل شيء. و ﴿الْعَلِيمُ﴾ قد سبق شرحه [البقرة: ٢٩].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّنْزِيلِ وَالْفُرْقَانَ الْعَظِيمَ﴾ لا تَدْنَىٰ عَيْتِكَ إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْبَشِيرُ وَالنَّازِعُ الْأَوَّلِيُّ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّنْزِيلِ﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البر والطيب والجواهر، فقال: المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقربنا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية، وقال: أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿لَا تَدْنَىٰ عَيْتِكَ...﴾ الآية، قاله الحسين بن الفضل<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال: أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وسعيد بن جبيرة في رواية، ومجاهد في رواية، وعطاء، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، إنما سُميت بالسبع، لأنها سبع آيات. وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال: أحدها: لأن الله استثنائها لأمة محمد ﷺ، فلم يعطها أمة قبلهم، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: لأنها تُتلى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيك السبع الآيات التي تُتلى في كل ركعة، وإنما دخلت «من» للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلِّ الشَّيْءِ﴾ [محمد: ١٥]. وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثاني، لأنها تُتلى في كل صلاة. والثالث: لأنها ما أُتِي به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر مملكته، ذكره الزجاج. والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها. والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»<sup>(٢)</sup>. والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل. والسابع: لأن كلماتها مثناة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير<sup>(٣)</sup>. ذكره بعض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في

(١) الواحدي: ١٨٩.

(٢) وهو حديث قدسي رواه مسلم في «صحيحه» ٢٩٦/١، وهو بتمامه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال: مجدي عبدي - (وقال مرة: فوض إلي عبدي) - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، «أَهْدَىٰ الصِّرَاطَ الشَّيْءَ» صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَضْرُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾ قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل.

(٣) لعله اعتبر تفسير «ولا الضالين» بمعنى: وغير الضالين، فكلمة «غير» مكررة بموجب ذلك.

حَبْرٍ، والقرآن كله في حَبْرٍ، وامتَنَ عليه بها كما امتَنَ عليه بالقرآن كله. والقول الثاني: أنها السبع الطُول، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، والضحاك. فالسبع الطُول هي: (البقرة)، و (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، و (الأنعام)، و (الأعراف)، وفي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها (يونس)، قاله سعيد بن جبير. والثاني: (براءة) قاله أبو مالك. والثالث: (الأنفال) و (براءة) جميعاً، رواه سفيان عن مسعر عن بعض أهل العلم. قال ابن قتيبة: وكانوا يرون (الأنفال) و (براءة) سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: هي الطُول، ولا تُقْلها بالكسر، فعلى هذا، في تسميتها بالمثنائي قولان: أحدهما: لأن الحدود والفرائض والأمثال تُثبت فيها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها تجاوز المائة الأولى إلى المائة الثانية، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أن السبع المثنائي سبع معانٍ أنزلت في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم. والقول الرابع: أن المثنائي: القرآن كله، قاله طاووس، والضحاك، وأبو مالك، فعلى هذا، في تسمية القرآن بالمثنائي أربعة أقوال: أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً، فشئتُ الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه سمي بالمثنائي لما يتردّد فيه من الثناء على الله ﷻ. والثالث: لما يتردّد فيه من ذكر الجنة، والنار، والثواب، والعقاب. والرابع: لأن الأفاضل، والأخبار، والمواعظ، والآداب، تُثبت فيه، ذكرهن ابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: قد يكون المثنائي سور القرآن كله، قصارها وطوالها، وإنما سمي مثنائي، لأن الأنباء والقصص تُثبت فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم. فاما قوله: ﴿يَنْ الْمَنَانِ﴾ ففي «من» قولان: أحدهما: أنها للتبعض، فيكون المعنى: آتيناك سبعاً من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثنائي، ومنه قول: ﴿فَأَحْكَبُوا آلَيْسَ مِنْ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريباً من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: العظيم القُدْر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحْيُه. وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنه الفاتحة أيضاً، قاله أبو هريرة، وقد روي في حديثاً في أول تفسير (الفاتحة). قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون قد نُسّق الكلُّ على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبه بها ما يغاير الأول، فجوّز ذلك عطّفه عليه. وعلى القول الثاني، نُثبت الشيء على نفسه لما زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا: روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب. يريدون بآبَن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزل، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول؛ فعُطف عليه. ولما ذكر الله تعالى مِنَّته عليه بالقرآن، نهاء عن النظر إلى الدنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: ﴿لَا تَدْعُ عَيْنَكَ إِلَا مَا مَتَّعَا يَدُكَ أَرْزَاقًا يُنْهَرُ﴾ أي: أصنافاً من اليهود والمشرّكين، والمعنى: أنه نهاء عن الرغبة في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا. والثاني: لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألن جانبك لهم. وخفض الجناح: عبارة عن السكون وترك التصعّب والإباء. قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلظ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْغَنِيُّ الْغِيثُ﴾ ﴿٣٣﴾ «حُرْكَ ياء إني» ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

﴿كَأَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُتَقِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ جَمَلُوا الثَّرَوَاتِ عِزِينَ ﴿٣٥﴾ فَرَبِّكَ لَنَسْتَلْهُنَّ أَجْمِينَ ﴿٣٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ قوله تعالى: ﴿كَأَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُتَقِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ في هذه الكاف قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْغَنِيُّ الْغِيثُ﴾ ﴿٣٣﴾. والثاني: أنها متعلقة بآية السيف. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعاً من المثنائي، كما أنزلنا الكتب على يَنْ الْمَنَانِ.

المقتسمين، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاف بمعنى «مثل»، و«ما» بمعنى «الذي»، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾، والمعنى: إني أنا النذير، أنذرتكم مثل الذي أنزل على المقتسمين من العذاب، وهذا معنى قول الفراء. فخرج في معنى «أنزلنا» قولان: أحدهما: أنزلنا الكتب، على قول مقاتل. والثاني: العذاب، على قول الفراء. وفي «المقتسمين» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم اقتصموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي، استهزاء به، قاله عكرمة. والثالث: أنهم اقتصموا كتبهم، فأمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وأمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد. والثاني: أنهم مشركو قريش، قاله قتادة، وابن السائب. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين قولان: أحدهما: أن أقوالهم تقسمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، منهم الأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وعدي بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، قاله قتادة. والثاني: أنهم اقتصموا على عقاب مكة، قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتصموا على عقاب مكة حين حضر الموسم، قال لهم الوليد بن المغيرة: انطلقوا فنفروا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عنه، يعني: رسول الله ﷺ، فليقل بعضكم: كاهن، وبعضكم: ساحر، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاي، فإذا انتهوا إلي صدقتكم، ومنهم حنظلة بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أبي أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن صيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج، وأمّية بن خلف، وأوس بن المغيرة. والثالث: أنهم قوم صالح الذين تقاسموا بالله: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ أَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩]، فكفاه الله شرهم، قاله عبد الرحمن بن زيد. فعلى هذا، هو من القسم، لا من القسمة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَمَعُوا لَكُمْ أَسْوَءَ الْفِتَنِ﴾ في المراد بالقرآن قولان: أحدهما: أنه كتابنا، وهو الأظهر، وعليه الجمهور. والثاني: أن المراد به: كتب المتقدمين قبلنا. وفي «عضين» قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الأعضاء. قال الكسائي، وأبو عبيدة: اقتصموا بالقرآن وجعلوه أعضاء. ثم في ما فعلوا فيه قولان: أحدهما: أنهم عضّوه أعضاء، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعضي: المرفق. والتعضية: تجزئة الذبيحة أعضاء. قال علي ؑ: لا تغضيه في ميراث، أراد: تفريق ما يوجب تفريقه ضرباً على الورثة كالسيف ونحوه. وقال رؤية:

وَلَيْسَ ذِيْنُ اللَّهِ بِالْمُعْضَى<sup>(١)</sup>

وهذا المعنى في رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم عضّوا القول فيه، أي: قرّوا، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا كهانة، وقالوا: أساطير الأولين، وهذا المعنى في رواية ابن جريج عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه مأخوذ من العضّ. والعضّ، بلسان قريش: السحر، ويقولون للساحرة: عاضه. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لعن العاضة والمستعضة<sup>(٢)</sup>، فيكون المعنى جعلوه ميحراً، وهذا المعنى في رواية عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والفراء.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَ جَاءُوا بِمَثَلٍ ذَمَمُوا﴾ هذا سؤال توبيخ، يُسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإيمان، فيقال لهم: لم عصيتم وتركتم الإيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعدّر الجواب. قال

(١) «ديوانه» ٨١ من أرجوزة له يمدح بها تيمناً وسعداً ونفسه، مطلعها:

دَايَسْتُ أَرَوِي وَالْيَدِيَّونَ تَقَضَّى

وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٥، و«الطبري» ٦٥/ ١٤، و«اللسان»: عضا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه أبو يعلى، وابن عدي، من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان. وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. ١ هـ.

أبو العالية: يُسأل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتَيْن: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَّ الَّذِينَ لَا يُشْكِلُ عَنْ دِينِهِمْ إِنْ وَلَا جَنَاحَ لَهُمْ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل علمتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم علمتم كذا؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنهم يسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يسألون في بعضها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿فَاصْطَلَحَ بِمَا تَوَمَّرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْطَلَحَ بِمَا تَوَمَّرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فامض لما تومر، قاله ابن عباس. والثاني: أظهر أمرك، رواه ليث عن مجاهد. قال ابن قتبية: ﴿فَاصْطَلَحَ بِمَا تَوَمَّرُ﴾ أي: أظهر ذلك. وأصله: الفَرْق والفتح، يريد: اصدع الباطل بحقك. وقال الزجاج: أظهر بما تومر به، أخذ ذلك من الصديق، وهو الصبح، قال الشاعر:

كَأَنَّ بِيضَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيدِ

وقال الفراء: إنما لم يقل: بما تومر به، لأنه أراد: فاصدع بالأمر. وذكر ابن الأنباري أن «به» مضمرة، كما تقول: مررت بالذي مررت. والثالث: أن المراد به: الجهر بالقرآن في الصلاة، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. قال موسى بن عبيدة: ما زال رسول الله ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه. وفي قوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اكفف عن حربهم. والثاني: لا تبالي بهم، ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار أمرك. والثالث: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم. وأكثر المفسرين على أن هذا القدر من الآية منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ١٥ أَلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ سَوْفَ يَكْفُلُونَ ١٦ وَلَقَدْ نَعَرْنَا أَنَّا كَيْفَ سَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ١٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ١٩

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ المعنى: فاصدع بأمري كما كفتك المستهزئين، وهم قوم كانوا يستهزئون به وبالقرآن. وفي عددهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، قاله ابن عباس. واسم أبي زمعة: الأسود بن المطلب. وكذلك ذكرهم سعيد بن جبير، إلا أنه قال مكان الحارث بن قيس: الحارث بن غبطة، قال الزهري: غبطة أمه، وقيس أبوه، فهو واحد. وإنما ذكرت ذلك، لثلاث يظن أنه غيره. وقد ذكرت في كتاب «التلقيح» من يُنسب إلى أمه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وسميت آبائهم ليُعرفوا إلى أي الأبوين تُسبوا. وفي رواية عن ابن عباس مكان الحارث بن قيس: عدي بن قيس. والثاني: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي، وابن أبي بزة، وعدهم ابن أبي بزة، فقال: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وأصرم وبعكك ابنا عبد الحارث بن السباق. وكذلك عددهم مقاتل، إلا أن قال مكان الحارث بن عدي: الحارث بن قيس السهمي، وقال: أصرم وبعكك ابنا الحجاج بن السباق.

ذَكَرَ مَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَكَفَى رَسُولَهُ ﷺ أَمْرَهُمْ

قال المفسرون: أتى جبريلُ رسولُ الله ﷺ، والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمر الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، قال: قد كفيت، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر الوليد برجلٍ يريش نبلاً له، فتعلقت شظية من نبلٍ بإزاره، فمنعه الكبرُ أن يطامن لينزعها، وجعلت تضرب ساقه، ففرض ومات. وقيل: تعلّق سهم بثوبه فأصاب أكله قطعه، فمات. ومر العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «بئس عبد الله»، فأشار إلى أخصص رجله، وقال: قد كفيت، فدخلت شوكة في أخصصه، فانتفخت رجله ومات. ومر الأسود بن المطلب، فقال: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء»، فأشار بيده إلى عينه، فعمي وهلك. وقيل: جعل ينطح برأسه الشجر ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال: لا أرى أحداً يصنع بك هذا غير نفسك، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمد. ومر الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، فقال: قد كفيت، وأشار إلى بطنه، فسقَى بطنه، فمات. وقيل: أصاب عينه شوك، فسالت حدقته. وقيل: خرج عن أهله فأصابه



السُّموم، فاسودَّ حتى عاد حبشياً، فلما أتى أهله لم يعرفوه، فأغلقوا دونه الأبواب حتى مات. ومربه الحارث بن قيس، فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: «عبدٌ سوء»، فأومأ إلى رأسه، وقال: قد كُفيت، فانتفخ رأسه فمات، وقيل: أصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه. وأما أصرم وبعكك، فقال مقاتل: أخذت أحدهما الذئيلة<sup>(١)</sup> والآخر ذات الجنب، فماتا جميعاً. قال عكرمة؛ هلك المستهزون قبل بدر. وقال ابن السائب: أهلكوا جميعاً في يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَرْنَا أَفْئِدَةً يَبِغِي صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه التكذيب. والثاني: الاستهزاء. قوله تعالى: ﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: قل: سبحان الله وبحمده، قاله الضحاك. والثاني: فصلٌ بأمر ربك، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قولان: أحدهما: من المصلين. والثاني: من المتواضعين، روي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. وسمي يقيناً، لأنه موثَّق به. وقال الزجاج: معنى الآية: عبد ربك أبداً، ولو قيل: عبد ربك، بغير توقيت، لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فلما قال: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أمر بالإقامة على العبادة ما دام حياً<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، حكاه الماوردي.



(١) الذئيلة: داء يجتمع في الجوف.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٦٠: عند تفسير هذه الآية: ويستدل بهذه الآية الكريمة، وهي قول: ﴿رَأَيْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(١)</sup> على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في «صحيح البخاري»، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع لقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ﷺ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه، والله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم.

## سورة النحل

### فصل في نزولها

روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية، وكذلك روي عن الحسن، وعكرمة، وعطاء: أنها مكية [كلها]. وقال ابن عباس في رواية: إنه نزل منها بعد قتل حمزة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال في رواية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿يَتَمَلَّوْنَ﴾ [النحل: ٩٥، ٩٧]. وقال الشعبي: كلها مكية إلا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر الآيات [النحل: ١٢٦ - ١٢٨]. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥، ٩٦]، ومن قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. وقال ابن السائب: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَئِيكَ لَدَلِيلٌ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات، قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَئِيكَ لَدَلِيلٌ هَاجَرُوا﴾ الآية [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. قال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة وبقيتها بالمدينة. وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقل لسورة النحل: سورة النعم؛ يريد لكثرة تعدد النعم فيها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَتَلَنَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْزِلُوا أَتَمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي بالإمالة. سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا السَّاعَةَ﴾ [الفر: ١]، فقال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأسيكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء؛ قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى: ﴿اتَّقُوا السَّاعَةَ﴾ [النحل: ١]، فاشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾، فوثب رسول الله ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أتى بمعنى: يأتي، كما يقال: أتاك الخير فابشر، أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة، وشاهدُه: ﴿وَكَاذِبٌ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِينِي﴾ [الاسمعة: ١١٦] ونحو ذلك. والثاني: أتى بمعنى: قرب، قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى. والثالث: أن «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو: الجذب الذي نزل بهم، والجوع. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فينزل بكم مستقبلاً كما نزل ماضياً، قاله ابن الأنباري. وفي المراد بـ «أمر الله» خمسة أقوال: أحدها: أنها الساعة، وقد يخرج على قول ابن عباس الذي قدمناه، وبه قال ابن قتيبة. والثاني: خروج رسول الله ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس، يعني: أن خروجه من أمارات الساعة. وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشرار الساعة، فلا تستعجلوا قيام الساعة. والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والرابع: عذاب الله، ذكره ابن الأنباري. والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي.

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٩ بدون سند، ورواه بمعناه ابن جرير ٧٥/١٤ عن ابن جريج.

(٢) رد هذا القول ابن جرير في «تفسيره»، فقال: لا نعلم أحداً استعمل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها، بخلاف العذاب، فإنهم استعملوه قبل كونه، استبعاداً وتكديفاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيه له وبراءة من السوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يُنْزِلُ» بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «يُنْزِلُ» بالشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: «يُنْزِلُ» بالثاء مضمومة، وفتح الزاي مشددة. «الْمَلَائِكَةُ» رفع. قال ابن عباس: يريد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده. وفي المراد بالروح ستة أقوال: أحدها: الرُوح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: تنزل الملائكة بأمره، رواه العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كلَّ روح. قال [الزجاج]: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس بالإرشاد. والرابع: أنه الرحمة. قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أن أرواح الخلق: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد. والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى هذا سماه روحاً، لأن الدين يحيا به، كما أن الروح تُحيي البدن. وقال بعضهم: الباء في قوله: ﴿يُنْزِلُ﴾ بمعنى: مع، فالتقدير: مع الروح، «مِنْ أَمْرِهِ» أي: بأمره، «عَلَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» يعني: الأنبياء، «أَنْ أُنْزِلُوا» قال الزجاج: والمعنى: أنزلوا أهل الكفر والمعاصي «أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أي: مُروهم بتوحيدي، وقال غيره: أنزلوا بأنه لا إله إلا أنا، أي: مروهم بالتوحيد مع تخويفهم إن لم يُبَرُّوا.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قال المفسرون: أخذ أبي بن خلف عظماً رميمًا، فجعل يفتته ويقول: يا محمد كيف يبعث الله هذا بعدما رُم؟ فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>. والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهر الخصومة. والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على إيجاد أوله، يقدر على إعادته ثانياً؟! وفيه تنبيه على إنعام الله عليه حين نقله من حال ضعف النطفة إلى القوة التي أمكنه معها الخصام<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْأَنفُسُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْعَفٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفُسُكُمُ إِلَى بَلَدِكُمْ لَكُمْ فِيهَا مِنْ بِلَدِكُمُ لَا يُشِيقُ الْأَنفُسُ لِكُلِّ رَبِّكُمْ لَرَوْوَتْ رَجِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْأَنفُسُ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ الأنعام: الإبل، والبقرة، والغنم.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما استدفع به من أوبارها تتخذ ثياباً. وأخيه، وغير ذلك. روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدفع: اللباس، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون. والثاني: أنه نسلها. روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿فِيهَا دَفٌّ﴾ قال: الدفع: نسل كل دابة، وذكر ابن السائب قال: يقال: الدفع أولادها، ومن لا يحمل من الصغار، وحكى ابن فارس اللغوي عن الأموي، قال الدفع عند العرب: نتاج الإبل وألبانها. قوله تعالى: ﴿وَمَنْعَفٌ﴾ أي: سوى الدفع من الجلود، والألبان، والنسل، والركوب، والعمل عليها، وإلى غير ذلك، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: من لحوم الأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زينة، ﴿حِينَ تُرْجَعُونَ﴾ أي: [حين] تردونها إلى مراحيها، وهو المكان الذي تأوي إليه، فترجع عظام الضروع والأسنمة، فيقال: هذا مال فلان، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: ترسلونها بالغداة إلى مراعيها. فإن قيل: لم قدم الرواح وهو مؤخر؟ فالجواب: أنها في حال الرواح تكون أجمل، لأنها قد رعت، وامتلات ضروعها، وامتدت أسنمتها.

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسير الآية: ٧٧ من سورة (يس) عن مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة.

(٢) روى أحمد ٢١٠ / ٤، وابن ماجه رقم (٢٧٠٧) والحاكم عن بسر بن جعاش، قال: يصف رسول الله ﷺ في كفه، ثم قال: «يقول الله تعالى: ابن آدم! أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين يديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: أتصدق، وإنى أؤان الصدقة!».

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ﴾ الإشارة بهذا إلى ما يطبق الحمل منها، والأوقال: جمع قفل، وهو متاع المسافر. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَلَدَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه عام في كل بلد يقصده المسافر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أن المراد به: مكة، قاله عكرمة، والأول أصح، والمعنى: أنها تحمِلُكم إلى كل بلد لو تكلفتم أنتم بلوغه لم تبلغوه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾. وفي معنى «شِقِّ الأنفس» قولان: أحدهما: أنه المشقة، قاله الأكثرون. قال ابن قتيبة: يقال: نحن بشق من العيش، أي: بجهد؛ وفي حديث أم زرع: «وجدني في أهل عُتَيْمَةَ بِشِقٍّ»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الشق: النصف، فكان الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُّفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: حين مَنَ عليكم بالنعيم التي فيها هذه المرافق.

﴿وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالْحَبِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَسْلُمُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ﴾ أي: وخلق الخيل ﴿وَالنَّهَارَ وَالْحَبِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة.

### فصل

ويجوز أكل لحم الخيل، وإنما لم يُذكر في الآية، لأنه ليس هو المقصود، وإنما معظم المقصود بها: الركوب والزينة، وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا تؤكل لحوم الخيل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَسْلُمُونَ﴾ ذكر قوم من المفسرين: أن المراد به عجائب المخلوقات في السموات والأرض التي لم يُطلع عليها، مثل ما يروى: أن لله ملكاً من صفته كذا، وتحت العرش نهر من صفته كذا. وقال قوم: هو ما أعد الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار. وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس مَن كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٩)</sup> هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ<sup>(١٠)</sup> يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(١١)</sup> وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَمَّ وَالْبَحْرَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(١٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا قصد بك ما تريد. قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبرهان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ قال أبو عبيدة: السبيل لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجمع، فكانه قال: ومن السبيل سبيل جائز. قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دلَّ على السبيل، فلذلك قال: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ كما دلَّ الحَدَّثَانِ على الحوادث في قول العبدى:

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَّثَانِ حَيٌّ فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَّ السَّلَامُ

أراد: فهل يبقى على الحوادث، والسَّلَام: الصَّخُور، قال: ويجوز أن يكون إنما قال: ﴿وَمِنْهَا﴾، لأن السبيل تؤث وتذكر، فالمعنى: من السبيل جائز. وقال ابن قتيبة: المعنى: ومن الطرق جائز لا يهتدون فيه، والجائر: العادل عن القصد، قال ابن عباس: ومنها جائز الأهواء المختلفة. وقال ابن المبارك: الأهواء والبعد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ وهو ما تشربونه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ذكر ابن الأنباري في معناه قولين: أحدهما: ومنه سقى شجر، وشرب شجر، فخلق المضاف إليه المضاف، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَيْجَلَ﴾ [البقرة: ٤٩٣]. والثاني: أن المعنى: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه شجر، ومن ناحيته شجر، فحذف الأول، وخلفه الثاني، قال زهير:

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» ١٧٤/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٨٩٦/٤ عن عائشة رضي الله عنها. وقوله: «بشق» قال أبو عبيد: هو بالفتح، والمحدَثون يكسرونه، قال: وهو موضع، وقال ابن الأنباري: هو بالكسر والفتح، وهو موضع. وقال ابن أبي أوس وابن حبيب: يعني بشق: جبل لقتلهم وقلة غنمهم، وشق الجبل: ناحيته، وتفسير ابن قتيبة الذي نقله المصنف عنه، رجحه القاضي عياض واختاره غيره.

(٢) والأحاديث الصحيحة تدل على جواز أكل لحوم الخيل.

[لَمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الجِجْرِ] أفُونَنَ من جَجَجَ ومن شَهَرٍ<sup>(١)</sup>  
أي: من ممر حجج. قال ابن قتيبة: والمراد بهذه الشجر: المرعى. وقال الزجاج: كل ما نبت على الأرض فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:

يَغْلِفُهَا اللَّحْمُ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ  
والخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ صَرَزُ  
يعني: أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجذبت الأرض. و «ثِيْمُونَ» بمعنى: تَرَقَوْنَ، يقال: سامت الإبل فهي سائمة: إذا رعت، وإنما أخذ ذلك من السومة، وهي: العلامة، وتأويلها: أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات.  
قوله تعالى: «يَبُيْتُ لَكَ يَوْمَ الزَّيْعِ» وروى أبو بكر عن عاصم: «نبتت» بالنون. قال ابن عباس: يريد الحبوب، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: «وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي» قال الأخفش: المعنى: وجعل النجوم مسخرات، فجاز إضمار فعل غير الأول، لأن هذا المضمرة في المعنى مثل المظهر، وقد تفعل العرب أشد من هذا، قال الراجز:

تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَرَكَ  
وفي السَّيْدَيْنِ جُشَاءً وَيَدَا<sup>(٢)</sup>  
المعنى: وترى في البلدين. والجُشَاءُ: اليبس. واليَدُ: السَّعة. وقال غيره: قوله تعالى: «مُسَخَّرَاتٌ» حال مؤكدة، لأن تسخيرها قد عرف بقوله تعالى: «وَسَخَّرَ». وقرأ ابن عامر: والشمس والقمر والنجوم مسخرات، رفعاً كله، وروى حفص عن عاصم: بالنصب، كالجمهور، إلا قوله تعالى: «وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ» فإنه رفعها.  
«وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُغَلًا إِلَّا السَّيِّئُ لَا يَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي يَكْفُرُونَ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًّا تَبْسُوتُهَا وَتَرْكَبُ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ فِي الشَّجَرِ كَثْرَةٌ<sup>(٤)</sup> وَلِأَنَّ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تُبِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ رَبِّدُونَ<sup>(٥)</sup> وَعَلَيْكُمْ وَالنَّجْمِ هُمْ يَنْتَدُونَ<sup>(٦)</sup>»  
قوله تعالى: «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ» أي: وسخر ما ذرا لكم. وذرا بمعنى: خلق. و «سخر البحر» أي: ذلله للركوب والغوص فيه «لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا» يعني: السمك «وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًّا تَبْسُوتُهَا» يعني: الثمر، واللؤلؤ، والمرجان، وفي هذا دلالة على أن حالاً لو حلف: لا يلبس حلياً، فليس لؤلؤاً، أنه يحنث، وقال أبو حنيفة: لا يحنث.

قوله تعالى: «وَتَرْكَبُ الْفُلْكَ» يعني: السفن. وفي معنى «مَوَاجِرَ» قولان: أحدهما: جوازي، قاله ابن عباس. قال اللغويون: يقال: مخرت السفينة مخراً؛ إذا شقت الماء في جريانها. والثاني: المواقر، يعني: المملوءة، قاله الحسن. وفي قوله تعالى: «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» قولان: أحدهما: بالركوب فيه للتجارة ابتغاء الربح من فضل الله. والثاني: بما تستخرجون من حليته، وتصيدون من حيتانه. قال ابن الأنباري: وفي دخول الواو في قوله تعالى: «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» وجهان: أحدهما: أنها معطوفة على لام محذوفة، تقديره: وترى الفلك مواجر فيه لتتبعوا بذلك ولتبتغوا. والثاني: أنها دخلت لفعل مضمر، تقديره: وفعل ذلك لكي تبغوا.  
قوله تعالى: «وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ» أي: نصب فيها جبلاً ثوابت «أَنْ تُبِيدَ» أي: لثلاً تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد مَيْدًا: إذا أدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والميل، يقال: فلان يميد في مشيته، أي: يتكفأ.

قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ رَبِّدُونَ» أي: نصب فيها جبلاً ثوابت «أَنْ تُبِيدَ» أي: لثلاً تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد مَيْدًا: إذا أدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والميل، يقال: فلان يميد في مشيته، أي: يتكفأ.

قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الشَّجَرِ كَثْرَةٌ تَبْتَغُونَ» أي: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

قوله تعالى: «وَعَلَيْكُمْ وَالنَّجْمِ هُمْ يَنْتَدُونَ» بالليل، رواه

(١) تقدم البيت ٦٠٦.

(٢) أشد الطبري ٩٠/١٤، ورواه فيه:



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: المستكبرين: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﷺ؟ قال الزجاج: «ماذا» بمعنى «ما الذي». و «أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ» مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الذي أنزل: أساطيرُ الأولين، أي: الذي تذكرون أنتم أنه منزل: أساطير الأولين. وقد شرحنا معنى الأساطير في [الانعام: ٢٥]. قال مقاتل: الذين بعثهم الوليد بن المغيرة في طرق مكة يصعدون الناس عن الإيمان، ويقول بعضهم: إن محمداً ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، وقد شرحنا هذا المعنى في [الحجر: ٩٠] في ذكر المقتسمين.

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ هذه لام العاقبة، وقد شرحناها في غير موضع، والأوزار: الآثام، وإنما قال: كاملة، لأنه لم يُكْفَر منها شيء بما يُصيبهم من نكبة، أو بليّة، كما يُكْفَر عن المؤمن<sup>(١)</sup>، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: أنهم أضلّوهم بغير دليل، وإنما حملوا من أوزار الأنبياء، لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة، وقد ذكر ابن الأنباري في «مِنْ» وجهين: أحدهما: أنها للتبعيض، فهم يحملون ما شروكهم فيه، فأما ما ركه أولئك باختيارهم من غير تزيين هؤلاء، فلا يحملونه، فيصح معنى التبعيض. والثاني: أن «مِنْ» مؤكدة، والمعنى: وأوزار الذين يضلّونهم. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾ أي: بش ما حملوا على ظهورهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال المفسرون: يعني به النمرود بن كنعان، وذلك أنه بنى صرحاً طويلاً. واختلفوا في طوله، فقال ابن عباس: خمسة آلاف ذراع، وقال مقاتل: كان طوله فرسخين، قالوا: ورام أن يصعد إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. ومعنى «المكر» هاهنا: التدبير الفاسد. وفي الهاء والميم من «قبلهم» قولان: أحدهما: أنها للمقتسمين على عقاب مكة، قاله ابن السائب. والثاني: لكفار مكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنفَ اللَّهُ يَبْتَلِيهِمْ رَبِّكَ الْقَوَائِدَ﴾ أي: من الأساس. قال المفسرون: أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخرّ عليهم الباقي. قال السدي: لما سقط الصرح، تَبَلَّلَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنَ الْفَزَعِ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت «بابل»، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، وهذا قول مردود، لأن التَّبَلُّلَ يُوجِبُ الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى. فإن قيل: إذا كان الماكر واحداً، فكيف قال: «الذين» ولم يقل: «الذي»؟، فتنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كان الماكر ملكاً له أتباع، فأدخلوا معه في الوصف. والثاني: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة على البغال، وإنما خرج على بغل واحد. والثالث: أن «الذين» غير موقع على واحد معين، لكنه يراد به: قد مكر الجبارون الذين من قبلهم، فكان عاقبة مكرهم رجوع البلاء عليهم، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري. قال: وذكر بعض العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لينبه على أنهم كانوا تحته، إذ لو لم يقل ذلك، لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته، لأن العرب تقول: سقط علينا البيت، وخرّ علينا الحانوت، وتداعت علينا الدار، وليسوا تحت ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من حيث ظنوا أنهم آمنون فيه. قال السدي: أخذوا من مأمّنهم. وروى عطية عن ابن عباس قال: خرّ عليهم عذاب من السماء. وعامة المفسرين على ما حكيناه من أنه بنيان سقط. وقال ابن قتيبة: هذا مثّل، والمعنى: أهلكهم الله، كما هلك من هُدِمَ مسكنه من أسفله، فخر عليه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْرُجُ عَنْهُمْ﴾ أي: يذلّهم بالعذاب. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي، «شركائي الذين» بهمزة وفتح الياء، وقال البرقي عن ابن كثير: «شركائي» مثل: هداي، والمعنى: أين شركائي على زعمكم؟ هلّا دفعوا عنكم! ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾ أي: تخالفون المسلمين فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع: «تشافون» بكسر النون، أراد: تشافونني، فحذف النون الثانية، وأبقى الكسرة تدل عليها، والمعنى: كتمت تنازعوني فيهم، وتخالقون أمري لأجلهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلَمَةً﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس. والثاني: الحفظة

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها».



من الملائكة، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المؤمنون. فأما «الخزي» فقد شرحناه في مواضع [آل عمران: ١٩٢] و «السوء» هاهنا: العذاب.

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَنْ نَلْزَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلْ إِنَّ اللَّهَ عِلْمُهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قَادَحُوا قُرْبَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال عكرمة: هؤلاء قوم كانوا بمكة أقرؤوا بالإسلام ولم يُهاجروا، فأخرجهم المشركون كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَلْزَمَ﴾ قال ابن قتيبة: اتقادوا واستسلموا، والتَّسَلَّمَ: الاستسلام. قال المفسرون: وهذا عند الموت يتبرؤون من الشرك، وهو قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وهو الشرك، فترد عليهم الملائكة فتقول: «بلى». وقيل: هذا ردُّ خزنة جهنم عليهم ﴿بَلْ إِنَّ اللَّهَ عِلْمُهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والتكذيب. ثم يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، وقد سبق تفسير ألفاظ الآية [النساء: ٩٧] و[الحجر: ٤٤].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَلَّا لَبِئْسَ إِلَهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ تَوْفَّعْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُوتَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن مشركي قريش بعثوا ستة عشر رجلاً إلى عِقاب<sup>(١)</sup> مكة أيام الحج على طريق الناس، ففرَّقوهم على كل عَقَبَةٍ أربعة رجال، ليصدُّوا الناس عن رسول الله ﷺ وقالوا لهم: مَنْ أتاكم من الناس يسألكم عن محمد فليقلَّ بعضكم: شاعراً، وبعضكم: كاهناً، وبعضكم: مجنوناً، وألَّا تَرْوُهُ ولا يراكم خَيْرٌ لكم، فإذا انتهوا إلينا، صدَّقناكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث إلى كل أربعة منهم أربعة من المسلمين، فيهم عبد الله بن مسعود، فأمرُوا أن يكذبوهم، فكان الناس إذا مروا على المشركين، فقالوا ما قالوا، ردَّ عليهم المسلمون، وقالوا: كذبوا، بل يدعو إلى الحق، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا خَبَرٌ﴾ أي: أنزل خيراً، ثم فسر ذلك الخير فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: لا إله إلا الله، وأحسنوا العمل ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: كرامة من الله تعالى في الآخرة، وهي الجنة، وقيل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في الدنيا وهي ما رزقهم من خيرها وطاعته فيها، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله الجمهور. قال ابن الأنباري: في الكلام محذوف، تقديره: ولنعم دار المتقين الآخرة، غير أنه لما ذُكرت أولاً، عرف معناها آخرها، ويجوز أن يكون المعنى: ولنعم دار المتقين جناتٌ عَدْنٌ. والثاني: أنها الدنيا. قال الحسن: ولنعم دار المتقين الدنيا، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ قد شرحناه في [إبراء: ١٧٢].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ وقرأ حمزة «يتوفاهم» بياء مع الإماله. وفي معنى «طَيِّبِينَ» خمسة أقوال: أحدها: مؤمنين. والثاني: طاهرين من الشرك. والثالث: زاكاة أفعالهم وأقوالهم. والرابع: طيبة فائتهم، سهَّلُ خروج أرواحهم. والخامسة: طيبة أنفسهم بالموت، ثقة بالثواب.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُوتَ﴾ يعني الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. وفي أي وقت يكون هذا [السلام]؟ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرظي: ويقول له: الله ﷻ يقرأ عليك

(١) العقاب: جمع عَقَبَةٍ، وهي طريق في الجبل وعر.

السلام، ويشره بالجنة<sup>(١)</sup>. والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة، يقولون: سلام عليكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَنَّمُوا أَنَّهُ لَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ فَمَا سَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي «يأتيهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركون، وقد شرحناه في [البقرة: ٢١٠] وآخر [الأنعام: ١٥٨]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد: كفار الأمم الماضية، كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وَمَا ظَنَّمُوا أَنَّهُ لَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالشرك، ﴿فَمَا سَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، قال ابن عباس: جزاء ما عملوا من الشرك، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ قد بيناه في [الأنعام: ١٠]، والمعنى: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا مَآبِرُا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ النَّبِيُّ﴾ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ مَا تَلَاوَنُوا عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَبْرَأُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَرَكُوا﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الأصنام، أي: لو شاء ما أشركتنا ولا حرمنا من دونه من شيء من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والحرث، وذلك أنه لما نزل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الذمر: ٣٠] قالوا هذا، على سبيل الاستهزاء، لا على سبيل الاعتقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا وبذو هذا، لم نأته.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ النَّبِيُّ﴾ يعني: ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية، فهي إلى الله تعالى، وبين ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: كما بعثناك في هؤلاء ﴿إِنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه ﴿وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ وهو الشيطان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: أرشده ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وجبت في سابق علم الله، فاعلم الله ﷻ أنه إنما بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، ﴿فَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ مَا تَلَاوَنُوا عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي: معتبرين بآثار الأمم المكذبة. ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي، فقال: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ أي: [إن] تطلب هدايتهم بجهدك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، «لا يهدي» برفع الياء وفتح الدال، والمعنى: من أضله، فلا هادي له، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في «يُضِلُّ» أنها بضم الياء وكسر الضاد، وهذه القراءة تحتل معنيين، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: لا يهدي من طبعه ضالاً، وخلقهُ شقيّاً. والثاني: لا يهدي، أي: لا يهتدي من أضله، أي: مَنْ أضله الله لا يهتدي، فيكون معنى يهدي: يهتدي، تقول العرب: قد هُدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى.

﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَا يَبْتَغِ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلًا وَعَذَابًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ يُبَيِّنُ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَيَسْتَعْرِضُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ يَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْرِئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين

(١) رواه ابن جرير ١٠١/١٤، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١١٧/٤ وزاد نسه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي القاسم بن منده في كتاب «الأحوال»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

ذِينَ، فَأَتَاهُ يَتَقَاضَاهُ، فَكَانَ فِيهَا تَكَلَّمَ بِهِ: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟! فأقسم بالله ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. و ﴿جَهَدَ أَيْكُنْهُمْ﴾ مفسر في [المائدة: ٥٣]. وقوله: ﴿يَكِلَ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ، قال الفراء: والمعنى: ﴿يَكِلَ﴾ لِيَعِثُّهُمْ ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّنُ لَهُمُ الْوُجُوهَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون متعلقاً بالبعث، فيكون المعنى: بلى يعيئهم فيبين لهم، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ. وللمفسرين في قوله: ﴿لِيُؤَيِّنَ لَهُمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم جميع الناس، قاله قتادة. والثاني: أنهم المشركون، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ كَافِرًا كَافِرِينَ﴾ أي: فيما أقسموا عليه من نفي البعث. ثم أخبر بقدرته على البعث بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٤﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وخمزة «فيكون» رفعا، وكذلك في كل القرآن. وقرأ ابن عامر، والكسائي «فيكون» نصبا. قال مكي بن إبراهيم: من رفع، قطعه عما قبله، والمعنى: فهو يكون، ومن نصب، عطفه على «يقول»، وهذا مثل قوله: ﴿وَإِذَا قَعَصَ أَمْرًا فَإِنَّا بِأُولَئِكَ يَقُولُ لَكُمُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقد فسره في [البقرة: ١١٧]. فإن قيل: كيف سمي الشيء قبل وجوده شيئا؟ فالجواب: أن الشيء وقع على المعلوم عند الله قبل الخلق، لأنه بمنزلة ما قد عُيِّنَ وشُوهِدَ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلال، وعمار، وصهيب، وخباب بن الارت، وعائش وجبر موليّان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يُعَذِّبُونَهُمْ، ليرُدُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند. والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قتادة. ومعنى «هاجروا» في الله، أي: في طلب رضاه وثوابه ﴿بِمَا بَدَّ مَا ظَلَمُوا﴾ بما نال المشركون منهم، ﴿لَتُؤَيِّنَنَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وفيها خمسة أقوال: أحدها: لتزليتهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقاتدة، فيكون المعنى: لَتُؤَيِّنَنَّاهُمْ دَارًا حَسَنَةً وبلدة حسنة. والثاني: لتزقيتهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدو، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيع أنه قال: ﴿لَتُؤَيِّنَنَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لتحيثنَّ إليهم في الدنيا، قال بعض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لتؤيئنهم»، على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الجنة، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهل مكة. ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخرك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية<sup>(١)</sup>. ثم إن الله أثنى عليهم ومدحهم بالصبر فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على دينهم، لم يتركوه لأذى نالهم، وهم في ذلك واثقون بربهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقَامُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَالْيَسِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكَتَابَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ قال المفسرون: لما أنكر مشركو قريش نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكن رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكا! فنزلت هذه الآية، والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميين، إلا أنهم يُوحَى إليهم. وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون وكسر الحاء. «فَتَلَوْنَا» يا معشر المشركين «أَهْلَ الذِّكْرِ» وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أهل التوراة، قاله

مجاهد. والثالث: أهل القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: العلماء بأخبار من سلف، ذكره الماوردي. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا تعلمون أن الله تعالى بعث رسولاً من البشر. والثاني: لا تعلمون أن محمداً رسول الله، فعلى القول الأول، جائز أن يسأل من آمن برسول الله ومن كفر، لأن أهل الكتاب والعلم بالسيرة متفقون على أن الأنبياء كلهم من البشر، وعلى الثاني إنما يسأل من آمن من أهل الكتاب، وقد روي عن مجاهد ﴿فَسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: عبد الله بن سلام، وعن قتادة، قال: سلمان الفارسي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَتَّخَذُوا رَسُولَهُ﴾ في هذه «الباء» قولان: أحدهما: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أرسلناهم بالبينات. والآخر: الكتب. وقد شرحنا هذا في (آل عمران: ٢١٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن بإجماع المفسرين ﴿لِتُذَكِّرَ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [فيه] من حلال وحرام، ووعد ووعيد ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْبِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكرًا، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمنوا العقوبة، وكان مجاهد يقول: عنى بهذا الكلام نمرد بن كنعان.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: على تنقص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة: التَّخَوُّفُ: التنقص، ومثله التَّخُونُ. يقال: تخوفته الدهور وتخوته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التخوف: التنقص، بلغة أزد شنوءة. ثم في هذا التنقص ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تنقص من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج. والثاني: أنه التخوف نفسه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني: أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي تليها، فعلى هذا، خوْفهم قبل هلاكهم، فلم يتوبوا، فاستحقوا العذاب. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُوا ظِلَّ اللَّهِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّامَالِ سُبْحًا لِلَّهِ وَهُوَ دَخِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكَرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فِرْقَتِهِمْ وَفَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أولم يروا» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالفاء، واختلف عن عاصم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أراد من شيء له ظل، من جبل، أو شجر، أو جسم قائم ﴿يَتَفَقَّأُ﴾ قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالفاء ﴿ظِلُّهُ﴾ وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يُراد به الكثرة، كقوله تعالى: ﴿لَسْتُ أَرَى عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. قال ابن قتيبة: ومعنى يتفقاُ ظلاله: يدور ويرجع من جانب إلى جانب، والفيء: الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق. قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل قدامك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت للغروب كان على يسارك، وإنما وُحِدَ اليمين، والمراد به: الجمع، إيجازاً في اللفظ كقوله

تعالى: ﴿وَيُؤَلِّقُ الذُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ودلت «الشماثل» على أن المراد به الجميع، وقال الفراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشماثل، ولم يقل: الشمال، لأن كل ذلك جائر في اللغة، وأنشد:

السَّوَادُ دُونَ وَتَنِيمَ فِي ذَرَى سَبِيلٍ  
قد عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِينِ<sup>(١)</sup>  
ولم يقل: جلود، ومثله:

كُلُّوا فِي يَضْفِ بِطَنِيكُمْ تَعِينُشُوا  
فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِينُصُ<sup>(٢)</sup>  
وإنما جاز التوحيد، لأن أكثر الكلام يواجه به الواحد. وقال غيره: اليمين راجعة إلى لفظ ما، وهو واحد، والشماثل راجعة إلى المعنى.

قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: مستسلمة، متقادة، وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَهُمْ أَفْئِدُو وَالْأَسَالِي﴾ [الرعد: ١٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزْ ذُرِّيَّتَكَ﴾ قولان: أحدهما: والكفار صاغرون. والثاني: وهذه الأشياء داخرة مجبولة على الطاعة. قال الأخفش: إنما ذكر من ليس من الإنس، لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَكِ﴾ الآية. الساجدون على ضربين: أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة. والثاني: من لا يعقل، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:

بَجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ  
تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٣)</sup>

قال ابن قتيبة: حَجَرَاتُهُ، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت. فأما الشمس والقمر والنجوم، فالحقها جماعة بمن يعقل، فقال أبو العالية: سجودها حقيقة، ما منها غارب إلا خَرَّ ساجداً بين يدي الله ﷻ، ثم لا ينصرف حتى يُؤذَنَ له، ويشهد لقول أبي العالية، حديث أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر! تدري أين ذهب الشمس؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها ﷻ، فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، فكانها قد قيل لها: ارجعي من حيث جِئْتِ، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها، ثم قرا: ﴿وَاللَّسْتُ بَجَرِي لِمُسْتَقَرِّ لَهَا﴾ [يس: ٢٨]. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٤)</sup>. وأما النبات والشجر، فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء: أحدها: أن يكون سجوداً لا تعلمه، وهذا إذا قلنا: إن الله يودعه فمماً. والثاني: أنه تَشَوُّ ظلاله. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سُخِّرَ له.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إنما أخرج الملائكة من الدواب، لخروجهم بالأجنحة عن صفة الدبيب. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْكَرُونَ﴾ ﴿يَأْتُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوَّيْهِمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع المذكورات، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمِنْ قَوَّيْهِمْ﴾ قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عالياً رفيعاً عظيماً. والثاني: أنه حال، وتلخيصه: يخافون ربهم معظمين له عالمين بعظيم سلطانه.

(١) البيت في «الطبري» ١١٧/١٤، وهو في «معاني القرآن» للفراء ٣٠٨/١ لجبر من قصيدة في هجاء تيم بن قيس، من بكر بن وائل، وهو في «ديوانه» ٣٢٥.

(٢) تقدم البيت ٤٠ وهو غير منسوب في «سبويه» ١٠٨/١، و«الخرائفة» ٣٧٩/٣، و«الطبري» ٣٦١/١.

(٣) قائله زيد الخيل، وهو في «تأويل مشكل القرآن» ٣٢٢، و«الكامل» ٥٥١، و«المعاني الكبير» ٨٩٠، و«أضداد ابن الأنباري» ٢٩٥، و«حماسة ابن الشجري» ١٩، و«مجموعة المعاني» ١٩٢، والباء في قوله بجيش، متعلقة ببيت سالف هو:

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا  
وَالْبَلَقُ، جمع أبلق، و«بلقاء» الفرس يرتفع تجميلها إلى الفخذين، والأكم، جمع إكام، وإكام، واحدة: أكمة، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، ففيها أخرى أن يفضل، يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

(٤) البخاري ٤١٦/٨، ومسلم ١٣٩/١.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنِي بِهَا وَلاَ يَحِذِرُوا اللَّهَ وَلاَ يُخَافُوا اللَّهَ وَلاَ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>  
 ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنِي بِهَا وَلاَ يَحِذِرُوا اللَّهَ وَلاَ يُخَافُوا اللَّهَ وَلاَ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّذِينَ آتَيْنِي بِهَا﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: ليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: ذكر الإثنين توكيد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ في المراد بالدين أربعة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبير. والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة. والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة. وفي معنى «واصباً» أربعة أقوال: أحدها: دائماً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والثوري، واللغويون. قال أبو الأسود الدؤلي:

لا أَبْتَنِي الحِمْدَ القَلِيلَ بَقَاؤُهُ  
 يوماً يَذْمُ الدَّهْرُ أَجْمَعَ وَاصِباً<sup>(٣)</sup>

قال ابن قتيبة: معنى الكلام: أنه ليس من أحد يَدان له وطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة. غير الله ﷻ، فإن الطاعة تدوم له. والثاني: واجباً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خالصاً، قاله الربيع بن أنس. والرابع: وله الدين موصباً، أي: متعباً، لأن الحق ثقیل، وهو كما تقول العرب: همَّ ناصب، أي: مُنْصَب، قال النابغة:

كَلَيْسَ لِي لِهَمٌّ بِأُتَمِّمُهُ نَاصِبٌ  
 وليلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ<sup>(٤)</sup>

ذكره ابن الأباري. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: له الدين، والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه، أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب: شدة التعب.

﴿وَمَا يَكُمُ يَنْ يَمَتُّ قَبْلَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَنَّكَ اللَّهُ فَلَا يُخَفِّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْكُمْ يَتَّبِعُكُمْ يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَنَمَوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُمُ يَنْ يَمَتُّ﴾ قال الزجاج: المعنى: ما حل بكم من نعمة، من صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال وولد ﴿قَبْلَ اللَّهِ﴾ وقرأ ابن أبي عبيدة: ﴿قَبْلُ اللَّهِ﴾ بتشديد النون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَنَّكَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام، والأمراض، والحاجة. قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفِّرُونَ﴾ قال الزجاج: «تجارون»: ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جأرجأ جواراً، والأصوات مبنية على «فُعَالٍ» و «فُعِيلٍ»، فأما «فُعَالٌ» فنحو «الصُّرَّاحِ» و «الخُورِ»، وأما «الفُعِيلُ» فنحو «العويل» و «الزُّئير»، والفُعَالُ أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فِرْقٌ مِنْكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل النفاق. قال ابن السائب: يعني الكفار.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: ليكفروا بأننا أنعمنا عليهم، فجعلوا نِعْمَتَنَا سبباً إلى الكفر، وهو كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ رَعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨]، ويجوز أن يكون «ليكفروا»، أي: ليجحدوا نعمة الله في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَمَوْا﴾ تهديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم.

﴿وَيَعْلَمُونَ لِمَا لَا يَحْكُمُونَ نَبِيًّا مِمَّا رَفَعْنَاهُمْ تَأْلَهُمُ لَتَشْفَعَنَّ عَمَّا كَفَرْتُمْ تَفَرَّدَ﴾<sup>(٧)</sup> وَيَعْلَمُونَ لِمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ سُبْحَتُمْ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ<sup>(٨)</sup> وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْإِنْفِ ظَلَّ وَجْهُهُ سُودًا وَهُوَ كَلِيمٌ<sup>(٩)</sup> بَيَّزَ مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بَشَّرَ بِهِ أَبْيَسَكُمْ عَلَى هُوْبٍ أَوْ يَدُسُّ فِي الْأَرْبَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ لِمَا لَا يَحْكُمُونَ﴾ يعني: الأوثان. وفي الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم

(١) «مجاز القرآن» ١/٣٦١، «الطبري» ١٤/١١٨، «القرطبي» ١٠/١١٤.

(٢) «ديوانه» ٩، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٥٩، و«مجاز القرآن» ٢/١٨٤، وقد فسر قوله: «ناصب» أي: ذو نصب، وبمعنى: منصب.

الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضرراً ولا نفعاً؛ فمفعول العلم محذوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأصنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وإنما قال: يعلمون، لأنهم لما نحلوها الفهم، أجراها مجرى مَنْ يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني. قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك مما شرحناه في [الأنعام: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَنُصَنِّصَنَّ﴾ رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنِينَ﴾ قال المفسرون: يعني: خزاعة وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُمْ﴾ أي: تنزه عما زعموا. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين. قال أبو سليمان: المعنى: ويتمنون لأنفسهم الذكور.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى﴾ أي: أخبر بأنه قد وُلد له بنت ﴿عَظَلَ وَجْهَهُ سُودًا﴾ قال الزجاج: أي: متغيراً تغير مغتم، يقال لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غمّاً وحزناً.

قوله تعالى: ﴿رَوَّاهُ كَلِيمٌ﴾ أي: يكظم شدة وجده، فلا يظهره، وقد شرحناه في سورة [يوسف: ٨٤].

قوله تعالى: ﴿يَرْزُقْنِي مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال المفسرون: وهذا صنيع مشركي العرب، كان أحدهم إذا ضرب امرأته المخاض، تورى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكراً، سر به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياماً يُدَبِّرُ كيف يصنع في أمرها، وهو قوله: ﴿إِنِّي سَكِرْتُ عَلَى هُوْبٍ﴾ فإلهاء ترجع إلى ما في قوله: ﴿مَا يَبْتَغِي بَيْدِي﴾، والهون في كلام العرب: الهوان. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والجحدري، (على هوان)، والدس: إخفاء الشيء في الشيء، وكانوا يدفنون البنات وهي حية ﴿أَلَا سَكَةً مَا يَحْكُمُونَ﴾ إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلنّ منهن هذا، ونسبهن إلى الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من احتياجهم إلى الولد، وكراهتهم للإناث، خوف الفقر والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الصفة العليا من تنزهه وبرأته من الولد.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بشرهم ومعاصيهم، كلما وُجد شيء منهم أوخذوا به ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ﴾ يعني: الأرض، وهذه كناية عن غير مذكور، غير أنه مفهوم، لأن الدواب إنما هي على الأرض. وفي قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عنى جميع ما يدب على وجه الأرض، قاله ابن مسعود. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام، وقال السدي: المعنى: لأحطط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج. والثالث: من الإنس والجن، قاله ابن السائب، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم، وباقي الآية قد تقدم [الأعراف: ٣٤].

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمْ لَلنَّارَ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البنات، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ﴾ أي: تقول الكذب، وقرأ أبو العالية، والنخعي، وابن أبي عبيدة: «الكذب» بضم الكاف والذال. ثم فسر ذلك الكذب بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ لَلنَّارَ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله تعالى، قاله الزجاج. والثالث: [أنها] الجنة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة، قال المشركون: إن كان ما تقولونه حقاً، لندخلنّها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها فيما مضى [مرء: ٢٢]. وقال الزجاج: «لا» ردّ لقولهم، والمعنى: ليس ذلك ما وصفوا «جرم» أن لهم النار، المعنى: جرم فعلهم، أي: كسب فعلهم هذا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ وفيه أربعة أوجه، قرأ الأكثرون: «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وتخفيف الراء وفتحها، وفي معناها قولان: أحدهما: مُتْرَكُونَ، قاله ابن عباس. وقال الفراء: منسيون في النار. والثاني: مُعْجَلُونَ، قاله ابن عباس أيضاً. وقال ابن قتيبة: مُعْجَلُونَ إلى



النار. قال الزجاج: معنى «الفرط» في اللغة: المتقدم، فمعنى «مفراطون»: مقدّمون إلى النار، ومن فسرها «مُتْرَكُونَ» فهو كذلك [أيضاً]، أي: قد جعلوا مقدّمين إلى العذاب أبداً، متروكين فيه. وقرأ نافع، ومحيوب<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو، وقتيبة<sup>(٢)</sup> عن الكسائي «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وكسر الراء وتخفيفها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم أفرطوا في معصية الله. وقرأ أبو جعفر وابن أبي عبله «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرهما، قال الزجاج: ومعناها: أنهم فَرَطُوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتصديق هذه القراءة «بَحْرَتِكَ عَلَى مَا قَرَطْتَ فِي جَنِّبِ اللَّهِ» [الزمر: ٥٦]. وروى الوليد بن مسلم عن ابن عامر «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج: وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالْمُفْرَطُ والمُفْرَطُ بمعنى واحد.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ [النحل: ٦٣] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ [النحل: ٦٣] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ [النحل: ٦٣]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ قال المفسرون: هذه تعزية للنبي ﷺ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ الخبيثة حتى عضوا وكذبوا، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ لَهُ مِائَةً مِّنَ الْقُرْآنِ وَمَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ الْغَلَقَاتِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن السائب، ومقاتل، كأنهما أرادا: فهو وليهم يوم تكون لهم النار. والثاني: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مواليتهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيُثَبِّتَ لَهُمُ﴾ يعني: الكفار ﴿الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ﴾ أي: ما خالفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء، فالمعنى: أنزلناه بياناً لما وقع فيه الاختلاف.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٤]

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي: «نُسْقِيكُمْ» بضم النون، ومثله في [المؤمنين: ٢١]. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُسْقِيكُمْ» بفتح النون فيهما. وقرأ أبو جعفر: «نُسْقِيكُمْ» ببناء مفتوحة، وكذلك في [المؤمنين: ٢١] وقد سبق بيان الأنعام. وذكرنا معنى «العبرة» في [آل عمران: ١٣]، والفرق بين «سقى» و«أسقى» في [الحجر: ٢٢]. فأما قوله: ﴿وَمَا فِي بَطُونِهِ﴾ فقال الفراء: النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى «النعم» إذ كان يؤدي عن الأنعام، أنشدني بعضهم:

وَطَلَبَ الْبَابُ الْبَابَ الْفَقَاحَ وَبَرَدَ<sup>(٣)</sup>

فرجع إلى اللين، لأن اللين والألبان في معنى؛ قال: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِثْلُ الْفَرَاخِ تُبْقِثُ خَوَاصِلُهُ<sup>(٤)</sup>

وقال المبرّد: هذا فاضٍ في القرآن، كقوله للشمس: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وَلِيَّ مَرْسَلَةٍ إِلَيْهِمْ يَهْدِيهِمْ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سَلْبَتْنٌ﴾ [النمل: ٣٥، ٣٦] ولم يقل: «جاءت» لأن المعنى: جاء الشيء الذي

(١) هو محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زينب، فيروز، أبو جعفر، أو أبو الحسن، لقبه محبوب، حدث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن ستان القزاز، وأخرج له البخاري، وقال ابن معين: لا بأس به.

(٢) هو أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهراز الأذافاني (قرية من أصبهان) إمام مقرر صالح ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، روي عنه أنه قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على الكسائي، وقرأ الكسائي القرآن من أوله إلى آخره عليّ، وقال: صحبت الكسائي إحدى وخمسين سنة، وشاركته في عامة أصحابه.

(٣) الرجز غير منسوب في «الطبري» ١٤/١٣١، و«اللسان»: كند.

(٤) «الطبري» ١٤/١٣٢، و«اللسان»: نعم.

ذكرنا، وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبعض، والمعنى: تُسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن، لأنه ليس لكل الأنعام لبن، وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: «مما في بطونه» إلى التَّعَم، والتَّعَم تَذَكَّر وتَوَثَّث، والفَرَث: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاماً، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه فرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم ﴿بَنَّا خَالِصًا سَائِبًا لِلشَّعْرَيْنِ﴾ أي: سهلاً في الشرب لا يشجى به شارب، ولا يَغْضُ. وقال بعضهم: سائغاً، أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرث ودم، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا استقر العلف في الكرش، طحنه، فصار أسفله فرثاً، وأعله دماً، وأوسطه لبناً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث في الكرش.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأعنَابِ﴾ تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا. والعرب تضمّر «ما» كقوله: ﴿وَلَا رَيْثَ قَمَ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما ثَمَّ. والكناية في «منه» عائدة على «ما» المضمرة. وقال الأخفش: إنما لم يقل: منهما، لأنه أضمر الشيء، كأنه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكرًا. وفي المراد بالسُّكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وإبراهيم ابن أبي ليلى، والزجاج، وابن قتيبة. وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال: السُّكر: ما حرّم من ثمرتها، وقال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة، ثم نسخ [ذلك] بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] ومن ذكر أنها منسوخة، سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والشعبي، والنخعي. والثاني: أن السُّكر: الخل، بلغة الحبشة، رواه العوفي عن ابن عباس. قال الضحاك: هو الخل، بلغة اليمن. والثالث: أن «السُّكر» الطَّعْم، يقال: هذا له سكر، أي: طعم، وأنشدوا:

جَعَلْتُ غَيْبَ الْأَنْمَرِ مِثْنَ سَكَّرًا<sup>(١)</sup>

قاله أبو عبيدة. فعلى هذين القولين، الآية محكمة. فاما الرزق الحسن، فهو ما أُجِلَّ منهما، كالتمر والعنب، والزبيب، والخل، ونحو ذلك.

﴿وَأَرْسَىٰ رُكْنًا إِلَى الْفَلِ أَنْ أَتَىٰ مِنْ لَيْلٍ يُؤْتَا مِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ثم كُلٌّ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا نَرَابٌ خَفِيفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَىٰ رُكْنًا إِلَى الْفَلِ﴾ في هذا الوحي قولان: أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها. والنحل: زنابير العسل، واحدها نحلة. و«يعرشون» يجعلونه عريشاً. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يعرشون» بضم الراء، وهما لغتان، يقال: «يعرش» و«يعرش» مثل «يعكف» و«يعكف». ثم فيه قولان: أحدهما: ما يعرشون من الكروم، قاله ابن زيد. والثاني: أنها سقوف البيوت، قاله الفراء. وقال ابن قتيبة: كل شيء عَرِش، من كرم، أو نبات، أو سقف، فهو عَرِش، ومعروش. وقيل: المراد بـ «مما يعرشون»: مما يبنون لهم من الأماكن التي تلقى فيها العسل، ولولا التسخير، ما كانت تأوي إليها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلٌّ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من الثمرات، و«كل» هاهنا ليست على العموم، ومثله قوله: ﴿تَذَكَّرْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحاف: ٢٥]. قال الزجاج: فهي تأكل الحامض، والمر، وما لا يوصف طعمه، فيحيل الله ﴿كُلٌّ مِنْ ذَلِكَ عَسَلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ السُّبُل: الطُّرُق، وهي التي يطلب فيها الرعي. و«الذُّلُل» جمع ذُلُول. وفي الموصوف بها قولان: أحدهما: أنها السُّبُل، فالمعنى: اسلكي السُّبُلَ مُذَلَّلَةً لِّكَ، فلا يتوَعَّر عليها مكان سلكته، وهذا قول مجاهد، واختيار الزجاج. والثاني: أنها النحل، فالمعنى: إنك مُذَلَّلَةٌ بالتسخير لبني آدم، وهذا قول قتادة، واختيار ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسل: ﴿تَخْلُفُ الْوَنَمَ﴾ قال ابن عباس: منه أحمر، وأبيض، وأصفر. قال الزجاج: [يخرج] من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها، وإنما قال: من بطونها، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلا في البطن، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى العسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود. واختلفوا، هل الشفاء الذي فيه يختص بمرض دون غيره، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه عام في كل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء. وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدواء. وقد روى أبو سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، قال: «اسقه، عسلاً»، فذكر الحديث... إلى أن قال: فُشِّقِي، إما في الثالثة، وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(١)</sup>. ويعني بقوله: «صدق الله»: هذه الآية. والثاني: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي. والصحيح أن ذلك خرج مخرج الغالب. قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدواء، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق أحاد المرضي، فقد وافق الأثرين، هذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب. والثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ قَدِيرٍ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: أوجدكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿وَيَرْزُقُكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ وهو أروؤه، وأذوته، وهي حالة الهرم. وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال: أحدها: خمس وسبعون سنة، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: تسعون سنة، قاله قتادة. والثالث: ثمانون سنة، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ بِأَمْرٍ شَيْءٌ﴾ قال الفراء: لكي لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقال ابن قتيبة: أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرقاً. فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليرىكم من قدرته، كما قيل على إمامته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلاً، ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يرد إلى أرذل العمر.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي كَفَرُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبُيِّنَمُ اللَّهُ لِيَحْمَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ يعني: فضل السادة على المماليك ﴿فَمَا الَّذِي كَفَرُوا﴾ يعني: السادة ﴿بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فعبثت «ما» عن «من» لأنه موضع إيهام، تقول: ما في الدار؟ فيقول المخاطب: رجلان أو ثلاثة، ومعنى الآية: أن المولى لا يرد على ما ملكت يمينه من ماله حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء، وهو مثل ضربه الله تعالى للمشركون الذين جعلوا الأصنام شركاء له، والأصنام ملكاً له، يقول: إذا لم يكن عبيدكم معكم في الملك سواء، فكيف جعلون عبيدي معي سواء، وتعرضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه؟! وروى العوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في نصارى نجران حين قالوا: عيسى ابن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَفَبُيِّنَمُ اللَّهُ لِيَحْمَدُونَ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: «تجحدون» بالثاء. وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: حُجَّتْ به وهدايته. والثاني: فضله ورزقه.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَعْلَمَ لَكُمْ مِنْ أَنْبِئِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَائِنَاتِ أَلْيَابًا لِيُؤْمِنُوا وَيُتِمَّتَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ٧٢﴾ وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٧٣﴾ فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَنْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني النساء. وفي معنى «من أنفسكم» قولان: أحدهما: أنه خلق آدم، ثم خلق زوجته منه، قاله قتادة. والثاني: «من أنفسكم»، أي: من جنسكم من بني آدم، قاله ابن زيد. وفي الحفدة خمسة أقوال: أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، ومجاهد في رواية، وسعيد بن جبير، والنخعي، وأنشدوا من ذلك:

ولو أن نفسي طاعتني لأضبححت  
لها حفدًا ومما يُعدُّ كثير  
ولكنها نفس عليّ أبيع  
عيوف لأصهار اللثام قدور<sup>(١)</sup>

والثاني: أنهم الخدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية الحسن، وطاوس وعكرمة في رواية الضحاك، وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يراد بالخدم: الأولاد، فيكون المعنى: أن الأولاد يخدمون. قال ابن قتيبة: الحفدة: الخدم والأعوان، فالمعنى: هم بنون، وهم خدم. وأصل الحفد: مداركة الخطو والإسراع في المشي، وإنما يفعل الخدم هذا، ف قيل لهم: حفدة. ومنه يقال في دعاء الوتر: «وإليك نسعى ونحفد». والثاني: أن يراد بالخدم: المماليك، فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والرابع: [أنهم] ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أنهم: كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم. قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يحتاج إليه بسرعة وطاعة.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَائِنَاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان.

قوله تعالى: ﴿أَلْيَابًا لِيُؤْمِنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الشريك والصاحبة والولد، فالمعنى: يصدّقون أن الله ذلك؟ قاله عطاء. والثالث: أنه الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، فصدّقوا. وفي المراد بـ «نعمة الله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، والرسول. والثالث: الحلال الذي أحله الله لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنها الأصنام، قاله قتادة. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿بَيْنَ السَّمَوَاتِ﴾ يعني: المطر، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ النبات، والثمر.

قوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾ قال الأخفش: جعل «شيئًا» بدلًا من الرزق، والمعنى: لا يملكون رزقًا قليلًا ولا كثيرًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يقدرون على شيء. قال الفراء: وإنما قال في أول الكلام: «يملك» وفي آخره: «يستطيعون»؛ لأن «ما» في مذهب: جمع لآلهتهم، فوحد «يملك» على لفظ «ما» وتوحيدها، وجمع في «يستطيعون» على المعنى، كقوله: ﴿وَتَتِمَّتْ مِنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَنْثَالَ﴾ أي: لا تشبهوه بخلقه، لأنه لا يُشبه شيئًا، ولا يُشبه شيء، فالمعنى: لا تجعلوا له شريكًا. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل. والثالث: يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه. والرابع: يعلم ما كان

ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركتم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بَيَّنَّ شَبَهًا فِيهِ بَيَانُ الْمَقْصُودِ، وفيه قولان: أحدهما: أنه مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. فالذي ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هو الكافر، لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق هو المؤمن، ابن لما عنده من الخير، هذا قول عباس، وقتادة. والثاني: أنه مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ وَلِلْأَوْتَانِ، لأنه مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئاً، هذا قول مجاهد، والسدي. وذكر في التفسير أن هذا المثل ضُربَ بِقَوْمٍ كَانُوا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار (١)، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام بن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحواجر. والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق ﷺ، قاله ابن جريج. فأما قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَنَّ﴾ ولم يقل: يستويان، لأن المراد: الجنس. وقال ابن الأنباري: لفظ ﴿مَنْ﴾ لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المَثَلُ بعبد معين، ومالك معين، لكن عُيِّنَ بهما جماعة عبيد، وقوم مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك.

قوله تعالى: ﴿الْعَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المستحق للحمد، لأنه المنعم، ولا نعمة للأصنام، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الحمد لله. قال العلماء: وصف أكثرهم بذلك، والمراد: جميعهم.

قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ قد فسرنا «الْبَكْم» في [البقرة: ١٨]. ومعنى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: من الكلام، لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُثْقِلُ عَلَى وَلِيِّهِ وقرباته. وفيمن أريد بهذا المَثَلُ أربعة أقوال: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالكافر هو الأبكم، والذي يأمر بالعدل [هو] المؤمن، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن التَّفَقُّعِ في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن مثنى عن ابن عباس. والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللونث. فالونث: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبيُّ بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة. وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى «مولاه» قولان: أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس. والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو يُثْقِلُ عَلَى وَلِيِّهِ الذي يخدمه ويزينه. ويخرج في معنى «أينما توجَّه» قولان. إن قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق. وإن قلنا: إنه الصنم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أينما يدعوه، لا يجيبه، قاله مقاتل. والثاني: أينما توجَّه تأميله إِيَّاهُ ورجاه له، لا يأتِه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم، كقوله: ﴿يَا وَعَدْتُنَا عَلَى رُسُلِكِ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما توجَّه» بـالتاء على الخطأ. فأما قوله: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإن قلنا: هو رجل، فإنما كان كذلك، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، إما لكفره وجحوده، أو لبيكم به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جماداً. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: هذا الأبكم ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو قادر على التكلم، ناطق بالحق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ بَصِيرَةٍ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَهِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٦) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد ذكرناه في آخر [مود: ١٧٣] وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. وقال ابن السائب: المراد بالغيب هاهنا: قيام الساعة. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ يعني: القيامة: ﴿إِلَّا كَنَفْخِ بَصِيرَةٍ﴾ واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة

في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَقْلُبُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ بَطْنِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قرأ حمزة «إمهايتكم» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الألف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم، وكذلك في [النور: ٦١] و [الزمر: ٦١] و [النجم: ٣٢]، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بيّنا علة ذلك في أول [البقرة: ٤٧]. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فؤدان» مثل غراب وغربان. وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدّم وتؤخّر، وأنشد:

صَحْمٌ تَعَلَّقَ أَشْنَأُ الدِّيَاتِ بِهِ  
إِذَا الْمِؤُودُونَ أَمِرتْ فَوْقَهُ حَمَلًا<sup>(١)</sup>  
[الشَّئَقُ: ما بين الفريضتين]. والمؤودون أعظم من الشَّق، فبدأ بالآقل قبل الأعظم. قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهلاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ الشَّكَاةِ مَا يُمَسْكَنُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ الشَّكَاةِ﴾ قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض. قوله تعالى: ﴿مَا يُمَسْكَنُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يمسه عند قبض أجنتهن وبسطها أن يقفن على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون. والثاني: ما يمسه أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فُعل بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُدُرِ الْاَنْفَادِ يَوْمًا تَسْتَوِفُونَهَا يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَيَوْمَ اِنْفَاحِكُمْ وَمِنْ اَصْوَادِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَشْنَا وَمَتْنَا إِلَى حِينٍ﴾ [٨١] وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ نَقِيصِكُمُ الْحَرِّ وَسَرَبِيلَ نَقِيصِكُمْ بِأَسْكُمُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٨٢] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمَمِينُ [٨٣] يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرونها وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [٨٤]

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي: موضعاً تسكنون فيه، وهي المساكن المتخذة من الحجر والمدر تستر العورات والحرم<sup>(٢)</sup>. وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُدُرِ الْاَنْفَادِ يَوْمًا﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأدم ﴿تَسْتَوِفُونَهَا﴾ أي: يخفّ عليكم حملها ﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ﴾ قرأ ابين كثير، ونافع، وأبو عمرو «طعنكم» بفتح العين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتسكين العين، وهما لغتان، كالشعر والشعر، والنهر والنهر، والمعنى: إذا سافرت، ﴿وَيَوْمَ اِنْفَاحِكُمْ﴾ أي: لا تثقل عليكم في الحالين. ﴿وَمِنْ اَصْوَادِهَا﴾ يعني: الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ يعني: المعز [٨١] قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعة، ولو جمعت الأثاث، لقلت: ثلاثة أثاث، وأث: مثل أعة وغث لا غير. وقال ابن قتيبة: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثانة. وقال الزجاج: يقال: قد أثَّ يَأْثُ أَثًا: إذا صار ذا أثاث. وروي عن الخليل أنه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَرَّ أثيث. فأما قوله: ﴿وَمَتْنَا﴾ فقليل: إنما جمع بينه

(١) البيت للأخط: «ديوانه» ١٤٣، «ومجاز القرآن» ١/٣٦٤، «واللسان»: شق، وفيه: وصفه بتحمل الديات وما دون الديات، فيؤيدها ليصلح بين العشائر ويحقن الدماء. وانظر رد ابن قتيبة على تفسير أبي عبيدة للأشفاق في «اللسان».

(٢) حُرْم الرُّجُل: عياله ونسأه وما يحمي.

وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: ﴿إِلَّٰ حِينٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، والمعنى: ينتفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يبلى ذلك الشيء، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَّا خَلْقًا ظَلَالًا﴾ أي: ما يقيمكم حر الشمس، وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ظلال الغمام، قاله ابن عباس. والثاني: ظلال البيوت، [قاله ابن السائب. والثالث: ظلال الشجر، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: ظلال الشجر والجبال]<sup>(١)</sup>، قاله ابن قتيبة. والخامس: أنه كل شيء له ظل من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَاتًا﴾ أي: ما يَكُنُّكم من الحرِّ والبرد، وهي الغيران والأسراب. وواحد الأكنان «كِنٌّ» وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو «كِنٌّ». ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرُبِيلًا﴾ وهي القُمص «تَقِيْكُمْ الْحَرَّ» ولم يقل: البرد، لأن ما وقى من الحر، وقى من البرد، وأنشد:

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمُمْتُ أَرْضًا  
أُرِيدُ الْحَيْرَ إِثْمَا يَلِينِي<sup>(٢)</sup>  
وقال الزجاج: إنما خص الحر، لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناةً له من البرد، وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيْلَ تَقِيْكُمْ بِأَسْكُمُ﴾ يريد الدروع التي يَتَّقُونَ بها شدة الطعن والضرب في الحرب. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَنْتَرِ يَسْمَرُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: مثلما أنعم الله عليكم بهذه الأشياء، يتم نعمته عليكم في الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ والخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذ كفاراً، ولو قيل: إنه خطاب للمسلمين، فالمعنى: لعلكم تدومون على الإسلام، وتقومون بحقه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو رجاء: «لعلكم تَسْلُمُونَ» يفتح التاء واللام، على معنى: لعلكم إذا لبستم الدروع تَسْلُمُونَ من الجراح في الحرب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ وهذه عند المفسرين منسوخة بآية السيف. قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: أنها [المساكن] نعم الله ﷻ عليهم في الدنيا. وفي إنكارها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يقولون: هذه ورثنا [عن آبائنا]. روى ابن أبي نجيع عن مجاهد قال: ينعم الله: المساكن، والأنعام، وسرايل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لأبائنا ورثناه عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان، لكان كذا، فهذا إنكارهم، قاله عون بن عبد الله. والثالث: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاعة ألهتنا، قاله ابن السائب، والقراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المراد بالنعمة هاهنا: محمد ﷺ يعرفون أنه نبي ثم يكذبونه، وهذا مروى عن مجاهد، والسدي، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال الحسن: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع. ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَكُذِبُونَ﴾ ﴿وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الشَّعْرُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، وشاهد كل أمة نبيها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَمِعُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿الْعَذَابَ﴾ يعني: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يؤخرون، ولا يمهلون. ﴿وَإِنَّا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله في

(١) ما بين المعقفين، مقط من نسخة الرباط، واستدركناه من نسخة مكتبة راغب باشا باسطنبول.

(٢) البيت للمصنف المبدى، وقد تقدم ١٠٥، ٢١٨، وهو في «الطبري» ١٤/١٥٧، و«القرطبي» ١٠/١٦٠.



العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ أي: نعبد من دونك. فإن قيل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: «هؤلاء شركاؤنا؟» فعنه جوابان: أحدهما: أنهم لما كنتموا الشرك في قولهم: واللّه ما كنا مشركين، عاقبهم الله تعالى بإصمات السنتهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معاناة آلهتهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدقنا بعد الكذب، التماساً للرحمة، وفراراً من الغضب، وكان هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم. والثاني: أنهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقدير أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذ كانوا يدعون لها العقل والتميز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَوَىٰ إِلَيْهِمْ الْقَوْلُ﴾ أي: أجابوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قال الفراء: ردت عليهم آلهتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: «فالتقوا»، أي: قالوا لهم. يقال: ألقيت إلى فلان كذا، أي: قلت له. قال العلماء: كذبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جماداً لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذ إذ عبدوا من لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِمَادِينِهِمْ﴾ [مرم: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ إِلَى اللَّهِ يُؤَمِّدُ النَّاسُ﴾ المعنى: أنهم استسلموا له. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم قولان: أحدهما: أنهم استسلموا [له] بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه. والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلهم. قال الكلبي<sup>(١)</sup>: والمعنى: أنهم استسلموا له متقادين لحكمه.

قوله تعالى: ﴿وَصَلَّىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بطل قولهم أنها تشفع لهم. والثاني: ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان أن الله شريكاً وولداً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَذُنُّهُمْ عَذَابًا قَوْفَ الْمَذَابِ يَمَّا كَانُوا يُفِيدُونَ﴾ وَمِنْ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَرَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَنَبَأُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ رَحْمَةً وَنُزُلًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٨﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَذُنُّهُمْ عَذَابًا قَوْفَ الْمَذَابِ﴾ إنما نكر العذاب [الأول]، لأنه نوع خاص لقوم بأعيانهم، وعرف العذاب الثاني، لأنه العذاب الذي يعذب به أكثر أهل النار، فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم، بصدّهم عن سبيل الله. وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال: أحدها: أنها عقارب كامثال النخل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثاني: أنها حيّات كامثال الفيّلة، وعقارب كامثال البغال، رواه زرّ عن ابن مسعود. والثالث: أنها خمسة أنهار من صُفْرٍ مُذَابٍ تسيل من تحت العرش يعذبون بها، ثلاثة على مقدار الليل، واثان على مقدار النهار، قاله ابن عباس. والرابع: أنه الزمهرير، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: يخرجون من حرّ النار إلى الزمهرير، فيتبادرون من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قومه، قاله ابن عباس. والثاني: أمته، قاله مقاتل. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿وَرَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَنَبَأُ﴾ قال الزجاج: التبيان: اسم في معنى البيان. فأما قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ



وواحدتها: يَنْكُثُ. يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الإيمان والعهود، ثم تنقضوا ذلك وتحثوا فيه، فتكونوا كامراً غزلت ونسجت، ثم تنقضت ذلك النسيج، فجعلته أنكاثاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَجْزِيَنَّهُنَّ كَذَلَكَمَا يَسْتَكْمِلُنَّ﴾ أي: دغلاً، ومكراً، وخديعة، وكل شيء دخله عيب، فهو مدخول، وفيه دَخْلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قال ابن قتيبة: لأن تكون أمة، ﴿هِيَ أَرَبٌ﴾ أي: هي أغنى ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ وقال [الزجاج]: المعنى: بأن تكون أمة هي أكثر، يقال: ربا الشيء يربو: إذ كثر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: «أربي»: أزيد عدداً. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنهوا عن ذلك. وقال الفراء: المعنى لا تغلبوا بقوم لقلتهم وكثرتكم، أو قللتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ يَدُهُ﴾ في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكثرة، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب، ومقاتل، فيكون المعنى: إنما يختبركم الله بالكثرة، فإذا كان بين قومين عهد، فكثر أحدهما، فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقل. فإن قيل: إذا كثرت عن الكثرة، فهل قيل بها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، بأن الكثرة ليس تأنيهاً حقيقياً، فحملت على معنى التذكير، كما حملت الصبيحة على معنى الصباح. والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فإنه دلالة الإيمان عليه، يجري مجرى المظهر، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قد فسرناه في آخر [مود: ١١٨].  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَصُدُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ صريح في تكذيب القدرة، حيث أضاف الإضلال والهداية إليه، وعلفهما بمشيئته.

﴿وَلَا تَلْحَدُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ بَيْنَكُمْ فَزَلٌّ قَدْ بَدَّ ثُبُوتَهَا وَتَذَوُّوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾  
﴿وَلَا تَشْفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْحَدُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ﴾ هذا استئناف للنهي عن إيمان الخديعة. ﴿فَزَلٌّ قَدْ بَدَّ ثُبُوتَهَا﴾ قال أبو عبيدة: هذا مَثَلٌ يقال لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زَلَّتْ بِهِ قَدَمُهُ. قال مقاتل: ناقض العهد يَزِلُّ فِي دِينِهِ كَمَا تَزِلُّ قَدَمُ الرَّجُلِ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ. قال المفسرون: وهذا نهى للذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَذَوُّوا السُّوءَ﴾ يعني: العقوبة ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد أنهم إذا نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، صدوا الناس عن الإسلام، فاستحقوا العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَشْفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلًا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض، يقال لأحدهما: «عبدان بن أشوع» وهو صاحب الأرض، وللآخر: «امرؤ القيس» وهو المدعى عليه، فهم امرؤ القيس أن يحلف، فأخبره رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض «ربيع بن عبدان»، وقيل: «عبدان»، ففتح العين وياه معجمة باثنتين. ومعنى الآية: لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عَرَضاً يسيراً من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ أي: ينفى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿بَاقٍ﴾ وقف بالياء ابن كثير في رواية عنه، ولا خلاف في حذفها في الوصل. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ» بالياء. وقرأ ابن كثير، وعاصم: «وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ» بالنون. ولم يختلفوا في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرَهُمْ﴾ أنها بالنون، ومعنى هذه الآية: ولنجزين الذين صبروا على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيئاتهم.



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزل الآية، فيعمل بها مدة، ثم ينسخها، فقال كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمعنى: إذا نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا يُرَكِّلُ﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: كاذب: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أن الله أنزله. والثاني: لا يعلمون فائدة النسخ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل. وقد شرحنا هذا الاسم في [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من كلامه ﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: بالأمر الصحيح ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما فيه من اليينات فيزدادوا يقيناً.

﴿وَلَقَدْ مَنَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ثَبُتَ ۖ لَئِنْ الْآلِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أي: آدمي، وما هو من عند الله. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال: أحدها: أنه كان لبني المغيرة غلام يقال له «يعيش» يقرأ التوراة، فقالوا: منه يتعلم محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة في رواية: كان هذا الغلام لبني عامر بن لؤي، وكان رومياً. والثاني: أنه فتي كان بمكة يسمى «بلعام» وكان نصرانياً أعجمياً، وكان رسول الله ﷺ يعلمه، فلما رأى المشركون دخوله إليه وخروجه، قالوا ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه نزلت في كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيملي عليه «سميع عليم» فيكتب هو «عزير حكيم» أو نحو هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «أي ذلك كتبت فهو كذلك»، فافتن، وقال: إن محمداً يَكِلُ ذلك إليّ فأكتب ما شئت، روي عن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: «جابر»، وكان جابر يأتي رسول الله ﷺ فيتعلم منه، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد من هذا، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أنهم عَنُوا سلمان الفارسي، قاله الضحاك؛ وفيه بُعْدٌ من جهة أن سلمان أسلم بالمدينة، وهذه [الآية] مكية. والسادس: أنهم عَنُوا به رجلاً حذاداً كان يقال له «خُتْس»<sup>(٢)</sup> النصراني، قاله ابن زيد. والسابع: أنهم عَنُوا به غلاماً لعامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، واسمه «يسار»، ويكنى «أبا فُكَيْهَة»، قاله مقاتل. وقد روي عن سعيد بن جبير نحو هذا، إلا أنه لم يقل: إنه كان يهودياً. والثامن: أنهم عَنُوا غلاماً أعجمياً اسمه «عائش»، وكان مملوكاً لحويطب، وكان قد أسلم، قاله الفراء، والزجاج. والتاسع: أنهما رجلان، قال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، يقال لأحدهما: «يسار» وللآخر «جير» وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن الإنجيل، فربما مرَّ بهما النبي ﷺ وهما يقرآن، فيقف يستمع، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. قال ابن الأباري: فعلى هذا القول، يكون البشر واقعاً على اثنين، والبشر من أسماء الأجناس، يعبر عن اثنين، كما يعبر «أحد» عن الاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: «يَلْحَدُونَ» بفتح الياء والحاء. فأما القراءة الأولى، فقال ابن قتيبة: «يُلْحِدُونَ» أي: يميلون إليه<sup>(٣)</sup>، ويزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل، وقال

(١) قال ابن كثير ٥٨٧/٢: قال الزهري عن سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين، رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الإسلام، وافتري هذه المقالة فيحه الله.

(٢) كذا في نسخة الرباط بإهمال الحرف الأول، وفي نسخة واغب باشا الاسطنبولية: بحسن، والذي في «البحر الميعط» ٥٣٦/٥: عنس. والله تعالى أعلم.

(٣) في الأصل: يؤمنون إليه، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٤٩.

الفراء: «يُلْجِدُونَ» بضم الياء: يعترضون، ومنه قوله: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُطْلَمَرُ» [الحج: ٢٥] أي: باعتراض، و«يُلْجِدُونَ» بفتح الياء: يميلون. وقال الزجاج: يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ، أي: يميلون القول فيه أنه أعجمي. قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً.

قوله تعالى: «وَهَذَا لِسَانٌ» يعني: القرآن، «عَرِثٌ» قال الزجاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يَقْعُرُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أي: الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا رد عليهم إذ قالوا: «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» [التحل: ١٠١]. وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب، لأنه حصص به من لا يؤمن.

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [١٢١] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَنَسِيَهمْ وَأَنْصَرَفَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٣﴾ لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتُنَا ثُمَّ جَنَحُوا مُنْتَبِهًا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَكْفُرُ رَجِيعٌ ﴿١٢٥﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَحْدُولٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢٦﴾

قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، وبقيس بن صُبابه، وعبد الله بن أنس بن خططل، وطعمة بن أبيرق، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه المخزومي. فأما قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ» فاختلفوا فيمن نزل على أربعة أقوال: أحدها: أنه نزل في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فعذبوه، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنه لما نزل قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» إلى آخر الآيتين اللتين في [سورة النساء: ٩٦، ٩٧] كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأدركوهم، فأكروهم حتى أعطوا الفتنه، فنزل «إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع إليها، فأكروه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون، قاله ابن سيرين. والرابع: أنه نزل في جبر، غلام ابن الحضرمي، كان يهودياً فأسلم، فضربه سيده حتى رجع إلى اليهودية، قاله مقاتل. وأما قوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا» فقال مقاتل: هم النفر المسئون في أول الآية. فأما التفسير، فاختلف النحاة في قوله: «مَنْ كَفَرُ» وقوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ» فقال الكوفيون: جوابهما جميعاً في قوله: «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ»، فقال البصريون: بل قوله: «مَنْ كَفَرُ» مرفوع بالرد على «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ». قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون خبر «مَنْ كَفَرُ» محذوفاً، لووضح معناه، تقديره: من كفر بالله، فالحق عليه غضبان.

قوله تعالى: «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» أي: ساكن إليه راض به. «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا» قال قتادة: من أناه بإيثار واختيار. وقال ابن قتيبة: من فتح له صدره بالقبول. وقال أبو عبيدة: المعنى: من تابعت نفسه، وانبط إلى ذلك، يقال: ما ينشرح صدري بذلك، أي: ما يطيب. وجاء قوله: «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» على معنى الجميع، لأن «مَنْ» تقع على الجميع.

## فصل

الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية: أن التخويف لا يكون إكراهاً حتى يُتَالِ بعذاب. وإذا

ثبت جواز «التَّيَّة» فالأفضل ألا يفعل<sup>(١)</sup>، نص عليه أحمد، في أسير خَيْر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر، فله الرخصة، فظاهر هذا، الجواز. وروى عنه الأثرم أنه سئل عن التَّيَّة في شرب الخمر فقال: إنما التَّيَّة في القول. فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكرهه على الزنى، لم يجز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد. فإن أكرهه على الطلاق، لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه الغضب والعذاب، قاله مقاتل. والثاني: أنه شرح الصدر للكفر. و«استحبوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ﴾ أي: ويأن الله لا يريد هدايتهم. وما بعد هذا قد سبق شرحه [البقرة: ٧، والنساء: ١٥٥، والمائدة: ٦٧] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: الغافلون عما يراد بهم، قاله ابن عباس. والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها في [هود: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِحُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن كان يُقْتَل بمكة من أصحاب رسول الله ﷺ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن قوماً من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم ﴿وَيَنْ أُولَئِكَ مَنْ يَقُولُ مَا نَكُنَّا بِأُولَئِكَ أَزِيدُ فِي اللَّهِ جَمَلٌ فَتَنَةُ الْكَافِرِينَ كَذَّابٌ اللَّهُ﴾ [المنكوب: ١٠]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلهم حتى نجا من نجا، وقُتِل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلَّه حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقْتَل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد، لأن المشار إليه وإن كان [قد] عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح. والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل. فأما قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِحُوا﴾ فقرأ الأكثرون: «فُتِنُوا» بضم الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فُتِنُوا بمعنى: غلبوا. وقرأ عبد الله بن عامر: «فُتِنُوا» بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله، يشير إلى من أسلم من المشركين. وقال أبو علي: من بعد ما فُتِنُوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا﴾ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ ﴿وَمَكْرُوءًا﴾ على الدين والجهد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنَهُمَا﴾ في المكني عنها أربعة أقوال: أحدها: الفتنة، وهو مذهب مقاتل. والثاني: الفعلة التي فعلوها، قاله الزجاج. والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والصبر. والرابع: المهاجرة. ذكرهما واللذين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين، إما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: اذكر يوم تأتي. ومعنى ﴿تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِكَ﴾ أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل عن نفسه. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوّفنا، فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثياً على ركبته، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلعة فيقول: «يا رب أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك إلا نفسي»، وإن تصديق ذلك في كتاب الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا﴾<sup>(٢)</sup>. وقد شرحنا معنى «الجدال» في [هود: ٣٢].

(١) قال الحافظ بن كثير: والأولى والأفضل أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٣/٤ ونسبه إلى ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار.



﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ في هذه القرية قولان: أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح. والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون<sup>(١)</sup>، قاله الحسن. فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير، وبيانه: ما روى سليم بن عذر، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسالنهما عنه، فقالا: قُتِلَ، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾، تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ عند قتل عثمان رضي الله عنه. ومعنى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ أي: ذات أمن يأمن فيها أهلها أن يُغَارَ عليهم، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ أي: ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق. وقد شرحنا معنى الرغد في (البقرة: ٣٥، ٥٨). وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بتكذيبهم رسول الله ﷺ. وفي واحد الأنعم قولان: أحدهما: أن واحدها «نعم» قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: «نعمة» قاله الزجاج. قال ابن قتيبة: ليس قول من قال: هو جمع «نعم» بشيء، لأن «فُعِلَتْ» لا تجمع على «أفعل»، وإنما هو جمع «نعم»، يقال: يوم نعم، ويوم بُؤس، ويجمع «أنعمًا» و«أبؤسًا».

قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ وروى عبيد بن عقيل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوف» بنصب الفاء. وأصل اللُّوق إنما هو بالفم، وهذا استعارة منه، وقد شرحنا هذا المعنى في (آل عمران: ١٠٦، ١١٨٥). وإنما ذكر اللباس هاهنا تجوُّزًا، لما يظهر عليهم من أثر الجوع والخوف، فهو كقوله: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾ (الأعراف: ٢٦) وذلك لما يظهر على المتقي من أثر التقوى. قال المفسرون: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة. فأما الخوف فهو خوفهم من رسول الله ﷺ ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم. والكلام في هذه الآية خرج على القرية، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني به: بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه وما هموا به من قتله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: القتل بيد، قاله مجاهد. قال ابن السائب: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: كافرون.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِعَمَتِ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أُمِّلَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ فَمَنْ أَشْطَرُ عَرَّ كَاغٍ وَلَا عَاوِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل مكة المشركون، لما اشتدت مجاعتهم، كلَّم رؤسائهم رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت عاديّ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟! فأذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاة الثعلبي، وذكر نحوه الفراء، وهذه الآية والتي تليها مفسرتان في (البقرة: ١٧٢، ١٧٣).

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَقَدْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

(١) كذا الأصل: «حتى كانوا يأكلون ما يقعدون» ولعله يقصد: ما يقعدون عليه، كالجلود، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ قال ابن الأنباري: اللام في «لما» بمعنى من أجل، وتلخيص الكلام: ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتغرُّص لما لا أصل له، فجرت اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لِحُبِّ الْغَيْرِ لَشِيدُونَ﴾ [المايدات: ٨] أي: وإنه من أجل حب الخير لبخيل، و«ما» بمعنى المصدر، والكذب منصوب بـ«تصف»، والتلخيص: لا تقولوا لوصف المستكم الكذب. وقرأ ابن أبي عبله: «الْكُذْبُ»، قال ابن القاسم: هو نعت الألسنة، وهو جمع كذوب. قال المفسرون: والمعنى: أن تحليلكم وتحريمكم ليس له معنى إلا الكذب. والإشارة بقوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحِلُّونَ ويَحَرِّمُونَ، ﴿لِتَقْرَؤُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحريم إلى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا. وقوله: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ أي: متاعهم بهذا الذي فعلوه قليل.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَزَلُوا الشُّوَّةَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ قَامُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ﴾ يعني به ما ذكر في [الأنعام: ١٢٦] وهو قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلِّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريمنا ما حرمنا عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالبغي والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَزَلُوا الشُّوَّةَ بِجَهْلَةٍ﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٧]، وشرحنا في [البقرة: ١٦٠] التوبة والإصلاح، وذكرنا معنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ آنفاً.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَكَرَّ بَيْتَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٩﴾ وَمَا يَنْتَظِرُ فِي الذَّنْبِ حَسَنَةً وَانَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن الأنباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة، وفلان علامة، ونسابة، ويقصدون بهذا التأييد قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهمة على الجماعة، وعلى الواحد، كقوله: ﴿فَتَادَهُ أَلَكَبْكَبَةٌ﴾ [إله عمران: ٢٣٩]، وإنما ناداه جبريل وحده. وللمفسرين في المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأمة: الذي يعلم الخير، قاله ابن مسعود، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه المؤمن وحده في زمانه، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه الإمام الذي يُقْتَدَى به، قاله قتادة، ومقاتل، وأبو عبيد، وهو في معنى القول الأول. فأما القانت فقال ابن مسعود: هو المطيع. وقد شرحنا [القنوت] في [البقرة: ١١٦، ٢٣٨] وكذلك الحنيف [البقرة: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَكَّرَّ بَيْتَهُ﴾ قال الزجاج: أصلها: لم يكن، وإنما حذف التون عند سبويه، لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنها إنما احتملت الحذف، لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها عُنْة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ انتصب بدلاً من قوله: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرنا واحد الأنعم آنفاً، وشرحنا معنى [الاجتباء] في [الأنعام: ٨٧]. قال مقاتل: والمراد بالصراط المستقيم هاهنا: الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَظِرُ فِي الذَّنْبِ حَسَنَةً﴾ فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الدُّكْرُ الحسن، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله الحسن. والثالث: لسان صدق، قاله مجاهد. والرابع: اجتماع الجَلَلِ على ولايته، فكلهم يتولونه ويرضونه، قاله قتادة. والخامس: أنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: الأولاد الأبرار على الكبير، حكاه الثعلبي. وباقي الآية مفسر في [البقرة: ١٣٠].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ملته: دينه. وفيما أمر باتباعه من ذلك قولان: أحدهما: أنه

أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. [والثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان، والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري<sup>(١)</sup>]. وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ أي: إنما فرض تعظيمه وتحريمه، وقرأ الحسن، وأبو حيو: «إِنَّمَا جَعَلَ» بفتح الجيم والعين «السبت» بنصب التاء ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ والهاء ترجع إلى السبت. وفي معنى اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أن موسى قال لهم: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبتغي إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم موسى بيوم الجمعة، قالوا: نتفرغ يوم السبت، فإن الله لم يخلق فيه شيئاً، فقال: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أجابهم: انتهوا إلى أمر نبيكم، فأبوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رأى موسى رجلاً يحمل قصباً يوم السبت، فضرب عنقه، وعكفت عليه الطير أربعين صباحاً. وذكر ابن قتيبة في «مختلف الحديث»: أن الله تعالى بعث موسى بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح. والثاني: أن بعضهم استحلّه، وبعضهم حرّمه، قاله قتادة.

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ وَبِحَدِيثِهِمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَلْسِنَتِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: نزلت مع الآية التي بعدها، وسنذكر هناك السبب. فأما السبيل، فقال مقاتل: هو دين الإسلام. وفي المراد ﴿بِالْحُكْمِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: النبوة، ذكره الزجاج. وفي: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ﴾ قولان: أحدهما: مواعظ القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَبِحَدِيثِهِمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح. والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ «لا أله إلا الله»، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألّن لهم جانبك، قاله الزجاج. وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ قَعَابُؤُا يَمِثِلُ مَا عُوِثُوا بِهِ وَلَنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّادِقِينَ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي شَيْءٍ مِّنْهُمْ بِمُكْرَرٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْصَوْنَ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ قَعَابُؤُا يَمِثِلُ مَا عُوِثُوا بِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ أشرف على حمزة، فرآه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: «والله لأمثلن بسبعين منهم»، فنزل جبريل، والنبي ﷺ واقف، بقوله: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ...﴾ إلى آخرها، فصبر رسول الله وكفر عن يمينه، قاله أبو هريرة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شق بطنه، وجُدعت أذناه، فقال: «لولا أن تحزن النساء؛ أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير، ولاقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم»، فنزل قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى

(١) ما بين المعقفين سقط من نسخة الرباط، واستدركتاه من النسخة الاسطنبولية.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٩٢/٢ من طريق البزار، وقال: وهذا إسناد فيه ضعف، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث.

قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وروى الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «لَيْسَ ظَفَرُكَ بِقَاتِلِ حِمْرَةٍ لَأَمْثَلُ بِهِ مِثْلَةٌ تَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ»، وكانت هند وآخرون معها قد مثّلوا به، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، ومثّلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لَيْسَ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، لنزیدن على عدّتهم مرتين، فنزلت هذه الآية، قاله أبي بن كعب<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن المسلمين قالوا: لَيْسَ أَمَكُنَّا اللَّهَ مِنْهُمْ، لنمثّلن بالآحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت هذه الآية. يقول: إن كنتم فاعلين، فمثّلوا بالأموات، كما مثّلوا بأموالكم. قال ابن الأنباري: وإنما سمي فعل المشركين معاقبة وهم ابتدؤوا بالمثلثة، ليزدوج اللفظان، فيخف على اللسان، كقوله: ﴿وَحَرَكَةُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

### فصل

واختلف العلماء، هل هذه [الآية] منسوخة، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت قبل (براءة) فأمر رسول الله ﷺ أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرُكُمْ﴾ عن القتال، ثم نسخ هذا بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. والثاني: أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظلم ظُلُمًا، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن سيرين، والثوري، وعلى هذا يكون المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، لا عن القتال. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوقيفه ومعونته. وهذا أمر بالعزيمة. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: على كفار مكة إن لم يُسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ولا تحزن على قتلى أحد، أنهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلَفٌ فِي صَبِّكَ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الضاد، وقرأ ابن كثير: «في صَبِّكَ» بكسر الضاد هاهنا وفي [النمل: ٧٠]. قال الفراء: الصَّبُّ بفتح الضاد: ما ضاق عنه صدرك، والصَّبُّ: ما يكون في الذي يضيق ويتسع، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك. وقال ابن قتيبة: الصَّبُّ: تخفيف صَبِّكَ، مثل: هَيْنَ وَلَيْنَ، وهو، إذا كان على هذا التأويل: صفة، كأنه قال: لا تَلَفٌ في أمر صَبِّكَ من مكرهم. قال: ويقال: مكان صَبِّكَ وَصَبِّكَ، بمعنى واحد، كما يقال: زَطَلٌ وَوِظَلٌ، وهذا أعجب إليّ. فأما مكرهم المذكور هاهنا، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فعلهم وعملهم. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به، بالعون والنصر.



(١) أورده السيوطي في «الدرة» ١٣٣/٤ وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، وعبد الله في «زوائد المستندة»، والنسائي، وإبن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل».

## سورة بني إسرائيل

### فصل في نزولها

هي مكة في قول الجماعة، إلا أن بعضهم يقول: فيها مدني، فروي عن ابن عباس أنه قال: هي مكة إلا ثمان آيات: من قوله: ﴿وَلَنْ كَذِبُوا لَيَقْبِتَنَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: فيها من المدني: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَمَعَاطٌ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقوله: ﴿وَلَنْ كَذِبُوا لَيَقْبِتَنَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] وقوله: ﴿وَلَنْ كَذِبُوا لَيَسْتَفِزَّنَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُثَبِّتَنَّكَ﴾ والتي تليها [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ قِوَامًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي الْغَيْبِ﴾

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن تفسير: «سبحان الله»، فقال: «تنزيه لله عن كل سوء»، وقد ذكرنا هذا المعنى في [البقرة: ٣٢].

قال الزجاج: و«أسرى»: بمعنى: سبَّ عبده، يقال: أسريت وسريت: إذا سرت ليلاً. وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَكْبَلِي إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤]. وفي معنى التسييح هاهنا قولان: أحدهما: أن العرب تسَّج عند الأمر المعجب، فكان الله تعالى عَجَّب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة. والثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لأنه لما حدثهم بالإسراء، كذبوه، فيكون المعنى: تنزه الله أن يتخذ رسولاً كذاباً. ولا خلاف أن المراد بعبد هاهنا: محمد ﷺ. وفي قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قولان. أحدهما: أنه أسري به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقاتدة، ويسنده حديث مالك بن صعضة، وهو في «الصحاحين»<sup>(١)</sup> «بينا أنا في الحطيم» وربما قال بعض الرواة: «في الحجر». والثاني: أنه أسري به من بيت أم هانئ<sup>(٢)</sup>، وهو قول أكثر المفسرين، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كله مسجد، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره. فاما «الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» فهو بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بين المسجدين. ومعنى ﴿بَنَيْنَا لَهُ قِوَامًا﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار، وأنبث الثمار. وقيل: لأنه مَقَرُّ الأنبياء، ومَهْبِطُ الملائكة. واختلف العلماء، هل دخل بيت المقدس، أم لا، فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس، وصلى فيه بالأنبياء<sup>(٣)</sup>، ثم أُخرج به إلى السماء. وقال خذيفة بن اليمان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه، ولا نزل عن البراق حتى عُرج به. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صعد إلى السماء؟ فالجواب: أن الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك. وقيل: إن الحكمة في ذكر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بَدْء الحديث، لاشتد إنكارهم، فلما أخبر بيت المقدس، وبأن لهم صدقته فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجهم.

(١) البخاري ١٥٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وخرجه السيوطي في «الدرة» ١٤٠/٤ وزاد نسبه إلى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه. وقوله: «وربما قال بعض الرواة: في الحجر» قال الحافظ ابن حجر: هو شك من قتادة كما بينه أحمد عن عفان عن همام، ولفظه: «بينا أنا نائم في الحطيم، وربما قاله قتادة: في الحجر».

(٢) حديث أم هانئ، رواه محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح، والكلبي متروك بمره ساقط، ورواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور. قال الهيثمي في «المجمع» ٧٦/١: متروك كذاب.

(٣) حديث أبي هريرة، رواه مسلم ١٥٧/١، وفي «مسند أحمد»، ومسلم ١٤٥/١، من حديث أنس بن مالك قال: «فركبه حتى أتيت بيت المقدس» قال: «فرطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء» قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين...».

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ يعني: ما رأى، أي: تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس. ﴿إِنَّهُمْ هُوَ السَّيِّعُ﴾ لمقالة قريش، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى بـ«الحدائق» أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة هاهنا.

﴿وَمَا تَيْنَا مُوسَى الْأَكْبَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُنْدَى لِيَبَىٰ إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ۖ ① ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَيْنَا مُوسَى الْأَكْبَبَ﴾ لما ذكر في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ، ذكر في هذه كرامة موسى. و﴿الْأَكْبَبُ﴾: التوراة. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُنْدَى لِيَبَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ أي: دللناهم به على الهدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لثلاث يتخذوا. وقرأ الباقون بالناء، قال أبو علي: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد النية، مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم [قال]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾ قال مجاهد: شريكاً. وقال الزجاج: رباً. قال ابن الأنباري: وإنما قيل للرب: وكيل، لكفايته وقيامه بشأن عباده، من أجل أن الوكيل عند الناس قد علم أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقد أمورهم، فكان الرب وكيلاً من هذه الجهة، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «أَلَّا تَتَّخِذُوا» بالناء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمراً خُذْتَ اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كشكركه. ومن قرأ: «لا يتخذوا» بالياء، جع النداء متصلاً بالخطاب، و«الذرية» تنتصب بالنداء، ويجوز نصبها بالاتخاذ على أنها مفعول ثانٍ، تلخيص الكلام: أن لا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً. قال قتادة: الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة.

قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحمد لله»<sup>(١)</sup>. وقال غيره: كان إذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله» فسماه الله عبداً شكوراً.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكَ صَاحِرًا ۖ ② فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَشَأًا عَلَيْهِمْ عَذَابًا لَّا أُوْلَىٰ لَهُمْ شَدِيدًا فَجَاسُوا وَخَلَلُوا الْوَيْلَ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۖ ③ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَنزَلْنَا لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ثَمَرًا وَمِنْهُ شَجَرٌ لَّهُمْ فِيهَا ۚ وَبَنَيْنَا إِيَّاءَ حَمِيمٍ ۚ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ فَوْقَهَا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أخبرناهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: قضينا عليهم، رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال قتادة، فعلى الأول: تكون «إلى» على أصلها، ويكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: تكون «إلى» بمعنى «على»، ويكون الكتاب: الذكر الأول.

قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ومخالفة التوراة.

وفي مَنْ قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان. أحدهما: زكريا، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: شعيا، قاله ابن إسحاق. فأما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا. قال مقاتل: كان بين الفسادين مائتا سنة وعشر سنين. فأما السبب في قتلهم زكريا، فأنهم اتهموه بمرم، وقالوا: منه حملت، فهرب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من رذاته هذب، فجاءهم الشيطان فدلهم عليه، فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها. وأما السبب في قتلهم «شعيا»، فهو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي. وقيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة.

(١) ابن جرير ١٩/١٥، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١٦٢/٤ وزاد نسبه إلى القرطبي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٠/٣، ومسلم ٢٠٩٥/٤، والترمذي، والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشرية فيحمد الله عليها».

حتى قطعوه بالمنشار، وأن زكريا مات حنف أنفه. وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا، ففيه قولان. أحدهما: أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحل له، فنهاه عنها يحيى. ثم فيها أربعة أقوال. أحدها: أنها ابنة أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: ابنته، قاله عبد الله بن الزبير. والثالث: أنها امرأة أخيه، وكان ذلك لا يصلح عندهم، قاله الحسين بن علي عليه السلام. والرابع: ابنة امرأته، قاله السدي عن أشياخه، وذكر أن السبب في ذلك: أن ملك بني إسرائيل هوي بنت امرأته، فسأل يحيى عن نكاحها، فنهاه، فحنقت أمها عى يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزيتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له، فإن أرادها على نفسها، أبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليمان غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر، فأُتي برأسه والرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك، لا تحل لك. والقول الثاني: أن امرأة الملك رأت يحيى عليه السلام وكان قد أعطي حسناً وجمالاً، فأزادته على نفسه، فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى، فأعطاهما ما سألت، قاله الربيع بن أنس. قال العلماء بالسَّير: ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً، فسكن، وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله، فقال: أنا قتله، فقتل، فسكن.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اطَاعُوا﴾ أي: لتعظم عن الطاعة ولتبعن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي: عقوبة أولى المرتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ وفيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم جالوت وجنوده، قاله ابن عباس، وقادة. والثاني: «بُخْتَنَصْر»<sup>(١)</sup>، قاله سعيد بن المسيب، واختاره الفراء، والزجاج. والثالث: العمالقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن. والرابع: سنحاريب<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن جبير. والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: سلط [الله] عليهم سابور ذا الأكتاف<sup>(٣)</sup> من ملوك فارس.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلِ بَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذوي عدد وقوة في القتال. وفي قوله: ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: مشوا بين منازلهم، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم، ولم يكن قتال. وقال الزجاج: طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؟ «والجوس»: طلب الشيء باستقصاء. والثاني: قتلهم بين بيوتهم، قاله الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: عاثوا وأفسدوا، يقال: جاسوا وحاسوا، فهم يجوسون ويحوسون إذا فعلوا ذلك، قاله ابن قتيبة.

فأما الخلال: فهي جمع خلل، وهو الانفراج بين الشيئين. وقرأ أبو رزين، والحسن، وابن جبير، وأبو المتوكل: «خلل الديار» بفتح الخاء واللام من غير ألف. «وكانت وعداً مفعولاً» أي: لا بد من كونه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أظفرناكم بهم. والكرّة، معناها: الرجعة والدولة، وذلك حين قتل داود جالوت وعاد ملكهم إليهم. وحكى الفراء أن رجلاً دعا على «بختنصر»؛ فقتله الله، وعاد ملكهم إليهم. وقيل: غزوا ملك بابل فأخذوا ما كان في يده من المال والأسرى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَافِرًا﴾ أي: أكثر عدداً وأنصاراً منهم. قال ابن قتيبة: التَّفير والنافر واحد، كما يقال: قدير وقادر، وأصله: مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَتُؤْفَقُوا وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَلَوُا تَتَبَرَّأَ﴾ عَنِ رَبِّكَ أَنْ يَرْحَمْكَ وَإِنَّ عَذَابَ عَذَّاءٍ وَحَمَلًا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ أي: وقلنا لكم إن أحسنتم فاطعمتم الله ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: عاقبة الطاعة لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد والمعاصي ﴿فَلَهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: فإليها. والثاني: فعلية. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

(١) هو ملك الكلدانيين، أغار بحملاته على مصر وفتح القدس، وأحرقها وأجلى بني إسرائيل إلى بابل.

(٢) هو ملك آشور بن سنجور وخليفته، حمل على بلاد الكلدانيين واليهودية وأرمينية.

(٣) لقب بذلك، لأنه أمر بك أكتاف أسرى الحرب، حارب العرب أحلاف الروم.



الْآخِرَةِ ﴿جواب: «فإذا» محذوف، تقديره: فإذا جاء وعد عقوبة المرة الآخرة من إفسادكم، بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم، وهذا الفساد الثاني، هو قتلهم يحيى بن زكريا، وقصدهم قتل «عيسى» فرُفع، وسلَّط الله عليهم ملوك فارس والروم فقتلوه وسبُّوهم، فذلك قوله: ﴿لِيَسْأَلُوا رُجُوهَكُمْ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿لِيَسْأَلُوا﴾. بآلاء على الجمع والهمز بين الواوين، والإشارة إلى المبعوثين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: «ليسوء» وجوهكم على التوحيد؛ قال أبو علي: فيه وجهان. أحدهما: ليسوء الله ﷻ. والثاني: ليسوء البعث. وقرأ الكسائي: «ليسوء» بالنون، وذلك راجع إلى الله تعالى. وفيمن بعث عليهم في المرة الثانية قولان: أحدهما: بختنصر، قاله مجاهد، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول، ويقولون: كان بين تخريب «بختنصر» بيت المقدس، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل. والثاني: أنطاخوس الرومي، قاله مقاتل. ومعنى ﴿لِيَسْأَلُوا رُجُوهَكُمْ﴾ أي: لِيُدْخِلُوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبِّكم، وخصت المساءة بالوجوه، والمراد: أصحاب الوجوه، لما يبدو عليها من أثر الحزن والكآبة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المرة الأولى ﴿وَلِيَسْأَلُوا﴾ أي: ليدمروا ويخربوا. قال الزجاج: يقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب: يبر. ومعنى ﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ أي: ليدمروا في حال علوهم عليكم.

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ يَكْفُرُونَ﴾ هذا مما وُعدوا به في التوراة. و«عسى» من الله واجبة، فرحمهم [الله] بعد انتقامه منهم، وعمر بلادهم، وأعاد نعمهم بعد سبعين سنة. ﴿وَلِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ إلى معصيتنا ﴿فَعَذَابُ﴾ إلى عقوبتكم. قال المفسرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصية، فبعث الله عليهم ملوكاً من ملوك فارس والروم. قال قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم في عذاب إلى يوم القيامة، فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: سجنًا، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة. وقال مجاهد: يحصرون فيها. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: محبسًا، وقال الزجاج: «حصيرًا»: حبسًا، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته، فهو محصور، وهذا حصيره، أي: محبسه، والحصير: المنسوج، سمي حصيرًا، لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، ويقال للجنب: حصير، لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض. وقال ابن الأنباري: حصيرًا: بمعنى: حاصرة، فصرفت من حاصرة إلى حصير، كما صرف «مؤلم» إلى أليم. والثاني: فراشًا ومهادًا، قاله الحسن. قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهادًا بمنزلة الحصير، والحصير: البساط الصغير.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَ إِنَّ لَمْ أَجْزَأَ كَبِيرًا﴾ ١٠ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَيْنَا لَمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ﴾ قال ابن الأنباري: «التي» وصف للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال. قال المفسرون: وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته، ﴿وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَ إِنَّ لَمْ أَجْزَأَ كَبِيرًا﴾ أي: بأن لهم «أجرًا» وهو الجنة، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: ويبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أدنى من المشركين، فعجل الله لهم البشري في الدنيا بعقاب الكافرين. ﴿وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْآخِرَةِ﴾ ١١ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْآخِرَةِ﴾ وذلك أن الإنسان يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يعجل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر فعجله بالدعاء بالخير. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس يراد به الناس، قاله الزجاج وغيره. والثاني: آدم، فاكنتي بذكره من ذكر ولده، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأُنِيرُ عَلَيْكَ

جِبَارَةٌ يَنْزِلُ السَّمَاءُ [الأنفال: ٣٢]، قاله مقاتل. وقال سلمان الفارسي: أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، قال: فبقيت رجلاه، فقال: يا رب عجل، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ مِثْرَيْنِ فَحَوَّاهُ بِأَوَّلِ رَحْمَتِنَا وَأَوَّلِ لَيْلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَظَمَةَ آيَاتِنَا وَلِتَحْسَبَ أَلْفٌ مِّنْهُنَّ نَفْسًا وَتَعْلَمَ أَنَّهَا نَفْسٌ كَالْأَنفُسِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ مِثْرَيْنِ﴾ أي: علامتين يدلان على قدرة خالقهما. ﴿فَحَوَّاهُ بِأَوَّلِ رَحْمَتِنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن آية الليل: القمر، ومحوها: ما في بعض القمر من الاسوداد. وإلى هذا المعنى ذهب علي بن عباس، وابن عباس في آخرين. والثاني: آية الليل محيت بالظلمة التي جعلت ملازمة لليل؛ فنسب المحو إلى الظلمة إذ كانت تمحو الأنوار وتبطلها، ذكره ابن الأنباري. ويروى أن الشمس والقمر كانا في النور والضوء سواء، فأرسل الله جبريل فأمر جناحه على وجه القمر وطمس عنه الضوء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ يعني: الشمس ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: منيرة، قاله قتادة. قال ابن الأنباري: وإنما صلح وصف الآية بالإبصار على جهة المجاز، كما يقال: لعب الدهر ببني فلان. والثاني: أن معنى «مبصرة»: مبصرًا بها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن معنى «مبصرة» مُبْصِرَةٌ، فجرى «مُفْعِل» مجرى «مُفْعَل»، والمعنى: أنها تُبْصِرُ الناس، أي: تُريهم الأشياء، قاله ابن الأنباري. ومعاني الأقوال تتقارب.

قوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم وتطلبون رزقكم بالنهار ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَظَمَةَ آيَاتِنَا﴾ بمحو آية الليل، ولولا ذلك، لم يعرف الليل من النهار، ولم يتبين العدد. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: ما يحتاج إليه، ﴿فَصَلَاتُهُ تَفْصِيلًا﴾ بيانه تبيينًا لا يلبس معه غيره.

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّرَبِّهِ أَزْمَنٌ طَائِرٌ فِي عَقِيهِ وَخُرُجٌ لَّوْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ كِتَابًا يُلْقِيهِ مُشَوِّرًا﴾ أقرأ كُتِبَ كَلَّمَ بِتَفْصِيلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ﴾ وقرأ ابن أبي عبيدة «وكل» برفع اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبي، والحسن «الزَّمَنَةُ طَائِرُهُ» بياء ساكنة من غير ألف. وفي الطائر أربعة أقوال. أحدها: شقاوته وسعادته، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: ما من مولود يولد إلّا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي، أو سعيد. والثاني: عمله، قاله الفراء، وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنه ما يصيبه، قاله خفيف. وقال أبو عبيدة: حظه. قال ابن قتيبة: والمعنى فيما أرى - والله أعلم - أن لكل امرئ حظًا من الخير والشر قد قضاه الله [عليه]، فهو لازم عنقه، والعرب تقول: لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك عليّ وفي عنقي حتى أخرج منه، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: «طائر» لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير، وجرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق الفأل والطَّيْرَةُ، فحاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر، هو الذي يلزمه أعناقهم. وقال الأزهري: الأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم، علم المطيع من ذريته، والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعًا، وشقاوة من علمه عاصيًا، فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله: ﴿الزَّمَنَةُ طَائِرُهُ فِي عَقِيهِ﴾. والرابع: أنه ما يُطَيَّرُ من مثله من شيء عمله، وذُكِرَ العنق عبارة عن اللزوم له، كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: الأصل في تسميتهم العمل طائراً، أنهم كانوا يطَيِّرون من بعض الأعمال.

قوله تعالى: ﴿وُخْرِجَ لَوْ﴾ قرأ أبو جعفر: «وُخْرِجَ» بياء مضمومة وفتح الراء. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: بالياء مفتوحة وضم الراء. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل: «وُخْرِجَ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ أبو الجوزاء، والأعرج: «وُتَخْرِجَ» بياء مفتوحة ورفع الراء، ﴿يَوْمَ الْفِتْنَةِ كِتَابًا﴾ وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: «كتاب» بالرفع، ﴿يُلْقِيهِ﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «يُلْقَاهُ» بضم الياء وتشديد القاف. وأمال حمزة والكسائي القاف. قال

المفسرون: هذا كتابه الذي فيه ما عمل. وكان أبو السَّوَّارِ الْعَدَوِيُّ إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتان وطِيَّة، أمَّا ما حيَّيت يا ابن آدم، فصحيقتك منشورة، فأُتِلَ فيها ما شئت، فإذا مُتُّ، طُويت، ثم إذا بُعِثت، نُشرت.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ وقرأ أبو جعفر: «اقرأ» بتخفيف الهمزة، وفيه إضمار، تقديره، فيقال له: اقرأ كتابك. قال الحسن: يقرؤه أُمياً كان أو غير أمي، ولقد عدل عيك من جعلك حسب نفسك. وفي معنى «حَيِّباً» ثلاثة أقوال: أحدها: محايباً. والثاني: شاهدهاً. والثالث: كافياً، والمعنى: أن الإنسان يفَوِّضُ إليه حسابه، ليعلم عدل الله بين العباد، ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ويعلم أنه إن دخل الجنة، ففضل الله، لا بعمله، وإن دخل النار، فبذنبه. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «حَيِّباً»، والنفس مؤنثة، لأنه يعني بالنفس: الشخص، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس، فشُبِّهت بالسماء والأرض، قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [الزمل: ١٨]، قال الشاعر:

[فَلَا مُزْنَةً وَدَقَّتْ وَذَقَهَا] ولا أرض أبقل إبقالها<sup>(١)</sup>

﴿مَنْ آتَيْنَا بِكَ يَتَدَي لِنَفْسِهِ وَمَنْ مَلَإْنَا يَصِلْ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَذَرِ الْأَخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْتَكَ رَسُولًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ آتَيْنَا بِكَ يَتَدَي لِنَفْسِهِ﴾ أي: له ثواب اهتدائه، وعليه عقاب ضلاله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: نفس وازرة ﴿وَذَرِ الْأَخْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: أتبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، قال أبو عبيدة: والمعنى: ولا تأثم أئمة إثم أخرى. قال الزجاج: يقال: وَزَرَ، فهو وَازِرٌ، وَزْرًا، وَوِزْرَةً، ومعناه: إثم إثمًا. وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما: أن الأثم لا يؤخذ بذنب غيره. والثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالإثم، لأن غيره عَمِلَهُ، كما قال الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]. ومعنى ﴿حَتَّىٰ تَبْتَكَ رَسُولًا﴾ أي: حتى تُبَيِّنَ ما به نَعُذُّبُ، وما من أجله نُدْخِلُ الجنة.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: في هذا دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع، وهو بعثة الرسل، وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك، لم يقطع عليه بالنار. قال: وقيل معناه: أنه لا يعذب في ما طريقه السمع إلا بقيام حجة السمع من جهة الرسول، ولهذا قالوا: لو أسلم بعض أهل الحرب في دار الحرب ولم يسمع بالصلاة والزكاة ونحوها، لم يلزمه قضاء شيء منها، لأنها لم تلزمه إلا بعد قيام حجة السمع، والأصل فيه قصة أهل قُبَاء حين استداروا إلى الكعبة ولم يستأنفوا، ولو أسلم في دار الإسلام ولم يعلم بفرض الصلاة، فالواجب عليه القضاء، لأنه قد رأى الناس يصلون في المساجد بأذان وإقامة، وذلك دعاء إليها.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِيسُكَ بِذُنُوبٍ صَادِيهِ خَيْرٌ بَصِيرًا

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان: أحدهما: ما سبق لهم في قضاؤه من الشقاء. والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأكثرون: «أمرنا» مخففة، على وزن «فَعَلْنَا»، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب سعيد بن جبير. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أمرتك ففعلتني، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر. والثاني: «كثُرنا» يقال: أمرت الشيء وأمرته، أي: كثرت، ومنه قولهم: مُهَرَّةٌ مأمورة، أي: كثيرة التناج، يقال: أمر بنو فلان يأمرهم أمراً: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة، وابن

(١) قاله عامر بن جوين؛ شاعر جاهلي، كان خليعاً فائقاً، وشريفاً وفياً، والبيت في «الكتاب» ٢٠٥/١، و«مجاز القرآن» ٦٧/٢، و«الطبري» ١٥٣/١٨، و«القرطبي» ٢٨٩/٢، و«العين» ٤٦٤/٢، و«شواهد المغني» ٣١٣، و«الخزانة» ٢١/١. والشاهد فيه حذف التاء من «أبقلت» لأن الأرض بمعنى المكان، فكانه قال: ولا مكان أبقل إبقالها، والمزنة: السحابة، والودق: المطر.

قتيبة. والثالث: أن معن «أْمُرْنَا»: أْمُرْنَا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أْمُرْتَهُ، والمعنى: سَلَطْنَا مترفياً بالإمارة، ذكره ابن الأنباري. وروى خارجة عن نافع: «أْمُرْنَا» ممدودة، مثل «أَمَاتَا»، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير، وهي قراءة أبي عباس، وأبي الدرداء، وأبي رزين، والحسن، والضحاك، ويعقوب. قال ابن قتيبة: وهي اللغة العالية المشهورة، ومعناه: كَثُرْنَا، أيضاً. وروى ابن مجاهد أن أبا عمرو قرأ: «أْمُرْنَا» مشددة الميم، وهي رواية أبان عن عاصم، وهي قراءة أبي العالية، والنخعي، والجحدري. قال ابن قتيبة: المعنى: جعلناهم أمراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «أْمُرْنَا» بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة. فأما المترفون، فهم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون: هم الجبَّارون والمسْطَون والملوك، وإنما خص المترفين بالذكر، لأنهم الرؤساء، ومَنْ عداهم تبع لهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَقُوا رَبَّكُمْ أَيُّكُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي: تمردوا في كفرهم، لأن الفسق في الكفر: الخروج إلى أفحشه. وقد شرحنا معنى «الفسق» في [البقرة: ٢٦، ١٩٧].

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عَلَيْنَا الْقَوْلُ﴾ قال مقاتل: وجب عليها العذاب. وقد ذكرنا معنى «التدمير» في [الأعراف: ١٣٧].  
قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنِّي الْقُرُونُ﴾ وهو جمع قُرُون. وقد ذكرنا اختلاف الناس فيه في [الأنعام: ٦١]، وشرحنا معنى «الخبير» و«البصير» في [البقرة]. قال مقاتل: وهذه الآية تخويف لأهل مكة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ عَمَلًا لَمْ يَفْعَلْ مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، فعَبَّرَ بالنتع عن الاسم، ﴿عَمَلًا لَمْ يَفْعَلْ مَا نَشَاءُ﴾ من عَرْض الدنيا، وقيل: من البسط والتفتير، ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لمن نريد هَلَكته، قاله أبو إسحاق الفزاري. والثاني: لمن نريد أن نجعل له شيئاً، وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا، وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قُدِّرَ له، ثم يدخل النار في الآخرة. وقال ابن جرير: هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. وق ذكرنا معنى «جهنم» في [البقرة: ٢٠٦]، ومعنى: «يصلها» في سورة [النساء: ١٠]، ومعنى «مذموماً مدحوراً» في [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنة «وَسَعَى لَهَا سَعْيًا» أي: عمل لها العمل الذي يصلح لها، وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال، ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً. وشكر الله عز وجل لهم: ثوابه إياهم، وثناؤه عليهم.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَمِنْهُ يَرْجَىٰ وَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ بِمِثْلِ هُنُوًا﴾ ﴿١٩﴾ أَتَنْظُرُ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ لَا تَحْصِلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآخِرَ فَتَقَعْدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا﴾ قال الزجاج: «كَلًّا» منصوب بـ«نمِدُّ»، «هؤلاء» بدل من «كل»، والمعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء «وَمِنْهُ يَرْجَىٰ» قال المفسرون: كَلَّا تعطي من الدنيا، البرَّ والفاجر، والعطاء هاهنا: الرزق، والمحظور: الممنوع، والمعنى: أن الرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمؤمنين خاصة. ﴿أَتَنْظُرُ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفيما فضلوا فيه قولان: أحدهما: الرزق، منهم مقل، ومنهم أكثر. والثاني: الرزق والعمل، فمنهم موقف لعمل صالح، ومنهم ممنوع من ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْصِلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآخِرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والمخدول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون. قال مقاتل: نزلت حين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة أبائه.

﴿وَقَسَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُنِي ۚ أَلَا إِنِّي بِمَا تَصِفُونَ أَلَمَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَهْلُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا أُوِي وَلَا تَبْهَرُهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَبِيْرًا﴾ ﴿٢٣﴾ رَبُّكَ أَظْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُمْ كَانَ لِأَوَّلِينَ عَذُوبًا﴾ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَسَىٰ رَبُّكَ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمر ربك. ونقل عنه الضحاك أنه قال: إنما

هي «ووصى ربك» فالتصقت إحدى الواوين بـ «الصاد»<sup>(١)</sup>، وكذلك قرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وسعيد بن جبير: «ووصى»، وهذا على خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه. وقرأ أبو عمران، وعاصم الجحدري، ومعاذ القارئ: «وقضاء ربك» بقاف وضاد بالمد والهمز والرفع وخفض اسم الرب. قال ابن الأنباري: هذا القضاء ليس من باب الحتم والوجوب، لكنه من باب الأمر والفرض، وأصل القضاء في اللغة: قطع الشيء بإحكام وإتقانه، قال الشاعر يرثي عمر:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

بوائق في أكمامها لم تفتق<sup>(٢)</sup>

أراد: قطعها محكماً لها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِسْكَأُوا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً، وهو البر والإكرام، وقد ذكرنا هذا في [البقرة: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِلِقَافِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يلقن» على التوحيد. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يلغان» على التنية. قال الفراء: جعلت «يلغن» فعلاً لأحدهما وكُتبت عليهما «كلاهما». ومن قرأ «يلغان» فإنه ثنى، لأن الوالدين قد ذُكرا قبل هذا، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» على الاستئناف، كقوله: ﴿فَتَمَوَّا وَمَسَّوْا﴾ [المائدة: ٧١] ثم استأنف فقال: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَنَّا أَمْرٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أف» بالكسر من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، والمفضل: «أف» بالفتح من غير تنوين، وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: «أف» بالكسر والتنوين. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «أف» بالرفع والتنوين وتشديد الفاء. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم، الجحدري، وحמיד بن قيس: «أفأ» مثل «تعمسا». وقرأ أبو عمران الجوني، وأبو السماك العدوي: «أف» بالرفع من غير تنوين مع تشديد الفاء، وهي رواية الأصمعي عن أبي عمرو. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «أف» بإسكان الفاء وتخفيفها؛ قال الأخفش: وهذا لأن بعض العرب يقول: أف لك، على الحكاية والرفع قبيح، لأنه لم يجز بعده لام. وقرأ أبو العالية، وأبو حصين الأسدي: «أفي» بتشديد الفاء وبياء. وروى ابن الأنباري أن بعضهم قرأها: «إف» بكسر الهمزة<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: فيها سبع لغات، الكسر بلا تنوين، وتنوين، والضم بلا تنوين، وتنوين، والفتح بلا تنوين، وتنوين، واللغة السابعة لا تجوز في القراءة: «أفي» بالياء، هكذا قال الزجاج. وقال ابن الأنباري: في «أف» عشرة أوجه. «أف» لك، بفتح الفاء، و«أف» بكسرها، و«أفأ» لك بالنصب والتنوين على مذهب الدعاء كما تقول: «وَيْلًا لِلْكَافِرِينَ»، و«أف» لك، بالرفع والتنوين، وهو رفع باللام، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ٤١]، و«أفو» لك، بالخفض والتنوين، تشبيهاً بالأصوات، كقولك: «صو» و«مو»، و«أفها» لك، على مذهب الدعاء أيضاً، و«أفي» لك، على الإضافة إلى النفس، و«أف» لك، بسكون الفاء، تشبيهاً بالأدوات، مثل: «كم» و«هل» و«بل»، و«إف» لك، بكسر الالف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي، قال: وتقول: «أف» منه، و«أفأ»، و«أف»، و«أف»، و«أفأ»، و«أف»، و«أفي» مضاف، و«أفها»، و«أفأ» بالالف، ولا تقل: «أفي» بالياء فإنه خطأ.

فأما معنى «أف» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه وسخ الظفر، قاله الخليل. والثاني: وسخ الأذن، قاله الأصمعي.

(١) الخبر رواه ابن جرير ٦٣/١٥ عن الضحاك، وفي سننه أبو إسحاق الكوفي، وهو عبد الله بن مسيرة الحارثي، ضعفه ابن معين، وأحمد بن حنبل، والنسائي، والدارقطني، وقال ابن أبي حاتم: ليس بشيء، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بخبره، وهشام الراوي عن أبي إسحاق هذا - وإن كان ثقة - موصوف بالتلبس وقد عمن في هذا الخبر.

(٢) البيت من قصيدة تروى للشماخ كما في «حماسة أبي تمام» ١٠٩٠/٣ بشرح التبريزي، و«زهر الآداب» ٩٨٦، وتروى أيضاً لمزود بن ضرار كما في «البيان والبيان» ٣٦٤/٣، وتروى لجزء بن ضرار. قال التبريزي: وقال أبو ريش: الذي عندي أنه لمزود أخيه، وفي «الأغاني» ١٥٩/٩: أن هذا الشعر للجن قاله قبل أن يقتل عمر بثلاث، فكان ذلك نعيلاً له قبل أن يقتل. والبواقي: جمع باقة وهي الداهية والبلية، وفي «الحماسة»: بوانج، وهي رواية «اللسان»: بوج. والبوانج: البواقي.

(٣) في «القرطبي» ٢٤٣/١٥: «وإف لك»، بكسر الهمزة.

والثالث: قلامة الظفر، قاله ثعلب. والرابع: أن «الأف» الاحتقار والاستصغار، من «الأف» والأفب عند العرب: القلّة، ذكره ابن الأنباري. والخامس: أن «الأف» ما رفعته من الأرض من عود أو قصبه، حكاه ابن فارس اللغوي. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: معنى «الأف»: الثَّن، والتضجر، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد، وللمكان تريد إمالة الأذى عنه، فقلت لكل مستقل. قال المصنف: وأما قولهم: «أف»، فقد جعلها قوم بمعنى «أف»، فروي عن أبي عبيد أنه قال: أصل «الأف» و«الثف»: الوسخ على الأصابع إذا فتلته. وحكى ابن الأنباري فرقا، فقال: قال اللغويون: أصل «الأف» في اللغة: وسخ الأذن. و«الثف»: وسخ الأظفار، فاستعملتها العرب فيما يكره ويستقذر ويُضجر منه. وحكى الزجاج فرقا آخر، فقال: قد قيل: إن «أف»: وسخ الأظفار، و«الثف»: الشيء الحقيق، نحو وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض، ومعنى «أف»: الثَّن، ومعنى الآية: لا تقل لهما كلاماً تتبرّم فيه بهما إذا كبراً وأستا، فينبغي أن تتولّى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، «وَلَا تَنْهَرُهُمَا» أي: لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما، يقال: نَهَرْتُهُ أَنْهَرَهُ نَهْراً، وانتَهَرْتُهُ انتهاراً، بمعنى واحد. وقال ابن فارس: نهَرْتُ الرجل وانتَهَرْتُهُ، مثل: زجرته. قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكبر، وإن كان منياً عنه على كل حالة، لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يُضجر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» أي: لئناً لطيفاً أحسن ما تجد. وقال سعيد بن المسيّب: قول العبد المذنب للسيد الفظ.

قوله تعالى: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ» أي: ألنّ لهما جانبك متذللاً لهما من رحمتك إياهما. وخفضُ الجَنَاح قد شرحناه في [الحجر: ٨٨]. قال عطاء: جناحك: يداك، فلا ترفعهما على والديك. والجمهور يضمنون الذال من «الذّل». وقرأ أبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبلة: بكسر الذال. قال الفراء: الذّل: أن تتذلّل لهما، من الذلّ، والذّل: أن تتذلّل ولست بذليل في الخدمة، والذلّ والذلة: مصدر الذليل، والذلّ، بالكسر: مصدر الذلّل، مثل الدابة والأرض. قال ابن الأنباري: من قرأ «الذّل»، بكسر الذال، جعله بمعنى الذلّ، بضم الذال، والذي عليه كبراء أهل اللغة أن الذلّ من الرجل: الذليل، والذلّ من الدابة: الللول.

قوله تعالى: «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنَا صَغِيرًا» أي: مثل رحمتهم إياي في صغري حتى رباني. وقد ذهب قوم إلى أن هذا الدعاء المطلق نُسَخ منه الدعاء لأهل الشرك بقوله: «مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالْزَّيْنِ مَأْوَياً أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» [التوبة: ١١٣]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومقاتل. قال المصنف: ولا أرى هذا نسخاً عند الفقهاء، لأنه عامٌ دخله التخصيص، وقد ذكّر قريباً مما قلته ابن جرير.

قوله تعالى: «رَبِّكَ أَغْلَزَ بِمَا فِي نَفْسِكَ» أي: بما تضمرون من البرّ والعقوق، فمن بدرت منه بادرة وهو لا يُضمر العقوق، غفر له ذلك، وهو قوله: «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ» أي: طائعين لله، [وقيل]: بارّين، وقيل: توابين، «فَلَنْتُمْ كَانُوا لِلْزَّيْنِ غَفُوراً»، في الآواب عشرة أقوال: أحدها: أنه المسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه التواب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: هو التائب مرّة بعد مرّة. وقال الزجاج: هو التّوّاب المُغْلِق عن جميع ما نهى الله عنه، يقال: قد أبّ يؤوب أوباً، إذا رجع. والثالث: أنه المسبّح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: أنه المطيع لله تعالى، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه، قاله عبيد بن عمير. والسادس: أنه المُغْبِل إلى الله تعالى بقلبه وعمله، قاله الحسن. والسابع: المصلّي، قاله قتادة. والثامن: هو الذي يصلّي بين المغرب والعشاء، قاله ابن المنكبر. والتاسع: الذي يصلّي صلاة الضحى، قاله عون العُقيلي. والعاشر: أنه الذي يُذنب سراً ويتوب سراً، قاله السّدي.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ أَغْلَزَ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ لَا يَذَّكَّرُ تَبَيُّراً ﴿إِنَّ الْمَذِينُونَ كَانُوا لِخَوْنِ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ ﴿وَمَا تَرْضَى عَنْهُمْ آيَةً رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ نَجَّوْهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا يَسُوءُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا قَوْلَهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن المراد به: يرثهم وصيتهم. والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة. والثالث: الوصية لهم عند الوفاة. والثاني: أنهم قرابة الرسول، قاله علي بن الحسين عليه السلام، والسدي. فعلى هذا، يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للوالة.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَسِيرِينَ وَالَّذِينَ فِي الْأَسْبَابِ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يكون المراد: الصدقات الواجبة، يعني: الزكاة، ويجوز أن يكون الحق الذي يلزمه إعطاؤه عند الضرورة إليه. وقيل: حق المسكين، من الصدقة، وابن السبيل، من الضيافة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْذَرُونَ تَبَذُّرًا﴾ في التبذير قولان: أحدهما: أنه إنفاق المال في غير حق، قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله في حق، ما كان مبذراً، ولو أنفق مُدّاً في غير حق، كان مبذراً. قال الزجاج: التبذير: النفقة في غير طاعة الله، وكانت الجاهلية تنحر الإبل وتبذر الأموال تطلب بذلك الفخر والشّمة، فأمر الله ﷻ بالنفقة في وجهها فيما يقرب منه. والثاني: أنه الإسراف المتلف للمال، ذكره الماوردي. وقال أبو عبيدة: المبذر: هو المُسرف المُفسد العاث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَالِ الْيَتِيمَ كَانَ أَوْلاً لِيَتِيمٍ﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كُفُورًا﴾ أي: جاحداً لنعمة. وهذا يتضمن أن المسرف كفور للنعمة.

قوله تعالى: ﴿زَيْنًا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين تقدّم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قاله الأكثرون، فعلى هذا في علّة هذا الإعراض قولان: أحدهما: الإعسار، قاله الجمهور. والثاني: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، قاله ابن زيد. وعلى هذا في الرحمة قولان. أحدهما: الرزق، قاله الأكثرون. والثاني: أنه الصلاح والتوبة، هذا على قول ابن زيد. والثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبير. فتحتمل إذا الرحمة وجهين: أحدهما: انتظار النصر عليهم. والثاني: الهداية لهم. والثالث: أنهم ناس من مُزينة جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، فبكروا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء الخراساني. والرابع: أنها نزلت في خبّاب، وبلال، وعُمّار، ومهجع، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل. فعلى هذا القول والذي قبله تكون الرحمة بمعنى الرزق.

قوله تعالى: ﴿قَتَلْتُمُوهُمْ فَوَلُّوا يَتِيمُوهُمْ﴾ قال أبو عبيدة: ليتاً هيئاً، وهو من اليُسْر. وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العدة الحسنة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنه القول الجميل، مثل أن يقول: رزقنا الله وإياك، قاله ابن زيد؛ وهذا على ما تقدّم من قوله. والثالث: أنه المداراة لهم باللسان، على قول من قال: هم المشركون، قاله أبو سليمان الدمشقي؛ وعلى هذا القول، تحتمل الآية النسخ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٣١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِذَا قُلْتُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ سبب نزولها: أن غلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إن أمي تسالك كذا وكذا، قال: ﴿ما عندنا اليوم شيء﴾، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت حاسراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. وروى جابر بن عبد الله نحو هذا، فزاد فيه: فأذن بلال للصلاة،

(١) «الأدب المفرد» للبخاري ٥٣٣/١، وابن جرير ٧٣/١٥، والحاكم ٣٦١/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وخرجه السيوطي في «الدر» ١٧٧/٤ وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) «الأدب المفرد» ٥٣٤/١، وابن جرير: ٧٣/١٥.

(٣) نسبة السيوطي في «الدر» ١٧٨/٤ لابن جرير، ولم نقف عليه.



وانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم، فأروه غريباً، فنزلت هذه الآية، والمعنى: لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ﴿وَلَا تَسْطِطْ عَلَى الْإِسْطِ﴾ في الإعطاء والنفقة ﴿فَتَقْعَدَ مَلُوكًا﴾ تلوم نفسك ويلومك الناس، ﴿تَحْسُورًا﴾ قال ابن قتيبة: تَحْسِيرُكَ العطية وتقطعك كما يَحْسِرُ السفر البعير فيبقى منقطعاً به. قال الزجاج: المحسور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء، فالمعنى: فتقعد وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صيرت بمنزلة من قد حَسَرَ. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الخطاب أريد به غير رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يَدْحِرُ شيئاً لغد، وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه، وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون، فلم ينههم الله، لصحة يقينهم، وإنما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله تعالى، فهو غير مراد بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيّق، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُبَادِلُونَ مَبِيعًا بَبِيعًا﴾ حيث أجرى أرزاقهم على ما علم فيه صلاحهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنُوا آيَاتٍ﴾ قد فسرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خَطَاً كَبِيراً﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خِطَاءً». مكسورة الخاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة. وقرأ ابن كثير، وعطاء: «خِطَاءً» مكسورة الخاء ممدودة مهموزة. وقرأ ابن عامر: «خَطَاً» بنصب الخاء والطاء وبالهزة من غير مد. وقرأ أبو رزين كذلك، إلا أنه مدّ، وقرأ الحسن، وقتادة: «خِطَاءً» بفتح الخاء وسكون الطاء مهموز مقصور. وقرأ الزهري، وحמיד بن قيس: «خِطَاً» بكسر الخاء وتنوين الطاء من غير همز ولا مد. قال الفراء: الخطء: الإثم، وقد يكون في معنى «خِطَاً» كما قالوا: «وَقَتَبٌ» و«قَتَبٌ» و«جَذَرٌ» و«حَذَرٌ» و«نَجَسٌ» و«نَجَسٌ»، والخطء، والخطاء، والمخطء، ممدود: لغات. وقال أبو عبيدة: خِطُوتٌ وأَخْطُوتٌ، لغتان. وقال أبو علي: قراءة ابن كثير «خِطَاءً»، يجوز أن تكون مصدر «خاطأ» وإن لم يسمع «خاطأ» ولكن قد جاء ما يدل عليه، أنشد أبو عبيدة:

الْخِطَاءُ وَالْخِطَاءُ وَالْخِطَاءُ

وقال الأخفش: خِطِئَ يَخْطِئُ بمعنى «أَذْنَبَ» وليس بمعنى «أَخْطَأَ»، لأن «أَخْطَأَ»: فيما لم يصنعه عمداً، تقول فيما أتيت عمداً: «خِطِئْتُ»، وفيما لم تنعمده: «أَخْطَأْتُ». وقال ابن الأنباري: «الخطء»: الإثم، يقال: قد خِطِئَ يَخْطِئُ: إذا أثم، وأَخْطَأَ يَخْطِئُ: إذا فارق الصواب. وقد شرحنا هذا في [يوسف: ٩١] عند قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخِطِيئينَ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الزِّينَ﴾ إثمٌ كان فَنَجَسَةً وَسَاءَ سَيِّلاً ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَنَ قُلْ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنْ كَانَ مَضْرُوكًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الزِّينَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن: بالمد. قال أبو عبيدة: وقد يمد «الزنا» في كلام أهل نجد، قال الفرزدق:

أَبَا خَاضِرٍ مَن يَزْنٍ يُعْرِفُ زَنَاؤَهُ وَمَن يَشْرِبُ الْخُرْطُومَ يُضْبِحُ مُسْكِرًا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً:

أَخْضَبْتَ فَعَلَّكَ لِلزَّانِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ اللَّقَاءِ لَتَّخْضَبِ الْأَبْطَالِ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

[كانت فريضة ما نقول] كَمَا كَانَ الزَّانِ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ<sup>(٣)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ٣٧٧/١، «الجمهرة» ٢٢٥/٣، «واللسان» و«التاج»: زني.

(٢) «مجاز القرآن» ٣٧٧/١.

(٣) البيت للشائفة الجملي: «ديوانه» ٢٣٥ طبع المكتب الإسلامي، و«مجاز القرآن» ٣٧٨/١، و«امالي المرتضى» ٢١٦/١، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» ١٦٥، و«اللسان»: زني. وقوله: «كان الزنا فريضة الرجم» مقلوب، والأصل: كان الرجم فريضة الزنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قد ذكرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الدال مع الجيم، والإظهار جيد بالغ، إلا أن الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان، والإدغام جائز، لأن حروف وسط اللسان تقرب من حروف طرف اللسان. ووليّه: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي، فالسلطان وليّه. وللمفسرين في السلطان قولان: أحدهما: أنه الحجّة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الولي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِرُؤُسِهِ سُلْطَانًا﴾ ينصره ويُنصِفُه في حقّه، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «فلا يسرف» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالياء. وفي المشار إليه في الآية قولان: أحدهما: أنه وليّ المقتول. وفي المراد بإسرافه خمسة أقوال: أحدها: أن يقتل غير القاتل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أن يقتل اثنين بواحد، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن يقتل أشرف من الذي قُتل، قاله ابن زيد. والرابع: أن يمتل، قاله قتادة. والخامس: أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجاج. والثاني: أن الإشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعدياً وظلماً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكًا﴾ أي: مُعَانًا عليه. وفي هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصوراً بتمكينه من القود، قاله قتادة، والجمهور. والثاني: أنها ترجع إلى المقتول، فالمعنى: إنه كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد. والثالث: أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصوراً، أي: مطلوباً به. والرابع: أنها ترجع إلى القتل، ذكر القولين الفراء.

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الزِّكْرَ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِحَهِ وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرُؤُسِهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَأُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْهُلًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس. قال الزجاج: كل ما أمر الله به وأنهى عنه فهو من العهد.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ مَشْهُلًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: مسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي: أتموه ولا تبخسوا منه.

قوله تعالى: ﴿وَرُؤُسًا بِالْقِسْطِ﴾ فيه خمس لغات: أحدها: «قسطاس»، بضم القاف وسين، وهذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم هاهنا وفي [الشراء: ١٨٢]. والثانية: كذلك، إلا أن القاف مكسورة، وهذه قراءة حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم. قال الفراء: هما لفتان. والثالثة: «قسطاص»، بصادين. والرابعة: «قسطاس»، بصاد قبل الطاء وسين بعدها، وهاتان مرويتان عن حمزة. والخامسة: «قسطان»، بالنون. قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: القسطاس: الميزان، روميّ معرب، ويقال: «قسطاس» و«قسطاس».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَرِّمٌ﴾ أي: ذلك الوفاء خير عند الله وأقرب إليه، «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الفراء: أصل «تَقَفْتُ» من القيافة، وهي: تتبّع الأثر، وفيه لفتان: قَفَا يَقْفُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها من «قفوت»، فيحرك الفاء إلى الواو ويجزم القاف كما تقول: لا تَذْخُ. وقرأ معاذ القارئ: «لا تَقْفُ»، مثل: تَقُلْ، والعرب تقول: قَفْتُ أثره، وقَفُوت، ومثله: عاث وعثا، وقَاعَ الجملُ الناقة، وقعاها: إذا ركبها. قال الزجاج: من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف من: قاف يقوف، فكانه مقلوب من قفا يقفو، والمعنى واحد، تقول: قفوت الشيء أقفوه قفوا: إذا تبعت أثره. وقال ابن قتيبة: «لا تقف»، أي: لا تتبّعه الظنون والحَدَس، وهو من القفاء مأخوذ، كأنك تقف الأُمُور، أي: تكون في أفتائها وأواخرها تتبّعها، والقائف: الذي

يعرف الآثار ويتبعها، فكانه مقلوب عن القافي. وللمفسرين في المراد به أربعة أقوال: أحدها: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: لا تقل: رأيتُ، ولم تَرَ، ولا سمعتُ، ولم تسمع. رواه عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: لا تُشرك بالله شيئاً، رواه عطاء أيضاً عن ابن عباس. والرابع: لا تشهد بالزور، قاله محمد بن الحنفية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ قال الزجاج: إنما قال: ﴿كُلُّ﴾، ثم قال: ﴿كَانَ﴾، لأن كلاً في لفظ الواحد، وإنما قال: ﴿أُولَئِكَ﴾ لغير الناس، لأن كلَّ جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ: «أولئك» قال جرير:

ذُمَّ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشُ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْأَيَّامِ<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يُسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحلُّ، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْبَحَالَ طُولًا﴾ ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّآخَرًا فَتُنْفَلِتَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا﴾ وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مَرِحًا» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مَرِحًا» اسم الفاعل؛ قال الزجاج: وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أؤكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضاً، وجاء زيد راكضاً، ف«ركضاً» أؤكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختلاً فخوراً، والمرح: الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقُبها. قال ابن عباس: لن تخرق الأرض يكبرك، ولن تبلغ الجبال طولاً بعظمتك. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا ينبغي للمعجز أن يتدخَّل ويستكبر.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سَيِّئُهُ» منوناً غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى المنهية عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «سَيِّئُهُ» مضافاً مذكراً، فتكون لفظة «كل» يُشار بها إلى سائر ما تقدم ذكره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا غلط من أبي عمرو، لأن في هذه الأفاصيص سَيِّئًا وحسنًا، وذلك أن فيها الأمر ببرِّ الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة مَنْ نصب السَيِّئَةَ، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت الآيات من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْ رَبُّكَ...﴾ فوجدت فيها أموراً حسنة. وقال أبو علي: من قرأ «سَيِّئُهُ» رأى أن الكلام انقطع عند قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأن قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا حُسْنَ فيه<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، «مِنَ الْحِكْمَةِ»، أي: من الأمور المُحكَّمة والأدب الجامع لكل خير. وقد سبق معنى «المدحور» [الأعراف: ١٨].

﴿أَفَأَسْفَحْتُمْ رُسُلَكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا مِنَ اللَّهِ حِكْمَةً إِنَّا لَنُفَصِّلُهَا لَكُمْ قَوْلًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَسْفَحْتُمْ رُسُلَكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال مقاتل: نزلت في مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «أَفَأَسْفَحْتُمْ»: اختصمكم. وقال المفضل: أخلصكم. وقال الزجاج: اختار لكم صفوة الشيء. وهذا توبيخ للكفار، والمعنى: اختار لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاخصمكم بالأعلى وجعل نفسه الأدون؟!

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

(١) «ديوانه» ٥٥١، «القائض» ٢٥٦/١، «الطبري» ٨٧/١٥، «القرطبي» ٢٦٠/١٠.

(٢) أي: ليس معطوفاً على الحسن في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، بل هو نهي عن تتبع أثر ما لا تعلم، فيكون ابتداء كلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معنى التصريف هاهنا: التبیین، وذلك أنه إنما يصرف القول ليبين. وقال ابن قتبية: «صرفنا» بمعنى: وجهنا، وهو من قولك: صرفت إليك كذا، أي: عدلت به إليك، وشُدَّ للتكثير، كما تقول: فتَحْتُ الأبواب.

قوله تعالى: ﴿يَلِدْكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يَلِدْكُمْ» مشدداً. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يَلِدْكُمْ» مخففاً، وكذلك قرؤوا في [الفرقان: ٥٠]. والتذكُّر: الاتعاظ والتدبر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تصرفنا وتذكرنا ﴿إِلَّا نَقُورًا﴾ قال ابن عباس: ينفرون من الحق، ويتبعون الباطل.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿سَبِّحْهُ وَكُلُّ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَمَلًا غَوًى﴾ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يقولون» بالياء. وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَآتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فيه قولان. أحدهما: لا يتقوا سبيلاً إلى ممانعته وإزالة ملكه، قاله الحسن، وسعيد بن جبير. والثاني: لا يتقوا سبيلاً إلى رضا، لأنهم دونه، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «يقولون» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء.

قوله تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تسبح» بالياء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يسبح» بالياء. قال الفراء: وإنما حُسِّنَت «الياء» هاهنا، لأنه عدد قليل، وإذا قلَّ العدد من المؤنث والمذكر، كانت الياء فيه أحسن من التاء، قال في المؤنث القليل: ﴿وَقَالَ يَسْأَلُ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال في المذكر: ﴿إِذَا اسْتَسْقَى الْأَشْهُرُ الْكُرْمَ﴾ [التوبة: ٥٠]. قال العلماء: والمراد بهذا التسبيح: الدلالة على أنه الخالق القادر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ﴾ «إن» بمعنى «فما». وهل هذا على إطلاقه، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على إطلاقه، فكل شيء يسبحه حتى الثوب والطعام وصرير الباب، قاله إبراهيم النخعي. والثاني: أنه عام يراد به الخاص. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كل شيء في الروح، قاله الحسن، وقاتدة، والضحاك. والثاني: أنه كل ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات؛ قال عكرمة: الشجرة تسبح، والأسطوانة لا تسبح. وجلس الحسن على طعام فقدموا الخوان، فقيل له: أيسبح هذا الخوان؟ فقال: قد كان يسبح مرة. والثالث: أنه كل شيء لم يغيّر عن حاله، فإذا تغيّر انقطع تسبيحه؛ روى خالد بن معدان عن المقدم بن معدي كرب قال: إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً، فإذا تومض ترك التسبيح. فاما تسبيح الحيوان الناطق، فمعلوم، وتسبيح الحيوان غير الناطق، فإما أن يكون بضوئه، وإما أن يكون بدلالته على صانعه. وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله. والثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله. والثالث: أنه دلالة على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مبصّره. فإن قلنا: إنه تسبيح حقيقة، كان قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجميع الخلق؛ وإن قلنا: إنه دلالة على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يستدلون، ولا يعتبرون. وقد شرحنا معنى «الحليم» و«الغفور» في [البقرة: ٢٢٥].

﴿وَلَا تَرَأَىٰ الْقُرْآنَ جَمَلًا يَبْكُ وَيَنْ أَلَيْسَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَمَحَلًّا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَلَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَكَتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَعَدَمُوا وَلَوْ عَلَّمْنَا آلَهُمْ نَقُورًا﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ يُخَوِّجُونَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْلَمُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ﴿٥٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٥٤﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا عَظَمَاءَ رِزْقًا أَوْ لَئِنْ كُنَّا لَنُؤْمِنُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٥٥﴾ قُلْ كُونُوا حِجَابَةً أَوْ حِيدًا﴾ ﴿٥٦﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِهِمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُوكَ مَنْ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِمْ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قِيلٌ﴾ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحجاب: هو الأكنة على قلوبهم، قاله قتادة. والثاني: أنه حجاب يستره فلا ترونه؛ وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل امرأة أبي لهب، فحجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرّون به، ولا يرونه. والثالث: أنه منْعُ الله ﷻ إياهم عن آذاه، حكاه الزجاج. وفي معنى ﴿مَسْتُورًا﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى سائر؛ قال الزجاج: وهذا قول أهل اللغة. قال الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مشووم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من «شائمهم» و«يمئهم». والثاني: أن المعنى: حجاباً مستوراً عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون «مستوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ دُكِّرْتَ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: على أعقابهم، ﴿فَقُولُوا﴾ وهو: جمع نافر، بمنزلة قاعد وقُعود، وجالس وجُلوس. وقال الزجاج: تحتمل مذهبتين: أحدهما: المصدر، فيكون المعنى: ولأولاً نافرين نفوراً. والثاني: أن يكون «نفوراً» جمع نافر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون، وهذا مذهب ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَرُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ قال المفسرون: أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك، ودخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَظْلَرُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، أي: يستمعونه، والباء زائدة. ﴿إِنَّهُمْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُخَوِّفُونَ﴾ قال أبو عبيدة: هي مصدر من «تأجيت» واسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذاب، وأنتم غم، فجاءت في موضع «متأجين». وقال الزجاج: والمعنى: وإذا هم ذرو نجوى، وكانوا يستمعون من رسول الله ﷺ، ويقولون بينهم: هو ساحر، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِنْ تَنْتَفِعُونَ﴾ أي: ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي سحر فذهب بعقله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مخدوعاً مغروراً، قاله مجاهد. والثالث: له سحر، أي: رئة؛ وكل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو: مسحور ومسحر، لأن له سحراً، قال لييد: فَإِنْ تَسْأَلُنَا فِيمَ نَحْنُ فَلِنَا

عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحُورِ<sup>(١)</sup>

وقال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُرْصِدِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ<sup>(٢)</sup>

أي: نُغْدَى، لأن أهل السماء لا يأكلون، فأراد أن يكون ملكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إن تتبعون إلا رجلاً له سحر، خلقه الله كخلقكم، وليس بملك، وهذا قول أبي عبيدة.

قال ابن قتيبة: والقول قول مجاهد، [أي: مخدوعاً، لأن السحر حيلة وخديعة، ومعنى قول لبيد «المسحر»: المغلل، وقول امرئ القيس: «وَنُسْحَرُ» أي: نُغْلَل، وكأننا نُخْدَع، والناس يقولون: سحرنتي بكلامك، أي: خدعتني، ويدل عليه قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رئة، لم يكن في ذلك مثلاً ضربه، فلما أرادوا مخدوعاً - كأنه بالخديعة سحر - كان مثلاً ضربه. وكانهم ذهبوا إلى أن قوما يعلمونه ويخدعونهم.

(١) «ديوانه» ٥٦، و«مجاز القرآن» ٣٨١/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحیوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«القرطبي» ٣٧٣/١٠، و«اللسان»: سحر.

(٢) «ديوانه» ٩٧، و«مجاز القرآن» ٣٨٢/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحیوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«أمالی المرتضى» ٥٧٧/١، و«اللسان»: سحر. وفي «الديوان»: «أَرَانَا مَوْضِعِينَ...» والإيضاح: ضرب من السير السريع.

قال المفسرون: ومعنى ﴿صَرُّوا لَكَ الْأَمْتَالَ﴾ بَيَّنُّوا لَكَ الْأَشْيَاءَ، حتى شبهوك بالساحر والشاعر والمجنون ﴿فَصَلُّوا﴾ عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَلِيمُونَ سَبِيلَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يجدون سبيلاً إلى تصحيح ما يعيبونك به. والثاني: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى، لأننا طبعنا على قلوبهم. والثالث: لا يأتون سبيل الحق، لثقله عليهم؛ ومثله قولهم: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، يعنون: أنا مبغض له، فنظري إليه يثقل، ذكرهن ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا﴾ قرأ ابن كثير: «أَيْدَا» بهمزة ثم يأتي بياء ساكنة من غير مدٍّ، «أَيْدَا» مثله، وكذلك في كل القرآن. وكذلك روى قالون عن نافع، إلا أن نافعاً كان لا يستفهم في «أَيْدَا»، كان يجعل الثاني خبراً في كل القرآن، وكذلك مذهب الكسائي، غير أنه يهزم الأولى همزتين. وقرأ عاصم، وحزمة بهمزتين في الحرفين جميعاً، وقرأ ابن عامر: «إِذَا كُنَّا» بغير استفهام بهمزة واحدة «أَيْدَا» بهمزتين يمد بينهما مدة.

قوله تعالى: ﴿رُفَاتًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التراب، ولا واحد له، فهو بمنزلة اللُّقَاق والحُطَام، قاله الفراء، وهو مذهب مجاهد. والثاني: أنه العظام ما لم تتحطم، والرُّفَات: الحُطَام، قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: الرُّفَات: التراب. والرُّفَات: كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ، و﴿خَلَقْنَا جَوِيدًا﴾ في معنى مجدداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الموت، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، والأشكون. والثاني: أنه السماء والأرض والجبال، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] ما يكبر في صدوركم، من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله قتادة. فإن قيل: كيف قيل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَيِّدًا﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فنحن جوابان: أحدهما: إن قدرتم على تغيير حالاتكم، فكونوا حجارة أو أشد منها، فإننا نمتكم، وننفذ أحكامنا فيكم، ومثل هذا قولك للرجل: اصعد إلى السماء فإنني لاحقك. والثاني: تصوّروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها، فإننا سنبيدكم، قال الأحوص:

إِذَا كُنْتُ عَزْهَاءَ عَنِ اللَّيْهِ وَالصُّبِّي

فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصُّخْرِ جَلَمًا<sup>(١)</sup>

معناه: فتصوّر نفسك حَجَرًا، وهؤلاء قوم اعترفوا أن الله خالقهم، وجعلوا البعث، فأعلموا أن الذي ابتدأ خلقهم هو الذي يحييهم.

قوله تعالى: ﴿فَنَسْفَعُكُمْ وَإِلَيْكَ رُجُوعٌ﴾ قال قتادة: يحركونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنفض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى: يحركونها، كما يحرك الآيس من الشيء والمسبتعد [له] رأسه، يقال: نَفَضْتُ مِشَّةً: إذا تحركت.

قوله تعالى: ﴿وَيُثْرَلُونَ مَقَّ هُوًا﴾ يعنون البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب. ثم بين متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: من القبور بالنداء الذي يُسمعكم، وهو النفخة الأخيرة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: تجيبون. قال مقاتل: يقوم إسماعيل على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن، فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها الشعور المتفرقة، وأيتها العروق المتقطعة، اخرجوا إلى فصل القضاء لتُجزأ بأعمالكم، فيسمعون الصوت، فيستعجلون إليه. وفي معنى ﴿يَحْكُمُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد. والثاني: يخرجون من القبور وهم يقولون: سبحانك ويحمدك، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن معنى ﴿يَحْكُمُونَ﴾: بمعرفته، وطاعته، قاله قتادة: قال الزجاج: تستجيبون مُقَرِّين أنه خالقكم. والرابع: تجيبون بحمد الله لا بحمد أنفسكم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْظُرُونَ إِن لَّيْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه على أصله. وأين ينظرون أنهم لبثوا قليلاً؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بين النفختين، ومقداره أربعون سنة، ينقطع في ذلك

(١) البيت في «الأغاني» ١٥/١٠٠، و«طبقات ابن سلام» ٥٣٩، و«الشعر والشعراء» ٥٠١، و«زهر الآداب» ١/٣٥٠، و«مصابيح المشاق» ٦٢، ورجل مزهاة وعزهاة: وهو الذي لا يقرب النساء ويتقبض عنهن ويعرض، من زهو أو كبر، أو ألق من الضعف والاستكانة لبعهن أو سطوتهن على الرجال، وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.

العذاب عنهم، فيرون لبثهم في زمان الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في الدنيا، لعلمهم بطول اللبث في الآخرة، قاله الحسن. والثالث: في القبور، قاله مقاتل. فعلى هذا إنما قصر اللبث في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظم عذاباً من عذاب القبور. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يجيئون المنادي وهم يحمدون الله على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة اللبث في القبور، لأنهم كانوا غير معذبين.

﴿وَقُلْ لِمَا دَى يَقُولُوا أَلَى هِ أَحَسَّنْ إِنْ أَلَشَيْطَنَ يَزْعُ بَيْنَهُمْ إِنْ أَلَشَيْطَنَ كَانَتْ لِأَلَسِّنِ عَدُوًّا مُبِينًا ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِمَا دَى يَقُولُوا أَلَى هِ أَحَسَّنْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة، بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب، فهم به عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل؛ والمعنى: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن. واختلفوا فيمن تقال له هذه الكلمة على قولين: أحدهما: أنهم المشركون، قال الحسن: تقول له: يهديك الله، وما ذكرنا من سبب نزول هذه الآية يؤيد هذا القول. وذهب بعضهم إلى أنهم أمروا بهذه الآية بتحسين خطاب المشركين قبل الأمر بقتالهم، ثم نسخت هذه الآية بآية السيف. والثاني: أنهم المسلمون، قاله ابن جرير. والمعنى: وقل لعبادي يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاوراة والمخاطبة. وقد روى مبارك عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له: يرحمك الله، ويغفر الله لك. قال الأخفش: وقوله: ﴿يَقُولُوا﴾ مثل قوله: ﴿يُيَسِّرُوا الصَّلَاةَ﴾، وقد شرحنا ذلك في سورة [إبراهيم: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَلَشَيْطَنَ يَزْعُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يفسد ما بينهم، والعدو المبین: الظاهر العداوة.

﴿زَكَّرَ أَتَلَرُ يَكَّرْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿زَكَّرَ أَتَلَرُ يَكَّرُ﴾ فيمن خطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ﴾ فينجيكم من أهل مكة، ﴿إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ﴾ فيسلطهم عليكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، أو يعذبكم بالإقامة على الذنوب، قاله الحسن. والثاني: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: إن يشأ يرحمكم، فيهديكم للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم، فيميتكم على الكفر، قاله مقاتل. والثاني: أنه لما نزل القحط بالمشركين فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَكَيْفَ عَنَا الْعَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ [الدخان: ١١٢] قال الله تعالى: ﴿زَكَّرَ أَتَلَرُ يَكَّرُ﴾ من الذي يؤمن، ومن [الذي] لا يؤمن، ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ﴾ فيكشف القحط عنكم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ﴾ فيتركه عليكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: «أو» هاهنا دخلت لسعة الأمرين عند الله تعالى، وأنه لا يردّ عنهما، فكانت ملحقة ب«أو» المبيحة في قولهم: جالس الحسن، أو ابن سيرين، يعنون: قد وسعنا لك الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كفيلاً تؤخذ بهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حافظاً وريثاً، قاله الفراء. والثالث: كفيلاً بهدایتهم وقادراً على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بآية السيف.

﴿وَرَبُّكَ أَتَلَرُ يَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَتَلَرُ يَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه خالقهم، فهدى من شاء، وأضل من شاء، وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان ملكاً جسيماً، ورفع محمداً ﷺ فوق السموات، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ويجوز أن يكون المفضلون أصحاب الكتب، لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾.

وقد شرحنا معنى «الزبور» في سورة [النساء: ١١٣].

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جُوعًا ٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ

الْوَسِيلَةَ أَهْمُ أَقْرَبُ وَرَبُّهُمْ رَحِيمٌ وَخَافُوا عَذَابَهُ إِنْ عَذَابُ رَبِّكَ كَانَ مُحَذَّرًا ٥٨﴾



قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا إِلَيْنَ رَعَضَتْ مِن دُونِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفرأ من العرب كانوا يعبدون نفرأ من الجن، فأسلم الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود. والثاني: أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: هي تشفع لنا عند الله، فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، قيل لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مقاتل، والمعنى: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم.

قوله تعالى: ﴿أَتُكَلِّمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ في المشار إليهم به «أولئك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الجن الذين أسلموا<sup>(١)</sup>. والثاني: الملائكة. وقد سبق بيان القولين. والثالث: أنهم المسيح، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، قاله ابن عباس. وفي معنى «يدعون» قولان: أحدهما: يعبدون، أي: يدعونهم آلهة، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أنه بمعنى يتضرعون إلى الله في طلب الوسيلة. وعلى هذا يكون قوله: «يدعون» راجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: «يبتغون» تاماً للكلام. وعلى القول الأول: يكون «يدعون» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يبتغون» وصفاً له «أولئك» مستأنفاً. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن: «تدعون» بالثاء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا، الفعل مردود إلى قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾. ومن قرأ «يدعون» بالياء، قال العرب: تنصرف من الخطاب إلى الغيبة إذا أمن اللبس. ومعنى «يدعون»: يدعونهم آلهة. وقد فسرنا معنى «الوسيلة» في [المائدة: ٣٥]. وفي قوله: ﴿أَتُكَلِّمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن يكون «أيهم» مرفوعاً بالابتداء، وخبره «أقرب»، ويكون المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون إلى الله به. والثاني: أن يكون «أيهم أقرب» بدلاً من الواو في «يبتغون»، فيكون المعنى: يبتغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي: يتقرب إليه بالعمل الصالح.

﴿وَلَن يَن قَرَبَهُ إِلَّا حَنُّ مِّمْلِكُهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِسْمَةِ أَوْ مَعْيُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَن قَرَبَهُ إِلَّا حَنُّ مِّمْلِكُهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقرية الصالحة هلاكها بالموت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا الْآثِقَةَ مِجْرَةً فَلَمَّا بَاءَ بِمَا رَزَّلْنَا بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَفًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ سبب نزولها فيه قولان: أحدهما: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا<sup>(٢)</sup>، فقبل له: إن شئت أن تستاني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من كان قبلهم، قال: «لا، بل أستاني بهم»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: قد ذكرناه عن الزبير في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، ومعنى الآية: وما مَنَعَنَا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين، يعني: أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولون العذاب، فلم يرسلها لئلا يكذب بها هؤلاء، فيهلكوا<sup>(٤)</sup> كما هلك أولئك، وسنة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات ثم كذبوا بها عذبهم.

قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَّنَا مِمَّا كَفَرْنَا شَرَّ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَفَرْنَا بِهِ﴾

(١) روى البخاري ٣٠١/٨، ومسلم ٢٣٢٦/٤ من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله: ﴿أَتُكَلِّمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا زَيْهَرُ الرَّبِّ قَالَ: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء يدينهم. قال الحافظ ابن حجر: أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود، فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، وهذا هو المعتقد في تفسير هذه الآية. اهـ.

(٢) في الأصل: فيزرعون.

(٣) «مسند أحمد» ٩٦/٤ وإسناده صحيح، وفيه: «وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا» بدل «فيزرعوا». وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٧/٣، و«التاريخ» ٣/٥٢ وقال: وهكذا رواه السائي عن جرير.

(٤) في الأصل: فيهلكون.

تكون مبصرة، ويصلح أن يكون المعنى: مُبصر مشاهدوها، فنسب إليها فعل غيرها تجوؤاً، كما يقال: لا أرىك هاهنا، فأدخل حرف النهي على غير المنهي عنه، إذ المعنى: لا تحضر هاهنا، حتى إذا جئت لم أرك فيه. ومن قرأ: «مبصرة» بفتح الميم والصاد، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتيان، كقولهم: «الولد مجنبة».

قوله تعالى: ﴿فَقُلُّوا إِنَّا﴾ قال ابن عباس: فجددوا بها. وقال الأخفش: بها كان ظلمهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيدُ بِالْأَنْبِيَاءِ إِلَّا تَخْوِيفَهُمْ﴾ أي: نخوف العباد ليتعظوا. وللمفسرين في المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: أنها الموت الذريع<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفاً للمكذبين. والثالث: آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي. والرابع: تقلب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي، ونسب القول الأخير منها إلى إمامنا أحمد رحمته الله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَّا قِسْطَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُفُوهُمْ فَمَا يُرِيدُهُمْ إِلَّا لُغْنَتُنَا كَذِبًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أحاط علمه بالناس، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الربيع بن أنس. وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس، يعني: أهل مكة، أن يفتحها لرسوله ﷺ. والثاني: أحاطت قدرته بالناس، فهم في قبضته، قاله مجاهد. والثالث: حال بينك وبين الناس أن يقتلوك، لتبلغ رسالته، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَّا قِسْطَ لِلنَّاسِ﴾ في هذه الرؤيا قولان: أحدهما: أنها رؤيا عين، وهي ما رأى ليلة أسري به من العجائب والآيات. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، ومسروق، والشنخي، وقتادة، وأبو مالك، وأبو صالح، وابن جريج، وابن زيد في آخرين. فعلى هذا يكون معنى الفتنة: الاختبار، فإن قوماً آمنوا بما قال، وقوماً كفروا. قال ابن الأنباري: المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيت رؤيا، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. والثاني: أنها رؤيا منام<sup>(٣)</sup>. ثم فيها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ كان قد أرى أنه يدخل مكة، هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجل قبل الأجل، فردّه المشركون، فقال أناس: قد ردّد، وكان حدثنا أنه سيدخلها، فكان رجوعهم فنتهم، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وهذا لا ينافي حديث المعراج، لأن هذا كان بالمدينة، والمعراج كان بمكة. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما ذكره ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه، والمنافقين بالمدينة افتتنوا برؤيا نومه. والثاني: أنه أرى بني أمية على المنابر، فساء ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يُعْطَرُونَهَا، فسُرّي عنه<sup>(٥)</sup>. فالفتنة هاهنا: البلاء، رواه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة

(١) وما روي من أنه ﷺ قال: «الولد ثمرة القلب، وإنه مجنبة ميخلة محزنة» فهو ضعيف، رواه أبو يعلى، والبيزار، قال المناوي: قال الزين العراقي، وتبعه الهيثمي: وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) الموت الذريع: أي: السريع الفاشي، لا يكاد الناس يتدافعون.

(٣) روى البخاري ٣٠١/٨ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَّا قِسْطَ لِلنَّاسِ» قال: هي رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. قال الحافظ ابن حجر ٣٠٢/٨: زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث: وليست رؤيا منام. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري ١١٣/١٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما أرى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به. قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عني الله ﷻ بها. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أرىك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس، يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا لسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم، وكفراً إلى كفرهم.

(٤) والعوفي ضعيف. قال ابن كثير ٤٩/٣: وهو غريب ضعيف.

المفسرين. وروى ابن الأنباري أن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فسُئِلَ ذلك عليه، وفيه نزل: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: إلا بلاء للناس. قال ابن الأنباري: فمن ذهب إلى أن الشجرة رجال وأهمل النبي ﷺ في منامه يصعدون على المنابر، احتج بأن الشجرة يكتن بها عن المرأة لتأنيها، وعن الجماعة لاجتماع أغصانها. قالوا: ووقعت اللعنة بهؤلاء الذين كنى عنهم بالشجرة. قال المفسرون: وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا والشجرة إلا فتنه للناس. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شجرة الرُّقُوم، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، والجمهور. وقال مقاتل: لما ذكر الله تعالى شجرة الرُّقُوم، قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوفكم بشجرة الرُّقُوم، أستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الرُّقُوم؟ فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ: إن الرُّقُوم بلسان بَرَزٍ: التمر والرُّبْد، فقال أبو جهل: يا جارية ابغينا تمراً وُرْدًا، فجاءته به، فقال لمن حوله: تَزُقُّمُوا من هذا الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾. قال ابن قتيبة: كانت فتنتهم بالرؤيا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة؟ وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة؟. وللعلماء في معنى «الملعونة» ثلاثة أقوال: أحدها: الملعونة، قاله ابن عباس. والثاني: الملعون أكلها؛ ذكره الزجاج وقال: إن لم يكن في القرآن لعننا ففيه لعن أكلها؛ قال: والعرب تقول لكل طعام مكروه وضار: ملعون؛ فاما قوله: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فالمعنى: التي ذكرت في القرآن، وهي مذكورة في قوله: ﴿إِنَّ سَكْرَتَ الرُّقُومِ طَعَامُ الْأَكْبَرِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. والثالث: أن معنى «الملعونة»: المُبْعَدَة عن منازل أهل الفضل، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أن الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر، يعني: الكُشُوث<sup>(٢)</sup>، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن الشجرة كناية عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَيَخَوْفُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: مفعول «يخوفهم» محذوف، تقديره: ونخوفهم العذاب، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: فما يزيدهم التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطغيان في [البقرة: ١٥]، وذكرنا هناك تفسير قوله: ﴿وَرَأَوْا فَلَنَا لَلْإِبْلِيسِ أَهْلًا سَجَدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَرَأَوْا فَلَنَا لَلْإِبْلِيسِ أَهْلًا سَجَدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ فَلَمَّ مَسْجُودًا لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾ قال آية بنك هذا الذي كَرَّمَتْ عَلَى كَيْفَ أَخْرَجَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْيَرِكُمْ ذَرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا [٣٥] قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَمَكَ يَنْهَضُ جَهَنَّمَ جَزْأً وَكَرَّ جَزْأً مَوْفُورًا [٣٦] وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَلَتْ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ وَلَقِيبَ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [٣٧] إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا [٣٨]

قوله تعالى: ﴿أَسْجُدْ﴾ قرأه الكوفيون: بهزتين. وقرأه الباقون: بهزلة مطوَّلة؛ وهذا استفهام إنكار، يعني به: لم أكن لأفعل.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزجاج: «طيناً» منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز، المعنى: لمن خلقته من طين. والثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين. ولفظ ﴿قَالَ آيَةُ رَبِّكَ﴾ جاء هاهنا بغير حرف عطف، لأن المعنى: قال أسجد لمن خلق طيناً، وأرايتك، وهي في معنى: أخبرني، والكاف ذكرت في المخاطبة

(١) روى البخاري ٣٠٢/٨ عن ابن عباس: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الرُّقُوم. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو الصحيح، وقره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: عني بها شجر الرُّقُوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت (الشجرة الملعونة) عطفاً بها على الرؤيا، فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن، إلا فتنه للناس، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداه من ارتد - وتبادي أهل الشرك حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسري به، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل للشجر، فكيف تنبت فيها؟!

(٢) قال الجوهري: الكُشُوث: نبت يتعلق بأغصان الشجر، من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هوَ الْكُشُوثُ فَلَا أَضَلُّ وَلَا وَرَقٌ وَلَا نَسِيمٌ وَلَا يَطْلُ وَلَا تَمَسُّرٌ

توكيداً، والجواب محذوف، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كَرَّمْتُ عليّ، لم كَرَّمْتُهُ عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟ فحذف هذا، لأن في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ لَأَسْتَوِلِيَنَّ عَلَيْكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر: «أخترني» بياء في الوصل. ووقف ابن كثير بالياء. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي بغير ياء في وصل ولا في وقف<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لأستوليئن عليهم، قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: لأضلّهم، قاله ابن زيد. والثالث: لأستأصلهم؛ يقال: اختنك الجراد ما على الأرض؛ إذا أكله؛ واختنك فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه، فالمعنى: لأفودنهم كيف شئت، هذا قول ابن قتيبة. فإن قيل: من أين علِمَ الغيب. فقد أجابنا عنه في سورة [النساء: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: هم أولياء الله الذين عصمهم. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهَؤُلَاءِ﴾ هذا اللفظ يتضمن إنظاره؛ ﴿فَمَنْ يَكَعُّ﴾، أي: تبع أمرك منهم، يعني: ذرية آدم. والموفور: الموفّر. قال ابن قتيبة: يقال: وفّرت ماله عليه، ووفّرت، بالتخفيف والتشديد.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفِرُّهُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُ﴾ قال ابن قتيبة: استخفّ، ومنه تقول: استفرّني فلان. وفي المراد بصوته قولان: أحدهما: أنه كل دأع دعا إلى معصية الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الغناء والمزامير، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَبَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: صرح «بخیلك ورجلک» واحشهم عليهم بالإغراء؛ يقال: أجلب القوم وجلبوا؛ إذا صاحوا. وقال الزجاج: المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائيد؛ فعلى هذا تكون الباء زائدة. قال ابن قتيبة: والرجل: الرجالة؛ يقال: راجلٌ ورجلٌ، مثل تاجر وتجر، وصاحب وصحب. قال ابن عباس: كل خيل تسير في معصية الله، وكلّ رجل يسير في معصية الله<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس. وروى حفص عن عاصم: ﴿يَخِيلُكَ وَرَجُلُكَ﴾ بكسر الجيم، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رزين، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أبو زيد: يقال: رجلٌ رجُلٌ للراجل، ويقال: جاءنا حافياً رجلاً. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «بخیلك ورجلک» برفع الراء وتشديد الجيم مفتوحة ويألف بعدها. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «ورجلک» بكسر الراء وتخفيف الجيم مع ألف.

قوله تعالى: ﴿وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها ما كانوا يحرمونه من أنعامهم، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: الأموال التي أصيبت من حرام، قاله مجاهد. والثالث: التي أنفقوها في معاصي الله، قاله الحسن. والرابع: ما كانوا يذبحون لألهتهم، قاله الضحاك. فأما مشاركته إياهم في الأولاد، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنهم أولاد الزنا، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر، ومجاهد، والضحاك. والثاني: المؤودة من أولادهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم، كعبد شمس، وعبد العزى، وعبد مناف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: ما مجّسوا وهودّوا ونصّروا، وصيّبوا من أولادهم غير صبغة الإسلام، قاله الحسن، وقاتدة.

قوله تعالى: ﴿وَعِدَهُمْ﴾ قد ذكرناه في قوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ...﴾ إلى آخر الآية [النساء: ١٢٠]. وهذه الآية لفظها لفظ الأمر، ومعناها التهديد، ومثلها في الكلام أن تقول للإنسان: اجهد جهدك فستري ما ينزل بك. قال الزجاج: إذا تقدم الأمر نهى عما يؤمر به، فمعناه التهديد والوعيد، تقول للرجل: لا تدخلن هذه الدار؛ فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخلها، ولكنك تُوعده وتهذّده، ومثله: ﴿اعْمَلُوا مَا تُنْتَهُمْ﴾ [تصلت: ٤٠]، وقد نُهوا أن يعملوا بالمعاصي. وقال ابن الأنباري: هذا أمر معناه التهديد، تقديره: إن فعلت هذا عاقبتك وعذبناك، فنقل إلى لفظ الأمر عن الشرط، كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

(١) أي: بغير ياء في الوصل والوقف.

(٢) في «الطبري» عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَتَيْنَبَّ عَلَيْهِمْ يَخِيلُكَ وَرَجُلُكَ﴾ قال: خيله: كل راكب في معصية الله؛ ورجله: كل راجل في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَدَايَ لَئِيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ شَاطِنٌ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُنْ يَرْبِكَ وَكِيلًا﴾ قال الزجاج: كفى به وكيلًا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿وَلَا مَسْكَمُ الْفُرُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا تَجْنَحُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَخِيفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ فَاعِلًا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ نَارًا أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ فَاعِلًا يَوْمَ يَوْمٍ﴾ ﴿يَسْمَا﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفَلَاحَ﴾ أي: يسيِّرها. قال الزجاج: يقال: زجيت الشيء، أي: قدمته. (١)

قوله تعالى: ﴿لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في طلب التجارة. وفي «من» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة. والثاني:

أنها للتبعيض. والثالث: أن المفعول محذوف، والتقدير: ليتبعوا من فضله الرزق والخير، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ هذا الخطاب خاص للمؤمنين، ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وَلَا مَسْكَمُ الْفُرُ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني: خوف العرق «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ» أي: يفضل من يدعون من الآلهة، إلا الله تعالى. ويقال: ضل بمعنى غاب، يقال: ضل الماء في اللبث: إذا غاب، والمعنى: أنكم أخلصتم الدعاء [للله]، ونسيتم الأنداد. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بالياء. ﴿فَلَا تَجْنَحُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والإخلاص «وَكَانَ الْإِنْسَانُ» يعني الكافر «كَفُورًا» بنعمة ربه. ﴿أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَخِيفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ إذا خرجتم من البحر «قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: «نَخِيفَ بَعْضُكُمْ» «أَوْ نَرْسِلُ» «أَنْ نَعِيدَكُمْ» «فَنَرْسِلُ» «فَنَغْرِقُكُمْ» بالنون في الكل. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحَمْزَةُ، والكسائي، بالياء في الكل. ومعنى «يَخِيفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ حَاصِبًا» أي: نغيبكم ونذهبكم في ناحية البر، والمعنى: إن حكمي نافذ في البر نفوذه في البحر، «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحاصب: حجارة من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه الريح العاصف تحصب، قاله أبو عبيدة، وأنشد للفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطَنِ مَشْهُورٍ (٢)

وقال ابن قتيبة: الحاصب: الريح، سميت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحصى، وهي الحصى الصغار. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الحاصب: الريح التي فيها الحصى. وإنما قال في الريح: «حَاصِبًا» ولم يقل: «حَاصِبَةً» لأنه وصف لزم الريح ولم يكن لها مذكّر تنتقل إليه في حال، فكان بمنزلة قولهم: «حائض» للمرأة، حين لم يُقَلَّ: رجل حائض. قال: وفيه جواب آخر، وهو أن نعت الريح عُرِي من علامة التأنيث، فأشبهت بذلك أسماء المذكر، كما قالوا: السماء أمطر، والأرض أنبت. والثالث: أن الحاصب: التراب الذي فيه حصباء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: مانعًا وناصرًا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ﴾ أي: في البحر «نَارًا أُخْرَى» أي: مرّة أخرى، والجمع: تارات. ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ قال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء. قال ابن قتيبة: القاصف: [الريح التي] تقصف الشجر، أي: تكسره.

قوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقُكُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر، وشيبة، ورويس: «فَتَغْرِقُكُمْ» بالتاء، وسكون الغين، وتخفيف الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأيوب: «فَيَغْرِقُكُمْ» بالياء، وفتح الغين، وتشديدها (٣). وقرأ أبو رجاء مثله، إلا أنه بالتاء، «بِمَا كَفَرْتُمْ»، أي: بكفركم حيث نجوتم في المرة الأولى، «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ فَاعِلًا يَوْمَ يَوْمٍ يَسْمَا» قال ابن

(١) كذا الأصل، «قدمته» والذي في كتب اللغة والتفسير «دفعته برفق»، وانظر ما ذكره المؤلف عند قوله تعالى: ﴿تَوَسَّاتِ يَضَعُكُمْ ثِيَابًا﴾ ٧١٥.

(٢) «ديوانه» ٢٦٢، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٨٥، و«الكامل» ٢/ ٧٧٢، و«الطبري» ١٥/ ١٢٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٢.

(٣) أي: تشديد الراء.

قتيبة: أي: من يتبع بدمائكم، أي: يطالبنا. قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ريح العذاب أربع، اثنتان في البر، واثنتان في البحر، فاللثان في البر: الصُرَصُر، والعقيم، واللثان في البحر: العاصف، والقاصف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي مَادٍ﴾ أي: فضّلناهم. قال أبو عبيدة: و«كَرَّمْنَا» أشد مبالغة من «أَكْرَمْنَا». وللمفسرين فيما فضّلوا به أحد عشر قولاً: أحدها: أنهم فضّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت، وأشباههم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضيلهم بالإيمان. والثاني: أن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال بعض المفسرين: المراد بهذا التفضيل: أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه، إذ الجن يقتاتون العظام والرث. والثالث: فضّلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. والرابع: بالنطق والتميز، قاله الضحاك. والخامس: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. والسادس: بأن جعل محمداً ﷺ منهم، قاله محمد بن كعب. والسابع: فضّلوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. والثامن: بحسن الصورة، قاله يمان. والتاسع: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير. والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي. والحادي عشر: بأن جعلت اللّٰحى للرجال، والدواب للنساء، ذكره الثعلبي. فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرّم بالنعم الوافرة. والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنْتُمْ حِزْبَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَلَّلْنَا فِي الْآبِ﴾ على أكباد رطبة، وهي: الإبل، والخيّل، والبغال، والحمير، (و) في ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على أعواد يابسة، وهي: السفن. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الْغَلِيظِ﴾ فيه قولان: أحدهما: الحلال. والثاني: المستطاب في الذوق.

قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على لفظه، وأنهم لم يفضّلوا على سائر المخلوقات. وقد ذكرنا عن ابن عباس أنهم فضّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة. وقال غيره: بل الملائكة أفضل. والثاني: أن معناه: وفضّلناهم على جميع من خلقنا. والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، كقوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرَتْهُمْ كُيُوتُكَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من الملائكة الذين عنده»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أَوَّحَىٰ كِتَابَهُ بِإِسْمِهِ فَالْأَلَمُكَ يَقْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُطْلَمُونَ فَيْسَلًا﴾ (٧١) وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَمَمٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَمَمٌ وَأَحَدٌ سَيْدًا (٧٢)

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ والمراد به: يوم القيامة. وقرأ الحسن البصري: «يوم يدعو» بالياء ﴿كُلَّ﴾ بالنصب. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم يدعى» بياء مرفوعة، وفتح العين، وي بعدها ألف، «كل» بالرفع. وفي المراد بإمامهم أربعة أقوال: أحدها: أنه رئيسهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروي عنه سعيد بن جبیر أنه قال: إمام هدى، أو إمام ضلالة. والثاني: عملهم، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو العالية. والثالث: نبئهم، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن جبیر، وقناة، ومجاهد في رواية. والرابع: كتابهم، قاله عكرمة، ومجاهد في رواية. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه كتابهم الذي فيه أعمالهم، قاله قناة، ومقاتل. والثاني: كتابهم الذي أنزل عليهم، قاله الضحاك، وابن زيد. فعلى القول الأول يقال: يا متبوعي موسى، يا متبوعي عيسى، يا متبوعي محمداً؛ ويقال: يا متبوعي رؤساء الضلالة. وعلى الثاني: يا من عمل كذا وكذا. وعلى الثالث: يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد. وعلى الرابع: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن. أو يا صاحب الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا.

(١) عزاه الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٠٠ للبيهقي في «الشعب» من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً. وأبو المهزم بتشديد الزاي المكسورة التميمي البصري، اسمه يزيد، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان، قال الحافظ في «التقريب»: متروك. ورواه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١، من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من بعض ملائكته»، وهو ضعيف، لم ينعف أبي المهزم.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَاكَ بِقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾ معناه: يقرؤون حسنايتهم، لأنهم أخذوا كتبهم بأيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْلُبُونَ قَبِيلًا﴾ أي: لا يتقصون من ثوابهم بقدر القليل، وقد بيّناه في سورة [النساء: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أُمَّةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أُمَّةٌ هِيَ فِي الْآخِرَةِ أُمَّةٌ﴾ مفتوحتي الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميمين. وقرأ أبو عمرو: ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم، فهو في الآخرة أعمى، بفتحها. وفي المشار إليها بهذه قولان: أحدهما: أنها الدنيا، قاله مجاهد. ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله في خلق الأشياء، فهو عمّا وُصف له في الآخرة أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل، قاله الحسن. والثالث: من عمي عن آيات الله في الدنيا، فهو عن الذي غيب عنه من أمور الآخرة أشدّ عمى. والرابع: من عمي عن نعم الله التي بينها في قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْصِيلًا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه، ذكرهما ابن الأنباري. والخامس: من كان فيها أعمى عن الحجة، فهو في الآخرة أعمى عن الجنة، قاله أبو بكر الوراق. والثاني: أنها النعم. ثم في الكلام قولان. أحدهما: من كان أعمى عن النعم التي تُرى وتُشاهد، فهو في الآخرة التي لم تُر أعمى، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النعم المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم يؤدّ شكرها، فهو فيما بينه وبين الله مما يتقرب به إليه أعمى ﴿وَأَسْكَلُ سَيْلًا﴾، قاله السدي. قال أبو علي الفارسي: ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أي: أشدّ عمى، لأنه كان في الدنيا يمكنه الخروج عن غمّاه بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من غمّاه. وقيل: معنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب، وهذا كله من عمى القلب. فإن قيل: لم قال: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ولم يقل: أشدّ عمى، لأن العمى خلقة بمنزلة الحُمرة، والخُرقة، والعرب تقول: ما أشدّ سواد زيد، وما أبيض زرق عمرو، ولما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمرأ؟ فالجواب: أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وذلك يتزايد ويحدث منه شيء بعد شيء، فيخاف الخلق اللّامة التي لا تزيد، نحو عمى العين، واليباض، والحمرة، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنِ الْيَمِينِ أَوْحِينَا إِلَيْكَ لِنَفْتِيَ عَلَيْكَ غِيْرًا وَإِذَا لَاغْتَذَوْكَ خَيْلًا ۖ وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾ إذا لَدَقْتَنَّاكَ ضَعْفَ الْحَبْوَةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَلَنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَّةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرّم واديننا كما حرّمت مكة، فأبى ذلك، فأقبلوا يُكثرون مسألته، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن خشيت أن يقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ [عنهم]، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا: أجلنا سنة، ثم نُسلم ونكسر أصنامنا، فهم أن يؤجلهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نكفّ عنك إلا بأن تُؤمّ بالكهنتا، ولو بأطراف أصابعك، فقال رسول الله ﷺ: «ما عليّ لو فعلت والله يعلم إنني لكاره؟» فنزلت هذه الآية. قاله سعيد بن جبير، وهذا باطل لا يجوز أن يُظنّ برسول الله ﷺ، ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن يُنظرهم سنة، وكل ذلك مُحال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه. والثالث: أن قريشاً خلّوا برسول الله ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفخّمونه، ويقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله من ذلك، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة. والرابع: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: اطرد عنك سقاط الناس، ومواليهم، وهؤلاء الذين راحتهم راحة الضأن، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، حتى نجاسك





به، فقتل صناديد المشركين بيد، وقتل من اليهود بني قريظة، وأجلى النضير. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا يَلْبَثُونَ على خلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «خُلَافُكَ» بضم الخاء، وتشديد اللام، ورفع الفاء.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفراء: نصب السُّنَّة على العذاب المُضْمِر، أي: يعذبُونَ كَسُنَّتْنَا فيمن أرسلنا. وقال الأخفش: المعنى: سَنَّا سُنَّةً. وقال الزجاج: انتصب بمعنى «لا يلبثون» وتأويله: إِنَّا سَنَّا هذه السُّنَّة فيمن أرسلنا قبلك أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه، لم يلبث العذاب أن ينزل بهم.

﴿أَفِيرَ الصَّلَاةِ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفِيرَ الصَّلَاةِ﴾ أي: أَدْنَاهَا ﴿لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: عند دُلُوكها. وذكر ابن الأنباري في «اللام» قولين: أحدهما: أنها بمعنى «في». والثاني: أنها مؤكدة، كقوله: ﴿رَوْقَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]. وقال أبو عبيدة: دُلُوكها: من عند زوالها إلى أن تغيب. وقال الزجاج: مِثْلُهَا وقت الظهيرة دُلُوك، ومِثْلُهَا للغروب دُلُوك. وقال الأزهري: معنى «الدُّلُوك» في كلام العرب: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وإذا أفلت: دالكة، لأنها في الحالين زائلة. وللمفسرين في المراد بالدُّلُوك هاهنا قولان: أحدهما: أنه زوالها نصف النهار. روى جابر بن عبد الله قال: دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس»<sup>(١)</sup>؛ وهذا قول ابن عمر، وأبي برزة، وأبي هريرة، والحسن، والأزهري. قال الأزهري: لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، فيكون المعنى: أتم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان، ثم قال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، فهذه خمس صلوات. والثاني: أنه غروبها، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والنخعي، وابن زيد، وعن ابن عباس كالقولين. قال الفراء: ورأيت العرب تذهب في الدُّلُوك إلى غيبوبة الشمس، وهذا اختيار ابن قتيبة، قال: لأن العرب تقول: دَلَّكَ النجم: إذا غاب؛ قال ذو الرمة:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهُا نُجُومٌ وَلَا بِالْأَفَلَاتِ الدُّوَالِكِ<sup>(٣)</sup>

وتقول في الشمس: دلكت بِرَّاحٍ<sup>(٤)</sup>، يريدون: غربت، والناظر قد وضع كَفَّهُ على حاجبه ينظر إليها، قال الشاعر:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفًا أَذْفَعَهَا بِالرَّاحِ كُنِي تَرْخُلَفًا<sup>(٥)</sup>

فشيئها بالمرىض [في] الدَّنَف، لأنها قد هُمَّتْ بالغروب كما قارب الدَّنَف الموت، وإنما ينظر إليها من تحت

(١) رواه الطبري: ١٣٧/١٥، عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله، ورواه أيضاً عن نُبَيْح العَنَزِي عن جابر بن عبد الله، ونبيح العَنَزِي: مجهول.

(٢) رواه ابن جرير ١٣٤/١٥، والحاكم ٣٦٣/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٥١/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٩٥/٤ وزاد نسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، من طرق عن ابن مسعود.

(٣) «ديوان» ٥١١ طبع المكتب الإسلامي، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠، و«البحر المحيط» ٦٨/٦، و«اللسان»، و«التاج»: ذلك. مصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها، والأفلات: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، والدوالك: يقال: دلكت الشمس: إذا غابت أو دنت للمنيب.

(٤) براح، بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء، فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

(٥) البيت للمعراج، «ديوانه» ٨٢، و«تهذيب الألفاظ» ٣٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٨٨/١، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«الطبري» ١٣٧/١٥، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠، و«الجمهرة» ٢١٨/٢، وفي «اللسان»: زحلف. يقال للشمس إذا مالت للمنيب، وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد تزحلت.

الكف ليعلم كم بقي لها إلى أن تغيب، ويتوقى الشعاع بكفه. فعلى هذا، المراد بهذه الصلاة: المغرب. فأما غسق الليل، فظلامه. وفي المراد بالصلاة المتعلقة بغسق الليل ثلاثة أقوال: أحدها: العشاء، قاله ابن مسعود. والثاني: المغرب، قاله ابن عباس. قال القاضي أبو يعلى: فيحتمل أن يكون المراد بيان وقت المغرب، أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل. والثالث: المغرب والعشاء، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ المعنى: وأقم قراءة الفجر. قال المفسرون: المراد به: صلاة الفجر. قال الزجاج: وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حين سميت الصلاة قرآناً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تشهد ملائكة الليل، وملائكة النهار»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَاجِدْ﴾ قال ابن عباس: فَصَلِّ بالقرآن. قال مجاهد، وعلقمة، والأسود: التهجد بعد النوم. قال ابن قتيبة: تهجدت: سهرت، وهجدت: نمت. وقال ابن الأنباري: التهجد هاهنا بمعنى: التيقظ والسهر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد؛ يقال للنائم: هاجد ومتهجد، وكذلك للساهر، قال النابغة:

وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَسْمَاطِ رَاهِبٍ      عَبَدَ إِلَـهَ صَرُورَةٍ مُتَهَجِّدٍ  
لَرَبْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَلِيلِهَا      وَلَحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ<sup>(٢)</sup>

يعني بالمتهجد: الساهر، وقال ليبد:

قَالَ هَجْدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّوْرُ      [وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَّا الدَّهْرَ غَفْلًا]<sup>(٣)</sup>  
أي: نؤمنا. وقال الأزهري: المتهجد: القائم إلى الصلاة من النوم. وقيل له: متهجد، لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تَحْرُجُ وتَأْتُمُّ.

قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصل. وفي معنى هذه الزيادة في حقه قولان: أحدهما: أنها زائدة فيما فُرض عليه، فيكون المعنى: فريضة عليك، وكان قد فرض عليه قيام الليل، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنها زائدة على الفرض، وليست فرضاً؛ فالمعنى: تطوعاً وفضيلة. قال أبو أمامة، والحسن، ومجاهد: إنما النافلة للنبي ﷺ خاصة. قال مجاهد: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما زاد على فرضه فهو نافلة له وفضيلة، وهو لغيره كفارة<sup>(٤)</sup>. وذكر بعض أهل العلم؛ أن صلاة الليل كانت فرضاً عليه في الابتداء، ثم رُخِّصَ له في تركها، فصارت نافلة. وذكر ابن الأنباري في هذا قولين: أحدهما: يقارب ما قاله مجاهد، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا تنفّل لا يقدر له أن يكون بذلك ماحياً للذنوب، لأنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وغيره إذا تنفّل كان راجياً، ومقدراً محو السيئات عنه بالتنفل، فالنافلة لرسول الله ﷺ زيادة على الحاجة، وهي لغيره

(١) «المسند» ١٣/٢٣٨، وابن ماجه ١/٢٢٠، والنسائي ١/٢٤١، «الترمذي» ٢/١٤١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٢/١٧٢، «البخاري» ٨/٣٠٢، و«مسلم» ١/٤٥٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة» قال: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» قال أبو هريرة: اتروا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

(٢) البيهقي في «ديوانه» ٣١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/١٨٦، و«أضداد ابن الأنباري» ٥٢. والاشتراط: الذي دب في رأسه الشيب، والضرورة: الذي لم يَنْبَ مطلقاً، أو الذي لم يتزوج.

(٣) «ديوانه» ١٨٢، و«الاقتضاب» ١٨٤، و«الخزانة» ٢/٢٨، و«أضداد ابن الأنباري» ٥١، و«أضداد ابن السكيت» ١٩٤، و«أضداد الحلبي» ٦٧٩، و«اللسان»: هجد، وسرى، وصلة البيت قبله:

وَسَجُودٌ مِنْ سَبَابَاتِ الْكَرَى      عاطف النمرق صَدَّقَ الْمُبْتَذَلُ  
والمجود: الذي يجهد من الناس وغيره، وقوله: عاطف النمرق؛ يريد عطف نمرقه وثناها فنام، وصدق المبتذل، أي: جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط. قال ابن السدي في شرح البيتين: وصف نفسه بالجد في السفر، وكثرة السهر حتى يتأذى رقيقه بذلك، فيقول له: خلنا ننام ونستريح... قد قدرنا على ما نريد، ووصلنا إلى ما نحب، إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمرنا، فلم نجهد أنفسنا بطول السرى، ونمنع أعيننا للذي الكرى؟

(٤) «المسند» ٣/٢٩١، «الترمذي» ٢/١٤٢ وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٥٨/٣، وأقر تصحيح الترمذي إياه، وصححه أيضاً الشيخ أحمد شاكر. وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان الجني، ليه الحافظ في «التقريب».

مفتقر إليها، ومأمول بها دفع المكروه. والثاني: أن النافلة للنبي ﷺ وأمه، والمعنى: ومن الليل فتعبدوا به بافلة لكم، فخطوب النبي ﷺ بخطاب أمته.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ «عسى» من الله واجبة، ومعنى «يبعثك» يقيمك ﴿مَقَامًا تَحْمَدُوكَ﴾ وهو الذي يحمده لأجله جميع أهل الموقف. وفيه قولان: أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة. روى أبو وائل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية، وقال: يُقْعَدُ عَلَى الْعَرْشِ، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَئَىٰ آدْنٰمُ مَدْخَلَٰ صِدْقٍ﴾ وقرأ الحسن، وعكرمة، والضحاك، وحميد بن قيس، وقتادة، وابن أبي عتبة بفتح الميم في «مَدْخَل» و«مُخْرَج». قال الزجاج: المدخل، بضم الميم: مصدر أدخلته مُدْخَلًا، ومن قال: مَدْخَلٌ صِدْقٌ، فهو على أدخلته، فدخل مَدْخَلٌ صِدْقٌ، وكذلك شرح «مُخْرَج» مثله. وللمفسرين في المراد بهذا المدخل والمُخْرَج أحد عشر قولاً: أحدها: أدخلني المدينة مَدْخَلٌ صِدْقٌ، وأخرجني من مكة مخرج صِدْقٌ. روى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الحسن في رواية سعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أدخلني القبر مَدْخَلٌ صِدْقٌ، وأخرجني منه مُخْرَجٌ صِدْقٌ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أدخلني المدينة، وأخرجني إلى مكة، يعني: لفتحها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أدخلني مكة مَدْخَلٌ صِدْقٌ، وأخرجني منها مخرج صِدْقٌ، فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليها يوم الفتح، قاله الضحاك. والخامس: أدخلني مَدْخَلٌ صِدْقٍ الْجَنَّةِ، وأخرجني مخرج صِدْقٍ من مكة إلى المدينة، رواه قتادة عن الحسن. والسادس: أدخلني في النبوة والرسالة، وأخرجني منها مخرج صِدْقٌ، قاله مجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليّ فيها. والسابع: أدخلني في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح؛ يعني: من أداء ما وجب عليّ فيه إذا جاء الموت. والثامن: أدخلني في طاعتك، وأخرجني منها، أي: سالماً غير مقصّر في أدائها، قاله عطاء. والتاسع: أدخلني الفار، وأخرجني منه، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: أدخلني في الدين، وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج. والحادي عشر: أدخلني مكة، وأخرجني إلى حُتَيْنَ، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وأما إضافة الصِدْقِ إلى المَدْخَلِ والمُخْرَجِ، فهو مدح لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سورة يونس: ٢٢.

قوله تعالى: ﴿وَلَعَمْرُكَ إِنَّ مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿سُلْطٰنًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التسلط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، قاله الحسن. والثاني: أنه الحجة البينة، قاله مجاهد. والثالث: المُلْكُ العزيز الذي يَهْرَبُ به العصاة، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: وقوله: ﴿نَمِيرًا﴾ يجوز أن يكون بمعنى مُنْصَرًّا، ويصلح أن يكون تأويله ناصراً.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: الإسلام، والباطل: الشرك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الحق: القرآن، والباطل: الشيطان، قاله قتادة. والثالث: أن الحق: الجهاد، والباطل: الشرك، قاله ابن جريج. والرابع: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام، قاله مقاتل. ومعنى «زَهَقَ»: بَطَلَ واضمحَلَّ. وكلُّ شيء هلك وبَطَلَ فقد زَهَقَ. وَزَهَقَتْ نَفْسُهُ: تَلَفَتْ. وروى ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ

(١) في «صحيح البخاري» عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جنًّا، كل أمة تتبع نبيها، تقول يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فلذلك يوم يبعث الله المقام المحمود. قال الحافظ ابن حجر في «تفريخ أحاديث الكشاف»: وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن مسعود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطولاً، وعن كعب بن مالك عند الحاكم، وأصله عند مسلم، وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله عن الزهري عن علي بن الحسين، وعن أبي سعيد عند الترمذي وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مردويه.

دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»<sup>(١)</sup>.  
فإن قيل: كيف قلتم: إن «زهق» بمعنى يَظَلُّ، والباطل موجود معمول عليه عند أهله؟ فالجواب: أن المراد من بطلانه وهلكته: وضوح عيبه، فيكون هالكاً عند المتدبر الناظر.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْضِي الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٧)

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ «من» هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء. وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى. والثاني: شفاء من السقم، لما فيه من البركة. والثالث: شفاء من البيان للفرافض والأحكام. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: النعمة. والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضِي الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فيزيد خسارهم.

﴿وَإِذَا أَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَرْضَ نَفَا يَحْيِيهِ وَلِنَّا سَهُ أَثَرُ كَانَ يَتُوسَّ﴾ (٨٨) قُلْ كُلُّ مِمَّا عَلَى شَاكِكِيهِ مَرِيضٌ أَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٩)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ قال ابن عباس: الإنسان هاهنا: الكافر، والمراد به الوليد بن المغيرة. قال المفسرون: وهذا الإنعام: سعة الرزق، وكشف البلاء. ﴿وَنَفَا يَحْيِيهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «ونأى» على وزن «نعمي» يفتح النون والهمزة. وقرأ ابن عامر: «نأ» مثل «باع». وقرأ الكسائي، وخلف عن سليم عن حمزة: «ونأ» بإمالة النون والهمزة. وروى خلاد عن سليم: «نفي» يفتح النون، وكسر الهمزة؛ والمعنى: تباعد عن القيام بحقوق النعم، وقيل: تعظم وتكبر. ﴿وَلِنَّا سَهُ أَثَرُ﴾ أي: نزل به البلاء والفقر ﴿كَانَ يَتُوسَّ﴾. أي: قنوطاً شديد اليأس، لا يرجو فضل الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مِمَّا عَلَى شَاكِكِيهِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: على ناحيته، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. قال الفراء: الشاكلة: الناحية، والجديلة، والطريقة، سمعت بعض العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عبيدة: على ناحيته وخليقتة. وقال ابن قتيبة: على خليقتة وطبيعته، وهو من الشكل. يقال: لست على شكلي، ولا شاكلي. وقال الزجاج: على طريقتة، وعلى مذهبه. والثاني: على نيته؛ قاله الحسن، ومعاوية بن قرة. وقال الليث: الشاكلة من الأمور: ما وافق فاعله. والثالث: على دينه، قاله ابن زيد. وتحرير المعنى أن كل واحد يعمل على طريقتة التي تشاكل أخلاقه، فالكافر يعمل ما يشبه طريقتة من الإعراض عند النعم واليأس عند الشدة، والمؤمن يعمل ما يشبه طريقتة من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والله يجازي الفريقين. وذكر أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٥]. وليس بشيء.

﴿وَسْئَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْوَيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٩٠)

قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ مرّ بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح؟ فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن

(١) البخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ١٤٠٨/٣، والترمذي ١٤٢/٢ من طرق عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود...

(٢) «المسند» ٢٥٤/٥، والبخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ٢١٥٢/٤، والترمذي ١٤٢/٢، وانظر ابن كثير ٦٠/٣ في الكلام على سبب نزول هذه الآية. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن حبان وصححه عن ابن عباس ﷺ قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقال: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿وَسْئَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْوَيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٩٠) قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا العزاة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ نُوَكِّلُ الْكَلِمَ مَكَا لِكَيْتَ تَرَى تَوَيْدَ الْكَلِمَ تَرَى أَنَّ تَنْتَ كَلِمَتَ رَبِّكَ وَتَرَى جَنَّا يَنْتَهِ مَكَا﴾ (٩١).

ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فتية فُقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وفي المراد بالروح هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الروح الذي يحيا به البدن، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النفس، أم هما شيان فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة؟ فأما السلف، فإنهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حي، علموا أن السكوت عما لم يُحَظَّ بحقيقة علمه أولى. والثاني: أن المراد بهذا الروح: ملك من الملائكة على خلقه هائلة، روي عن عليّ عليه السلام، وابن عباس، ومقاتل. والثالث: أن الروح: خلق من خلق الله ﷻ صوّروهم على صُور بني آدم، رواه مجاهد عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أنه القرآن، روي عن الحسن أيضاً. والسادس: أنه عيسى ابن مريم، حكاه الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن، فغالب ظني أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم. وقوله: ﴿وَمِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من علمه الذي منع أن يعرفه أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ أَلَيْهِ إِلَّا نَذِيرًا﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم جميع الخلق، علمهم قليل بالإضافة إلى علم الله عز وجل، ذكره الماوردي. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فالجواب: أن ما أوتيته الناس من العلم، وإن كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى علم الله قليل.

﴿وَلَيْنِ شَيْئًا لَنَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ شَيْئًا لَنَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو شئنا لمحوناه من القلوب والكتب، حتى لا يوجد له أثر، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: لا تجد من يتوكل [علينا] في رد شيء منه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الله رحمتك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. وقال ابن الأنباري: المعنى: لكن رحمة من ربك تمنع من أن تُسَلَبَ القرآن، وكان المشركون قد خاطبوا نساءهم من المسلمين في الرجوع إلى دين آبائهم، فهذّهم الله ﷻ بسلب النعمة، فكان ظاهر الخطاب للرسول، ومعنى التهديد للامة. وقال أبو سليمان: ﴿ثم لا تجد لك به﴾ أي: بما نفعله بك، من إذهاب ما عندك «وكيلاً» يدفعنا عما نريد به بك. وروي [عن] عبد الله بن مسعود أنه قال: يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فيجيء جبريل من جوف الليل، فيذهب به من صدورهم ومن بيوتهم، فيصبحون لا يقرؤون آية، ولا يحسنونها<sup>(١)</sup>. ورد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً»<sup>(٢)</sup>، وحديث ابن مسعود مروي من طريق جسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٣/١٣ من رواية الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: «وليزعن القرآن من بين أظهركم، يسرى عليه ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء»، وقال الحافظ: وسنده صحيح، لكنه موقوف.

(٢) البخاري ١٧٤/١، ومسلم ٢٠٥٨/٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ولفظه في البخاري: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

(٣) روى ابن ماجه رقم (٤٠٤٩) بسند قوي عن حذيفة عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فيدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والمجنون، يقولون: أدركنا أبائنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» فنحن نقولها»، فقال له صلة: ما تنفي عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم ردما عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أجبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً. قال في «الزوائد»: إسناده صحيح.

﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ قال المفسرون: هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال: «لو شئنا قلنا مثل هذا». والميثل الذي طُلبَ منهم: كلام له نظم كنظم القرآن، في أعلى طبقات البلاغة. والظهير: المعين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كَعُورًا ٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءًا ٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَنَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا فَنَفْجِرُ الْأَنْهَارَ جَلَلًا تَفْجِيرًا ٩١ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زُعمَت عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ سَوِيلًا ٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُوكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقَرُّوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُكُمْ ٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الإسراء: ٤١]، والمعنى: من كل مثل من الأمثال التي يكون بها الاعتبار ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِلَّا كَعُورًا﴾ أي: جحوداً للحق وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءًا ٩٠﴾ سبب نزول هذه الآية وما يتبعها، أن رؤساء قريش، كعتبة، وشيبة، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث في آخرين، اجتمعوا عند الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعدوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعتدوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك، فجاهدناهم سريعاً، وكان حريصاً على رشدكم، فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب مالاً، جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا، سؤدناك علينا، وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك قد غلب عليك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى تُبرئك منه، أو نُعتدّ فيك. فقال رسول الله ﷺ: «إن تقبلوا مِنِّي [ما جئتكم به]، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه<sup>(١)</sup> عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم». قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل مِنّا ما عرضنا، فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلاداً ولا أشدّ عيشاً مثلاً، سل لنا ريك يُسير لنا هذه الجبال التي ضيّقت علينا، ويُجري لنا أنهاراً، ويبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحق هو؟ فإن فعلت صدقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت، وقد أبغلتكم ما أرسلتُ به؟» قالوا: قَسَلُ رَبِّكَ أَنْ يبعثَ مَلَكًا يصدّقك، وسله أن يجعل لك جناناً، وكنوزاً، وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك؛ قال: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا؟» قالوا: فأسقط<sup>(٢)</sup> السماء [علينا] كما زعمت بأن ربك إن شاء فعل؛ فقال: «ذلك إلى الله ﷻ»، فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلاً، وقال عبد الله بن أبي أمية: لا أؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، وترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك، فانصرف رسول الله ﷺ حزينا لما رأى من مباحدهم إياه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...﴾ الآيات، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْفَجِرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «حتى تُفَجِّرَ» بضم التاء، وفتح الفاء، وتشديد الجيم مع الكسرة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «حتى تُفَجِّرَ» بفتح التاء، وتسكين الفاء، وضم الجيم مع التخفيف. فمن ثقل، أراد كثرة الانفجار من البينوع، ومن خفف، فلأن البينوع واحد. فأما البينوع: فهو عين ينوع الماء منها؛ قال أبو عبيدة: هو يقول، من نبع الماء، أي: ظهر وفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي: بستان ﴿فَنَفْجِرُ الْأَنْهَارَ﴾ أي: تفتتحها وتجريها ﴿جَلَلًا﴾ أي: وسط تلك الجنة. قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زُعمَت عَلَيْنَا﴾ وقرأ مجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وحמיד، والجحدري: «أو تَسْقُطُ» بفتح التاء، ورفع القاف «السَّاءُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿كِسْفًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «كِسْفًا» بتسكين السين في جميع القرآن إلا

(١) في الأصل: تردوا. (٢) في الأصل: فنسقط، والتصحيح من «الطبري»، و«ابن كثير»، و«الدر».



في [الروم: ٤٨] فَإِنَّهُمْ حَرَكُوا السِّينَ. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين، وفي باقي القرآن بالتسكين. وقرأ ابن عامر هاهنا بفتح السين، وفي باقي القرآن بتسكينها. قال الزجاج: من قرأ «كسفاً» بفتح السين، جعلها جمع كسفة، وهي: القطعة، ومن قرأ «كسفاً» بتسكين السين، فكانهم قالوا: أسقطها طبقاً علينا؛ واشتقاقه من كسفت الشيء: إذا غطيته، يعنون: أسقطها عليها قطعة واحدة. وقال ابن الأنباري: من سَكَن قال: تأويله: سترأ وتغطية، من قولهم: قد انكسفت الشمس: إذا غطاها ما يحول بين الناظرين إليها وبين أنوارها.

قوله تعالى: ﴿أَزَّ تَأْتَىٰ بِاللهِ وَالْمَلَكِ قَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: عياناً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن جريج، ومقاتل. وقال أبو عبيدة: معناه. مقابلة، أي: معاينة، وأنشد للأعشى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبْؤُوا بِمِثْلِهَا      كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا<sup>(١)</sup>

أي: قابليتها. ويروى: وجهتها [يعني بدل: يسرتها]. والثاني: كفيلاً أنك رسول الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، قال: القبيل، والكفيل، والزعيم، سواء؛ تقول: قبلت، وكفلت وزعمت. والثالث: قبيلة قبيلة، كل قبيلة على جذتها، قاله الحسن، ومجاهد. فأما الزخرف، فالمراد به الذهب، وقد شرحنا أصل هذه الكلمة في [يونس: ٢٤]، و«ترقى»: بمعنى «تصعد»؛ يقال: رَقِيتُ أَرَقِي رُقِيًا.

قوله تعالى: ﴿حَقُّ نَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ قال ابن عباس: كتاباً من رب العالمين إلى فلان يصبح عند كل واحد منا يقرؤه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «قل». وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قال»، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والشام، ﴿قُلْ كُنْتُ إِلَّا بِنَرْ رَسُولًا﴾، أي: أن هذه الأشياء ليست في قوى بشر. فإن قيل: لِمَ اقتصَر على حكاية «قالوا» من غير إيضاح الرد؟ فالجواب: أنه لما خصهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِيِنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ فلم يكن في وسعهم، عجزهم، فكانه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدل على نبوتي، ومن ذلك التحدي بمثل هذا القرآن، فأما عَتَمْتُمْ فليس في وسعي، ولأنهم ألحوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أن يسأل ربه، فرد قولهم بكونه بشراً، فكفى ذلك في الرد.

﴿وَمَا مَعَ أَنَاسٍ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنْذِرُونَ﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٢٤﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِمَا يَفْعَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ أَنَاسٍ أَن يُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: وما منعهم من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو البيان والإرشاد في القرآن ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ [أي: إلا] قولهم في التعجب والإنكار: ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنْذِرُونَ﴾؟ وفي الآية اختصار، تقديره: هلا بعث الله ملكاً رسولاً، فأجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي: مستوطنين الأرض. ومعنى الطمأنينة: السكون؛ والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ قد فسرناه في [الرعد: ٤٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ بِمَا يَفْعَلُونَ خَبِيرًا بِصِيرًا﴾ قال مقاتل: حين اختص الله محمداً بالرسالة.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَبَدْحٍ وَمَنْ يَشَأْ فَلَنْ يَكْفُرَهُ﴾ قُلْ لَمْ أَقُلْ بِدِينِهِ وَلَوْ كُنْتُ مُدْرِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ دِينِهِمْ عَنِ رَبِّكَ وَمَنْ أَتَابَهُمْ جَهَنَّمَ كَعَمَلٍ خَيْرٍ يَدْعُوهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوْدَا كُنَّا عَظَمَاءَ وَرَبُّنَا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفَرًا ﴿٢٨﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْتَكْمَلْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسُ قُتُورًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَبَدْحٍ وَمَنْ يَشَأْ فَلَنْ يَكْفُرَهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو بالياء في الوصل، وحذفها في الوقف. وأثبتها

(١) «الطبري» ١٥/١٦٢. وهو في ملحق «ديوان الأعشى» ٢٥٦ برواية «شواهد الكشاف» ٢٤٧، «واللسان»: قبل. وعجز البيت في «الإصلاح» ١٦٠، «فتح الباري» ٨/٢٩٨.

يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحاليتين. «من يهد الله» قال ابن عباس: من يرد الله هداً ﴿فَهُوَ أَلْمُهَتَدِ وَنَّ يُضِلُّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَةً يَنْ دُونَهُ﴾ يهدونهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يمشيهم على وجوههم، وشاهده ما روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجله في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: ونحشرهم مسحوبين على وجوههم، قاله ابن عباس. والثالث: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبر بقوله: «على وجوههم» عن الإسراع، كما تقول العرب: قد مرَّ القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصَمًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: عمياً لا يرون شيئاً يَسْرُهُمْ، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون شيئاً يَسْرُهُمْ، قاله ابن عباس. وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أوليائه، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن هذا الحشر في بعض أحوال القيامة بعد الحشر الأول. قال مقاتل: هذا يكون حين يقال لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيصرون عمياً بكماً صماً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابن عباس: أي: سكنت. قال المفسرون: وذلك أنها تأكلهم، فإذا لم يبق منهم شيئاً وصاروا فحماً ولم تجد شيئاً تأكله، سكنت، فيعادون خلقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابن قتيبة: يقال: خبت النار: إذا سكن لهبها. فاللهب يسكن، والجمر يعمل، فإن سكن اللهب، ولم يطقأ الجمر، قيل: خمدت تَحْمُدُ خُمُوداً، فإن طُففت ولم يبق منها شيء، قيل: همدت تَهْمُدُ هُمُوداً. ومعنى ﴿وَدَنَّهُمْ سَوِيرًا﴾: ناراً تسعر، أي: تلهب. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الإسراء: ٤٩] إلى قوله: ﴿قَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: على أن يخلقهم مرة ثانية، وأراد به «مثلهم» إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له، فجاز أن يعبر به عن نفس الشيء، يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي: أنت، ومثله قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ يعني: أجل البعث ﴿فَأَيُّ الظَّالِمِينَ إِلَّا كُفْرًا﴾ أي: جحوداً بذلك الأجل.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ قال الزجاج: المعنى: لو تملكون أنتم، قال المتلمس:

وَلَوْ غَيْرُ أَخَوَالِي أَزَادُوا نَقِصَتِي  
نَصَبْتُ لَهُمْ قَوْقُ الْعِرَانِينَ مِيسَمًا<sup>(٢)</sup>

المعنى: لو أراد غير أخوالي. وفي هذه الخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأرزاق. والثاني: خزائن النعم، فيخرج في الرحمة قولان: أحدهما: الرزق. والثاني: النعمة. وتحريير الكلام: لو ملكتم ما يملكه الله ﷻ لأمسكنكم عن الإنفاق خشية الفاقة. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: الكافر ﴿كَنُورًا﴾ أي: بخيلاً مُنْسِكًا؛ يقال: قَتَرٌ يَقْتَرُ، وَقَتَرٌ يَقْتَرُ: إذا قَصُرَ في الإنفاق. وقال الماوردي: لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى، لأمرين: أحدهما: أنه لا بد أن يُمسِكَ منه لنفسه ومنفعته. والثاني: أنه يخاف الفقر، والله تعالى منزه في جوده عن الحالين. ثم إن الله تعالى ذكر إنكار فرعون آيات موسى، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ شِعْرَ الْكَاسِ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى المعجزات والدلالات، ثم اتفق جمهور المفسرين على سبع آيات منها، وهي: يده، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واختفوا في الآيتين الأخريتين على ثمانية أقوال. أحدها: أنهما لسانه والبحر الذي فلق له، رواه العوفي عن ابن عباس؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عقدة فحلها الله تعالى له. والثاني: البحر والجبل الذي ثقب فوقهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: السُّنُونُ ونقص الثمرات، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، وقتادة. وقال الحسن: السُّنُونُ ونقص الثمرات آية واحدة. والرابع: البحر والموت أرسل عليهم، قاله الحسن، ووهب. والخامس: الحَجَرُ والبحر، قاله سعيد بن جبير. والسادس: لسانه وإلقاء العصا مرتين عند فرعون، قاله الضحاك. والسابع: البحر والسُّنُونُ، قاله محمد بن كعب. والثامن: ذكره [محمد بن إسحاق عن] محمد بن كعب أيضاً،

فذكر السبع الآيات الأولى، إلا أنه جعل مكان يده البحر، وزاد الطمسة والحجر، يعني قوله: ﴿أَلَيْسَ عَلَىٰ أُنُورِهِمْ﴾ [يونس: ٤٨٨]. والثاني: أنها آيات الكتاب، روى أبو داود السجستاني من حديث صفوان بن عسال، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر لا تقل: إنه نبي، فإنه لو سمع ذلك، صارت له أربعة أعين؛ فأتياه، فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال: «لا تشاركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشوا بالبريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تقربوا من الرُّحف، وعليكم خاصة يهود ألا تغدوا في السبت»، قال: فقبَّلَا يده، وقالوا: نشهد أنك نبي<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَشْعَ مَائِينَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكُونُ مَسْحُورًا ﴿١٦٠﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَتَىٰ هَذِهِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنِ مَسْحُورًا ﴿١٦١﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِظَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَضَهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٦٢﴾ وَقَفَا مِنْ بَيْنِهِمَا لَبِئْسَ بِإِسْرَءِيلَ أَشْكِرَ الْأَرْضَ إِذَا جَاءَهُ وَكَذَّ الْأَخْيَرُ جَنَّا يَكُرُ لَيْفًا ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَقِّ لِّهِنَّ إِبْرَءِيلَ﴾ قرأ الجمهور: «فاسأل» على معنى الأمر لرسول الله ﷺ. وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر [به] عنهم، ليكون حجة على من لم يؤمن منهم. وقرأ ابن عباس: «فَسَأَلَ بني إسرائيل»، [على معنى] الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأحسبك ﴿يَكُونُ مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: مخدوعاً، قاله ابن عباس. والثاني: مسحوراً قد سُحِرَتْ، قاله ابن السائب. والثالث: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، هذا مروى عن الفراء، وأبي عبيدة. فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ علي ﷺ بضمها، وقال: والله ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس، فاحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَعَهُدُوا بِهَا وَأَنبَيَيْنَاهُم أَنفُسَهُم﴾ [النمل: ١٤]. واختار الكسائي وثعلب قراءة علي ﷺ وقد رويت عن ابن عباس، وأبي رزين، وسعيد بن جبير، وابن يعمر. واحتج من نصرها بأنه لما نسب موسى إلى أنه مسحور، أعلمه بصحة عقله بقوله: «لقد علمت»، والقراءة الأولى أصح، لاختيار الجمهور، ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يرد عليه إلا بالتعلل والمدافعة، فكأنه قال: لقد علمت بالدليل والحجة ما أنزل هؤلاء، يعني الآيات. وقد شرحنا معنى «البصائر» في [الأعراف: ٢٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوى بينهما بعضهم، فجعل الأول بمعنى العلم أيضاً. وفي المتيور ستة أقوال: أحدها: أنه الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الناقص العقل، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. والرابع: المهلك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: بُر الرجل، فهو مشبور: إذا هلك. والخامس: الهالك، قاله مجاهد. والسادس: الممنوع من الخير؛ تقول العرب: ما بُرِكَ عن هذا، أي: ما منعك، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِظَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: فرعون أراد أن يستفز بني إسرائيل من أرض مصر. وفي معنى «يستفزهم» قولان: أحدهما: يستأصلهم، قاله ابن عباس. والثاني: يستخفهم حتى يخرجوا، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنجيه. قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرته رسول الله ﷺ، لأنه لما خرج موسى فطلبه فرعون، هلك فرعون وملك موسى، وكذلك أظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

(١) كذا ذكر المؤلف الحديث من رواية أبي داود السجستاني عن صفوان بن عسال، ولم نره في «سنن أبي داود» عن صفوان، بل هو في «مسند أحمد» ٢٣٩/٤، و«سنن الترمذي» ٩٨/٢، والنسائي، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥). ولفظه في الترمذي: فقبَّلُوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما منعكم أن تتبعوني؟» قالوا: إن داود ﷺ دعا ربه أن لا يزال من ذرية نبي، وإننا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود. وقال الترمذي في آخره: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٦٧/٣: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة - أحد الرواة - في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعرش الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. اهـ. وأما الذي في «سنن أبي داود» فهو من حديث ابن عمر في قصة رقم (٢٦٤٧): فدوننا - يعني من النبي ﷺ - فقبلنا يده، وجاء مختصراً برقم (٥٢٣٣)، وهو في «سنن أبي داود» أيضاً رقم (٥٢٢٥) من حديث زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلتنا فتقبل يد النبي ﷺ ورجله... الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا بَلَاءُ﴾ أي: من بعد هلاك فرعون ﴿لِيَجْزِيَكَ أَتْلُفَ﴾، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: فلسطين والأردن، قاله ابن عباس. والثاني: أرض وراء الصين، قاله مقاتل. والثالث: أرض مصر والشام. قوله تعالى: ﴿هَذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿جِئْنَا بِكَ لَيْسًا﴾ أي: جيعاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن قتيبة. وقال الفراء: لفيماً، أي: من هاهنا ومن هاهنا. وقال الزجاج: اللفيف: الجماعات من قبائل شتى. ﴿وَيُلْقِي أَرْزُلَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَرَأَى نَارَ كَرْفَتِهِ لِبَرْقٍ عَلَى الْأَنْبَاسِ عَلَى مَكِّيٍّ وَزَلَّكَ نَزِيرًا﴾ ﴿فَلَمْ يَأْمُرْهُ أَوْ لَا تَأْمُرْهُ إِلَّا الَّذِينَ أَوْفُوا الْوَعْدَ مِنْ قَبْلِهِ إِنْ يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ يُخَوِّنُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيُخَوِّنُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونَتِ زُرُبُذُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُلْقِي أَرْزُلَهُ﴾ الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والذين المستقيم، فهو حق، ونزوله حق، وما تضمنه حق. وقال أبو سليمان الدمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى نَارَ كَرْفَتِهِ﴾ قرأ علي عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس: وأبو رزين، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والأعرج، وأبو رجاء، وابن محيصن: «فرقناه» بالتشديد. وقرأ الجمهور بالتخفيف. فأما قراءة التخفيف، ففي معناها ثلاثة أقوال: أحدها: بيتاً حلاله وحرامه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: فرقنا فيه بين الحق والباطل، [قاله الحسن]. والثالث: أحكمناه وفصلناه، كقوله تعالى: ﴿بَيْنَمَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، قاله الفراء. وأما المشددة، فمعناها: أنه أنزل متفرقاً، ولم ينزل جملة واحدة. وقد بينا في أول كتابنا هذا مقدار المدة التي نزل فيها.

قوله تعالى: ﴿لِبَرْقٍ عَلَى الْأَنْبَاسِ عَلَى مَكِّيٍّ﴾ قرأ أنس، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وأبان عن عاصم، وابن محيصن: بفتح الميم، والمعنى: على ثودة وترسل ليتدبروا معناه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْمُرْهُ أَوْ لَا تَأْمُرْهُ﴾ هذا تهديد لكفار [أهل] مكة، والهاء كناية عن القرآن. ﴿الَّذِينَ أَوْفُوا الْوَعْدَ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس من أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم الأنبياء عليه السلام، قاله ابن زيد. والثالث: طلاب الدين، كآبي ذر، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، قاله الواحدي. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والمعنى: من قبل نزوله. والثاني: ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن زيد. فعلى الأولى ﴿إِنْ يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن. وعلى قول ابن زيد ﴿إِنْ يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ﴾ ما أنزل إليهم من عند الله.

قوله تعالى: ﴿يُخَوِّنُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ اللام هاهنا بمعنى «على». قال ابن عباس: قوله «للأذقان» للوجوه. قال الزجاج: الذي يَجْرُ وهو قائم، إنما يَجْرُ لوجهه، والذقن: مُجْتَمِعُ اللَّحْيَيْنِ، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يَجْرُ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقن. وقال ابن الأنباري: أول ما يلقى الأرض من الذي يَجْرُ قبل أن يصوب وجهه ذقنه، فلذلك قال: «للأذقان». ويجوز أن يكون المعنى: يَجْرُونَ للوجوه، فاكتمى بالذقن من الوجه كما يكتمى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ نَزَّهوا الله تعالى عن تكذيب المكذبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم، واللام دخلت للتوكيد. وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعث نبياً من العرب، ومُنَزِّل عليه كتاباً، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد، ﴿وَيُخَوِّنُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كَرَّرَ القول ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿وَيُزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يزيدهم القرآن تواضعاً. وكان عبد الأعلى التيمي يقول: من أوتي من العلم ما لا يُكْبِيه، لخليق أن لا يكون أوتي علماً يفضيه، لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: «إِنَّ الَّذِينَ أَوْفُوا الْعَهْدَ...» إلى قوله: «يَكُونُونَ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا إِلَى مَا نَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاةٍ وَلَا تَخَافُ يَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ لَكُمْ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وِثْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَكَرَّةً تَكْبَرًا﴾ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا إِلَى مَا نَدْعُوا﴾ الآية. هذه الآية نزلت على سببين. نزل أولها إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن، يا رحيم»، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً، فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله، والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة، يعنون: مسيلة، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان يكتب في أول ما أوحى إليه: باسمك اللهم، حتى نزل: ﴿إِنَّكَ مِنْ شُعْبَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، قاله ميمون بن مهران. والثالث: أن أهل الكتاب قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتقول ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقرآن بمكة، فيسب المشركون القرآن ومن أتى به، فخفض رسول الله ﷺ صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقرائك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ عن أصحابك، فلا يسمعون، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الأعرابي كان يجهر في التشهد ويرفع صوته، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة عند الصفا، فجهر بالقرآن في صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لا تفر على الله، فخفض النبي ﷺ صوته، فقال أبو جهل للمشركين: ألا ترون ما فعلت بأبن أبي كبشة؟! رددته عن قراءته، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. فأما التفسير، فقله: ﴿فَلْيُأْذَعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ المعنى: إن شئتم فقولوا: يا الله، وإن شئتم فقولوا: يا رحمن، فإنهما يرجعان إلى واحد، ﴿أَبَا مَا تَدْعُوا﴾ المعنى: أي أسماء الله تدعوا؛ قال الفراء: «وما» قد تكون صلة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نُونِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وتكون في معنى: «أي» معادة لما اختلف لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الصلاة الشرعية. ثم في المراد بالكلام ستة أقوال: أحدها: لا تجهر بقرائك، ولا تخافت بها، فكأنه نهي عن شدة الجهر بالقراءة، وشدة المخافة، قاله ابن عباس. فعلى هذا في تسمية القراءة بالصلاة قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن يكون المعنى: فلا تجهر بقراءة صلاتك. والثاني: أن القراءة بعض الصلاة، فنابت عنها، كما قيل لعيسى: كلمة الله، لأنه بالكلمة كان. والثاني: لا تصل وراءه للناس، ولا تدعها مخافة الناس، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: لا تجهر بالتشهد في صلاتك، روي عن عائشة في رواية، وبه قال ابن سيرين. والرابع: لا تجهر بفعل صلاتك ظاهراً، ولا تخافت بها شديد الاستتار، قاله عكرمة. والخامس: لا تحسب علانيتها، وتيسر سريرتها، قاله الحسن. والسادس: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بجميعها، فاجهر في صلاة الليل، وخافت في صلاة النهار، على ما أمرناك به، ذكره القاضي أبو يعلى. والقول الثاني: أن المراد بالصلاة: الدعاء، وهو قول عائشة، وأبي هريرة، ومجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ المخافة: الإخفاء، يقال: صوت خفي. ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: اسلك بين الجهر والمخافة طريقاً. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نُسخَت هذه الآية بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْقُرْآنِ مُطَاعُونَ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ وعلى التحقيق، وجود النسخ هاهنا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ شِرْكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «في الملك» بكسر الميم. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال مجاهد: لم يحالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد؛ والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالة أحد لئلا يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير. ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْتَغِي﴾ أي: عظمه تعظيماً تاماً.



(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٨٢/١٥ عن مكحول أن النبي ﷺ كان يتعهد بمكة... إلخ، وهو مرسل.

(٢) «الطبري» ١٨٤/١٥، وأحمد في «المستند» ٢١٥/١، والبخاري ٣٠٧/٨، ومسلم.

## سورة الكهف

## فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أن سورة (الكهف) مكية، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وقتادة. وهذا إجماع المفسرين من غير خلاف نعلمه، إلا أنه قد روي عن ابن عباس، وقتادة أن منها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال مقاتل: من أولها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُودًا﴾ [الكهف: ٨] مدني، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] الآيتان. مدنية، وباقيها مكِّي. وروى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حفظ عشر آيات من أول (الكهف) ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة (الكهف) كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ هَارُونَ الْكِتَابَ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْفَاتِحَةُ﴾. وقد شرحناه في أول «الفاتحة». والمراد بعبده هاهنا: محمد ﷺ، وبالكتاب: القرآن، تملّح بإنزاله، لأنه إنعام على الرسول خاصة، وعلى الناس عامة. قال العلماء باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أنزل على عبده الكتاب ﴿فِيمَا﴾ أي: مستقيماً عدلاً. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، والنخعي، والأعمش: «فِيمَا» بكسر القاف، وفتح الياء، وقد فسرناه في [الأنعام: ١٦١].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْفَاتِحَةُ﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيان العوج في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ هَارُونَ الْكِتَابَ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْفَاتِحَةُ﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْفَاتِحَةُ﴾ أي: من عنده، ومن قبله، والمعنى: لينذر الكافرين ﴿وَيُنذِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنة. ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: مقيمين، وهو منصوب على الحال. ﴿وَيُنذِرَ﴾ بعذاب الله ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون حين قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك القول ﴿وَمِنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم قالوا: افترى على الله، ﴿وَلَا يَلَابِثُهُمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَرْبٌ﴾ أي: عظمته ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهور على نصب. وقرأ ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وأبو رزين، وأبو رجاء، ويحيى بن يعمر، وابن محيصن، وابن أبي عبة: «كلمة» بالرفع. قال الفراء: من نصب، أضمر: كُبريت تلك الكلمة كلمة، ومن رفع، لم يضر شيئاً، كما تقول: عظم قولك. وقال الزجاج: من نصب، فالمعنى: كبرت مقالتهم: اتخذ الله ولداً كلمة، و«كلمة» منصوب على التمييز. ومن رفع، فالمعنى: عظمت كلمة هي قولهم: اتخذ الله ولداً.

(١) ذكره بهذا اللفظ السيوطي في «الدرر» ٢٠٩/٤ من رواية أبي عبيد، وابن مردويه، عن أبي الدرداء ﷺ. وروى أحمد في «المسند» ٤٤٩/٤، ومسلم في «صحيحه» ٥٥٥/١، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٣٢٣) عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف) عصم من الدجال» ورواه أحمد ٤٤٦/٤ عن أبي الدرداء بلفظ: «من قرأ عشر آيات من آخر الكهف...» ورواه مسلم وأبو داود من حديث قتادة به، ورواه الترمذي ١١٢/٢ عن أبي الدرداء بلفظ: «من قرأ ثلاث آيات من أول (الكهف) عصم من فتنه الدجال» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ أي: إنها قول بالفم لا صحة لها، ولا دليل عليها، ﴿إِنْ يَقُولُ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾. ثم عاتبه على حُزْنِهِ لفوت ما كان يرجو من إسلامهم، فقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ نَقْصَ نَفْسِكَ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وقَتَادَةُ: «بَاخَعُ نَفْسِكَ» بكسر السين، على الإضافة. قال المفسرون واللغويون: فلعلك مهلك نفسك، وقاتل نفسك، وأنشد أبو عبيدة لذي الرِّمَّة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ      لِشَيْءٍ نَحَشَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ<sup>(١)</sup>

أي: نَحَشَهُ. فَإِنْ قِيلَ: كيف قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ نَقْصَ نَفْسِكَ﴾ والغالب عليها الشك، والله عالم بالأشياء قبل كونها؟ فالجواب: أنها ليست بشك، إنما هي مقدرة تقدير الاستفهام الذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتل نفسك؟! لا ينبغي أن يطول أساك على إعراضهم، فإن من حَكَمْنَا عليه بالشُّقُورَةِ لا تجدي عليه الحسرة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ أي: من بعد توليهم عنك ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: حَزَنًا، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: جَزَعًا، قاله مجاهد. والثالث: غَضَبًا، قاله قتادة. والرابع: نَدَمًا، قاله السدي. وقال أبو عبيدة: نَدَمًا وَتَلَهُفًا وَأَسَى. قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن، أو الغضب، يقال: قد أسف الرجل، فهو أسيف، قال الشاعر:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا      يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُخَضَّبًا<sup>(٢)</sup>

وهذه الآية يشير بها إلى نهى رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٣)</sup> وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري. والثالث: أنه ما عليها من شيء، قاله مجاهد. والرابع: النبات والشجر، قاله مقاتل. وقول مجاهد أمم، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك. فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سَمِجًا وليس بزينة. فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد [به] شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا بعضها على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص. وإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلائتهم على خالقهم. وإن قلنا: النبات والشجر، فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية. وإن قلنا: إنه عام في كل ما عليها، فلكونه دالًّا على خالقه، فكأنه زينة الأرض من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ أي: لنختبر الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى، قال ابن الأنباري: من قال: إن «ما على الأرض» يعني به النبات، قال: الهاء والميم ترجع إلى سكان الأرض المشاهدين للزينة، ومن قال: «ما على الأرض» الرجال، ردَّ الهاء والميم على «ما» لأنها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسن عملًا، هذا، أم هذا. قال الحسن: أيُّهم أزهد في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوال في سورة [هود: ٤٧]. ثم أعلم الخلق أنه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ قال الزجاج: الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الصعيد: التراب، ووجه الأرض. فأما الجُرُزُ، فقال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أرض جُرُزٌ، وجُرُزٌ. وأسد تقول: جَرَزَ، وجُرُزَ، وتميم تقول: أرض جُرُز، وجُرُزَ، بالتخفيف، وقال أبو عبيدة: الصعيد الجُرُزُ: الغليظ الذي لا يُنْبِتُ شيئًا. ويقال للسنَّةِ الْمُجْبِيَةِ: جُرُزٌ، وسنُونُ أجواز، لجوديتها، وقلة مطرها، وأنشد:

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي صفحة (٣٣٨)، و«الطبري» ١٥/١٩٤، و«مجاز القرآن» ١/٣٩٣، و«القرطبي» ١٠/٣٤٨، و«الصحاح» و«الترغيب» و«الأساس» و«اللسان» و«التاج»: بضع، وفتح الباري ٨/٣٠٨.

(٢) قاتله الأعشى الكبير ميمون بن قيس: «ديوانه» ١١٥، و«اللسان»: أسف. والأسف: الحزين والغضبان ولا يكاد يسمن، لأن الحقد يأكله.



قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السُّنُونُ الْأَجْرَارُ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الجز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبات أكلاً. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الجز: [الأرض] التي لا يبقى بها نبات، تحرق كل نبات يكون بها. وقال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستوية لا نبات فيها ولا ماء.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ١٠ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ١١ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُوهَ أَئِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآ كَشِيرًا أَعَدَّا﴾ ١٣

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ نزلت على سبب قد ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال ابن قتيبة: ومعنى «أم حسبت»: أحسبت. فأما «الكهف» فقال المفسرون: هو المغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر، فهو غار. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الكهف بمنزلة الغار في الجبل. فأما الرقيم، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه لوح من رصاص كانت فيه أسماء الفتية مكتوبة ليعلم من اطلع عليهم يوماً من الدهر ما قصتهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، وسعيد بن جبيرة في رواية، ومجاهد في رواية. وقال السدي: الرقيم: صخرة كُتِبَ فيها أسماء الفتية، وجُعِلَتْ في سُورِ المدينة. وقال مقاتل: الرقيم: كتاب كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فُرِّمَ منه الفتية، كتباً أمر الفتية في لوح من رصاص، ثم جعلاه في تابوت من نحاس، ثم جعلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعل الله أن يُظْلِعَ على هؤلاء الفتية أحداً، فيعلمون أمرهم إذا قرؤوا الكتاب. وقال الفراء: كُتِبَ في اللوح أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، ومن كانوا. قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: الرقيم: الكتاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه: كتاب مرقوم، أي: مكتوب. والثاني: أنه اسم القرية التي خرجوا منها، قاله كعب. والثالث: اسم الجبل، قاله الحسن، وعطية. والرابع: أن الرقيم: الدواء، بلسان الروم، قاله عكرمة ومجاهد في رواية. والخامس: اسم الكلب، قاله سعيد بن جبيرة. والسادس: اسم الوادي الذي فيه الكهف، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال المفسرون: معنى الكلام: أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا؟! قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم، فإن خلق السموات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم. وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم، أفضل من شأنهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ قال الزجاج: معنى: أَوَى إليه: صاروا إليه، وجعلوه مأواهم. والفتية: جمع فتى، مثل غلام وغُلَمَة، وصبي وصبيّة. و«فيلة» من أسماء الجمع، وليس ببناء يقاس عليه؛ لا يجوز غراب وغرابة، ولا غني وغنية. وقال بعض المفسرين: الفتية: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القتيبي أن الفتى: بمعنى الكامل من الرجال، ويُنْثَاهُ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [النساء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أرشدنا إلى ما يقرّبنا منك. والمعنى: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد. والرشد والرشد، والرشد: نقيض الضلال.

### تلخيص قصة أصحاب الكهف

اختلف العلماء في بُدُو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براح له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكِرُوا، فبكوا وتعوذوا بالله من الفتنة،

فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النّوم، وكلّبهم قد غشيه ما غشيههم. ثم إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتباً أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالوا: لعل الله يُطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم، هذا قول ابن عباس. وقال عبيد بن عمير: فقدمهم قومهم فطلبوهم، فعنى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا ففقدناهم في شهر كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكنن لهذا شأن. والثاني: أن أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فأمنوا به وصدّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة، فدخل معها الحمام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتبس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمي له الفتية، فالتبسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل [الكهف] أربع، فقال قائل للملك: أليس قلت: إن قدرت عليهم قتلثهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل، هذا قول وهب بن منبه. والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشراقهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم، هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربنا ربّ السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد. وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفرّدوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم.

### فصل

فأما سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم، فقال عكرمة: جاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلّفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يُبعث الروح والجسد. وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فسق اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف. وقال وهب بن منبه: جاء راعٍ قد أدركه المطر إلى الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد. وقال ابن السائب: احتاج صاحب الأرض التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السد، فبنى به، فانفتح باب الكهف. وقال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فنزعاهما، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحين، فسلم بعضهم على بعض لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنما هم على هيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم في طلبهم، فصلّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع، ما نذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعَت عن باب الكهف، فعجب، ثم مرّ مستخفياً متخوفاً أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب، وخيّل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلّي نائم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على [وجه] الأرض من يذكر عيسى إلا قُتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران، وأخرج ورفاً

فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، ففَرَّقَ منهم، وظَنَّهُم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركناه فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك، فلم يدر ما يقول، فطرحوا كسائه في عنقه وهو ييكي ويقول: فَرَّقَ بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فأتوا به إلى رجلين كانا يدبران أمر المدينة، فقالوا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذه وِرَقٌ آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم، قال مجاهد: وكان وِرَقٌ أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقالوا له أحدهما: أظن أنك تسخر منّا وخزانة هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟! إني سأمر بك فتعذَّبَ عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يملixa: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، وإنما هذا ملك كان منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال: والله ما يصدقني أحد بما أقوله، لقد كُنَّا فتية، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهرينا منه عشيبة أمس فمنا، فلما انتبهنا خرجتْ أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رُسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسلَّم بعضهم على بعض، فسبق يملixa إليهم وهو ييكي، فبكوا معه، وسأله عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقصَّ عليهم النبأ كلَّه، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث؛ ونظر الناس في المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم، فجاء، واعتنق القوم، ويكي، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفَّى الله عزَّ وجلَّ أنفسهم، فأمر الملك أن يجعل لكل واحد من تابوت من ذهب، فلما أمسوا رآهم في المنام، فقالوا: إنا لم نُخلَقْ من ذهب وفضة، ولكن خُلِقْنَا من تراب، فاتركنا كما كُنَّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ﷻ منه، وحجبههم الله عز وجل حين خرجوا من عندهم بالرَّعب، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر المَلِكُ فجُعل على باب الكهف مسجدٌ يصلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كلُّ سنة. وقيل: إنه لما جاء يملixa ومعه الناس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإني إن رأوكم معي أربعتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثنا الله لكم.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَّقْنَا عَنْكَ آيَاتِنَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنماهم ومنعناهم السمع، لأن النائم إذا سمع انتبه. و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على ضربين: أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعدُّ عدداً. والثاني: أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: سنين ذات عدد، والفائدة في ذِكْرِ العدد في الشيء المعداد، تأكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قلَّ فهم مقداره، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعدَّ العدد الكثير. ﴿ثُمَّ بَنَيْنَاهُمْ﴾ من نومهم، يقال لكلُّ مَنْ خرج من الموت إلى الحياة، أو من النوم إلى الانتباه: مبعوث، لأنه قد زال عنه ما كان يحبسُه عن التصرف والانبعث. وقيل: معنى ﴿بَنَيْنَاهُمْ﴾: بَنَيْنَاهُمْ عَدَدًا: أنه لم يكن فيها شهور ولا أيام، إنما هي كاملة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَظِرُ أَوَّلَ الْغُرَيْنِ﴾ قال المفسرون: أي: لنرى. وقال بعضهم: المعنى: لتعلموا أنتم. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والنخعي: «لِيُعْلَمَ» بضم الياء، على ما لم يُسمَّ فاعله «أي الحزبين»، ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف. ﴿أَخَصَّ لِمَا لَيْسَ﴾ أي: لنعلم هؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، فكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر. قال قتادة: لم يكن للفريقين عِلْمٌ بلبثهم، لا لمؤمنيهم، ولا لكافريهم. قال مقاتل: لما بُعثوا زال الشك وعُرفت حقيقة

اللبث. وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليظهر المعلوم في اختلاف الحزبين في مدة لبثهم، لما في ذلك من العبرة.

﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَأْتِيهِم بِالْحَيَٰٓٔةِ إِنِّمَ فِتْنَةٌ أَمَسُوا بِرَبِّهِمْ وَرِزْقُهُمْ هُذًى ۝١٣ وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُنَّ إِلَّا هُنَّ أَلْفَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ۝١٤ هُنَّ لَكِن قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَأْتِيهِم بِالْحَيَٰٓٔةِ﴾ أي: خبر الفتية ﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: بالصدق.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُهُمْ هُذًى﴾ أي: ثبثناهم على الإيمان، ﴿وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألهمناها الصبر ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، فعصم الله هؤلاء حتى عصوا ملكهم. وقال الحسن: قاموا في قومهم فدعواهم إلى التوحيد. وقيل: هذا قولهم بينهم لما اجتمعوا خارج المدينة على ما ذكرنا في أول القصة. فأما الشطط، فهو الجؤر. قال الزجاج: يقال: شَطَّ الرجل، وأَشَطَّ: إذا جار. ثم قال الفتية: ﴿هُنَّ لَكِن قَوْمُنَا﴾ يعنون الذين كانوا في زمن دقيانوس ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ أي: عبدوا الأصنام ﴿لَّوْلَا﴾ أي: هلا ﴿يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على عبادة الأصنام ﴿بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ﴾ أي: بحجة. وإنما قال: «عليهم» والأصنام مؤنثة، لأن الكفار نحلوها العقل والتميز، فجرت مجرى المذكرين من الناس.

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَأْتِيهِم بِالْحَيَٰٓٔةِ﴾ فزع من أن له شريكاً؟

﴿إِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَمْبُودُكَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا ۝١٦ وَرَوَى الْأَشْمَسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُوهَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِن آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: هذا [قول] يملخوا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال لهم: وإذ اعزلتموهم، أي: فارقتموهم، يريد: عبدة الأصنام، ﴿وَمَا يَمْبُودُكَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلا الله، فإن القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله، هذا قول عطاء الخراساني، والفراء. والثاني: وما يعبدون غير الله؛ قال قتادة: هي في مصحف عبد الله: «وما يعبدون من دون الله»، وهذا تفسيرها.

قوله تعالى: ﴿فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: اجعلوه ماواكم، ﴿يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ أي: ييسط عليكم من رزقه، ﴿وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «مرفقا» بكسر الميم، وفتح الفاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «مرفقا» بفتح الميم، وكسر الفاء. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «مرفقا» بفتح الميم وكسر الفاء، في كل مرفق ارتفعت به، ويكسرون مرفق الإنسان، والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعاً. قال ابن الأنباري: معنى الآية: ويهيئ لكم بدلاً من أمركم الصَّعب مرفقا، قال الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَّاءٍ زَمْزَمَ شَرِيبَةً مُّبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى ظَهْيَانٍ<sup>(١)</sup>

معناه: فليت لنا من ماء زمزم. قال ابن عباس: «ويهيئ لكم»: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتكم باليسر والرفق واللطف.

قوله تعالى: ﴿وَرَوَى الْأَشْمَسُ إِذَا طَلَعَتْ﴾ المعنى: لو رأيته لرأيت ما وصفنا. ﴿تَرَوُوهَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تَرَوُوهَ» بتشديد الزاي. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «تَرَوُوهَ» خفيفة. وقرأ ابن عامر: «تَرَوُوهَ» مثل: «تَحْمَرُ». وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وأبو رجاء، والجدري: «تَرَوُوهَ» بإسكان الزاي، وبالف ممدودة بعد الواو من غير همزة، مشددة الراء. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل، وابن السميع: «تَرَوُوهَ» بهمزة قبل الراء،

(١) البيت للأحول الكندي في «اللسان» و«التاج»: طها، و«البحر» ١٠٧/٦، و«روح المعاني» ٢٠٤/١٥.

مثل: «تَزَوَّعِرُ». وقرأ أبو الجوزاء، وأبو السماك: «تَزَوَّرُ» بفتح التاء والزاي وتشديد الواو المفتوحة خفيفة الراء، مثل: «تَكْوَرُ»، أي: تميل وتعدل. قال الزجاج: أصل «تزاور»: تنزاور، فأدغمت التاء في الزاي، و«تَقَرَّضَهُمْ» أي: تعدل عنهم وتركهم، وقال ذو الرمة:

إِلَى طُلُوعِنِ يَفَرِّضُنْ أَجْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ<sup>(١)</sup>

يفرضن: يتركن. وأصل القرض: القطع والفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أقرضني درهماً، أي: أقطع لي من مالك درهماً. قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم. ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح، ونسيم الهواء، فقال: «وَقَدْ فِي فَجْوَةٍ مِنْه» قال أبو عبيدة: أي: [في] مُتَّسَعٍ، والجميع: فَجَوَاتٍ، وفجاء، بكسر الفاء. وقال الزجاج: إنما صُرِّفَ الشمس عنهم آيةً من الآيات، ولم يرض قول من قال: كان كهفهم بإزاء بنات نعش.

قوله تعالى: «ذَلِكَ مِنْ مَّآيَةِ اللَّهِ» يشير إلى ما صنعه بهم من اللطف في هدايتهم، وصرف أذى الشمس عنهم، والرعب الذي ألقى عليهم حتى لم يقدر الملك الظالم ولا غيره على أذاهم. «من آيات الله» أي: من دلائله على قدرته ولطفه. «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» هذا بيان أنه هو الذي تولّى هداية القوم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

«وَتَقَبَّلَهُمْ أَتَقَانًا وَهَمُّ رُقُودٌ وَتَقَبَّلَهُمْ ذَاكَ الْيَمِينَ وَذَاكَ الشِّمَالِ وَكَأَنَّهُمْ بِسِيطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَيْتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَكُلِّتْ مِنْهُمْ رُجْعًا»<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلَهُمْ أَتَقَانًا» أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً. قال الزجاج: الأيقاظ: المنتبهون، واحدهم: يَقِظٌ، وَيَقْظَانٌ، والجميع: أيقاظ؛ والرُقُود: النيام. قال الفراء: واحد الأيقاظ: يَقْظٌ، وَيَقْظٌ. قال ابن السائب: وإنما يُحْسَبُونَ أيقاظاً، لأن أعينهم مفتحة وهم نيام. وقيل: لتقبلهم يميناً وشمالاً. وذكر بعض أهل العلم: أن وجه الحكمة في فتح أعينهم، أنه لو دام ظنهم للذابت.

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلَهُمْ» وقرأ أبو رجاء: «وَتَقَبَّلَهُمْ» بقاء مفتوحة، وسكون القاف، وتخفيف اللام المكسورة. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة: «وَتَقَبَّلَهُمْ» مثلاً، إلا أنه بالنون. «ذَاكَ الْيَمِينَ» أي: على أيمنهم وعلى شمائلهم. قال ابن عباس: كانوا يُقَبَّلُونَ في كل عام مرتين، ستة أشهر على هذا الجنب، وستة أشهر على هذا الجنب، لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقال مجاهد: كانوا ثلاثمائة عام على شِقِّ واحد، ثم قُبِلُوا تسع سنين.

قوله تعالى: «وَكَبَّهُمْ بِسِيطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ» أخبر أن الكلب كان على مثل حالهم في النوم، وهو في رأي العين منتبه. وفي الوصيد أربعة أقوال: أحدها: أنه الفئاء فئاء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفراء. قال الفراء: يقال: الوَصِيدُ والأَصِيدُ لغتان، مثل الإكفاف والوركاف. وأرخت الكتاب وورخت، ووكدت الأمر وأكدّت؛ وأهل الحجاز يقولون: الوَصِيدُ، وأهل نجد يقولون: الأَصِيدُ، وهو: الحظيرة والفئاء. والثاني: أنه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. وقال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلهم باسط ذراعيه بالباب، قال الشاعر:

بِأَرْضٍ فَضَاءٍ لَا يَسُدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أنه الصعيد، وهو التراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جببر، ومجاهد في رواية عنهما. والرابع: أنه عتبة الباب، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إليّ، لأنهم يقولون: أوصد بابك، أي: أغلقه، ومنه قوله: «إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ» [الهمزة: ٤٨]، أي: مُطَبَّقة مُغْلَقَةٌ، وأصله أن تلتصق الباب بالعتبة إذا أغلقت، ومما يوضح هذا أنك إذا جعلت الكلب بالفئاء، كان خارجاً من الكهف، وإن جعلته بعتبة الباب،

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي ٤٠٣، «مجاز القرآن» ٣٩٦/١، «الطبري» ٢١١/١٥، ومشرف والفوارس: موضعان بنجد كما في «معجم ما استعجم».

(٢) البيت لمييد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥، و«البحر المحيط» ٩٣/٦، و«القرطبي» ٣٥١/١٠، ٣٧٣.

أمكن أن يكون داخل الكهف، والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير.

قوله تعالى: ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [وقرأ الأعمش، وأبو حصين: «لَوْ اطَّلَعْتَ» بضم الراء] ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبة لهم ﴿وَلَمَّيْتُمْ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وَلَمَّيْتُمْ» خفيفة مهموزة. وقرأ ابن كثير، ونافع: «وَلَمَّيْتُمْ» مشددة مهموزة، ﴿رُفِصًا﴾ [أي]: فرعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالوعب لئلا يدخل إليهم أحد. وقيل: إنهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاة الزجاج.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِسِئَاءَ لُؤَا بِيئِهِمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَيْسَ بِيَوْمَا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَغْفَرُ بِمَا لَبِئْتُمْ كَابْتِغَاءً أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي آلَاتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النومة ﴿لِسِئَاءَ لُؤَا بِيئِهِمْ﴾ أي: ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار المعتبرين بحالهم. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ أي: كم مرَّ علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا لَيْسَ بِيَوْمَا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غُدوةً، وبعثهم الله في آخر النهار، فلذلك قالوا: «يوماً»، فلما رأوا الشمس قالوا: «أو بعض يوم» ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَغْفَرُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ قال ابن عباس: القائل لهذا يملixa رئيسهم، ردَّ علم ذلك إلى الله تعالى. وقال في رواية أخرى: إنما قاله مكسملينا، وهو أكبرهم. قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسهم قد حدثتهم أنهم قد لبثوا أكثر مما ذكروا. وقيل: إنما قالوا ذلك، لأنهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جداً.

قوله تعالى: ﴿كَابْتِغَاءً أَحَدَكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: إنما قال: «أحدكم»، ولم يقل: واحدكم، لئلا يلتبس البعض بالمدحود المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يُرد شريفهم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «بِوَرِقِكُمْ» الراء مكسورة خفيفة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم ساكنة الراء. وعن أبي عمرو: «بورقكم» مدغمة يُشِيْهُا شيئاً من الثقل، قال الزجاج: تصوير كافاً خالصة. قال الفراء: الورق لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: الوراق، وبعض العرب يكسرون الواو، فيقولون: الوراق. قال ابن قتيبة: الوراق: الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم، يدل ذلك على ذلك حديث عَرْفَجَةَ أَنَّهُ اتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقوس، ويقال: هي اليوم طرسوس. قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ قال الزجاج: المعنى: أي أهلها ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ وللمفسرين في معناه ستة أقوال: أحدها: أحلُّ ذبيحة، قاله ابن عباس، وعطاء، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قوم يُخفون إيمانهم. والثاني: أحلُّ طعاماً، قاله سعيد بن جبيرة؛ قال الضحاك: وكانت أكثر أموالهم غصباً. وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم: لا تبتغ طعاماً فيه ظلم ولا غصب. والثالث: أكثر، قاله عكرمة. والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادة. والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل، والسادس: أرخص، قاله يمان بن رباب. قال ابن قتيبة: وأصل الزكاء: النماء والزيادة.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقق النظر فيه، وليحتل لئلا يُطْلَعَ عليه. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يُخْبِرَنَّ أحداً بمكانكم. ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يظللوا ويُسرفوا عليكم، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِ» رَقْمَ (٤٢٣٢)، وَالنَّسَائِيُّ ١٦٣/٨، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» ٢٠٩/١ عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَصِيبَ أَنْفِي يَوْمَ الْكَلَابِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذْتُ أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ، فَأَتَيْتُ عَلِيَّ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ شَقُّوا أَسْنَانَهُمْ بِالذَّهَبِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لَهُمْ. اهـ.

وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقتلوكم، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: يقتلوكم بالرجم. والثاني: يرموكم بأيديهم، استنكاراً لكم، قاله الحسن. والثالث: بالسهم شتماً لكم، قاله مجاهد، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُبَدِّلُكُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ أي: يردوكم في دينهم، ﴿وَلَنْ تَقْلِعُوا إِذَا بَكَا﴾ أي: إن رجعت في دينهم، لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَسْتَرْعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَتَتَّخِذُوا عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وكما أنماهم ويعتنامهم، أطلعنا وأظهرنا عليهم. قال ابن قتية: وأصل هذا أن من عثر بشيء وهو غافل، نظر إليه حتى يعرفه، فاستعير العثار مكان التبيين والظهور، ومنه قول الناس: ما عثرت على فلان بسوء قط، أي: ما ظهرت على ذلك منه.

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ في المشار إليهم بهذا العلم قولان: أحدهما: أنهم أهل بلدهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ وأن القيامة لا شك فيها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنهم أهل الكهف، بعثناهم ليروا بعد علمهم أن وعد الله حق، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَرْعُونَ﴾ يعني: أهل ذلك الزمان. قال ابن الأنباري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا. وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد. فقال المسلمون: بنى عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا؛ وقال المشركون: بنى عليهم بنياناً، لأنهم من أهل سُنَّتِنَا، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: بُعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: بُعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل. والرابع: أنهم تنازعوا في قدر مكنتهم. والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا﴾ أي: استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهف، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَتَتَّخِذُوا عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ قال سعيد بن جبير: بنى عليهم الملك بيعة. وأصحابه المؤمنون اتخذوا عليهم مسجداً.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَكْتُمُونَ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝١٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا ۝١٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبُّكَ إِذَا قُيِّمَتْ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَسَدًا ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ قال الزجاج: «ثلاثة» مرفوع بخبر الابتداء، المعنى: يقول الذين تنازعوا في أمرهم: [هم] ثلاثة. وفي هؤلاء القائلين قولان: أحدهما: أنهم نصارى نجران، ناظروا رسول الله ﷺ في عِدَّةِ أهل الكهف، فقالت الملكية: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت اليعقوبية: هم خمسة سادسهم كلبهم، وقالت النسطورية: هم سبعة وثامنهم كلبهم، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظناً غير يقين، قال زهير:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُكُتُمْ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ<sup>(١)</sup>

فأما دخول الواو في قوله: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أن دخولها



وخرجها واحد، قاله الزجاج. والثاني: أن ظهور الواو في الجملة الثامنة<sup>(١)</sup> دلالة على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنها مرادة فيما قبل، وإنما حذفت تخفيفاً، ذكره أبو نصر في «شرح اللمع». والثالث: أن دخولها يدل على انقطاع القصة، وأن الكلام قد تمّ، ذكره الزجاج أيضاً، وهو قول مقاتل بن سليمان، فإن الواو تدل على تمام الكلام قبلها، واستئناف ما بعدها؛ قال الثعلبي: فهذه واو الحكم والتحقيق، كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتم الكلام عند قوله: ﴿وَقُولُوا سَبْعَةٌ﴾، ثم حكم أن ثامنهم كلبهم. وجاء في بعض التفسير أن المسلمين قالوا عند اختلاف النصارى: هم سبعة، فحقّق الله قول المسلمين. والرابع: أن العرب تعطف بالواو على السبعة، فيقولون: ستة، سبعة، وثمانية، لأن العقد عندهم سبعة، كقوله: ﴿الْمُتَّقِينَ الْكِدْنَ...﴾ إلى أن قال في الصفة الثامنة: ﴿وَالْكَافِرُونَ عَنِ النَّارِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفة الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي صفة النار: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١-٧٣]، لأن أبواب النار سبعة، وأبواب الجنة ثمانية، ذكر هذا المعنى أبو إسحاق الثعلبي. وقد اختلف العلماء في عددهم على قولين: أحدهما: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانية، قاله ابن جريج، وابن إسحاق. وقال ابن الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَنَامَتْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشعر زهير، أي: السخاء سخاء حاتم، والشعر شعر زهير. وأما أسماؤهم، فقال هُثَيْمٌ: مكسلمينا، ويمليخا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، وثواس، ويرانوس، وفي التفسير خلاف في أسمائهم فلم أطل به. واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان لراع مرّوا به فتبعهم الراعي والكلب، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أنهم مرّوا بكلب فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟! لا تخشوا جانبي أنا أحبّ أجباء الله، فناموا حتى أحرسكم، قاله كعب الأحبار. وفي اسم كلبهم أربعة أقوال: أحدها: قطمير، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اسمه الرقيم، وقد ذكرناه عن سعيد بن جبيرة. والثالث: قطمور، قاله عبد الله بن كثير. والرابع: حُمران، قاله شعيب الجبائي. وفي صفته ثلاثة أقوال: أحدها: أحمر، حكاه الثوري. والثاني: أصفر، حكاه ابن إسحاق. والثالث: أحمر الرأس، أسود الظهر، أبيض البطن، أبلق الذنب، ذكره ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَتَمَّ يَعْتَمِدُهُمْ﴾ حرك الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿مَا يَمْلِكُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس. قال عطاء: يعني بالقليل: أهل الكتاب. قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة، إن الله عدّهم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا رِفَاقَهُمْ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: لا تُحَارِبْ أَحَدًا، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم. وقال ابن زيد: لا تُحَارِبْ فِي عِدَّتِهِمْ إِلَّا مَرَاءَ ظَاهِرًا أَنْ تَقُولَ لَهُمْ: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون: وقيل: «إلا مرء ظاهراً» بحجة واضحة، حكاه الماوردي. والمرء في اللغة: الجدل؛ يقال: ماري يُماري مُماراة ومِراء، أي: جادل. قال ابن الأنباري: معنى الآية: لا تجادل إلا جدال متيقّن عالم بحقيقة الخبر، إذ الله تعالى ألقي إليك ما لا يشوبه باطل. وتفسير المرء في اللغة: استخراج غضب المعادل، من قولهم: مَرَيْتُ الشاة: إذا استخرجت لبنها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ أي: في أصحاب الكهف، ﴿مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: من أهل الكتاب. قال الفراء: أتاه فريقان من النصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم، فنهى عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها أن قريشاً سألو النبي ﷺ عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الكلام: ولا تقولن لشيء: إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القول.

(١) أي في قوله تعالى: ﴿وَنَامَتْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا قَسَيْتَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: واذكر ربك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله - إذا صلى - حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة. وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: إذا نسي الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور. والثاني: أن معنى «إذا نسي»: إذا غضبت، قاله عكرمة، قال ابن الأنباري: وليس يبعد، لأن الغضب يُتبع النسيان. والثالث: إذا نسي الشيء فاذكر الله ليدركك إياه، حكاه الماوردي.

### فصل

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه. ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنه إذا قال: أنت طالق إن شاء الله، وأنت حر إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك؛ وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك. وأما اليمين بالله تعالى؛ فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر، لأن الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علّق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان، لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلية. وقد اختلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء. والثاني: أنه يصح ما دام في المجلس، قاله الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه. والثالث: أنه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثنى ولو بعد حثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فاما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه، ومن قال: له ثيابا ولو بعد سنة، أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «يهديني ربّي» بياء في الوصل [دون] الوقف. وقرأ ابن كثير بياء في الحالين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عسى أن يعطيني ربّي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدّل من قصة أصحاب الكهف، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، هذا قول الزجاج. والثاني: أن قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف، قال: «غداً أخبركم» كما شرحنا في سبب نزول هذه الآية<sup>(١)</sup>، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ أي: عسى أن يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حدّدته لكم، ويعجل لي من جهته الرشد، هذا قول ابن الأنباري.

﴿لَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا لَمْ غَيَّبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَبَيَّرَ بِهِمْ وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «ثلاثمائة سنين» متوئناً. وقرأ حمزة، والكسائي: «ثلاثمائة سنين» مضافاً غير متوئن. قال أبو علي: العدد المضاف إلى الأحاد قد جاء مضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ سَخِي عِمَامَةٍ وَخَمْسِي مِنْهَا قِسِي وَزَائِفٌ<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الكلام قولان: أحدهما: أنه حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، قاله ابن عباس، واستدل عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾، وكذلك قال قتادة، وهذا قول أهل الكتاب.

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» ٧١/٣ من رواية محمد بن إسحاق مطولاً.

(٢) البيت لمزود كما في «المصاحح» و«اللسان»: ماي، و«مجمع البيان» ١٥/١٤٤.

والثاني: أنه مقدار ما لبثوا، قاله عبيد بن عمير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد؛ والمعنى: لبثوا هذا القدر من يوم دخلوه إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي، والزجاج: التقدير: سنين ثلاثمائة. وقال ابن قتيبة: المعنى: أنها لم تكن شهوراً ولا أياماً، وإنما كانت سنين. وقال أبو علي الفارسي: «سنين» بدل من قوله: «ثلاثمائة». قال الضحاك: نزلت: ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أياماً، أو شهوراً، أو سنين؟ فنزلت: «سنين» فذلك قال: «سنين»، ولم يقل: سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَادُوا سِنِيًّا﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى عن ذكر السنين بما تقدّم من ذكرها. ثم أعلم أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ قال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة، فقد عرفناها، وأما التسع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله. وقيل: إنما زاد التسع، لأنه تفاوت ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية، حكاة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ يَدَيَّ وَأَسْمِعْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على مذهب التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قول الزجاج، وذكر أنه إجماع العلماء. والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر يديين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وسمع، فترجع الهاء إما على الهدى، وإما على الله ﷻ، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: ليس لأهل السموات والأرض من دون الله من ناصر، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمه. وقرأ ابن عامر: «ولا تُشْرِكْ» جزماً بالفاء، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَكًا ۖ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْبًا ۝١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التلاوة قولان: أحدهما: أنها بمعنى القراءة. والثاني: بمعنى الاتباع. فيكون المعنى على الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتبعه واعمل به. وقد شرحنا في «الأنعام: ١١٥» معنى ﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَكًا﴾ قال مجاهد، والفراء: ملجأ. وقال الزجاج: مغديلاً عن أمره ونهيه. وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاء.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ سبب نزولها أن المؤلف قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذوهم، فقالوا: يا رسول الله: لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عتاً، - يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف - جلسنا إليك، وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسول الله ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، قال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات» هذا قول سلمان الفارسي<sup>(١)</sup>. ومعنى قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: احبسها معهم على أداء الصلوات ﴿وَالْقُدْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ﴾. وقد فسرنا هذه الآية في «الأنعام: ٥٢» إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تصرف بصرك

(١) «الطبري» ٢٣٦/١٥، وأسباب النزول: للواحدى ١٧١، «القرطبي» ٣٩١/١٠، «الدور» ٢١٩/٤، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٨١/٣ من رواية الطبراني، وقد تقدم الحديث بنحوه ٤٤٠ فارجع إليه.

إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف؛ وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريداً لزينة الدنيا قط، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَ مَنَّا أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ سبب نزولها أن أمية بن خلف الجمحي، دعا رسول الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو عيينة وأشباهه. ومعنى: «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مجلز: «مَنَّا أَغْفَلْنَا» بفتح اللام، ورفع باء القلب. «عَن ذِكْرِنَا»: عن التوحيد والقرآن والإسلام، «وَأَنبَغَ هَوْنُهُ» في الشرك. «وَكَاثَ أَمْرُهُ فُرُكًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه أفرط في قوله، لأنه قال: إِنَّا رُؤُوسُ مَضْرٍ، وإن نُسَلِّمَ يُسَلِّمَ النَّاسَ بَعْدَنَا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضياعاً، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: سَرَفًا وتضييعاً. والثالث: نَدَمًا، حكاه ابن قتيبة عن أبي عبيدة. والرابع: كان أمره التفريط، والتفريط: تقديم العجز، قاله الزجاج.

﴿وَقُلِ الْآخِذِينَ مِن ذِكْرِكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَاثُوا يَمَآءَ كَالَّذِينَ يَشْرُوا الصُّلْبَ مِن نَفْسِ الْكَافِرَاتِ وَكَانَ مَرْثَقًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْآخِذِينَ مِن ذِكْرِكَ﴾ قال الزجاج: «وقل الذي أتيتكم به، الحق من ربكم». قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وعيد وإنذار، وليس بأمر، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرونه بكفركم، قاله الماوردي. وقال بعضهم: هذا إظهار للغنى، لا إطلاق في الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيئنا، وأعدنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ شَاءَ﴾ [يوسف: ٣١]. فأما الظالمون، فقال المفسرون: هم الكافرون. وأما السُّرَادِقُ، فقال الزجاج: السُّرَادِقُ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ، نحو الشُّقَّةِ في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء. وقال ابن قتيبة: السُّرَادِقُ: الحُجْرَةُ التي تكون حول الفسطاط. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّرَادِقُ فارسي معرب، وأصله بالفارسية سَرَادَاژ، وهو الدَّهْلِيز، قال الفرزدق:

تَمَنَّيْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضَّرَابِ السُّرَادِقَا<sup>(٣)</sup>

وفي المراد بهذا السُّرَادِقُ قولان: أحدهما: أنه سُرَادِقُ من نار، قاله ابن عباس. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِلسُّرَادِقِ النَّارُ أَرْبَعَةُ جُذُرٍ كُنْتُ، كُلُّ جِدَارٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس، قال: السُّرَادِقُ: لسان من النار، يخرج من النار فيحيط بهم حتى يفرغ من حسابهم. والثاني: أنه دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظِّلُّ ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في [المرسلات: ٣٠]، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْتَفِيضُوا﴾ أي: مما هم فيه من العذاب وشدة العطش «يَغَاثُوا يَمَآءَ كَالَّذِينَ يَشْرُوا الصُّلْبَ مِن نَفْسِ الْكَافِرَاتِ وَكَانَ مَرْثَقًا» وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنه ماء غليظ كزبد الزيت، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه كل شيء أذيب حتى انماع، قاله ابن مسعود. وقال أبو عبيدة، والزجاج: كل شيء أذبه من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مُهْل. والثالث: قيح دم أسود كعكر الزيت، قاله مجاهد. والرابع: أنه الفضة والرصاص يذابان، روي عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنه الذي انتهى حره، قاله سعيد بن جبيرة. والسادس: [أنه] الصِّدِيد، ذكره ابن الأنباري. قال مُعَيْثُ بْنُ سُمَيٍّ: هذا الماء هو ما يسيل من عَرَقِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي الْآخِرَةِ وَيَكَاثُهُمْ، وما يجري منهم من دم وقيح، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فتطبخه جهنم، فيكون أول ما يُغَاثُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ. والسابع: أنه الرماد الذي يُنْفَضُ عَنِ الْحَبْزَةِ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ النَّوْرِ، حكاه ابن الأنباري.

(١) «أسباب النزول» ١٧٢، «القرطبي» ٣٩٢/١٠، «الدر» ٢٢٠/٤.

(٢) قال ابن جرير الطبري: عن ابن عباس: فمن شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر.

(٣) «ديوانه» ٥٨٦/٢، «المعرب» ٢٠٠.

(٤) رواه أحمد في «المسند» ٢٩/٣ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم، ورواه الترمذي في «جامعه» ٨٢/٢، وابن جرير الطبري في «تفسيره» ١٥/٢٣٩ من حديث رشدين بن سعد عن دراج عن أبي الهيثم، ورشدين بن سعد ضعيف، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.



قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَكُم مَّثَلًا زَكَايَا﴾ روى عطاء عن ابن عباس، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفّي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهداً في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، حتى نفد ماله، فضربهما الله ﷻ مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرتة النعمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقته في سبيل الله، فقال الكافر: لكني ابتعت به جناناً وغنماً، وقرأ، والله لا أعطيتك شيئاً أبداً حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه. وقال مقاتل: اسم المؤمن يملixa، واسم الكافر قرطس، وقيل: قرطس، وقيل: هذا المثل [ضرب] لعينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَحَفَنَّا بِخَلِّ الْحَفِّ﴾ الإحاطة بالشيء، ومنه قوله: ﴿حَافِيَتٌ مِنْ حَوْلِ الْمَرْثِيِّ﴾ [الزمر: ٧٥]. والمعنى: جعلنا النخل مطيافاً بها. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رِزْقًا﴾ إعلام أن عمارتهما كاملة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَ أَكْلُهُمَا﴾ قال الفراء: أتتا، لأن «كلتا» ثنتان لا تُفرد واحدتهما، وأصله: «كُلٌّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلٌّ»، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمع، وجاز توحيد على مذهب «كُلٌّ»، وتأنيسه جائز للتأنيث الذي ظهر في «كلتا»، وكذلك فاعل بـ«كلا» و«كلتا» و«كُلٌّ»، إذا أضفتهنَّ إلى معرفة وجاء الفعل بعدهن، فوُحِدَ واجمع، فمن التوحيد قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُنَّ مَاتِيهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرَدًا﴾ [مريم: ٩٦]، ومن الجمع: ﴿وَكُلُّ أُنثَى ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في «أي» فيؤثنون ويدكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَقَسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ويجوز في الكلام «بأيت أرض»، وكذلك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوز في الكلام «في أيَّت»، قال الشاعر:

بأي بلاء أم بأية نعمة      تقدّم قبلي مسلم والمهلب

قال ابن الأنباري: «كلتا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإن لفظه لفظ واحدة مؤنثة، فغلب اللفظ، ولم يستعمل المعنى ثقة بمعرفة المخاطب به؛ ومن العرب من يؤثر المعنى على اللفظ، فيقول: «كلتا الجنتين أتتا أكْلُهُمَا»، ويقول آخرون: «كلتا الجنتين آتتا أكْلُهُمَا»، لأن «كلتا» تفيد معنى «كُلٌّ»، قال الشاعر:

وكلتاها قد خطّ لي في صحيفتي      فلا الموت أهواء ولا العيش أروح

يعني: وكلّهما قد خط لي، وقد قالت العرب: كلكم ذاهب، وكلكم ذاهبون. فوَحَّدُوا لَلْفِظِ «كُلٌّ» وجمعوا لتأويلها. وقال الزجاج: لم يقل «أتتا»، لأن لفظ «كلتا» لفظ واحدة، والمعنى: كل واحدة منهما أتت أكْلَهَا ﴿وَكَلَّ تَطْلِيلًا﴾ أي: لم تنقص ﴿وَنَتَّ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ فأعلمنا أن شربهما كان من ماء نهر، وهو من أغزر الشرب. وقال الفراء: إنما قال: «فَجَّرْنَا» بالتشديد، وهو نهر واحد، لأن النهر يمتد، فكان التفجّر فيه كله. قرأ أبو رزین، وأبو مجلز، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: «وَفَجَّرْنَا» بالتخفيف. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل: «خلللهما». وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «نَهْرًا» بسكون الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَكُمْ ثَمَرٌ﴾ يعني: للأخ الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وكان له ثمر»، «وأحيط بثمره» بضمّتين. وقرأ عاصم: «وكان له ثمر»، «وأحيط بثمره» بفتح التاء والميم فيهما. وقرأ أبو عمرو: «ثُمَر» و«بثمره» بضمّة واحدة وسكون الميم. قال الفراء: الثُمَر، بفتح التاء والميم: المأكول، ويضمها: المال. وقال ابن الأنباري: الثُمَر، بالفتح: الجمع الأول، والثُمَر، بالضم: جمع الثُمَر، يقال: ثُمَر، وثُمَر، كما يقال: أسد، وأسُد، ويصلح أن يكون الثُمَر جمع الثُمار، كما يقال: جِمار وحمُر، وكتاب وكُتُب؛ فمن صَمَّ، قال: الثُمَر أعم، لأنها تحتل الثمار المأكولة، والأموال المجموعة. قال أبو علي الفارسي: وقراءة أبي عمرو: «ثُمَر» يجوز أن تكون جمع ثمار، وكتّاب، وكُتّب، فتخفف، فيقال: كُتّب، ويجوز أن يكون «ثُمَر» جمع ثَمرة، كَبَذَنَ وبُذِنَ، وخَشَبَ، وخُشِبَ. ويجوز أن يكون «ثُمَر» واحداً، كعُتِق، وطُئِب. وقد ذكر المفسرون في قراءة من ضم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذهب، والفضة، قاله مجاهد. والثالث:

أنه جمع ثمرة، قال الزجاج: يقال: ثَمَرَة، وثَمَار، وثمر. فإن قيل: ما الفائدة في ذِكر الثَمَر بعد ذِكر الجَنَّتَيْنِ، وقد عُلِمَ أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لم يكن أصل الأرض ملكاً له، وإنما كانت له الثمار، قاله ابن عباس. والثاني: أن ذِكر الثَمَر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنتين وغيرهما، ذكره ابن الأنباري. والثالث: إنا قد ذكرنا أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع، وذكرنا أنها الذهب، والفضة، وذلك يخالف الثمر المأكول؛ قال أبو علي الفارسي: من قال: هو الذهب، والوَرِق، فإنما قيل لذلك: ثَمُر على التناوُل، لأن الثمر نماء في ذي الثمر، وكونه هاهنا بالجنى أشبه من الذهب والفضة. ويقوي ذلك: «وَلَحِيطَ بِشَرِّهِ فَاصْبَحَ بِقَلْبِكَ كَثِيرًا عَلَى مَا أَفْقَى فِيهَا»، والإنفاق من الوَرِق، لا من الشجر.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِمَكِيدِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ بِحَاوِيَةٍ﴾ أي: يراجعه الكلام ويجاوبه. وفيما تحاورا فيه قولان: أحدهما: أنه الإيمان والكفر. والثاني: طلب الدنيا، وطلب الآخرة. فأما «الفِر» فهم الجماعة، ومثلهم: القوم والرهط، [ولا واحد لهذه الألفاظ من لفظها. وقال ابن فارس اللغوي]: الفِر: عدة رجال من ثلاثة إلى العشرة. وفيمن أراد بَنَفَر ثلاثة أقوال: أحدها: عبيده، قاله ابن عباس. والثاني: ولده، قاله مقاتل. والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر؛ وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه؛ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبْدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ أنكر فناء الدنيا، وفناء جنته، وأنكر البعث والجزاء بقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وهذا شك [منه] في البعث، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ رُودَتْ إِلَيَّ رَيْ﴾ أي: كما تزعم أنت. قال [ابن عباس]: يقول: إن كان البعث حقاً ﴿لَأَجِدَنَّ حَيًّا مِثْلَهَا﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خيراً منها»، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «خيراً منهما» بزيادة ميم على الشنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام. قال أبو علي: الأفراد أولى، لأنه أقرب إلى الجَنَّة المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، والشنية لا تمتنع، لتقدم ذِكر الجنتين.

قوله تعالى: ﴿مُتَغَلِّبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيعطيني في الآخرة أفضل منه.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رِجَالًا ۖ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَعَلَٰ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا ۖ فَسَمَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي حَبِيرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ۖ أَوْ يَصْبِحُ مَاؤَهَا غَرًّا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهَا طَلِبًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: خلق أباك آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ﴾ يعني: ما أنشئ هو منه، فلما شك في البعث كان كافراً.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وقالون عن نافع: «لكن هو الله ربِّي»، بإسقاط الألف في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ نافع في رواية المُسَيَّبِي بإثبات الألف وصلًا ووقفًا. وأثبت الألف ابن عامر في الحاليين. وقرأ أبو رجاء: «لكن» بإسكان النون خفيفة من غير ألف في الحاليين. وقرأ ابن يعمر: «لكن» بتشديد النون من غير ألف في الحاليين. وقرأ الحسن: «لكن أنا هو الله ربِّي» بإسكان نون «لكن» وإثبات «أنا». قال الفراء: فيها ثلاث لغات: لكتنا، ولكن، ولكنه بالهاء، أنشدني أبو ثروان:

وتزُمينني بالظُرف أي أنت مذنب وتُغْلِبِنِي لَكِنَ إِيَّايَ لَا أَقْلِبِي<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: مجازه: لكن أنا هو الله ربِّي، ثم حُذِفَت الألف الأولى، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى فشُدَّت. قال الزجاج: وهذه الألف تُحذَف في الوصل، وتُثَبِت في الوقف، فأما من أثبتا في الوصل كما ثبتت في الوقف، فهو على لغة من يقول: أنا قمْتُ، فأثبت الألف، قال الشاعر:



أَنَا سَيِّفُ الْعَظِيمَةِ فَاغْرِفُونِي

[خَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا] (١)

وهذه القراءة جيدة، لأن الهمزة قد حذفت من «أنا»، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ أي: وهلاً؛ ومعنى الكلام التوبيخ. قال الفراء: «مَا سَكَةَ اللَّهُ» في موضع رفع، إن شئت رفعته بإضمار هو، يريد: [هو] ما شاء الله؛ وإن شئت أضمرت فيه: ما شاء الله كان؛ وجاز طرح جواب الجزاء، كما جاز في قوله: ﴿إِنِ اسْتَكْمَلْتَ أَنْ تَبْنَئَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ليس له جواب، لأنه معروف. قال الزجاج: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الاختيار النصب بغير تنوين على النفي، كقوله: ﴿لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ﴾ [الكهف: ٢٦]، ويجوز: «لا قوة إلا بالله» على الرفع بالابتداء، والخبر «بالله»، المعنى: لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير: «إن ترني أنا» ويؤتيني خيراً» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء فيهما وصلاً ووقفاً. ﴿أَنَا أَقْلٌ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقْل» برفع اللام. قال الفراء: «أنا» هاهنا عماد إن نصبت «أقْل»، واسم إذا رفعت «أقْل» (٢)، والقراءة بهما جائز.

قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَىٰ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَبْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ناراً من السماء (٣). والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابن زيد. والثالث: مرامي من السماء، واحدها: حسيانة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الثَّضَر بن شُمَيْل: الحُسيان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة تُتْرَع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابه، إما حجارة أو برداً أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب. والرابع: أن الحُسيان: الحساب، كقوله: ﴿الْأَشْمُسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسل عليها عذاب حساب ما كسبت يدها، هذا قول الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَتَسْبِيحٌ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (٤) أَوْ يُسَبِّحُ مَاوْهًا غَوْرًا قال ابن قتيبة: الصعيد: الأملس المستوي، والزَّلَق: الذي تَزَلُّ عنه الأقدام، والغَوْر: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غَوْر، ومياه غَوْر، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، كما يقال: رجل نَوْم، ورجل صَوْم، ورجل فطر، ورجل نَوْم، [ونساء نَوْم]، ونساء صَوْم. ويقال للنساء إذا نُحِن: نَوَح، والمعنى: يذهب ماوها غائراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَكُمْ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثر تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأزضية. وقال ابن الأنباري: «غوراً» إذا غَوْر، فسقط المضاف، وخلفه المضاف إليه، والمراد بالطلب هاهنا: الوصول، فقام الطلب مقامه لأنه سببه. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: «غَوْرَراً» برفع الغين والواو [الأولى] جميعاً، [وواو بعدها].

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَنْبَسَ يَقْلِبُ كَتَبَهُ عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِرَبِّكِ رَيْقَ أَمَلًا﴾ (٥) وَلَمْ تَكُنْ لَكَ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٦) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٧)

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ أي: أحاط الله العذاب بشمره، وقد سبق معنى الشمر. ﴿فَأَنْبَسَ يَقْلِبُ كَتَبَهُ﴾ أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، ﴿عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا﴾ أي: في جنته، وفي «ها هنا» بمعنى «على». ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خالية ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعروش: السقوف؛ والمعنى: أن حيطانها قائمة والسقوف قد تهدمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنها على السقوف. ﴿وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِرَبِّكِ رَيْقَ أَمَلًا﴾ فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقق ما أنذره [به] أخوه في الدنيا، ندم على شركه حين لا تنفعا الندامة. وقيل: إنما يقول هذا في

(١) «الطبري» ٢٤٧/١٥، «القرطبي» ٤٠٥/١٠، و«خزانة الأدب» ٣٩٠/٢.

(٢) وكذلك قال الطبري ٢٤٨/١٥.

(٣) في نسخة الرباط: نازل من السماء.

القيامة ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ فِتْنَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «ولم تكن» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولم يكن» بالياء. والفتنة. الجماعة ﴿يَضْرُوبُكَ﴾ أي: يمنونه من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الولاية» بفتح الواو ﴿وَاللَّهُ الْحَقُّ﴾ خفضاً. وقرأ حمزة: «الولاية» بكسر الواو، والله الحق بكسر القاف أيضاً. وقرأ أبو عمرو بفتح الواو، ورفع «الحق»، ووافقه الكسائي في رفع القاف، لكنه كسر «الولاية»، قال الزجاج: معنى الولاية في [مثل] تلك الحال: تبين نصره وليّ الله. وقال غيره: هذا الكلام عائد إلى ما قبل قصة الرجلين. فأما من فتح واو «الولاية» فإنه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر، أراد السلطان والملك على ما شرحنا في آخر [الأنفال: ١٧٢]. فعلى قراءة الفتح، في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم يتولّون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرّؤون مما كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة. والثاني: هنالك يتولّى الله أمر الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين. وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السلطان لله. قال أبو علي: من كسر قاف «الحق»، جعله من وصف الله ﷻ، ومن رفعه جعله صفة للولاية. فإن قيل: لم نُعت الولاية وهي مؤنثة بالحق وهو مصدر؟ فنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن تأنيثها ليس حقيقياً، فحملت على معنى النصر؛ والتقدير: هنالك النصر لله الحق، كما حملت الصبيحة على معنى الصباح في قوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾ [هود: ٦٧]. والثاني: أن الحق مصدر يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنتان والجمع، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقولكم حق. ويجوز ارتفاع الحق على المدح للولاية، وعلى المدح لله تعالى بإضمار «هو».

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابٍ﴾ أي: هو أفضل ثواباً ممن يُرجى ثوابه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله تعالى: ﴿وَحَبَرٌ عُقْبًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «عُقْبًا» مضمومة القاف. وقرأ عاصم، وحمزة: «عُقْبًا» ساكنة القاف. قال أبو علي: ما كان [على] «قُئِلَ» جاز تخفيفه، كالعُنُق، والظُنْب. قال أبو عبيدة: العُقْب، والعُقْب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَلَخَلَّتْ بِهِ بَنَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: في سرعة نفاذها وذهابها، وقيل: في تصرف أحوالها، إذ مع كل فرحة تَرُوح، وهذا مفسر في سورة يونس: ٢٤ إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾. قال الفراء: الهشيم: كل شيء كان رطباً فيس. وقال الزجاج: الهشيم: النبات الجاف. وقال ابن قتيبة: الهشيم من النبت: المتفتت، وأصله من هشمت الشيء: إذا كسرت، ومنه سمي الرجل هاشماً. و﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنسفه. وقرأ أبي، وابن عباس، وابن أبي بلة: «تَذْرِيهِ» برفع التاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة. وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء. والمقتدر: مُقْتَلِع، من قَدَرْتُ. قال المفسرون: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُقْتَدِرًا﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَخَرُّ سَجْدًا﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ هذا ردٌ على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يُتَزَيَّن به في الدنيا، [لا] مما ينفع في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»؛ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عجزتم عن الليل أن تكابذوه، وعن العدو أن تجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فقلوها: فإنهن الباقيات الصالحات» (١)، وهذا قول

ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات، فقال هذه الكلمات، وزاد فيها: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي مثله سواء. والثاني: «أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوة إلا بالله»، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها الصلوات الخمس، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم. والرابع: الكلام الطيب، رواه العوفي عن ابن عباس. والخامس: هي جميع أعمال الحسنات، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يُخَيِّرُ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَاقِيًا﴾ أي: أفضل جزاء ﴿يُخَيِّرُ أَمَلًا﴾ أي: خير مما تؤملون، لأن آمالكم كواذب، وهذا أمل لا يكذب.

﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup> وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤﴾ وَوَضِعُ الْكِتَابِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبْدِلْنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَخِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رِبِّكَ أَحَدًا ﴿٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٦﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ عُسْخًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ويوم تُسِيرُ» بالتاء «الجبال» رفعاً. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «تُسِيرُ» بالنون «الجبال» نصباً. وقرأ ابن محيصن: «ويوم تُسِيرُ» بفتح التاء وكسر السين وتسكين الياء «الجبال» بالرفع. قال الزجاج: «ويوم» منصوب على معنى: اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تُسِيرُ الجبال. قال ابن عباس: تُسِيرُ الجبال عن وجه الأرض، كما يُسِيرُ السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وقرأ عمرو بن العاص، وابن السميع، وأبو العالية: «وترى الأرض بارزة» برفع التاء والضاد. وقرأ أبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه فتح ضاد «الأرض». وفي معنى «بارزة» قولان: أحدهما: [ظاهرة] فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناء، قاله الأكثرون. والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿لَمْ تُغَادِرْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: فلم نُخْلَفْ، يقال: غادرْتُ كذا: إذا خلفته، ومنه سمي الغدير، لأنه ماء تُخْلَفُ السيول. وروى أبان: «فلم تغادر» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًّا﴾ إن قيل: هذا أمر مستقبل، فكيف غُرِبَ [عنه] بالماضي؟ فالجواب: أن ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعاین، كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الاعراف: ٤٣]. وفي معنى قوله: ﴿صَمًّا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿لَمْ أَتْرَأْ صَمًّا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: وغرضوا على ربك مصفوفين، هذا مذهب البصريين. والثالث: أن المعنى: وغرضوا على ربك صفوفاً، فتاب الواحد عن الجميع، كقوله: ﴿لَمْ نُخَيِّرْكُمْ لِفُلَا﴾ [الحج: ٥]. والرابع: أنه لم يَغِبْ عن الله منهم أحد، فكانوا كالصف الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. وقد قيل: إن كل أمة وزمرة صف.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فيه إضمار «فيقال لهم». وفي المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكل. والثاني: الكفار، فيكون اللفظ عامّاً، والمعنى خاصّاً. وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مفسر في [الأنعام: ٩٤]. وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطاب للكفار خاصة، والمعنى: زعمت في الدنيا ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث، والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَوَضِعُ الْكِتَابِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكتاب الذي سيطر فيه ما تعمل الخلائق قبل وجودهم،

(١) أورده السيوطي في «الدر» ٢٢٥/٤ من رواية أحمد، وابن جرير، وابن المنذر عن عثمان رضي الله عنه.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ٢٢٥/٤ من رواية ابن مردويه عن علي رضي الله عنه.

قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحساب، قاله ابن السائب. والثالث: كتاب الأعمال، قاله مقاتل. وقال ابن جرير: وُضع كتاب أعمال العباد في أيديهم، فعلى هذا، الكتاب اسم جنس.  
قوله تعالى: ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ قال مجاهد: [هم] الكافرون. وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذُكر في القرآن. فالمراد به: الكافر.

قوله تعالى: ﴿مُتَفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿يَمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال السيئة ﴿وَيَقُولُونَ يَوَلَّيْنَا﴾ هذا قول كل واقع في هلكة. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَبَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ هذا على ظاهره في صغير الأمور وكبيرها؛ وقد روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الفقهة. وقد يوثق أن المراد بذلك صفات الذنوب وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضحك والتبسم، مجزئيهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من صفات الأفعال، والضحك فعل كبير، وقد روى الضحاك عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: الفقهة بذلك؛ فعلى هذا يكون ذنباً من الذنوب لمقصود فاعله، لا لنفسه. ومعنى «أحصاها»: عدّها وأثبتها، والمعنى: وُجِدَتْ مُحْصَاةٌ. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ أي: مكتوباً مُثَبَّتاً في الكتاب، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً. وقال أبو سليمان: الصحيح عند المحققين أن صفات المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنما يعفى عنها في الآخرة بعد أن يراها صاحبها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْلُرُ رَيْكَ أَعْمَا﴾ قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزداد في سيئات الكافر. وقيل: إن كان للكافر فعل خير، كعتق رقبة، وصدقة، خُفِّفَ عنه به من عذابه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله. ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكثير، فقال: ﴿وَلَا تَلْنَا﴾ أي: اذكر ذلك. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قولان: أحدهما: أنه من الجن حقيقة، لهذا النص؛ واحتج قائلوا هذا بأن له ذرية - وليس للملائكة ذرية - وأنه كَفَرَ، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر. والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: «من الجن»، لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرُّطبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه، قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا. والثالث: فسق عن ردّ أمر ربه، حكاه الزجاج عن قطرب.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَعِدُكَ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ [أي]: توالونهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسن، وقتادة: ذريته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. قال مجاهد: ذريته: الشياطين، ومن ذريته زَلَّتْ بُرُصُ صاحب راية إبليس بكل سوق، وثبر، وهو صاحب المصائب، والأعور صاحب الرياء، وميسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس، فلا يوجد لها أصل، وداسم صاحب الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله، فهو يأكل معه إذا أكل، قال بعض أهل العلم: إذا كانت خطيئة الإنسان في كثير فلا تُرْجَعُ، وإن كانت في شهوة فارجعه، فإن معصية إبليس كانت بالكثير، ومعصية آدم بالشهوة.

قوله تعالى: ﴿يَقْسُ لِلْإِنْسَانِ يَدْلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بشس الاتخاذ للظالمين بدلاً. والثاني: بشس الشيطان. والثالث: بشس الشيطان والفرية، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَتَتْهُمْ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «ما أشهدناهم» بالنون والألف. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: إبليس وذريته. والثاني: الملائكة. والثالث: جميع الكفار. والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: إني لم أشأورهم في خلقهن؛ وفي هذا بيان للقاء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَشْيِهِمْ﴾ أي: ما أشهدت بعضهم خلق بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مُخْذِذِي الضَّالِّينَ﴾ [يعني: الشياطين] ﴿عَصَا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَصْدُ يستعمل كثيراً في معنى العون، لأنه قوام [اليد]، قال الزجاج: والاعتصاد: التقوي وطلب المعونة، يقال: اعتصدت بفلان، أي: استعنت به. وفي ما نفى اتخاذهم عصداً فيه قولان: أحدهما: أنه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلّين، قاله مجاهد. والثاني: أنه خلق السموات والأرض، قاله مقاتل. وقرأ الحسن، والجاحدري، وأبو جعفر: «وما كنت» بفتح التاء.

﴿يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۖ ﴿٥٢﴾ وَرَدَّ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَهَا مَصْرِفًا ۖ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون، يعني: يوم القيامة ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ أضاف الشركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: لم يجيبوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون والشركاء. والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة. وفي معنى (مَوْبِقًا) ستة أقوال: أحدها: مَهْلِكًا، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال ابن قتيبة: مَهْلِكًا بينهم وبين ألهتهم في جهنم، ومنه يقال: أَوْبِقْتُهُ ذَنْبُهُ، [أي: أهلكته]. قال الزجاج: [المعنى]: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي: يهلكهم، فالمَوْبِقُ<sup>(١)</sup>: المهلك، يقال: وَبِقَ، يَبِيقُ، وَيَابِقُ، وَيَقَا، وَوَبَقًا، وَوُوبَقًا، فهو وابق؛ وقال الفراء: جعلنا تواصلهم في الدنيا مَوْبِقًا، أي: مَهْلِكًا لهم في الآخرة، فالْبِيقُ، على هذا القول؛ بمعنى التواصل، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من ضم النون. والثاني: أن المَوْبِقَ: واد عميق يُفَرَّقُ به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، قاله عبد الله بن عمرو. والثالث: أنه واد في جهنم، قاله أنس بن مالك، ومجاهد. والرابع: أن معنى المَوْبِقَ: العداوة، قاله الحسن. والخامس: أنه المَحْبِسُ، قاله الربيع بن أنس. والسادس: أنه المَوْعِد، قاله أبو عبيدة. قال ابن الأنباري: إن قيل: لم قال: «مَوْبِقًا» ولم يقل: «مَوْبِقًا»، بضم الميم، إذ كان معناه عذاباً مَوْبِقًا؟ فالجواب: أنه اسم موضوع لمَحْبِسٍ في النار، والأسماء لا تؤخذ بالقياس، فُيعلم أن «مَوْبِقًا»: مَفْعِلٌ، من أوبقه الله: إذا أهلكه، فتفتح الميم، كما تفتح في «مَوْعِد» و«مَوْلِد» و«مُخْتِد» إذا سَمِيت الشخص بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تنفِيطُ حقاً عليهم. والمراد بالمجرمين: الكفار. ﴿فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا﴾ أي: داخلوها. ومعنى الواقعة: ملابسة الشيء بشدة ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَهَا مَصْرِفًا﴾ أي: مغدلاً؛ والمَصْرِفُ: الموضع الذي يُصْرَفُ إليه، وذلك أنها أحاطت بهم من كل جانب، فلم يقدرُوا على الهَرَبِ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۖ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مُبَلَّغًا ۖ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في [ابن إسرائيل: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: أحدهما: أنه النَّصْرُ بن الحارث، وكان جداله في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أبي بن خلف، وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رَمَ، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟ قاله ابن السائب. قال الزجاج: كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال المفسرون: يعني: أهل مكة ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو: محمد ﷺ، والقرآن، والإسلام ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

(١) في الأصل: «فالموضع» بدلاً من كلمة «فالموبق»، ولعله سهو من الناسخ.

أحدهما: ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سُنَّةُ الأولين، قاله الزجاج. والثاني: وما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا إلا لَأَن تأتيهم سُنَّةُ الأولين، أي: منعهم رُشدَهُمْ لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابن الأنباري. والثالث: ما منعهم إلا أَنِّي قد قَدَّرْتُ عليهم العذاب. وهذه الآية فيمن قُتِلَ بيدر وأُحْد من المشركين، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ذكر ابن الأنباري في «أو» [هاهنا] ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الواو. والثاني: أنها لوقوع أحد الشيتين، إذ لا فائدة في بيانه. والثالث: أنها دخلت للتبعيض، أي: أن بعضهم يقع به هذا، وهذه الأقوال الثلاثة قد أسلفنا بيانها في قوله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله تعالى: ﴿قَبْلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «قَبْلًا» بكسر القاف وفتح الباء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «قَبْلًا» بضم القاف والباء. وقد بيَّنا علَّةَ القراءتين في [الأنعام: ١١١]. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «قَبْلًا» بوزن قَبِيل. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل «قَبْلًا» بفتح القاف من غير ياء، قال ابن قتيبة: أراد استثنافاً. فإن قيل: إذا كان المراد بسُنَّةِ الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾؟ فالجواب: أن سُنَّةَ الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قَبْلًا أفاد القتل يوم بدر. قال مقاتل: «سُنَّةُ الأولين»: عذاب الأمم السالفة؛ «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَبْلًا»، أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر.

﴿وَمَا تُرِيدُ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا مَبْطِئِينَ وَمُنْذِرِينَ وَجُنُودَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْخِلُوا بِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِلَّا حِمْلًا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفَى آفَاتِهِمْ وَقَدْ وَدَّ أَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْقَوُّورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَّهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَفْلَكُنْتُمْ لَمَّا ظَنَنْتُمْ وَجَعَلْنَا لِنَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَجُنُودَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ﴾ قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم. وجدالهم بالباطل: أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أحوالهم ﴿لِيُدْخِلُوا بِهِ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لِيُبْطِلُوا ما جاء به محمد ﷺ. وقيل: جدالهم: قولهم: ﴿لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفِيقًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿لَوْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليبطلوا به ما جاء في القرآن من ذكر البعث والجزاء. قال أبو عبيدة: ومعنى «لِيُدْخِلُوا» لِيُزِيلُوا ويذهبوا، يقال: مكان دَخُض، أي: مَزَلْ لا يثبت فيه قدم ولا حافر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ أي: خُوفوا به من النار والقيامة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: مهزوءاً به. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في [البقرة: ١١٤]. و﴿ذِكْرٌ﴾ بمعنى: وعظ. وآيات ربِّه: القرآن، وإعراضه عنها: تجاهونه بها. ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ﴾ أي: ما سلف من ذنوبه؛ وقد شرحنا ما بعد هذا في [الأنعام: ٢١] إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ وهو: الإيمان والقرآن ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ هذا إخبار عن عِلْمِهِ فيهم. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْقَوُّورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ للبعث والجزاء ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ قال الفراء: الموثل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجأ، والعرب تقول: إنه لَيُؤَاتِلُ إلى موضعه، أي: يذهب إلى موضعه، قال الشاعر:

لَا رَاءَ لَكَ نَفْسُكَ خَلِيَّتُهَا

يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبِّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ

وَقَدْ يُحَافِزُ مِنِّي لَمْ مَآيِلُ<sup>(١)</sup>

أي: ما ينجو. وقال ابن قتيبة: المولجأ: الملجأ. يقال: وأل فلان إلى كذا: إذا لجأ. فإن قيل: ظاهر هذه الآية يقتضي أن تأخير العذاب عن الكفار برحمة الله، ومعلوم أنه لا نصيب لهم في رحمته. فعنه جوابان: أحدهما: [أن]

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٦٩/١٥، و«القرطبي» ٨/١١، و«اللسان»: وأل.

(٢) ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩، و«الطبري» ٢٦٩/١٥، و«مجاز القرآن» ٤٠٨/١، و«القرطبي» ٨/١١.

الرحمة هاهنا بمعنى النعمة، ونعمة الله لا يخلو منها مؤمن ولا كافر. فأما الرحمة التي هي الغفران والرضى، فليس للكافر فيها نصيب. والثاني: أن رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة، فأما في الدنيا، فإنهم ينالون منها العافية والرزق.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلِكِ الْقُرْآنُ﴾ يريد: التي قصصنا عليك ذكراً، والمراد: أهلها، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَكْتُمُهَا﴾ والمراد: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب. قال الفراء: قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ معناه: بعدما ظلموا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِهَٰلِكِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام؛ قال الزجاج: وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون مصدرًا، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم. والثاني: أن يكون وقتًا، فالمعنى: لوقت هلاكهم. وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وهو مصدر مثل الهلاك. وقرأ حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، ومعناه: لوقت إهلاكهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّىٰ أَتِيَنَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا شَبَّاهُمَا فَأَخَذَ سَيِّلٌ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنُهُ إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِّئُكَ الْحَوْتَ وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَّ وَافَّذَ سَيِّلَهُمْ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَازْدَدَا عَلَىٰ عَاقِبَتِهَا فَعَصَا ﴿١٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَالِيَهُ رَحِمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْنَهُ...﴾ الآية، سبب خروج موسى ﷺ في هذا السفر، ما روى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فغضب الله عز وجل عليه إذ لم يزد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك؛ قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جزية الماء، فصار عليه مثل الطاق<sup>(١)</sup>. فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتهاه: آتينا غداؤنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصيب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال فتاه: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ...» إلى قوله: ﴿عَجَبًا﴾، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتهاه عجباً، فقال موسى: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَازْدَدَا عَلَىٰ عَاقِبَتِهَا فَعَصَا» قال: رجعا يقضيان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا هو مسجى بشوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام<sup>(٢)</sup>! مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ لَا تَعْلَمُهُ عِلْمِيهِ، وأنت على علمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمُكَ لَا أَعْلَمُهُ؛ فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً؛ فقال له الخضر: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا؛ فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرّت سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فغرفوا الخضر فحملوه بغير نَوَلٍ<sup>(٣)</sup>؛ فلما ركبا في السفينة لم يبقاً إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نَوَلٍ عمدت إلى سفينتهما «أَخْرَجْنَاهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...» إلى قوله: ﴿عَجَبًا﴾؟! قال: وقال رسول الله ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيانًا»، وجاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: «أَفَلَا تَنفَسُ رُوحَكَ» إلى قوله: ﴿يُؤَيِّدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ فقال الخضر بيده [هكذا]<sup>(٤)</sup>،

(١) الطاق: عقد البناء، وجمعه: طيقان، وأطواق - وهو الأزعج (بيت بيني طولاً، أو السقف) - وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خالياً.

(٢) أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام. قال العلماء: «أَنَّى» تأتي بمعنى: أين، ومتى، وحيث، وكيف.

(٣) أي: بغير أجر، والنول والنوال: المطاء.

(٤) قوله: فقال الخضر بيده هكذا، أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير بالفعل عن القول، وهو شائع.



فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَلَخَّدْتَ عَلَيْهِ جُرّاً﴾! ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ...﴾ الآية. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا إسناده في كتاب «الحداثق» فآثرنا الاختصار هاهنا. فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَلَاذْ قَالَ مُوسَى﴾: والمعنى: واذكر ذلك. وفي موسى قولان: أحدهما: أنه موسى بن عمران، قاله الأكثرون. ويدل عليه ما روي في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله<sup>(٢)</sup>، أخبرني أبي بن كعب... فذكر الحديث الذي قدمناه آنفاً<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه موسى بن ميثا، قاله ابن إسحاق، وليس بشيء، للحديث الصحيح الذي ذكرناه. فأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف. وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه. ومعنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أزال. وليس المراد به: لا أزول، لأنه إذا لم يُزَلْ لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدّي أمانةً وتحملُ أخرى أفرحتك الودائع<sup>(٤)</sup>

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه، قال قتادة: بحر فارس، وبحر الروم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق. وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين قولان: أحدهما: إفريقية، قاله أبي بن كعب. والثاني: طنجة، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْخِضْ حُجُبًا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجاحدي، وابن يعمر: «حُجُبًا» بإسكان الكاف. قال ابن قتيبة: الحُجُب: الدَّهْر، والجُحُب: السُّنُون، واحداً حُجْبَةٌ، ويقال: حُجِبَ وحُجِبَ، كما يقال: قُفِلَ وقُفِلَ، وهُزِزَ وهُزِزَ، وكُفُو وكُفُو، وأُكُلَ وأُكُلَ، وسُخِثَ وسُخِثَ، ورُغِبَ ورُغِبَ، ونُكِرَ ونُكِرَ، وأُذِنَ وأُذِنَ، وسُخِقَ وسُخِقَ، وبُعِدَ وبُعِدَ، وشُغِلَ وشُغِلَ، وثُلُثَ وثُلُثَ، وعُذِرَ وعُذِرَ، ونُذِرَ ونُذِرَ، وعُمِرَ وعُمِرَ. وللمفسرين في المراد بالحُجُب هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الدَّهْر، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة. والثالث: سبعون ألف سنة، قاله الحسن. والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهد. والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: أنه ثمانون ألف سنة. كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا. والسابع: أنه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفراء. والثامن: الحُجُب عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة. ومعنى الكلام: لا أزال أسير، ولو احتجت أن أسير حُجُبًا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿جَمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ يعني: البحرين ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾ وكانا قد تزودا حوتاً مالحاً في زَبِيل<sup>(٥)</sup> فكانا يصيبان منه عند الغداء والعشاء، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بلل البحر. وقيل: توضع يوشع من عين الحياة فانتضخ على الحوت الماء، فعاش، فتحرك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي. وإنما قيل: «نسيا حوتيهما» توسعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزودا، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنما نسيه أحدهم. قال الفراء: ومثله قوله: ﴿يَسْحَجُ مِنْهُمَا الذُّؤُودُ وَالْكَرْمَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج ذلك من الملح، لا من العذب. وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فلذلك أضيف النسيان إليهما.

(١) البخاري ١٥٣/١ و٣٠٨/٦ و٣١٠/٨، ومسلم ١٨٤٧/٤، ورواه الترمذي ١٤٣/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قوله: كذب عدو الله، قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزرع عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغة في إنكار قوله: لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تتراد بها حقائقها.

(٣) البخاري ٣١٠/٨، ومسلم ١٨٤٧/٤.

(٤) البيت لبهس العذري في «اللسان»: فرح.

(٥) الزَبِيل: الفَقَّة، والجمع: زَبِيل ومثله الزَبِيل، والزَبِيل، والجمع: زنايل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرْجًا﴾ أي: مسلماً ومذهباً. قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يس حتى يكون صخرة. وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً. وقد ذكرنا في حديث أبي بن كعب أن الماء صار مثل الطاق على الحوت.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَنَا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوت، أصابهما ما يصيب المسافرين من النَّصَب، فدعا موسى بالطعام، فقال: ﴿وَلَيْسَ غَدَاةً نَا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة. والنَّصَب: الإعياء. وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى. ﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿فَإِنِّي نَبِئْتُ الْكُفُوتَ﴾ فيه قولان: أحدهما: نسيْتُ أن أخبرك خبر الحوت. والثاني: نسيْتُ حمل الحوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْنِي﴾ قرأ الكسائي: «أنسانيه» بإمالة السين [مع كسر الهاء]. وقرأ ابن كثير: «أنسانيه» بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء. وروى حفص عن عاصم: «أنسانيه إلا» بضم الهاء [في الوصل].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوت. وفي التَّخِذ قولان. أحدهما: أنه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يُري عَجَبًا، ويُحدث عَجَبًا. والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عَجَبًا، وتنبهوا لهذه الآية. والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: «في البحر» فقال موسى: عَجَبًا، لما شوهده من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والثاني: [أن] المُخْبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت. والقول الثاني: أن المتخِذ موسى، اتخذ سبيل الحوت في البحر عَجَبًا، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأى الخضر. وروى عطية عن ابن عباس قال: رجع موسى إلى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبُغُ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدالة على مطلوبنا، قرأ ابن كثير: «نبغي» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء في الحالين.

قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ قال الزجاج: أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصّان الأثر، والقصص: اتّباع الأثر.

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: الخضر. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: اليسع، قاله وهب، ومقاتل. والثاني: الخضر بن عاميا. والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابن المنادي. والرابع: بليا بن ملكان، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فاما تسميته بالخضر، ففيه قولان: أحدهما: أنه جلس في فروة بيضاء فاخضرت، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والفروة: الأرض اليابسة. والثاني: أنه كان إذا جلس اخضر ما حوله، قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضر ما حوله. وهل كان خضر نبياً، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكر بن الأنباري، وقال: كثير من الناس يذهب إلى أنه كان نبياً<sup>(٢)</sup>، وبعضهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلف العلماء هل هو باقي إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا

(١) روى الإمام أحمد في «المستند» عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ في الخضر قال: «إنما سمي خضراً، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء» وجاء في «صحيح البخاري» ٣٠٩/٦ عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». قال ابن كثير: والمراد بالفروة هاهنا: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات.

(٢) قال ابن كثير ٩٩/٣ عند قوله تعالى على لسان الخضر ؑ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنْ أَنْعَمَ﴾: وما فعلته عن أمري، لكني أمرت به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ؑ، مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِنَّهُنَّ رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّنَا وَنُفِثْنَاهُ بَيْنَ لَدُنَّا وَلَنَا﴾. وقال الآلوسي في «روح المعاني» ٢٩٣/١٥: الجمهور على أنه نبي.

(٣) أي: معطوف على الصبر، والنحويون يسمون حروف العطف: حروف النسق.

بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَلْعَرَفْنَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «لتغرق» بالناء «أهلها» بالنصب. وقرأ حمزة، والكسائي: «ليغرق» بالياء «أهلها» برفع اللام. ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منكر، قاله مجاهد. وقال الزجاج: عظيماً من المنكر. والثاني: عجباً، قاله قتادة. وابن قتيبة. والثالث: داهية، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ في هذا النسيان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على حقيقته، وأنه نسي، روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أن الأولى كانت نسياناً من موسى»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، قاله أبي بن كعب، وابن عباس. والثالث: أنه بمعنى الترك. فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتك عليه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْهَقُنِي﴾ قال الفراء: لا تُعجلني. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: لا تُغشني. قال أبو زيد: يقال: أرهقته عسراً: إذا كلفته ذلك. قال الزجاج: والمعنى: عاملني باليسر، لا بالعسر. قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذُوا﴾ يعني: موسى والخضر. قال الماوردي: يحتمل أن يوشع تأخر عنهما، لأن الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تبع لموسى، فاقصر على حكم المتبوع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَبَّيَّا عَلَيْنَا﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن بالغاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، والأكثرون. والثاني: أنه كان شاباً قد قبض على لحيته، حكاه الماوردي عن ابن عباس أيضاً، واحتج بأن غير البالغ لم يجر عليه قلم، فلم يستحق القتل. وقد سُمي الرجل غلاماً، قالت ليلي الأخيلية تملح الحجاج:

[شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا] غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقِنَاءَ سَقَاهَا<sup>(٢)</sup>

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اقتلع رأسه، وقد ذكرناه في حديث أبي. والثاني: كسر عنقه، قاله ابن عباس. والثالث: أضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ نَفْسًا رَكِيَّةً﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: «زكية» بغير ألف، والياء مشددة. وقرأ الباقون بالألف من غير تشديد. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسية. وللمفسرين فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الثابتة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزكية: الثابتة، [وبه] قال الضحاک. والثاني: أنها المسلمة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: القومية في تركيبها. والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة. والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها، قاله الزجاج. وقد فُرق بعضهم بين الزاكية، والزكية، فروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الزاكية: التي لم تذب قط، والزكية: التي أذنبت ثم تابت. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين.

قوله تعالى: ﴿يَغْيُرُ نَفْسِينَ﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «نكراً» خفيفة في كل القرآن، إلا قوله: ﴿إِلَّا شَيْءٌ نُّكْرٌ﴾ [النمر: ٦١]، وخفف ابن كثير أيضاً: «إلى شيء نُّكْر». وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُكْرًا» و«إلى شيء نُكْر» مثقل. والمخفف إنما هو من المثقل، كالعُنُق، والعُنُق، والنُّكْر، والنُّكْر، قال الزجاج: والمعنى: لقد آتيت شيئاً نكراً. ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيء نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، و«نكراً» أقل منكر من قوله: «إمراً» لأن تغريق مَنْ في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة.

(١) هذه قطعة من الحديث الطويل الذي تقدم سابقاً في ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٢) الأغاني طبع الدار ٢٤٨/١١، والقرطبي ٢١/١١، والبحر المحيط ١٥٠/٦، و«روح المعاني» ٣١٠/١٥، وقوله:

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَنْبُجُ أُنْقَمَى دَائِهَا نَفْسَاهَا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَفْعَلُ لَكَ﴾. إن قيل: لم ذكر «لك» هاهنا، واختزله من الموضع الذي قبله؟ فالجواب: أن إثباته للتوكيد، واختزله لوضوح المعنى، وكلاهما معروف عند الفصحاء. تقول العرب: قد قلت لك: اتق الله. وقد قلت لك: يا فلان اتق الله، وأنشد ثعلب.

قد كنتَ حَذَرْتُكَ آلَ الْمُضْطَلِّقِ  
وقلتُ: يا هَذَا أَطْعَمَنِي وَأَنْطَلِقُ  
فقوله: يا هذا، توكيد لا يختل الكلام بسقوطه. وسمعت الشيخ أبا محمد الخشاب يقول: وقره في الأول، فلم يواجه بكاف الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ وقرأ كذلك معاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، والأعرج، إلا أنهم شددوا النون. قال الزجاج: ومعناه: إن طلبت صحتك فلا تتابعني على ذلك. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبله، ويعقوب: ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ بفتح التاء من غير ألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والأعمش كذلك، إلا أنهم شددوا النون. وقرأ أبو رجاء، وأبو عثمان النهدي، والنخعي، والجحدري: ﴿تُصِجْنِي﴾ بضم التاء، وكسر الحاء، وسكون الصاد والباء. قال الزجاج: فيهما وجهان: أحدهما: لا تتابعني في شيء ألتسمه منك. يقال: قد أصبح المهر: إذا انقاد. والثاني: لا تصحني علماً من علمك. ﴿فَدَلَّتْ مِن لَدُنِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿من لدني﴾ مثقل. وقرأ نافع: ﴿من لدني﴾ بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿من لدني﴾ بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: ﴿لدني﴾ بضم اللام وتسكين الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون، لأن أصل «الذن» الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النون ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: من لدني، كما تقول: عن زيد وعني. فاما إسكان دال «لدني» فإنهم أسكنوها، كما تقول في عَصَد: عَصُد، فيحذفون الضم. قال ابن عباس: يريد: إنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني: أنك قد أخبرتني أنني لا أستطيع معك صبراً.

قوله تعالى: ﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أنطاكية، قاله ابن عباس. والثاني: الأبله، قاله ابن سيرين. والثالث: باجروان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَسْتَقَمَّا أَهْلَهَا﴾ أي سألهم الضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾ روى المفضل عن عاصم: ﴿يُضَيَّفُوهُمَا﴾ بضم الياء الأولى وكسر الضاد وتخفيف الياء الثانية. وقرأ أبو الجوزاء كذلك، إلا أنه فتح الياء [الأولى] وقرأ الباقون: ﴿يُضَيَّفُوهُمَا﴾ بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية وكسرها. قال أبو عبيدة: ومعنى يضيّفوهما: ينزلوهما منزل الأضياف، يقال: ضيفت أنا، وأضافني الذي يُنزلني. وقال الزجاج: يقال: ضيف الرجل: إذا نزلت عليه، وأضفته: إذا أنزلته وقرّيته. وقال ابن قتيبة: [يقال]: ضيفت الرجل: إذا أنزلته منزلة الأضياف، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضيّفته: نزلت عليه. وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لثاماً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حائطاً. قال ابن فارس: وجمعه جُدْر، والجذر: أصل الحائط. ومنه حديث الزبير: «ثم دع الماء يرجع إلى الجذر»<sup>(٢)</sup>، والجذر: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بألف مدودة، وضاد معجمة؛ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاض» بألف ومدة وضاد غير معجمة، وكله بلا تشديد. قال الزجاج: فمعنى: ينقض: يسقط بسرعة، وينقاض - غير معجمة: ينشق طولاً، يقال: انقاضت سيئه: إذا انشقت. قال ابن مقسم: انقاضت سيئه، وانقاضت - بالصاد، والضاد - على معنى واحد. فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، ويريد: لأن هيئته في التهوي للوقوع قد ظهرت كما يظهر

(١) رواه مسلم ١٨٥٢/٤ بلفظ «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً» وهو قطعة من حديث طويل.

(٢) في البخاري ٢٢٧/٥: «استق يا زبير ثم اجس حتى يبلغ الجذر» وهو في «النسائي» ١٣٩/٨، وهو جزء من حديث طويل.

من أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوُّزاً، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، وأنشدوا من ذلك:

إِنْ دَفَعْنَا يَلْفَ شَمْلِي بِجُمْلٍ      لَزِمَانُ يَهُمُّ بِالْإِخْسَانِ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

يُرِيدُ الرُّمُحُ صَنْدَرُ أَبِي بَرَاءٍ      وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

ضَحِكُوا وَالدَّهْرُ عَنْهُمْ سَاكِتٌ      ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمَاءُ لَمَّا نَطَقُوا  
وقال آخر:

يَشْكُو إِلَيَّ جَمْلِي طَوْلَ السُّرَى      [صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى]<sup>(٣)</sup>  
وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنكَرَتْ﴾ أي: سَوَاهُ، لأنه وجده مائلاً. وفي كيفية ما فعل قولان: أحدهما: أنه دفعه بيده فقام. والثاني: هدمه ثم قعد بينه، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَتَّخَذْتَ» بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لَا تَتَّخَذْتَ» وكلهم أدغوا، إلا حصاً عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تَخَذَ يَتَّخِذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هذا، لأنهم لم يضيفوها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿هَذَا﴾ يعني: الإنكار عَلَيَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المَفْرُقُ بيننا. قال الزجاج: المعنى: هذا فِرَاقُ بَيْنَا، أي: فراق اتصالنا، وكرر «بين» تأكيداً، ومثله في الكلام: أخزى الله الكاذب مني ومنك. وقرأ أبو رزين، وابن السميع، وأبو العالية، وابن أبي عبيدة: «هذا فِرَاقُ» بالتثوين «بيني وبينك» بنصب النون. قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام، لرثه، وكان قوله في الجدار، لنفسه، لطلب شيء من الدنيا

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَمْلِكُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُبْيَها وَكَانَ رِجَالُهَا كُلُّ سَفِينَةٍ عَصَبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْتَمِرَيْنِ فَفَحِشًا أَنْ يَرْفِقَهُمَا طُفْلًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَادَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رِجُلًا بِنْتًا رَكُوزًا وَأَقْرَبَ رَجُلًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْمَعْ عَلَيْهِ صَرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ في المراد بمسكنتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا ضعفاء في أكسابهم. والثاني: في أبدانهم. وقال كعب: كانت عشرة إخوة، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْدَتْ أَنْ أُبْيَها﴾ أي: أجعلها ذات عيب، يعني بخرقها، ﴿وَكَانَ رِجَالُهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «وكان أمامهم ملك». والثاني: خلفهم؛ قال الزجاج: وهو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره، فأعلم الله تعالى الخضر خبره.

(١) البيت غير منسوب في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ٢٦/١١، و«أمالى المرتضى» ٥٥/٤، و«الصناعتين» ٢١٤، و«اللسان» و«التاج»: دهر، وقد نسب الألويسي في «روح المعاني» ٦/١٦ إلى حسان بن ثابت ولم نجده في ديوانه.

(٢) البيت في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«مجاز القرآن» ٤١٠/١، ونسبه محققه للمجاشعي، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«الصناعتين» ٢١٢، و«اللسان»: رود، و«القرطبي» ٢٦/١١، ونسبه الزمخشري في «الكشاف» ٣٩٨/٢ للرابعي.

(٣) الرجز غير منسوب في «مجاز القرآن» ٣٠٣/١، و«تأويل مشكل القرآن» ٧٩، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ١٥٢/٩، و«اللسان» و«التاج»: شكا.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذْ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة. وفي قراءة أبي [بن كعب]: «كُلُّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ». قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها فانتعوا بها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ﴾ روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً». وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرقت أبويه طغياناً وكفراً»<sup>(١)</sup>. قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمر به أحد إلا قتله أو غصبه، فیدعو ذلك عليه وعلى أبويه. وقال ابن السائب: كان الغلام لصاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿فَنَحْشِيَنَّهُ﴾ في القائل لهذا قولان: أحدهما: الله عز وجل. ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان: أحدهما: أنها بمعنى: العلم. قال الفراء: معناه: فعلنا. وقال ابن عقيل: المعنى: فعلنا فعل الخاشي. والثاني: الكراهة، قاله الأخفش، والزجاج. والثاني: أنه الخضر، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمر المتهوم، قاله ابن الأنباري. وقد استدلل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾. قال الزجاج: المعنى: فأراد الله، لأن لفظ الخبر عن الله تعالى هكذا أكثر من أن يحصى. ومعنى ﴿يُبْدِلُهُمَا﴾: يحملهما على الرُّق، وهو الجهل. قال أبو عبيدة: «يُبْرِهِنُهُمَا»: يغشيهما. قال سعيد بن جبیر: خشينا أن يحملهما حُبَّه على أن يدخلنا في دينه. وقال الزجاج: فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله<sup>(٢)</sup>، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره، خير له من قضائه فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «أَنْ يُبْدِلَهُمَا» بالتخفيف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ رَكُوزًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ديناً، قاله ابن عباس. والثاني: عملاً، قاله مقاتل. والثالث: صلاحاً، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «رُحْمًا» ساكنة الحاء، وقرأ ابن عامر: «رُحْمًا» مثقلة. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقرأ ابن عباس، وابن جبیر، وأبو رجاء: «رُحْمًا» بفتح الراء، وكسر الحاء. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أوصل للرحم وأبّر للوالدين، قاله ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: أقرب عطفًا، وأمس بالقربة. ومعنى الرُّحْم والرُّحْم في اللغة: العطف والرحمة، قال الشاعر:

وَكَيْفَ بَظَلَمَ جَارِيَةً وَمِنْهَا اللَّيْنُ وَالرُّحْمُ<sup>(٣)</sup>

والثاني: أقرب أن يُرْحَمَ به، قاله الفراء. وفيما بُدِّلَ به قولان: أحدهما: جارية، قاله الأكثرون. وروى عطاء عن ابن عباس، قال: أبدلها به جارية ولدت سبعين نبيًا. والثاني: غلام مسلم، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَنَّى يُبْدِلُهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَيُّهَا أَهْلُ قَرْيَةٍ﴾، قال مقاتل: واسمها: أصرم، وصريم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ذهباً وفضة، رواه أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن، وعكرمة، وقتادة: كان مالا. والثاني: أنه كان لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يُنْصَب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها،

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ٢٠٥٠/٤، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٧٠٥)، والترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٧/٤ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وابن مردويه.

(٢) في «الطبري»، وابن كثير عن قتادة: فليرض امرؤ بقضاء الله.

(٣) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٤١٣/١، و«القرطبي» ٣٧/١١، و«اللسان» و«التاج»: رحم.

(٤) رواه الترمذي: ١٤٤/٢ من حديث مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، ورواه الحاكم أيضاً عن أبي الدرداء.



أنا الله الذي لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي؛ وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: فسُمي كنزاً من جهة الذهب، وجعل اسمه هو المغلب. والثالث: كنز علم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: صُحف فيها علم، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحته مثل الكنز، لأنه يُتَعَجَّل من نفعه أفضل مما يُنال من الأموال. قال الزجاج: والمعروف في اللغة: أن الكنز إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوب فيه علم، على ما روي، فهو مال وعلم عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: حُفِظَا بِصَلاحِ أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً. وقال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. وقال مقاتل: كان أبوهما ذا أمانة.

قوله تعالى: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾ قال ابن الأنباري: لما كان قوله: «فأردت» و«أردنا» كل واحد منهما يصلح أن يكون خبراً عن الله ﷻ، وعن الخضر، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، ويزيلها عن غيره، ويكشف البُغية من اللفظتين الأوليين. وإنما قال: «فأردت» «فأردنا» «فأراد ربك»، لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتِّفَاقه مع تساوي المعاني، لأنه أعذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع، فيقول الرجل: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبرني بما نال. فاما «الأشد» فقد سبق ذكره في مواضع [الأنعام: ١٥٢، ويوسف: ٢٢، والإسراء: ٣٤] ولو أن الخضر لم يُقِم الحائط لَنَقُص وأخذ ذلك الكنز قبل بلوغهما.

قوله تعالى: ﴿رَحِمَهُمُ الْبَرُّ﴾ أي: رحمهما الله بذلك. ﴿وَمَا قُلْتُ عَنْ أَمْرِ﴾ قال قتادة: كان عبداً مأموراً<sup>(١)</sup>.

فأما قوله: ﴿قَطَعَ﴾ فإن «استطاع» و«اسطاع» بمعنى واحد.

﴿وَتَوَلَّوْكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ قُلْ سَأَقُولُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٦﴾ إِنَّا سَخَّنا لَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَآئِنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً ﴿٨٧﴾ فَأَنْتَ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقَرِّبَ السَّمِيسِ وَبَدَّهَا نَقْرَبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا بِنَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَنْجِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٩﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكُوراً ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ لَمْ يَسْأَلْ لَمْ يَنْ أَمْرًا يُنْصَرَفُ ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّوْكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّوْكَ عَنِ الرُّوحِ﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٨٥]. واختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله، قاله علي بن عباس، وروي عن ابن عباس أنه عبد الله بن الضحاك. والثاني: الإسكندر، قاله وهب. والثالث: عيَّاش، قاله محمد بن علي بن الحسين. والرابع: الصعب بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي علّة تسميته بذِي القرنين عشرة أقوال: أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك، فغير زماناً، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذائك قرناه، قاله علي بن عباس. والثاني: أنه سمي بذِي القرنين، لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. والرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض وأخذ بقرني الشمس، فقَصَّ ذلك على قومه، فسُمي بذِي القرنين. والخامس: لأنه مَلَكُ الروم وفارس. والسادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين، رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب بن منبه. والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن. قال ابن الأنباري: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومن قال: سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبيين من الأرض يقال لهما: قرنان. والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف. والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حي. والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو إسحاق الثعلبي. واختلفوا هل كان

(١) وهذا يدل على أنه كان نبياً، وأن ما صدر منه كان بوحي من الله ﷻ. قال الطبري: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته، عن رأيي ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به.

(٢) انظر القول الثاني في الصفحة (٨٢٩).



[الحاقة: ٥١] ﴿وَبَيْنَ أَفْئِدَةٍ﴾ [البينة: ٥] ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ٣٠] قال أبو علي الفارسي: المعنى: فله جزءا الخلال الحسنى، لأن الإيمان والعمل الصالح خلال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «جزاء» بالنصب والتنوين؛ قال الزجاج: وهو مصدر منصوب على الحال، المعنى: فله الحسنى مجزئاً بها جزءاً. وقال ابن الأنباري: وقد يكون الجزء غير الحسنى إذا تأول الجزء بأنه الثواب؛ والحسنى: الحسننة المكتسبة في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدّم من الحسنات.

قوله تعالى: ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يَتَرَا﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٨٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوِيٍّ لَّزٍ نَّجْمٌ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا يَبْتَرَا﴾ ٩٠ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ٩١

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٨٩ ﴿أي: طريقاً آخر يوصله إلى المشرق. قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوماً في أسرابٍ عراءٍ، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معاشهم مما أحرقت الشمس. وبلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنیان، فيقال: إنهم الزنج. قال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش. وقرأ الحسن، ومجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: ﴿مَطْلَعُ الشَّمْسِ﴾ بفتح اللام. قال ابن الأنباري: ولا خلاف بين أهل العربية في أن المَطْلِع، والمَطْلَع كلاهما يعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشمس. ويقولون: ما كان على فَعْلٍ يَفْعُل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْعُل، كقولهم: المَذْخَل، للدخول، والموضع الذي يُدْخَل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المَطْلَع، والمَسْكِن، والمَنْشِك، والمَشْرِق، والمَغْرِب، والمسْجِد، والمَنْبِت، والمَجْزِر، والمَفْرَق، والمَسْفِط، والمَهْلِل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفاً شُع فيهن الكسر والفتح: المَطْلَع، والمَطْلَع. والمَنْشِك، والمَنْشِك. والمَجْزِر، والمَجْزِر. والمَسْكِن، والمَسْكِن. والمَنْبِت، والمَنْبِت؛ فقرأ الحسن على الأصل من احتمال المَفْعُل الوجهين الموصوفين [بفتح العين وكسرهما]، وقراءة العامة على اختيار العرب وما كثر على ألسنتها، وخصت المَوْضِع بالكسر، وآثرت المصدر بالفتح. قال أبو عمرو: المَطْلَع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمَطْلَع، بالفتح: الطَّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تسع فتجعل الاسم نائباً عن المصدر، فيقروون: ﴿حَتَّىٰ مَطْلِعَ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطَّلوع؛ ويقراء من قرأ ﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ بالفتح على أنه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسم للموضع الذي يدخل منه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. والثاني: أنبع سبباً كما أنبع سبباً. والثالث: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم. والرابع: أن المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثم استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عنده ومعه من الجيوش والعدد. وحكى أبو سليمان الدمشقي: «بما لديه» أي: بما عند مطلع الشمس. وقد سبق معنى الخُبْر [الكهف: ٦٨].

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٩١ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ٩٢ ﴿قَالُوا يَبْنَدا الْقَرْيَتَيْنِ لَئِذَا يَأْتِيَهُنَّ وَمَأْجُجٌ مُتَّبِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْبًا عَلَيْنَا أَمْ أَنَا خَيْرٌ فَأَمِينُونِي بِقَوْلِهِمْ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ٩٣ ﴿مَأْثُورٍ ذِكْرٍ لِلْعَلِيِّ حَتَّىٰ إِذَا سَارَكُمُ بَيْنَ السَّدَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَأْثُورٍ أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ ٩٤ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَجًّا﴾ ٩٥ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي إِذَا جَاءَهُ وَعَدَّ رَبِّي حَسْبَهُ ذُكَّاءٌ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ٩٦

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّئًا﴾ ٩١ ﴿أي: طريقاً ثالثاً بين المَشْرِق والمَغْرِب﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾ قال وهب بن منبه: هما جبلان منيفان في السماء، من ورائهما البحر، ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض التُّرك مما يلي بلاد أرمينية. وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان. واختلف القراء في «السَّدَيْنِ»

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. وهل المعنى واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدها: أنه واحد. قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسداً ما وراءه، فهو سداً، وسداً، نحو: الضعف، والضعف، والفقر والفقر. قال الكسائي، وثعلب: السد والسد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: أنهما يختلفان. وفي الفرق بينهما قولان: أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضموم، وما هو من فعل الآدميين فهو مفتوح، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو عبيدة. قال الفراء: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين. والثاني: أن السد، بفتح السين: الحاجز بين الشيتين، والسد، بضمها: الغشاوة في العين، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ مِنْ دُونِهَا﴾ يعني: أمام السدين ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يَفْقَهُونَ قَوْلًا» بفتح الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: معناه أنهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ٧١]. قال المفسرون: وإنما كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَفْقَهُونَ» بضم الياء، أراد: يُفْهِمُونَ غيرهم. وقيل: كلّم ذا القرنين عنهم مترجمون ترجموا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُجَ وَيَأْجُجَ﴾ هما: اسمان أعجميان، وقد همزهما عاصم. قال الليث: الهمز لغة رديئة. قال ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح ﷺ، يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار. وقال عليّ ﷺ: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مُفْطَر في الطول، ولهم من الشعر ما يواريه من الحرّ والبرد. وقال الضحاك: هم جيل من الترك. وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تُغِير، فجاء ذو القرنين فضرب السد، فبقيت خارجه. وروى شقيق عن حذيفة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربع مائة ألف» أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من ضلّبه كلّ قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لَنَا، قال: «هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز؛ قلت: يا رسول الله: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء؛ وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفتش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى ولا يمزون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام، وساقّتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَذَرُ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنهم كانوا يأكلون الناس، قاله سعيد بن عبد العزيز. والثالث: يُخْرِجون إلى الأرض الذين شكّوا منهم أيام الربيع، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم، قاله ابن السائب. والرابع: كانوا يقتلون الناس، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «خَرْجًا» بغير ألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة، والليث. والثاني: أن الخَرْج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أدائه، قاله أبو عمرو بن العلاء. قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَكِّيٌّ﴾ وقرأ ابن كثير: «مَكْنِيٌّ» بنونين، وكذلك هي في مصاحف مكة. قال الزجاج: من قرأ: «مَكْنِيٌّ» بالتشديد، أدم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مَكْنِيٌّ» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين،

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة ﷺ.

الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر. وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: أحدهما: أنه العِلْمُ بالله؛ وطلب ثوابه. والثاني: ما ملك من الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني الله خير مما تبذلون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الرجال، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: الآلة، قاله ابن السائب. فأما الرُّذْمُ، فهو: الحاجز؛ قال الزجاج: والرُّذْمُ في اللغة أكبر من السدِّ، لأن الرُّذْمَ: ما جُعِلَ بعضه على بعض، يقال: ثوب مُرْدَمٌ: إذا كان قد رُقِعَ رقعة فوق رقعة.

قوله تعالى: ﴿مَّا أَتَيْنِي بِشَيْءٍ﴾ قرأ الجمهور: «ردماً آتوني» أي: أعطوني. وروى أبو بكر عن عاصم: «ردم آيتوني» بكسر التنوين، أي: جيئوني بها. قال ابن عباس: أحملوها إليّ. وقال مقاتل: أعطوني. وقال الفراء: المعنى: إيتوني بها، فلما أُلقيت الياء زيدت ألف. فأما الزُّبرُ، فهي: القِطْعُ، وأحدثها: زُبْرَةٌ؛ والمعنى: فاتَّوَّه بها فبناها، ﴿حَقٌّ إِنْ سَأَلْتَهُ﴾ وروى أبان «إذا سَوَى» بتشديد الواو من غير ألف. قال الفراء: ساوى وسَوَى سواء. واختلف القراء في ﴿الصَّدْفَيْنِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد والذال، وهي لغة حمير. وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد وتسكين الدال. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، بفتح الصاد والذال جميعاً، وهي لغة تميم، واختارها ثعلب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن عمر: «الصَّدْفَيْنِ» بفتح الصاد ورفع الدال. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والزهري، والجحدري برفع الصاد وفتح الدال. قال ابن الأنباري: ويقال: صُدْفٌ، على مثال نُحْرٍ، وكل هذه لغات في الكلمة. قال أبو عبيدة: الصَّدْفَانِ: جُنْبَا الجبل. قال الأزهري: يقال لجانبَي الجبل: صَدَفَانِ، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتتلاقهما. قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم، ووضع عليها المنافخ، ثم ﴿قَالَ أَتَشْعُرُونَ﴾ فنفعوا ﴿حَقٌّ إِنْ جَلَلْتُ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاء ترجع إلى ما بين الصدفين ﴿تَأْرَافُ﴾ أي: كالنار، لأن الحديد إذا أحْمِيَ بالفحم والمنافخ صار كالنار، ﴿قَالَ مَا أَتُونِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «آتوني» ممدودة، والمعنى: أعطوني. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «إيتوني» مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه. وفي القِطْر أربعة أقوال: أحدها: أنه النحاس، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقناة، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه الحديد الذائب، قاله أبو عبيدة. والثالث: الصُّفْر المَذَاب، قاله مقاتل. والرابع: الرصاص، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: أذاب القِطْر ثم صَبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلاً صلباً من حديد وقِطْر. قال قناة: فهو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلما كانت التاء والطاء من مخرج واحد أُحْثُوا التخفيف فحذفوا. قال ابن الأنباري: إنما تقول العرب: استطاع، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فاستقوا الفاء.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَظْهَرُوا﴾ أي: يعلوه؛ يقال: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وأملاسه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَكُمْ تَبَاً﴾ من أسفله، لشدة وصلابته. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله ﷻ أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثنى، فيعودون إليه وهو كهيبته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس» وذكر باقي الحديث<sup>(١)</sup>؛ وقد ذكرت هذا الحديث بطوله وأشباهه في كتاب «الحداثق» فكرهت التطويل هاهنا.

(١) رواء الإمام أحمد في «سننه» عن أبي هريرة ؓ، وتمة الحديث: «فيشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهية الدم، فيقولون: قهرا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نفعاً (دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقايمهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم»، ورواه الترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، وإنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا، ورواه ابن ماجه في «سننه» رقم (٤٠٨٠) قال في =

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَيْبٌ مِنْ رَبِّي﴾ لما فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا. وفيما أشار إليه قولان: أحدهما: أنه الرُّدْم، قاله مقاتل؛ قال: فالمعنى: هذا نعمة من ربي على المسلمين لثلا يخرجوا إليهم. والثاني: أنه التمكين الذي أدرك به عمل السد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: القيامة. والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكًا» متوناً غير مهموز ولا ممدود. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «دكاء» ممدودة مهموزة بلا تنوين. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: بالثواب والعقاب.

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي بَعْضٍ وَفُيْعَ فِي الْأَشْرَارِ فَتَمَتَّتَهُمْ جَمًّا ۖ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَسًا ۖ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي بَعْضٍ﴾ في المشار إليهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج. ثم في المراد بيومئذ قولان. أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السد، تركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجبين من السد. والثاني: أنه يوم يخرجون من السد تركوا يموج بعضهم في بعض. والثاني: أنهم الكفار. والثالث: أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَفُيْعَ فِي الْأَشْرَارِ﴾ هذه نفخة البعث. وقد شرحنا معنى «الصُّور» في [الأنعام: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعين قلوبهم ﴿فِي غَلَاظٍ﴾ أي: في غفلة ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي وكتابي ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراحتهم ما يُنْذِرُونَ به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

﴿أَفَنَسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِمْ لَكْفَيْنٍ ۖ نَلَّا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أفظنُّ المشركون ﴿أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي﴾ في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: الأصنام، قاله مقاتل. والثالث: الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِ﴾ فتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كلا بل هم أعداء لهم يتبرؤون منهم. والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم. وروى أبان عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَفَحَسْبُ» بتسكين السين وضم الباء، وهي قراءة علي عليه السلام، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن يعمر، وابن محيصن؛ ومعناها: أفكيفهم أن يتخذوهم أولياء؟ فاما التزلُّ ففيه قولان: أحدهما: أنه ما يهيبُ للضيف والعسكر، قاله ابن قتيبة. والثاني: أنه المنزل، قاله الزجاج.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِ أَعْمَالًا ۖ الَّذِينَ سَلَ سَعِيمٌ فِي لَيْلَةِ الْأَنْبَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْنًا ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَيْسَتْ رِزْقُهُمْ وَلِقَائِهِمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۖ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ إِنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ رُسُلًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِ أَعْمَالًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان، قاله علي عليه السلام، والضحاك. والثاني: اليهود والنصارى، قاله سعد بن أبي وقاص.

«الزوائد» عنه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وروى البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرمأ يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبيث». وانظر (صحيح مسلم) ٢٢٥٤/٤ وما ذكر فيه من فتنة يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلًا﴾ منصوب على التمييز، لأنه لما قال: «بالأخسرين» كان ذلك مبهماً لا يدل على ما خسروه، فيبين ذلك في أي نوع وقع.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ مَكَدَ سَعْيِهِمْ﴾ أي: بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم، فرؤساؤهم يعلمون الصحيح، ويؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلدون بغير دليل. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفروهم برسول الله ﷺ والقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿خَطَّطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: بطل اجتهدهم، لأنه خلا عن الإيمان ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ وقرأ ابن مسعود، والجحدري: «فلا يُقِيم» بالياء. وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما يثقل الميزان بالطاعة، وإنما توزن الحسنات والسيئات، والكافر لا طاعة له. والثاني: أن المعنى: لا نُقِيمُ لَهُمْ قُدْرًا. قال ابن الأعرابي في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزن، أي: قُدْر، لخسسته. فالمعنى: أنهم لا يُعْتَدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب فلا يزن جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾»<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه قال: «فلا نقيم لهم» لأن الوزن عليهم لا لهم؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرت من بطلان عملهم وخسرة قدرهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التصغير لهم، وجزاؤهم جهنم، فأضمرت واو الحال.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ أي: بكفروهم واتخاذهم ﴿ءَايَاتِي﴾ التي أنزلتها ﴿وَرَبِّيَ هُزْأًا﴾ أي: مهزوءاً به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَغْنَوْنَ فِيهَا حَوْلًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ قال ابن الأنباري: كانت لهم في علم الله قبل أن يُخْلَقُوا. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثنَّانٌ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيتُهُمَا وَأَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثَنَّانٌ مِنْ فُضَّةٍ حَلِيتُهُمَا وَأَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»<sup>(٢)</sup>. وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله تعالى فاسأله الفردوس»<sup>(٣)</sup>. قال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة. قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية. وقال كعب، والضحاك: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ»: جَنَاتُ الْأَعْنَابِ. قال الكلبي، والفراء: الفردوس: البستان الذي فيه الكرم. وقال المبرد: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب. وقال ثعلب: كل بستان يحوط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة:

فِي جَنَاتِ الْفِرْدَوْسِ لَيْسَ يَخَافُو

ن خُرُوجاً عَنْهَا وَلَا تَحْوِيلَا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال الزجاج: الفردوس أصله رومي أعرب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير، وقد قيل: الفردوس تعرفه العرب، وتسمي الموضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» ٣٢٤/٨ من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ بلفظ «الطويل العظيم الأكل الشروب». وأورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٥٤ من رواية ابن عدي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيُؤْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَظِيمِ الطَّوِيلُ الْأَكُولُ الشَّرِيبُ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾». ورواه البخاري ٣٤٢/٨، ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾».

(٢) لفظه في البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ١٦٣/١ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «جَنَاتٌ مِنْ فُضَّةٍ، أَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَنْبِيتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي رواية الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني في أول هذا الحديث: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثَنَّانٌ مِنْ ذَهَبٍ... إلخ».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، والترمذي ٧٦/٢، وأورده السيوطي في «الدرر» وزاد نسبته لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي في «البعث»، وابن مردويه. ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».



مذَّكَّر، وإنما أنت في قوله تعالى: ﴿يَرْثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنه عنى به الجنة. وقال الزجاج: وقيل: الفردوس: الأودية التي تنبت ضروراً من النبت، وقيل: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال: والفردوس أيضاً بالسريانية كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجد في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبیت حسان:

فَإِنَّ ثَوَابَ اللّٰهِ كُلُّ مُوَحِّدٍ      جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ<sup>(١)</sup>

وقال ابن الكلبي بإسناده: الفردوس: البستان بلغة الروم، وقال الفراء: وهو عربي أيضاً، والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوساً. وقال السدي: الفردوس أصله بالنبطية «فرداسا». وقال عبد الله بن الحارث: الفردوس: الأعتاب. وقد شرحنا معنى قوله: «نُزُلًا» آنفاً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْتَغُونَ عَنْهَا جُزْأً﴾ قال الزجاج: لا يريدون عنها تحوُّلاً، يقال: قد حال من مكانه جِوْلاً، كما قالوا في المصادر: صَغُرَ صَغَرًا، وَعَظُمَ عَظْمًا، وعادني حُبُّها عَوْدًا؛ قال: وقد قيل أيضاً: إن الجَوْلَ: الحيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون مَنَزَلًا غيرها. فإن قيل: قد علم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبتغون عنها جِوْلاً؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِحَيْلِهِ مَدَدًا﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْآيَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ومعنى الآية: لو كان ماء البحر مداداً يَكْتُبُ به. قال مجاهد: [والمعنى]: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب. وقال ابن الأنباري: سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. وقرأ الحسن، والأعمش: «مداداً لكلمات ربي» بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «تنفد» بالتاء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ينفد» بالياء. قال أبو علي: التانيث أحسن، لأن المُسْنَدَ إليه الفعلُ مؤنث، والتذكير حسن، لأن التانيث ليس بحقيقي، وإنما لم تنفد كلمات الله، لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق على صفاته النفاد، ﴿وَلَوْ جِثَا بِحَيْلِهِ﴾ أي: بمثل البحر «مَدَدًا» أي: زيادة؛ والمدد: كل شيء زاد في شيء. فإن قيل: لم قال في أول الآية: «مداداً» وفي آخرها: «مداداً» وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: لما كان الثاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أنت على الفعل، والفعل، كقوله: «نُزُلًا» «هُزُؤًا» «جِوْلاً» كان قوله: «مَدَدًا» أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد، واتفاق المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتام السجع والنثر، أخف على اللسان، وأحلى موقعاً في الأسماع، فاختلفت اللفظتان لهذه [العلّة]. وقد قرأ ابن عباس، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، وأبو رجاء، وقتادة، وابن محيصن: «ولو جثنا بمثله مداداً» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع. وقرأه الأولين آيين حُجَّة، وأوضح منهاجاً.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يُقَرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ سبب نزولها أن جندب بن زهير الغامدي<sup>(٣)</sup> قال لرسول الله ﷺ: إني أعمل

(١) «ديوانه» ١٥٠، «والبحر» ١٦٨/٦، «روح المعاني» ٤٧/١٦، «واللسان» و«التاج»: فردس.

(٢) قد مر تفسيره.

(٣) في الأصل «القرطبي»: «العامري» وما أثنائه من «الإصابة»، وأسباب النزول للواحدي، وكتب التفسير.

العمل [لله تعالى] فإذا اطلع عليه سرّني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما روئي فيه» فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب الجهاد [فني سبيل الله] وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرّني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «فَن كَانَ يَخُورًا» قولان: أحدهما: يخاف، قاله ابن قتيبة. والثاني: يأمل، وهو اختيار الزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه. قال المفسرون: وذلك يوم البعث والجزاء. «فَلْيَمْلِكْ عَمَلَكُم مَّكَلًا» لا يرائي به «وَلَا يَنْفِرْكَ بِيَدَايَ رَبِّكَ أَهْلًا» قال سعيد بن جبير: لا يرائي. قال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(٤)</sup>.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس ١٧٢ بدون سند.

(٢) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٢ عن طاووس بدون سند. وقد ذكره الطبري في «تفسيره» ٤٠/١٦ من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاووس مرسلًا، وذكره ابن كثير في «التفسير» ١٠٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن طاووس مرسلًا بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٥٥ كذلك عن طاووس مرسلًا، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، والطبراني، والحاكم. وقال السيوطي في آخره: وأخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي، موصولاً عن طاووس عن ابن عباس.

(٣) الواحدي ١٧٢ عن مجاهد بدون سند.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١١٠/٣: وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية، آخر سورة (الكهف) و(الكهف) كلها مكة، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.

## سورة مريم

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه. وقال مقاتل: هي مكية غير سجدها، فإنها مدنية. وقال هبة الله المفسر: هي مكية غير آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَلَدِهِمْ خَلْفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٥٩، ٦٠].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّافِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْصَ ۝ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاهُ يَحْوِيَانِ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ مِن وَذَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرَبُّنِي وَيَرْبِّ مِن بَالِي يَعْقُبُنِي وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿كَهَيْصَ ۝﴾ قرأ ابن كثير: «كهيعص ذُكِرَ» بفتح الهاء والياء وتبيين الدال التي في هجاء «صاد». وقرأ أبو عمرو: «كهيعص» بكسر الهاء وفتح الياء ويدغم الدال في الدال، وكان نافع يلفظ بالهاء والياء بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال التي في هجاء «صاد» في الدال من «ذُكِرَ». وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي، بكسر الهاء والياء، إلا أن الكسائي لا يبين الدال، وعاصم يبينها. وقرأ ابن عامر، وحزمة، بفتح الهاء وكسر الياء ويدغمان. وقرأ أبي بن كعب: «كهيعص» برفع الهاء وفتح الياء. وقد ذكرنا في أول «البقرة» ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خصص المفسرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من أسماء الله تعالى، قاله الأكثرون. ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوال: أحدها: أنه من اسم الله الكبير. والثاني: من الكريم. والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والرابع: أنه من الملك، قاله محمد بن كعب. فأما الهاء، فكلهم قالوا: هي من اسمه الهادي إلا القرظي فإنه قال: من اسمه الله. وأما الياء، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من حكيم. والثاني: من رحيم. والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. فأما العين، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنها من عليم. والثاني: من عالم. والثالث: من عزيز، رواها أيضاً سعيد [بن جبيرة] عن ابن عباس. والرابع: أنها من عدل، قاله الضحاك. وأما الصاد، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من صادق. والثاني من صدوق، رواهما سعيد [بن جبيرة] أيضاً عن ابن عباس. والثالث: من الصمد، قاله محمد بن كعب. والقول الثاني: أن «كهيعص» قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى عن علي عليه السلام أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى. وروى عنه أنه كان يقول: [يا] كهيعص اغفر لي. قال الزجاج: والقَسَمَ بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا علم أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهج، النية فيها الوقف. والثالث: أنه اسم للسورة، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المباني كما اتفقت العلل؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: حروف المعجم التسعة والعشرون تجري مجرى الرسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتفاق الألفاظ واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعض الكلم ليختلف الوزن وتتغير المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن وأحلى في الأسماع.

قوله تعالى: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الذُكْر مرفوع بالمضمر، المعنى: هذا الذي نلتو عليك ذُكْر رحمة ربك عبده. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير؛ المعنى: ذُكِرَ ربك عبده بالرحمة، و«ذكرى» في موضع نصب. قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ النداء هاهنا بمعنى الدعاء. وفي علة إخفائه لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: ليبعد عن

الرياء، قاله ابن جريج. والثاني: لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر، قاله مقاتل. والثالث: لئلا يعاديه بنو عمه، ويظنوا أنه كره أن يلوا مكانه بعده، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وهذه القصة تدل على أن المستحب إسرار الدعاء، ومنه الحديث: «إنكم لا تدعون أصم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» وقرأ معاذ القارئ، والضحاك: «وَهْنٌ بضم الهاء، أي: ضَعْف. قال الفراء وغيره: وَهْنُ العظم، وَهْنٌ، بفتح الهاء وكسرهما؛ والمستقبل على الحالين كليهما: يَهِن. وأراد أن قُوَّة عظامه قد ذهبت لِكِبَرِهِ؛ وإنما خصَّ العظم، لأنه الأصل في التركيب. وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه.

قوله تعالى: «وَأَسْتَعْلَى الرَّأْسُ شَيْبًا» يعني: انتشر الشيب فيه، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات. «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ» أي: بدعائي إياك «رَبِّ شَيْئًا» أي: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب، لأنك قد عودتني الإجابة؛ يقال: شقي فلان بكذا: إذا تعب بسببه، ولم ينل مراده.

قوله تعالى: «وَإِنِّي خِفْتُ آلَ مَرْيَمَ» يعني: الذين يلونه في النسب، وهم بنو العم والعصبة «بَيْنَ وَرَأْيَ» أي: من بعد موتي، وفي ما خافهم عليه قولان: أحدهما: أنه خاف أن يَرثوه، قاله ابن عباس. فإن اعترض عليه معترض، فقال: كيف يجوز لنبئ أن يَنْفَسَ على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟ فعنه جوابان. أحدهما: أنه لما كان نبياً، والنبئ لا يورث، خاف أن يرثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم. والثاني: أنه غلب عليه طبع النشر، فأحب أن يتولَّى ماله ولده، ذكرهما ابن الأنباري. قلت: وبيان هذا أنه لا بد أن يتولَّى ماله وإن لم يكن ميراثاً، فأحب أن يتولاه ولده. والقول الثاني: أنه خاف تضييعهم للدين ونهبهم إياه، ذكره جماعة من المفسرين. وقرأ عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن جبير، ومجاهد، وابن أبي شريح عن الكسائي: «خَفْتُ» بفتح الخاء وتشديد الفاء على معنى «قُلْتُ»؛ فعلى هذا يكون إنما خاف على علمه ونبوته ألا يورثا فيموت العلم. وأسكن ابن شهاب الزهري باء «الموالي».

قوله تعالى: «بَيْنَ وَرَأْيَ» أسكن الجمهور هذه الباء، وفتحها ابن كثير في رواية قبل. وروى عنه شبيل: «ورأي» مثل «عصاي».

قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» أي: من عندك «وَلَا» أي: ولداً صالحاً يتولاني.

قوله تعالى: «يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ» برفعهما. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ» بالجزم فيهما. قال أبو عبيدة: من قرأ بالرفع، فهو على الصفة للولي؛ فالمعنى: هب لي ولياً وارثاً، ومن جزم، فعلى الشرط والجزاء، كقولك: إن وهبته لي ورثني. وفي المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يَرِثُنِي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال أبو صالح. والثاني: يَرِثُنِي العلم، ويرث من آل يعقوب المُلْك، فأجابه الله تعالى إلى ورائة العلم دون المُلْك، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يَرِثُنِي نبوتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوة أيضاً، قاله الحسن. والرابع: يَرِثُنِي النبوة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق، قاله عطاء. قال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب، وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس بيعقوب أبي يوسف. وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان، وكان يعقوب هذا وعمران - أبو مريم - أخوين. والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجوه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: [أنه] لا يجوز أن يتأسف نبي الله على مصير ماله بعد موته إذا

(١) هو جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً، ولفظه في البخاري: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سمع قريب». ومعنى «اربعوا على أنفسكم»: ارفقوا بأنفسكم، واخفصوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان بعد من يخاطبه لسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سمع قريب.

(٢) رواه البخاري ٤/١٢، ومسلم ١٣٧٩/٣، بلفظ: «لا نورث ما تركناه صدقة». ورواه الترمذي باللفظ الذي ذكره المؤلف: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً. والثالث: أنه لم يكن ذا مال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ «أَنْ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَاراً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَجَعَلْنَا رَبَّ رَضِيًّا﴾ قال اللغويون: أي: مرضياً، فُضِّفَ عن مفعول إلى فَعِيل، كما قالوا: مقتول وقتيل.

﴿يَزْكُرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُنْ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

قوله تعالى: ﴿يَزْكُرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمار، تقديره: فاستجاب الله له فقال: «يا زكريا إنا نبشرك». وقرا حمزة: «نُبَشِّرُكَ» بالتخفيف. وقد شرحنا هذا في (آل عمران: ٣٩).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لم يُسمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، وابن زيد، والأكثر. فإن اعترض معترض، فقال: ما وجه المذحة باسم لم يُسمَّ به أحد قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسَبَّحْ إليها؟ فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولى تسميته، ولم يكلِّ ذلك إلى أبويه، فسماه باسم لم يُسَبَّحْ إليه. والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيراً. والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشبهاً، قاله مجاهد. فعلى هذا يكون عدم الشَّبه من حيث أنه لم يعص ولم يهيم بمعصية. وما بعد هذا مفسر في (آل عمران: ٣٩) إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. وفي معنى «كانت» قولان: أحدهما: أنه توكيد للكلام، فالمعنى: وهي عاقرة، كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١٠) أي: أنتم. والثاني: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابن الأنباري، واختار الأول.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «عَتِيًّا» و«بُكِيًّا» (مریم: ٥٨) و«ضَلِيًّا» (مریم: ٧٠) بضم أوائلها. وقرأ حمزة، والكسائي، بكسر أوائلها، وافقهما حفص عن عاصم، إلا في قوله: «بُكِيًّا» فإنه ضم أوله. وقرأ ابن عباس، ومجاهد: «عُتِيًّا» بالسين. قال مجاهد: «عَتِيًّا» هو قُحُولُ العظم. وقال ابن قتيبة: أي: يُسّاً؛ يقال: عَتَا وَعَسَا بمعنى واحد. قال الزجاج: كل شيء انتهى، فقد عَتَا يَعْتُو عَتِيًّا، وَعُتُوًّا، وَعُسُوًّا، وَعُتِيًّا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي: خَلَقَ يحيى عليَّ سهل. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري: «هَيْنٍ» بإسكان الياء. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «خَلَقْنَاكَ». وقرأ حمزة، والكسائي: «خَلَقْنَاكَ» بالنون والالف. ﴿وَلَوْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك. وما بعد هذا مفسر في (آل عمران: ٣٩)، إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال الزجاج: «سَوِيًّا» منصوب على الحال، والمعنى: تُمَنِّعُ عن الكلام وأنت سَوِيٌّ. قال ابن قتيبة: أي: سليماً غير أخرس. قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ وهذا في صبيحة الليلة التي حملت فيها امرأته ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: من مصلاه، وقد ذكرناه في (آل عمران: ٣٩).

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كتب إليهم في كتاب، قاله ابن عباس. والثاني: أوماً برأسه ويديه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾ أي: صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في (آل عمران: ٣٩)، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومه فيأمرهم بالصلاة بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة.

﴿يَبْتَغِيْ خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنٰهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا ۝١٦ وَحَنَّاكَ مِنْ دُنَا وَزَكَّوْهُ وَكَانَ ثَقِيًّا ۝١٧ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٨ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ﴾ قال الزجاج: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتٰبَ﴾ يعني: التوراة، وكان مأموراً بالتمسك بها. وقال ابن الأنباري: المعنى: اقبل كُتُبَ الله كُلِّهَا إيماناً بها واستعمالاً لأحكامها. وقد شرحنا في [البقرة: ٦٣] معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنٰهُ الْحَكْمَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفهم، قاله مجاهد. والثاني: اللب، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: العلم، قاله ابن السائب، والرابع: حفظ التوراة وعلمها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد زدنا هذا شرحاً في سورة [يوسف: ٢٣]. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن [من] قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحكم صبيّاً. فاما قوله: ﴿صَبِيًّا﴾ ففي سنة يوم أوتي الحكم قولان: أحدهما: أنه سبع سنين، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: ثلاث سنين، قاله قتادة، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَّاكَ مِنْ دُنَا﴾ قال الزجاج: أي: وآتيناه حناناً. وقال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه. وفي الحنان ستة أقوال: أحدها: أنه الرحمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقاتة، والضحاك، والفراء، وأبو عبيدة: وأنشد:

تَحَنُّنٌ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ

قال: وعامة ما يُستعمل في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضُنَا

قال ابن قتبية: ومنه يقال: تحنن عليّ، وأصله من حنين الناقة على ولدها. وقال ابن الأنباري: لم يختلف اللغويون أن الحنان: الرحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتركيةً له. والثاني: أنه التعطف من ربّه عليه، قاله مجاهد. والثالث: أنه اللين، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: البركة، وروي عن ابن جبيرة أيضاً. والخامس: المحبة، قاله عكرمة، وابن زيد. والسادس: التعظيم، قاله عطاء بن أبي رباح. وفي قوله: ﴿وَزَكَّوْهُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها العمل الصالح، قاله الضحاك، وقاتة. والثاني: أن معنى الزكاة: الصدقة، فالتقدير: إن الله تعالى جعله صدقة تصدق بها على أبويه، قاله ابن السائب. والثالث: أن الزكاة: التطهير، قاله الزجاج. والرابع: أن الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وُدِّكر، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ثَقِيًّا﴾ قال ابن عباس: جعلته ثَقِيًّا، ولا يعدل بي غيري. قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه بَرًّا بوالديه، والبرُّ بمعنى: البار؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما. والعَصِيّ بمعنى: العاصي. وقد شرحنا معنى الجَبَّار في [هود: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السلام المعروف من الله تعالى. قال عطاء: سلام عليه ومُنِّي في هذه الأيام؛ وهذا اختيار أبي سليمان. والثاني: أنه بمعنى: السلامة، قاله ابن السائب. فإن قيل: كيف خَصَّ التسليم عليه بالأيام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟ فالجواب: أن المراد باليوم الجين والوقت، على ما بينا في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. قال ابن عباس: وسلام عليه حين وُلِدَ. وقال الحسن البصري: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنت خير مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خير مني، سلّم الله عليك، وأنا سلّمْتُ على

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٤/ ٢٦٠ من رواية أبي نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنٰهُ لَكُمْ صَبِيًّا﴾ قال: أعطى الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

(٢) البيت للمحيط، «ديوانه» ٢٢٢، و«الكامل» ٣٤٨، و«مجاز القرآن» ٣/ ٢، و«القرطبي» ٨٨/ ١١، و«الطبري» ٣٨/ ١٦، و«البحر المحيط» ١٧٧/ ٦، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

(٣) «ديوانه» ٢٠٨، و«مجاز القرآن» ٣/ ٢، و«الكتاب» ١٤٦، و«الكامل» ٣٤٨، و«الطبري» ٣٨/ ١٦، و«الجمهرة» ٤٤٩/ ٣، و«الشتنمري» ١٧٤/ ١، و«القرطبي» ٨٧/ ١١، و«البحر المحيط» ١٧٧/ ٦، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

نفسی. وقال سعید بن جبیر مثله، إلا أنه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثبت على نفسي. وقال سفیان بن عیینة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخص الله تعالى يحيى فيها بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ﴾ قال أبو عبيدة: تنحّت واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خير من الغربي.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: ستراً وحاجزاً وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ضربت ستراً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الشمس أظلمتها، فلم يرها أحد منهم، وذلك مما سترها الله به، و[روى] هذا المعنى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها اتخذت حجاباً من الجدران، قاله السدي عن أشياخه. وفي سبب انفرادها عنهم قولان: أحدهما: [أنها] انفردت لتظهر من الحيض وتمتشط، قاله ابن عباس. والثاني: لتفلي رأسها، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل في قول الجمهور. وقال ابن الأنباري: صاحب روحنا، وهو جبريل. والروح بمعنى: الروح والفرح، ثم تضم الراء لتحقيق مذهب الاسم، وإبطال طريق المصدر، ويجوز أن يُراد بالروح هاهنا: الوحي وجبريل صاحب الوحي. وفي وقت مجيئه إليها ثلاثة أقوال: أحدها: وهي تغتسل. والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب. والثالث: بعد دخولها بيتها. وقد قيل: المراد بالروح هاهنا: [الروح] الذي خلق منه عيسى، حكاه الزجاج، والماوردي، وهو مضمون كلام أبي بن كعب فيما سنذكره عند قوله: ﴿فَعَمَلَتْهُ﴾. قال ابن الأنباري: وفيه بُعد، لقوله: ﴿تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوّر لها في صورة البشر التام الخلق. وقال ابن عباس: جاءها في صورة شاب أبيض الوجه جعد ققط حين طرّ شارب. وقرأ أبو نهيك: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ بفتح الراء، من الروح.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٨﴾ المعنى: إن كنت تتقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القول عند المحققين. وحكي عن ابن عباس أنه كان في زمانها رجل اسمه تقي، وكان فاجراً، فظنّه إياه، ذكره ابن الأنباري، والماوردي. وفي قراءة عليّ ؑ، وابن مسعود، وأبي رجاء: «إلا أن تكون تقيّاً».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِيَهَبَ لَكِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لأهب لك» بالهمز. وقرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: «ليهب لك» بغير همز. قال الزجاج: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومن قرأ «لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهب لك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهراً من الذنوب. والبيغي: الفاجرة الزانية. قال ابن الأنباري: وإنما لم يقل: «بغيّة» لأنه وصف يغلب على النساء، فقلماً تقول العرب: رجل بغي، فيجري مجرى حائض، وعافر. وقال غيره: إنما لم يقل: «بغيّة» لأنه مصروف عن وجهه، فهو «فعل» بمعنى: «فاعل». ومعنى الآية: ليس لي زوج، ولستُ بزانية، وإنما يكون الولد من هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ قد شرحناه في قصة زكريا، والمعنى: أنه يسير عليّ أن أهب لك غلاماً من غير أب. ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب. قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ لأنها عاطفة لما بعدها على كلام مضمّر محذوف، تقديره: قال ربك خلّقه عليّ هين لننفعك به، ولنجعل له عبرة.



قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَهُ مَتَا﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَاثَ أَثَرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: وكان خلقه أمراً محكوماً به، مفروغاً عنه، سابقاً في علم الله تعالى كونه.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ٢٢ ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثْ قَبْلِ هَذَا وَكَئِنْ نَسِيًا مَنِيًّا﴾ ٢٣ ﴿فَادْبَحَا مِنْ قَبْلِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحَاكِي سِرًّا﴾ ٢٤ ﴿وَهَزِيءٌ إِلَيْكَ يَجْمَعُ النَّخْلَةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جِثًّا﴾ ٢٥ ﴿فَكُلْ وَاشْرَبِي وَفَرِي عَيْنًا فَاثِمًا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ لَمَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ٢٦

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى. وفي كيفية حملها له قولان: أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فاستمر بها حملها، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قدامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها. والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أبي بن كعب. وفي مقدار حملها سبعة أقوال. أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعت في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباز به. والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن. والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبيرة. وابن السائب<sup>(١)</sup>. والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعت في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان. والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعيش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج. والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي. والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ يعني بالخلل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله: «قاصياً». قال ابن إسحاق: مشت ستة أميال. قال الفراء: القصي والقاصي بمعنى واحد. وقال غير الفراء: القصي والقاصي بمنزلة الشهيد والشاهد. وإنما بُدلت، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج.

قوله تعالى: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي، وعاصم الجحدري: «المخاض» بكسر الميم. قال الفراء: المعنى: فجاء بها المخاض، فلما أُلقيت الباء، جُعِلَتْ في الفعل ألفاً، ومثله: ﴿إِنَّا غَدَاةً نَا﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا، ومثله: ﴿مَا أَتَى زَيْرٌ لَمَلِيٍّ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: بزير الحديد. قال أبو عبيدة: أفعلا من جاءت هي، وأجاءها غيرها. وقال ابن قتيبة: المعنى: جاء بها، وألجأها، وهو من حيث يقال: جاءت بي الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاض: الحمل. وقال غيره: المخاض: وجع الولادة. ﴿إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ﴾ وهو ساق النخلة، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، ليس لها رأس ولا سعف. ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثْ قَبْلِ هَذَا الْيَوْمِ﴾ أو هذا الأمر. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وخلف، وحفص: «مِثْ» بكسر الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت حياة من الناس. والثاني: لتلا يأتوا بقذفها.

قوله تعالى: ﴿وَكُئِنْ نَسِيًا مَنِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، بكسر النون، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «نَسِيًا» بفتح النون. قال الفراء: وأصحاب عبد الله يقرؤون: «نَسِيًا» بفتح النون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجسر والجسر، والوتر والوتر، والفتح أحب إلي. قال أبو علي الفارسي: الكسر على اللغتين. وقال ابن الأنباري: من كسر النون قال: النسي: اسم لما يُنسى، بمنزلة البغض اسم لما يُبغض، والسب اسم لما يُسب. والنسي بفتح النون: اسم لما يُنسى أيضاً على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يقال: الرجل ذئف، وذئف. فالمكسور: هو الوصف الصحيح، والمفتوح: مصدر سدّ مسد الوصف. ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرطل والرطل. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿نَسِيًا مَنِيًّا﴾ خمسة أقوال: أحدها: ياليتني لم أكن شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثاني: «وكننت نسياً منسياً» أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة. قال الفراء: النسي: ما تلقى المرأة من خرق

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ١١٦/٣: المشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر.

اعتلاها. وقال ابن الأنباري: هي خرق الحيض تلقىها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها. والثالث: [أنه من] السقط، قاله أبو العالية، والربيع. والرابع: أن المعنى: يا ليتني لا يُدري من أنا، قاله قتادة. والخامس: أنه الشيء التافه يرتحل عنه القوم، فيهنو عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابن السائب. وقال أبو عبيدة: النسي، والمنسي: ما ينسى من إداة وعصا. يعني أنه ينسى في المنزل، فلا يرجع إليه لاحترار صاحبه إياه. وقال الكسائي: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذكر لم يُطلب.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَن تحتها» بفتح الميم، والتاء. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مِن تحتها» بكسر الميم، والتاء. فمن قرأ بكسر الميم، ففيه وجهان: أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة. وقيل: كانت على نَشْر، فتادها الملك أسفل منها. والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها. قال ابن عباس: كلُّ ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكلُّ ما خفضت إليه طرفك، فهو تحتك. ومن قرأ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران. وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَمَلٌ رَّبِّيَّ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابن جريج: هو الجدول بالسريانية. والثاني: أنه عيسى كان سرياً من الرجال، قاله الحسن، وعكرمة، [وابن زيد]. قال ابن الأنباري: وقد رجح الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سويماً من الغلمان، وقُلماً تقول العرب: رأيت عندك نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً. فإن قيل: كيف ناسب تسليتها أن قيل: لا تحزني. فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنها حزنت لجذب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تنطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج، فأجرى الله تعالى لها نهراً، فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَهَزَجَ إِلَيْكَ الْهَرُّ: التحريك. والباء في قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُ أَلْتَحَوُّ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿تَلْمِذَذٌ يَسْبِي إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] قال الفراء: فليمدد سبياً. والعرب تقول: هزّه، وهز به، وخذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلّق زيدا، وتعلّق به. وقال أبو عبيدة: هي مؤكدة، كقول الشاعر:

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنها دخلت على الجذع لتلصقه بالهَرُّ، فهي مفيدة للإلصاق، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿تَسْقُطُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَسْقُطُ» بالتاء مشددة السين. وقرأ حمزة، وعبد الوارث: «تَسْقَاطُ» بالتاء مفتوحة مخففة السين. وقرأ حفص عن عاصم: «تَسَاقِطُ» بضم التاء وكسر القاف مخففة السين. وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «يَسَاقِطُ» بالياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف. فهذه القراءات المشاهير. وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو حيوة: «تَسْقُطُ» بفتح التاء وسكون السين ورفع القاف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: «يَسَاقِطُ» بآلف وتخفيف السين ورفع الياء وكسر القاف. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «يُسْقِطُ» برفع الياء وكسر القاف مع سكون السين وعدم الألف. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنه بالتاء. وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبة: «يُسْقُطُ» بالياء مفتوحة مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السماك العدوي، وابن حزام: «تَسَاقِطُ» بتاءين مفتوحين وبآلف. وقال الزجاج: من قرأ «يَسَاقِطُ» فالمعنى: يتساقط، فأدغمت التاء في السين. ومن قرأ «تَسَاقِطُ»، فكذلك أيضاً، وأنت لأن لفظ النخلة يؤنث. ومن قرأ «تَسَاقِطُ» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من «تَسَاقِطُ» اجتماع

(١) هذا الشطر من الرجز لراجز من بني جملة، وهو في «الاقطاب» ٤٥٨، و«شواهد المغني» ١١٤٠، و«الغزاة» ١٥٩/٤.

التاءین. ومن قرأ «یُساَقط» ذهب إلى معنی: یُساَقط الجذع علیک. ومن قرأ «تُساَقط» بالنون، فالمعنی: نحن تُساَقط علیک، فنجعل له آیه، والنحویون یقولون: إن «رطباً» منصوب علی التمییز إذا قلت: یُساَقط أو یتساَقط، المعنی: یتساَقط الجذع رطباً. وإذا قلت: تُساَقط بالتاء، فالمعنی: تتساَقط النخلة رطباً.

قوله تعالى: ﴿يَعْنَا﴾ قال الفراء: الجعني: المجتني، وقال ابن الأنباري: هو الطري، والأصل: مجنؤ، صُرف من مفعول إلى فاعيل، كما يقال: قديد، وطبيخ. وقال غيره: هو الطري بغباره: ولم يكن لتلك النخلة رأس، فأنبته الله تعالى، فلما وضعت يدها عليها، سقط الرطب رطباً. وكان السلف يستحبون للنساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلْ﴾ أي: من الرطب ﴿وَأَشْرَبْ﴾ من النهر ﴿وَقَرِّ عَيْنَا﴾ بولادة عيسى عليه السلام. قال الزجاج: يقال: قررت به عيناً أقر، بفتح القاف في المستقبل، وقررت في المكان أقر، بكسر القاف، و«عيناً»: منصوب على التمييز. وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: معنى «وقري عيناً»، وتبرد دمعك، لأن دمة الفرح باردة، ودمة الحزن حارة. واشتقاق «قري» من القُرور، وهو الماء البارد. وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قري عيناً» بلغت غاية أملك حتى تقر عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتج بقول عمرو بن كلثوم:

بِیَوْمِ كَرِهَةِ ضَرْباً وَطَعْناً  
أَقْرَبَهُ مَوَالِيكَ الْعِیُونَا<sup>(۱)</sup>

أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهن، فقرت عينهم من تطلع إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرَيْنَ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن السمين، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «تَرَيْنَ» بهز مكسورة من غير ياء. أي: إن رأيت من البشر أحداً فقل: وفيه إضمار تقديره: فسألك عن أمر ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ فيه قولان: أحدهما: صمتاً، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، والضحاك؛ وكذلك قرأ أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وأبو رزين العقيلي: «صمتاً» مكان قوله: «صوماً». وقرأ ابن عباس: صياماً<sup>(۲)</sup>. والثاني: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلا من ذكر الله ﷻ. قال السدي: فأذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت. قال ابن مسعود: أيرث بالصمت، لأنها لم تكن لها حجة عند الناس، فأمرت بالكف عن الكلام ليكيفها الكلام ولدها مما يبرئ به ساحتها. وقيل: كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنسان. قال ابن الأنباري: الصوم في لغة العرب على أربعة معانٍ، يقال: صوم لترك الطعام والشراب، وصوم للصمت، وصوم لضرب من الشجر، وصوم لذوق النعام. واختلف العلماء في مقدار سن مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهب بن منبه. والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيد بن أسلم. والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل.

﴿فَأَنتِ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ قَالُوا يَسْرِمُهُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً قَرِيّاً ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوهُ أَمراً سَوَوَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْنَا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْهَدْيِ صَبِيّاً ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَلْوِ وَالزُّكْرِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنتِ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أنتهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسها. وقال في رواية الضحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهن به، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنتِ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾. فإن قيل: «أنت به» يغني عن «تحملها» فلا فائدة للتكرير. فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهم السامع «فأنت به» أن يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كمنطقه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنه كسائر الأطفال، وهذا مثل قول العرب: نظرت إلى فلان بعيني، فنفوا بذلك نظر العطف، والرحمة، وأثبتوا [أنه] نظر عين. وقال ابن السائب: لما دخلت على قومها بكوا، وكانوا قوماً صالحين؛ و﴿قَالُوا يَسْرِمُهُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً قَرِيّاً﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

(۱) «مختار الشعر الجاهلي» ۳/ ۳۶۲، «اللسان»: قرر.

(۲) وفي النسخة الإستانبولية: وقرأ ابن مسعود: «وصياماً»، والذي في «البحر المحيط» و«روح المعاني»: وقرأ زيد بن علي «صياماً».

أحدهما: شيئاً عظيماً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الفراء: الفرئ: العظيم، والعرب تقول: تركته يفري الفرئ، إذا عمل فأجاد العمل ففُضِّل الناس، قيل هذا فيه، قال النبي ﷺ: «فما رأيت عبقرياً يفري فرئ عمر»<sup>(١)</sup>. والثاني: عجباً فافقاً، قاله أبو عبيدة. والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله الزبيدي.

قوله تعالى: ﴿يَتَاخَتُّ هَرُونَ﴾ في المراد بهارون هذا خمسة أقوال: أحدها: أنه أخ لها من أمها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: كان من أبيها وأمتها. والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي: كانت من بني هارون أخي موسى ﷺ، فُنُسبت إليه، لأنها من ولده. والثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وقتادة، ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: أَلَسْتُمْ تَقْرَؤُونَ؟ ﴿يَتَاخَتُّ هَرُونَ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسئون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فُسَّاق وزُنَّاء، فنسبوا إليهم، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه رجل من فُسَّاق بني إسرائيل شَبَّهوها به، قاله وهب بن منبه. فعلى هذا يخرج في معنى «الأخت» قولان: أحدهما: أنها الأخت حقيقة. والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُرِيدُ رَبِّهِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ يَعْزُومُ﴾ يعنون: عمران ﴿أَمَرَ سَوَّيَ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ حَنَةً﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾، أي: أومات ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلم. وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلموه. وكان عيسى قد كلمها حين أنت قومها، وقال: يا أمه ابشري فلإني عبد الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلموه، تعجبوا من ذلك، ﴿وَقَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ وفيها<sup>(٣)</sup> أربعة أقوال: أحدها: أنها زائدة، فالمعنى: كيف نكلّم صبيّاً في المهد؟ والثاني: أنها في معنى: وقع، وحدث. والثالث: أنها في معنى الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد صبيّاً، فكيف نكلّمه؟ حكاها الزجاج، واختار الأخير منها؛ قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: كيف أعظم من كان لا يقبل مواعظي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء. والرابع: أن «كان» بمعنى: صار، قاله قطرب. وفي المراد بالمهد قولان: أحدهما: حجرها، قاله نوّف، وقتادة، والكلبي، والثاني: سرير الصبي المعروف، حكاها الكلبي أيضاً. قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرضاع، وأقبل عليهم بوجهه، فقال: إني عبد الله. قال المفسرون: إنما قدّم ذكر العبودية، ليُبطّل قول من ادّعى فيه الربوبية. وفي قوله: ﴿وَأَتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ أسكن هذه الياه حمزة. وفي معنى الآية قولان. أحدهما: أنه آتاه الكتاب وهو في بطن أمه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: علم التوراة والإنجيل وهو في بطن أمه. والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمة. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي يَتِيماً﴾ هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إياه مما سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً إذا بلغت؛ فحلّ الماضي محلّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُوحَيُّسَى﴾ [المائدة: ١١٦]. وفي وقت تكليمه لهم قولان: أحدهما: أنه كلمهم بعد أربعين يوماً. والثاني: في يومه. وهو مبنيّ على ما ذكرنا من الزمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

(١) البخاري ٣٦٧/٧، ومسلم ١٨٦٢/٤، ومعناه: لم أر سيّداً يعمل عمله ويقطع قطعه.

(٢) وعلى هامش نسخة الرباط: أخرجه مسلم في «صحيحه» ومن طريقه البخاري في «شرح السنة» في كتاب الاستئذان في باب التسمية باسم النبي ﷺ اهـ. وهو في مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء (١٨٦٥/٣) بمعناه، ورواه أحمد في «المسند» ٤/٢٥٢، ولفظه قريب من رواية المصنف، ورواه الترمذي في «التفسير» (١٤٤/٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور؛ زاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٣) أي: لفظة «كان».

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا إِنَّ مَا كُنْتُ﴾ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال: «نفأاً حيثما توجهت»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: معلماً للخير. وفي المراد «بالزكاة» قولان: أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابن السائب. والثاني: الطهارة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا، ولم يقل: «بوالدي» علموا أنه ولد من غير بشر. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظماً «شَفِيقًا» عاصياً لربه ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ قال المفسرون: السلامة علي من الله يوم وُلِدْتُ حتى لم يضرنني شيطان. وقد سبق تفسير الآية [مريم: ١٥]. فإن قيل: لم ذكر هاهنا «السلام» بألف ولام، وذكره في قصة يحيى بلا ألف ولام؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام، كان الأحسن أن يرد ثانية بألف ولام، هذا قول الزجاج. وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف يجوز أن يعطف هذا وهو قول عيسى، على الأول وهو قول الله ﷻ؟! وقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: عيسى إنما يتعلم من ربه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسه، ويجوز أن يكون الله ﷻ عرّف السلام الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به إتباع اللفظ المحكي، لأن المتكلم، له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبد الله: أنا رجل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجل منصف. والجواب الثاني: أن سلاماً والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٢) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّلَ أَمْرًا فَإِنَّهَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢٣) وَلِلَّهِ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٢٤)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الزجاج: أي، ذلك الذي قال: إني عبد الله، هو ابن مريم، لا ما تقول النصراني: أنه ابن الله، وأنه إله.

قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحزمة، والكسائي: «قول الحق» برفع اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، ويعقوب: بنصب اللام. قال الزجاج: من رفع «قول الحق» فالمعنى: هو قول الحق، يعني هذا الكلام؛ ومن نصب، فالمعنى: أقول قول الحق. وذكر ابن الأنباري في الآية وجهين: أحدهما: أنه لما وُصف بالكلمة جاز أن يُنعت بالقول. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبا عيسى، ذلك النبا قول الحق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكّون. قال قتادة: ائتمرت اليهود فيه والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر، وزعم النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة. قرأ أبو مجلز، ومعاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو رجاء: «تمترون» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: أن يتخذ ولداً. و«مِنْ» مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة، لأن للقاتل أن يقول: ما اتخذت فرساً، يريد: اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذت فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتخذت من فرس، فقد دلل على نفي الواحد والجميع.

قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة: «فيكون» بالنصب، وقد ذكرنا وجهه في [البقرة: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنَّ اللَّهَ» بنصب الألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَأَنَّ اللَّهَ» بكسر الألف. وهذا من قول عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قوله: ﴿وَأَوْسَيْنِي بِالْقَوْلِ وَالزَّكَاةِ﴾ وبأن الله ربي؛ ومن كسر، ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ والثاني: أن يكون مستأنفاً.

﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ بَنِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٧) أَتَمِيعَ يَوْمَ وَاتَّخِذَ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الْغَالِبُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَاكٍ مُبِينٍ (٢٨) وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٩) إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٣٠)

(١) في «الطبري» وابن كثير: عن مجاهد: نفأاً. وقال السيوطي في «الدرر»: ٢٧٠/٤: أخرج الإسماعيلي في «معجمه» وأبو نعيم في «الحلية» وابن لال في «مكارم الأخلاق»، وابن مردويه، وابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قول عيسى ﷺ: وجعلني مباركاً أينما كنت، قال: جعلني نفأاً للناس أين توجهت».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسرون: «مِنْ» زائدة، والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابن الأنباري: لما تمسك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب بين المؤمنين مقصوراً عليهم. وفي الأحزاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، فكانت اليهود تقول: إنه لغير رُشد<sup>(١)</sup>، والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به. والثاني: أنهم فرق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقولهم في المسيح ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاء. قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبَصِّرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر؛ فالمعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حين لم يسمعهم ذلك لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه إلى نظر وفكر فعلموا الهدى وأطاعوا، هذا قول الأكثرين. والثاني: أسمع بحدثهم اليوم، وأبصر كيف يصنع بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْغَالِثُونَ﴾ يعني: المشركين والكفار ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي سَكَلٍ ثَلَاثِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ أي: خوف كثر مكة ﴿يَوْمَ الْمَصَرَّةِ﴾ يعني: يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يُحسِّن، والمقصر إذ لم يُزِدْ من الخير. وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قيل: يا أهل الجنة، فيشربون<sup>(٢)</sup> وينظرون، وقيل: يا أهل النار، فيشربون وينظرون، فيجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَصَرَّةِ إِذْ فُتِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار. ومن موجبات الحسرة، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، لا نصب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رَجَعُ الْأَوَّلُونَ بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نرينا ما أرينا كان أهون علينا؛ قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتُم بارتزتموني بالعظام، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجلستم الناس ولم تجلوني، تركتم للناس ولم تتركوا لي، فالיום أذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب<sup>(٤)</sup>. ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، ثم يقال: يعني لهؤلاء: لو عملتم، ولأهل الجنة: لولا أن من الله عليكم. ومن موجبات الحسرة: قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ فُتِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن الأنباري: «قضي» في اللغة بمعنى: أُنقِضَ وأُحْكِمَ، وإنما سمي الحاكم قاضياً، لإتقانه وإحكامه ما ينفذ. وفي الآية اختصار، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم. وللمفسرين في الأمر قولان: أحدهما: أنه ذبح الموت، قاله ابن جريج، والسدي. والثاني: أن المعنى: قضي العذاب لهم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُصِيت سَكَنَها فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت. فإن قيل: ما

(١) يقال: هذا ولد رُشد؛ إذا كان لكاح صحيح، ويقال في غده: ولد زنية.

(٢) يشربون: يفرقون رؤوسهم إلى المتادي.

(٣) رواء أحمد في «المسنَد» ٩/٣، والبخاري ٣٢٥/٨، ومسلم ٢١٨٨/٤، والترمذي ١٤٤/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧١/٤ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) ذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» باب الترهيب من الرباء من رواية الطبراني في «الكبير» والبيهقي، عن عدي بن حاتم ﷺ.

الفائدة في «نحن» وقد كفت عنها «إنا»؟ فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظم: «إنا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة. فإن قيل: فلم قال: «ومن عليها» وهو يرث الأديمين وغيرهم؟  
فالجواب: أن «من» تختص أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابن الأنباري.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾  
يَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكْ قَائِمًا مِنْ أَمَلِكَ مِنْ أَمَلِكَ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَمَّا تَعْبَدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ﴾  
يَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابُ بَيْنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِكَ لَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا كُفْرًا ۖ فَتَدْعُونَهُمْ قُلْ مَا تَدْعُوهُمْ سَأَسْتَفِيرُ ۚ إِنَّكَ كَانتَ فِي حُوفٍ ۖ وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۚ﴾ فَلَمَّا أَتَتْكُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُ إِسْهَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ جَعَلْنَا نِسَاءَ ۚ﴾  
بَيْنَ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَكُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اذكر لقومك قصته. وقد سبق معنى الصديق (في النساء: ۶۹).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع عنك ضرراً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكْ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكْ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تطعه فيما يأمر به من الكفر والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنفاً.

و﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً، فهو «فعل» بمعنى «فاعل».

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابُ بَيْنَ الرَّحْمَنِ﴾ قال مقاتل: في الآخرة؛ وقال غيره: في الدنيا، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي: قريباً في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالاة. وقيل: إنما طمع إبراهيم في إيمان أبيه، لأنه حين خرج من النار قال له: نِعْمَ إِلَهِ إِلَهِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ، فحينئذ أقبل يعظه، فأجابه أبوه: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَكْفُرُونَ﴾ أي: أترك عبادتها أنت؟ ﴿لَكِنْ لَرَأَيْتَهُمْ﴾ عن عيبها وشتمها ﴿لَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا كُفْرًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: بالشتم والقول، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: بالحجارة حتى تتباعد عني، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْني مِثْلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والفرء، والأكثرون. قال ابن قتبية: اهجرني حيناً طويلاً، ومنه يقال: تَمَلَّيت حبيبك. والثاني: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلان ملئ بكذا وكذا: إذا كان مضطرباً به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر، وأنت سليم من أذي، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكرهه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره، ﴿سَأَسْتَفِيرُ لَكَ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: سأسال الله لك توبة تنال بها مغفرته. والثاني: أنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق المُصْرَيْن على الكفر، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانتَ فِي حُوفٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لطيفاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، والزجاج. والثاني: رحيماً، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: باراً عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ﴾ أي: وأنتحى عنكم، ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام. وفي معنى «تَدْعُونَ» قولان: أحدهما: تَعْبُدُونَ. والثاني: أن المعنى: وما تدعون رباً، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي: أرجو أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم بعبادة الأصنام، لأنها لا تنفعهم ولا تُجيب دعاءهم ﴿فَلَمَّا أَتَتْكُمْ﴾ قال المفسرون: هاجر عنهم إلى أرض الشام، فوهب الله لإسحاق ويعقوب، فأنس الله وحشته عن فراق قومه بأولاد كرام. قال أبو سليمان: وإنما وهب له إسحاق ويعقوب بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا﴾ أي: وكلاً من هذين. وقال مقاتل: «وكلاً» يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نِسَاءَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ قال المفسرون: المال والولد والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قال ابن قتيبة: أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَتَدْنِيَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ﴿٥١﴾ وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: «مُخْلَصًا» بكسر اللام. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح اللام. قال الزجاج: المُخْلَص، بكسر اللام: الذي وُحِّدَ الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دُوسَة، والمُخْلَص، بفتح اللام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدُّوس.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ قال ابن الأنباري: إنما أعاد «كان» لتفخيم شأن النبي المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَتَدْنِيَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطُّور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زَبِير. قال ابن الأنباري: [إنما] خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القيلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فقلوا الوصف إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يَدُّ لَهُ فيكون له يمين. وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلماذا قال: «الأيمن»، ولم يُرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: مناجياً، فعبر «فَعِيل» عن «مُفَاعِل» كما قالوا: فلان خليطي وعشيري. يعنون: مخالطي ومُعاشري. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله: «وَقَرَّبَهُ» قال: حتى سمع صريف القلم حين كتب له في الألواح.

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: من نعمتنا عليه إذا أجبنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ مِنْ دَرَجَةِ مُرْسِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ هذا عام فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس. وقال مجاهد: لم يعد ربه بوعد قط إلا وفى له به. فإن قيل: كيف خُصَّ بصدق الوعد إسماعيل، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟ فالجواب: أن إسماعيل عانى [في الوفاء] بالوعد ما لم يعاناه غيره من الأنبياء، فأثني عليه بذلك. وذكر المفسرون: أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة فيها لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أقام حَوْلًا، قاله ابن عباس. والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله الرقاشي. والثالث: ثلاث أيام، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهُم. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ قال مقاتل: يعني: قومه. وقال الزجاج: أهله: جميع أمته. فأما الصلاة والزكاة، فهما العبادتان المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه في السماء الرابعة، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة<sup>(٢)</sup>، وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية. والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن

(١) في عبارة الأصل هنا تقديم وتأخير، وهذا نصها: [﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان. أمّا وابن قتيبة لم يقل سوى هذه العبارة: «أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً»، فقدّمنا جملة «قال ابن قتيبة» على قوله، حتى تستقيم العبارة.

(٢) البخاري ٢١٧/٦، ومسلم ١٥٠/١.

(٣) وعلى هامش نسخة الرباط بخط مغربي: أخرج الحاكم في «المستدرک» - وقال الذهبي: إسناده مظلم لا تقوم به حجة -، عن الحسن بن سمره أنه قال: كان نبي الله إدريس أبيض طويلاً، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من



الجنة في السماء الرابعة. والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاها أبو سليمان الدمشقي<sup>(١)</sup>. وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مثلاً ما يصعد لجميع بني آدم؛ فأحببه ملك الموت، فاستأذن الله في خلّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصعبه، فلما عرفه، قال: إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقي الموت، فلعلّي أعلم ما شدّته فأكون له أشدّ استعداداً؛ فأوحى الله إليه أن اقض روحه ساعة ثم أزميله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشدّ ممّا بلغني عنه، وإني أحب أن تريني النار، قال: فحمله، فأراه إياها؛ قال: إني أحب أن تريني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يُخرجني؛ فبعث الله ملكاً فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقضّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد ذُفّته، وقال: ﴿وَلَنْ يَنْصُرَكَ إِلَّا وَاوِدُهُا﴾ [مریم: ٧١]، وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهَا يُمْسِرُونَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فوالله لا أخرج حتى يكون الله يُخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل، وبأمري فعل، فخلّ سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟ فقد ذكر ابن الأباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورد؛ وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم. والثاني: أن ملكاً من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملك الموت؟ قال: سأكلّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلّمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفه عین؟ فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة. والثالث: أن إدريس مشى يوماً في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمنّ يحملها، يعني به الملك الموكّل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرّها، فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلّة، فأذن له، [فأتاه]، فكان مما قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخّر أجلي، فقال: إن الله لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلّمه فيك، فما كان مستطیعاً أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثم حمّله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخّر أجله، قال: ليس ذاك إليّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، فقال: إني أتيتك وتركتك هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتاً، فوالله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرأه ميتاً. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وكعب في آخرين<sup>(٤)</sup>. فهذا القول والذي قبله يدلان على أنه ميت، والقول الأول يدل على أنه حيّ.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَٰدَيْنَا وَاجِبَيْنَا إِنَّا نُنَالُ عَلَيْهِم مَّا يَكُنْ الرَّحْمَنُ خَرُوفًا سُبْحَانَ وَبِكْرًا ۖ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿وَوَقَعَتْ لِكُلِّ أَصَٰغُرٍ أَكْثَرُ أَلْفَاةٍ ۚ وَأَنفَعُوا الشُّعْرَىٰ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۚ﴾ ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ

الأخرى، وكان في صدره نكتة بياض من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله، رفعه إلى السماء السادسة [فهبوا] حيث يقول: ﴿وَوَقَعَتْ لِكُلِّ أَصَٰغُرٍ أَكْثَرُ أَلْفَاةٍ﴾، فهذا يدل على فرض صحته أنه رفع حياً، والله أعلم أتى ذلك كان. اهـ. والحديث في «المستدرک» ٥٤٩/٢.

(١) والقول الأول هو الصحيح.

(٢) ذكر السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ بهذا المعنى خبراً طويلاً، من رواية ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ، والله أعلم بصحته.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر نحوه: هذا من أخبار كعب من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وَأَمَّا وَعِلِّ سَلَامًا فَأَلْهِمَكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْغَيْبِ إِنَّمَا كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِاتِّمَارٍ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ آيَاتِنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا كَانَ مِنْكَ شَيْءٌ ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَلِبْ لِعَذَابِهِ هَلْ تَنكَرُ لَمْ سَيِّئًا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني إبراهيم، لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ يَسَّاقَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.  
قوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَٰذِهِنَّ﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أُرشدنا، ﴿وَأَجْمَعَيْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ قال الزجاج: «سُجَّدًا» حال مقدرة، المعنى: خَرُّوا مُقَدَّرِينَ السُّجُودَ، لأن الإنسان في حال خروجه لا يكون ساجدًا، ف«سُجَّدًا» منصوب على الحال، وهو جمع ساجد ﴿وَرَبُّكَ﴾ معطوف عليه، وهو: جمع بال، فقد بين الله تعالى أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا ويكفوا من خشية الله.

قوله تعالى: ﴿حَفَظَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ١٦٩]. وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم من هذه الأمة، يأتون عند ذهاب صالح أمة محمد ﷺ يتبارزون بالزنا، يئز بعضهم على بعض في الأزقة زناة، قاله مجاهد، وقناة.

قوله تعالى: ﴿أَنشَأُوا الْفَلَاحَةَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، والحسن البصري: «الصلوات» على الجمع. وفي المراد بإضاعتهم إياها قولان: أحدهما: أنهم أخروها عن وقتها، قاله ابن مسعود، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم بن مخيمرة. والثاني: تركوها، قاله القرظي، واختاره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَشْهُوتَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية. وفي المراد بهذا الغي ستة أقوال: أحدها: أنه وادٍ في جهنم، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال كعب. والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد. والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد، وابن السائب. والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَى أَشَامَا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تاب من الشرك، وآمن بمحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: تاب من التقصير في الصلاة، وآمن من اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «جنات» برفع التاء. وقرأ الحسن البصري، والشعبي، وابن السميع: «جنة عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل الناجي: «جنة عدن» على التوحيد مع نصب التاء. وقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبة عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: آتياً، قال ابن قتيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليل أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به. وقال الفراء: إنما لم يقل: آتياً، لأن كل ما أتاك، فأتت تأتية؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت علي خمسون سنة؟ والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابن الأنباري. وقال ابن جريج: «وعده» ها هنا: موعوده، وهو الجنة، و«مأْتِيًا»: يأتيه أولياؤه.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٨/٤ من رواية ابن مردويه عن طريق نهل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التخالف عند شرب الخمر، قاله مقاتل. والثاني: ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطروح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَكَنًا﴾ قال أبو عبيدة: السلام ليس من اللغو، والعرب تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه، وذلك أنها تضمير فيه، فالمعنى: إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك تأكيد للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغواً البتة، وكذلك قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ [الشعراء: ٧٧]، إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير رب العالمين، فكأنهم عدو. وفي معنى هذا السلام قولان: أحدهما: أنه تسليم الملائكة عليهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسمعون إلا ما يسلمهم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرْزُقْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيَةً﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشيّة، ولكنهم يؤثون برزقهم - على مقدار ما كانوا يعرفون - في الغداة والعشي. قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله لهم ذلك. وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيّة على قدر ذلك الوقت، وليس ثمّ ليل ولا نهار، وإنما هو ضوء ونور. وروى الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿بَكْرَةً وَعَشِيَةً﴾ فقال: ليس في الجنة ليل ولا نهار، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ لَمَفْجَةٌ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾

قوله تعالى: ﴿تُورِثُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وقاتدة، وابن أبي عبلّة: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المفسرون: ومعنى «تورث»: نعطي المساكن التي كانت لأهل النار - لو آمنوا - للمؤمنين. ويجوز أن يكون معنى «تورث»: نعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنها تملك مستأنف. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «وما يَنْزِلُ» بياء مفتوحة. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لعلي أبطأ، قال: «قد فعلت»، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تسوكون، ولا تقصون أظفاركم، ولا تنفون براجمكم، فنزلت الآية، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جمعت، وتغضض إذا بسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة. والثالث: أن جبريل احتبس عن النبي ﷺ حين سأله [قومه] عن قصة أصحاب الكهف، وذو القرنين، والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه، فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: «أبطأت عليّ - حتى ساء ظني، واشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشوق، ولكنني عبدٌ مأمور، إذا بُعثت نزلتُ، وإذا حُبِسْتُ احتبسْتُ، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة، وقاتدة، والضحاك<sup>(٢)</sup>». وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ قولان: أحدهما: لامتناع أصحابه من كمال النظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهد. والثاني: لأنهم سألوه عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أخبركم»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورة [الكهف: ٢٤]. وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوال: أحدها: خمسة عشر يوماً؛ وقد ذكرناه في [الكهف] عن ابن عباس. والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: اثنتا عشرة ليلة،

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم (٢٠٤٣)، والبخاري ٣٢٦/٨، والترمذي ١٤٥/٢، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٨/٤ وزاد نسبه لمسلم، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنه، وعند أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم زيادة في آخر الحديث: «فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ ولم نجد الحديث في «صحيح مسلم» كما قال السيوطي.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣، وذكره ابن كثير ١٣٠/٣ مختصراً من رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة، وقال: هو غريب.

قاله مجاهد. والرابع: ثلاثة أيام، حكاة مقاتل. والخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاة الشعبي. وقيل: إن سورة (الضحى) نزلت في هذا السبب. والمفسرون على أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل. وحكى الماوردي: أنه قول أهل الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلا بأمر الله. وقيل: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله. وفي قوله: ﴿وَمَا يَكُنْ أَيْدِيَا وَمَا خَلَقْنَا﴾ قولان: أحدهما: ما بين أيدينا: الآخرة، وما خلفنا: الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدنيا، وما خلفنا: من الآخرة، فهو عكس الأول، قاله مجاهد. وقال الأخفش: ما بين أيدينا، قبل أن نُخلَق، وما خلفنا: بعد الفناء. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين الدنيا والآخرة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: ما بين الفخيتين، قاله مجاهد، وعكرمة، وأبو العالية. والثالث: حين كَوْنُنَا، قاله الأخفش. قال ابن الأنباري: وإنما وُحِدَ ذلك، والإشارة إلى شيئين، أحدهما: «ما بين أيدينا» والثاني: «ما خلفنا»، لأن العرب توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا﴾ النسيء، بمعنى الناسي. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبداً للوحي عنك، قاله ابن عباس. وقال مقاتل: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك. والثاني: أنه عالم بما كان ويكون، لا ينسى شيئاً، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُهُ﴾ أي: وتُحَدِّثُهُ، لأن عبادته بالشرك ليست عبادة، ﴿وَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: اصبر على توحيده؛ وقيل: على أمره ونهيهِ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ تَعْلَمُ لَوْ سَأَلْنَا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يُدغم «هل تعلم»، وجهه أن سيبويه يجيز إدغام اللام في التاء والتاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء، لأن آخر مخرج من اللام قريب من مخارجهن. قال أبو عبيدة: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يُبين لام «هل»، وبعضهم يدغمها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: مثلاً وشبههاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: هل تعلم أحداً يسمى «الله» غيره، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالق وقادر، إلا هو، قاله الزجاج.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَلَمْ نَأْتِكَ بِسُورٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْنِكَ﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَكَانَ يَكُ شَيْئًا ۝٧٧ فَوَدَّكَ لَتَشْرَبَنَّهُمُ الشَّيَاطِينُ ثُمَّ لَنَضْرِبَهُنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا ۝٧٨ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِئْعَةٍ أَهْلًا مِّنْهُنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۝٧٩ ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ الَّذِينَ هُم أَهْلُهَا ۝٨٠﴾ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَّا وَارِدًا كَأَنَّهُ عَلَى رَأْسِ سَنَدٍ ۝٨١ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا وَتَذَرُ الْغَالِيِينَ ۝٨٢﴾ ﴿يَا بَيْتَا﴾

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف أخذ عظماً بالياً، فجعل يفتنه بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أَنتَرَجُّ حَيًّا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لستُ مبعوثاً بعد الموت. والثاني: أنه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث. والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في [يس: ١٧٨] عند قوله تعالى: ﴿وَصَرَّيْنَا لَكَ تَذَكُّرًا﴾، ولا يُنكر بُعد الجواب، لأن القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكثتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «يَذْكُرُ» ساكنة الذال خفيفة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل الناجي: «أَوَلَا يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» بياء وتاء. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «يَذْكُرُ» بياء من غير تاء ساكنة

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣ من الكلي.

الذال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: أولاً يتذکر هذا الجاحد أول خلقه، فيستبدل بالابتداء على الإعادة؟ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْصِرَنَّهُمْ﴾ يعني: المكذبين بالبعث ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحْشَر مع شيطانه في سلسلة، ﴿فَنُحْضِرُكُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ قال مقاتل: أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها. فأما قوله: ﴿جَنَّتَا﴾ فقال الزجاج: هو جمع جاث، مثل قاعد وقعود، وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرهما إتباعاً لكسرة الثاء. وللمفسرين في معناه خمسة أقوال: أحدها: قعوداً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة<sup>(١)</sup> وهي المجموع من التراب والحجارة. والثالث: جنّتاً على الرُكْب، قاله الحسن، ومجاهد، والزجاج. والرابع: قياماً، قاله أبو مالك. والخامس: قياماً على رُكْبِهِم، قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَي: لناخذن من كل فرقة وأمة وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنه يبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُرمًا، والرؤوس القادة في الشر. قال الزجاج: وفي رفع «أَيُّهُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الاستئناف، ولم تعمل: «لَنَنْزِعَنَّ» شيئاً، هذا قول يونس. والثاني: أنه على معنى الذي يقال لهم: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا؟ قاله الخليل، واختاره الزجاج، وقال: التأويل: لنزعه الذي من أجل عُتُوّه يقال: أَيُّ هؤلاء أَشَدُّ عِتِيًّا؟ وأنشد:

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَنِ الْفِتَاةِ بِمَنْزِلِ  
فَأَبَيْتُ لَا حَرَجَ وَلَا مَحْرُومَ<sup>(٢)</sup>

المعنى: أبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم. والثالث: أن «أَيُّهُمْ» مبنية على الضم، لأنها خالفت أخواتها، فالمعنى: أَيُّهُمْ هو أفضل. وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول: اضرب أَيُّهُمْ أفضل، ولا يَحْسُنْ، اضرب مَنْ أَفْضَل، حتى تقول: من هو أفضل، ولا يَحْسُنْ: كُلُّ ما أطيب، حتى تقول: ما هو أطيب، ولأخذ ما أفضل، حتى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت «ما» و«مَنْ» و«الذي» بُنِيَتْ على الضم، قاله سيويه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْلَىٰ بِمَا صِلِيًّا﴾ يعني: أن الأَوْلَىٰ بها صِلِيًّا الذين هم أَشَدُّ عِتِيًّا، فَيُبْتَدَأُ بهم قبل أتباعهم. و«صِلِيًّا»: منصوب على التفسير، يقال: صلي النار يصلها: إذا دخها وقاسى حرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْزِلَ إِلَّا وَارِدًا﴾ في الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها. وفيمن غني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار. وأكثر الروايات عنه كالقول الأول. قال ابن الأنباري: ووجه هذا أنه لما قال: «لَنَنْزِعَنَّ» وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ كان التقدير: وإن منهم، فأبدلت الكاف من الهاء، كما فعل في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءَ﴾ [الإنسان: ٢٢] المعنى: كان لهم، لأنه مردود على قوله: ﴿وَسَقَطَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر:

سَقَطَتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ  
عَسِيراً عَلَيَّ طَلَابُكَ ابْنَةُ مَحْرُومٍ<sup>(٣)</sup>

أراد: طلابها. وفي هذا الورود خمسة أقوال: أحدها: أنه الدخول. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الورود: الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن النار - أو قال: لجهنم - ضجيجاً من بردهم»<sup>(٤)</sup>. وروي عن ابن عباس أنه سأله نافع بن الأزرق عن هذه الآية، فقال:

(١) مثله الجيم.

(٢) البيت في «القرطبي» ١٣٣/١١، و«روح المعاني» ١١٠/١٦ وروايته فيهما: ولقد أبيت من الفتاة، ولفظه في نسخة الرباط:

ولقد أتيت على الفتاة بمنزل

المعنى: أتيت... إلخ.

(٣) البيت تقدم ٣٩٣.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» عن جابر بن عبد الله، قال الحافظ ابن كثير: غريب ولم يخرجوه، وذكر السيوطي في «الدر» ٢٨٠/٤ وزاد نسبه لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

له: «أَنَا أَنَا وَأَنْتَ فَسَنَدْخِلُهَا، فَانْظُرْ أَيُخْرِجُنَا اللَّهُ ﷻ مِنْهَا، أَمْ لَا؟ فَاحْتِجْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْزِدْهُمْ أَلْفَاكًا﴾ [هود: ٩٨] ويقول تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرُودُكُ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وكان عبد الله بن رواحة يبيكي ويقول: أنبتت أني وارد، ولم أنبأ أني صادر. وحكى الحسن البصري: أن رجلاً قال لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا؛ قال: ففيم الضحك؟! وقال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة. ومن ذهب إلى أنه الدخول: الحسن في رواية، وأبو مالك. وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياء. فقال الزجاج: العرب تقول: وردت بلد كذا، ووردت ماء كذا: إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَزَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصاص: ٣٣]، والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ مَتْنَبُ مَبْعُدُونَ﴾ (١) لَا يَسْمُوتُ حَسِيْسَهَا [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال زهير:

فَلَمَّا رَزَدَ الْمَاءَ رُزْقًا جَمَامَهُ  
وَصَغْنٌ عَصِيٍّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ (٢)

أي: لما بلغن الماء قمن عليه. قلت: وقد أجاب بعضهم عن هذه الحجج، فقال: أما الآية الأولى، فإن موسى لما أقام حتى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبثه ومباشرته كأنه دخل؛ وأما الآية الأخرى: فإنها تضمنت الإخبار عن أهل الجنة حين كونهم فيها، وحينئذ لا يسمعون حسيْسها. وقد رويتنا أنفاً عن خالد بن معدان أنهم يمرُّون بها، ولا يعلمون. والثاني: أن الورد: الممرُّ عليها، قاله عبد الله بن مسعود، وقتادة. وقال ابن مسعود: يرد الناس النار، ثم يصدرن عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْر الفرس (٣) [ثم كالراكب في رحله]، ثم كشُدُّ الرحل، ثم كمشيه (٣). والثالث: أن ورودها: حضورها، قاله عبيد بن عمير. والرابع: أن ورود المسلمين: المرور على الجسر، وورود المشركين: دخولها. قاله ابن زيد. والخامس: أن ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحمى في الدنيا، روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَأَرْدُهَا﴾ فعلى هذا من حُمٍّ من المسلمين، فقد وردها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ﴾ يعني: الورد ﴿حَتَّى﴾ والحثم: إيجاب القضاء، والقطع بالأمر. والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَبَيَّنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن يعمر، وابن أبي ليلى، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، ويعقوب: «تُنْجِي» مخففة. وقرأت عائشة، وأبو بحرية، [وأبو الجوزاء الربيعي: «ثُمَّ يُنْجِي» بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وابن السميع، وأبو رجاء: «نُنْجِي» بحاء غير معجمة مشددة. وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأن النجاة: تخلص الواقع في الشيء، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: ونُدْخِلْهُمْ؛ وإنما يقال: نَذَرُ ونترك لمن قد حصل في مكانه. ومن قال: إن الورد للكفار خاصة، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتقين من جملة من يدخل النار. والمراد بالمتقين: الذين اتقوا الشرك، وبالظالمين: الكفار. وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿يُنْجِي﴾ [مريم: ٦٨].

﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أَنبِئْنَا بِنَبْتِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَبِيًّا﴾ (١) وَكَرَّ أَمَلْنَا قَلْبَهُمْ مِنْ قَرِينٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَبِّيَا (٢)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني المشركين ﴿أَنبِئْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، وحفص عن عاصم [مقاماً] بفتح الميم وقرأ ابن كثير بضم الميم. قال أبو علي الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّت.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَبِيًّا﴾ والتدني والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم. وقال الفراء: التدني والنادي، لغتان.

(١) «شرح ديوان زهير» ١٣، «القرطبي» ١٣٧/١١، «اللسان» و«التاج»: ورق.

(٢) أي: كعدو الفرس. (٣) وقد روي مرفوعاً وموقوفاً.

ومعنى الكلام: نحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَرَكَّ أَعْلَانَا فَلَهُمْ يَنْ قَرْنٌ﴾ وقد بينا معنى القرن في [الأنعام: ٦] وشرحنا الأثاث في [النحل: ٨٠]. فأما قوله تعالى: ﴿وَرِيَّاءٌ﴾ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «ورثاء» بهمة بين الراء والياء في وزن: «رعياء»؛ قال الزجاج: ومعناها: منظراً من «رايت». وقرأ نافع، وابن عامر: «ريثاً» بياء مشددة من غير همز، قال الزجاج: لها تفسيران: أحدهما: أنها بمعنى الأولى. والثاني: أنها من الرثي، فالمعنى: منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بيّن فيهم. وقرأ ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي سريج عن الكسائي: «ريثاً» بالزاي المعجمة مع تشديد الياء من غير همز. قال الزجاج: ومعناها: حسن هيئتهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّا الْعَذَابَ رِيشًا السَّاعَةَ فَسَيَمْلَأُونَ مِنْهُ شَرًّا مِّثْلَ مَا أَضَعُفْ جُنْدًا ۖ وَيَزِيدُ اللَّهُ إِلَيْكَ أَهْذَرًا هُدًىٰ وَالْيَقِينُ الضَّلِيلُ حَتَّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۖ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال ابن الأنباري: خاطب الله لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى: أن الله تعالى جعل جزاء ضلّالته أن يتركه فيها. قال ابن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر، يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنكرمه، يقصد التوكيد، ويثبته على أنني ألزم نفسي إكرامه؛ ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى: قل يا محمد: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَاللَّهُمَّ مَدِّ لَهُ فِي النِّعَمِ مَدًّا<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى مَدَّ اللَّهُ تعالى له: إمهاله في العي. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني الذين مَدَّهم في الضلالة. وإنما أخبر عن الجماعة، لأن لفظ «مَنْ» يصلح للجماعة. ثم ذكر ما يوعدون فقال: ﴿إِنَّا الْعَذَابَ﴾ يعني: القتل، والأسر ﴿وَرِيشًا السَّاعَةَ﴾ يعني: القيامة وما وعدوا فيها من الخلود في النار ﴿فَسَيَمْلَأُونَ مِنْهُ شَرًّا مِّثْلَ مَا أَضَعُفْ الْآخِرَةَ﴾ أهم، أم المؤمنون؟ لأن مكان هؤلاء الجنة، ومكان هؤلاء النار، ﴿وَيَعْلَمُونَ النَّصْرَ وَالْقِتْلَ مِنْ أَوْعُفْ جُنْدًا﴾ جندهم، أم جند رسول الله ﷺ. وهذا ردّ عليهم في قولهم: ﴿إِنِّي الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَوِيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ إِلَيْكَ أَهْذَرًا هُدًىٰ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ويزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيماناً. والثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم. والثالث: يزيدهم زيادة الوحي إيماناً، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم. والرابع: يزيدهم إيماناً بالناسخ والمنسوخ. والخامس: يزيدهم الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ. قال الزجاج: المعنى: إن الله تعالى يجعل جزاءهم أن يزيدهم يقيناً، كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلالته. قوله تعالى: ﴿وَالْيَقِينُ الضَّلِيلُ حَتَّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ قد ذكرناها في سورة [الكهف: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ إِلَيْكَ أَهْذَرًا هُدًىٰ﴾ المراد هاهنا مصدر مثل الرد، والمعنى: وخير ردّاً للثواب على عاملها، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ أَلَمَلَعَ الْغَيْبُ إِلَهُ أَفْعَدَّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ وَرَنُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۖ﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن حباب [بن الأرت] قال: كنت رجلاً قيناً [أي: حداداً] وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضه، فقال: [لا] والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت، ثم تبعت. قال: فإني إذا مِتُّ ثم بُعثت جئتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله تعالى: ﴿كَذَرَدًا<sup>(٢)</sup>﴾. والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن. والمفسرون على الأول.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو. وقال الفراء: وهما لغتان، كالعدم، وليس يجمع، وقيس تجعل الولد جمعاً،

(١) في النسخة الاستبوية: فاللهم مدّ له في العمر مدّاً.

(٢) «البخاري» ٣٢٦/٨، و«مسلم» ٢١٥٣/٤، ورواه أحمد في «المسند» ١١٠/٥، و«الترمذي» ١٤٥/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والولد، بفتح الواو، واحداً. وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد في الجنة على زعمكم. والثاني: في الدنيا. قال ابن الأنباري: وتقدير الآية: أرايته مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿الْمَلْعَ اللَّيْبَ﴾ قال ابن عباس في رواية: أَعْلِمَ ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو، أم لا؟ وقال في رواية أخرى: أنظر في اللوح المحفوظ؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخَذْنَا عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابن عباس. والثاني: أم قدم عملاً صالحاً، فهو يرحوه؟ قاله قتادة. والثالث: أم عهد إليه أنه يدخله الجنة؟ قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد. ويجوز أن يكون معنى «كَلَّا» أي: إنه لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله عليه لنجاسته به، ﴿وَنُنْذِرُ لِمَنَ أَلْمَذَابِ مَذَابًا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعض. وقرأ أبو العالية الرياحي، وأبو رجاء العطاردي: «سيكتب» «ويرثه» بياء مفتوحة.

قوله تعالى: ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: أحدهما: نرثه ما يقول أنه له في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والثاني: نرث ما عنده من المال، والولد، ياهلاكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة. قال الزجاج: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره. قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْنَا قُرْكَ﴾ أي: لا مال ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا مِن دُوبِ اللَّهِ مَالَهُ لِيَكُونُوا لِمَنَ عِزًّا﴾ ٨١ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبَيْدَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ٨٢ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ ٨٣ ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّكُم مَّعَهُمْ عَذَابٌ﴾ ٨٤ قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا مِن دُوبِ اللَّهِ مَالَهُ﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿لِيَكُونُوا لِمَنَ عِزًّا﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما قدرُوا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِإِيمَانٍ يَمِينُونَ﴾ [النقص: ٦٣] لأنها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان: أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القبول منهم. والثاني: وهو المختار: سلطناهم عليهم، وقبضناهم لهم بكفرهم. ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي. وقال الفراء: ترعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها. قال ابن فارس: يقال: أَرَّه على كذا: إذا أغراه به، وأَزَّتْ القِدْر: غَلَّتْ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم. وزعم بعضهم أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح. ﴿إِنَّمَا نَمُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ في هذا الممدود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنفاسهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال طاووس، ومقاتل. والثاني: الأيام، والليالي، والشهور، والسنون، والساعات، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها أعمالهم، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ ٨٥ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ ٨٦ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ٨٧

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلق بقوله: «ويكونون عليهم ضداً، يوم نحشر المتقين» وقال بعضهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتقين، وهم الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معصيته. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «يوم يحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين «وَيُسَوِّقُ» بياء مفتوحة ورفع السين. وقرأ أبي بن كعب، والحسن البصري، ومعاذ الفارئ، وأبو المتوكل الناجي: «يوم يُحْشَرُ» بياء مرفوعة وفتح الشين «المتقون» رفعاً «وَيُسَاقُ»



بألف وياء مرفوعة «المجرمون» بالواو على الرفع. والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وزاكب، وضخب، وصاحب. قال ابن عباس، وعكرمة، والفراء: الوفد: الركبان. قال ابن الأنباري: الركبان عند العرب: ركب الإبل. وفي زمان هذا الحشر قولان: أحدهما: أنه من قبورهم إلى الرحمن، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: أنه بعد الحساب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَسُوءُ الْفَعْمِ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن: عطاشاً. قال أبو عبيدة: الورد: مصدر الورد. وقال ابن قتيبة: الورد: جماعة يردون الماء، يعني: أنهم عطاش، لأنه لا يرد الماء إلا العطشان. وقال ابن الأنباري: معنى قوله: «ورداً»: واردين.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشْفَعُ لهم. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَىٰ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال الزجاج: جائز أن يكون «من» في موضع رفع على البدل من الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً؛ وجائز أن يكون في موضع نصب على استثناء ليس من الأول، فالمعنى: لا يملك الشفاعة المجرمون، ثم قال: «إلا» على معنى «لكن» ﴿مَنْ أَتَىٰ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملك الشفاعة. والعهد هاهنا: توحيد الله والإيمان به. وقال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: مقدمة أمر يُعلم ويُحفظ، من قولك: عهدت فلاناً في المكان، أي: عرفته، وشهدته.

﴿وَقَالُوا أَتُحَدِّثُ بِالْحَقِّ﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿تَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَخِزُّ الْجِبَالِ هَذَا﴾ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَكَا﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ ﴿وَعَدَهُمْ عَذَابًا﴾ ﴿وَلَهُمْ عِنْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَرْنَا﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتُحَدِّثُ بِالْحَقِّ وَلَكَا﴾ يعني: اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شيئاً عظيماً من الكفر. قال أبو عبيدة: الإذ، والتكر: الأمر المتناهي العظم.

قوله تعالى: ﴿تَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «تكاد» بالناء. وقرأ نافع، والكسائي: «يكاد»، بالياء. وقرأ جميعاً: «ينفطرن» بالياء والناء مشددة الطاء، وافقهما ابن كثير، وحفص عن عاصم في «ينفطرن»، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «ينفطرن» بالنون. وقرأ حمزة، وابن عامر في (مریم) مثل أبي عمرو، وفي [عسق: ۵] مثل ابن كثير. ومعنى: «ينفطرن منه»: يقاربن الانشقاق من قولكم. قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ أي: سقوطاً.

قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَا﴾ قال الفراء: من أن دعوا، ولأن دعوا. وقال أبو عبيدة: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاء الصوت، وأنشد:

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وَإِنْ تَغِيبُ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُنْتَصِحِ الصَّنَدِ<sup>(۱)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يصلح له، ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مجانسة، وكل متخذ ولداً يتخذ من جنسه، والله تعالى منزّه عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحال في حقه اتخاذ الولد، ﴿إِنْ كُلُّ﴾ أي: ما كل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ﴾ يوم القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً. والمعنى: أن عيسى وعزيراً والملائكة عبيد له. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أن الولد إذا اشترى ولده، لم يبق ملكه عليه، وإنما يعتق بنفس الشراء، لأن الله تعالى نفى البتة لأجل العبودية، فدل على أنه لا يجتمع بنوة ورفق.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَهُمْ عَذَابًا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَلَهُمْ عِنْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَرْنَا﴾ بلا مال، ولا نصير يمنعه. فإن قيل: لأية علّة وحّد في «الرحمن» و«آتية» وجمع في العائد في

«أحصاهم»، و«عدهم». فالجواب: أن لكل لفظ توحيد، وتأويل جمع، فالتوحيد محمول على اللفظ، والجمع مصروف إلى التأويل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ١١١﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ١١٢ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرِينٍ هَلْ يَحْشُرُهُمْ رَبُّكَ أَوْ لَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ لَكْرًا ١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال ابن عباس: نزلت في علي عليه السلام، وقال معناه: يحبهم، ويحببهم إلى المؤمنين. قال قتادة: يجعل لهم وُدًّا في قلوب المؤمنين. ومن هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبوه، فينادي جبريل في السموات: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيلقى حبه على أهل الأرض فيحبه»، وذكر في البغض مثل ذلك<sup>(١)</sup>. وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ﷻ، إلا أقبل الله ﷻ بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن. قال ابن قتيبة: أي، سهّلناه، وأنزلناه بلغتك. واللُّدُّ، جمع أَلَدٍّ، وهو الحَصِمُ الجَدِل.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ هذا تخويف لكفار مكة ﴿هَلْ يَحْشُرُهُمْ رَبُّكَ أَوْ لَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ لَكْرًا﴾ قال الزجاج: أي: هل ترى، يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته؟ والرُّكْز: الصوت الخفي؛ وقال ابن قتيبة: الصوت الذي لا يُفْهَم، وقال أبو صالح: حركة، [والله تعالى أعلم].



(١) «البخاري» ٢٢٠/٦ و ٣٨٦/١٠، وليس فيه ذكر البغض مثل ذلك، ورواه «مسلم» ٢٠٣٠/٤، ولفظه عنده بتمامه: «إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً، دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

## سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا نَذِيرٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ تَزِيلًا مِّنْ حَلْقِ الْأَرْضِ وَأَنشَأْتِ الْفُلَى ﴿٣﴾ أَلْحَنُ عَلَى الْفَرَسِ أَسْرَى ﴿٤﴾ لَّكَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِن يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَهِيَ الْحَقَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾

وهي مكية كلها بإجماعهم. وفي سبب نزول (طه) ثلاثة أقوال. أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله [علي] (١). والثاني: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك (٢). والثالث: أن أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدي، قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٣). وفي «طه» قراءات. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «طه» بفتح الطاء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء. وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب؛ كذلك قال خلف عن المسيبي. وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء، وروى عنه عباس مثل حمزة. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن: «طه» بفتح الطاء وسكون الهاء. وقرأ الضحاك، ومورق: «طه» بكسر الطاء وسكون الهاء. واختلفوا في معناها على أربعة أقوال: أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة؛ واختلف هؤلاء بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: بالنبطية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير في رواية، والضحاك. والثاني: بلسان عك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، وقتادة. والرابع: بالحبيشية، قاله عكرمة في رواية. قال ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى. والثاني: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الطاء من اللطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية، والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طبيب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطاء من طابة، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من مكة، حكاه أبو سليمان اللدمشقي. والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. والثالث: أن الطاء في حساب الجمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكى القولين الثعلبي. والثالث: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة (مريم). وقال القرطبي: أقسم الله بظوله وهديته؛ وهذا القول قريب المعنى من الذي قبله. والرابع: أن معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيان (٤). ومعنى قوله ﴿لَتَشْقَى﴾: لتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغت، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالغ، حتى إنه كان يراوح بين قدميه لطول القيام، فأمر بالتخفيف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٨/٤ من رواية البزار عن علي ﷺ.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤.

(٤) قال أبو جعفر بن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ﴾ قال الأخفش: هو بدل من قوله: «لنثقى»، ما أنزلناه إلا تذكرة، أي: عظة.

قوله تعالى: ﴿تَزِيلًا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿أَنْتَ﴾ جمع العُلَيَّا، تقول: سماءُ عُلَيَّا، وسموات عُلَيَّا، مثل الكُبَرَى، والكُبَرِ. فاما «الثرى» فهو التراب الندي، والمفسرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿وَأَنْتَ يَلْمُ الْآتِرَ﴾ والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السر. وفي المراد به السر وأخفى: خمسة أقوال: أحدها: أن السر: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعدُ وسيكون، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: أن السر: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: أن السر: العمل الذي يُبهر الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهد. والرابع: أن معنى الكلام: يعلم إسرار عباده، وقد أخفى سره عنهم فلا يُعلم، قاله زيد بن أسلم، وابنه. والخامس: يعلم ما أسره الإنسان إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، قاله الفراء.

﴿وَقَدْ أَتَيْتُكَ حَدِيثَ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ۚ فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِيَ بِمُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ۖ فَخَلَعَ نَعْلَيْكَ ۚ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْأَمْرِئِ طَوًى ۖ وَأَنَا أَخَفْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۚ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۚ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَتَيْتُكَ حَدِيثَ مُوسَى ۖ﴾ هذا استفهام تقرير، ومعناه: قد أتاك. قال ابن الأنباري: وهذا معروف عند اللغويين أن تأتي «هل» معبرة عن «قد»، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهم هل بلغت؟»<sup>(١)</sup>، يريد: قد بلغت. قال وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً ﷺ في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله، فؤله في الطريق في ليلة شتية، ففدح فلم يُور الزناد، فبينما هو في مزاولة ذلك، أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحقائق» فكرهنا إطالة التفسير بالقصص، لأن غرضنا الاختصار على التفسير ليسهل حفظه<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: رأى نوراً، ولكن أخبر بما كان في ظن موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأته ﴿امْكُثُوا﴾ أي: أقيموا مكانكم. وقرأ حمزة: ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ بضم الهاء هاهنا وفي [القصص: ٢٩]. ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ قال الفراء: إني وجدت، يقال: هل آنستُ أحداً، أي: وجدت؟ وقال ابن قتيبة: «آنستُ» بمعنى أبصرت. فاما القَبَسُ، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة.

قوله تعالى: ﴿وَأُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ قال الفراء: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر. قال ابن الأنباري: يجوز أن تكون: «على» هاهنا بمعنى «عند»، وبمعنى «مع»، وذكر أهل التفسير أنه كان قد ضلَّ الطريق، فلمعلم أن النار لا تخلو من مُوقِد. وحكى الزجاج: أنه ضل عن الماء، فرجا أن يجد من يهديه الطريق أو يده له على الماء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِيَ بِمُوسَى ۖ﴾ يعني: النار ﴿نُوْدِيَ بِمُوسَى ۖ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ۚ﴾ إنما كرر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة، ومثله ﴿وَأَنَا أَنزَلْتُ الْمِيثَاقَ﴾ [الحجر: ٨٩]. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «أَنِّي» بفتح الألف والياء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنِّي» بكسر الألف، إلا أن نافعاً فتح الياء. قال الزجاج: من قرأ: «أَنِّي أنا» بالفتح، فالمعنى: نودي [بأنِّي أنا ربك، ومن قرأ بالكسر، فالمعنى: نودي] يا موسى، فقال الله: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٣ عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «يا أي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «يا أي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإن مءامكم وأمواكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»، قال ابن عباس ؓ: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، «فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضهم رقاب بعض»، ورواه أحمد في «المسند» ومسلم بلفظ آخر.

(٢) ذكره بطوله السيوطي في «الدرر» ٢٩٠/٤ من رواية أحمد في «الزهدي»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ ثَمَّ لَكَ﴾ في سبب أمره بخلعهما قولان: أحدهما: أنهما كانا من جلد حمار ميت، رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعكرمة. والثاني: أنهما كان من جلد بقرة ذكيت، ولكنه أمر بخلعهما لياشر تراب الأرض المقدسة، فتناله بركتها، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْأَوَّلِ الْمُقَدِّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في [المائدة: ٢١] عند قوله: ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿طَوًى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طوى وأنا» غير مُجْزَأَةٍ<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «طَوًى مُجْزَأَةٍ»<sup>(٣)</sup>، وكلُّهم ضم الطاء. وقرأ الحسن، وأبو حية: «طَوًى» بكسر الطاء مع التنوين. وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو: «طَوًى» بكسر الطاء من غير تنوين. قال الزجاج: في «طَوًى» أربعة أوجه: طوى، بضم أوله من غير تنوين ويتنوين. فمن نَوَّه، فهو اسم للوادي. وهو مذكَّر سمي بمذكَّر على فُعْلٍ نحو حُطِمَ وضُرِدَ، ومن لم ينوَّه ترك صرفه من جهتين: لإحداهما: أن يكون معدولاً عن طوى، فيصير مثل «عَمَرَ» المعدول عن عامر، فلا ينصرف كما لا ينصرف «عَمَرَ». والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعة، كقوله: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص: ٢٠]، وإذا كُثِرَ ونَوَّه فهو مثل يعى. والمعنى: المقدَّس مرَّةً بعد مرَّةً، كما قال عدي بن زيد:

أَعَاذِلْ، إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ  
عَلَيَّ طَوًى مِنْ غَيْبِكَ الْمُتَرَدِّدِ<sup>(٤)</sup>

أي: اللوم المكرر عليّ؛ ومن لم ينوَّه جعله اسماً للبقعة. [وللمفسرين في معنى «طوى» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الوادي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «طوى»: طأ الوادي، رواه عكرمة عن ابن عباس، وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنه قدَّس مرتين، قاله الحسن، وقتادة.]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَنْتَرْنَاكَ﴾ أي: اصطفيئك. وقرأ حمزة، والمفضل: «وَأَنَا» بالنون المشددة «اخترناك» بآلف. ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُرْسَخُ﴾ أي: للذي يوحى. قال ابن الأنباري: الاستماع هاهنا محمول على الإنصات، المعنى: فاستمع لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ أي: وحُدني، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيه قولان: أحدهما: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين. وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفار لها غير ذلك»، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٥)</sup>. والثاني: أقم الصلاة لتذكركني فيها، قاله مجاهد. وقيل: إن الكلام مردود على قوله: ﴿فَاسْتَمِعْ﴾، فيكون المعنى: فاستمع لما يوحى، واستمع لذكرى. وقرأ ابن مسعود: وأبي بن كعب، وابن السميع: «واقم الصلاة للذكرى» بلامين وتشديد الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أَخْيَبِيَا﴾ أكثر القراء على ضم الألف. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد في آخرين. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن علي: أكاد أخفيها من نفسي، قال القراء: المعنى: فكيف أظهركم عليها؟ قال الميرد: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى مِنْ نَفْسِي، أي: لم أطلع عليه أحداً. والثاني: أن الكلام تم عند قوله: «أكاد»، وي بعده مضمّر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها، قال ضايع البرجمي:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْسَنِي  
تَرَكْتُ عَلَى عُمْمَانٍ تَبْكِي حَلَالِيْلَهُ<sup>(٦)</sup>

أراد: كذت أفعل. والثالث: أن معنى «أكاد»: أريد، قال الشاعر:

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٦/١ وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحيد هو ابن علي الأعرج الكوفي، منكر الحديث، وذكره الطبري ١٤٤/١٦ وقال: في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

(٢) أي: غير مصروفة.

(٣) «الطبري» ١٤٥/١٦، و«مجاز القرآن» ١٦/٢، و«اللسان»: طوى، و«التاج»: نسي.

(٤) رواه البخاري في كتاب «مرايت الصلاة»، باب من نسي صلاة فليصل، ورواه مسلم ٤٧٧/١، وأبو داود رقم (٤٤٢).

(٥) «الطبري» ١٥٢/١٦، و«القرطبي» ١٨٣/١١، و«البحر» ٢٣٣/٦.

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ

لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى<sup>(١)</sup>

معناه: أرادت وأردت، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: فما فائدة هذا الإخفاء الشديد؟ فالجواب: أنه للتحذير والتخويف، ومن لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان أشد حذراً. وقرأ سعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء العطاردي، وحמיד بن قيس: «أخفيها» بفتح الألف. قال الزجاج: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تَخْفُوهُ

وَإِنْ تَتَّبِعُوا الْحَرْبَ لَا تَنْفَعِدِ<sup>(٢)</sup>

أي: إن تدفنوا الداء لا تظهره. قال: وهذه القراءة أُبَيِّنُ في المعنى، لأن معنى: «أكاد أظهرها»: قد أخفيها وكادت أظهرها. «لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَتْ» أي: بما تعمل. و«لِتُجْزَى» متعلق بقوله: «إن الساعة آتية» لتجزي، ويجوز أن يكون على «أتم الصلاة للذكر» لتجزي.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: من لا يؤمن بكونها؛ والخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع أمته، ﴿وَأَتَتْهُ هَوًى﴾ أي: مُرادُه وخالف أمر الله ﷻ، ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ أي: فتَهَلِك؛ قال الزجاج: يقال: رَدِي يَرْدَى: إذا هلك.

﴿وَمَا تِلْكَ يَبِيمَنِكَ يَمْوَسِي﴾ ١٧ قَالَ فِي عَصَايَ أَوَكَّضْتُ عَلَيْهَا وَأَفْضُ بِهَا عَلَى عَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ١٨ قَالَ أَلَيْهَا يَمْوَسِي ١٩ فَالْقَلْبُهَا فَإِذَا فِي حَيَّةٍ سَعَتْ ٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَيُؤَيِّدُكَ سَيِّدُهَا الْأَوَّلُ ٢١ وَأَسْمُكَ يَدُكَ إِنْ جَنَّاكَ تَخْرُجُ بَيْعَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آتَةٍ أُخْرَى ٢٢ لِزَيْنِكَ مِنْ بَيْنِنَا الْكَبْرَى ٢٣

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَبِيمَنِكَ﴾ قال الزجاج: «تلك» اسم مبهم يجري مجرى «التي»، والمعنى: ما التي يبيمنك؟

قوله تعالى: ﴿أَوَكَّضْتُ عَلَيْهَا﴾ التَوَكُّؤُ: التحامل على الشيء ﴿وَأَفْضُ بِهَا﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي: قال الزجاج: واشتقاقه من أتى أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان. والمآرب: الحاجات، واحدها: مَارِبَةٌ، ومَارِبَةٌ. وروى قتيبة، وورش: «مآرب» بإمالة الهمزة. فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: «وما تلك يبيمنك» وهو يعلم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجره مجرى السؤال، ليجيب المخاطب بالإقرار به، فثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئاً من الصبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء؟ فثبت عليه الحجة، هذا قول الزجاج. فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرَّر موسى أنها عصا لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حَيَّةً، فوقع المُعْجِزُ بها بعد التثبت في أمرها. والثاني: أنه لما أطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يوانسه ويخفف عنه يَظَلُّ ما كان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: «هي عصاي»، فما الفائدة في قوله: «أَوَكَّضْتُ عَلَيْهَا» إلى آخر الكلام، وإنما يُشْرَحُ هذا لمن لا يعلم فوائدها؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي»، فقيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثانٍ، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه إنما أظهر فوائدها، وبَيَّن حاجته إليها، خوفاً [من] أن يأمره بإلقائها كالنعلين، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنه بيَّن منافعها لئلا يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على ذكر بعض منافعها ولم يُبَيِّن الشرح؟ فعنه [ثلاثة] أجوبة: أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها. والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد. والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض. وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار<sup>(٣)</sup>. وفي جنسها

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٥١/١٦، و«القرطبي» ١٨٤/١١، و«اللسان» و«التاج»: كود.

(٢) البيت لامرؤ القيس، «ديوانه» ١٨٦، و«الطبري» ١٥٠/١٦، و«مجاز القرآن» ١٧/٢، و«القرطبي» ١٨٢/١١، و«اللسان» و«التاج»: خفا. وقوله: لا تُخْفِ، بفتح النون: أي: لا تُظْهِرْ، وكذا قرئ قوله تعالى: ﴿أَكَاذُ أَتُفِي﴾ أي: أظهرها.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» ١٤٥/٣: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهت، فقيل كانت تضيء بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، =

قولان: أحدهما: أنها كانت من آس الجنة. قاله ابن عباس. والثاني: [أنها] كانت من عوسج. فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: «أخرى» ولم يقل: «أخر»؟ فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَكُونُونَ﴾ قال المفسرون: ألقاها، ظناً منه أنه قد أمر برفضها، فسمع حساً فالتفت فإذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها. وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان: أحدهما: لثلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون. والثاني: ليريه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذللت لك الأعظم وهو الحية، أدلل لك الأدنى. ثم إن الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حيّة، فوضع يده عليها فعادت عصاً، فذلك قوله: ﴿سَتَجِدُنَهَا أَلْوَنًا﴾ قال الفراء: طريقتهما، يقول: تردّها عصى كما كانت. قال الزجاج: «وسيرتها» منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعل إليها، المعنى: سَتُعِيدُهَا إِلَى سِيرَتِهَا. فإن قيل: إنما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنه يقول في [الأعراف: ١٠٧]: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مُبِينٌ﴾، وهانها: «حية»، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهُ جَدَّةٌ﴾ [النمل: ٢٠]، والجأن ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟ فالجواب: أن صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحية اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقال الزجاج: خَلَقَهَا خَلَقَ الثَّعْبَانِ الْعَظِيمِ، واهتزازها وحركتها وخِفَّتُهَا كاهتزاز الجأن وخِفَّتُهُ. قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُهُ يَذَكُ إِلَى جَلْجَلِكُ﴾ قال الفراء: الجناح من أسفل العَضُدِ إِلَى الْإِبْطِ. وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجَنَبِ، وأنشد:

أَسْمُهُ لِلصَّادِرِ وَالْجَنَاحِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ فَرْجِ سَوْءٍ﴾ أي: من غير بَرَصٍ ﴿يَأْتِيَةُ أُخْرَى﴾ أي: دلالة على صدقك سوى العصا. قال الزجاج: ونصب «آية» على معنى: آتينك آية، أو نؤتيك [آية].

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾. إن قيل: لِمَ لم يقل: «الكُبرى» فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كقوله: ﴿مَتَارِبُ أُخْرَى﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفراء. والثاني: أن فيه إضمار تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى. وقال أبو عبيدة: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا. والثالث: إنما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثعلبي.

﴿أَنهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿وَيَذَرِ لِيَ أَنفِي﴾ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿يَقْفَهُأُ قَوْلِي﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿هَؤُلَاءِ بَنِيَّ أَهْلُ آبَائِكَ وَإِنِّي أَخْشَى آبَاءَكَ﴾ وَأَشْرَدُ بِهِمْ أَزْرِي ﴿وَأَشْفِرْ لِي فِي أَنفِي﴾ كَيْ سَمِعَكَ كَثِيرًا ﴿وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِمَا بَعِيرًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: جاوز الحد في العصيان.

قوله تعالى: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ قال المفسرون: ضاق موسى صدرًا بما كلف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى لا يخاف فرعون وجنوده. ومعنى قوله: ﴿وَيَذَرِ لِيَ أَنفِي﴾: ﴿سَهْلٌ عَلَيَّ مَا بَعَثْتَنِي لَهُ. وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ قال ابن قتيبة: كانت فيه رُثَّةٌ<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغير، فجر<sup>(٣)</sup> لحية فرعون بيده، فهم بقتله، فقالت له آسية: إنه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، فأخذ موسى جمره فوضعهما في فيه فأحرق لسانه وصار فيه عقدة،

= ويفرّسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صبروتها ثعباناً، فما كان يفرّ منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، وكذلك قول بعضهم: إنها كانت لآدم ﷺ، وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة.

(١) الرجز غير منسوب في: «الطبري» ١٦/١٥٧، و«مجاز القرآن» ٢/١٨، و«القرطبي» ١١/١٩١.

(٢) الرُثَّةُ، بالضم: عجلة في الكلام، وقِيلَ أَنَاةٌ، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

(٣) في الأصل: فعد، وسنأتي بعد قليل «جر».

فسأل خَلَّاهُ ليفهموا كلامه<sup>(١)</sup>. وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوِزارة من الوِزْر وهو الجمل، كأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل. وقال الزجاج: اشتقاقه من الوِزْر، والوَزْر: الجبل الذي يُعْتَصَم به لِيُنْجَى من الهلكة، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه. ونصب «هارون» من جهتين: إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي ووزيري، فيتصب «وزيراً» على أنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون «هارون» بدلاً من قوله: «**وَزِيْرًا**»، فيكون المعنى: اجعل لي وزيراً من أهلي، [ثم] أبدل هارون من وزير؛ والأول أجود. قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيراً، لأنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي».

قوله تعالى: «**أَتَذْكُرُوا أَنزَارِي**» ﴿٣٦﴾ قال الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشدُّد به يا ربُّ أزرِي، وأشركه يا ربُّ في أمري. وقرأ ابن عامر: «أشدُّد» بالالف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يبتدئ بالالفين. قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء، ولأن الإشارك في النبوة لا يكون إلا من الله ﷻ. قال ابن قتيبة: والأزْر: الظهر، يقال: آزرت فلاناً على الأمر، أي: قوّيته عليه وكنت له فيه ظهراً.

قوله تعالى: «**وَأَذْكُرُوا فِي أَنفِي**» ﴿٣٧﴾ أي: في النبوة معي «**كَيْ تَسْجَلَ**» أي: نصلي لك «**وَتَذْكُرَكَ**» بالسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نعمك «**إِنَّكَ كُنتَ بِمَا نَعْمِكَ**» ﴿٣٨﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

«**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى**» ﴿٣٩﴾ «**وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى**» ﴿٤٠﴾ إذ أُوتِيتَ إِيَّكَ مَا يُوْحَى ﴿٤١﴾ أَنْ أَتَوَيْتَهُ فِي الْكَأْبِيتِ فَأَقْبَدِيهِ فِي الْآيَةِ فَلْيَقْبِذِ الْيَمَّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَذْرٌ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلَوْ أَنَّنَا لَمَكَّنَّاكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى إِيَّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْنَا نَفَسًا فَفَجَزَّكَ مِنَ الْعَمْرِ وَقُلْنَا فَلْيَلُكْ مِيزِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يٰمُوسَى ﴿٤٢﴾ وَامْلَكْنَاهُ لِقَايَ ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْكَ يَابْنَئِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: «**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ**» قال ابن قتيبة: أي: طَلَبْتَنكَ، وهو: «فعل» من «سألت»، أي: أعطيت ما سألت.

قوله تعالى: «**وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ**» أي: أنعمنا عليك «**مَرَّةً أُخْرَى**» قبل هذه المَرَّة. ثم بيّن متى كانت بقوله: «**إِذْ أُوتِيتَ إِيَّكَ إِيَّكَ مَا يُوْحَى**» ﴿٤١﴾ أي: ألهمناها ما يلهم مما كان سبباً لنجاتك، ثم فسر ذلك بقوله: «**أَنْ أَتَوَيْتَهُ فِي الْكَأْبِيتِ**» وقذف الشيء: الرمي به. فإن قيل: ما فائدة قوله: «ما يوحى» وقد علم ذلك؟ فقد ذكر عنه ابن الأنباري جوابين: أحدهما: أن المعنى: أوحينا إليها الشيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنها ليست بنبي، وذلك أنها ألهمت. والثاني: أن «ما يوحى» أفاد توكيداً، كقوله: «**فَنَسْنَاهَا مَا عَشْنُ**» ﴿٤٢﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: «**وَالْيَمَّ يَمَّ**» قال ابن الأنباري: ظاهر هذا الأمر، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقيه [اليَمَّ]، ويجوز أن يكون البحر مأموراً بآلته ركبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار. فاما الساحل، فهو: شط البحر. «**يَأْخُذْهُ عَذْرٌ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُ**» يعني: فرعون. قال المفسرون: اتخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التابوت، ثم ألقت في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبيّاً من أصبح الناس وجهاً؛ فلما رآه فرعون أحبه حبّاً شديداً، فذلك قوله: «**وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي**»، [قال أبو عبيدة: ومعنى «القيث عليك» أي: جعلت لك مَحَبَّةً مِنِّي]. قال ابن عباس: أحبه وحبّبه إلى خلقه، فلا يلقاه أحد إلا أحبه من مؤمن وكافر. وقال قتادة: كانت في عينه ملاحه، فما رآه أحد إلا حبّه.

قوله تعالى: «**وَلَوْ أَنَّنَا لَمَكَّنَّاكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكَرُ**» وقرأ أبو جعفر: «وَلَوْ أَنَّنَا لَمَكَّنَّاكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكَرُ» قال قتادة: لثغدي على

(١) وقد استجاب الله له ذلك في قوله: «**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى**».



محبتي وإرادتي. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحب. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غُذِيَ فلان على عيني، أي: على المحبة مني. وقال غيره: لثَرِيٌّ وتغذي بمرأى مني، يقال: صنع الرجل جاريته، إذا ربَّاهَا؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتَضَعُ على عيني، قُتِرْنَا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربيته على ما أراد الله ﷻ. فأما أخته، فقال مقاتل: اسمها مريم. قال الفراء: وإنما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلَّتْهم على الظن<sup>(١)</sup>، لأن العرب تجتزئ بحذف كثير من الكلام، ويقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا أَنشَأْتُكُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢٠]، ولم يقل: فأرسل حتى دخل على يوسف. قال المفسرون: سبب مشي أخته أن أمه قالت لها: قُضِيَ، فأتبعت موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة، فقالت لهم أخته: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ أي: يُرْضِعُهُ ويضمه إليه، فقبل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله: ﴿وَرَجَعْتُكَ إِلَى أَثَرِكَ﴾ أي: رددناكِ إليها ﴿كَتَفَرْنَا عَنْكَ﴾ بك وبرؤيتك. ﴿وَقُلْتُ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقصى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَتَجَنَّكَ مِنَ الْغَوْرِ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتل به، فنجاه الله بأن هرب إلى مَدْيَنَ، ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اختبرناك اختباراً، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: ابتليناك ابتلاءً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال الفراء: ابتليناك بغم القتل ابتلاءً. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: الفتنون: وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم اللقاء في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرَّه لحية فرعون حتى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمره بدل الدُّرَّة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مَدْيَنَ خائفاً؛ وكان ابن عباس يقصُّ هذه القصص على سعيد بن جبيرة، ويقول له عند كل ثلاثة: وهذا من الفتنون يا ابن جبيرة؛ فعلى هذا يكون «فتنَّاك» خلَّصناك من تلك المحن كما يُقْتَنُ الذهب بالنار فيخلص من كل خبث. والفتنون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿كَلَيْتَ يَسِيرٌ﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين. ومدين: بلد شعيب، وكان عى ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى. وقيل: مدين: اسم رجل، وقد سبق هذا [الأعراف: ٩٦]. وفي قدر لبشه هناك قولان: أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلد له، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي: جئت لميقات قدرته لمجيئك قبل خَلْقِكَ، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين. وقال الفراء: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد الله به من تكليمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْلَأْنِيكَ مِن رُّسُلِي﴾ أي: اصطفيتك واختصصتك، والاصطناع: اتخاذ الصنعة، وهو الخير تسديه إلى إنسان. وقال ابن عباس: اصطفيتك لرسالتي ووحىي ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العصا واليد. وقد يُذكر الاثنان بلفظ الجمع. والثاني: العصا واليد وحلُّ العقدة التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: الآيات التسع. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَا﴾ قال ابن قتبية: لا تَضَعُها ولا تَفْتَرُها؛ يقال: ونى بني في الأمر؛ وفيه لغة أخرى: ونى، يونی. وفي المراد بالذکر هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون. والثاني: أنه القيام بالفرائض والتسبيح والتهليل.

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُبْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَبْعَثَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ رَأَىٰ﴾ ﴿فَأَيُّهُمَا قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالنَّارُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْكُفْرَ﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلُكَ﴾

(١) الظن: العاطفة على ولد غيرها العرضة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَكَ فِرْعَوْنَ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذهاب، التوكيد. وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَفَنَ﴾ (طه: ٢٤).

قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «لئنا» بإسكان الياء، أي: لطيفاً رفيقاً. وللمفسرين فيه خمسة أقوال: أحدها: قولاً له: قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، رواه خالد بن معدان عن معاذ، والضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ٱلْوَيْلَ وَأَهْدِيكَ إِلَ رَبِّكَ فَتَنَحَّى ٱلْعَصَا﴾ [الزاعزاع]، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: كناية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. فاما اسمه، فقد ذكرناه في [البقرة: ٤٩]. وفي كنيته أربعة أقوال: أحدها: أبو مُرَّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أبو العباس. والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثعلبي. والقول الرابع: قولاً له: إِنْ لَكَ رَبًّا، وَإِنْ لَكَ مَعَادًا، وَإِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةٌ وَنَارًا، قاله الحسن. والخامس: أن القول للين: أن موسى أتاه، فقال له: تؤمن بما جئتُ به وتعبد ربَّ العالمين، على أن لك شبابك فلا تهزم، وتكون مَلِكًا لَا يُنْزَعُ مِنْكَ حَتَّى تَمُوتَ، فإذا مِتَّ دخلت الجنة، فأعجبه ذلك؛ فلما جاء هامان، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنتُ أرى أن لك رايًا، أنت ربُّ أردت أن تكون مربوباً؟! فقلبه عن رايه، قاله السدي. وحكي عن يحيى بن معاذ أنه قرأ هذه الآية، فقال: إلهي هذا رفقتك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقتك بمن يقول: أنت إله.

قوله تعالى: ﴿لَنَلْعَبَنَّ بِكَ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ قال الزجاج: «لَعَلَّ» في اللغة: ترجُّ وطمع، تقول: لَعَلِّي أصير إلى خير، فخطب الله ﷻ العباد بما يعقلون. والمعنى عند سيويه: اذهباً على رجائك وطمعك. والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد عَلِمَ أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحُجَّة إنما تجب عليه بالآية والبرهان، وإنما تُبْعَثُ الرسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أَيْقُبَلُ منها، أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يُقْبَلَ منهم، ومعنى «لعلَّ» متصوِّر في أنفسهم، وعلى تصوُّر ذلك تقوم الحُجَّة. قال ابن الأنباري: ومذهب الفراء في هذا: كي يتذكَّر. وروى خالد بن معدان عن معاذ قال: والله ما كان فرعون ليخرج من الدنيا حتى يتذكَّر أو يَخْشَى، لهذه الآية، وإنه تذكَّر وخشي لَمَّا أدركه الغرق. وقال كعب: والذي يحلف به كعب، إنه لمكتوب في التوراة: فقولا له قولاً لئنا، وسأقسي قلبه فلا يؤمن. قال المفسرون: كان هارون يومئذ غائباً بمصر، فأوحى الله تعالى إلى هارون أن يتلقَّى موسى، فتلقاه على مرحلة، فقال له موسى: إن الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسأله أن يجعلك معي؛ فعلى هذا يحتمل أن يكونا حين التقيا قالا: ربُّنا إننا نخاف. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون القائل لذلك موسى وحده؛ وأخبر الله عنه بالثنية لَمَّا ضم إليه هارون، فإن العرب قد تُوقِعُ الثنية على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، يا حرسِي اضربا عقه.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْطُرَ عَلَيْنَا﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع، وابن يعمر، وأبو العالية: «أَن يُفْطِر» برفع الياء وكسر الراء. وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي: «أَن يَفْطُرَ» بفتح الياء والراء. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن محيصن: «أَن يَفْطُرَ» برفع الياء وفتح الراء. قال الزجاج: المعنى، أن يبادر بعقوبتنا، يقال: قد فَرَطَ منه أمر، أي: قد بَدَّرَ؛ وقد أفرط في الشيء: إذا اشتطَّ فيه؛ وفَرَطَ في الشيء: إذا قَصُرَ؛ ومعناه كُلهُ، التقدم في الشيء، لأن الفَرَطَ في اللغة: المتقدِّم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا فَرَطُكم على الحوض»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَفْطَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يستعصي، قاله مقاتل. والثاني: يجاوز الحدَّ في الإساءة إلينا. قال ابن زيد: نخاف أن يعجِّل علينا قبل أن نبلغه كلامك وأمرك.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالنصرة والعون «أَتَيْتُ» أقوالكم «وَأَرَأَيْتُمْ» أفعالكم. قال الكلبي: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما.

(١) رواه أحمد في «المسند» ٣١٣/٤، والبخاري ٤١٤/١١، ومسلم ١٧٩٢/٤ من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وله روايات أخرى بأطول منه في «الصحيحين» من حديث سهل، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، والفرط والفاطرد: هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض: سابقكم إليه كالمهتج له.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلّ عنهم ﴿وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جَحَنَّاكَ يَكَارِيكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: هي العصا. قال مقاتل: أظهر اليد في مقام، والعصا في مقام.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمَ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ قال مقاتل: على من آمن بالله. قال الزجاج: وليس يعني به التحية، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى، سلم من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام، أنه ليس بابتداء لقاء وخطاب.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُتَوَسَّسُ﴾ ١٩ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٢٠ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ٢١ ﴿قَالَ يَعْلَمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ٢٢ ﴿الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَهْدًا وَسَوَّاكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ تَحْتِ شَجَرٍ ۖ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٢٣ ﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ ٢٤

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوف معناه معلوم، وتقديره: فأتياه فأذيا الرسالة. قال الزجاج: وإنما لم يقل: فأتياه، لأن في الكلام دليلاً على ذلك، لأن قوله: «فمن ربكما» يدل على أنهما أتياه وقالاه.

قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى كل شيء صورته، فخلق كل جنس من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورة البهائم، وصورة البعير لا كصورة الفرس، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أعطى كل ذكر زوجته، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال السدي، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله. والثالث: أعطى كل شيء ما يضلّجه، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذكور الأنثى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السميع، ونصير عن الكسائي: «أعطى كل شيء خَلَقَهُ بفتح اللام. فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بد من خالتي وهادي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ٢١ اختلّفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سألهم عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، هذا مذهب مقاتل. وقال غيره: أراد: إني رسول، وأخبار الأمم علم غيب، فلا علم لي بالغيب. والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عُبِدَت الأصنام، ولم لم يُعْبَدَ اللَّهُ إن كان الحق ما وصفت؟! والثالث: أن مراده: ما لها لا تُعْبَت ولا تُحَاسَب ولا تجازى؟! فقال: عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، أي: علم أعمالها. وقيل: الهاء في «عِلْمُهَا» كناية عن القيامة، لأنه سألهم عن بعث الأمم، فأجابهم بذلك. وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أراد: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>، وعاصم الجحدري، وقاتة، وابن محيصن: «لا يَضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، أي: لا يضيّع. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «لا يَضِلُّ» بضم الياء وفتح الضاد. وفي هذه الآية تأكيد للتوكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَهْدًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مهاداً». وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «مهداً» بغير ألف. والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش. ﴿وَسَوَّاكُمْ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجلكم في الأرض طرقاً تسلكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر. وهذا آخر الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ تَحْتِ شَجَرٍ﴾ أي: أصنافاً مختلفة في الألوان والطعوم، كل صنف

منها زوج. و«شتى» لا واحد له من لفظه. ﴿كُلُوا﴾ أي: مما أخرجنا لكم من الثمار ﴿وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقال: رعى الماشية، يراعها: إذا سرحها في المرعى. ومعنى هذا الأمر: التذكير بالنعم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: ليعبراً في اختلاف الألوان والطعوم ﴿لِأُولِي الْأَلْبَانِ﴾ قال الفراء: لدوي العقول، يقال للرجل: إنه لدو نهيية: إذا كان ذا عقل. قال الزجاج: واحد النهى: نهية، يقال: فلان ذو نهية، أي: ذو عقل ينتهي به عن المقايح، ويدخل به في المحاسن؛ قال: وقال بعض أهل اللغة: ذو النهية: الذي ينتهي إلى رأيه وعقله، وهذا حسن أيضاً.

قوله تعالى: ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ يعني: الأرض المذكورة في قوله: ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْلًا﴾. والإشارة بقوله: «خلقناكم» إلى آدم، والبشر كلهم منه. ﴿وَمِنَّا نُيْدِكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مرة ﴿أُخْرَى﴾ بعد البعث، يعني كما أخرجناكم منها أولاً عند خلق آدم من الأرض.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ٥١ قَالَ أَهَيْتُنَا لِشَرِّحَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَسْمُونَ ٥٢ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَلَجَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْجِدًا لَا تُخْلِفُهُ مَنُّ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ٥٣ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى ٥٤ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٥٥ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَبَيْنَكُمْ لَا تَقْعُدُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِرَكُمْ بِذَلِكَ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَى ٥٦ فَتَنَزَّلُوا أَنْزَلَهُمْ يَنْهَرُوا وَاسْرُوا التَّجْوَى ٥٧ قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرَانِ بَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّهْلَ ٥٨ فَأَجْمَلُكُمْ كَيْدُكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَمْلَكَ ٥٩

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ﴾ يعني: فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: التسع الآيات، ولم ير كل آية الله، لأنها لا تُحصى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: نسب الآيات إلى الكذب، وقال: هذا سحر ﴿وَأَبَى﴾ أن يؤمن ﴿قَالَ أَهَيْتُنَا لِشَرِّحَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مصر ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ﴾ أي: فلنقابلك ما جئت به من السحر بمثله ﴿فَلَجَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْجِدًا﴾ أي: اضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ أي: لا نجاوزه ﴿مَنْ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا﴾ وقيل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعداً مكاناً تنوعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقع منا خلاف في حضوره. ﴿سَوِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي بكسر السين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وخلف، ويعقوب: «سَوِيًّا» بضمها. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن أبي عبله: «مكاناً سَوَاءً» بالمد والهمز والنصب والتثنية وفتح السين. وقرأ ابن مسعود مثله، إلا أنه كسر السين. قال أبو عبيدة: هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسن، ومجاهد، [وقتادة]، وابن أبي عبله، وبهيرة عن حفص بنص الميم. وفي هذا اليوم أربعة أقوال: أحدها: يوم عيد لهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثالث: يوم النوروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: يوم سوق لهم، قاله سعيد بن جبيرة. وأما رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقت موعدهم يوم الزينة، فتاب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر. فأما نصبه، فقال الزجاج: المعنى: موعدهم يقع يوم الزينة، ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ موضع «أن» رفع، المعنى: موعدهم حشر الناس ﴿ضَحًى﴾ أي: إذا رأيت الناس قد حُشروا ضحى. ويجوز أن تكون «أن» في موضع خفض عطفاً على الزينة، المعنى: موعدهم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «وَأَنْ تُحْشَرَ» ببناء مفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». وعن ابن مسعود، والنخعي: «وَأَنْ يُحْشَرَ» بالياء المفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». قال المفسرون: أراد بالناس: أهل مصر، وبالضحى: ضحى اليوم، وإنما علّقه بالضحى، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع الناس، فيكون أبلغ في الحجة وأبعد من الريبة. ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: تولى عن الحق الذي أمر به. والثاني: أنه انصرف إلى منزله لاستعداد ما يلقي به موسى، ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ أي: حضر الموعد. ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى﴾ أي: للسحرة. وقد ذكرنا عددهم في [الأعراف: ١١٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على «الزكمكم الله ويلاً» ويجوز أن يكون على النداء، كقوله تعالى: ﴿يَلْعَنُكَ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَيَسْحَرُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَيَسْحَرُكُمْ» بفتح الياء، من «سحت». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَيُسْحَرِكُمْ» بضم الياء، من «أسحت». قال الفراء: وسُحِت أكثر، وهو الاستئصال، والعرب تقول: سحت الله، وأسحته، قال الفرزدق:

وَعَصُفَ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ  
مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا<sup>(١)</sup>

هكذا أنشد البيت الفراء، والزجاج. ورواه أبو عبيدة: «إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجْلَفٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿فَنَنْتَعِزُّهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه. وقيل: من موسى وهارون. وقيل: «أسرؤا» هاهنا بمعنى «أظهروا». وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: إن كان هذا ساحراً، فإننا سنغلبه، وإن يكن من السماء كما زعمتم، فله أمره، قاله قتادة. والثاني: أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحر، ولكن هذا كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانته، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا إن هذان لساحران، قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنهم ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَيْنِ...﴾ الآيات، قاله السدي. واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَيْنِ﴾ فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إِنَّ هَٰذَيْنِ» على إعمال «إِنَّ» وقال: إني لأستحي من الله أن أقرأ «إِنَّ هَٰذَا». وقرأ ابن كثير: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَا» بتشديد النون. وقرأ عاصم في رواية حفص: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَا» خفيفة أيضاً. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنَّ» بالتشديد «هَٰذَا» بآلف ونون خفيفة. فأما قراءة أبي عمرو، فاحتجاجة في مخالفة المصحف بما روي عن عثمان وعائشة، أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِينَ الصَّاعُوتِ﴾<sup>(٢)</sup> في سورة [النساء: ١٦٢]. وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى النَّفْثَ لَيْسَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعر: ١٨٦] أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

نَكَلْتُكَ أَمْكُ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا  
خَلَّتْ عَلَيْهِ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

أي: ما قتلت إلا مسلماً. قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبي بن كعب أنه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وروي عنه: «إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَيْنِ»، ورويت عن الخليل: «إِنَّ هَٰذَا» بالتخفيف، والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل. فأما قراءة الأكثرين بتشديد «إِنَّ» وإثبات الألف في قوله: «هَٰذَا» فروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب. وقال ابن الأنباري: هي لغة لبني الحارث بن كعب، وافقتها لغة قريش. قال الزجاج: وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب، وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكثانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

فَأَطْرَقَ إِظْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى  
مَسَاغًا لِنَبَاةِ الشُّجَاعِ لَصَمَمًا<sup>(٣)</sup>

(١) «ديوانه» ٥٥٦، و«الطبري» ١٧٨/١٦، و«مجاز القرآن» ٢١/٢، و«شرح المفضليات» ٣٩٦، و«الجمهرة» ١٠٧/٢، و«اللسان» و«الناج»: جلف، سحت، و«القرطبي» ٢١٥/١١، و«الخرزانه» ٣٤٧/٢، ويروى «إِلَّا مَسْحَتٌ أَوْ مُجْلَفٌ» كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة. ومن رواه كذلك، جعل معنى «لم يدع»: لم يتعارف، أو يقر، أو يستقر، ومن رواه «إِلَّا مَسْحَتًا» جعل «لم يدع» بمعنى: لم يترك، لم يبق، ورفع قوله: «أو مجلف» بإضمار، كأنه قال: أو هو مجلف. ومال مسحوت، ومسحت: مُدَقَّب به، مهلك. والمجلف: الذي بقيت منه بقية. يريد: لم يترك إلا شيئاً مستاصلاً هالِكاً، أو شيئاً بقيت منه بقية.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَيْنِ﴾ لحن، وأن عثمان ؓ قال: إن في المصحف لحنًا يستقيمه العرب بألسنتها، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. انظر الجزء (٢٥٢/٢ - ٢٥٣) من هذا التفسير، فإنك تجد في التعليق على هذا الخبر كلاماً طويلاً، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ السخاوي، والطبري، وغيرهم، في رد ما نسب إلى عثمان ؓ.

(٣) البيت للمتلسم، وهو في «الطبري» ١٨٠/١٦، و«القرطبي» ٢١٧/١١، و«اللسان»: صمم، ومعنى: أطرق: سكت فلم يتكلم وأرغى عينه ينظر إلى =

ويقول هؤلاء: ضربته بين أذناه. وقال النحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى: إنه هذان لساحران. وقالوا أيضاً: إن معنى «إن»: نعم «هذان لساحران»، وينشدون:

وَيَقُولَنَّ شَيْبٌ قَدْ عَلَا  
كَ وَقَدْ كَبِرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: والذي عندي، وكنت عرضته على عالما محمد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد، فقبلاه، وذكر أنه أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إن» قد وقعت موقع «نعم»، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، وبلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة. وأستحسن هذه القراءة، لأنها مذهب أكثر القراء، وبها يقرأ. وأستحسن قراءة عاصم، والخليل، لأنهما إمامان، ولأنهما وافقا أبي بن كعب في المعنى. ولا أجيز قراءة أبي عمرو لخلاف المصحف. وحكى ابن الأنباري عن الفراء قال: «ألف» «هذان» هي ألف «هذا» والنون فرقت بين الواحد والثنية، كما فرقت نون «الذين» بين الواحد والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَكُمُ﴾ وقرأ أبان عن عاصم: «ويذهبا» بضم الباء وكسر الهاء. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وأبو رجاء العطاردي: «ويذهبا بالطريقة» بآلف ولام، مع حذف الكاف والميم. وفي الطريقة قولان: أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: بسُتَيْكُم وبِديْنِكُم وما أنتم عليه، يقال: فلان حسن الطريقة. والثاني: بأمثلكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: بأولي العقل، والأشراف، والأسنان. وقال الشعبي: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال الفراء: الطريقة: الرجال الأشراف، تقول العرب للقوم الأشراف: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم. فأما «المثلى» فقال أبو عبيدة: هي تأنيث الأمثل. تقول في الإناث: خذ المثلى منهما، وفي الذكور: خذ الأمثل. وقال الزجاج: ومعنى المثلى والأمثل: ذو الفضل الذي به يستحق أن يقال: هذا أمثل قومه؛ قال: والذي عندي أن في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهبا بأهل طريقتكم المثلى، وقول العرب: هذا طريقة قومه، أي: صاحب طريقتهم.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «فأجمعوا» بقطع الألف من «أجمعت». والمعنى: ليكن عزمكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمركم. قال الفراء: والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت على الخروج، وأجمعت الخروج، تريد: أزمعت، قال الشاعر:

يَا لَيْتَ شِغْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ  
هَلْ أَغْدُوْنَ يَزُمَا وَأَمْرِي مُجْمَعُ<sup>(٢)</sup>

يريد: قد أحكم وعزم عليه. وقرأ أبو عمرو: «فأجمعوا» بفتح الميم من «جمعت»، يريد: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جتم به. فأما كيدهم، فالمراد به: سحرهم، ومكرهم.

قوله تعالى: ﴿هُمْ أَتَرَأَوْا صَفَاً﴾ أي: مُضْطَلِّينَ مجتمعين، ليكون أنظم لأمرهم، وأشدَّ لهيبتهم. قال أبو عبيدة: «صفاً» أي: صفوفاً. وقال ابن تقيية: «صفاً» بمعنى: جمعاً. قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفاً، كل ألف ساحر صف. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَقْلَمَ﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْمُنُ إِمَّا أَنْ تَلْقَى وَلَئِنْ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يَجَلُّ لِلَّهِ مِنْ سِحْرِهِمْ<sup>(٣)</sup> فَأَرْجَسَ فِي قُلُوبِهِمْ خِيفَةً مُؤَمَّةً<sup>(٤)</sup> فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى<sup>(٥)</sup> وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَوَّرَ إِنَّا صَوَّرُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يَبْلُغُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَفَّ<sup>(٦)</sup> فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَحَابًا قَالُوا مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا رِبِّهِمْ هَزُونَ وَمَوْعِدُهُمْ<sup>(٧)</sup> قَالَ مَا مَنَعْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ مَادَدَ لَكُمْ إِنْهُمْ لَكِيدُكُمْ<sup>(٨)</sup> الَّذِي عَلَّمَكُمْ الْخِيفَةَ فَأَلْقَيْتُمْ أَبْيَدَكُمْ وَأَرْحَلَكُمْ مِنْ حِلْفٍ وَأَصْلَيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمْ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى<sup>(٩)</sup>

= الأرض، والشجاع: ضرب من الحيات. وماغاً: اسم مكان، من ساغ يسوغ: إذا دخل ونفذ. وصمم: غص ونهب فلم يرسل ما غص. والبيت جارٍ على لغة بني الحارث بن كعب، ومن لك لفهم. والشاهد فيه أن قوله: «لناياه» مثنى مجرور اللام، وقد جاء بالآلف.

(١) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، وهو في «القرطبي» ٢١٨/١١، و«روح المعاني» ٢٠١/١٦، و«اللسان»: أنن، وقيل.

بَكَّرَتْ عَلَيَّ عَوَالِي

أي: إنه قد كان كما تظن.

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء ٤٧٣/١ غير منسوب، وهو في «الطبري» ١٨٣/١٦، و«القرطبي» ٢٢١/١١، و«اللسان»: جمع.

﴿بَلِ الْقَوْمِ﴾ قال ابن الأنباري: دخلت «بل» لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تَوَلَّمَتْ وُجِدَتْ مشتملة على: إما أن تلقى، وإما أن لا تلقى.

قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُهُمْ﴾ قرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء: «وَعَصَيْتُهُمْ» برفع العين.

قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، والحسن، وقتادة، والزهري، وابن أبي عبيدة: «تُخَيَّلُ» بالثاء، «إليه» أي: إلى موسى. يقال: تُخَيَّلُ إليه: إذا شُبِّهَ له. وقد استدلل قوم بهذه الآية على أن السحر ليس بشيء. وقال: إنما خُيِّلَ إلى موسى، فالجواب: أنا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخيلاً، وليس بحقيقة، فإنه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات. فأما السحر، فإنه يؤثِّر، وهو أنواع. وقد سَجَّرَ رسولُ الله ﷺ حتى أثر فيه<sup>(١)</sup>، .....

(١) فقد روى البخاري في «صحيحه» ١٩٢/١٠، ومسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيتني فيه! جاني رجلان، فقمدا أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوع (أي: مسحور) قال: من طبعه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وابن هو؟ قال: في يثر ذروان، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه - ثم قال: يا عائشة والله لكان ماها نقاعة الحناء، ولكن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: لا، أما أنا فقد عفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت. وفي رواية للبخاري ١٩٩/١٠: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» بدل «حتى كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله»، وهي موضحة ومبيّنة لما قبلها. وحديث السحر هذا، رواه أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن سعد، والحاكم، وعبد بن حديد، وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وغيرهم. وقال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» بما حاصله: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متفق بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وقد أنكره كثير من أهل الكلام، وقابلوه بالكذب، وقولهم هذا مسرود عند أهل العلم، وقد اتفق أصحاب «الصحاحين» على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنة والحديث والتاريخ، والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين. ثم قال ابن القيم: وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ سِحْرِ الْأَنْفُسِ فِي الْقُلُوبِ﴾ وحديث عائشة (المقدم ذكره) على تأثير السحر، وأن له حقيقة، وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة، والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث...

ثم قال: والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً - أصابه في بدنه - شفاء الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء. اهـ.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧٤/١٤: قال المازري رحمه الله: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات حقيقة السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يُعَلَّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرم وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال - ثم قال -: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجوزيه يمنع الثقة، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعمزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يعمت بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيّل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له.

قال النووي: قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبيّنة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن» - ويروى «يخيّل إليه» - أي: يظهر له من نشاطه ومقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء من الروايات من أنه يخيّل إليه فعل شيء لم يفعله، ونحوه، فمحمول على التخييل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل كبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الفضالة، والله أعلم. اهـ.

وقد نقل نحو كلام الإمام النووي الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» شرح صحيح البخاري ١٨٨/١٠، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّ﴾ ١٩١/١٠: هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل، ولا حجة له بها، لأن هذه الآية وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحروهم كذلك (أي تخيلاً) ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل. اهـ.

وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٣/١٠: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسُخِّرَ، ولا فيضله هذا السحر حتى يذهب عقله. قال الحافظ: فوقع الشق الأول كما في الحديث الصحيح، (وهو أنه أخير)، قال: واستدل ابن القصار =

ولعن العاضهة<sup>(١)</sup>، وهي الساحرة.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ فِي نَفْيِهِ جِذَّةً مَّوْتًى ۖ﴾ قال ابن قتيبة: أضر في نفسه خوفاً. وقال الزجاج: أصلها «خِوْفَة» ولكن الواو قبلت ياءً لانكسار ما قبلها. وفي خوفه قولان: أحدهما: أنه خوف الطبع البشري. والثاني: أنه لما رأى سحرهم من جنس ما أراهم في العصا، خاف أن يلتبس على الناس أمره، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بِالظُّفَرِ وَالْعَلْبَةِ. وهذا أصح من الأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْبِنِكَ﴾ يعني: العصا ﴿تَلَقَّفْ﴾ وقرأ ابن عامر: «تَلَقَّفْ مَا» برفع الفاء وتشديد القاف. وزوى حفص عن عاصم: «تَلَقَّفْ» خفيفة. وكان ابن كثير يشدد التاء من «تَلَقَّفْ» يريد: «تَلَقَّفْ». وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء: «تَلَقَّمْ» بالميم. وقد شرحناها في [الأعراف: ١١٧]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «كيد سحر». وقرأ الباقر: «كيد ساحر» بألف، والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، أي: عمل ساحر. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «إنما صنعوا كيد» بنصب الدال. ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ﴾ قال ابن عباس: لا يسعد حيثما كان. وقيل: لا يفوز. وروى جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَخَذْتُمُ السَّاحِرَ فَأَقْلَبُوهُ، ثُمَّ قَرَأْ ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ قَالَ: لَا يَأْمَنُ حَيْثُ وَجَدَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَأْتَيْتُمْ لَمْ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: «آمئتم له» على لفظ الخبر. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «آمئتم له» بهزمة ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آمئتم له» بهزتين الثانية ممدودة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد معلّمكم. قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلّمه، قال: جئت من عند كبير.

= بأن الذي أصابه من السحر كان من جنس المرض بقوله ﷺ في الحديث: «لَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ». وقال الحافظ: ولم ينقل عنه ﷺ في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به. اهـ.

فقد تبين مما سبق من كلام العلماء أن السحر له حقيقة، وإلا لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منه في سورة (الفلق) بقوله: ﴿وَيَوْمَ سَكَرَ الْأَعْدَى فِي الْمَكِيدِ ۝﴾ وهي السواحر اللاتي يسحرن ويشفن في القعد كما قال المفرون، وأنه مرض تسلط على جسده بكية الأمراض، وقد مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً حتى أغمى عليه، وكان يقول - كما «الصحيجين» -: «إِنِّي أُرْعِكَ كَمَا يَرُوعُكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، وقد ابتلي في قومه، وقاسى صنوفاً من الأذى. فإن احتج أحد على منع السحر بقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ فغنه جوابان كما قال المصنف ابن الجوزي رحمه الله، أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ من أواخر ما نزل بالمدينة. وقد سحر وأوذى قبل نزول هذه الآية. وإن احتج آخر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَاثِرُونَ إِنَّا نَشْفُوكَ إِلَّا نَجَلَا مَشْفُوكَ﴾ فنلك مقالة الظالمين، ومرادهم: من سحر حتى جن وأصبح زائل العقل لا يعقل ما يقول، فإن المسحور الذي لا يتبع، هو الذي فسده عقله بحيث لا يدري ما يقول، فهو المجنون - والمسلمون لا يقولون بمقالة الظالمين المفترين - فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس، فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه، وقولهم: سحر الأنبياء يتنافى مع حماية الله لهم، مردود، فإنه سبحانه وتعالى كما يحميهم ويصونهم يبتليهم ويختبرهم، فيزيلهم ذلك رقة في درجاتهم، وينيل كرامتهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ منناه: لا يسعد الساحر حيث كان، ولا يفوز، وليس معنى «لا يفلح»: لا يستطيع السحر، بل إذا سحر فلا يفلح، ولا يأمن حيث وجد، فلذلك عدم فلاحه. هذا ما عليه جمهور المسلمين، من المفسرين والمحدثين، والفقهاء المحققين، وهو أنه عليه الصلاة والسلام، سحر وأثر في جسده، ولم يؤثر في عقله، وذلك لا يقدح في مقام النبوة والرسالة.

ومن الناس من يحاول أن يرد بعض النصوص الصحيحة - لقصور فهمه - ظناً منه أنه بذلك لا يدع مجالاً للطعن في رسالة النبي ﷺ، ولكن العلماء المحققين تلقوا هذه النصوص بالقبول، ويؤيدوا وجه الحق فيها بعد علم ودراية، وتحصيل وتحقيق، فعلى المسلم أن يرجع في تفسير النصوص إلى أربابها، والمحققين من أصحابها، مخافة أن تزول به القدم، والله تعالى تكفل بحفظ شريعته، ورسالة نبيه، فقال في كتابه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ الْبُذُرَ وَإِنَّا لَمُرْكُظُونَ ۝﴾ وقضى لهذا الدين أناساً قال في حقهم رسول الله ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ هُدُوءَهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِيْنَ، وَاتِّحَالِ الْمِيطِلَيْنِ، وَتَوَلُّوْهُ الْجَاهِلَيْنِ»، والله تعالى ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) تقدم ٧٦٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ سَكْرًا لَّتَرَكَا بَيْنَ﴾ قول المصنف: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ «لعن العاضهة والمستضهة»، وهو حديث ضعيف. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٩٤: رواه أبو يعلى، وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إسناده زعمة بن صالح عن سلمة بن هرام، وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. اهـ كلام ابن حجر. ومعنى العاضهة والمستضهة: الساحرة والمستحسرة.

(٢) ذكره ابن كثير ١٥٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله البجلي، وقال: وقد روى أصله الترمذي موقوفاً ومرغوماً.



قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ «في» بمعنى «على»، ومثله: ﴿أَمْ لَمْ سَأَلْكُمْ يَسْتَعِينُوا فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨].  
 ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السحرة ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا لَكُمْ﴾ ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدام، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على تركهم الإيمان به؟ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نخشرك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ آيَاتِكَ﴾ يعنون اليد والعصا. فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: «جاءنا» وإنما جاءت عامة لهم ولغيرهم. فالجواب: أنهم لما كانوا بأبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أيقن وأوضح، وكانوا هم لمعرفته أخص. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفراء، والزجاج: أحدهما: أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا. والثاني: أنه قسم، تقديره: وحق الذي فطرنا.

قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع. وأصل القضاء: عمل بإحكام ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قال الفراء: «إنما» حرف واحد، فلهذا نصب: «الحياة الدنيا». ولو قرأ قارئ برفع «الحياة» لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب «الذي»، كقولك: إن الذي تقضي هذه الحياة الدنيا. وقرأ ابن أبي عبيدة، وأبو المتوكل: «إنما تقضي» بضم التاء على ما لم يسم فاعله، «الحياة» برفع التاء. قال المفسرون: والمعنى: إنما سلطانك ومملكك في هذه الدنيا، لا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِيُفَرِّقَ بَيْنَنَا﴾ يعنون الشرك ﴿وَبَيْنَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيانا على السحر. فإن قيل: كيف قالوا: أكرهتنا، وقد قالوا: «إن لنا لأجراً»، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر، هو الإكراه على تعلمه في أول الأمر. والثاني: أن السحرة لما شاهدوا موسى بعد قولهم ﴿إِنَّا لَنَاجِرُ﴾ ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطَّلَع على ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السحر. والثالث: أنهم خافوا أن يُعَلِّبُوا في ذلك الجمع، فيقدح ذلك في صنعتهم عند الملوك والسُّوق<sup>(١)</sup>، وأكرههم فرعون على فعل السحر. والرابع: أن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السحر، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً إذا عُصِي، وهذا جواب قوله: ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾؛ وهذا آخر الإخبار عن السحرة.

﴿إِنَّمَا مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي جَنَّتْ عَنْهُ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ يعني: مشركاً ﴿وَأَنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾. فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

[أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَاَهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ<sup>(٢)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ قال ابن عباس: قد أدى الفرائض، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي﴾ يعني: درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض. والعلی، جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «فأولئك»، لأن «من» تقع بلفظ التوحيد على تأويل الجمع. فإذا غلب لفظها، وحُدِّدَ الراجح إليها، وإذا بُيِّنَ تأويلها، جُمع المصروف إليها.

(١) السُّوق: جمع سوقة، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك، ومن لم يكن ذا سلطان.

(٢) ما بين المعقفين زيادة من النسخة الإستانبولية، والبيت في «القرطبي» ٢٢٧/١١. و«اللسان»: طعم.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَاءً مِّنْ تَزَكٍّ﴾ أي: تطهر من الكفر والمعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ يَاسَ لَا تَخَفْ ذَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۖ فَاَتَابَهُمُ الْفَيْصُ فَوَقَّعْنَا فِيهِم مِّنْ آلِهِم مَّا غَشِيَهُمْ ۚ وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَٰؤُلَاءِ ۖ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ مَّدْوَرِكٍ ۖ وَوَعَدْنَاكَ حَاجِبَ السُّورِ الْأَيْمَنَ وَزَكَّيْنَا عَلَيْكُمْ آلَمَنَّا وَالسَّلَوى ۚ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَقْلَقُوا يَوْمَ فَيْعَلْ عَلَيْكُمُ غَشْيٌ وَمِنْ يَحِلُّلٍ عَلَيْهِ غَشْيٌ فَقَدْ هَوَى ۙ وَاللَّيْلِ لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ أي: سِرُّ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَاَتَابَهُمُ لَمَّ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقاً ﴿فِي الْبَحْرِ يَاسَ﴾ قرأ أبو المتوكل، والحسن، والنخعي، «يَبَسًا» بإسكان الباء. وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وابن السميع: «يابساً» بalf. قال أبو عبيدة: اليبس، متحرك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاة يبس، أي: يابسة ليس لها لبن. وقال ابن قتيبة: يقال لليابس: يَبَسَ، وَيَبَسَ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ قرأ الأمثرون بalf. وقرأ أبان، وحمة عن عاصم: «لا تخف». قال الزجاج: من قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومن قرأ «لا تخف»، فهو نهي عن الخوف. قال الفراء: قرأ حمزة: «لا تخف» بالجزم، ورفع «ولا تخشى» على الاستئناف، كقوله تعالى: ﴿يُولُوكُمُ الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا تُغْنِيكُمُ﴾ [آل عمران: ١١١] استأنف بهم، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صواباً. قال ابن قتيبة: ومعنى «ذَرَكًا» لاحقاً. قال المفسرون: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركننا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا تَخَفْ ذَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَاَتَابَهُمُ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابن قتيبة: لحقهم. وروى هارون عن أبي عمرو: «فَاتَّبَعَهُم» بالتشديد. وقال الزجاج: تبع الرجل الشيء، وأتبعه، بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد، ففيه دليل على أنه أتبعهم ومعه الجنود. ومن قرأ «فَاتَّبَعَهُم»، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائز أن لا يكون، إلا أنه قد كان معهم. ﴿فَفَقَّسْنَاهُم مِّنْ آلِهِم مَّا غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشاهم من ماء البحر ما غرقهم. وقال ابن الأنباري: ويعني بقوله: «ما غشاهم» البعض الذي غشاهم، لأنه لم يغشهم كل ماؤه. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فَغَشَّاهُمْ» من اليم ما غشاهم بalf فيهما مع تشديد الشين وحذف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: [ما] أرشدهم حين أوردتهم موارد الهلكة. وهذا تكذيب له في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاكَ حَاجِبَ السُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ لأخذ التوراة. وقد ذكرنا في [مريم: ٥٢] معنى: «الأيمن»، وذكرنا في [البقرة: ٥٧] «المن والسلى».

[قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: وكلنا لهم: كلوا].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْلَقُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تطربوا في نعمي [فتظلموا]. والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين. والثالث: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَشْيٌ﴾ أي: فنجب لكم عقوبي. والجمهور قرؤوا «فيحل» بكسر الحاء ﴿وَمِنْ يَحِلُّلٍ﴾ بكسر اللام. وقرأ الكسائي: «فيحل» بضم الحاء «ومن يحلل» بضم اللام. قال الفراء: والكسر أحب إلي، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، ويحل بالكسر، يجب، وجاء التفسير بالوجوب، لا بالوقوع.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْلٍ لَّفَقَارٍ﴾ الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلمنا تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته، وأصل الغفر: الستر، وبه سمي [زُبَيْر] الثوب: غفراً، لأنه يستر سداً. فالفغار: الستار للذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفه.

قوله تعالى: ﴿لَمَن تَابَ﴾ قال ابن عباس: لمن تاب من الشرك ﴿وَوَآمَنَ﴾ أي: وعُد الله وصدَّته، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

أدّى الفرائض. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ ثمانية أقوال: أحدها: علم أن لعمله هذا ثواباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لم يشكك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله [له]، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لزم السنة والجماعة، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: استقام، قاله الضحاك. والسادس: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة. والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم. والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النبي ﷺ، قاله ثابت البناني.

﴿وَمَا أَصْبَلَكُمْ عَنْ قَوْمِكُمْ يَمْوِسِي﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَصَيْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِزَعْنَى ﴿٨٣﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّكَ النَّاسُ ﴿٨٤﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لَا يَبْعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَنْطَلَّ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٥﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا زَوَاجًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى النَّاسُ ﴿٨٦﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خِرَافٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٧﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ بَرَجًا لِلَّهِ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَلَكُمْ عَنْ قَوْمِكُمْ يَمْوِسِي﴾ قال المفسرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله [إليه يبعده] أنه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، فعجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاظه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك، ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءُ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَى أَثَرِي﴾، وقرأ أبو رزين العقيلي، وعاصم الجحدري: «على إثري» بكسر الهمزة وسكون الشاء. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وابن يعمر، برفع الهمزة وسكون الشاء. وقرأ أبو رجاء، وأبو العالية: بفتح الهمزة وسكون الشاء. والمعنى: هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وَعَصَيْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِزَعْنَى﴾ أي: لتزداد رضى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: من بعد انطلاقتك من بينهم ﴿وَأَضَلُّكَ النَّاسُ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «وأضلهم» برفع اللام. وقد شرحنا في [البقرة: ٥٢] سبب اتخاذ السامري العجل، وشرحنا في [الأعراف: ١٥٠] معنى قوله تعالى: ﴿غَضِبْنَا أَيْمًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: إعطاء التوراة. والثاني: قوله: ﴿لَنْ أَقْنَمْتُ أَلَكُودَ﴾ إلى قوله: ﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ الآية. [المائدة: ١١٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ لَقَعْنَا لَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢]. والثالث: النصر والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَنْطَلَّ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ أي: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنه إن فكهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، ويقبوا الصلاة، وينصروا الله ورسله. ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بكسر الميم، وقرأ نافع، وعاصم: بفتح الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الميم. قال أبو علي: وهذه لغات. وقال الزجاج: المَلِكُ، بالضم: السلطان والقدرة. والمَلِكُ، بالكسر: ما حوته اليد. والمَلِكُ، بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما كنا نملك الذي اتَّخَذَ منه العجلُ، ولكنها كانت زينة آل فرعون، فقذفناها، قاله ابن عباس. والثاني: بطاقتنا، قاله قتادة، والسدي. والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البلية، قاله ابن زيد. والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماوردي. فيخرج فيمن قال هذا لموسى قولان: أحدهما: أنهم الذين لم يعبدوا العجل. والثاني: عابده.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا حُمُلْنَا زَوَاجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «حُمُلْنَا» بضم الحاء وتشديد الميم. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «حملنا» خفيفة. والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حلي آل فرعون الذي كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر. فمن قرأ «حُمُلْنَا» بالتشديد،

فالمعنى: **حَمَلْنَا [ها]** موسى، أَمَرْنَا باستعارتها من آل فرعون، **فَقَذَفْنَاهَا** أي: طرحناها في الحفيرة. وقد ذكرنا سبب قذفهم إياها في سورة البقرة: ٥٢.

قوله تعالى: **﴿مَكَذَّبَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فيه قولان: أحدهما: أنه ألقى حلياً كما ألقوا. والثاني: ألقى ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل. وقد سبق شرح القصة في البقرة: ٥٢، وذكرنا في [الأعراف: ١٤٨] معنى قوله تعالى: **﴿عَجَبًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾** هذا قول السامري ومن وافقه من الذين افْتَنُوا.

قوله تعالى: **﴿فَنَسِيَ﴾** في المشار إليه بالنسيان قولان: أحدهما: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: فنسي موسى الطريق إلى ربه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: فنسي موسى إلهه عندهم، وخالفه في طريق آخر، قاله قتادة. والثاني: أنه السامري، والمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه، قاله ابن عباس. وقال مكحول: فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين. وقيل: فنسي أن العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً. فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: **﴿فَنَسِيَ﴾** من إخبار الله ﷻ عن السامري. وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان: أحدهما: أنه السامري. والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا يَرْجِعُ﴾** قال الزجاج: المعنى: أفلا يرون أنه لا يرجع **﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾**

**﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ إِنَّمَا قُتِلْتُ بِدَمِي وَإِنَّكُمْ مِنَ الزَّاهِقِينَ﴾** **﴿وَأَلِيمُوا أَمْرِي﴾** **﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عِدَائِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾** **﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ دَلَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾** **﴿أَلَا تَتَذَكَّرُ﴾** **﴿أَمْرِي﴾** **﴿قَالَ يَبْنَوتُمْ لَا تَأْخُذْ بِطِغْيَى وَلَا بِرَأْسِي﴾** **﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾**

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾** أي: من قبل أن يأتي موسى **﴿يَقُولُ إِنَّمَا قُتِلْتُ بِدَمِي﴾** أي: ابتليتم **﴿وَأَنَّكُمْ مِنَ الزَّاهِقِينَ﴾** لا العجل، **﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عِدَائِينَ﴾** أي: لن نزال مقيمين على عبادة العجل **﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾** فلما رجع موسى **﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ دَلَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾** بعبادة العجل **﴿أَلَا تَتَذَكَّرُ﴾** قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: **﴿ألا تتبعني﴾** بياء في الوصل ساكنة، ويقف ابن كثير بالياء، وأبو عمرو بغير ياء. وروى إسماعيل بن جعفر عن نافع: **﴿ألا تتبعني أفحصيت﴾** بياء منصوبة. وروى قالون عن نافع مثل أبي عمرو سواء. وقرأ أعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بغير ياء في الوصل، والوقف. والمعنى: ما منعك من اتباعي. **﴿وَالَا﴾** كلمة زائدة. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقه. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن تناجزهم القتال، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في الإنكار عليهم، قال مقاتل.

قوله تعالى: **﴿أَفْهَمْتَ أَمْرِي﴾** وهو قوله في وصيته إياه: **﴿أَخْلَفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾** قال المفسرون: ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه. وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في [الأعراف: ١٥٠] فأكثفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى **﴿يا ابن أم﴾** واختلاف القراء فيها.

قوله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتِيهِ﴾** أي: بشعر رأسي. وهذا الغضب كان لله ﷻ، لا لنفسه، لأنه وقع في نفسه أن هارون عصى الله بترك اتباع موسى.

قوله تعالى: **﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾** أي: إن فارقتهم واتبعتك **﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾** وفيه قولان: أحدهما: باتباعي إياك ومن معي من المؤمنين. والثاني: بقتالي لبعضهم بعض. وفي قوله تعالى: **﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** قولان: أحدهما: لم ترقب قولي لك: **﴿أَخْلَفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾**. والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

**﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْرِي﴾** **﴿قَالَ بَمَرَّتْ بِمَا لَمْ يَبْهَرُوا بِهِ فَبَضْتُ فَبَضَةً مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ فَجَذَفْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾** **﴿قَالَ فَأَدَّبَ فَإِنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ وَإِنَّكَ لَكِ مَوْعِدًا أَنْ تُخْلَعُوا وَتَنْظُرُوا إِلَى إِلَهِكُمُ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ مَا كُنَّا مُنْجِرِينَ ثُمَّ لَنَنْبَغَنَّ فِي آيَاتِنَا سَعَةً﴾** **﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾**

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يُسْئِرُ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟ قال ابن الأنباري: وبعض اللغويين يقول: الخطب مشتق من الخطاب. المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟ واختلفوا في اسم السامري على قولين: أحدهما: موسى أيضاً، قاله وهب بن منبه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى «سامرة»، قاله قتادة. وفي بلدة قولان: أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير. والثاني: باجرما، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تَبَصَّرُوا»، بالثاء. فعلى قراءة الجمهور أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءة خاطب الجميع. قال أبو عبيدة: علمت ما لم تعلموا. قال: وقوم يقولون: بصرت، وأبصرت سواء، بمنزلة أسرعت، وسرعت. وقال الزجاج: يقال: بصر الرجل يبصر: إذا صار عليمًا بالشيء، وأبصر يبصر: إذا نظر. قال المفسرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس، فألقي في نفسي: أن أقبض من أثرها «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً»، وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومعاذ القارئ: «قبضة» بالصاد. وقال الفراء: والقبض بالكف كلها، والقبضة - بالصاد - بأطراف الأصابع. قال ابن قتيبة: ومثل هذا: الخضم بالضم كله، والقصم بأطراف الأسنان، والنضج أكثر من النضج، والرجز: العذاب، والرجس: التنن، والهلاس في البدن، والسلاس في العقل، والغلط في الكلام، والغلت في الحساب، والخصر: الذي يجد البرد، والخرص: الذي يجد البرد، والجوع، والنار الخامدة: التي قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، والهامة: التي طفتت فذهبت البتة، والشكد: العطاء ابتداءً، فإن كان جزاءً فهو شُكْم، والمائح: الذي يدخل فيما لا دلل، والمائح: الذي يتزعا.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: فقدفناها في العجل. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: «فَنَبَذْنَاهُ» بالإدغام «وَكَذَلِكَ» أي: وكما حدثك «سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي» أي: زَيَّنْتُ لِي «قَالَ» موسى «أَتَمَنَّا» أي: من بيننا «فَأَنَّكَ لَكَّ فِي الْحَيَاةِ» أي: ما دمت حياً «أَنْ نَقُولَ لَا يَسَاسٌ» أي: لا أَسْمُ ولا أَسْمُ، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع، لا يمس أحداً، ولا يمتسه أحد، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: «لا مساس»، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التفسير، بأرض الشام يقولون ذلك. وحكي أنه إن مس واحد من غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحمى في الحال.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة «أَنْ تَخْلُفَهُ» أي: لن يتأخر عنك. ومن كسر لام «تخلف» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَرْنَا إِلَهُكَ﴾ يعني: العجل «الَّذِي ظَلَمْتَ» قال ابن عباس: معناه: أقمته عليه. وقال الفراء: معنى «ظلمت»: فعلته نهاراً. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «ظلمت» برفع الظاء. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «ظلمت» بكسر الظاء. وقال الزجاج: «ظلمت» و«ظلمت» بفتح الظاء، وكسرهما، فمن فتح، فالأصل فيه: «ظلمت» ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ: «ظلمت» بالكسر، حوّل كسرة اللام على الظاء. ومعنى «عَاكِفًا» مقيماً، «لَنُحْرِقَنَّهُ» قرأ الجمهور: «لَنُحْرِقَنَّهُ» بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء، وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وابن يعمر: «لَنُحْرِقَنَّهُ» بفتح النون وسكون الحاء ورفع الراء مخففة. وقرأ أبو هريرة، والحسن، وقاتدة: «لَنُحْرِقَنَّهُ» برفع النون وإسكان الحاء وكسر الراء مخففة. قال الزجاج: إذا شدد، فالمعنى: نحرقه مرة بعد مرة. وتأويل «لَنُحْرِقَنَّهُ»: لنبردنه، يقال: حرقت أحرق وأحرق: إذا بردت الشيء. والنسف: التدزية. وجاء في التفسير: أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقة بالنار، ثم ذراه في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحق العبادة، لا العجل، «وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ حِلًّا» أي: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرَهُ ﴿١٠٠﴾ خَلِيلِينَ

فِيهِ وَسَاءَ لَمَن يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءُ ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ إِذْ لَئِنَّهُنَّ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَشْتَخِطُّكُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَئِنَّهُنَّ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنْ آيَاتِهِ مَا قَدْ سَأَلْتَ﴾ أي: من أخبار من مضى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَأَنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري: ﴿يُحْمَلُ﴾ برفع الياء وفتح الحاء وتشديد الميم، ﴿وَزُرْقًا﴾ أي: إثمًا ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَمَن﴾ قال الزجاج: المعنى: وساء الوزر لهم يوم القيامة ﴿حَمَلًا﴾، و﴿حَمَلًا﴾ منصوب على التمييز.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قرأ أبو عمرو: «ننفخ» بالنون، وقرأ الباقون من السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لم يسم فاعله. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم ينفخ» بياء مفتوحة ورفع الفاء، وقد سبق بيانه. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «ويحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين. وقرأ ابن مسعود، والحسن، وأبو عمران: «ويحشر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المجرمون» بالواو. قال المفسرون: والمراد بالمجرمين: المشركون. ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: غمياً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن قتيبة: بيض العيون من الغمى، قد ذهب السواد، والناظر. والثاني: زُرْقُ العيون من شدة العطش، قاله الزهري. والمراد: أنه يشوه خلقهم بسواد الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَبَّهْنَ﴾ أي: يسار بعضهم بعضاً ﴿إِنْ لَئِنَّهُنَّ﴾ أي: ما لبثن إلا عشر ليال. وهذا على طريق التقليل، لا على وجه التحديد. وفي مرادهم بمكان هذا اللبث قولان: أحدهما: القبور. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم عَنُوا طول ما لبثوا فيها، روى أبو صالح عن ابن عباس: إن لبثن بعد الموت إلا عشرًا. والثاني: ما بين الفختين، وهو أربعون سنة، فإنه يخفف عنهم العذاب حيثئذ، فيستقلون مدة لبثهم لهول ما يعاينون، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: أنهم عَنُوا لبثهم في الدنيا، قاله الحسن، وقاتدة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَشْتَخِطُّكُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلهم، وأعدلهم قولاً ﴿إِنْ لَئِنَّهُنَّ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسي القوم مقدار لبثهم لهول ما عاينوا.

﴿وَسَتَلَوُكُمُ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَحِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ بَعْدَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِندَنا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْبَئِيسِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَمَسَّ مِنَ الْفَالِاحَةِ وَهُوَ مُؤْتِرٌ فَلَا يَنفَاقُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذَرُونَ لِمَنْ ذَكَرَ ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْكَلِمَ الْكَافِرَ وَلَا تَجِدُ الْفَرَّانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْضَحَ إِلَيْكَ وَحَيْثُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَتَلَوُكُمُ عَنِ الْجِبَالِ﴾ سبب نزولها أن رجالاً من ثقيف أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد! كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسرون: النسف: التذرية. والمعنى: يصيرها رمالاً تسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش، تطيرها الرياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال ابن قتيبة: القاع من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء، والصفصاف: المستوي أيضاً، يريد: أنه لا نبت فيها.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ في ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالوجج: الأودية، وبالأمت: الروابي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: الوجج: الانخفاض، والأمت، الارتفاع، وهذا مذهب الحسن. وقال ابن قتيبة: الأمت: التّبك. والثاني: أن الوجج: التّمل، والأمت: الأثر مثل الشّراك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الوجج: الصدع، والأمت، الأكمة.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٧٤/٤ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: ﴿وَسَتَلَوُكُمُ عَنِ الْجِبَالِ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ قال الفراء: أي: يتبعون صوت الداعي للحشر، لا عوج لهم عن دعائه: لا يقدر أن لا يتبعوا.

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِ الْأَشْجَارُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وطفه الأقدام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد في رواية، واختاره الفراء، والزجاج. والثاني: تحريك الشفاه بغير نطق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهد. وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إلا شفاعته من أذن له الرحمن، أي: أذن أن يشفع له، ﴿وَرَفَعَى لَمْ قَوْلًا﴾ أي: ورضي للمشفوع فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا من أجل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. ﴿يَوْمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي. وقد شرحنا هذه الآية في سورة [البقرة: ٢٥٥]. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْأُجُوهُ﴾ قال الزجاج: «عنت» في اللغة: خضعت، يقال: عنا يعنوا: إذا خضع، ومنه قيل: أخذت البلاد عنوةً: إذا أخذت غلبةً، وأخذت بخضوع من أهلها. والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة، إلا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفين والرُكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود. وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿أَلَعَلَّ الْيَوْمَ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْلِكْ مِنَ الصَّلَاحِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «من» هاهنا للجنس. وإنما شرط الإيمان، لأن غير المؤمن لا يُقبل عمله، ولا يكون صالحاً، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. وقرأ ابن كثير: «فَلَا يَخَفُ» على النهي.

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يخاف أن يُظلم فيزاد في سيئاته، ولا أن يهضم من حسناته، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا يخاف أن يُظلم فيزاد من ذنب غيره، ولا أن يهضم من حسناته، قاله قتادة. والثالث: أن لا يخاف أن يؤاخذ بما لم يعمل، ولا ينتقص من عمله الصالح، قاله الضحاك. والرابع: لا يخاف أن لا يُجرى بعمله، ولا أن يُنقص من حقه، قاله ابن زيد. قال اللغويون: الهضم: النقص، تقول العرب: هضمْتُ لك من حَقِّي، أي: حططْتُ، ومنه: فلان هضم الكُشْحَيْنِ، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيء يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله. وفرق بعض المفسرين بين الظلم والهضم، فقال: الظلم: منع الحق كله، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلماً أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَاهُ﴾ أي: وكما بيّنا في هذه السورة، أنزلناه، أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بيّنا فيه ضروب الوعيد. قال قتادة: يعني: وقائعه في الأمم المكذبة.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاعتاظ بمن قبلهم ﴿أَرَأَيْتُمْ لَمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتباراً، فيذكروا به عقاب الأمم، فيعتبروا. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري: «أو نُخِذْتُ» بنون مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿نَسْأَلُ اللَّهَ﴾ أي: جَلَّ عن إلحاد الملحدين وقول المشركين في صفاته، ﴿أَلَمَّاكَ﴾ الذي بيده كل شيء، ﴿أَلْحَقْ﴾ وقد ذكرناه في [يونس: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرْكَانِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ بالسورة والآي فيتلوها عليه، فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً لطم امرأته، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تطلب القصاص، فجعل

(١) قال السيوطي في «الدرر»: ٣٠٩/٤: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْفَرْكَانِ بَيْنَ قَبْلِ أَنْ يَفْقَحَ إِلَيْكَ رَحْمَتِي﴾ يقول: لا تجعل حتى ينبت لك.



رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْجَبَالُ فَتُؤْتِكُ عَلَ الْيُسْبَا﴾ [النساء: ٣٤]، قاله الحسن البصري<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، ويعقوب: «تَقْضِي» بالنون وكسر الضاد وفتح الياء «وَحْيٌ» نصب الياء. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه<sup>(٢)</sup>، هذا على القول الأول. والثاني: لا تُقرئ أصحابك حتى نبين لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: زِدْنِي قرآنًا<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: فهمًا. والثالث: حفظًا، ذكرهما الثعلبي.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَاقِصٍ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْمًا﴾ ١٦٠ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ١٦١ ﴿فَقُلْنَا يَبَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ١٦٢ ﴿إِنَّ لَكَ الْآخِرَ فِيهَا وَلَا تَقْرَأُ﴾ ١٦٣ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظُنُّوْنَ فِيهَا وَلَا تَضْحَكُ﴾ ١٦٤ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَبَادُمْ هَلْ أَذْكَ عَلَىَّ سَجُودَ الْفَلَاكِ وَمَلَكَ لَا يُبَلِّغُ﴾ ١٦٥ ﴿فَأَكْثَرًا مِنْهَا قَدَّتْ لَنَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا مَخِيكَانَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ١٦٦ ﴿ثُمَّ اجْعَلْهُ رُبُّهُ قَابَ قَوْسَيْنِ وَمَدَى﴾ ١٦٧ ﴿قَالَ أَمِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ هَدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ١٦٨ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَصِيٍّ فَإِنَّ لَهُ مَبِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ١٦٩ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ١٧٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ ١٧١ ﴿وَكَذَلِكَ يُجْزَى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَلَمٌ﴾ ١٧٢

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عاهدنا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾ وفي هذا النسيان قولان: أحدهما: أنه التَّرك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أمر به. والثاني: أنه من النسيان الذي يخالف الذِّكْر، حكاه الماوردي. وقرأ معاذ القارئي، وعاصم الجحدري، وابن السمين: «فَنَسِيَ» برفع النون وتشديد السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة: توطيئ النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به. والثاني: صبرًا، قاله قتادة، ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عزمًا نهي عنه. والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزمًا في العود إلى اللُّثْب، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (البقرة: ٣٤) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال المفسرون: المراد به نَصَب الدُّنْيَا وتبعها من تكلف الحرث والزرع والعجن والخَبْز وغير ذلك. قال سعيد بن جبيرة: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيًا؛ وإنما لم يقل: فتشقيًا، لوجهين: أحدهما: أن آدم هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: ﴿عَمِ الْيَابِينَ وَنَحْنُ الْيَابِلُ يَبِيدُ﴾ [ق: ١٧]، قاله الفراء. والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسب، كان التعب في حَقِّه أكثر، ذكره الماوردي.

(١) «الطبري» ٥٨/٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٤ وزاد نسبه إلى القرطبي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) قال ابن كثير ١٦٧/٣: وقوله: ﴿وَلَا تَمْتَلِ بِالْفُرْقَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ كقوله تعالى في سورة: (لا أقسم بيوم القيامة): ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِلَهُكَ لِتَسْكُنَ﴾ ١٦٠ ﴿إِنَّ عَيْنًا جَمَّةً وَرُؤُوسًا﴾ ١٦١ ﴿فَمَا رَأَيْتُ مَلَكًا قَرَّبَهُ قَرْنًا﴾ ١٦٢ ﴿ثُمَّ يَدَّ عَيْنًا يَدًا﴾ ١٦٣. قال: وثبت في «المصحح» عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني أنه ؓ، كان إذا جاء جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لتلا يشرق عليه، فقال: ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِلَهُكَ لِتَسْكُنَ بِهِ﴾ ١٦٠ ﴿إِنَّ عَيْنًا جَمَّةً وَرُؤُوسًا﴾ ١٦١ ﴿فَمَا رَأَيْتُ مَلَكًا قَرَّبَهُ قَرْنًا﴾ ١٦٢. أي: أن نجتمع في صدرك، ثم نقرأه على الناس من غير أن ننسى منه شيئًا، ثم قال: وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَمْتَلِ بِالْفُرْقَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراءه بعده.

(٣) قال ابن كثير ١٦٧/٣: قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله ﷻ. وقال الألوسي في «روح المعاني»: واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ ﴿١١٥﴾ قرأ أبي بن كعب: «لا تُجَاع ولا تُعْرَى» بالتاء المضمومة والالف. «وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمره، والكسائي، وحفص عن عاصم: «وَأَنَّكَ» مفتوحة الألف. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَأَنَّكَ» بكسر الألف. قال أبو علي: من فتح، حملة على أن لك أن لا تجوع، وأن لك أن لا تظما، ومن كسر، استأنف.

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمى الرجل ظمًا، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَكُ﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك حرها، لأنه ليس في الجنة شمس.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمُت ﴿وَمَلَكٍ لَا يَمُوتُ﴾ جديده ولا يفنى. وما بعد هذا مفسر في [الأعراف: ٢٢]. وفي قوله تعالى: ﴿فَنُؤَى﴾ قولان: أحدهما: ضل طريق الخلود حيث أراد من قبل المعصية. والثاني: فسد عليه عيشه، لأن معنى الغي: الفساد. قال ابن الأنباري: وقد غلط بعض المفسرين، فقال: معنى «غوى»: أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبن أمه فبشم فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا يقال من البشم: غوى يغوي، وإنما يقال: غوى يغوى. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَكَكَّا لِلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] يدل على أنهما لم يكثرأ، ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلأ إلى الإكثار. قال ابن قتيبة: فنحن نقول في حق آدم: عصى وغوى كما قال الله ﷻ، ولا نقول: آدم عاصٍ وغاوٍ، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا نقول: هذا خياط، حتى يكون معاوداً لذلك الفعل، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَنَىٰ رَبُّهُ﴾ قد بينا الاجتناء في [الأنعام: ٨٧] ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه للتوبة. ﴿قَالَ أَهْبِطَا﴾ في المشار إليهما قولان: أحدهما: آدم وإبليس، قاله مقاتل. والثاني: آدم وحواء، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتَانِ يَتَخَفَتَانِ﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته، والحية أيضاً<sup>(١)</sup>؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هَذَا﴾ أي: رسولي وكتابي ﴿فَلَا يَعْصِلُ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس: من قرأ القرآن وأتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن أتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ قال عطاء: عن موعظتي. وقال ابن السائب: عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتبعه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيقة، والضنك يوصف به الأثنى والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيق، فهو ضنك، وأنشد:

وإِنْ نَزَلُوا بِضَنْكِكَ فَانْزِلْ<sup>(٢)</sup>

وقال الزجاج: الضنك أصله في اللغة: الضيق والشدة. وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال: أحدها: أنها عذاب القبر، روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون ثبناً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>. وممن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي. والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: شدة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال

(١) انظر التعليق الذي في الصفحة ٥٦.

(٢) هذا جزء من عجز بيت لمترة بن عمرو بن شداد العبسي، وهو في «مجاز القرآن» ٣٢/٢، و«الطبري» ٢٢٥/١٦، و«القرطبي» ٢٥٨/١١، ومختار الشعر الجاهلي» ٣٨٨/١، والبيت بتمامه:

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرَزَ وَإِنْ يُنْزَلُوا بِضَنْكِكَ أَنْزِلْ  
وفي «اللسان» مادة «ضنك»: الضنك: الضيق من كل شيء، الذكر والأثنى فيه سواء، ومعيشة ضنك: ضيقة، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، أي: غير حلال.

(٣) «الطبري» ٢٢٨/١٦، وأسباب النزول» للواحدي ١٧٤، وأوردته السيوطي في «الدر» ٣١١/٤، وهو حديث ضعيف، وذكره ابن كثير ١٦٩/٣ وقال: رفعه منكر جداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم. والرابع: أن المعيشة الضنك: كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عيه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها. قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخيث، وبه قال عكرمة. والخامس: أن المعيشة الضنك: المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس. فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال: أحدها: القبر. والثاني: الدنيا. والثالث: جهنم. وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «أعمى» ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ بفتح الميمين. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسرهما. وقرأ نافع بين الكسر والفتح. ثم في هذا العمى للمفسرين قولان: أحدهما: أعمى البصر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي. والثاني: أعمى عن الحجة، قاله مجاهد، وأبو صالح. قال الزجاج: معناه: فلا حجة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَنْتَكَ مَا بَيْنَنَا وَنَفْسِنَا﴾ أي: فتركناها ولم تؤمن بها؛ وكما تركناها في الدنيا تترك اليوم في النار. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما ذكرنا ﴿نَجْزِي مَنْ أَشْرَكَ﴾ أي: أشرك، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر ﴿وَأَنزِلُ﴾ لأنه يذوم.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا لَكُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْنَ﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزِمَاكُمُ وَاجِلٌ مِّنْهُ لَكُمُ الْعَذَابُ وَاسِعٌ﴾ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَمَلَكٌ رَّعْنٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا لَكُمْ﴾ أي: أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم؛ وكانت قريش تتجر وتري مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾. وروى زيد عن يعقوب: «أفلم تهدي بالنون».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى انقضاء آجالهم ﴿لَكَانَ لِزِمَاكُمُ﴾ أي: لكان العذاب لازماً، أي: لازماً لهم. والزام: مصدر. وصف به العذاب. قال الفراء وابن قتيبة: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ولولا كلمة وأجل مستمى لكان لازماً. قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ له بالحمد له والثناء عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: يريد الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ الآناء: الساعات، وقد بيناها في [ال عمران: ١١٣]، ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصلِّ. وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال: أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد. والرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المعنى: وسبح أطراف النهار. قال الفراء: إنما هما طرفان، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَوَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَعَدَّ صَفَ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحریم: ٤]. وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الظهر، قاله قتادة؛ فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني. والثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد؛ وهذا على أن الفجر في ابتداء الطرف الأول، والمغرب في انتهاء الطرف الثاني. والثالث: أنها الفجر والظهر والعصر؛ فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكٌ رَّعْنٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم بضمها. فمن فتح، فالمعنى: لملك ترضى ثواب الله الذي يعطيك. ومن ضمها، ففيه وجهان: أحدهما: لملك ترضى بما تعطى. والثاني: لعل الله أن يرضاك.



## سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ❶ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ ❷  
 لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النُّجُومُ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْهَمُونَ ❸ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ  
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❹ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَمْ لَنَا نَفْسٌ أَعْتَرَتْهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ  
 ❺ مَا آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ قُرْبَى أَهْلِكْنَاهَا أَفَهُمْ يَنْفَرُونَ ❻ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ  
 لَا تَعْلَمُونَ ❼ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ❽ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَصَائِهِ أَهْلَكْنَاهُ  
 الْفَاسِقِينَ ❾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ❿

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف نعلمه.

قوله ﴿اقْتَرَبَ﴾: اقْتَرَبَ، من القُرْب، يقال: قَرُبَ الشيء، واقترب. وهذه الآية نزلت في كفار مكة. وقال الزجاج: اقترب للناس وقت حسابهم. وقيل: اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى «من». والمراد بالحساب: محاسبة الله لهم على أعمالهم. وفي معنى قُرْبَى قولان: أحدهما: أنه آت، وكلُّ آتٍ قريب. والثاني: لأن الزمان - لكثرة ما مضى وقلة ما بقي - قريب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل له. وقيل: «اقترب للناس» عام، والغفلة والإعراض خاص في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ﴾، وفي هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس: فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿تُخَذِّلُ﴾ إلى إنزاله له، لأنه أنزل شيئاً بعد شيء. والثاني: أنه ذكر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاية أبو سليمان الدمشقي. وقال النقاش: هو ذكر من رسول الله، وليس بالقرآن. والثالث: أنه رسول الله، بدليل قوله في سياق الآية: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، قاله الحسن بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يُراد بهم. قال الزجاج: المعنى: إلا استمعوه لآعين لاهية قلوبهم؛ ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: «يلعبون». وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن أبي عبله: «لاهيّة» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ النُّجُومُ﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بيّن من هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله. «والذين» في موضع رفع على البدل من الضمير في «وأسرؤا». ثم بيّن سرهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكار لنبوته. وبعضهم يقول: «أسرؤا» هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنه من الأضداد.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ﴾ أي: أفتقبلون السحر ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه سيخر؟! يعنون أن متابعة محمد ﷺ متابعة السحر. ﴿قُلْ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «قل ربّي». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «قال ربّي»، وكذلك هي في مصاحب الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: يعلم القول، أي: لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض، فهو عالم بما أسررتهم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال الفراء: ردّ «بل» على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأن معناه الإخبار عن الجاحدين، وأعلم أن المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله ﷺ، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به سيخر، وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة ترى في المنام؛ وقد شرحناها في [يوسف: ٤٤]، وبعضهم

يقول: افتراء، أي: اختلقه، وبعضهم يقول: هو شاعر فليأتنا بآية كالنافقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إيهال بعدها.

قوله تعالى: ﴿هَآءَا مَآئِكَ قَبْلَهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿فَإِنْ قَرَيْتَهُ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أن الأمم التي أهلكت بتكذيب الآيات، لم يؤمنوا بالآيات لما أنتهم، فكيف يؤمن هؤلاء؟! وهذه إشارة إلى أن الآية لا تكون سبباً للإيمان، إلا أن يشاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِسَالًا﴾ هذا جواب قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَيْحٌ لِلَّذِينَ﴾ قرأ الأكثرون: «فيوحي» بالياء. وروى حفص عن عاصم: «فُوحي» بالنون. وقد شرحنا هذه الآية في (النحل: ٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرسل ﴿جَسَدًا﴾ قال الفراء: لم يقل: أجساداً، لأنه اسم الجنس. قال مجاهد: وما جعلناهم جسداً ليس فيهم روح. قال ابن قتيبة: ما جعلنا الأنبياء قبله أجساداً لا تأكل الطعام ولا تموت فجعله كذلك. قال المبرد وثعلب جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخباراً، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جسداً ليأكلوا الطعام. قال قتادة: المعنى: وما جعلناهم جسداً إلا ليأكلوا الطعام.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْ صَدَقَتِهِمْ الْوَعْدُ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَأَنبِئْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الذين صدقهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْآخَرِينَ﴾ يعني: أهل الشرك؛ وهذا تخويف لأهل مكة. ثم ذكر مثله عليهم بالقرآن فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فيه وينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجة أو عذاب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَقُولُونَ﴾ ما فضلناكم به على غيركم.

﴿وَكَمْ فَصَنَّا مِنْ قَبْلِكَ طَائِفَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَهْلَكْنَا أَهْلًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿لَا تَرْكُوهَا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِيَّاكُمْ طَالِبِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا خَضِرِينَ﴾

ثم خوفهم فقال: ﴿وَكَمْ فَصَنَّا﴾ قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكننا، وأصل القصص: الكسر. وقوله: ﴿كَانَتْ طَائِفَةً﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها ﴿ثُمَّ أَهْلَكْنَا أَهْلًا بِأَسَاسٍ﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَكْفُرُونَ﴾ أي: يغدرون، وأصل الركض: تحريك الرجلين؛ يقال: ركضت الفرس: إذا أغديته بتحريك رجله فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُوهَا﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم: ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، أي: إلى نعمكم التي أنرفتكم، وهذا توبيخ لهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: تُسألون من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم، قاله قتادة. والثاني: تُسألون عن قتل نبيكم، قاله ابن السائب. فلما أيقنوا بالعذاب ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِيَّاكُمْ طَالِبِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبينا. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي ﴿قَالُوا يَبْرَأْنَا إِيَّاكُمْ طَالِبِينَ﴾ قولهم يُرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا خَضِرًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿خَضِرِينَ﴾، أي: ميتين كخمود النار إذا طُفِئَتْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَيْمِينَ﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَبْذِلَ لَهَا لَأَخَذْتُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ ﴿بَلْ نَقُذِّرُ بِالنُّفُورِ عَلَى الْبَاطِلِ قِدْمَهُمْ فَإِذَا هُوَ رَاقٍ وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا نَعْمُونَ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَسْتَعِيرُونَ﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا خَلَقْنَا مِنَ الْآرِثِ هُمْ يُمْسِرُونَ﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُعْمَلُ وَهُمْ يُشْكِرُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا خَلَقْنَا مِنَ الْآرِثِ هُمْ يُمْسِرُونَ﴾ ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِمَّنْ قَبْلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِقَاءَ فِئَمٍ مُعْرِضُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَيْمِينَ﴾، أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه، لنجازي أوليائنا، ونعذب أعدائنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما قالوا: الملائكة بنات الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن نصارى نجران قالوا: إن عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآية. قاله مقاتل. وفي المراد باللهو ثلاثة أقوال: أحدها: الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي. قال الزجاج: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولداً لهوً نلّهي به. والثاني: المرأة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: اللعب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخْذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال ابن جريج: لا نتخذنا نساءً أو ولداً من أهل السماء، لا من أهل الأرض. قال ابن قتيبة: وأصل اللهو: الجماع، فكُنّي عنه باللهو، كما كُنّي عنه بالسُرّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لا نتخذناه من عندنا، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلَيْنَا﴾ قولان: أحدهما: أن «إن» بمعنى «ما»، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنها بمعنى الشرط. قال الزجاج: والمعنى: إن كنا نفعل ذلك، ولنا ممن يفعله، قال: والقول الأول قول المفسرين، والثاني قول النحويين، وهم يستجيدون القول الأول أيضاً، لأن «إن» تكون في موضع النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إن كنت لصالحاً، معناه: ما كنت إلا صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنه باطل ﴿تَقْرِئُ بِأَلْفَيْ﴾ أي: نسلط الحق وهو القرآن ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿فَيَدْمَغُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب، وهو مقتل ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائل ذاهب. قال المفسرون: والمعنى: إنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل، ﴿وَلَكُمْ أَلْوَيْ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوز ﴿وَلَكُمْ مِنْ أَلْسِنَةٍ زَاهِقَةٍ﴾ يعني: هم عبيده ومُلْكُهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا ينقطعون، قاله مجاهد. وقال ابن قتيبة: لا يعيرون، والحسير: المنقطع الواقف إعياء وكلالاً. والثالث: لا يملؤون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقْرَأُونَ﴾ قال قتادة: لا يسأمون. وسئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، ألسنت تاكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتكلم وأنت تتنفس؟! فكذاك جعل لهم التسييح. ثم إن الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدْنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ الْآرِضِ﴾ لأن أصنامهم من الأرض هي، سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة ﴿هُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُحْيَوْنَ الموتى. وقرأ الحسن: «يُنْشَرُونَ» بفتح الياء وضم الشين. وهذا استفهام بمعنى المجحد، والمعنى: ما اتخذوا آلهة تنشر ميتاً. ﴿لَوْ كَانَتْ فِيهَا﴾ يعني: السماء والأرض ﴿إِلَهَةٌ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الفراء: سوى الله. وقال الزجاج: غير الله.

قوله تعالى: ﴿لَنَسَنَّا﴾ أي: لخربنا وبطلنا وهلك من فيهما، لوجود التمانع بين الآلهة، فلا يجري أمر العالم على النظام، لأن كل أمر صدر عن اثنين فصاعداً لم يسلم من الخلاف.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَظِرُ عَذَابَ يُقَالُ﴾ أي: عما يخفكم في عباده من هدي وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنه المالك للخلق، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم. ولما أبطل ﴿لَنَسَنَّا﴾ أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَنَسَنَّا﴾، أبطل ذلك من حيث الأمر فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدْنَا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما تقولون، ﴿هَذَا يَكْذِبُ مَنْ رَبِّي﴾ يعني: القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وَيَكْذِبُ مَنْ قُلِّي﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به. قال الزجاج: قيل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلهاً غير الله!.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْذَرُكُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَتْلُونَ الْكُتُبَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: التوحيد، قاله مقاتل ﴿هُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن التفكر والتأمل وما يجب عليهم من الإيمان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَنْبَغُ لَهُمْ إِلَّا لِيَنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ خَبِيرٍ. مُشْفِقُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَنُجْزِيَنَّهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلا نوحى» بالنون؛ والباقون بالياء. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿١٥﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش، قاله ابن عباس. وقال ابن إسحاق: القائل لهذا النضر بن الحارث. والثاني: أنهم اليهود، قالوا: إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة، قاله قتادة. فعلى القولين، المراد بالولد: الملائكة، وكذلك المراد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾، والمعنى: بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. وقال ابن قتية: لا يقولون حتى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قدموا من الأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَنْبَغُ لَهُمْ﴾ يوم القيامة، وقيل: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِيَنْزِلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لمن رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِمْ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. وقال الحسن: يرتعدون. ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة. قال الضحاك في آخرين: هذه خاصة لإبليس، لم يذغ أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه؛ قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا قول من قال: إنه من الملائكة، فإن إبليس قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه إلى الأرض، ومن قال: إنه ليس من الملائكة<sup>(١)</sup>، قال: هذا على وجه التهديد، وما قال أحد من الملائكة ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِيسًا أَنْ تُبَدَّ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُكًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا تُخَفِّطُ فِيهَا الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا مِنْهَا مَاءً ثَجَّاجًا لِيُخْرِجَ بِهِ الْأَرْضَ زَرْعًا فَطَعْنَاهُمُ فِي ظُلُمَاتٍ لَّئِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أولم يعلموا. وقرأ ابن كثير: «ألم ير الذين كفروا» بغير واو بين الألف واللام، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال أبو عبيدة: السموات جمع، والأرض واحدة، فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد؛ والرتق مصدر يوصف به الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث سواء، ومعنى الرتق: الذي ليس فيه ثقب. قال الزجاج: المعنى: كانتا ذاتي رتق، فجعلهما ذات فتق، وإنما لم يقل: «رتقتين» لأن الرتق مصدر. وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال: أحدها: أن السموات كانت رتقاً لا تُمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تُنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد في رواية، والضحاك في آخرين. والثاني: أن السموات ولأرض كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة. والثالث: أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعاً، ومن السماء ست سموات فصارت سبعاً، رواه السدي عن أشياخه، وابن أبي نجيع عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن أبي عبيدة، وحמיד بن قيس: «كل شيء حيًّا» بالنصب. وفي هذا الماء قولان: أحدهما: أنه الماء المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل شيء، قاله الآخرون. والثاني: أنه النطفة، قاله أبو العالية.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَأْ إِلَهُاتُكُمْ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ فَتَقَ عَنْ أَنْفِ رَبِّهِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كما في صحيح مسلم»:- «فخلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»، وقال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم ﷺ أصل البشر.



قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ قد فسرناه في [النحل: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿وَجِبَالًا﴾، قال أبو عبيدة: هي المسالك. قال الزجاج: الفجّاج جمع فجّ، وهو كل منخرق بين جبلين، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طرقا. قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طرقا كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار. قال المفسرون: وقوله: ﴿سَبِيلًا﴾ تفسير للفجّاج، ويبان أن تلك الفجّاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفجّ غير نافذ. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ أي: هي للأرض كالسقف. وفي معنى ﴿مَحْفُوظًا﴾ قولان: أحدهما: بالنجوم من الشياطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: محفوظا من الوقوع إلا بإذن الله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَقَمًّا﴾ يعني: كفار مكة ﴿عَنَّا لَيْلًا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها، قال الفراء: وقرأ مجاهد: «عن آيتها» فوحده، فجعل السماء بما فيها آية؛ وكلُّ صواب.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِي فَلَكٍ﴾ قال ابن قتيبة: الفلك: مدار النجوم الذي يضمها، وسماه فلكا، لاستدارته. ومنه قيل: فلانة المغزل، وقد فلك ثدي المرأة. قال أبو سليمان: وقيل: إن الفلك - كهية الساقية من ماء - مستديرة دون السماء وتحت الأرض، فالأرض وسطها، والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار يجرون في الفلك، وليس الفلك يُديرها. ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ. قال الفراء: لما كانت السباحة من أفعال الآدميين، ذُكرت بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، لأن السجود من أفعال الآدميين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفْهَيْنَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُوكُمْ بِأَثَرِ الْخَيْرِ وَشَرِّهِ وَإِنَّا نُرْهِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذُولُكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَدْعُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ﴾ سبب نزولها أن ناسا قالوا: إن محمدا لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: ما خلّدنا قبلك أحدا من بني آدم؛ والخلد: البقاء الدائم. ﴿أَفْهَيْنَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدُونَ﴾ يعني: مشركي مكة، لأنهم قالوا: ﴿نَرْيُكَ بِرَبِّ الْمَتُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُوكُمْ بِأَثَرِ الْخَيْرِ﴾ قال ابن زيد: نخبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [قرأ ابن عامر: «ترجعون» بناء مفتوحة. وروى ابن عباس عن أبي عمرو: «يرجعون» بياء مضمومة. وقرأ الباقون بناء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين، وقال السدي: نزلت في أبي جهل، مر به رسول الله، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف. وإن بمعنى «ملا» ومعنى ﴿هُزُوءًا﴾ مهزوءا به ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمار «يقولون»، ﴿وَهُمْ يَدْعُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَاذِبُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن، فكفروا بالرحمن.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٤٠﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعًا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأَ بِرُسُلِ بْنِ قَبِيلِكَ فَهَاجَ بِالَّذِي سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقرأ أبو رزین العُقيلي، ومجاهد، والضحاك: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ» بفتح الخاء واللام ونصب النون. وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النضر بن الحارث، وهو الذي قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: آدم عليه السلام، قاله سعيد بن جبیر، والسدي في آخرين. والثالث: أنه اسم جنس، قاله علي بن أحمد النيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه. فأمّا من قال: أريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه خُلِقَ عجولا، قاله الأكثرون. فعلى هذا





قوله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ قال الزجاج: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسط، والقسط: العدل، وهو مصدر يوصف به، يقال: ميزان قسط، وميزانان قسط، وموازين قسط. قال الفراء: القسط من صفة الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنتم عدل، وأنتم رضى. وقوله: ﴿يُؤَيِّرُ الْقَلْبَ﴾ وفي يوم القيامة سواء. وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول [الأعراف: ٨]. فلن قيل: إذا كان الميزان واحداً، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سميت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص محسن من إحسانه، ولا يزداد مسيء على إساءته ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: وزن حبة. وقرأ نافع: «مثقال» برفع اللام. قال الزجاج: ونصب «مثقال» على معنى: وإن كان العمل مثقال حبة. وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الطلامة مثقال حبة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾. قال: ومن رفع، أسند الفعل إلى المثقال، كما أسند في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ بِهَا﴾ أي: جنتا بها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד: «آتيناً» بمدودة، أي: جازيناً بها. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز. والثاني: الحال. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرًا لِلنَّبِيِّينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ آلِهَةٍ سَفِيحُونَ﴾ ﴿وَعَدْنَا ذِكْرَ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تَكُونُوا﴾ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة التي فرق بها بين الحلال والحرام، قاله مجاهد، وقتادة، والثاني: البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون، قاله ابن زيد. والثالث: النصر والنجاة لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَاءً﴾ روى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يرى الواو زائدة؛ قال الزجاج: وكذلك قال بعض النحويين أن المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أن الواو لا تزداد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هَذَى وَوُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]. قال المفسرون: والمعنى هم استضاءوا بالتوراة حتى اهتدوا بها في دينهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرًا لِلنَّبِيِّينَ﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يخافونه ولم يروه، قاله الجمهور. والثاني: يخشون عذابه ولم يروه، قاله مقاتل. والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، قاله الزجاج. والرابع: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم إذا كانوا بين الناس، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم عاد إلى ذكر القرآن، فقال: ﴿وَعَدْنَا﴾ يعني: القرآن. ﴿وَكُنَّا﴾ لمن تذكّر به، وعظة لمن اتعظ ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: كثير الخير ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمْ تَكُونُوا﴾ أي: جاحدون؟! وهذا استفهام توبيخ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَبَدَلًا مَا بَدَلْنَا لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ أَشْرَ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ بَلْ رَزَقْنَاكَ مِنْ آلِهَةٍ عَلْوَىٰ فَسَطَّرْتَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٦١﴾ فَبَجَلْهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ نَقْلَهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: هُده. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: آتيته ذلك في العلم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضحاك. وقد أشرنا إلى قصة إبراهيم في [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ﴾ أي: علمنا أنه موضع لإتياء الرشد. ثم بين متى أتاه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنام. والتماثل: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى، وأصله من مثلت الشيء بالشيء: إذا شبهته به. وقوله: ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا﴾ أي: على عبادتها ﴿عَاكِفُونَ﴾ أي: مقيمون، فأجابوه أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فافتدروا بهم، فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلال مبين، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ يعنون: أجاد أنت، أم لاعب؟!.

قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾ الكيد: احتيال الكائد في ضرر المكيد. والمفسرون يقولون: لأكيدنها بالكسر ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَوْا﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون إليه ولا يخلفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال يراً منهم: ﴿وَقَالُوا لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾، فسمعه رجل منهم، فأفشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام، وكانت - فيما ذكره مقاتل بن سليمان - اثنين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فكسرها، ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قرأ الأكثرون: «جُذَاذًا» بضم الجيم. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، والأعمش، والكسائي: «جُذَاذًا» بكسر الجيم. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وأيوب السخيتاني، وعاصم الجحدري: «جُذَاذًا» بفتح الجيم. وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «جُذَاذًا» بفتح الجيم من غير ألف. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة، وابن وثاب: «جُذَاذًا» بضم الجيم من غير ألف. قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، قال جرير:

بَنِي الْمَهْلَبِ جَذَّ اللَّهُ ذَابِرَهُمْ  
أَمْسَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفٌ<sup>(١)</sup>

أي: لم يبقَ منهم شيء، ولفظ «جُذَاذًا» يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث. وقال ابن قتيبة: «جُذَاذًا» أي: فُتَاتًا، وكلُّ شيء كسرته فقد جُذَذَتْ، ومنه قيل للسويق: الجذيد. وقرأ الكسائي: «جُذَاذًا» بكسر الجيم على أنه جمع جُذِذ، مثل ثَقِيلٍ وثِقَالٍ، وَخَفِيفٍ وَخِفَافٍ. والجذيد بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ يَكُنْ﴾ أي: كسر الأصنام إلا أكبرها. قال الزجاج: جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الصنم. ثم فيه قولان. أحدهما: لعلهم يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قول مقاتل. والثاني: لعلهم يرجعون إليه بالتهمة، حكاية أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم. والمعنى: لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحُجَّةِ عليهم، قاله الزجاج.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّمَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ هَذِهِ بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا فَتَنُواهُمْ أَنْ كَانُوا يَظُنُّونَ﴾ ٦٣

فلما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّمَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ أي: قد فعل ما لم يكن له فَعْلُهُ، فقال الذي سمع إبراهيم يقول: «لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ»: «سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ» قال الفراء: أي: يعيهم؛ تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندمن، تريد: بسوء.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأثروا به خفية. قال أبو عبيدة: تقول العرب إذا أظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: يشهدون أنه فعل ذلك، قاله السدي. والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق. قال المفسرون: فاطلقوا به إلى نمرود، فقال له: ﴿أَأَتَتْكَ هَذِهِ بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا غضب أن تُعَبِّدَ معه الصغار، فكسرها، ﴿فَتَنَلُوهُمْ أَنْ كَانُوا يَظُنُّونَ﴾ من فعله بهم؟! وهذا إلزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدر على النطق. واختلف العلماء في وجه هذا القول من إبراهيم عليه السلام على قولين: أحدهما: أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له، لا يصلح أن يكون إلهاً، ومثله قول الملكين لداود: ﴿إِنَّ هَذَا نَجَسٌ﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَمْ يَنْجُ وَتَمُوتْ نَجْمٌ﴾

وَلَيْ تَجِدَ ﴿مَنْ: ٢٣﴾، ولم يكن له شيء، فجري هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمَثَل المضروب؛ ومثل هذا لا تسميه العرب كذباً. والثاني: أنه من معارض الكلام؛ فروي عن الكسائي أنه [كان] يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلْ فَكَّرَ﴾ ويقول معناه: فعله مَنْ فعله، ثم يبتدئ ﴿كَيْفُمْ هَذَا﴾. قال الفراء: وقرأ بعضهم: «بل فعله» بتشديد اللام، يريد: فلعله كبيرهم هذا. وقال ابن قتيبة: هذا من المعارض، ومعناه: إن كانوا ينطقون، فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَمِعْتُ﴾ [الصفات: ٨٩] أي: سأسقم، ومثله ﴿إِنَّكَ نَسِيتَ﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ١٧٤] قال ابن عباس: لم ينس، ولكنه من معارض الكلام، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿وَإِذْ شَرَوْا الْيَعْرَابَ﴾ [مِن: ٢١]، ومثله ﴿وَلَوْ أَنَّ إِلَيْكُم لَمَقَى هَذِي﴾ [سبا: ٢٤]، والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً؛ فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف من الكشف وأحسن من التصريح. وروي أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون، فلما صلدوا، خالف رجل في بعض الليل إلى عِكمٍ صاحبه، فأخذ منه بُزاً وجعله في عِكمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان، رأى عِكمه يشول، وعِكم صاحبه يثقل، فأنشأ يقول:

عِكم تغشى بعض أعكام القوم  
لَمْ أَرِ عِكمًا سارقاً قبل اليوم

فخون صاحبه بوجه هو أطف من التصريح. قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كليات»<sup>(١)</sup>، قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب. قال المصنف: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعارض، والمعارض لا تُذم، خصوصاً إذا احتج إليها، روى عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعارض لمنسوخة عن الكذب»<sup>(٢)</sup>، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يسرني أن لي بما أعلم من معارض القول مثل أهلي ومالي، وقال النخعي: لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرون به عن أنفسهم. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف، وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: «إن الجنة لا تدخلها المعاجز»<sup>(٣)</sup>، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَشْأَنُهَا إِنَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وروي عنه ﷺ أنه كان يمازح بلالاً، فيقول: «ما أخت خالك منك؟»، وقال لامرأة: «مَنْ زَوْجُكَ؟» فسئته له، فقال: «الذي

(١) رواء البخاري ٢٧٧/٦، ومسلم ١٨٤/٤، ولفظه عند مسلم تمامه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث - كليات، ثنتين في ذات الله، وقوله: ﴿إِنِّي سَمِعْتُ﴾، وقوله: ﴿بَلْ نَكَلَكُمُ كَيْفُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعها سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبره أنك اختي فإنك اختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيبي وغيرك، فلما دخل أرضه وأما بعض أهل الجبار، أناه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها، فقام إبراهيم ﷺ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن يسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أيد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أيد من القبضتين الأولىين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، وهذا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أجتيتي شيطاناً ولم تأتني بئسان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رأها إبراهيم ﷺ انصرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: خير، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٠/٦: وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعارض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص التبة، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح. اهـ.

(٢) رواء البخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٤/٢ من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: سمعت عمران بن حصين إلى البصرة، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال: إن في معارض الكلام لمنسوخة عن الكذب. قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: قال البيهقي: رواء داود بن الزريقان عن عمران بن حصين مرفوعاً، قال: والموقوف هو الصحيح، وكذا هو المرفوع ابن عدي. قال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف - يعني جداً - مرفوعاً. ثم قال: وبالجملة فقد حسن العراقي هذا الحديث، ورد على الصناني حكمه عليه بالوضع. اهـ. والمعارض: ما حاد عن الكذب، والمنسوخة: السعة.

(٣) رواء عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ورواه الترمذي في «المشائل» عن عبد بن حميد عن الحسن أيضاً، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٨ عن الحسن، وزاد نسبه لابن المنذر، والبيهقي في «البت»، وأورده أيضاً من رواية البيهقي في «الشعب»، والطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها.

في عينيه بياض<sup>(١)</sup>؟ وقال لرجل: «إنا حاملوك على ولد ناقة<sup>(٢)</sup>»، وقال له العباس: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كل خير أرجوه من ربي». وكان أبو بكر حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سأل أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هاد يهديني. وكانت امرأة ابن رواحة قد رآته مع جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟! فجدد، فقالت له: فاقرا القرآن، فقال:

وفينا رسول الله يتلوا كتابه  
يسبب يحافي جنبه عن فراشه  
فقلت: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع. وعرض شريح ناقة لبيعها فقال له المشتري: كيف لبنيها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاوها<sup>(٣)</sup>؟ قال: إذا رأيته في الإبل عرفت مكانها، علّق سوطك وبرز، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت؛ فاستصراها فلم يَر شيئاً مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئاً مما وصفتها به، قال: ما كذبتك، قال: ألقني، قال: نعم، وخرج شريح من عند زياد وهو مريض، فقيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النوح. وأخذ محمد بن يوسف حجراً المدري فقال: العن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن العن علياً محمد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله. وأمر بعض الأمراء صمصمة بن صوحان بلعن علي، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثم قال: إن [هذا] الأمير قد أبى إلا أن العن علياً، فالعنوه، لعنه الله. وامتنحت الخوارج رجلاً من الشيعة، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بري. وخطب رجل امرأة وتحتة أخرى، فقالوا: لا تزوجك حتى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادّعوا أنه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنه كان تحتني فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلقث ثلاثاً. وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا يُنزل الدهر قدره  
تري الناس أفواجاً إلى ضوء ناره  
فظل الطائف أنه ابن بعض الأشراف بالبصرة، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلائي. ومثل هذا كثير.

﴿فَرَحِمُوا إِلَيَّ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَوِرُونَ ﴿٧﴾ قَالَ أَتَقْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْلًا تَقُولُونَ ﴿٩﴾  
قوله تعالى: ﴿فَرَحِمُوا إِلَيَّ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: رجع بعضهم إلى بعض. والثاني: رجع كل منهم إلى نفسه متفكراً.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: حين عبدتم من لا يتكلم، قاله ابن عباس. والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهب بن منبه. والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهب أيضاً. والرابع: لإبراهيم حين اتهمتموه والفأس في يد كبير الأصنام، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فأسألوها، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبله، وأبو حيوة: «نكسوا» برفع النون وكسر الكاف مشددة. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «نكسوا» بفتح النون والكاف مخففة. قال أبو عبيدة: «نكسوا»: قُبِلُوا، تقول: نكست فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته. ثم في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة

(١) ذكره ملا علي القاري في «شرح الشامل» للترمذي من رواية ابن أبي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن مسهم النهري.

(٢) رواه الترمذي في «الشامل» عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ، فقال: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال: «وهل تلد الإبل إلا الولق؟».

(٣) الشجاء: السرعة في السير.

أقوال: أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، قاله قتادة. والثاني: رجعوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق، قاله ابن قتيبة. والثالث: انقلبوا على إبراهيم يحتجون عليه بعد أن أقرؤا له ولاموا أنفسهم في تهمة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق، فحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة، فقال موبخاً لهم: ﴿أَنْتُمْ تَدْعُونِ إِلَى دِينِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حث لهم على عبادة من يملك النفع والضّر، ﴿أَيُّ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: التّن لكم؛ فلما ألزمهم الحجة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. وذكر في التفسير أن نمرود استشارهم، بأيّ عذاب أعدّ به، فقال رجل: حرّقه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُ كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَبِّئْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْغَنَاقَةَ وَفَارَاقَ الْغَنَاقَةِ زَكَاةً وَمَثَلًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنه يعيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: ناصريها.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم ؑ في بيت ثم بنوا له خيراً طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل منيف، ونادى منادي الملك: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم، ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير، فمن تخلف ألقي في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرك بكذا لأحتطب لنار إبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الخبز وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرّها، ثم بنوا بنياناً شامخاً، وبنوا فوقه منجيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فاغثوه؛ فقفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾<sup>(١)</sup>. فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾<sup>(٢)</sup>، فقال الله ﷻ: ﴿يَبْنَؤُ كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فلم تبق نار على وجهه الأرض يومئذ إلا طُفئت وطُئت أنها غُثيت. وزعم السدي أن جبريل هو الذي ناداه. وقال ابن عباس: لو لم يُنصِر بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبّي<sup>(٣)</sup> إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس. قال كعب ووهب: فما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام، وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطفنسة من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وإن أزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فُنقب، فإذا إبراهيم في روضة تهترأ وثيابه تندی، وعليه القميص وتحت الطنفسة والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس ؓ قال: حسينا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ؑ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاغْثُوكُمْ وَكَاذِبُوا فَاسْتَبْصِرْ﴾ وقالوا حسينا الله ونعم الوكيل. وفي رواية للبخاري عن ابن عباس ؓ قال: كان آخر قول إبراهيم ؑ حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

(٢) حديث: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾ رواه ابن جرير مختصراً، وفي سنده جهالة، وذكره المجلوني في «كشف الخفاء» من رواية البهوي عن كعب الأحبار، ورواه كثير من المفسرين عن أبي بن كعب موقفاً، ولعله من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ١/ ٢٥٠: قال ابن تيمية: موضوع اهـ. وهذا الخبر لا يصح، لأنه يشير إلى ترك الدعاء، مع أن الدعاء عبادة، وقد جاءت الآيات والأحاديث بالأمر به، والحض عليه.

(٣) الضبج، يسكنون الباء: العضد.

حتى خرج، فقال: مَنْ الذي رأيْتُ معك؟ قال: مَلِكٌ أرسله إِلَيَّ رُبِّي ليؤنسيني، فقال نمروذ: إني مُقَرَّبٌ لِأَهلِكَ قَرِيبًا لِمَا رأيْتُ من قدرته، فقال: إذَنْ لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْكَ مَا كُنْتَ عَلَى دِينِكَ، فقال: يا إِبْرَاهِيمَ، لا أَسْتَطِيعُ تَرْكَ مَلِكِي، وَلَكِنْ سَوْفَ أَذْبَحُ لَهُ، فذَبَحَ الْقَرِيبَانَ وَكَفَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ. قال المفسرون: ومعنى ﴿كُونِي بَرًّا﴾ أي: ذات برد ﴿وَسَلَامًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أن الله تعالى سَلَطَ البعوضَ عليهم حتى أَكَلَ لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدة في دماغ نمروذ حتى أَهْلَكَته، والمعنى: أَنهم كادوه بسوء، فانقلب السوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَئَتُهُ﴾ أي: من نمروذ وكيده ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخِي إِبْرَاهِيمَ، وهو لوط بن هَارَانَ بن تَارِحَ، وكان قد آمَنَ بِهِ، فَهَاجَرَا مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ. وكانت سارة مع إِبْرَاهِيمَ فِي قول وهب. وقال السدي: إِنما هي ابنة ملك حَرَّانَ، لَقِيَهَا إِبْرَاهِيمَ فَتَزَوَّجَهَا عَلَى أَنْ لَا يَغْيِرَهَا، وكانت قد طعنت على قومها فِي دينهم. فَأَمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان: أحدهما: أَنها أَرْضُ الشَّامِ، وهذا قول الأكثرين. وَبَرَكْنَاهَا: أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بعث أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهَا، وَأَكْثَرَ فِيهَا الْخَصْبَ وَالشَّامَ وَالْأَنْهَارَ. والثاني: أَنها مَكَّةُ، رواه العوفي عن ابن عباس. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ﴾ يعني: إِبْرَاهِيمَ ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وفي معنى النافلة قولان: أحدهما: أَنها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكانه سأل واحدًا، فَأَعْطِيَ اثْنَيْنِ، وهذا مذهب ابن عباس، وقَتَادَةَ، وابن زيد، والفراء. والثاني: أَنَّ النافلة بمعنى العطية، والمراد بها: إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعني: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. قال أبو عبيدة: «كُلُّ» يقع خبره على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد، ويقع خبره على لفظ الجميع، لأن معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: رُؤُوسًا يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ ﴿يَهْدُونَكَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِنَا بِأَمْرِنَا يَأْتِيهِمْ بِذَلِكَ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة. وقال مقاتل: الأعمال الصالحة، ﴿وَأَنذَرْنَا أَلْسِنَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال الزجاج: حذف الهاء من «إقامة الصلاة» قليل في اللغة، تقول: أقام إقامة، والحذف جائز، لأن الإضافة عوض من الهاء.

﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَمَلًا وَبَقِيَئَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ لِمَنْ كَفَرَتْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَمَيْقِينَ ۖ﴾ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ قال الزجاج: انتصب «لوط» بفعل مضمر، لأن قبله فعلاً، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتيناهم لوطاً. وذكر بعض النحويين: أَنه منصوب على «واذكر لوطاً»، وهذا جائز، لأن ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ قد جرى، فَحُمِلَ لُوطٌ عَلَى معنى: واذكر. قال المفسرون: لَمَّا هَاجَرَ لُوطٌ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ أَرْضَ فِلَسْطِينَ، وَنَزَلَ لُوطٌ بِالْمُؤْتَفَكَةِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، فَبَعَثَ اللهُ نَبِيًّا. فَأَمَّا «الحكم» ففيه قولان: أحدهما: أَنه النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل. وقد ذكرنا فيه أقوالاً فِي سورة (يسف: ٢٢). وَأَمَّا «القرية» هاهنا، فهي سُدُومُ، والمراد أهلها، والخباثات: أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذكور وقطع السبيل، إِلَى غير ذلك مما قد ذكره اللهُ ﷻ عَنْهُمْ فِي مواضع [مود: ٧٨، والحجر: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: بِإِنجَاثِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۚ وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمِينَ ۖ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: واذكر نوحاً، وكذلك ما يَأْتِيكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿إِذْ نَادَى﴾ أي: دَعَا عَلَى قَوْمِهِ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ. فَأَمَّا الْكَرْبُ الْعَظِيمُ، فقال ابن عباس: هو الغرق وتكذيب قومه. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِسَوْءٍ. وقيل: «من» بمعنى «على».



﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُنَّا لَهُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِيَكُمْ يَوْمَ الْبَاسِ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسُلَيْمَانَ أَلَمَ الْوَيْحَ عَاصِمَةً تَجْرِي لَأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّ لَهُ وَيَعْمَلُكُمُ عَمَلًا ذَلِكَ دُونِ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِيظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه كان عبداً، قاله ابن مسعود، ومسروق، وشريح. والثاني: كان زرعاً، قاله قتادة. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: رَعَتْ لِيلاً، يقال: نَفَشَتِ الْغَنَمُ بِاللَّيْلِ، وهي إِبِلُ نَفَشَ وَنَفَاشَ وَنَفَاشَ، والواحد: نَافِشٌ، وَسَرَحَتْ وَسَرَبَتْ بالنهار. قال قتادة: النَّفْسُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمَلُ بِالنَّهَارِ. وقال ابن السكيت: النَّفَشُ: أن تتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن رجلين كانا على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فنفشت الغنم فوقعت في الحرث فلم يُبَيَّن منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويُقْبِل أصحاب الغنم على الكَرَم، حتى إذا كان كليله نفشت فيه الغنم، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كَرَمهم، فقال داود: قد أصبغت القضاء، ثم حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع، لأن الاثنين جمع، هذا قول الفراء. والثاني: أنهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبيدة: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا﴾ على التثنية. ومعنى «شاهدين»: أنه لم يَبَيَّن عتاً من أمرهم شيء. «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» يعني: القضية والحكومة. وإنما كُتِبَ عنها، لأنه قد سبق ما يدل عليها من دُكْرِ الْحُكْمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ منهما «إِلَيْنَا حُكْمًا» وقد سبق بيانه. قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعذّر داود باجتهاده.

### فصل

قال أبو سليمان الدمشقي: كان قضاء داود وسليمان جميعاً من طريق الاجتهاد، ولم يكن نصّاً، إذ لو كان نصّاً ما اختلفا. قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفشت ليلاً في زرع رجل فأفسدته، فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان، وهو قول الشافعي، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه ليلاً ونهاراً، إلا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا، لأن داود حكم بالضمان، وشرع مَنْ قَبْلُنَا شَرَعَ لَنَا مَا لَمْ يَنْبُت نَسْخُهُ. فإن قيل: فقد ثبت نسخ هذا الحكم، لأن داود حكم بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنه لا يجب على من نفشت غنمه في حرث رجل شيء من ذلك؛ قيل: الآية تضمنت أحكاماً، منها وجوب الضمان وكيفيته، فالنسخ حصل على كيفيته، ولم يحصل على أصله، فوجب التعلق به، وقد روى حرام بن محيصة عن أبيه: أن ناقه للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقاضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَرْنَا الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ مَعَ دَاوُدَ. قال أبو هريرة: كان إذا سَبَّح أجابته الجبال والطير بالسبح والدُّكْرُ، وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسَبَّحت حتى يشتاق هو فيسَبِّح. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: لذلك. قال الزجاج: المعنى: وكُنَّا نقدر على ما نريده.

(١) رواه أحمد في «المسنَد» ٢/٢٩٥، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٥٦٩ - ٣٥٧٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٣٣٢). قال ابن كثير: وقد علل هذا الحديث، قال: وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «الأحكام»، وبالله التوفيق.



قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المراد باللُّبوس قولان: أحدهما: الدُّروع، كانت قبل ذلك صفائح، وكان داود أول من صنع هذه الحلق وسرد، قاله قتادة. والثاني: أن اللُّبوس: السلاح كله من درع إلى رمح، قاله أبو عبيدة. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «لُبوس» بضم اللام.

قوله تعالى: ﴿لِيُخَصِّصْكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بالتاء. وروى أبو بكر عن عاصم: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بالنون خفيفة. وقرأ أبو الدرداء، وأبو عمران الجوني، وأبو حيو: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بتاء مرفوعة وفتح الحاء وتشديد الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وحميد بن قيس: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بتاء مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها. وقرأ أبو زرين العقيلي، وأبو المتوكّل، ومجاهد: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بنون مرفوعة وفتح الحاء وكسر الصاد مع تشديدها. وقرأ معاذ القارئي، وعكرمة، وابن يعمر، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «لِيُخَصِّصْكُمْ» بياء مرفوعة وسكون الحاء وكسر الصاد مشددة النون. فمن قرأ بالياء، ففيه أربعة أوجه. قال أبو علي الفارسي: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدّم معناه، ويجوز أن يكون اللباس، لأن اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داود، ويجوز أن يكون التعليم، وقد دل عليه «علّمناه». ومن قرأ بالتاء، حملة على المعنى، لأنه الدرع. ومن قرأ بالنون، فلتقدّم قوله: «وعلّمناه». ومعنى «لِيُخَصِّصْكُمْ»: لِيُخَرِّجْكُمْ وتمنعكم ﴿مِنَ بَأْسِكُمْ﴾ يعني: الحرب.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤَمِّرَنَّ وَلْيُؤَمِّرَنَّ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران الجوني، وأبو حيو الحضرمي: «الرَّيَاحُ» بآلف مع رفع الحاء. وقرأ الحسن، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء: بالآلف ونصب الحاء، والمعنى: وسخرنا سليمان الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدة الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَثَرِهِ﴾ يعني: بأمر سليمان ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام، وقد مرّ بيان بركتها في هذه السورة (الأنبياء: ٧٢)؛ والمعنى: أنها كانت تسير به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشام.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ علمنا أن ما نُعْطِي سليمان يدعوه إلى الخضوع لربّه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُوَفِّرُكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: «مَنْ» تقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث. قال المفسرون: كانوا يغوصون في البحر، فيستخرجون الجواهر، ﴿وَيَسْلُكُونَ عَصَا دَاوُدَ﴾ قال الزجاج: معناه: سوى ذلك، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يفسدوا ما عملوا. وقال غيره: أن يخرجوا عن أمره.

﴿وَأَوَّلَ إِذْ دَاوُدَ رَبَّهُ إِلَى مَسَاقِ الطُّرُقِ وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّجِيِّينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَفَفْنَا مَا يَمِينُهُ مِنْ صَبْرٍ وَكَانَتْ يَنْتَهَ أَعْمَلُهُمْ وَمَقَالُهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَّرْنَا لِلْمُذِينِ﴾ ﴿وَلَنَسْمِيعَ وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوَّلَ إِذْ دَاوُدَ رَبَّهُ﴾ أي: دعا ربه ﴿إِلَى﴾ وقرأ أبو عمران الجوني: «إني» بكسر الهمزة، ﴿مَسَاقِ الطُّرُقِ﴾ وقرأ حمزة: «مَسْنِي» بتسكين الياء، أي: أصابني الجهد، ﴿وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّجِيِّينَ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بسؤال الرحمة إذ أتى عليه بأنه الأرحم وسكت.

### الإشارة إلى قصته

ذكر أهل التفسير أن أيوب عليه السلام كان أغنى أهل زمانه، وكان كثير الإحسان. فقال إبليس: يا رب سلطني على ماله وولده - وكان له ثلاثة عشر ولداً - فإن فعلت رأيت كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له: قد سلطتك على ماله وولده، فرجع إبليس فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابّه ورعاته، فاحتملوها حتى قدفوها في البحر، وجاء إبليس في صورة قيّمه، فقال: يا أيوب ألا أراك تصلّي وقد أقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قدفتها في البحر؟ فلم يردّ عليه شيئاً حتى فرغ من صلاته، ثم قال: الحمد لله الذي رزقني ثم قبله منّي، فانصرف خائباً، ثم أرسل بعض الشياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره، فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشياطين فزلزلوا

منازل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمد الله، وقال لإبليس وهو يظنه قِيَمَه في ماله: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فانصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبيدي أيوب؟ قال: يا رب سلّطني على جسده فسوف ترى، قيل له: قد سلّطتك على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفاً من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع، وبقي لسأله للذكر، وقلبه للمعرفة والشكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثآليل كآليات الغنم، ووقعت به حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمسوح، ثم بالحجارة، فأتت جسده وتقطّع، وأخرجته أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه<sup>(١)</sup>. وزوى أبو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: كان ملك يظلم الناس، فكلمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟! لا طليئ بلاءك<sup>(٢)</sup>. واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، والثاني: سبع سنين، قاله ابن عباس، وكعب، ويحيى بن أبي كثير. والثالث: سبع سنين وأشهر، قاله الحسن. والرابع: ثلاث سنين، قاله وهب، وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال: أحدها: [أنه] اشتهى إداماً، فلم تُصَبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها، فلما علم ذلك، قال: ﴿سَقَى الْفَرْثُ﴾، رواه الضحاك عن ابن عباس، والثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسّر له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن نفرأ من بني إسرائيل نفروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿سَقَى الْفَرْثُ﴾، قاله نوف البكالي. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجداً ريحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيراً ما بلغ به كل هذا، فما سمع شيئاً أشدّ عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة شيعان وأنا أعلم مكان جائع فضدّني، فضدّق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عارٍ فضدّني، فضدّق وهما يسمعان، فخرّ ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به. والرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة، أمرّتي أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خرّ ساجداً وقال: ﴿سَقَى الْفَرْثُ﴾، قاله الحسن. والخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبّ عليه من البلاء ما سمعته، حتى إذا بلغ البلاء متناه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: ﴿سَقَى الْفَرْثُ﴾، قاله إبراهيم بن شيان القرميسي فيما حدثنا به عنه. والسادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هجران ربه، فقال: ﴿سَقَى الْفَرْثُ﴾، ذكره الماوردي، فإن قيل: أين الصبر، وهذا لفظ الشكوى؟ فالجواب: أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما المذموم الشكوى إلى الخلق<sup>(٤)</sup>، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرْقِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكّا إلى الناس، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله، لم يكن ذلك جزءاً، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ لجبريل في مرضه: «أجدني مغموماً» و«أجدني مكروباً»، وقوله: «بل أنا وأرأساه»<sup>(٥)</sup>.

- (١) روى هذا الخبر وهب بن منبه في قصة طويلة ساقها ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٧/٦٥. قال ابن كثير ٣/١٨٨: وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة.
- (٢) ذكر نحو هذا الخبر السيوطي في «الدرر» ٤/٣٢٧. من رواية ابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني، ولعله من الإسرائيليات.
- (٣) ذكره ابن كثير ٣/١٨٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً.
- (٤) من المتفق عليه أن أيوب ﷺ كان غايه في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك، وقد ابتلي في ماله وولده وجسده، فصرير والتجأ إلى الله تعالى، فذلك قول الله فيه: ﴿وَأَرْبَبْ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ لِي بِرَبٍِّّ أَلَيْسَ الْفَرْثُ وَلَيْتَ أَتَحْكُمُ الْقَرْيَاتِ﴾ فكشف الله تعالى ما به.
- (٥) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠/١٠٥ من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو جزء من حديث طويل.

قوله تعالى: ﴿وَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ يعني: أولاده ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّهْرٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود والحسن، وقادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنيشروا له، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيِّبوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن، والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الدنيا، قاله نوف، ومجاهد. والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرة، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنِّي عَيْنًا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمةً مِنِّي عندنا، ﴿وَوَكَّرْنَا﴾ أي: عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مِنِّي.

قوله تعالى: ﴿وَدَا الْكُفْلَ﴾ اختلفوا هل كان نبياً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد. ثم اختلف أرباب هذا القول في علته تسميته بذی الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسُمي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: أنه تكفل للنبى بقومه أن يكفيه أمرهم وقيامه ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسُمي: ذا الكفل، قاله مجاهد. والثالث: أن ملكاً قُتل في يوم ثلاثمائة نبى، وفُرض منه مائة نبى، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسُمي: ذا الكفل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. قال عطاء: أوحى الله تعالى [إلى] نبى من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتقر، ويصوم النهار لا يفتقر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسُمي: ذا الكفل. وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: «أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائباً، ومات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل؟» والحديث معروف<sup>(٢)</sup>، وقد ذكرته في «الحدائق»، فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذى الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا. وإذا قلنا: إنه نبى، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقتي، وقال: ليس هذا بذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنَ الَّذِينَ﴾ أي: على طاعة الله وترك معصيته، ﴿وَأَدَّاهُمْ فِي رَحْمَتِي﴾ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله مقاتل. والثالث: النعمة والمواولة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَدَا الْكُفْلَ﴾ يعني: يونس بن متى. والنون: السمكة؛ أُضيف إليها لابتلاعها إياه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ قال ابن قتية: المغاضبة: مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة، وربما تكون من واحد، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «مُغْضِبًا» بإسكان الغين وفتح الصاد من غير ألف. واختلفوا في مغاضبته لمن كانت؟ على قولين: أحدهما: أنه غضب على قومه، قاله ابن عباس، والضحاك. وفي سبب غضبه عليهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن الله تعالى أوحى إلى نبى يقال له: شعيا: أن ائت فلاناً الملك، فقل له: بيعت نبياً أميناً إلى

(١) قال ابن كثير ١٩٠/٣: وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبى.

(٢) رواه أحمد في «المستند» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن كثير ١٩١/٣: وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وإسناده غريب.

بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبى منهم الكثير، فأراد النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلّمه حتى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهانئاً غيري من الأنبياء، فألحقوا عليه، فخرج مغاضباً للنبي والملك ولقومه، هذا مروى عن ابن عباس؛ وقد زدناه شرحاً في (يونس: ٩٨). والثاني: أنه عاني من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا صبراً، وما ظنّ أن هذا الفعل يوجب عليه ما جرى من العقوبة، ذكره ابن الأنباري، وقد روي عن وهب بن منبه، قال: لما حُملت عليه أثقال النبوة، ضاق بها ذراً ولم يصبر، فلقظها من يده وخرج هارباً<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه لما أوعدهم العذاب، فتابوا ورفّع عنهم، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لقومه، عاتياً على ربّه. وقد ذكرنا هذا في [يونس: ٩٨]. والثاني: أنه خرج مغاضباً لربّه، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، والشعبي، وعروة. وقال أبو بكر النقاش: المعنى: مغاضباً من أجل ربّه، وإنما غضب لأجل تمرّدهم وعصيانهم. وقال ابن قتبية: كان مغيظاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتتاً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه.

قوله تعالى: ﴿فَظَنُّوا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وقرأ يعقوب: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بضم الباء وتشديد الدال وفتحها. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وابن أبي ليلى: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بياء مرفوعة مع سكون القاف وتخفيف الدال وفتحها. وقرأ أبو عمران الجوني: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بياء مفتوحة وسكون القاف وكسر الدال خفيفة. وقرأ الزهري، وابن يعمر، وحמיד بن قيس: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بتون مرفوعة وفتح القاف وكسر الدال وتشديدها. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. قال الفراء: معنى الآية: فظن أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبة، والعرب تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر:

ولا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى      تَبَارَكَ مَا تَقْدِيرُ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ<sup>(٢)</sup>

أراد: ما تقدّر، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: فظن أن لن نصيّق عليه، قاله عطاء. قال ابن قتبية: يقال: فلان مُقَدَّرٌ عليه، ومُقَدَّرٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُقَدَّرُ عَلَيْهِ وَيَقْدَرُ﴾ [التجر: ١٦] أي: صيّق عليه فيه. قال النقاش: والمعنى: فظن أن لن يضيّق عليه الخروج، فكأنه ظن أن الله قد وسّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤدّن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوف عن الحسن. وقال ابن زيد، وسليمان التيمي: المعنى: أظنّ أن لن نقدر عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهاماً قد حُذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة، ولا يتصوّر إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظنّ عجزنا، فأين يهرب منا؟

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والأكثر. والثاني: أن حوتاً جاء فابتلع الحوت الذي هو في بطنه، فنادى في ظلمة حوت، ثم في ظلمة حوت، ثم في ظلمة البحر، قاله سالم بن أبي الجعد. والثالث: أنها ظلمة الماء، وظلمة معى السمكة، وظلمة بطنها، قاله ابن السائب. وقد روى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين»<sup>(٣)</sup>. قال الحسن: وهذا اعتراف [من] يونس بذنبه وتوبه من خطيئته.

(١) لعله من الإسرائيليات التي نقلها وهب بن منبه، وقد تقدم أمثال ذلك.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ٩٥٨/٢، «القرطبي» ٣٣٢/١١.

(٣) رواه بهذا اللفظ ابن السني عن أبي يعلى، وفي سننه عمرو بن الحصين، وهو ضعيف جداً، ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه، بلطف «دعوة ذي النون، إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت»: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له، وهو حديث حسن.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: أجبناه ﴿وَقَبَّلْنَاهُ يَنْفَرًا﴾ أي: من الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إذا دعونا. وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: «نُجِّي المؤمنين» بنون واحدة مشددة الجيم؛ قال الزجاج: وهذا لحن لا وجه له، وقال أبو علي الفارسي: غلط الراوي عن عاصم، ويدل على هذا إسماعيل الباء من «نُجِّي» ونصب «المؤمنين»، ولو كان على ما لم يُسم فاعله ما سكن الباء ولرفع «المؤمنين».

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا ولد ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميت. قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقتادة. والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو: البذاء، فأصلحت، قاله عطاء. وقال السدي: كانت سليطة فكف عنه لسانها. والثالث: أنه كان خلقتها سيئاً، قاله محمد بن كعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ﴾ أي: يبادرون في طاعة الله. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: زكريا، وامرأته، ويحيى. والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن محيصن: «ويدعوننا» بنون واحدة. قوله تعالى: ﴿رَبِّهَا رَبِّهَا﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منا. وقرأ الأعشى: «رُغْباً ورُهْباً» بضم الراءين وجزم الغين والهاء، وهما لغتان مثل النخل، والنخل، والسقم، والسقم، «وَكَاثُرًا لَّا خَشْيَةَ» أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَجْعَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مخرج الولد، والمعنى: منعت مما لا يحل. وإنما وُصِفَتْ بالعفاف لأنها قُدِّمَتْ بالزنا. والثاني: أنه جيب درعها. ومعنى الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق، فهو يسمى فرجاً. وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريل، فنفخ في درعها، فأجرنا فيها روح عيسى كما تجري الرياح بالنفخ. وأضاف الروح إليه إضافة الملك، للتشريف والتخصيص ﴿وَجَعَلْنَاهَا نَبِيًّا﴾ قال الزجاج: لما كان شأنها واحداً، كانت الآية فيها آية واحدة، وهي ولادة من غير فحل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عمير: «آيتين» على التثنية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ قال ابن عباس: المراد بالآمة هاهنا: الدين. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، وهو معنى قول مقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء ﷺ، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم ذكر أهل الكتاب، فذمهم بالاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَنَقُصُّوا أَسْمَاءَهُمْ﴾ أي: اختلّفوا في الدين، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: شيئاً من الفرائض وأعمال البر ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾ أي: لا تجحد ما عمل، قاله ابن قتيبة، والمعنى: أنه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَلَنَا لَهُ كَثِيرُونَ﴾ ذلك، نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجازته به.

﴿وَكُفْرًا عَلَىٰ قُرْبَىٰ أَمْلَكْنَاهُمْ لَّا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَاسْتَأْذِنُوا بَلَدًا قَدْ عَصَا عَنْ أَمْرِهِ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ أُولَٰئِكَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرَبَيْهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وحرام» بالالف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَحَرَّمَ» بكسر الحاء من غير ألف، وهما لغتان. يقال: حَرَّمَ وحرام. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «حَرَّمَ» بفتح الحاء وسكون الراء من غير ألف والميم مرفوعة منوثة. وقرأ سعيد بن جبير: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وسكن الراء وفتح الميم من غير تنوين ولا ألف. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة، والضحاك: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء والميم وكسر الراء من غير تنوين ولا ألف. وقرأ سعيد بن المسيب، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وضم الراء ونصب الميم من غير ألف. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ﴾ قولان: أحدهما: واجب، قاله ابن عباس، وأنشدوا في معناه:

فإن حَرَاماً لا أرى الدَفَرَ بَاصِياً عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو<sup>(١)</sup>

أي: واجب. والثاني: أنه بمعنى العزم، قاله سعيد بن جبير. وقال عطاء: حتم من الله. والمراد بالقرية: أهلها. ثم في معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: واجب على قرية أهلكتها أنهم لا يتوبون، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عباس نحوه. والثالث: أن «لا» زائدة، والمعنى: حرام على قرية مهلكة أنهم يرجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج، وابن قتيبة في آخرين. والرابع: أن الكلام متعلق بما قبله، لأنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ﴾ أعلمنا أنه قد حُرِّمَ قبول أعمال الكفار؛ فمعنى الآية: وحرام على قرية أهلكتها أن يُتَقَبَّلَ منهم عمل، لأنهم لا يتوبون، هذا قول الزجاج. فإن قيل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟ فالجواب: أن المعنى: مُنِعُوا من ذلك، كما يُمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن عامر: «فُتِّحَتْ» بالشديد، والمعنى: فُتِحَ الردم عنهم ﴿وَهُمْ بَيْنَ كَيْ حَذْبٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل نثر من الأرض وأكمة ﴿يَسْلُوتُ﴾ من السلان: وهو مقاربة الخطو مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر، والعلَّان مثله. وقال الزجاج: الحَذْبُ: كل أكمة، وَيَسْلُوتُ: يُسْرِعُونَ. وقرأ أبو رجاء المطاردي، وعاصم الجحدري: «يَسْلُونُ» بضم السين. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهور؛ والثاني: إلى جميع الناس؛ فالمعنى: وهم يُحْشَرُونَ إلى الموقف، قاله مجاهد. والأول أصح. فإن قيل: أين جواب «حتى»؟ ففيه قولان: أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾ والواو في قوله تعالى: «واقرب» زائدة، قاله الفراء. قال: ومثله ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ وَلَمْ يَكُن لِّالْجِبِّينَ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]، المعنى: نادينا. وقال عبد الله بن مسعود: الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المتئم، لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً. والثاني: أنه قول محذوف في قوله: ﴿يَكُونُ﴾، فالمعنى: حتى إذا فُتِحَتْ يأجوج ومأجوج واقرب الوعد، قالوا: يا ويلنا. قال الزجاج: هذا قول البصريين. فأما ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فهو القيامة.

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي الجاهلي، كما في «اللسان»: حرم، وهو في «غريب القرآن» ٢٨٨، ونسب للخنساء في «تفسير القرطبي» ١١/٣٤٠، «والبحر المحيط» ٦٦/٣٣٩، و«فروع المغاني» ١٧/٨٤، وفيها جميعاً: ..... بكيت على صخر، ولا يوجد البيت في «ديوانها».

(٢) تقدم الكلام على يأجوج ومأجوج في سورة (الكهف: ٩٤). قال ابن كثير: وهم من سلالة آدم ﷺ، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث، أي أبي الترك، والترك شُرَفة منهم تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين، قال: وقد حكى النووي في «شرح مسلم» عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلف بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء، قال: وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم. وهم إذا خرجوا من السد يعيشون في الأرض فساداً، ويهلكون الحرث والنسل، وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، انظر «تفسير ابن كثير» ٣/١٩٥ - ١٩٧.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ في «هي» أربعة أقوال: أحدها: أن «هي» كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَلَعَيْنِي  
الأقْرَعْنِي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَنْبٍ<sup>(١)</sup>  
فذكر الظعينة، وقد كنى عنها في «العمرو أبيها». والثاني: أن «هي» [ضمير فصل، و] <sup>(٢)</sup> عماد، ويصلح في موضعها «هو»، ومثله قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَلْيَأْتِكُم مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الحج: ٤٦]، وأنشدوا:

بِشَوِّبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدَرَاهِمٍ  
فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَا هُنَا رَأْسُ<sup>(٣)</sup>  
ذكرهما الفراء. والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزة واقفة، يعني: من قريبها، كأنها آتية حاضرة، ثم ابتداء فقال: ﴿شَخْصَةً﴾، ذكره الشعلبي. والرابع: أن «هي» كناية عن القصة، والمعنى: القصة أن أبصارهم شاختة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النسابوري. قال المفسرون: تشخص أبصار الكفار من هول يوم القيامة، ويقولون: ﴿يَوَدُّونَا قَدْ كُنَّا﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظُلُمًا﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا. ثم خاطب أهل مكة فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَن تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعمر بن عبد العزيز: «حَظَب» بالطاء. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وابن السميع: «حَضَب» بالضاد المعجمة المفتوحة. وقرأ عروة، وعكرمة، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «حَضَبُ جَهَنَّمَ» بإسكان الضاد المعجمة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو حيو، ومعاذ القارئ: «حَضَب» بكسر الحاء مع تسكين الضاد المعجمة. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «حَضَب» بفتح الحاء وبضاد غير معجمة ساكنة. قال الزجاج: من قرأ «حَضَبُ جَهَنَّمَ» فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ «حَطَب» فمعناه: ما تؤد به، ومن قرأ بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النار وتذكي به. قال ابن قتيبة: الحَضَب: ما ألقي فيها، وأصله من الحَضْبَاء، وهو: الحصى، يقال: حَصَبْتُ فلاناً: إذا رميته، حَضْباً، بتسكين الصاد، وما رَمَيْتَ به فهو حَضَب، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَرُودُكُمْ﴾ أي: داخلون. ﴿كُلُوا كَاتَ هَتُولًا﴾ يعني: الأصنام ﴿إِلَهِةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهة ما دخلوا النار. والثاني: أنه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النار. والثالث: أنه إشارة إلى الآلهة وعابديها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوَاجٌ﴾ قد شرحنا معنى الزفير في [هود: ١٠٦]. وفي علّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نار، ثم يُغْدَفُون في توابيت من نار مقلدة عليهم، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل. وقال ابن مسعود: إذا بقي في النار مَنْ يَخْلُدُ فيها جُعِلُوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحدهم أن في النار أحداً يعذب غيره<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن السماع أنس، والله لا يحب أن يؤنسهم، قاله عون بن عمارة. والثالث: إنما لم يسمعوا لشدة غلبان جهنم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا يَسْمَعُونَ حَيْثُ هُمْ وَمِمَّنْ مَا أَشْتَهِتْ أَنفُسُهُمْ يَلْعَنُونَ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمُ اللَّاتِيكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يَوْمَ تَطْرَى السَّكَاةُ كُلِّي السَّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُمْ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِّقَوْمٍ يَعِيدُونَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٩٢/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«القرطبي» ٣٤٢/١١، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٢) ما بين المعقفين، زيادة من «روح المعاني».

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ٥٢/١، و«الطبري» ٩٣/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٤) «الطبري» ٩٥/١٧، وذكره السيوطي في «الدرر» وزاد نسبت له عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، والطبراني، والبيهقي في «البعث» من عبد الله بن مسعود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾. سبب نزولها أنه لما نزلت ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شق ذلك على قريش، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابن الزبير، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، قال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: «لا، بل لكل من عبد من دون الله»، فقال ابن الزبير: خصمت ورب هذه البنية، ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيزاً عبد صالح، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزاً، فضج أهل مكة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لأنه لو أراد الملائكة والناس، لقال: «وَمَنْ»، وقيل: «إِنَّ» بمعنى: «إِلَّا»، فتقديره: إلا الذين سبقت لهم منّا الحسنى، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي نهيك، فأيهما قرأ: «إلا الذين». وروي عن علي بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن<sup>(٢)</sup>. وفي المراد «بالحسنى» قولان: أحدهما: الجنة، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: السعادة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنَّا﴾ أي: عن جهنم، وقد تقدم ذكرها «تَعْبُدُونَ» والبعد: طول المسافة، والحسب: الصوت تسمعه من الشيء إذا مرّ قريباً منك. قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيب أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن أبي عبلة، وابن محيصن، وأبو جعفر الشيزري عن الكسائي: «لَا يُخْزِنُهُمُ» بضم الياء وكسر الزاي. وفي الفزع الأكبر أربعة أقوال: أحدها: أنه النفخة الأخيرة، رواه العوفي عن ابن عباس؛ وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم، ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَنُلْقِيهِمُ النَّارَ الْكَلْبَ﴾. والثاني: أنه إطباق النار على أهلها، رواه سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه ذبح الموت بين الجنة والنار، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن جريج. والرابع: أنه حين يؤمر بالعبد إلى النار، قاله الحسن البصري. وفي مكان تلقى الملائكة لهم قولان: أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتل. والثاني: على أبواب الجنة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ فيه إضمار: «يقولون» هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾<sup>(٣)</sup> وقرأ أبو العالية، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر: «نَطْوِي» بقاء مضمومة «السما» بالرفع؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَلَّمَا السَّجَلِ لِلْكَتُبِ﴾ قرأ الجمهور: «السَّجَلِ» بكسر السين والجيم وتشديد اللام. وقرأ الحسن، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، ومحبيب عن أبي عمرو: «السَّجَلِ» بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة. وقرأ أبو السماك كذلك، إلا أنه فتح الجيم.

قوله تعالى: «الكتاب» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «الكتاب». وقرأ حمزة، والكسائي وحفص عن عاصم: «الكتب» على الجمع. وفي السجل أربعة أقوال: أحدها: أنه ملك، قاله علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي. والثاني: أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن السجل

(١) أسباب النزول: للواحدي ١٧٥، والطبري ٩٧/١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٣٨/٤، وزاد نسبه لأبي داود في «ناسخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني من وجه آخر عن ابن عباس. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن الزبير خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقييداً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فكيف يورد على هذا المسح والعزيز وتوحيها ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده؟! وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك، واعتذر عما كان يهاجي به المسلمين أولاً.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» من رواية ابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن مردويه عن النعمان بن بشير.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السموات بيمينه».

(٤) رواء الطبري ١٠٠/١٧، ورواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما، قال ابن كثير ٢٠٠/٣ لا يصح، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان =



بمعنى: الرجل، روى أبو الجوزاء عن ابن عباس، قال: السجل، هو الرجل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: وقد قيل: «السجل» بلغة الحبشة: الرجل. والرابع: أنه الصحيفة. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والفراء، وابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وقرأت على شيخنا أبي منصور، قال: قال أبو بكر، يعني - ابن دريد -: السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألفت إلى قولهم: إنه فارسي معرب، والمعنى: كما يُطوى السجل على ما فيه من كتاب. و«اللام» بمعنى «على». وقال بعض العلماء: المراد بالكتاب: المكتوب، فلما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة، جعل السجل كأنه يطوي الكتاب. ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الخلق هاهنا مصدر، وليس بمعنى المخلوق. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم خفأة غراً غراً، كذلك نعيدهم يوم القيامة؛ روى عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراً خفأة غراً غراً، كذلك نعيدهم يوم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده»<sup>(٢)</sup>؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أن المعنى: إنا نُهلك كل شيء كما كان أول مرة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن السماء تمطر أربعين يوماً كمني الرجال، فينبئون بالمطر في قبورهم، كما ينبئون في بطون أمهاتهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن المعنى: قُدرتنا على الإعادة قُدرتنا على الابتداء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله تعالى: «نعيده» بمعنى: وعدنا هذا وغداً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعل ما نشاء. وقال غيره: إنا كنا فاعلين ما وعدنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الزُّبور جميع الكتب المنزلة من السماء، و«الذِّكر» أم الكتاب الذي عند الله، قاله سعيد بن جبیر في رواية، ومجاهد، وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبیر، فإنه قال: الزُّبور: التوراة والإنجيل والقرآن، والذِّكر: الذي في السماء. والثاني: أن الزُّبور: الكتب، والذِّكر: التوراة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الزُّبور: القرآن، والذِّكر: التوراة والإنجيل، قاله سعيد بن جبیر في رواية. والرابع: أن الزُّبور: زبور داود، والذِّكر: ذِكر موسى، قاله الشعبي. وفي الأرض المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب. وفي قوله تعالى: ﴿يُرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية: ترث أمة محمد أرض الدنيا بالفتوح. والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابن السائب. والثالث: أنه عام في كل صالح، قاله بعض فقهاء المفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَّغْنَا﴾ أي: لكفاية؛ والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغه إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿لَتَقْوِيَّ عِيدِيكُمْ﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلُّون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هذا عام للبرِّ والفاجر، فمن آمن به تمت

= في «سنن أبي داود»، منهم شيخنا الحافظ المزي، قال: وقد تصدَّى ابن جرير للإتكار على هذا الحديث، وردّه أتم ردّه، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكتاب النبي ﷺ معروفاً، وليس فيهم أحد اسمه السجل، قال: وصدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، قال: والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة.

(١) وهو الصواب، كما ذكر ابن كثير.

(٢) رواه البخاري ٢٧٥/٦، ومسلم ٢١٩٤/٤، ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تمشرون إلى الله خفأة غراً غراً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا﴾ إنا كُنَّا فَاعِلِينَ». وفي «الصحيحين»: من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة خفأة غراً غراً، قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٠٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لمائناً، وإنما بعثت رحمة».

له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَقُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ يُعِيدُ مَا تُوْعِدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّكُمْ فَتَنَةُ لُكْرٍ مُّنتَعٍ إِلَيَّ جِئِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِلَقِيٍّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟ قال أهل المعاني: هذا استفهام بمعنى الأمر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: نأبذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوتينا في العلم بذلك، وهذا من الكلام المختصر، قاله ابن قتية. والثاني: أعلمتكم بالوحي إلي لتستروا في الإيمان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ وما أدري ﴿أَقْرَبُ أَمْ يُعِيدُ مَا تُوْعِدُونَ﴾ بنزول العذاب بكم. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ﴾ وهو ما يقولونه للنبي ﷺ: ﴿مَنْ هَذَا الرَّعْدُ﴾ [يس: ٤٨]، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارهم أن العذاب لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ فَتَنَةُ لُكْرٍ﴾ في هاء ﴿لَعَلَّه﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما أذنهم به، قاله الزجاج.

والثاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعل تأخير العذاب عنكم فتنة، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. ومعنى الفتنة

هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَنْعٌ إِلَيَّ جِئِينَ﴾ أي: تستمعون إلى انقضاء آجالكم. ﴿قُلْ رَبِّ﴾ وروى حفص عن عاصم: ﴿قَالَ رَبِّ﴾

﴿أَعْمُرْ﴾ قرأ أبو جعفر: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بضم الباء. وروى زيد عن يعقوب: ﴿رَبِّي﴾ بفتح الباء ﴿أَحْكَمْ﴾ بقطع الهمزة وفتح

الكاف ورفع الميم. ومعنى ﴿أَعْمُرْ بِلَقِيٍّ﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي نزوله حق، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما

بعده من الأيام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق. ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: من

كذبكم وباطلكم<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن عامر، والمفضل عن عاصم: «يصفون» بالياء. فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم

بغير الحق؟ فالجواب: أن المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنه استعجل النصر عليهم.



= روى الدارمي ٩/١ عن أبي صالح مرسلاً قال: كان النبي ﷺ يناديهم يقول: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهلهلة» وقد وصله الحاكم ٣٥/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ووافقه الذهبي.

(١) ذكر ابن كثير ٢٠٢/٣ من رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يتلي به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقتل.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٠٩/١٧: وقوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويجمعهم بينهم، الذي استعنته عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله: ﴿عَلَّ مَلَأَ إِلَّا بَشَرٌ يَنْتَلِسُكُمْ أَتَاوُكُ الْيَحْرُ وَأَنْتُمْ تُبَيِّرُونَ﴾ وقولكم: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُ بِمَوْسَاهٍ﴾ وفي كذبكم على الله جل ثناؤه، وقيلكم: ﴿أَتَعِدُّ الرَّحْمَنُ وَلَكًا﴾، فإنه حين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

## سورة الحج

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضَلَمٍ إِيَّاهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

### فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، والتي تليها [الحج: ١٢، ١٣]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾ إلى آخر الأربع [الحج: ٥٣ - ٥٧]. وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿هَٰذَانِ حَصَنَا﴾ [الحج: ٢٠ - ٢٢]. وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنِيرُ الْمُحْشِينَ﴾ [الحج: ٢٨] وسائرهما مكي. وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ حَصَنَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمُحِيدِ﴾ [الحج: ٢٠ - ٢٥]. وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكيًا، ومدنيًا، وحضريًا، وسفريًا، وحربيًا، وسلميًا، وليلياً، ونهارياً، وناسخاً، ومنسوخاً؛ فأما المكي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليلي، فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاري، فمن رأس خمس [آيات] إلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إلى اثني عشرة. وأما الحضري، فإلى رأس العشرين [منها]، نسب إلى المدينة، لقرب مدته.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: احذروا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور. روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرُّبُّ ﷻ آدم ﷺ: ابعت بعثاً إلى النار، فذكر الحديث<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم، فابعت بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، فحيثما يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وقرأ الآية<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ: قِيَامُهَا، يعني أنها تُقَارِبُ قِيَامَ السَّاعَةِ، وتكون معها. وقال الحسن، والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشراط الساعة، قاله علقمة، والشعبي، وابن جريج. وروى أبو العالية عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قال: ست آيات قبل القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تانثرت النجوم، فبينما هم كذلك

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٣٢، والترمذي ٢/١٤٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الطبري ١٧/١١١، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٤٣٣، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين ﷺ.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ٨/٣٣٥، ومسلم ١/٢٠١ وله بقية عندهما، ورواه الطبري ١٧/١١٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٣٤٤، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) واختار ذلك ابن جرير الطبري وغيره، واحتجوا على ذلك بأحاديث، انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤ - ٢٠٥ عند تفسير هذه الآية، فقد ذكر الأحاديث التي تدل على أن الزلزلة تكون يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور.

إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطير، والوحش، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتىكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور، فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فماتوا<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فزعاً شديداً فيشيب الصغير، وتضع الحوامل.

قوله تعالى: ﴿شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يوصف لعظمه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَزُولُ﴾ يعني الزلزلة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ فيه قولان: أحدهما: تسلو عن ولدها، وتركه، قاله ابن قتبية. والثاني: تُشْغَلُ عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحة:

ويذهل الخليل عن خليله

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبة: ﴿تَذْهَلُ﴾ برفع التاء وكسر الهاء «كل» بنصب اللام. قال الأخفش: وإنما قال: «مرضعة»، لأنه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: «مرضع». قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبل.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الَّذِينَ سُكَّرُوا﴾ وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، «وثرى» بضم التاء ومعنى «يسكاري»: من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّرٍ﴾ من الشراب، والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمرُّ بهم، يضطربون اضطراب السكاران من الشراب. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «سُكَّرُوا» ومعنى «يسكري» وهي قراءة ابن مسعود. قال الفراء: وهو وجه جيد، لأنه بمنزلة الهلكي والجرحى. وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن السميع: «سكاري» وما هم بسكاري، بفتح السين والراء وإثبات الألف، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليل على أن سكرهم من خوف عذابه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث<sup>(٢)</sup>. وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كلما نزل شيء من القرآن كذب به، قاله ابن عباس. والثاني: أنه زعم أن الملائكة بنات الله، قاله مقاتل. والثالث: أنه قال: لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ عَلِرَ﴾ أي: إنما يقوله بإغواء الشيطان، لا بعلم ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ ما يسؤل له ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى «المريد» في سورة النساء: ١١٧.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ «كُتِبَ» بمعنى: قُضِيَ والهاء في «عليه» وفي «تولاه» كناية عن الشيطان. ومعنى الآية: قضى على الشيطان أنه يضلُّ مَن اتَّبَعَهُ. وقرأ أبو عمران الجوني: «كُتِبَ» بفتح الكاف «أنه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسر الهمزة. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلى، والضحاك، وابن يعمر: «إنه» بكسر الهمزة. وقد يثَّنا معنى «السعير» في سورة النساء: ١٠.

﴿يَكَاذِبُ النَّاسُ إِذْ كُتِبَ فِي رَبِّهِ مِنَ الْبَإْسِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نَّارٍ ثُمَّ مِن طُفْلَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ خَلْقٍ لَّيْسَ لَكُمْ فِي الْأَرْصَادِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُّسَمًّى ثَمَّ تَحْرِيكَكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِ وَيُمْسِكُمْ مَّنْ يُؤْذِي إِلَى آذَانِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَنْزِلَ هَايَئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَانْبَسَتْ مِن كُلِّ رُجْحٍ بِهَيْجٍ ۚ ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ وَلِقَؤُكُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْمَوْتِ وَلَقَدْ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فَجَرٌ ۚ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۖ﴾

(١) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٦٣ عند قوله تعالى: ﴿وَرَأَى النَّاسَ انكداراً﴾، وفي سنده الحسين بن واقد. قال الحافظ في «التقریب»: ثقة له أوهام،

وذكره ابن كثير ٤/٤٧٥ من رواية ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للسيوطي ١٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، و«الدر» ٤/٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿فَلْيَاخُذُوا بَازِيًّا﴾ يعني: خَلَقُوا آدمَ ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: خَلَقَ ولده، والمعنى: إن شككتكم في بعثكم فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين الابتداء والإعادة. فأما النطفة، فهي المني. والعلة: دم عبيط جامد. وقيل: سميت علة لرطوبتها وتعلقها بما تمرُّ به، فإذا جفَّت فليست علة. والمضغة: لحمه صغيرة. قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنها بقدر ما يُمضخ، كما قيل: غرفة لقدر ما يُغرف.

قوله تعالى: ﴿مُخَلَّفٌ وَغَيْرُ مُخَلَّفَةٍ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن المخلفة: ما خُلِقَ سوياً، وغير المخلفة: ما ألفته الأرحام من النطف، وهو دم قبل أن يكون خلقاً، قاله ابن مسعود. والثاني: أن المخلفة: ما أكمل خَلْفَهُ بنفخ الروح فيه<sup>(١)</sup>، وهو الذي يولد حياً لتام، وغير المخلفة: ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خَلْفَهُ بنفخ الروح فيه، هذا معنى قول ابن عباس. والثالث: أن المخلفة: المصورة، وغير المخلفة: غير مصورة، قاله الحسن. والرابع: أن المخلفة وغير المخلفة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلة، وتارة قد صُوِّرَ بعضه، وتارة قد صُوِّرَ كله، قاله السدي. والخامس: أن المخلفة: التامة، وغير المخلفة: السقط، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذرّون. والثاني: لنبين لكم في القرآن بُدْوَ خَلْقِكُمْ، وتنقل أحوالكم. والثالث: لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تغليب أحوال خلقكم. والرابع: لنبين لكم أن البعث حق. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبله: ﴿لَنُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِّرُ فِي الْأَشْكَارِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: ﴿وَنُفِّرُ﴾ بياء مرفوعة وفتح القاف ورفع الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو إسحاق السبيعي: ﴿وَنُفِّرُ﴾ بياء مرفوعة ويكسر القاف ونصب الراء. والذي يُفَرُّ في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطاً، ﴿إِنَّ أَجَلَ سَيِّئٍ﴾ وهو أجل الولادة ﴿ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ قال أبو عبيدة: هو في موضع «أطفال»، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] أي: ظهراء، وأنشد:

فَقُلْنَا اسْلِمُوا إِنَّا أَخَوَكُم  
فَدَبَّرْتُ مِنَ الْإِخْنِ الصَّدُورُ<sup>(٢)</sup>  
وأنشد أيضاً:

فِي خَلْقِكُمْ عَظَمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(٣)</sup>

وقال غيره: إنما قال: «طفلاً» فوَحَّدَ، لأن الميم في قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَسْأَلُوا﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نَعْمُرْكم لتبغوا أشدكم، وقد سبق معنى «الأشد» [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوبُ﴾ من قبل بلوغ الأشدَّ ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَوَّلِ الْأُمْرِ﴾ وقد شرحناه في [النحل: ٧٠] ثم إن الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ كَائِدَةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفت فذهبت.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَاخُذُوا بَازِيًّا﴾ يعني: المطر ﴿أَمْتَرَّتْ﴾ أي: تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) البيت للعباس بن مرداس، وهو في «مجاز القرآن» ٧٩/١، ٢٤/٢، والأغاني ٦٢/١٣، والإصابة رقم (٤٥١١)، والاستيعاب ١٠١/٣، والخزانة ٧٣/١، والنسب ١٠١/٢.

(٣) تقدم ٢٩٩، فأنظره هناك.



العقيلي، وأبو مجلز، ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وابن أبي عبيدة، وزيد عن يعقوب: «خاتمة الدنيا» بألف قبل السين، وينصب الراء «والآخرة» بخفض التاء. «يَدْعُوا» هذا المرتد، أي: يعبد «مَا لَا يَضُرُّ» إن لم يعبد «وَلَا يَنْفَعُ» إن أطاعه «ذَلِكَ» الذي فعل «هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» عن الحق «يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ» قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو مَنْ ضره. وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو مَنْ لضره «أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ»، قال: وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون أول الكلام، فقدّمت لتجعل في حقها، قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه. فإن قيل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟ فالجواب: أنه لا نفع من قِبَلِهِ أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: «لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ» قال ابن قتبية: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل.

«مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالنَّبُوءِينَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد، وغطفان، قالوا: إنا نخاف أن لا يُنصَرَ محمدٌ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتسعت، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: «وَيَنْزِلُ السَّمَاءُ مِنَ بَيْتِهِ عَلَى حَرْفٍ». وفي هاء «ينصره» قولان: أحدهما: أنها ترجع على «مَنْ»، والنصر: بمعنى الرزق، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد. قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: مَنْ ينصرني نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الراعي:

بلاد تميم وإنضوي أرض عابر<sup>(٢)</sup>

إذا أدير الشهر الحرام فردعي

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>، فالمعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، رواه التميمي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وبه قال عطاء، وقادة. قال ابن قتبية: وهذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حقنهم على المشركين يستبطلون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتباعه، ويخشون أن لا يتم أمره، فقال هذه الآية للفریقین. ثم في معنى [هذا] النصر قولان: أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

= انقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابه فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر اه. نعوذ بالله من ذلك.

(١) ذكره الطبري ١٢٨/١٧ بدون سند.

(٢) مجاز القرآن ٤٦/٢، والجمهرة ٣٥٩/٢، واللسان والتاج: نصر.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١٢٨/١٧: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك، قول من قال: الهاء من وُكِرَ نبي الله ﷺ ودينه، وذلك أن الله تعالى وُكِرَ، ذكر قوماً يعبدونه على حرف، وأنهم يطمنون بالدين إن أصابوا خيراً في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تعصيمهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخاً لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ﷺ وأمه في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من شئ عطاياء وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه، إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فليظن هل يذهب كيد - اختناقه كذلك - ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب - فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه، لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يجل قبل حينه. اه.

(٤) رواه الطبري ٢٢٦/١٧. وقال ابن كثير بعد أن نقل كلام ابن عباس هذا ورجحه: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غافظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ» الآية. ولهذا قال: «فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» يعني: من شأن محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ﴾ في المراد بالسماء قولان: أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشد حبلاً في سقف بيته، فليختنق به ﴿ثُمَّ يَفْطَحْ﴾ الحبل ليموت مختنقاً، هذا قول الأكثرين. ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسه لا بأنه يفعله، لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم. والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قاله ابن زيد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَیْقَطَعُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر: «ثم لیقطع» [ثم لیقضوا] [الحج: ٢٩] بكسر اللام. زاد ابن عامر «ولیوفوا» [الحج: ٢٩] «ولیطوفوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللام أيضاً. وكسر ابن كثير لام «ثم لیقضوا» فحسب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء [أو] ثم، قال الفراء: من سکن فقد خفف، وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم. قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يُدْرِيكَ كَيْدُ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: هل تُذهبن حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن ﴿أُرْسِلَتْ﴾ يعني: القرآن. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَتَّبِعُهُ﴾ أي: يقضي ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والآخرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَذَلِكَ حَقُّ عَلَيِّهِ الْعِبَادَةُ وَمَنْ مِّنْهُمْ مَّنْ لَا يَفْعَلُ مَا بَيَّنَّا ﴿٤٩﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾  
أي: ألم تعلم. وقد بيَّنا في سورة [النحل: ٤٩] معنى السجود في حق من يعقل، ومن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ الَّذِينَ﴾ يعني: الموحدين الذين يسجدون لله. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلمهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أبى السجود، فحق عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ يُهِنُ اللَّهَ﴾ أي: من يُشَقِّقِهِ الله فما له من مُسْعِدٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ في خلقه من الكرامة والإهانة<sup>(١)</sup>.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمُ الْقَالِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ ﴿١١﴾  
يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ مَقْصِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَبَابَ  
الْكَرْبِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَمَارٌ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في نفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذر<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وقناة. والثالث: أنها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب

(١) «الطبري» ١٧/١٢٦، و«الدر» ٤/٣٤٧.

(٢) قال ابن كثير: أخرج ابن أبي حاتم عن علي عليه السلام أنه قيل له: إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشقة، فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء، أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت، أو حيث شاء؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عنك بالسيوف.

(٣) البخاري ٣٣٧/٨، والطبري ١٣١/١٧، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٤٨/٤ وزاد نيته لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدرر» ٣٤٨/٤.

(٤) «الطبري» ١٣٢/١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٨/٤ وزاد نسته لابن مردويه.



الحسن، وعطاء، ومجاهد<sup>(١)</sup>. والرابع: أنها نزلت في اختصام الجنة والنار، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. فأما قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ﴾ وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن كثير: «هاذان» بتشديد النون «خصمان»، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿أَخْصَصُوا﴾ ولم يقل: اختصما؛ على أنه قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «اختصما». وفي خصوصتهم ثلاثة أقوال: أحدها: في دين ربهم، وهذا على القولين الأولين. والثاني: في البعث، قاله مجاهد. والثالث: أنه خصام مفاخرة، على قول عكرمة. قوله تعالى: ﴿فَطَمَعَتْ لَمْ تَبَأْ﴾ أي: سُويت وجُعِلت لباساً. قال ابن عباس: قُمص من نار. وقال سعيد بن جبير: المراد بالنار هاهنا: النحاس. فأما «الحميم» فهو الماء الحارُّ ﴿يُصْبَرُ بِهِ﴾ قال الفراء: يذاب به، يقال: صهرت الشحم بالنار. قال المفسرون: يذاب بالماء الحارُّ ﴿هِيَ فِي بَطُونِهِمْ﴾ من شحم أو معى حتى يخرج من أديبارهم، وتنضج الجلود فتساقط من حره، ﴿وَكُنْهُمْ مَقْنَعٌ﴾ قال الضحاك: هي المطارق. وقال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها، صُتِرُوا بمقامع فَهَوُوا فيها سبعين خريفاً، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفير لهبها، فلا يستقرون ساعة. قال مقاتل: إذا جاشت جهنم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج، فتتلقاهم خزنة جهنم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها. وقال غيره: إذا دفعتهم النار، ظنوا أنها ستدفعهم خارجاً منها، فتعيدهم الزبانية بمقامع الحديد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكُونُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا وَكَأْسُهُمْ فِيهَا حَمِيرٌ﴾ ﴿وَهُدُوا إِلَى الصِّرَاطِ الَّذِي رِئِيسُ لَهُ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «ولؤلؤ» بالخفض. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «ولؤلؤا» بالنصب. قال أبو علي: من خفض، فالمعنى: يحلّون أساور من ذهب ومن لؤلؤ؛ ومن نصب قال: ويحلّون لؤلؤا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا﴾ أي: أرشدوا في الدنيا ﴿إِلَى الصِّرَاطِ الَّذِي رِئِيسُ لَهُ الْحَمِيدُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله، والحمد لله» قاله ابن عباس. وزاد ابن زيد: «والله أكبر». والثاني: القرآن، قاله السدي. والثالث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حكاه الماوردي. فأما «صِرَاطٌ مُبِينٌ» فقال ابن عباس هو طريق الإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَجَرَّعُوا الْعَذَابَ أَلْوَىٰ جَعَلْنَاهُ لِلْكَافِرِينَ سَوَاءً الْعَذَابُ فِيهِ وَالْبَاءُ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِهِ بِالْحُكْمِ يُظْلَمْ ظُلْمًا بَهِيمًا﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في الإسلام. قال الزجاج: ولفظ «يصدون» لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى «الذين كفروا»: الذين هم كافرون، فكانه قال: إن الكافرين والصّادّين؛ فأما خبر «إن» فمحذوف، فيكون المعنى: إن الذين هذه صفتهم هلكوا. وفي «المسجد الحرام» قولان: أحدهما: جميع الحرم. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: كانوا يرون الحرم كله مسجداً. والثاني: نفس المسجد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلْكَافِرِينَ سَوَاءً﴾ هذا وقف التمام. وفي معناه قولان: أحدهما: جعلناه للناس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعض، هذا على أنه جميع الحرم. والثاني: جعلناه قبلة لصلاتهم، ومنسكاً لحجهم، وهذا على أنه نفس المسجد. وقرأ إبراهيم النخعي، وابن أبي عبيدة، وحفص عن عاصم: «سواء» بالنصب، فيترجى الوقف على «سواء»، وقد وقف بعض القراء كذلك. قال أبو علي الفارسي: أبدل العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء. فأما العاكف: فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «البادي» بالياء، غير أن

(٢) «الطبري» ١٣٢/١٧.

(١) «الطبري» ١٣٢/١٧.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٩/١ عن أبي هريرة ؓ قال: سمعت خليلي ؓ يقول: «تبلى الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

ابن كثير وقف بيباء، وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والمسيبي عن نافع بغير ياء في الحاليتين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن العاكف والبادي يستويان في سكنى مكة والنزول بها، فليس أحدهما أحقّ بالمزول من الآخر، غير أن لا يُخْرَج أحدٌ من بيته، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد؛ ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام، هذا على أن المسجد: الحرم كله. والثاني: أنهما يستويان في تفضيله وحرمة وإقامة المناسك به، هذا قول الحسن، ومجاهد. و[منهم] من أجاز بيع دور مكة، وإليه يذهب الشافعي، وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ﴾ الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد، والباء زائدة، كقوله تعالى: ﴿تَلَيَّتُ بِالَّذِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا:

بِوَادِ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ  
المعنى: وأسفله ينبت المرخ؛ وقال آخر:  
هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ  
وقال آخر:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرِيَابُ الْفُلَجِ  
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

هذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿أَتَرَأَى بِأَسِيرِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ﴿وَمُرْزَىٰ إِلَيْكَ يَجْعَلُ الْخَلَّةَ﴾ [مريم: ٢٤] ﴿وَيَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ [القلم: ٦] ﴿تَلَقَّوْكَ إِلَيْهِمُ بِالْكُرْدَةِ﴾ [المتنعة: ١] ﴿عِنَّا يَتَرَبَّعُ﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزداد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [النار: ٥٧]، وتزداد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِزَيْبِهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والكاف، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و«عن»، كقوله تعالى: ﴿يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]، و«إن»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، و«إن» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ تَكُنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، و«ما»، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِحُّنَّ نَارِيَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و«الواو»، كقوله تعالى: ﴿وَتَكُنَّ لِلنَّارِ وَحِيدَةً﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]. وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلهاد بظلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمدًا، قاله ابن جريج. فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعلها؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه إذا همَّ بذلك في الحرم خاصة، عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً همَّ بخطيئة، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همَّ بقتل مؤمن عند البيت، وهو ب «عَدَنِ آتِينَ»، أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم. وقال الضحاك: إن الرجل ليهمَّ بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة، كما تضاعف الحسنات. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة

(١) البيت للأحول الشكري واسمه يعلى، وهو في «مجاز القرآن» ٤٨/٢، و«الطبري» ٧٢/١٦ و١٣٨/١٧، و«الجمهرة» ٤٥/١، ٤١٤/٣، و«اللسان»: شت، شب، و«الاقتضاب» ص ٥٧، و«القرطبي» ٣٦/١٢، والشت: ضرب من الشجر، والمرخ: شجر كثير الوري سريع، والشبهان: نبت يشبه الشام، أو ضرب من المضاء، والشاهد في البيت زيادة الباء في كلمة «بالمرخ».

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٤/١، و«الجمهرة» ٤١٤/٣، و«الصالح»، و«اللسان»، و«التاج»: سور، و«القرطبي» ١٥٨/١، و«شواهد المغني» ١١٦ و«الخزانة» ٦٦٨/٣.

(٣) البيت لراجز من بني جملة، وهو في «مجاز القرآن» ٥٦/٢، و«الاقتضاب» ص ٤٥٨، و«شواهد المغني» ص ١١٤، و«الخزانة» ١٥٩/٤.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٥١/٤ من رواية سعيد بن منصور، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر عن عمر رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: «احتكار الطعام بمكة إلهاد بظلم».

أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها؛ وقد جاور جابر بن عبد الله، وكان ابن عمر يقيم بها. والثاني: أن معنى: «ومن يرد»: من يعمل. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتَ لِقَائِهِمْ وَالْقَابِلِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ١٢٦ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ١٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَارِ مَقَلَّتِهِمْ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلًا مِنْهَا وَلَطُمُوسًا لِنَاسِ الْفَقِيرِ ١٢٨ ثُمَّ لَيَقْسُوا وَنَحْنُهُمْ وَلَيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرِيقِ ١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس: جعلنا. وقال مقاتل: دللناه عليه. وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن «بؤأنا» في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى «رَدَفْ لَكُمْ» [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. وقد شرحنا كيفية بناء البيت في [البقرة: ١٢٩].

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك<sup>(١)</sup> ﴿وَطَهَّرَ بَيْتَ﴾ حَرَكْ هذه الباء، نافع وحفص عن عاصم. وقد شرحنا الآية في [البقرة: ١٢٥]. وفي المراد بـ «القائمين» قولان: أحدهما: القائمون في الصلاة، قاله عطاء، والجمهور. والثاني: المقيمون بمكة، حكى عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أَدْنُ، وعليَّ البلاغ، فعلا على جبل أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً، فحجُّوه، فاستمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك<sup>(٢)</sup>. والأذان بمعنى النداء والإعلام، والمأمور بهذا الأذان، إبراهيم في قول الجمهور، إلا ما روي عن الحسن أنه قال: المأمور به محمد ﷺ. والناس هاهنا: اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور، إلا ما روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: عنى بالناس أهل القيلة. واعلم أن من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنه قد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداءه. وواحد الرجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاةً. وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجاً ماشيين، وحج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة، والنجائب تُقَاد معه. وحج الإمام أحمد ماشياً مرتين أو ثلاثاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبناً على ضَمْرٍ من طول السفر. قال الفراء: «ويأتين» فعل للنوق. وقال الزجاج: «يأتين» على معنى الإبل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة: «يأتون» بالواو.

قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد. وقد ذكرنا تفسير الفجج عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجَاجًا﴾ [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: ليحضرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: التجارة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيد بن المسيب، والزجاج في آخرين. والثالث: منافع الدارين جميعاً، قاله مجاهد. وهو أصح، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع. وفي الأيام المعلومات ستة أقوال: أحدها: أنها أيام العشر<sup>(٤)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال

(١) قال ابن كثير: هذا فيه تفرع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

(٢) قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف، والله أعلم، قال: وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة. اهـ.

(٣) من المتفق عليه أن الحج جائز ركباً ومشياً، وقد اختلف في الأفضل منهما، فقال بعضهم: المشي أفضل، وقال جمهور الفقهاء: الركوب أفضل، اقتداءً بالنبي ﷺ، ولأنه أعون على القيام بوظائف مناسك الحج، فمن هنا تعلم أن من حج بالطائرة مثلاً، ووجد الراحة، وقام بالمناسك كاملة، أفضل ممن ذهب إلى الحج ماشياً وحصلت له مشقة، فضرر، أو لم يستطع القيام بالمناسك على الوجه الكامل.

(٤) أي عشر ذي الحجة، وقد قال رسول الله ﷺ في فضلها: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» (يعني عشر ذي الحجة) قالوا: =

الحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والشافعي. والثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري. والثالث: يوم الأضحي وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر، ومقسم عن ابن عباس. والرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء الخراساني، والنخعي، والضحاك. والخامس: أنها خمسة أيام، أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والسادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس. وقيل: إنما قال: «معلومات»، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. قال الزجاج: والذكر هاهنا يدل على التسمية على ما يُنحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدّم الواجب لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التشريق، لأن الآية عامة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنهَا﴾ يعني: الأنعام التي تُنحر؛ وهذا أمر إباحة. وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أن ذلك جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدى المتطوع به، فأما دم التمتع والقران، فعندنا<sup>(١)</sup> أنه يجوز أن يأكل منه، وقال الشافعي: لا يجوز<sup>(٢)</sup>، وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: من كل الهدى يؤكل، إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر<sup>(٣)</sup>. فأما «البائس» فهو ذو البؤس، وهو شدة الفقر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْعُنَّهَا نَجَسُهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: حلق الرأس، وأخذ الشارب، ونسف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: مناسك الحج، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر. والثالث: حلق الرأس، قاله مجاهد. والرابع: الشعر والظفر، قاله عكرمة. والقول الأول أصح، لأن الثفت: الوسخ، والقذارة: من طول الشعر والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذها به. والحاج مغتبر شعث لم يدهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالخلق، والقلم، وقص الأظفار، ولبس الثياب، ونحو ذلك، فهذا قضاء نفثه. قال الزجاج: وأهل اللغة لا يعرفون الثفت إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْشُرُوا نُذُورَهُمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «وليبشروا» بتشكين اللام وتشديد الفاء. قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البُدن. وقال غيره: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، فإن الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة، فالأفضل أن يؤدّيها بمكة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْأَلُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا هو الطواف الواجب، لأنه أمر به بعد الذبح، والذبح إنما يكون في يوم النحر، فدل على أنه الطواف المفروض. وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أعتقه من الجابرة. روى عبد الله بن الزبير، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الله البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجابرة، فلم يظهر عليه جبّار قط»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أن معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابن زيد.

١ - يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري في «صحيحه» ٣٨٢/٢، وأبو داود رقم (٢٤٣٨) واللفظ له.

(١) أي: معاصر الحنابلة.

(٢) وكذلك قال الإمام النووي في «الروضة» ١٩١/٣ طبع المكتب الإسلامي، لأنه دم واجب، ولكن الحنابلة - كما ذكر المصنف - أجازوا أن يأكل من هدي التمتع والقران، وهو قول الحنفية بناءً على أصلهم أن دم التمتع والقران، دم نسك، لا دم جبران. وقد صح أن أزواج النبي ﷺ تمتعن معه في حجة الوداع، وأدخلت عائشة ﷺ الحج على العمرة حين حاضت فصارَت قارئة، ثم ذبح ﷺ عنهن البقر فأكلن من لحمها، وثبت أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أمر من كل بدنة بفضة فجعلت في قدر فأكل ﷺ هو وعلي بن أبي طالب ﷺ من لحمها، وشربا من مرقها. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٩٢/٥: والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدى من غير فرق بين ما كان منه تطوعاً وما كان فرضاً، لمعوم قوله تعالى: ﴿تَسْكُلُوا مِنهَا﴾ ولم يفصل.

(٣) في البخاري تعليقاً عن ابن عمر ﷺ: لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر، ويؤكل مما سوى ذلك، قال الحافظ ابن حجر: ووصله ابن أبي شيبة بمعناه.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلًا. قال ابن كثير: وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاريبي =

والثالث: لأنه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة. والرابع: لأنه أعتق من الغرق زمان الطوفان، قاله ابن السائب. وقد تكلمنا في هذه السورة في «البقضاء» و«وليوفوا» و«وليطوفوا».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ فَلَا تَجْنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْآثِمِ وَأَجْنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٢﴾ حَفَاةَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءُ فَتَخَفَتْهُ الْعُقَدُ أَوْ نَهَى يَدَ الرِّيحِ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْكُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمَقِيِّ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيماً لأمر الله. قال الليث: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرمة التفریط فيه.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ﴾ وقد سبق بيانه (المائدة: ١) ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه، يعني [به]: ما ذكر في (المائدة: ٣) من المنخقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرام.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْنِبُوا الرَّجْسَ﴾ أي: دعوه جانباً، قال الزجاج: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في (المائدة: ٩٠). وفي المراد بقول الزور أربعة أقوال: أحدها: شهادة الزور، قاله ابن مسعود. والثاني: الكذب، قاله مجاهد. والثالث: الشرك، قاله أبو مالك. والرابع: أنه قول المشركين في الأنعام: هذا حلال، وهذا حرام، قاله الزجاج، قال: وقوله تعالى: ﴿حَفَاةَ اللَّهِ﴾ منصوب على الحال، وتأويله: مسلمين لا يُسَبِّحُونَ إلى دين غير الإسلام. ثم ضرب الله مثلاً للمشرك، فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَجِيٍّ﴾، والسحيق: البعيد. واختلفوا في قراءة «فتخطفه» فقرأ الجمهور: «فتخطفه» بسكون الخاء من غير تشديد الطاء. وقرأ نافع: بتشديد الطاء. وقرأ أبو المتوكل، ومعاذ القاري: بفتح التاء والحاء وتشديد الطاء ونصب الفاء. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران (الجوني): بكسر التاء والحاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وقرأ الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر الخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يَجُرُّ من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْكُ اللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشعائر في (البقرة: ١٥٨). وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ قبل أن يُسَمِّيَهَا صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ وهو أن تُنَحَّرَ. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهدة مكة، والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعلة ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَّا الْبَيْتِ﴾ يعني: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأنها

عن عبد الله بن صالح به، وقال: إن كان صحيحاً. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٥٧/٤، وزاد نسبه للبخاري في «تاريخه»، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم مَجَّلَ الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَقْنَعِ فَلِلَّهِ كُفْرًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا﴾ وَبَشِّرِ الْمُخْسِرِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَلِلَّذِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ الْمُنْيَىٰ صَلَواتُ رَبِّكَ رَبَّنَا رُفَعْتُمْ بَيْتَهُمْ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. فمن فتح أراد المصدر، من نَسَكَ يَنْسُكُ، ومن كسر أراد مكان النَّسَك كالمجلس والمطعم. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَقْنَعِ﴾، وإنما خص ببيعة الأنعام، لأنها المشروعة في القُرْب. والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ كُفْرًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواء ﴿فَلَهُ أَسْلَمُوا﴾ أي: انقادوا واخضعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في [مود: ٢٣] وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكَ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَّعْتُ جُوفَهَا نَقَرُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحَوْمِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقُرْأَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكَ لِشُكْرِكُمْ اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْسِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر برفع الدال. قال الفراء: يقال: بُذِنَ وبُذْنٌ، والتخفيف أجود وأكثر، لأن كل جمع كان واحده على «فَعْلَةٍ» ثم صُمَّ أول جمعه، خُفِّفَ، مثل أَكَمَةٍ وَأَكْمٌ، وَأَجَمَةٍ وَأَجْمٌ، وَخَشَبَةٍ وَخُشْبٌ. وقال الزجاج: «البُذْن» منصوبة بفعل مضمر يفسره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُذْنَ؛ وإن شئت رفعتها على الاستئناف، والنصب أحسن؛ ويقال: بُذِنَ وبُذْنٌ وبُذْنَةٌ، مثل قولك: ثَمَرٌ وَثَمَرٌ وَثَمَرَةٌ؛ وإنما سُمِّيَتْ بُذْنَةً، لأنها تَبُذَّنُ أي: تسمن. وللمفسرين في البُذْن قولان: أحدهما: أنها الإبل والبقر، قاله عطاء. والثاني: الإبل خاصة، حكاها الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقهاء الأمصار. قال القاضي أبو يعلى: البذنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي ﷺ جعل البذنة عن سبعة والبقرة عن سبعة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادة لله، من سَوَّقِها إلى البيت، وتقليدها، وإشعارها، ونحرها، والإطعام منها، ﴿لَكَ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة، ﴿فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: على نحرها، ﴿صَوَافَّ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة: «صَوَافِن» بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: «صَوَافِي» بالياء. قال الزجاج: «صَوَافَّ» منصوبة على الحال، ولكنها لا تنوِّن لأنها لا تنصرف؛ أي: قد صَفَّت قوائمه، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعر يُنَحَّر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك. ومن قرأ: «صَوَافِن» فالصافن: التي تقوم على ثلاث، والبعر إذا أرادوا نحره، تُعَقَّل إحدى يديه، فهو الصافن، والجميع: صوافن. هذا ومن قرأ: «صَوَافِي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خواص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحداً. ﴿فَإِذَا وَجَّعْتُ جُوفَهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرض، يقال: وَجَّعَ الحائط وَجْجَةً، إذا سقط. وَوَجَّعَ القلب وَجْجِيًّا: إذا تحرك من فزع. واعلم أن نحرها قياماً سُنَّةً، والمراد بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمر بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقرأ الحسن: «وَالْمُعْتَرَّ» بكسر الراء خفيفة. وفيهما ستة أقوال: أحدها: أن القانع: الذي يَسَال، والمعتَر: الذي يتعرَّض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير،

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٩٥٥/٢ عن جابر رضي الله عنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البذنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وفي رواية لأحمد، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ نحضر الأضحية، فذبحنا البقرة عن سبعة، والبعر عن عشرة. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٨٥/٥: ويشهد له ما في «الصحيحين» من حديث رافع بن خديج أنه ﷺ قسم فعذل عشرة من الغنم ببيعير.

واختاره الفراء. والثاني: أن القانع: المتعفف، والمعتر: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ويطلب بك ولا يسأل، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، وهذا مذهب القرظي. فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي. ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده. والرابع: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتز بهم من غير أهل مكة، رواه خفيف عن مجاهد. والخامس: القانع الجار وإن كان غنياً، والمعتر: الذي يعتز بك، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: القانع: المسكين السائل، والمعتر: الصديق الزائر، قاله زيد بن أسلم. قال ابن قتيبة: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنْعاً: إذا سأل، وقَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعترني واعتراني وعَرَاني. وقال الزجاج: مذهب أهل اللغة أن القانع: السائل، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنْعاً: إذا سأل، فهو قانع، قال الشماخ:

لَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاوِرُهُ أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ<sup>(١)</sup>

أي: من السؤال؛ ويقال: قَنَعَ قَنَاعَةً: إذا رضي، وهو قَنِع، والمعتر والمعترى واحد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ نعمة منا عليكم لتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة، ويعقوب: «لَنْ تَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا» بالتاء، ولكن تناله التقوى منكم» بالتاء أيضاً. سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: لن تُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنما يُرفع إليه التقوى؛ وهو ما أُريد به وجهه منكم. فمن قرأ «تناله التقوى» بالتاء، فإنه أنت للفظ التقوى. ومن قرأ: «يناله» بالياء، فلان التقوى والتقى واحد. والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحوم والدماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يتقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نيّة صحيحة.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبق تفسيره [الحج: ٣٧]، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: على ما بيّن لكم وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني: الموحدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَثِيرٍ﴾ (٣٨) ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُنْتَظَرُونَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا وَلَٰنَ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُوتَ صَوْمِعٌ وَبِيعٌ وَصَلَوْتُ وَاسْتَجِدْتُ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَظِيمُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف، وهذا على مصدر «دفع». وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إن الله يدافع» بalf «ولولا دفع» بغير ألف، وهذا على مصدر «دافع»، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حربه. وال «خَوَّان» فقال من الخيانة، والمعنى: أن من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بديهيته، فهو خَوَّان.

قوله تعالى: ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُنْتَظَرُونَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أُوذِنَ» بفتح الألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «أُوذِنَ» بضمها.

(١) «مجاز القرآن» ٥١/٢، «الطبري» ١٦٨/١٧، «القرظي» ٦٤/١٢، «واللسان»: قنع.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٦٣/٤ من رواية ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.



قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يَقْتُلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر التاء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بفتحها. قال ابن عباس: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم ناس خرجوا من مكة مهاجرين، فأدركهم كفار قريش، فأذن لهم في قتالهم. قال الزجاج: معنى الآية: أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا. «يَأْتِيَهُمْ ظُلُمًا» أي: بسبب ما ظلموا. ثم وعدهم النصر بقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِ لَلْقَدِيرُ﴾ ولا يجوز أن تقرأ بفتح «إن» هذه من غير خلاف بين أهل اللغة، لأن «إن» إذ كانت معها اللام، لم تفتح أبداً. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ معناه: أخرجوا للتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ قد فسرناه في [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿لَهَيْمُنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: «لَهَيْمُنَا» خفيفة، والباقون بتشديد الدال. فأما الصوامع، ففيها قولان: أحدهما: أنها صوامع الرهبان، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنها صوامع الصابئين، قاله قتادة، وابن قتيبة. فأما البيع، فهي جمع بيعة، وهي بيع النصارى. وفي المراد بالصلوات قولان: أحدهما: مواضع الصلوات. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كنائس اليهود، قاله قتادة، والضحاك، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: قوله: ﴿وَصَلُّوا﴾ هي كنائس اليهود، وهي بالعبرانية «صلوتا». والثاني: أنها مساجد الصابئين، قاله أبو العالية. والقول الثاني: أنها الصلوات حقيقة، والمعنى: لولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصلوات في المساجد، قاله ابن زيد. فأما المساجد، فقال ابن عباس: هي مساجد المسلمين. وقال الزجاج: معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنايس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد. وفي قوله: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن الكناية ترجع إلى جميع الأماكن المذكورة، قاله الضحاك. والثاني: إلى المساجد خاصة، لأن جميع المواضع المذكورة، الغالب فيها الشرك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَسْمُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَشْرُؤُهُ﴾ أي: من ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: هذه صفة ناصريه. قال المفسرون: التمكين في الأرض: فصرتهم على عداوتهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشرك. قال الأكثرون: وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ. وقال القرطبي: هم الولاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَصَيْتُمُ الْأَمْرَ﴾ أي: إليه مرجعها، لأن كل ملك يتنزل سوى ملكه.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ مَا يَلْفِظُونَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ يُظَاهَوْنَ وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَلْمَتْهُ لِكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مَعَطَّلَةٌ وَفِمْرٍ مَشِيدٍ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أي: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبت الباء في «نكير» يعقوب [في الحالين]، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف [أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك]؟ والمعنى: [إن] أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استظهار معناه التقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ قرأ أبو عمرو: «أهْلَكْنَاهَا» بالتاء، والباقون: «أهْلَكْنَاهَا» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَيَبْنَؤُا مَعَطَّلَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، [وعاصم]، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ويشرو» مهموز. وروى ورش عن نافع بغير همز، والمتعنى: أوكم بشر معطلة، أي: متبركة ﴿وَفِمْرٍ مَشِيدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال الزجاج: أصل الشيد: الجص والثورة، وكل ما بني بهما

(١) «أسباب النزول» للواحدي صفحة ١٧٧ بدون سند، وذكره كثير من المفسرين هكذا بدون سند. وذكره ابن كثير في «البلدية والنهاية» ١٦٤/٣ في بيعة العبة الثانية من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.



أو بأحدهما فهو مشيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك، ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضاً ليس فيه ساكن.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آفَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ١١﴾ وَاسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٢﴾ وَكَأَن مِّن قَرِيبٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَّكُمْ أَخَذْنَا مِنَ الْمَعْيَرِ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قال المفسرون: أفلم يسير قومك في أرض اليمن والشام ﴿فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ آفَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ قال الفراء: الهاء في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾ عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم. وأما قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فهو تأكيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر. ومثله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿يَقُولُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي. وقال غيره: هو قولهم له: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ أَي: من أيام الآخرة﴾ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿من أيام الدنيا﴾. قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تَعُدُّونَ» بالتاء. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «يَعُدُّونَ» بالياء. فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: ﴿وإن يوماً عند ربك؟﴾ فعنه جوابان. أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كَأَلْفِ سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء. والثاني: وإن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيرها في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج.

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٤﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَفَعَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ تَغْفِيرٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَالِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به [الرزق] الحسن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَالِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مُعْجِزِينَ» بغير ألف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مُعَاجِزِينَ» بآلف. قال الزجاج: «مُعَاجِزِينَ» أي: طائفتهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يعثون وأنه لا جنة ولا نار. قال: وقيل في التفسير: مُعَاجِزِينَ: معاذين، وليس هو بخارج عن القول الأول، و«مُعْجِزِينَ» تأويلها: أنهم كانوا يعجزون من اتبع النبي ﷺ وبسطونهم عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّا مَعَهُ الْقِيَامَ فِي أَشْيَائِهِمْ يَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْحِكُمْ اللَّهُ مَائِدَتِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ١٧﴾ لِيَجْزَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَنَسْخَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَاسٍ ﴿١٨﴾ وَلَعَلَّمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه سورة (النجم) قرأها حتى بلغ قوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ الْكُتُبَ وَالْفُرْقَانَ﴾ وَنُورَ الْقَائِلَةِ الْآخِرَةِ ﴿٢١﴾ فالتقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترجي؛ فلما سمعت قریش بذلك فرحوا، فاتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوث على الناس ما لم آت بك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، فنزلت هذه الآية تطيباً لقلبه، وإعلاماً له أن

الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا. قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح<sup>(١)</sup>، لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]. قال: وفي معنى «تمنى» قولان: أحدهما: تلا، قاله الأكثرون<sup>(٢)</sup>، وأنشدوا:

تَمَنَّى كِتَابَ اللّٰهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ      وَآخِرَهُ لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِيرِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللّٰهِ آخِرَ لَيْلِهِ      تَمَنَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِشْلِ<sup>(٤)</sup>  
والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله ﷺ تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فالتقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ أي: يُبْطِلُهُ وَيُذْهِبُهُ ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ قال مقاتل: يُحْكِمُهَا مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ﴾ اللام متعلقة بقوله: «اللقى الشيطان» والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشك والتناق. ﴿وَالْقَائِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم، والشقاق: غاية العداوة.  
قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الْإِنسَانُ أَنَّهُ مُدْبِرٌ أَوْ مُرْتَدٌّ﴾ وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي: التصديق بنسخ الله.

(١) قال ابن كثير ٢٢٩/٣: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق، ولكننا من طرق مرسل، ولم أرها مستندة من وجه صحيح، والله أعلم، وسرد ابن كثير بعض الروايات في هذه القصة، ثم قال في آخرها: وكلها مراسلات، ومقطعات والله أعلم. اهـ. والحق أن روايات هذه القصة معلة بالإرسال والضعف والجهالة، وليس فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج، بل فيها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذكر في معظمها أن الشيطان تكلم على لسان رسول الله ﷺ بما فيه مدح لأصنام المشركين بهذه الجملة الباطلة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» وكيف يكون مثل ذلك مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ؟ وذلك مما يدل على عدم صحة مثل هذه الروايات سنداً ومتناً. ومن تكلم من العلماء على هذه القصة وبين بطلانها بكلام طويل، القاضي أبي بكر ابن العربي، والقاضي عياض، والشوكاني، والألوسي، وغيرهم.

(٢) قال الإمام ابن القيم في «إغاثة اللهافت» ٩٣/١ في فصل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن - بعد أن عدّد وجوهاً -: ومنها أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، ثم قال: والسلف كلهم على أن المعنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، ثم قال: فإذا كان هذا فعلة مع الرسل ﷺ، فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة، ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخطئ عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة، لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه. اهـ. وقال الإمام ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٧/١٩٠ بعد ما ذكر عن الضحاك أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسُخُّ﴾: التلاوة والقراءة: وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ على ذلك، لأن الآية التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه، فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾، يقول تعالى: فَيُذْهِبُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ من ذلك على لسان نبيه وبطله. اهـ.

فهذا هو المعنى المراد من الآية الكريمة، وليس فيها إلا أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ للقرآن ما يفتن به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أعداء الإسلام ما فتتوا دائماً يفسون في هذا الدين ما ليس منه، وما لم يقله رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، فيذكرون ما لا يليق بمنصب النبوة ومقام الرسالة، كما فعلوا في كثير من الآيات الواردة في غير نبينا محمد ﷺ، كيوسف، وأيوب، وداود، وسليمان، فيذكرون في تفسيرها من الإسرافيات التي لا يجوز نسبتها لأحد الناس، فضلاً عن نبي مرسل، أو رسول مقدم، فليتبني المسلمون لذلك، وليأخذوا التفسير من العلماء المحققين حتى لا يرموا الأنبياء والمرسلين فيما هم منه معصومون.

(٣) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والنجاح»: مني.

(٤) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والنجاح»: مني.

(٥) هذه الرواية من جملة الروايات التي تكلم عليها العلماء المحققون، وبينوا بطلانها، وأنه لا يجوز نسبتها إلى أحد الناس، فضلاً عن رسول الله ﷺ المعصوم. وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: تأملوا فتح الله أخلاق النظر عنكم إلى قول الرواة - الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام أكثر ممن صرح بعداوتهم - إن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الوحي، فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ أثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأنس وحشته، وغاية أمنيته، وكان رسول الله ﷺ أجود الناس، فإذا جاءه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، أن يؤثر على هذا مجالسته للأعداء؟!

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَآتَىٰ﴾ إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ﴿فَيُؤْمَرُوا﴾ بالنسخ ﴿فَتُخَيَّرَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذل. ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبار إنما هو بلطف الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتَهِ﴾ أي: في شك. وفي هاء «منه» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى قوله: تلك الغرائيق العلى<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة (النجم). والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر كهنتا ثم رجع عن ذكرها؟ والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريج. والرابع: أنها ترجع إلى الذين، حكاه الثعلبي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّلَاطَةُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن. والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا:

عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ      إِنْ النِّسَاءَ بِمَثَلِ عُقْمِ<sup>(٣)</sup>

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير. فعلى قول من قال: هو يوم بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك. والثاني: لأنهم لم يُنظَرُوا فيه إلى الليل، بل قُتِلُوا قبل المساء، قاله ابن جريج. والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام. وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة. والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

﴿الْمَلَأَ يَوْمَئِذٍ لَّهُ بِكُمْ يَوْمَئِذٍ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّبِيِّينَ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَزَائِرُ الرَّزْقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ فِيهِمْ مَدْخَلًا رَّضَوْنَهُ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَلَأَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّهُ﴾ من غير منازع ولا مدع ﴿بِكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: من مكة إلى المدينة. وفي الرزق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ وقرأ ابن عامر: «قُتِلُوا» بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا﴾ [وقرأ نافع بفتح الميم] «رَضَوْنَهُ» يعني: الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: ليدخلهم إدخالاً يكرمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. و«مَدْخَلًا» بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مَدْخَلًا. ﴿وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ ببنائهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِفَ إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهُ

(١) مضى الكلام على قصة الغرائيق قبل قليل، وأنها باطلة.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٢/١٧: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته، وذلك أن ذلك من ذكر قوله: ﴿وَلَمَّا أَوَّلَ اللَّهُ أَمْرَهُ أَثَبَّ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أقرب منه من ذكر قوله: ﴿فَنَسَخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ والهاء من قوله: «إنه» من ذكر القرآن، فالحاق الهاء في قوله: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتَهِ﴾ بالهاء من قوله: ﴿إِنَّهُ لَآتَىٰ﴾ يَوْمَئِذٍ يَنْتَهِ. أولى من إلحاقها بـ «ما» التي في قوله: ﴿فَنَاسَخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ مع بعد ما بينهما. اهـ.

(٣) «اللسان»، و«التاج»: عقم.



تأكلون ما قتله الله<sup>(١)</sup>؟ يعنون: الميتة. فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: «فلا يَنَازِعَنَّكَ في الأمر»؟ فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلُكَ فلان، فهو بمنزلة: لا تجادلُهُ، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربُكَ فلان وأنت تريد: لا تضربه، [ولكن] لو قلت: لا يضاربُكَ فلان، لكان كقولك: لا تضارِبُ، ويدل على هذا الجواب قوله: «وإن جَدَلُوكَ»

قوله تعالى: «وَأَنذِرْ إِلَىٰ رَبِّكَ» أي: إلى دينه والإيمان به<sup>(٢)</sup>. و«جادلوك» بمعنى: خاصموك في أمر الذبائح، «فَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا تَعْمَلُونَ» من التكذيب، فهو يجازيكم به. «اللَّهُ يَخْلُقُكُمْ يَتَنَزَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: يقضي بينكم «فَمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من الدين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون؛ وهذا أدب حسن علمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت، ولا يجيبوه، ولا يناظروه.

### فصل

قال أكثر المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف. وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم، ثم يجادلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت ذلك، «إِنَّ ذَلِكَ» يعني ما يجري في السموات والأرض «فِي كِتَابٍ» يعني: اللوح المحفوظ<sup>(٣)</sup>، «إِنَّ ذَلِكَ» أي: علم الله بجميع ذلك «عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ» سهل لا يتعدى عليه العلم به.

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَرِ يَرْزُلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ فِي وُجُوهِهِ الْآلِثَاتِ كَكَرُوا الشُّكْرَ بِكَادُوتِ يَسْطُورُ بِالْآلِثَاتِ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تَسِرُّونَ ذَلِكُمْ أَلَا تَأْتِيكُمْ بَشِيرٌ مِّن ذَلِكُمْ الْآثَارِ وَعَدًا اللَّهُ الْآلِثَاتِ كَكَرُوا وَبَشِيرٌ مِّن ذَلِكُمْ الْآثَارِ

قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ» يعني: كفار مكة «مَا لَرِ يَرْزُلُ بِهِ سُلْطَانًا» أي: حجة «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» أنه آله، «وَمَا لِلظَّالِمِينَ» يعني: المشركين «وَمِن نَّصِيرٍ» أي: مانع من العذاب. «وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» يعني القرآن؛ والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبس الوجوه، معروف عندهم. «بِكَادُوتِ يَسْطُورُ» أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. «قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّد: أَفَأَنْتُمْ تَسِرُّونَ ذَلِكُمْ» أي: بأشد عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: «الْآثَارِ» أي: هو النار.

«يَكَايِبُهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ قَانَسِيْعَمُو لَهُ إِنَّكَ الْآلِثَاتِ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ مَنَعَكَ الْظُلُمُ وَالظُّلُومُ» مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

قوله تعالى: «يَكَايِبُهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ» قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما

(١) رواء الطبري بنحو ١٦/٨، ١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٢/٣، في سورة [الأنعام: ١٢٢] عند قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَ بِغَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُمُ الشَّيْءَ» الآية. وقد تقدم نحو ذلك ٤٦٥.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٩/١٧: يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بالأكل إلا ما ذبحوه بعد اتباعك، وبعد التصديق بما جتهد به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان، وتبرؤوا منها، إنك لعل طريق مستقيم، غير زائل عن محبة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال عن قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعهم وعبادتهم الآلهة.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٤٤/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: - وعرشه على الماء.

المعنى: يا أيها الناس ضُرب لي مَثَل، أي: شَبَّت بي الأوثان ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ لهذا المثل. وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها معي فاستمعوا حالها؛ ثم بَيَّن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ نَجَعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وابن أبي عبة: «يدعون» بالياء المفتوحة. وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء وعاصم الجحدري: «يُدْعُونَ» بضم الياء وفتح العين، يعني: الأصنام، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ والذباب واحد، والجمع القليل: أذِبَّة، والكثير: الذَّبَاب، مثل: غُرَاب وأُغْرِبَة وغُرْبَان؛ وقيل: إنما خص الذَّبَاب لمهائته واستقداره وكثرته. ﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا﴾ يعني: الأصنام ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ أي: لخلقها، ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمْ﴾ يعني: الأصنام؛ قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعران فيجف، فيأتي الذباب فيختلسه. وقال ابن جريج: كانوا إذا طَيَّبُوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيء من الحلواء، كالعسل ونحوه، فيقع عليها الذباب فيسلبها إياه، فلا تستطيع الآلهة ولا مَنْ عَبدَها أن يمنعه ذلك. وقال السدي: كانوا يجعلون للآلهة طعاماً، فيقع الذباب عليه فيأكل منه. قال ثعلب: وإنما قال: ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾ فجعل أفعال الآلهة كأفعال آدميين، إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتُخاطَب، كقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّسْلُ ادْعُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقد بيَّنا هذا المعنى في [الأعراف: ١٩١] عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْلُقْ﴾

قوله تعالى: ﴿مُضَعَّفَ الطَّلَبِ وَالطَّلُوبِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: الطالب: الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم، والمطلوب: الصنم يطلب الذباب منه سَلَب ما عليه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الطالب: عابد الصنم يطلب التقرب بعبادته، والمطلوب: الصنم، هذا معنى قول الضحاک، والسدي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يقهر ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يرام.  
﴿اللَّهُ يَصْطَلِي بِكَ أَلَمَتِكِ رُشْلًا وَمَنْ أَلَتَيْنِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ أُمُورُ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي بِكَ أَلَمَتِكِ رُشْلًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ﴿وَمَنْ أَلَتَيْنِ﴾ الأنبياء المرسلين، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالة العباد «بَصِيرٌ» بمن يتخذة رسولاً. وزعم مقاتل أن هذه الآية نزلت حين قالوا: ﴿أَمْرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الإشارة إلى الذين اصطفاهم؛ وقد بيَّنا معنى ذلك في آية الكرسي [البقرة: ٢٥٥].

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَبُوا وَاسْعُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ هُوَ سَخَّرَ لَكُمْ أَنْهَارَ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَةً عَلَى النَّاسِ فَاغْلِبُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾  
قوله تعالى: ﴿أَرْكَبُوا وَاسْعُدُوا﴾ قال المفسرون: المراد صلوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: واخلوه ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ يريد: أبواب المعروف ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

(١) قال ابن جرير الطبري ٢٠٣/١٧: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب، وهو الآلهة، أن تستقد من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.  
قال: وإنما قلت: هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فإن يكون ذلك خبراً عما هو به متصل، أشبه من أن يكون خبراً عما هو به منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريباً منه بذلك عَبدَها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل لي مثل في العبادة، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه، لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض، ومالك جميع ذلك، والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت؟! إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

## فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من (الحج) واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وعمار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس، أنهم قالوا: في (الحج) سجدتان، وقالوا: فضلت هذه السجدة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي رحمه الله. وروي عن ابن عباس أنه قال: في (الحج) سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم، وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك؛ ويدل على الأول ما روى عقبه بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفى (الحج) سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما<sup>(١)</sup>.

## فصل

واختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة. وبه قال الشافعي. والثانية: أنها خمس عشرة، فزاد سجدة [ص: ٢٤]. وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر (الحج) وأبدل منها سجدة [ص: ٢٤].

## فصل

وسجود التلاوة سنة، وقال أبو حنيفة: واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام، خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزئ الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزئ. ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد رحمه الله. وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافاً للشافعي. قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحاك. والثالث: أنه جهاد النفس والهوى، قاله عبد الله بن المبارك. فأما حق الجهاد، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجد في المجاهدة، واستيفاء الإمكان فيها. والثاني: أنه إخلاص النية لله تعالى. والثالث: أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله تعالى.

## فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها على قولين: أحدهما: قوله: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. والثاني: قوله: ﴿تَاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مَأْسُومٌ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال آخرون: بل هي مُحْكَمَةٌ، ويؤكد القولان الأولان في تفسير حق الجهاد، وهو الأصح، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. قوله تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه. والحرَج: الضيق، فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجاً بتوبة أو كفارة أو انتقال إلى رخصة ونحو ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ أَيُّكُمْ﴾ قال الفراء: المعنى: وسع عليكم كملة أبيكم، فإذا أقيمت الكاف نصبت، ويجوز النصب على معنى الأمر بها، لأن أول الكلام أمر وهو قوله: ﴿أَزْكُرُوا وَاسْجُدُوا﴾ والزموا ملأه أبيكم. فإن قيل: هذا

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الله بن لهيعة به، وقال الترمذي: ليس بقوي. قال ابن كثير: وفي هذا نظر، فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع، وأكثر ما تقدموا عليه تدليس، ثم قال ابن كثير: وقد رواه أبو داود في «المراسيل» عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين»، ثم قال أبو داود: وقد أسند هذا، يعني من غير هذا الوجه، ولا يصح. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثني ابن أبي داود، حدثنا يزيد بن عبد الله، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا حفص بن غياث، حدثني نافع، قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية، وقال: إن هذه فضلت بسجدتين، قال: وروى أبو داود، وابن ماجه، من حديث الحارث بن سعيد العنقي عن عبد الله بن مثنى عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان، قال ابن كثير: فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً.

الخطاب للمسلمين، وليس إبراهيم أباً لكلّهم. فالجواب: أنه إن كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالآب لهم، لأن حرمة وحقه عليهم كحق الوالد، وإن كان خطاباً للعرب خاصة، فإبراهيم أبو العرب قاطبة، هذا قول المفسرين. والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله ﷺ، لأن إبراهيم أبوه، وأمة رسول الله ﷺ داخله فيما خوطب به رسول الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَنُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ اللَّهُ ﷻ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْجُمْهُورُ؛ فَعَلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَنْ قَدْ﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مِنْ قَبْلِ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ سَمَّاكُمْ بِهَذَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا. وَالثَّانِي: مِنْ قَبْلِ أَيٍّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِي هَذَا﴾ أَيٍّ: فِي الْقُرْآنِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ قَالَ: ﴿وَيَنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ فَالْمَعْنَى: مِنْ قَبْلِ هَذَا الْوَقْتِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ حِينَ قَالَ: ﴿وَيَنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمَةٌ﴾، هَذَا قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ الرَّسُولُ﴾ الْمَعْنَى: اجْتِبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ لِيَكُونَ الرَّسُولُ، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ؛ وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي [البقرة: ١٤٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَتَاوَا أَرْكَوَّةَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَلُّوهُ أَنْ يَعْصِمَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُسْخِطُ وَيُكْرَهُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>. وما بعد هذا مشروح في [الأنفال: ٤٠].



(١). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ أَيٍّ: اعْتَصِدُوا بِاللهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَتَأَيَّدُوا بِهِ، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أَيٍّ: حَافِظُكُمْ، وَنَاصِرُكُمْ، وَمُظَفِّرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، ﴿يَوْمَ الْقَوْلِ وَنَصْرَ الْكَافِرِ﴾ يَعْنِي: نَعَمَ الْوَلِيَّ وَنَعَمَ النَّاصِرَ مِنَ الْأَعْدَاءِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْقَوْلِ وَنَصْرَ الْكَافِرِ﴾: فَنَعَمَ الْوَلِيَّ اللهُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَأَتَى الزَّكَاةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَنَعَمَ النَّصِيرَ، يَقُولُ: وَنَعَمَ النَّاصِرَ هُوَ لَهُ عَلَى مَنْ بَغَاهُ بِسُوءٍ.



## سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُهمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

سورة المؤمنون مكية في قول الجميع.

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾» إلى عشر آيات، رواه الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك»<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: «قد» هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال، لأن «قد» تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها، فيكون معنى الآية: إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «قد أفلح» بضم الألف وكسر اللام وفتح الحاء، على ما لم يُسمِّ فاعله. قال الزجاج: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير. ومن قرأ: «قد أفلح» بضم الألف، كان معناه قد أصبحوا إلى الفلاح. وأصل الخشوع في اللغة: الخضوع والتواضع. وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود. روى أبو هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فنكس رأسه<sup>(٣)</sup>. وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار، وقتادة، والثاني: أنه ترك الالتفات في الصلاة، وأن تلين كنفك للرجل المسلم، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد، وإبراهيم، والزهري. والرابع: أنه الخوف، قاله الحسن. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الشُّرك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الباطل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: المعاصي، قاله الحسن. والرابع: الكذب، قاله السدي. والخامس: الشتم والأذى الذي كانوا يسمعون من الكفار، قاله مقاتل. قال الزجاج: واللغو: كل لعب ولهو، وكل معصية فهي مطَّرحَة مُلغاة. فالمعنى: شغلهم الجِدُّ فيما أمرهم الله به عن اللغو.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه الحاكم ٣٩٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: سئل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا وهو يونس بن سليم فقال: أظنه لا شيء، والحديث رواه أحمد في «المسند»، والترمذي في «الخصير» ١٤٦/٢، والنسائي، وهو ضعيف، لأن في سنده عندهم، يونس بن سليم، هو مجهول. وقد ذكر هذا الحديث السيوطي في «الدرر» ٢/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والعقيلي، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن كثير ٢٣٨/٣ من رواية البزار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، قال ابن كثير: ثم قال البزار: لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وهو شيخ متقدم الموت.

(٣) رواه الحاكم ٣٩٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح لولا خلاف فيه على محمد (يعني محمد بن سيرين) فقد قيل عنه مرسلًا، ولم يخرجاه. وتعبه الذهبي فقال: الصحيح أنه مرسل، ورواه ابن جرير الطبري ٢/١٨ عن محمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح مرسلًا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَزْكُرُوا الْقَيْلُونَ﴾ أي: مؤذون، فعبر عن التأدية بالفعل، لأنه فعل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال الفراء: «على» بمعنى «من». وقال الزجاج: المعنى: أنهم يلامون في إطلاق ما حُظر عليهم وأمروا بحفظه، إلا على أزواجهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فإنهم لا يلامون<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ﴾ أي: طلب ﴿وَرَكَّةَ ذَلِكَ﴾ أي: سوى الأزواج والمملوكات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ يعني الجائرين الظالمين، لأنهم قد تجاوزوا إلى ما لا يحل، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير: «لأمانتهم» وهو اسم جنس، والمعنى: للأمانات التي ائتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربّه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل. وكذلك العهد. ومعنى ﴿رَعُونَ﴾: حافظون. قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «صلواتهم» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي: «صلاتهم» على التوحيد، وهو اسم جنس. والمحافظة على الصلوات: أداؤها في أوقاتها.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ذكر السدي عن أشياخه أن الله تعالى يرفع للكفار الجنة، فينظرون إلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تقسم بين المؤمنين فيروثونهم، فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣] عند قوله: ﴿أُورِثُوهُمْ﴾، وشرحنا معنى الفردوس في [الكهف: ١٠٧].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَقِيْنَهُ ﴿١٠﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ الْيَمَةِ يَتِيمَتَهُ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه آدم عليه السلام. وإنما قيل: «من سُلالة» لأنه استل من كل الأرض، هذا مذهب سلمان الفارسي، وابن عباس في رواية، وقتادة. والثاني: أنه ابن آدم، والسُّلالة: النطفة استلّت من الطين، والطين: آدم عليه السلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والسُّلالة: فُعالة، وهي القليل مما يُنسل، وكل مبنّي على «فُعالة» يراد به القليل، من ذلك: الفُضالة، والنُّخالة، والقُلّامة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ يعني: ابن آدم ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ﴾ وهو الرِّجَم ﴿مَكِينٍ﴾ أي: حريز، قد هُيئ لاستقراره فيه. وقد شرحنا في سورة [الحج: ٥] معنى النطفة والعلقة والمُضغة.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ﴾ على الجمع. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهذه الحالة السابعة. قال علي عليه السلام: لا تكون مؤودة حتى تمرّ على التارات السبع. وفي محل هذا الإنشاء قولان: أحدهما: أنه بطن الأم. ثم في صفة الإنشاء قولان: أحدهما: أنه نفخ الروح فيه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنه جعله ذكراً أو أنثى، قاله الحسن. والقول الثاني: أنه عد خروجه من بطن أمه. ثم في صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال: أحدها: أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهلّ، ثم دُلّ على الثدي، وعُلّم كيف ييسط رجله إلى أن قعد، إلى أن قام على رجله، إلى أن مشى، إلى أن قطم، إلى أن بلغ الحُلُم، إلى أن تقلّب في البلاد، رواه العوفي عن ابن

(١) قال ابن كثير ٢٣٩/٣: وقد استدلل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو: «لأمانتهم» وهو اسم جنس، والمعنى: للأمانات التي ائتمنوا عليها، فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربّه، وتارة تكون بينه وبين جنسه، فعليه مراعاة الكل. وكذلك العهد. ومعنى ﴿رَعُونَ﴾: حافظون. قال الزجاج: وأصل الرعي في اللغة: القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين، لأنه خلق منه.

عباس. والثاني: أنه استواء الشباب، قاله ابن عمر، ومجاهد. والثالث: أنه خروج الأسنان والشعر، قاله الضحاك، قليل له: ليس يولد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟ والرابع: أنه إعطاء العقل والفهم، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: استحق التعظيم والثناء. وقد شرحنا معنى «تبارك» في [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة: التقدير. وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «لقد خُتِمَ بما تكلمت به يا ابن الخطاب»<sup>(١)</sup>. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

[وَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ] وَغَـ  
خُضَّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي<sup>(٢)</sup>

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصورون ويقدرّون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين. وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّنْكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لَيَسْتَوْنَ﴾ عند انقضاء آجالكم. وقرأ أبو رزين العقيلي، وعكرمة، وابن أبي عبيدة: «لمستون» بألف. قال الفراء: والعرب تقول لمن لم يمت: إنك مانت عن قليل، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مانت، إنما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيّد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه يسودهم عن قليل، قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل، وهذا الباب كلّ في العربية على ما وصفت لك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَتْ عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ يَمُوتُونَ ﴿١٧﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةً كُبَيْرَةً ﴿١٨﴾ وَمَنَاجِرَ تَنفُجُ مِّنْ طُورٍ سَيِّئَةٍ تَنفُتُ بِاللَّهْنِ وَصَيْغَ لِلَّائِكِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السموات السبع، قال الزجاج: كل واحدة طريقة. وقال ابن قتية: إنما سميت «طرائق» بالطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بعضه فوق بعض. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب. والثاني: ما كنا تاركين لهم بغير رزق، فأنزلنا المطر. والثالث: لم تغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعلمه الله، وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفة على قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾. وقرأ أبو مجلز، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي: «وشجرة» بالرفع. والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون. فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكرهم من نعيمها ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنهما كانا جُلَّ ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي سَلْطَنٍ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ» إلى قوله: «أَنشَأْنَا خَلْقًا آخَرَ» قال عمر: «تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» فقال: «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر».

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «شرح ديوان زهير» ٩٤، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٥/١، و«الطبري» ١١/١٨، و«القرطبي» ١١٠/١٢، و«اللسان» و«التاج»: خلق.

(٣) قال ابن كثير: يذكر تعالى نعمته على عبده التي لا تعد ولا تحصى، في إزاله القطر من السماء بقدر، أي: بحسب الحاجة، لا كثير فيفسد الأرض والممران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه والسقي والشرب والانتفاع به، حتى أن الأرض التي تحتاج ماء كثيراً لزروعها، ولا تحتمل إزاله المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، ثم قال: فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور. وقال ابن جرير الطبري في تمام الآية: ﴿عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ يَمُوتُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكننا في الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشاً وتغرب أرضوكم فلا تثبت زرعاً ولا غرساً، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جأرياً.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى﴾ يعني: الإبل خاصة ﴿وَعَلَى الْفَالِاقِ تَحْمِلُونَ﴾ فالإبل تحمل في البر، والسفن تحمل في البحر. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَغْوِرُوا فَمَا لَكُمْ مِنْ آلِهَةٍ عِندَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا لَنَا بِنُوحٍ إِلَّا يَدْعُنَا إِلَىٰ بَنِيهِمْ وَإِلَهُنَا آبَاؤُنَا فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَنُوحٌ مِنْ قَبْلِهِ فَكَيْفَ يُقَرَّرُ فَقَالَ يُغْوِرُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٢﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٥﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٨﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١١٩﴾ قَالَ رَبِّ امْكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ مُخِلُونَ ﴿١٢٠﴾

(١) قال ابن جرير الطبري ١٤/١٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سينا اسم أضيف إليه الطور، يعرف به، كما قيل: جبلا طبع، فأضيفا إلى طبع، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه: حسن، لكان الطور متوناً، وكان قوله: «سيناء» من نعمته، على أن سينا بمعنى: مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سينا معنى مبارك.

(٢) البيت في «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» ١١١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٣٩/١، و«الطبري» ١٤/١٨، و«القرطبي» ١١٦/١٢، و«اللسان»، و«التاج»: نبت.

وَقَارَ الشَّوْكَ فَاسْتَلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٧﴾ فَإِذَا اسْتَهْتَمْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلْ تَلْعَنُ لِي الْوَيْلُ بَيْنَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ وَقُلْ رَبِّ ارْزُقْنِي مِثْلَ بَارِكَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَرْزُقِينَ ﴿٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَبَشِيرِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ ﴿١١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ الْآخِرَةِ وَأُفِّرْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَئِنْ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَافِرُونَ ﴿١٤﴾ أَيْبِدُكُمْ أَكْثَرَ إِنْ إِيَّاكُمْ وَكُنْتُمْ تَرَايَا رِعَظْنَا أَكْثَرَ مَخْرُجَاتٍ ﴿١٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ اقْتَرَفَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿١٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ ﴿٢٠﴾ فَاعْلَمْتُمْ الصِّبْغَةَ بِالْحَقِّ فَعَمَلْتُمْ غُشَّةً بَعْدَ الْغُشَّةِ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ ﴿٢٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِ أَهْلًا وَمَا يَسْتَفْهِرُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا تَرَايَا كُلَّ مَا جَاءَهُمْ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ بَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ قَوْمِهِ﴾ قال المفسرون: هذا تعزية لرسول الله ﷺ بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسى به في صبره، وليعلم أن الرسل قبله قد كُذِّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعاً، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يُعبد شيء سواه ﴿لَأَرْزَلَكُمْ مَلَائِكَةً﴾ تبليغ عنه أمره، لم يرسل بشراً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي مَا بَيْنَنَا وَالْأَوَّلِينَ﴾. فاما الجنة فمعناها: الجنون. وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، فتقديره: انتظروا موته. والثاني: أنه وقت منكر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ وقرأ عكرمة، وابن محيصن: ﴿قال رب﴾ بضم الباء، وفي القصة الأخرى [المؤمنون: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿يَمَّا كَذَّبُون﴾ وقرأ يعقوب: «كذبوني» بياء، وفي القصة التي تليها أيضاً: «فاتقوني» [المؤمنون: ٥٢] «أَنْ يَخْضَرُونِي» [المؤمنون: ٩٨] «رَبِّ ارْجِعُونِي» [المؤمنون: ٩٩] «وَلَا تَكْلُمُونِي» [المؤمنون: ١٠٨] أثبتهم في الحالين يعقوب، والمعنى: انصُرني بتكذيبهم، أي: انصُرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في [مود: ٣٧] إلى قوله: ﴿فَاسْتَلَفَ فِيهَا﴾ أي: أدخل في سفينتك ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من كل» بكسر اللام من غير تنوين. وقرأ حفص عن عاصم: «من كل» بالتنوين. قال أبو علي: قراءة الجمهور إضافة «كل» إلى «زوجين»، وقراءة حفص تؤول إلى زوجين، لأن المعنى: من كل الأزواج زوجين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْزُقْنِي مِثْلَ بَارِكَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مُنْزَلًا» بضم الميم. وروى أبو بكر عن عاصم فتحها. والمنزل، بفتح الميم: اسم لكل ما نزل به، والمنزل، بضمها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول: أنزلته إنزالاً ومُنْزَلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان: أحدهما: عند نزوله في السفينة. والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في قصة نوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا﴾ أي: وما كنا ﴿لَبَشِيرِينَ﴾ أي: لمختبرين إياهم بإرسال نوح إليهم. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِرِينَ﴾ يعني عاداً ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين، وقال أبو سلمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول صالح. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿أَيْبِدُكُمْ أَكْثَرَ﴾ قال الزجاج: موضع «أنكم» نصب على معنى: أَيْبِدُكُمْ [أنكم] مخرجون إذا مِثْم، فلما طال الكلام أعيد ذكر «أن» كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَأَنْتَ لَهُمْ تَارِكٌ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿هِيَآتْ هِيَآتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «هيهات هيهات» بفتح التاء فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وهارون عن أبي عمرو: «هيهاتاً هيهاتاً» بالنصب والتنوين. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وأبو حيوة

الحضرمي، وابن السميع: «هيهات هيهات» بالرفع والتنوين. وقرأ أبو العالية، وقتادة: «هيهات هيهات» بالخفض والتنوين. وقرأ أبو جعفر: «هيهات هيهات» بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة: «هيهات هيهات» بالرفع من غير تنوين، وقرأ معاذ القارئي، وابن يعمر، وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو: «هيهات هيهات» بإسكان التاء فيها. وفي «هيهات» عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء، والثامنة: «إيهات»، والتاسعة: «إيهان» بالنون، والعاشرة: «إيهاء» بغير نون، ذكرهن ابن القاسم؛ وأنشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن:

تَذْكَرُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصُّبَا

وَهِيَهَاتِ هِيَهَاتِ إِلَيْكَ رَجَوْعُهَا<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: فأما الفتح، فالوقوف فيه بالهاء، تقول: «هيهاء» إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن يتوّن في الوصل، أو كنت ممن لا يتوّن، وتأويل «هيهات»: البعد لما توعدون. وإذا قلت: «هيهات ما قلت»، فمعناه: بعيد ما قلت. وإذا قلت: «هيهات لما قلت»، فمعناه: البعد لما قلت. ويقال: «أيهات» في معنى «هيهات»، وأنشدوا:

وَأَيَّهَاتِ أَيَّهَاتِ الْعَقِيْقُ وَمَنْ بُو

وَأَيَّهَاتِ وَصَلٌ بِالْعَقِيْقِ تُوَاصله<sup>(٢)</sup>

قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت على «هيهات» فقل: «هيهاء». وقال الفراء: الكسائي يختار الوقف بالهاء، وأنا أختار التاء.

قوله تعالى: ﴿لِأَنَّ قَوْلَهُمْ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن أبي عيلة: «ما توعدون» بغير لام. قال المفسرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في بدو أمرهم وقُدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكَايَاتُ الَّذِينَ﴾ يعنون: ما الحياة إلا ما نحن فيه، وليس بعد الموت حياة. فإن قيل: كيف قالوا: ﴿تَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم لا يقرّون بالبعث؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج: أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنهم قالوا: يموت قوم ويحيا قوم. والثاني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع، لا للترتيب. والثالث: ابتداءنا موت في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ﴾ يعنون الرسول. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [مود: ٧، النحل: ٣٨] إلى قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ قال الزجاج: معنا: عن قليل، و«ما» زائدة بمعنى التوكيد.

قوله تعالى: ﴿يُضَيِّحُنَّ غُيُوبَهُنَّ﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَلَاخِذُتُمْ النَّصِيحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم. قال المفسرون: صاح بهم جبريل صيحة رجفت لها الأرض من تحتم، فصاروا لشدة غثاء. قال أبو عبيدة: الغثاء: ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل. ونحو ذلك مما لا يُنتفع به في شيء. وقال ابن قتيبة: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقَمْش<sup>(٣)</sup>، لأنه يذهب ويتفرق. وقال الزجاج: الغثاء: الهالك والبالى من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيت مخالطاً زَبْدَهُ. وما بعد هذا قد سبق شرحه [المعبر: ٥] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «تترى كلماً» منونة والوقف بالالف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بلا تنوين، والوقف عند نافع وابن عامر بالف. وروى هبيرة، وحفص عن عاصم، أنه يقف بالياء؛ قال أبو علي: يعني بقوله: يقف بالياء، أي: بالياء مُمالة. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم من نوّن. قال ابن قتيبة: والمعنى: تتابع بفترة بين كل رسولين، وهو من التواتر، والأصل: وتَرَى، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التَّقْوَى والتخمة. وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى واترث الخبر: اتبعت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هُتَّة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تفضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترث كُتَيَّيْكَ، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضمون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو

(١) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(١) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(٣) القَمْش: الرديء من كل شيء، وما كان على وجه الأرض من فئات الأشياء، ويقال لرذالة الناس: قماش.

التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واطرث الخبر، أثبتت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هُنيئة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَاءً﴾ أصلها «وثرى» من المواترة، فأبدلت التاء من الواو، ومعناها: متقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرًا طويلاً. وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترى، أي: منقطعاً. فإذا قيل: واطر فلان كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعض ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتمثل بهم في الشرِّ، ولا يقاله في الخير: جعلته حديثاً.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١٦﴾ فَقَالُوا أَأَتُورُونَ لِطِغْرِيقٍ عَلَيْنَا وَنُؤْمِنُكَ لَنَا عَذَابُ ﴿١٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهرين للناس بالبغي والتجاوز عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَذَابٌ﴾ أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملك فهو عابد له.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَمْ نُكَتِّبْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ مِنْ دُونِ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا إِيَّاهُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، أعطيتها جملة واحدة بعد غرق فرعون ﴿لَمْ نُكَتِّبْ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا إِيَّاهُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «آيتين» على التشنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ [الأنبياء: ٩١]<sup>(١)</sup>. وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: ﴿وَوَاتَيْنَاهُمَا يَاوَانَ﴾ أي: جعلناهما ياويان ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «رُبوّة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في [البقرة: ٢٦٥]، «ذَاتِ قَرَارٍ» أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج: أي: ذات مستقر ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماء الجاري من العيون. وقال ابن قتيبة: «ذات قرار» أي: يُستقرُّ بها للعمارة، «وَمَعِينٍ» هو الماء الظاهر، ويقال: هو مفعول من العين، كأن أصله مغيثون، كما يقال: ثوب مَخِيط، وبُرٌّ مَكِيل. واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة على أربعة أقوال: أحدها: أنها دمشق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الرملة من أرض فلسطين، قاله أبو هريرة. والرابع: مصر، قاله وهب بن منبه، وابن زيد، وابن السائب<sup>(٢)</sup>. فأما السبب الذي لأجله أُوتِيَ إلى الربوة، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فُتِرَ مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة. قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِيَّاكُمْ تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٢٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ بَيْنَهُمْ ذُرًّا عَلَىٰ كُلِّ جَرْبٍ بِمَا كَذَّبْتُمْ فَهَوْاٰ ﴿٢٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَذَابِهِمْ حَتَّىٰ يَبْلُغُوا أَجَلَهُمْ أَلَمْ تَرَ أَنَا نُفِثُهُمْ ذُرًّا مِنْ قَالٍ وَبَيْنَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة في آخرين: يعني بالرسول هاهنا محمداً ﷺ

(١) قال ابن كثير ٢٤٦/٣: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ أنه جعلها آية للناس، أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. اهـ.

(٢) قال الطبري: وأولى الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى يؤثّر. وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. وقال ابن كثير عن القول الرابع الذي قاله وهب بن منبه: وهو بعيد جداً. ثم قال: وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه المعوي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَوَاتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿فَدَجَّلَ لُبِّي بُعْدًا عَلَىٰ حَرَبٍ﴾ وكذا قال الضحاك وقاتدة ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾: هو بيت المقدس، فهذا - والله أعلم - هو الأظهر، لأنه المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وهذا أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار.



وحده، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتبية، والزجاج<sup>(١)</sup>، والمراد بالطيبات: الحلال. قال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى ﷺ يأكل من غَزَلِ أُمِّهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُنْشُرُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنَّ» بالفتح وتشديد النون. وافق ابنُ عامر في فتح الألف، لكنه سَكَنَ النون. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَأَنَّ» بكسر الألف وتشديد النون. قال الفراء: من فتح، عطف على قوله: ﴿إِنِّي يَمَّا تَمَلُّونَ عَلَيْهِ﴾ وبأنَّ هذه أُنْشُرُكم، فموضعها خفض لأنها مردودة على «ما»؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: واغلموا هذا؛ ومن كسر استأنف. قال أبو علي الفارسي: وأما ابن عامر، فإنه خفف النون المشددة، وإذا خُفِّت تعلق بها ما يتعلق بالمشددة. وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في [الأنبياء: ٩٢] إلى قوله: ﴿زُبُرًا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني: «زُبُرًا» برفع الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميع: «زُبُرًا» برفع الزاي وإسكان الباء. قال الزجاج: من قرأ «زُبُرًا» بضم الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كُتُبًا مختلفة، جمع زُبُور. ومن قرأ «زُبُرًا» بفتح الباء، أراد قطعاً.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه مُعْجِبُونَ، يرون أنهم على الحق. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي فِي عَمَزَاتِي﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «في غمراتهم» على الجمع. قال الزجاج: في عمايتهم وخيرتهم، «حَقِّ حِينَ» أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. قال مقاتل: يعني كفار مكة.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أنها منسوخة بآية السيف. والثاني: أن معناها التهديد، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَسِبُونَ أَنَّمَا نُفِذُهُمْ بِدِينِهِمْ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء: «يُؤْمِدُهُمْ» بالياء المرفوعة وكسر الميم. وقرأ أبو عمران الجوني: «نَمُدُّهُمْ» بنون مفتوحة ورفع الميم. قال الزجاج: المعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به «يُنَالِ وَيَبِينُ» مجازاة لهم؟ إنما هو استدراج، «نُفِذُهُمْ» أي: نساخ لهم به في الخيرات. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وأيوب السخيتاني: «يُسَارِعُ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم افتحا الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «يُسْرِعُ» بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم.

(١) ذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عيسى ابن مريم ﷺ، كما تقول في الكلام للرجل الواحد: كُتِبُوا عنا أفعالهم، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُ﴾ والمراد رجل واحد. وقال القرطبي: قال بعض العلماء: والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، وقال: قال الزجاج: هذه مخاطبة للنبي ﷺ، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا، أي: كلوا من الحلال. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء ﷺ بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً، ودلالة ونصحاً، فجزاهم الله عن العباد خيراً، قال: وقال الحسن البصري في قوله: ﴿يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: أما والله ما أمركم بأصغركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حاضركم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.

(٢) وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة مرفوعاً: دعا بعث الله نبياً إلا وهي الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، وأنا كنت أرحلها على قرابيط لأهل مكة. وفي «الصحيح» أيضاً: «أن داود ﷺ كان يأكل من كسب يده». وفي «صحيح مسلم» ٧٠٣/٢ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وهذلي بالحرام، فإني يستجاب لي». ١٩.



﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يَقُولُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِيلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَمْ يَحْشُرُوا ﴿٦١﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وقد شحرننا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (١) [الأنبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا﴾ وقرأ عاصم الجحدري: «يأتون ما أتوا» بقصر همزة «أتوا». وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أحم الذين يذنبون وهم مشفقون؟ فقال: «لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون، ويصومون وهم مشفقون، ويتصدقون وهم مشفقون أن لا يتقبل منهم» (٢). قال الزجاج: فمعنى «يؤتون» يعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، «أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» أي: لأنهم يوقنون أنهم يرجعون. ومعنى «يأتون»: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع اجتهداهم مقصرين، «أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» وقرأ أبو المتوكل، وابن السميع: «يُسْرِعُونَ» برفع الياء وإسكان السين وكسر الراء من غير ألف. قال الزجاج: يقال: أسرعت وسارعت في معنى واحد، إلا أن «سارعت» أبلغ من «أسرعت»، «وَهُمْ لَمْ يَحْشُرُوا» أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلاناً لك، أي: من أجلك. وقال بعض أهل العلم: الرجل المذكور هاهنا واقع على مضمر.

﴿وَلَا تَكُنْ لِقَاسٍ إِلَّا سَعَةً وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرَقٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّهِمُ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخِرُّونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَخْفَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَالُ عَلَيْكُمْ فَكَثَّرَ عَلَىٰ نَفْسِكُمْ نَكْصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَاءُ يَنْهَوْنَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطق بما يعملون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُنْقِصُونَ من ثواب أعمالهم. ثم عاد إلى الكفار، فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرَقٍ مِنْ هَذَا﴾ قال مقاتل: في غفلة عن الإيمان بالقرآن. وقال ابن جرير: في عمى عن هذا القرآن. قال الزجاج: يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، فيكون المعنى: بل قلوب هؤلاء في عماية من هذا؛ ويجوز أن يكون إشارة إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم مُخَصَّصة فيه. فخرج في المشار إليه بـ «هذا» ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن. والثاني: أعمال البر. والثالث: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعمال سيئة دون الشُّرك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: خطايا من دون ذلك الحق، قاله مجاهد. وقال ابن جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية. والثالث: أعمال غير الأعمال التي ذُكروا بها سيعملونها، قاله الزجاج. والرابع: أعمال - من قبل الحين الذي قَدَّر الله تعالى أنه يعذبهم عند مجيئه - من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿هُم لَهَا عَمَلُونَ﴾ إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كُتبت عليهم لا بدَّ لهم من عملها (٣).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّهِمُ﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش. وفي المراد «بالعذاب» قولان: أحدهما: ضرب السيوف يوم بدر، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: الجوع الذي عُذِّبوا به سبع سنين، قاله ابن السائب. و «يَخِرُّونَ» بمعنى: يصيحون. ﴿لَا يَخْفَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَخِفُوا﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَخِفُوا﴾

(١) قال ابن كثير ٣/٣٤٨: أي: هم مع إيمانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكروه بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأما.

(٢) رواه أحمد في «المستدرك» والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» ١١/٥ وزاد نسبة للفرابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي الدنيا في «نعت الخائفين»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عائشة.

(٣) قال ابن كثير: أي: قد كُتبت عليهم الأعمال السيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحقق عليهم كلمة العذاب. اهـ.

**فَصْرُونَ** أي: لا تمنعون من عذابنا. **﴿فَقَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْزِلُ عَلَيْكُمْ﴾** يعني: القرآن **﴿فَكَثُرَ عَلَيْكَ أَنْفِقُكَ نَكُوصُونَ﴾** أي: ترجعون وتتأخرون عن الإيمان بها، **﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾** منصوب على الحال. وقوله: **﴿بِهِ﴾** الكناية عن البيت الحرام، وهي كناية عن غير مذكور؛ والمعنى: إنكم تستكبرون وتفخرون بالبيت والحرم، لأنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً، ونحن أهل بيت الله وولائه، هذا مذهب ابن عباس وغيره. قال الزجاج: ويجوز أن تكون الهاء في **﴿بِهِ﴾** للكتاب، فيكون المعنى: تحدث لكم تلاوته عليكم استكباراً.

قوله تعالى: **﴿سَمِيراً﴾** قال أبو عبيدة: معناه: تهجرون سَمَيراً، والسامر بمعنى السَّامَر، بمنزلة طفل في موضع أطفال، وهو من سَمَرَ الليل. وقال ابن قتيبة: «سامراً» أي: متحدثين ليلاً، والسمر: حديث الليل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن محيصن: «سَمَراً» بضم السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «سَمَراً» برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها.

قوله تعالى: **﴿تَهْجُرُونَ﴾** قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء وضم الجيم. وفي معناها أربعة أقوال: أحدها: تهجرون ذَكَرَ الله والحق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: تهجرون كتاب الله تعالى ونبيه ﷺ، قاله الحسن. والثالث: تهجرون البيت، قاله أبو صالح. وقال سعيد بن جبيرة: كانت قريش تُسَمِّرُ حول البيت، وتفخر به ولا تطوف به. والرابع: تقولون هُجْراً من القول، وهو اللغو والهذيان، قاله ابن قتيبة. قال الفراء: يقال: قد هَجَرَ الرجل في منامه: إذا هذى، والمعنى: إنكم تقولون في رسول الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يَقُصُّه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقتادة، وابن محيصن، ونافع: «تَهْجُرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. قال ابن قتيبة: وهذا من الهُجْر، وهو السُّبُّ والإفحاش من المنطق<sup>(١)</sup>، يريد سيئهم للنبي ﷺ ومن أتبعه. وقرأ أبو العالية، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: «تَهْجُرُونَ» بتشديد الجيم ورفع التاء؛ قال ابن الأنباري: ومعناها معنى قراءة ابن عباس.

**﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾** أَمْ لَمْ يَسْمَعُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَانَتْ كَذِبُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾** يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبير على صدق رسولهم **﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾** المعنى: ليس قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أرسل محمد ﷺ؟! **﴿أَمْ لَمْ يَسْمَعُوا رَسُولَهُمْ﴾** هذا توبيخ لهم، لأنهم عرفوا نبيه وصدقه وأمانته صغيراً وكبيراً ثم أعرضوا عنه. والجِنَّة: الجنون، **﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾** يعني القرآن.

**﴿وَلَوْ أَنِجَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** بَلْ آتَيْنَاهُمْ بَذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُنْصَرِفُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ تَتْلُوهُمْ حَرُماً فَخَرَجَ مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا خَيْرَ الرَّبِّينَ ﴿٧١﴾ وَلَئِنْ لَتَعْرَبُنَّ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيْرُوكَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنِجَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾** في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله مجاهد، وابن جريج، والسدي في آخرين. والثاني: أنه القرآن، ذكره الفراء، والزجاج. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو جعل الله لنفسه شريكاً كما يحبون. وعلى الثاني: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل شريك لله **﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾** بَلْ آتَيْنَاهُمْ بَذِكْرِهِمْ أي: بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن **﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُنْصَرِفُونَ﴾** أي: قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «بَلْ آتَيْنَاهُمْ بَذِكْرِهِمْ» بضم الذاء وتشديد الميم. **﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ﴾** عما جنتهم به **﴿حَرُماً﴾** قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «حَرُماً» بغير ألف [فخرج] بألف. وقرأ ابن عامر: «حَرُجاً فخرج» بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف [فخرج] بألف في الحرفين. ومعنى «حَرُجاً»: أجراً ومالاً، **﴿فَخَرَجَ مِنْكَ﴾** أي: فما يعطيك

(١) في «غريب القرآن»: وهو السب والإفحاش من المنطق.

رُبُّكَ مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ ﴿حَزْبٌ وَمَوْحِزٌّ الرَّزِيقِ﴾ أَي: أَفْضَلُ مِنْ أُعْطِيَ؛ وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّجْوِيزِ لَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلَهُمْ أَجْرًا، لَا أَنَّهُ قَدْ سَأَلَهُمْ. وَالتَّائِبُ: الْعَادِلُ؛ يُقَالُ: نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ، أَي: عَدَلَ عَنْهُ.

﴿وَإِلَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَلَى الصِّرَاطِ لَنُكَيِّتُنَّهُمْ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ لَلْجُوعِ فِي طُعْنَتِهِمْ يَتَمَنَوْنَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ﴾ قال ابن عباس: الضَّرُّ هَاهُنَا: الْجُوعُ الَّذِي نَزَلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ حِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اعْنِنِي عَلَى قَرِيشَ بَسَنِينَ كَسَيْنِي يَوْسُفُ»<sup>(١)</sup>، فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ الضَّرَّ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَكَلُوا الْقَيْدَ<sup>(٢)</sup> وَالْعِظَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ الْوَعْدِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجُوعُ الَّذِي أَصَابَهُمْ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَالثَّالِثُ: بَابٌ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ﴾ وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو نَهْيَكٌ، وَمَعَاذُ الْقَارِئِ: «مُبْسَوْنَ» بِفَتْحِ اللَّامِ. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْمُبْسِ فِي [الأنعام: ٤٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَكَ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا يَسْأَلُونَ ﴿٨١﴾ بَلْ قَالُوا يَسْأَلُ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَاكُمَا وَعِظْلُمَا أَوْدَا لِمَبْعُوثُونَ ﴿٨٣﴾ لَقَدْ وَعدْنَا نَحْنُ وَوَعَاوَدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: يَرِيدُ أَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ أَصْلًا.

قوله تعالى: ﴿ذَكَرَكَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ اخْتَلَفَتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أَي: هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ تَعَاقِبَانِ وَيَخْتَلِفَانِ فِي السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مَا تَرَوْنَ مِنْ صُنْعِهِ؟ وَمَا بَعْدَ هَذَا ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ﴾ أَي: قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعْتِ: لِمَنِ الْأَرْضُ «وَمَنْ فِيهَا» مِنَ الْخَلْقِ «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» بِحَالِهَا، «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «لِلَّهِ» بِغَيْرِ أَلِفٍ هَاهُنَا، وَفِي اللَّذِينَ بَعْدَهَا بِالْف. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «لِلَّهِ» فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ. وَقَرَأَهُ أَبُو عَمْرٍو عَلَى الْقِيَاسِ. قَالَ الزَّجَاجُ: وَمَنْ قَرَأَ: «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» فَهُوَ جَوَابُ السُّؤَالِ، وَمَنْ قَرَأَ «لِلَّهِ» فَجَدِيدٌ أَيْضًا، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟ فَقِيلَ: لَزِيدٍ، جَازٍ، لِأَنَّ مَعْنَى «مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟»: لِمَنْ هِيَ؟ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: مَنْ قَرَأَ «لِلَّهِ» فِي الْمَوَاضِعِ الْآخَرِينَ، فَقَدْ أَجَابَ عَلَى الْمَعْنَى دُونَ مَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو الْجَوَازِ: «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» «لِلَّهِ» «لِلَّهِ» بِالْف فِيهِمْ كُلُّهُمْ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ: وَهُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِالْف فِيهِمْ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً، أَقْدَرَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ؟!

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيبُ وَلَا يَحْصُرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: تَتَّقُونَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ. وَالثَّانِي: تَخْشَوْنَ عَذَابَهُ. فَأَمَّا الْمَلَكُوتُ، فَقَدْ

شَرَحْنَاهُ فِي [الأنعام: ٧٥].

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ١٧٩، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَجَاتِ» ١٢/٥، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحِينَ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَى قَرِيشَ حِينَ اسْتَعَصَمُوا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اعْنِنِي عَلَيْهِمْ بِسَعِ كَسَعِ يَوْسُفَ».

(٢) قَالَ فِي «اللِّسَانِ»: الْقَيْدُ: السِّيرُ الَّذِي يَقْدُ مِنَ الْجِلْدِ، وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ أَنَّهُمْ أَكَلُوا الْعِلْظَ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالْدَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُجِبِرْ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع [من] السوء من شاء، ولا يمنع منه من أراد به سوء، يقال: أجزت فلاناً: أي: حميته، وأجزت عليه: أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أتى تُخذعون وتُضرفون عن هذا؟  
﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٩٠ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الذَّكَاءِ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَمْ يَلَمْأَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ٩١ ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ تَتَكَلَّمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩٢

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يُضيفون إلى الله من الولد والشريك: ثم نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قوله: ﴿إِنَّا لَذَبَ كُلِّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ﴾ أي: لا نفرد بخلقِهِ ولم يرض أن يُضاف خَلْقُهُ وإنعامه إلى غيره، ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿وَلَمْأَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: غلب بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عالم» بالخفض. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عالم» بالرفع. قال الأخفش: الجر أجود، ليكون الكلام من وجه واحد، والرفع، على أن يكون خبر ابتداء محذوف، ويقوّيه أن الكلام الأول قد انقطع.

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رَسَّيَ مَا يُوعَدُونَ﴾ ٩٣ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوَرِ الْأَعْلَى﴾ ٩٤ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تَرْجِعَ مَا نَدْعُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ ٩٥ ﴿أَدْعُ بِلَآئِي مِنْ أَحْسَنِ السَّيِّئَةِ عَنَّا أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ٩٦ ﴿قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ ٩٧ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ ٩٨

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رَسَّيَ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، والضحاك: «ترسّيتي» بالهمز بين الراء والنون من غير ياء. والمعنى: إن أرئتني ما يوعدون من القتل والعذاب، فاجعلني خارجاً عنهم ولا تُهلكني بهلاكهم؛ فأراه الله تعالى ما وعدهم بيدر وغيرها، ونجّاه ومن معه.

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ بِلَآئِي مِنْ أَحْسَنِ السَّيِّئَةِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ادفع إساءة المسيء بالصفح، قاله الحسن. والثاني: ادفع الفُحش بالسلام، قاله عطاء، والضحاك. والثالث: ادفع الشُّرك بالتوحيد، قاله ابن السائب. والرابع: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه الماوردي. وذكر بعض البصريين أن هذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿عَنَّا أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الشُّرك والتكذيب؛ والمعنى: إِنَّا نجازيهم على ذلك. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ أي: الجأ وامتنع ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ قال ابن قتيبة: هو نَحْسُهَا وَطَعْنُهَا، ومنه قيل للعائب: هَمْزَةٌ، كأنه يطعن ويتنحس إذا عاب. وقال ابن فارس: الهمز كالغصن، يقال: همزت الشيء في كَفَي، ومنه الهمز في الكلام، لأنه كأنه يضغظ الحرف، وقال غيره: الهمز في اللغة: الدَّفْع، وهَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ: دَفْعُهُم بِالْإِغْوَاءِ إِلَى الْمَعَاصِي.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ أي: أن يشهدون؛ والمعنى: أن يصيبوني بسوء، لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه، وقيل: هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم. فإن قيل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: «ارجعني»؟، فالجواب: أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن، وذلك أنه يخبر عن نفسه [فيه] بما تخبر به الجماعة، كقوله: ﴿إِنَّا عَنَّا نَجِي. وَنُثِيبُ﴾ [ق: ٤٣]، فجاء خطابه كإخباره عن نفسه، هذا قول الزجاج.

﴿حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ٩٩ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْ قَالِبُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِنَّ يَوْمَ يُصْعَقُونَ﴾ ١٠٠ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ ١٠١ ﴿مَنْ تَقَلَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٠٢ ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ١٠٣ ﴿تَلَفَّحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ١٠٤

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري؛ وقال مقاتل: فيما تركت من العمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: مسألتها الرجعة ﴿كَلِمَةٌ مَوْ قَالِبُهَا﴾ أي: هو كلام لا

فائدة له فيه ﴿وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم ﴿بِرْزَخٌ﴾ قال ابن قتيبة: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين شيئين فهو برزخ. وقال الزجاج: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ في هذه النفخة قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الثانية، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ، إنما يُرفع التواصل والتفاخر بها. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حقّه. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأعراف: ٨] إلى قوله: ﴿تَلَفَّحَ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ قال الزجاج: تلفح وتنفح بمعنى واحد، إلا أن التلفح أعظم تأثيراً، والكالـح: الذي قد تشمّرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى [من] رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمّرت الشفاه. وقال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلّصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار. وروى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: «تشويه النار فتقلّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ شفته» (١).

﴿أَلَمْ تَكُنْ مِّنَ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْكَ كُتُبًا فِيهَا تَحْذَرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا شَيْئًا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٧﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا أَخْسَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقَ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٠﴾ فَاتَّخَذْتُمُ سِغْرًا حَتَّىٰ أَنْصَرَّتْكُمْ ذِكْرَىٰ وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿مِّنَ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا شَيْئًا﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «شيقوننا» بكسر الشين من غير ألف، وقرأ عمرو ابن العاص، وأبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه بفتح الشين. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والأعشى، وحزمة، والكسائي: «شقاوتنا» بألف مع فتح الشين والقاف، وعن الحسن، وقاعدة كذلك، إلا أن الشين مكسورة. قال المفسرون: أقرّ القوم بأن ما كتُب عليهم من الشقاء منهم الهدى.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار. قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى الكفر والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَخْسَرْنَا﴾ قال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خَسَأْتُ الْكَلْبَ أَخْسَوْهُ: إذا زجرته ليتباعد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. قال عبد الله بن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكَ تَكْلُمُونَ﴾ [الزخرف: ١٧]، ثم ينادون ربهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنَّكَ تَكْلُمُونَ﴾ ثم ينادون ربهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يردُّ عليهم ﴿أَخْسَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ فما ينس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان، إلا الزفير والشهيق. ثم بيّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أنه» بفتح الهمزة ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين.

(١) زيادة من «اللسان».

(٢) رواء الحاكم في «المستدرک» ٣٩٥/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من رواية أبي السمع دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الحافظ في «التقريب» عن دراج أبي السمع: صدوق في حديثه، عن أبي الهيثم ضعيف. والحديث رواه أحمد في «المسند»، والترمذي وقال: حسن غريب. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٦/٥ وزاد نسبة لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُ﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِتًا﴾ قرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: «سُخْرِتًا» بضم السين هاهنا وفي [ص: ٦٣]، تابعهم المفضل في [ص: ٢٢]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في [الزخرف: ٣٢]. واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنى؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر نُجَيْيٍّ وَلُجَيْيٍّ، وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودُرِّيٌّ. والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السُخرة والاستعباد، قاله أبو عبيدة، وحكاه الفراء، وهو مروي عن الحسن، وقناة. قال أبو علي: قراءة من كسر أرجح من قراءة من ضم، لأنه من الهمز، والأكثر في الهمز كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة [والوليد] قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمَّار وبلال وخَبَّاب وصهيب سُخْرِيًّا يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتُوكُمْ ذِكْرِي﴾ أي: أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعل إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنهم كانوا السبب في وجوده، كقوله: ﴿إِنِّي أَتَلَوْتُ كِتَابًا مِنَّا﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم «أَنَّهُمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أَنَّهُمْ» بفتح الألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «إِنَّهُمْ» بكسرها. فمن فتح «أَنَّهُمْ» فالمعنى: جزيتهم بصبرهم الفؤاد، ومن كسر «إِنَّهُمْ»، استأنف.

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدِدَ سَيِّئٍ﴾ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَتَنَّا بِالْعَاقِبِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ﴾ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا لَا بَرْهَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامِ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال كم لبستم» وهذا سؤال الله تعالى للكافرين. وفي وقته قولان: أحدهما: أنه يسألهم يوم البعث. والثاني: بعد حصولهم في النار. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «قل كم لبستم» وفيها قولان: أحدهما: أنه خطاب لكل واحد منهم، والمعنى: قل يا أيها الكافر. والثاني: أن المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمر للواحد، والمراد الجماعة، لأن المعنى مفهوم. وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي يدغمون ثاء «لبستم»، والباقيون لا يدغمونها؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرج التاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين. وفي المراد بالأرض قولان. أحدهما: أنها القبور، والثاني: الدنيا. فاحترق القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا: ﴿لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ﴾ قال الفراء: والمعنى: لا ندري كم لبثنا. وفي المراد بالعاديين قولان: أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد. والثاني: الحُساب، قاله قتادة. وقرأ الحسن، والزهري، وأبو عمران الجوني، وابن يعمر: «العادين» بتخفيف الدال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال إن لبستم». وقرأ حمزة، والكسائي: «قل إن لبستم» على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة «قل» في الموضعين، فقراهما حمزة، والكسائي على ما في مصاحفهم، أي: ما لبثتم في الأرض ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن مكثهم في الأرض وإن طال، فإنه مُتَنَاءٍ، ومكثهم في النار لا يتناهى. وفي قوله: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لو علمتم قدر لبثكم في الأرض. والثاني: لو علمتم أنكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللغة: اللعب، وقيل: هو الفعل لا لغرض صحيح، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «لا تُرْجَعُونَ» بضم التاء. وقرأ حمزة، والكسائي بفتحها. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عَمَّا يَصِفُ بِهِ الْجَاهِلُونَ مِنَ الشُّرْكِ والولد، ﴿الْمَلِكُ﴾ قال الخطابي: هو التام

المَلِكُ الجامع لأصناف المملوكات. وأما المالك: فهو الخالص المُلْك. وقد ذكرنا معنى «الحق» في (يونس: ٣٢).  
قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَرْثَى الْكَرِيمُ﴾ والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن. وقرأ ابن محيصن: «الكرِيمُ» برفع الميم، يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُرْهَنَ لَكُمْ بِهِ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليل؛ وقال بعضهم: معناه: فلا برهان له به.  
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: جزاؤه عند ربه<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري في تفسير تمام السورة: ﴿إِنَّهُ لَا يَنْجِي الْكَافِرِينَ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم، ﴿وَقُلْ رَبِّيَ أَغْفِرُ وَأَرْحَمُ وَأَنَّى غَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجتيرمت، وأنت خير الراحمين، يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، قبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه. اهـ.



## سورة النور

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَّغْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَكْفِيهِ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَا يَكْفِيهَا إِلَّا ذَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

وهي مدنية كلها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تُنْزَلُوهُنَّ الْغُرَفَ وَلَا تَعْلُمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَعَلِمُوهُنَّ الْمَغْزَلَ<sup>(١)</sup> وَسُورَةَ الثَّوْرِ<sup>(٢)</sup>»، يعني: النساء.

قوله تعالى: ﴿سُورَةُ﴾ قرأ الجمهور بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وابن أبي عبيدة، ومحبوب عن أبي عمرو: «سورة» بالنصب. قال أبو عبيدة: من رفع، فعلى الابتداء. وقال الزجاج: هذا قبيح، لأنها نكرة، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفة لها، وإنما الرفع على إضمار: هذه سورة، والنصب على وجهين، أحدهما على معنى: أنزلنا سورة، وعلى معنى: أنزل سورة.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَّغْنَاهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد. وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبيدة بالتخفيف. قال الزجاج: من قرأ بالتشديد، فعلى وجهين: أحدهما: على معنى التكثير، أي: إننا فرضنا فيها فروضاً، والثاني: على معنى: بيئاً وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: ألزمتكم العمل بما فُرض فيها. وقال غيره: مَنْ شَدَّدَ، أَرَادَ: فَصَّلْنَا فَرَائِضَهَا، وَمَنْ خَفَّفَ، فَمَعْنَاهُ: فَضَّلْنَا مَا فِيهَا.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ القراءة المشهورة بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبيدة، وعيسى بن عمر: «الزانية» بالنصب. واختار الخليل وسيبويه الرفع اختيار الأكثرين. قال الزجاج: والرفع أقوى في العربية، لأن معناه: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، ويجوز النصب على معنى: اجلدوا الزانية. فأما الجلد، فهو ضرب الجلد؛ يقال: جلده: إذا ضرب جلده، كما يقال: بطنه: إذا ضرب بطنه. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين، ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

(١) في الأصل: وعلموهن الغزل، والتصحيح من «المستدرک» للحاكم الذي نقل عنه المؤلف.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣٩٦/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: بل موضوع، وأتته عبد الوهاب بن الضحاك، قال أبو حاتم: كذاب. وهذا الخبر رواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه»، وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي، وهو منكر الحديث ومن الوضاعين، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» وقال: لا يصح، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد ألف العلامة المحدث شمس الحق العظيم أبادي رسالة سماها «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان» طبعها المكتب الإسلامي، ذكر فيها مؤلفها أن القول المحقق جواز تعليم الكتابة للنسوان، وذكر أحاديث عدم الجواز، منها حديث الحاكم، وابن حبان، اللذين تقدم ذكرهما، وغيرهما، ونقل أقوال العلماء فيها، ثم قال: وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات، ولم يصحح العلماء واحداً منها، ما عدا الحاكم أباً عبد الله، وتساهله في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه، ثم قال: وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالغات المشتبهات بواسطة النساء الأخريات، أو بواسطة محارمهن، أما البنات غير البالغات وغير المشتبهات فيتعلمن ممن شئن. ومن أراد الزيادة في ذلك، فليرجع إلى رسالة «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان»، فإن المؤلف وفي الموضوع حقه فيها.



## فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْد على الْبُكَرِ والثَّيِّبِ. وقد روي عن رسول الله ﷺ في حق الْبُكَرِ زيادة على الْجَلْد بتغريب عام، وفي حق الثَّيِّبِ زيادة على الْجَلْد بالرجم بالحجارة. فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْبُكَرُ بِالْبُكَرِ جَلْدٌ مائة وتغريب عام، والثَّيِّبُ بِالْثَّيِّبِ جلد مائة ورجم بالحجارة»<sup>(١)</sup>. وممن قال بوجوب الثَّغْي في حق الْبُكَرِ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وممن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وممن قال بالجمع بين الْجَلْد والرجم في حق الثَّيِّبِ علي بن أبي طالب، والحسن البصري، والحسن بن صالح، وأحمد، وإسحاق. قال: وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بِالْجَلْد المذكور في هذه الآية: الْبُكَرُ، فأما الثَّيِّبُ، فلا يجب عليه الْجَلْد، وإنما يجب الرجم، روي عن عمر، وبه قال النخعي، والزهرى، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة، ومالك، وروي عن أحمد رواية مثل قول هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والضحاك، وابن يعمر، والأعمش: «يَأْخُذْكُمْ» بالياء، ﴿يَسَاءَ رَافَةٌ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «رَافَةٌ» بإسكان الهمزة. وقرأ أبو المتوكل، ومجاهد، وأبو عمران الجوني، وابن كثير: بفتح الهمزة وقصرها على وزن رَعَفَةٍ. وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو رجاء العطاردي: «رَافَةٌ» مثل سَامة وكَابة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تأخذكم بهما رَافَةٌ، فتخففوا الضرب، ولكن أوجعهما، قاله سعيد بن المسيب، والحسن، والزهرى، وقتادة. والثاني: لا تأخذكم بهما رَافَةٌ فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، قاله مجاهد، والشعبي، وابن زيد في آخرين.

## فصل

اختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود، فقال الحسن البصري: ضرب الزنى أشد من القذف، والقذف أشد من الشُّرب، ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير، وعلى هذا مذهب أصحابنا. وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنى أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف. وقال مالك: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح.

(١) رواه أحمد في «المستند» ١٣/٥، ومسلم ١٣١٦/٣، وأبو داود رقم (٤٤١٥)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كلهم من حديث عبادة بن الصامت ؓ، ونقله عند مسلم: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، الْبُكَرُ بِالْبُكَرِ جلد مائة ونفي سنة، والثَّيِّبُ بِالْثَّيِّبِ جلد مائة والرجم». قال ابن كثير: وللعلماء فيه تفصيل ونزاع، فإن الزاني لا يخلو، إما أن يكون بكراً، وهو الذي لم يتزوج، أو محصناً، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌ بالغ عاقل، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج، فإن حده مائة جلدة، كما في الآية، ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإن عنده أن التغريب إلى رأي الإمام، إن شاء غرب، وإن شاء لم يغرب، وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، إن ابني هذا كان سعيفاً (يعني أجيئاً) على هذا، فزني بامرأته، فأنفدت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله تعالى، الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس (الرجل من أسلم) إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» فغدا عليها فاعترفت فرجمها، قال: وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج.

وقال ابن كثير أيضاً: وأما إذا كان محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌ بالغ عاقل، فإنه يرجم، وذلك للأحاديث الواردة في «الصحيحين» وغيرهما في الرجم، ثم قال: وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير، قال: ورجم رسول الله ﷺ ماعزاً، والخامدية، وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدتهم قبل الرجم، وإنما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاعتصار على رجمهم، وليس فيها ذكر الجلد، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء، وإليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، رحمهم الله. وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية، والرجم للسنّة، كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة، فجلدها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، فقال: جلدها بكتاب الله، ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٨٩/١١: وقال جماهير العلماء: الواجب الرجم وحده، ثم قال: قالوا: وحديث الجمع بين الجلد والرجم وهو حديث عبادة المتقدم منسوخ، فإنه كان أول الأمر. اهـ.

## فصل

فأما ما يُضْرَب من الأعضاء، فنقل الميموني عن أحمد في جلد الزاني، قال: يجرد، ويعطى كل عضو حقه، ولا يضرب وجهه ولا رأسه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: لا يُضْرَب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: لا يُضْرَب إلا في الظهر. وقال الشافعي: يُتْقَى الفرج والوجه.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: في حكمه، قاله ابن عباس. والثاني: في طاعة الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَشَهَدَ عَلَيْهِمَا ظَلَمَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة بإسكان اللام، ويجوز كسرهما. والمراد بعذابهما ضربهما. وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الرجل فما فوقه، زواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال النخعي: الواحد طائفة. والثاني: الاثنان فصاعداً، قاله سعيد بن جبير، وعطاء، وعن عكرمة كالقولين. قال الزجاج: والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة، لأن الطائفة في معنى جماعة، وأقل الجماعة اثنان. والثالث: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. والرابع: أربعة، قاله ابن زيد. والخامس: عشرة، قاله الحسن البصري.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قال عبد الله بن عمرو: كانت امرأة تسافح، وتشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة: نزلت في بغايا، كُنْ بِمَكَّةَ، ومنهن تسع صواحب رايات، وكانت يبوتهن تسمى في الجاهلية: المواخير، ولا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القبيلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البغايا إلا زانية ﴿أَوْ شَرِكَةً﴾ لأنهن كذلك كن ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهن ﴿لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة، لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منهما<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «وَحَرَّمَ الله ذَٰلِكَ» بزيادة اسم الله ﷻ مع فتح حروف «حَرَّمَ». وقرأ زيد بن علي: «وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ» بفتح الحاء وضم الراء مخففة. ثم فيه قولان. أحدهما: أنه نكاح الزواني، قاله مقاتل. والثاني: الزنا، قاله الفراء.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِإِثْمَةٍ فَاتَّبَعْنَهُمْ شُهُودًا فَتَلَبُّواهُمْ تَلَبُّواهُمْ ثُمَّ لَمْ يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ

تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ شرائط الإحصان في الزنى الموجب للرجم عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح. فأما الإسلام، فليس بشرط في الإحصان، خلافاً لأبي حنيفة. ومالك. وأما شرائط إحصان القذف فأربع: الحرية، والإسلام، والبعث، وأن يكون المقدوف ممن يجامع مثله. ومعنى الآية: يرمون المحصنات بالزنا، فاكتمى بذكره المتقدم عن إعادته. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿بِإِثْمَةٍ شُهُودًا﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فَتَلَبُّواهُمْ تَلَبُّواهُمْ﴾ يعني القاذفين.

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سمع من الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الخاتبة» ١/٤١٥.

(٢) رواه أحمد في «المستد»، والنسائي، والطبري، والحاكم وصححه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦/٥ وزاد نسبه لمعد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، وأبي داود في «تساخه».

(٣) ذكره بخرو الطبري عن ابن عباس.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٨/٧٥: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشتركات ذوات الرايات، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك، أنه لم يُنْزَ بِالْآيَةِ أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحلها. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تاب، صح العقد عليها، وإلا فلا، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. اهـ.



شريك بن سحماء، وأن رسول الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «اتنني بأربعة شهداء، وإلا فحدّ في ظهرك»، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فنسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف.

### فصل في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا، لزمه الحدّ، وله التخلّص منه بإقامة البيّنة، أو باللّعان، فإن أقام البيّنة لزمها الحدّ، وإن لاعنها، فقد حقّق عليها الزنا، ولها التخلّص منه باللّعان؛ فإن نكل الزوج عن اللعان، فعليه حدّ القذف، وإن نكلت الزوجة، لم تحدّ، وحُبست حتى يُلاعِن أو تُقَرَّر بالزنا في إحدى الروايتين، وفي الأخرى: يُخلّى سبيلها. وقال أبو حنيفة: لا يُحدّ واحد منهما، ويُحبس حتى يُلاعِن. وقام مالك، والشافعي: يجب الحدّ على الناكل منهما.

### فصل

ولا تصح الملاعة إلا بحضرة الحاكم. فإن كانت المرأة خفّرة، بعث الحاكم من يُلاعِن بينهما. وصفة اللعان أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا، ثم تقول: وغضب الله عليها إن كان من الصادقين. والسنة أن يتلاعنا قياماً، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله فإنها المؤجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب. فإن كان بينهما ولد، اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن [هذا] الولد ولده.

### فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللعان، فالمشهور عن أحمد كل زوج صح قذفه صح لعانه، فيدخل تحت هذا المسلم والكافر والحر والعبد، وكذلك المرأة، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز اللعان بين الحر والأمة، ولا بين العبد والحرّة، ولا بين الذميين، أو إذا كان أحدهما ذمياً؛ ونقل حرب عن أحمد نحو هذا، والمذهب هو الأول. ولا تختلف الرواية عن أحمد أن فرقة اللعان لا تقع بلعان الزوج وحده. واختلف هل تقع بلعانهما من غير فرقة الحاكم على روايتين. وتحريم اللعان مؤبد، فإن أكذب الملاعِن نفسه لم تحلّ له زوجته أيضاً، وبه قال عمر، وعلي، وابن مسعود؛ وعن أحمد روايتان، أصحهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قول أبي حنيفة.

قوله تعالى: ﴿وَلَرَّ يَكُنْ لَّمْ شُهَدَاؤُكُمْ إِلَّا أَنْفُسُكُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل. وابن يعمر، والنخعي: «تكن» بالطاء.

قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «أربع» بفتح العين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: برفع العين. قال الزجاج: من رفع «أربع»، فالمعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدّ القذف أربع؛ ومن نصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ قرأ حفص عن عاصم: «والخامسة» نصباً، حملاً على نصب «أربع شهادات».

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَعَنَتْ أَلَّهُ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافع، ويعقوب، والمفضل: «أَنْ لَعَنَ اللَّهُ» و«أَنْ غَضِبَ اللَّهُ» بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع الهاء من «لعنة» والباء من «غضب» إلا أن نافعاً كسر الضاد من «غَضِبَ» وفتح الباء.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهَا عَتَا﴾ أي: ويدفع عنها «الْعَدَابَ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] الحدّ. والثاني: الحبس.

ذكرهما ابن جرير. والثالث: العار.

= يزيد بن هارون به مختصراً، ثم قال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة، وذكر منها الحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢١/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، والطائلي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) البخاري ٣٤١/٨، والترمذي ١٤٨/٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢/٥ وزاد نسبه لابن ماجه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: ستره ونعمته. قال الزجاج: وجواب «لولا» هاهنا، متروك؛ والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذاب عظيم. وقال غيره: لولا فضل الله لبين الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحد، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فرض من الحدود<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ يَنْكُرُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَلٌّ مِنْ خَيْرٍ لَكَ لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْهَى مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ يَنْهَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (٢) لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَلَوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكَ فِي مَا أَفْسَفْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِالْأَفْهِكُمَا مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا هَيِّنٌ عِنْدَ عَظِيمٍ (٦) يَمْطَحُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا لِلَّهِ عَلِيمٌ وَإِنَّا لَكُم مَقُولُونَ (٧) وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ يَحِبُّونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَهْدٌ رَجِيمٌ (١٠)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أجمع المفسرون؛ أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة. وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة. وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب «الحدائق» وفي كتاب «المغني في التفسير» فلم نطل بذكره، لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليُحفظ<sup>(٢)</sup>. فأما الإفك، فهو الكذب، والعُصبة: الجماعة. ومعنى قوله: ﴿يَنْكُرُوا﴾ أي: من المؤمنين. وروى عروة عن عائشة أنها قالت: هم أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ [بن سلول]، ومسطح بن أثانة، وخمينة بنت جحش، وكذلك عدّهم مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المعطل، وقيل: لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة، والمعنى: إنكم تؤجرون فيه<sup>(٤)</sup>، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْهَى﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ﴾ أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ يَنْهَى﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، ومجاهد، وابن أبي عبيدة، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو، ويعقوب: «كُتِبَ» بضم الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابن قتيبة: كَبُرَ الشيء: مُعْظَمُهُ<sup>(٥)</sup>، ومنه هذه الآية. قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

(١) قال ابن جرير الطبري ٨٦/١٨: يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عَوَّاد على خلقه بلطفه وظلّه، حكيم في تدبيره إياهم وسياسة لهم، لمجالكم بالمقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم، وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمةً منه بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه، وانتهوا عن التقدّم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه. اهـ.

(٢) حديث الإفك مشهور، رواه أحمد في «المستد»، والبخاري ومسلم في «صحيحهما»، والترمذي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة ؓ، وهو حديث طويل، وهذه الآيات العشر نزلت في شأن عائشة ؓ حين رامها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قاله من الكذب البحت والفرية التي غار الله ﷻ لها ولبنيه ؓ فأنزله تعالى براءتها في القرآن صيانة لعرض الرسول ﷺ، وكان الذين جاؤوا بالإفك عصابة، يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم، هو الذي بدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوفيه ويلبسه ويشيعه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزوه آخرون منهم، وفي الأمر كذلك قريباً من شهر وعائشة ؓ تقول: ﴿قَصَصَ حَيْلٌ وَاللَّهُ أَلَسْتَنَّا عَلَى مَا نَحْنُونَ﴾ حتى نزل القرآن براءتها، فقال رسول الله ﷺ لعائشة: «أبشري فقد أنزل الله براءتك» وكانت السيدة عائشة الصديقة تقول: «والله ما كنت أظن أن الله أنزل في شأني شيئاً يئلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يئلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يريتها الله بها». وقد روى قصة الإفك مطولة الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٣٤٢/٨ - ٣٧٥، وابن كثير في «التفسير» ٢٦٨/٣، وغيرهما.

(٣) وفي «صحيح البخاري» ٣٤٣/٨ عن عروة عن عائشة ؓ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ﴾، قالت: عبد الله بن أبيّ بن سلول. اهـ. وهو الذي بدأ بالخوض فيه، وأذاعه وأشاعه، فله عذاب عظيم على ذلك.

(٤) قال ابن كثير: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم﴾، أي: يا آل أبي بكر، بل هو خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين ؓ حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ؓ وعنها وهي في سياق الموت قال لها: أبشري فإنك زوجة رسول الله ﷺ، وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك، ونزلت براءتك من السماء. اهـ.

(٥) نقل في «اللسان» هذا القول عن ابن السكيت، وفي «غريب القرآن»: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ﴾ أي: عَظُمُهُ.

تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْعَرِفُ<sup>(١)</sup>

وفي المتولي لذلك قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن أبي، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وعروة عن عائشة، وبه قال مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال المفسرون: هو الذي أشاع الحديث، فله عذاب عظيم بالنار. وقال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك. والثاني: أنه حسان<sup>(٢)</sup>؛ روى الشعبي أن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تمثلك به إلا رجوت له الجنة؛ فقيل: يا أم المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كَذَبُوا مِنْهُمْ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره؟ وروى عنها مسروق أنها قالت: وأي عذاب أشد من العمى، ولعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره، تعني: حسان بن ثابت. ثم إن الله عز وجل أنكر على الخائضين في الإفك بقوله: ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هلا إذ سمعتم أيئها العصبة الكاذبة فذفت عائشة ﴿طَرَفَ الَّذِينَ﴾ من الغضب الكاذبة، وهم حسان ومسطح و﴿الْمُؤَيَّنَتُ﴾ وهي: حمنة بنت جحش ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: بأثماتهم. والثاني: بأخواتهم. والثالث: بأهل دينهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة، ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كذب بيبن. وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه: ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة؟! فقال: هذا إفك مبين، أكنيت يا أمه فاعلته؟ قالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك؛ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَانُوسٌ﴾ أي: هلا جاءت الغيبة الكاذبة على قذفهم [عائشة] ﴿بِأَرْبَعٍ شَهْلَةٍ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «بأربعة» منونة؛ والمعنى: يشهدون بأنهم عاينوا ما رموا به ﴿فَإِذَا كَمْ يَأْتُوا بِالْشَهَادَةِ فَلَا لُبَّكَ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَذِبُونَ﴾. ثم ذكر القاذفين فقال: ﴿وَلَا فَسَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرِجْمَةً﴾ أي: لولا ما من الله به عليكم، ﴿لَسَكَّرَ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِي مَا أَفْسَرْتُمْ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿فِيهِ﴾ من الكذب والقذف ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ وكان الرجل منهم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقاه بعضهم من بعض. وقرأ عمر بن الخطاب: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ» بناء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة؛ وقرأ معاوية، وابن السميع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: «تَلَقَّوْنَهُ» بناء من مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، ومجاهد، وأبو حيو: «تَلَقَّوْنَهُ» بناء واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف. وقال الزجاج: «تَلَقَّوْنَهُ»: يُلْقِيهِ بعضهم إلى بعض وتَلَقَّوْنَهُ؛ ومعناه: إذ تُسْرَعُونَ بالكذب، يقال: وَلَقَى يَلْقَى: إذا أسرع في الكذب وغيره، قال الشاعر:

جاءت به عننس من الشام تَلِقُ<sup>(٥)</sup>

أي: تُسرع. وقال ابن قتيبة: «تَلَقَّوْنَهُ» أي: تَقْبَلُونَهُ، ومن قرأ: «تَلَقَّوْنَهُ» أخذه من الوثق، وهو الكذب.

(١) ديوانه ١٧، و«مختار الشعر الجاهلي» ٥٦٤/٢، و«غريب القرآن» ٣٠١، و«اللسان» و«التاج»: كبر، قال يعقوب: معناه: تنشئ، وقيل: معناه: تنقص من وثقة خصرها.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨٩/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة، أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحثهم، عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت، كان تولى كبر ذلك الأمر. اهـ. وقال ابن كثير ٣/٢٧٢: والأشهر على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله تعالى ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. اهـ.

(٣) قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كذب ظاهر على أم المؤمنين ﷺ، فإن الذي وقع لم يكن ريبه، وذلك أن منجيء أم المؤمنين رابكة جهره على راحلة صفوان بن المطلب في وقت الظهيرة والجيش بكمله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان هذا الأمر فيه ريب، لم يكن هذا جهره، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا، فتبين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين، هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة، كمسطح، وحمنة بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين، يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه. اهـ.

(٥) الرجز في «الطبري» ٩٨/١٨، و«القرطبي» ٢٠٤/١٢، و«اللسان»: ولق.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِمَا يُؤْمِرُكُمْ مَا يَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنه حق ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾ يعني: ذلك القذف ﴿هَيْئًا﴾ أي: سهلاً لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر<sup>(١)</sup>. ثم زاد عليهم في الإنكار فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي: ما يحل وما ينبغي لنا ﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ وهو يحتمل التنزيه والتعجب. وروت عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا...» الآية، فنزلت الآية. وقد روينا أنفاً أن أمه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة. وروى عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ذلك قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، ف قيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد؟!

قوله تعالى: ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَنْ تَعُدُّوا لِلْعِلْمِ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ لأن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة. ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيْتَاتِ﴾ في الأمر والنهي. ثم هدد القاذفين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَخْرُجَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: يحبون أن يفسدوا القذف بالفاحشة، وهي الزنى ﴿فِي الْأَيْتَاتِ﴾ مَأْتُوا لَمْ عَذَابِ أَلِيمٍ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني: الجلد ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ عذاب النار. وروت عُمرة عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة، فضربوا حدَّهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جلد عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحفصة بنت جحش<sup>(٣)</sup>، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبد الله فمات مناقفاً؛ وبعض العلماء يُنكر صحة هذا، ويقول: لم يضرب أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَرُّ مَا خُصِّمَ فيه وما يتضمن من سخط الله ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشة. قال ابن عباس: يريد: مسطوحاً، وحسان، وحفصة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ لَمَعَةٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزينه لكم قذف عائشة. وقد سبق شرح «خطوات الشيطان» وبيان «الفحشاء والمنكر» [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة: «ما زكى» بتشديد الكاف. وفيمن خطوب بهذا قولان: أحدهما: أنه عام في الخلق. والثاني: أنه خاص للمتكلمين في الإفك. ثم في معناه أربعة أقوال: أحدها: ما اهتدى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ما أسلم، قاله ابن زيد. والثالث: ما صلح، قاله مقاتل. والرابع: ما طهر، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ﴾ أي: يطهر من يشاء من الإثم بالتوبة والغفران؛ فالمعنى: وقد شئت أن أتوب عليكم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة. ﴿وَلَا يَأْتِي أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيُ أَنْ يُوَفَّقُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالسَّكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْمَلُوا وَلْيَصْغَرُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِي﴾ وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو جعفر، وابن أبي عبله: «ولا يأتأ» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يَتَعَلَّ. قال المفسرون: سبب نزولها أن أبا بكر الصديق كان ينفق على مسطح لقربته وفقره، فلما خاض في أمر عائشة قال أبو بكر: والله لا أنفق عليه [شيئاً] أبداً، فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) وفي «الصحيحين»: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب».

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة. (٣) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٤٧٥).

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاؤوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علم الغيب، يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلال رسول الله ﷺ فهلكوا. اهـ.

(٥) روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عندما نزلت الآيات العشر في برأيتها: فلما أنزل الله هذا في برأتي، قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته وفقره، والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾

فأما الفضل، فقال أبو عبيدة: هو الفضل، والسعة: الجدة. قال المفسرون: والمراد به: أبو بكر.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُّؤْتُوا﴾ قال ابن قتيبة: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف «لا». فأما قوله: ﴿أُولَى الْقُرْبَى﴾ فإنه يعني بسطحاً، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً. قال المفسرون: فلما سمع أبو بكر ﴿أَنْ يُّؤْتُوا﴾ أن يغفر الله لَكُمْ قال: بلى يا رب، وأعاد نفقته على مسطح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْثُونَ الْمُخَسَّاتِ الْمُمَيَّنَاتِ لَيُنَافَيْنَا فِي الْأَنْبَاءِ وَالْآخِرَةِ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٤) يَوْمَ يُؤْخَذُ بِهَبِيمٍ رَبُّهُمْ اللَّهُ وَيَتَّخِذُ اللَّهُ الْحَقَّ وَرِثَةً لِّأُولَى الْقُرْبَى (٣٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْثُونَ الْمُخَسَّاتِ﴾ يعني: العفاف ﴿الْمُمَيَّنَاتِ﴾ عن الفواحش، ﴿لَيُنَافَيْنَا فِي الْأَنْبَاءِ﴾ أي: عذبوا بالجلد، وفي الآخرة بالنار. واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عائشة خاصة. قال خصيف: سألت سعيد بن جبيرة عن هذه الآية، فقلت: من قذف محصنة لعنه الله؟ قال: لا، إنما أنزلت هذه الآية في عائشة خاصة<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها في أزواج النبي ﷺ خاصة، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها في المهاجرات. قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنما خرجت تفجر، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها عامّة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن، وبه قال قتادة وابن زيد<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال؟ فالجواب: [أن] من رمى مؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمناً، فاستغني عن ذكر المؤمنين، ومثله: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ (النحل: ٨١) أراد: والبرد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يشهد» بالياء؛ وهو إقرارها بما تكلموا به من الفرية. قال أبو سليمان الدمشقي: وهؤلاء غير الذين يُخْتَمُ على أفواههم. وقال ابن جرير: المعنى: أن ألسنتهم تشهد على بعض.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْخَذُ بِهَبِيمٍ رَبُّهُمْ اللَّهُ وَيَتَّخِذُ اللَّهُ الْحَقَّ وَرِثَةً﴾ أي: حسابهم العدل، وقيل: جزاءهم الواجب. وقرأ مجاهد، وأبو الجوزاء، وحמיד بن قيس، والأعمش: «دينهم الحق» برفع القاف ﴿وَيَتَّخِذُ اللَّهُ الْحَقَّ وَرِثَةً﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين، فإذا كانت القيامة علم حيث لا يتفعه.

﴿الَّذِينَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ وَلَظِيكَ أُولَئِكَ مُّزَوَّجُونَ وَمَا يُقُولُونَ لَهُمْ مَقْفَرَةٌ وَرِثَةٌ كَرِيمَةٌ﴾ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء، والكلمات الطيبات لا يتكلم بها إلا الطيبون من الرجال والنساء. والثاني: الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء، فأما الطيبات والطيبون، فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات. والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال. والرابع: الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، وكذلك الطيبات. ﴿وَأُولَئِكَ﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿مُزَوَّجُونَ﴾ أي: مزاوجون ﴿وَمَا يُقُولُونَ﴾ من الفرية ﴿لَهُمْ مَقْفَرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِثَةٌ كَرِيمَةٌ﴾ في الجنة.

﴿وَبِأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلِأُولَى الْقُرْبَى﴾ (٣٦) لَكُمْ لَكُمْ تَذَكُّرٌ (٣٧) فَإِنْ

وَأَمَّا أَنْ يُّؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يُؤْتُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ لَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يتفق عليه وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.

(١) «الطبري» ١٠٣/١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٥/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني.

(٢) «الطبري» ١٠٤/١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٥/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها. اهـ. وقال ابن كثير: وهو الصحيح، ويعضد المصوم ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموفقات» قيل: وما هن؟ يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».



لَرَّجِدُوا فِيهَا آهَكَا فَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمُ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ ذكر أهل التفسير أن سبب نزولها أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>؛ فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن، فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتاً ليست لكم. واختلف القراء في باء البيوت، فقرأ بعضهم بضمها، وبعضهم بكسرهما. وقد بينا ذلك في [البقرة: ١٨٩].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى قَسَايُتُوهَا﴾ قال الفراء: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: حتى تسلموا وتستأنسوا. قال الزجاج: «وتستأنسوا» في اللغة، بمعنى تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: أذنته بكذا، أي: أعلمته، وأنست منه كذا، أي: علمت منه، ومثله: ﴿فَإِن مَّأْتَسَمْتُمْ مِنْهُمْ نَفَسًا﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم. فمعنى الآية: حتى تستعلموا، يريد أهلها أن تدخلوا، أم لا؟ قال المفسرون: وصفة الاستعلام أن تقول: السلام عليكم، أأدخل؟ ولا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان، لهذه الآية، ﴿ذَلِكُمْ حَيْثُ لَكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لَمَلِكُكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به، قال عطاء: قلت لابن عباس: استأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرك أن ترى منهن عورة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن.

قوله تعالى: ﴿إِن لَرَّجِدُوا فِيهَا آهَكَا﴾ أي: إن وجدتموها خالية ﴿فَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمُ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إن ردوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموا، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ يعني: الرجوع خير لكم وأفضل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ قَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أن حكمها عام في جميع البيوت، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مروى عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أن الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل، والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها، والإذن لا يتصور من غير آذن، فإذا بطل الاستئذان، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى، وهذا أصح.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الخانات والبيوت المنيئة للسابلة ليأوا إليها، ويؤووا أمتعتهم، قاله قتادة. والثاني: أنها البيوت الخرية، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول، قاله عطاء. والثالث: أنها بيوت مكة، قاله محمد بن الحنفية. والرابع: حوانيت التجار التي بالأسواق، قاله ابن زيد. والخامس: أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن، قاله ابن جريج. فيخرج في معنى «المتاع» ثلاثة أقوال: أحدها: الأمتعة التي تباع وتشترى. والثاني: إلقاء الأذى من الغائط والبول. والثالث: الانتفاع بالبيوت لانتقاء الحر والبرد.

(١) «الطبري» ١٨/ ١١١، وأسباب النزول للواحدي ١٨٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٨/٥ وزاد نسبه للرياني.

(٢) ذكره الوحدي في «أسباب النزول» ١٦٨ بدون سند.

(٣) قال ابن كثير: هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، قال: وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له، وإلا انصرف، كما ثبت في «الصحیح» أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف».

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ أَصْدَرِهِمْ وَتَحْظَرُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَصْدَرِهِنَّ وَتَحْظَرْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ آبَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعَاتِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَلَدِ الْأَوْطَلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْنِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُسْلِمُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَصْدَرِهِنَّ﴾ في «من» قولان: أحدهما: أنها صلة. والثاني: أنها أصل، لأنهم لم يؤمروا بالغض مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما لا يحل. وفي قوله: ﴿وَتَحْظَرُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: عما لا يحل لهم، قاله الجمهور. والثاني: عن أن تُرى، فهو أمر لهم بالاستتار، قاله أبو العالية، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغض وحفظ الفروج ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي: خير وأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج (٣١). ثم أمر النساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يظهرونها لغير محرم. وزينتهن على ضربين. خفية كالسوارين والقرطين والذملج والقلاند ونحو ذلك، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الثياب، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود؛ وفي لفظ آخر قال: هو الرداء. والثاني: أنها الكف والخاتم والوجه. والثالث: الكحل والخاتم، رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: القلبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسور بن مخرمة. والخامس: الكحل والخاتم والخضاب، قاله مجاهد. والسادس: الخاتم والسوار، قاله الحسن. والسابع: الوجه والكفان، قاله الضحاك. قال القاضي أبو يعلى: والقول الأول أشبه (٣٢)، وقد نص عليه أحمد، فقال: الزينة الظاهرة: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر (٣٣)، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنيات لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة؛ فأما النظر إليها لغير عذر، فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن. فإن قيل: فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها؟! فالجواب: أن في تغطيته مشقة، فمفي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والمعنى: ولْيُلْقِينَ مَقَاتِلَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهم. وقرأ ابن مسعود، وأبى بن كعب، وإبراهيم النخعي، والأعمش: «على جُيُوبِهِنَّ» بكسر الجيم، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفية، وقد سبق بيانها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: لا يَضَعْنَ الجلباب والخمار إلا لأزواجهن.

(١) قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يفضوا من أبصارهم عما حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، كما روى مسلم في «صحيحه» عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري. وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليس لك الآخرة». وفي «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقها» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «فرض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك - إذا كان كذلك -: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.

(٣) وقال غيره من الأئمة: الوجه والكفان ليسا بعورة، فيجوز للمرأة أن تظهرهما، وهذا مقيد بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شيء من الزينة، أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ على وجوههن وأكفهن بقصد التجميل، ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات، فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمة. ثم الوجه والكفان وإن لم يكونا عورة عند بقية الأئمة، فليس معنى ذلك أنه يجب كشفهما عندهم، أو أنه سنة وسترهما بدعة، بل معناه أنه يجوز كشفهما، وذلك إذا امتن الفتنة. ثم إن سترهما مشروع وهو الأحسن والأكمل، وخاصة في مثل زماننا، فلنا لا نرى ذلك المجتمع المذهب الذي يصغي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَصْدَرِهِنَّ وَتَحْظَرْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ والكثير من الناس لا يدرك معنى قوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عندما سأله عن نظر الفجأة: «أصرف بصرك وقوله لم علي رضي الله عنه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» والاحتياط في مثل هذا الأمر أفضل، صوتاً للنساء، وحفظاً لعفانهن، وأن يستغفن خير لهن.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَسْكَبْنَ﴾ يعني: المُسلمات. قال أحمد: لا يَحِلُّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة<sup>(١)</sup>، واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإمام دون العبيد. وقال أحاب الشافعي: يدخل فيه العبيد، فيجوز للمرأة عندهم أن تُظهِر لملوكها ما تُظهِر لمحارمها، لأن مذهب الشافعي أنه مَحْرَمٌ لها، وعندنا أنه ليس بمَحْرَمٍ، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفِّها، وقد نص أحمد على أنه لا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته. قال القاضي أبو يعلى: وإنما ذكر الإمام في الآية، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زيتنها للإمام، لأن الذين تقدّم ذكرهم أحرارٌ، فلما ذكر الإمام زال الإشكال.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الثَّيِّبَاتِ﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم، أو لأنهم نَشَؤُوا فيهم. وللمفسرين في هذا التابع ستة أقوال: أحدها: أنه الأحمق الذي لا تشبهه المرأة ولا يغار عليه الرجل، قاله قتادة، وكذلك قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء. والثاني: أنه العتّين، قاله عكرمة. والثالث: المختث كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والرابع: أنه الشيخ الفاني. والخامس: أنه الخادم، قاله ابن السائب. والسادس: أنه الذي لا يكثر بالنساء، إما لِكِبَرٍ أو لِهَرَمٍ أو لصغر، ذكره ابن المنادي من أصحابنا. قال الزجاج: «غَيْرِ» صفة للتابعين. وفيه دليل على أن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ معناه: «غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ» والمعنى: ولا يبدلن زينتهن لمماليكهن، ولا لثبّاعهن، إلا أن يكونوا غير أولي الإربة، والإربة: الحاجة، ومعناه: غير ذوي الحاجات إلى النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الْأَطْفَالِ﴾ قال ابن قتيبة: يريد الأطفال، بدليل قوله: ﴿لَرَّ يَظْهَرُونَ عَلَى عَوَاتِرِ النِّسَاءِ﴾ أي: لم يعرفوها<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن كثير: يعني تظهر بزيتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن لا يمتنعن من ذلك مانع، فاما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتتجرع عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تباهر المرأة المرأة لتمتاع لزوجهما كأنه ينظر إليها» أخرجه في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود.

(٢) وفي الصحيح من حديث الزهري عن عائشة رضي الله عنها أن مختثاً كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي ﷺ وهو ينعت امرأة، يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا لا يدخلن عليكم» فأخرجه، فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة ليستطعم. وروى الإمام أحمد في «المستد» عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مختث، وعندها عبد الله بن أبي أمية - يعني أخاه - والمختث يقول: يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابتة غيلان لأنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، قال: فسمعه رسول الله ﷺ، فقال لأم سلمة: «لا يدخلن هذا عليك» وهو في «الصحيحين» من حديث هشام بن عروة. ورواه أحمد بنحوه عن عائشة رضي الله عنها، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا، لا يدخلن عليكم هذا» فحجبه، ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) قال ابن كثير: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله، فاما إذا كان مراهماً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسنة، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والدخول على النساء» قيل: يا رسول الله، أفرايت الحموم؟ قال: «الحموم الموت».

(٤) قال ابن كثير: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زيتنها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ إلى آخره، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، قال: وقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل حين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا» يعني زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود، والنسائي من حديث ثابت بن عمار به. وقال: ومن ذلك أيضاً أنهم ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. اهـ. وقال ابن كثير في تمة الآية: وقوله: ﴿وَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ حَيْثُ أَتَى اللَّهُ الْمُتَّكِرِينَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه، والله تعالى هو المستعان. اهـ.





مسعود يقرآن: «مثل نُور مَنْ آمَنَ بِهِ». والثالث: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، قاله كعب. والرابع: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان. فأما المشكاة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها في موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح: الضوء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها القنديل، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهد. والثالث: أنها الكوة التي لا منفذ لها، والمصباح: السراج، قاله كعب، وكذلك قال الفراء: المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة. وقال ابن قتيبة: المشكاة: الكوة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هي من كلام العرب<sup>(١)</sup>، والمصباح: السراج. وإنما ذكر الزُّجاجة، لأن النُّور في الزُّجاجة أشد ضوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن أبي عبله: «في زُّجاجة الزُّجاجة» بفتح الزاي فيهما. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: بكسر الزاي فيهما. قال بعض أهل المعاني: معنى الآية: كمثل مصباح في مشكاة، فهو من المقلوب. فأما الدُّرِّيُّ، فقرأ أبو عمرو، والكسائي، وأبان عن عاصم «دُرِّيٌّ» بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً. قال ابن قتيبة: المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدُّراريء، وهي اللاتي يَدْران عليك، أي: يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ: إذا اندفع منقضاً فتضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان: إذا تدافعا. وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد، وهي قراءة عبد الله بن عمر، والزهرري. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «دُرِّيٌّ» بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وقرأ عثمان بن عفان، وابن عباس، وعاصم، الجحدري: «دُرِّيٌّ» بفتح الدال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً. وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مدً ولا همز. وقرأ ابن مسعود، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً. قال الزجاج: الدُّرِّيُّ: منسوب إلى أنه كالدر في صفاته وحسنه. وقال الكسائي: الدُّرِّيُّ: الذي يشبه الدر، والدُّرِّيُّ: جارٍ، والدُّرِّيُّ: يلتصق، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم، والوليد بن عتبة عن ابن عامر: بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد، قال الزجاج: فالنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا؛ وقال الفراء: ليس هذا بجائز في العربية، لأنه ليس في الكلام «فُعِيل» إلا أعجمي، مثل مُرَيْق، وما أشبهه. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: المُرَيْق: العُضْفَر، أعجمي معرَّب، وليس في كلامهم اسم على زنة فُعِيل. قال أبو علي: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب: كوكب دُرِّيٌّ: من الصفات، ومن الأسماء: المُرَيْق: العُضْفَر.

قوله تعالى: «تَوَقَّدَ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال، يريدان المصباح، لأنه هو الذي يوقد. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يُوقَدُ» بالياء مضمومة مع ضم الدال، يريدون المصباح أيضاً. وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَوَقَّدَ» بضم التاء والدال، يريدون الزجاجة، قال الزجاج: والمقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

قوله تعالى: «مِنْ شَجَرَةٍ» أي: من زيت شجرة، فحذف المضاف، يدلُّك على ذلك قوله: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ»؛ والمراد بالشجرة هاهنا: شجرة الزيتون، ويزكُّها من وجوه، فإنها تجمع الأُذم والدَّهن والوقود، فيوقد بحطب الزيتون، ويُغسَل برماده الإبريسم، ويُستخرج دهنه أسهل استخراج، ويورق غصنه من أوله إلى آخره. وإنما حُصِّت بالذكر هاهنا دون غيرها، لأن دهنها أصفى وأضوأ.

قوله تعالى: «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بين الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربة الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أثار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل إشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة، لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالقوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: «يَا يَسْبِقُ» وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: «الْيَسْبِقُ فِي كَيْفَةٍ» يعني أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أثار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها، بالكوكب الدري، فقال «الْيَسْبِقُ» وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه «كَانَتْ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ». اهـ.

الشمس، قاله أبي بن كعب، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنها في الصحراء لا يُظَلُّها جبل ولا كهف، ولا يواربها شيء، فهو أجود لزيبتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والزجاج. والثالث: أنها من شجر الجنة، لا من شجر الدنيا، قاله الحسن<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ أي: يكاد من صفائه يُضيء قبل أن تصيبه النار بأن يوقد به. ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ قال مجاهد: النار على الزيت. وقال ابن السائب: المصباح نور، والزجاجة نور. وقال أبو سليمان الدمشقي: نور النار، ونور الزيت، ونور الزجاجة<sup>(٢)</sup>، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنور القرآن. والثاني: لنور الإيمان. والثالث: لنور محمد ﷺ. والرابع: لدينه الإسلام<sup>(٣)</sup>.

## فصل

فأما وجه هذا المثل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شبه نور محمد ﷺ بالمصباح النير؛ فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ، والمصباح النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه، فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم عليه السلام، سماه شجرة مباركة، لأن أكثر الأنبياء من ضلَّه ﴿لَا شَرْقِيَّ وَلَا غَرْبِيَّ﴾ لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد ﷺ يبين للناس أنه نبي ولو لم يتكلم. وقال القرظي: المشكاة: إبراهيم، والزجاجة: إسماعيل، والمصباح: محمد، صلى الله عليه وعليهم وسلم. وقال الضحاك: شبه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزجاجة، ومحمد ﷺ بالمصباح<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة: قلبه، والمصباح: نور الإيمان فيه. وقيل: المشكاة: صدره، والمصباح: القرآن والإيمان اللذان في صدره، والزجاجة: قلبه، فكانه مما فيه من القرآن والإيمان كوكب مضيء تَوَقَّد من شجرة، وهي الإخلاص، فمثل الإخلاص عنده كشجرة لا تصيبها الشمس، فكذلك هذا المؤمن قد احتسب من أن تصيبه الفتن، فإن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدًى على هدًى كما يكاد هذا الزيت يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته اشتد نوره، فالمؤمن كلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة. والثالث: أنه شبه القرآن بالمصباح يُستضاء به ولا ينقص، والزجاجة: قلب المؤمن، والمشكاة: لسانه وفمه، والشجرة المباركة: شجرة الوحي، تكاد حُجج القرآن تتضح وإن لم تُقرأ. وقيل: تكاد حُجج الله تضيء لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن، ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ أي: القرآن نور من الله لخلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: ويبين الله الأشياء للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غريبة، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالمشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غريبة، وإنما قلنا: ذلك أولى بمعنى الكلام، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجرة شرقياً غريباً، كان زيت لا شك أجود وأصفى وأضوأ. اهـ. وقال ابن كثير بعد أن سرد عدة أقوال: وأولى هذه الأقوال أنها في مستوى من الأرض في مكان فسح باو ظاهر ضاح للشمس تفرقه من أول النهار إلى آخره، ليكون ذلك أصفى لزيبتها والطف، كما قال غير واحد، قال: ولهذا قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنَزَّلْهُ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لضوء إشراق الزيت. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: نور النار ونور الزيت حين اجتماعهما أضاء، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن من يشاء من عباده. اهـ. فعلى هذا الضمير يعود على القرآن، وهو الصواب.

(٤) هذا تأويل، وليس تفسيراً لظاهر الآيات. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: ويمثل الله الأمثال والأشياء للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة ومما في هذه الآية من الأمثال، ﴿وَاللَّهُ يَكْفِي عَنْهُ غُلْبَةً﴾ يقول: والله بضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكْفِي عَنْهُ غُلْبَةً﴾ لما ذكر تعالى هذا مثلاً لنور هداه في قلب المؤمن، ختم الآية بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكْفِي عَنْهُ غُلْبَةً﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال. اهـ.

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُكُمْ يُسَبَّحُ لَمْ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ۖ ﴾ ﴿يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ مِحْرَةً وَلَا يَجْعَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَافَرِ الْكَلْبَةِ وَإِلَّا الْكَلْبَةُ يَخَافُونَ تَوَكَّلْ فِيهِ الْقَلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۖ﴾ ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ قال الزجاج: «في» من صلة قوله: «كمشكاة»، فالمعنى: كمشكاة في بيوت؛ ويجوز أن تكون متصلة بقوله: «يُسَبَّحُ له فيها» فتكون فيها تكريراً على التوكيد؛ والمعنى: يسبح لله رجال في بيوت. فإن قيل: المشكاة إنما تكون في بيت واحد، فكيف قال: «في بيوت»؟ فغنه جواباً: أحدهما: أنه من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختتم بالجمع، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَعْتَ فِي السَّجَةِ﴾ [الطلاق: ٢١]. والثاني: أنه راجع إلى كل واحد من البيوت، فالمعنى: في كل بيت مشكاة. وللمفسرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: بيوت أزواج رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: بيت المقدس، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. فأما ﴿أُذِّنَ﴾ فمعناه: أمر. وفي معنى ﴿أَنْ تَرْفَعَ﴾ قولان: أحدهما: أن تعظم، قاله الحسن، والضحاك. والثاني: أن تبني، قاله مجاهد، وقناة. وفي قوله: ﴿وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُكُمْ﴾ قولان: أحدهما: توحيده؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يثلي فيها كتابه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿يُسَبَّحُ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «يُسَبَّحُ» بكسر الباء، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بفتحها. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة: «يُسَبَّحُ» بقاء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء. وفي قوله: ﴿يُسَبَّحُ لَمْ فِيهَا﴾ قولان: أحدهما: أنه الصلاة. ثم في صلاة العُدُوِّ قولان: أحدهما: أنها صلاة الفجر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: صلاة الضحى، روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ ﴿يُسَبَّحُ لَمْ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾. وفي صلاة الأصال قولان: أحدهما: أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. والثاني: صلاة العصر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنه التسييح المعروف، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ﴾ أي: لا تشغلهم ﴿مِحْرَةً وَلَا يَجْعَلُ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن السائب: الثَّجَار: الجلابون، والباعة: المقيمون. وقال الواقدي: التجارة هاهنا بمعنى الشراء. وفي المراد بذكر الله ثلاثة أقوال: أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس، وعطاء. وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ مِحْرَةً وَلَا يَجْعَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والثاني: عن القيام بحق الله، قاله قناة. والثالث: عن ذكر الله باللسان، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَكَافَرِ الْكَلْبَةِ﴾ أي: أداؤها لوقتها وإتمامها. فإن قيل: إذا كان المراد بذكر الله الصلاة، فما معنى إعادتها؟ فالجواب: أنه يبين أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

قوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والنشور، ازداد بصيرة برؤية ما وعده به؛ ومن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة، قاله الزجاج.

(١) وهذا أيضاً تأويل، فإن المقصود من البيوت هنا: المساجد.

(٢) والقول الأول هو الصواب. قال ابن كثير: لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاج الصافية المتوقد من زيت طيب، وذلك كالقنديل، مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوت التي يُعْبَدُ فيها وتُؤَدُّ، فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ﴾ أي: أمر الله تعالى بتعظيمها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها. اهـ. وقد ورد في فضل بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وأحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً يفتني به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» وروى ابن ماجه في «سننه» بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من بنى مسجداً كمنهض قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة»، والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملأها ببعثها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باقي، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَلْهِيهِمْ مِحْرَةً وَلَا يَجْعَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَافَرِ الْكَلْبَةِ وَإِلَّا الْكَلْبَةُ﴾ أي: يقدمون طاعة ومراعاة ومحبته على مرادهم ومحبته. اهـ.



**والثاني:** أن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تتقلب، تنظر من أين يؤتون كتبهم، **أَمِنْ قَيْلِ الْيَمِينِ**، أم من قَيْلِ الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، أذاً اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابن جرير.

**والثالث:** تتقلب القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلب الأبصار إلى الرُّقْ بعد الكحل والعمى بعد النظر.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِيهِمْ﴾ المعنى: يَسْبَحُونَ الله ليجْزِيَهُم ﴿أَنْحَسْنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجْزِيَهُم بحسناتهم. فاما مساوئهم فلا يجْزِيَهُم بها ﴿وَرَبَّيْدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقُّوه بأعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناه في [المراد: TV].

﴿رَالَيْدِينَ كَتَرُوا أَخْيَاهُمْ كَرِيمَ بَيْعُوهُمْ يَحْسِبُهُمُ الْفَلْسَانُ مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَا يُخَدُّهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ كِسَابَهُمْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَوْ كَالَّذِينَ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَتَّقُونَ مَتَىٰ بَشَنَهُمْ مِنْ مِجٍّ مِنْ تَوْفِيهِمْ كَاتِبٌ يَلْعَنُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مِنْهُم مَذْهَبٌ أَوْ كَخِرَاجٍ يُخْرَجُ ﴿١٧﴾ أَوْ كَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَهُمْ مِنْ دُونِهَا بُهْتَانٌ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ أَقْرَبَ ﴿١٨﴾﴾

ثم ضرب الله مثلاً للكمفار فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتْلُفُهُمْ كُرْكُرًا﴾ قال ابن قتيبة: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخره، وهو يرفع كل شيء، والقيعة والقاع واحد. وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري، وابن السميعف: «بقيعات». وقال الزجاج: القيعة جمع قاع، مثل جارٍ وجيرة، والقيعة والقاع: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب، والآل مثل السراب، إلا أنه يرتفع وقت الضحى - كالماء - بين السماء والأرض يحسه الظمآن - وهو الشديد العطش - ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضاً لا ماء فيها، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله - كظن الذي يظن السراب ماء - وعمله قد حبط.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَ﴾ أي: قَدِمَ على الله ﴿فَوْقَهُ حِسَابُهُ﴾ أي: جازاه بعمله؛ وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن، والمراد به الخبر عن الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٠٢].

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَنِتُّ﴾ في هذا المثل قولان: أحدهما: أنه لعل الكافر، قاله الجمهور، واختاره الزجاج. والثاني: أنه مثل لقلب الكافر في أنه لا يَغْفَل ولا يَبْصُر، قاله الفراء. فاما اللَّجِّي، فهو العظيم اللَّجَّة، وهو العميق ﴿يَنْشَلُهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٌ مِّن قَوْفٍ﴾ أي: من فوق الموج موج، والمعنى: يتبع الموج موج، حتى كان بعضه فوق بعض، ﴿مِّن قَوْفٍ﴾ أي: من فوق ذلك الموج ﴿مَحَابٌ﴾. ثم ابتداء فقال: ﴿ظَلَمْتُ﴾ يعني: ظلمة البحر، وظلمة الموج [الأول، وظلمة الموج] الذي فوق الموج، وظلمة السحاب. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: «سحابٌ ظلماتٍ» مضافاً «إِذَا أَرَجَّ يَكُدُّ» يعني: إذا أخرجها مخرجاً، ﴿لَّيْكَدُ بِرَمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يرها، قاله الحسن، واختاره الزجاج. قال: لأن في دون هذه الظلمات لا يرى الكف؛ وكذلك قال ابن الأنباري: معناه: لم يرها البتة، لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أن الرؤية معدومة، فبان بهذا الكلام أن «يَكُدُّ» زائدة للتوكيد، بمنزلة «ما» في قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيْسَ مِنَّكَ لَيْبِيعٌ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. والثاني: أنه لم يرها إلا بعد الجهد، قاله الميرد. قال الفراء: وهذا كما تقول: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت، قال الفراء: وهذا وجه العربية.

## فصل

فأما وجه المَثَل، فقال المفسرون: لَمَّا ضَرَبَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ مَثَلًا بِالنُّورِ، ضَرَبَ<sup>(١١)</sup> لِلْكَافِرِ هَذَا الْمَثَلَ بِالظُّلُمَاتِ؛ والمعنى: أَنَّ الْكَافِرَ فِي حَيْرَةٍ لَا يَهْتَدِي لِرُشْدِهِ. وقيل: الظُّلُمَاتُ: ظُلْمَةُ الشُّرْكِ وَظُلْمَةُ الْمَعَاصِي. وقال بعضهم: ضَرَبَ الظُّلُمَاتِ مَثَلًا لِعَمَلِهِ، وَالْبَحْرِ اللَّجْجِي لِقَلْبِهِ، وَالْمَوْجِ لِمَا يَغْشَى قَلْبَهُ مِنَ الشُّرْكِ وَالْجَهْلِ وَالْحَيْرَةِ، وَالسَّحَابِ لِلرَّيْنِ وَالْخُتَمِ عَلَى قَلْبِهِ، فَكَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَدْخَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَخْرَجُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الظُّلُمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) في الأصل: وضرب.





قوله تعالى: ﴿كَانَ تَوَكُّلًا﴾ هذا خطاب لهم، والمعنى: فإن تتولوا، فحذف إحدى التاءين. ومعنى التولي: الإعراض عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَلَمَّا طَوَّيَ﴾ يعني: الرسول ﴿مَا جُلَّ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا جُمِعَتْهُ﴾ من الطاعة؛ وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ يعني: رسول الله ﷺ ﴿تَهْتَدُوا﴾، وكان بعض السلف يقول: من أتمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أتمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة، لقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا عَمَلَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسَّخِرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آيَاتِهِمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٥٥﴾ وَأَمَّا الْكُفْرَاءُ وَأَمَّا الْأَرْكَانُ وَالْأَمْرُ الْأَرْكَانُ لَكُمْ تَرْحَمُونَ ٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا﴾ روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار، رمنهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمته، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبني آمينين مطمئنين لا نخاف إلا الله ﷻ؟! فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال أبو العالية: لما أظهر الله ﷻ رسوله على جزيرة العرب، وضعوا السلاح وأمنوا، ثم قبض الله نبيه، فكانوا آمنين كذلك في إمرة أبي بكر، وعمر، وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة، فدخل الله ﷻ عليهم الخوف، فغيروا، فغيّر الله تعالى ما بهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذا الوعد وعده الله أمّة محمد في التوراة والإنجيل. وزعم مقاتل أن كفار مكة لما صدّوا رسول الله ﷻ والمسلمين عن العمرة عام الحديبية، قال المسلمون: لو أن الله تعالى فتح علينا مكة، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿لَيَسَّخِرَنَّ لَهُمْ﴾ أي: ليجعلنهم يخلّفون من قبلهم، والمعنى: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها. وعلى قول مقاتل: المراد بالأرض مكة.

قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام؛ يعني: بني إسرائيل، وذلك أنه لما هلكت الجبابرة بمصر، أورثهم الله أرضهم وديارهم وأمواهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَسَّخِرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وهو الإسلام، وتمكينه: إظهاره على كل دين، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لأنهم كانوا مظلومين مقهورين<sup>(٣)</sup>، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بهذه النعم، أي: من جحد حقها. قال المفسرون: وأوّل من كفر بهذه النعم قتلة عثمان.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٠١/١ قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٥/٥، وزاد نسيه لابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن أبي بن كعب ﷺ.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٥/٥ عن عبد بن حديد، وابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن كثير: هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أمّة الناس، والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه ﷻ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وغيره من الجزيرتين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية، وهو المقوقس، وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحابه رحمة الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷻ، واختار له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمْ شعث ما وهى بعد موته ﷻ. وأخذ جزيرة العرب ومهلها، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صبيحة خالد بن الوليد ﷻ، ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صبيحة أبي عبيدة ﷻ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صبيحة عمرو بن العاص ﷻ إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقها من أراضي حوران وما والاها، وتوفاه الله ﷻ، واختار له ما عنده من الكرامة، ومنّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قياماً تاماً، لم يُدْرِ الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية، وأتفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة. ثم لما كانت الدولة العثمانية (دولة عثمان بن عفان ﷻ) امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، فتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك =

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ضَعْفَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نُهُمُ أَنَّذَرُ وَلَئِنَّ الْآخِرَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ ابن عامر، وحزمة عن عاصم: «لَا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفتح السين. وقرأ الباقون: بالتاء وكسر السين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَقِيمُونَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفَوْا الْهَلْمَ يَنْكُرُ لَكُمْ ذَلِكَ مَرَّةٌ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ نِصْفَيْهِ مِنْ الظُّلُمَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْوُضْءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَضْعُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَلَئِنْ بَلَغَ الْأَقْلَامُ بِكُمْ الْعُلَمَ فَلْيَنْتَنِدُوا كَمَا اسْتَنْتَدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْفَرَقَةُ مِنَ الْإِسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ بَكَامًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُوا يَدَهُمْ عَنِ مَتَجِدَتٍ يُرِيدُوا أَنْ يَسْتَفِيدُوا خَيْرَ لَهْمٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَقِيمُونَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ وجه غلاماً من الأنصار يقال له: مُذَلِّج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله، وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أسماء بنت مرثد<sup>(٢)</sup> كان لها غلام، فدخل عليها في وقت كرهته، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرها، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وفيهم قولان. أحدهما: أنه أراد الذكور دون الإناث، قاله ابن عمر. والثاني: الذكور والإناث، رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن<sup>(٤)</sup>. ومعنى الكلام: ليستأذنكم ممالككم في الدخول عليكم. قال القاضي أبو يعلى: والأظهر أن يكون المراد: للعبيد الصغار والإماء الصغار، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين؟!

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفَوْا الْهَلْمَ﴾ وقرأ عبد الوارث: «الْهَلْم» بإسكان اللام ﴿يَنْكُرُ﴾ أي: من أحراركم من الرجال والنساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي: ثلاثة أوقات؛ ثم بيّنها فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ﴾ وذلك لأن الإنسان قد يبيت غريباً، أو على حالة لا يحب أن يُطلع عليه فيها ﴿وَبَيْنَ نِصْفَيْهِ مِنْ الظُّلُمَةِ﴾ أي: القائلة ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْوُضْءِ﴾ حين يأوي الرجل إلى زوجته، ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثلاث عورات» برفع التاء من «ثلاث»، والمعنى: هذه الأوقات هي ثلاث عورات، لأن الإنسان يضع فيها ثيابه، فربما بدت عورته. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ثلاث عورات» بنصب التاء؛ قال أبو علي: وجعلوه بدلاً من قوله: «ثلاث مرّات» والأوقات ليست عورات، ولكن المعنى: أنها أوقات ثلاث عورت، فلما حذف المضاف أعرب [بإعراب المحذوف]. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والأعمش: «عَوْرَاتٍ» بفتح الواو، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: المؤمنين الأحرار ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الخدم والغلمان ﴿جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد مضي هذه

= الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى ربه ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخلب الله ملكهم الأعظم خاقان، وجي الجراج من المشرق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها» قال ابن كثير: فما نحن ننقلب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسال الله الإيمان به ورسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا. اهـ.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند.  
(٢) في الأصل: أسماء بنت مرثد، وما أثبتناه من «الإصابة» وبعض كتب التفسير.  
(٣) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن مقاتل بدون سند، وخرجه بنحو السيوطي في «الدرة» ٥٥/٥ من رواية ابن أبي خاتم عن مقاتل بن حيان.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به الذكور والإناث، لأن الله عم بقوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جميع أملاك إيماننا، ولم يخص منهم ذكراً ولا أنثى، فذلك على جميع من عمه ظاهر التفسير. اهـ.

## فصل

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٦٨/١٨ عن الضحاك، وهو عند الواحدی فی «أسباب النزول» ١٨٩ بدون سند.

يتحرّجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والخامس: أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسن، وابن زيد. فعلى القول الأول يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»، ذكره ابن جرير. وكذلك يخرج [معنى الآية] على كل قول بما يليق به. وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعده مستأنف لا تعلّق له به، وهو يقوّي قول الحسن، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرَيْدِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت الأولاد. والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم، فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم لأنهم سكّانها. والثالث: أنها بيوتهم، والمراد أكْلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأن بيت المرأة كبيت الرجل. وإنما أباح الأكل من بيوت القربات المذكورين، لجريان العادة ببذل طعامهم لهم؛ فإن كان الطعام وراء حُرْز، لم يجز هتك الحرز.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاتِحُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوكيل، لا بأس أن يأكل اليسير، وهو معنى قول ابن عباس. وقرأها سعيد بن جبير، وأبو العالية: «مَلَكْتُمْ» بضم الميم وتشديد اللام مع كسرهما على ما لم يسمّ فاعله، وفَسَّرَهَا سعيد فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح. وقرأ أنس بن مالك، وقتادة، وابن يعمر: «مِفْتَاحَهُ» بكسر الميم على التوحيد. والثاني: بيت الإنسان الذي يملكه، وهو معنى قول قتادة. والثالث: بيوت العبيد، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً، وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فقال: تحرّجتُ أن أكل من طعامك بغير إذنك، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وكان الحسن وقتادة يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ في سبب نزول هذه [الآية] ثلاثة أقوال: أحدها: أن حياً من بني كنانة يقال لهم: بنو ليث كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده؛ فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة والضحاك<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن المسلمين كانوا يتحرّجون من مؤاكلة أهل الضّرّ خوفاً من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لا اختلاف الناس في مأكَلهم وزيادة بعضهم على بعض؛ فوسّع عليهم، وقيل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾ أي: متفرّقين، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت أنفسكم، فسلموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر بن عبد الله، وطاووس، وقتادة. والثاني: أنها المساجد، فسلموا على من فيها، قاله ابن عباس. والثالث: بيوت الغير؛ فالمعنى: إذ دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

(١) «الطبري» ١٦٩/١٨، وهو عند الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» بنحو ٨٥/٥.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ من رواية التلمي عن ابن عباس ؓ.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي عن قتادة والضحاك بدون سند، وذكره الطبري عن قتادة، والسيوطي في «الدر» من رواية عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) «الطبري» ١٧٢/١٨، و«أسباب النزول» للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ وزاد نسبة لابن المنذر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضهم على بعض، قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ ولم يخص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: بعضهم على بعض، فكان معلوماً إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها. اهـ.



قوله تعالى: ﴿فَإِذَا كَانُوا مِنْكَ يَمِينًا﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على المصدر، لأن قوله: ﴿فَسَلِّمُوا﴾ بمعنى: فحيوا وليحي بعضكم بعضاً تحية، ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: مباركة بالأجر، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: حسنة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مِنْكَ يَمِينًا وَهُمْ حَتَّى يَسْتَفِذُوا مِنْكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَفِذُوا لَیَعِضْ شَاةَهُمْ فَأَذَنٌ لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْكَ يَمِينًا﴾ يعني: مع رسول الله ﷺ ﴿عَنْ أَمْرِ جَمِيعٍ﴾ أي: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو الجهاد والجمعة والعید ونحو ذلك ﴿أَنْ يَسْتَفِذُوا﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم يحيي رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم، فالأمر إليه في ذلك. قال مجاهد: وإذا الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ﴾ أي: لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذراً.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لِرَادِّ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْشَأُ مِنْهُمْ يَمَانٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نهي عن التعرض لإسقاط رسول الله ﷺ، فإنه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أمروا أن يقولوا: يا رسول الله، ونهوا أن يقولوا: يا محمد، قاله سعيد بن جبير، وعلقمة، والأسود، وعكرمة، ومجاهد. والثالث: أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخير إذا دعاهم، حكاه الماوردي. وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وأبو المتوكّل، ومعاذ القارئ: «دعاء الرسول نبيكم» بياء مشددة ونون قبل الباء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ﴾ التسلل: الخروج في خفية. واللواذ: أن يستتر بشيء مخافة من يراه. والمراد بقوله «قد يعلم» التهديد بالمجازاة. قال الفراء: كان المنافقون يشهدون الجمعة فيذكرهم رسول الله ﷺ ويعيهم بالآيات التي أنزلت فيهم، فإن خفي لأحدهم القيام قام، فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لِرَادِّ﴾ أي: يلوذ هذا بهذا، أي: يستتر ذا بهذا<sup>(١)</sup>. وإنما قال: «لواذ» لأنها مصدر «لاوذت»، ولو كان مصدراً لـ «لذت» لقلت: لذت لِمَاذَا، كما تقول: قُتِبْتُ قِيَاماً. وكذلك قال ثعلب: وقع البناء على لاوذ ملاوذة، ولو بني على لاذ يلوذ، لقلت: لِمَاذَا. وقيل: هذا كان في حفر الخندق، كان المنافقون ينصرفون عن غير أمر رسول الله ﷺ مخفين.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، قاله مجاهد. والثاني: إلى رسول الله ﷺ، قاله قتادة. وفي «عن» قولان: أحدهما: [أنها] زائدة، قاله الأخفش. والثاني: أن معنى «يخالفون»: يُعْرِضُونَ عن أمره. وفي الفتنة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة، قاله ابن عباس. والثاني: بلاء في الدنيا، قاله مجاهد. والثالث: كفر، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: القتل في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل: تحيوا وليحي.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى وذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه تسراً وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله ﷺ، فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليقتل من يفعل ذلك منكم - الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه - أن يصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم فيطعن على قلوبهم فيكفروا بالله. اهـ.

(٣) قال ابن كثير في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشرعته، فتوزن الأقوال =



قوله تعالى: ﴿قَدْ يَكَلِّمُ مَا أَنْشَرْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفسكم، وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمان والنفاق؛ وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك<sup>(١)</sup>.



= والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قيل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في «الصحاحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً وظاهراً ﴿إِنْ تُبَيِّنْهُمْ فَنَشْءُ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿وَإِنْ تُبَيِّنْهُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي: في الدنيا يقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. اهـ.

وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٩٠/٤. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراس يقرن فيها وهو يلقيهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تقولون من يدي».

(١) قال ابن جرير الطبري: ﴿قَدْ يَكَلِّمُ مَا أَنْشَرْتَ عَلَيْهِ﴾ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك. ثم قال ابن جرير في تكملة السورة: ﴿وَيُزَكِّىهِمْ﴾ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ﴿وَيُزَكِّىهِمْ﴾ يقول: فيخبرهم حينئذ ﴿وَمَا عَزَلُوا﴾ في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم ﴿وَأَنَّهُ يَكَلِّمُ مَنَّهُ عَلَيْهِ﴾ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم، وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موثوق كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه. اهـ.

## سورة الفرقان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَخْضَعُونَ وَلَهُ يَكُونُ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دَعَمُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تُشْرِكُوا ﴿٣﴾﴾

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة في آخرين: هي مكية. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَخْرُجُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿عَفْوًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤]. والفرقان: القرآن، سمي فرقاناً، لأنه فُرق به بين الحق والباطل. والمراد بعبد: محمد ﷺ، فيه قولان: أحدهما: أنه كناية عن عبده، قاله الجمهور. والثاني: عن القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ [أي]: مخوفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ دَعَمُ تَقْدِيرًا﴾ فيه ثلاث أقوال. أحدها: سؤاه وهيباه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت. والثاني: قُدِّرَ له ما يصلحه ويُقيمه. والثالث: قُدِّرَ له تقديرًا من الأجل والرُزق. ثم ذكر ما صنعه المشركون، فقال: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ يعني: الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرر، ولا جر نفع، لأنها جماد لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تميت أحداً، ولأن تحيي أحداً، ولا أن تبعث أحداً من الأموات؛ والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة مَنْ يقدر على ذلك كله؟ ١٩.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَىٰ أَكْتَتَبَهَا فَبِئْسَ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَفْوًا رَحِيمًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي قريش؛ وقال مقاتل: هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي: ما هذا، يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ أي: كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ﴾ قال مجاهد: يعنون اليهود؛ وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضاً، وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ قال الزجاج: المعنى: فقد جاؤوا بظلم وزور، فلما سقطت الباء، أفضى الفعل فنصب، والزور: الكذب. ﴿وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَىٰ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين؛ وقد بينّا ذلك في [الأنعام: ٢٥]. قال المفسرون: والذي قال هذا هو النضر بن الحارث. ومعنى ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ أمر أن تُكتب له. وقرأ ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وطلحة بن مصرف: «أَكْتَتَبَهَا» برفع التاء الأولى وكسر الثانية، والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة، ﴿فَبِئْسَ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ﴾ أي: تُفَرَّأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ أي: عُدة وعشيتاً. ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشَى فِي الْأَنْبَاءِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرِّفُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَّلُوا فَلَاحَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرُق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة؛ والمعنى: أنه ليس بملك ولا ملك، لأن الملافة لا تأكل، والملوك لا تبدل في الأسواق، فعبجوا أن يكون مساوياً للبشر لا يتميز عليهم بشيء؛ وإنما جعله الله بشراً ليكون مجانساً للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملكاً يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجبابرة، ولأنه أمر بدعائهم، فاحتاج أن يمشي بينهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يعث معك ملكاً يصدقك ويجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً، فذلك قوله: ﴿أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كُتُبٌ﴾ أي: ينزل إليه كتر من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بستان يأكل من ثماره. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يأكل منها» بالياء، يعنون النبي ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «ناكل» بالنون، قال أبو علي: المعنى: يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته. وباقى الآية مفسر في [بني إسرائيل: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ صَرِّفُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ حين مثلك بالمسحور، وبالكاهن والمجنون والشاعر ﴿فَضَّلُوا﴾ بهذا عن الهدى ﴿فَلَاحَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يستطيعون مخرجاً من الأمثال التي ضربوها، قاله مجاهد، والمعنى أنهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجة وبرهاناً. وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة. والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السدي.

﴿يَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٥﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٦﴾ إِذَا رَأَوْهُمُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ يُبَيرُ سِمَعًا لَمَّا تَغِيظُ زَفِيرًا ﴿١٧﴾ وَإِذَا الْفُؤَادُ مِنْهَا ذَكَتَا صَيفًا مَقْرَرَيْنَ دَعَا هَؤُلَاءِ ثُبُورًا ﴿١٨﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني: لو شئت لأعطيتك في الدنيا خيراً مما قالوا، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «ويجعل لك قصوراً» برفع اللام. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «ويجعل» بجزم اللام. فمن قرأ بالجزم، كان المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل [لك] قصوراً. ومن رفع، فعلى الاستئناف [المعنى]: ويجعل لك قصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى ﴿اعْتَدْنَا﴾ [النساء: ٣٧] ومعنى ﴿السَّعِيرِ﴾ [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْهُمُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ يُبَيرُ سِمَعًا﴾ قال السدي عن أشياخه: من مسيرة مائة عام. فإن قيل: السعير مذكر، فكيف قال: «إذا رآهم»؟ فالجواب: أنه أراد بالسعير النار.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَمَّا تَغِيظُ﴾ فيه قولان: أحدهما: غَلِيَانٌ تَغِيظُ، قاله الزجاج. قال المفسرون: والمعنى أنها تتغيظ عليهم، فيسمعون صوت تغيظها وزفيرها كالغضب إذا غلا صدره من الغيظ. والثاني: يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم، حكاه ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْفُؤَادُ مِنْهَا ذَكَتَا صَيفًا مَقْرَرَيْنَ دَعَا هَؤُلَاءِ ثُبُورًا ﴿١٨﴾﴾ قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الرُّجُح<sup>(١)</sup> على الرُّمَح، وهم قد قُرنوا مع الشياطين والثُّبُور: الهلكة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن السميع: «ثُبُوراً» بفتح الشاء.



أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاظ به ﴿وَكَاذِبًا قَوْلًا يُرَى﴾ قال ابن عباس: هَلَكِي. قوال في روايه أخرى، الثور: [في] لغة أزد عُمان: الفاسد. قال ابن قتبية: هو من بَارَ يُبُور: إذا هلك ويظَل، يقال: بار الطعام: إذا كَسَد، وبارت الآيَم: إذا لم يُرْعَب فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بَوَارِ الآيَم، قال: وقال أبو عبيدة: يقال: رجل بُورٌ، وقوم بور، لا يُجَمَع ولا يُثْنَى، واحتج بقول الشاعر:

يَا رَمُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِي مَا فَتَفْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ<sup>(١)</sup>

وقد سمعنا بـ «رجل بائر» ورأيناها ربما جمعوا «فاعلاً» على «فعل»، نحو عائذ وعُوذ، وشارِب وشُرِب. قال المفسرون: فيقال للكفار حينئذٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ﴾ أي: فقد كَذَّبكم المعبودون في قولكم: إنهم آلهة. وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، ومعاذ القارئ، وابن شنيذ عن قتيل: «بما يقولون» بالياء؛ والمعنى: كَذَّبوكم بقولهم: ﴿سَبَّحْتَكَ مَا كَانَ يَلْبَنِي لَهَا...﴾ الآية؛ هذا قول الأكثرين. وقال ابن زيد: الخطاب للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كَذَّبكم المشركون بما تقولون: إن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وجهان: أحدهما: فما يستطيع المعبودون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً لكم. والثاني: فما يستطيع الكفار صرفاً لعذاب الله عنهم ولا نصراً لأنفسهم. وقرأ حفص عن عاصم: «تستطيعون» بالتاء؛ والخطاب للكفار. وحكى ابن قتبية عن يونس البصري أنه قال: الصَّرْف: الحيلة من قولهم: إنه ليتصرف.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ﴾ أي: بالشُّرك ﴿يَذِقْهُ﴾ في الآخرة. وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وأبو الجوزاء [وقناة]: «يذقه» بالياء ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديداً. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الزجاج: في الآية محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك رُسلاً من المرسلين، فحذفت «رسلاً» لأن قوله: ﴿وَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدل عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْآسَافِ﴾ أي: إنهم كانوا على مثل حالك، فكيف تكون بدعاً منهم؟! فإن قيل: لم كُسرت «إنهم» هاهنا، وفتحت في قوله: ﴿أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ [براءة: ٥٤] فقد بيَّنا هنالك غِلَّةً فتح تلك؛ فأما كسر هذه، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين: أحدهما: أن تكون فيها واو حال مضمرة، فكسرت بعدها «إن» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنهم لياكلون الطعام، فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله: ﴿أَزْهَمَ قَائِلُكَ﴾ [الاعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون. والثاني: أن تكون كُسرت لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا مَنْ إنهم لياكلون، قال الشاعر:

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ وَأَخَرُ يَشْنِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ<sup>(٢)</sup>

أراد: مَنْ دَمَعَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَلْنَا بِمَعْصِكُمْ لِيُخْزِيَنَّ الْفِتْنَةَ﴾ الابتلاء والاختبار. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه افتتان الفقير بالغني، يقول: لو شاء لجعلني غنياً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح، قاله الحسن. والثاني: ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسَلِّم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب. والثالث: أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا وزدالتنا، قاله مقاتل. فعلى الأول: يكون الخطاب بقوله: ﴿أَتَقْسِرُونَ﴾ لأهل البلاء. وعلى الثاني: للرؤساء، فيكون المعنى: أنصبرون على سبق الموالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛

(١) البيت لعبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِي قاله حين أسلم عند فتح مكة، وهو في «مجاز القرآن» ٧٣/٢، و«غريب القرآن» ٣١١، و«الطبري» ١٨/١٩١، و«القرطبي» ١١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: بور.

(٢) المهمل: التؤدة والسكنية، والبيت لذي الرمة وهو في «معاني القرآن» ٣٨٤، وروايته في «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ص ٥٧٠. فظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَأَخَرُ يَشْنِي عُبْرَةَ الْمَعْنِي بِالْمَهْمَلِ

فالمعنى: أنصبرون على أذى الكفار واستهزائهم، والمعنى: قد علمتم ما وُعد الصابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حُبْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً تَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ﴾ فكانوا رُسلًا إلينا وأخبرونا بصدقك، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسول، ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تكبروا حين سألوا هذه الآيات ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزجاج: العتو في اللغة: مجاوزة القدر في الظلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. والثاني: يوم القيامة. قال الزجاج: وانتصب اليوم على معنى: لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد لـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ﴾؛ والمعنى أنهم يُمتنعون البُشرى في ذلك اليوم؛ ويجوز أن يكون «يوم» منصوباً على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، والمجرمون هاهنا: الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حُبْرًا مَّحْجُورًا﴾ وقرأ قتادة، والضحاك، ومعاذ القارئ: «حُجْرًا» بضم الحاء. قال الزجاج: وأصل الحجر في اللغة: ما حجرت عليه، أي: منعت من أن يُوصل إليه، ومنه حَجَر القضاة على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة يقولون للكفار: حُجْرًا محجوراً، أي: حراماً محرماً. وفيما حَرَموه عليهم قولان: أحدهما: البُشرى، فالمعنى: حرام محرّم أن تكون لكم البُشرى، قاله الضحاك، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أن تدخلوا الجنة، قاله مجاهد. والثاني: أنه قول المشركين إذا عابوا العذاب، ومعناه الاستعانة من الملائكة، روي عن مجاهد أيضاً. وقال ابن فارس: كان الرَّجُل إذا لقي مَنْ يخافه في الشهر الحرام، قال: حُجْرًا، أي: حرام عليك أذاي، فإذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة، قالوا: حُجْرًا محجوراً، يظنون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: قَصَدْنَا وَعَمَدْنَا، والأصل أن من أراد القُدوم إلى موضع عَمَدَ له وقصده.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [أي] من أعمال الخير ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً﴾ لأن العمل لا يُقَبَّل مع الشُّرك<sup>(٢)</sup>. وفي الهباء خمسة أقوال: أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل الغبار، قاله عليّ رضي الله عنه، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، واللغويون؛ والمعنى أن الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء. والثاني: أنه الماء المُهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس. والرابع: أنه الشر الذي يطير من النار إذا أضرمت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، رواه عطية عن ابن عباس. والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدواب، قاله مقاتل. والمتشور: المشرق.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضل منزلاً من المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

(١) قال ابن كثير: يقول الله: لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلِي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبلي العباد بهم وأبليكم بهم، وفي «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك». وفي «المستند» عن رسول الله ﷺ: «لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وفي «الصحيح» أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أخبر الله تعالى أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرفوعة فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حيثن. اهـ.

قال الزجاج: المَقِيلُ المُقام وقت القائلة، وهو النوم نصف النهار. وقال الأزهري: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم. وقال ابن مسعود، وابن عباس: لا يتصف النهار من يوم القيامة حتى يقِيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَنفُسُ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ تَهْتَزُّ ۖ أَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ۖ وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَكْتَبُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ۖ يَوْمَئِذٍ لَّنِي لَرَأَيْتُ فَلَاحًا خَلِيلًا ۖ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَعَلَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَنفُسُ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ تَهْتَزُّ﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَكْتَبُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾. قال ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «تَشْقَى» بالتشديد، فادغموا التاء في الشين، لأن الأصل: تتشقق. قال الفراء: المعنى: تتشقق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، و«على» و«عن» و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحد، لأن العرب تقول: رميت عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس؛ والمعنى واحد. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: تتشقق السماء وعليها غمام، كما تقول: ركب الأمير بسلحه، وخرج بشيابه، وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة. قال ابن عباس: تتشقق السماء عن الغمام، وهو الغيم الأبيض، وتنزل الملائكة في الغمام. وقال مقاتل: المراد بالسماء: السموات، تتشقق عن الغمام، وهو غمام أبيض كهية الضباب، فتنزل الملائكة عند انشقاقها. وقرأ ابن كثير: «وَتَهْتَزُّ» بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، واللام مضمومة، و«الملائكة» نصباً. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «وَتَهْتَزُّ» بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكة». وقرأ ابن يعمر: «وَتَهْتَزُّ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيف «الملائكة» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ قال الزجاج: المعنى: المَلَكُ الذي هو المَلَكُ حَقًّا للرحمن<sup>(١)</sup>. فأما العسير، فهو الصعب الشديد يشتد على الكفار، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أبي بن خلف كان يحضر [عند] رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عُقبة بن أبي مُعَيْط عن ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عُقبة دعا قومًا فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، وقال: «لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، فشهد بذلك عُقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف، وكان خليلاً له، فقال: صبوت يا عُقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبي أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عُقبة كان خليلاً لأُمَيَّة بن خلف، فأسلم عُقبة، فقال أُمَيَّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتد لرضى أُمَيَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٤)</sup>. فأما الظالم [المذكور] هاهنا، فهو الكافر، وفيه قولان: أحدهما: أنه أبي بن خلف، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: عُقبة بن أبي مُعَيْط، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقادة. قال عطاء: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين، ثم تنبتان، فلا يزال هكذا كلما نبت يده أكلها ندامة على ما فعل.

قوله تعالى: ﴿يَكْتَبُنِي أَخَذْتُ﴾ الأَكثَرُونَ يسكنون «يا ليتني»، وأبو عمرو يحركها؛ قال أبو علي: والأصل التحريك، لأنها بإزاء الكاف التي للخطاب، إلا أن حرف اللين تكره فيه الحركة، ولذلك أسكن من أسكن؛ والمعنى: ليتني أتبعته فأتخذت معه طريقاً إلى الهدى.

(١) وفي «الصحیح»: «أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض، أين الجبارون، أين المتكبرون».

(٢) «الطبري» ٨/١٩، وأسباب النزول للواحي ١٩١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٨/٥ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) «الطبري» ٨/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٩/٥ وزاد نسبة للفريابي، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) «الطبري» ٨/١٩، وأسباب النزول للواحي ١٩١.

قوله تعالى: ﴿تَنبِيْئُكَ أَتَيْنَاكَ فِي الْمَشَارِقِ أَرْبَعَةَ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَنْ أَبِي بَنْ خَلْفٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: عَقِبَةُ بَنِ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ أَبُو مَالِكٍ. وَالثَّلَاثُ: الشَّيْطَانُ، قَالَ مُجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: أُمِّيَّةٌ بَنِ خَلْفٍ، قَالَ السُّدِّيُّ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّمَا يَكُنِي مَنْ يَخَافُ الْمُبَادَأَةَ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى الْمُدَاجَاةِ، فَمَا وَجْهُ الْكُنْيَةِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ أَرَادَ بِالظَّالِمِ: كُلَّ ظَالِمٍ، وَأَرَادَ بِفُلَانٍ: كُلَّ مَنْ أَطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَرْضَى بِسَخَطِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ يُغَيِّرُ مَا بِهِنَّ فَذَلِكُنَّ أَصْحَابُ الْغَيْظِ﴾. أَي: صَرَفْنِي عَنِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مَعَ الرُّسُولِ، وَهَاهُنَا تَمُّ الْكَلَامِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ النَّبِيُّ لِلْإِنْسَانِ﴾ يَعْنِي: الْكَافِرُ ﴿مُخَذَّلًا﴾ يَتَبَرَّأُ [مِنْهُ] فِي الْآخِرَةِ. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١.﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، وَهَذَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يَقُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَالْمَعْنَى: وَيَقُولُ الرُّسُولُ يَوْمَئِذٍ. وَذَهَبَ آخَرُونَ، مِنْهُمْ مُقَاتِلٌ، إِلَى أَنَّ الرُّسُولَ قَالَ ذَلِكَ شَاكِيًا مِنْ قَوْمِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حِينَ كُذِّبُوا<sup>(١)</sup>. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، [وَأَبُو عَمْرٍو]: «إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا بِتَحْرِيكِ الْبَاءِ؛ وَأَسْكَنَهَا عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمَازَةُ، وَالْكَسَائِيُّ. وَفِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَهْجُورًا﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَتْرُوكًا لَا يُلْتَفَتُونَ إِلَيْهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُقَاتِلٍ. وَالثَّانِي: هَجَرُوا فِيهِ، أَي: جَعَلُوهُ كَالْهَذْيَانِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: فَلَانٌ يَهْجُرُ فِي مَنَامِهِ، أَي: يَهْزِي، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْهَجْرُ: عَمَّا لَا يُسْتَفْعَى بِهِ مِنَ الْقَوْلِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: فَعَزَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أَي: كَمَا جَعَلْنَا لَكَ أَعْدَاءً مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ؛ وَالْمَعْنَى: لَا يَكْبُرُونَ هَذَا عَلَيْكَ، فَلَمْ بِالْأَنْبِيَاءِ أَسُوءَ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ يَمْنَعُكَ مِنْ عَدُوِّكَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زَائِدَةٌ؛ فَالْمَعْنَى: كَفَى رُبُّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِسَبْإٍ إِلَّا يَجْنُوكَ بِالْحَقِّ وَآمَنَ سَبِيلًا ٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ إِنْ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَسْفَلَ سَبِيلًا ٣٤﴾. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ أَي: كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتَفَرِّقًا، لِأَنَّ مَعْنَى مَا قَالُوا: لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ مُتَفَرِّقًا؟ فَقِيلَ: إِنَّمَا أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أَي: لِنُقَوِّي بِهِ قَلْبَكَ فَتَزِدَادَ بَصِيرَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَحَادَةٍ، فَكَانَ أَقْوَى لِقَلْبِهِ وَأَنُورَ لِبَصِيرَتِهِ وَابْعَدَ لَاسْتِحْشَاشِهِ، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أَي: أُنْزِلْنَاهُ عَلَى التَّرْتِيلِ، وَهُوَ التَّمَكُّثُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَجَلَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ ﴿بِسَبْإٍ﴾ يَضْرِبُونَهُ لَكَ فِي مَخَاصِمِكَ وَبِإِطَالِ أَمْرِكَ ﴿إِلَّا يَجْنُوكَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: بِالَّذِي هُوَ الْحَقُّ لَتَرَدُّ بِهِ كَيْدُهُمْ ﴿وَأَمَنَ سَبِيلًا﴾ مِنْ مَكْلَهُمْ؛ وَالتَّفْسِيرُ: الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ. قَالَ مُقَاتِلٌ: ثُمَّ أَخْبَرَ بِمُسْتَقْرَمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَرُّ خَلْقٍ لِللَّهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أَي: مَنَزَلًا وَمَصِيرًا ﴿وَأَسْفَلَ سَبِيلًا﴾ دِينًا وَطَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ شَاهِدًا هَارُونَ وَزِيْرًا ٣٥﴾ فَقُلْنَا أَنْعَمًا إِلَى الْقَرِيرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذُوقُوا فِتْنَتَهُمْ نَقْمٌ مُؤْتٍ لَنَا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَفَرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَهُمْ لِلثَّالِثِ مَائَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٦﴾ وَعَادًا وَنُحُودًا وَأَصْحَابَ الرَّحْمَنِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٣٧﴾ وَكَلَّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَنْثَى وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيرًا ٣٨﴾

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿يَتَبَرَّأُ إِذْ قُمِيَ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصْغَوْنَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ...﴾ الْآيَةُ [فَصَلَتْ: ٢٦]، فَكَانُوا إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَكْثَرُوا اللَّفْظَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ حَتَّى لَا يَسْمَعُونَهُ، فَهَذَا مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ الْإِيمَانَ بِهِ وَتَرَكَّ تَصْدِيقَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ تَقْبُلَهُ وَتَفْهَمَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ الْعَمَلَ بِهِ وَامْتَالَ أَوَامِرَهُ وَاجْتَنَبَ زَوَاجِرَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَالدَّوْلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ شَعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُودَةٍ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ هِجْرَانِهِ. قَالَ: فَنَسَّالَ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْمَنَانَ، الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يَخْلُصَنَا مِمَّا يَسْخَطُهُ، وَيَسْتَعْمِلُنَا فِيمَا يَرْضَاهُ مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ وَالْقِيَامِ بِمَقْصِدَاتِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ وَيَرْضَاهُ إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَابٌ. اهـ.



قوله تعالى: ﴿أَنذَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾. إن قيل: إنما عاينوا الآيات بعد [وجود] الرسالة، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات؟ فالجواب: أنهم كانوا مكذّبين أنبياء الله وكُتِبَ المتقدمة، ومن كَذَّبَ نبياً فقد كَذَّبَ سائر الأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا أُرْسِلَ﴾، وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب، وإن لم يركب إلا دابة واحدة؛ وقد شرحنا هذا في [مود: ٥٩] عند قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ﴾. وقد سبق معنى التدمير [الأعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الرِّسِّ﴾ في الرِّسِّ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بشر كانت تسمى الرِّسَّ، قاله ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بشر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بشر دون اليمامة. وقال السدي: بشر بأنطاكية. والثاني: أن الرِّسَّ قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة. والثالث: أنها المَعْدِن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وفي تسميتها بالرِّسِّ قولان: أحدهما: أنهم رَسُّوا نبيهم في البشر، قاله عكرمة. قال الزجاج: رَسُّوه، أي: دَسُّوه فيها. والثاني: أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رَسٌّ، قاله ابن قتيبة. واختلفوا في أصحاب الرِّسِّ على خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبياً من ولد يهوذا بن يعقوب، فحضروا له بشرأ وألقوه فيها، فهلكوا، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنهم قوم كان لهم نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: أنهم كانوا أهل بشر يتزلون عليها، وكانت لهم مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعبياً، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البثر، فحُصِفَ بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم الذين قتلوا حبيباً التجار، قتلوه في بشر لهم، وهو الذي قال: ﴿يَقْوَرُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، قاله السدي. والخامس: أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه، وأول من عمل السحر نساؤهم، قاله ابن السائب <sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا﴾ المعنى: وأهلكنا قروناً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرِّسِّ. وقد سبق بيان القُرُون [الأنعام: ٦]. وفي هذه القصص تهديد لقريش.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمُتِلَ﴾ أي: أعذرنا إليه بالموعظة وإقامة الحُجَّة ﴿وَكَلَّا تَبَرَّأَ﴾ قال الزجاج: التَّبرُّر: التدمير، وكل شيء كسره وفتته فقد تَبَرَّره، وكُسارته: التَّبر، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج: التَّبر، وكذلك تبر الذهب.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْآلِيَّ أَتُطِرْتَ مَطَرُ السَّوَاءِ أَكَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ شَوْكًا ۝ وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا بِتَحَدُّوتِهِ إِلَّا هَرُونَ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَكُونُ بِرِوْنِ الْمَذَابِ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ۝ أَوَيْتَ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هُونَةً أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرْنَا﴾ يعني كفار مكة ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْآلِيَّ أَتُطِرْتَ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ يعني قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة ﴿أَكَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في أسفارهم فيعتبروا؟ ثم أخبر بالذي جرَّأهم على التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ شَوْكًا﴾ أي: لا يخافون بعثاً، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا بِتَحَدُّوتِهِ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هَرُونَ﴾ أي: مهزوءاً به. ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادة آلهتنا ﴿لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عبادتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَكُونُ بِرِوْنِ الْمَذَابِ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلَّ﴾ أي: من أخطأ طريقاً عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. ثم عَجِبَ نبيهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَوَيْتَ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هُونَةً﴾ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركب. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتَّبِعْ هواه ويدع الحق، فهو له كالإله.

(١) واختار ابن جرير الطبري أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظا يحفظه من اتباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني أهل مكة؛ والمراد: يسمعون سماع طالب الإنهام ﴿أَوْ يَقُولُونَ﴾ ما يعاينون من الحجج والأعلام ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْثَمِ﴾ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها هم إلا المأكول والمشرب.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَصْلٌ سَكِينًا﴾ لأن البهائم تهتدي لمراعيا وتنفذ لأربابها وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٥٦ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝٥٧ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُغْرًا ۝٥٨ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَدَنَ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝٥٩ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا وَنُحْيِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنُصَوِّبُهُ لِمَنَّا وَنُكَفِّرُهُ كَثِيرًا ۝٦٠ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفْرًا ۝٦١ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٦٢ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَحَدِّثْهُمْ بِهِ جَهَادًا كَثِيرًا ۝٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى فعل ربك. وقال الزجاج: معناه: ألم تعلم، فهو من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية العين؛ فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك؟ والظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً دائماً لا يزول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عرف أنه شيء، كما أنه لولا الثور ما عرفت الظلمة، فكل الأشياء تُعرف بأضدادها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظل ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: سريعاً، قاله ابن عباس. والثاني: خفياً، قاله مجاهد. وفي وقت قبض الظل قولان: أحدهما: عند طلوع الشمس يقبض الظل وتُجمع أجزاؤه المنسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً. والثاني: عند غروب الشمس تقبض أجزاء الظل بعد غروبها، ويخلف كل جزء منه جزءاً من الظلام.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتراً بظلمته، لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتُشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسِه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة، ومنه يوم السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه في يوم السبت، فقل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمي يوم السبت، أي: يوم الراحة<sup>(١)</sup>، وأصل السبت: التَّمدُّد، ومن تَمَدَّد استراح. وقال ابن الأنباري: أصل السبت: القَطْع؛ فالمعنى: وجعلنا النوم قطعاً لأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ شُغْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. والثاني: تُنشر الرُّوح باليقظة كما تُنشر بالبعث، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٧] إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ يعني: المطر. قال الأزهري: الطَّهُّور في اللغة: الطاهر المَطْهَر. والطَّهُّور ما يُطَهَّر به، كالروضه الذي يُتَوَضَّأ به، والفطور الذي يُفطر عليه.

قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو جعفر: «مَيِّتًا» بالتشديد. قال الزجاج: لفظ البلدة مؤنث، وإنما قيل: «مَيِّتًا» لأن معنى البلدة والبلد سواء. وقال غيره: إنما قال: «مَيِّتًا»، لأنه أراد بالبلدة المكان. وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت [الأعراف: ٥٧]، ومعنى: ﴿وَنُصَوِّبُهُ﴾ [الحجر: ٢٤]. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبله: «وَنُصَوِّبُهُ» بفتح النون. فأما الأناسي، فقال الزجاج: هو جمع

(١) الذي في «صحيح مسلم» ٤/٢١٤٩: «خلق التربة يوم السبت». الحديث. وقال الحافظ المناوي في شرحه لهذا الحديث: وفيه رد زعم اليهود أنه ابتداء في خلق العالم يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، قالوا: ونحن نستريح كما استراح الرب، وهذا من غباوتهم وجهلهم، إذ التعب لا يتصور إلا على حادث، ﴿إِنَّمَا تَوَلَّاهُمْ بِبَصَرٍ إِذَا أَفْتَقَهُمْ أَن تَقُولَ لَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ كَيْفَ يُؤْتُونَ﴾... اهـ.



أصهاراً كلهم. والصَّهْر: إذابة الشيء. وذكر الماوردي أن المناكح سُمِّيَتْ صِهراً، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صُهر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مُعِيناً للشيطان على ربه، لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان. والثاني: مُعِيناً للمشركين على أن لا يؤخِّدوا الله تعالى. والثالث: مُعِيناً على أولياء ربه. والرابع: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، من قولك: ظَهَرْتُ بفلان، إذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَقَوْلُكَ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَمُوتُ وَنَحْنُ بِحَيَاتِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذِّبُ عَنَّا وَيُخَوِّعُ حَيْرًا ﴿٥٨﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتْرٍ أَيْسَرُ شَيْئًا أَمْ أَنتَ خَيْرُ الرَّحْمَنِ فَتَنَّا بِهِ حَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ قِيلَ لَهُمْ أَتَسُبُّوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْبُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيد لصدقه، لأنه لو سألهم شيئاً من أموالهم لأتهموه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ معناه: لكن من شاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بإتفاق ماله في مرضاته، فعَلَّ ذلك، فكانه قال: لا أسألكم لنفسي. وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه (إك عمران: ١٥٩، البقرة: ٣٠، الأعراف: ٥٤) إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بِهِ حَيْرًا﴾، و«به» بمعنى: «عنه» قال [علامة بن عبد]:

فَلَمَّا تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلْيَنْصِبِي

بَصِيرًا بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ<sup>(١)</sup>

وفي هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله ﷻ. والثاني: إلى اسمه الرحمن، لأنهم قالوا: لا نعرف الرحمن. والثالث: إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض وغير ذلك. وفي «الخير» أربعة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الله ﷻ، والمعنى: سلني فانا الخير، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] القرآن، قاله شمر. والرابع: مُسْلِمَةُ أهل الكتاب، قاله أبو سليمان، وهذا يخرج على قولهم: لا نعرف الرحمن، فقيل: سَلُوا مُسْلِمَةَ أهل الكتاب، فإن الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا، الخطاب للنبي ﷺ والمراد سواء.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَتَسُبُّوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن البمامة، فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى، ﴿أَتَسُبُّوا لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «يَأْمُرُنَا» بالياء، أي: لِمَا يَأْمُرُنَا به محمد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر الرحمن ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعدوا من الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حُلَّةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرَّ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٦]. والمراد بالسراج: الشمس. وقرأ حمزة، والكسائي: «سُرْجًا» بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال الزجاج: أراد: الشمس والكواكب العظام؛ ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الراء، مثل رُسُلٍ ورُسُلٍ. قال الماوردي: لما اقترن بضوء الشمس وهج حرها، جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما عدم ذلك في القمر جعله نوراً.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حُلَّةً﴾ فيه قولان: أحدهما: أن كل واحد منهما يخالف الآخر في اللون، فهذا أبيض، وهذا أسود، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثاني: أن كل واحد منهما يَخْلُفُ صاحبه، رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد، وبه قال ابن زيد وأهل اللغة، وأنشدوا قول زهير:

(١) «ديوانه» ١١، «مشكل القرآن» ٤٢٧، «القرطبي» ٦٣/١٣، «آداب الكاتب» ٥٠٥، والأقواء: جمع ذاء.



التاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يَقْتُثِرُوا» بفتح الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «يُقْتَرُوا» بضم الياء وكسر التاء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن الإسراف: مجاوزة الحد في النفقة، والإقتار: التقصير عما لا بُدَّ منه، ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى. والثاني: [أَنَّ] الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قَلَّ، والإقتار: منع حق الله تعالى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ يعني الإنفاق ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي: عدلاً؛ قال ثعلب: القوام، بفتح القاف: الاستقامة والعدل، وبكسرهما: ما يدوم عليه الأمر ويستقر<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذُّنْبِ أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِهَذَا وَهُوَ خَلْقُكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا... آخَرَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لِمَا عَمِلْنَا كَفَارَةً، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾، أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن وحشياً أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرتني حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى حتى أسمع كلام الله»، قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزني، فهل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطاً، فعلي لا أعمل صالحاً، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدعاه فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء [الله]، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>؛ وهذا وحشي هو قاتل حمزة؛ وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحة، والمحموظ في إسلامه غير هذا، وأنه قدِمَ مع رسل الطوائف فأسلم من غير اشتراط<sup>(٥)</sup>. وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يُعْبَدُونَ. وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل: «يَلْقَىٰ» برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة. قال ابن عباس: يَلْقَىٰ جزاء. وقال مجاهد، وعكرمة: هو وادٍ في جهنم. وقال ابن قتية: يَلْقَىٰ عقوبة، وأنشد:

[جَزَىٰ اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَىٰ  
غُفُوقًا] وَالْمُعْتُوقُ لَهُ أَثَامٌ<sup>(٦)</sup>

قال الزجاج: وقوله: ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ جزماً على الجزاء. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: قد لقيت أثام ذلك، أي: جزاء ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه: يلقى جزاء الأثام. قال سيبويه: وإنما جزم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ لأن مضاعفة العذاب لُقي الأثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتصر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصاً فيهما، ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتصر مذمومين، لأن ما أذن الله في فعله، فغير مستحق فاعله الذم. اهـ.

(٢) رواه البخاري ٣٧٨/٨، ومسلم ٩٠/١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١١٣/١، ورواه البخاري ٤٢٢/٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبَايِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ...﴾ [الزمر: ٥٣].

(٤) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٣.

(٥) انظر البخاري بشرح [الفتح] ٢٨٤/٧.

(٦) البيت لبلعاء بن قيس الكناني، كما في «غريب القرآن» ٣١٥، و«مجاز القرآن» ٨١/٢، و«الطبري» ٤٠/١٩، و«اللسان»: أثم، ونسبه إلى شافع الليثي.

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمَ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَظَبًا جَزَلًا وَنَارًا تَاجَّجًا<sup>(١)</sup>  
 لأن الإتيان هو الإلمام، فجزم «تُلْمِمَ» لأنه بمعنى «تأتي». وقرأ الحسن: «يُضَعَفُ»، وهو جيد بالغ؛ تقول: ضاعفت الشيء وضَعَفْتُهُ. وقرأ عاصم: «يُضَاعَفُ» بالرفع على تفسير «يُلْقَى أَثَامًا» كأن قاتلاً قال: ما لَقِيَ الأثام؟ فقليل: يُضَاعَفُ للأثم العذاب. وقرأ أبو المتوكل، وقتادة، وأبو حيو: «يُضَعَفُ» برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف. وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمرى عن أبي جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، و«العذاب» بالنصب.  
 قوله تعالى: ﴿وَيُخَلِّدُ﴾ وقرأ أبو حيو، وقتادة، والأعمش: «ويُخَلِّدُ» برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شددوا اللام.

### فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة؛ وفي ناسخها ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكة، والتي في «النساء» ملتبسة. والثاني: أنها نسخت بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]. والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾. والقول الثاني: أنها محكمة؛ والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا. وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليداً عند الأكثرين؛ وقد بيّناه في سورة [النساء: ٩٣]، والشرك لا يُغْفَرُ إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ قال ابن عباس: قرأنا على عهد رسول الله سنتين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ثم نزلت ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها، وبـ ﴿إِنَّا مَتَّعْنَاكَ أَفْئَةً كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> [الفتح: ١].

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبذل الله شركهم إيماناً، وقتلهم إمساكاً، وزناهم إحصاناً؛ وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون: يبذل الله سيئات المؤمنين إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وعن الحسن كالقولين. وروي عن الحسن أنه قال: ودَّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب؛ فقليل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا، وكذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة»، أخرجه مسلم في «صحيحه»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَبُذُّ إِلَى اللَّهِ مَنَآبًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ﴾

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ٧٧/١٣، و«مجمع البيان» ١٢٢/١٩، و«البحر» ٥١٥/٦، و«روح المعاني» ٤٤/١٩.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥ من رواية ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٤: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثق، وفيها ضعف، وبقية رجاله ثقات. وقد جاء في صحيح البخاري ٤٤٨/٨ أن رسول الله ﷺ قال عندما نزلت سورة [الفتح]: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لم يكن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿إِنَّا مَتَّعْنَاكَ أَفْئَةً كَبِيرًا﴾، ورواه أحمد في «المستد» والترمذي، والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٧/١ ولغظه بتمامه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، وكذا كذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ورواه الطبري ٤٧/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥، وزاد نسبة لأحمد، وهناد، والترمذي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي ذر ﷺ.



وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكَ قُرْآنًا مَعْرُوبًا وَأَجْعَلْهُ لِلْمُتَّقِينَ إِيمَانًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة. وقال ابن عباس: يعني: ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإني قد قدمتهم وفضلتهم على من قاتل نبي واستحل محارمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَنَّا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من أراد التوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يريد الله بها ولا يخلط بها ما يفسدها؛ وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنه يتجر في البرء. ومن ناظر فإنه يناظر في النحو، أي: من أراد ذلك، فينبغي أن يقصد هذا الفن؛ قال: ويجوز أن يكون معنى [هذه] الآية: ومن تاب وعمل صالحاً، فإن ثوابه جزاءه يعظم له عند ربه الذي أراد بتوبته، فلما كان قوله: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَنَّا﴾ يؤدي عن هذا المعنى، كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرجل: إذا تكلمت فاعلم أنك تكلم الوزير، أي: تكلم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ تَقَامِي وَتَكْذِبِي بِمَا كُنْتَ تَقُولُ﴾ [يونس: ٧١]، أي: فإني أتوكل على من ينصرتني ولا يسلمني. وقال قوم: معنى الآية: فإنه يرجع إلى الله مرجعاً يقبله منه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الصنم؛ روى الضحاك عن ابن عباس أن الزور صنم كان للمشركين. والثاني: أنه الغناء، قاله محمد بن الحنفية، ومكحول؛ وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء. والثالث: الشرك، قاله الضحاك، وأبو مالك. والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة. والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج. والسادس: شهادة الزور، قاله علي بن أبي طلحة. والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس. والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالبلغو هاتنا خمسة أقوال: أحدها: المعاصي، قاله الحسن. والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد. والثالث: الباطل، قاله قتادة. والرابع: الشرك، قاله الضحاك. والخامس: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه، قاله مجاهد. وقال محمد بن علي: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها.

قوله تعالى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مَرُّوا حُلُمَاءَ، قاله ابن السائب. والثاني: مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه، قاله مقاتل. والثالث: أن المعنى: إذا مَرُّوا بالبلغو جاوزوه، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ قال ابن قتيبة: لم يتغافلوا عنها كأنهم صُمٌّ لم يسمعوها، عُمِيَ لم يروها. وقال غيره من أهل اللغة: لم يشتوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوها ولم يروها، وإن لم يكونوا خَرُّوا حقيقة؛ تقول العرب: شتمت فلاناً فقام يبكي، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظلَّ يتحير، وإن لم يكن قام ولا قعد.

قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكَ قُرْآنًا مَعْرُوبًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿وَدُرِّيَّتًا﴾ على الجمع. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَدُرِّيَّتًا﴾ على التوحيد، وقرأ ابن

(١) قال ابن جرير الطبري: وأصل الزور: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيح الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور. قال: فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء، ولا كذباً، ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله حمَّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل. اهـ. وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي بكر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء أكبر الكبائر ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا بالبلغو مروا كراماً، والبلغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له، من اللغو، وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تنظيم المشركين لهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه - إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو - أن يقال: غني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خير أو عقل. اهـ.



مسعود، وأبو حيو: «قُرَاتٌ أَغْيَيْنَ» يعنون: من يعمل بطاعتك فتقرّ به أعيننا في الدنيا والآخرة. وسئل الحسن عن قوله: «قُرَّةٌ أَعِين» في الدنيا، أم في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأي شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتقرّ أعينهم. قال الفراء: إنما قال: «قُرَّةٌ» لأنها فعل، والفعل لا يكاد يُجمع، ألا ترى إلى قوله: «وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» [الفرقان: ١٤] فلم يجمعه، والقُرَّة مصدر، تقول: قرّرت عنه قُرَّةً، ولو قيل: قُرَّةٌ عين أو قُرَاتٌ أعين كان صواباً. وقال غيره: أصل القُرَّة من البرّد، لأن العرب تتأذى بالحرّ، وتستروح إلى البرّد.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِلنَّبِيِّ إِمَامًا» فيه قولان: أحدهما: اجعلنا أئمة يقتدى بنا، قاله ابن عباس. وقال غيره: هذا من الواحد الذي يراد به الجمع، كقوله: «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكَيْنِ» [الشعراء: ١٦]، وقوله: «وَأَنَّهُمْ عِزٌّ لِّ» [الشعراء: ٧٧]. والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمؤمنين مقتدين بهم، قاله مجاهد؛ فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فيكون المعنى: واجعل المؤمنين لنا إماماً<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْفُرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا حِجَّةً وَسَلَامًا ۖ خَلَائِكٌ فِيهَا حَسَنَتْ مَسَافِرًا وَمَقَامًا ۖ قُلْ مَا يَسْبُوْهُ يَكُوْرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُوْرُنَ لِرَآئَا ۖ﴾

قوله تعالى: «أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْفُرْقَةَ» قال ابن عباس: يعني الجنة. وقال غيره: الغرفة: كل بناء عالٍ مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من الزّرجد والدّر والياقوت، «بِمَا صَبَرُوا» على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله تعالى: «وَيُلْقُونَ فِيهَا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «وَيُلْقُونَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَيُلْقُونَ» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، «حِجَّةً وَسَلَامًا» قال ابن عباس: يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلَام، ويرسل إليهم الرّبّ ﷻ بالسّلام. وقال مقاتل: «حِجَّةٌ» يعني السلام، «وسلاماً» أي: سلّم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «قُلْ مَا يَسْبُوْهُ يَكُوْرِي» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما يصنع بكم! قاله ابن عباس. والثاني: أي وزن يكون لكم عنده؛ تقول: ما عبأ فلان، أي: ما كان له عندي وزن ولا قدر، قاله الزجاج. والثالث: ما يعبا بعذابكم، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: «لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» أربعة أقوال: أحدها: لولا إيمانكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لولا عبادتكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لولا دعاؤه إياكم لتعبّوده، قاله مجاهد؛ والمراد نفع الخلق، لأن الله تعالى غير محتاج. والرابع: لولا توحيدكم، حكاه الزجاج. وعلى قول الأكثرين ليس في الآية إضمار؛ وقال ابن قتيبة: فيها إضمار تقديره: ما يعبا بعذابكم لولا ما تدعونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك [قوله]: «سَوْفَ يَكُوْرُنَ لِرَآئَا» يعني: العذاب، ومثله قول الشاعر:

مَنْ شَاءَ دَلَّى السُّفْسَفَ فِي هُوَّةٍ  
صَنَعَكَ وَلَكِنْ مَنْ لُهُ بِالْمَضِيقِ<sup>(٣)</sup>

أي: بالخروج من المضيق. وهل هذا خطاب للمؤمنين، أو للكفار؟ فيه قولان. فأما قوله تعالى: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله ﷺ، «سَوْفَ يَكُوْرُنَ» يعني: تكذيبكم «لِرَآئَا» أي: عذاباً لازماً [لكم]؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتلهم يوم بدر فقتلوا يومئذ، واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم، وهذا مذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثالث: أن اللزّام: القتال، قاله ابن زيد.



(١) قال ابن كثير: وقال غيره: اجعلنا هداة مهتدين دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعبداً إلى هيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مأباً. اهـ. وقد ثبت في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضى الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ قُطِعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

(٢) قال ابن كثير: أولئك يُبَيِّنُونَ فِيهَا بِالْحِجَةِ وَالْإِكْرَامِ، ويلقون التّوقير والاحترام، فلمهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

(٣) مشكل القرآن: ٣٣٩، واللسان: دلا، وأيضا في «اللسان» و«التاج»: ضيق، ورواية الشطر الأول فيهما: مَنْ شَأْ يَدْلِي النَّفْسَ فِي هُوَّةٍ.

## سورة الشعراء

وهي مكية كلها، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَالشَّعْرَاءَ يَلْعَبُهُمُ الْفَأْوَارُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها، قاله ابن عباس، وقناة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ لَمَّا كُنْتُمْ نَجْشَ ثَمُودَ الْيَمِينِ ﴿٢﴾ إِذْ نَسُوا نَجْشَ ثَمُودَ الْيَمِينِ ﴿٣﴾ فَكُنَّا لُتُفًا فَسَيَّأْنَاهُمْ أَفْئُتًا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوَدَّةً ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿طس﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «طسّم» بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء «سين» عند الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبان، والمفضل: «طسّم» و«طيس» بإمالة الطاء فيهما. وأظهر النون من هجاء «سين» عند الميم حمزة هاهنا وفي (القصص). وفي معنى «طسّم» أربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: [ما] رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت «طسّم» قال رسول الله ﷺ: «الطاء: طور سيناء، والسين: الاسكندرية، والميم: مكة»<sup>(١)</sup>. والثاني: [أن] الطاء: طيبة، وسين: بيت المقدس، وميم: مكة، [رواه الضحاك عن ابن عباس]. والثالث: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سدره المنتهى، والميم: محمد ﷺ، قاله جعفر الصادق. والثاني: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد بيّنا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم. وقال القرطبي: أقسم الله بظوله وسنائه وملكه. والثالث: أنه اسم للسورة قاله مجاهد. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وأبو روق<sup>(٢)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [المائدة: ١٥، الكهف: ٦] إلى قوله: ﴿أَلَا يَكْفُرُوا مُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركههم الإيمان. ثم أخبر أنه لو أراد أن ينزل عليهم ما يضطربهم إلى الإيمان لفعل، فقال: ﴿إِنْ شَاءَ رَبِّي﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: ﴿إِنْ شَاءَ يُنْزَلْ﴾ بالياء فيهما، ﴿وَلَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ جعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل «خاضعين» للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وقيل: لما وصف الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الأدميين كما بيّنا في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَتْهُمُ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وهذا اختيار أبي عبيدة. وقال الزجاج: قوله: «فَنَظَّلْتُ» معناه: فَتَنَّا، لأن الجزء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقولك: إن تأتي أكرمك، معناه: أكرمك؛ وإنما قال: «خاضعين» لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها، وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السَّيْرِينَ أَخْذُنَ وَمُنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ<sup>(٣)</sup>

(١) لم يذكر المفسرون أن معنى هذه الحروف ورد في المرفوع، إلا ما ذكر الطبرسي من علماء الإمامية الشيعة في تفسيره «مجمع البيان» حيث قال: وروي عن ابن الحنفية عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ ... فذكره من غير سند، فقلل المصنف نقل هذا المعنى عنه أو ممن نقل عنه. وقد نقل القرطبي هذا المعنى من كلام عبد الله بن محمد بن عقيل، ولم يذكره مرفوعاً، وذكر السيوطي في «الدرر» ٨٢/٥ عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿طس﴾ قال: الطاء من ذي الطول، والسين من القدوس، والميم من الرحمن، وكذلك ذكر الآلوسي في «تفسيره» ٥٢/١٩.

(٢) قال ابن كثير عن الحروف التي في أوائل السور: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضة بطله، هـ مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين، قال: وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره آثم نصر، قال: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكا له من ابن تيمية. اهـ.

(٣) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٨٣/٢، و«الطبري» ٦٢/١٩، و«اللسان»: خضع. و«السرار»: الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر.

فلما كانت السّنون لا تكون إلا بمرّ، أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور. قال: وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم. وجاء في اللغة أن أعناقهم جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُقْنُ من الناس، أي: جماعة. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الآياء: ٢] إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني المكذّبين بالبعث ﴿كَرَّ أَفْتِنًا بِهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿يَنْتَجِ كَيْهٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن. وقال الزجاج: الزوج: النوع، والكريم: المحمود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على وحدانية الله وقدرته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ يُؤْمِنُ فِي عِلْمِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَذَّكَّرُ لَهُمُ الْعَزُورُ﴾ المتنقم من أعدائه ﴿الْكِرِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَلَا يَذَّكَّرُ لَهُمُ الْعَزُورُ﴾ قَوْمٌ يَعُورُونَ لَا يَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٥﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُنِي لِيَاسِي فَارْتَبِلْ إِلَى هَرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دُؤْبَ فَاخُافُ أَنْ يَقْتُلُونِي ﴿١٧﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبْ بِإِيتَانَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعِينَ ﴿١٨﴾ فَأَيَّا هَرُونَ فَقُولْ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَلَمْ تَرَ أَنَا رَبُّكَ فِيمَا وَلَيْدَا وَلَيْسَتْ فِيمَا مِنْ عُرْكِ سَيْنٍ ﴿٢١﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ الْبَنِي وَفَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَعَلْتَهَا إِنَّا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٣﴾ فَتَرْتُ مِنْكُمْ لَنَا خِفَتِكُمْ فَوَعْبَ لِي رَبِّي شُكَا يَحْمَلُنِي مِنَ الْفَرَسَيْنِ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ يَنْتَهِي مَتْنًا عَلَى أَنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذَّكَّرُ﴾ المعنى: وائل هذه القصة على قومك.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ياء «يُكَذِّبُونَ» محذوفة، ومثلها «أَنْ يَقْتُلُونِ» [الشعراء: ١٤] «سَيِّبِينَ» [الشعراء: ٦٢] «فَهَرُونَ» [الشعراء: ٧٨] «وَسَيِّبِينَ» [الشعراء: ٧٩] «فَهَرُونَ يَشْفِينِ» [الشعراء: ٨٠] «ثُمَّ يُخَيِّبِينَ» [الشعراء: ٨١] «كُذِّبُونَ» [الشعراء: ١١٧] «وَالْيَتِيمُونَ» [الشعراء: ١٠٨] فهذه ثمان آيات أثبتهن في الحاليين يعقوب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي بتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَبْدُلُنِي لِيَاسِي﴾ للتعقّد التي كانت بلسانه. وقرأ يعقوب: «وَيَضِيقُ» ولا يَنْطَلِقُ بنصب القاف فيها، «فَارْتَبِلْ إِلَى هَرُونَ» المعنى: ليُعِينِي، فحذف، لأن في الكلام دليلاً عليه. «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دُؤْبَ» وهو القتل الذي وكزه فقصى عليه؛ والمعنى: ولهم عليّ دعوى ذنب «فَاخُافُ أَنْ يَقْتُلُونِي» به. «قَالَ كَلَّا» وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن؛ والمعنى: لن يقتلوك لأنّي لا أسلّطهم عليك، «فَاذْهَبْ» يعني: أنت وأخوك «بِإِيتَانَا» وهي: ما أعطاهما من المعجزة «إِنَّا» يعني نفسه ﴿مَعَكُمْ﴾ فأجراهما مجرى الجماعة «مُسْتَمِعِينَ» نسمع ما تقولان وما يحييونكما به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: «هَذَا كَلَامِي» [الحجر: ٦٨] وقوله: «ثُمَّ نَحْيِيكُمْ يَلُفَا» [الحج: ٥]. وقال الزجاج: المعنى: إِنَّا رسالُهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أي: ذوو رسالة ربِّ العالمين، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَائِشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ  
بِسْرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَنْ أُرْسِلَ﴾ المعنى: بأن أرسل «مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي: أظلفهم من الاستعباد، فاتّياه فبلغاه الرسالة، ف «قَالَ أَلَمْ تَرَ أَنَا رَبُّكَ فِيمَا وَلَيْدَا» أي: صبيّاً صغيراً «وَلَيْسَتْ فِيمَا مِنْ عُرْكِ سَيْنٍ» وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: ثمان عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربعون سنة، قاله ابن السائب. والثالث: ثلاثون سنة، قاله مقاتل، والمعنى: فجازيتنا على أن ربّيناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً، وهو قوله: «وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ» وهي قتل النفس. قال الفراء: وإنما نُصِبَتْ الفاء، لأنها مرة واحدة، ولو أريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرهما. وفي قوله: «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قولان: أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، والضحاك، وابن زيد. والثاني: من الكافرين بإلهك، كتبت معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسن، والسدي. فعلى الأول: وأنت من الكافرين الآن.

(١) عبارة ابن الجزي في كتاب «النشر في القراءات العشر» ٣٢٣/٢: «أثبت الياء في جميعها يعقوب في الحاليين».

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في «مجاز القرآن» ٨٤/٢، و«غريب القرآن» ٣١٦، و«الطبري» ٦٥/١٩، و«القرطبي» ٩٣/١٣، و«اللسان» و«التاج»: رسل.

وعلى الثاني: وكنت. وفي قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الجاهلين، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. وقال بعض المفسرين: المعنى: إني كنت جاهلاً لم يأتيني من الله شيء. والثاني: من الخاطئين؛ والمعنى: إني قتلت النفس خطأ، قاله ابن زيد. والثالث: من الناسين؛ ومثله: ﴿إِنْ تَوَلَّيْنا لِمَدَنُوكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿فَفَزَعْتُ مِنْكُمْ﴾ أي: ذهبت من بينكم ﴿وَأَنَا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي إلى مَدِينٍ، وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وابن يعمر: ﴿لَمَّا﴾ بكسر اللام وتخفيف الميم، ﴿وَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: النبوة، قاله ابن السائب. والثاني: العلم والفهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ سَيِّئٌ مَثَقًا عَلَى﴾ يعني التربة ﴿إِنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: اتخذتهم عبيداً؛ يقال: عُدْتُ فلاناً وأعبدته واستعبدته: إذا اتخذته عبداً<sup>(١)</sup>. وفي «أن» وجهان: أحدهما: أن تكون في موضع رفع على البذل من «نِعْمَةً». والثاني: أن تكون في موضع نصب بنزع الخافض، تقديره: لأن عُدْتُ، أو لتعبيدك. واختلف العلماء في تفسير الآية، ففسرها قوم على الإنكار، وقوم على الإقرار. فمن فسرها على الإنكار قال معنى الكلام: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام، ومثله ﴿فَكَذَّبَ رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقوله: ﴿هُمْ لَفَتَّادُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وأنشدوا:

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَفَّتْهَا      وَجَفْنَهَا مِنْ دَمُوعِهَا شَرِقُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَرَلَهَا وَالرَّكَّابُ سَائِرَةٌ      تَتْرَكُنَا هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وهذا قول جماعة منهم. ثم لهم في معنى الكلام وجهه أربعة أقوال: أحدها: أن غرعون أخذ أموال بني إسرائيل واستعبدهم وأنفق على موسى منها، فأبطل موسى النعمة لأنها أموال بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكفني أهلي، وكانت أُمِّي تستغني عن قلبي في اليم، فكانك تمنُّ عليَّ بما كان بلاؤك سبباً له، وهذا قول المبرِّد، والزجاج، والأزهري. والثالث: أن المعنى: تمنُّ عليَّ بإحسانك إليَّ خاصة، وتنسى إساعتك بتعبيدك بني إسرائيل؟ قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: كيف تمنُّ عليَّ بالتربة وقد استعبدت قومي؟ ومن أهدى قومه فقد ذُلُّ، فقد حِطَّ إحسانك إليَّ بتعبيدك قومي، حكاه الثعلبي. فأما من فسرها على الإقرار، فإنه قال: عُدَّها موسى نعمة حيث ربَّاه ولم يقتله ولا استعبده. فالمعنى: هي لعمري نعمة إذ ربَّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل، فـ «أن» تدل على المحذوف، ومثله في الكلام - أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر، فيقول المتروك -: هذه نعمة عليَّ أن ضربت فلاناً وتركنتي، ثم تحذف «وتركتني» لأن المعنى معروف، هذا قول الفراء.

﴿قَالَ رِزْقُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ آلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قَالَ رِزْقُونَ رَبِّ مَا بَيْنَكُمْ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكُمُ لَجُنُودٌ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿قَالَ رِزْقُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ ﴿سأله عن ماهية مَنْ لا ماهية له، فأجاب به بما يدل عليه من مصنوعاته<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه خلق السموات والأرض. والثاني: إن كنتم موقنين

(١) قال ابن كثير في قوله: ﴿وَأَنْتَ سَيِّئٌ مَثَقًا عَلَى أَنْ عُدَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: وما أحسنت إليَّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخضعاً تصرفهم في أعمالك ومشاق رحيتك، أقيمت إحسانك إلى رجل واحد فتمم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم. اهـ.

(٢) البطر الأول من هذا البيت زيادة من النسخة الاستبوية، وأثبت البيت بشامه من القرطبي.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتمرد طغيانه وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلَنَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ﴿فَلَنَسْحَكُ قَوْلِهِ فَأَمَّا هُوَ﴾ وكانوا يجحدون الصانع جلا وعلا، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنْ زُيِّلَ عَنْ رَبِّي الْكَلْبُوكُ﴾ قال له فرعون: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين فيري؟ قال ابن كثير: هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَبْتَ كَذَبًا يَكُونُ﴾ ﴿قَالَ رَبُّكَ الَّذِي أُتِلَ كُلُّ نَفْسٍ عَنَّهُ ثُمَّ هَذَى﴾ ﴿قال: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم هذا سؤال عن ماهية، فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن ماهية، بل كان جاحلاً له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله من رب العالمين: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه =



الملائكة من قَتَلْتُمْ من أبكارهم. قال: ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُلِيِّهم، ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كُرِه منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِيعُ حَذِرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «حَذِرُونَ» بغير الف. وقرأ الباقون: «حاذِرُونَ» بآلف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن الحاذِر: المستعدُّ، والحذر: المتيقظ. وجاء في التفسير أن معنى حاذرين: مُؤدُون، أي: ذُوو أداة، وهي السلاح، لأنها أداة الحرب. والثاني: أنهما لغتان معناهما واحد؛ قال أبو عبيدة: يقال: رجل حَذِرٌ وحَذَرٌ وحاذِرٌ. والمقام الكريم: المنزل الحسن. وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ قولان. أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابن السائب. والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وذلك أن الله تعالى رَدَّهم إلى مصر بعد غرق فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال. وقال ابن جرير الطبري: إنما جعل ديار آل فرعون مُلكاً لبني إسرائيل ولم يَرُدِّهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ ثَمَرَاتِهِ﴾ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا تَرَا الْجَمْعَانِ قَالِ اصْحَبِ مُوسَى إِنَّا لَنَذْكُرُكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٥٤﴾ فَأَوْرَثْنَا آلَ مُوسَى أَنْ أَصْرِبَ بِصَاحِبِكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٥٥﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَجْنَحْنَا مُوسَى وَنَ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ أَفْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦٠﴾ قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لحقوهم ﴿ثَمَرَاتِهِ﴾ أي: حين شَرَقَتِ الشمس، أي: طلعت، يقال: أَشْرَقْنَا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أَمْسِينَا وأصبحنا. وقرأ الحسن، وأيوب السخيتاني: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ بالشديد.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَا الْجَمْعَانِ﴾ وقرأ أبو رجاء، والنخعي، والأعمش: «تَرَاى» بكسر الراء وفتح الهمزة، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي: سيدلني على طريق النجاة. قوله تعالى: ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فيه إضمار «فَضْرَبَ فَانْفَلَقَ»، أي: انشَقَّ الماء اثني عشر طريقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء انفرد منه. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللام، «كَالطَّوْدِ» وهو الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ أي: قَرَّبْنَا الْآخِرِينَ من الغرق، وهم أصحاب فرعون. وقال أبو عبيدة: «أزْلَفْنَا» أي: جمعنا. قال الزجاج: وكلا القولين حسن، لأن جمعهم تقرب بعضهم من بعض، وأصل الزَّلْفَى في كلام العرب: الْفُرْبَى. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، والضحاك، وابن يعمر: «أَزْلَفْنَا» بقاف، وكذلك قرأوا: «وَأَزْلَفْتَ الْجَنَّةَ» [الشعراء: ٩٠] بقاف [أيضاً].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين، إنما آمنت آسية، وخربيل<sup>(١)</sup> مؤمن آل فرعون، وفَتَّة الماشطة، ومريم - امرأة دَلَّتْ موسى على عظام يوسف -، هذا قول مقاتل. وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى، فقد سبق بيانها، وكذلك ما يُقَدِّد ذكره في مكان، فهو إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً، فتنبه لهذا.

﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ تَبَاً إِزْهِيماً﴾ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَشْجَاراً فَنَظَّلُهَا عَنْكَيْبِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَنْذَرُوهُمْ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَفْقَهُوكُمْ أَوْ يَبْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ وَمَبَاكُكُمْ الْأَلْمُوتُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْمَلَائِكِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُخَيِّرُ بَيْنَ يَدَيْنِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧١﴾ وَإِنَّا لَمَرْضَى فَمَهْرُ شَيْئِينَ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُبَحِّثُ بَيْنَ يَدَيْنِ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾ والمعنى: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبیر، وابن يعمر، وعاصم

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» ٥٧/٢٤: واسمه، قيل: شمعان، بشين معجمة، وقيل: خربيل، بخاء معجمة مكسورة وراء همزة ساكنة، وقيل: حزيل، بجاء همزة وزاي معجمة، وقيل: حبيب.



الجحدري: «هل يُسمعونكم» بضم الياء وكسر الميم، «إِذْ تَدْعُونَهُ» قال الزجاج: إن شئت بيّنت الذال، وإن شئت أدمغتها في التاء وهو أجد في العربية، لقرب الذال من التاء.

قوله تعالى: «أَوْ يَفْهَمُوكُمْ» أي: إن عبدتموهم «أَوْ يَفْهَمُونَ» إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم.

قوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ» فيه وجهان: أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع؛ فالمعنى: فإنهم أعداء لي. والثاني: فإن كلَّ معبود لكم عدو لي. فإن قيل: ما وجه وصف الجهاد بالعداوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فإنهم عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب؛ والمعنى: فإني عدو لهم، لأن مَنْ عاديتَه عاداك، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه عليم أنهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من غير الجنس؛ والمعنى: لكن رب العالمين [ليس كذلك]<sup>(٢)</sup>، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: «وَالَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُدِيرُ» أي: إلى الرشد، لا ما تعبدون، «وَالَّذِي هُوَ يُطَيِّئُ وَيَسْتَعِزُّ» أي: هو رازقي الطعام والشراب<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: لم قال: «مرضت»، ولم يقل: «أمرضني»؟ فالجواب: أنه أراد الشئ على ربه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضني» لعدَّ قومه ذلك عيباً، فاستعمل حُسن الأدب؛ ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: «تَأَرَّدْتُ» [الكهف: ٤٧٩]، وفي الخير المحض: «فَأَرَادَ رَبُّكَ» [الكهف: ٤٨٢]. فإن قيل: فهذا يرده قوله: «وَالَّذِي يُبَيِّنُ». فالجواب: أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله ﷻ، فأضافه إبراهيم إلى الله ﷻ، وقوله: «تُرَدُّ بِحُجَّتِي» يعني للبعث، [وهو]<sup>(٤)</sup> أمر لا يُقرُّون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم؛ والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لإصحة قلبي فيما خالفتموني فيه.

قوله تعالى: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لِي حَظِيَّتِي» يعني: ما يجري على مثلي من الزلل، والمفسرون يقولون: إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في [الأنبياء: ٦٣]، «يَوْمَ الْوَيْدِ» يعني: يوم الحشر والحساب؛ وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن قَلَّ هذه الأفعال.

«رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِّ وَالصَّالِحِينَ» وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَجْعَلَنِي مِنْ دَرَجَةِ السَّعِيرِ ﴿٨٦﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنْ كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٨﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: «هَبْ لِي حُكْماً» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اللَّبَّ<sup>(٥)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الفهم والعلم، قاله مقاتل. وقد بيّنا قوله: «وَالْحَقِّ وَالصَّالِحِينَ» في سورة يوسف: [١٠١]، وبيّنا معنى «لِسَانَ صِدْقٍ» في [إبراهيم: ٥٠] والمراد بالآخرين: الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: «وَأَغْفِرْ لِي» قال الحسن: بلغني أن أمه كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها. فإن قيل: فقد قال: «وَأَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ» [إبراهيم: ٤١]. قيل أكثر الذكر إنما جرى لأبيه، فيجوز أن يسأل الغفران لأمه وهي مؤمنة، فأما أبوه فلا شك في كفره. وقد بيّنا سبب استغفاره لأبيه في [إبراهيم: ١١٣]، وذكرنا معنى الخزي في [آل عمران: ١٩٢].

قوله تعالى: «يَوْمَ يُبْعَثُونَ» يعني: الخلائق.

قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» فيه ستة أقوال: أحدها: سليم من الشُّرك، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: سليم من الشُّك، قاله مجاهد. والثالث: سليم، أي: صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: أن السَّليم في اللغة: اللديغ، فالمعنى: كاللديغ من خوف الله تعالى، قاله

(١) قال ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً، ولها تأثير، فلتخلص إليّ بالمساءة، فإني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها. اهـ.

(٢) زيادة من «روح المعاني».

(٣) قال ابن كثير: أي: هو خالقي ورازقي بما سخر ويُسّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد. وأنزل الماء عنها زلاً لا يسقيه مما خلق أنعاماً وأناسٍ كثيراً. اهـ.

(٤) زيادة ليست في الأصل.

(٥) أي: العقل.

الجنيـد. والخامس: سليم من آفات المال والبنين، قاله الحسين بن الفضل. والسادس: سليم من البدعة، مُظْمَشٌ على السنّة، حكاه الثعلبي.

﴿وَأَرْزَلْنِي لِبَنَةِ الْفَتَيْنِ﴾ (١٧) وَرَزَيْتَ لِحَسْبِ الْفَقَائِدِ (١٨) وَقِيلَ لَمْ يَنْ مَا كُنْتَ تَعْبُدُ (١٩) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرُوكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ (٢٠) تَكْفِكُوا يَدَايَاكُمْ وَالْقَائِدَ (٢١) وَخَوْدُ إِبْلِيسَ أَجْعُونَ (٢٢) قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٢٣) تَأَلَّوْا لَنِي صَلَكِي ثِيْبِي (٢٤) إِذْ سُرِّيَكُمْ رَبِّي الْمَلَكِينَ (٢٥) وَمَا أَهْلُنَا إِلَّا الْمُعْجِرُونَ (٢٦) فَتَا لَنَا مِنْ شَيْعِينَ (٢٧) وَلَا صَدِيقٍ جِمْ (٢٨) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٣٠) وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَمُوتَ الْفَرِيزُ الرَّحِيمُ (٣١)﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنِي لِبَنَةِ الْفَتَيْنِ﴾ (١٧) أي: قُرْبَتْ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا، ﴿وَرَزَيْتَ لِحَسْبِ﴾ أي: أَظْهَرْتَ ﴿وَالْفَقَائِدَ﴾ (٢١) وَهَمَّ الضَّالُّونَ، ﴿وَقِيلَ لَمْ يَنْ مَا كُنْتَ تَعْبُدُ﴾ (١٩) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرُوكُمْ، أي: يَمْنَعُونَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ يَمْتَنِعُونَ مِنْهُ.

قوله تعالى: ﴿تَكْفِكُوا﴾ قال السدي: هم المشركين. قال ابن قتيبة: أَلْقُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَصْلُ الْحَرْفِ «كَبَّيُوا» مِنْ قَوْلِكَ: كَبَيْتُ الْإِنَاءَ، فَأَبْدَلُ مِنَ الْبَاءِ الْوَسْطَى كَافًا، اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِ ثَلَاثِ بَاءَاتٍ، كَمَا قَالُوا: «كُفِّمُوا» مِنْ «الْكُفَّةِ»، وَالْأَصْلُ: «كُفِّمُوا». وقال الزجاج: معناه: طُرِحَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ تَكْرِيرُ الْإِنْكَابِ، كَانَهُ إِذَا لَقِيَ بِتَكْبٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِيهَا. وَفِي الْغَاوِينَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: الْمَشْرُكُونَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: الشَّيَاطِينُ، قَالَه قَتَادَةُ، وَمَقَاتِلُ. وَالثَّالِثُ: الْأَلَهَةُ، قَالَه السَّيِّدِي. ﴿وَخَوْدُ إِبْلِيسَ﴾ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. ﴿قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٢٣) يَعْنِي: هَمَّ وَالْهَتَمُ، ﴿تَأَلَّوْا لَنِي كُنَّا﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: لَقَدْ كُنَّا. وَقَالَ الزَّجَاجُ: مَا كُنَّا إِلَّا فِي ضَلَالٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ سُرِّيَكُمْ﴾ أي: نَحْلُولُكُمْ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، ﴿وَمَا أَهْلُنَا إِلَّا الْمُعْجِرُونَ﴾ (٢٦) فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الشَّيَاطِينُ. وَالثَّانِي: أَوْلَاهُمُ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِمْ، قَالَ عِكْرَمَةُ: إِبْلِيسُ وَابْنُ آدَمَ الْقَاتِلُ.

قوله تعالى: ﴿فَتَا لَنَا مِنْ شَيْعِينَ﴾ (٢٧) هَذَا قَوْلُهُمْ إِذَا شَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ. وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَان؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَخْرَجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، يَقُولُ مَنْ بَقِيَ [فِي النَّارِ]: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ؟» (١). وَالْحَمِيمُ: الْقَرِيبُ الَّذِي تَوَدُّهُ وَيُؤَدُّكَ وَالْمَعْنَى: مَا لَنَا مِنْ ذِي قَرَابَةٍ يُهَيِّمُهُ أَمْرُنَا، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾ أي: رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لَتَحُلَّ لَنَا الشَّفَاعَةُ كَمَا حَلَّتْ لِلْمُوحِدِينَ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ شُعِ الْمُرْسِيِّينَ﴾ (٣٢) إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ بِشَيْءٍ إِلَّا نَفَقُونَ (٣٣) إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (٣٤) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٣٥)﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ شُعِ﴾ قال الزجاج: الْقَوْمُ مَذْكُورُونَ، وَالْمَعْنَى: كَذَّبَتْ جَمَاعَةُ قَوْمِ نُوحٍ. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ بِشَيْءٍ﴾ كَانَتْ الْأَخْوَةُ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ بَيْنَهُمْ، لَا مِنْ جِهَةِ الدِّينِ، ﴿إِلَّا نَفَقُونَ﴾ عَذَابُ اللَّهِ بِتُوحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، ﴿إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٣٤) عَلَى الرِّسَالَةِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّكُمْ (٣٣). ﴿وَمَا أَهْلُكُمْ بِمَنْجُورٍ﴾ أي: عَلَى الدَّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَتَكْفُرُ بِالْأَزْدَلُونَ﴾ (٣٦) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٧) إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (٣٨) وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمِ الْمُؤْمِنِينَ (٣٩) إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٠) قَالُوا لَنْ لَرَّ تَنْتَ بَشَرٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (٤١)﴾

(١) هَذَا الْحَدِيثُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِسِيُّ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ الشَّيعَةِ فِي تَفْسِيرِ «مَجْمَعِ الْبَيَانِ» وَلَمْ يَعْزُةَ لِأَحَدٍ، بَلْ قَالَ: وَفِي الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... فَذَكَرَهُ، وَاسْتَدْرَكْنَا الزِّيَادَةَ الَّتِي بَيْنَ الْقَوْمَيْنِ مِنْهُ، وَلَعَلَّ الْمُصَنِّفَ رَحِمَهُ اللَّهُ نَقَلَ عَنِ الطَّبْرِسِيِّ أَوْ مِنْ نَقْلِهِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ» عَنْ جَابِرٍ وَلَمْ يَعْزُةَ لِأَحَدٍ، وَلَمْ نَرَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوْحٍ ﷺ، وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا عُبِدَتْ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ، فَبَعَثَ اللَّهُ نَاحِيًا عَنْ ذَلِكَ وَمَحْلُودًا مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ فَاسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِعَالِ الْخَبِيثَةِ فِي عِبَادَتِهِمْ أَصْنَامَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبُهُ لِهِمْ مِنْزِلَةً تَكْذِيبُهُمْ جَمِيعَ الرُّسُلِ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ شُعِ الْمُرْسِيِّينَ﴾ (٣٢) إِذْ قَالَ لَمْ نُؤْمَرْ بِشَيْءٍ إِلَّا نَفَقُونَ (٣٣) أَي: أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرِهِ؟ ﴿إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٣٤) أَي: إِنِّي رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، آمِينَ فِيمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَا أَزِيدُ فِيهَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهَا.



قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَدْرِكُونَ﴾ وقرأ يعقوب بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: «وَأَتَدْرِكُ الْأَرْدَلُونَ»، وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الحاكّة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: الحاكّة والأساكفة، قاله عكرمة. والثالث: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عزّ، قاله عطاء. وهذا جهل منهم، لأن الصناعات لا تضرّ في باب الديانات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِي يَدَا كَاذِبًا يَمُوتُ﴾ أي: لم أعلم أعمالهم وصناعاتهم، ولما أكلف ذلك، إنما كلف أن ادعَوْهم، ﴿إِنْ حَسِبْتُمْ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رِيٍّ لَّو تَشْعُرُونَ﴾ بذلك ما عبتوهم في صناعاتهم، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأردلون. وفي قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ مِنَ الْمُتَّوْبِينَ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: من المستومنين، قاله الضحاك. والثاني: من المضروبين بالحجارة، قاله قتادة. والثالث: من المقتولين بالرّجم، قاله مقاتل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ﴾ قال تعالى: ﴿فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ﴾ ثم أفرقا بعد الباقين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ وَالْمُسْحِقِينَ الْفُلُوكُ فَأَتَيْتُ بِهِ﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاء، يعني: بالعذاب ﴿وَتَجَنَّبَ وَتَجَنَّبَ﴾ من ذلك العذاب. والفُلُوكُ قد تقدم بيانه [البقرة: ١٦٤]. والمُسْحِقُونَ: المملوء، يقال: شحنت الإناء: إذا ملأته؛ وكانت سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كلّهُ، ﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد نجات نوح ومن معه ﴿الْبَاقِينَ﴾.

﴿كَتَبَ عَادَ التَّرْسِيلَ﴾ إذ قَالَ لَهُمْ أَفْرَقُوا هُوَ لَا تَقُولُونَ ﴿١١٨﴾ إِلَىٰ لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٩﴾ فَأَلْقَوْا اللَّهَ وَالْيَمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا تَجْعَلِ لَهَا آيَةً أَوْلَىٰ مِنْهُ فَكَفَرُوا ﴿١٢١﴾ أَتَنْتَوُونَ بِكُلِّ رِيٍّ مِائَةً تَسْئُونَ ﴿١٢٢﴾ وَتَنْتَوُونَ بِكُلِّ رِيٍّ مِائَةً تَسْئُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٤﴾ فَأَلْقَوْا اللَّهَ وَالْيَمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَأَلْقَوْا آلَاءَهُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٦﴾ أَمَذْكُرُ بِأَنْتُمْ وَتَبِعَ ﴿١٢٧﴾ وَتَحَنَّنَ وَتَبِعَ ﴿١٢٨﴾ إِلَىٰ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَنْتَوُونَ بِكُلِّ رِيٍّ﴾ وقر عاصم الجحدري، وأبو حيو، وابن أبي عبلة: «بِكُلِّ رِيٍّ» بفتح الراء. قال الفراء: هما لغتان. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المكان المرتفع؛ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: بكل شرف. قال الزجاج: هو في اللغة: الموضع المرتفع من الأرض. والثاني: أنه الطريق، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: الفج بين الجبلين، قاله مجاهد. والآية: العلامة. وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد: تبون مالا تسكنون، رواه عطاء عن ابن عباس؛ والمعنى أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثاً. والثاني: بروج الحمام، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد. والثالث: أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة ليُسرفوا على المارة فيسخرُوا منهم ويَعْتَبُوا بهم، وهو معنى قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْتَوُونَ بِكُلِّ رِيٍّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قصور مشيّدة، قاله مجاهد. والثاني: مصانع الماء تحت الأرض، قاله قتادة. والثالث: بروج الحمام، قاله السدي<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ قولان: أحدهما: كأنكم تخلدون؛ قاله ابن عباس، وأبو مالك. والثاني: كيما تخلدوا، قاله الفراء، وابن قتيبة. وقرأ عكرمة، والنخعي، وقتادة، وابن يعمر: «تُخْلَدُونَ» برفع التاء وتسكين الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو حصين: «تُخْلَدُونَ» بفتح الخاء وتشديد اللام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم؛ وإنما أنكر عليهم ذلك، لأنه صدر عن ظلم، إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حق ما ليموا. وفي قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قولان: أحدهما: ما عذبوا به في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مُصْنَعَة، والعرب تسمي كل بناء مصنعاً، وجاز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيّدة، وجاز أن يكون كان مأخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل، فالصواب أن يقال فيه ما قاله الله أنهم كانوا يتخذون مصانع. اهـ.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَصْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ أَيْنَ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُوبَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «خُلُقٌ» بفتح الخاء وتسكين اللام؛ قال ابن قتيبة: أرادوا اختلافتهم وكذبهم، يقال: خَلَفْتُ الحديثَ اختلقته، أي: افتعلته، قال الفراء: والعرب تقول للخرافات: أحاديثُ الخُلُق. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، [وخلف، ونافع]: «خُلُقُ الأولين» بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري: «خُلُقٌ» برفع الخاء وتسكين اللام؛ والمعنى: عادتهم وشأنهم. قال قتادة: قالوا [له]: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ أي: على ما نفعله في الدنيا.

﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٢﴾ وَزِدْجٍ وَغُلٍّ طَلَمَهَا هَاضِمٌ ﴿١٤٣﴾ وَتَنَجُّونَ مِنْ الْجِبَالِ يُّوَكَّا قَرِيهِنَ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُوبَ ﴿١٤٥﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّارِقِينَ ﴿١٤٦﴾ أَلَيْسَ يَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا «يُمِينِينَ» من الموت والعذاب.

قوله تعالى: ﴿طَلَمَهَا هَاضِمٌ ﴿١٤٣﴾ الطَّلَعُ: الثمر. وفي الهضم سبعة أقوال. أحدها: أنه الذي قد أُنِعَ وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه الذي يتهشم تهشماً، قاله مجاهد. والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن. والرابع: أنه المذنب من الرطب، قاله سعيد بن جبیر. والخامس: اللين، قاله قتادة، والفراء. والسادس: أنه الخمل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً، قاله الضحاك. والسابع: أنه الطَّلَع قبل أن ينشَقَّ عنه [القشرا] وينفتح، يريد أنه منضَّم مُكْتَبَرٌ، ومنه قيل: رجل أَهَضَمُ الكُشْحَيْنِ، إذا كان مُنْضَمَّهما، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَتَنَجُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوَكَّا قَرِيهِنَ ﴿١٤٤﴾﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قَرِيهِنَ». وقرأ الباقون: «فَارِيهِنَ» بالفتح. قال ابن قتيبة: «قَرِيهِنَ»: أَشْرِين بيطرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي: قَرَجِين، و«الفَرْح» قد يكون السورور، وقد يكون الأشر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصاص: ٧٦] أي: الأشرين، ومن قرأ: «فَارِيهِنَ» فهي لغة أخرى، يقال: قَرَّة وفارة، كما يقال: قَرِحٌ وفارِحٌ، ويقال: «فَارِيهِنَ» أي: حاذِقِينَ؛ قال عكرمة: حاذِقِينَ بنحتها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الشَّارِقِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ قال ابن عباس: يعني: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذي عرفوا الناقة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٤٦﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٧﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ نَاقَةٌ كُنَّا يَمْرُؤُا وَلَكِنْ يَوْمَ تَمُوتُ يَوْمَ تَمُوتُ يَسُوءُ قِيَادَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤٨﴾ فَمَقْرُوعًا فَأَصْبَحُوا نَدِيبِينَ ﴿١٤٩﴾ فَالْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥١﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ أَيْنَ ﴿١٥٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَعْقُوبَ ﴿١٥٥﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ قال الزجاج: أي: ممن له سحر، والسحر: الرثة، والمعنى: أنت شر مثلنا. وجائز أن يكون من المفعولين من السحر؛ والمعنى: ممن قد سحر مرة بعد مرة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لُوطُ يَمْرُؤُا﴾ أي: حظ من الماء. قال ابن عباس: لها شرب معروف لا تحضره معها، ولكم شرب

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضم: هو المتكسر من لينة ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتعبه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التقصص منه، من رطوبته ولينه، إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فاعل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعملون بالطعام والشراب مثلنا، ولست رباً ولا ملكاً فطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول، قال: والسحر: المنقل من السحرة، وهو الذي له سحرة. اهـ.

لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقسموه، وإذا كان يومها شرب الماء كله. وقال قتادة: كانت إذا كان يوم شربها، شربت ماءهم أول النهار، وسقتهم اللبن آخر النهار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي عتبة: «لها شرب» بضم الشين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنصَبُوا نَدِيمًا﴾ قال ابن عباس: ندموا حين رأوا العذاب على عقرها، وعذابهم كان بالصيحة. ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالِيِّينَ﴾ ﴿وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْنَ لِرَبِّنَا نَتَّقُوهُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلِكٌ مِنْ الْقَالِينَ﴾ ﴿رَبِّ نَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَنَجِسَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عَجْرًا فِي الْفَتَنِينَ﴾ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُثَوِّدًا﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنَ الْعَمَلِ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾ وهو جمع ذكر ﴿بَيْنَ الْفَتَنِينَ﴾ أي: من بني آدم، ﴿وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [قال الزجاج: وقرأ ابن مسعود: «ما أصلح لكم رؤسكم من أزواجكم»] يعني به الفروج. وقال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدهار الرجال.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمون معتدون. ﴿قَالُوا لَيْنَ لِرَبِّنَا نَتَّقُوهُ﴾ أي: لئن لم تسكت عن نهينا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلِكٌ﴾ يعني: إتيان الرجال ﴿بَيْنَ الْقَالِينَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من المبيغضين، يقال: قُلْتُ الرجل: إذا أبغضته.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عقوبة عملهم، ﴿فَنَجِسَتْهُ وَأَهْلَهُ﴾ وقد ذكرناهم في (هود: ٨٠)، ﴿إِلَّا عَجْرًا﴾ يعني: امرأته ﴿فِي الْفَتَنِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْخَسْفِ وَالْحَصْبِ﴾ وهو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ آلِ يُثَا لَإِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَعْثٍ إِنْ أَجَزَ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّي الْعَالِيينَ﴾ ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ آلِ يُثَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «أصحاب لَيْكَةَ هاهنا، وفي (ص: ١٣) بغير همز والتاء مفتوحة؛ وقرأ الباقون: «الأيكة» بالهمز فيهما والألف. وقد سبق هذا الحرف [الحجر: ٧٨]. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إن قيل: لم يقل: أخوهم، كما قال في [الأعراف: ٨٥]؟ فالجواب: أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان. وقد ذكرنا في سورة [هود: ٩٤] عن محمد بن كعب القرظي، أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلّة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل، فقد تساؤروا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة<sup>(١)</sup>، وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفاً، والله أعلم.

﴿أَوْرُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿وَرَوْا بِالْقِطَاسِ أَلَسْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْنَطُوا فِي الْأَرْبَاسِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَأَتَقُوا الَّذِينَ خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقسين للكَيْل، يقال: أخسرت الكَيْل والوزن: إذا نقصته. وقد ذكرنا القسطاس في [بني إسرائيل: ٣٥].

(١) قال ابن كثير: هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتق كالنخلة، كانوا يعبدونها، فلها لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ آلِ يُثَا﴾ لم يقل: أخوهم شعيب، إنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً. قال: ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً عليه السلام بعث الله إلى اثنين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. اهـ. فاهل مدين، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، هم قوم شعيب، وما ذكر في بعض الأحاديث أن أصحاب الأيكة وقوم مدين اثنتان بعث الله إليهما شعيباً، قال ابن كثير: هو غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء، وأمر بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل على أنهم أمة واحدة. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ﴾ أي: خلق الجبلة. وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجبلة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن يعمر، وابن أبي عبله: «والجبلة» برفع الجيم والباء جميعاً مشددة اللام. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وعاصم الجحدري: بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام. قال ابن قتيبة: الجبلة: الخلق، يقال: جبِل فلان على كذا، أي: خلق، قال الشاعر:

وَالْمَمُوتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يُمُوتُ عَلَى الْجِبِلَّةِ<sup>(١)</sup>

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ ﴿فَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿فَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كُنْتُ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿قَالَ رَبِّهِ أَطْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْرَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْرٍ عَظِيمٍ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿فَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي قِطْعَةً ﴿مِنْ أَسْمَاءِ﴾، وَكَيْسَفٌ جَمْعٌ «كَيْسَفَةٌ» [كَمَا] يُقَالُ: يَطْلَعُ وَرِقْطَةً.

قوله تعالى: ﴿رَبِّهِ أَطْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من نقصان الكيل والميزان؛ والمعنى: إنه يُجازيكم إن شاء، وليس عذابكم بيدي، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْرَ الظُّلَّةِ﴾ قال المفسرون: بعث الله عليه حرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة أظلمتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادى بعضهم بعضاً: حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم ناراً، فكان ذلك من أعظم العذاب. والظُّلَّة: السحابة التي أظلمتهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿يَلْسَانُ عَرَفٍ ثَبِيثٍ﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ يعني القرآن ﴿لَنَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وحفص عن عاصم: «نَزَّلَ بِهِ» خفيفاً «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نَزَّلَ» مشددة الزاي «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بالنصب. والمراد بالروح الأمين: جبريل، وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ قال الزجاج: معناه: نزل عليك فوعاه قلبك، فثبت، فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: ﴿لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي: ممن أنذر بآيات الله المكذِّبين، ﴿يَلْسَانُ عَرَفٍ ثَبِيثٍ﴾ قال ابن عباس: لسان قریش ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ وقرأ الأعمش: «زُئِرٍ» بتسكين الباء. وفي هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن؛ والمعنى: وإنْ ذُكِرَ القرآن وخبره، هذا قول الأكثرين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها تعود إلى رسول الله ﷺ، قاله مقاتل. والزُّئِر: الكُتُب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وابن أبي عبله: «تكن» بالثاء «آيَةً» بالرفع. وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادة: «تكن» بالثاء «آيَةً» بالنصب قال الزجاج: إذا قلت: «يكن» بالياء، فلا اختيار نصب «آيَةً» ويكون «أن» اسم كان، ويكون «آيَةً» خبر كان، المعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النبي ﷺ حق، وأن نبوته حق؟! «آيَةً» أي: علامة موضحة، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذُكِرَ النبي ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ومن قرأ «أو لم تكن» بالثاء «آيَةً» جعل «آيَةً» هي الاسم، «وأن يعلمه» خبر «تكن». ويجوز أيضاً «أو

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» (٣٢٠)، و«مجمع البيان» ١٧٨/١٩، «القرطبي» ١٢٦/١٣ وفيه «فيما» بدل «ما».

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٦١/١٥: اختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿كَيْسَفًا﴾ فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿كَيْسَفًا﴾ بفتح السين، ثم قال: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألو رسول الله ﷺ ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحذ معلوم من القَوْل، إنما سألو أن يسقط عليهم السماء قطعاً، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل. اهـ.

(٣) وهو الصواب.

لم تكن، بالتاء آيةً بالنصب، كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ كُنْتَ فَتَاهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقرأ الشعبي، والضحاك، وعاصم الجحدري: «أَنْ تَعْلَمَهُ» بالتاء. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا: إن هذا لزمأنه، وإننا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَلَى بَيْضِ الْأَعْمَى﴾ قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأثنى عجماء، والأعجم: الذي لا يُفصح، وكذلك الأعجمي؛ فاما العجمي: فالذي من جنس العجم، أفصح أولم يُفصح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٤﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ نَكُنْ بِسَمْعِهِمْ سَمْعِينَ ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ نَكُنْ بِبَصَرِهِمْ بَصِيرَةً ﴿١٨﴾ أَفَلَمْ نَكُنْ بِقُلُوبِهِمْ قَبِيرَةً ﴿١٩﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا مَنَازِلَ مُزْدُورٍ ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ وَمَا كُنَّا غَالِبِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٢]. والمجرمون هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال الفراء: المعنى: كي لا يؤمنوا. فاما العذاب الاليم، فهو عند الموت.

﴿يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ عند نزول العذاب: أي: مؤخرون لنؤمن ونصدق. قال مقاتل: فلما أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً به<sup>(٢)</sup>، فقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ نَكُنْ بِسَمْعِهِمْ سَمْعِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ نَكُنْ بِبَصَرِهِمْ بَصِيرَةً﴾ قال عكرمة: عُمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذاب. ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا مَنَازِلَ مُزْدُورٍ﴾ يعني: رسلاً تنذرهم العذاب. ﴿وَكَذَلِكَ وَمَا كُنَّا غَالِبِينَ﴾ أي: موعظة وتذكيراً.

﴿وَمَا تَزَكَّىٰ بِهِنَّ الشَّيَاطِينُ﴾ وما يَبْنِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٣﴾ إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَزَكَّىٰ بِهِنَّ الشَّيَاطِينُ﴾ سبب نزولها أن قريشاً قالت: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على [لسان] محمد، فتزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَبْنِي لَهُمْ﴾ أي: أن ينزلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يأتوا به من السماء، لأنهم قد جيل بينهم وبين السَّمْعِ بالعتائكة والشُّهْب. ﴿إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ﴾ أي: عن الاستماع للوحي من السماء ﴿لَمْعَرُونَ﴾ فكيف ينزلون به؟ وقال عطاء: عن سماع القرآن لمحجوبون، لأنهم يُزجَمون بالنجوم.

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ﴾ قال ابن عباس: يحلِّد به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتَّخَذْتَ من دوني إلهاً لعذبته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: «يا معشر قريش: اشترؤا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله ﷺ لا أغني

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ﴾ قال ابن عباس: يحلِّد به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتَّخَذْتَ من دوني إلهاً لعذبته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: «يا معشر قريش: اشترؤا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله ﷺ لا أغني

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ﴾ قال ابن عباس: يحلِّد به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتَّخَذْتَ من دوني إلهاً لعذبته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: «يا معشر قريش: اشترؤا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله ﷺ لا أغني

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا مَخَرٌ فَكَوَتْ مِنَ الْمُعْذِرِينَ﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ أَعْيَنَ مِنَ الْغُفْرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَدْ أَقْبَلَ بِرَبِّكَ مَتَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْزُوقِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ جِئْنَ نَقُومَ وَنَقْلُوكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيلُ ﴿١٩﴾﴾

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقال ابن كثير: أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك، أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها، والمراد: المدلول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي الْأَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُدْخِلُكَ مَكُونًا مُنْتَفِعًا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. اهـ.

(٢) في [مجمع البيان] للطبرسي: «تكليلاً له» ولعل المصنف رحمه الله نقل قول قتادة هذا من الطبرسي، أو من نقل عنه الطبرسي.

(٣) وهو كذلك في [مجمع البيان] للطبرسي.

عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت ما أغني عنك من الله شيئاً»<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: «سألوني من مالي ما شئت»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «غير أن لكم رَحِمًا سَابِلُهَا بِلَالُهَا»<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله: «عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»: رهطك الأدينين. «فَإِنَّ عَصْرَكَ» يعني: العشيبة «فَقُلْ لِي بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ» من الكفر. «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ»<sup>(٤)</sup>. أي: ثق به وفوض أمرك إليه، فهو عزيز في نعمته، رحيم لم يجعل بالعقوبة. وقرأ نافع، وابن عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاء، وكذلك [هوا] في مصاحف أهل المدينة والشام. «الَّذِي يَرْبِتُكَ بَيْنَ نَفْسِكَ وَنَفْسِهِ»<sup>(٥)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حين تقوم إلى الصلاة، قاله ابن عباس، ومقاتل، والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاء. والثالث: حين تخلو، قاله الحسن.

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلْكَ»<sup>(٦)</sup> أي: ونرى تقبلبك «فِي السَّجْدِ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وتقبلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: وتقبلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة؛ والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة. والثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهمْ كَذِبُ﴾

قوله تعالى: «هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ»<sup>(١)</sup> هذا ردٌ عليهم حين قالوا: إنما يأتيه بالقرآن الشياطين. فأما الأفاك فهو الكذاب، والأثيم: الفاجر، قال قتادة: وهم الكهنة.

قوله تعالى: «يُلْقُونَ السَّمْعَ» أي: يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة. وفي قوله: «وَأَكْتَرُهمْ كَذِبُ» قولان: أحدهما: أنهم الشياطين. والثاني: الكهنة.

﴿وَالشَّعْرَةَ يَبْغُمُ الْقَارُونَ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكَ وَأَنصَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي ظَلَمُوا أَنَّىٰ مُقَبِّلِينَ ﴿﴾

قوله تعالى: «وَالشَّعْرَةَ يَبْغُمُ الْقَارُونَ»<sup>(١)</sup> وقرأ نافع: «يَتَّبِعُهُمْ» بسكون التاء؛ والوجهان حسنان، يقال: تَبِعْتُ وأتبعْتُ، مثل حَقَرْتُ واحتقرْتُ. وروى العوفي عن ابن عباس، قال: كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ قد تهاجيا، فكان مع كل واحد منهما غُواة من قومه، فقال الله: «وَالشَّعْرَةَ يَبْغُمُ الْقَارُونَ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قال: هم شعراء المشركين. قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزُّعْرَى، وأبو سفيان بن حرب، وهيرة بن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر، فاجتمع إليهم غُواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويَزُودُون عنهم<sup>(٣)</sup>. وفي الفاوين ثلاثة أقوال: أحدها: الشياطين، قاله مجاهد، وقاتدة. والثاني: السفهاء، قاله الضحاك. والثالث: المشركون، قاله ابن زيد.

(١) رواه البخاري ٣٨٦/٨، ومسلم ١/١٩٢، والطبري ١٩/١١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٥/٥ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وفي «الدلائل».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» بهذا اللفظ ١/١٩٢.

(٣) رواه مسلم أيضاً بهذا اللفظ ١/١٩٢، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ٨٠/٣: «بلاها» ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرهما، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء، وقال: قال القاضي عياض: رويته بالكسر، قال: ورايت للخطابي أنه بالفتح، وقال صاحب «المطالع»: رويته بكسر الباء وفتحها، من بَلَّه يَبْلُوه، والبال الماء. ومعنى الحديث: ساقطها، شبهت قطعة الرحم بالحراة، ووصلها بإطاف الحراة ببرودة، قال: ومنه: بُلُوا أرحامكم، أي: صلوها. اهـ.

(٤) زيادة من «القرطبي».

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله، قول من قال: تأويله: ويرى تقبلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وترجع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، ثم قال: فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقبلبك في المومنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس. ثم قال في تنمة الآية: وقوله: «إِنَّهُ هُوَ أَكْثَبُ الْكَلِمِ» يقول تعالى ذكره: إن ريك هو السميع ثلاثتك يا محمد وذكرك في صلاتك ما تلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من تقبلبك فيها معك مؤتماً بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإذن برأى من ريك وسميع. اهـ.

(٦) الطبري ١٩/١٢٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٩/٥ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٧) ذكر قول مقاتل هذا الطبرسي في «مجمع البيان». وعبد الله بن الزمري أسلم بعد ذلك، وكذلك أبو سفيان.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا مثل بمن يهيم في الأودية؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك؛ فيمدحون بباطل ويذمون بباطل، ويقولون: فعلنا، ولم يفعلوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن عباس: لما نزل ذم الشعراء، جاء كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، أنزل الله هذا وهو يعلم أنا شعراء، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وذموا من هجاه<sup>(٣)</sup>، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم. وقال ابن زيد: وذكروا الله في شعرهم. وقيل: المراد بالذكر: الشعر في طاعة الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَرُوا﴾ أي: من المشركين ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء. ثم أوعد شعراء المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: «أي» منصوبة بقوله: «ينقلبون» لا بقوله: «سيعلم»، لأن «أيًا» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها. ومعنى الكلام: إنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها. وقرأ ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو رجاء: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» بتاءين مفتحتين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان وتشديد اللام فيها. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» بالفاء فيها وبنوين ساكنين وبتاءين. وكان شريح يقول: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر.



- (١) قال ابن كثير: قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتية فلان، ومرة في مديحة فلان. قال: قال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل، ويذم قومًا بباطل. اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار؟! وفي ذلك نظر، ولم يتقدم - أي في سبب النزول - إلا مراسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم. اهـ.
- (٣) قال ابن كثير: ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأتبع وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ - فإن الحسنات يذهبن السيئات - وامتنح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يلغوه، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم:

رَاتِبٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بِبُورِ

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِن لَّيَانِي

ي وَمِنْ مَالٍ مَّيْلِهِ مَشْبُورِ

إِذَا جَارِيَ الشَّيْطَانُ فِي سِنَنِ الْغِي

قال: وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه، وأكثرهم له هجاء، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله ﷺ بعدما كان يهجو، ويتولاه بعدما كان قد عاداه، ثم قال ابن كثير: ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَحَلَّتْ لَهُمْ قُلُوبُ وَكَرَّ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ قيل: معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم، وقيل: في شعرهم، قال: وكلاهما صحيح مكثر لما سبق. اهـ.

- (٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاذ يعمدون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لهيبها. اهـ. وقال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم. اهـ. وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».



## سورة النمل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابُ تُبَيِّنَ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُعِشُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ فِتْنَتَا لَمْ يَمْنَحُوا ۝ لَوْلَاكَ الَّذِينَ لَمْ يَمْنَحُوا مَوْتَ الْمَكَايِبِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ۝ وَلَوْلَاكَ لَكَلَّى الْفُرْقَانِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِذْ مَاتَتْ نَارًا مَكَايِبِكُمْ مَتْنًا يَحْيِي أَوْ مَاتَكُمْ بِشَاهِبٍ قَبَسٍ لَمَلَكُ تَصَلُّوْكَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهَا قُوَى أَنْ بُوْرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه، قال: هو اسم الله الأعظم. والثاني: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والثالث: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكِتَابُ تُبَيِّنَ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن أبي عبة: «وكتاب مبين» بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَى﴾ أي: بشرى بما فيه من الثواب للمصدقين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ﴾ أي: حببنا إليهم قبيح فعلهم. وقد بينا حقيقة التزيين والعمه في [البقرة: ١٥، ٢١٢]. وسوء العذاب: شديده.

قوله تعالى: ﴿هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَاكَ لَكَلَّى الْفُرْقَانِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُلْقَى عليك فتتلقاه أنت، أي: تأخذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله تعالى: ﴿بِشَاهِبٍ قَبَسٍ﴾ قرأ عاصم، وحمة، والكسائي، ويعقوب إلا زيدياً؛ «بشهاب» بالتثنية. وقرأ الباقون على الإضافة غير متوّن. قال الزجاج: من نَوْنِ الشَّهَابِ، جعل القبس من صفة الشهاب، وكل أبيض ذي نور، فهو شهاب. فأما من أضاف، فقال الفراء: هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله: ﴿وَلَمَّا نَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال ابن قتيبة: الشَّهَابُ: النار، والقَبَسُ: النار تُقْبَسُ، يقال: قَبَسْتُ النار قَبْساً، واسم ما قَبَسْتُ: قَبَسٌ.

قوله تعالى: ﴿تَصَلُّوْكَ﴾ أي: تستدفنون، وكان الزمان شتاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا قُوَى﴾ أي: جاء موسى النار، وإنما كان نوراً فاعتقده ناراً، ﴿قُوَى أَنْ بُوْرِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: قُدْسَ مَنْ فِي النَّارِ، وهو الله ﷻ، قاله ابن عباس، والحسن، والمعنى: قُدْسَ مَنْ نَادَاهُ مِنَ النَّارِ، لا أن الله ﷻ يَحُلُّ في شيء. والثاني: أن «مَنْ» زائدة؛ والمعنى: بوركت النار، قاله مجاهد. والثالث: أن المعنى: بُورِكَ على من في النار، أو فيمن في النار؛ قال الفراء: والعرب تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه، بمعنى واحد، والتقدير: بُورِكَ من في طلب النار، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة، كما حيى إبراهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَبِّمَتُ اللَّهِ وَرَكَّبَتْ عَلَيْكَ أَهْلُ الْآيَةِ﴾ [عود: ٧٣]. فخرج في قوله: ﴿بُوْرِكَ﴾ قولان: أحدهما: قُدْسَ. والثاني: من البركة. وفي قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثة

(١) انظر التلويح الذي في أول سورة (الشعراء) وما قاله العلماء عن الحروف التي في أوائل السور.

(٢) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به وأتبعه وصدقته وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيراً وشرها والجنة والنار. اهـ.



أقوال: أحدها: الملائكة، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: موسى والملائكة، قاله محمد بن كعب. والثالث: موسى؛ فالمعنى: بُوركَ فيمن يطلبها وهو قريب منها.

﴿يَتُوسَعُ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) وَأَلَيْ عَمَّا لَنَا رَمَاهَا نَهَزُ كَأَنَّمَا جَاءَ وَلَكِ مُدِيرٌ وَكَرَّرَ يَقْبُذُ يَتُوسَعُ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ (٢) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَغْلَةً مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نِجَاسٍ مَّا كُنِيَ إِلَيْنَا وَرَوْعًا وَرُفُوعًا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْهَمَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٥) وَحَمَدُوا بِهَا - وَاسْتَفْتَنَاهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ الهاء عماد في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السدي: هي كناية عن المنادي، لأن موسى قال: مَنْ هذا الذي يناديني؟ فقيل: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ».

قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْ عَمَّا﴾ في الآية محذوف، تقديره: فالفأها فصارت حيّة، الفراء: الجان: الحيّة التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

قوله تعالى: ﴿وَكَّرَّرَ يَقْبُذُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لم يلتفت، قاله قتادة. والثاني: لم يرجع، قاله ابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: وأهل النظر يرون أنه مأخوذ من العقب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يوحى إليهم فيه، فكانه يُبَيِّنُ على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حيّه. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استثناء صحيح، قاله الحسن، وقاتدة، ومقاتل، والمعنى: إلا من ظلم منهم فإنه يخاف. قال ابن قتيبة: علم الله تعالى أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفَةً مِنْ ذَنْبِهِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي وَكَّرَهُ، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا﴾ أي: توبة وندماً، فإنه يخاف، وإني غفور رحيم. والثاني: أنه استثناء منقطع؛ والمعنى: لكن من ظلم فإنه يخاف، قاله ابن السائب، والزجاج<sup>(١)</sup>. وقال الفراء: «مَنْ» مستثناة من الذين تُرْكُوا في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لديّ المرسلون إنما الخوف على غيرهم، إلا من ظلم، فتكون «مَنْ» مستثناة. وقال ابن جرير: في الآية محذوف، تقديره: إلا من ظلم، فمن ظلم ثم بَدَّلْ حُسْنًا. والثالث: أن «إِلَّا» بمعنى الواو، فهو كقوله: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، حكاه الفراء عن بعض النحويين، ولم يرضه. وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، وعاصم الجحلي، وابن يعمر: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيف اللام. وللمفسرين في المراد بالظلم هاهنا قولان: أحدهما: المعاصي. والثاني: الشرك. ومعنى «حُسْنًا»: توبة وندماً. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو رجاء، والأعمش، وابن السميع، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «حُسْنًا» بفتح الحاء والسين. ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: بعد إساءة. وقيل: الإشارة بهذا إلى أن موسى وإن كان [قد] ظلم نفسه بقتل القبطي، فإن الله يغفر له، لأنه ندم على ذلك وتاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الْجَيْبُ حيث جِيبَ من القميص، أي: قُطِع. قال ابن جرير: إنما أمر بإدخاله يده في جيبه، لأنه كان عليه حينئذٍ مِذْرَعَةٌ من صوف ليس لها كُمٌ. والسُّوء: البرص.

قوله تعالى: ﴿فِي نِجَاسٍ مَّا كُنِيَ إِلَيْنَا﴾ قال الزجاج: «في» من صلة قوله: «وَأَلَيْ عَمَّا» وأدخل يدك، فالتأويل أظهر هاتين الآيتين في تسع آيات. و«في» بمعنى «من» فتأويله: مِنْ تِسْعِ آيَاتٍ؛ تقول: خذ لي عشرةً من الإبل فيها فحلان، أي: منها فحلان. وقد شرحنا الآيات في [بني إسرائيل: ١٠١].

(١) قال ابن كثير: هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيء، ثم أقطع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي لَغَفُورٌ لِّمَن يَتُوبُ إِنَّكَ تَابَ رَمَازٌ وَحِلٌّ مِّمَّا تَمُوتُ أَفْتَنَ﴾ [طه: ٨٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلِكُ سُوءًا أَوْ يَكْلِمُ نَقَسًا﴾ .. [النساء: ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جداً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير عن الآيات التسع: وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعمي: هي: يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ثم قال: وهذا القول ظاهر جلبي حسن قوي. اهـ. وقد ذكر الله في هذه الآيات آيتين من تسع آيات، وهما العصا واليد، وَبَيْنَ الآيات الباقيات في سورة [الأعراف: ١٣٣] وفصلها.



مجري الآدميين، فقيل: ﴿أَنْخُلُوا﴾، وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان مُعْجِزاً له، وقد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لثلاث تثبت، إلا الكُزْبَرَة فإنها تكسرها أربع قطع، لأنها تثبت إذ كُسرت قطعتين، فسبحان من ألهمها هذا! وفي صفة تلك النملة قولان: أحدهما: أنها كانت كهية النعجة، قال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئب. والثاني: كانت نملة صغيرة. ﴿أَنْخُلُوا سَنَكُنْكُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وعاصم الحذري: «مَسْكَنُكُمْ» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ﴾ الحظم الكسر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «لَيَخْطِمَنَّكُمْ» بغير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون. وقرأ عمرو بن العاص، وأبان: «يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو مجلز: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «يُخْطِمَنَّكُمْ» برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون. والخطم: الكسر، والخطام: ما تحطم. قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وفي قوله: ﴿وَقَرَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا كلام النملة، قاله ابن عباس. والثاني: وأصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم، لأنها علمت أنه ملك لا يغي فيه، وأنهم لو علموا بالنمل ما توطؤوهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ قال الزجاج: «ضاحكاً» منصوب، حال مؤكدة، لأن «تبسم» بمعنى «ضحك». قال المفسرون: تبسم تعجباً ممّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه. وقال بعض العلماء: هذه الآية من عجائب القرآن، لأنها بلفظة «يا» نادت «أيها» نبهت «النمل» عيّنت «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نصّت «لا يحطمنكم» حذّرت «سليمان» خصّصت «وجنوده» عمّت «وهم لا يشعرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ قال ابن قتيبة: ألهمني، أصل الإيزاع: الإغراء بالشئ، يقال: أوزعته بكذا، أي: أغريته به، وهو موزع بكذا، ومولع بكذا. وقال الزجاج. تأويله في اللغة: كُفِّنِي عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك؛ والمعنى: كُفِّنِي عما يباعد منك، ﴿وَأَنْ أَمَلَّ﴾ أي: وألهمني أن أعمل ﴿مُصَلِّيًا رَضَنَهُ﴾ قال المفسرون: إنما شكر الله ﴿لأنَّ الرِّيحَ أَبْلَغْتَ إِلَيْهِ صَوْتَهَا فَفَهِمَ ذَلِكَ﴾.

﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِيَيْنِ﴾ ١٠ ﴿لَأَعْلَبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْتِيَنَّكَ أَوْ لَيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ شَدِيدٍ﴾ ١١ ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَطَعْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ. وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ لَبِئْسَ بَقِيَّةً﴾ ١٢ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهَا وَوَدَّعَاهَا بِسُجُودٍ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَزَيْنَ لَهُمُ السَّيْفُونَ أَغْنَاهُمْ فَصَدَّ عَنْهُمُ السَّيْفُ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ١٣ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْغَبَّ فِي السَّكُوتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُقْلُونَ﴾ ١٤ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ﴾ التقفد: طلب ما غاب عنك؛ والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير؛ والظير اسم جامع للجنس، وكانت الظير تصحب سليمان في سفره تُظَلُّه بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة بالسكون، والمعنى: ما للهدهد [لا أراه]؟ تقول العرب: ما لي أراك كئيباً، أي: ما لك؟ فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم. قال المفسرون: لما فصل سليمان عن وادي النمل، وقع في قفر من الأرض، فعضش الجيش فسألوه الماء، وكان الهدهد يذله على الماء، فإذا قال له: ها هنا الماء، شققت الشياطين الصخر وفجرت العيون قبل أن يضربوا أبنتهم، وكان الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج، فطلبه يومئذ فلم يجده. وقال بعضهم: إنما طلبه لأن الظير كانت تُظَلُّهم من الشمس، فأخل الهدهد بمكانه، فطلعت الشمس عليهم من الخل.

(١) هو نوف بن فضالة الحميري البجلي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصححين»، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار، توفي سنة ٩٥ هـ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ كَآنَ﴾ قال الزجاج: معناه: بل كان.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: نتف ريشه، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: نتفه وتشميسه، قاله عبد الله بن شداد. والثالث: شد رجله وتشميسه، قاله الضحاك. والرابع: أن يطليه بالقطران ويشمسّه، قاله مقاتل بن حيان. والخامس: أن يودعه القفص. والسادس: أن يفرّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَبِئْتَنِي﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿لَبِئْتَنِي﴾ بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم. فأما السلطان، فهو الحُجّة، وقيل: العُدْر. وجاء في التفسير أن سليمان لما نزل في بعض مسيره، قال الهدهد: إنه قد اشتغل بالنزول فارتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبقيس، فمال إلى الحُضرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكها امرأة يقال لها: بلقيس، فهل أنت مُنطلق معي حتى ترى مُلكها؟ قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه المُلْكة، فانطلق معه، فنظر إلى بلقيس وملكها، ﴿فَكَتَّ غَيْرَ بِبَيِّدٍ﴾ قرأ الجمهور بضم الكاف، وقرأ عاصم بفتحها، وقرأ ابن مسعود: ﴿فَتَمَكَّتْ﴾ بزيادة تاء، والمعنى: لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿فَقَالَ أَطْعَمَ يَمَانٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ أي: علمت شيئاً من جميع جهاته مما لم تعلم [به] ﴿وَيَحْتَنِكُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿سَبَأً﴾ نصباً غير مصروف، وقرأ الباقون خفضاً منوئاً. وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجل من العرب<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن شئت صرفت ﴿سَبَأً﴾ فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحي، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة، أو اسم الأرض. قال الزجاج: وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل. وقال آخرون: الاسم إذا لم يُدْرَ ما هو لم يُصرف؛ وكلا القولين خطأ، لأن الأسماء حقها الصّرف، وإذا لم يُعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث، فحقه الصّرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف، لأن أصل الأسماء الصّرف. وقول الذين قالوا، هو اسم رجل: غلط، لأن سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة، ومن صرفه فلأنه اسم البلد، فيكون مذكراً سمي بمذكّر.

قوله تعالى: ﴿يَبْكُ يَمِينٍ﴾ أي: بخبر صادق، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُنَّهُ﴾ يعني بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك. قال قتادة: كان عرشها من ذهب، قوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ، وكان أحد أبويها من الجن، وكان مؤخّر أحد قدميها مثل خافر الدابة. وقال مجاهد: كان قدماها كحافر الحمار. وقال ابن السائب: لم يكن بقدميها شيء، إنما وقع الجن فيها عند سليمان بهذا القول، فلما جعل لها الصرح بان له كذبهم. قال مقاتل: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين، وكانت أمها من الجن. قال ابن جرير: وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهدهد، لأن سليمان كان لا يرى لأحد في الأرض مملكة سواه، وكان مع ذلك يحبّ الجهاد، فلما دلّه الهدهد على مملكة لغيره، وعلى قوم قُفْرَةٍ يجاهدهم، صار ذلك عُذراً له.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ قرأ الأكثر: ﴿أَلَا﴾ بالتشديد. قال الزجاج: والمعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، أي: قصّدهم لتلاّ يسجدوا. وقرأ ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والزهري، وقاتدة، وأبو العالية، وحמיד الأعرج، والأعمش، وابن أبي عبيدة، والكسائي: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مخففة، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيكون في الكلام إضمار «هؤلاء» ويكتفى منها بـ «يا»، ويكون الوقف «ألا يا» والابتداء «اسجدوا»، قال الفراء: فعلى هذه القراءة هي سجدة، وعلى قراءة من شدّد لا ينبغي لها أن تكون سجدة. وقال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيها الناس اسجدوا. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ: «هَلْأَ يسجدوا» يهاؤ.

(١) روى الترمذي في «سننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث». قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. ورواه الطبري ٧٦/٢٢. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة فروة بن مسيك عن هذا الحديث: وأخرجه ابن سعد، وأبو داود، والترمذي، وابن السكن مطوّلاً ومختصراً.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: المُسْتَر فيهما، وهو من خَبَأُ الشيء: إذا أخفيته، ويقال: خَبَأَ السموات: المطر، وخبأ الأرض: النبات. وقال الزجاج: كل ما خَبَأَهُ فهو خَبْءٌ، فالخَبْءُ: كُلُّ ما غاب؛ فالمعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض. وقال ابن جرير: «في» بمعنى «من»، فتقديره: يُخرج الخَبْءَ من السموات.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَنَا مَلَكُوتَ﴾ قرأ حفص [عن] عاصم، والكسائي بالتاء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابن زيد: من قوله: ﴿أَحْطَتْ﴾ إلى قوله: ﴿الطَّيْرِ﴾ كلام الهمد. وقرأ الضحاك، وابن محيصن: «العظيم» برفع الميم.

﴿قَالَ مَسْنُورٌ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ فَاتَّيَبَتِ الْمَلَأُ إِلَى آلِيهِ لَكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سَيِّئِينَ عَمَالِهِمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَتْلُوا عَلَيَّ وَأَتُوبُ سُوءِي﴾

فلما فرغ الهمد من كلامه ﴿قَالَ مَسْنُورٌ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَصْدَقْتَ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ وإنما شك في خبره، لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان. ثم كتب كتاباً وختمه بخاتمته ودفعه إلى الهمد وقال: ﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي: «فألفقي» موصولة بباء. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وحمزة: «فألفقه» بسكون الهاء، وروى قالون عن نافع كسر الهاء من غير إشباع؛ ويعني إلى أهل سبأ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أغرض. والثاني: انصرف، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردون من الجواب. فإن قيل: إذا تولى عنهم فكيف يعلم جوابهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: ثم تولى عنهم مستتراً من حيث لا يرونك، فانظر ماذا يردون من الجواب، وهذا قول وهب بن منبه. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فتقديره: فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم، وهذا مذهب ابن زيد. قال قتادة: أتاهم الهمد وهي نائمة فألقى الكتاب على نحرها فقرأته وأخبرت قومها. وقال مقاتل: حمله في متقارحه حتى وقف على رأس المرأة. فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها، فلما رأت الخاتم أزعجت وخضعت وخضع من معها من الجنود. واختلفوا لأي علة سمته كريماً على سبعة أقوال: أحدها: لأنه كان مختوماً، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لأنها ظنته من عند الله ﷻ، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معنى قولها: «كريم»: حسن ما فيه، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: لكرم صاحبه، فإنه كان ملكاً، ذكره ابن جرير. والخامس: لأنه كان مهيباً، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والسادس: لتسخير الهمد لحمله، حكاه الماوردي. والسابع: لأنها رأت في صدره «بسم الله الرحمن الرحيم»، حكاه اللعلي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سَيِّئِينَ عَمَالِهِمْ﴾ أي: إن الكتاب من عنده ﴿وَلَقَدْ﴾ أي: وإن المكتوب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَتْلُوا عَلَيَّ﴾ وقرأ ابن عباس: «تتلقوا» بغين معجمة «وَأَتُوبُ سُوءِي﴾ أي: منقادين طائعين. ثم استشارت قومها، ف ﴿فَاتَّيَبَتِ الْمَلَأُ﴾ يعني الأشراف، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، كل رجل منهم على عشرة آلاف. وقال ابن عباس: كان معها مائة ألف قيل<sup>(١)</sup>، مع كل قبيل مائة ألف. وقيل: كانت جنودها ألف ألف ومائتي ألف.

﴿فَاتَّيَبَتِ الْمَلَأُ أَتَتْهُ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَائِلَةً أَنَّهُ حَتَّى تَنْهَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قَوْلُ وَأَوَّلُوا بِلَيْنٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَكَلُوا قَرْبَةً أَقْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَوَّلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِقَةٌ يَوْمَ يَبْعَثُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَتْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: بيئوا لي ما أفعل، وأشيروا علي. قال الفراء: جعلت المشورة قُتياً، وذلك جائز لسعة اللغة.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ قَائِلَةً أَنَّهُ﴾ أي: فاعلته ﴿حَتَّى تَنْهَدُونَ﴾ أي: تحضرون؛ والمعنى: إلا بحضوركم

(١) القيل، بفتح فسكون: ملك من ملوك جُمَيْرِ دُونِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، وجمعه أقوال، وأقوال.

ومشورتكم. ﴿قَالُوا تَحَنُّنًا لِأُولَئَا قَوْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم أرادوا القُوَّةَ في الأبدان. والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها. والثاني: تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم. ثم قالوا: ﴿وَالْأَثَرُ إِلَيْهِ﴾ أي: في القتال وتركه. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: إذا دخلوها غنوة عن قتال وغلبة.

قوله تعالى: ﴿أَفَسُدُّوهُ﴾ أي: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرفها ليستقيم لهم الأمر. ومعنى الكلام: أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزجاج. والثاني: من تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُ مَرْيَمَ إِتْمَمَ بِهَدْيِهَا﴾ قال ابن عباس: إنما أرسلت الهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يرد الدنيا، وإن كان ملكاً فسيروضي بالخمل، وأنها بعثت ثلاث لبنات من ذهب في كل لينة مائة رطل؛ وياقوتة حمراء طولها شبر مثقوبة، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، والبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهديتي فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتة طولها شبر، فأدخل فيها خيطاً واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فميز بين الجواري والغلمان؛ فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لبنات] من الذهب؛ فانطلق، فبعث الشياطين، فقطعوا اللبن من الجبال وطلوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلما جاء الرُّسل، قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل ثلاث لبنات، وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنما نحن رُّسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللبن بين يديه، فقال: أتيتونني بما؟ ثم دعا دُرَّةً<sup>(١)</sup> فربط فيها خيطاً وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر<sup>(٢)</sup>، ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم، ثم ميز بين الغلمان والجواري، هذا كله مروى عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: جعلت لباس الغلمان للجواري ولباس الجواري للغلمان، فميزهم ولم يقبل هديتها. وفي عدد الوصائف والوصفاء خمسة أقوال: أحدها: ثلاثون وصيفاً وثلاثون وصيفة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، قاله وهب. والثالث: مائتا غلام ومائتا جارية، قاله مجاهد. والرابع: عشرة غلمان وعشر جوار، قاله ابن السائب. والخامس: مائة وصيف ومائة وصيفة، قاله مقاتل. وفي ما ميزهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفه، وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها، فميزهم بذلك، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أن الغلمان بدؤوا بغسل ظهور السواعد قبل بطونها، والجواري على عكس ذلك، قاله قتادة. والثالث: أن الغلام اغترف بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السدي. وجاء في التفسير أنها أمرت الجواري أن يكلمن سليمان بكلام الرجال، وأمرت الرجال أن يكلموه كلام النساء، وأرسلت قَدْحاً تسأله أن يملأها ماءً ليس من [ماء] السماء ولا من ماء الأرض، فأجرى الخيل وملاء من عرقها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِرُهُمْ بِسَحَابٍ مِّمَّنْ أَلْهَمُوا لَكُمْ﴾ أي: بقَبُولِ أم برد. قال ابن جرير: وأصل «بِم» : بما، وإنما أسقطت الألف لأن العرب إذا كانت «ما» بمعنى «أي» ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفها، تفرقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله: ﴿مَنْ يَسْأَلُنْ﴾ ﴿؟﴾ [النبا: ١] ﴿وَقَالُوا يَم كُنْ﴾ [النساء: ٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر:

(١) الدُّرَّةُ: صغار النمل، واحده دُرَّةٌ.

(٢) وفي بعض النسخ: فجاءت الأرض فاخلت شجرة في فيها ودخلت فيها حتى ظهروا من الجانب الآخر.

(٣) قال ابن كثير: والله أعلم أكان ذلك، أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٤) قال الألويسي عن مثل هذه الأخبار: وكل ذلك أخيار لا يدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكنبه، والله أعلم.

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنَا لَنِيمَ

كَخُنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ؟<sup>(١)</sup>

﴿فَلَمَّا جَاءَ مُبِينٌ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَا عَاقَبْتُمْ أَنَّنِي خَيْرٌ مِّمَّا مَنَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا مَنَّ اللَّهُ بِأَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ تَقَرُّوْنَ﴾ <sup>(٢)</sup> **﴿أَتَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مِثْلَ خَيْرٍ لَا يَكْفُلُهُمْ رَبُّهُم مِّنَّا أَدَلَّةٌ وَمِمَّنْ مَنَعُونَ﴾** <sup>(٣)</sup> قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ إِلَيْكُمْ يَأْتِيَنَّكُمْ بِعَرَفَاتٍ قَدْ أَتَى الْكُتُبَ أَمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنَّا أَدَلَّةٌ وَمِمَّنْ مَنَعُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِنَ الْكِتَابِ أَنَّا آتَيْنَاكَ بِهِ قَدْ أَتَى الْكُتُبَ أَمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنَّا أَدَلَّةٌ وَمِمَّنْ مَنَعُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> **﴿فَلَمَّا جَاءَ مُبِينٌ﴾** قَالَ الزجاج: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء برؤها.

قوله تعالى: ﴿أَتَيْدُونَنِي بِمَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «أَتَيْدُونَنِي» بنونين وياء في الوصل. وروى المسيبي عن نافع: «أَتَيْدُونَنِي» بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: «أَتَيْدُونَنِي» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة: «أَتَيْدُونَنِي بـ» بنون واحدة مشددة ووقف على الياء.

قوله تعالى: ﴿فَمَا عَاقَبْتُمْ أَنَّنِي خَيْرٌ مِّمَّا مَنَّ اللَّهُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فَمَا آتَانِ اللَّهُ» بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم: «آتَانِي» بفتح الياء. وكلهم فتحوا التاء غير الكسائي، فإنه أمالها من «آتَانِي اللَّهُ»، وأمال حمزة: «أَنَا آتَيْكَ بِهِ» أشم النون شيئاً من الكسر، والمعنى: فما آتاني الله، أي: من النبوة والملك «خَيْرٌ مِّمَّا مَنَّ اللَّهُ» من المال «بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَقَرُّوْنَ» يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح، فأما أنا فلا، ثم قال للرسول: ﴿أَتَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مِثْلَ خَيْرٍ لَا يَكْفُلُهُمْ رَبُّهُم مِّنَّا أَدَلَّةٌ وَمِمَّنْ مَنَعُونَ﴾ يعني بلدتهم. فلما رجعت رسلها إليها بالخبر، قالت: قد علمت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكلت به حرساً يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم ألوف. وكان سليمان مهيباً لا يبتدأ بشيء حتى يسأل عنه، فجلس يوماً على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، ف «قَالَ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ إِلَيْكُمْ يَأْتِيَنَّكُمْ بِعَرَفَاتٍ قَدْ أَتَى الْكُتُبَ أَمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنَّا أَدَلَّةٌ وَمِمَّنْ مَنَعُونَ﴾، وفي سبب طلبه له خمسة أقوال: أحدها: ليعلم صدق الهدم، قاله ابن عباس. والثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته، لأنها خلفته في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدمها، قاله وهب بن منبه<sup>(٦)</sup>. والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تنكره، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: لأن صفته أعجبته، فخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادة. والخامس: ليربها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْإِنِّ﴾ قال أبو عبيدة: العفريت من كل جن أو إنس: الفائق المبالغ الرئيس. وقال ابن قتيبة: العفريت: الشديد الوثيق. وقال الزجاج: العفريت: النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع حُبث ودهاء. وقرأ أبي بن كعب، والضحاك، وأبو العالية، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «قَالَ عَفْرِيتٌ» بفتح العين وكسر الراء. وروى ابن أبي شريح عن الكسائي: «عِفْرِيتٌ» بفتح الياء وتخفيفها؛ وروي عنه أيضاً تشديدها وتنوين الهاء على التانيث. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع: «عِفْرَاةٌ» بكسر العين وفتح الراء وبألف من غير ياء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ لَكَ مَقَالٌ أَمِينٌ﴾ ومثله «فِي مَقَالٍ أَمِينٍ» <sup>(٧)</sup> [الدخان: ٥١]. وكان سليمان يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: إلى نصف النهار. «وَأَلَيْسَ لَكَ مَقَالٌ أَمِينٌ» وفي قوله: «أَمِينٌ» قولان: أحدهما: أمين على ما فيه من الجوهر والدّر وغير ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: أمين لا آتيك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. «قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهل هو إنسي أم ملك؟ فيه قولان: أحدهما: إنسي، قاله ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح. ثم فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل، واسمه أصف بن برخيا، قاله مقاتل. قال ابن عباس: دعا أصف - وكان أصف يقوم

(١) البيت لحسان بن ثابت، «ديوانه» ١٤٣، والطبري ١٩/١٥٦، والقرطبي ١٣/٢٠٠.

(٢) وهذا هو أولى الأقوال بالصواب كما قال ابن جرير الطبري.



على رأس سليمان بالسيف - فبعث الله الملائكة فحملوا السريز تحت الأرض يَحْذُونَ الأرضَ خَدًّا، حتى انخرقت الأرض بالسريز بين يدي سليمان. والثاني: أنه سليمان ﷺ، وإنما قال له رجل: أنا أتيتك به قبل أن يترد إليك طَرْفُكَ، فقال: هابت، قال: أنت النبيُّ ابنُ النبيِّ، فإن دعوتُ الله جاءك، فدعا الله فجاءه، قاله محمد بن المكندر. والثالث: أنه الخضر، قاله ابن لهيعة<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه عابد خرج يومئذٍ من جزيرة في البحر فوجد سليمان فدعا فأُتِيَ بالعرش، قاله ابن زيد. والقول الثاني: أنه من الملائكة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل ﷺ. والثاني: ملك من الملائكة أيد الله به سليمان، حكاهما الثعلبي. وفي العلم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقادة، والجمهور. والثاني: أنه عِلْمُ كتاب سليمان إلى بلقيس. والثالث: أنه عِلْمُ ما كتب الله لبني آدم، وهذا على أنه ملك، حكى القولين الماوردي. وفي قوله: ﴿قِيلَ لَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: قيل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: قيل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى ملاء، قاله وهب. والثالث: قيل أن يترد طرفك حسيراً إذا أدمنت النظر، قاله مجاهد. والرابع: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزجاج. قال مجاهد: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال ابن السائب: إنما قال: يا حيُّ يا قيوم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فدعا الله [فأتى] به، فلما رآه، يعني: سليمان مُسْتَعِزّاً مِنْهُ أَي: ثابتاً بين يديه ﴿فَالَ هَذَا﴾ يعني: التمكن من حصول المراد.

قوله تعالى: ﴿أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أشكر على السريز إذ أتيت به، أم أكفر إذا رأيته من هو دوني في الدنيا أعلم مني، قاله ابن عباس. والثاني: أشكر ذلك من فضل الله عليّ، أم أكفر نعمته بترك الشكر له، قاله ابن جرير.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْتَبِهِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا نَكِّرًا سُلَيْمٍ ﴿٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُبْذَرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ قال المفسرون: خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن، لأن أمها كانت جنية، فلا يفتكون من تسخير سليمان وذريته بعده، فأسأوا الشاء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئا، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان [أن] يختبر عقلها بتذكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح. قال ابن قتيبة: ومعنى «نكروا»: غيروا، يقال: نكرت الشيء فتنكر، أي: غيرته فتغير. وللمفسرين في كيفية تغييره ستة أقوال: أحدها: أنه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنهم جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح النفضة، وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب، والياقوت مكان الزبرجد، والذرّ مكان اللؤلؤ، وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهد. والخامس: أنهم جعلوا أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره، وزادوا فيه، ونقصوا منه، قاله قتادة. والسادس: أنهم جعلوا فيه تماثيل السمك، قاله أبو صالح. وفي قوله: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ قولان: أحدهما: أنها لما رآته جعلت تعرف وتذكر، ثم قالت في نفسها: من أين يخلص إلى ذلك وهو في سبعة آيات والحرس حوله؟ ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قتادة: شبهته بعرشها. وقال السدي: وجدت فيه ما تعرفه فلم تتذكر، ووجدت فيه ما تتكره فلم تثبت، فلذلك قالت: كأنه هو. والثاني: أنها عرفته، ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا [عليها]، فلو أنهم قالوا: هذا عرشك، لقلت: نعم، قاله مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب؟ وفي قوله: ﴿وَأُوتِينَا

أَلَيْسَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَوْلُ سُلَيْمَانَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. ثُمَّ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ بِاللَّهِ وَقُدْرَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ. وَالثَّانِي: وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ بِإِسْلَامِهَا وَمَجِيئِهَا طَائِعَةً مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ لِلَّهِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ بَلْقَيْسَ، فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ عَرْشَهَا، قَالَتْ: قَدْ عَرَفْتُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ بِصِدْقَةِ نَبْوَةِ سُلَيْمَانَ بِالْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ، تَعْنِي أَمْرَ الْهَدْدِ وَالرُّسُلِ الَّتِي بُعِثَتْ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَكُنَّا مُسْلِمِينَ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِكَ قَبْلَ أَنْ نَجِيءَ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ قَوْمِ سُلَيْمَانَ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ مَا كَانَتْ تُنَبِّدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال الفراء: معنى الكلام: هي عاقلة، إنما صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان عادة من دين آبائها؛ والمعنى: وصدّها أن تعبد الله ما كانت تعبد، قال: وقد قيل: صدّها سليمان، أي: منعها ما كانت تعبد. قال الزجاج: المعنى: صدّها عن الإيمان العادة التي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، ويبين عبادتها بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَثِيرِينَ﴾ وقرأ سعيد بن جبيرة، وابن أبي عبله: «أَنَّهَا كَانَتْ» بفتح الهمزة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قال المفسرون: أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كههيئة السطح من زجاج. وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد أن يريها ملكاً هو أعز من ملكها، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنه أراد أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها، لأنه قيل له: إن رجلها كحافر الحمار، فأمر أن يهبط لها بيت من قوارير فوق الماء، ويوضع سرير سليمان في صدر البيت، هذا قول محمد بن كعب القرظي. والثالث: أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف، والوصفاء، ذكره ابن جرير. فأما الصَّرح، فقال ابن قتيبة: هو القصر، وجمعه: صُروح، ومنه قول الهذلي:

[على طُرقٍ كنحور الرُّكا  
بِ] تَخَسَّبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا<sup>(١)</sup>

قال: ويقال: الصَّرحُ بلاطٌ اتُّخِذَ لها من قوارير، وجُعِلَ تحتها ماءٌ وسَمَكٌ. قال مجاهد: كانت بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير. وقال مقاتل: كان قصراً من قوارير بني على الماء وتحت السَّمَكِ.

قوله تعالى: ﴿حَبَبَتُ لُبَّةً﴾ وهي: معظم الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لدخول الماء، فناداها سليمان ﴿إِنَّكَ صَرَجٌ مُرَمَّدٌ﴾ أي: مملسٌ ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾ أي: من زجاج؛ فعلمت حينئذ أن ملكك سليمان من الله تعالى، فـ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بعبادة غيرك<sup>(٢)</sup>. وقيل: ظلمت في سليمان أنه يريد تغريقها في الماء، فلما علمت أنه صرح مرمد قالت: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الظَّنِّ، وأسلمت مع سليمان، ثم تزوجها سليمان. وقيل: إنه ردها إلى مملكتها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وأنها ولدت منه. وقيل: إنه زوجه ببعض الملوك ولم يتزوجها هو<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَنَاثَهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ يَنْفَوِرُ لِمَ سَتَمَجُلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَتَمَجُلُونَ اللَّهَ لَمَلَكَكُمْ تَرْسُوتٌ<sup>(٥)</sup> قَالُوا أَلَكُنَّا بِكَ وَبَيْنَ مَلَكٍ قَالَ طَعْنَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْسِدُونَ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أي: مؤمن وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَتَمَلُوكَ أَنْكَ صَالِحًا مُرَمَّلًا مِنْ رَبِّهِ...﴾ الآيات [الأعراف: ٧٥-٨٠]. والثاني: أنه قول كل فريق منهم: الحقُّ معي.

قوله تعالى: ﴿لِمَ سَتَمَجُلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وذلك حين قالوا: إن كان ما آتينا به حقاً فأتينا بالعذاب. وفي السيئة

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في «ديوان الهذليين» ١٣٦/١، و«غريب القرآن» ٣٢٥، و«اللسان» و«التاج»: صرح.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير»: والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليرىها عظمة سلطانه وتمكُّنه، فلما رأت ما أتاه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصّرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى، وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله تعالى وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَيِّئَتِي لِلَّهِ رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادة الله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٢ بعد أن ذكر القولين: والأول أشهر وأظهر. وقال الألوسي في «روح المعاني» ١٨٩/١٩: والمشهور أنه تزوجها، وإليه ذهب جماعة من أهل الأخبار.

والحسنة قولان: أحدهما: أن السيئة: العذاب، والحسنة: الرحمة، قاله مجاهد. والثاني: [أن] السيئة: البلاء، والحسنة: العافية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْ: هَلَا﴾ سَتَقِفُّونَ اللَّهَ ﴿مِنَ الشَّرِّ﴾ لَمَّا كُنْتُمْ تَرْتَمُونَ ﴿قَالُوا أَكَلْبًا﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: تطيرنا وتشاءننا ﴿بِكَ﴾، فأدغمت التاء في الطاء، وأثبتت الألف، ليسلم السكون لِمَا بعدها. وقال الزجاج: الأصل: تطيرنا، فأدغمت التاء في الطاء، واجتلبت الألف لسكون الطاء؛ فإذا ابتدأت قلت: أطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل، [وإنما] تطيروا به، لأنهم قحطوا وجاعوا، ف ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ ﴿مَلِكُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقد شرحنا هذا المعنى في [الأعراف: ١٣١]. وفي قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تختبرون بالخير والشر، قاله ابن عباس. والثاني: تصرفون عن دينكم، قاله الحسن. والثالث: تبتلون بالطاعة والمعصية، قاله قتادة.

﴿وَكَانَ فِي آلِ يُونُسَ﴾ رَقِطٌ يَفْسِدُوتُ فِي الْأَرْضِ ﴿يَفْسِدُوتُ﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَمَنْ لَا يَشْعُرْ ﴿٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ ﴿٣﴾ فَبَلَكَ يُونُسَ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَأَمِينًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي آلِ يُونُسَ﴾ وهي الجحر التي نزلها صالح ﴿يَفْسِدُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد: في أرض الجحر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يفسدون الدماء ويبيون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة. وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير، ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أحلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي: لنقتلن صالحاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «لنبيتنه وأهله ثم لنقولن» بالتاء فيهما. وقرأ مجاهد، وأبو رجاء، وحמיד بن قيس: «لنبيتنه» بياء وتاء مرفوعتين «ثم لنقولن» بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لولي دمه إن سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام، والمهلك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى أبو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، يريد الهلاك؛ يقال: هلك يهلك مهلكاً. وروى عنه حفص، والمفضل: بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان، على معنى: ما شهدنا موضع هلاكهم؛ فهذا كان مكرمهم، فجازاهم الله عليه فأهلكهم. وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهن الملائكة بالحجارة فقتلتهن، [قاله ابن عباس. والثاني: رماه الله بصخرة فقتلتهن، قاله قتادة. والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدَّت باب الغار، قاله ابن زيد. والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «أنا دمّرناهم» بفتح الألف. وقرأ الباقون بكسرها. فمن كسر استأنف، ومن فتح، فقال أبو علي: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من ﴿عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. والثاني: أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمّر، كأنه قال: هو أننا دمّرناهم.

قوله تعالى: ﴿فَبَلَكَ يُونُسَ خَاوِيَةً﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على الحال؛ المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية. ﴿وَلَوْلَا إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ أَنُاتُونَ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبْمَرُونَ﴾ ﴿١﴾ لَكُمْ لَأَتُونَ الْكِتَابَ مِنْ دُونِ النَّاسِ بِمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَلْعَنُونَ ﴿٣﴾ فَأَمِينًا وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا مِّنْ قَدَرْنَاهَا مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَنُاتُونَ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبْمَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وأنتم تعلمون أنها فاحشة. والثاني: وبعضكم يبصر بعضاً.

(١) في الأصل: عاقبة امرهم.

قوله تعالى: ﴿يَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ يَتَحَلَّلُونَ﴾ قال ابن عباس: تجهلون القيامة وعاقبة العصيان.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَرَنَهَا مِنْ الْعَذِيبِ﴾ أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقي في العذاب. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿فَلَنَرَنَهَا﴾ خفيفة، وهي في معنى المشددة. وبأقي القصة قد تقدم تفسيره (هود: ٧٧).

﴿قُلْ لِّمَن دُلُّوا إِلَهُ وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْلَفُوا إِلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥١﴾ أَمَّا خَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرِجُوا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُخْرِجَهَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قُلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ أَمَّا جَعَلُ الْأَرْضِ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَثَدًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنْ إِلَهُ بَدَّلْ أَعْرَضُكُمْ لَا يُخْلِفُهُ لَكُمْ شَيْءٌ﴾ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَعَنَّاهُ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ، أَمَرَ أَنْ يَخْتَدَّ اللَّهُ عَلَى هَلاَكِ الْأُمَّمِ الْكَافِرَةِ، وَقِيلَ: عَلَى جَمِيعِ نَعْمَةٍ، ﴿وَلَعَنَّاهُ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فِيهِمْ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: الرِّسْلُ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَرَوَى عَنْهُ عِكْرَمَةُ، قَالَ: اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْحُلَّةِ، وَمُوسَى بِالْكَلامِ، وَمُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَا<sup>(١)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، رَوَاهُ أَبُو مَالِكٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ السَّيِّدِي. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمُ الَّذِينَ وَخَّدُوهُ وَأَمَنُوا بِهِ، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: أو ما يشركون<sup>(٢)</sup>، وهذا خطاب للمشركين؛ والمعنى: الله خير لمن عبده، أم الأصنام لعابديها؟! ومعنى الكلام: أنه لما قصّ عليهم قصص الأمم الخالية، أخبرهم أنه نجّى عابديه، ولم تُغنِ الأصنام عنهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ﴾ تقديره: أما يشركون خير، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَبَابًا ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ ١٩ فأما الحدائق، فقال ابن قتيبة: هي البساتين، واحدا: حديقة، سميت بذلك لأنه يُحَدَّقُ عليها، أي: يُحْظَرُ، والبهجة: المُسْن.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَيِّنُوا شَجَرًا﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك [لأنكم] لا تقدرُونَ عليه. ثم قال مستفهماً مُتَكَبِّراً عليهم: ﴿أَوَلَمْ نَخْلُقْ لَهُمْ﴾ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحة (الأنعام). ﴿أَنْ جَعَلْنَا الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مُسْتَقَرًّا لا تُجِيدُ بأهلها ﴿وَجَعَلْنَا خِلَافَهُ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَارًا يَجْعَلُ لَهَا رِيسًا﴾ أي: جبالاً ثوابت ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: مانعاً من قدرته بين العذب والمِلْح أن يختلطا، ﴿بَلْ أَكْتَرْتُمْ لَا يَحْسُبُونَ﴾ قَدَر عَظْمَةِ اللَّهِ.

﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْثِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَمْ خُلَاقَةَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ أَمِنْ يَهْدِيكُمْ

(١) رواه ابن جرير ٤٨/٢٧ عن عكرمة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٢/٢٣٠ وزاد نسبه للطبراني في «السنن» عن ابن عباس. وهذا رأي ابن عباس، وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٥٨/١ عن ابن عباس قال: «مَا كَذَبَ الْفَرْدَا مَا رَأَى»، «وَلَقَدْ رَأَى ثَلَاثَةَ أَنْفَرٍ»، قال: رآه بفؤاده مرتين. وفي مسلم ١٥٨/١ عن عبد الله بن مسعود قال: «مَا كَذَبَ الْفَرْدَا مَا رَأَى»، قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وروى مسلم ١٥٨/١ عن أبي هريرة: «وَلَقَدْ رَأَى ثَلَاثَةَ أَنْفَرٍ»، قال: رأى جبريل. قال ابن كثير: وكان ابن عباس عليه السلام يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة والتابعين وغيرهم، قال ابن كثير: وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية «وَلَقَدْ رَأَى ثَلَاثَةَ أَنْفَرٍ» عِنْدَ مَدَنَةِ لُثَخَانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَرَأَيْتَ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ...» الحديث، ثم قال: وهذا إسناده جيد قوي. اهـ. وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ١٥٩/١ عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما من؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ: «وَلَقَدْ رَأَى الْآثَانَ لِلَّيْنِ»، «وَلَقَدْ رَأَى ثَلَاثَةَ أَنْفَرٍ»،؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سال عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَيْنِ، وَابْتِ مَنَهِجًا مِنَ السَّمَاءِ سَادَةً عَظُمَ خَلْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: «وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَلِيظُ الْكَرِيمُ»، أولم تسمع أن الله يقول: «وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ أَوْ يَرْيََ وَجْهَ أَوْ يَرْيََ رُجُلًا وَجْهًا أَوْ يَرْيََ يَدَيْنِ أَوْ يَشَاءَ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَتَعَالَى وَهُوَ الْغَلِيظُ الْكَرِيمُ»،؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كنتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا بَلَىٰ مَا آتَاكُم مِّنْ أَمْرٍ إِلَّا بَلَىٰ عَنِّي أَن أَتَىٰكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْقَتِيلَ إِلَّا أَنَّهُ» وانظر «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني ٤٦٦/٨، ٤٦٩.

(٢) كذا الأصل، وفي «مجاز القرآن» ٩٥/٢: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مجازة: أم ما تشركون، أي: أم الذي تشركون به، فادغمت الميم في الميم فنقلت.

فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ أَنْعَلُ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَتَنْبِذُوا لِلْحَقِّ تَنْزِيلَهُمْ وَمَنْ يَرْذُقْهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا تَأْتُوا بِحُجَّتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَمْلِكُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوْنَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاقًا لَنَا لَعَجَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَدَّعْنَا هَذَا عَنْ وَءَابَاقًا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِجَارٌ الْأُولَى ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَوْقٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتُمْ قُلُوبَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ كَثِيرًا يَنْتَقِلُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْأَرْضِ وَمِنْ عَلَاقَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَنْبِذُ الْفُطْرَ﴾ وهو: المكروب المجهود؛ ﴿وَيَكْشِفُ الشُّوْبَ﴾ يعني الضَّرَّ<sup>(١)</sup> ﴿وَيَجْمَعُ خُلُقَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين<sup>(٢)</sup>، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تتعظون. وقرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالياء. ﴿أَتَنْبِذُ يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتهم ﴿فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ﴾ وقد بيَّناها في [الأنعام: ٦٣، ٩٧] وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى [الأعراف: ٥٧ ويونس: ٤] إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْتَقِلُونَ﴾ يعني مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يبعثون بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿بَلِ أَذْرَكَ﴾ قال مجاهد: ﴿بَلِ﴾ بمعنى «أم» والمعنى: لم يُذْرِكْ عِلْمُهُمْ، وقال الفراء: المعنى: هل أدرك عِلْمُهُمْ عِلْمَ الْآخِرَةِ؟ فعلى هذا يكون المعنى: إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العلم بالآخرة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: ﴿بَلِ أَذَارَكَ﴾ على معنى: بل تدارك، أي: تابع وتلاحق، فأدغمت التاء في الدال. ثم في معناها قولان: أحدهما: بل تكامل عِلْمُهُمْ يوم القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزجاج. وقال ابن عباس: ما جهلوه في الدنيا، عِلْمُوه في الآخرة. والثاني: بل تدارك ظَنُّهُمْ وَحُدُسُهُمْ في الحكم على الآخرة، فتارة يقولون: إنها كائنة، وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابن قتيبة. وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿بَلِ أَذْرَكَ﴾ على وزن افتعل من أدركت.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي: بل هم اليوم في شك من القيامة ﴿بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوْنَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من عِلْمِهَا. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٢] إلى قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: العذاب الذي تعدنا. ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَوْقٌ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: قُرْبٌ لَكُمْ. وقال ابن قتيبة: يَتَّبِعُكُمْ، واللام زائدة، كأنه قال: رَوْقُكُمْ. وفي ما تبعهم ممَّا استعجلوه قولان: أحدهما: يوم بدر. والثاني: عذاب القبر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ كَثِيرًا يَنْتَقِلُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْأَرْضِ وَمِنْ عَلَاقَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ؛ والمعنى: إنَّ عِلْمَ ما يستعجلونه من العذاب بَيِّنٌ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ غَابَ عَنِ الْخَلْقِ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَشْعُرُ عَلَى بَيِّنٍ إِسْرَافِلَ أَكْثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٤) وَإِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٥) إِنَّ رَبَّكَ يَقْبِضُ

(١) قال ابن كثير: بَيِّنٌ تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّهِ هَوَّلُوا فِي الْبَرِّ حَلًّا مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا إِلَهُاتُهُ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ هَوَّلُوا فِي الْبَرِّ حَلًّا مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا إِلَهُاتُهُ﴾. وهكذا قال هاجنا: ﴿أَتَنْبِذُ الْفُطْرَ إِنْ هَذَا﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكتشف ضم المشركين سواه؟

(٢) قال ابن كثير: أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجدكم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يبيت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، لكانت تفتيق عنهم الأرض وتفتيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمت وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويلازمهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأماماً بعد أمم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعلمهم عدداً، ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله، ولهذا قال: ﴿أَتَنْبِذُ الْفُطْرَ إِنْ هَذَا تَنْبِذُ الشُّوْبِ وَجَمْعُ خُلُقَاءِ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: يقدر على ذلك، أو إله مع الله بعد هذا، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ١٢٤ هـ.

يَتَّبِعُهُمْ بِحُكْمٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ النَّبِيِّ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى السَّمْعِ عَنْ حُلَّتِيهِ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٨٢﴾ هَذَا الْقُرْآنُ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٨٣﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَصَارُوا أَحْزَاباً يَطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لسلموا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمٍ﴾ وقرأ أبو المتوكّل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بكسر الحاء وفتح الكاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ﴾ قال المفسرون: هذا مثلٌ ضربه الله للكفار فشبههم بالموتى.

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ الدَّابَّةَ﴾ وقرأ ابن كثير: «ولا يسمع الصم» بفتح ميم «يسمع»، وضم ميم «الصم».

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أي: أن الصم إذا أدبروا عنك ثم ناديتهم لم يسمعون، فكذلك الكافر. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدَى السَّمْعِ﴾ أي: [ما أنت] بمُرشد من أعماء الله عن الهدى، ﴿إِنْ تَسْمَعُ﴾ إسماع إفهام ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ «وقع» بمعنى «وجب». وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: الغضب، قاله قتادة. والثالث: الحجة، قاله ابن قتيبة. ومتى ذلك؟ فيه قولان: إذا لم يأمرُوا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري. والثاني: إذا لم يُرج صلاحهم، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وهو معنى قول أبي العالية. والإشارة بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار الذين تخرج الدابة عليهم. وللمفسرين في صفة الدابة أربعة أقوال: أحدها: أنها ذات وبر وريش، رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: ذات زغب وريش لها أربع قوائم. والثاني: أن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل<sup>(٢)</sup>، وصدورها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، رواه ابن جريج عن أبي الزبير. والثالث: أن وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير، قاله وهب. والرابع: أن لها أربع قوائم وزغباً وريشاً وجناحين، قاله مقاتل. وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال: أحدها: من الصفا. روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ [أنه] قال: «بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، تضطرب الأرض تحتهم، وينشق الصفا ممّا يلي المسمى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملئمة ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب»<sup>(٣)</sup>. وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «طولها ستون ذراعاً»<sup>(٤)</sup>. وكذلك قال ابن مسعود: تخرج من الصفا. وقال ابن عمر: تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابة فيمَسُّ رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا. والثاني: أنها تخرج من شِعْبِ أَجِيَاد، روي عن النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وعن ابن عمر مثله. والثالث: تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. والرابع: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. والخامس: أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة، حكاه الزجاج. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجלו وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»<sup>(٦)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر

(١) «الطبري» ١٥/٢٠، قال ابن كثير: ورواه ابن جرير من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمن عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت، ثم قال: وإسناده لا يصح.

(٢) بكسر الهمزة وضمها: ذكر الأوهال.

(٣) هو الحديث الذي تقدم من رواية ابن جرير الطبري الذي قال فيه ابن كثير: إسناده لا يصح.

(٤) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» عن حذيفة مرفوعاً ولم يذكر من رواه، والله أعلم.

(٥) ذكره السيوطي في «الدر» ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة ﷺ.

(٦) رواه الطبري: ١٥/٢٠ وفي سننه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه الترمذي ١٥٠/٢ وحسنه، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٦/٥ وزاد نسبه لأحمد، وأبي داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة ﷺ.







قوله تعالى: ﴿فَنَفَخَ مَن فِي السَّمَكَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [قال المفسرون: المعنى: فيفزع مَنْ في السموات ومن في الأرض]، والمراد أنهم ماتوا، بلغ بهم الفزع إلى الموت. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ثم إن الله تعالى يميّتهم بعد ذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَنْ في النار، لأنهم خلّقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ﴾ أي: من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا «آتَوْهُ» وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «آتَوْهُ» بفتح التاء مقصورة، أي: يأتون الله يوم القيامة «ذَخِيرَةً» قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: صاغرين. قال أبو عبيدة: «كُلُّ» لفظه لفظ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآية في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّ الْجِبَالِ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نفخ في الصور، تُجَمَعُ الجبال وتُسَيَّر، فهي لكثرتها تُحَسَبُ «جَامِدَةً» أي: واقفة «وَيُحْيِي تَمَرٌ» أي: تسير سير السحاب، وكذلك كُلُّ جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفاً وهو يسير، لكثرت، قال الجعديّ يصف جيشاً:

بِأُزْعَنٍ يَشُلُّ الطُّرُقَ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ  
وُثُوفٌ لِحَاجٍ وَالرُّكَّابُ تُهْمَلِجُ<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: «صُنْعَ اللَّهِ» قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله: «وَزَيَّ الْجِبَالِ تَحْسَبُ جَامِدَةً» دليل على الصنعة، فكانه قال: صنع الله ذلك صنعا، ويجوز الرفع على معنى: ذلك صُنْعُ الله. فأما الإيقان، فهو في اللغة: إحكام الشيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَكْمُلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «يفعلون» بالياء. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي بالياء.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحسنة والسيئة في آخر [الأنعام: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿لَهُ خَيْرٌ نِّبَاً﴾ فيه قولان: أحدهما: فله خير منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة. والثاني: فله أفضل منها، لأنه يأتي بحسنة فيعطى عشر أمثالها، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْفَرْ يَنْفَرْ بِوَيْدٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مَنْ فَرَعَ يَوْمِيذٍ» مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «مَنْ فَرَعَ» بالتثنية «يَوْمِيذٍ» بفتح الميم. وقال الفراء: الإضافة أعجب إليّ في العربية، لأنه فرع معلوم، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فصيّره معرفة، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحب إليّ. واختار أبو عبيدة قراءة التثنية وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمن من جميع فرج ذلك اليوم. قال أبو علي الفارسي: إذا نَوَّنَ جاز أن يُعْنَى به فرجٌ واحدٌ، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة، لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَنِيْرِ﴾ [لقمان: ١٩]، وكذلك إذا أُضِيفَ جاز أن يُعْنَى به فرج واحد، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة؛ وعلى هذا القول، القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة، فهو شامل لكل فرج يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد، فهو المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقال ابن السائب: إذا أطبقت النَّارُ على أهلها فَرَعُوا فُرْعَةً لم يفزعوا مثلها، وأهل الجنة آمنون من ذلك الفرع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْكَفَرَةِ﴾ قال المفسرون: هي الشُّرك «فَكَبَتْ وَجُوهُهُمْ» يقال: كَبَبْتُ الرجل: إذا أَلْقَيْتَهُ لوجهه؛ وتقول لهم خَزَنَةُ جهنم: «هَلْ تُحْزَنُونَ» إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: إِلَّا جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا من الشُّرك.

﴿وَلَمَّا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَكَذَا بَلَدَهُ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَكُلِّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ مَن

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار الحنبلي المتوفى (٣٦٩ هـ) ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى ١٢٨/٢.

(٢) البيت للناطقة الجمدي. وهو في «مشكل القرآن» ٥، و«الطبري» ٢٠/٢١، و«مجمع البيان» ٢٠/٢٥٧، و«القرطبي» ١٣/٢٤٢، و«البحر» ٧/١٠٠.

أَفْتَدَىٰ قَلْبًا يَّهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِّلْمُتَدَبِّرِينَ سَبِيلَكُمْ مَّا يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ لِّلْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أُعْذِرُكُمْ عَنْ هَٰذَا أَلَّا تَعْلَمُوا أَنَّ الْبِلَادَ أَلَدِي حَرَمَهَا ﴿٩٤﴾ وَقُرْأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِي: «التي حَرَمَهَا»، وهي مكة، وتحريمها: تعظيم حرمتها بالمنع من القتل فيها والسبي والكف عن صيدها وشجرها<sup>(١)</sup>، «وَلَمْ كُلُّ شَيْءٍ» لأنه خالفه ومالكه، «وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ السَّالِفِينَ» أي: من المخلصين لله بالتوحيد، «وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» عليكم «مَنْ أَفْتَدَىٰ قَلْبًا يَّهْتَدِي لِنَفْسِهِ» أي: فله ثواب اهتدائه «وَمَنْ ضَلَّ» أي: أخطأ [طريق] الهدى «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ» أي: ليس عليّ إلا البلاغ؛ وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف. «وَقُلْ لِّلْمُتَدَبِّرِينَ سَبِيلَكُمْ» أي: قُلْ لِمَنْ ضَلَّ: الحمد لله الذي وَقَفْنَا لِقَبُولِ مَا امْتَنَعْتُمْ مِنْهُ «سَبِيلَكُمْ مَّا يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ». ومتى يريهم؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيها<sup>(٢)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أن منها الدخان وانشقاق القمر، وقد أراههم ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سبيريكم آياته [فتعرفونها]<sup>(٣)</sup> في السماء، وفي أنفسكم، وفي الرزق، قاله مجاهد. والثالث: القتل بيد، قاله مقاتل. والثاني: سبيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحسن.

قوله تعالى: «وَمَا رَّبُّكَ يُفْعِلُ عَمَّا تَصَلُّونَ»<sup>(٤)</sup> وقُرْأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تعملون» بالياء، على معنى: قل لهم. وقُرْأَ الباقون بالياء، على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.



(١) قال ابن كثير: وقوله: «أَلَّا تَعْلَمُوا أَنَّ الْبِلَادَ أَلَدِي حَرَمَهَا» أي: الذي إنما صارت حراماً شرعاً وقدراً بتحريمه لها، كما ثبت في «الصحاحين» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَٰذَا الْبِلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَعْصِدُ شَوْكُهُ، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَنْتَقِطُ لِقَطْعَتِهِ إِلَّا مَنْ هَرَفَهَا، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافَهَا...» الحديث بتمامه. اهـ. وهو في «البيخاري» ٤٢/٤، و«مسلم» ٩٨٦/٢. ومعنى «لَا يَعْصِدُ»: لا يقطع، وقوله: «وَلَا يَخْتَلِي خِلَافَهَا» الخلاء: الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشائه.

(٢) أي: الآيات. (٣) زيادة من الطبري.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «وَمَا رَّبُّكَ يُفْعِلُ عَمَّا تَصَلُّونَ»: يقول تعالى ذِكْرَهُ: وَمَا رَّبُّكَ يَا مُحَمَّدُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ هَٰؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ لَهُمْ أَجَلٌ هُمْ بِالْغَرَفِ، فَإِذَا بَلَغُوا فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ، قَالَ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لَنَبِيِّ ﷺ: فَلَا يَحْزَنُكَ تَكْلِيهِمْ إِيَّاكَ، فَنَبِيٌّ مِنْ رِوَاةِ إِهْلَاكِهِمْ، وَإِنِّي لَهُمْ بِالْمُرْصَادِ، فَايْتَنُ لِقَسْكَ بِالنَّصْرِ، وَلِعْدُوكَ بِالذَّلِّ وَالْخِزْيِ. اهـ.

## سورة القصص

وهي مكية كلها غير آية منها، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصاص: ٨٥] فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة، هذا قول ابن عباس. وروي عن الحسن، وعطاء، وعكرمة: أنها مكية كلها. وزعم مقاتل: أن فيها من المدني ﴿الَّذِينَ مَاتَتْهُمْ أَلْيَتُهُمْ أَلْيَتُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٢] إلى قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصاص: ٥٥]. وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصاص: ٨٥] نزلت بالجحفة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَسَرَّةً ۖ يَكُنِ الْكَرْبُ مِنَ الْبَيْنِ ۚ تَتْلُوا عَلَيْهِ مِنْ نَحْوِ مِثْلِ الْقُرْآنِ ۚ وَفَرَضَ عَلَى الْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۚ﴾ [١] إِنَّ فَرَضَ عَلَى فِي الْأَرْضِ وَكَمَلْ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَحْفِظُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّهُمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ الْفِتَنِ ۚ وَرُيْدُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَمْلِكَهُمْ أَيْمَةً وَيَعْمَلَهُمْ الْأَوْزِينَ ۚ﴾ [٢] وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَى ۚ وَفَرَضَ وَهَسَنَ وَهَوَّهْمَا مِنْهُمْ ثَمَّ كَانُوا بِمَكْرَمَةٍ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿مَسَرَّةً ۚ﴾ [١] قد سبق تفسيره [الشعراء].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فَرَضَ عَلَى فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغى وتجبّر في أرض مصر ﴿وَكَمَلْ أَهْلَهَا شَيْئًا﴾ أي: فرقا وأصنافا في خدمته ﴿يَسْتَحْفِظُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل، واستضعافه إياهم: استعبادهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفُتَنِ﴾ بالقتل والعمل بالمعاصي. ﴿يَذِخُّهُمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وقرأ أبو رزين، والزهري، وابن محيصن، وابن أبي عبل: «يَذِخُّ» بفتح الياء وسكون الذال خفيفة.

قوله تعالى: ﴿وَرُيْدُ أَنْ تَنْزَلَ﴾ أي: تنجم ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا﴾ وهم بنو إسرائيل، ﴿وَعَمَلَهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم في الخير؛ وقال قتادة: «وَلَا وَمَلُوكًا وَوَعَمَلَهُمُ الْأَوْزِينَ» لملك فرعون بعد عرقه. قوله تعالى: ﴿وَرَى ۚ وَفَرَضَ وَهَسَنَ وَهَوَّهْمَا﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «وَرَى» بياء مفتوحة وإمالة الألف التي بعد الراء «فرعون وهامان وجنودهما» بالرفع. ومعنى الآية: أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل، فكانوا على وجل منهم، فأراهم الله ما كانوا يَحْذَرُونَ.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُ أَرْمُوزَ أَنْ أَرْسَلْنَا خَفِيَّ عَلَيْهِ كَأَلْفِهِ فِي آيَةٍ وَلَا تَحْزَنُ وَلَا تَحْزَنُ إِلَّا رَأَوْهُ إِلَيْهِ وَمَا يُولُوهُ مِنَ الْوَسْطِ ۚ﴾ [٣] فَالْقَوْمُ مَالٌ رَمَزَتْ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۚ فَرَعُونَ وَهَسَنَ وَهَوَّهْمَا كَانُوا خَطِيطِينَ ۚ﴾ [٤] وَقَالَ أَمْرًا فَرَعُونَ قَرْنٌ مِّنْ لِّي وَلَكْ لَا نَقْلُوهُ عَنِّي أَنْ يَفْعَتَا أَوْ تَسْجُدَا وَلَكَا وَمَنْ لَا يَسْجُدَ ۚ﴾ [٥]

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَهُ أَرْمُوزَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلهام، قاله ابن عباس. والثاني: أن جبريل أتاه بذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنه كان رؤيا منام، حكاه الماوردي. قال مقاتل: واسم أم موسى «يوخابد».

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسَلْنَا﴾ قال المفسرون: كانت امرأة من القوابل مضافة لأم موسى، فلما وضعته تولت أمرها ثم خرجت فراها بعض العيون فجاءوا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أمّاه هذا الحرس بالباب، قلّقت موسى في خرقه ووضعه في التّور. وهو مُسَجَّرٌ، فدخلوا ثم خرجوا، فقالت لأخته: أين الصبي، قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التّور فاطلعت وقد جعل الله على النَّارِ بَرْدًا وسلامًا<sup>(١)</sup>، فأرضعته بعد ولادته ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر، فلما

(١) هذه القصة ذكرها بعض المفسرين مصدرة بكلمة «روي»، ولم يذكروا من خرجها ولا عن رويت عنه، ولملها من الإسرائيليات، والله أعلم.

خافت عليه صنعت له التابوت<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ قولان: أحدهما: إذا خِفَتْ عليه القتل، قاله مقاتل. والثاني: إذا خِفَتْ [عليه] أن يصبح أو يبكي فيسمع صوته، قاله: ابن السائب. وفي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ قولان: أحدهما: أن يفرق، قاله ابن السائب. والثاني: أن يضيع، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. وقال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحك! فقالت: أوبعد هذه الآية فصاحة وهي قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَهُ أَنْزِلْ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاتَّقِيهِ فِي الْآيَةِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين ويشارتين!<sup>١٩</sup>

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآل فرعون: الذين تولوا أخذ التابوت من البحر. وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: أحدها: جوارى امرأة فرعون، قاله السدي. والثاني: ابنة فرعون، قاله محمد بن قيس. والثالث: أعوان فرعون، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: ليصير بهم الأمر إلى ذلك، لا أنهم أخذوه لهذا، وهذه اللام تسمى لام العاقبة، وقد شرحناها في [يونس: ١٨٨]. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليكون لهم عَدُوًّا في دينهم وَحَرَنًا لِمَا يصنعهم بهم. والثاني: عَدُوًّا لرجالهم وَحَرَنًا على نساءهم، فقتل الرجال بالفرق، واستعبد النساء. ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوجها فرعون: ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: رفع ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ على إضمار «هو». قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات، فقالت: ﴿عَيْنٌ أَنْ يَنْفَعَنِي﴾ فنصيب منه خيراً ﴿أَنْ تَنْجِدَهُ وَلَدًا﴾، ﴿وَمَنْ لَا يَشْعُرُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: أن هلاكهم على يديه، قاله قتادة. والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أن التقطه، قاله محمد بن قيس. والرابع: لا يشعرون أنني أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمد ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَ قَرْعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا لِنُكْوِتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَتْ لِأَخِيهِ قُصَيْبٍ فَصَبَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴿وَحَمَلْنَا عَلَيْهِ الْفَرَاصِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى آيَتِهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَسَلَّمَ أَتَى وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَ قَرْعًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك. والثاني: أصبح فؤادها قَرْعاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهي قراءة أبي رزين، وأبي العالية، والضحاك، وقاتدة، وعاصم الجحدري، فإنهم قرؤوا: «قَرْعاً» بزي معجمة. والثالث: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: فارغاً من الحزن، يعلمها أنه لم يقتل، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَى قَلْبِهَا﴾! وهل يُرَبِّطُ إِلَّا على قلب الجازع المحزون!<sup>١٩</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى موسى. ومتى أرادت هذا؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه حين فارقه؛ روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس [أنه] قال: كادت تقول: يا بُنَيَّاه. قال قتادة: وذلك من شدة وجدها. والثاني: حين حَمَلَتْ لِرِضَاعِهِ ثم كادت تقول: هو ابني، قاله السدي. والثالث: أنه لما كَبُرَ وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنها ترجع إلى الوحي؛ والمعنى: إن كادت لتُبْدَى بالوحي، حكاه ابن جرير.

(١) وألفته في اليم - أي البحر - وهو النيل. قال ابن جرير الطبري: وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده، أن تلقى في اليم، وجاز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه، وأبي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبیان أي ذلك كان من أي، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه. قال: واليم الذي أمرت أن تلقى فيه هو النيل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَّكَ عَلَيَّ ذَنْبًا﴾ قال الزجاج: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والربط: إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: من المصدين بوعد الله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ قال ابن عباس: قضي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً، [أي]: أحي هو، أو قد أكلته الدواب؟ ونسيت الذي وعدنا الله فيه. وقال وهب: إنما قالت لأخته: قصيهِ، لأنها سمعت أن فرعون قد أصاب صبيّاً في تابوت. قال مقاتل: واسم أخته: مريم. قال ابن قتيبة: ومعنى «قُصِّيهِ»: قُصِّي أثره واتبعه «قُصِرَتْ يَدُ عَنْ جُحْيٍ» أي: عن بُغْدٍ منها عنه وإعراض، لئلا يظنوا، والمجانبة من هذا. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم والنون وبالف بعدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم وكسر النون وبينهما ألف. وقرأ قتادة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «عَنْ جَنَبٍ» بفتح الجيم وإسكان النون من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وهم لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: لا يشعرون أنها أخته، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمْنَا عَلَيْهِ الْأَرْضَ﴾ وهي جمع مُرضِع «بِنِ بَيْلٍ» أي: من قبل أن تُرُدَّه على أمه، وهذا تحريم منع، لا تحريم شرع. قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن، كلما أتى بمرضع لم يقبل ثديها، فأمهم ذلك واشتد عليهم «فَقَالَتْ» لهم أخته: «هَلْ أَدْرَكُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبل ثديها. وقيل: لأنها لما قالت: ﴿وَقَدْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قالوا: لعلك تعرفين أهله، قالت: لا، ولكني إنما قلت: وهم للملك ناصحون.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَدْنَاهُ إِلَى آثِمِهِ﴾ قد شرحناه في (طه: ٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ أُنثَىٰ وَعَدَ اللَّهُ﴾ برؤ ولدها «حَقٌّ» وهذا علم عيان ومشاهدة «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله وعدنا أن يرده إليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَطَنًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ وَخَلَّ الْمَيْدَةَ عَلَىٰ بَيْنِ عَمَلَةٍ بَيْنَ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ۚ فَاسْتَنْتَاهُ الَّتَىٰ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُؤْمِنٌ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَنَنْتُ نَفْسِي فَافْعَلْ لِي فَنًّا ۖ فَفَعَلَ ۚ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَسْتُ عَلَىٰ فَنٍّ أَكْرَمَ طَهْرًا لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قد فسرنا هذه الآية في سورة [يوسف: ٢٢]، وكلام المفسرين في لفظ الآيتين متقارب، إلا أنهم فرّقوا بين بلوغ الأشد وبين الاستواء؛ فأما بلوغ الأشد، فقد سلف بيانه [الانعام: ١٥٢]. وفي مدة الاستواء لهم قولان: أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: ستون سنة، ذكره ابن جرير. قال المفسرون: مكث عند أمه حتى فطمته، ثم ردته إليهم، فنشأ في جنح فرعون وامرأته واتخذاه ولداً.

قوله تعالى: ﴿وَخَلَّ الْمَيْدَةَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها مصر. والثاني: مدينة بالقرب من مصر. قال السدي: ركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى ركب في إثره فأدركه المقيّل في تلك المدينة. وقال غيره: لما توهم فرعون في موسى أنه عدوّه أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلا بعد أن كبر، فدخلها يوماً «عَلَى بَيْنِ عَمَلَةٍ بَيْنَ أَهْلِهَا» وفي ذلك الوقت أربعة أقوال: أحدها: أنه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله عليّ بن أبي طالب. والثاني: أنه دخل نصف النهار، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة. والثالث: بين المغرب والعشاء، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكره، لأنه قد نسي أمره، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من أصحابه من بني إسرائيل «وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ» أي: من أعدائه من القبط، والعدو يذكّر للواحد وللجمع. قال الزجاج: وإنما قيل في الغائب: «هَٰذَا» و«هَٰذَا»، على جهة الحكاية للحضرة؛

والمعنى: أنه إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا مِنْ شيعته، وهذا مِنْ عَدُوِّهِ. قال المفسرون: وإنَّ القبطي كان قد سَحَر الإسرائيلِي أن يحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَاسْتَنْصَرَهُ﴾ أي: فاستنصره، ﴿فَوَكَزَهُ﴾ قال الزجاج: الوَكَز: أن يضربه بجميع كَفِّهِ<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: ﴿فَوَكَزَهُ﴾ أي: لَكَزَهُ، يقال: وَكَزْتُهُ وَلَكَزْتُهُ وَلَهَزْتُهُ، إذا دَفَعْتُهُ، ﴿فَفَقَعَ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله؛ وكلُّ شيء فرغْتَ منه فقد قضيتَه وقضيت عليه. وللمفسرين فيما وَكَزَهُ به قولان: أحدهما: كَفَّهُ، قاله مجاهد. والثاني: عَصَلَهُ، قاله قتادة. فلَمَّا مات القبطي ندم موسى لأنه لم يرد قتله، و﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: هو الذي هُوِيَ غَضْبِي حتى ضَرَبْتُ هذا، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِبَنِ آدَمَ﴾ مُضِلٌّ له ﴿ثُمَّ﴾ عداوته. ثم استغفره ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتل هذا، ولا ينبغي لنبِي أن يقتل حتى يُؤْمَرَ. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَمَلًا بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: عوناً للكافرين. وهذا يدلُّ على أن الإسرائيلِي الذي أعانَه موسى كان كافراً.

﴿فَأَسْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّى فَإِذَا أَلَى اسْتَصْرَعَ بِالْأَمْسِ يَسْتَعِزُّهُمْ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَتَوَقَّيْتُ ثُبِينَ<sup>(٢)</sup> فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالْأَيِّ هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَهُوشَعَ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ قَتْلًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>(٣)</sup> وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْعُو قَالَ يَهُوشَعَ إِنَّكَ لَتَأْتِيَنَّكَ بِكَ يَمْلِكُ يَأْتِيَنَّكَ بِكَ يَمْلِكُ فَخَرَجَ إِلَى لَكَ مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>(٤)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿خَائِفاً﴾ على نفسه ﴿يَتَرَقَّى﴾ أي: ينتظر سوءاً يتاله منهم ويخاف أن يقتل به ﴿فَإِذَا أَلَى اسْتَصْرَعَ بِالْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيلِي ﴿يَسْتَعِزُّهُمْ﴾ أي: يستغيث به على قبطي آخر أراد أن يسحره أيضاً ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ في هاء الكتابة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القبطي. والثاني: إلى الإسرائيلِي، وهو أصح. فعلى الأول يكون المعنى: ﴿إِنَّكَ لَتَوَقَّيْتُ﴾ بتسخيرك وظلمك. وعلى الثاني فيه قولان: أحدهما: أن يكون الغَوِي بمعنى المُغْوِي، كالأليم والوجيع بمعنى المؤلم والموجع؛ والمعنى: إنَّكَ لَمْ تُضِلْ حين قتلت بالأمس رجلاً بسببك، وتُدْعُونِي اليوم إلى آخر. والثاني: أن يكون الغوي بمعنى الغاوي؛ والمعنى: إنَّكَ غَاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شرِّه عنك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالْأَيِّ هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ أي: بالقبطي ﴿قَالَ يَهُوشَعَ﴾ هذا قول الإسرائيلِي من غير خلاف علمناه بين المفسرين؛ قالوا: لَمَّا رَأَى الإسرائيلِي غضبَ موسى عليه حين قال [له]: ﴿إِنَّكَ لَتَوَقَّيْتُ ثُبِينَ﴾ ورأه قد هم أن يَبْطِشَ بالفرعوني، ظنَّ أنه يريدُه فخاف على نفسه ف ﴿قَالَ يَهُوشَعَ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا مَنْ قَاتِلُ القبطي، إلا أنهم اتَّزوا إلى فرعون فقالوا: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً مِنَّا فخذْ لنا بحَقًّا، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأخذ لكم حَقَّكُمْ، فبينما هم يطوفون ولا يدرون مَنْ القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلِي والقبطي في اليوم الثاني، فلَمَّا قال الإسرائيلِي لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ قَتْلًا بِالْأَمْسِ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل، فأمر بقتل موسى، فلم يذلك رجل من شيعه موسى فاتاه فأخبره، فذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْعُو قَالَ يَهُوشَعَ إِنَّكَ لَتَأْتِيَنَّكَ بِكَ يَمْلِكُ يَأْتِيَنَّكَ بِكَ يَمْلِكُ فَخَرَجَ إِلَى لَكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فأمَّا الجَبَّار، فقال السدي: هو القتال، وقد شرحناه في [مرء: ٥٩]، وأقصى المدينة: آخرها وأبعدها، ويسمى، بمعنى يُسْرِع. قال ابن عباس: وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلاف في اسمه في سورة [المومن: ٢٨]. فأمَّا الملا، فهم الوجوه من الناس والأشراف. وفي قوله: ﴿يَأْتِيَنَّكَ بِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتشاورون فيك ليقْتُلوك، قاله أبو عبيدة. والثاني: يَهْئُونَ بك، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، قاله الزجاج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّى قَالَ رَبِّ إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٥)</sup> وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَلَكٌ قَالَ عَنِ رَبِّكَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ<sup>(٦)</sup> وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّجَاءَ وَأُورَثَا شَيْخٌ كَبِيرٌ<sup>(٧)</sup> فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ<sup>(٨)</sup> فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ يَمْلِكُ يُجِيرُكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَصَصُ قَالَ لَا تَخَفْ جُئْتُكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٩)</sup> قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَجِرْهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(١٠)</sup> قَالَ إِنَّهُ أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ

(١). كذا الأصل، والذي في [اللسان] عن الزجاج: الوَكَز: أن يضرب بجمع كَفِّهِ، وهو كذلك في كتب اللغة.

إِخَذَى ابْنَهُ مَتْنِيَّ عَلَّ أَنْ تَأْجُرِي تَمَنِيَّ حَبِجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَسْلُوكَ آبَاكُمْ الْأَجْلَيْنِ فَصَبِثْ فَلَا عُذْرَكَ عَلَى اللَّهِ عَلَّ مَا نَقُولُ وَكِجَلٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَرَجَّ مِنْهَا﴾ أي: من مصر ﴿عَائِلًا﴾ وقد مضى تفسيره [القصاص: ١٨].

قوله تعالى: ﴿يَجْنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين أهل مصر. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلْقَاءَ مَبِيتٍ﴾ قال ابن قتية: أي: تجاه مَدْيَنَ ونحوها، وأصله: اللقاء، وزيدت فيه التاء، قال الشاعر:

[أَمَلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ]

أي: عن لقاءك. قال المفسرون: خرج خائفًا بغير زاد ولا ظَهْر<sup>(١)</sup>، وكان بين مصر ومَدْيَنَ مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له بالطريق عِلْمٌ، فـ ﴿قَالَ عَمَّن رَوَيْتَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قَصَّده. قال ابن عباس: لم يكن له عِلْمٌ بالطريق إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِ بِهِ. وقال السدي: بعث الله له مَلَكًا فدلَّه، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعام إِلَّا ورق الشجر، فورد ماء مَدْيَنَ وخَضِرَةُ البقل تترأى في بطنه من الهُزَالِ؛ والأُمَّة: الجماعة، وهم الرعاة، ﴿يَسْتَوُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: مِنْ سِوَى الْأُمَّةِ ﴿أَمْرًا قَيْنَ﴾ وهما ابنتا شعيب؛ قال مقاتل: واسم الكبرى: صبورا<sup>(٢)</sup> والصغرى: عبرا ﴿تُدَوِّلَانِ﴾ قال ابن قتية: أي: تَكْفَانُ غَنَمَهُمَا، فحذف الغنم اختصارًا. قال المفسرون: وإنما فعلتا ذلك لِتَفْرِغَ النَّاسَ وتخلو لهما البئر، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا؟﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، وابن السميع: ﴿لَا نَسْقِي﴾ برفع النون ﴿حَتَّى يُسْئِرَ الرِّجَاءُ﴾ وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يُضَلُّرُ﴾ بفتح الياء وضم الدال، أي: حتى يرجع الرِّعَاءُ. وقرأ الباقون: ﴿يُضْلِرُ﴾ بضم الياء وكسر الدال، أرادوا: حتى يَزُودَ الرِّعَاءُ غَنَمَهُمَ عَنِ الْمَاءِ. والرِّعَاءُ: جمع راعٍ، كما يقال: صاحب وصحاب. وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبيرة، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: ﴿الرِّعَاءُ﴾ بضم الراء، والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وَأَبْرَأَا خَيْجَ كَبِيرٍ﴾ لا يَقْدِرُ أَنْ يَسْقِيَ مَا شِئْتَهُ مِنَ الْكَبِيرِ؛ فلذلك اِخْتَجَجْنَا نحن إلى أَنْ نَسْقِيَ، وكان على تلك البئر صخرة عظيمة، فإذا فرغ الرِّعَاءُ مِنْ سَقْيِهِمْ أَعَادُوا الصَّخْرَةَ، فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرِّعَاءِ فَتَسْقِيَانِ غَنَمَهُمَا. ﴿فَسَقَى لَهْمَا﴾ موسى. وفي صفة ما صنع قولان: أحدهما: أنه ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقتلعها إِلَّا جماعة من الناس، فاقتلعها وسقى لهما، قاله عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup>، وشريح. والثاني: أنه زاحم القوم على الماء، وسقى لهما، قاله ابن إسحاق، والمعنى: سقى غَنَمَهُمَا لأجلهما. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ أي: انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ وهو ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا لِلَّامِ بَعْثِي إِلَى، فَتَقْدِيرُهُ: إِنِّي إِلَى مَا ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَاقْبِرْ﴾ وأراد بالخير: الطعام<sup>(٤)</sup>. وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضًا أَنْ تَقْلَعَهُمَا. ﴿لَمَّا تَمَّ إِسْمُهُمَا﴾ المعنى: فلما شربَتْ غَنَمُهُمَا رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا فأخبرتهما خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى. وفيها قولان: أحدهما: الصغرى. والثاني: الكبرى. فجاءته ﴿تَمَشِي عَلَى أَسْتِجْيَاكٍ﴾ قد سترت وجهها بِكُمِّ ذِعْهَا. وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي مَنْ لَمْ يَعْتَدِ الْخُرُوجَ وَالْدُخُولَ. والثاني: لأنها دعت له لتكافئه، وكان الأجل عندنا أَنْ تدعوه من غير مكافأة. والثالث: لأنها رسول أبيها.

(١) البيت للراعي النعيري، وهو في «غريب القرآن» ٣٣١، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: لقي.

(٢) الظُّهْر: الدابة التي يُرَكَّبُ ظُهْرُهَا مِنْ جَمَلٍ وَنَحْوِهِ.

(٣) في الأولوسي: صفورا، وقيل: صفوريا. وفي «الكشاف» اسم الكبرى: صفراء، واسم الصغرى: صفيراء، والله أعلم بذلك، ولا يتعلق بمعرفة اسميهما حكم شرعي.

(٤) قال السيوطي في «الدرر» ١٢٤/٥: أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن موسى ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطبق رقعها إِلَّا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين، قال: ما خطبكما، فحدثتهما، فأثرت الصخرة فرفعها وحده، ثم استقى، فلم يسق إِلَّا دلوًا واحدًا حتى رويت الغنم... الحديث بطوله، وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي شيبة مختصرًا هكذا، وقال: إسناده صحيح.

(٥) قال ابن كثير: قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إِلَّا البقل وورق الشجر، وكان حافيًا، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لاصق بظهوره من الجوع، وإن خضرة البقل لثرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق ثمره.



قوله تعالى: ﴿يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسرون: لما سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بدًّا للجهد الذي به من أتباعها، فتيبها، فكانت الريح تضرب ثوبها ففصف بعض جسدها، فناداها: يا أمة الله، كونني خلفي وذلني الطريق<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: جاء موسى شعبياً ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: أخبره بأمره من حين ولد والسبب الذي أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَحْتَفِ بِحَوْتَ مِنْ الْقَوِيِّ الْقَلِيلِينَ﴾ أي: لا سلطان لفرعون بأرضنا وللسنا في مملكته. ﴿فَأَتَتْ إِحَدَهُمَا﴾ وهي الكبرى: ﴿يَتَأْتِي اسْتَعِجْرُهُ﴾ أي: اتَّخَذَهُ أَجِيرًا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعِجَرَ الْقَوِيُّ الْأَكْبَرُ﴾ أي: خير من استعملت على عملك مَنْ قَوِيٍّ على عملك وأدَّى الأمانة؛ وإنما سمَّته قوياً، لرفعه الحجر عن رأس البئر، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يَقْلُهَا إلا العدد الكثير من الرجال، وسمَّته أميناً، لأنه أمرها أن تمشي خلفه. وقال السدي: قال لها شعب: قد رأيت قوتَه، فما يُدْرِيك بأمانته؟ فحدثته. قال المفسرون: فرغب فيه شعب، فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُلْكَمَكَ﴾ أي: أزوجهك ﴿إِخَذَى ابْنَتِي هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي جِجَعًا﴾ قال الفراء: تأجرني وتأجرني، بضم الجيم وكسرهما، لغتان. قال الزجاج: والمعنى: تكون أجيراً لي ثماني سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: فذلك تفضل منك، وليس بواجب عليك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في العشر ﴿سَعِدْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في حُسْنِ الصُّحْبَةِ والرفاء بما قلت. ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَإِنَّكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: ذلك الذي وصفت وشرطت عليّ فلك، وما شرطت لي مِنْ تزويج إحداهما فلي، فالأمر كذلك بيننا. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ يعني: الثماني والعشر. قال أبو عبيدة: «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّأَتْ﴾ أي: أتممت<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا تُدْرِكُ عَلَى﴾ أي: لا سبيل عليّ؛ والمعنى: لا تعدد عليّ بأن تُلْزِمَنِي أكثر منه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ قال الزجاج: أي: والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض. واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال: أحدها: أنه شُعَيْبُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، وعلى هذا أكثر أهل<sup>(٣)</sup> التفسير، وفيه أثر عن النبي ﷺ يدل عليه<sup>(٤)</sup>، وبه قال وهب، ومقاتل. والثاني: أنه صاحب مَذْيَن، واسمه يثرى، قاله ابن عباس. والثالث: رجل من قوم شعيب، قاله الحسن. والرابع: أنه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمر بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وبه قال ابن السائب<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في التي تزوجه موسى من الابنتين على قولين: أحدهما: الصغرى، روي عن ابن عباس. والثاني: الكبرى، قاله مقاتل. وفي اسم التي تزوجه ثلاثة أقوال: أحدها: صفوريا، حكاه أبو عمران الجوني. والثاني: صفورة، قاله شعيب الجبائي. والثالث: صبورا، قاله مقاتل.

(١) قال السيوطي في تمة الحديث الذي تقدم من رواية القرطبي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب ﷺ: «فرجعت المرأتان إلى أبيهما، فحدثتا، وتولَّى موسى ﷺ إلى الظل فقال: ﴿زَيْبُ إِيَّيْنَا لَزَنَ إِنَّ مِنْ خَيْرٍ قَوِيٍّ﴾ قال: ﴿لَمَّا تَدْعُهُمَا تَتَنَبَّأَنَّ عَنْ أَهْوَيْتَكُ﴾ واضعة ثوبها على وجهها ليست بسلف من الناس خُرَاجَةٌ ولاجئة، ﴿فَأَتَتْ إِيَّكَ أَيَّ تَهْرُوكَ يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها موسى ﷺ، فقال: امشي خلفي وانتمي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك نصف جسدك... إلخ. وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم مختصراً إلى قوله: خُرَاجَةٌ ولاجئة، وقال: هذا إسناد صحيح. وقال: قال الجوهري: السلف من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريئة السليطة، ومن النوق: الشديدة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا وقد دل الدليل على أن موسى ﷺ إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما، قال: وقال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: سألت يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس ﷺ فسأله، فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. اهـ.

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) من رواية ابن أبي حاتم عن عتية بن المنذر، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال: أحدها: أنه شعيب النبي ﷺ الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. قال: وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، قال: وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ﷺ بعملة طويلة، لأنه قال لقومه: ﴿وَرَبُّكُمْ لَوْ لَمْ يَنْصَبْكُمْ يَسِيرًا﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ﷺ بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى ﷺ مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد، قال: وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو - والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال، ثم من المعقوف لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسناده، قال: ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون، والله أعلم. اهـ.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي مَأْتِيكُمْ مِنْهَا يُخَوِّرُ أَوْ جَذَوْهُ رَبُّكَ النَّارُ يَنْلَأُ لَكُمُ الصَّطْوُوتَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ الْأَوَّادِ الْأَيْتِينَ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشَوْا إِيَّاتَنَا إِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّمَا جَاءَهُ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يَعْقُبُ يَمْشَوْهُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٢٠﴾ أَسْلَفَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَصْفَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ فَذَلِكَ بِرُؤْسَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ رُفْعَتِكَ وَمَلَايِكَةٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتِيحِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَلَأَنفَأَنَّ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٢﴾ وَأَخَى هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٣﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِتَابِعِنَا إِنَّا وَنَا أَعْيُنُكُمْ أَلْفَيْتُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى، قال: «أولاهما وأطيهما»<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشراً آخر<sup>(٢)</sup>. وقال وهب بن منبه: أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته سنين<sup>(٣)</sup>، وقد سبق تفسير هذه الآية [ط: ١٠] إلى قوله: ﴿أَوْ جَذَوْهُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «جَذَوْهُ» بكسر الجيم. وقرأ عاصم بفتحها. وقرأ حمزة، وخلف، والوليد عن ابن عامر بضمها، وكلها لغات. قال ابن عباس: الجذوة: قطعة حطب فيها نار، وقال أبو عبيدة: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة، قال ابن مقل:   
بِائْتِ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا

والدعر: الذي قد نجر، ومنه رجل داعر، أي: فاسد.   
جَزَلُ الْجَذَا غَيْرَ خَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ الْأَوَّادِ﴾ وهو: جانبه ﴿الْأَيْتِينَ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها، وفي تلك الشجرة قولان: أحدهما: [أنها] شجرة العنَّاب، قاله ابن عباس. والثاني: عوسجة، قاله قتادة، وابن السائب، ومقاتل. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: ١٠] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ أي: من أن ينالك مكروه.

قوله تعالى: ﴿أَسْلَفَ يَدَكَ﴾ أي: أدخلها، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ قد فسرنا الجناح في [ط: ٢٢] إلا أن بعض المفسرين خالف بين تفسير اللفظين، فشرحناه. وقال ابن زيد: جناحه: الذراع والعُضد والكف. وقال الزجاج: الجناح هاهنا: العضد، ويقال لليد كلها: جناح. وحكى ابن الأنباري عن الفراء أنه قال: الجناح هاهنا: العصا. قال ابن الأنباري: الجناح للإنسان مشبهً بالجناح للطائر، ففي حال تشبُّه العربُ رجُلِي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلان طائراً في جناحيه، يعنون ساعياً على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائر، كقوله: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾، وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناح، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه، كقوله: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ﴾، وإنما يوقع الجناح على هذه الأشياء تشبيهاً واستعارة، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قُطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحة أبطلت تصرفه؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يدي ورجلي، أي: أنت مَنْ به أَصِلُ إلى محايي، قال جرير:

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي<sup>(٥)</sup>

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. وذكره السيوطي في «الدر» ١٢٦/٥ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنه. قال ابن كثير: وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأكمل منهما، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم، وابن جرير، فآله أعلم. وذكره السيوطي في «الدر» ١٢٧/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في النسخة الإستانبولية: سنين.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٠٣، و«الطبري» ٧٠/٢٠، و«مجمع البيان» ٢٨٤/٢٠، و«القرطبي» ٢٨١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: دعر. والجذا جمع جذوة.

(٥) ديوانه ٩٨.

وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الآخر:

يا عصمتي في النّائبات ويا  
لا ضنّت وجهاً كنت ضائنه  
رُحمني [الأغرّ] ويا يدي اليمنى  
أبدأ ووجهك في الشرى يَبلى

فأما الرَّهَب، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «مِنَ الرَّهَبِ» بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من الرَّهَبِ» بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص [وأبان] عن عاصم: «من الرَّهَبِ» بفتح الراء وسكون الهاء [وهي قراءة ابن مسعود، وابن السميع]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وقتادة: بضم الراء والهاء. قال الزجاج: الرَّهَبُ، والرَّهَبُ بمعنى واحد، مثل الرُّشْد، والرَّشْد. وقال أبو عبيدة: الرَّهَبُ والرَّهْبَةُ بمعنى الخوف والفرق. وقال ابن الأنباري: الرَّهَبُ، والرَّهَبُ، والرَّهَبُ، مثل الشُّغْل، والشُّغْل، والشُّغْل، والشُّغْل، والبُخْل، والبُخْل، وتلك لغات ترجع إلى معنى الخوف والفرق. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما هرب من الحيّة أمره الله أن يَضُمَّ إليه جناحه ليذهب عنه الفزع. قال ابن عباس: المعنى: اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك. وقال مجاهد: كلُّ مَنْ فَزَعَ فَضَمَّ جناحه إليه ذهب عنه الفزع. والثاني: أنه لما هاله بياض يده وشعاعها، أمر أن يُدْخِلَهَا في جيبه، فعادت إلى حالتها الأولى. والثالث: أن معنى الكلام: سَكَنَ رَوْعَكَ، وثَبَّتْ جَأَشَكَ. قال أبو علي: ليس يراد به الضَّمُّ بين الشيتين، إنما أمر بالعزم [على ما أمر به] والجد فيه، ومثله: اشدد حيازيمك للموت. قوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فَذَانُكَ» بالتشديد. وقرأ الباقون: «فَذَانُكَ» بالتخفيف. قال الزجاج: التشديد تشنية «ذلك»، والتخفيف تشنية «ذاك»، فجعل اللام في «ذلك» بدلاً من تشديد النون في «فَذَانُكَ»، ﴿وَمَكَانٍ﴾ أي: بيانان اثنان. قال المفسرون: «فَذَانُكَ» يعني العصا واليد، حُجَّتَانِ من الله لموسى على صِدْقِهِ، ﴿وَمَكَانٍ﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعون<sup>(١١)</sup>. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [الشعراء: ١٤] إلى قوله: ﴿هُوَ أَقْصَىٰ يَدِي لِسَانًا﴾ أي: أحسنُ بياناً، لأن موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ قرأ الأكثرون: «رِدْءًا» بسكون الدال وبعدها همزة. وقرأ أبو جعفر: «رِدَا» بفتح الدال وألف بعدها من غير تنوين ولا همز؛ وقرأ نافع كذلك إلا أنه نَوَّن. وقال الزجاج: الرِّدْءُ: العون، يقال: ردأته أردوه رِدْءًا: إذا أعنته.

قوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ قرأ عاصم، وحمزة: «يُصَدِّقُنِي» بضم القاف. وقرأ الباقون بسكون القاف. قال الزجاج: من جزم «يُصَدِّقُنِي» فعلى جواب المسألة: أَرْسِلْهُ يُصَدِّقُنِي؛ ومن رفع، فالمعنى: رِدْءًا مُصَدِّقًا لي. وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله: «يُصَدِّقُنِي» إلى هارون؛ وقال مقاتل بن سليمان: لكي يُصَدِّقُنِي فرعون. قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: سنعينك بأخيك، ولفظ العَضُد على جهة المثل، لأن اليد قوامها عَضُدُها، وكل مُعين فهو عَضُد، ﴿وَجَمْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً بَيِّنَةً. وقيل للزيت: السَّليط، لأنه يُسْتَضَاءُ به؛ والسُّلطان: آتِين الحُجج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بقتل ولا أذى. وفي قوله: ﴿فَذَانِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحُججتنا فلا يَصِلُونَ إليكما. والثاني: أنه متعلق بما بعده، فالمعنى: بآياتنا أنتما ومن أتبِعكما الغالبون، أي: تَغْلِبُونَ بآياتنا. والثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ونجعل لكم سلطانًا بآياتنا فلا يَصِلُونَ إليكما.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا يَنْتَبِهُونَ﴾ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثَقَرٌ وَمَا سَكِينَا بِهَذَا ﴿١٦﴾ ﴿بَايَعْنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ الْغَنِيُّونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّثَقَرٌ﴾ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قِبل نفسك ولم تُبَيِّنْ به

(١١) قال ابن كثير: ﴿فَذَانِكَ وَمَكَانٍ﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دليلان قاطعان واضحيان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ وَاحِدٌ﴾ أي: وقومه من الرؤساء والكبراء والأبناج، ﴿يَسْتَمِعُونَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُفْتَنُونَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه. اهـ.





والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهد؛ فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة. والثالث: محمد وعيسى<sup>(١)</sup>، قاله قتادة؛ فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «سُحْرَان» وفيه ثلاثة أقوال. أحدها: التوراة والفرقان، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة. والثالث: التوراة والإنجيل، قاله أبو مجلز، وإسماعيل ابن أبي خالد. ومعنى الكلام: كلُّ سيخر منهما يقوِّي الآخر، فنُسب التظاهر إلى السخرين توسُّعاً في الكلام، «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفَرٍ» يعنون ما تقدَّم ذكره على اختلاف الأقوال، فقال الله لنبيه «قُلْ» لكفار مكة «فَأَنزَلْنَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا» أي: من التوراة والقرآن، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أي: «فَإِنْ لَّرَ سَتَجِيرًا لِلَّهِ» أي: فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن، «فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُعْمِلُكُمْ أَهْوَاءَهُمْ» أي: أن ما ركبه من الكفر لم يحملهم عليه حُجَّة، وإنما آثروا فيه الهوى «وَمَنْ أَضَلُّ» أي: ولا أحد أضل «مَنْ أَتَىٰ مَوْبَهُ يَمَيِّرْهُ مَذًى» أي: بغير رشاد ولا بيان جاء «بِرَكِّ اللَّهِ». «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ» وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وابن يعمر: «وَصَلَّنَا» بتخفيف الصاد. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قريش، قاله الأكثرون، منهم مجاهد. والثاني: اليهود، قاله رفاعة القرظي. والمعنى: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً، ويُخبر عن الأمم الخالية كيف عُذِّبُوا لعلمهم يتعظون. «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قِيمُوا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أحداً، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره، قاله السدي.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن «مُّمَّ يَدُ» في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، لأن ذكره كان مكتوباً [عندهم] في كتبهم، فآمنوا به، والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: «وَلَا يُلْقِي عَيْنُهُمْ» يعني القرآن «قَالُوا آمَنَّا بِهِ»، «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل نزول القرآن «سُتِيلِينَ» أي: مُخْلِصِينَ لله مصدِّقين بمحمد، وذلك لأن ذكره كان في كتبهم فآمنوا به «وَأُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ» في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، وهذا قول الجمهور، وهو الظاهر<sup>(٣)</sup>، وفيما صبروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صبروا على الكتاب الأوَّل، وصبروا على اتِّباعهم محمداً، قاله قتادة، وابن زيد. والثاني أنهم صبروا على الإيمان بمحمد قبل أن يُبْعَثَ، ثم على اتِّباعه حين بُعث، قاله الضحاك. والقول الثاني: أنهم قوم من المشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فصبروا على الأذى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: «وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلْسِنَتَهُ» فيه أقوال قد شرحناها في [الرعد: ٢٢].

قوله تعالى: «وَلَا سَكِرُوا الْفُورَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: الأذى والسَّب، قاله مجاهد. والثاني: الشرك، قاله الضحاك. والثالث: أنهم قوم من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّر اليهود من صفة رسول الله ﷺ فيكرهون ذلك ويُعْرِضُونَ عنه، قاله ابن زيد. وهل هذا منسوخ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: «وَقَالُوا لَنَا أَعْيُنَا وَلَكُمُ الْأَعْيُنُ» قولان: أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم. والثاني: لنا جِلْمُنَا ولكم سَهْمُكُمْ. «سَلِّمْ عَلَيْكُمْ» قال الزجاج: لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا: بيننا وبينكم المُتَارَكَة، وهذا قبل أن يؤمِّر المسلمون بالقتال. وذكر المفسرون أنَّ هذا منسوخ بآية السيف. وفي قوله: «لَا تَبْنِي الْجَاهِلِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: لا تبنِ دِين الجاهليين. والثاني: لا تطلُب مجاورتهم. والثالث: لا تريد أن تكون جُهَلَاءً.

(١) قال ابن كثير: وهذا فيه بُعْد، لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال السيوطي في «أسباب النزول» ٢١٠: رواه الطبراني في «الأوسط» بسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس ﷺ.

(٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أتى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له إمة فغلبها فأحسن غذاها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أحسنها وتزوجها، فله أجران» متفق عليه، واللفظ لمسلم. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٣/٥، وزاد نسبه لأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْكُذَّاءَ مَكَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُسْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا مَبْنًى يَجِيءُ إِلَيْهِ فَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ وَزَقَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ لَوْ تَشْكُنْ مِنْ بَدْرٍ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا عَنْ الزَّوْرَيْنِ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالزَّوْجِ مَأْنًى أَنْ يَسْتَفْتِرُوا لِلشُّرَكِيِّ﴾ (التوبة: ١١٣)، وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعنه: «قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أن تُعيرني نساء قريش، يقرن: إنما عمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (٥٦). قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وفي قوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قولان: أحدهما: من أحببت هدايته. والثاني: من أحببته لقرباته. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يُرْشِدُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: من قدر له الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْكُذَّاءَ مَكَكَ﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي. هم ناس من قريش قالوا ذلك (٥٦). وقال في رواية ابن أبي مليكة: إن الحارث بن عامر بن نوفل قال ذلك (٥٧). وذكر مقاتل أن الحارث بن عامر قال لرسول الله ﷺ: إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ يَمْنَعُنَا أَنْ نَتَّبِعَ [الهدى] معك مخافة أن نتخطفنا العرب من أرضنا (٥٨)، يعنون مكة. ومعنى الآية: إن أتبعناك على دينك خِفْنَا العرب لمخالفتنا إياها. والتخطف: الانتزاع بسرعة؛ فردَّ الله عليهم قولهم، فقال: ﴿أَوْلَمْ تُسْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا﴾ أي: أو لم نسكنهم حرمًا ونجعل مكانًا لهم، ومعنى ﴿مَأْنًى﴾: ذو أمن يأمن فيه الناس، وذلك أن العرب كان يُغيّر بعضها على بعض، وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة، أي: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن؟ ﴿يَجِيءُ﴾ [قرأ نافع: تُجْبَى] بالتمام، أي: تُجْمَعُ إليه وتُحْمَلُ من [كل] النواحي الشمرات، ﴿وَزَقَا مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: مِنْ عِنْدِنَا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فكيف هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه. ومعنى الآية: إذا كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري، فكيف تخافون إذا عبّدتُموني وأستم بي؟ ثم خوفهم عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ قال الزجاج: «معيشتها» منصوبة بإسقاط «في»، والمعنى: بَطَرَتْ في معيشتها، والبطر: الطغيان في التعمّة. قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ لَوْ تَشْكُنْ مِنْ بَدْرٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون وماز الطريق يوماً أو ساعة، والمعنى: لم تُسْكِنْ من بعدهم إلا سُكُونًا قَلِيلًا ﴿وَكُنَّا عَنْ الزَّوْرَيْنِ﴾ أي: لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيت خراباً غير مسكونة.

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ٥٥/١، ولفظه: «لولا أن تُعيرني قريش، يقولون: إنما عمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك» وليس عند مسلم كلمة «نساء». وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، والترمذي، وابن أبي حاتم، وإن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً، ورواه البخاري في «صحيحه» ٣٨٩/٨، ومسلم في «صحيحه» ٥٤/١ بأطول منه باختلاف يسير في روايتهما: عن سعيد بن المسيب عن أبيه: قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: «أي هم قل لا إله إلا الله كلمة أسألك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليها ويُعيدانه تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فوالله لأستغفرن لك ما لم أله عهدة» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالزَّوْجِ مَأْنًى أَنْ يَسْتَفْتِرُوا لِلشُّرَكِيِّ...﴾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، واللفظ للبخاري. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) رواه الطبري ٩٤/٢٠، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٤/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) رواه الطبري ٩٤/٢٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١٣٤/٥، وزاد نسبه للنسائي، وابن المنذر. وذكر الحافظ ابن كثير عن رواية النسائي عن ابن أبي مليكة، قال: قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس، ولم يسمعه منه.

(٤) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» ولم ينسبه لمقاتل ولا غيره، بل ذكره بلفظ «وقيل». وذكره القرطبي عن ابن عباس، ولم يذكر من رواه عنه، والله أعلم.





قال المفسرون: خفيت عليهم الحجج، وسئيت أنباء، لأنها أخبار يُخبر بها. قال ابن قتيبة: والمعنى: عُمُوا عنها - من شدة الهول - فلم يُحيوا، والانباء هاهنا: الحجج.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجّة، قاله الضحاك. والثاني: أن المعنى: سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة، قاله الفراء. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه، حكاه الماوردي. ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشُّرك ﴿وَأَمَّنَ﴾ أي: صدّق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَتَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ و«عسى» من الله واجب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكَلَّىٰ عَنْهَا بِشُرُكِهِمْ ۗ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ﴾ ﴿وَعَرَفَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ روى العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: كانوا يجعلون لألهتهم خير أموالهم في الجاهلية. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿لَوْلَا زَوْجٌ هَذَا لَأُزْنِيَنَّ الْقَرَيْنَتَيْنِ عَظِيمَ﴾<sup>(١)</sup> [الزعرور: ٣١] والمعنى أنه لا تُبْعَثُ الرسل باختيارهم. قال الزجاج: والوقف الجيد على قوله: «ويختار» وتكون «ما» نفعياً؛ والمعنى: ليس لهم أن يختاروا على الله؛ ويجوز أن تكون «ما» بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة ممّا يتعبدون به ويدعونه إليه<sup>(٢)</sup>؛ قال الفراء: والعرب تقول لما تختاره: أعطني الخيرة والخيرة، قال ثعلب: كلها لغات.

قوله تعالى: ﴿مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تُخفي من الكفر والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بالسّهم. قوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [أي]: يَحْمَدُهُ أولياؤه في الدنيا وَيَحْمَدُونَهُ في الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ وهو الفصل بين الخلائق. والسُّرمد: الدائم.

﴿قُلْ أَوتَيْتُهُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝﴾ ﴿قُلْ أَوتَيْتُهُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِظُلُمٍ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ۝﴾ ﴿وَمَنْ ذَخِرَ مِنْكُمْ لِكُلِّ آيَةٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ وَلْيَذَرُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلْيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكِنُّ سُدُورُهُمْ ۝﴾ ﴿وَرَزَعْنَا مِنْ كُلِّ آثَرٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى؟ ومعنى ﴿تَسْمَعُونَ فِيهِ﴾: تستريحون من الحركة والنَّصب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة؟ ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه. وقوله: ﴿إِن تَشْكُرُوا فِيهِ﴾ يعني في الليل ﴿وَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ﴾ أي: لتلتمسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلْيَكْفُرُوا تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنعم عليكم بهما.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَعْنَا مِنْ كُلِّ آثَرٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: علموا أنه لا إله إلا هو ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من الشركاء.

﴿إِنَّ قُرْآنَكَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ قَبْلَهُمْ وَآيَاتُنَا مِنْ الْكُتُبِ مَا إِنَّ مَعَانِيَهُمْ لَنُتَوَّاهُ بِالْمُصْبَرِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِقِينَ ۝﴾

(١) ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ١٩٣ من رواية ابن المنذر عن قتادة، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وقد اختار ابن جرير أن «ما» هاهنا بمعنى الذي، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة، قال: وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً، فإن المقام في بيان أفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكَلَّىٰ عَنْهَا بِشُرُكِهِمْ﴾ أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً. اهـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَرْنَكَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: من عشيرته؛ وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ابن عمه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن الحارث، وإبراهيم، وابن جريج. والثاني: ابن خالته، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كان عمّ موسى، قاله ابن إسحاق<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «قارون» اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان «فاعولاً» من العربية من «قرنت الشيء» لانصرف.

قوله تعالى: ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه جعل لِيَنْفِي جُفْلًا على أن تقذف موسى بنفسها، ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها، فكان هذا بغية، قاله ابن عباس. والثاني: أنه بغى بالكفر بالله تعالى، قاله الضحاك. والثالث: بالكبر، قاله قتادة. والرابع: أنه زاد في طول ثيابه شبراً، قاله عطاء الخراساني، وشهر بن حوشب. والخامس: أنه كان يخدم فرعون فتعلّى على بني إسرائيل وظلمهم، حكاه الماوردي. وفي المراد بمفاته قوله: «أحدهما» أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب، قاله مجاهد، وقاتدة. وروى الأعمش عن خيشمة قال: كانت مفاتيح قارون وقر ستين بغلاً، وكانت من جلود، وكل مفتاح مثل الأصبع. والثاني: أنها خزائنه، قاله السدي، وأبو صالح، والضحاك. قال الزجاج: وهذا الأشبه أن تكون مفاته خزائن ماله؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة. قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنُوتَنَّ بِالْعُصْبَةِ﴾ أي: تُثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العُصْبَةُ، فلمّا دخلت الباء في «العُصْبَةُ» انفتحت التاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالَبَصَارِ، وهذا يَذْهَبُ الْبَصَارَ، وهذا اختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. وقال بعضهم: هذا من المقلوب، وتقديره: ما إن العُصْبَةُ لَتُنُوتَ بمفاته، كما يقال: إنها لَتُنُوتَ بها عجيزتها، أي: هي تُنُوتُ بعجيزتها، وأنشدوا:

فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَمَا أَلُوكَ إِلَّا مَا أَطِيقُ<sup>(٢)</sup>

أي: فديت بنفسي وبمالي نفسه، وهذا اختيار أبي عبيدة، والأخفش. وقد بيّنا معنى العُصْبَةُ في سورة (يوسف: ٨)، وفي [المراد بها] هاهنا] ستة أقوال: أحدها: أربعون رجلاً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهد. والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادة. والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالح. والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ في القائل له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون من قومه، قاله السدي. والثاني: أنه قول موسى له، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: لا تأشُرْ، ولا تَبْطُرْ، قال الشاعر:

وَلَسْتُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَسَازٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَحَوِّلِ<sup>(٣)</sup>

أي: لست بأشِيرٍ، فأما السرور، فليس بمكروه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبيدة: «الفارجين» [بالف].

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُغَ فِيمَا أَمَرْتُكَ اللَّهُ﴾ أي: اطلب فيما أعطاك الله من الأموال. وقرأ أبو المتوكل، وابن السميع: «واتبغ» بتشديد التاء وكسر الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة ﴿أَلَدَّارَ الْآخِرَةِ﴾ وهي: الجنة؛ وذلك يكون بإنفاقه في رضى الله تعالى وشكر المُنعم به ﴿وَلَا تَسْكُ نَفْسُكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يعمل في الدنيا للآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أن يُقَدِّمَ الفضل ويُمسك ما يُغْنِيه، قاله الحسن. والثالث: أن يستغني بالحلال عن الحرام، قاله قتادة. وفي معنى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال حكاه

(١) قال ابن كثير: قال ابن جريج: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم.

(٢) البيت في «مجاز القرآن» ٧٩/٢، و«الطبري» ١٠٨/٢٠.

(٣) البيت لهذهبة بن خَشْرَمَ المُدَرِّي، وهو في «غريب القرآن» ٣٣٥، و«البحر المحيط» ١٣٢/٧، و«القرطبي» ٣١٣/١٣، و«الكامل» ١٢٤٨/٣، و«عيون

الأخبار» ١٧٦/٢، ٢٨١، و«حاشية البحري» ١٢٠، و«حاشية ابن السجري» ١٣٧.



﴿تَسْتَفْتَانِيهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَضُرُّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ﴾ (١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ قَتَلُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِسُطِّ الرَّزْفِ لِمَنْ بَنَاهُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَكَانَتْ لَا تَبْلُغُ الْكَثِيرُونَ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿تَسْتَفْتَانِيهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ﴾ (١) لما أمر قارون البغيي بقذف موسى على ما سبق شرحه [القصة: ٤٧٦] غضب موسى فدعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فَمُرْهَا؛ فقال موسى: يا أرض! خذيه، فأخذته حتى غيبت سريره، فلما رأى ذلك ناشده بالرحم، فقال: خذيه، فأخذته حتى غيبت قدميه؛ فما زال يقول: خذيه، حتى غيبت، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ما أفطك، وعِزَّتِي وَجَلَالِي لو استغاث بي لأغثته (٣). قال ابن عباس: فحُصِفَتْ به الأرض إلى الأرض السفلى. وقال سُمُورَةُ بن جُنْدَب: إِنَّهُ يُخَسَفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ قَامَةً، فَيُتْبَلَغُ بِهِ الْأَرْضُ السُّفْلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٤). وقال مقاتل: فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل: إِنَّمَا أَهْلَكَهُ مُوسَى لِيَأْخُذَ مَالَهُ وَدَوَاهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بداره وماله بعده ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿يَضُرُّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ﴾ أي: من الممتنعين مما نزل به. ثم أعلمنا أن الممتنعين مكانه ندموا على ذلك التمني بالآية التي تلي هذه. وقوله: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ الاكثرون على ضم الخاء وكسر السين. وقرأ يعقوب، والوليد عن ابن عامر، وحفص، وأبان عن عاصم: بفتح الخاء والسين. فأما قوله: ﴿وَيْكَ﴾ فقال ابن عباس: معناه: ألم تر، وكذلك قال أبو عبيدة والكسائي وقال الفراء: ﴿وَيْكَ أَنْ﴾ في كلام العرب تقريظ، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه، أنشدني بعضهم:

وَيْكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ  
بَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْشَ عَيْشُ خُرْ

وقال ابن الأنباري: في قوله: ﴿وَيْكَ أَنَّهُ﴾ ثلاثة أوجه. إن شئت قلت: ﴿وَيْكَ﴾ حرف، و﴿أَنَّهُ﴾ حرف؛ والمعنى: ألم تر أَنَّهُ، والدليل على هذا قول الشاعر:

مَالَتَانِي الطَّلَاقُ أَنْ زَأْتَانِي  
وَيْكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ

والثاني: أن يكون ﴿وَيْكَ﴾ حرفاً، و﴿أَنَّهُ﴾ حرفاً. والمعنى: وملك أعلم أَنَّهُ، فحذفت اللام، كما قالوا: قم لا أباك، يريدون: لا أبالك، وأنشدوا:

أَبَاكَ زَيْدٌ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِي  
مُلَاقِي لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي (٥)

أراد: لا أبالك، فحذفت اللام. والثالث: أن يكون ﴿وَيْ﴾ حرفاً، و﴿كَأَنَّهُ﴾ حرفاً، فيكون معنى ﴿وَيْ﴾ التعجب، كما تقول: وَيٍّ لِمَ فعلت كذا وكذا، ويكون معنى ﴿كَأَنَّهُ﴾: أَظُنُّه وأعلمه، كما تقول في الكلام: كأنك بالفرج قد أقبِل؛ فمعناه: أَظُنُّ الْفَرْجَ مُقْبِلاً. وإنمعه وصلوا الياء بالكاف في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ لأنَّ الكلام بهما كُثِرَ، كما جعلوا ﴿يَتَوَكَّمُ﴾ في

مجلسك. قال: زهير بن أبي سلمى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ يعني بذلك: الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ما هداه الله من خير ما يراه على الصالحات لأعماله على المذات الدليل وشهواتها، فجعلوا في طاعة الله، ووفوا للحياة الدنيا. أحمد بن حنبل (١)

(١) وفي «صحيح البخاري» ٢٨١/٦ عن حماد بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمر بإزاره من الغيلة، غشبه به، فهو يتجمل في الأرض إلى يوم القيامة، وفي صحيح مسلم» ١٦٥٩/٣ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه قد أصعبته ثيابه، فحسفت له الأرض، فهو يتجمل فيها إلى يوم القيامة». أحمد بن حنبل (٢)

(٢) روى الطبري بنحو ١١٧/٢٠ وفي سننه رجل مجهول، وذكر نحوه السيوطي في «الدرة» مطولاً من رواية عبد الوزاق وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الحارث، ومختصره من رواية أحمد بن محمد في «الزهد» عن عوف بن عبد الله القارئ، والله أعلم. (٣) وذكر السيوطي في «الذرة» ١٣٨/٥ من روايته ابن أبي حاتم عن طريق قتادة عن سفيان بن عيينة عن أبي جاز في «الفتح»: «وروى الطبري في «الطريق» عن طريق سفيان بن أبي جازية عن قتادة قال: فكر لنا... فلزكره». (٤) البتان لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، وهما في «مجاز القرآن» ١١٢/٢، و«الطبري» ١٢٠/٢٠، و«الطبري» ٣١٨/١٣، و«سيرة» ٤٩٩/١، والبيت الثاني في «مشكل القرآن» ٤٨٨. وفي «الصالح» و«اللسان» و«التاج»: زيا، ونسبته فيها لزيد بن عمرو، أو لزيد بن الحجاج. (٥) البيت لأبي حنيفة التميمي، وهو في «الصالح» و«اللسان» و«التاج»: أي: يمشي في ثيابه إلى يوم القيامة.

(١) وفي «صحيح البخاري» ٢٨١/٦ عن حماد بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمر بإزاره من الغيلة، غشبه به، فهو يتجمل في الأرض إلى يوم القيامة، وفي صحيح مسلم» ١٦٥٩/٣ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه قد أصعبته ثيابه، فحسفت له الأرض، فهو يتجمل فيها إلى يوم القيامة». أحمد بن حنبل (٢)

المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان [طه: ١٩٤]. وكان جماعة منهم يعقوب، يقفون على «وَيْلَكَ» في الحرفين، ويتدوون «آن» وأتته في الموضوعين. وذكر الزجاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كَانَ»، وذلك أن القوم تندموا فقالوا: «وَيْ» متندمين على ما سلف منهم، وكلُّ مَنْ نَدِمَ فأظهر ندامته قال: وَيَّ. وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أنه قال: معنى «ويكأن»: رحمة لك، بلغة جُمَيْر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ مَنِ اللَّهِ عَلَيَّا﴾ أي: بالرحمة والمعافة والإيمان ﴿لَعَسَفَ بَنَّا﴾.

﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَعْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمَقْبَلَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْأَسَفَةِ فَلَا يَجْزِي النَّفْسَ عَمَلُهَا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ يعني الجنة ﴿بِمَعْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه البغي، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشَّرَفُ والعِزُّ، قاله الحسن. والثالث: الظُّلُم، قاله الضحاك. والرابع: الشُّرْك، قاله يحيى بن سلام. والخامس: الاستكبار عن الإيمان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ فيه قولان: أحدهما: العمل بالمعاصي، قاله عكرمة. والثاني: الدُّعَاءُ إلى غير عبادة الله قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَقْبَلَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: العاقبة المحمودة لهم.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قد فسره في سورة [النمل: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَجْزِي النَّفْسَ عَمَلُهَا السَّيِّئَاتِ﴾ يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إلا جزاء عملهم من الشُّرْك، وجزاؤه الثَّار.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّهِ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آلِهَتِ اللَّهِ بِمَدِّ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْوَحْيَ وَإِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ لَآ يَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْفَتْحُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ قال مقاتل: خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً، فمضى من وجهه إلى المدينة فصار في غير الطريق مخافة الظُّلُب؛ فلما أَمِنَ رجع إلى الطريق فنزل الجُحْفَةَ بين مكة والمدينة، فعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فأتاه جبريل فقال: اشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم؛ قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ إِلَى مَعَادٍ﴾، فنزلت هذه الآية بالجُحْفَةِ<sup>(٣)</sup>. وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فرض عليك العمل بالقرآن، قاله عطاء بن أبي رباح، وابن قتيبة. والثاني: أعطاك القرآن، قاله

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، ثم قال: وإذا كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمثروا مكان قارون وموضع من الدنيا بالأسس، يقولون لما عابوا ما أحل الله به من نعمته: ألم تر يا هذا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده فيؤسح عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه، كما كان يسطر من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يقول: ويضيئ على من يشاء من خلقه ذلك ويقر عليه لا لهوانه ولا لسخوط عمله. اهـ. وقد ضعف ابن جرير قول من قال: معناه: «ويك أعلم أن»، وقال ابن كثير: والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كهابتها في المصاحف مصلة «ويكأن» وقال: والكتابة أمر وضي اصطلاح، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن الدار الآخرة وتعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعبادة المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي: ترتعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبُّراً بهم، ولا فساداً فيهم. اهـ. وروى ابن جرير الطبري عن علي عليه السلام: قال: إن الرجل ليعجب من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله: ﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَعْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمَقْبَلَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾. اهـ. قال ابن كثير: وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاؤل على غيره، فإن ذلك ممنوم، كما ثبت في «الصحيح» من النبي ﷺ أنه قال: «إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب أن يكون رداي حسناً، ونعلي حسنة، أمنن الكثير ذلك؟ فقال: «لا، إن الله جميل يحب الجمال».

(٣) ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره» عن مقاتل أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٣٩/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك بنحوه. وقال ابن كثير بعد أن أورد رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكية، والله أعلم. اهـ.

مجاهد. والثالث: أنزل عليك القرآن، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة. وفي قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إلى مكة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية، والضحاك. قال ابن قتيبة: مَعَادُ الرَّجُل: بلده، لأنه يتصرف في البلاد ويتصرف في الأرض<sup>(١)</sup> ثم يعود إلى بلده. والثاني: إلى معادك من الجنة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن، والزهري. فإن اعترض على هذا فقيل: الرُّدُّ يقتضي أنه قد كان فيما رُدُّ إليه؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما كان أبوه آدم في الجنة ثم أخرج، كان كأنَّ ولده أخرج منها، فإذا دخلها فكأنه أعيد. والثاني: أنه دخلها ليلة المعراج، فإذا دخلها يوم القيامة كان ردًّا إليها، ذكرهما ابن جرير. والثالث: أن العرب تقول: رجع الأمر إلى كذا، وإن لم يكن له كَوْنٌ فيه قط، وأنشدوا:

[وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشُّهَابِ وَضُوئِهِ] يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ<sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَرْجِعُ الْأَمْوَرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. والثالث: لَرَأَدُكَ إِلَى الموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري<sup>(٤)</sup>. والرابع: لَرَأَدُكَ إِلَى القيامة بالبعث، قاله الحسن، والزهري، ومجاهد في رواية، والزجاج<sup>(٥)</sup>. ثم ابتداء كلاماً يَرُدُّ به على الكفار حين نسبوا النبي ﷺ إلى الضلال، فقال: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾؛ والمعنى: قد علم أنني جئت بالهدى، وأنكم في ضلال مبين. ثم ذكَّره نَعَمَهُ، فقال: ﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: أن تكون نبياً وأن يوحى إليك القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ قال الفراء: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن ربك رجحك فأنزله عليك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: عوناً لهم على دينهم، وذلك أنهم دَعَوْهُ إلى دين أبياته فأمر بالاحتراز منهم؛ والخطاب بهذا وأمثاله له، والمراد أهل دينه لئلا يظاهروا الكفار ولا يوافقوهم. قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا ما أريد به وجهه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الثوري. والثاني: إلا هو، قاله الضحاك، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وَالَّذِينَ يُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة<sup>(٦)</sup>.



(١) زيادة من مشكل القرآن.

(٢) رواه الطبري: ١٢٤/٢٠ وفي سنده ضعف.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في «ديوانه» ١٦٩، و«البحر» ٤٤٤/٨، و«اللسان» و«التاج»: حور.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عاتدك من الموت، أو إلى عاتدك حيث وُلِدْتَ. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وجه الجمع بين هذه الأقوال، أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءَ قَعْرُ اللَّهِ فَخُتُّهُ﴾ إلى آخر السورة: أنه أجل رسول الله ﷺ نعمي إليه، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ووافقه عمر على ذلك وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاء ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين: الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله، وأفضح خلق الله، وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ.

(٦) قال ابن جرير الطبري: واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم. اهـ.



## سورة العنكبوت

## فصل في نزولها

روى العوفي عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وقتادة، وعطاء، وجابر بن زيد، ومقاتل. وفي رواية عن ابن عباس أنها مدنية. وقال هبة الله [ابن سلامة] المفسر: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقها بالمدينة. وقال غيره عكس هذا: نزل العشر بالمدينة، وباقها بمكة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْزُكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۖ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَبُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْزُكَوْا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما أمر بالهجرة، كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكة أنه لا يُقْبَلُ منكم إسلامكم حتى تُهاجروا، فخرجوا نحو المدينة فأدركهم المشركون فردوهم، فأنزل الله ﷻ من أول هذه السورة عشر آيات، فكتبوا إليهم بخيرتهم بما نزل فيهم، فقالوا: نَخْرُجُ، فَإِنَّا نَبْعَثُ أَحَدَ قَاتِلِنَاهُ، فخرجوا فأتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم مَن قُتِلَ، ومنهم مَن نَجَا، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠]، هذا قول الحسن، والشعبي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله ﷻ، قاله عبد الله بن عُبيد بن عمير<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في مَهْجَعِ مولى عمر بن الخطاب حين قُتِلَ بيدر، فجزع عليه أبواه وامراته، فأنزل الله تعالى في أبويه وامراته هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكة، كعباش بن أبي ربيعة، وعمار بن ياسر، وسَلَمَةُ بن هشام، وغيرهم. قال الزجاج: لفظ الآية استخبار، ومعناه معنى التقرير والتوبيخ؛ والمعنى: أحسب الناس أن يَبْزُكَوْا بأن يقولوا: آمَنَّا، ولأن يقولوا: آمَنَّا، أي: أحسبوا أن يُفْتَنَ منهم بأن يقولوا: إِنَّا مُؤْمِنُونَ، فقط، ولا يُمْتَحَنُونَ بما يبين حقيقة إيمانهم ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: لا يُخْتَبَرُونَ بما يُعْلَمُ به صدق إيمانهم من كذبه. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: لا يُفْتَنُونَ في أنفسهم بالقتل والتعذيب، قاله مجاهد. والثاني: لا يُفْتَنُونَ بالأوامر والنواهي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فلَيُفْتِنَنَّ اللَّهُ الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاء إذا صبروا لقضائه، وَلَيُفْتِنَنَّ الكاذبين في إيمانهم إذا شكوا عند البلاء، قاله مقاتل. والثاني: فَلَيُمَيِّزَنَّ، لأنه [قد] عِلِمَ ذلك مِنْ قَبْلِ، قاله أبو عبيدة. والثالث: فَلَيُظْهِرَنَّ ذلك حتى يوجد معلوماً، حكاه الثعلبي<sup>(٤)</sup>. وقرأ علي بن أبي طالب، وجعفر بن محمد: ﴿فَلَيُعْلِمَنَّ اللَّهُ﴾ و﴿لَيُعْلِمَنَّ الكاذبين﴾ و﴿لَيُعْلِمَنَّ اللَّهُ الذين آمنوا وَلَيُعْلِمَنَّ المنافقين﴾ [العنكبوت: ١١] بضم الياء وكسر اللام.

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٢٩/٢٠ عن الشعبي، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٤١/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الشعبي.

(٢) «الطبري» ١٢٩/٢٠، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٤١/٥، وزاد نسبه لابن سعد، وابن أبي حاتم، وابن عساکر.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٥ عن مقاتله، بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٢٧: ذكره الثعلبي عن مقاتل، قال: وسنده إلى مقاتل في أول كلامه.

(٤) قال ابن كثير: ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا يد أن يبلي عباده المؤمنين بحسب ما غلبهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «لَيْسَ لِلنَّاسِ بَلَاءٌ إِلَّا أَنْبَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْلُ فَلِأَمْلٍ، لِيَبْلَى الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلاَةٌ زِيدَ لَهُ فِي الْبَلَاءِ»، قال: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِذْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُخَلَّوْا بِالْحَيَّةِ وَكَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ جَاهَلْتُمْ بِمَا رَزَقْتُمُ النَّبِيِّينَ﴾ قال: ومثله في سورة «بؤساء». وقال في سورة «البقرة»: ﴿ثُمَّ نَبَيُّنَا أَنْ تُخَلَّوْا بِالْحَيَّةِ وَكَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ جَاهَلْتُمْ بِمَا رَزَقْتُمُ النَّبِيِّينَ﴾ قال: ومثله في سورة «بؤساء». وقال في سورة «البقرة»: ﴿ثُمَّ نَبَيُّنَا أَنْ تُخَلَّوْا بِالْحَيَّةِ وَكَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ جَاهَلْتُمْ بِمَا رَزَقْتُمُ النَّبِيِّينَ﴾ قال: ومثله في سورة «بؤساء».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَبِيبٌ﴾ أي: أَيَحْسَبُ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ السَّيِّئَاتِ يعني الشُّركَ ﴿إِنْ يَسْتَفِئُونَ﴾ أي: يَفُوتُونَا وَيُفْجِزُونَا ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بش ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك. قال ابن عباس: عنى بهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وغيرهم.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ قد شرحناه في آخر (الكهف) ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ يعني الأجل المضروب للبعث؛ والمعنى: فليعمل لذلك اليوم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعمل. ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إن ثوابه إليه يرجع.

قوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لَنُبْطِلَنَّهَا حَتَّى تَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم، وهو الطاعة، ولا نجزيهم بمساوئ أعمالهم.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكَمْ فَآذِنُكَ بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: وعاصم الجحدري: «إحساناً» بالف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: «حسناً» بفتح الحاء والسين. روى أبو عثمان التَّهْدِي عن سعد بن أبي وقاص، قال: في أنزلت هذه الآية، كنت رجلاً بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا سَعْدُ مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ، لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا أَكُلْ وَلَا أَشْرَبْ حَتَّى أَمُوتَ فَتُغَيَّرَ بِي فَيَقَالَ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ، قُلْتُ: لَا تَغْلِي يَا أُمُّهُ، إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ، قَالَ: فَمَكَّثْتُ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَا أَتَاكُلُ، فَاصْبَحْتُ قَدْ جُهِدْتُ، ثُمَّ مَكَّثْتُ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَا أَتَاكُلُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا أُمُّهُ لَوْ كَانَتْ لِي مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجْتُ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ، فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا أَتَاكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ، فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>. وقيل: لَهَا نَزَلَتْ فِي عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَقَدْ جَرَى لَهُ مَعَهُ نَحْوُ هَذَا<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَالَّتِي فِي [القمان: ١٥] وَفِي [الأحقاف: ١٥] نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ سَعْدٍ<sup>(٣)</sup>. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَرَأَ: «حُسْنًا» فَمَعْنَاهُ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ بِوَالِدَيْهِ مَا يَحْسُنُ، وَمَنْ قَرَأَ: «إِحْسَانًا» فَمَعْنَاهُ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى وَالِدَيْهِ، وَكَانَ «حُسْنًا» أَعْمٌ فِي الْبَرِّ. ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مُجَازٌ هَذَا الْكَلَامُ مُجَازُ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي فِيهِ ضَمِيرٌ، وَالْمَعْنَى: وَقُلْنَا لَهُ: وَإِنْ جَاهَدَاكَ.

قوله تعالى: ﴿لَتُشْرِكَ بِي﴾ معناه: لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي وليس لأحد بذلك علم، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ مِقَاتِلُ: «فِي» بِمَعْنَى «مَعَ».

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ اللَّهُ وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ يَقُولُ إِنَّ كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٣﴾

قال: ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ يَنْ يَقِيمُ لَنَلْتَمِذَ اللَّهُ الْبَرِّ صَدَقُوا وَلَكِنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup> أي: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ مِمَّنْ هُوَ كَاتِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعَا. وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أُمَّةِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ. اهـ.

(١) رَوَاهُ بِهَذَا السِّيَاقِ الْوَاحِدِي فِي «أَسْبَابِ الزُّلُمِ» ١٩٥ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عُمَانَ التَّهْدِي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سُورَةِ [القمان] مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيِّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ١٦٥/٥ فِي سُورَةِ [القمان] زَادَ نِسْبَتَهُ لِأَبِي يَعْلَى، وَابْنُ مَرْدُودٍ، وَابْنُ عَسَاكِرَ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَتَّى تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ [المنكبات] ١٥٠/٢ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: أَنْزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ، فَذَكَرَ قِصَّتَهُ، وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبَرِّ، وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ، قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَمُوهَا شَجَرُوا فَاها، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي...﴾ الْآيَةُ. وَمَعْنَى: شَجَرُوا فَاها: فَتَحَوْهَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ بَيْهَقِيُّ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتَّسَانِي.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكُشَافِ» ٤٧: ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا الْعَلَمِيُّ بِدُونِ سَنَدٍ، وَالوَاحِدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَالتَّبْرِيْ عَنْ السَّيِّدِ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكُشَافِ» ١٢٧: ذَكَرَهُ الرَّاهِدِيُّ، وَالتَّعَلُمِيُّ، وَالرَّاهِدِيُّ هَكَذَا بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَالْقِصَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ. اهـ. يَعْنِي بِهِ الْحَدِيثُ الَّذِي تَقَدَّمَ: أَنْزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ...

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ اختفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في قوم كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتوا، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. والثالث: نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أودوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الشرك، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة، وذلك قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجزعت أمه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام - وهما أخواه لأمه -: والله لا أوي بيتاً ولا أكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تأتياي به، فخرجا في طلبه فظفرا به، فلم يزايا به حتى تابعهما وجاءا به إليها، فقيدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، ثم أقبلت تجلبد بالسياط وتعذبه حتى كفر بمحمد ﷺ جَزَعاً من الضَرْب، فنزلت [فيه] هذه الآية، ثم هاجر بَعْدُ وحَسُنَ إسلامه، هذا قول ابن السائب، ومقاتل. وفي رواية عن مقاتل أنهما جلداه في الطريق مائتي جلدة، فنبأ من دين محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَرَدَىٰ فِي اللَّهِ﴾ أي: ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدنيا ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الآخرة، وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لما يرجو من ثوابه<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَكِنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني دولة للمؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم، فكذبهم الله ﷻ وقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْكَافِرِينَ﴾ من الإيمان والنفاق. وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِن خَطَايَهُمْ بَيْنَ شِعْرِ إِيْمَانِهِمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ يعنون: ديننا. قال مجاهد: هذا قول كفار قريش لمن آمن من أهل مكة، قالوا لهم: لا بُعَثَ نحن ولا أنتم فاتَّبِعُونَا، فإن كان عليكم شيء فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ قال الزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، يعني: إن اتَّبِعْتُمْ سَبِيلَنَا حملنا خطاياكم. وقال الأخفش: كأنهم أمروا أنفسهم بذلك. وقرأ الحسن: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ بكسر اللام. قال ابن قتيبة: الواو زائدة، والمعنى: لنحمل خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما ضمنوا من حمل خطاياهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزار أنفسهم ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي: أوزاراً مع أوزارهم، وهي أوزار الذين أضلُّوهم، وهذا كقوله: ﴿لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ كَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: أوزار الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿النحل: ٢٥﴾ ﴿وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب على الله ﷻ، وقال مقاتل: عن قولهم: نحن الكفلاء بكل بُعْثَة تصيبكم من الله ﷻ.

(١) ذكره الواحدي بدون سند ١٩٦، وهو في «الطبري» بأطول منه ١٣٣/٢٠ عن عكرمة عن ابن عباس مستنداً، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» بنحو رواية الطبري ٢٠٥/٢، وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٣٢/٢٠، وذكره السيوطي في «الدرة» ١٤٢/٥، وزاد نسبة للقرطبي، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «الطبري» ١٣٢/٢٠.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤٧: ذكر القصة بطولها الثعلبي بدون سند، والواحدي عن ابن الكلبي، ورواها الطبري من طريق أسباب عن السدي بتغيير يسير ولم يسم الحارث، فقال: ومعه رجل من بني عامر.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بالسنتهم ولم يثبت في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتضدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أَرَدَىٰ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ ثم قال: قال ابن عباس: يعني فتنة أن يرتد عن دينه إذا أودى في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف. اهـ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّئِذْ فَتَنَّا وَتَبَدَّلْنَا بِآيَةِ الْفَلَكِ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك، فإنهم وإن أمهلوا، فقد أمهل قوم نوح أكثر ثم أخذوا.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ اختلفوا في عمر نوح على خمسة أقوال: أحدها: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهرا عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عُمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار. والثالث: أنه بُعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عون بن أبي شداد<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، [ودعاهم ثلاثمائة سنة]<sup>(٣)</sup> ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: بُعث لخمسين سنة. والخامس: أن هذه الآية بيّنت مقدار عُمره كُلِّه، حكاه الماوردي<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، فهلاً قال: تسعمائة وخمسين؟ فالجواب: أن المراد به تكثير العدد، وذكر الألف أفخم في اللفظ، وأعظم للعدد. قال الزجاج: تأويل الاستثناء في كلام العرب: التوكيد، تقول: جاءني إختوك إلا زيدا، فتؤكد أن الجماعة جاؤا، وتنقص زيدا. واستثناء نصف الشيء قبيح جداً لا تتكلم به العرب، وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان، تقول: عندي درهم يتقص قيراطاً، فلو قلت: يتقص نصفه، كان الأولى أن تقول: عندي نصف درهم، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليل من كثير.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الموت، روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ قال: «الموت»<sup>(٦)</sup>. والثاني: المطر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقتادة. قال ابن قتيبة: هو المطر الشديد. والثالث: الغرق، قاله الضحاك. قال الزجاج: الطوفان من كل شيء: ما كان كثيراً مطيافاً بالجماعة كلها، فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة: طوفان، وكذلك القتل الذريع، والموت الجارف: طوفان.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني السفينة، قال قتادة: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي. قال أبو سليمان الدمشقي: وجاز أن يكون أراد: الفعلة التي فعلها بهم من الغرق ﴿هَآئِهِ﴾، أي عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [بعدهم].

﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا مَنَعْتُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلَعُونَ عَنْكَ إِلَى اللَّهِ مَنَعْتُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ رَيْفًا فَلَمَّا بَلَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الْوَزْنَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلْغُ الْأَمِيرُ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا﴾ قال الزجاج: هو معطوف على نوح، والمعنى: أرسلنا إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني عبادة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم

(١) قال السيوطي في «الدرر» ١٤٣/٥: أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

(٢) قال ابن كثير من هذا القول: غريب رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

(٣) زيادة من تفسير ابن كثير.

(٤) قال ابن كثير: وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٥) قال ابن كثير: وقول ابن عباس أقرب، والله أعلم اهـ. يريد به القول الأول هنا.

(٦) رواه الطبري: ٥١/١٣، وفي سننه المنهال بن خليفة العجلي، وهو ضعيف، وفيه الحجاج بن أرقط، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، والحديث ذكره ابن كثير ٢٤٠/٢ من رواية ابن مردويه بنحوه، وقال عنه: حديث غريب. اهـ.

مما هو شر لكم؛ والمعنى: ولكنكم لا تعلمون. ﴿إِنَّمَا تَقْبَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ قال الفراء: «إنما» في هذا الموضع حرف واحد، وليست على معنى «الذي»، وقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مردود على «إنما»، كقولك: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مقاتل: الأوثان: الأصنام. قال ابن قتيبة: واحدها وثن، وهو ما كان من حجارة أو حصص.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل: «وتختلقون» بزيادة تاء. ثم فيه قولان: أحدهما: تختلقون كذباً في زعمكم أنها آلهة. والثاني: تصنعون الأصنام<sup>(١)</sup>؛ والمعنى: تعبدون أصناماً أنتم تصنعونها. ثم بين عجزهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يقدرُونَ على أن يرزقوكم ﴿فَاقْبَلُوا بِعِندِ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: فاطلبوا من الله، فإنه القادر على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْذِبُوا﴾ هذا تهديد لقريش ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَدِينَةِ بِلَايَةِ اللَّهِ وَبِلَايَةِ النَّبِيِّ﴾ والمعنى: فأهلكوا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِرَةِ اللَّهِ وَلَعَابِهِ أُولَئِكَ يُسَوِّرُ لَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «يَرَوْنَ»] بالياء وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء. [وعن عاصم كالفراءتين]. وعنى بالكلام كنفار مكة ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلقهم ابتداء من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة إلى أن يتم الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: ثم هو يعيده في الآخرة عند البعث. وقال أبو عبيدة: مجازة: أو لم يروا كيف استأنف الله الخلق الأول ثم يعيده. وفيه لفتان: أبداً وأعاد، وكان مُبدئاً ومُعيداً، وبدأ وعاد، وكان بادئاً وعائداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني الخلق الأول والخلق الثاني.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انظروا إلى المخلوقات التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غير الله، فإذا علموا أنه لا خالق لهم سواه، لزمهم الحجة في الإعادة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: ثم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى. وأكثر القراء قروا: «النشأة» بتسكين الشين وترك المد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «النشأة» بالمد.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه في الآخرة بعد إنشائهم. والثاني: أنه في الدنيا. ثم فيه خمسة أقوال حكاهما الماوردي: أحدها: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة. والثاني: يعذب بسوء الخلق ويرحم بحسن الخلق. والثالث: يعذب بمتابعة البدعة، ويرحم بملزمة السنة. والرابع: يعذب بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم بالإعراض عنها. والخامس: يعذب من يشاء بغيض الناس له، ويرحم من يشاء بحب الناس له.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَقُولُونَ﴾ أي: تُرذِّلون. ﴿وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان حكاهما الزجاج: أحدهما: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أهل السماء بمعجزين في السماء. والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا لو كنتم في السماء. وقال قطرب: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطاب لكفار مكة؛ والمعنى: لا تسبقون الله حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة. ﴿وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: قريب ينفعكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعكم من الله.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِرَةِ اللَّهِ وَلَعَابِهِ﴾ أي: بالقرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يُسَوِّرُ لَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الرحمة قولان: أحدهما: الجنة، قاله مقاتل. والثاني: العفو والمغفرة، قاله أبو سليمان. قال ابن جرير: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك قول من قال: معناه: وتصنعون كذباً.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ يَتَذَكَّرُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٦﴾

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ أي: حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيان لسفه أحلامهم حين قابلوا احتجاجه عليهم بهذا. قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ﴾ المعنى: فحرّقه فأنجاه الله ﴿مِنْ النَّارِ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ يشير إلى إنجائه إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» بالرفع والإضافة. قال الزجاج: «مَوَدَّة» مرفوعة بإضمار «هي»، كأنه قال: تلك مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ، أي: ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ؛ والمعنى: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ لِتَتَوَادُّوا بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذي. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وابن أبي عملة: «مَوَدَّة» بالرفع «بَيْنِكُمْ» بالنصب. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» قال أبو علي: المعنى: اتَّخَذْتُمْ الْأَصْنَامَ لِلْمَوَدَّةِ، و«بَيْنِكُمْ» نصب على الظرف، والعامل فيه المودة. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» بنصب «مَوَدَّة» مع الإضافة، وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسماً لما أضيف إليه. قال المفسرون: معنى الكلام: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُوهَا لِتَتَّصِلَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمْ وَاللِّفَاءُ وَالاجْتِمَاعُ عِنْدَهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرأ القادة من الاتباع ﴿وَيَتَلَمَّزُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الاتباع القادة لأنهم زَيَّنُوا لَهُمُ الْكُفْرَ.

﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَرِيظُ الْمَحِيذُ﴾ (١٧) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَرَأَيْنَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٨﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِي فَلَا تُفْسِدُوا دِيَارَكُمْ فَاتَّوَفَّاكُم مِمَّا كَانْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَتَقَطَّعُوا السَّبِيلَ وَتَأْتُواكُم بِنَارِكُمْ الْيَوْمَ فَكَيْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي: صدّق بإبراهيم ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى رضا ربّي. والثاني: إلى حيث أمرني ربّي، فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلّا مِنْ صُلْبِهِ ﴿وَرَأَيْنَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الذُّكْرُ الْحَسَنُ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الثناء الحسن والولد الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: العافية والعمل الحسن والثناء، فلست تلقى أحداً من أهل الجبل إلّا يتولّاه، قاله قتادة، والرابع: أنه أرى مكانه من الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ قد سبق بيانه [البقرة: ١٣٠] قال ابن جرير: له هناك جزاء الصالحين غير منقوص من الآخرة بما أعطى في الدنيا من الأجر. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ٨٠] إلى قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا السَّبِيلَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بِهِمْ لِعَمَلِهِمُ الْخِيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة، فيقطعون سبيل المسافر، قاله مقاتل. والثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُواكُم بِنَارِكُمُ الْمُتَكَبِّرَ﴾ قال ابن قتيبة: النادي: المجلس، والمتكبر يجمع الفواحش من القول والفعل. وللمفسرين في المراد بهذا المتكبر أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذلك المنكر، روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله ﷺ (١). وقال عكرمة، والسدي: كانوا يَحْذِفُونَ كُلَّ

(١) رواه أحمد في «المستدرك» ٣٤١/٦، «الطبري» ١٤٥/٢٠، «الترمذي» ١٥٠/٢ وحسنه، وأورده السيوطي في «الدر» ١٤٤/٥، وزاد نسبه للفرغاني، =



مَنْ مَرَّ بِهِمْ. والثاني: لَفَّ القميص على اليد، وجُرَّ الإزار، وحُلَّ الأزار، والحذف والرمي بالبندق، ولعب الحمام، والصَّفير، في خصال أخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس. والثالث: أنه الضُّراط، رواه عروة عن عائشة، وكذلك فسره القاسم بن محمد. والرابع: أنه إتيان الرجال في مجالسهم، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد<sup>(١)</sup>. وهذه الآية [تدل] على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله ﷻ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ أي: بتصديق قولي في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ١٦ ﴿قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْقُدْرَةِ ١٧ ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتًّا بِهِمْ وَصَافٍ بِهِمْ ذُرِّيًّا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْقُدْرَةِ ١٨ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَيْكَ آهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ يَحْزَنُ بِنْتَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١٩ ﴿وَلَقَدْ رُكِّنَّا بِهِمَا وَابَّةً يَنْتَهُ لِقَوْمٍ يُعَذِّبُونَ ٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية لوط.

قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «لَنُنَجِّيَنَّهُ» وإِنَّا مُنْجِيُكَ بتشديد الحرفين، وخُفِّفَها حمزة، والكسائي. وروى أبو بكر عن عاصم «لَنُنَجِّيَنَّهُ» مشددة، وإِنَّا مُنْجِيُكَ مخففة ساكنة النون. وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره (عود: ٧٧) إلى قوله: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَيْكَ آهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ يَحْزَنُ﴾ وهو الخضب والخسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رُكِّنَّا بِهِمَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الفعلة التي فعل بهم؛ فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمة، قاله قتادة. والثاني: الماء الأسود على وجه الأرض، قاله مجاهد. والثالث: الخبر عما صنع بهم. والثاني: أنها القرية؛ فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آثار منازلهم الحرة، قاله ابن عباس. والثاني: أن الآية في قريبهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقفها أسفلها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن المعنى: تركناها آية، تقول: إن في السماء آية، تريد أنها هي الآية، قاله الفراء.

﴿وَلَمَّا مَنَّكَ لَأَهْلَهُمْ شَيْئًا فَقَالَ بَنُوهُمْ اقْبِلُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَمَوَّا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٢١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَخَذَقْتُمْ الرَّحِيقَةَ فَأَمْسَكُوا فِي دَارِهِمْ جُنُودًا ٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قال المفسرون: اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسَاجِدِهِمْ وَرَزَقَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْلَتَهُمْ فَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْعِينَ ٢٣﴾ وَفُتِنُوا وَفُتِنُوا وَقَفِنَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثَمُودُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِكِينَ ٢٤﴾ تَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ حَاصِبٍ وَمِنْهُمْ مَنُ اتَّخَذَ الصَّيْحَةَ مَثَلًا فَمِنْ أَفْئِدَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ مَنُ اخْتَفَا وَمَا كَانَتْ أَلْفُ لَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأهلكتنا عادًا وثمودًا، لأن قبل هذا ﴿فَخَذَقْتُمْ الرَّحِيقَةَ﴾

= وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في كتاب «السمت»، وابن المنذر، والشاشي في «مسنده»، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساکر، عن أم هانئ بنت أبي طالب ؓ. وفي «المسنده» والترمذي «يفخذون»، بالخاء المعجمة، وكذلك هو في «الدر»، وفي الأصل «يفخذون» بالخاء المعجمة، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، والحذف - بالخاء المعجمة - رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبائك وترمي بها، أو تتخذ يخذقة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحذف - بالخاء المعجمة - وقال عنه: «إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو، وإنه يفتك العين ويكسر السر» متفق عليه.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتخذون في مجالسكم المأثرة بكم، وتسفرون منهم، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ. اهـ. يريد به حديث أم هانئ.

(٢) في النسخة الاستنبولية: ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب.



قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَوَكَّلْتُ لَكُمْ مِنْ مَسْكِينِهِمْ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالجحاز اليمن آية في هلاكهم، ﴿وَكَاثُرًا مُتَبَصِّرِينَ﴾ قال الفراء: أي: ذوي بصائر. وقال الزجاج: أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم. وقال غيره: كانوا عند أنفسهم مستبصرين، يظنون أنهم على حق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا بِفَيْتَةٍ﴾ أي: ما كانوا يفوتون الله أن يفعل بهم ما يريد.

قوله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُودِهِمْ﴾ أي: عاقبتنا بتكذيبه ﴿فَيَنْهَمُ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاسِبًا﴾ يعني قوم لوط ﴿وَيَنْهَمُ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثموداً وقوم شعيب ﴿وَيَنْهَمُ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿وَيَنْهَمُ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكْهَرِ أَخَذَتْ يَتَا وَانْ أَوْهَى الْبُيُوتِ لَيْتَ الْفَكْهَرِ لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ (١) إِنَّ اللَّهَ يَسْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا الْأُمْتَلُ نَصْرِيكَ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْمَلُهَا إِلَّا الْعَمَلُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ﴾ يعني الأصنام يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها، فمثلهم في ضعف احتياهم ﴿كَمَثَلِ الْفَكْهَرِ أَخَذَتْ يَتَا﴾ (١) قال ثعلب: والعنكبوت أنثى، وقد يذكرها بعض العرب، قال الشاعر:

[على مَطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ] كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْنَتَاهَا (٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هو عالم بما عبده من دونه، لا يخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم. ﴿وَقَالُوا الْأُمْتَلُ﴾ يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار؛ وقيل: «تلك» بمعنى «هذه»، و«الأمثلون»: الذين يعقلون عن الله ﷻ.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَكُونَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (٣) فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ أَتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَكُونَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق، ولإظهار الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ في المراد بالصلاة قولان: أحدهما: أنها الصلاة المعروفة، قاله الأكثرون. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا» (٣). والثاني: أنَّ المراد بالصلاة: القرآن، قاله ابن عمر؛ ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق [البقرة: ١٦٨، النحل: ٩٠]. وفي معنى هذه الآية

(١) قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويمسكون بهم في الشداد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه يتمسك بالبررة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها. اهـ.

(٢) البيت غير منسوب في «مجمع البيان» ٣٦٣/٢٠، والبحر المحيط ١٥٢/٧، وروح البيان ١٤٠/٢٠، واللسان والتاج: عنكب. قال في «التاج»: هكّال: جبل.

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وهو حديث ضعيف، من أجل ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه الطبري من رواية ابن عباس موقوفاً عليه، ومن رواية ابن مسعود موقوفاً عليه أيضاً، وهو الصواب. قال ابن كثير: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقناة، والأعمش، وغيرهم. اهـ. فالحديث إذن ضعيف السند في المرفوع. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه: هذا الحديث ليس بثابت عن النبي ﷺ، لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بعداً، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله من أن كان فاسقاً. اهـ. فكانه ما يشير إلى تضعيفه عنه أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما قيل له: إن فلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال: «سبّاه ما تقول» أو قال: «استمته» صلواته رواه أحمد، والزار، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح. يريد عليه الصلاة والسلام أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل، تنهى صاحبها عن الفحشاء، ولا تزيد بعداً، بل تزيد قرباً منه.

للعلماء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسان إذا أدّى الصلاة كما ينبغي وتدبّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاء والمنكر، هذا مقتضاها وموجبها. والثاني: أنها تنهاه ما دام فيها. والثالث: أن المعنى: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر.

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ولذِكْرُ الله إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثاني: ولذِكْرُ الله أَفْضَلُ من كل شيء سواه وهذا مذهب أبي الدرداء، وسلمان، وقناة. والثالث: ولذِكْرُ الله في الصلاة أَكْبَرُ ممَّا نهاك عنه من الفحشاء والمنكر، قاله عبد الله بن عون. والرابع: ولذِكْرُ الله العبد - ما كان في صلاته - أَكْبَرُ من ذِكْرِ العبد لله، قاله ابن قتيبة.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَلَهُنَّ وَلَهُمْ رِجْدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في التي هي أحسن ثلاثة أقوال: أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها الكف عنهم إذا بدلوا الجزية، فإن أبوا قوتلوا، قاله مجاهد. والثالث: أنها القرآن والدُّعاء إلى الله بالآيات والحجج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين نصبوا الحرب وأبوا أن يؤدوا الجزية، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يُسَلِّمُوا أو يُعْطُوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لِمَنْ أَدَّى الجزية منهم إذا أخبركم بشيء ممَّا في كتبهم ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]. وقد روى أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]<sup>(٢)</sup>.

### فصل

واختلف في نسخ هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نسخت بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادة، والكلبي. والثاني: أنها ثابتة الحكم، وهو مذهب ابن زيد.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَنفَرُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَقْلَمُ بِحِسَابٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي سُدُورٍ أَوْفَرًا أَلَمْرَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

(١) ذكره السيوطي في «الدرة» ١٤٦/٥ من رواية ابن السني، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، والله أعلم. وذكر الطبري هذا المعنى في «التفسير» من قول ابن عباس. قال ابن كثير: وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، وروي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وغيرهم، واختاره ابن جرير. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١٢٩/٨. قال ابن كثير: إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه، فهنا لا نقدم على تكذيبه، لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه، فلمله أن يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً مجعلاً معلقاً على شرط، وهو أن يكون منزلاً، لا مبدلاً ولا مؤولاً. وقال أيضاً: ثم ليُعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً. اهـ. وقال ابن كثير: قال البخاري عن ابن عباس: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتبكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يُسَبَّ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب يُلَوُّوا ويغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم من مسالمتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. وقال ابن كثير أيضاً: قال البخاري: وقال أبو البیان: أخبرنا شبيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلاً من قريش بالمدينة وذكر كتب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحذنين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبول عليه الكذب، قال ابن كثير: معناه: أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الفن، وفيها أشياء موضوعة، ومكذوبة، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون بهذه الأمة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلمها إلا الله ﷻ، ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كل بحسبه، والله الحمد والمنة. اهـ.

يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وهم الذين أسلموا ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَتَابِعَتَنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ قال قتادة: إنما يكون الجحد بعد المعرفة. قال مقاتل: وهم اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشَاءُونَ مِنْ كِتَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: ما كنت تقرأ قبله كتاباً، و«مين» زائدة. فاما الهاء في «قِيلَ» فهي عائدة إلى القرآن. والمعنى: ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كتاباً، وهكذا كانت صفته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن الذي جاء به من عند الله تعالى. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَأَرْثَابُ السُّبُلُونَ﴾ أي: لو كنت قارئاً كتاباً لشك اليهود فيك، ولقالوا: ليست هذه صفته في كتابنا. والمُبطلون: الذين يأتون بالباطل، وفيهم هاهنا قولان: أحدهما: كفار قريش، قاله مجاهد. والثاني: كفار اليهود، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ آيَاتٌ يَبْسُتُونَ﴾ في المكي عنه قولان: أحدهما: أنه النبي محمد ﷺ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: بل وجدنا أهل الكتاب في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أمي، آيات يثبتون في صدورهم، وهذا مذهب ابن عباس، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أن المعنى: بل محمد ذو آيات يثبت في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته، قاله قتادة. والثاني: أنه القرآن، والذين أوتوا العلم: المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده. وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء، وهذا قول الحسن. وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: كفار اليهود، قاله مقاتل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْمَكِّينَ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْفُرْقَانِ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴿٥٣﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «آيات» على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آية» على التوحيد، وإنما أرادوا: كآيات الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو القادر على إرسالها، وليست بيدي. وزعم بعض علماء التنجيس أن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ منسوخ بآية السيف. ثم بين الله ﷻ أن القرآن يكفي من الآيات التي سألوها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ ١٩ وذكر يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتب قد كتبوها، فيها بعض ما يقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: «كفى بها حمالة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاء به نبئهم إلى قوم غيرهم»، فترلت: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آخر الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما كذبوا بالقرآن نزلت: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد لي أنني رسوله، ويشهد عليكم بالكذب، وشهادة الله له: إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه، ﴿وَاللَّيْلِ مَا يَهْجُو﴾ قال ابن عباس: بغير الله. وقال مقاتل: بعبادة الشيطان.

(١) قال ابن كثير: ومن زعم من متأخري الفقهاء، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، وإنما حمله على ذلك رواية في «صحيح البخاري»: «ثم أخذ فكتب»، وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب»، ولهذا اشدت الكثير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال يقول الباجي، وتبرؤوا منه. ثم قال ابن كثير: وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة، فضعف لا أصل له. اهـ.

(٢) روى الطبري ٧/٢١، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٢٨: رواه الطبري، وأبو داود في «المراسيل» من طريق يحيى بن جعدة. وقال ابن حجر في «التقريب» عن جعدة: ثقة وقد أرسل عن ابن مسعود بنحوه. وذكر هذا الخبر السيوطي في «الدر» ١٤٨/٥، وزاد نسبتَه للدارمي، وابن المنذر. وابن أبي حاتم، عن يحيى بن جعدة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدر» أيضاً من رواية الإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه من طريق يحيى بن جعدة عن أبي هريرة ﷺ بنحوه.

﴿وَيَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّكَ بِنَتْنَةٍ لَّمْ يَشْكُرُوا ۖ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ۝٥٣﴾ يَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّكَ بِنَتْنَةٍ لَّمْ يَشْكُرُوا ۖ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ۝٥٣ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَنْفُثُ الْمُوتِرُ رِيحَ الْوَيْحِ وَأَرْجِلُهُمْ خَبَرٌ ۚ وَنُفُثَ دُورُهُمْ ۚ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأَمْلِئْ عَلَيْنَا حِجَاوَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] (١).

وفي [الأجل] المسمى أربعة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أجل الحياة إلى حين الموت، وأجل الموت إلى حين البعث، قاله قتادة. والثالث: مدة أعمارهم، قاله الضحاك. والرابع: يوم بدر، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَأْتِيَنَّكَ﴾ يعني العذاب. وقرأ معاذ القاري، وأبو نهيك، وابن أبي عبله: «وَلَيَأْتِيَنَّكَ» بالياء «بِنَتْنَةٍ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ» بإتيانه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُ الْعَذَابُ﴾ أي: جامعة لهم.

قوله تعالى: ﴿وَنُفُثَ دُورُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير: بالنون. وقرأ نافع: بالياء. فمن قرأ بالياء، أراد الملك الموكل بعذابهم؛ ومن قرأ بالنون، فلأن ذلك لما كان بأمر الله تعالى جاز أن يُنسب إليه. ومعنى «مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاء ما عملتم من الكفر والتكذيب.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَبِعَدَّتِي فَإِنِّي فَاعِيْدُهُمْ ۝٥٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا يُجْرُونَ مِنْ حَتَّىٰ إِذَا أَفْتَحْنَا خِلَافِيْنَ فِيْهَا يَنصُرُ أَجْرُ الصَّالِحِيْنَ ۝٥٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَّاكِرَةٍ لَّا خَمَلٌ يَرْزُقُهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِنْ شَاءَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «يا عبادي» بتحريك الياء. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بإسكانها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَبِعَدَّتِي﴾ وقرأ ابن عامر وحده: «أرضي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب لِمَنْ آمَنَ [أي: أهل مكة، قيل لهم: «إن أرضي» يعني المدينة «واسعة»، فلا تجاوروا الظلمة في أرض مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال مقاتل: نزلت في ضُعفاء مُسلمي مكة، [أي: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان، فأرض المدينة واسعة. والثاني: أن المعنى: إذا عَمِلَ بالمعاصي في أرض فأخرجوا منها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عطاء. والثالث: إن رزقي لكم واسع، قاله مطرف بن عبد الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي فَاعِيْدُهُمْ﴾ أثبت فيها الياء يعقوب في الحاليين، وحذفها الباقر. قال الزجاج: أمرهم بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تنهياً لهم العبادة؛ ثم خوفهم بالموت لتَهون عليهم الهجرة، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ المعنى: فلا تُقيموا في دار الشُّرك خوفاً من الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فنجزىكم بأعمالكم، والأكثر قرؤوا: «تُرْجَعُونَ» بالياء على الخطاب؛ وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» بالياء، أي: لَنُنَزِّلَنَّهُمْ. وقرأ حمزة، والكسائي، [وخلف: «لَنُنَزِّلَنَّهُمْ» بالياء، [وهو] من: نَوَيْتُ بالمكان، إذا أقمت به. قال الزجاج: [يقال: نوى الرجل: إذا أقام، وأثبته، إذا أنزلته منزلاً يُقيم فيه.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَّاكِرَةٍ لَّا خَمَلٌ يَرْزُقُهَا﴾ قال ابن عباس: لما أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى المدينة، قالوا: يا رسول الله، نخرجُ إلى المدينة وليس لنا بها عَقَار ولا مال؟! فمن يؤننا ويطعمنا؟ فنزلت هذه الآية (٢). قال

(١) الطبري ٢٢٢/٩ من سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء. وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا قَوْمٌ لَا يُشْكُرُونَ فَاجْعَلْ لَهُمْ عَذَابًا يَنْفُثُ عَلَيْهِمْ رِيحًا مِنْ جَهَنَّمَ» فنزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنفال: ٣٢] (١).

(٢) ذكر ذلك بعض المفسرين بدون سند، والله أعلم. وقد ذكر المفسرون في سبب نزولها حديثاً ضعيفاً عن ابن عمر، وقد أورده السيوطي في «الدر» ١٤٩/٥ قال: أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عمر ﷺ قال: خرجت مع -

ابن قتية: ومعنى الآية: كم من دابة لا ترفع شيئاً لغد، قال ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. قال المفسرون: وقوله: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي: حيثما توجهت ﴿وَلِيَاكُم﴾ أي: ويرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿وَوَعَدُ الْوَعْدِ﴾ لقولكم: لا نجد ما نتفق بالمدينة ﴿الْمَكِيدِ﴾ بما في قلوبكم.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَمَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَقَوْلُ اللَّهِ فَاَنَّا يَوْمَكُمُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبْدِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولين سألته من رزق من السماء ماء فأخيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثره لا يقولن ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني كفار مكة، وكانوا يقولون بأنه الخالق والرازق؛ وإنما أمره أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم، لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق. والمراد بالأكثر: الجميع.

﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْفٌ وَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الذين فلما غلبهم إلى آلبر إذا هم يشركون ﴿٧٣﴾ يكفروا بما آتيتهم وليستعوا فسوف يعلمون ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْفٌ﴾ والمعنى: وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل ﴿وَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ قال أبو عبيدة: اللام في ﴿لِهِيَ﴾ زائدة للتوكيد، والحيوان والحياة واحد؛ والمعنى: لهي دار الحياة التي لا موت فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو علموا لرغبوا عن الفاني في الباقي، ولكنهم لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾ يعني المشركين ﴿دَعَا اللَّهُ تَحْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: أفردوه بالدعاء. قال مقاتل: والذين بمعنى التوحيد؛ والمعنى أنهم لا يدعون من يدعونه شريكاً له ﴿فَلَمَّا بَغْنَمُ﴾ أي: خلصهم من أهوال البحر، وأفضوا ﴿إِلَى آلبر إذا هم يشركون﴾ في البر، وهذا إخبار عن عنادهم. ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ﴾ هذه لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصت: ٤٠]؛ والمعنى: ليخمدوا نعمة الله في إنجائه إياهم ﴿وَلِيَسْتَعُوا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي بإسكان اللام على معنى الأمر؛ والمعنى: ليتمتعوا بباقي أعمارهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم. وقرأ الباقون بكسر اللام في ﴿لِيَسْتَعُوا﴾، فجعلوا اللامين بمعنى «كي»، فتقديره: لكي يكفروا، ولكي يستمتعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يشركون ليكفروا وليتمتعوا، أي: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب لهم في الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَمَلاً مَائِماً وَنَخْلُفُ النَّاسَ مِنْ حَوَالِهِمْ أَيَّاماً لَيْطِلَ يُؤْمِنُوا وَيَعْمَهُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفار مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَمَلاً مَائِماً﴾ يعني مكة؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [القصر: ٥٧] ﴿وَنَخْلُفُ النَّاسَ مِنْ حَوَالِهِمْ﴾ أي: أن العرب ينسب بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿أَيَّاماً لَيْطِلَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: الشرك، قاله قتادة. والثاني: الأصنام، قاله ابن السائب. والثالث: الشيطان، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعاصم الجحدري: ﴿تُؤْمِنُونَ وَيُعْمَهُ اللَّهُ تَكْفُرُونَ﴾ بالناء فيهما.

رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر، ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهي يا رسول الله، قال: «لكني أشتهي، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق ستهم ويضعف اليقين؟» قال: فوالله ما برحنا ولا رما حتى نزلت: ﴿وَكَيْفَ يَنْزِلُ الرِّزْقُ وَلَا يَحُولُ رَزْقُهَا﴾ فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يلأمرني بكسر الدنيا ولا باتباع الشهوات، إلا وإني لا أكثر ديناراً ولا درهماً، ولا أدرع رزقاً لغد. قال ابن كثير: وهذا حديث غريب، وأبو المطوف الجزري ضعيف اه، يعني أحد رجال السند، وهو الجراح بن منهل الجزري.



## سورة الروم

### وهي مَكِّيَّة كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَلِيَّ الرَّؤْمُ﴾ (١) فِي آدَقِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُكَ ﴿٢﴾ فِي بَيْضِ سِينَةٍ ﴿٣﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿الْعَلِيَّ الرَّؤْمُ﴾ (١) ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فشق ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأن فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البعث ويعبدون الأصنام، والروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فنزلت هذه الآية، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: الله أنزل هذا، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البيضة ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط من ذلك ست، فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هلاً أقررتها كما أقرها الله! لو شاء أن يقول: ستاً، لقال: فلماً كانت سنة ست، لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلماً كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس<sup>(١)</sup>. وروى ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿الْعَلِيَّ الرَّؤْمُ﴾ (١) ناحب<sup>(٢)</sup> أبو بكر قريشاً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا احتطت»، فإن البيضة ما بين السبع<sup>(٣)</sup> والتسع<sup>(٤)</sup>. وذكر بعضهم أنهم ضربوا الأجل خمس سنين<sup>(٥)</sup>، وقال بعضهم: ثلاث سنين، فقال رسول الله ﷺ: «إنما البيضة ما بين الثلاث إلى التسع»، فخرج أبو بكر فقال لهم: أزايدكم في الخطر وأند في الأجل إلى تسع سنين، ففعلوا، فقهرهم أبو بكر، وأخذ رهانهم<sup>(٦)</sup>. وفي الذي تولى وضع الرهان من المشركين قولان: أحدهما: أبي بن خلف، قاله قتادة. والثاني: أبو سفيان بن حرب، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فِي آدَقِ الْأَرْضِ﴾ وقرأ أبي بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميع: «في أداني الأرض» بألف مفتوحة الدال؛ أي: أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس. قال ابن عباس: وهي طرف الشام. وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد. والثاني، أذرعات وكسكرك<sup>(٧)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الأردن وفلسطين، قاله السدي.

(١) ذكره بنحوه الترمذي في التفسير ١٥٠/٢ عن نيار بن مكرم، والطبري ١٧/٢١ عن عكرمة، وذكره البيهقي والخازن، وأورده السيوطي في «الدرر» ٥/ ١٥١ وعزاه إلى الترمذي، وزاد نسبه للدارقطني في «الأفراد»، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن نيار بن مكرم الأسلمي.

(٢) المناحية: المخاطرة والمراعاة.

(٣) كذا الأصل: «فإن البيضة ما بين السبع والتسع» والذي في «الطبري»، و«الترمذي»: «فإن البيضة ما بين الثلاث إلى التسع».

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٧/٢١، و«الترمذي» ١٥٠/٢، عن ابن عباس ؓ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس. ورواه الطبري عن عبد الله بن عمرو من قوله، والله أعلم.

(٥) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢١. (٦) ذكره بنحوه الطبري ١٨/٢١.

(٧) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: كسكرك: معناه: عامل الزرع، وهي كورة واسعة تنسب إليها الفراريج الكسكورية، لأنها تكثر بها جداً، وقال: نصبتها اليوم «واسط» القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت نصبتها قبل أن يمرض الحجاج واسطاً. خسرو سابور. قال: وصيت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس، وقال آخرون: معنى كسكر: بلد الشعير، بلغة أهل هراة.



قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني الروم ﴿نَزَّ بِمَدِّ عَيْنَيْهِ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو رجاء، وعكرمة، والأعشى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بتسكين اللام؛ أي: من بعد غلبة فارس إياهم. والعَلَبُ والغَلَبَةُ لغتان، ﴿سَكَنُوا﴾ فارس ﴿فِي يَضْعَ سِينَةٍ﴾ في اليَضْع تسعة أقوال قد ذكرناها في [يوسف: ٤٢] قال المفسرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَدَأُ﴾ أي: من قبل أن تُغلب الروم ومن بَعْدُ ما غلبت؛ والمعنى أن غلبة الغالب وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه ﴿وَيُؤَيِّدُ﴾ يعني يوم غلبت الروم فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَقْصِرُ اللَّهُ﴾ للروم. وكان التقاء الفريقين في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم، فغلبتهم الروم، وجاء جبريل يُخبر بنصر الروم على فارس، فوافق ذلك يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: وعد الله ذلك وعداً ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أن الروم يظهرهم على فارس ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يُخْلِفُ وعده في ذلك. ثم وصف كفار مكة، فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال عكرمة: هي المعاش. وقال الضحاك: يعلمون ببيان قصورها وتشريق أنهارها. وقال الحسن: يعلمون متى زرعهم و[متى] حصادهم، ولقد بلغ والله مِنْ عِلْمِ أَحَدِهِمُ بِالْدُّنْيَا أَنَّهُ يَنْقُرُ الدَّرْهَمَ بِقُفْرِهِ فَيُخْبِرُكَ بِوزْنِهِ وَلَا يُحْسِنُ بِصَلِيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ لأنهم لا يؤمنون بها. قال الزجاج: وذكرهم ثانية يجري مجرى التوكيد، كما تقول: زيد هو عالم، وهو أوكد من قولك: زيد عالم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قال الزجاج: معناه: أو لم يتفكروا فيعلموا، فحذف «فيعلموا» لأن في الكلام دليلاً [عليه]. ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا للحق، أي: لإقامة الحق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الجزاء ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ المعنى: لكافرون بقاء ربهم، فقدّم الباء، لأنها متصلة بـ «كافرون»، وما اتصل بخبر «إن» جاز أن يقدم قبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين، لا يجوز أن تقول: إن زيدا كافر لبإله، لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء أو الخبر، أو بين الابتداء والخبر، لأنها تؤكد الجملة. وقال مقاتل في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه، وهو يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ أي: البعث ﴿لَكَاذِبُونَ﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشْدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَوَّارُوا الْأَرْضَ وَغَرَّبُوا أَكْثَرَهَا وَمَا عَمِرُوا بِمَا نَعَّمْهُمْ رَبُّهُمْ بِالْإِنْسَانِ فَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا الشُّرَاقَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أو لم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أهلکوا بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله تعالى: ﴿وَأَوَّارُوا الْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة، ومنه قيل للبقرة: مثيرة. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو حنيفة: «وَأَوَّارُوا الْأَرْضَ» بمد الهمزة وفتح الثاء مرفوعة الراء، ﴿وَعَمَّرُوا أَكْثَرَهَا وَمَا عَمِرُوا﴾ أي: أكثر من عمارة أهل مكة، لطول أعمار أولئك وشدة قوتهم ﴿وَمَا نَعَّمْهُمْ رَبُّهُمْ بِالْإِنْسَانِ﴾ أي: بالدلالات ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُظْلِمُهُمْ﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب؛ ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا. ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا الشُّرَاقَ﴾ يعني الخلّة السيئة؛ وفيها قولان: أحدهما: أنه العذاب، قاله الحسن. والثاني: جهنم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ قال الفراء: معناه: لأن كذبوا فلما أُلقيت اللام كان نصباً. وقال الزجاج: لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم. وقيل: الشُّرَاق مصدر بمنزلة الإساءة؛ فالمعنى: ثم كان التكذيب آخر أمرهم، أي: ماتوا على

ذلك، كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم. وقال مكي بن أبي طالب النحوي: «عاقبة» اسم كان، و«السَّوْى» خبرها، و«أن كذبوا» مفعول من أجله؛ ويجوز أن يكون «السَّوْى» مفعولة بـ «أسأوا»، و«أن كذبوا» خبر كان؛ ومن نصب «عاقبة» جعلها خبر «كان»، و«السَّوْى» اسمها، ويجوز أن يكون «أن كذبوا» اسمها. وقرأ الأعمش: «أسأوا السَّوْى» برفع «السَّوْى».

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تُرْجَعُونَ» بالثاء، فعلى هذا يكون الكلام عائداً من الخبر إلى الخطاب. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: بالياء، لأن المتقدم ذكره غيبة، والمراد بذكر الرجوع: الجزاء على الأعمال، والخلق بمعنى المخلوقين، وإنما قال: «يُعِيدُهُ» على لفظ الخلق.

﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِىُ السُّجُودُونَ﴾ ١٢ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ١٣ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُرْمَى بِنَفْسِهِ فِي رَوْضَةٍ مَأْمُورَةٍ وَأَكَلُوا مِنَ الْفَلَحِ الْفَلَحِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُخْبِرُونَ﴾ ١٤ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿يُبْلِىُ السُّجُودُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاس في [الأنعام: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ أي: [من] أولئاهم التي عبدوها ﴿شُفَعَاءُ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

قوله تعالى: ﴿يُرْمَى بِنَفْسِهِ فِي رَوْضَةٍ﴾ وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة، وقوم إلى النار.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الروضة: المكان المخضر من الأرض؛ وإنما خص الروضة، لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب؛ قال أبو عبيدة: ليس شيء عند العرب أحسن من الرياض المُغْنِيَةِ ولا أطيب ربحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُغْنِيَةٌ      خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلٌ  
يُؤْمَأُ بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ      وَلَا بِأَخْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ ١٦

قال المفسرون: والمراد بالروضة: رياض الجنة. وفي معنى «يُخْبِرُونَ» أربعة أقوال: أحدها: يُكْرَمُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: يُنْعَمُونَ، قاله مجاهد، وقتادة. قال الزجاج: والخبرة في اللغة: كل نعمة حسنة. والثالث: يفرحون، قاله السدي. وقال ابن قتيبة: «يُخْبِرُونَ»: يُسْرُونَ، والخبرة: السرور. والرابع: أن الخبر: السماع في الجنة، فإذا أخذ أهل الجنة في السماع، لم تبق شجرة إلا وُردت، قاله يحيى بن أبي كثير. ومثل يحيى بن معاذ: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس، في مقاصير قدس، بالحاء تحميد، في رياض تمجيد ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ ١٧ [القدر: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: هم حاضرون العذاب أبداً لا يخفف عنهم.

﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ١٨ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ١٩ ﴿يُخْرِجُ الْغَيَّ الْغَيَّ وَيُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ وَيُخْرِجُ النَّهَارَ مِنَ اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ الْغَيَّ مِنَ النَّهَارِ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٢٠

ثم ذكر ما تذكرك به الجنة ويُتباع به من النار فقال: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال المفسرون: المعنى: فصلوا لله حين تُمسون، أي: حين تدخلون في المساء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخلون في الصباح، و﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وهي وقت الزوال، و﴿وَعِشْيَا﴾ أي: وسبحوه عشياً. وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس، فقله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يعني [به] صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ يعني به صلاة الفجر، و﴿وَعِشْيَا﴾ العصر، و﴿حِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظُّهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يَحْمَدُهُ أهل السموات وأهل الأرض ويصلُّون له.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ الْآلُ مِنْ أَلَيْتٍ﴾ فيه أقوال قد ذكرناها في [آل عمران: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّي الْأَرْضُ بَدَّ مَوْتَهَا﴾ أي: يجعلها مُنْبِتة بعد أن كانت لا تُنْبِت، وتلك حياتها ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تَخْرُجُونَ» بضم التاء، وفتحها حمزة والكسائي؛ والمراد: تخرجون يوم القيامة من الأرض، أي: كما أحيا الأرض بالنبات يُحييكم بالبعث.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَرِبُونَ﴾ (١) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَرَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ أَلْسِنَكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوًّا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَرْقًا فَيُخْرِجُ مِنْهَا زَرْعًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٦) وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٧) صَبَّ لَكُمْ مِنْ سَكَنِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَدًى لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَعْمَلُونَهُمْ كَمَا تَعْمَلُونَ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ (٩)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني آدم، لأنه أصل البشر ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من لحم ودم، يعني ذريته ﴿تَنْتَرِبُونَ﴾ أي: تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آدميات مثلكم، ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي: لتأوا إلى الأزواج ﴿وَعَمَلٌ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رجم بينهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعه ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في قدرة الله وعظمته.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْلَفَ أَلْسِنَكُمْ﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَأَلْوَنَكُمْ﴾ لأن الخلق بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: المراد باختلاف الألسنة: اختلاف اللغات والأصوات، حتى إنه لا يشبه صوت أخوين من أب وأم، والمراد باختلاف الألوان: اختلاف الصُّوَر، فلا تشبه صورتان مع التشاكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، [والكسائي]، وأبو بكر عن عاصم: «لِلْعَالَمِينَ» بفتح اللام. وقرأ حفص عن عاصم: «لِلْعَالَمِينَ» بكسر اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: نومكم. قال أبو عبيدة. المنام من مصادر النُّوم، بمنزلة قام يقوم قياماً ومقاماً، وقال يقول مقالاً. قال المفسرون: وتقدير الآية: منامكم بالليل ﴿وَأَيَاتُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو طلب الرزق بالنهار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ سماع اعتبار [وتذكراً] وتذبر. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ قال اللغويون: إنما حذف «أَنْ» لدلالة الكلام عليه، وأنشدوا:

وما السُّفَرُ إلا تارتان فتارة

ومعناه: فتارة أموت فيها، وقال طرفة:

ألا أيْهَذَا الرَّجُلِي أَخْضَرَ الوَعَى

أموث وأخرى ابتغى العيش أكدح<sup>(١)</sup>

[وأن أشهد اللذات هل أنت مُخْلِدي]<sup>(٢)</sup>

أراد: أن أحضر. وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البرق في سورة [الرعد: ١٢].

(١) البيت لتميم بن مقبل، وقد سبق تخريجه ٢٨٨، وهو أيضاً في «الطبري» ٣٣/٢١، و«البحر» ١٦٧/٧، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، و«اللسان والتاج»: كدح.

(٢) البيت لطرفة بن عبد البركي من معلقته، وهو في «الطبري» ٣٣/٢١، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣١٧/١.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّكَّةَ وَالْأَرْضَ﴾ أي: تدوما قائمتين «بأمرية»، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهي نفخة إسرائيل الأخيرة في الصُّور بأمر الله ﷻ «مِنَ الْأَرْضِ» أي: من قبوركم «إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» منها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [البقرة: ١١٦، المكيوت: ١٩] إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عِلَّيْهِ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن الإعادة أهون عليه من البداية، وكلُّ هَيْنٍ عليه، قاله مجاهد، وأبو العالية. والثاني: أن «أهون» بمعنى «هين»، فالمعنى: وهو هينٌ عليه، وقد يوضع «أفعل» في موضع «فاعل»، ومثله قولهم في الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير، قال الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
وقال معن بن أوس المزني:

لَعَنَمُوكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ  
أي: وإني لَوَجِلٌ، وقال غيره:

أَصْبَحْتُ أَمْنُحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي  
وأشددوا أيضاً:

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ  
أي: بواحد، هذا قول أبي عبيدة، وهو مروى عن الحسن، وقتادة. ولقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران

الجوني، وجعفر بن محمد: «وهو هينٌ عليه». والثالث: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم، فمن قَلَر على الإنشاء كان البعث أهون عليه، هذا اختيار الفراء، والمبرد، والزجاج، وهو قول مقاتل. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في «عليه» عائدة إلى الله تعالى. والرابع: أن الهاء تعود على المخلوق، لأنه خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغه، ويوم القيامة يقول له كن فيكون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو اختيار قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَلْسُنُ الْأَعْلَى﴾ قال المفسرون: أي: له الصفة العليا «فِي أَلْسُنَاتٍ وَالْأَرْضِ» وهي أنه لا إله غيره. قوله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ سبب نزولها أن أهل الجاهلية كانوا يُلُون فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل<sup>(٥)</sup>. ومعنى الآية: بين لكم أيها المشركون شبهاً، وذلك الشبه «مِنَ أَنْفُسِكُمْ»، ثم بيّنه فقال: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من عبيدكم «مِنَ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ» من المال والأهل والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أي: أنتم وشركاؤكم من عبيدكم سواء «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» أي: كما تخافون أمثالكم من الأحرار، وأقرباءكم كالآباء والأبناء؟ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً؟ وقال غيره: تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء والمعنى: هل يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما بينّا هذا المثل «نَقُصِّلُ

(١) «ديوانه» ٧١٤، و«مجاز القرآن» ١٢١/٢ والطبري ٣٧/٢١، و«الكامل» ٦٩٧.

(٢) البيت في «الطبري» ٣٧/٢١، و«الحامسة البصرية» ١٤٢، و«الكامل» ٦٩٦، و«لباب الآداب» ٣٩٩. قال الشيخ أحمد محمد شاعر في تعليقه على «لباب الآداب»: «وتغلبوا بالغين المعجزة في الروايات كلها، وحكى التبريزي أن في رواية: «تعدوا بالعين المهملة. اهـ».

(٣) البيت للأحوص، وهو في «مجاز القرآن» ١٢١/٢، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«الخرائفة» ٢٤٨/١، و«الكتاب» ١٩٠/١، و«السطح» ٢٥٩. وكان الشطر الثاني من البيت في الأصل: «قسم إليك مع الصدود لأميل». قال الشتيري في «الكتاب» في تعليقه على البيت: الشاهد فيه نصب قوله: «قسماً» ونصبه على المصدر المؤكد لما قبله من الكلام الدال على القسم، لأنه لما قال: «إني لأمنحك الصدود، وإني إليك لأميل» علم أنه محقق مقسم، فقال: «قسماً» مؤكداً لذلك. اهـ.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٦/٢، و«الطبري» ٣٧/٢١، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«التاج»: وحد.

(٥) ذكره ابن كثير من رواية أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس ؓ، وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٥/٥ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ؓ.

الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿عَنْ اللَّهِ﴾ ثم يبين أنهم إنما اتبعوا الهوى في إشرافهم، فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِخَيْرٍ عَلَيْهِمْ قَسْرٌ يَهْدِي مَنْ أَصَلَ اللَّهُ﴾ وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا بإضلال الله إليهم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ أي: مانعين من عذاب الله.

﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فطَرَتْ اللَّهُ إِلَى فطرَ النَّاسَ عَلَيَّ لَا تَبْدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْبَرِّثَ الْقَيْمَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ مَبِينٌ إِلَيْهِ وَاقِعُهُ وَاقِعُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا مَنَّ النَّاسُ عَنْ دَعْوَانِهِمْ تُبَيِّنْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَيْبِهِمْ يَمْشُونَ ﴿١٨﴾ يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا ثُمَّ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُبُحَانَ اللَّهِ أَتَى اللَّهُ عَالَمَهُمْ لَيْلٌ فَهُمْ لَا يَسْتَنُّونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ فَهُمْ لَا يَخْشَوْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ﴿٢١﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ فَكَانَ ذَا الْقُرْآنِ حَقًّا وَالنَّسِيكِينَ وَالنَّاسِيكِينَ ذَلِكَ خَبَرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ﴾ قال مقاتل: أخلص دينك الإسلام ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتوحيد. وقال أبو سليمان الدمشقي: استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله إليها. وقال غيره: سدّد عملك. والوجه: ما يتوجّه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجّه إليه لتسديده وإقامته.

قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزجاج: الحنيف: الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع عنه، كالحنف في الرجل، وهو ميلها إلى خارجها خلقه، لا يقدر الأحنف أن يردّ حنفته. وقوله: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ﴾ منصوب، بمعنى: أتبع فطرة الله، لأن معنى «فأفهم وجهك»: أتبع الدّين القيم، وأتبع فطرة الله، أي: دين الله. والفطرة: الخلقة التي خلق الله عليها البشر. وكذلك قوله ﴿كُلُّ مَوْلُودٌ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: على الإيمان بالله. وقال مجاهد في قوله: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ إِلَى فطرَ النَّاسَ عَلَيَّ﴾، والذي أشار إليه الزجاج أصح، وإليه ذهب ابن قتيبة، فقال: فرق ما بيننا وبين أهل القدر في هذا الحديث، أن الفطرة عندهم: الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرار بالله والمعرفة به، لا الإسلام، ومعنى الفطرة: ابتداء الخلقة، والكل أقروا حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولست واجداً أحداً إلا وهو مقرّ بأنّه لا صانعاً ومدبراً وإن عبد شيئاً دونه وسماه بغير اسمه؛ فمعنى الحديث: إن كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الإقرار الأول، وهو الفطرة، ثم يهود اليهود أبناءهم، أي: يعلمونهم ذلك، وليس الإقرار الأول ممّا يقع به حكم ولا ثواب؛ وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على أنه لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ثم أجمعوا على أن اليهودي إذا مات له ولد صغير ورثه، وكذلك النصراني والمجوسي، ولو كان معنى الفطرة الإسلام، ما ورثه إلا المسلمون، ولا دُفن إلا معهم؛ وإنما أراد بقوله ﴿كُلُّ مَوْلُودٌ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ﴾ أي: على تلك البداية التي أقروا له فيها بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم، فمنهم من جحد ذلك بعد إقراره<sup>(٢)</sup>. ومثل هذا الحديث حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: إني خلقت عبادي

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٩٧/٣ من أبي هريرة ؓ، ولفظه بتمامه: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يمرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» وعزاه لأبي يعلى في «سننه»، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «السنن» عن الأسود بن سريح. ورواه البخاري ١٧٦/٣، ومسلم ٢٠٤٧/٤ من أبي هريرة ؓ بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة... الحديث، ولفظه في «مسلم» بتمامه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: «واقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتْ أَوَّلُ إِلَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّ لَا تَبْدِيلَ لِأَمْرٍ أَوْ...﴾ الآية». وأوردته السيوطي في «الدرر» بهذا اللفظ ١٥٥/٥، وزاد نسبته، لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة ؓ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٩٧/٣: وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، ثم قال: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال: قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتْ أَوَّلُ إِلَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّ﴾: الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: اقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتْ أَوَّلُ إِلَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّ﴾، وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم... الحديث، وقد روى غيره فزاد فيه «حنفاء مسلمين» ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتْ أَوَّلُ﴾، لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فلمل أنها الإسلام. وقال الحافظ: وقد قال أحمد: من مات أبواه =

حفاء»<sup>(١)</sup>، وذلك أنه لم يدعهم يوم الميثاق إلا إلى حرف واحد، فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَدْرِي لِمَا لَاقَى﴾ لفظه لفظ النفي، ومعناه النهي؛ والتقدير: لا تبدلوا خلق الله. وفيه قولان: أحدهما: أنه خصاء البهائم، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والثاني: دين الله، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والنخعي في آخرين. وعن ابن عباس وعكرمة كالقولين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْبَيْتُ الْحَقِيرُ﴾ يعني التوحيد المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

قوله تعالى: ﴿ثُبِّينَ إِلَيْهِ﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم تدخل معه فيها الأمة. ومعنى «منيبين»: راجعين إليه في كل أمر، فلا يخرجون عن شيء من أمره. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [البقرة: ٣، الأنعام: ١٥٩] إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ ثُبِّينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القحط، والرحمة: المطر. والثاني: أنه البلاء، والرحمة: العافية، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وهم المشركون. والمعنى: إن الكل يلتجئون إليه في شدائدهم، ولا يلتفت المشركون حيثنوا إلى أوثانهم.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آٰلَيْنَهُمْ﴾ قد شرحناه في آخر [النكوت: ٦٧]، وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب لهم بعد الإخبار عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء المشركين ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً وكتاباً من السماء ﴿فَهُوَ يَنْكُبُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالشرك! وهذا استفهام إنكار، معناه: ليس الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ وهي المطر. والسيئة: الجوع والقحط. وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيئة: المصيبة. قال المفسرون: وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه، والقنوط: اليأس من فضل الله، وهو خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو عند الشدة؛ وقد شرحناه في [بني إسرائيل: ٢٦] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني إعطاء الحق ﴿حَبْرٌ﴾ أي: أفضل من الإماسك ﴿لَلَّذِينَ يَرِيدُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: يطلبون بأعمالهم ثواب الله.

﴿وَمَا آٰتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيُزِيلُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آٰتَيْنَاهُمْ مِنْ دَكَّوْرٍ يَرِيدُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ﴾ صلى الله عليه وسلم آلى خلقكم ثم رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُجْحِكُمْ هَلْ مِنْ شَرِكَايَكُم مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَقَتْلَ عَنَّا يَشْرِكُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا آٰتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أن الربا هاهنا: أن يهدي الرجل للرجل الشيء يقصد أن يئيبه عليه أكثر من ذلك، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطاوس، [والضحاك]، وقتادة، والقرظي. قال الضحاك: فهذا ليس فيه أجر ولا وزر. وقال قتادة: ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به، وليس فيه وزر. والثاني: أنه الربا المحرم، قاله الحسن البصري. والثالث: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنياً، لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. والرابع: أنه الرجل يُعطي من يخدمه لأجل خدمته، لا لأجل الله تعالى، قاله الشعبي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آٰتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيُزِيلُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ وقرأ نافع، ويعقوب: [«لَتَرْبُوا»] بالفاء وسكون الواو، أي: [في] اجتلاب أموال الناس، واجتذابها ﴿فَلَا يَرَوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يزكو ولا يضاعف، لأنكم قصدتم زيادة

وهما كافرين حكم بإسلامه، واستدل بحديث الباب، فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام، قال: وحكى محمد بن نصر أن آخر قول أبي أحمد، أن المراد بالفطرة: الإسلام، ثم قال: وقال ابن القيم: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث، أن القدرية كان يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مما ابتدأ الناس إحداه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك، لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذاهب القدرية، لأن قوله: «فأبوا يهوداته... إلخ»، مخمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». اهـ.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٧/٤ عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً، حلال (أي: قال الله: كل مال... إلخ) وإني خلقت عبادي حفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمته عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عزهم وعجبهم، إلا بقايا من أهل الكتاب (المراد بهم: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل)، وقال: إنما بعثتك لابتليك وأبلي بك... الحديث.

الْيَوْض، ولم تقصدوا القربة. ﴿وَمَا يَنْتَظِرُ مِنْكُمْ﴾ أي: ما أعطيت من صدقة لا تطلبون بها المكافأة، إنما تريدون بها ما عند الله، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْضَالُّونَ﴾ قال ابن قتيبة: الذين يجدون التضعيف والزيادة. وقال الزجاج: أي: ذوو الأضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل مُقْوٍ، أي: صاحب قُوَّة، ومُؤمِر: صاحب يسار.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْعَقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: نقصان البركة، قاله ابن عباس. والثاني: ارتكاب المعاصي، قاله أبو العالية. والثالث: الشرك، قاله قتادة، والسدي. والرابع: قحط المطر، قاله عطية. فاما البر؛ فقال ابن عباس: البر: البرية التي ليس عندها نهر. وفي البحر قولان: أحدهما: أنه ما كان من المدائن والقرى على شط نهر، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: لا أقول: بحركم هذا، ولكن كل قرية عامرة. وقال قتادة: المراد بالبر: أهل البوادي، وبالبحر: أهل القرى. وقال الزجاج: المراد بالبحر: مدن البحر التي على الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر. والثاني: أن البحر: الماء المعروف. قال مجاهد: ظهور الفساد في البر: قتل ابن آدم أخاه، وفي البحر: ملك جائر يأخذ كل سفينة غصباً<sup>(١)</sup>. وقيل لعطية: أي: فساد في البحر؟ فقال: إذا قل المطر قل القوص.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: بما عملوا من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقاتدة، وابن محيصن، وروح [عن يعقوب]، وقنبل عن ابن كثير: ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالنون ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: جزاء بعض أعمالهم؛ فالقحط جزاء، ونقصان البركة جزاء، ووقوع المعصية منهم جزاء معجل لمعاصيهم أيضاً. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين أذيقوا الجزاء. ثم في معنى رجوعهم قولان. أحدهما: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية. والثاني: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم. والثاني: أنهم الذين يأتون بعدهم؛ فالمعنى: لعله يرجع من بعدهم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: الذين كانوا قبلكم؛ والمعنى: انظروا إلى مساكنهم وأثارهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشركهم<sup>(٢)</sup>. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أقم قصدك لاتباع الدين ﴿الْقَيِّمِ﴾ وهو الإسلام المستقيم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني [يوم] القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم، لأن الله تعالى قد قضى كونه ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْعَقُونَ﴾ أي: يتفرون إلى الجنة والنار.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: جزاء كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون. وقال مجاهد: يسوون المضاجع في القبور، قال أبو عبيدة: ﴿مَنْ﴾ يقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث، ومجازها هاهنا مجاز الجميع، و﴿يَمْهَدُ﴾ بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد.

﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ أَنْ يَرْسُلَ الرِّيحَ يَنْفِثْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَذِيقَكُمُ الْآلَاءَ﴾ ﴿وَلِيَذِيقَكُمُ الْآلَاءَ﴾ أي: يذوقوا من فضله. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَكْرَمُوا وَكَانَتْ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذمهم، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبر عند العرب: الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخص جل نثاء الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذن: إذا كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس، أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذمهم لئيبه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بمذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم؟ كان أكثرهم مشركين، يقول: فعلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم. اهـ.



قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبْرِئِينَ﴾ تبشّر بالمطر ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿يَأْمُرُهُ﴾ ﴿وَلِتَنْفُثُوا﴾ بالتجارة في البحر ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو الرزق؛ وكلّ هذا بالرياح.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُوَ بِالْيَمِينِ﴾ أي: بالدلالات على صدقهم ﴿فَأَنْتُمْ مِّنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أي: عذبنا الذين كذبوهم ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً هو أوجه على نفسه ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهم مع الرسل من عذاب المكذّبين.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَعْلَمُ كَيْفَ تَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ إِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَلَن كَاوًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْزُقَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبِينٌ﴾ (٤٩) ﴿فَانظُرْ إِلَى مَاثِرَ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفًى لَّطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١) ﴿إِنَّا لَن كَاوًا لَا شَيْعُ الْمَوْتِ وَلَا شَيْعُ الْأَعْدَاءِ إِذَا كَاوًا مَدِينٌ﴾ (٥٢) ﴿وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْمَنَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ شَيْعُ إِلَّا مَن يُوْنُ يَأْتِينَا فَهُمْ مُسْتَلِيمُونَ﴾ (٥٣) ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْعَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤) ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُقَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَاوًا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥٥) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاسِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَاسِ وَلَكِنْ كَمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥٦) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش: ﴿يُرْسِلُ الرُّيحَ﴾ بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزججه ﴿يَبْسُطُهُ﴾ الله ﴿فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ إن شاء بسطه مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفَ﴾ أي: قطعاً متفرقة. والأكثرون فتحوا سين ﴿كَيْفًا﴾؛ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن عامر، وأبو جعفر، وابن أبي عبله: بتسكينها؛ قال أبو علي: يمكن أن يكون مثل ميذرة ويسدر، فيكون معنى القراءتين واحداً ﴿فَتَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾؛ وقد شرحناه في [النور: ٤٣] ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ أي: بالودق؛ ومعنى ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون بالمطر، ﴿وَلَن كَاوًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْزُقَ عَلَيْهِمْ﴾ المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال: أحدها: أنه للتأكيد، كقوله: ﴿سَجَدَ لِلْكَافَّةِ كُلُّهُمْ أَعْمُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، قاله الأخفش في آخرين. والثاني: أن ﴿قَبْلَ﴾ الأولى للتنزيل، والثانية للمطر، قاله قطرب. قال ابن الأنباري: والمعنى: مِنْ قَبْلِ نزول المطر، مِنْ قَبْلِ المطر، وهذا مثلما يقول القائل: أتيتك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمنن في مجلسك، فلا تُنكر الإعادة، لاختلاف الشيتين. والثالث: أن الهاء في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ ترجع إلى الهدى وإن لم يتقدم له ذُكر، فيكون المعنى: كانوا يفتقون من قبل نزول المطر، من قبل الهدى، فلما جاء الهدى والإسلام زال القنوط، ذكره ابن الأنباري عن أبي عُمر الدُّوري وأبي جعفر بن قادم. والمبلسون: الآيسون. وقد سبق الكلام في هذا [الأنعام: ٤٤]. ﴿فَانظُرْ إِلَى مَاثِرَ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «إلى أثر». وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى آثار» على الجمع. والمراد بالرحمة هاهنا: المطر، وأثرها: النبت؛ والمعنى: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ﴿كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلها تثبت بعد أن لم يكن فيها نبت. وقرأ عثمان بن عفان، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني، وسليمان التيمي. «كيف تُخَيِّ» بناء مرفوعة مكسورة الياء «الأرض» بفتح الضاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَن أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [أي: ريحاً] باردة مُضِرَّة، والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١) ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفًى﴾ يعني

(١) قال الإمام النووي في «الأذكار»: وروى الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» بإسناده عن ابن عباس ؓ قال: ما هبَّت الريح إلا جئنا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». وقال الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي في كتابه «الفتوحات الربانية على الأذكار النورية» في هذا الحديث: قال الحافظ: (أي ابن حجر) بعد تخريج: هذا حديث حسن. أخرجه البيهقي في «المعرفة»، قال: وشيخ الشافعي ما عرفه، وكنت أظنه ابن يحيى، لكن لم يذكره في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موقوف، قال الحافظ: لابن عباس حديث آخر، ثم أخرج من طريق الطبراني في كتاب «الدعاء» أيضاً عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا هاجت الريح استقبلها وجئاً على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها... إلخ» فذكر الحديث مثله إلى قوله: «ريحاً» وزاد: «اللهم إني أسألك من خير هذه الريح، وخير ما تُرسل به، وأعوذ بك -

النبت، والهاء عائدة إلى الأثر. قال الزجاج؛ المعنى: فرأوا النبت قد اصفرّ وجفّ ﴿لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ يُكْفَرُونَ﴾ ومعناه: كَيْظَلُّنَ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء، فهم يستبشرون بالغيث، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجفّ النبت. وقال غيره: المراد برحمة الله: المطر. وظلّوا بمعنى صاروا «من بعده» أي: من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة. وما بعد هذا مفسّر في سورة [النمل: ٨٠، ٨١] إلى قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلام فيه في [الأنفال: ٦٦]، قال المفسرون: المعنى: خلقكم من ماء ذي ضعف، وهو المنيّ ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ يعني ضعف الطفولة قوّة الشباب، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قوّة الشباب ضعف الكبر، وشيئة، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من ضعف وقوّة وشباب وشيئة ﴿وَهُوَ الْغَلِيظُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَلِيرُ﴾ على ما يشاء. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ قال الزجاج: الساعة في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة، فلذلك لم تُعرف أيّ ساعة هي.

قوله تعالى: ﴿يُقَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يَحْلِفُ المشركون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ﴾ كانوا يُؤْفَكُونَ قال ابن قتيبة: يقال: أفك الرجل: إذا غُيِلَ به عن الصدق، فالمعنى أنهم قد كذّبوا في هذا الوقت كما كذّبوا في الدنيا. وقال غيره: أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين، فحلفوا على شيء يبين للمؤمنين كذبهم فيه، ويستدلّون على كذبهم في الدنيا. ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلَهُمَ وَالْإِنْسَانُ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. والثاني: المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين. والثاني: أنه على نظمه. ثم في معناه قولان: أحدهما: لقد لبّث في علم الله، قاله الفراء. والثاني: لقد لبّث في خبر الكتاب، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَاقِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تُنْكِرُونَهُ ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعِذَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لا تَنْفَعُ» بالثاء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي. بالياء، لأن التانيث غير حقيقي. قال ابن عباس: لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا عُذْر ولا توبة. قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ حَسَنَتْهُمْ بَيَاتُهُمْ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَدَّ اللَّهُ حَقَّ وَلَا يَسْخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَسَنَتْهُمْ بَيَاتُهُمْ﴾ أي: كعصا موسى ويده ﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿إِلَّا مُبْتَطِلُونَ﴾ أي: أصحاب أباطيل، وهذا بيان لعنادهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون الآيات ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله؛ فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد، الطبع على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَدَّ اللَّهُ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوك ﴿حَقَّ﴾. ﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً وزيداً: ﴿يَسْخَفَنَّكَ﴾ بسكون النون. قال الزجاج: لا يَسْتَفْزَنُكَ عن دينك ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: هم ضلال شاكئون. وقال غيره: لا يُؤْمِنُونَ بالبعث والجزاء<sup>(١)</sup>. وزعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة.



= من شرها وما تُرسل به، قال الحافظ: أخرجه مسند في «مسند الكبير»، وفي سنن جبر بن عبد الله، وهو ضعيف، وجده عبيد الله - بالتصغير - ابن عباس، وفي نسخة من «المسند»: حسين بن قيس أبو علي المرجي، وهو ضعيف أيضاً، وقد اعتضد بالمناجعة. اهـ. والحديث في «مسند الشافعي» (٤٧) وفيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الذي يروي عن العلاء بن راشد، منهم.

(١) قال ابن كثير: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَدَّ اللَّهُ حَقَّ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يُضَيِّعُ، بل الحق كله منحصر فيه. اهـ.

(٧) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه، أو رسوله، لأن الله تعالى عمّ بقوله: (لهو الحديث) ولم يخص بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه، حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك. اهـ.

يعضده. والثاني: يختار ويستحب، قاله قتادة، ومطر<sup>(١)</sup>. وإنما قيل لهذه الأشياء: لهُو الحديث، لأنها تُلهي عن ذكر الله.

قوله تعالى: «لِيُضِلَّ» المعنى: ليصير أمره إلى الضلال. وقد بيَّنَّا هذا الحرف في [الحج: ٢٩]. وقرأ أبو رزين، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وأبو جعفر: «لِيُضِلَّ» بضم الياء، والمعنى: لِيُضِلَّ غيره، وإذا أَضَلَّ غيره فقد ضَلَّ هو أيضاً.

قوله تعالى: «وَتَخَذَهَا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «وَتَخَذَهَا» برفع الذال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب الذال. قال أبو علي: من نصب عطف على «لِيُضِلَّ» «وَتَخَذَهَا» ومن رفع عطفه على «من يشتري» «وتتخذ». وفي المشار إليه بقوله: «وَتَخَذَهَا» قولان: أحدهما: أنها الآيات. والثاني: السبيل. وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدَّمت [الإسراء: ٤٦، الأنعام: ٢٥، البقرة: ٢٥، الرعد: ٢، النحل: ١٥، الشعراء: ٧]، إلى قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْنَنَ الْحِكْمَةَ» وفيها قولان: أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون. والثاني: النبوة. وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي. هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف، إلا أن هذا ممَّا تفرَّد به عكرمة؛ والقول الأول أصح<sup>(٢)</sup>. وفي صناعته ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان خياطاً، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: راعياً، قاله ابن زيد. والثالث: نجاراً، قاله خالد الريمي. فاما صفته، فقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً. وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر. وقال مجاهد: كان غليظ الشفتين مشقق القدمين، وكان قاضياً على بني إسرائيل.

قوله تعالى: «إِنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ» المعنى: وقلنا له: أن اشكر لله [على] ما أعطاك من الحكمة «وَمَنْ يَنْكُرْ فَإِنَّا نَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أي: إنما يفعل لنفسه «وَمَنْ كَفَرَ» الثَّعْمَةُ، فإن الله لغني عن عبادة خلقه.

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْحَبِيرِ ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا يَسِّرْ لَكَ يَوْمَ عِلْمٍ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّقِ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ بَيِّنُ إِنَّمَا إِنْ تَكُ شِقَالٌ حَبَرٌ مِّنْ حَرَدٍ لَّو تَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَبَاسٌ خَيْرٌ ۝ بَيِّنُ أَوَّلَ الْفَصْلَةِ وَأَمَّا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَسْأَلُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ الْأَنْبِيَاءِ ۝»

قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ» قال مقاتل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا ذلك في [المنكوت: ٨].

قوله تعالى: «حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ» وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ» بفتح الهاء فيهما. قال الزجاج: أي: ضغفًا على ضغف. والمعنى: لزمها بحملها إياه أن تضعف مرَّةً بعد مرَّة. وموضع «أن» نصب به «وصينا»؛ المعنى: ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك، أي: وصينا به بشكرنا وشكر والديه.

قوله تعالى: «وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ» أي: فطامه يقع في انقضاء عامين. وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عمران، والأعمش: «وَفَصَّلَهُ» بفتح الفاء. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف، وعاصم

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيته، قال: فإن قال قائل: وكيف يشتري لهو الحديث؟ قيل: يشتري ذات لهو الحديث، أو ذا لهو الحديث، فيكون مشترياً لهو الحديث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان، هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني (يعني أنه لم يكن نبياً) ثم ذكر بعض الآثار، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مَّسَّ الرق، فقال: وكونه عبداً قد مَّسَّ الرق يتنافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبث في أحساب قومها، قال: ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، قال: وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه، قال: فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم. ثم قال ابن كثير: والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْنَنَ الْحِكْمَةَ» أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً، ولم يوح إليه. اهـ، فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً.

الجحدري، وقناة؛ «وَقَضَلُهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف. والمراد: التنبيه على مشقة الولادة بالرضاع بعد الحمل.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاهَدَهُ﴾ قد فسرنا ذلك في سورة [المنكوت: ٨] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبَتُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال الزجاج: أي: مُصَاحِبًا معروفًا، تقول صاحبه مُصَاحِبًا وَمُصَاحِبَةً؛ والمعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِّنْ أَنْبَاءِ الْإِنِّ﴾ أي: مَنْ رَجَعَ إِلَيَّ؛ وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطب بها. وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، قيل لسعد: اتَّبِعْ سَبِيلَهُ فِي الْإِيمَانِ، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء<sup>(١)</sup>. وقال ابن إسحاق: أسلم على يدي أبي بكر [الصديق]: عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب. والثالث: مَنْ سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي<sup>(٢)</sup>. ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: ﴿يَتَّبِعْ﴾. وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخيرين عن وصية لقمان أن هذا ممَّا أوصى به لقمان ابنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنَّ تَكَّ وَتَقَالَ حَبَّةٌ﴾ وقرأ نافع وحده: «وَمِثْقَالُ حَبَّةٍ» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: أرايت لو كانت حبة في قعر البحر أكان الله يعلمها؟ فأجابه بهذه الآية، قاله السدي. والثاني: أنه قال: يا أبت إن عملك الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل. قال الزجاج: من قرأ برفع الميثقال مع تأنيث «تَكَّ» فلا تُلْ «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» من خردل» راجع إلى معنى: خردلة، فهي بمنزلة: إن تَكَّ حَبَّةً من خردل؛ ومن قرأ: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» فعلى معنى: إن التي سألتني عنها إن تَكَّ مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وعلى معنى: إن فَعَلَهُ الْإِنْسَانُ وإن صَغُرَتْ يَات بها الله. وقد بيَّنا معنى ﴿وَمِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ في [الأنبياء: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ قال قتادة: في جبل. وقال السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السموات ولا في الأرض<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يعلمها الله، قاله أبو مالك. والثاني: يُظهِرُهَا، قاله ابن قتبية. والثالث: يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ قال الزجاج: لطيف باستخراجها «حَبِيرٌ» بمكانها. وهذا مثل لأعمال العباد. والمراد أن الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة، مَنْ يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرَّ عَلَى مَا أَسَابَكَ﴾ أي: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى. وباقى الآية مفسر في [آل عمران: ١٨٦].

﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ وَأَقْبَضَ فِي مَشِيكَ وَأَغْضَضَ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذَكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «تُصَيِّرُ» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ نافع، [وأبو عمرو]، وحمزة، والكسائي: بألف من غير تشديد. قال الفراء: هما لغتان، ومغناهما: الإعراض عن الكبر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وابن السميع، وعاصم الجحدري: «وَلَا تُصَيِّرُ» بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف. وقال الزجاج: معناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تكبراً؛ يقال: أصاب البعير صَعَرَ: إذا أصابه داء يَلْوِي منه عُثْقُهُ. وقال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِمَ عليه لوى عُثْقُهُ كالمستكبر. وقال

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩.

(٢) قال الألوسي في «روح المعاني»: والظاهر هو الميم. وقال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِّنْ أَنْبَاءِ الْإِنِّ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع، قال: وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري واليمنال بن عمرو، وغيرهم، وهذا - والله أعلم - كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصلق ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيديها ويظهرها بلطف علمه. اهـ.

أبو العالية: ليكن الغني والفقر عندك في العلم سواء. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الجنة<sup>(١)</sup>، فيراه فيعرض عنه. وباقى الآية مفسر في [بني إسرائيل: ٣٧] وبعضه في سورة [النساء: ٣٦].  
قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِدْ فِي مَتْنِكَ﴾ أي: ليكن مشبكاً قصداً، لا تخيلاً ولا إسراعاً. قال عطاء: امش بالوقار والسكينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: انقص منه. قال الزجاج: ومنه قولهم: غضضت بصري، وفلان يغض من فلان، أي: يقصر به. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ قرأ أبو المتوكل، وابن أبي عبله: «أَنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ» بفتح الهمزة. ومعنى «أنكر»: أقبح؛ نقول: أنا فلان بوجه منكراً، أي: قبيح. وقال المبرد: تأويله: أن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر. وقال ابن قتيبة: عَرَفَهُ قُبْحُ رَفْعِ الْأَصْوَاتِ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَالْمُلَاحَاةِ<sup>(٢)</sup> بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية. قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً، ما جعله الله للحمير. وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح لله ﷻ، إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة. فإن قيل: كيف قال: «لَصَوْتُ» ولم يقل: «لأصوات الحمير»؟ فالجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكانه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا نَجِدَنا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَأَن الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسع وأكمل ﴿نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «نِعَمَهُ»، أرادوا جميع ما أنعم به. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نِعْمَةً» على التوحيد. قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيده. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «أما ما ظهر: فالإسلام، وما سوى الله مِنْ خَلْقِكَ، وما أفضل عليك من الرزق. وأما ما بطن: فستر مساوي عملك، ولم يفضحك»<sup>(٣)</sup>. وقال الضحاك: الباطنة: المعرفة، والظاهرة: الحسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلُوا كَأَن الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو متروك الجواب، تقديره: أفشعونه؟

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤١﴾ نَعْتَمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَنْظُرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْمَلَأُ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَعْرُ يَمْدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وقتادة: «وَمَنْ يُسَلِّم» بفتح السين وتشديد اللام. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه تسليّة عن الحزن، وذلك لا يتنافى الأمر بالقتال. وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع [هود: ٤٨، النبوت: ٦١، البقرة: ٢٦٧] إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أُرِيْتُمْ مِنْ أَلْوَابٍ إِلَّا لِيُؤْتِيَهُنَّ لَأَٰلٍ لَّيْلًا﴾ [الاسراء: ٨٥]، إنا نريد، أم قومك؟ فقال: «كَلَّا»،

(١) قال في «تاج العروس»: «أجن»: الجنة بالكسر لغة في الإجنة، وقد أنكرها الأصمعي والفراء وابن الفرج، وفي «الصحيح»: ولا تقل: جنة، قال الزبيدي: قلت: والحق أنها لغة قليلة. اهـ. والإجنة: الحدق.

(٢) الملاحاة: المخاصمة والمنازعة.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٦٧/٥ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن عطاء عن ابن عباس بمعناه، ومن رواية ابن مردويه، والبيهقي، والديلمي، وابن النجار عن ابن عباس، والله أعلم. وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس من قوله، أنه قرأها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ وفسرها بالإسلام، وذكر البغوي والخازن نحو هذا المعنى موقوفاً على ابن عباس. وقال الآلوسي في «روح المعاني» بعد أن ذكر هذين الحديثين مرفوعين: فإن صح ما ذكر، غير جازم بهما، والله أعلم.



فقالوا: ألسنت تلتو فيما جاءك أننا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال: «إنها في علم الله قليل»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنما هو كلام [يوشك أن] ينفذ وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلاماً، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مِدَاداً - وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله - لتكسرت الأقلام ونفذت البحور، ولم تنفذ كلمات الله، أي: لم تنقطع<sup>(٣)</sup>. فاما قوله: «وَالْبَحْرُ» فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وَالْبَحْرُ» بالرفع، ونصبه أبو عمرو. وقال الزجاج: من قرأ: «وَالْبَحْرُ» بالنصب، فهو عطف على «ما»؛ المعنى: ولو أن ما في الأرض، ولو أن البحر؛ والرفع حسن على معنى: والبحر هذه حاله. قال البيهقي: ومعنى «يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ»: يزيد فيه؛ يقال: مَدَّدَ قِزْرَكَ، أي: زِدْ في ماها، وكذلك قال ابن قتيبة: «يَمْدُدُ» من المِداد، لا من الإمداد، يقال: مَدَّدْتُ دَوَاتِي بِالْمِدادِ، وأمددته بالمال والرجال.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَيْنَ وَجَدُّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ إِلَيْنَا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَلَئِنْ غَضِبْنَا موجًا كَاطِلًا دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَيُنْهَوْنَ مِنِّي بَغِيًا وَإِنَّا لَمَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَيْنَ وَجَدُّهُ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، عظاماً، لحماً، ثم تزعم أننا بُعِثَ خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة؟! فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup> ومعناها: ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، ولا يَعْثُبُكُمْ جميعاً في القدرة إلا كبعث نفس واحدة، قاله مقاتل. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الحج: ٦٢) إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ إِلَيْنَا﴾ قال ابن عباس: من نعمه جريان الفلك ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: لِيُرِيَكُمْ من صنعته عجائبه في البحر، وابتغاء الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال مقاتل: أي: لكل صبور على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾ في نعمه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ غَضِبْنَا موجًا كَاطِلًا﴾ يعني الكفار؛ وقال بعضهم: هو عام في الكفار والمسلمين ﴿مَوْجٌ كَاطِلٌ﴾ قال ابن قتيبة: وهي جمع ظُلة، يراد أن بعضه فوق بعض، فله سوادٌ من كثرته.

(١) «الطبري» ٨١/٢١ وفي سنده رجل مجهول، وذكره ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد، شيخ لعبد الرزاق، مجهول، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، لا مكية، والمشهور أنها مكية، والله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ١٦٧/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٢) «الطبري» ٨١/٢١، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٦٨/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن قتادة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنی وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَدْفَعُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ مَا يَبْدَتْ كُنُفُ الْفُلْكِ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً، وجعل البحر مداداً، وأمدته سبعة أبحر معه فكتب بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله، لتكسرت الأقلام ونفذ ماء البحر ولو جاء أمثالها مداداً، قال: وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطاً بالعالم كما يقوله من تلقاء من الإسراييليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَحْرُ يَدَاكُمَا لَكُنْتُمْ رَبِّي لَقَدْ الْبَحْرُ قَلٌّ أَنْ تَنْفَذَ كُنُفُ رَبِّي لَوْ رَزَقْنَاهُ يَتْلُوهُ مِنْكُمْ﴾، فليس المراد بقوله: «بمثله» آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله جراً، لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته. اهـ.

(٤) قال الألوسي في «روح المعاني» ٩١/٢١: وعن مقاتل أن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، لحماً، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟! فنزلت، قال: وذكر النقاش أنها نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأسود، ونبيه ومنه ابني الحجاج، وذكر في سبب نزولها فيهم نحو ما ذكر، ثم قال الألوسي: وعلى كون سبب النزول ذلك قيل: المعنى أنه تعالى سمع بقولهم ذلك، بصير بما يضررونه، وهو كما ترى. اهـ. وذكر مثل هذا القول الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل، والله أعلم.



قوله تعالى: ﴿وَدَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْاٰلَيْنِ﴾ وقد سبق شرح هذا [يونس: ٢٢]؛ والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شداقدهم إنما يذكرون الله وحده. وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله ﷺ ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أغلصوا، فإن ألهتكم لا تُغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعوننا إليه، لنن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مؤمن، قاله الحسن. والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مضميراً للشرك. والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل. فأما «الْحَتَّارُ» فقال الحسن: هو الغدَّار. قال ابن قتيبة: الحَتْرُ: أقيج الغدر وأشدُّه.

﴿يَكَايَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَنْتُمْ لَآ يَغْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْتَرِكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَمُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُودُ﴾ [٣٣] إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَمَسِّرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَايَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب للكفار مكة. وقوله: ﴿لَا يَغْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه. قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار. وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٤٨]. قال الزجاج: وقوله: ﴿هُوَ جَانٍ﴾ جاءت في المصاحف بغير ياء، والأصل «جازي» بضمه وتوين. وذكر سيويه والخليل أن الاختيار في الوقف هو «جازي» بغير ياء، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أن هذه الباء تسقط في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار اتباع المصحف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: بالبعث والجزاء ﴿فَلَا تَعْتَرِكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ بزيئتها عن الإسلام والتزود للآخرة ﴿وَلَا يَمُرُّكُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿الْعُرُودُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغرر. قال الزجاج: «الْعُرُودُ» على وزن الفَعُول، وقُول من أسماء المبالغة، يقال: فلان أكُول: إذا كان كثير الأكل، وضُروب: إذا كان كبير الضُرب، فقليل للشيطان: غرور، لأنه يغرر كثيراً. وقال ابن قتيبة: العُرور بفتح الغين: الشيطان، ويضمها: الباطل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا مجلب، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: «إن الله ﷻ عنده علم الساعة» متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك ﴿فَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «وَيُنْزِلُ» بالتشديد، فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ألبالاً أم نهاراً ﴿وَيَمَسِّرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لا يعلم سواه ما فيها، أذكراً أم أنثى، أبيض أم أسود ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأي مكان<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبى بن كعب، وابن أبي عبيدة: «بأيّة أرض» بقاء

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عكرمة: وقد أخرج قصة مجيء موصولة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: .... فذكرها. اهـ.

(٢) «الطبري» ٨٧/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٩/٥، وزاد نسبه للقرطبي، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٩ بدون سند، وكذلك البغوي في «التفسير» وغيره.

(٣) قال ابن كثير: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب ﴿لَا يَكُنَّ لَكُمْ آيَاتٌ إِلَّا هُوَ﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وآخرها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلد أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، قال: وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿تَعْدُو سَاعَتُكَ الْكَلْبُ لَا يَسْمَعُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية. ثم قال: وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب، قال: فروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ﴾

مكسورة. والمعنى: ليس أحد يعلم [أين] مضجعه من الأرض حتى يموت، أفى برُّ أو بحر أو سهل أو جبل. وقال أبو عبيدة: [يقال]: بأيّ أرض كنت، وبأية أرض كنت، لغتان. قال الفراء: من قال: بأيّ أرض، اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في «أيّ» تأنيثاً آخر. قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمها ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل [مصطفى]. قال الزجاج: فمن ادّعى أنه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن لأنه خالفه<sup>(١)</sup>.



= الله عِنْدَهُ لَمْ يَلَمْ السَّاعَةَ وَيُزِيلُ اللَّيْلَ وَمَا فِي الْآكَاسِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَلَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَكُونُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ قال: ورواه البخاري. اهـ.

(٢) قال الألوسي في تمة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ مبالغ في العلم، فلا يعزب عن علمه سبحانه شيء من الأشياء، ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها، قال: فالجمع بين الوصفين للإشارة إلى التسوية بين علم الظاهر والباطن عنده ﷻ. اهـ.

## سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية بإجماعهم

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها قوله: ﴿أَتَمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا...﴾ [السجدة: ١٨] وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿نَسْجَاقُ جُثُوبُهُمْ...﴾ الآية [السجدة: ١٦]. وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها ﴿نَسْجَاقُ جُثُوبُهُمْ...﴾ [السجدة: ١٦].<sup>(١)</sup>

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ ① أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفُثَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارِ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ② اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ③﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ قال مقاتل: المعنى: لا شك فيه أنه تنزيل ﴿مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿أَفَنُفُثَ بِهِ﴾ محمد من تلقاء نفسه، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارِ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني العرب الذين أدركوا رسول الله ﷺ لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ. وما بعده قد سبق تفسيره [الأعراف: ٥٤] إلى قوله: ﴿مَّا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يعني الكفار؛ يقول: ليس لكم من دون عذابه من وليٍّ، أي: قريب يمنعكم فيرد عذابه عنكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا.

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ④ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغُيُوبِ ⑤ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ لَكُمُ سُلَاسِيَةً مِنْ ثَلَاثَةِ يَمَاهُورٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِ رَبِّهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ⑨﴾

قوله تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ الملك ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة آدمي. والثاني: يذير أمر الدنيا مدة أيام الدنيا، فينزّل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في [يوم] القيامة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كآلف سنة. وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لآلف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله السدي. والثاني: القضاء، قاله مقاتل. والثالث: أمر الدنيا. و«يعرج» بمعنى يصعد. قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ فِي السَّلْمِ أَعْرُجُ، وعَرَجَ الرَّجُلُ يَعْرُجُ: إذا صار أعرج. وقرأ معاذ القارئ، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «ثُمَّ يَفْرُجُ إِلَيْهِ» بياء مرفوعة وفتح الراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يَفْرُجُ» بياء مفتوحة وكسر الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ تَفْرُجُ» بياء مفتوحة ورفع الراء.

(١) روى البخاري في «صحيحه» في كتاب الجمعة عن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ [السجدة: ١] ﴿وَقَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، ورواه مسلم أيضاً.

(٢) قال في «المصباح»: عَرَجَ في شيء عَرَجاً من باب تعب: إذا كان من علة لازمة، فهو أعرج، والأنتى عرجاء، فإن كان من علة غير لازمة، بل من شيء أصابه حتى غمز في شيء، قيل: عَرَجَ يَفْرُجُ، من باب قتل، فهو عارج.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: جعله حسناً. والثاني: أحكم كل شيء، روى عن ابن عباس، وبالأول قال قتادة، وبالثاني: قال مجاهد. والثالث: أحسنه، لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يُحسِن كذا: إذا علمه، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: أن المعنى: ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم، قاله الفراء. والخامس: أحسن إلى كل شيء خلقه، حكاه الماوردي. وفي قوله: «خَلَقَهُ» قراءة ثان: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «خَلَقَهُ» ساكنة اللام. وقرأ الباقون بتحريك اللام. وقال الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون المعنى: أحسن خلق كل شيء خلقه. وقال أبو عبيدة: المعنى: أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل مثل هذا، يقدمون ويؤخرون.

قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ خَلْقَ الْإِنسَانِ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذريته وولده؛ وقد سبق شرح الآية [المؤمنون: ١٢]. ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وقد سبق بيان ذلك [الحجر: ٢٩]. ثم عاد إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي: بعد كونكم نطفاً.

﴿وَقَالُوا أَوَآءَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ لَوْ أَنَّا لَبِئْسَ خَلْقَ جَدِيلٍ لَبِئْسَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ كَذِبُونَ﴾ ﴿قُلْ يَوَفَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُنْجَرُونَ نَاكُشُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَاتَّجَعْنَا نَعْمَلْ صَلِيلًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني منكري البعث ﴿أَوَآءَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد، وأبو رجا، وأبو مجلز، وحמיד، وطلحة: «صَلَّلْنَا» بضاد معجمة مفتوحة وكسر اللام الأولى. قال الفراء: صَلَّلْنَا وَضَلَّلْنَا لغتان، والمعنى: إذا صارت عظامنا ولحومنا تراباً كالأرض؛ تقول: ضَلَّ الماء في اللّبن، وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبيدة: «صَلَّلْنَا» [بضم] الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرها. وقرأ الحسن، وقتادة، ومعاذ القارئ: «صَلَّلْنَا» بضاد غير معجمة مفتوحة، وذكر لها الزجاج معنيين: أحدهما: أَثْنًا وَتَغَيَّرْنَا وَتَغَيَّرَتْ صُورُنَا؛ يقال: ضَلَّ اللحم وأصل: إذا أتن وتغير. والثاني: صِرْنَا من جنس الصَّلَّة، وهي الأرض اليابسة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا لَبِئْسَ خَلْقَ جَدِيلٍ﴾!؟ هذا استفهام إنكار. قوله تعالى: ﴿الَّذِي ذُكِّرَكُمْ بِكُمْ﴾ أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجزاء. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُنْجَرُونَ نَاكُشُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مطأطئوها حياةً وندماً، ﴿رَبَّنَا﴾ فيه إضمار «يقولون ربنا» ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: عَلِمْنَا صِحَّةَ مَا كُنَّا بِهِ مَكْذِبِينَ «فَاتَّجَعْنَا» إلى الدنيا؛ وجواب «لو» متروك، تقديره: لو رأيت حالهم لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العَجَب.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي: وجب وسبق؛ والقول هو قوله لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٥﴾ [ص: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من كفار الفريقين. ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة: ذوقوا العذاب. وقال غيره: إذا اضطربوا فيها قيل لهم: ذوقوا بما نسيتم، أي: بما تركتم العمل للقاء يومكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تركناكم من الرحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: سقطوا على وجوههم ساجدين. وقيل: المعنى: إنما يؤمن بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكِّرُوا بها بالأذان والإقامة خَرُّوا سُجَّدًا.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال: أخذها: أنها نزلت في المتهجدين بالليل؛ روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ في قوله: «تتجافى جنوبهم» قال: «قيام العبد من الليل»<sup>(١)</sup>. وفي لفظ آخر أنه قال لمعاذ: «إن شئت أثباتك بأبواب الخير»، قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: «الصَّومُ جُتَّةٌ، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله»، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة، وابن زيد أنها في قيام الليل. وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله ﷻ. والثاني: أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلُّون ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء [كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلُّوها، قاله ابن عباس. والرابع: أنها صلاة العشاء والصبح في جماعة، قاله أبو الدرداء، والضحاك. ومعنى «تتجافى»: ترتفع. والمضاجع جمع مضجع، وهو الموضع الذي يُضطجع عليه. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَكَلَمًا﴾ في رحمته [وثوابه] ﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ في الواجب والتطوع. ﴿فَلَا تَمَلَّمْ قَسَّ تَأْ أَخْفَى لَهُمْ﴾ وأسكن ياء «أخفي» حمزة، ويعقوب. قال الزجاج: في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها: الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به، فجعل لفظ ما يُجَازَى به «أخفي» لهم، فإذا فتحت ياء «أخفي»، فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكتها، فالمعنى: ما أخفي أنا لهم، إخبار عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسن البصري: أخفي لهم، بالخفية خفية، وبالعلائية علانية. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَمَلَّمْ قَسَّ تَأْ أَخْفَى لَهُمْ﴾»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ فِرَّةٍ أَعْيَنَ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وقتادة: «من فَرَاتٍ أَعْيَنَ» [بألف] على الجمع.

(١) رواه أحمد في «المسند» ٢٢٢/٥ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل ﷺ، وفي سننه ضعف. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسله بقيتاً. وكذلك رواه الطبري ١٠٣/٢١، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٧٥/٥ وزاد فيه لابن مردويه عن معاذ ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١: رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: «وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ». اهـ. يريد به الرواية التي بعد هذه، وأبو وائل لم يثبت سماعه من معاذ.

(٢) هو جزء من حديث طويل، رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٤١٣/٢ من حديث حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة، عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»: وميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ. والحديث رواه الطبري ١٠٢/٢١ مختصراً كما ساقه المؤلف عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ، ورواه مطولاً بنحو رواية الحاكم أحمد في «المسند» ٢٣١/٥، والترمذي في «جامعه» ٨٦/٢، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٧٣) من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث هو الحديث التاسع والعشرون من «الأربعين النووية» وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث في كتابه «جامع العلوم والحكم»: وفيما قاله الترمذي رحمه الله نظر من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسُّرِّ، والثاني: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ، خرجه الإمام أحمد مختصراً - يريد به الحديث الذي قبل هذا - ثم قال: قال الدارقطني: وهو أشبه بالصواب، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت - أي الحافظ ابن رجب الحنبلي -: رواية شهر عن معاذ مرسله بقيتاً، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، قال: وقد خرجه الإمام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وخرجه الإمام أحمد أيضاً من رواية عروة بن الزُّهَّال أو الزُّهَّال بن عروة، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، قال: وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة، والحديث ذكره السيوطي في «الدرر» ١٧٥/٥ وزاد نسبه لابن نصر في كتاب الصلاة، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ بن جبل ﷺ. اهـ. ولبعض فقرات الحديث شواهد، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٦/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٧٤/٤، ورواه الترمذي ١٥١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٥/٢١، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٧٦/٥ وزاد نسبه، لابن أبي شيبة، وأحمد وهناد كلاهما في «الزُّهَّاد»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن الأباري عن أبي هريرة ﷺ.

﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُفُّوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَهُمَّ بِرِجْزِهِمْ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الوليد بن عتبة بن أبي مُطيط قال لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سنناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فعنى بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون<sup>(٢)</sup>؛ ويجوز أن يكون لاثنتين، لأن معنى الاثنتين جماعة؛ وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان وأنه في الجنة، لقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «جنة المأوى» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ وقرأ الحسن، والنخعي، والأعمش، وابن أبي عتبة: «نُزُلًا» بتسكين الزاي. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الحج: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسعود، وبه قال قتادة، والسدي. والثاني: سنون أخذوا بها، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي. وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين. والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وأبو العالية، والحسن، وقاتدة، والضحاك. والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والخامس: عذاب القبر، قاله البراء. والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ أي: قبل العذاب الأكبر؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه القتل بيد، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَأَهُمَّ بِرِجْزِهِمْ﴾ قال أبو العالية: لعلمهم يتوبون. وقال ابن مسعود: لعل من بقي منهم يتوب. وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسرناه في [الكيف: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ﴾ قال زيد بن ربيع<sup>(٤)</sup>: هم أصحاب القدر. وقال مقاتل: هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل بيد، وضربت الملائكة وجوههم وأبدارهم، وعجل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي رَيْبٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِقِصَلِ بَيْنِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٠، عن ابن عباس عليه السلام، وفي سنده ضعف. وقال السيوطي في «أسباب النزول» ١٧٤: وأخرج ابن عدي، والخليل في «تاريخه» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، وذكره ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة. وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار، وزاد نسبة لابن إسحاق. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١ بعد أن أخرجه من رواية ابن مردويه والواحدي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ.

(٢) وكذلك قال أكثر المفسرين.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١١٠/٢١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عليهم بكل ذلك في الدنيا، بالقتل، والجوع، والشدائد، والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يخل بأهلها مما يتبلى الله به عباده ليتوبوا إليه. اهـ.

(٤) كذا الأصل، والذي في «الطبري»، و«البحر»: «يزيد بن ربيع».

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنَ الْفُورِينَ يَشْتُونَ فِي مَسْكِيهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَخَرَجَ بِهِ زَجَاجًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَتَوَلَّوْا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ سَتَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فلا تكون في مرية من لقاء موسى ربّه، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب. والثالث: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقي موسى، قاله الحسن. والرابع: لا تكن في مرية من تلقّي موسى كتاب الله بالرضى والقبول، قاله السدي. قال الزجاج: وقد قيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به، وتنبية على الأخذ بمثل هذا الفعل. وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ قولان: أحدهما: الكتاب، قاله الحسن. والثاني: موسى، قاله قتادة. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَيِّمَةً﴾ أي: قادة في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس إلى طاعة الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ [قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَمَّا بكسر اللام خفيفة. وقرأ ابن مسعود: ﴿بِمَا﴾ بياء مكان اللام؛ والمراد: صبرهم] على دينهم وأذى عدوهم ﴿وَكُنَّا نُرَآهُمْ يَأْكُلُونَ بُرُوتَهُنَّ﴾ أنها من الله ﷻ، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء. والثاني: أنهم قوم صالحون سوى الأنبياء. وفي هذا تنبيه لقريش أنكم إن أطعتم جعلتكم أمّة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي وبحكم؛ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء وأمهم. والثاني: المؤمنون والمشركون. ثم خوف كفار مكة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿نَهْدٍ﴾ بالنون. وقد سبق تفسيره في (طه: ١٢٨). ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ﴾ يعني المطر والسييل ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا تُنبِت - وقد ذكرناها في أول (الكهف: ٨) - فإذا جاء الماء أنبت فيها ما يأكل الناس والأنعام. ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ يعني كفار مكة ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ما فتح يوم بدر؛ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: يوم بدر فتح للنبي ﷺ، فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت. والثاني: أنه يوم القيامة، وهو يوم الحكم بالثواب والعقاب، قاله مجاهد. والثالث: أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا؛ قاله السدي. والرابع: فتح مكة، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة<sup>(٢)</sup>؛ وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف لا ينفع الكفار إيمانهم يوم الفتح، وقد أسلم جماعة منهم وقُبل إسلامهم يومئذ؟! فنعته جوابان: أحدهما: لا ينفع من قُتل من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. وقد ذكر أهل السير أنَّ خالدًا دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ﷺ، فلقى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل، وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ﷺ قال: «الم أنه عن القتال؟» فقيل: إن خالدًا قاتل قاتل<sup>(٣)</sup>. والثاني: لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان، لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَهْلَقَ

(١) رواه الطبري ١١٢/٢١ مطولاً من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٦٣/٣ من رواية الطبراني به مرفوعاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٧٩/٥ وزاد نسبة للضياء في «المختارة» عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم؟ يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾، ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه. قال: وقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: يوم الحكم ومجيء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبياتاته إيمانهم الذي يُحدثونه في ذلك الوقت. وقال: وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. اهـ.

(٣) ذكره ابن هشام ٤٠٧/٢ عن ابن إسحاق بدون سند، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٧/٤ من رواية الطبراني بنحوه.



بآية فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً، فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمانُ عنهم عذابَ الله. وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما يبتأ وجهه لأنه قد قيل. وقد خرج بما ذكرناه في الفتح قولان: أحدهما: أنه الحكم والقضاء، وهو الذي نختاره. والثاني: فتح البلد. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ أي: انتظر عذابهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ بك حوادث الدهر<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.



(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٤٠٨/٣ بلفظ: «من دخل دار أبي سفيان فهو وآمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» وأخرجه ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق معضلاً، ولكن وصله ابن جرير الطبري، ورواه أبو داود عن ابن إسحاق بإسناد آخر له عن ابن عباس، وفي سننه رجل مجهول، وله عن أبي داود إسناد ثالث ورجاله ثقات، لكن لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر فإن الله سينزل لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: أنت منتظر وهم منتظرون، ويترصون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرك وتأييدك، وسيجدون غيباً ما ينتظرون فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. اهـ.

## سورة الأحزاب

وهي مدنيّة بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَيْنَا مَا يَدْعُو مِنْ دُونِكَ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَنْظُرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدِيمَهُكُمْ إِبْنَاءَكُمْ فَلَكُمْ بِأَفْوَاجِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبب نزولها أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ في الموادة التي كانت بينهم، فنزلوا على عبد الله بن أبيّ، ومعتب بن قُشير، والجَدُّ بن قيس، فتكلّموا فيما بينهم، وأتوا رسول الله ﷺ فدعوه إلى أمرهم وعرضوا عليه أشياء كرهها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: سألوا رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر اللات والعزى ويقول: إن لها شفاعة، فكَرِهَ ذلك، ونزلت [هذه] الآية<sup>(١)</sup>. وقال ابن جرير: ﴿وَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ﴾ الذين يقولون: اطرد عنا أتباعك من ضعفاء المسلمين، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فلا تقبل منهم رأياً. فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى، وهو سيّد المتّقين؟! فَعَنَ ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه. والثاني: الإكثار مما هو فيه. والثالث: أنه خطاب ووجه به، والمراد أمته. قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمنافيقين: عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطُعْمَةُ بن أُبَيْرِق. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ٨١] إلى قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المنافيقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان، قلب معنا، وقلب مع أصحابه، فأكذبهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في جميل بن مَعْمَر الفهري - كذا نسبة جماعة من المفسرين. وقال الفراء: جميل بن أسد، ويكنى: أبا مَعْمَر. وقال مقاتل: أبو مَعْمَر بن أنس الفهري - وكان لبيباً حافظاً لِمَا سَمِعَ، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلَمَّا كان يوم بدر وهُزِمَ المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقّاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: ما حال الناس؟ فقال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرتُ إلّا أنهما في رجلتي، فعرَفُوا [يومئذ] أنه لو كان له قلبان لَمَّا نسي نعله في يده<sup>(٣)</sup>؛ وهذا قول جماعة من المفسرين. وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بلَعْنَا أن ذلك في زيد بن حارثة ضُرب له مثل يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابْنَكَ<sup>(٤)</sup>. قال الأخفش: «مِنْ» زائدة في قوله: «مِنْ قَلْبَيْنِ». قال الزجاج: أكذب الله ﷻ هذا الرجل الذي قال: لي

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بغير سند، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٢: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

(٢) «الطبري» ١١٨/٢١، وفي سنده قابوس بن أبي طيبان، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. ورواه الترمذي في «جامعه» ١٥١/٢ وقال: حديث حسن، وفي سنده أيضاً قابوس بن أبي طيبان، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤١٥/٢، وضححه، ولكن قال الذهبي في تحقّيه عليه: قلت: قابوس ضعيف. وأورد الحديث السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، وزاد نسبة لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس ﷺ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره الطبري ١١٨/٢١، مختصراً عن ابن عباس أنها نزلت في رجل من قريش يسمى من ذُكِرَ: ذا القلبين، وذكر عن مجاهد أن رجلاً من بني فهر قال: إن في قلبي جوفين... الخ، وذكره السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، من رواية ابن أبي حاتم مختصراً عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

(٤) ذكره الطبري ١١٩/٢١، عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري. وأورده السيوطي في «الدر» ١٨١/٥ من

قلبان، ثم قرر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم ممّا لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلْ أَرْبَابَكُمْ إِلَهِي تَكْفُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْمِيكُمْ﴾ فأعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنت عليّ كظهر أمي، وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَرْبَابَكُمْ أَنْبَاءَكُمْ﴾ أي: ما جعل من تدعونه أبناء - وليس بولد في الحقيقة - أبناء ﴿وَلَكُمْ قُلُوبٌ وَأَبْصَارٌ﴾ أي: نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة تحته ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: لا يجعل غير الابن ابناً ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: للسبيل المستقيم<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَرْبَابَكُمْ إِلَهِي تَكْفُرُونَ مِنْهُنَّ﴾ نزلت في أوس بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة. ومعنى الكلام: ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهنّ كأمهاتكم في التحريم، إنّما قولكم معصية، وفيه كفارة، وأزواجكم لكم حلال؛ وسنشرح هذا في سورة (المجادلة) إن شاء الله. وذكرنا أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلْ أَرْبَابَكُمْ أَنْبَاءَكُمْ﴾ نزل في زيد بن حارثة، اعتقه رسول الله ﷺ وتبنّاه قبل الوحي، فلما تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش قال اليهود والمنافقون: تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلَاخُذُكُمْ فِي الَّذِينَ وَمَوْلَاهُمْ وَلَكُمْ جُنُحٌ عَلَيْهِمْ وَمَا تَعْمَدْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠﴾ التّي أولًا بالمؤنّين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولٌ ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلّا أن تفعلوا إلّا أوليائكم معروفًا كان ذلك في الكتاب مسطورًا ١١﴾

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ قال ابن عمر: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلّا زيد بن محمد، حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدل، ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم ﴿فَلَاخُذُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، فليقل أحدكم: يا أخي، ﴿وَمَوْلَاهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: بنو عمكم. ويجوز أن يكون «مواليكم» أوليائكم في الدين. ﴿وَلَكُمْ جُنُحٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: خطيئتهم، ﴿وَمَا تَعْمَدْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما أخطأتم به قبل النّهي، قاله مجاهد؛ والثاني: في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه وأنتم ترونه كذلك، قاله قتادة. والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت. فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعْمَدْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعد النّهي. وعلى الثاني والثالث: ما تعمّدت في دعاء الرجل إلى غير أبيه.

رواية عبد الرزاق، وابن جرير الطبري عن الزهري، وكذا قال مجاهد، وقاتة، وابن زيد: إنّها نزلت في زيد بن حارثة ﷺ. قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال: لرجل في جوفه قلبان يعقب بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيباً لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سُعيّ ذا القلبين من ذفيه، وأي الأمرين كان، فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة. اهـ.

(١) قال ابن كثير في هذه الآيات: ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ فِي جُودِهِ...﴾ إلى آخره: يقول تعالى موطناً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حبيماً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت عليّ كظهر أمي أمّاً له، كذلك لا يصير الدعي ولداً للرجل إذا تبناه فدعا ابناً له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ فِي جُودِهِ وَنَا جَعَلَ أَرْبَابَكُمْ إِلَهِي تَكْفُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْمِيكُمْ﴾ بقوله ﷺ: ﴿وَمَا تَعْمَدْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ إلّا أنّهم لا إله إلّا الله ولا تدعونه... الآية، ثم قال: وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْبَابَكُمْ أَنْبَاءَكُمْ﴾ هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة ﷺ مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْبَابَكُمْ أَنْبَاءَكُمْ﴾ كما قال تعالى في أثناء السورة: ﴿وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ١٠﴾ وقال هاهنا: ﴿لَكُمْ قُلُوبٌ وَأَبْصَارٌ﴾ يعني: تبشّركم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ قال سعيد بن جبيرة: «يقول الحق» أي: العدل، وقال قتادة: «وهو يهدي السبيل» أي: الصراط المستقيم. اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥، من رواية الفريابي، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، عن مجاهد ﷺ.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٧/٨، ومسلم في ١٨٨٤/٤، وأخرجه الترمذي، والنسائي، من طرق، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١، وأوردته السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥ وزاد نسبه لابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أحق، فله أن يحكم فيهم بما يشاء، قال ابن عباس: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعته أولى من طاعة أنفسهم؛ وهذا صحيح، فإن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: في تحريم نكاحهن على التأييد، ووجوب إجلالهن وتعظيمهن؛ ولا تجري عليهن أحكام الأمهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتهن، ولَوُرِّثَ المسلمون، ولجازت الخلوة بهن<sup>(٢)</sup>. وقد روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت: يا أمّاه، فقالت: لست لك بأُم؛ إنما أنا أُم رجالكم<sup>(٣)</sup>؛ فبان بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط. وقال مجاهد: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ وهو أب لهم. وما بعد هذا مفسر في آخر (الأنفال) إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والمعنى أن ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يَرثُوا بالإيمان والهجرة كما كانوا يفعلون قبل النسخ<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [وهذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن فعلمكم إلى أوليائكم معروفاً] جائز، وذلك أن الله تعالى لَمَّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة، أباح الوصية للمعاقدن، فلإنسان أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. فالمعروف هاهنا: الوصية.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿لَسْنَا لَاصْدُقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَرَّدَ ثَمَرَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَمْلِكُونَ بِغِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكر إذا أخذنا ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ أي: عهدهم؛ وفيه قولان: أحدهما: أخذ ميثاق النبيين: أن يصدق بعضهم بعضاً، قاله قتادة. والثاني: أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، ويصدق بعضهم بعضاً، وأن ينصحووا لقومهم، قاله مقاتل. وهذا الميثاق أخذ منهم حين أخرجوا من ظهر آدم كالدُّر. قال أبي بن كعب: لَمَّا أخذ ميثاق الخلق خصّ النبيين بميثاق آخر<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: لِمَ خصّ الأنبياء الخمسة بالذكر دون غيرهم من الأنبياء؟ فالجواب: أنه نبّه بذلك على فضلهم، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع؛ وقُدِّم نبينا ﷺ بيانا لفضله عليهم.

(١) قال ابن كثير: قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم كان مقبلاً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وفي «الصحيح»: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» قال: وفي «الصحيح» أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله! والله أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: يا رسول الله! والله لانت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ: «الآن يا عمر» ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. قال: وقال البخاري عند هذه الآية الكرسيّة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقروا إن شئتم: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأما مؤمن ترك ماله فليرثه حصته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتي فأنما مولاه» اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَأَرْزُقْنَهُمْ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمي بعض العلماء بناتهن: أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي ﷺ في «المختصر» وهو من باب إطلاق العبارة، لا إثبات الحكم، ثم قال: وهل يقال لمعاوية وأمّاله: خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء ﷺ، ونص الشافعي ﷺ على أنه لا يقال ذلك، قال: وهل يقال لهن: أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليظاً؟ فيه قولان، صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا يقال ذلك، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي ﷺ. اهـ.

(٣) أورده السيوطي في «الدرر» ١٨٢/٥ بنحو من رواية ابن سعد، وابن المنذر، والبيهقي في «مسننه» عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) قال ابن كثير: أي القربات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، قال: وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قرباته وذوي رحمه للأخوة التي أخی بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وبقيّة الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق. اهـ.

قال قتادة: كان نبينا أول النبيين في الخلق<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿يَتَنَفَّسُ عَظِيمًا﴾ أي: شديداً على الوفاء بما حُمِّلوا. وذكر المفسرون أن ذلك العهد الشديد: اليمين بالله ﷻ. ﴿لَيْسَتِ الْصَّدِيقِينَ﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين، وهم الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغهم. ومعنى سؤال الأنبياء - وهو يعلم صدقهم - تبكيت مكذبيهم. وهاهنا تم الكلام. ثم أخبر بعد ذلك عما أعد للكافرين بالرسول.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُودٌ﴾ وهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرفهم إلى مكة فألبوا قريشاً ودعَّوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عنده فاتوا غطفان وسُليم، ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريش ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سُليم بـ «مر الظهران»، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب؛ فلما بلغ رسول الله ﷺ خروجهم من مكة، أخبر الناس خبرهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح «سُلع»<sup>(٢)</sup>، وجعل سلماً خلف ظهره؛ ودسَّ أبو سفيان بن حرب خبيئ ابن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتد الخوف، وعظَّم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشة وقتال، وحُصِر رسول الله ﷺ وأصحابه بضعة عشرة ليلة حتى خلس إليهم الكَرْبُ، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخدَّل بينهم، فاستوحش كل منهم من صاحبه، واعتلَّت قريظة بالسبت فقالوا: لا نقاتل فيه، وهبَّت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدار مُقام، لقد هلك الخُفُّ والحافر، وأجذب الجناب<sup>(٣)</sup>، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من الريح ما تُرون، فارتجلوا فإني مرتجل؛ فأصبحت العساكر قد أفسحت كلها<sup>(٤)</sup>. قال مجاهد: والريح التي أرسلت عليهم هي الصَّبا<sup>(٥)</sup>، حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. والجنود: الملائكة، ولم تقاتل يومئذ<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن الملائكة جعلت تغلُّ أوتادهم وتطفئ نيرانهم وتكبِّر في جوانب عسكرهم، فاشتدت عليهم، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَزَوْهَا﴾ وقرأ النخعي، والجحدري، والجوني، وابن السميع: «لم يَزَوْهَا» بالياء «وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَمَلُّونَ بَصِيرًا» وقرأ أبو عمرو: «[يعملون]» بالياء.

(١) هذا الكلام ذكره بعضهم عن قتادة موقوفاً عليه، ورواه ابن جرير الطبري ١٢٥/٢١، من طريق سعيد بن بشير الأزدي عن قتادة مرسلاً قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث» وسعيد بن بشير الأزدي، ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»، والحديث ذكره ابن كثير ٤٦٩/٣، من رواية ابن أبي حاتم من حديث بشير بن سعيد قال: حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، فبدأ بي قبلهم» ثم قال ابن كثير: وسعيد بن بشير فيه ضعف، قال: ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً، وهو الأشبه، قال: ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» رواه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلُّهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعاً. اهـ. وسعيد بن بشير ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر، وللحديث رواية أخرى من حديث ميسرة الفجر بلفظ: «كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد» وهو صحيح الإسناد، أخرجه أحمد، والبخاري في «تاريخه» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم وصححه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولكن ليس معناه كما يتوهم بعض الناس أن نبينا محمداً ﷺ كان موجوداً بذاته قبل آدم، وأن ذاته خلقت قبل الدوات، ومن يقول بذلك فلنما يعتمد على أحاديث غير صحيحة في هذا الموضوع.

(٢) قال في «معجم البلدان»: سُلعٌ: جبل يسوق المدينة.

(٣) قال في «الصالحات»: الجناب، بالفتح: الفناء، وما قُرِبَ من محلِّه القوم، والجمع أخبئة.

(٤) أَفْسَحَ القَوْمُ وتَشَعَّرُوا وتَشَعَّرُوا: ذهبوا وافترقوا.

(٥) عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: تَمُصِّرُ الصَّبا وأَهْلَكَثُ هَاذَ اللَّذْبُورَ رواه أحمد، والبخاري، ومسلم. والصَّبا: الريح تهب من مطلع الشمس، والذَّبُور: الريح تهب من جهة المغرب، تقابل الصَّبا.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤٧٠/٣، و«سيرة ابن هشام» ٢١٤/٢ و«البداية والنهاية» لابن كثير ٩٢/٤.



الماوردي قولين [آخرين]: أحدهما: لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن. والثاني: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَسَتَنذِرُ فِرْقٍ مِّنْهُمُ النَّارَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقال السدي: إنما استأذنه رجلاً من بني حارثة. والثاني: بنو حارثة، وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَبُوتًا عَوْرَةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: خالية، فقد أمكن من أراد دخولها، وأصل العورة: ما ذهب عنه السر والحيض، فكان الرجال يستر وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا أغورت البيوت، تقول العرب: أغور منزلي: إذا ذهب ستره، أو سقط جداره، وأغور الفارس: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن، يقول الله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ لأن الله يحفظها، ولكن يريدون الفرار. وقال الحسن، ومجاهد: قالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا ممّا يلي العدو، ولا نأمن على أهلنا، فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارٍ﴾ يعني المدينة؛ والأقطار: النواحي والجوانب، واحدها: قُطر، ﴿ثُمَّ سِئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والضحاك، والزهري، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين وكسر الباء من غير همز. وقرأ أبي بن كعب، ومجاهد، وأبو الجوزاء: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين ومدّ الواو بهمزة مكسورة بعدها. وقرأ الحسن، وأبو الأشهب: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين وسكون الواو من غير مدّ ولا همز. وقرأ الأعمش، وعاصم الجحدري: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ بكسر السين ساكنة الباء من غير همز ولا واو. ومعنى: ﴿سِئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾، أي: سئلوا فعلها؛ [والفتنة: الشرك، ﴿لَا تَوْهَا﴾] قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿لَا تَوْهَا﴾ بالقصر، أي: لقصدها، ولفعلوها. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: ﴿لَا تَوْهَا﴾ بالمد، أي: لأعطوها. قال ابن عباس في معنى الآية: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، قاله قتادة. والثاني: وما تلبثوا بالمدينة بعد الإجابة إلا يسيراً حتى يعذبوا، قاله السدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيباً، وهو أن الفتنة هاهنا: الحرب، والمعنى: ولو دخلت المدينة على أهلها من أقطارها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الحرب لأتوها مباشرين، وما تلبثوا - يعني الجيوش الداخلة عليهم بها - إلا قليلاً حتى يخرجهم منها؛ وإنما منعهم من القتال معك ما قد تداخلهم من الشك في دينك<sup>(١)</sup>؛ قال: وهذا المعنى حفظه من كتاب الواقدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَكُمْ يَوْمَ بَيْتِ﴾ في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر، فلمّا علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا: لئن شهدنا قتالاً لثقاتلن، قاله قتادة. والثاني: أنهم أهل العقبة، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما نزل بالمسلمين يوم أحد ما نزل، عاهد الله معتب بن قشير وثعلبة بن حاطب: لا نولّي دُبُرًا قطّ، فلمّا كان يوم الأحزاب نافقا، قاله الواقدي، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وهو أليق ممّا قبله. وإذا كان الكلام في حق المنافقين، فكيف يُطلق القول على أهل العقبة كلّهم!

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة أن الفتنة: الشرك، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن الفتنة: الشرك، وكذلك قال البيهقي والخازن، وقال ابن كثير: الفتنة: هي الدخول في الكفر. وقال الشوكاني في «فتح القدير» الفتنة هنا: إما القتال في المصيبة كما قال الضحاك، أو الشرك بالله والرجعة إلى الكفر الذي يبتغونه ويظهرون خلافه كما قاله الحسن. وقال الألويسي في «روح المعاني»: الفتنة: أي القتال كما قال الضحاك، ثم قال: كأنه شبه الفتنة المطلوب اتباعهم فيها بأمر نفيس يطلب منهم بذله، ونزل إطاعتهم واتباعهم بمنزلة بذل ما سئلوا وإعطائه، ثم قال: والمراد: أنهم لو سألهم غيرك القتال وهم في أشد حال وأعظم لبالي، لأسرعوا جداً، فضلاً عن الصلح باختلاف بيوتهم مع سلامتها كما فعلوا الآن، قال: والحاصل أن طلبهم الإذن في الرجوع ليس لاختلاف بيوتهم، بل لثقاتهم وكراهتهم نصرتك. اهـ.

(٢) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: متروك مع سعة علمه. له تصنيف كثيرة، منها «تفسير القرآن».



قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة. ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَنْفَعُونَ﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالكم. ثم أخبر أن ما قدره عليهم لا يُدفع، بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَمْسِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: يجرىكم ويمنعكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ وهي النصر والعافية والسلامة ﴿وَلَا يَحِثُّونَ لَهُمْ بَيْنَ ذَٰلِكَ وَاللَّهُ وَكِيلٌ﴾ أي: لا يجدون موالياً ولا ناصراً يمنعهم من مُراد الله فيهم.

﴿قَدْ بَلَغَ اللَّهُ الْمُتَوَفِّيَنَا مِنَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْقَتْلُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْقَتْلُ سَلَفُكُمْ بِالسَّيِّئَةِ جَدَاوِ أَيْحَةَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا فَاحْبِطْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَسِيرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَكِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَهْلِيكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَلَغَ اللَّهُ الْمُتَوَفِّيَنَا مِنَ الْقَائِلِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد أخاه لأمه وأبيه وعنده شياء ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله بين الرماح والسيوف؟! فقال: هلم إلي، لقد أحبط بك وبصاحبك؛ والذي يُخلفُ به لا يستقبلها محمداً أبداً، فقال له: كذبت، والذي يُخلفُ به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية إلى قوله: ﴿يَسِيرُونَ﴾، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن عبد الله بن أبي مُعَتَب بن قُصَيْرِ والمنافقين الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن اتونا بالمدينة فإننا نتظرهم - يبطونهم عن القتال - وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بذاً، فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>. والمعوق: المشط؛ تقول: عاقني فلان، واعتاقني، وعوقني: إذا منعك عن الوجه الذي تريده. وكان المنافقون يعوقون عن رسول الله ﷺ نُضَارَهُ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد. والثاني: أنهم اليهود دعوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المنافقون دعوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ أي: لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للرياء والشُّمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك [القليل]<sup>(٤)</sup> لله لكان كثيراً.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً<sup>(٥)</sup>، بخلاء عليكم. وللمفسرين فيما شحوا به أربعة أقوال: أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد. والثاني: بالنفقة في سبيل

(١) ذكره الطبري ١٣٩/٢١، عن ابن زيد، وأورده السيوطي في «الدر» ١٨٨/٥، من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٢) ذكره الألويسي في «تفسيره» مختصراً عن ابن السائب بدون سند.

(٣) قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال الواحدي: قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يبطون أنصار النبي ﷺ. اهـ. يقال: أنصار، ونضار، كما في «اللسان».

(٤) زيادة من «تفسير البغوي».

(٥) قال في «اللسان»: والتعذير في الأمر: التقصير فيه، وأعذر: قصر ولم يبلغ وهو يُرى أنه مبالغ. وعذر الرجل فهو معذر: إذا اعتذر ولم يأت بعذر. وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ هَٰؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَا عَدْرَ لَهُمْ وَلَكِنْ يَكْتُمُونَ عَدْرًا﴾ قال: قال الأزهري: ويكون المعذرون بمعنى المقصرين على مفعلين من التعذير وهو التقصير. اهـ. وقال ابن جرير الطبري: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال: يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضاً فيكم ما نفَعُوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلاً، يقول: إلا تعذيراً، لأنهم لا يقاتلون حبة ولا رجاء ثواب. اهـ.

الله. والثالث: بالغنيمة، روي عن قتادة. وقال الزجاج: بالظَّفَر والغنيمة. والرابع: بالقتال معكم، حكاه المارودي<sup>(١)</sup>. ثم أخبر عن جُبنهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَ الْفَوْقُ﴾ أي: إذا حضر القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ يَنْ كُدُورَانِ عَيْنَ الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ الَّذِي دَنَا مَوْتُهُ وَغَشِيَتْهُ أَسْبَابُهُ، فَهُوَ يَخَافُ وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلَا يَظْفِرُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ الْقَتْلَ. ﴿إِذَا ذَهَبَ لَئِقُوكُمْ سَلَفُوكُمْ﴾ قال الفراء: أَدَوَكُمْ بالكلام في الأمن ﴿وَاللَّيْنَةُ جِدَادٌ﴾ سليطة ذرية<sup>(٢)</sup>، والعرب تقول: صَلَفُوكُمْ، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ وهذا قول الفراء. وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة في آخرين. وقال الزجاج: معنى «سلفوكم»: خاطبوكم أشدَّ مخاطبةً وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيبٌ مُسْلِقٌ: إذا كان بليغاً في خطبته ﴿أَشِجَّةٌ عَلَى الْغَيْرِ﴾ أي: خاطبوكم وهم أشجَّةٌ على المال والغنيمة. قال قتادة: إذا كان وقت قسمة الغنيمة، بسطوا السنتهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم أحقَّ بها منّا؛ فأما عند البأس، فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند الغنيمة، فأشجَّ قوم. وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن يُنفقوه في سبيل الله تعالى. والثالث: على رسول الله ﷺ بظفَره.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَصِبُوا﴾ أي: هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين، لنفاقهم ﴿فَلَحَبِطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال مقاتل: أبطل جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ بَيِّرًا﴾. ثم أخبر عنهم بما يدل على جُبنهم، فقال: ﴿يَحْشُرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجُبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، ﴿وَلَكِنْ يَأْتِي الْأَحْزَابَ﴾ [أي]: يرجعوا إليهم كَرَّةً ثانية للقتال ﴿يُودُّوْنَ لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: يتمنّوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم، ﴿يَسْتَلُوكَ عَنْ آبَائِكَمْ﴾ أي: ودُّوا لو أنهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، قرأاً وجُبناً؛ وقيل: بل يسألون شماتةً بالمسلمين وفرحاً بنكباتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم ﴿مَتَا قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا رميةً بالحجارة، قاله ابن السائب. والثاني: إلا رياءً من غير احتساب، قاله مقاتل. ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَى حَسَنَةً﴾ أي: فِدوةٌ صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر [مع] كما صبر يوم أُحُد حتى كُتِبت رِباعيته وشُجَّ جبينه وقُتِلَ عُمُه، وآساكم مع ذلك بنفسه. وقرأ عاصم: «أُسوة» بضم الألف، والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان. قال الفراء: أهل الحجاز وأسَد يقولون: «إِسوة» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون: «أُسوة» بالضم. وخَصَّ الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين، فقال: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ الْآخِرِ﴾ والمعنى أن الأسوة برسول الله إنما كانت لِمن كان يرجو الله [واليوم الآخر]؛ وفيه قولان: أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم، قاله ابن عباس. والثاني: يخشى الله ويخشى البعث، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كِبَرًا﴾ أي: ذكراً كثيراً، لأن ذاكرة الله متبَع لأوامره، بخلاف الغافل عنه<sup>(٣)</sup>. ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وفي ذلك الوعد قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿أَمَّ حَبِشَتُهُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [الآية، البقرة: ٢١٤] فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، قاله ابن عباس، وقاتلة في آخرين. والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الجيرة، ذكره المارودي وغيره.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصهم وصفهم من معاني الشح بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشجَّة على المؤمنين بالغنيمة، والخير، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين. اهـ.

(٢) أي: فاحشة. وفَرْبُ اللسان: حدته.

(٣) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التماسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، قال: ولهذا قال تعالى للذين تغلبوا وتضعضعوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَى حَسَنَةً﴾، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟! ولهذا قال تعالى: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهُ كِبَرًا﴾. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني ما رآوه ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ بوعده الله ﴿وَسَلِيمًا﴾ لأمره.

﴿يَنْ الْمُؤْمِنِينَ يَسَّالْ صَدَقَاتُ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْتَهُمْ مَنْ قَضَى حَقَّهُ وَهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ ٢٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَلَّفَ كَانْ عَقُورًا رَجِيمًا ٢٤ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيمًا ٢٥ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدَارَهُمْ وَآتَوَكَّمْ وَأَرْضًا لَمْ تَحْكُمُوا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧

قوله تعالى: ﴿يَنْ الْمُؤْمِنِينَ يَسَّالْ صَدَقَاتُ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر، قاله أنس بن مالك. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: غاب عُمَيَّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ قَاتِلِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشْرِكِينَ، لِنِ اسْهَدَنِي اللَّهُ ﷻ قِتَالًا لِيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا كُنْ يَوْمَ أُحُدٍ انْكَشَفَ النَّاسُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ، وَأَعْتَدْتُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ<sup>(٣)</sup>؛ ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، فَقَالَ: أَيُّ سَعْدٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ، وَهَآءُ لَرِيحِ الْجَنَّةِ<sup>(٤)</sup>. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعْتُ؛ قَالَ أَنَسُ: فَوُجِدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَى بِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً، مِنْ ضَرْبَةِ سَيْفٍ، وَطَعْنَةٍ بِرِمَحٍ، وَزَمِيَةٍ بِسَهْمٍ، قَدْ مَثَلُوا بِهِ؛ قَالَ: فَمَا عَرَفْنَاهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ أَخِيَّ بَنَانَهُ<sup>(٥)</sup>؟ قَالَ أَنَسُ: فَكُنَّا نَقُولُ: أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَنْ الْمُؤْمِنِينَ يَسَّالْ صَدَقَاتُ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ<sup>(٦)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَبْرَةَ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا عَنْ طَلْحَةَ، قَالَ: ذَاكَ أَمْرٌ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَيَنْتَهُمْ مَنْ قَضَى حَقَّهُ﴾ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ<sup>(٧)</sup>. وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُ الْمُقْسِرِينَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْآيَةِ فِي طَلْحَةَ، وَأَوَّلَهَا فِي أَنَسٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَقَوَّاهُ بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَةِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، فَعَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَتَّخِروا بَعْدَهَا. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا أَنْ لَا يَفِرُوا إِذَا لَاقُوا، فَصَدَّقُوا. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمْ عَاهَدُوا عَلَى الْبِأْسَاءِ وَالْفُرْءَاءِ وَحِينَ الْبِأْسِ.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْتَهُمْ مَنْ قَضَى حَقَّهُ وَهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: فَمَنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: فَمَنْهُمْ مَنْ قَضَى عَهْدَهُ قُتِلَ أَوْ عَاشَ. وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْضِيَهُ بِقِتَالٍ أَوْ صَدَقٍ لِقَاءٍ،

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٧/ ٢٧٤: وَمَرَادُهُ أَنْ يَبَالِغَ فِي الْقِتَالِ وَلَوْ زَهَقَتْ رُوحُهُ، قَالَ: وَقَالَ أَنَسُ فِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ: وَخَشِيَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، أَيِ غَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ مِنْهُ، وَالْخَوْفُ، لِئَلَّا يَعْزِزَ لَهُ عَارِضٌ فَلَا يَبْقَى بِمَا يَقُولُ، فَيُصِيرُ كَمَنْ وَعَدَ فَأَخْلَفَ. أَمَّا: وَلَقَدْ مَسَلَمَ «بِإِرَانِي» اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي «فَرْشِ سَلَمٍ» وَيَكُونُ «مَا أَصْنَعُ» بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي «بِرَانِي» أَيِ: لِيَرَى اللَّهُ مَا أَصْنَعُ.

(٢) فِي الْبُخَارِيِّ ٦٦/ ٦ «وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ» وَفِيهِ: ٧/ ٢٧٤ «فَهَرَمَ النَّاسُ».

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٦/ ١٨: قَالَ الزَّيْنُ ابْنُ الْحَنَبِيِّ: مَنْ أَبْلَغَ الْكَلَامَ وَأَفْصَحَهُ قَوْلُ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ: أَعْتَدْتُ إِلَيْكَ، وَفِي حَقِّ الْمَشْرِكِينَ: أَبْرَأُ إِلَيْكَ، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَرْضِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مَعَ تَغَايُرِهِمَا فِي الْمَعْنَى.

(٤) وَهَآءُ لَرِيحِ الْجَنَّةِ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: «وَهَآءُ» كَلِمَةٌ تَحْتَنُّ وَتَلْهَفُ. أَمَّا:

(٥) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: فِي رِوَايَةٍ ثَابِتٍ، فَقَالَتْ عَمَتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ أخته: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، قَالَ: زَادَ النَّسَائِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: وَكَانَ حَسَنَ الْبَنَانِ، قَالَ: وَالبَنَانُ: الْأَصْبَحُ، وَقِيلَ: طَرَفُ الْأَصْبَحِ. أَمَّا:

(٦) الْبُخَارِيُّ ٦/ ١٦، وَمُسْلِمٌ ٣/ ١٥١٢، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْمَغَازِي» ٧/ ٢٧٤، وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ النِّزُولِ، وَرَوَاهُ أَيْضًا فِي «التَّضْيِيرِ» ٨/ ٣٩٨ مَقْتَصِرًا عَلَى سَبَبِ النِّزُولِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ٢/ ١٥١، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ فِي «السُّنَنِ»، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «التَّضْيِيرِ» ٢١/ ١٤٧، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٥/ ١٩٠، وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِابْنِ سَعْدٍ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالبُخَارِيُّ فِي «مَجْمَعِهِ»، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِجَةِ»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الدَّلَالَةِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٦/ ١٧: وَفِي قِصَّةِ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ مِنْ الْفَوَائِدِ: جَوَّازُ بَلْغِ النَّفْسِ فِي الْجِهَادِ، وَفَضْلُ الْوَفَاءِ بِالْمَعْدِ وَلَوْ شَقَّ عَلَى النَّفْسِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى إِهْلَاكِهَا، وَأَنْ طُلِبَ الشَّهَادَةُ فِي الْجِهَادِ لَا يَتَأَوَّلُ النِّهْيَ عَنْ الْإِلْقَاءِ إِلَى الْهَيْلَكَةِ، قَالَ: وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَكَثْرَةِ التَّوَقُّفِ وَالتَّوَرُّعِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ. أَمَّا:

(٧) أَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٥/ ١٩١ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الشَّيْخِ، وَابْنِ صَالِحٍ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ. وَالْأَعْلَمُ: قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» ٢١/ ٣٩٧: ثَبِتَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّهَا طَلَعَتْ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتِ يَا طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»، وَقَالَ: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةٍ، وَالْحَاكِمُ، أَمَّا: وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ بِنَحْوِ ٢١/ ١٤٧.

قاله مجاهد: والثالث: فمنهم من قضى نذره الذي كان نذر، قاله أبو عبيدة. فيكون النُخب على القول الأول: الأجل؛ وعلى الثاني: العهد؛ وعلى الثالث: التُّبُو. وقال ابن قتبية: «قضى نخبه» أي: قُتل، وأصل النُخب: النُّذر، كان قوماً نذروا<sup>(١)</sup> أنهم إن لَقُوا العدو قاتلوا حتى يُقْتَلُوا أو يُفْتَحَ اللهُ عليهم، فقتلوا، فقيل: فلان قضى نخبه، أي: قُتل، فاستعير النُخب مكان الأجل، لأن الأجل وقع بالنُخب، وكان النُخب سبباً له، ومنه قيل للعطية: «مَنْ»، لأن من أعطى فقد مَنْ. قال ابن عباس: مَنْ قضى نخبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر وأصحابه. وقال ابن إسحاق: «فَوَيْتَهُمْ مَنْ قَتَلَ نَحْبَهُمْ» من استشهد يوم بدر وأُحِد، «وَوَيْتَهُمْ مَنْ يَنْظُرُ» ما وعد الله من نصره، أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه «وَمَا بَدَلُوا» أي: ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم عليه، كما غير المنافقون.

قوله تعالى: «لِيَخْزِيَ اللَّهُ الْمُتُفِينِ بِصِدْقِهِمْ» وهم المؤمنون الذين صدقوا فيما عاهدوا [الله] عليه «وَيُؤَدِّبُ الْمُتُفِينِ» بنقض العهد «إِنْ فَكَّ» وهو أن يخسبهم على نفاقهم «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» في الدنيا، فيخرجهم من النفاق إلى الإيمان، فيغفر لهم. «وَرِءَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني الأحزاب، صلَّهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين «يُعْطِيهِمْ» أي: لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا «أَوْ يَتَأَلَّوْا خِزْياً» أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً، فخطبوا على استعمالهم «وَكَفَى اللَّهُ الْمُتُفِينِ لِقَافِلُ» بالريح والملائكة<sup>(٢)</sup>، «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» أي: عاونوا الأحزاب، وهم بنو قريظة، وذلك أنهم نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وصاروا مع المشركين يداً واحدة.

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الخندق وضع عنه اللأمة واغتسل، فتبَّيَّ له جبريل، فقال: ألا أراك وضعت اللأمة، وما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة؟ إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فأني عامد إليهم فمزّل بهم حصونهم<sup>(٣)</sup>؛ فدعا عليّاً فدفع لواءه إليه، ويعث بلاً فنادى في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا ببني قريظة<sup>(٤)</sup>، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، وقيل عشرين ليلة<sup>(٥)</sup>، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أُرْسِلْ إلينا أبا ثابة بن عبد المنذر، فأرسله إليهم، فشاؤروه في أمرهم، فأشار إليهم بيده: إنه الذَّبْح، ثُمَّ ندم فقال: جَنَّتْ اللهُ ورسوله، فانصرف فارتبط في المسجد حتى أنزل الله توبته<sup>(٦)</sup>، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله محمد بن مسلمة، وكُتِفُوا، ونُحُوا ناحية، وجُعِلَ النساء والذرية ناحية. وكَلَّمْتُ الأَوْسَ رسول الله ﷺ أن يَهَبَهُمْ لهم، وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله ﷺ الحكمَ فيهم إلى سعد بن معاذ؛

(١) الذي في «غريب القرآن»: وكان قوم نذروا.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: «وَكَفَى اللَّهُ الْمُتُفِينِ لِقَافِلُ»، أي: لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأمر جنده، قال: ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأمر جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وفي «الصحاحين» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». قال ابن كثير: وفي قوله ﷺ: «وَكَفَى اللَّهُ الْمُتُفِينِ لِقَافِلُ» إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال ابن كثير في تمة الآية: قوله تعالى: «وَكَفَى اللَّهُ قَوْمًا خِزْيَاً» أي: بحوله وقوته وقهم خائبين لم ينالوا خيراً، وأمر الله الإسلام وأهله، وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمنة. اهـ.

(٣) ذكره بنحو ابن هشام في «السيرة» ٢٣٣/٢، وذكره ابن كثير في «النبأ والنهاية» بنحو ١١٦/٤ من رواية محمد بن إسحاق. وأمر جبريل للنبي ﷺ بالسيرة ثابت في «الصحاح البخاري» ٣١٣/٧ من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المستدر» ٥٦/٦، ١٣١، ١٤١، ٢٨٠ من حديث عائشة أيضاً.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصحاحين» ٣١٣/٨، ومسلم ١٣٩١/٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ولفظ مسلم: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف الأحزاب: «أَنْ لَا يَصَلُّوا أَحَدُ الظُّفَرِ إلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ». ٤٠٠ الحديث.

(٥) الذي في «مستدر الخط» «الطبري»، والخيرة ابن هشام: أن رسول الله ﷺ حاصروهم خمسة وعشرين ليلة.

(٦) ذكر هذا الخبر بنحو الطبري في «التفسير»، وابن هشام في «السيرة» ٢٣٦/٢، ٢٣٧، وابن كثير في «التفسير» ٣٠٠/٢ من رواية الزهري مرسلات، وانظر «اللباية والنهاية» لابن كثير ١٢٠/٤.

هكذا ذكر محمد بن سعد<sup>(١)</sup>. وحكى غيره: أنهم نزلوا أولاً على حكم سعد بن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف، فَرَجَوْا أن تأخذهم فيههم هودة، فحكم فيههم أن يُقتل كلُّ مَنْ جَرَتْ عليه المَواشي<sup>(٢)</sup>، وتُسبي النساء والذراري، وتُقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»<sup>(٣)</sup>؛ وانصرف رسول الله ﷺ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة، وحُفر لهم أخدود في السوق، وجلس رسول الله ﷺ معه أصحابه، وأخرجوا إليه فُضِرَت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعائة.

قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ قال ابن عباس وقتادة: من حصونهم؛ قال ابن قتية: وأصل الصياصي: قرون البقر، لأنها تمتنع بها، وتدفع عن أنفسها؛ فليل للحصون: الصياصي، لأنها تمتنع. وقال الزجاج: كل قرن صيصية، وصيصية الديك: شوكه يتحصن بها.

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: ألقى فيها الخوف ﴿فَرِيقًا تَقَاتُلُوا﴾ وهم المُقاتلة ﴿وَأَیْرُوتَ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبله: «وتأسرون» برفع السين ﴿فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري، ﴿وَأَرَوَّكُنَّ أَرْضَهُنَّ وَيَسْرَتُهُنَّ﴾ يعني عقارهم ونخيلهم ومنازلهم ﴿وَأَوَّكُنَّ﴾ من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء ﴿وَأَرَوَّكُنَّ أَرْضَهُنَّ﴾ أي: لم تطووها بأقدامكم بعد، وهي مما سفتحتها عليكم؛ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها فارس والروم، قاله الحسن. والثاني: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عكرمة. والثالث: مكة، قاله قتادة. والرابع: خيبر، قاله ابن زيد، وابن السائب، وابن إسحاق، ومقاتل<sup>(٤)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُلْ لَأَذِّنَنَّ﴾ إن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلِيُنَازِلَكُمْ أَمِيرُكُمْ وَأَمِيرُكُمْ سَرَكَا جِيكَا ﴿٢٨﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِزْكًا كَبِيرًا ﴿٢٩﴾ يَسَاءَ الَّذِي مَنَ بَاتَ مِنْكُمْ يَفْجَحُوهُ مُنْتَسِرًا يَضَعُفَ لَهَا الْعَدَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ عَلَى اللَّهِ بَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ شَيْئًا يَفْعَلْ مِثْلًا نَزَاهَا لَعْمَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَسَاءَ الَّذِي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُمْ فَلَا تَحْضَنَ بِالْقَوْلِ فَطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَفَرَنْ فِي يَوْمِكُمْ وَلَا تَبْرَحَنَّ تَبْرَحَ الْجَنَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَكُنْ فِي يَوْمِكُمْ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُلْ لَأَذِّنَنَّ...﴾ الآية، ذكر أهل التفسير أن أزواج النبي ﷺ سألته شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة النفقة، وأذنيه بغيرة بعضهم على بعض، فألقى رسول الله ﷺ منهن شهرًا<sup>(٥)</sup>، وصعد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية، وكُنَّ أزواجه يومئذ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وضيصة الخيرية، وميمونة الهلالية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، فنزل رسول الله ﷺ فعرض الآية عليهن، فبدأ بعائشة، فاخترت الله ورسوله، ثم قالت: يا رسول الله لا تخبر أزواجك أنني اخترتك؛ فقال: «إن الله بعثني مبلغاً ولم يبعثني متعتاً» وقد ذكرت حديث التخيير في كتاب «الحدائق» وفي «المغني» بطوله<sup>(٦)</sup>. وفي ما خيبرهن فيه قولان:

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري، صاحب طبقات الصحابة المشهورة بـ «طبقات ابن سعد» مؤرخ ثقة، صدوق فاضل، من حفاظ الحديث، (١٦٨ - ٢٣٠ هـ).

(٢) قال في «اللسان» مادة موس: من جرت عليه المواشي، أي: مَنْ نبتت عانته، لأن المواشي إنما تجري على من أنبت، أراد: مَنْ بَلَغَ الحُلُمَ مِنَ الْكُفَّارِ.

(٣) أخرجه ابن إسحاق، وعنه ابن هشام ٢/ ٢٤٠ عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلًا، لكن أخرجه الشيخان في «صحيحهما» عن أبي سعيد الخدري دون قوله: «من فوق سبعة أرقعة» والأرقعة: السموات، الواحدة: رقيم، فجاء به على لفظ التذكير، كأنه ذهب به إلى السف.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصبوب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورد المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة، وديارهم وأموالهم، وأرضاً لم يطووها يومئذ، ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان طووها يومئذ، ثم طووها ذلك بعد وأورنهموه الله، وذلك كله داخل في قوله: ﴿وَأَرَوَّكُنَّ أَرْضَهُنَّ﴾ لأنه تعالى ذكره، لم يخص من ذلك بعضاً دون بعض. اهـ.

(٥) قال في «اللسان» «ألا»: ألى من نسائه شهرًا، أي: حلف لا يدخل عليهن، وإنما عدا به «من» حملًا على المعنى، وهو الامتناع من الدخول، وهو يتعدى بـ «من».

(٦) روى مسلم في «صحيحه» ١١٠٤/٢ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً يباه لم يؤذن لأحد -

أحدهما: أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة رضي الله عنها. والثاني: أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن، أو اختيار الآخرة فيمسكنهن، ولم يخيّرهن في الطلاق، قاله الحسن، وقادة. وفي سبب تخييره إياهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن سألته زيادة الثقة. والثاني: أنهن أدبته بالغيرة. والقولان مشهوران في التفسير. والثالث: أنه لما خيّر بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة، أمر بتخيير نسائه ليكون على مثل حاله، حكاه أبو القاسم الصيمري. والمراد بقوله: «أَمَتَكُمْ»: مُتعة الطلاق. والمراد بالسُّراح: الطلاق، وقد ذكرنا ذلك في [البقرة: ٢٣١]. والمراد بالدار الآخرة: الجنة. والمُخسِنات: المؤثرات للآخرة. قال المفسرون: لما اخترته أتابهن الله ﷻ ثلاثة أشياء: أحدها: التفضيل على سائر النساء بقوله: «أَتَيْنَكُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ»، والثاني: أن جعلهن أمهات المؤمنين، والثالث: أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن بقوله: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ» [الأحزاب: ٥٢]. وهل أبيح له بعد ذلك التزويج عليهن؟ فيه قولان سيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» أي: بمعصية ظاهرة. قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق «يُضَنَّفَ لَهَا أَلَمَذَابُ ضِعْفَيْنِ» أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، كما أنها تؤتى أجرهما على الطاعة مرتين. وإنما ضعف عقابهن، لأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة ما لا يشاهد غيرهن، فإذا لم يتمتعن استحققن تضعيف العذاب، ولأن في معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ؛ وجرم من أذى رسول الله ﷺ أكبر من جرم غيره.

قوله تعالى: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» أي: وكان عذابها على الله هيناً. «وَمَنْ يَنْتَ» أي: تُطع، «وَأَعْتَدْنَا» قد سبق بيانه [النساء: ٣٧]، والرزق الكريم: الحسن، وهو الجنة. ثم أظهر فضيلتهن على النساء بقوله: «أَتَيْنَكُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» قال الزجاج: لم يقل: كواحدة من النساء، لأن «أحداً» نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة. قال ابن عباس: يريد: ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليّ، وثوابكن أعظم «إِنْ أَتَيْتُنَّ»، فشرط عليهن التقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى، لا بنفس اتصالهن برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أي: لا تليّن بالكلام «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» أي: فُجور؛ والمعنى: لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتك له؛ والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الخيلة في المقالة، لأن ذلك أبعد من الطمع في الرية. «وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أي: صحيحاً عفيفاً لا يطمع فاجراً<sup>(١)</sup>. «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» قرأ نافع، وعاصم إلا أبان، وهيرة، والثوليد بن مسلم عن ابن عامر: «وَقَرْنَ» بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها. قال الفراء: من قرأ بالفتح، فهو من قَرَزَتْ في المكان، فحُفَّت، كما قال: «ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا» [طه: ٩٧]، ومن قرأ بالكسر، فهو من الوَقَار، يقال: قَرَّ في منزلك. وقال ابن قتيبة: من قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَّ في منزله يَقَرُّ وَقُوراً. ومن قرأ بنصب القاف جعله من القوار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل: «وَأَقَرْنَ» بإسكان القاف وبراءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله مثله، إلا أنهما كسرا الراء الأولى. قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن<sup>(٢)</sup>.

منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً، حوله نساءه، واجماً، ساكناً، قال: فقال: لآولن شيئاً أصحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (بريد زوجته) سألني النفقة، فقلت إليها فوجأت عنقها (طعنت عنقها) فضحك رسول الله ﷺ. وقال: فمن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلن شهرًا، أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا فِي الْمَخَالِقِ» حتى بلغ «الْمَخَالِقِ» بفتح الميم «عَلَيْكُمْ» قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أمرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها»، إن الله لم يبعثني مُعْتَباً ولا مُتَعْتَباً (أي: لم يبعثني مشدداً على الناس ولا طالباً زلتهم) ولكن بعثني معلماً ميسراً. ولقد أورد هذا الحديث السيوطي في «الدر» ١٩٤/٥، وزاده نسيته لأحمد، والنسائي، وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه. وانظر «صحيح مسلم» باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١٠٥/٢ - ١١١٣.

(١) قال ابن كثير: ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» أي: الزمّن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، قال: ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَحْ﴾ قال أبو عبيدة: التبرج: أن يبرزن محاسنهن. وقال الزجاج: التبرج: إظهار الزينة وما يستدعى به شهوة الرجل. وفي ﴿الْمَكِيلَةِ الْأُولَى﴾ أربعة أقوال. أحدها: أنها كانت بين إدريس ونوح، وكانت ألف سنة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رضي الله عنها. والثالث: بين نوح وآدم، قاله الحكم. والرابع: ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، قاله الشعبي<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: وإنما قيل: «الأولى»، لأن كل مقدم أول، وكل متقدم أولي، فتأويله: أنهم تقدموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وفي صفة تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال. أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد. والثاني: أنها مشية فيها تكسر وتفتج، قاله قتادة. والثالث: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع: أن المرأة منهن كانت تتخذ اللرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي. والخامس: أنها كانت تُلقي الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قُرطها وفلاتها، قاله مقاتل. والسادس: أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا توراري جسدتها، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ وفيه للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: الشرك، قاله الحسن. والثاني: الإثم، قاله السدي. والثالث: الشيطان، قاله ابن زيد. والرابع: الشك. والخامس: المعاصي، حكاهما الماوردي. قال الزجاج: الرِّجْس: كل مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة. ونصب ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ على وجهين: أحدهما: على معنى: أعني أهل البيت، والثاني: على النداء، فالمعنى: يا أهل البيت. وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهن في بيته، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل. ويؤكد هذا القول أن ما قبله ويخبره متعلق بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: «عنكم» ويظهركم؟ فالجواب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن، فغلب المذكر. والثاني: أنه خاص في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري. وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك. والثالث: أنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه<sup>(٣)</sup>، قاله الضحاك. وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال الذين هم آله؛ قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً، لقوله: «عنكم» بالميم، ولو كانت للنساء، لم يجر إلا «عنكن» ويظهركن.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إمام الله مساجد الله، وليخرجن قبيلات» (تاركات للطيب والأدهان) وفي رواية: «ويبرهنن خير لهن». اهـ. ومن الحوائج الشرعية: الخروج للحج والعمرة، وزيارة الوالدين، وعيادة المرضى، وغير ذلك.

(١) رواء الطبري ٤/٢٢ من عكرمة عن ابن عباس، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٩/٨ من رواية ابن أبي حاتم وقال: إسناده قوي. وأروده السيوطي في «الدر» ١٩٧/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام. فإن قال قائل: أو في الإسلام جاهلية حتى يقال: عن بقوله (الجاهلية الأولى) التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية، ثم قال: وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الأخيرة ما بين عيسى ومحمد، قال: وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله، إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا، لأنهم سبب نزول هذه الآية، قال: وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح، ثم قال: وقال عكرمة: من شاء ما بهلته أنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن، فصحيح، وإن أريد أنهم للمراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر، فإنه قد روت أحاديث تدل على أن المراد أهم من ذلك. وسرد بعض تلك الأحاديث ثم قال: الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: «وَأَذْكُرَنَّ مَا يَكُنْ فِي بَيْتِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ» ثم قال: ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته، فقبايته أحق بهذه التسمية. اهـ. وفي «صحيح مسلم» ١٨٧٣/٤ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما بعدي إلا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتب الله واستمسكوا به» فبحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حسين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساء من أهل بيته؟ قال: نساء من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.



قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ أَكْثَرُ طَغِيًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الشُّرك، قاله مجاهد. والثاني: من السُّوء، قاله قتادة. والثالث: من الإثم، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه تذكير لهنَّ بالتَّوَكُّلِ. والثاني: أنه أمرٌ لهنَّ بحفظ ذلك. فمعنى ﴿وَاذْكُرْنَ﴾: واحفظنَّ ﴿مَا يَسْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن. وفي الحكمة قولان: أحدهما: أنها السُّنة، قاله قتادة. والثاني: الأمر والنهي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته ﴿حَيْرًا﴾ بكن إذ اختاركن لرسوله.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَاللَّيْثِينَ وَاللَّيْثَاتِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ قُلْنَ: ما له ليس يُذكر إلا المؤمنون، ولا تُذكر المؤمنات بشيء؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أُمَّ سَلَمَةَ قالت: يا رسول الله يُذكر الرجال ولا تُذكر النساء؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، ونزل قوله: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن أُمَّ عُمَارَةَ الأنصارية قالت: قلت: يا رسول الله بابي وأمي ما بال الرجال يُذكرون، ولا تُذكر النساء؟ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. وذكر مقاتل بن سليمان أن أُمَّ سَلَمَةَ وأُمَّ عُمَارَةَ قالتا بذلك، فنزلت [هذه] الآية في قولهما. والرابع: أن الله تعالى لما ذكر أزواج رسوله دخل النساء المُسلمات عليهن فَنَفَقْنَ: دُفِرْنَ ولم تُذكر، ولو كان فينا خيرٌ دُفِرْنَا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٥)</sup>. والخامس: أن أسماء بنت عُمَيْس لما رجعت من الحبشة دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قُلْنَ: لا، فأتت برسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: «ومم ذاك؟» قالت: لأنهن لا يُذكرن بخير كما يُذكر الرجال، فنزلت هذه الآية، ذكره مقاتل بن حيّان<sup>(٦)</sup>. وقد سبق تفسير ألفاظ الآية في مواضع [القرة: ٤٥، ١٠٩، ١٢٩، ١٨٤ - آل عمران: ١٧، يوسف: ٨٨، الأنبياء: ٩١، آل عمران: ١٩١، الأحزاب: ٣١].

[illegible]

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فقالت: لا أرضاء، ولسْتُ بِنَاكِحَتِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «بلى فانكحيه، فأنتي قد رضيته لك»، فأبت، فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة،

(١) رواه الطبري ١٠/٢٢ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٠٠ وزاد نسبة للطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ١٠/٢٢، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَوْرَدَهُ السَّيْوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٠٠/٥. وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالتَّطَائُرِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ.

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٤/٢١٥، وَالحَاكِمُ ٢/٣٠٠ وَصَحَّحَهُ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَجَاتِ» ٢/١١٢ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لَعَلِيدِ بْنِ مَنصُورٍ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالتَّبْرَانِيُّ.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٠٠/٥ من رواية الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، والطبراني، وابن مردويه عن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها.

(٥) «الطبري» ١٠/٢٢، وذكره السيوطي في «الدرر» من رواية ابن سعد عن قتادة.

(٦) ذكره الواحدى فى «أسباب النزول» ٢٠٤ بدون سند.

والجمهور<sup>(١)</sup>. وذكر بعض المفسرين أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيها وسلمًا<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: والمراد بالمؤمن: عبد الله بن جحش، والمؤمنة: زينب بنت جحش. والثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وكانت أول امرأة هاجرت، فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ، فقال: «قد قبلتك»، وزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا: إنما أردنا رسول الله، فزوجها عبده! فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. والأول عند المفسرين أصح.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ رِسَالَتَهُ أَمَرْنَا﴾ أي: حَكَمًا بذلك «أَنْ تَكُونَ» وقرأ أهل الكوفة: «أَنْ يَكُونَ» بالياء «فَمِنْ لَيْبَةٍ» وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «الْخَيْرَةِ» بإسكان الياء، فجمع في الكناية في قوله: «لهم»، لأن المراد جميع المؤمنين والمؤمنات، والخيرة: الاختيار، فأعلم الله ﷻ أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله. فلما زوجها رسول الله ﷺ زيداً مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى منزل زيد فنظر إليها وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، ف وقعت في قلبه، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، وفطن زيد، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٤)</sup>. وقال بعضهم: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد، فرأى زينب، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، فسمعت ذلك زينب، فلما جاء زيد ذكرت له ذلك، فعلم أنها قد وقعت في نفسه، فاتاه فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٥)</sup>. وقال ابن زيد: جاء رسول الله ﷺ إلى باب زيد - وعلى الباب يثمر من شعر - فرفعت الريح الشتر، فرأى زينب، فلما وقعت في قلبه كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله أريد فراقها، فقال له: «اتق الله»<sup>(٦)</sup>. وقال مقاتل: لما فطن زيد لتسبيح رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً، فهي تعظم عليّ وتؤذي بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ثم إن زيداً طلقها بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْإِسْلَامِ﴾ وَأَنْصَمْتَ عَلَيَّ بِالْعِتْقِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ﴾ أي: في أمرها فلا تطلقها «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ» أي: تُسِرُّ وتُضمِر في قلبك «مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أي: مُظْهِرُهُ؛ وفي أربعة أقوال: أحدها: خُفِّيَا، قاله ابن عباس. والثاني: عهد عهده الله إليه أن زينب ستكون له زوجة، فلما أتى زيد يشكوها، قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، وأخفى في نفسه ما الله مبدية، قاله علي بن الحسين<sup>(٨)</sup>. والثالث: إشارته لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلقها زيد تزوجتها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْفَى النَّاسَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها.

- (١) رواء الطبري ١١/٢٢ من رواية العوفي عن ابن عباس، وابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه عن مجاهد وقتادة، وذكره السيوطي في «الدر» عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
- (٢) ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند.
- (٣) رواء الطبري ١٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٠١/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد. وقال الحافظ ابن حجر في «تخریج الکشاف» ١٣٤: رواء الثعلبي بهذا بغير سند.
- (٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخریج الکشاف»: ذكره الثعلبي بدون سند. اهـ. وكذلك ذكر مثل هذا المعنى الخازن والبغوي وغيرهما بدون سند.
- (٥) وهذا أيضاً من المرسلات والمنقطعات التي ليس لها سند صحيح، وقد أورد مثلها السيوطي في «الدر» من طريق عبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة، ومن طريق ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان.
- (٦) رواء الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.
- (٧) ذكره بنحوه الحافظ ابن حجر في «تخریج الکشاف» عن الثعلبي بدون سند.
- (٨) رواء الطبري ١٣/٢٢ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق السدي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «الفتح»: وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً إليه. اهـ. وقال الآلوسي في «تفسيره» عن هذا المعنى: وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين، كالزهرى، ويكر بن العلاء، والقشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم. اهـ. وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر قبل قليل، وهو قوله: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَىٰ﴾ أي: أولى أن تخشى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلق، قيل له: الله أحق أن تخشى منهم. قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولو كنتم شيئاً من الوحي لكنتم<sup>(١)</sup>.

### فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله ﷺ من حُبها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك شائعاً في التفسير<sup>(٢)</sup>. قالوا: وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين: أحدهما: أنه أخبر بأنها ستكون زوجة له، فقال لزيد: «أمسك عليك زوجك» فكنتم ما أخبره الله به من أمرها حياةً من زيد أن يقول له: إن زوجتك ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن علي بن الحسين، وقد نصره الثعلبي، والواحدي. والثاني: أنه لما رأى اتصال الخصومة بين زيد وزينب، ظن أنها لا يتفقان وأنه سيفارقها، وأضمر أنه إن طلقها تزوجها صلةً لرحمها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنت عمته أيممة بنت عبد المطلب، فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه حين قال لزيد: «أمسك عليك زوجك»، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء كما قيل له في قصة رجل أراد قتله: هلاً أومات إلينا بقتله؟ فقال: «ما ينبغي لنبئ أن تكون له خاتنة الأعين»<sup>(٣)</sup>، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلى رحمة الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَحَ زَيْدٌ نِيَّتَهُ وَظَرَ﴾ قال الزجاج: الوَظَر: كل حاجة لك فيها همّة، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وظره، وقال غيره: قضاء الوَظَر في اللغة: بلوغ متهته ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارة عن الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. والمعنى: لما قضى زيد حاجته من نكاحها ﴿وَزَوَّجَهَا﴾، وإنما ذكر

(١) رواء الطبري بهذا اللفظ: ١٣/٢٢ من قول الحسن، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ: لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً ما أوحى إليه من كتاب الله لكنتم ﴿وَيُحْيِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَىٰ﴾ ورواه الترمذي: ١٥٣/٢ بنحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٢/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن عائشة. وروى مسلم في «صحيحه» ١٦٠/١ عن عائشة ؓ قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتباً شيئاً ما أنزل عليه لكنتم هذه الآية: ﴿كَلِمَةً نَقُولُ لِلَّذِي أَتَمَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَتَمَمْتَ عَلَيْهِ أَشَدَّ عَلَيْكَ دِينَهُ وَكَانَ اللَّهُ يَخْفِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَىٰ﴾ اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿وَيُحْيِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَىٰ﴾: ذكر ابن أبي حاتم والطبري هاهنا آثاراً عن بعض السلف ؓ أسيبنا أن تضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. اهـ. يريد بذلك أمثال «فوقعت في قلبه» و«سبحان مقلب القلوب».

وقال الحافظ ابن حجر المصقلاني ٤٠٣/٨ بعدما ذكر أن الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه، وليس فيها ما تقدم من أنها وقعت في قلبه، وغير ذلك، قال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها ساقاً واضحاً حسناً، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أيممة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ، فزوجه إياه، ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بعد أنهما من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك زوجته وأن يتي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً. ثم قال ابن حجر: ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، قال: والذي أوردته هو المعتمد، ثم قال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها تستصير زوجته، قال: والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنّي بأمر لا يبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، قال: ووقع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم، قال: وإنما وقع الخطي في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم. وقال الآلوسي في «تفسيره»: وللقصص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان، ثم قال: وفي «شرح المواقف»: أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله. اهـ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وروى أحمد، ومسلم، والنسائي، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكروا عليّ» قال: فانتظت، فقلت: يا زينب أبشري أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة - حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن. قال ابن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، قال: وفيه أيضاً اختيار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء، أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله ﷻ يسر الله له ما هو الأحسن له والافضل دنياً وآخرى. اهـ.

(٣) رواء أبو داود في «سننه» رقم (٢٦٨٣) (٤٣٥٩) من حديث أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط بن نصر، قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد... فذكره، وذكره ابن كثير في «اللبابة والنهاية» ٢٩٨/٤ من رواية البيهقي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه، ورواه النسائي في «المحاربة».

قضاء الوطر هاهنا ليّين أن امرأة المتبنّي تجلّ وإن وطئها، وهو قوله: ﴿لَكِنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُتَبَنِّينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعَائِهِمْ إِنْ أَقَامُوا بَيْنَهُمْ وَطَرًا﴾؛ والمعنى: زوجناك زينب - وهي امرأة زيد الذي تبنيته - لكيلا يُظنّ أن امرأة المتبنّي لا يحلّ نكاحها. وروى مسلم في أفراد من حديث أنس بن مالك قال: لما انقضت عدّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «افهب فاذكروها علي»، قال زيد: فانطلقت، فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكضت على عقيي، وقلت: يا زينب، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، فقامت إلى مسجدّها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن<sup>(١)</sup>. وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله ﷺ أنه أجيز له التزويج بغير مهر ليخلص قُصد زوجاته لله دون العوض، وليخفف عنه، وأجيز له التزويج بغير ولي، لأنه مقطوع بكفاهته، وكذلك هو مستغن في نكاحه عن الشهود. وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زوّجكنّ أهلوكنّ، وزوّجني الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَكْدًا تَقْدِيلًا﴾ (٥٨) ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسْلَتَهُ اللَّهُ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَا يُحْشَرُونَ لَدُنَّ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ بِإِلَهِهِمْ حَيْبًا﴾ (٥٩) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَدَّ الثَّلَاثِينَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال قتادة: فيما أحلّ الله له من النساء. قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ هي منصوبة على المصدر، لأن معنى «ما كان على النبي من حرج»: سنّ الله سنّة واسعة لا حرج فيها. والذين خلّوا: هم النّبِيُّونَ؛ فالمعنى: أن سنّة الله في التّوسعة على محمد فيما فرض له، كسته في الأنبياء الماضين. قال ابن السائب: هكذا سنّة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبع مائة امرأة وثلاثمائة سُرّة<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَكْدًا تَقْدِيلًا﴾ أي: قضاء مقضيّاً. وقال ابن قتبية: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ معناه: لا حرج على أحد فيما لم يحرم عليه. ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسْلَتَهُ اللَّهُ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَا يُحْشَرُونَ لَدُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لا يخافون لائمة الناس وقولهم فيما أجلّ لهم. وباقي الآية قد تقدم بيانه [النساء: ٦].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال المفسرون: لمّا تزوّج رسول الله ﷺ زينب، قال الناس: إن محمداً قد تزوّج امرأة ابنه، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، والمعنى: ليس باب لزيد فتحرّم عليه زوجته ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ١٠٤٨/٢، ورواه أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه»، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠١/٥ وزاد نسبه لابن سعد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه البخاري رحمه الله ٢٤٨/١٣ عن أنس بن مالك ﷺ قال: فكانت زينب تغفر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكنّ أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٠١/٥ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أنس ﷺ.

(٣) كذا الأصل، والذي في «مجمع البيان» للطبرسي، والخازن عكس ما هاهنا: وكان لسليمان ثلاثمائة امرأة، وسبع مائة سُرّة. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٣١/٦: وقد حكى وهب بن منبه في «المبتدأ» أنه كان لسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة مهيّرة، وسبع مائة سُرّة، ونحوه مما أخرج الحاكم في «المستدرک» من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال: بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة صريحة، وسبع مائة سُرّة. اهـ.

(٤) والذي في «صحيح البخاري» ٣٣٠/٦ في كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فائداً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقّيه، فقال النبي ﷺ: طو قلاها لجاهلها في سبيل الله. وفي بعض روايات البخاري تسعين، ووجهها البخاري على سبعين، قال الحافظ ابن حجر: وعند مسلم سبعين. وأخرج الإسماعيلي والنسائي عن أبي الزناد، قال: مائة امرأة، ورواه أحمد وأبو عروانة من طريق هشام عن ابن سيرين فقال: مائة امرأة، قال: ومن طريق جعفر بن ربيعة عن الأعرج: مائة امرأة أو تسع وتسعون على الشك. قال الحافظ ابن حجر: فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينهما أن الستين كن خرائر، وما زاد عليهن كن سراري، أو بالعكس، وأما السبعون، فللمبالغة، وأما التسعون والمائة، فكن دون المائة فوق التسعين، فمن قال: تسعون ألفي الكسر، ومن قال: مائة، جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر، قال: وأما قول بعض الشراح: ليس في ذكر القليل نفي الكثير، وهو من مفهوم المدد، وليس بحجة عند الجمهور، فليس يكافي في هذا المقام، وذلك أن مفهوم المدد معتبر عند كثيرين، والله أعلم. اهـ.

(٤) رواه الترمذي ١٥٢/٢ عن عائشة ﷺ.

الزجاج: من نصبه، فالمعنى: ولكن كان رسول الله، وكان خاتم النبيين؛ ومن رفعه، فالمعنى: ولكن هو رسول الله؛ ومن قرأ: «خاتم» بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيين؛ ومن فتحها، فالمعنى: آخر النبيين. قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «كَانَ مُحَمَّدٌ لِمَا كُتِبَ عَلَيْكَ مِنْهُ نَبَأٌ» نهي أن يقال بعد هذا: زيد ابن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد نبأه، فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ﷺ ولد له: القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة ﷺ، فماتوا صغاراً، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فمات في حياته ﷺ ثلاث، وتأنثرت فاطمة ﷺ حتى أصيبت به ﷺ، ثم ماتت بعده لسنة أشهر، قال: وقوله تعالى: «وَلَكِنْ رُسُلُ اللَّهِ وَكَاتَرُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» كقوله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ يَحْمِلُ وَكَاتَرُهُ» قال: فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كان رسول نبي، ولا يتعكس، قال: وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة ﷺ. اهـ. وذكر ابن كثير كثيراً من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ، منها ما أخرجه البخاري في «صحيحه» ٤/٤٠٨، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٧٩١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَتْهُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطْفِقُونَ بِهِ وَيُعْجِبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَةَ؟ قَالَ: فَإِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» واللفظ للبخاري. ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» ١/٣٧١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَمِيعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلْقِ كَاثِمَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ»، ومنها ما رواه البخاري في «صحيحه» ٦/٤٠٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٨٢٨، عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لِي أَسَاءَةٌ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَإِنَّا أَحْمَدُ، وَإِنَّا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكَفْرَ، وَإِنَّا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَإِنَّا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ» واللفظ لمسلم - والعاقب: الذي ليس بعده نبي - وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على ختم باب النبوة برسولنا ونبينا محمد ﷺ.

قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشریف لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، قال: وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذّاب، أثاك، دجال، ضال، مضل، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والبرزنجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وجي، أنها كاذبان ضالان، لعنهما الله، وكذلك كل مدّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يخطموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذّابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، هذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرن معروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإنكاف والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: «هَلْ أَتَيْتُمْ مَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِيُؤْمِنُوا بِمَا فِي كُتُبِهِمْ أَمْ أَنْتُمْ مُنْجِفُونَ» تَكَذَّبَ عَلَى كُلِّ لُغَةٍ أُفِيرَ... الآية، قال: وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرن به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للمعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصولات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات. اهـ.

هذا وقد ظهر في هذا القرن (القرن الثالث عشر الهجري) دجال في «قاديان» إحدى بلاد باكستان يدعى النبوة، يسمى: ميرزا غلام أحمد (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وأتباعه يسمون أنفسهم «الأحمدية» نسبة إلى دجال قاديان، وهم المعروفون عندنا بالقاديين، وهم يعتبرون ميرزا غلام أحمد القادياني إمام هذا الزمان، والمسيح الموعود، ويدعون أن النبوة لا تنقطع، وأن إمامهم من جملة الأنبياء، ويفسرون قوله تعالى: «وَكَاثَرُ النَّبِيِّينَ» بأنه طابعهم، وليس آخرهم، وأن كل نبي يظهر بعده ﷺ تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه، مخالفين بذلك تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين والفقهاء والمحدثين وجمهور المسلمين من السلف والخلف، ويستشهدون بقول مسيحيهم المزعوم في كتاب «ملفوظات أحمدية» صفحة (٢٩٠): أن المزمز به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمته ﷺ ويقول مسيحيهم بناءً على ذلك مدعياً الرسالة في كتابه «التبليغ» صفحة (٤٣ - ٤٥): «أرسلني ربي لدعوة الخلق، وأتاني من آيات بيته لأدعو بيته لخلق إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتي يؤمنون» والحق أنه رسول من قبل دولة الانكليز، يدل على ذلك قوله في كتابه «ضرورة الإمام» صفحة (٣٨) في تفسير قوله تعالى: «لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» المراد من أولي الأمر جسمانياً الملك (ملك بريطانيا) وروحانياً إمام الزمان (يعني نفسه) وإن الشخص الجسدي الذي لا يخالفنا في مقاصدنا، ويمكننا أن نحصل لنا منه الفائدة الدينية فهو يكون متاً، ولذلك ففصيحتي لجماعتي هي أن يعدلوا ملك الانكليز من أولياء أمرهم ويطيعوم بصلق القلب، لأن هؤلاء لا يخرجوننا في مقاصدنا الدينية. اهـ. ويقول منير الحصري من أتباعه في دمشق في شرح كلامه هذا في كتابه «الجماعة الأحمدية والانكليز» صفحة (١٨): ومن هذا الكلام الواضح يفهم كل قارئ أن المسيح الموعود ﷺ (يريد دجال قاديان) بين حكماً من أحكام القرآن المجيد، وهو إطاعة غير المسلمين إذا منحوا الحرية الدينية سواء أكانوا انكليزاً أم غير انكليز، وبما أن الانكليز كانوا في وقته ﷺ هم الحاكمين، كانوا لا يتعرضون للدين، لذلك قال بوجوب طاعتهم. ويقول المسيح الكذاب مبيناً نعمة الانكليز عليه وعلى أتباعه في كتابه «بركات الخلافة» صفحة (٦٥): «إن إحسان الحكومة الانكليزية إلينا هو كبير ونحن نعيش براحة واطمئنان كبيرين، وتتم مقاصدنا، إن أعظم مقصد لنا هو إشاعة الدين (دين دجال قاديان) ولأجل تسييم هذا المقصد نجد كل حرية، ويمكننا التبليغ في كل ركن من المملكة (الانكليزية) حيث نشاء، وإذا ذهبنا للتبليغ في الممالك الأخرى، فهناك أيضاً تساعدنا الحكومة البريطانية. اهـ كلام هذا الدجال، وهو واحد من الذين ظهروا، وسيظهر أمثاله، وذلك مصداق قول نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ٤/٢٢٤٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ دُجَالُونَ كُذُّبُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٣﴾ فَيَحِثُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبداً. وقال ابن السائب: يقال: «ذُكِّرَ كثيراً» بالصلوات الخمس. وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل. وللمفسرين في هذا التسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية، وقتادة. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قاله ابن السائب. والثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ في صلاة الله علينا خمسة أقوال: أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن. والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية. والرابع: كرامته، قاله سفيان. والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة. وفي صلاة الملائكة قولان: أحدهما: أنها دعائهم، قاله أبو العالية. والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل. وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة والهدى، قاله ابن زيد. والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل. والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِثُّهُمْ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين. فأما الهاء في قوله: ﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ ففيها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: تحييتهم من الله يوم يلقونه سلام. وروى صهيب عن النبي ﷺ «أن الله يسلم على أهل الجنة». والثاني: تحييتهم من الملائكة يوم يلقون الله: سلام، قاله مقاتل. وقال أبو حمزة الثمالي: تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة، وتبشرون حين يخرجون من قبورهم. والثالث: تحييتهم بينهم يوم يلقون ربهم: سلام، وهو أن يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن الهاء ترجع إلى ملك الموت، وقد سبق ذكره في ذكر الملائكة. قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال له: ربك يقرئك السلام<sup>(٢)</sup>. وقال البراء بن عازب: في قوله: ﴿يَحِثُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ قال: ملك الموت، ليس مؤمناً

(١) رواه البخاري معلقاً ٤١٧/١٣، قال: وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه. ورواه أحمد في «المسند» عن أبي هريرة ﷺ، وابن ماجه في «سننه» رقم ٣٧٩٢ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه ابن حبان في «صحيحه» وهو في «موارد الظمان» للحافظ الهيثمي صفحة ٥٦٧، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٩٦/١ عن أبي الدرداء ﷺ، وصححه، ووافقه الذهبي. والأحاديث في فضل الذكر كثيرة، منها ما رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم بسند صحيح عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله». ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». ومنها ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أنشئت به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى»، رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تعالى تيرة، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تيرة» - أي: نقص وتيرة وحسرة - رواه أبو داود، وهو حديث صحيح. والآيات والأحاديث والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جداً، وفي هذه الآية الكريمة حث على الإكثار من ذلك، وقد صنف العلماء في الأذكار المتعلقة بآثار الليل والنهار مصنفات كثيرة، ومن أحسنها في ذلك كتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله، وقد اختصره شيخ الإسلام ابن تيمية وسماه بـ «الكلم الطيب» وطبعه المكتب الإسلامي طباعة جيدة محققة، ليكون في متناول أيدي الناس - وخاصة الشباب منهم - وليجدوا بذلك عوناً لهم على ذكر الله ﷻ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٥ من رواية المروزي في «الجانث» وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.





قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ مِّنْ عَدُوِّ اللَّهِ؟ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الطَّلَاقُ قَبْلَ الْمَيْسِ وَالْخُلُوعِ فَلَا عِدَّةَ<sup>(١)</sup>؛ وَعِنْدَنَا<sup>(٢)</sup> أَنَّ الْخُلُوعَ تَوْجِبُ الْعِدَّةَ وَتَقَرَّرُ الصَّدَاقَ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهَا قَرَبًا﴾ [البقرة: ٢٣٦]: ﴿أَوْ تَقَرَّبُوا إِلَيْهَا قَرَبًا﴾ وقد بينا المتعة هنالك، وكان سعيد بن المسيب وقادة يقولان: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهَا قَرَبًا﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْكُمْ سَخِرَافًا﴾ أي: من غير إضرار. وقال قتادة: هو طلاقها طاهراً من غير جماع. وقال القاضي أبو يعلى: الأظهر أن هذا التفسير ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وجبالة.

### فصل

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، ثم تزوجها؛ فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن عباس، وعائشة، والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح. وقال سماك بن المغفل: النكاح عقد، والطلاق يخلها، فكيف يخل عقد لم ينعقد؟! فجعل بهذه الكلمة قاضياً على «صنعاء». وقال أبو حنيفة: ينعقد الطلاق، فإذا وجد النكاح وقع. وقال مالك: ينعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينها، ولا ينعقد في عمومهن. فأما إذا قال: إن ملكك فلانة فهذا حراً، فقيه عن أحمد روايتان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ وَأَمَّا مَلَكَتْ بَيْتُكَ مِمَّا آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنَبَاتٍ عَلَيْكَ وَنَبَاتٍ خَلَاكَ وَنَبَاتٍ خَلَلِكَ النَّبِيِّ هَاجِرَ مَمَكٍ وَزَوْجَتَهُ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿تَرَى مَن نَّشَاءُ مِن نَّشَاءٍ وَنَعُوذُ إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمَن أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذَقَ أَنَّ نَقَرَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا يَحْزَنُكَ وَرَضْتَ بِمَا آتَيْنَهُمْ كُلَّهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْفِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَصْبَحْتَ حُسْبَنًا إِلَّا مَا مَلَكَتْ بَيْتُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها له، فقال: ﴿أَزْوَاجَ النَّبِيِّ هَاجِرَ مَمَكٍ﴾ أي: مهورهم، وهن اللواتي تزوجتهن بصدق ﴿وَمَا مَلَكَتْ بَيْتُكَ﴾ يعني الجواري ﴿وَمِمَّا آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رد عليك من الكفار، كصفية وجويرية، فإنه اعتقهما وتزوجهما ﴿وَنَبَاتٍ عَلَيْكَ وَنَبَاتٍ خَلَلِكَ﴾ يعني نساء قريش ﴿وَنَبَاتٍ خَلَاكَ وَنَبَاتٍ خَلَلِكَ﴾ يعني نساء بني زهرة<sup>(٣)</sup> ﴿النَّبِيِّ هَاجِرَ مَمَكٍ﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يعلى: و«ظاهراً» هذا يدل على أن من لم تهجر معه من النساء لم يحل له نكاحها. وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه بغيره، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ إلى قوله: ﴿النَّبِيِّ هَاجِرَ مَمَكٍ﴾، قالت: فلم أكن لأجل له، لأنني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء<sup>(٤)</sup>؛ وهذا يدل من مذهبه أن تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم تهجر. وذكر

(١) قال ابن كثير: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها، فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعدت منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً. اهـ.

(٢) أي: معاشر الحائطة.

(٣) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَنَبَاتٍ عَلَيْكَ وَنَبَاتٍ خَلَلِكَ وَنَبَاتٍ خَلَاكَ﴾ الآية: هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحداهن بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهم لإفراط النصارى - فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة - وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا شنيع فظيع. اهـ.

(٤) روى ابن جرير الطبري: ٢٠/٢٢ من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها، والسدي وأبو صالح ضعيفان. ورواه الترمذي في «جامعه» ٢/ ١٥٣ به وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٢٠ به، وصححه، ووافقه الذهبي، والحديث أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٥ وقال: روى الترمذي، والحاكم، وابن أبي شيبه، وإسحاق، والطبري، والطبراني، وابن أبي حاتم، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانئ، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٨/٥، وزاد نسبه لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي. قال ابن كثير: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ بنحوه.

يعض المفسرين: أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ، ولم يذكر ناسخه، وحكى الماوردي في ذلك قولين: أحدهما: أن الهجرة شرط في إحلال النماء له على الإطلاق. والثاني: أنه شرط في إحلال قراباته المذكورات في الآية دون الأجنبيات.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْمُؤْمِنَةُ﴾ أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ﴾، ﴿إِنْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُسْتَكْمَلَ﴾ أي: إن أثر نكاحها ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ أي: خاصة. قال الزجاج: وإنما قال: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، ولم يقل: ﴿لَكَ﴾، لأنه لو قال: ﴿لَكَ﴾، جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العم وبنات العمات. و﴿خَالِصَةً﴾ منصوب على الحال. وللمفسرين في معنى «خالصة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرأة إذا وهبت له نفسها، لم يلزمه صدقها دون غيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب. والثاني: أن له أن ينكحها بلا ولي ولا مهر دون غيره، قاله قتادة. والثالث: خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين، وهذا قول الشافعي وأحمد<sup>(١)</sup>. وفي المرأة التي وهبت له نفسها أقوال: أحدها: أم شريك. والثاني: خولة بنت حكيم. ولم يدخل بواحدة منهما. وفكروا أن ليلي بنت الخطيم وهبت نفسها له فلم يقبلها. قال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له<sup>(٢)</sup>. وقد حكى عن ابن عباس أن التي وهبت نفسها له ميمونة بنت الحارث، وعن الشعبي: أنها زينب بنت خزيمة. والأول: أصح<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين غيرك ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن لا يجاوز الرجل أربع نساء، قاله مجاهد. والثاني: أن لا يتزوج الرجل المرأة إلا بولي وشاهدين وصدائق، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: وما أبحنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الحرائر من غير عدد مجبور<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ هذا فيه تقديم، المعنى: أحللنا لك أزواجك، إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ من دون المؤمنين﴾ «لكيلا يكون عليك حرج».

قوله تعالى: ﴿رَبِّىَ مِنْ فَتْنَةٍ يَبْتَلِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تُرْجَى﴾ مهموزاً، وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بغير همز. وسبب نزولها أنه لما نزلت آية التخيير المتقدمة، أشفق أن يظلم، فقلن: يا نبي الله، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، قاله

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عكرمة: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل، لم تحل له حتى يعطيها شيئاً، وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما، أي: أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها، كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت، فحكم لها رسول الله ﷺ بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها، قال: والموت والدخول سواء في تقرير المهر، وثبت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ، فاما هو عليه الصلاة والسلام، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها، لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود، كما في قصة زينب بنت جحش، ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ليس لمرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر، إلا للنبي ﷺ. اهـ.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٠٤/٨: وإسناده حسن، والمراد: أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان مباحاً له، لأنه راجع إلى إرادته، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُسْتَكْمَلَ﴾.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٠٤/٨: ومنه (يعني الموهوبات) زينب بنت خزيمة، جاء عن الشعبي، وليس ثابت، وقال: وعند ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن ابن عباس قال: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، هي ميمونة بنت الحارث، قال: وهذا مقطوع، وقال: وأورده من وجه آخر مرسل، وإسناده ضعيف. اهـ. وقد ثبت أن بعض النساء وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ. وقد قال ابن كثير: اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير، كما قال البخاري عن عائشة: قالت: كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول: اتعب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى: ﴿رَبِّىَ مِنْ فَتْنَةٍ يَبْتَلِي﴾ وتوفي إليه من فتنَةٍ وَمِنْ أَنْتَبَيْتَ مِنْ عَزَلٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ: قلت: ما أرى ذلك إلا يسارع في موافق.

(٤) قال ابن كثير: وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ قال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقاتدة، وابن جرير في قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من حصوم في أربع نساء حرائر وما شاوروا من الإمام، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، وهم الأمة، وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئاً من «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» اهـ.



قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تطلق زوجاتك وتستبدل بهن سواهن<sup>(١)</sup>، قاله الضحاك. والثاني: أن تبدل بالمسلمات المشركات، قاله مجاهد في آخرين. والثالث: أن تعطي الرجل زوجتك وتأخذ زوجته، وهذه كانت عادة للجاهلية، قاله أبو هريرة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإمام. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن تملك بالسبي، فيحل لك وطؤها وإن كانت من غير الصنف الذي أحلته لك؛ وإلى هذا أوما أبي بن كعب في آخرين. والثاني: إلا أن تصيب يهودية أو نصرانية فطأها بملك اليمين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إلا أن تبدل أمك بأمة غيرك، قاله ابن زيد. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذه الأقوال جائزة، إلا أننا لا نعلم أن رسول الله ﷺ نكح يهودية ولا نصرانية بتزويج ولا ملك يمين، ولقد سبى ربحانة القرظية فلم يذن منها حتى أسلمت.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكُمْ أَرْوَاحَهُنَّ﴾، وهذا مروى عن علي، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك. وقالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أجل له النساء<sup>(٢)</sup>، قال أبو سليمان الدمشقي: يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات. والقول الثاني: أنها محكمة؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أن الله تعالى أثناب نساءه حين اخترنه بأن قصره عليهن، فلم يحل له غيرهن، ولم ينسخ هذا، قاله الحسن، وابن سيرين، وأبو أمامة بن سهل، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن المراد بالنساء هاهنا: الكافرات، ولم يَجْزَ له أن يتزوج كافرة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وجابر بن زيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبَاتٍ لِيُخْبِرَكُمْ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ وَلِكِنْ إِنْ دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرِفُوا وَلَا تَسْتَمْتِمِينَ لِحَدِيثِهِمْ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْكَافِرِينَ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ زَوْجِهِنَّ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُنَّ وَلَهُنَّ فِي بُيُوتِهِنَّ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَسْأَلُوهُنَّ مِنْ زَوْجِهِنَّ مِنْ بَدِينِهِمْ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ الآية<sup>(٤)</sup>. في سبب نزولها ستة أقوال: القول الأول: أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم،

(١) قال ابن كثير: فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه. اهـ.

(٢) رواه أحمد في «المستد» والترمذي في «جامعه» والنسائي في «مسنه» عن عائشة.

(٣) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من العلماء، كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ، ورضى عنهن على حسن صميمهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية، فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن، إلا الإمام والسراي. فلا حرج عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون البينة لرسول الله ﷺ عليهن، وذكر ابن كثير بعض الأدلة على ذلك، ثم قال: وذلك قوله تعالى: ﴿زَيْنَبُ مَن تَكُنَّ بَيْتَهُ...﴾ الآية، قال: فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كآتي عدة الوفاة في (البقرة) الأولى ناسخة للتي بعدها، والله أعلم. قال: وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَيْتَ إِذْ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مِنْ دُونِهَا﴾ أي: من بعد ما يكرت لك من صفة النساء اللاتي أحللت لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات، والواوية، وما سوى ذلك من أصناف النساء، فلا يحل لك. وذكر بعض أقوال السلف في ذلك، ثم قال: واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمتهم وكن نسماً، قال: وهذا الذي قاله جيد، ولعله مراد كثير من حكيتا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم روي عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عنه أنه قال: وافقت ربي ﷺ في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخلت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَدْرِيْنَ﴾ ثم قال: قلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حببتهن، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَعَ غَدًا شَرَارًا يُدْخِلُكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِيُسَيِّرَنَّكَ وَيُؤْتِيَكَ مِنْ دُونِهَا مَا لَمْ طَلَعَ غَدًا شَرَارًا﴾ فنزلت كذلك. قال: وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر، وهي قضية رابعة. اهـ.

فقطعوا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كآته يتهى للمقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء رسول الله ﷺ فدخل فإذا القوم جلوس، فرجع، وإنيهم قاموا فانطلقوا، وجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن ناساً من المؤمنين كانوا يتحيتون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك<sup>(٢)</sup>، ثم يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله! إن نساءك يدخلن عليهن البز والفاجر، فلو أمرتهن أن يخرجن، فنزلت آية الحجاب، أخرجه البخاري من حديث أنس، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر، كلاهما عن عمر<sup>(٤)</sup>. والرابع: أن عمر أمر نساء رسول الله ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا! فنزلت الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٥)</sup>. والخامس: أن عمر كان يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلا يفعل، فخرجت مؤدّة ليلة، فقال عمر: قد عرفناك يا مؤدّة - حرصاً على أن ينزل الحجاب - فنزل الحجاب، رواه عكرمة عن عائشة<sup>(٦)</sup>. والسادس: أن رسول الله ﷺ كان يطعم معه بعض أصحابه، فأصاب يد رجل منهم يد عائشة، وكانت معهم، فكره النبي ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ أي: أن تُدْعُوا إليه ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ﴾ أي: منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾. قال الزجاج: موضع «أن» نصب؛ والمعنى: إلا بأن يؤذن لكم، أو لأن يؤذن، و«غير» منصوبة على الحال؛ والمعنى: إلا أن يؤذن لكم غير متظرين. وإِنَاءً: نُصْجُهُ ويلوغه.

قوله تعالى: ﴿فَانْثَرُوا﴾ أي: فاخرجوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُتَتَبِعِينَ لِحُيُوتٍ﴾ المعنى: ولا تدخلوا مستأنسين، أي: طالبي الأنس لحديث، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل فيحدثون طويلاً، وكان ذلك يؤذيه، ويستحيي أن يقول لهم: قوموا، فعلمهم الله الأدب، فذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَتَّبِعُ مِنَ الْغَيْبِ﴾ أي: لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق ﴿وَلَوْ أَن سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي: شيئاً يُسْتَمْتَع به ويُتَمَتَّع به من آلة المنزل ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ دُونِهِ جَابٍ﴾ ذلكم أظهر<sup>(١)</sup>، أي: سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب أظهر ﴿يَلْقَوْنَكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الرِّبَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء. قال أبو عبيدة: وكان من خروف الزوائد. والمعنى: ما لكم أن تؤذوا رسول الله ﷺ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِبُوا أَرْجُلَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

- (١) البخاري ٤٠٦/٨، ٤٠٧، ومسلم ١٠٥٠/٢، ورواه ابن جرير الطبري بنحو ٣٧/٢٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٣/٥، وزاد نسبتاً لأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن أنس ﷺ.
- (٢) أي: إلى أن يفضج الطعام.
- (٣) ذكره البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس بدون سند.
- (٤) البخاري ٤٠٦/٨، ومسلم ١٨٦٥/٤ وهو طرف من حديث أوله: «وافقت ربي في ثلاث...» وقد تقدم.
- (٥) «الطبري» ٤٠/٢٢ من طريق عطاء بن السائب، عن أبي وائل عن ابن مسعود، وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٤/٥ من رواية ابن مروجه عن ابن مسعود ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٧: رواه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي.
- (٦) رواء الطبري ٤٠/٢٢ من طريق عروة عن عائشة، قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب، كما رواء الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأى عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فأنفكت راحمة رسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتشبهني يده يرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إنني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن الرق في يده ما وضعه، فقال: فإنه قد أذن لك أن تخرجين لحاجتك، وقال ابن كثير: هذا لفظ البخاري. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: فقله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا زِينَةَ الْفَخْرِ﴾. حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة، قال: ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء...» الحديث، قال: ثم استثنى من ذلك فقال تعالى: ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ﴾. قال: قال مجاهد وقناة وغيرهما، أي: غير متحيتين نصجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام إذا طبع حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويكرهه، وهذا دليل على تحريم التطفل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيقة». اهـ.
- (٧) رواء الطبري ٣٩/٢٢ عن مجاهد مرسل، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٦: رواه ابن أبي شيبة والطبري من طريق مجاهد مرسل.



فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك<sup>(٢)</sup> على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد»، أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله «قد علمنا التسليم عليك»: ما يقال في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: سلموا لِمَا يأمركم به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: نزلت في المصورين، قاله عكرمة<sup>(٥)</sup>. والثالث: في المشركين واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد وكذبوا رسوله وشجّوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا: مجنون شاعر ساحر كذاب<sup>(٦)</sup>. ومعنى أذى الله: وصفه بما هو منزّه عنه، وعصيان<sup>(٧)</sup>؛ ولعنهم في الدنيا: بالقتل والجلاء، وفي الآخرة: بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عمر بن الخطاب رأى جارية متبرجة فضربها وكف ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو، فخرجوا إليه فآذوه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الرثّة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها؛ وإنما كانوا يؤذون الإماء، غير أنه لم تكن الأمة تُعرف من الحرة، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٩)</sup>. والثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطل بالإفك، قاله الضحاك<sup>(١٠)</sup>. والرابع: أن ناساً من المنافقين آذوا علي بن أبي طالب، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: يرمونهم بما ليس فيهم.

- (١) ما بين المعنيين زيادة من «البخاري» و«مسلم» من حديث كعب بن عجرة.
- (٢) في حديث كعب بن عجرة في البخاري ومسلم: «اللهم بارك».
- (٣) البخاري ٤١٠/٨ ومسلم ٣٠٥/١، ولهذا الحديث صيغ أخرى بألفاظ مختلفة تراجع في محلها من كتب الحديث، انظر «فتح الباري» ١١/١٢٨ - ١٤٧. قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية - «﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾» على أن النبي ﷺ يسلّم على النبي ﷺ، وأن الملائكة المقرّبين، وأن الملائكة تصلي عليه، قال: ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته، ثم قال: وقد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وأبو مسعود البديري، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل بن حيان، قال: وإليه ذهب الشافعي، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، قال: وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي، وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المؤاز المالكى رحمه الله، ثم قال: وللقول بوجوب طواهر الحديث والله أعلم. قال: وما يؤيد ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحهما» عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجّد الله، ولم يصلي على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «جعل الله له أفعى أو لغيره: إذا صلى أحدهم فليبدأ بتمجيد الله ﷻ والثناء عليه، ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بما شاء». اهـ.
- (٤) رواه الطبري: ٤٥/٢٢ من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٠، وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.
- (٥) ذكره البغوي عن عكرمة بدون سند، وقال ابن كثير: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نزلت في المصورين. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.
- (٦) ذكر هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٠ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: آذوا الله فيما يدعون معه، وآذوا رسول الله ﷺ قالوا: إنه ساحر مجنون. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد كذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله. اهـ.
- (٧) ومن إيذاه تعالى، ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أتقلب ليله ونهاره ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا غيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا، فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله ﷻ».

(٨) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٧، ٢٠٨ عن عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٩) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند.

(١٠) ذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٠ من رواية ابن جرير عن ابن عباس قال: أنزلت في عبد الله بن أبي نواس معه قذفوا عائشة ﷺ.

(١١) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن مقاتل بدون سند، وكذلك البغوي.



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْبِرْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدَّبَهُ أَنْ يُسَرِّقَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَاقِبَةً رَاجِعًا ٥٩﴾ ﴿لَنْ تَرِيَهُنَّ الْمُنْفِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَشَرِّبَتِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠﴾ ﴿مُلْعُونَتٌ أَيْسَمًا تُفَفُّوا أَعْدَاؤُا وَقَتِلُوا قَتِيلًا ٦١﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ خُلُوعًا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رآوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رآوها بغير قناع قالوا: أمة، فأدبها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي (١).  
قوله تعالى: ﴿يُدْبِرْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ (٢) قال ابن قتية: يلبسن الأزدية. وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن ليعلمن أنهن حرائر. ﴿ذَلِكَ أَدَّبَهُ﴾ أي: أخرى وأقرب ﴿أَنْ يُسَرِّقَ﴾ أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَهُنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ أي: عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: فجور، وهم الزناة ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بالكذب والباطل، يقولون: أتاكم العدو، وقتلت سراياكم وهزمت ﴿لَشَرِّبَتِكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنك عليهم بأن نامرك بقتالهم. قال المفسرون: وقد أغري بهم، فقيل له: ﴿جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال يوم الجمعة «اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق، قم يا فلان فإنك منافق» (٣) ﴿ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يهلكوا، ﴿مُلْعُونَتٌ﴾ منصوب على الحال؛ أي: لا يحاورونك إلا وهم ملعونون ﴿أَيْسَمًا تُفَفُّوا﴾ أي: وجدوا وأدركوا ﴿أَعْدَاؤُا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ معنى الكلام: الأمر، أي: هذا الحكم فيهم، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يفعل بهم هذا.

﴿يَسْتَلِكُ الْإِنْسَانُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلَا نَصِيرًا ٦٥﴾ ﴿يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ مِثْلَ الَّذِي آتَيْتَهُمْ وَلَعَنَهُمْ لَمَّا كَبُرَا ٦٨﴾  
قوله تعالى: ﴿يَسْتَلِكُ الْإِنْسَانُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ قال عروة: الذي سأله عنها عتبة بن ربيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يُعلمك أمر الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنت لا تعرف ذلك؛ ثم قال: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾. فإن قيل: هل قال: قريبة؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أراد الظرف، ولو أراد صفة الساعة بعينها، لقال: قريبة، هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن المعنى راجع إلى البعث، أو إلى مجيء الساعة. والثالث: أن تأنيث الساعة غير حقيقي، ذكرهما الزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيان ألفاظه [البقرة: ١٥٩، النساء: ١٠، الإسراء: ٤٩]. فاما قوله: ﴿وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا﴾ فقال الزجاج: الاختيار الوقف بالفاء، لأن أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الآيات، وإنما خوطبوا بما يعقلونه من الكلام المؤلف ليدل بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تم؛ وقد أشرنا إلى هذا في قوله: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ أي: أشرافنا وعظماءنا. قال مقاتل: هم المُطْعَمُونَ في غزوة بدر. وكلهم قرأوا: «سادتنا» على التوحيد، غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ساداتنا» على الجمع مع كسر التاء، ووافقه المفضل، ويعقوب، إلا أبا حاتم ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ أي: عن سبيل الهدى، ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ﴾ يعنون السادة ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: ضعفي عذابنا، ﴿وَالْعَنَهُمْ لَمَّا كَبُرَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كثيراً» بالثاء. وقرأ عاصم، وابن عامر: «كبيراً» بالباء. وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالجرار المتكررة من الكبر.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٢/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن السدي. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن السدي بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى أمرًا رسول الله ﷺ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدين عليهن من جلبيبهن، لتمييزهن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإمام، قال: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقناة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد، وهو بمنزلة الإزار اليوم، وقال: قال الجوهري: الجلباب: الملحفة.

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه الطبري ١٠/١١، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس، وفي سننه الحسين بن عمرو العتري، وهو ضعيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَنُوا مُوسَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِعَ قَوْلَهُمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۖ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۖ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿صَلِّ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمِنَ طُغْيَانِ اللَّهِ فَقَدْ قَارَ قَوْلًا عَظِيماً ۖ﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَنُوا مُوسَىٰ﴾ أي: لا تؤذوا محمداً كما آذى بنو إسرائيل موسى فينزل بكم ما نزل بهم. وفي ما آذوا به موسى أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: هو أكر، فذهب يوماً يغتسل، ووضع ثوبه على حجر، فقرأ الحجر بشوّه، فخرج في طلبه، فأروه فقالوا: والله ما به من بأس. والحديث مشهور في الصحاح كلها من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «وقد فكرته بإسناده في «المغني» و«المعاني»<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: والأدرك: عظيم الخصميتين. والثاني: أن موسى صعد الجبل ومعه هارون، فمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلت، فأذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى مرّت به على بني إسرائيل، وتكلّمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات، فبرأه الله من ذلك، قاله علي بن أبي حمزة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن قارون استأجر بنياناً<sup>(٣)</sup> لتقذّب موسى بنفسها على ملا من بني إسرائيل فعصمها الله وبرز موسى من ذلك. قاله أبو العالية<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنهم رمّوه بالسحر والجنون، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه. وقد بيّنا معنى الوجيه في (البحر) ٤٥٠<sup>(٥)</sup>. وقرأ ابن مسعود والأعمش، وأبو حنيفة: «وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ» بالتثنية والياء، وكسر اللام. قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: صواباً، قاله ابن عباس. والثاني: صادقاً، قاله الحسن: والثالث: عدلاً، قاله السدي. والرابع: تحضداً، قاله ابن قتيبة. ثم في المراد بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه «العدل في جميع الأقوال والأعمال»، قاله قتادة. والثالث: في شأن زينب وزيد، ولا تنسوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يصلح، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿صَلِّ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ فيه قولان. أحدهما: يتقبّل حسناتكم، قاله ابن عباس. والثاني: يزكي أفعالكم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ قَارَ قَوْلًا عَظِيماً﴾ أي: قال التغير وظفر به.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنَّا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ۖ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿لَعَلَّ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالشَّارِكِينَ وَالشُّرَكِيَّةَ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ۖ﴾ ﴿٧٣﴾

(١) روى البخاري في صحيحه ٣١٢/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً، شبراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فألقه من الله من بني إسرائيل فقال: ما يستر هذا الشعر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما آفة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، ففعل يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عند يديه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: توبي حجر، توبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأروه هرباً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام حجر فأخذ بثوبه، فلبسه وطق بالحجر ضرباً بمصاه، فوالله إن الحجر لناب من أثر ضربه ثلاثاً، أو أربعاً أو خمساً، فلذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَنُوا مُوسَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِعَ قَوْلَهُمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير عن هذا الحديث بعدما ذكره في «تفسيره»: وهذا سياق حسن مطول، قال: وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٢٣/٥، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والتوماني، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن أبي هريرة.

(٢) «الطبري» ٥٢/٢٢، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤١١/٨: «وروى أحمد بن منيع في «مسند» والطبري، وابن أبي حاتم، بإسناد قوي عن علي بن أبي حمزة... فذكره. وأورد السيوطي في «الدر» ٢٢٣/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن علي بن أبي حمزة. قال ابن كثير: وجاز أن يكون هذا هو المراد بالأذى، وجزاء أن يكون الأول هو المراد، فلا قول أولى من قول الله ﷻ، قال ابن كثير: قلت: يحتل أن يكون الكل مراداً، وأن يكون معه غيره والله أعلم. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: وما في «الصحيح» أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة. اهـ.

(٣) في الأصل: بئته. وفي «اللسان» و«التاج» مادة «بئله»: ولا يقال للمرء: بئته.

(٤) روى السيوطي في «الدر» ١٣٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في «المصنف». وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٥) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ أي: له وجاهة وجاءة عنده. قال: قال الحسن البصري: كان مستخيباً للبيعة عند الله، وقاله غيره من السلف: لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، ولكن منع الروية لمدايشه الله ﷻ، قال: وقال بعضهم: إن وجهه العظيمة عند الله، أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله فقال: ﴿وَرَبُّكَ لَمِنْ رَحِيمٍ إِنَّهُ عَنِ عَذَابٍ يُدْعَى﴾. اهـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتها أثابها، وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك؛ وعرضها على آدم فقيلها بما فيها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>؛ وكذلك قال سعيد بن جبيرة: عُرِضَتِ الأمانة على آدم فقيل له: تأخذها بما فيها، إن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذبتك، فقال: قَبِلْتُ، فما كان إلّا كما بين صلاة العصر إلى أن غربت الشمس حتى أصاب الذئب<sup>(٢)</sup>. وممن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنها الأمانة التي ياتمن الناس بعضهم بعضاً عليها. روى السدي عن أشياخه أن آدم لمّا أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض: فأبت، وقال للجبال: فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وتجيء وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قتل قابيل هابيل، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ وهو ابن آدم، فما قام بها<sup>(٣)</sup>. وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن آدم لمّا حضرته الوفاة قال: يا رب، من أستخلف من بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكلّ أباه غير ولده. وللمفسرين في المراد بعرّض الأمانة على السموات والأرض قولان: أحدهما: أن الله تعالى رغب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهم خطابها، وأنطقهم بالجواب حين عرضها عليهم، ولم يُرد بقوله: «أَبَيِّنَ» المخالفة، ولكنْ أَبَيَّنَ لِلْحَشِيَّةِ والمخافة، لأن العَرَضَ كان تخييراً لا إلزاماً، وأشفقن بمعنى خفن منها أن لا يؤدّيَنها فيلحقهنّ العقاب، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالآية: إنّنا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن، وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال: أحدها: آدم في قول الجمهور. والثاني: قابيل في قول السدي. والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن. والرابع: جميع الناس، قاله ثعلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ظَلُومًا لنفسه، غَرًّا بأمر ربّه، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: ظَلُومًا لنفسه، جَهُولًا بعاقبة أمره، قاله مجاهد. والثالث: ظَلُومًا بمعصية ربّه، جَهُولًا بعقَاب الأمانة، قاله ابن السائب. وذكر الزجاج في الآية وجهاً يخالف أكثر الأقوال، وذكر أنه موافق للتفسير فقال: إن الله تعالى اتّمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، واتّمن السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأما السموات والأرض فقالتا: ﴿إِنِّنَا ظَالِمِينَ﴾ [فصلت: ٢١]، وأعلّمتنا أن من الحجارة ما يَهَيِّطُ من حَشِيَّةِ الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة يسجدون لله، فعزّنا الله تعالى أن السموات والأرض لم تحتل الأمانة، لأنها أدّتها، وأداؤها: طاعة الله وترك معصيته، وكلّ من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كلّ من أثم فقد احتمل الإثم<sup>(٤)</sup>، وكذلك قال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر والمنافق حَمَلَهَا، أي: خانها ولم يُطيعها؛ فأما من أطاع، فلا يقال: كان ظَلُومًا جَهُولًا.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: عَرَضْنَا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يعود عليهم بالرحمة والمغفرة إن وقع منهم تقصير في الطاعات<sup>(٥)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٤/٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٤، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ٥٤/٢٢ عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد»، والحاكم وصححه، عن ابن عباس.

(٣) روى هذا الخبر مطولاً الطبري ٥٦/٢٢، ٥٧ من رواية السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) قال الألوسي عن قول الزجاج هذا: ولا يخفى بطله، ولم تر في المأثور ما يؤيده. اهـ.

(٥) قال الألوسي في تمة الآية: ﴿وَكَاذِبًا اللَّهُ عَنَّا كَذِبًا﴾ أي: مبالغاً في المغفرة والرحمة حيث تاب على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم قرأتهم، وأثابهم بالفوز العظيم على طاعتهم، نسال الله تعالى أن يتوب علينا ويغفر لنا ويثيبنا بالفوز العظيم، إنه - جل جلاله وعمّ نواله - غفور رحيم. اهـ.

## سورة سبا

## وهي مكية بإجماعهم

وقال الضحاك، وابن السائب، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبا: ٦].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخَسَدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَصْعَدُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يُغَرْبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ يَنْزِعُ رِجْسٌ أَيْدٍ ﴿٥﴾ وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخَسَدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يَحْمَدُهُ أُولَآئِهِ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، فيقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [طاهر: ٣٤]١. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من بذر أو مطر أو كنز أو غير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات وغير ذلك ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿وَمَا يَصْعَدُ فِيهَا﴾ من ملك أو عمل أو دعاء. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مُكْبِرِي الْبَيْتِ ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أي: لَا تَبْعَثْ٢.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «عالم الغيب» بكسر الميم؛ وقرأ نافع، وابن عامر: برفعها. وقرأ حمزة، والكسائي: «عَلَامُ الغيب» بالكسر ولام قبل الألف. قال أبو علي: من كسر، فعلى معنى: الحمد لله عالم الغيب؛ ومن رفع، جاز أن يكون «عالم الغيب» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو عالم الغيب، ويجوز أن يكون ابتداءً، خبره ﴿لَا يُغَرْبُ عَنْهُ﴾؛ و«عَلَامُ» أبلغ من «عالم». وقرأ الكسائي وحده: «لَا يُغَرْبُ» بكر الزاي؛ وهما لغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ وقرأ ابن السميع، والنخعي، والأعمش: «ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» بالنصب فيهما.

قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: يلبس ورثي لتأنيثكم المُجَازَاة. وقال ابن جرير: المعنى: أثبت مثقال الذرة وأصغر منه في كتاب مبین، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَلِيُزَيِّدَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ.

قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجْسٍ أَلْبَسَ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ويعقوب، [والمفضل]: «مِنْ رِجْسٍ أَلْبَسَ» رفعا؛

(١) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه النعم المفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، والحاكم في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرَىٰ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَسَدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١﴾ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿٢﴾ قال: ثم قال ﷻ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى، قال: وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها من أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، قال: فإحداً من سورة يونس ﷻ، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَيُفْلِحُ الْغَائِبُ كُلُّ مَنْ قُلَّ إِلَىٰ رَبِّهِ لَعْنُ رَبَّنَا أَشْرِ بِمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١﴾ والثانية هي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ والثالثة هي سورة (التغابن) وهي قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لِيُثْبِتَنَّ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ﴿١﴾ فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾. اهـ.

والباقون بالخفض فيهما<sup>(١)</sup>. وفي ﴿الَّذِينَ أَوْثَرُوا آلَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الفراء: «هو» عماد، فلذلك انتصب الحق. وما أخلطنا به فقد سبق في مواضع [الحج: ٥١، ٥٢، البقرة: ١٣٠، ٢٦٧].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَبِّئُكَ عَلَىٰ هَٰذَا نُبُوءَتُكُمْ إِذَا مَرَجْتُمْ كُلُّ مُرْجٍ إِلَيْكُمْ لَنَبْنِيَّكُمْ لَنَبْنِيَّكُمْ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالْعَذَابِ الْبَعِيدِ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَمَاءٍ مِثْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ فِيهِمْ خَفِيفٌ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَبِّئُكَ عَلَىٰ هَٰذَا نُبُوءَتُكُمْ﴾ قال بعضهم لبعض: «هل ننبئك علىٰ هَٰذَا نُبُوءَتُكُمْ؟» أي: يقول

لكم: إنكم ﴿إِذَا مَرَجْتُمْ كُلُّ مُرْجٍ﴾ أي: فُرِقتم كل تفرق؛ والممرج هاهنا مصدر بمعنى التمزيق ﴿إِنَّمَا لَنَبْنِيَّكُمْ﴾ أي: يجدد خلقكم للبعث. ثم أجاب بعضهم فقالوا: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا؟﴾ حين زعم أنا نبئت؟! والفاء «أفترى» ألف استفهام، وهو استفهام تعجب وإنكار، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون؟! فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بَلِ﴾ أي: ليس الأمر كما تقولون من الافتراء والجنون، بل ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وهم الذين يجحدون البعث ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ إذا بُعثوا في الآخرة ﴿وَالْعَذَابِ الْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا<sup>(٢)</sup>. ثم وعظهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَمَاءٍ وَالْأَرْضِ﴾ وذلك أن الإنسان حيثما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، فالمعنى أنهم أين كانوا فارضي وسمائي محيطة بهم؛ وأنا القادر عليهم، إن شئت خسفت بهم الأرض، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما يَرَوْنَ من السماء والأرض ﴿لَآيَةً﴾ تدلُّ على قدرة الله تعالى على بعثهم والخسف بهم ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجع إلى طاعة الله، متأمل لما يرى.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿أَن تَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدْزِي فِي السَّرِّ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وهو النبوة والزبور وتسخير الجبال والطير، إلى غير ذلك مما أنعم الله به عليه<sup>(٣)</sup> ﴿يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ﴾ وروى الحلبي عن عبد الوارث: «أُوِّي» بضم الهمزة وتخفيف الواو. قال الزجاج: المعنى: وقلنا: يا جبال أُوِّي معه، أي: رجعي معه. والمعنى: سُبَّحي معه ورجعي التسبيح. ومن قرأ: «أُوِّي»، معناه: عودي في التسبيح معه كلما عاد. وقال ابن قتبية: «أُوِّي» أي: سُبَّحي، وأصل التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله، وينزل ليلاً، فكانه أراد: ادأبي النهار [كله] بالتسبيح إلى الليل.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «وَالطَّيْرُ» بالرفع. فأما قراءة النصب، فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: «ولقد آتينا داود مِنَّا فَضْلًا» «وَالطَّيْرَ» أي: وسخرنا له الطير. قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصبا على النداء، كأنه قال: دعونا الجبال والطير، فالطير معطوف على موضع الجبال، وكل منادى عند البصريين فهو في موضع نصب؛ قال: وأما الرفع، فمن جهتين، إحداهما: أن يكون نسقاً على ما في «أُوِّي»، فالمعنى: يا جبال رجعي التسبيح معه أنت والطير؛ والثانية<sup>(٤)</sup>: على النداء، المعنى: يا جبال ويا أيها

(١) أي هنا وفي سورة [الجاثية: ١١]، قال في «إتحاف فضلاء البشر» ٢١٩: واختلف في «من رجز اليم» هنا [والجاثية]، فابن كثير، وحفص، ويعقوب: برفع اليم فيها نعتاً لـ «عذاب»، والنظم ابن محيصن، والباقون: بخفضه فيها نعتاً لـ «رجز» وهو العذاب السعير. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ليس الأمر كما زعموا، ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البازر الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ أي: الكفر المنفي بهم إلى عذاب الله تعالى ﴿وَالْعَذَابِ الْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما أتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي القُدَّة والقُدَّة، وما أعطاه ومنحه من الصلوات العظيمة الذي كان إذا سبَّح به تسبَّح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغايات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، قال: وفي «الصحیح» أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري ﷺ يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال ﷺ: «لقد أوتي هذا زمراً من مزمار آل داود». اهـ.

(٤) في الأصل: والثاني.

الطير أُوْبِي [معه]. قال ابن عباس: كانت الطير تسبح معه إذا سبح، وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه. وقال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سُبْحِي، وللطير أُجِيبِي، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس منظرًا أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئاً أُطِيب منه.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه ليناً. قال قتادة: سخر الله له الحديد بغير نار، فكان يسويه بيده، لا يدخله النار، ولا يضره بحديدة، وكان أول من صنع الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ قال الزجاج: معناه: وقفنا له: اعْمَلْ، ويكون في معنى «لأن يعمل» «سَخَّيْنَتْ» أي: دروعاً سابغات، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف. قال المفسرون: كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجبن يعمل به ما يشاء، فيعمل الدرع في بعض يوم فيبيعه بمال كثير، فيأكل ويتصدق. والسابغات: الدروع الكوامل التي تغطي لباسها حتى تفضل عنه فيجرها على الأرض. «وَقَدَّرَ فِي السَّمَاءِ» أي: اجعله على قدر الحاجة. قال ابن قتيبة: السَّرْدُ: التسج، ومنه يقال لصانع الدروع: سَرَادٌ وَرَزَادٌ، تبدل من السنين الزاي، كما يقال: سَرَاطٌ<sup>(١)</sup> وَرَزَاطٌ. وقال الزجاج: السَّرْدُ في اللغة: تقدمة الشيء إلى الشيء تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعاً. ومنه قولهم: سَرَدَ فلان الحديث. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عدل المسمار في الحلقة ولا تصغره فيقلق، ولا تعظمه فتتفصم الحلقة، قاله مجاهد. والثاني: لا تجعل حلقة واسعة فلا تقي صاحبها، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا﴾ خطاب لداود وآله.

﴿وَلْيَسْتَكِنَ الرِّيحَ غُدُوًّا شَرًّا وَوَلَّاهَا شَهْرًا وَأَلَّنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجَنِّ مَنْ يَمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذِي رَيْبَهُ وَمَنْ يَرْجُ يَتَمُّ عَنْ أَمْرِنَا نَفَقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَمَلُّونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدُودٍ وَتَمْثِيلٍ وَهَفَاوٍ كَالْجَوَابِ وَقَدَّرَ رَأْسِيكَ أَعْمَلُوا مَا دَاوُدُ شَكَرًا وَقِيلَ لَنْ يَكِيدَ الشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَبِيبَ مَا لِكُنَّا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَكِنَ الرِّيحَ﴾<sup>(٢)</sup> قرأ الأكثرون بنصب الرِّيح على معنى: وسخرنا لسليمان الرِّيح. وروى أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «الرِّيحُ» رفعاً، أي: له تسخير الرِّيح. وقرأ أبو جعفر: «الرِّيحَ» على الجمع. «غُدُوًّا شَرًّا» قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين. قال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل عن الصلاة فعقرها<sup>(٣)</sup>، أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الرِّيح، فكان يغدو من دمشق فيقليل باضططر وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للمسرع.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ قال الزجاج: القطر: النُّجاس، وهو الصُّفْر، أذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب. قال المفسرون: أجرى الله لسليمان عين الصُّفْر حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما ألين لداود الحديد بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ المعنى: وسخرنا له من الجن «مَنْ يَمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذِي رَيْبَهُ» أي: بأمره؛ سخرهم الله له، وأمرهم بطاعته؛ والكلام يدل على أن منهم من لم يسخر له «وَمَنْ يَرْجُ يَتَمُّ» أي: يغدو «عَنْ أَمْرِنَا» له بطاعة

(١) في الأصل: صراط، وما أثبتناه من «فرب القرآن» ٣٥٤، و«البحر» ٢٥٥/٧، و«اللسان»: زراط.

(٢) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الرِّيح له بحمل بساطه، غُدُوًّا شهر ورواحها شهر. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري في سورة [ص: ٢٣] عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَكُنْ مِنَّا وَأَشْرِقْ وَالْأَخْثَقُ﴾: واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعتاقها، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه عقرها وضرب أعتاقها، وقال آخرون: جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً لها، ونقل ذلك عن ابن عباس، ثم قال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ (يريد سليمان) لم يكن إن شاء الله ليغلب حيواناً بالعربة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أن اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. اهـ. وسأيت ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى في سورة (ص).

سليمان ﴿يُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ النَّعِيمِ﴾؛ وهل هذا في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الآخرة، قاله الضحاك. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. وقيل: إنه كان مع سليمان مَلَكٌ بيده سوط من نار، فمن زاغ من الجن ضربه الملك بذلك السوط. ﴿يَعْلَمُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحِيَّتٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله مجاهد، وابن قتيبة. والثاني: القصور، قاله عطية. والثالث: المساجد والقصور، قاله قتادة. وأما التماثيل، فهي الصُور؛ قال الحسن: ولم تكن يومئذ محرمة<sup>(١)</sup>؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كانت كالطواويس والعقبان والنسور على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابها من أراد الذنوب منه، قاله الضحاك. والثاني: أنها كانت صُورُ النَّبِيِّينَ والملائكة لكي يراهم الناس مصورين، فيعبدوا مثل عبادتهم ويتشبهوا بهم، قاله ابن السائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: أحدهما: من النحاس، قاله مجاهد. والثاني: من الرُّخَامِ والشَّيْبَةِ<sup>(٢)</sup>، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ كَالْجَوَابِ﴾ الجفان: جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة؛ والجوابي: جمع جابية، وهي الحوض الكبير يُجَبَى فيه الماء، أي: يُجمع. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «كالجوابي» بياء، إلا أن ابن كثير ثبت الباء في الوصل والوقف، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف. قال الزجاج: وأكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلا أن الكسرة تنوب عنها. قال المفسرون: كانوا يصنعون [له] القِصَاع كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أي: ثوابت؛ يقال: رسا يرسو: إذا ثبت. وفي علّة ثبوتها في مكانها قولان: أحدهما: أن أثنافها منها<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنها لا تُنْزَلُ لِعِظَمِهَا، قاله ابن قتيبة. قال المفسرون: وكانت القُدُور كالجبال لا تحرك من أماكنها، يأكل من القُدُر ألف رجل.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَلَأُوا كَلَّ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ المعنى: وقلنا: اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَنْهُ آلِهَتَهُ﴾ يعني على سليمان. قال المفسرون: كانت الإنس تقول: إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد، فوقف سليمان في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته حتى أكلت الأرض<sup>(٥)</sup> عصا سليمان، فخرّ فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن سليمان سأل الله تعالى أن يعطي على الجن موته، فأخفاه الله عنهم حولاً. وفي سبب سؤاله قولان: أحدهما: لأن الجن كانوا يقولون للإنس: إِنَّا نَعْلَمُ الغيب، فأراد تكذيبهم. والثاني: لأنه كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية. فأما «دَابَّةُ الْأَرْضِ» فهي: الأَرَضَةُ. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «دَابَّةُ الْأَرْضِ» بفتح الراء. الإنسأة: العصا. قال الزجاج: وإنما سُمِّيتْ مِئْسَاءً، لأنه يُنْسَأُ بها، أي: يُظْرَدُ ويُزَجَر. قال الفراء: أهل الحجاز لا يهزمون المِئْسَاءَ، وتميم وفصحاء قيس يهزمونها.

(١) قال الألوسي: وإنما هي في شرعنا حرام، ولا فرق عندنا بين أن تكون الصورة ذات ظل، وأن لا تكون كذلك. اهـ.

(٢) الشَّيْبَةُ والشَّيْبَةُ: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفو، سمي به، لأنه إذا فعل به ذلك أشبه الذهب بلونه.

(٣) الأثافي: الحجارة التي تُصَبُّ وتُجْعَلُ القُدُورُ عليها.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أَفَمَلَأُوا كَلَّ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكروه: وقلنا لهم: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم التي عَصَمَكُمْ بها عن سائر خلقه، مع الشكر له على سائر نعمه التي عَصَمَكُمْ بها عن سائر خلقه. اهـ. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعلمه الله ﷻ شكر، وأفضل الشكر الحمد. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: الشكر: تقوى الله تعالى والعمل الصالح، قال ابن كثير: وهذا يقال لمن هو متبسط بالفعل، قال: وقد كان آل داود ﷺ كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً.

(٥) الأَرَضُ: جمع أَرَضَةٍ، وهي دوية تأكل الخشب.

(٦) قال ابن كثير: يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان ﷺ، وكيف عصى الله موته على الجانِّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئاً على عصاه - وهي مِئْسَاءُ كما قال ابن عباس ﷺ، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد - مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأَرَضَةُ ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك. اهـ.



قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط ﴿يَبْتَغِي الْجَنَّةَ﴾ أي: ظهرت، وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿مَا لَيْسُوا فِي الْغَنَابِ الْمُتَمِينِ﴾ أي: ما عملوا مستحسين وهو ميت وهم يظنونونه حياً. وقيل: تبيئت الجن، أي: علمت، لأنها كانت تتوهم باستراقها السمع أنها تعلم الغيب، فعلمت حيث لا خطأها في ظنّها. وروى رويس عن يعقوب: ﴿يَبْتَغِي﴾ برفع التاء والياء وكسر الياء.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرِّ فِي مَسْكِينِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةً طَيِّبَةً رَبُّهُ غَفُورٌ ۝٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرِّ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبْنِهِمْ جُتَيْنَ ذَوَاقٍ أَكُلُ حَمَظٍ وَأَنْثَى وَشَقِوْا مِنْ سِدْرٍ لَيْلٍ ۝٦ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ۝٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيْرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَا وَيَأْتِيَا عَائِيْن ۝٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَكَلِمَاتُهم أَلْفُسُهم فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَبَرَقَتْنَاهُمْ كُلُّ مِرْقَافٍ ۝٩ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٠ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهُهم فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا أَفْرَاقًا ۝١١ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٢ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مَنْ يُؤْتِي بِالْآخِرَةِ وَمَنْ مَرَّ مِنْهَا فِي شَأْنٍ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرِّ فِي مَسْكِينِهِمْ آيَةٌ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «في مساكينهم». وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مسكينهم» بفتح الكاف من غير ألف. وقرأ الكسائي، وخلف: «مسكينهم» بكسر الكاف، وهي لغة. قال المفسرون: المراد بسبا هاهنا: القبيلة التي هم من أولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ وقد ذكرنا في سورة [النمل: ٢٢] الخلاف في هذا، وأن قوماً يقولون: هو اسم بلد، وليس باسم رجل<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج في هذا المكان أن من قرأ: «لِسَبَا» بالفتح وترك الضم، جعله اسماً للقبيلة. ومن صرف وكسر ونون، جعله اسماً للحي و اسماً لرجل؛ وكل جائز حسن. و«آيَةٌ» رفع، اسم «كان»، و«جَنَّتَانِ» رفع على نوعين: أحدهما: أنه بدل من «آية»، والثاني: على إضمار، كأنه لما قيل: «آية»، قيل: الآية جنتان.

### الإشارة إلى قصتهم

ذكر العلماء بالتفسير والسيرة أن بلقيس لما ملكت [قومها] جعل قومها يقتلون على ماء واديهم، فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكتها وانطلقت إلى قصرها فزلته، فلما كثر الشر بينهم وندموا، أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها، فأبت: فقالوا: لَنَرْجِعَنَّ أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: فإنا نطيعك، فجاءت إلى واديهم - وكانوا إذا مطروا أتاه السيل من مسيرة أيام - فأمرت به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسْتَاة<sup>(٣)</sup>، وحبس الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبثت من دونه بركة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عِدَّة أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسوية، إلى أن كان من شأنها مع سليمان ما سبق ذكره [النمل: ٢٩-٤٤]، وبثوا بعدها على حالهم. وقيل: إنما بنوا ذلك البنيان لئلا يغشى السيل أموالهم فيهلكها، فكانوا يفتحون من أبواب السد ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنتان عن يمين واديهم وعن شماله، فأخصبت أرضهم، وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لثمر بين الجنتين والمكثل على رأسها، فترجع وقد امتلأ من الثمر ولا تمس بيدها شيئاً منه، ولم يكن [يرى] في بلدهم حية ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا يرغو، ويمر الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل، فيموت القمل لطيب هوائها. وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةً طَيِّبَةً﴾ أي: هذه بلدة طيبة، أو

(١) قال ابن كثير: كانت سبا ملوك اليمن وأهلها، وكانت التابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم وأنساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فغضبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبا، شذر مذر.

(٢) روى الترمذي في «سننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل يا رسول الله، وما سبا؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث، ورواه أحمد والطبري وهو حديث حسن، وقد سبق تخريجه صفحة (١٠٤٤). وأورد السيوطي في «الدر» ٢٣١/٥ وزاد نسب لعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(٣) قال في «المصباح» مادة «سنن»: المُسْتَاة: حائط يُبنى في وجه الماء، ويسمى السد.

بلدتكم بلدة طيبة، ولم تكن سبخة<sup>(١)</sup> ولا فيها ما يؤذي ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾ أي: والله رب غفور، وكانت ثلاثة عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً، فكذبوا الرُّسل، ولم يُفِرُّوا بِنِعْمِ الله، فذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الحق، وكذبوا أنبياءهم<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن العَرِم: الشديد، رواه علي بن أبي طالب عن ابن عباس. وقال ابن الأعرابي: العَرِم: السَّيل الذي لا يُطاق. والثاني: [أنه] اسم الوادي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، ومقاتل، والثالث: أنه المُسَنَّا، قاله مجاهد، وأبو ميسرة، والفراء، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: العَرِم: جمع عَرَمَة، وهي: السُّكَّر والمُسَنَّا. والرابع: أن العَرِم: الجُرَذ الذي نقب عليهم السُّكَّر، حكاه الزجاج. وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان: أحدهما: أن الله تعالى بَعَثَ على سيكرهم دابةً من الأرض فنقبت فيه نقباً، فسأل ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال قتادة والضحاك في آخرين: بعث الله عليهم جُرَذاً يسمَّى الخُلْد - والخُلْد: الفأر الأعمى - فنقبه من أسفله، فأغرق الله [به] جثاتهم، وخَرَّبَ به أرضهم. والثاني: أنه أرسل عليهم ماءً أحمر، أرسله في السد فنسف وهدمه وحفر الوادي، ولم يكن الماء أحمر من السد، وإنما كان سيلاً أرسل عليهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلُّهُمْ يَخْبِتُونَ﴾ يعني اللتين تطعمان الفواكه. ﴿جَنَّتَيْنِ ذَرَأَتْ أُكُلِي خَطْمٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي: «أُكُلِي» بالتثنية. وقرأ أبو عمرو: «أُكُلِي» بالإضافة. وخَفَّفَ الكاف ابن كثير ونافع، وثقلها الباقون. أمَّا الأُكُل، فهو الثمر. وفي المراد بالخطم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا، أَكَلَهُ: ثمره؛ ويسمَّى ثمر الأراك: البرير. والثاني: أنه كل شجرة ذات شوك، قاله أبو عبيدة، والثالث: أنه كل نبت قد أخذ طعاماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، قاله المبرد والزجاج. فعلى هذا القول، الخطم: اسم للمأكول، فيحسنُ على هذا قراءة من نَوَّن الأُكُل؛ وعلى ما قبله، هو اسم شجرة، والأُكُل ثمرها، فيحسن قراءة من أضاف. فأما الأَثَل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطَّرَفاء<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنه السَّمَر<sup>(٤)</sup>، حكاه ابن جرير. والثالث: أنه شجر يشبه الطَّرَفاء إلا أنه أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَّوْا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ فيه تقديم، وتقديره: وشيء قليل من سدر، وهو شجر التَّبَق<sup>(٥)</sup>. والمعنى أنه كان الخطم والأَثَل في جثتهم أكثر من السدر. قال قتادة: بينا شجرهم من خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: ذلك التبديل جزيناكم ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ وَكَلَّ جُنُودُكَ إِلَّا الْكَفُورُ﴾. فإن قيل: قد يجازى المؤمن والكافر، فما معنى هذا التخصيص؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المؤمن يُجْزَى ولا يُجْزَى، فيقال في أفصح اللغة: جزى الله المؤمن، ولا يقال: جزاه، لأن «جزاه» بمعنى كافاه، فالكافر يُجْزَى بسببته مثلها، مكافاة له، والمؤمن يُزَادُ في الثواب ويُفَضَّلُ عليه، هذا قول الفراء. والثاني: أن الكافر ليست له حسنة تكفر ذنوبه، فهو يُجْزَى

(١) أرض سبخة: أي: ملحة.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهمدني لسليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿تَوَضَّعْتُ مِنْ سَبِّ وَكَلِّ بَيْنَ إِلَى وَبَدَتْ أَمْرًا تَلَكَّكُمُ وَأَوْرَثَتْ بَيْنَ كُلِّ قَوْمٍ رَقًا عَرِشَ عَظِيمٍ﴾ وتبدلتها وقومها بتبدلته للفتن من دون الله وزين لهم الفتن أصنافهم صدقهم عن القليل فهم لا يعتدوا<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(٣) قال في «القاموس» الطرفاء: شجر، وهي أربعة أصناف، منها الأَثَل، الواحدة طرفاء وطرفة، وقال في «المصباح»: قال سيبويه: الطرفاء واحد وجميع. قال في «اللسان»: قال أبو حنيفة (يعني الذئبوري): الطرفاء: من المضاء، وهذبه مثل هذب الأَثَل، وليس له خشب، وإنما يخرج عصباً سمحاً في السماء، وقد تحمض بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره.

(٤) قال في «المصباح»: السَّمَر، وزان رَجُل وسَمِعَ: شجر الطلح، وهو نوع من البضاء، الواحدة سَمرة، وبها سُمِّيَ.

(٥) قال في «المصباح»: وإذا أطلق السدر في الغسل، فالمراد: الورق المطحون، والسدر نوعان: أحدهما ينبت في الأرياف فينتج بورقه في الغسل، وثمرته طيبة، والآخر ينبت في البر ولا ينتج بورقه في الغسل، وثمرته غفصة، قال: وقد تقدم في حرف الزاي أن الزعرور ثمرة تنبت في البر، وهي بهذا الصفة، فيجوز أن يكون هو التَّبَق البري. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَوَقَّوْا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قال: لما كان أجود هذه الأشجار المبدل هو السدر، قال: ﴿وَوَقَّوْا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ فهذا الذي صار أمر بينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال المعيقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

بجميع الذنوب، والمؤمن قد أحبطت حسناته سيئاته، هذا قول الزجاج. وقال طاووس: الكافر يُجازى ولا يُغفر له، والمؤمن لا يُناقش الحساب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرٍّ﴾؛ والمعنى: كان من قصصهم أننا جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها<sup>(٢)</sup> وهي: قرى الشام؛ وقد سبق بيان معنى البركة فيها [الأنبياء: ٧١]، هذا قول الجمهور. وحكى ابن السائب أن الله تعالى لما أهلك جثثهم قالوا للرسل: قد عرفنا نعمة الله علينا، فلئن رد إلينا ما كنا عليه لنغيبك عنه عبادة شديدة، فرد عليهم النعمة، وجعل لهم قرى ظاهرة، فعادوا إلى الفساد وقالوا: باعد بين أسفارنا، فمزقوا.

قوله تعالى: ﴿فَرَىٰ ظُهُورَهُ﴾ أي: متواصلة ينظر بعضها إلى بعض. ﴿وَوَقَدْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فيه قولان. أحدهما: أنهم كانوا يندون فيقولون في قرية، ويروحون فيبيتون في قرية، قاله المحسن، وقتادة. والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ والمعنى: وقلنا لهم: سيروا فيها ﴿لَيْلًا وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿مَائِينَ﴾ من مخاوف السفر من جوع أو عطش أو سح أو تعب. وكانوا يسرون أربعة أشهر في أمان، فبطروا النعمة وملوها كما مل بنو إسرائيل المن والسلوى ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَوِّعْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بَعْدُ» بتشديد العين وكسرها. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة: «بَاعِدْ» بآلف وكسر العين. وعن ابن عباس كالقراءتين. قال ابن عباس: إنهم قالوا: لو كانت جثثنا أبعد مما هي، كان أجدر أن يشتت جثثها. قال أبو سليمان الدمشقي: لما دُكرتهم الرسل نعم الله، أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمة، وسألوا الله أن يباعد بين أسفارهم. وقرأ يعقوب: [«رَبَّنَا» برفع الباء] «بَاعِدْ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزله الله ﷻ بهم. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن [السلمي]، وأبو رجاء، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «بَعْدُ» برفع العين وتخفيفها وفتح الدال من غير ألف، على طريقة الشكاية إلى الله ﷻ. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «بُوعِدْ» برفع الباء ويواو ساكنة مع كسر العين.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَدْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالكسر وتكذيب الرسل. والثاني: بقولهم: «بَعْدُ» بين أسفارنا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بما فعل بهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقَفٍ﴾ أي: فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق، لأن الله لما غرق مكانهم وأذهب جثثهم تبددوا في البلاد، فصارت العرب تتمثل في الفُرقة بسبب<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما فعل بهم ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي: لآيات ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصدق في ظنه أنه ظن بهم أنهم يتبعونه إذ أغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ وَلَا ضَلَّاهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] بالظن، لا بالعلم، فمن قرأ: «صَدَّقَ» بتشديد الدال، فالمعنى: حقق ما ظنه فيهم بما فعل بهم؛ ومن قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صدق عليهم في ظنه بهم<sup>(٥)</sup>. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل سبأ. والثاني: سائر المطيعين لإبليس.

(١) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٣/٥: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن طاووس «وَقَدْ جُزِيَ إِلَّا الْكَفُورُ» قال: هو المناقشة في الحساب، ومن نوقش الحساب غُذِبَ، وهو الكافر لا يغفر له.

(٢) قال ابن كثير: يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغلبة والعيش الهنيء الرغد والبلاد الرخيصة، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرتهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثماراً، ويقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: جعلناهم حديثاً للناس، وسراً يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم وفرق تسليم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، تفرقوا في البلاد هائنا وهائنا، قال: ولهذا يقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أبدي سبأ، وأبادي سبأ، وتفرقوا شمر مذر. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: إن في هذا الذي حلَّ بهؤلاء من النعمة والعلاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوها من الكفر والآثام، لعبرة ودلالة لكل عبيد صبار على المصائب، شكور على النعم. اهـ. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/ ٢٢٩٥ عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَبَّارٌ لِّأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ».

(٥) قال ابن كثير: لما ذكر الله تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف =

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قد شرحناه في قوله: ﴿لَنْ يَكُونَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. قال الحسن: والله ما ضربهم بعضاً ولا قهرهم على شيء، إلا أنه دعاهم إلى الأمانى والغرور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسلطاناً إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين. وقرأ الزهري: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بياء مرفوعة على ما لم يُسم فاعله. وقرأ ابن يعمر: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بفتح الياء. وفي المراد بعلمه هاهنا ثلاثة أقوال قد شرحناها في أول (العنكبوت). ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشك والإيمان ﴿حَفِيطٌ﴾، وقال ابن قتيبة: والحفيظ بمعنى الحافظ. قال الخطابي: وهو فعيّل بمعنى فاعل، كالقدير، والعليم، فهو يحفظ السموات والأرض بما فيها لتبقى مدة بقائها، ويحفظ عباده من المهالك، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويعلم نياتهم، ويحفظ أوليائهم عن موقعة الذنوب، ويحرسهم من مكاييد الشيطان.

﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ يَتَقَالُ دَرَرٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ فِيكُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُوْكَتَ لَهُ حَقٌّ إِنْ فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ﴾ المعنى: قل للكفار: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لئنموا عليكم ينفعهم، أو يكشفوا عنكم بليّة. ثم أخبر عنه فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ يَتَقَالُ دَرَرٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من خير وشر ونفع وضرر ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي: وما الله ﴿فِيهِمَا﴾ أي: من الآلهة ﴿فِي ظَهِيرٍ﴾ أي من معين على شيء. ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُوْكَتَ لَهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «أُوْكَتَ لَهُ» بفتح الالف. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وخلف: «أُوْكَتَ لَهُ» برفع الالف. وعن عاصم كالقراءتين. أي: لا تنفع شفاعة ملك ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة<sup>(١)</sup>، وقيل: حتى يؤذن له فيمن يشفع. وفي هذا ردّ عليهم حين قالوا: إن هذه الآلهة تشفع لنا. ﴿حَقٌّ إِنْ فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون: «فَرَعَ» بضم الفاء وكسر الزاي. قال ابن قتيبة: خُفِّفَ عنها الفَرْع. وقال الزجاج: معناه: كُثِفَ الفَرْع عن قلوبهم. وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وأبان: «فَرَعَ» بفتح الفاء والزاي، والفعل لله ﷻ. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن يعمر: «فرغ» بالراء غير معجمة، وبالغين معجمة، وهو بمعنى الأول، لأنها فرغت من الفرغ. وقال غيره: بل فرغت من الشك والشرك. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وقد دلّ الكلام على أنهم يفزعون لأمر يطرأ عليهم من أمر الله، ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفرع يدل على حصوله. وفي سبب فرغهم قولان: أحدهما: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تعالى. روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلَوةً كَجَزْ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيَصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جَبْرِيلُ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جَبْرِيلُ فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جَبْرِيلُ: مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ قَالَ: يَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَنَادُونَ: الْحَقُّ الْحَقُّ»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ»<sup>(٣)</sup>، كأنه سلسلة على صفوان<sup>(٤)</sup>، فإذا فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقُّ»<sup>(٥)</sup> «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنهم يفزعون من قيام

الرشاد والهدى، فقال: «وَلَقَدْ سَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ظَنَّهُ» قال: قال ابن عباس ﷺ وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إيلس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، ثم قال: «أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَفَرْتَ عَنْكَ لَنْ تَوَدَّ إِلَهُكَ لَأَتِيَنَّكَ دُرَرًا إِلَّا عَرَبًا» وقال: «ثُمَّ تَقْبَلُهُمْ مِنْ دُونِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ» قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

(١) قال ابن كثير: ثبت في (الصحيحين) من غير وجه عن رسول الله ﷺ - وهو سيد ولد آدم وأكبر شقيق عند الله تعالى - أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال: «فأسجد له تعالى فيذني ما شاء أن يذني، ويفتح عليّ بمحمد لا أحصيا الآن، ثم يقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل سميع، وصل مطه، واشفع تشفع... الحديث بشماه.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٣٨)، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٣٦/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أي: تواضعاً وتواضعاً وانقياداً لحكمه.

(٤) أي: حجر أملس.

(٥) أي: للذي قال القول الحق، وهو الله سبحانه وتعالى.

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ٤١٤/٨ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه عنه أيضاً أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

الساعة. وفي السبب الذي ظنوه بدنؤ الساعة ففزعوا، قولان: أحدهما: أنه لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ثم بعث الله محمداً، أنزل الله جبريل بالوحي، فلما نزل ظنّت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمرُّ بكل سماءٍ ويكشف عنهم الفزع ويخبرهم أنه الوحي، قاله قتادة، ومقاتل، وابن السائب. وقيل: لما علموا بالإحياء إلى محمد ﷺ، فزعوا، ليعلمهم أن ظهوره من أشراف الساعة. والثاني: أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى أهل الأرض ويكتبون أعمالهم إذا أرسلهم الله تعالى فانحدروا، يُسَمِّعُ لهم صوتٌ شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فيخرون سُجُداً، ويضعفون حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة، وهذا كلُّها مرؤا عليهم، رواه الضحاك عن ابن مسعود. والقول الثاني: أن الذي أُشير إليهم المشركون<sup>(١)</sup>؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: حتى إذا كُشف الفزع عن قلوب المشركين عند الموت - إقامة للحجة عليهم - قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقرُّوا حين لم ينفعهم الإقرار، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: حتى إذا كُشف الغطاء عن قلوبهم يوم القيامة، قيل لهم: ماذا قال ربكم؟ قاله مجاهد.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي اللَّهِ وَلَيْلًا أَوْ يَنَازِلَكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ تُبَيِّنُ ۖ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَنَّا أَجْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَلْفَقَتْ بِهِ شُرَكَاءَهُ كُلًّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ يعني المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني النبات والشمس. وإنما أمر أن يسأل الكفار عن هذا، احتجاجاً عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يثبتون رازقاً سواه، ولهذا قيل له: ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا؛ وهاتنا تم الكلام. ثم أمره أن يقول لهم: ﴿وَلَيْلًا أَوْ يَنَازِلَكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ تُبَيِّنُ﴾ مذهب المفسرين أن «أو» هاهنا بمعنى الواو. وقال أبو عبيدة: معنى الكلام: وإنا لعلّى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: معنى «أو» عند المفسرين معنى الواو، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفوض، كما تقول: إن شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة، وإنما معنى الآية: وإنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غيره الضال، كما تقول للرجل تكذبه: والله إن أحداً لكاذب - وأنت تعنيه - فكذبته تكذيباً غير مكشوف؛ ويقول الرجل: والله لقد قديم فلان، فيقول له من يعلم كذبه: قل: إن شاء الله، فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب؛ ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله، ثم يستقبلونها، فيقول: قاتعه الله، ويقول بعضهم: كاتمه الله؛ ويقولون: جوعاً، دعاء على الرجل، ثم يستقبلونها فيقولون: جوداً، وبعضهم يقول: جوساً؛ ومن ذلك قولهم: ويحك وويسك، وإنما هي في معنى «ويلك» إلا أنها دونها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَنَّا أَجْرًا﴾ أي: لا تؤاخذون به ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب؛ والمعنى إظهار التبري منهم<sup>(٣)</sup>. وهذه الآية عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني عند البعث في الآخرة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ القاضي ﴿بِمَا يَقْضِي﴾ ﴿قُلْ﴾ للكفار ﴿أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَلْفَقَتْ بِهِ شُرَكَاءَهُ﴾ أي: أعلموني من أي

(١) وقد اختار ابن جرير الطبري القول الأول، وهو أن الضمير عائد إلى الملائكة، وهم المشار إليهم، وقال ابن كثير: وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَيْلًا أَوْ يَنَازِلَكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ تُبَيِّنُ﴾ هذا من باب اللفظ والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد آمننا بالبرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيد وإفراد العبادة له، فإن أجبتهم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن براء منكم وأنتم براء منا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَذِبُكَ قَوْلٌ لِي عَنِّي وَلَكُمْ عَنَّا أَنْتُمْ رِيشُونَ وَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ وَمِنَّا مَسْكُونٌ ۖ﴾ اهـ.

وجه الحقمتهم وهم لا يخلقون ولا يرزقون؛ ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبه؛ والمعنى: ارتدعوا عن هذا القول، وتنبهوا عن ضلالتكم، فليس الأمر على ما أنتم عليه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩) قُل لَّكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ لَا تَسْتَعِزُّونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عامة لجميع الخلائق. وفي الكلام تقديم، تقديره: وما أرسلك إلا للناس كافة. وقيل: معنى «كافة للناس»: تكفهم عما هم عليه من الكفر، والهاء فيه للمبالغة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي يعدهم به في يوم القيامة؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم يُنكرون البعث، ﴿قُل لَّكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يوم الموت عند النزع والسياق، قاله الضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقُلُلُوبُ مَوْفُوتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ الَّذِي اسْتَضِعُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُوا أَفَنَرَىٰ مَكِيدَتَكُمْ عَنِ الْمَلَكِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَنَا رَأَوْنَا الْعَذَابَ وَحَمَلْنَا الْأَثْلَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التوراة والإنجيل، وذلك أن مؤمني أهل الكتاب قالوا: إن صفة محمد في كتابنا، فكفر أهل مكة بكتابهم. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقُلُلُوبُ﴾ يعني مشركي مكة ﴿مَوْفُوتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي: يرد بعضهم على بعض في الجدل واللوم. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعُوا﴾ وهم الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الأشراف والقادة: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين بتوحيد الله؛ والمعنى: أنتم منعتمونا عن الإيمان؛ فأجابهم المتبوعون فقالوا: ﴿أَفَنَرَىٰ مَكِيدَتَكُمْ عَنِ الْمَلَكِ﴾ أي: منعناكم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾ به الرسول؟ ﴿بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ بترك الإيمان - وفي هذا تنبيه الكفار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبباً للعداوة في الآخرة - فرد عليهم الاتباع فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: بل مكركم بنا في الليل والنهار. قال الفراء: وهذا مما تتوسع فيه العرب لوضوح معناه، كما يقولون: ليله قائم، ونهاره صائم، فخصيف الفعل إلى غير آدميين، والمعنى لهم. وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿مِنْ قَرِينِكَ أَلَيْهَ أَخْرَجَكَ﴾ [محمد: ١٣]، قال جرير:

لَقَدْ لُمْنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى  
وَزُنُتْ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ<sup>(٣)</sup>  
وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «بل مكر» بفتح الكاف والراء «الليل والنهار» برفعهما. وقرأ ابن يعمر: «بل مكر» بإسكان الكاف ورفع الراء وتوניהا «الليل والنهار» بتصبيها.

(١) قال ابن كثير في تلمة الآية: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له، ﴿الْقُرْآنَ الْمَكِيدَ﴾ أي: ذو العزة الذي قد فهر بها كل شيء وغلبيت كل شيء، الحكيم في أنصائه وأقواله وشرعه وقدره، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً، والله أعلم. اهـ.

(٢) وهو تأويل بعيد، وإن كان أصلها من الكف بمعنى المنع، والمراد هنا أن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلائق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِيئًا﴾ وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيُظْهِرَ لَهُ لَوْلَا أَنَّهُ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٨) وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فليها رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلي الناس عامة». وفي «صحيح مسلم»: «وبعث إلي كل أحر وأسود»، أي: إلى الجن والإنس. وهذا من جملة ما امتاز به نبينا محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس، فم فضل على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلِسَانٍ قَرِيبٍ﴾ وقال النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس.

(٣) «ديوانه» ٥٥٤، و«مجاز القرآن» ٢٧٩/١، و«الطبري» ٩٨/٢٢، و«مجمع البيان» ٢٢/٢١٠.





قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ﴾ قال الزجاج: المعنى: ما تقرَّب الأموال إلَّا من آمن وعمل بها في طاعة الله، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَفْضَلٍ﴾ والمراد به هاهنا عشر حسنات، تأويله: لهم جزاء الضَّعْف الذي قد أعلمتكم مقداره، وقال ابن تقيية: لم يُرد فيما يرى أهل النظر - والله أعلم - أنهم يُجَازون بواحد مثله، ولا اثنين، ولكنه أراد جزاء التضعيف، وهو مثل يَضُم إلى مثل ما بَلَغ، وكان للضعف الزيادة، فالمعنى: لهم جزاء الزيادة. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل، ورويس، وزيد عن يعقوب: «لهم جزاء» بالنصب والتثوين وكسر التثوين وصلأ، «الضعف» بالرفع. وقرأ أبو الجوزاء، وقتادة، وأبو عمران الجوني: «لهم جزاء» بالرفع والتثوين، «الضعف» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي الْغُرَفِ﴾ يعني [في] غُرف الجنة، وهي البيوت فوق الأبنية. وقرأ حمزة: «في الغُرَف» على التوحيد؛ أراد اسم الجنس. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل: «في الغُرَفَات» بضم الغين وسكون الراء مع الألف. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: بضم الغين وفتح الراء مع الألف ﴿يَكُونُونَ﴾ من الموت والغير. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الحج: ٥١، الرعد: ٢٦] إلى قوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: يأتي ببدله، يقال: أخلف الله له وعليه: إذا أبدل ما ذهب عنه. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما أنفقتم من غير إسراف ولا تقتير فهو يُخْلِفُهُ، قاله سعيد بن جبير. والثاني: ما أنفقتم في طاعته، فهو يخلفه في الآخرة بالأجر، قاله السدي. والثالث: ما أنفقتم في الخير والبر فهو يُخْلِفُهُ، إما أن يجعله في الدنيا، أو يدخره لكم في الآخرة، قاله ابن السائب. والرابع: أن الإنسان قد ينفق ماله في الخير ولا يرى له خلفاً أبداً؛ وإنما معنى الآية: ما كان من خلف فهو منه، ذكره الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ لما دار على اللسان أن السلطان يرزق الجنند، وفلان يرزق عياله، أي: يعطيهم، أخبر أنه خير المُعْطِينَ.

﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جِبَاحُ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ يَوْمَ تَكُونُ﴾ ﴿قَالُوا لَا بَلَاءَ لَكَ بِهَؤُلَاءِ فَمَنْ يَبْعَثُكِ لِيَعْبُدَ﴾ ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ ﴿أَي: نحن نتبرأ إليك منهم، ما توليَناهم ولا اتخذناهم عابدين، ولنا نريد ولياً غيرك﴾ ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي: يُطِيعون الشياطين في عبادتهم لإِنَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَوْمَ﴾ أي: بالشياطين ﴿تَكُونُ﴾ أي: مصدقون لهم فيما يُخبرونهم من الكذب أن الملائكة بناتُ الله، فيقول الله تعالى: ﴿قَالُوا لَا بَلَاءَ لَكَ بِهَؤُلَاءِ فَمَنْ يَبْعَثُكِ لِيَعْبُدَ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿فَمَنْ﴾ بالشفاعة ﴿وَلَا حَرَّ﴾ بالتعذيب ﴿وَقُولُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فعبدوا غير الله ﴿ذُرُوعاً عَذَابٍ آتٍ﴾. الآية ثم أخبر أنهم يكذبون محمداً والقرآن بالآية التي تلي

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جِبَاحُ﴾ يعني المشركين؛ وقال مقاتل: يعني الملائكة ومن عبدها ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وهذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين؛ فنزعت الملائكة ربها عن الشرك ف ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك مما أضافوه إليك من الشركاء ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: نحن نتبرأ إليك منهم، ما توليَناهم ولا اتخذناهم عابدين، ولنا نريد ولياً غيرك ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي: يُطِيعون الشياطين في عبادتهم لإِنَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَوْمَ﴾ أي: بالشياطين ﴿تَكُونُ﴾ أي: مصدقون لهم فيما يُخبرونهم من الكذب أن الملائكة بناتُ الله، فيقول الله تعالى: ﴿قَالُوا لَا بَلَاءَ لَكَ بِهَؤُلَاءِ فَمَنْ يَبْعَثُكِ لِيَعْبُدَ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿فَمَنْ﴾ بالشفاعة ﴿وَلَا حَرَّ﴾ بالتعذيب ﴿وَقُولُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فعبدوا غير الله ﴿ذُرُوعاً عَذَابٍ آتٍ﴾. الآية ثم أخبر أنهم يكذبون محمداً والقرآن بالآية التي تلي

(١) قال ابن كثير: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء، فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب. اهـ. وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: قال: «قال الله تعالى: يا ابن آدم أنفق عليك»، وروى البخاري ومسلم أيضاً في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط متفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً». وروى أبو يعلى، والطبراني في «الكبير» والأوسط بإسناد حسن، عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «أنفق يا بلال ولا تخش من في العرش إلا الله».

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربهم إلى الله ولقي، فيقول للملائكة: ﴿أَهْلُوا هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿فَأَنْتَ أَشَقُّكُمْ شَيْئاً﴾ وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنْتَ لَقْتَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَآئِينَ إِلَهُهُمْ يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ وهكذا يقول الملائكة: «سبحانك» أي: تعاليت وتقدس أن يكون معك إله. اهـ.

هذه، وتفسيرها ظاهر<sup>(١)</sup>. ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيته، ولم يكذبوا محمداً عن يقين، ولم يأتهم قبله كتاب ولا نبي يخبرهم بفساد أمره، فقال: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كَثَرٍ يَذَرُونَهَا﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد؛ وهذا محمول على الذين أنذرهم نبينا [محمد] ﷺ؛ وقد كان إسماعيل نذيراً للعرب. ثم أخبر عن عاقبة المكذبين قبلهم مخوفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأمم الكافرة، ﴿وَمَا بَلَغُوا مَقَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بلغ كفار مكة معشار ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والمال وطول العمر، قاله الجمهور. والثاني: ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا هؤلاء من الحجّة والبرهان. والثالث: ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، حكاهما الماوردي. والمعشار: العشر. والتكثير: اسم بمعنى الإنكار. قال الزجاج: والمعنى: فكيف كان تكيري؛ وإنما حُذفت الياء، لأنه آخر آية.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُتُكُمْ مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ اللَّيْلُ عَلَيْنَا أَسْوَابَ﴾ قل جأه لئلا يبدئ الباطل وما يبيد ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكُمُ الْإِنْسَانُ أَضِلُّوا عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ زُيِّنَتْ لَهُمْ سُبُلٌ قَرِيبٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ﴾ أي: أمركم وأوصيكم ﴿بِوَحْدَةٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها «لا إله إلا الله»، رواه ليث عن مجاهد. والثاني: طاعة الله، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثالث: أنها قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُتُكُمْ﴾، قاله قتادة. والمعنى: أن التي أعطاكم بها، قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام<sup>(٢)</sup>. والمراد بقوله: «متى» أي: يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ. والمراد بـ «فردى»: أن يتفكر الرجل وحده، ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده، وليخل بغيره، وليناظر، وليستشير، فيستدل بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على أتباعه، ويُثقل الرجل لصاحبه: هلُمّ فلنصادق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط، أو جرّنا عليه كذبا قط. وتم الكلام عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾، وفيه اختصار تقديره: ثم تتفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به وأن الرسول ليس بمجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾. والمعنى: ما أسألكم شيئا؛ ومثله قول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك، يريد: ليس لي فيه شيء<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ اللَّيْلُ عَلَيْنَا أَسْوَابَ﴾ أي: يلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ وقرأ أبو رجاء: «عَلَّمَ» بنصب الميم. ﴿قُلْ جَاءَ اللَّيْلُ﴾ وهو الإسلام والقرآن. وفي المراد بالباطل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، لا يخلق أحداً ولا يبعثه، قاله قتادة<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنه الأصنام، لا تبدئ خلقاً ولا تحيي، قاله الضحاك. وقال أبو سليمان: لا يتبدئ الصنم

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ آيَاتِنَا أَجْزَارًا مِثْلَ مَا كُنَّا نَبْعَثُكُمْ فِيهَا لَمَا كُنَّا بِكُمْ بِكَارٍ يُكَذِّبُكُمْ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قال ابن كثير: يقول الله تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أي: إنما أمرتكم بواحدة، وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُتُكُمْ مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ أي: تقوموا فيما خالصاً لله ﷻ من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فيصحب بعضكم بعضاً.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٤١٥/٨ عن ابن عباس ﷺ قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصحبكم أو يسبكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فلاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك الهذا جمعنا، فأنزل الله: ﴿كَذَّبَ بَدَأَ أَفَى لَهَبٍ﴾.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبين الرادين عليك ما آتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من أجل على إنذاركم عذاب الله وتخوفكم به بأسه، ونصحتي لكم في أمري ليأكم بالإيمان بالله والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به، قال: وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلاً فتشبهوني وتظنوا أنني إنما دعوتكم إلى أتباعي لما أخلد منكم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاتنا: إيليس، أي: إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك، قال: وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد هاتنا، والله أعلم. اهـ.

من عنده كلاماً فيُجاب، ولا يردُّ ما جاء من الحقِّ بحُجَّة. والثالث: أنه الباطل الذي يُضادُّ الحق؛ فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحقِّ، فلم تبقَ منه بقيةٌ يُقيل بها أو يُدبر أو يُبدى أو يعيد، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكَ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالتني على نفسي، وذلك أن كُفَّار مكَّة زعموا أنه قد ضلَّ حين ترك دين آباءه ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتَ فِيمَا يُؤْتِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من الحكمة والبيان.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَكُمُ التَّنَازُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْعَنَبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُوتُوا بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا﴾ في زمان هذا الفرع قولان: أحدهما: أنه حين البعث من القبور، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عند ظهور العذاب في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال سعيد بن جبیر: هو الجيش الذي يُخسف به بالبيداء، يبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقوا<sup>(١)</sup>، وهذا حديث مشروح في التفسير، وأن هذا الجيش يؤمُّ البيت الحرام لتخريبه، فيُخسف بهم<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هذه الآية فيمن قُتل يوم بدر من المشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ المعنى: فلا قُوَّة لهم، أي: لا يُمكنهم أن يفوتونا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من مكانهم يوم بدر، قاله زيد بن أسلم. والثاني: من تحت أقدامهم بالخسف، قاله مقاتل. والثالث: من القبور، قاله ابن قتبية. وأين كانوا، فهُم من الله قريب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: حين عاينوا العذاب ﴿آمَنَّا بِهِ﴾. في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الله ﷻ، قاله مجاهد. والثاني: إلى البعث، قاله الحسن. والثالث: إلى الرسول، قاله قتادة، والرابع: إلى القرآن، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَكُمُ التَّنَازُشُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «التَّنَازُشُ» غير مهموز. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالهمز. قال الفراء: من همز جعله من «نَأَشْتُ»، ومن لم يهمز، جعله من «نُشْتُ»، وهما متقاربان؛ والمعنى: تناولتُ الشيء، بمنزلة: ذُت الشيء وذامته: إذا جئته؛ وقد تناوش

(١) «الطبري» ١٠٧/٢٢.

(٢) ذكر الطبري عند تفسير هذه الآية ١٠٧/٢٢ حديثاً طويلاً عجيباً لا يصح، عن الجيش الذي يخسف به، ونصه بتمامه: حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن جراح، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السفياث من الوادي اليابس في قُوَّره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض «بابل» في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويقتلون بها مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية من الكوفة، فتلق ذلك الجيش منها على الفتنين فيقتلونهم لا يُفلت منهم مخبر، ويستقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحلِّي جيشه التالي بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام وليالها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبذمهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة (سبأ): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ...﴾ الآية، ولا يفلت منهم إلا رجلان، أحدهما بشير، والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين». اهـ. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس ﷺ، قال: ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية (يريد هذا الحديث)، قال: ثم لم يبقَ على ذلك، هذا أمر عجيب غريب منه. اهـ. ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية: حدثنا محمد بن خلف المسقلاني، قال: سألت رواد بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا، قلت: فقرأني عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته؟ فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرأه وتسمعه، قلت لهم: هااتوه، فقرأوه عليّ ثم ذهبوا فحلثوا به عني، أو كلام هذا معناه. اهـ. فهذا يدل على أن الطبري نفسه يراه غريباً.

وقد روى البخاري في «صحيحه» ٢٨٤/٤ حديث الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف به: عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يفوزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض (مكان معروف بين مكة والمدينة) يخسف بأولهم وآخرهم». قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُعثون على نيابتهم»، ولكن لا علاقة لهذا الحديث بتفسير هذه الآية، ولذلك قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفرع): يوم القيامة، وهو الطامة العظمى. اهـ.

القَوْمُ في القتال: إذا تناول بعضهم بعضاً بالرَّماح، ولم يتدانوا كُلُّ التداني، وقد يجوز همز «التَّائِش» وهي من «نُشْتُ» لانضمام الواو، مثل قوله: ﴿وَإِذَا أَرْسِلُ أَيْتَنَ﴾ [المرسلات: ١١]. وقال الزجاج: من همز «التَّائِش» فلانَ واو التَّائِش مضمومة، وكُلُّ واو مضمومة ضُمَّتْها لازمة، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت لم تبدل، نحو: أدور<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: معنى الآية: وأتى لهم التَّائِش لِمَا أرادوا بلوغه وإدراك ما طلبوا من التوبة ﴿بَيْنَ تَكَايٍ بَعِيرٍ﴾ وهو الموضع الذي تُقْبَل فيه التوبة. وكذلك قال المفسرون: أتى لهم بتناول الإيمان والتوبة وقد تركوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت!؟

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهٖ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال قد تقدّمت في قوله: ﴿أَمَّا بِهٖ﴾ [سبا: ٥٢]. ومعنى ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: في الدنيا من قبل معاينة أهوال الآخرة ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْقَيْبِ﴾ أي: يَرْمُونَ بِالظَّنِّ ﴿بَيْنَ تَكَايٍ بَعِيرٍ﴾ وهو بعدهم عن العلم بما يقولون. وفي المراد بمقالتهم هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يظنون أنهم يَرُدُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه قولهم في الدنيا: لا بعث لنا ولا جنة ولا نار، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه قولهم عن رسول الله ﷺ: هو ساحر، هو كاهن، هو شاعر، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَرِجِلَ يَبِينُهُمْ وَيَنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مُنِع هؤلاء الكفار مما يشتهون، وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه الرجوع إلى الدنيا، قاله ابن عباس. والثاني: الأهل والمال والولد، قاله مجاهد. والثالث: الإيمان، قاله الحسن. والرابع: طاعة الله، قاله قتادة. والخامس: التوبة<sup>(٢)</sup>، قاله السدي. والسادس: حيل بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسف بهم، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَمَا قُوتِلَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو عمران: «كما قُتِلَ» بفتح الفاء والعين ﴿وَأَشْبَاعِهِمْ يَنْ قَبْلَ﴾ قال الزجاج: أي: بمن كان مذهبه مذهبهم<sup>(٤)</sup>. قال المفسرون: والمعنى: كما قُتِلَ بنظرانهم من الكفار من قبل هؤلاء، فإنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون. وقال الضحاك: هم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿لِيَنَّهُمْ كَاثُرًا فِي شَكِّ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿ثُمَّ يَمِيزُ﴾ أي: مُوَقِّعٌ لِلرَّيْبِ وَالثَّهْمَةِ<sup>(٥)</sup>.



(١) قال في «الصالح» مادة «دور»: الدار مؤنثة، وأدنى العدد: أَدْوَرُ، فالهمزة فيه شُبُهَةٌ من واو مضمومة، ولك أن لا تهمز.

(٢) قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله، قال: وقال مجاهد: ﴿وَرِجِلَ يَبِينُهُمْ وَيَنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل، قال: وروي نحوه عن ابن عمر، وابن عباس، والربيع بن أنس، قال: وهو قول البخاري وجماعة، ثم قال: والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة ففنعوا منه. اهـ.

(٣) هذا التأويل متعلق بما ذكر في حديث الجيش الذي يخسف به عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرَوْا كَذِبًا يُرَوِّا فَلَاقُوا﴾ وقد علمت أنه لا يصح.

(٤) قال ابن كثير: أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله ثمّنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهم لم يُقْبَل منهم الإيمان عند معاينة العذاب، وقال: قال قتادة: ليأكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه. اهـ.

## سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة، وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحٍ مَتَنٌ وَتِلْكَ رُبُّنَا يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما مبتدئاً على غير مثال. قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم أعرابيَان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي: ابتدأتهما<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ﴾ وروى الحلبي والقزاز عن عبد الوارث: «جاعِلٌ» بالرفع والتنوين «الملائكة» بالنصب «رُسُلًا» يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور «أُولَى أَجْنَحٍ» أي: أصحاب أجنحة «مَتَنٌ وَتِلْكَ رُبُّنَا» فبعضهم له جناحان، وبعضهم [له] ثلاثة، وبعضهم له أربعة، و«يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه زاد في خلق الملائكة الأجنحة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء، رواه عباد بن منصور عن الحسن، وبه قال مقاتل<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه الخلق الحسن، رواه عوف عن الحسن. والرابع: أنه حُسن الصوت، قاله الزهري، وابن جريج. والخامس: الملاحاة في العنين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ أي: من خير ورزق. وقيل: أراد بها المطر «فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبلة: «فَلَا مُمْسِكُ لَهَا». وفي الآية تنبيه على أنه لا إله إلا هو، إذ لا يستطيع أحد إمساك ما فُتِحَ وفتح ما أسك<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلْهَوْا أَنْ تَنْفَكُوا ٣﴾ وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ اللَّهُ رَجْعُ الْأُمُورِ ٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْهَيْوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْفَرْدُ ٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال المفسرون: الخطاب لأهل مكة، «واذكروا» بمعنى «احفظوا»، ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم. «هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ» وقرأ حمزة والكسائي: «غَيْرِ اللَّهِ» بخفض الراء؛ قال أبو علي: جعلناه صفة على اللفظ، وذلك حسن لإتباع الجر. وهذا استفهام تقرير وتوبيخ؛ والمعنى: لا خالق سواه «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ» المطر «و» من «الْأَرْضِ» النبات. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ٩٥، آل عمران: ١٨٤، البقرة: ٢١٠، لقمان: ٣٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: إنه يريد هلاككم «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أي: أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء، وتجنّبوا طاعته «إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ» أي: شيعته إلى الكفر «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

﴿أَمَنْ زَيْنَ لَمْ يَرْوُ عَنْهُ عَلَيْهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَنْهُمْ حَزَنًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا مَسْفُتَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّعُورُ ٩﴾

(١) قال ابن كثير: وقال ابن عباس: «فاطر السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: بديع السموات والأرض، قال: وقال الضحاك: كل شيء في القرآن «فاطر السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فهو خالق السموات والأرض. اهـ.

(٢) وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود: قال: «لَقَدْ كَانَ مِنْ تِلْكَ رُبِّ الْكَرَى ١٣﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

قوله تعالى: ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> اختلفوا فمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، قاله ابن عباس. والثاني: في أصحاب الأهواء والجلل التي خالفت الهدى، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة<sup>(٢)</sup>. فإن قيل: أين جواب «أَقْمَنَ زَيْنٌ له؟» فالجواب من وجهين ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن الجواب محذوف؛ والمعنى: أَقْمَنَ زَيْنٌ له سوء عمله كمن هداه الله؟ ويدل على هذا قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. والثاني: أن المعنى: أَقْمَنَ زَيْنٌ له سوء عمله فأضله الله ذهب نفسك عليهم حسرات؟! ويدل على هذا قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾. وقرأ أبو جعفر: «فلا تذهب» بضم الناء وكسر الهاء «نفسك» بنصب السين. وقال ابن عباس: لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرة على تركهم الإيمان.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّرَ صَبَابًا﴾ أي: تزعجه من مكانه؛ وقال أبو عبيدة: تجمعه وتجيء به، و«سُقْنَاهُ» بمعنى «نسوقه»؛ والعرب قد تضع «فَعَلْنَا» في موضع «فَعَلَّ»، وأنشدوا:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا

مِثْنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَقْنُوا<sup>(٣)</sup>

المعنى: يطبروا ويدفئوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْكُفُّورُ﴾ وهو الحياة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: كما أحيا الله الأرض بعد موتها يُحيي الموتى يوم البعث. روى أبو رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله: كيف يُحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك مَخْلًا، ثم مررت به يهتُرُ خَضِرًا؟» قلت: نعم، قال: «فكذلك يُحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه»<sup>(٤)</sup>. والثاني: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، كذلك يُحيي الله الموتى بالماء. قال ابن مسعود: يرسل الله تعالى ماء من تحت العرش كميئ الرجل، قال: فتنبت لأخمانهم وجُسمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ هذه الآية. وقد ذكرنا في [الأعراف: ٥٧] نحو هذا الشرح.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، قاله مجاهد. والثاني: من كان يريد العزة فليتعزَّزْ بطاعة الله، قاله قتادة. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيَطِيعِ الْعَزِيزَ»<sup>(٦)</sup>. والثالث: من كان يريد عِلْمَ الْعِزَّةِ لِمَنْ هِيَ، فإنها لله جميعاً، قاله الفراء<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والنخعي، والجحدري،

(١) قال السيوطي في «الدرر»: ٢٤٥/٥: أخرج ابن جرير من طريق جوير عن الضحاك رحمته الله قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ سَكَا﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل ابن هشام، فهدى الله عمر رحمته الله، وأضل أبا جهل، فنيهما أنزلت.

وقال في «أسباب النزول»: ١٨٥: أخرج جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية... فذكره بنحوه.

(٢) قال السيوطي في «الدرر»: ٢٤٥/٥: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي قلابة أنه سئل عن هذه الآية ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ سَكَا﴾: أهم عمَلَانَا هَوْلَا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ؟ قال: ليس هم، إِنَّ هَوْلَا ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه، إن أتى الزنى فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل اليهود والنصارى والمجوس... إلخ.

(٣) سبق تخريج البيت ٥٠٩، وهو أيضاً في «مجاز القرآن»: ١٥٢/٢، و«اللسان» و«التاج»: أذن.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسنَد»: ١١/٤ من حديث حماد بن سلمة قال: أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن حلس عن عمه أبي رزين العقيلي. قال ابن كثير: ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به، ثم قال: ورواه أحمد أيضاً بسند آخر قال: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رزين العقيلي... فذكره بنحوه. والحديث أورده السيوطي في «الدرر»: ٢٤٥/٥، وزاد نسبة للطبري، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي رزين العقيلي رحمته الله.

(٥) ذكره الطبري في «معجم البيان» بدون سند.

(٦) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزَّزْ، فله العزة جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً. اهـ.

والشيزري عن الكسائي: «يُضَعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ» وهو توحيدته وذِكْرُهُ <sup>(١)</sup> «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قال علي بن المديني: الكَلِمُ الطَّيِّبُ: لا إله إلا الله، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم <sup>(٢)</sup>. وفي هاء الكناية في قوله: «يرفعه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكَلِمِ الطَّيِّبِ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكَلِمِ الطَّيِّبِ، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. وكان الحسن يقول: يُغْرَضُ الْقَوْلُ عَلَى الْفِعْلِ، فإن وافق القول الفعل قُبِلَ، وإن خالف رُدَّ. والثاني: أنها ترجع إلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح، يرفع الكَلِمِ الطَّيِّبِ، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشهر بن حوشب. فإذا قلنا: إن الكَلِمِ الطَّيِّبِ هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول أنه لا يُقْبَلُ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا مِنْ مُوحِّدٍ. والثالث: أنها ترجع إلى الله ﷻ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الله إليه، أي: يَقْبَلُهُ، قاله قتادة.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ» قال أبو عبيدة: يَمَكُرُونَ: بمعنى: يَكْتَسِبُونَ ويجتريحون. ثم في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، قاله أبو العالية. والثاني: أنهم أصحاب الرِّيَاءِ، قاله مجاهد، وشهر بن حوشب. والثالث: أنهم الذين يعملون الشَّيَاطِينَ، قاله قتادة، وابن السائب. والرابع: أنهم قاتلو الشُّرَك، قاله مقاتل <sup>(٣)</sup>. وفي معنى «يَتَّبِعُونَ» قولان: أحدهما: يَتَّبِلُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: يَتَّبِعُ، قاله الزجاج.

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَعَنَّا طَرِيقًا وَنَنْتَعِزُّ مِنْ حَيْثُ تَلْسُوهُمَا فَمَنْ لَنْ يُغْنِي عَنْكَ الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرُ يَلْتَعِزُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُكْبَةً لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَكُفُّوا أَسْمَاءَكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿٤﴾»

قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» يعني آدم «ثُمَّ مِنْ نُفُفَةٍ» يعني نسله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أي: أصنافاً، ذكوراً وإناثاً، قال قتادة: زَوْجٌ بعضهم ببعض.

قوله تعالى: «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» أي: ما يطول عمر أحد «وَلَا يُنْقَضُ» وقرأ الحسن، ويعقوب: «يُنْقَضُ» بفتح الياء وضم القاف «وَمِنْ عُمرِهِ» في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها كناية عن آخر، فالمعنى: ولا يُنْقَضُ من عمر آخر؛ وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في آخرين <sup>(٤)</sup>. قال الفراء: وإنما كنى عنه كأنه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا يُنْقَضُ من عمر مُعَمَّرٍ، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ والمعنى: ونصف آخر. والثاني: أنها ترجع إلى المُعَمَّرِ المذكور؛ فالمعنى: ما يذهب من عمر هذا المُعَمَّرِ يوم أو ليلة إلا وذلك مكتوب؛ قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهبت ثلاثة، إلى أن ينقطع عُمره؛ وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة

(١) قال ابن كثير: وقوله: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» يعني الذكر والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف.

(٢) الذي في «الطبري»: عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قوله: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قال: الكلام الطيب: ذِكْرُ اللَّهِ، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عليه ذِكْرُ اللَّهِ فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رَدَّ كلامه على عمله فكان أولى به. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيَاطِينَ» قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراءون بأعمالهم، يعني يَمَكُرُونَ بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بغضاء إلى الله ﷻ، يراءون بأعمالهم «وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»، قال: وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: «لَكُمْ عَلَيْنَا تَوَكُّفٌ وَقُرْآنٌ لِقَائِكُمْ هُوَ يُبَيِّنُ» أي: يفسد ويضل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلنات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال: فالمرآني لا يروج أمره ويستمر إلا على غيبي، أما المؤمنون المصْزُوسون، فلا يروج ذلك عليهم، بل يكشف لهم عن قريب، قال: وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. اهـ.

(٤) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال عنه ابن كثير: وهو كما قال.



وأبو مالك في آخرين<sup>(١)</sup>. فأما الكتاب، فهو اللوح المحفوظ. وفي قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى كتابة الآجال. والثاني: إلى زيادة العُمر وتقصانه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ يعني العذب واليُمْلح؛ وهذه الآية وما بعدها قد سبق بيانه [الفرقان: ٥٣، النحل: ١٤، آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢٢] إلى قوله: ﴿مَا يَسْكُوتُ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ قال ابن عباس: هو القشر الذي يكون على ظهر النواة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ بأن يخلق الله لهم أسماعاً ﴿مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ﴾ أي: يتبرؤون من عبادتكم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُ﴾ يا محمد ﴿مِنْ جَبْرِ﴾ أي: عالم بالأشياء، يعني نفسه ﷺ؛ والمعنى أنه لا أخْبَر منه عز جل بما أخبر أنه سيكون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [١] إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَكَانَ ثَمَرُهُمْ ثَمَرَةً إِنْ جَاءَهَا لَا يَحْمِلُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قَرْبَةٍ إِنَّهَا لَنُذِرُ الَّذِينَ يَحْشُرُونَ نَفْسَهُمْ بِالْقَبْرِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَنَزَعُوا مِنْ تَرْكِهِ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ﴿٤﴾ وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ ﴿٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أَتَمَةٍ إِلَّا حَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْيَقِينِ وَالْإِثْبَارِ وَالْكِتَابِ الْغَنِيِّ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم ﴿الْحَمِيدُ﴾ عند خلقه بإحسانه إليهم<sup>(٢)</sup>. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [لإبراهيم: ١٩، الأنعام: ١٦٤] إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَنفَعُ ثَمَرُهُ﴾ أي: نفس مُثْقَلَةٌ بِالذُّنُوبِ ﴿إِنْ جَاءَهَا﴾ الذي حملت من الخطايا ﴿لَا يَحْمِلُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الذي تدعوه ﴿ذَا قَرْبَةٍ﴾ ذا قرابة<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَحْشُرُونَ نَفْسَهُمْ بِالْقَبْرِ﴾ أي: يخشونه ولم يروه؛ والمعنى: إنما تنفع بإنذارك أهل الخشية، فكانك تذلهم دون غيرهم لمكان اختصاصهم بالانتفاع، ﴿وَمَنْ تَرَكَ﴾ أي: تطهر من الشرك والفواحش، وفعل الخير ﴿فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ﴾ أي: فصلاحه لنفسه ﴿وَلِلَّهِ الْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ﴾ فيجزي بالأعمال، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْغَنِيُّ﴾ يعني المؤمن والمشرک، ﴿وَلَا الظُّلُمُتُ﴾ يعني الشرك والضلالات ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الهدى والإيمان، ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا النُّورُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ظل الليل وسُومُ النهار، قاله عطاء. والثاني: الظلُّ: الجَنَّةُ، والحرور: النار، قاله مجاهد. قال الفراء: الحرور بمنزلة السُّوم، وهي الرياح الحارة. والحرور تكون بالنهار وبالليل، والسُّوم لا تكون إلا بالنهار. وقال أبو عبيدة: الحرور تكون بالنهار مع الشمس، وكان رؤية يقول: الحرور بالليل، والسُّوم بالنهار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أن الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار. والثاني: أن الأحياء: العقلاء، والأموات: الجُهَّال. وفي «لا» المذكورة في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة. والثاني: أنها نافية لاستواء أحد المذكورين مع الآخر. قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للمؤمن والكافر، يقول: كما لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن<sup>(٤)</sup>. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يُفهم من يريد.

(١) قال ابن كثير: وقال الشافعي عند تفسير هذه الآية الكريمة: حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان، قال: سمعت ابن وهب يقول: حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يسطر له في رزقه وإنسأ له في أثره فليصل رحمه»، قال ابن كثير: وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الأيلي به. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يغير تعالى بفتاته عما سواه، ويفتقر المخلوقات كلها إليه وتذلها بين يديه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالنت، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقره ويشره، ثم قال في تمة الآية: وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذِيكُمْ﴾ أي يوم القيامة.

(٣) وظل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ ولا مؤوود هو جار من والديه شيئاً لك وقد الله حق فلا تترككم الجيرة الدنيا ولا يترككم بالله العزيم [١] وقال: ﴿يَوْمَ يَرَى الْمُؤْمِنُ يَدَ اللَّهِ﴾ أي: يديه [٢] وتجاهه يديه [٣] لكل أي: يديه وتجاهه يديه [٤] يديه [٥] قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللکافرين وهم الأموات، بقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلَ مَا جَاءَتْكُمْ وَجَعَلْنَاكُمْ كَمْ قَوْمًا يَتَّبِعُونَ﴾

(٤)

إفهامه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُشِيعٍ ثَمَّ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(١)</sup> وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والجحدري: «بِمُسْمِعٍ ثَمَّ» على الإضافة؛ يعني الكفار، شبههم بالموتى، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> قال بعض المفسرين: نُسخ معناها بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَشْءٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما من أمة إلا قد جاءها رسول<sup>(٤)</sup>. وما بعد هذا قد سبق بيانه لك عمران: ١٨٤، الحج: ٤٤ إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ كُنَّا نَبْذِرُ﴾<sup>(٥)</sup> أثبت فيها الباء في الحالين يعقوب، وافقه في الوصل ورش.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّارِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْمَمْتُ مِنْهُنَّ الْفُلُوكَ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ﴾ أي: ومما خلقنا من الجبال جُدَدٌ. قال ابن قتيبة: الجُدَدُ: الخُطوط والطرائق تكون في الجبال، فبعضها بيض، وبعضها حمر، وبعضها غرايب سود، والغرايب جمع غريب، وهو الشديد السواد، يقال: أسود غريب، وتمام الكلام عند قوله: «كذلك»، يقول: من الجبال مختلف ألوانه<sup>(٧)</sup>، ﴿وَمِنَ النَّارِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْمَمْتُ مِنْهُنَّ الْفُلُوكَ كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وسود غرايب، لأنه يقال: أسود غريب، وقلما يقال: غريب أسود. وقال الزجاج: المعنى: ومن الجبال غرايب سود، وهي ذوات الصخر الأسود. وقال ابن دريد: الغريب: الأسود، أحسب أن اشتقاقه من الغراب. وللمفسرين في المراد بالغرايب ثلاثة أقوال: أحدها: الطرائق السود، قاله ابن عباس. والثاني: الأودية السود، قاله قتادة. والثالث: الجبال السود، قاله السدي. ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ﴾ يعني العلماء بالله عز وجل. قال ابن عباس: يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني<sup>(٨)</sup>. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله. وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾<sup>(٩)</sup> لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُعَدًّا لِّذِي يَوْمٍ يَدِّعِي أَنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَجِيبٌ بِصِيرٍ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني قراء القرآن، فأثنى عليهم بقراءة القرآن؛ وكان مطرّف يقول: هذه آية القراء. وفي قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان: أحدهما: يقرؤون. والثاني: يتبعون. قال أبو عبيدة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بمعنى ويقيمون، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها.

يد في الآيتين كَمَثَلُ فِي الْكَلْبَةِ لَيْسَ بِخَالٍ بَيْنَهُمَا وقال: ﴿نَزَلَ الْفَيَاقِقُ كَالْفَيَاقِ وَالْأَسْمُ وَالْغَيْرُ وَالسَّيِّعُ هَلْ يَسْتَوِيانِ تَلَا؟﴾ فالؤمن بصير سمع في نور، يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر في الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتي في غي وضلال في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحروز والسُّموم والحميم وظل من يحوم لا يابو ولا كريم. اهـ.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُشِيعٍ ثَمَّ فِي الْقُبُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من إحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وروايع حججه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يُزِيلْكَ ربك إليهم لا لتبلغهم رسالتك، ولم يخلقك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اعتدائهم وقبولهم منك ما جنتهم به، فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجبوا لك. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: وما من أمة خلقت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر، وأزاح عنهم الغل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا كَافِرًا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبَشَّرْنَا الْكَافِرَ قُبُورَهُمْ مِّنْ هُنَا اللَّهُ وَهُمْ مِّنْ هُنَا حَتَّىٰ تَلْقَى السَّكَنَةَ...﴾ الآية، قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: ﴿كَذَلِكَ كُنَّا نَبْذِرُ﴾: فانظر يا محمد كيف كان تنزييري بهم، وحلول عقوبتي بهم.

(٥) في «غريب القرآن»: ألوانها.

(٦) قال ابن كثير: أي: إنما يخشاه حق خشية العلماء العارفين به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كان المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ عِذْرَةَ﴾ قال الفراء: هذا جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾. قال المفسرون: والمعنى: يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تهلك ولن تكسب. ﴿يَرْجُوهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم ﴿وَيَرْزِقُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم ترعين ولم تسمع أذن. فأما الشكور، فقال الخطابي: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر؛ ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضى بيسير الطاعة من العبد، والقبول له، وإعظام الثواب عليه؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت، لئلا يستقلوا القليل من العمل، ولا يتركوا اليسير منه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ جئت عند دخولها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولياسمها فيها حرير ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ في ﴿ثُمَّ﴾ وجهان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والثاني: أنها للترتيب. والمعنى: أنزلنا الكتب المتقدمة، ثم أورثنا الكتاب. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه اسم جنس، والمراد به الكتب التي أنزلها الله ﷻ، وهذا يخرج على القولين. فإن قلنا: الذين اصطفوا أمة محمد، فقد قال ابن عباس: إن الله أورث أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله. وقال ابن جرير الطبري: ومعنى ذلك: أورثهم الإيمان بالكتب كلها - وجميع الكتب تأمر باتباع القرآن - فهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها؛ واستدل على صحة هذا القول بأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه: ﴿وَاللَّهُ أَنْحَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ واتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ فعلمنا أنهم أمة محمد، إذ كان معنى الميراث: انتقال شيء من قوم إلى قوم، ولم تكن أمة على عهد نبينا انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمتهم. فإن قلنا: هم الأنبياء وأتباعهم، كان المعنى: أورثنا كل كتاب أنزل على نبي ذلك النبي وأتباعه. والقول الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن<sup>(١)</sup>. وفي معنى «أورثنا» قولان: أحدهما: أعطينا، لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد. والثاني: أخرنا، ومنه الميراث، لأنه تأخر عن الميت؛ فالمعنى: أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناه هذه الأمة، إكراماً لها، ذكره بعض أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه صاحب الصغائر؛ روى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له)<sup>(٢)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية، قال: «كلهم في الجنة»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الذي مات على كبيرة ولم يثب منها، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه الكافر، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقد رواه ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا يكون الاصطفاة لجملة من أنزل عليه الكتاب، كما قال: ﴿وَرَأَيْتُمْ لَوَظْفَ لَكُمْ وَلَقَوْلَكُمْ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: لشرف لكم، وكم من مكرم لم يقبل الكرامة! والرابع: أنه المنافق، حكى عن الحسن<sup>(٥)</sup>. وقد روي عن الحسن أنه قال: الظالم: الذي ترجح

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يقول تعالى: ثم جعلنا القاتمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة. اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٩: رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أنس بن مالك عن عبد الله الحارثي عن سمع عمر، فذكره موقوفاً. وذكره السيوطي في «الدرر» من رواية سعيد بن منصور، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن عمر بن الخطاب موقوفاً، ولم يثبت في المرفوع.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عنه بلفظ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة» قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لم يسم، ثم قال: ومعنى قوله: «بمنزلة واحدة» أي: في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة. اهـ. والحديث قد رواه ابن جرير الطبري بنحو حديث أحمد، وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً. ورواه بنحو الترمذي وقال: هذا حديث غريب حسن، وقد أورده السيوطي في «الدرر» ٢٥١/٥ عن أبي سعيد الخدري موقوفاً، وزاد نسبه للطبري، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٥٢/٥ من رواية ابن مردويه عن عمر مرفوعاً، والله أعلم.

(٥) قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً. اهـ. يريد بذلك أمثال حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

سَيِّئَاتِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ: الَّذِي قَدْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، وَالسَّابِقُ: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ. وَرَوَى عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: سَابِقُنَا أَهْلَ جِهَادِنَا، وَمُقْتَصِدُنَا أَهْلَ حَضْرَانَا، وَظَالِمُنَا أَهْلَ بَدُونِنَا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَائِقٌ﴾ وقرأ أبو المتوكل، والجحدري، وابن السميع: «سَبَّاقٌ» مثل: قَالَ ﴿بِالْحَيَاتِ﴾ أي: بالأعمال الصالحة إلى الجنة، أو إلى الرحمة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ أي: بإرادته وأمره ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني إيرادهم الكتاب<sup>(٣)</sup>. ثم أخبر بشوايهم، فجمعهم في دخول الجنة فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾<sup>(٤)</sup> قرأ أبو عمرو وحده: «يَدْخُلُونَهَا» بضم الياء؛ وفتحها الباقون، وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَلَوْ لَوْ﴾ بالنصب. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان يهزم الواو الثانية ولا يهزم الأولى؛ وفي رواية أخرى أنه كان يهزم الأولى ولا يهزم الثانية. والآية مفسرة في سورة [الحج: ٢٣]. قال كعب: تحاكت مناكبههم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَمَعَدٌ لِلَّهِ الَّذِي آتَاهُمْ مَّا يَخْتَارُونَ ﴿١٤١﴾ رَبَّنَا تَعَوَّذْ شُكُورُ ﴿١٤٢﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا  
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١٤٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿١٤٤﴾  
وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَّلَ نَعْمَلُ أَوَّلَ نَعْمَلُ مَا بَدَأَكُمْ فِيهِ مِنْ نَذْرٍ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا  
فَقَدْ قَرَأْتُمْ فَلِللَّذِينَ فِي الْأَرْضِ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ لَعِندَ ذَاكَ الْقُدُورِ ﴿١٤٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ  
فِي الْأَرْضِ قَدْ كُنْتُمْ أَفْوَاحًا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالْأَحْكَامَ لَعَلَّكُمْ أَتَقَنُّونَ ﴿١٤٧﴾﴾

ثم أخبر عما يقولون عند دخولها، وهو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ الحزن والحزن واحد، كالبحل والبخل. وفي المراد بهذا الحزن خمسة أقوال: أحدها: أنه الحزن لطول المقام في المحشر. روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أما السابق، فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد، فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه، فإنه حزين في ذلك المقام»، فهو الحزن والغم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِمَذَّيَّبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه الجوع، رواه أبو الدرداء أيضاً عن رسول الله ﷺ، [ولا يصح]، وبه قال شمر بن عطية<sup>(٥)</sup>. وفي لفظ عن شمر أنه قال: الحزن: هم الحُزْب<sup>(٦)</sup>، وكذلك روي عن سعيد بن جبير أنه قال: الحزن: هم الحُزْب في الدنيا. والثالث: أنه حزن النار، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والرابع: حزنهم في الدنيا على ذُنُوب سلفت منهم، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والخامس: حزن الموت، قاله عطية<sup>(٩)</sup>. والآية عامّة في هذه الأقوال وغيرها<sup>(١٠)</sup>، ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يشبهه، وإنما حزنوا على ذُنُوبهم وما يوجب الخوف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٢/٥ من رواية سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ابن مردويه، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: سُبِّحَ هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أوردنا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة، ما واهم جنات عدن، أي: جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله ﷻ ﴿مَحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ كما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» ﴿وَلِبَاسُ سُمْرٍ فِيهَا خُزٌّ﴾ ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا، فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة، وثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» وقال: «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة». اهـ.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَذَكَرَهُ السَّيْوِيُّ فِي «الدرر» ٢٥١/٥، وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِلْقُرَيْشِيِّ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالتَّيْرَانِيُّ، وَالحَاكِمُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ أَبِي الدُّرَادِ ۖ

(٥) لم تر الحزن بمعنى الجوع عن أبي الدرداء مرفوعاً ولا موقوفاً عليه، وإنما ذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٣/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن شمر بن عطية من قوله.

(٦) ذكره الطبري ٢٢/١٣٨.

(٧) «الطبری» ١٣٨/٢٢، وذكره السيوطي، في «الدر» ٢٥٣/٥، وزاد نيسته لعبد بن حمد، وابن أم حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(أ) ذكره السوطي، في «الدر» ٢٥٣/٥ من رواية عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس.

(9) ۱۳۸/۲۲ ط ۵

(١٠) قال ابن جرير الطبري: وأول الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكفهم بما أكفهم به، أنهم قالوا =

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَحْنَا﴾ أي: أنزلنا ﴿فَارِ الْمَقَامَةِ﴾ قال الفراء: المَقَامَةُ هي الإقامة، والمَقَامَةُ: المجلس، بالفتح لا غير، قال الشاعر:

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَغْدَاءِ تَأْوِيلٌ<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿مِنْ ضَلَالِهِ﴾ قال الزجاج: أي: بتفضله، لا بأعمالنا. والتَّصَبُّ: التَّعَبُ. واللُّغُوبُ: الإعياء من التَّعَبِ. ومعنى «لُغُوبٌ»: شيء يُلْغِبُ؛ أي: لا تتكلف شيئاً نَعَتَى منه.  
قوله تعالى: ﴿لَا يَفْضَنَ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ أي: لا يهلكون فيستريحوا ممّا هُمْ فيه<sup>(٢)</sup>، ومثله: ﴿فَوَكَّرَ مُؤَيَّنٌ فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [التقصم: ٥١].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرو: «يُجْزَى» بالياء «كُلُّ» برفع اللام. وقرأ الباقر: «نَجْزِي» بالنون «كُلُّ» بنصب اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَصْلَحْهُنَّ إِنَّا﴾ وهو افتعال من الصُّرَاحِ: والمعنى: يستغيثون، فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِمَّا مَكَلَّمْنَا﴾ أي: نوحك ونطيعك ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا مَكَلَّمًا﴾ من الشُّرك والمعاصي؛ فويُخْهِمُ الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: معناه التقرير، وليس باستفهام؛ والمعنى: أولم نَعْمَرْكُمْ عُمُرًا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ؟! وفي مقدار هذا التعمير أربعة أقوال: أحدها: أنه سبعون سنة، قال ابن عمر: هذه الآية تعبير لأبناء السبعين. والثاني: أربعون سنة. والثالث: ستون سنة، رواهما مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وبالأول منهما قال الحسن، وابن السائب. والرابع: ثمانين سنة، قاله عطاء، ووهب بن منبه، وأبو العالية، وقَتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ أَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشيب، قاله ابن عمر، وعكرمة، وسفيان بن عيينة؛ والمعنى: أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ حَتَّى شَيْبْتُمْ؟! والثاني: النبي ﷺ، قاله قتادة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٤)</sup>. والثالث: موت الأهل والأقارب. والرابع: الحمى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَذَوْقُوا﴾ يعني: العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَاصِرٍ﴾ أي: من مانع يمنع عنهم. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [المائدة: ٧] إلى قوله: ﴿خَلَقْتَ فِي آتَايُنَا﴾ وهي الأمّة التي خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهَا وَرَأَتْ فِيمَنْ تَقْلَعُهَا مَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرَ بِهِ ﴿فَنَ كَفَرْنَا فَنَلَيْتُوا كُفْرَهُ﴾ أي: جزاء كفره<sup>(٥)</sup>.

حين دخلوا الجنة: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا أَتَتْهُمُ نَارُ الْجَنَّةِ﴾ قال: وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى الطعام من الحزن، ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حملوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عمّوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحملهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن. اهـ.

(١) البيت لسلامة بن جندل كما في مجاز القرآن ١٠/٢، والطبري ١٤٠/٢٢، واللسان: «التاج»: أرب.  
(٢) قال ابن كثير: لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَفْضَنَ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ قال: وثبت في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون» وقال ﷺ: ﴿وَرَبَّائِهِمْ يَفْضَنُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ قَالَ إِنَّكَ تَعْبُرُونَ﴾ فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَفْضَنُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُنْفَخُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ النَّجِيرِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ كَالْخَيْلِ لَا يَبْتَرُ عَنْهُمْ وَمَنْ يَبْتَرُ يَمُوتُ﴾ وقال جل وعلا: ﴿كُلُّكُمْ حَتَّى يَذُوقُوا سُوءَهَا﴾، ﴿فَذَوْقُوا نَارَ رَبِّكُمْ إِلَّا عَذَابَكُمْ﴾، ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق. اهـ.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: «أهل الله ﷻ إلى امرئ أضر عمره حتى بلغ ستين سنة»، ورواه أحمد وغيره، ولما كان هذا هو العمر الذي يعمر الله تعالى إلى عباده به وينزع به عنهم الملل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمّة. وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة.

(٤) وروى الطبري قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ أَتَذَكَّرُونَ﴾ قال: التلبيز: النبي. وقرأ: ﴿هَكَذَا تَذَكَّرُ مِنَ الْكُفْرِ الْأَرَبِيِّ﴾، قال ابن كثير: وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيان عنه أنه قال: احتج عليهم بالمر والرسول، قال: وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِهِمْ يَفْضَنُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ قَالَ إِنَّكَ تَعْبُرُونَ﴾ لَقَدْ جَعَلْتَ لِلْمَلِكِ وَلِلْكَ الْأَكْثَرُ فَيَقِي كَرِيمُونَ ﴿٧٠﴾ أي: لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأيتهم وخالفتم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿وَلَا يَبْدُ الْكُفْرُ كُفْرَهُمْ بَعْدَ يَوْمٍ إِلَّا مَنًّا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله في الجنة وزاد أجره وأجبه خاله وباراه رب العالمين. اهـ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ لَهُنَّ ثَوْنٌ مِمَّا كُنْتُمْ تُبْتَغُونَ عَنْ يَدِ الْغَالِبِينَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ إِلَّا عِزًّا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُبْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ مَلَكَيْهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ المعنى: أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعمكم، بأي شيء أوجبتهم لهم الشراكة في العبادة؟ أبشروهم بخلقهم من الأرض، أم شاركوا خالق السموات في خلقها؟ ثم عاد إلى الكفار فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ﴾ يأمرهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ١٩ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «عَلَى بَيِّنَةٍ عَلَى التَّوْحِيدِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «بَيِّنَاتٍ» جَمْعًا. وَالْمُرَادُ: الْبَيَانُ بِأَنَّ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَاً» ٢٠ ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُ الْغَالِبِينَ﴾ يعني المشركين يُعَدُّ «بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ» أَنَّ الْأَصْنَافَ تَشْفَعُ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عِقَابَ. وَقَالَ مَقَاتِلٌ: مَا يُعَدُّ الشَّيْطَانُ الْكُفَّارَ مِنْ شَفَاعَةِ الْأَلْهَةِ إِلَّا بِاطْلَافٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والوقوع. قال الفراء: «وَلَئِنْ» بمعنى «لَوْ»، و«إِنْ» بمعنى «مَا»، فالتقدير: ولو زالتا ما أمسكهما من أحد. وقال الزجاج: لما قالت النصراني: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، كادت السموات يتفطرن والجبال أن تزول والارض أن تنشق، فأمسكها الله ﷻ، وإِنَّمَا وَحَّدَ «الْأَرْضَ» مَعَ جَمْعِ «السَّمَوَاتِ»، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَدُلُّ عَلَى الْأَرْضِينَ. ﴿وَلَئِنْ زَالَا﴾ تحتل وجهين: أحدهما: زوالهما يوم القيامة. والثاني: أن يقال تقديراً: وإن لم تزولا، وهذا مكان يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْجَلْمَ فِيهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَمْسَكَهُمَا عِنْدَ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، حَلَّمَ فَلَمْ يُعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ ٢١.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِمْدَى الْأُنْثَىٰ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝﴾ ٢٢ ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِلَّ إِلَّا فِي تَعْدٍ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝﴾ ٢٣

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسول ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أي: أضلَّ وينا ﴿مِنْ إِمْدَى الْأُنْثَىٰ﴾ يعني: اليهود والنصارى والصابئين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعداً عن الهدى، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عنوا على الله وتكبراً عن الإيمان به ٢٤. قال الأخفش: نصب «استكباراً» على البذل من النفور. قال الفراء: المعنى: فعلوا ذلك استكباراً ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فأضيف المكر إلى السَّيِّئِ، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّيْلِ يَدَيْنِ ۖ لَكُنَّ يَدَيْنِ ۖ﴾ [الحاقة: ٥١]، وتصديقه في قراءة عبد الله: «وَمَكْرًا سَيِّئًا»، والهمزة في «السَّيِّئِ» مخفوضة، وقد جزمها الأعمش وحمزة، لكثرة الحركات؛ قال الزجاج: وهذا عند النحويين الخُذَاتُ لَحْنٌ، إِنَّمَا يَجُوزُ فِي الشَّعْرِ اضْطِرَافٌ. وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على «مَكْرَ السَّيِّئِ» فيترك الحركة، وهو وقف حسن تام، فغلب الراوي؛ فروى أنه كان يَحْذِفُ الإعراب في الوصل،

(١) أي: الإتيان ببينة تدل بأن مع الله شريكاً، قال الألوسي: وهو ضرب من التهكم. قال ابن جرير الطبري: ﴿أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ﴾ فَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ١٩ يقول: أم أتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام ﴿فَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك ٢٠ أي: وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ﴾ فَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ١٩ أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُ الْغَالِبِينَ بِبَعْضٍ إِلَّا عِزًّا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور. اهـ. وقال الألوسي: والمعنى أن عبادة هؤلاء إما بالمقل، ولا عقل يحكم بصحة عبادة من لا يخلق جزءاً ما من الأرض دلالة شرك في السماء، وإما بالنقل، ولم نوت المشركين كتاباً في الأمر بعبادة هؤلاء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال ﷻ: ﴿وَتُسَبِّحُ الْحِكْمَةَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لَظِيئَةً﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَبِّهِمْ أَنْ تَقُومَ أَسْكَتَ الْأَرْضَ وَأَبْرَرُ﴾ ﴿وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكَهُمُ مِنْ لَوْ رُبُّهُ يَدِيهِ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلِيمٌ غَفُورٌ، أي: يرى عباده وهم يتكبرون به ويعصونه وهو يتعلم فيخبر ويُنْظِرُ، ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا بالناس في صلحهم ليأثم عن سبيل الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: وما يعود وبإل ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. اهـ.





## سورة يس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إنها مَكِّيَّة إلا آية منها، وهي قوله: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا آلُ آبَائِهِمْ﴾ [يس: ٤٥]. والثاني: أنها مدنية، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ٥ لِشَدِيدِ قُوَّامًا أَنْذَرَ ٦ ءَابَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٧

وفي قوله: ﴿يَس ١﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن معناها: يا إنسان، بالحشية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل. والثاني: أنها قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: يا محمد، قاله ابن الحنفية، والضحاك. والرابع: أن معناها: يا رجل، قاله الحسن. والخامس: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «يَسَن» بفتح الياء وكسر النون. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، ابن أبي عبلة: بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حصين الأسدي: بكسر الياء وإظهار النون. قال الزجاج: والذي عند أهل العربية أن هذا بمنزلة افتتاح السُّور، وبعض العرب يقول: «يَسَنَ» والقرآن بفتح النون، وهذا جائز في العربية لوجهين: أحدهما: أن «يس» اسم للسورة، فكأنه قال: اتلُ يس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف. والثاني: أنه فُتح لالتقاء الساكنين، والتسكين أجود، لأنه حرف هجاء.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢﴾ هذا قَسَم، وقد سبق معنى «الحكيم» [البقرة: ٣٢]، قال الزجاج: وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾؛ وأحسن ما جاء في العربية أن يكون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ خبر «إِنَّ»، ويكون قوله: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ويجوز أن يكون «على صِرَاطٍ» من صلة «المرسلين»، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تنزيل» برفع اللام. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تنزيل» بنصب اللام. وعن عاصم كالقراءتين. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فعلى المصدر، على معنى: نَزَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَنْزِيلًا، ومن قرأ بالرفع، فعلى معنى: الذي أَنْزَلَ إِلَيْكَ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ. وقال الفراء: من نصب، أراد أَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تَنْزِيلًا حَقًّا مُنْزَلًا، ويكون الرفع على الاستئناف، كقوله: ذلك تنزيل العزيز. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وأبو العالية، والحسن، والجحدري: «تنزيل» بكسر اللام. وقال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه، الرحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿لِشَدِيدِ قُوَّامًا أَنْذَرَ ٦﴾ قولان: أحدهما: أنها نفي، وهو قول قتادة والزجاج في الأكثرين. والثاني: أنها بمعنى «كما»، قاله مقاتل. وقيل: هي بمعنى «الذي». قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ ٧﴾ أي: عن حُجَج التوحيد وأدلة البعث.

(١) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل سورة [البقرة]، وسورة [طه] وانظر التعليق الذي في أول سورة [العنكبوت]. وكلمة (يس) هنا من الحروف المقطعة أمثال (طه) وغيرها، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسير كلمة (طه) بعدما ذكر في معناها عدة أقوال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، وتأويل الكلام: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى، ما أنزلنا عليك فكلفك ما لا طاقة لك به من العمل. اهـ. وكلمة (يس) هنا معناها قريب من (طه) كأنه قال: يا رجل والقرآن الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بوحى الله ﷻ إلى عباده، يريد به محمداً ﷺ.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئَةً لِّفَيْهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا مِّنْ خَلْقِهِمْ سَكَناً فَأَعْيَيْنَتْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿١١﴾ فَتَنَزَّلُ بِمَقْعَدِهَا ضَاحِكَةً وَتُجْزَىٰ كَرِيمًا ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ فيه قولان: أحدهما: وجب العذاب. والثاني: سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق من القدر بذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئَةً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل، وليس هناك غُلٌّ حقيقة، قاله أكثر المحققين، ثم لهم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل لمنعهم عن كل خير، قاله قتادة. والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله، بموانع كالأغلال، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها موانع حسية منعت كما يمنع الغُلُّ؛ قال مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليذمَّته، فجاهد وهو يصلي، فرفع حجراً فبيست يده والتصق الحجر بيده، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلما دنا من رسول الله ﷺ طمَسَ الله على بصره فلم يره، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فنزل في أبي جهل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئَةً...﴾ الآية، ونزل في الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾. والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلا أنه وصفت لما سينزل الله تعالى بهم في النار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَبَىٰ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ قال الفراء: «فهي» كناية عن الإيمان، ولم تُذكر، لأن الغُلَّ لا يكون إلا في اليمين والعنق جامعاً لهما، فاكفَّتي بذكر أحدهما عن صاحبه. وقال الزجاج: «هي» كناية عن الأيدي، ولم يذكرهما إيجازاً، لأن الغُلَّ يتضمن اليد والعنق، وأُشدد:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمُنْتُ أَرْضاً

أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي<sup>(٢)</sup>

وإنما قال: أيُّهما، لأنه قد علم أن الخير والشر معرضان للإنسان. قال الفراء: والذَّقْنُ: أسفل اللِّخْيَيْنِ، والمُتَمَحُّ: الغاصُّ بصره بعد رفع رأسه. قال أبو عبيدة: كُلُّ رَافِعٍ رَأْسَهُ فَهُوَ مُقَامِحٌ وَقَامِحٌ، والجمع: قِمَاحٌ، فإن فعل ذلك بإنسان فهو مُقَمَّحٌ، ومنه هذه الآية. وقال ابن قتيبة: يقال: بَعِيرٌ قَامِحٌ، وَإِبِلٌ قِمَاحٌ: إِذَا رَوَيْتَ مِنَ الْمَاءِ قَمَمَحَتْ، قال الشاعر - وذكر سفينة -:

وَنَحْنُ عَلَىٰ جَوَانِبِهَا قُغُودٌ

نَغْضُ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ الْقِمَاحِ<sup>(٣)</sup>

وقال الأزهري: المراد أن أيديهم لما غُلَّت عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلال أذقَانَهُمْ ورؤوسَهُمْ، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إيَّاهَا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بفتح السين، والباقون: بضمها، وقد تكلمنا على الفرق [بينهما] في [الكهف: ٩٤]. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج عن الكفر. والثاني: حجبناهم عن أذى رسول الله ﷺ بالظلمة لما قصدوه بالأذى.

(١) قال الحافظ ابن حجر في تخریج الکشاف، ١٣٩، ١٤٠: رواه ابن إسحاق في «السيرة» في كلام طويل، قال: رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الدلائل» مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، أَوْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: «إِنِّي أَعَاهَدُ اللَّهَ لَأَجْلِسَ غَدًا لِمُحَمَّدٍ بِحَجْرٍ مَا أَطِيقُ حَمْلَهُ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَحْتُ بِرَأْسِهِ...» فَذَكَرَ نَحْوَهُ إِلَى قَوْلِهِ: «فَقَدْ بَسِطَ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتَّى قَلَبَ الْحَجَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ...» وَقَدْ ذَكَرَ سَبَبَ التَّزَلُّوْلِ هَذَا مُخْتَصَرًا الطَّبْرِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَنَ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، فَأَنْزَلَتْ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَفْئَةً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قَالَ: فَكَانُوا يَقُولُونَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: أَيْنَ هُوَ؟ أَيْنَ هُوَ؟ لَا يَبْصُرُهُ. أَهـ. وَأَصْلُهُ فِي «البيخاري» ٥٥٧/٨ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ لَرَّ لَهُ بِهَذَا قَسَمًا بِاللَّهِ﴾ فَيَبْصُرُ كَيْفَ يَلِيقُ ﴿١١﴾ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَنَ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يَصْلِي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عَقْبِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَسَيَّيْتُ ذَلِكَ فِي مَحَلٍّ مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) تقدم البيت ١٠٥ وتخریجه ٢١٨، وهو أيضاً في «معاني القرآن» ٣٣١، و«مشكل القرآن» ١٧٦، و«الطبري» ١٥١/٢٢.

(٣) البيت يُشِيرُ بِنِ أَبِي خَازِمٍ الْأَسَدِيِّ، وَهُوَ فِي «مجاز القرآن» ١٥٧/٢، «غريب القرآن» ٣٦٣، و«القرطبي» ٨/١٥، و«البحر المحيط» ٣٢٤/٧، و«روح المعاني» ١٩٧/٢٢، و«الصالح» و«اللسان»، و«التاج»: قمع.



قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بتشديد الزاي، قال ابن قتيبة: المعنى: قَوَّيْنَا وَشَدَّدْنَا، يقال: تعَزَّزَ لحمُ التَّاقَةِ: إذا صَلَّبَ. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ خفيفة، قال أبو علي: أراد: فَعَلَّيْنَا. قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى عليه السلام. قال وهب: وأوحى الله إلى شمعون يُخبره خبر الاثنين ويأمره بِنَصْرتهما، فانطلق يؤمهما. وذكر الفراء أن هذا الثالث كان قد أرسل قبلهما؛ قال: ونراه في التنزيل كأنه بعدهما، وإنما المعنى: فعَزَّزْنَا بالثالث الذي قبلهما، والمفسرون على أنه إنما أرسل لنصرتهما، ثُمَّ إِنَّ الثالث إنما يكون بعد ثاني، فأما إذا سبق الاثنين فهو أول، وإني لأتعجب من قول الفراء. واختلف المفسرون فيمن أرسل هؤلاء الرُّسل على قولين: أحدهما: أن الله تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن، وهو مروى عن ابن عباس، وكعب، وهب. والثاني: أن عيسى أرسلهم، وجاز أن يُضاف ذلك إلى الله تعالى لأنهم رسل رسوله، قاله قتادة، وابن جريج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ما لكم علينا فضل في شيء ﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ مِنَ شَيْءٍ﴾ أي: لم يُنزل كتاباً ولم يُرسل رسولاً. وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَّعْنَا بِكُمْ﴾ وذلك أن المطر حُسب عنهم، فقالوا: إنما أصابنا هذا من قبلكم ﴿لَئِنْ لَوْ تَتَّبِعُوا﴾ أي: تسكتوا عنا ﴿لَتَرَجَحَّكُمْ﴾ أي: لَنَفَضَلَكُم. ﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: شُؤْمُكُمْ معكم بكفركم، لا بنا ﴿لَئِنْ دُكِّرْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: «أين دُكِّرْتُمْ» بهمة واحدة بعدها ياء؛ وافقه أبو عمرو، إلا أنه كان يُمَدُّ. قال الأخفش: معناه: حيث دُكِّرْتُمْ، أي: وعُظِّمْتُمْ وَخُوفْتُمْ، وهذا استفهام جوابه محذوف، تقديره: أين دُكِّرْتُمْ تطيَّرتُم بنا؟! وقيل: أين دُكِّرْتُمْ قلتم هذا القول؟ والمسرفون هاهنا: المشركون.

﴿رَجَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٍ يَسْعَى﴾ قَالَ يَتَقَوَّى أَتَمُّوا الرُّسُلَ ﴿أَتَمُّوا مِنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَتَمُّوا وَهُمْ مُتَعَدِّونَ﴾ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾ ﴿أَتَجِدُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِيدُ الرَّحْمَنُ يَضْرِبَ لَكَ تَحْتِ يَدَيْهِ سَكِينًا وَلَا يُوْثِقُكَ﴾ ﴿إِنِّي إِذَا لَأَمْسَى فَكَّرْتُ بِثَمِينٍ﴾ ﴿إِنِّي إِذْ أَتَيْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْمَدِينَةَ قَالَ يَأْتِيَتُ قَوْمِي يَقُولُونَ﴾ ﴿يَا عَفْرَى رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ ﴿وَمَا أَتَيْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنُودٍ أَلْهَمْنَا سَبَاطَ الْقَوْمِ وَإِنِ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿رَجَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٍ يَسْعَى﴾ واسمه حبيب النجار، وكان مجذوماً، وكان قد آمن بالرُّسل لما وردوا القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرُّسل وهُمُّوا بقتلهم، جاء يسعي، فقال ما قصه الله علينا إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُتَعَدِّونَ﴾ يعني الرُّسل، فأخذه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِي﴾ أسكن هذه البياض حمزة، وخلف، ويعقوب ﴿لَا أَعْبُدُ إِلَّا فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ رُجُوعِي﴾ عند البعث، فيجزىكم بكفركم؟! فإن قيل: لِمَ أضاف الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم وهو يعلم أن الله قد فطرهم جميعاً كما يبعثهم جميعاً؟ فالجواب: أن إيجاد الله تعالى نعمه يوجب الشكر، والبعث في القيامة وعيدٌ يوجب الرجوع، فكانت إضافة النعمة إلى نفسه أظهر في الشكر، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ في الرجوع. ثم أنكر عبادة الأصنام بقوله: ﴿أَتَجِدُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ﴾ يعني أنه لا شفاعة لهم فتُغني، أثبت هاهنا البياض في الحالين يعقوب، وورش، والمعنى: لا يخلصوني من ذلك المكروه. ﴿إِنِّي إِذَا﴾ فتح هذه البياض نافع، وأبو عمرو.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذْ أَتَيْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فتح هذه البياض أهل الحجاز وأبو عمرو. وفيمن خاطبهم بإيمانه قولان: أحدهما: أنه خاطب قومه بذلك، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه خاطب الرُّسل. ومعنى ﴿فَاسْمَعُونِ﴾: اشهدوا لي بذلك، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: المعنى: فاسمعوا مِنِّي. وأثبت ياء ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ في الحالين يعقوب. قال ابن مسعود: لما

(١) قال ابن كثير: ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷺ، لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّبِعُوا مَكَائِيلًا فَعَزَّزْنَا إِلَى كُلِّ أُخْتٍ إِيَّائِكُمْ مُرْسَلِينَ﴾ إلى أن قالوا: ﴿يَا بَنِي إِدْرِكَاسَ لِمَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ بِآيَاتٍ كَبِيرَةٍ﴾ قال: ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله تعالى أعلم، قال: ثم لو كانوا رسل المسيح، لما قالوا: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾. اهـ.

خاطب قومه بذلك، ووطنوه بأرجلهم. وقال السدي: رمّوه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ لَمَّا قُتِلُوهُ فَلَقِيَ اللَّهَ، قيل له: «ادْخُلِ الْجَنَّةَ»، فَلَمَّا دَخَلَهَا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها مع «غَفَرَ» في موضع مصدر؛ والمعنى: بغُفْران الله لي. والثاني: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: ليتهم يعلمون بالذي غَفَرَ لي [به] رَبِّي فيؤمنون، فنصحبهم حَيًّا وميتًا. فَلَمَّا قُتِلُوهُ عَجَّلَ اللَّهُ لَهُمِ الْعَذَابَ، فذلك قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ يعني قوم حبيب ﴿وَمَا بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد قتله ﴿مِنْ جُنُودِكَ أَسْمَاوُ﴾ يعني الملائكة، أي: لم ينتصر منهم بجند من السَّمَاءِ ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلُهُمْ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكْنَاهُمْ. وقيل: المعنى: ما بعثنا إليهم بعده نبيًّا، ولا أنزلنا عليهم رسالة. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل ﷺ بعضاً من باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم ميتون لا يَسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، كالتَّارِ إِذَا طُفِثَتْ، وهو قوله: ﴿فَإِنَّا هُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي: ساكنون كهينة الرَّمَادِ الخامد<sup>(١)</sup>.

﴿يَحْضَرُونَ عَلَى آلِيَّابَادٍ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢١) أَلَمْ يَرَوْا كَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ (٢٢) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٢٣) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ أَعْيُنُهَا وَأَفْرَحَتَا مِنْهَا حَبًّا فِيمَنَّا يَأْكُلُونَ (٢٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبَ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٢٥) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٢٦) سَجَّحْنَا الْأَرْضَ فَخَلَقَ الْأَنْزَاجَ كُلُّهَا مِمَّا تَبَيَّنَتْ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿يَحْضَرُونَ عَلَى آلِيَّابَادٍ﴾ قال الفراء: المعنى: يا لها حَسْرَةٍ عَلَى الْعِبَادِ. وقال الزجاج: الحَسْرَةُ أَنْ يَرْكَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ النَّدَمِ مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ حَتَّى يَبْقَى قَلْبُهُ حَسِيرًا. وفي المتحسر على العباد قولان: أحدهما: أنهم يتحسرون على أنفسهم، قاله مجاهد والزجاج: استهزأهم بالرُّسُلِ كان حَسْرَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ. وقال أبو العالية: لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ، قالوا: يا حسرتنا على المرسلين، كيف لنا بهم الآن حتى نُؤْمِنَ. والثاني: أنه تحسّر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرُّسُلَ، قاله الضحاك. ثم خَوَّفَ كُفَّارَ مَكَّةَ فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴿كَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ﴾ فيعتبروا ويخافوا أن نعجل لهم الهلاك كما عجل لمن أهلك قبلهم ولم يرجعوا إلى الدنيا؟ قال الفراء: وأُلفَ ﴿أَنَّهُمْ﴾ مفتوحة، لأن المعنى: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وقد كسرهما الحسن، كأنه لم يُوقِعِ الرُّؤْيَا عَلَى «كَمْ»، فلم يوقعها على «أَنْ»، وإن استأنفتها كسرناها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا﴾ وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة: «لَمَّا» بالتشديد، «جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» أي: إن الْأُمَمَ يُحْضَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيجاززون بأعمالهم<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: من قرأ «لَمَّا» بالتخفيف، ف «ما» زائدة مؤكدة، والمعنى: وإن كُلُّ لَجَمِيعٍ، ومعناه: وما كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ. ومن قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إِلَّا»، تقول: «سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعَلْتَ» و«إِلَّا فَعَلْتَ». «وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ» وقرأ نافع: «الْمِيتَةُ» بالتشديد، وهو الأصل، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز؛ و«آيَةٌ» مرفوعة بالابتداء، وخبرها «لَهُمْ»، ويجوز أن يكون خبرها «الْأَرْضُ الْمِيتَةُ»؛ والمعنى: وعلامة تدلهم على التوحيد وأنَّ اللَّهَ يَبْثُثُ الْمَوْتَى أَحْيَاءَ: الْأَرْضُ الْمِيتَةُ.

قوله تعالى: ﴿فِيْمَنَّا يَأْكُلُونَ﴾ يعني ما يُقَاتَلُ مِنَ الْحُجُوبِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ يعني في الأرض.

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عَمِلَتْهُ» بهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عَمِلَتْ» بغير هاء. والهاء مُثَبِّتَةٌ فِي مَصَاحِفِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ، ومَحْذُوفَةٌ مِنْ مَصَاحِفِ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قال الزجاج: موضع «ما» خفض؛ والمعنى: لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمِمَّا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ؛ ويجوز أن يكون «ما» نَفْيًا؛ المعنى: ولم تعمله

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَإِنَّا هُمْ كَاذِبُونَ﴾: فإذا هم هالكون.

(٢) قال ابن كثير: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، قال: ومعنى هذا كقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ كُنَّا إِلَّا لَنَرِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْتَلَهُمْ﴾. اهـ.

أيديهم، وهذا على قراءة من أثبت الهاء، فإذا حُذفت الهاء، فالاختيار أن تكون «ما» في موضع خفض، وتكون بمعنى «الذي»، فيُحَسَّن حذف الهاء؛ وكذلك ذكر المفسرون القولين، فمن قال بالأول، قال: لياكلوا ممّا عملت أيديهم، وهو الغُروس والحُروث التي تعبوا فيها، ومن قال بالثاني، قال: لياكلوا ما ليس من صنّهم، ولكنه من فعل الحق ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الله تعالى فيؤخّده؟ ثم نَرَهُ نفسه بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَفْوَاحَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناس كلها ﴿وَمِمَّا تُنِيتُ الْأَرْضُ﴾ من الفواكه والحبوب وغير ذلك ﴿وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهم الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من دواب البر والبحر وغير ذلك ممّا لم يَقِفُوا على علمه.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُنْمِلُونَ﴾ (٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْقَدِيرِ ﴿٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: وعلامة لهم تدل على توحيدنا وقدرتنا الليل نَسْلَخُ منه النهار؛ قال الفراء: نرمي بالنهار عنه، و«منه» بمعنى «عنه». وقال أبو عبيدة: نُخْرِجُ منه النهار ونَمِيزُهُ منه فتجيء الظلمة، قال الماوردي: وذلك أن النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم. وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُنْمِلُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام. ﴿وَالشَّمْسُ﴾ أي: وأَيَّاهُ لهم الشمس ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: إلى موضع قرارها؛ روى أبو ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: ﴿مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ﴾، وقال: ﴿أَنَّهُ تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا، فَتَسْتَأْذِنُ فِي الطَّلُوعِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا﴾<sup>(١)</sup>. والثاني: أَنَّ مُسْتَقَرَّهَا مَغْرِبُهَا لَا تَجَاوِزُهُ وَلَا تَقْصُرُ عَنْهُ، قاله مجاهد. والثالث: لوقت واحد لا تعدّوه، قاله قتادة. وقال مقاتل: لوقت لها إلى يوم القيامة. والرابع: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا الذي لَا تَجَاوِزُهُ، ثم ترجع إلى أوّل منازلها، قاله ابن السائب. وقال ابن قتيبة: إلى مُسْتَقَرِّهَا، وَمُسْتَقَرُّهَا: أقصى منازلها في الغروب، [وذلك] لأنها لا تزال تتقدّم إلى أقصى مغاربها، ثم ترجع. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وعلي بن الحسين، والشيزري<sup>(٢)</sup> عن الكسائي: «لا مُسْتَقَرَّ لَهَا» والمعنى أنها تجري أبداً، لا تثبت في مكان واحد.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٤/٦ و٤١٦/٨ و٣٥٠/١٣، ومسلم ١٣٩/١، والترمذي ١٥٥/٢. قال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٣/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العلامة»، وابن مردويه، والبيهقي في «الاسماء والصفات» عن أبي ذر ﷺ. قال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: «المستقر لها» قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفا، والقول الثاني: أن المراد بمسقرها، هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوز ويتنهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. وقال الامام النووي في «شرح مسلم» ٢/١٩٥: وأما قوله ﷺ في الحديث الآخر في الشمس: «مستقرها تحت العرش فتختر ساجدة»: فهذا مما اختلف المفسرون فيه، فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي: وعلى هذا القول، إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها، وقال قتادة ومقاتل: معناه: تجري إلى وقت لها وأجل لا تعدّاه، قال الواحدي: وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أوّل منازلها، واختار ابن قتيبة هذا القول، والله أعلم. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش: أنها تستقر تحته استقراراً لا يحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى: أو علم ما سألته عن مستقرها تحت العرش في كتاب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها، وليس في سجدتها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها. قلت (أي الحافظ ابن حجر): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار السير الدائم المبرّر عنه بالجري، والله أعلم. قال الامام النووي في «شرح مسلم»: وأما سجود الشمس، فهو تشبيه وإدراك بخلق الله تعالى فيها، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها، وهو صحيح ممكن، وتأوّل قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم، قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال، فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين. وقال ابن حجر: قال ابن بطال: استئذان الشمس معناه أن يخلق فيها حياة يورث القول عندها، لأن الله قادر على إحياء الجهاد والموت، قال: وقال غيره: يحتمل أن يكون الاستئذان أسند إليها مجازاً، والمراد من هو موكل بها من الملائكة. اهـ.

(٢) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجّازي المعروف بالشيزري الحنفي، قال ابن الجزري في «طبقات القراء»: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، وله عدة انفرادات.



قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من أمر الليل والنهار والشمس ﴿تَقْدِيرُ الْقَدَرِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يقدر.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَالْقَمَرُ» بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «وَالْقَمَرُ» بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالنصب. فالمعنى: وقَدَرْنَا القمر قَدَرْنَاهُ منازل، ومن قرأ بالرفع، فالمعنى: وآية لهم القمر قَدَرْنَاهُ، ويجوز أن يكون على الابتداء، وقَدَرْنَاهُ «الخبر»<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً ينزلها من أول الشهر إلى آخره، وقد سَمَّيْنَاهَا في سورة [يونس: ٥]، فإذا صار إلى آخر منازلها، دَقَّ فعاد كالمرجون، وهو عود العذق الذي تركته الشماخيخ<sup>(٢)</sup>، فإذا جَفَّ وقَدَّمَ يُشَبِّه الهلال. قال ابن قتيبة: «والقديم» هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْلٌ، شُبِّهَ الْقَمَرُ آخِرَ لَيْلَةٍ يَطْلُعُ بِهِ. قال الزجاج: وتقدير «عرجون»: فُعْلُون، من الانعراج. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «كَالْعُرْجُونِ» بكسر العين.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدهما بين يدي الآخر، فلا يشتركان في المنازل، قاله ابن عباس. والثاني: لا يُشَبِّهُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ، قاله مجاهد. والثالث: لا يجتمع ضَوْءُ أَحَدِهِمَا مَعَ الْآخَرِ، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر، قاله قتادة؛ فيكون وجه الحكمة في ذلك أنه لو اتصل الضوء، لم يُعرف الليل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْلَ سَائِي الْقَهَّارِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وعاصم الجحدري: «سَائِي» بالتثنية «الْقَهَّارُ» بالنصب، وفيه قولان: أحدهما: لا يَتَقَدَّمُ اللَّيْلُ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ النَّهَارِ. والثاني: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهار فاصل بينهما. وباقي الآية مفسر في سورة [الأنبياء: ٣٣].

﴿وَأَيَّاهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۝ سَخَّرْنَا لَهُمْ مَن يَنْشَاءُ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِنْ نَشَاءُ نَرْفَعُهُمْ فَلَا صَرْيْعَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمع؛ وقرأ الباقون من السبعة: «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد. قال المفسرون: أراد: في سفينة نوح، فنسب الذُرِّيَّةَ إلى المخاطبين، لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذُرِّيَّةُ النَّاسِ. وقال الفراء: أي: ذُرِّيَّةُ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ، فجعلها ذُرِّيَّةَ لَهُمْ، وقد سبقته. وقال غيره: هُوَ حَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَصْلَابِ الْأَبَاءِ حِينَ رَكِبُوا السَّفِينَةَ، ومنه قول العباس:

بَلْ نَظَفَتْ تَرْكَبُ السُّفِينِ وَقَدْ

قال المفضل بن سلمة: الذُرِّيَّةُ: النُّسْلُ، لأنهم مَنْ ذَرَاهُمُ اللهُ مِنْهُمْ، والذُرِّيَّةُ أيضاً: الآباء، لأن الذُرَّ وقع منهم، فهو من الأضداد، ومنه هذه الآية، وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]؛ والمشحون: المملوء.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا لَهُمْ مَن يَنْشَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ومثل سفينة نوح، وهي السفن، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، وأبو مالك، وأبو صالح، والمراد بهذا ذُكِرَ مِنْهُ أَنَّ خَلَقَ الْخَشَبَ الَّذِي تُعْمَلُ مِنْهُ السُّفُنُ. والثاني: أنها الإبل، خَلَقَهَا لَهُمْ لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ مِثْلَ السُّفُنِ الْمُرْكُوبَةِ فِي الْبَحْرِ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعن الحسن وقاتة كالقولين<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فأيهما قرأ القارئ فمصيب.

(٢) الشماخيخ: الشعب التي على العذق، واحدها شِمْخَاخٌ وشَمْروخ، وكل غصن له شعب فهي شماخيخ، والشماخيخ: الذي عليه بسر وأصله في العذق.

(٣) البيت للعباس بن عبد المطلب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وسلم في شعر يمدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في «اللسان» و«التاج»: نسر. قال ابن الأثير: يريد (أي بالنسر) الصنم الذي كان يعبده قوم نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأشباه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عنى بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وَإِنْ نَشَاءُ نَرْفَعُهُمْ فَلَا صَرْيْعَ لَهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن العرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر. اهـ. وقال ابن كثير: ويقوَّى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا:

﴿إِنَّا لَمَّا كُنَّا آلَهُ مَحْشُورًا ۝ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابِينَ ۝ فَفُتِنُوا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ اهـ.



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني الكُفَّار ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: «ما بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خَلْفَكُمْ»: ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد. والثاني: «[ما بين أيديكم]»<sup>(1)</sup> ما تَقَدَّمَ من عذاب الله للأمم، «وما خلفكم» من أمر الساعة، قاله قتادة. والثالث: «ما بين أيديكم» من الدنيا، «وما خَلْفَكُمْ» من عذاب الآخرة. قاله سفيان. والرابع: «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة، «وما خَلْفَكُمْ» من أمر الدنيا فلا تَغْتَرُّوا بها، قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتُحَرِّونَ﴾ أي: لتكونوا على رجاء الرحمة من الله. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: إذا قيل لهم هذا، أعرضوا؛ ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ مَّيْمَةٍ﴾ أي: من دلالة تدل على صدق الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أحدهما: في اليهود، قاله الحسن . والثاني: في الزنادقة، قاله قتادة . والثالث: في مشركي قريش، قاله مقاتل؛ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين النصيب الذي زعمتم أنه لله من الحرث والأنعام، فقالوا: ﴿أَطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ . وقال ابن السائب: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين، قال: اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني، ويقول: قد منع الله، أطعته أنا؟!<sup>(٢)</sup> ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نُطْعِمُهُم؛ وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً، ليبلوَ الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة، والمؤمن لا يعترض على المشيئة، وإنما يوافق الأمر. وقيل: إنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء. وفي قوله: ﴿إِن أَنْتَ إِلَّا فِي سَكَلِكِ مُبِينٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه من قول الكفار للمؤمنين، يعنون: إنكم في خطأ من أتباع محمد. والثاني: أنه من قول الله للكفار لما ردُّوه من جواب المؤمنين.

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) ذكر هذا المعنى الخازن في «تفسيره»، ولم ينسبه لابن السائب ولا غيره، بل قال: قيل: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين... إلخ، والله أعلم. قال الألويسي: وظاهر ما تقدم يقتضي أنها نزلت في كفار مكة، أمروا بالإفئاق مما رزقهم الله تعالى، وهو عام في الإطعام وغيره، فأجابوا بنفي الإطعام الذي لم يزالوا يفتخرون به، دلالة على نفي غيره بالطريق الأولى. اهـ.



أقوال: أحدها: فَرَحُون، قاله ابن عباس. والثاني: مُعَجَّبُونَ، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل. والرابع: ذوو فاكهة، كما يقال: فلانٌ لا يَرنُّ تَأمِراً، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما «فَكِهون» ففيه قولان: أحدهما: أن الفَكِه: الذي يفتكه، تقول العرب للرجل إذا كان يفتكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلاناً لفَكِه بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكَاة، قاله أبو عبيدة. والثاني: فَكِهين بمعنى فَرَحين، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فَاكِهين وفَكِهين بمعنى واحد، كما يقال: حَافِزٌ وَحَافِزٌ، قاله الفراء. وقال الزجاج: فَاكِهون وفَكِهون بمعنى فَرَحين. وقال أبو زيد: الفَكِه: الطيب النفس الضحوك، يقال: رجل فَاكِه وفَكِه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مُمْ وَارْتَجِرْ﴾ يعني حلالهم ﴿فِي ظِلِّهِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «فِي ظِلِّهِ». قال الفراء: الظلال جمع ظلٍّ، والظِّلُّ جمع ظِلَّة، وقد تكون الظلال جمع ظِلَّة أيضاً، كما يقال: خُلَّةٌ وَخُلُلٌ؛ فإذا كثرت فهي الخلال والجلال والقيال. قال مقاتل: والظلال: أكنان القصور. قال أبو عبيدة: والمعنى أنهم لا يَضْحَكُونَ. فأما الأرائك، فقد بيَّناها في سورة [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ قال ابن قتيبة: ما يَتَمَنُّونَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرٍ ما ادَّعى، أي: ما تَمَنَّى، والعرب تقول: ادَّع ما شئت، أي: تَمَن ما شئت. وقال الزجاج: هو مأخوذ من الدَّعاء؛ والمعنى: كلُّ ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. وقوله: «سَلَّمَ» بدل من «ما»؛ والمعنى: لهم ما يتمنون سلام، أي: هذا مُنى أهل الجنة أن يُسَلِّمَ الله عليهم<sup>(٢)</sup>. و﴿قَوْلًا﴾ منصوب على معنى: سلام يقولُه الله قولاً. قال أبو عبيدة: «سلام» رفع على «لهم»؛ فالمعنى: لهم فيها فاكهة ولهم فيها سلام. وقال الفراء: معنى الكلام: لهم ما يدعون مسلماً خالص، ونصب القول، كأنك قلت: قاله قولاً، وإن شئت جعلته نصباً من قوله: ولهم ما يدعون قولاً، كقولك: عِدَّة من الله. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، والجاحدي: «سلاماً قولاً» بنصبها جميعاً.

﴿وَأَسْتَرْوُا إِلَيْهَا النَّجْمُونَ﴾ ٥٩ ﴿أَزْ أَهْذُ إِلَيْكُمْ يَنْتَبِزُ مَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَسْأَلْ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْلَهُونَ﴾ ٦٢ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٦٣ ﴿أَصْلَحُوا إِلَيْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٦٤

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَرْوُا إِلَيْهَا النَّجْمُونَ﴾ ٥٩ قال ابن قتيبة: أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم، يقال: ميزت الشيء من الشيء: إذا عزلته عنه، فانماز وامتاز، وميزته فتميز. قال المفسرون: إذا اختلط الإنسان والجن في الآخرة، قيل: ﴿وَأَسْتَرْوُا إِلَيْهَا النَّجْمُونَ﴾، فيقال للمجرمين: ﴿أَزْ أَهْذُ إِلَيْكُمْ؟﴾ أي: ألم أركم، أو أوصكم؟ «وتعبدوا» بمعنى تطيعوا، والشيطان هو إبليس، زين لهم الشُّرك فاطاعوه، ﴿إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة، أخرج أبيكم من الجنة. ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بضم النون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بكسر النون؛ والمعنى: وحدوني «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يعني التوحيد. ﴿وَلَقَدْ أَسْأَلْ مِنْكُمْ جِبَلًا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: «جِبَلًا» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: «جِبَلًا» بضم الجيم وتسكين الباء مع تخفيف اللام. وقرأ نافع، وعاصم: «جِبَلًا» بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والزهرى، والأعمش: «جِبَلًا» بضم الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع: «جِبَلًا» بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. وقرأ سفيان بن جبیر، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «جِبَلًا» برفع الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو العالية: وابن يعمر: «جِبَلًا» بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمران الجوني، وعمرو بن دينار: «جِبَلًا» مكسورة الجيم مفتوحة الباء وبألف. ومعنى الكلمة كيف تصرَّفت في هذه اللغات: الحَلَقُ والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلُّ منكم

(١) قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بالألف «فَكِهُونَ» لأن ذلك هو القراءة المعروفة. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون «سَلَّمَ» خيراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم. اهـ.

خَلَقًا كَثِيرًا ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ﴾؟؛ فالمعنى: قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك؟! وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر: «أفلم يكونوا يعقلون؟» بالباء فيهما، فإذا أُنذُوا إلى جهنم قيل لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا ﴿أَسْمَلُوهَا﴾ أي: قاسوا حرها.

﴿الَّذِينَ خَفِرَتْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَلَشَّهَدُوا أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يُزَكِّهْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفِرَتْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُخْتَمُ» بياء مضمومة وفتح التاء ﴿وَكَلَّمْنَا﴾ قرأ ابن مسعود: «وَلَكَلَّمْنَا» بزيادة لام مكسورة وفتح الميم وواو قبل اللام. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبيدة: «لَكَلَّمْنَا» بلام مكسورة من غير واو قبلها وينصب الميم؛ وقرأوا جميعاً: «وَلَشَّهَدُوا أَرْجُلَهُمْ» بلام مكسورة وينصب الدال. ومعنى «تَخَفِرَتْ»: تطبع عليها، وقيل: منعها من الكلام هو الختم عليها، وفي سبب ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنهم لما قالوا: ﴿وَاللَّهُ رَئِيسًا مَا كُنَّا مُنْكَرِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ختم الله على أفواههم ونطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: ليعلّموا أن أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم على المعاصي صارت شهوداً [عليهم]. والثالث: ليعرفهم أهل الموقف، فيتميزوا منهم بذلك. والرابع: لأن إقرار الجوارح أبلغ في الإقرار من نطق اللسان، ذكره الماوردي. فإن قيل: ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاماً ونطق الرجل شهادة؟ فالجواب: أن اليد كانت مباشرة والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما فعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولو نشاء لأذهبنا أعينهم حتى لا يبدوا لها شق ولا جفن. والمطموس: الذي لا يكون بين جفنيه شق، «فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ» أي: فتبادروا إلى الطريق ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [أي]: فكيف يُبْصِرُونَ وقد أعمينا أعينهم؟! وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء: «فَاسْتَبَقُوا» بكسر الباء «فَأَنَّى يُبْصِرُونَ» بالتاء. وهذا تهديد لأهل مكة، وهو قول الأكثرين. والثاني: ولو نشاء لأضللناهم وأعميناهم عن الهدى، فَأَنَّى يُبْصِرُونَ الحق؟! رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ولو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وحوّلنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فابصروا رشدهم، فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ولم أفعل ذلك بهم؟! روي عن جماعة منهم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «على مكاناتهم»؛ وقد سبق بيان هذا (البقرة: ٢٥)، وفي المراد بقوله: «لَمَسَخْنَاهُمْ» أربعة أقوال: أحدها: لأهلكتناهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لجعلناهم حجارة، قاله أبو صالح، ومقاتل. والرابع: لجعلناهم قرده وخنازير لا أرواح فيها، قاله ابن السائب. وفي قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فما استطاعوا أن يتقدموا ولا أن يتأخروا، قاله قتادة. والثاني: فما استطاعوا مضياً عن العذاب، ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ، قاله الضحاك. والثالث: مضياً من الدنيا ولا رجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُزَكِّهْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قرأ حمزة: «نُنَكِّسُهُ» مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية؛ والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد<sup>(١)</sup>؛ وعن عاصم كالقراءتين. ومعنى الكلام: من يُظَلُّ عمره ننكس خلقه، فنجعل مكان القوة الضعيف، وبدل الشباب الهرم، فزده إلى أرذل العمر. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «أفلا تعقلون» بالتاء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعقلون أن من فعل هذا قادر على البعث؟!

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِي الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا: إن هذا القرآن شِعْر وإن محمداً شاعر،

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فإيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن التي عليها عامة قراء الكوفيين أصعب إليّ، لأن التنكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فلذلك تأييد للتشديد. اهـ.

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: ما يتسهّل له ذلك. قال المفسرون: ما كان يَتَرَنّ له بيت شعر، حتى إنه روي عنه ﷺ أنه تمثّل يوماً فقال:

«كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشُّنَيْبِ لِمَزْرُؤٍ نَاهِيًا»

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر:

كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامُ لِمَزْرُؤٍ نَاهِيًا<sup>(١)</sup>

أشهد أنك رسول الله، ما علمك الله الشعر، وما ينبغي لك<sup>(٢)</sup>. ودعا يوماً عبّاس بن مرداس فقال: «أنت القائل: أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ - د بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَغَيْرِنَا؟»<sup>(٣)</sup>

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، لم يقل كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُمَا بَدَأْتَ» فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر<sup>(٤)</sup>. وتمثّل يوماً، فقال:

«وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْهُ بِالْأَخْبَارِ»<sup>(٥)</sup>

فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إِنِّي لَسْتُ بِشاعر، ولا ينبغي لي»<sup>(٦)</sup>. وإنما مُنِعَ من قول الشعر،

(١) البيت لسحيم عبد بني الحساس، وهو في «ديوانه» ١٦، و«مجمع البيان» ٢٣/٣٧، و«البحر المحيط» ٧/٣٤٥، و«القرطبي» ١٥/٥٢، و«اللسان»: نهى، وهو بتمامه:

عُمَيْرَةٌ وَفَعْنٌ تَجْهَرُ غَادِيَا كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَزْرُؤِ نَاهِيًا

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن البصري قال: إن رسول الله ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً قال أبو بكر أو عمر ﷺ: أشهد أنك رسول الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. اهـ. وهذا الحديث مرسل، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. والحديث ذكره السيوطي في «الدرر» ٥/٢٦٨ من رواية ابن أبي حاتم، وزاد نسبه لابن سعد، والمرزباني في «معجم الشعراء» عن الحسن ﷺ مرسلًا أن النبي ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت.

(٣) البيت لعباس بن مرداس، وهو في «البحر المحيط» ٧/٣٤٥، و«القرطبي» ١٥/٥٢، و«روح المعاني» ٢٣/٤٥، و«اللسان» و«التاج»: نهى، وصوابه: موزونًا:

أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ - د بَيْنَ غَيْرِنَا وَالْأَفْرَعِ؟

(٤) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية البيهقي في «الدلائل»، وأورده السيوطي في «الدرر» ٥/٢٦٨ من رواية ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن النبي ﷺ قال للعباس بن مرداس: «أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأفراع وعيينة... إلخ، وفيه انقطاع، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ويقال له: عبد الله بن ذكوان المدني، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب».

(٥) البيت لطرفة بن العبد البكري، وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ١/٣٢٣، و«مجمع البيان» ٢٣/٤٥، و«البحر المحيط» ٧/٣٤٥، و«القرطبي» ١٥/٢١، ونصه بتمامه:

سُبَيْدِي لَكَ الْإِيمَانُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة ؓ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثّل فيه بيت طرفة «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»، وذكره السيوطي في «الدرر» ٥/٢٦٨ من رواية ابن أبي شيبة عن عائشة ؓ بهذا اللفظ. قال ابن كثير: وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها، قال: ورواه الترمذي والنسائي أيضاً من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة ؓ كذلك، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. والحديث رواه الطبري في «التفسير» ٢٣/٢٧، من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قيل لعائشة ؓ: هل كان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثّل بأخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي» وذكره السيوطي في «الدرر» ٥/٢٦٨ بهذا اللفظ عن عائشة وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأورده أيضاً من رواية ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يتمثّل من الأشعار «ويأتيك بالأخبار من لم تزود». اهـ. قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أنه ﷺ تمثّل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ؓ، ولكن تبعاً لقول أصحابه ؓ، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون:

لَا هُمْ لَوْ لَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صُلَيْنَا  
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا  
إِنْ الْأَلْسِ قَدْ بَغُوا عَلَيْنَا  
وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ ﷺ بقوله: «أبينا» ويملأها... قال: وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو:

أَنَا النَّسَبِيُّ لَا كَسْبُ أَنْبَا ابْنِ عَبِيدِ الْمَطْلَبِ

لثلا تدخل الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن فيقولون: قوي على ذلك بما في طبعه من الفطنة للشعر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلا موعظة ﴿وَوَعَّاظٌ مُبِينٌ﴾ فيه الفرائض والسُنن [والأحكام].

قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «لِيُنذِرَ» بالياء، يعنون القرآن. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: «لِيُنذِرَ» بالياء، يعنون النبي ﷺ، أي: لِيُنذِرَ يا محمد بما في القرآن. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن السميع: «لِيُنذِرَ» بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: حي القلب حي البصر، قاله قتادة. والثاني: من كان عاقلاً، قاله الضحاك. قال الزجاج: من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في ترك النذير. والثالث: مهتدياً، قاله السدي وقال مقاتل: من كان مهتدياً في علم الله. والرابع: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُشْكِرُونَ رَبَّهُمْ﴾ [فاطر: ١٨]، ويجوز أن يريد: إنما ينفع إنذارك من كان مؤمناً في علم الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ معناه: يجب. وفي المراد بالقول قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: الحجة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْفُسًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يَبْصُرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُعَصَّرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُشْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

ثم ذكرهم قدرته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْفُسًا﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون المعنى: مما عملناه بقوتنا وقدرتنا، وفي اليد القدرة والقوة على العمل، فتستعار اليد فتوضع موضعها، هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف، والله أعلم بما أراد. وقال غيره: ذكر الأيدي هاهنا يدل على انفراده بما خلق، والمعنى: لم يشاركنا أحد في إنشائنا والواحد منا إذا قال: عملت هذا بيدي، دل ذلك على انفراده بعمله. وقال أبو سليمان الدمشقي: معنى الآية: مما أوجدناه بقدرتنا وقوتنا؛ وهذا إجماع أنه لم يرد هاهنا إلا ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ضابطون، قاله قتادة، ومقاتل. قال الزجاج: ومثله في الشعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا  
أملك رأس البعير إن نَفَسَا<sup>(١)</sup>

أي: لا أضبط رأس البعير. والثاني: قادرون عليها بالتسخير لهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سخرناها، فهي ذليلة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: الركوب: ما يركبون، والحلوب: ما يحلبون. قال الفراء: ولو قرأ قارئ: «فمنها رُكُوبُهُم»، كان وجهاً، كما تقول: منها أكلهم وشربهم وركوبهم. وقد قرأ بضم الراء الحسن، وأبو العالية، والأعمش، وابن يعمر في آخرين. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة: «رُكُوبُهُمْ» بفتح الراء والباء وزيادة تاء مرفوعة. قال المفسرون: يركبون من الأنعام الإبل، ويأكلون الغنم، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا

لكن قالوا: هذا وقع اتفاقاً من غير فصل لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه، قال: وكذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار فكبت أصبعه، فقال ﷺ:

مَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعُ دُمَيْتٍ  
وفي سبيل الله مال قبيح

قال ابن كثير: وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعراً ولا ينفي له، فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُتْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٧٧) وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال، قال: وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً. ثم قال ابن كثير: على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأضرابهم ﷺ أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ثم قال: وقد روى أبو داود، من حديث أبي بن كعب، وبريدة بن الخصيب، وعبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر جحماً». اهـ.

(١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، وهو في «البحر المحيط» ٣٤٧/٧، و«روح المعاني» ٤٧/٢٣.

مَنْعَهُمْ مِنْ الْأَصَوافِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَالنَّسْلِ **﴿وَسَارِبَةٍ﴾** [من] البانها، **﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾** رَبِّ هَذِهِ النُّعْمِ فَيُوحِدُونَهُ؟ ثم ذكر جهلهم فقال: **﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ﴾** (١) أي: لئلا تمنعهم من عذاب الله؛ ثم أخبر أن ذلك لا يكون بقوله: **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾** أي: لا تقدر الأصنام على منعهم من أمر أراد الله بهم **﴿وَهُمْ﴾** يعني الكفار **﴿لَمْ﴾** يعني الأصنام **﴿جُنُدٌ مُخَضَّرُونَ﴾** وفيه أربعة أقوال. أحدها: جند في الدنيا محضرون في النار، قاله الحسن. والثاني: مُخَضَّرُونَ عند الحساب، قاله مجاهد. والثالث: المشركون جُنُدٌ للأصنام، يَغْضِبُونَ لها في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً، قاله قتادة (٢). وقال مقاتل: الكفار يَغْضِبُونَ للآلهة وَيُخَضِّرُونَهَا في الدنيا. وقال الزجاج: هم للأصنام ينتصرون، وهي لا تستطيع نصرهم. والرابع: هم جُنُدٌ مُخَضَّرُونَ عند الأصنام يعبدونها، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: **﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾** يعني قول كفار مكة في تكذيبك **﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْرُونَ﴾** في ضمايرهم من تكذيبك **﴿وَمَا يُخْلِفُونَ﴾** بالسبهم من ذلك؛ والمعنى: إنا نثبثك ونجازيهم.

**﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾** (٣) وَصَرَّيْ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْوَيْلَ لِمَنْ رَمَيْتُ **﴿قُلْ يُبَيِّنُهَا اللَّهُ أُولَىٰ مَعْرِفَةٍ وَهُوَ يَكْلِي خَلْقِي عَلَيْهُ﴾** (٤) الَّذِي جَعَلَ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتَ مِنْهُ تُوقَدُونَ **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يَخْلُقَ يَنْفَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾** (٥) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ **﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** (٦)

قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾** اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والتي بعدها على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، أخذ عظمًا من البطحاء ففقه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال: نعم، يُمِيتُكَ الله ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ، فنزلت هذه الآيات، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (١). والثاني: أنه عبد الله بن أبي بن سلول، جرى له نحو هذه القصة، رواه العوفي عن ابن عباس (٢). والثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصة جرت له، رواه الضحاك عن ابن عباس (٣). والرابع: أنه أمية بن خلف، قاله الحسن (٤). والخامس: أنه أبي بن خلف الجُمَحِي (٥)، وهذه القصة جرت له، قاله مجاهد، وقاتدة، والجمهور، وعليه المفسرون. ومعنى الكلام: التعجب من جهل هذا المخاصم في إنكاره البعث؛ والمعنى: ألا يعلم أنه مخلوق فيفتكر في بده خلقه فيترك خصوصته؟ وقيل: هذا تنبيه له على نعمة الله عليه حيث أنشأ من نطفة فصار مجادلًا. **﴿وَصَرَّيْ لَنَا مَثَلًا﴾** في إنكار العث بالعظم البالي حين فقه بيده، وتعجب ممن يقول: إن الله يُحْيِيهِ **﴿وَكَيْفَ خَلَقَهُ﴾** أي: نَبَّيْ خَلْقَنَا لَهُ،

(١) قال ابن جرير الطبري: وهذا الذي قاله قتادة أولى عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تَبَرُّا منهم الأصنام وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حيث؟ ولكنهم في الدنيا لهم جند يَغْضِبُونَ لهم ويقاتلون دونهم، وقال ابن كثير: وهكذا قال الحسن البصري، وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. اهـ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٢٣ من رواية سعيد بن جبيرة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه الحاكم عن ابن عباس وصححه، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٩/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، والفياء في «المختارة» عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الطبري ٣١/٢٣ من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال ابن كثير: وهذا منكر، لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٧٠/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس. والله أعلم.

(٥) وهكذا ذكره الشوكاني في «فتح القدير» عن الحسن ولم يستند لأحد.

(٦) رواه الطبري: ٣٠/٢٣ من مجاهد وقاتدة، والواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٩ من طريق حصين عن أبي مالك، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤٠: رواه البيهقي في «الشعب» من طريق حصين عن أبي مالك. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٩/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن أبي مالك، ومن رواية عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد، ومن رواية عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة، ومن رواية ابن أبي حاتم عن السدي، ومن رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، قال: والألف واللام في قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾** للجنس، يعم كل منكر للبعث. اهـ.



أي: تَرَكَ النَّظَرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ إِذْ خَلَقَ مِنْ نُظْفَةٍ ﴿قَالَ مَنْ يُعْنِي الْعَظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ أي: بالية، يقال: رَمَّ الْعَظْمُ، إِذَا بَلِيَ، فَهُوَ رَمِيمٌ، لَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ فَاعِلِهِ، وَكُلُّ مَعْدُولٍ عَنْ وَجْهِهِ وَوزنه فهو مصروف عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَأَنَّ أَثْنِيكَ بَيْنِي﴾ [مريم: ٢٨]، فأسقط الهاء لأنها مصروفة عن «بأعية»؛ ففاس هذا الكافر قُدرة الله تعالى بقُدرة الخلق، فأنكر إحياء العظم البالي لأن ذلك ليس في مقدور الخلق. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ أي: ابتداء خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ من الابتداء والإعادة ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿الَّذِي جَمَعَ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ قال ابن قتيبة: أراد الزُّنُودَ التي تُورِي بها الأعرابُ من شجر المَرْخِ والعَفَّار. فإن قيل: لم قال: «الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ»، ولم يقل: الشَّجَرِ الْخَضِرُ؟ فالجواب: أن الشجر جمع، هو يُونُثٌ ويذْكَرُ، قال الله تعالى: ﴿فَتَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٣]، وقال: ﴿فَإِذَا أَشْرَبْنَاهُ فُؤَادُورَةً﴾. ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وعاصم الجحدري: «يَقْدِرُ» بياء من غير ألف ﴿عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَهْمٍ﴾؟ وهذا استفهام تقرير؛ والمعنى: مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ الْعَظِيمِ، قَدَرَ عَلَى هَذَا الْيَسِيرِ<sup>(١)</sup>. وقد فسرنا معنى «أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَهْمٍ» في [بني إسرائيل: ٩٩]؛ ثم أجاب هذا الاستفهام فقال: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ يَخْلُقُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وعاصم الجحدري: «وهو الخالِقُ» ﴿الْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات. وَالْمَلَكُوتُ وَالْمُلْكُ واحد. وباقي السورة قد تقدم شرحه<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٣٢، ١١٧، الأنعام: ٧٥].



(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مبنيًا على قوته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وقال هاهنا: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَهْمٍ﴾؟ أي: مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم؟ قال: وهذه الآية الكريمة، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا يَتَّخِذُ الْوَدْعَةَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ إِمَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٥٨﴾ أي: إنما يأمر بالشئ أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار وتأکید. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَسْبِحُنَ لَكَ يَوْمَ الْمَبَادِ مَلَائِكَةٌ كُلٌّ بِإِحْزَانٍ وَرُحَنَ﴾ أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع المباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي: من المخلوقات، ورب المشارق، أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما في من كواكب ثابتة وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب، قال: واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالته عليه، وقد صرح بذلك في قوله ﷻ: ﴿أَنَّمْ يَرَى الْكَوْكَبَ كَالْغُرُبِ إِذَا لَقِيَهُ﴾ ﴿١٠﴾ وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿رَبِّ الْقُرْآنِ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ﴿١١﴾ يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر. اهـ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قال الفراء: «لا» هاهنا كقوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ لا يَبْصُرُونَ بِهِ. [الشراء: ٢٠٠، ٢٠١]؛ ويصلح في «لا» على هذا المعنى الجزم، فإن العرب تقول: ربطت الفرس لا يَنْقَلِت. وقال غيره: لكي لا يَسْمَعُوا إلى الملا الأعلى، وهم الملائكة الذين في السماء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف: «لَا يَسْمَعُونَ» بتشديد السين، وأصله: يَسْمَعُونَ، فأدغمت التاء في السين. وإنما قال: «إِلَى الْأَعْلَى الْأَعْلَى» لأن العرب تقول: سمعت فلاناً، وسمعت من فلان، وإلى فلان. ﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشُّبِّ «دُحُورًا» قال قتادة: أي: قذفاً بالشُّبِّ. وقال ابن قتيبة: أي: طرداً، يقال: دَحَرْتُهُ دَحْرًا ودُحُورًا، أي: دفعته. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمن، والضحاك، وأيوب السختياني، وابن أبي عملة: «دُحُورًا» بفتح الدال. وفي «الواصب» قولان: أحدهما: أنه الدائم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقاتدة، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه الموجه، قاله أبو صالح، والسدي. وفي زمان هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه في الآخرة. والثاني: [أنه] في الدنيا، فهم يُخْرَجُونَ بالشُّبِّ وَيُخْبَلُونَ إلى النَّفْخَةِ الأولى في الصُّور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ لِلْظُلْفَةِ﴾ قرأ ابن السميع: «خَطَفَ» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها. وقرأ أبو رجاء، والجحدري: بكسر الخاء والطاء جميعاً والتخفيف. قال الزجاج: خَطَفَ وخِطَفَ، بفتح الطاء وكسرها، يقال: خَطَفْتُ أَخِطَفَ، وخِطَفْتُ أَخِطَفَ: إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز «إِلَّا مَنْ خَطَفَ» بفتح الخاء وتشديد الطاء، ويجوز «خِطَفَ» بكسر الخاء وفتح الطاء؛ والمعنى: اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وسقطت الألف لحركة الخاء؛ فمن فتح الخاء، ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في «اختطف»، ومن كسر الخاء، فليسكونها وسكون الطاء. فأما من روى [«خِطَفَ»] بكسر الخاء والطاء، فلا وجه لها إلا وجهاً ضعيفاً جداً، وهو أن يكون على إتباع الطاء كسرة الخاء. قال المفسرون: والمعنى: إلّا مَنْ اختطف الكلمة من كلام الملائكة مُسَارَقَةً ﴿فَأَبْتَرَهُ﴾ أي: لَحِقَهُ ﴿بِهَاثٍ ثَائِبٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي كوكب مضيء، يقال: أَتَوَّبَ نَارَكَ، أي: أَضِيهَا، والثُّقُوبُ: ما تُذَكِّي به النار.

﴿نَاسْتَفْتِيهِمْ أَمْ أَمْدُ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿وَإِنَّا ذَكَّرُوا لَا يَكْفُرُونَ﴾ وَإِنَّا ذَكَّرْنَا ﴿يَسْخَرُونَ﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿أَوَلَمْ يَنْتَهِوا عَنْ ذِكْرِ رَبِّكَ إِذْ عَلَّمَهُمْ إِنَّا لَنَبْعَثُونَ﴾ أَوْ إِنَّا ذَكَّرْنَا الْأَوَّلِينَ ﴿قُلْ تَعْمَ وَرَأَيْتُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الْقَسْفِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ تَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزَلَّهُمْ وَكَا كَذِبُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاغْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ لِلْجَحِيمِ﴾ وَفَوَقَرُ إِلَيْهِمْ تَسْأَلُونَ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ بَلْ هُمْ الْبَرَّةُ مُتَسَلِّطُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿نَاسْتَفْتِيهِمْ﴾ أي: فَسَلَّطَهُمْ سؤال تقرير ﴿أَمْ أَمْدُ خَلْقًا﴾ أي: أَحْكَمُ صَنَعَةً ﴿أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: أَمْ مَن عَدَدْنَا خَلْقَهُ مِنَ الملائكة والشیاطين والسموات والأرض، قاله ابن جرير. والثاني: أَمْ مَن خَلَقْنَا قبلهم من الأمم السالفة، والمعنى: إنهم ليسوا بأقوى من أولئك وقد أهلكناهم بالتكذيب، فما الذي يؤمن هؤلاء؟ ثم ذكر خلق الناس فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أي: لاصق لازم، والباء تبدل من الميم لقرب مَخْرَجَيْهِمَا. قال ابن عباس: هو الطين الحرُّ الجيد اللزق. وقال غيره: هو الطين الذي يُشَفُّ عنه الماء وتبقى رطوبته في باطنه فيُلَصَّقُ باليد كالشمع. وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلقهم وخلق مَن قبلهم؛ فمن قدر على إهلاك الأقوياء، قدر على إهلاك الضعفاء.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ «بل» معنا: ترك الكلام الأول والأخذ في الكلام الآخر، كأنه قال: دع يا محمد ما مضى. وفي «عَجِبْتَ» قراءتان: قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «بَلْ عَجِبْتَ» بفتح التاء. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقاتدة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي في آخرين: «بَلْ عَجِبْتَ» بضم التاء، [واختارها الفراء]. فمن فتح، أراد: بل عَجِبْتَ يا محمد، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم. قال ابن السائب: أَنْتَ تَعَجَّبُ منهم، وهم يَسْخَرُونَ منك. وفي ما عجب منه قولان: أحدهما: من الكفار إذ لم يؤمنوا بالقرآن. والثاني: إذ كفروا بالبعث. ومن ضم، أراد



أزواجهم، المشركاء، قاله الحسن. والثالث: أشياعهم، قاله قتادة. والرابع: قُرتاؤهم من الشياطين الذين أضلّوهم، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا بِعِدَّتِي﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: الأصنام، قاله عكرمة، وقاتادة. والثاني: إبليس وحده، قاله مقاتل. والثالث: الشياطين، ذكره المارودي وغيره.

أ. قوله تعالى: ﴿فَأَمْدُومُ إِلَىٰ مِرْطٍ لِّلْجِيمِ﴾ أي: دُلّوهم على طريقها؛ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزجاج: يقال: هَدَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا دَلَلْتَهُ، وَهَدَيْتُ الْعُرُوسَ إِلَىٰ زَوْجِهَا، وَأَهْدَيْتُ الْهَدِيَّةَ، فَإِذَا جَعَلْتَ الْعُرُوسَ كَالْهَدِيَّةِ، قُلْتَ: أَهْدَيْتُهَا.

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ أي: احبسوهم ﴿إِنَّمَا تَسْفُلُونَ﴾ وقرأ ابن السميع: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حُسبوا عند الصراط، لأن السؤال هناك. وفي هذا السؤال ستة أقوال: أحدها: أنهم سئلوا عن أعمالهم وأقوالهم في الدنيا. والثاني: عن «لا إله إلا الله»، رواها جميعاً عن ابن عباس. والثالث: عن خطاياهم، قاله الضحاك والرابع: سألهم خزنة جهنم: ﴿أَلَمْ يَأْكُرُوا نَذِيرًا﴾ [المك: ٨] ونحو هذا، قاله مقاتل. والخامس: أنهم يسألون عما كانوا يعبدون، ذكره ابن جرير. والسادس: أن سؤالهم قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَحْمَدُونَهُ﴾ [١٩] [ذكره المارودي]. قال المفسرون: المعنى: ما لكم لا ينصرون بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا؟ وهذا جواب أبي جهل حين قال يوم بدر: ﴿عَمَّ يَتَّبِعُ مُشْكِرٌ﴾ [الفر: ٤٤]، فقليل لهم ذلك يومئذ توبيخاً. والمستشمل: المُقَادِ الدَّلِيلُ؛ والمعنى أنهم متقادون لا حيلة لهم.

﴿وَأَقْبَلْ بِشْغَمٍ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسْتَلُونَ﴾ [١٧] قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ [١٨] قَالُوا بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [١٩] وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ [٢٠] فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ [٢١] فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ [٢٢] فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ [٢٣] إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ [٢٤] إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ [٢٥] وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزِدُّكَ إِلَهِينَا إِلَّا هُوَ الْخَاصِصُ [٢٦] بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ [٢٧] إِنَّكَ لَنَذِيرٌ مُّبِينٌ [٢٨] وَمَا تَجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَسْمَلُونَ [٢٩] إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ [٣٠] أُولَئِكَ لَمْ يَرَوْا رِزْقَ مَلَكٍ [٣١] فَوَكَرُوا وَهُمْ يُكْرَمُونَ [٣٢] فِي حَشَى النَّعِيمِ [٣٣] عَلَىٰ حُرُرٍ مُّتَقَلِّينَ [٣٤] يَلْقَآ عَلَيْهِمْ كَيِّسٌ مِنْ مَّعِينٍ [٣٥] بَيِّنَةٌ لِّلَّذِينَ يَلْمِزُونَ [٣٦] لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْرَكُونَ [٣٧] وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُّلُمِ عِوًى [٣٨] كَانَتْهُمْ بَيْضٌ مُّكُونٌ [٣٩]

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلْ بِشْغَمٍ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فيهم قولان: أحدهما: الإنس على الشياطين. والثاني: الاتباع على الرؤساء ﴿يَسْتَلُونَ﴾ تسأل توبيخ وتأنيب ولوم، فيقول الاتباع للرؤساء: [لِمَ] غررتمونا؟ ويقول الرؤساء: لِمَ قِيلْتُمْ مَنَا؟ فذلك قوله: ﴿قَالُوا﴾ يعني الاتباع للمتبعين ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: كنتم تفهرونا بفدركم علينا، لأنكم كنتم أعزّ منا، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من قَبِلَ الدِّينَ فَتَضَلُّوا عَنْهُ، قاله الضحاك. وقال الزجاج: تأتوننا من قِبَلِ الدِّينِ فتخدعوننا بأقوى الأسباب. والثالث: كنتم تؤثّقون ما كنتم تقولون بأيمانكم، فتأتوننا من قِبَلِ الْإِيمَانِ التي تخلفونها، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. فيقول المتبعون لهم: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم تكونوا على حَقٍّ فَتُضِلُّكُمْ عَنْهُ، إنما الكفر من قِبَلِكُمْ. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ قُوَّةٍ نَقْهَرُكُمْ بِهَا وَنُكْرَهُكُمْ عَلَىٰ مُتَابَعَتِنَا، وَعَلَى الثَّانِي: الْحُجَّةُ. فيكون المعنى على الأول: وما كان لنا عليكم من قُوَّةٍ نَقْهَرُكُمْ بِهَا وَنُكْرَهُكُمْ عَلَىٰ مُتَابَعَتِنَا، وَعَلَى الثَّانِي: لَمْ نَأْتِكُمْ بِحُجَّةٍ عَلَىٰ مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ كَمَا أَتَى الرَّسُلُ.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي: فوجبت علينا كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿لَأَنذَلَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] إِنَّا لَذَائِقُونَ العذاب جميعاً نحن وأنتم، ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ أي، أضللناكم عن الهدى بدعائكم إلى ما نحن عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾. ثم أخبر عن الاتباع والمتبعين بقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٣٣]، والمجرمون هاهنا: المشركون، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: قولوا هذه الكلمة ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يَتَعَظَّمُونَ عن قولها، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزِدُّكَ إِلَهِينَا﴾ المعنى: أنثرك عبادة الهتنا [إشاعة] أي: لا أتباع شاعر! يعنون رسول الله ﷺ، فردّ الله عليهم فقال: ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوا، بل ﴿جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ وهو التوحيد والقرآن، ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين كانوا قبله؛ والمعنى أنه أتى بما أنزأ به. ثم خاطب المشركين بما بعد هذا إلى قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ﴾ [٣٠] يعني الموحدنين. قال أبو عبيدة: والعرب تقول: إِنَّكُمْ لَذَاهِبُونَ إِلَّا زَيْدًا. وفي ما استثناهم منه قولان: أحدهما: من

الجزاء على الأعمال، فالمعنى: إنّا لا نؤاخذهم بسوء أعمالهم، بل نَغْفِرُ لهم، قاله ابن زيد. والثاني: من دون العذاب؛ فالمعنى: فإنهم لا يذوقون العذاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَرَوْا مَلَكُومَ ۖ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجنة، قاله قتادة. والثاني: أنه الرزق في الجنة، قاله السدي. فعلى هذا، في معنى «معلوم» قولان: أحدهما: أنه بمقدار الغداة والعشي، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم حين يشتهونه يُؤْتُونَ به، قاله مقاتل. ثم بيّن الرزق فقال: ﴿فَرَزَكَ﴾ [وهي جمع فاكهة] وهي الثمار كلها، وظبها وبابسها ﴿وَهُمْ تُكْرِمُونَ﴾ بما أعطاهم الله. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الحجر: ٤٧] إلى قوله: ﴿يُلَاقُوا عَلَيْهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ نَوْبَيْنِ ۖ﴾ قال الضحاك: كلُّ كأس ذُكِرَتْ في القرآن، فإنما عُني بها الخمر، [قال أبو عبيدة: الكأس: الإناء بما فيه، والمعين: الماء الطاهر الجاري. قال الزجاج: الكأس: الإناء الذي فيه الخمر، ويقع الكأس على كل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس. والمعين: الخمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون].

قوله تعالى: ﴿بَيْضَةً﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن. قال أبو سليمان الدمشقي: ويدل على أنه أراد بالكأس الخمر، أنه قال: «بيضاء»، فأثت، ولو أراد الإناء على انفراده، أو الإناء والخمر، لقال: أبيض. وقال ابن جرير: إنما أراد بقوله: «بيضاء» الكأس، ولأنثت الكأس أثنت البيضاء.

قوله تعالى: ﴿لَذَرُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لذيفة، يقال: شراب لَذَا: إذا كان طيباً. وقال الزجاج: أي: ذات لَذَّة<sup>(١)</sup>. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: ليس فيها صداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ليس فيها وجع بطن، [رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد]. والثالث: ليس فيها صداع رأس، قاله قتادة. والرابع: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: لا تفتال عقولهم، قاله السدي. وقال الزجاج: لا تفتال عقولهم فتذهب بها ولا يُصيبهم منها وجع. والسادس: ليس فيها إثم، حكاه ابن جرير. والسابع: ليس فيها شيء من هذه الآفات، لأن كلَّ مَنْ ناله شيء من هذه الآفات، قيل: قد غالته غَوْل، فالصواب أن يكون نفي القول عنها يعمُّ جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْرِكُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بكسر الزاي هاهنا وفي [الواقعة: ١٩]. وفتح عاصم الزاي هاهنا، وكسرها في [الواقعة: ١٩]. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الزاي في السورتين. قال الفراء: فمن فتح، فالمعنى: لا تذهب عقولهم بشربها. يقال للسكران: تَزِف وتَمَزِف؛ [ومن] كسر، ففيه وجهان: أحدهما: لا يُنْقِدُونَ شرايبهم، أي: هو دائم أبداً. والثاني: لا يَسْكُرُونَ، قال الشاعر:

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْنُمُ أَوْ صَحَوْنُمُ  
لَيْسَ السُّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَكُمْ قَصِيرٌ الْكَزْبِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم النساء قد قصرن طُرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم. وأصل القَصْر: الحبس، قال ابن زيد: إنَّ المرأةَ منهم لَتَقُولَ لزوجها: وعِزَّةُ رَبِّي ما أرى في الجنة شيئاً أحسنَ منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي. والثاني: أنهم قد قَصَرْنَ طُرْفَ الأزواج عن غيرهم، لكمال حُسْنِهِمْ، سمعته من الشيخ أبي محمد ابن الخشاب النحوي. وفي العين ثلاثة أقوال: أحدها: حِسَانُ العُيُون، قاله مجاهد. والثاني: عِظَامُ الأَعْيُن، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كِبَارُ العُيُون حِسَانُهَا، وواحدتهنَّ عَيْنَاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ بَيْضٌ مَكُونٌ ۖ﴾ في المراد بالبيض هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيْضُ النِّعَام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من

(١) قال ابن كثير: وقوله ﴿لَذَرُ﴾ [لَذَرُ لَشَرِيٍّ] أي: طعمها طيب كلونها، قال: وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك. اهـ.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) البيت للأبيد الرياحي من بني مخمّل، كما في «مجاز القرآن» ١٦٩/٢، و«الطبري» ٥٥/٢٣، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: نَزَف.

أهل اللغة: والعرب تُشَبِّه المرأةَ الحسناءَ في بياضها وحُسن لونها بِبَيْضَةِ النَّعْماءِ، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مُشْرِبةً صَفْرَةً. والثالث: أنه البَيض حين يُقْشَر قبل أن تَمْسَهُ الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير<sup>(١)</sup>. فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صَدْفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنون بَرِيش النِّعَام، وعلى الثالث: هو مكنون بقرشه.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٦) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٧﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ نَقُلْ إِنَّكَ كَذَّابٌ فَذَعِبْ ﴿٥٩﴾ وَظَنَّا إِنْهُمَا لَكَيْنُيْنِ ﴿٦٠﴾ قَالا هَلْ أَنتُم مُّطْلَعُونَ ﴿٦١﴾ فَأَطْلَعَ قُرْءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوْنَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَقِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٤﴾ أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتَيْنِ ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلُ وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبَيْنِ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني أهل الجنة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أحوال كانت في الدنيا<sup>(٢)</sup>. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥٧) فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الصَّاحِب في الدنيا. والثاني: أنه الشريك، روى عن ابن عباس. والثالث: أنه الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أنه الأخ؛ قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة [الكهف: ٣٢] في قوله: ﴿وَأَنْشَرِبَ لَهُمْ مَثَلًا يُحْيِيْنَ﴾؛ والمعنى: كان لي صاحب أو أخ يُنَكِّر البعث، ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾ (٥٨) قال الزجاج: هي مخففة الصاد، من صدَّق يصدِّق فهو مصدِّق، ولا يجوز هاهنا تشديد الصاد. قال المفسرون: والمعنى: أَتِنَّكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ بالبعث؟ وقرأ بكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة: «المُصَدِّقِينَ» بتشديد الصاد.

قوله تعالى: ﴿إِنْهَا لَكَيْنُيْنِ﴾ أي: مَجْرِيَّوْنَ بأعمالنا؛ يقال: دَنَتْهُ بِمَا صَنَعَ، أي: جازيته. فأحبُّ المؤمنين أن يَرَى قَرِينَهُ الكافر، فقال لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطْلَعُونَ﴾ أي: هل تَحْبُون الإِطْلَاع إلى النَّارِ لِتَعْلَمُوا أَيْنَ مَنْزِلَتُكُمْ من منزلة أهلها؟ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مُطْلَعُونَ» بأسكان الطاء وتخفيفها «فَأُطْلِعَ» بهمزة مرفوعة وسكون الطاء. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبيدة: «مُطْلَعُونَ» بكسر النون. قال ابن مسعود: أَطْلَعَ ثُمَّ التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجم القوم تغلي؛ قال ابن عباس: وذلك أن في الجنة كُور ينظر منها أهلها إلى النار.

قوله تعالى: ﴿قُرْءَاهُ﴾ يعني قَرِينَهُ الكافر ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وَسْطِهَا. وقيل: إنما سمي الوَسْطَ سَوَاءً، لاستواء المسافة منه إلى الجوانب. قال خُلَيْد القُضْرِي: والله لولا أَنَّ الله عَرَفَهُ إِثَّاهُ، ما عرفه، لقد تَغَيَّرَ جَنَرُهُ وَبَيَّضُهُ<sup>(٣)</sup>. فعند ذلك ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوْنَ﴾ (٦٣) قال المفسرون: معناه: والله ما كِدْتُ إِلَّا تُهْلِكُنِي؛ يقال: أَرَدَيْتُ فَلَانًا، أي: أَهْلَكْتَهُ. ﴿وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَقِي﴾ أي: إِنْعَامَهُ عَلَيَّ بالإسلام ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النَّار.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتَيْنِ﴾ (٦٥) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إذا دُبِح الموت<sup>(٤)</sup>، قال أهل الجنة: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتَيْنِ﴾ (٦٥) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبَيْنِ﴾؟ فيقال لهم: لا؛ فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمِ﴾ (٦٧)، فيقول الله تعالى: ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ (٦٨)، قاله ابن السائب. وقيل: يقول ذلك للملائكة.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شُبِّهَتْ في بياضهن وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنا ولا جان بياض البيض الذي هو داخل الفشر، وذلك هو الجلدة اللبسية الملح قبل أن تَمْسَهُ يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون، فاما القشرة العليا، فإن الطائر يمسها، والأيدي تبشرها، والعمى يلقاها، والعرب تقول لكل مصون: مكنون، ما كان ذلك الشيء، لولوا كان، أو بياضاً، أو متاعاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون منها، وذلك من حديثهم على شرايهم واجتماعهم في تاديبهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على الشَّرَرِ والخدَم بين أيديهم يَسْعَوْنَ ويَجِيثُونَ بكل خير عظيم من مأكَل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

(٣) قال في «اللسان»: أي: لونه وهيته.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٨٨/٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَيْشٌ أَمْلَحُ، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون (أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي) وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيُلْقَى، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلّوْهُ فلا موت، ويا أهل النار خلّوْهُ فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وَالَّذِينَ يَرَبُّونَ النَّفْسَ لَإِذَا قُيُّوا إِلَى النَّارِ رَمَوْا فِي غَلَقٍ وَمَنْ لَا يَرْجُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَشَارَ بِهِ إِلَى الدُّنْيَا، واللفظ لمسلم.



والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾، قاله مقاتل. وقال أبو سليمان الدمشقي: إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد عِلِمَ أَنَّهُمْ لَيَسُوا بَعِثِينَ، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً. والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان يتكبره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ هَذَا﴾ يعني النعيم الذي ذكره في قوله: ﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يَرْقُ مَلَكُومٌ﴾ [الصفات: ٤١] ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾، وهذا ترغيب في طلب ثواب الله ﷻ بطاعته<sup>(١)</sup>.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْقِ﴾ [١٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٨] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيرِ﴾ [١٩] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٢٠] ﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكْوَئِرُونَ مِنْهَا فَأَلْقَوْا مِنْهَا الطُّحُونَ﴾ [٢١] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَاقٍ مِنْ حَيْبٍ﴾ [٢٢] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجَمَهُمْ لَأَوَّلُ الْخَيْبِ﴾ [٢٣] ﴿إِنَّهُمْ أَلْقَوْا بِآثَانَةٍ مَرْصَالٍ﴾ [٢٤] ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُرْجَوُونَ﴾ [٢٥] ﴿وَلَقَدْ سَبَّلَ عَلَيْهِمْ أَكْخَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ ثَمُودَ﴾ [٢٧] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٢٩]

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى ما وصف لأهل الجنة ﴿زُكُوفًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: رزقاً، ومنه: إقامة الأنزال، وأنزال الجنود: أرزأها. وقال الزجاج: النزل هاهنا: الرِّيع<sup>(٢)</sup>، والفضل، يقال: هله طعمام له نزل ونزل، بتسكين الزاي وضمها؛ والمعنى: أذلك خير في باب الأنزال التي تَنْقَرُوتُ ويمكن معها الإقامة، أم نزل أهل النار؟ وهو قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّوْقِ﴾؟<sup>(٣)</sup>. واختلف العلماء هل هذه الشجرة في الدنيا، أم لا؟ فقال قطرب: هي شجرة مَرَّة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: الزَّوْقُ: ثمرة شجرة كريمة الطعم. وقيل: إنها لا تُعرف في شجر الدنيا، وإنما هي في النار، يُكْرَهُ أَهْلُ النَّارِ عَلَى تَنَاوُلِهَا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٨] يعني للكافرين. وفي المراد بالفتنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر أنها في النار، افتشوا وكذبوا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال السدي: فتنة لأبي جهل وأصحابه. والثاني: أن الفتنة بمعنى العذاب، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن الفتنة بمعنى الاختبار، اختبروا بها فكذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيرِ﴾ [١٩] أي: في قعر النار. قال الحسن: أضلها في قعر النار، وأغصانها ترتفع إلى ذركاتها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها، وسُمِّيَ طَلْعاً، لطلوعه ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. فإن قيل: كيف شبهها بشيء لم يُشاهد؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قد استقر في النفوس قُبْحُ الشياطين - وإن لم تُشاهد - فجاز تشبيهها بما قد عِلِمَ قُبْحُهُ، قال امرؤ القيس:

أَبْقُشْلُنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِجِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِي<sup>(٥)</sup>

قال الزجاج: هو لم ير القُور ولا أنيابها، ولكن التمثيل بما يُسْتَفْتَحُ أبلغ في باب المذكر أن يُمَثَّلَ بالشياطين، وفي باب المؤنث أن يشبه بالقُور. والثاني: أن بين مكة واليمن شجر يسمى: رؤوس الشياطين، فشبهها بها، قاله ابن السائب. والثالث: أنه أراد بالشياطين: حَيَاتُهَا رؤوس ولها أعراف، فشبه طلعها برؤوس الحَيَاتِ، ذكره

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَيْسَ هَذَا قَلِيلٌ مِنَ الْعَمَلِ﴾ [١٨] يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فيعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

(٢) قال في «اللسان»: الرِّيع: النماء والزيادة.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم، غير، أوما أعددت لأهل النار من الزَّوْقِ؟

(٤) روى ابن جرير الطبري عن قتادة قال: لما ذكر شجرة الزَّوْقِ افتتن الكلمة فقالوا: يتبكم صاحبكم هنا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر؟ فأنزل الله ما تسمعون أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم عُذِيَّتٌ بالنار ومنها خلقت. وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٧٧/٥، وزاد نسبتاً لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) «ديوانه» ٣٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٩/١، و«مجمع البيان» ٦٢/٢٣، و«روح المعاني» ٨٧/٢٣، و«اللسان»: غول.

الزجاج. قال الفراء: والعرب تسمي بعض الحيات شيطاناً، وهو حية ذو عُرْف قبيح الوجه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا﴾ أي: من ثمرها ﴿فَمَالُوا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ وذلك أنهم يُكْرَهُونَ على أكلها حتى تمتلئ بطونهم<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا مِنْ حِمِيرٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لخلطاً من الماء الحار يشربونه عليها. قال أبو عبيدة: تقول العرب: كل شيء خلطته بغيره فهو مشوب. قال المفسرون: إذا أكلوا الرُّقُومَ ثم شربوا عليه الحميم، شاب الحميم الرُّقُومَ في بطونهم فصار شوباً له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ﴾ أي: بعد أكل الرُّقُومِ وشرب الحميم ﴿لَأَنَّ لِّلْحَمِيمِ﴾ وذلك أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يوردونه كما تورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم؛ ويدل على هذا قوله: ﴿يَطْرُقُونَ مِنْهَا بَيْنَ وَجْهِ حِمِيرٍ مَّا﴾ [الرحمن: ٤٤]. و﴿الْقَوْلَ﴾ بمعنى وجدوا. و﴿يَهْرُقُونَ﴾ مشروح في [هود: ١٧٨]، والمعنى أنهم يتبعون آباءهم في سرعة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَقَدْ حَزَلْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل هؤلاء المشركين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين، فإنهم نجوا من العذاب. قال ابن جرير: وإنما حُسن الاستثناء، لأن المعنى: فانظر كيف أهلكنا المُنذَرين إلا عباد الله.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَمَّ إِلَى الْجِبُونِ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿وَمَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِنْ الْبَابِ﴾ وَرَكَّعْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْغَابِ﴾ إِذَا كَذَّابٌ تَجَرَّى النُّجَيْنِ ﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي: دعانا. وفي دعائه قولان: أحدهما: أنه دعا مستنصراً على قومه. والثاني: أن<sup>(٣)</sup> ينجيه من الغرق ﴿فَلْيَمَّ إِلَى الْجِبُونِ﴾ نحن؛ والمعنى: إنا أنجينا وأهلكنا قومه. وفي ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: أحدهما: [أنه] الغرق. والثاني: أذى قومه. ﴿وَمَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِنْ الْبَابِ﴾ [وذلك] أن نسل [أهل] السفينة انقضوا غير نسل ولده، فالتاس كلهم من ولد نوح<sup>(٤)</sup>. ﴿وَرَكَّعْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: تركنا عليه ذكراً جميلاً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا بعده إلى يوم القيامة. قال الزجاج: وذلك الذكر الجميل قوله: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْغَابِ﴾ وهم الذين جاؤوا من بعده؛ والمعنى: تركنا عليه أن يصلّي عليه في الآخرين إلى يوم القيامة. ﴿إِذَا كَذَّابٌ تَجَرَّى النُّجَيْنِ﴾ قال مقاتل: جزاء الله بإحسانه الشقاء الحسن في العالمين.

﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِهِ إِيزَيزَةَ﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيْفَاكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُبَدُّونَ ﴿مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْغُلَاقَ﴾ فَتَنَّا نَظْرَهُ فِي أَفْجُورٍ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَتِيمٌ﴾ قَتَلُوا عَنْهُ مَلَكَيْنِ ﴿قَرَأَ إِلَّا إِلَهُهُنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿قَرَأَ عَلَيْهِمْ خَبْرًا بِالْيَمِينِ﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِيضُونَ ﴿قَالَ أَسْتَعِينُونَ مَا تَنْحَنُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ ﴿قَالُوا إِنَّا لَمْ يَكُنَّا فَالِقُونَ فِي الْجَبِينِ﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّئِينَ﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿فَنَشَرْنَاهُ وَعَلَيْنَا حَمِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِهِ إِيزَيزَةَ﴾ أي: من أهل دينه وملتته. والهاء في «شيعة» عائدة على نوح في قول الأكثرين؛ وقال ابن السائب: تعود إلى محمد ﷺ، واختاره الفراء<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: كيف يكون من شيعة، وهو قبله؟

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا لَشَوًّا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أشبع منها، ولا أفتح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليعطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها، ما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ سُلَامٌ إِلَّا مِنْ شَيْعِهِ﴾ لَا يَسِيْرُ وَلَا يَتَّبِعِي مِنْ شَيْعٍ. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا لَشَوًّا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آبائهم ضلالاً عن قصد السبيل، غير سالكين محبة الحق ﴿فَإِنَّهُمْ عَلَى نَظْمٍ يَهْرُورُونَ﴾ يقول: فهؤلاء يسع بهم في طريقهم ليقضوا آثارهم وسئوهم. اهـ.

(٣) في الأصل: «أنه».

(٤) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، فغضب الله تعالى لغضبهم عليهم، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَمَّ إِلَى الْجِبُونِ﴾ أي: فلنم المجيئون له، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وهو التكذيب والأذى، وَنَجَّيْنَاهُ دُرِّيَّتَهُ مِنَ الْبَابِ. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿وَرَكَّعْنَا نُوْحًا عَلَى حَتَا دُرِّيَّتِهِ﴾ بمعنى أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم. اهـ. وقال الألوسي: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِهِ﴾ أي: ممن شايع نوحاً وتابعه في أصول =

فالجواب: أنه مثل قوله: ﴿حَلَلْنَا دُرَيْتَهُمْ﴾ [يس: ٤١]، فجعلها دُرَيْتَهُمْ وقد سَبَقَتْهُمْ، وقد شرحنا هذا فيما مضى [يس: ٤١].  
قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: صَدَّقَ الله وَأَمَنَ بِهِ ﴿يَقْبَلُ سَلِيمٌ﴾ من الشُّرْكِ وَكُلِّ دَنَسٍ، وفيه أقوال ذكرناها في [الشعراء: ٨٩].  
قوله تعالى: ﴿مَاذَا شِئْتُمْ؟﴾ هذا استفهام توبيخ، كأنه ويخهم على عبادة غير الله. ﴿أَفَلَا يَكْفُرُوا؟﴾ أي: أَتَأْتِيكَونَ إِنْكَارًا وتَعْبُدُونَ آلِهَةً سِوَى اللَّهِ؟ ﴿مَا لَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٧] إذا لَقِيتُمُوهُ وقد عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ كأنه قال: فما ظَنُّكُمْ أن يصنع بكم؟ ﴿تَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النَّجْمِ﴾ [١٨] فيه قولان: أحدهما: [أنه] نظر في عِلْمِ النجوم، وكان القوم يتعاطون عِلْمَ النجوم، فعاملهم من حيث هم، وأراهم أَنِّي أَعْلَمُ من ذلك تَعْلَمُونَ، لئلا يَتَكَبَّرُوا عليه ذلك. قال ابن المسيب: رأى نجمًا طالعًا، فقال: إِنِّي مريضٌ غدًا. والثاني: أنه نظر إلى النجوم، لا في عِلْمِهَا. فإن قيل: فما كان مقصوده؟ فالجواب: أنه كان لهم عيد، فأراد التخلف عنهم لِيَكِيدَ أصنامَهُمْ، فَاغْتَلَّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من معاريف الكلام. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: سَأْسَقُمُ، قاله الضحاك. قال ابن الأنباري: أَعْلَمَهُ اللهُ أَنَّ يَمْتَحِنُهُ بالسقم إذا طلع نجمٌ يعرفه، فلما رأى النجم، عِلِمَ أنه سَيَسْقُمُ. والثاني: إِنِّي سَقِيمُ القلب عليكم إذ تكهنتم بنجوم لا تَصُرُّ ولا تَنْفَعُ، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه سَقِمَ لِعِلَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ، حكاه الماوردي. وذكر السدي أنه خرج معهم إلى يوم عيدهم، فلما كان ببعض الطريق، ألقى نفسه وقال: إِنِّي سَقِيمٌ أَشْتَكِي رَجُلِي<sup>(١)</sup>، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [١٩] فَرَأَى إِلَهَ الْعَالَمِينَ؟ أي: مال إليها - وكانوا قد جعلوا بين يديها طعامًا لتبارك فيه على زعمهم - ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيم استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ وقوله: ﴿ضَرَبًا بَالِيَيْنِ﴾ في اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنها اليد اليمنى، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والثاني: بالقُوَّةُ والقُدْرَةُ، قاله السدي، والفراء. والثالث: باليمين التي سبقت منه، وهي قوله: ﴿وَاللَّهُ لَأكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، حكاه الماوردي. قال الزجاج: «ضَرَبًا» مصدر؛ والمعنى: فمال على الأصنام يضربها ضَرْبًا باليمين؛ وإنما قال: «عليهم»، وهي أصنام، لأنهم جعلوها بمنزلة ما يُمَيِّزُ. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزُوقُونَ﴾ [٢٠] قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ ابن حمزة، والمفضل عن عاصم: «يَزُوقُونَ» برفع الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، والضحاك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتخفيف الفاء. وقرأ ابن أبي عبيدة، وأبو نهيك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وسكون الزاي وتخفيف الفاء<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: أعرب القراءات فتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زَفِيفِ النَّعَامِ، وهو ابتداء عَذْوِ النَّعَامِ، يقال: زَفَتِ النَّعَامُ يَزِفُ، وأما ضم الياء، فمعناه: يصيرون إلى الرِّقِيفِ، وأنشدوا:

[تَمَنَّى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُوْدَ جِذَاعُهُ] فَأَضْحَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَفْهَرَ<sup>(٤)</sup>

= الدين «يَزُوقُونَ» وإن اختلفت فروع شريعتيهما، أو ممن شايعة في التصلب في دين الله تعالى ومصايرة المكذبين، قال: ونقل هذا عن ابن عباس. قال: وذهب الفراء إلى أن ضمير «شيعته» لنبينا محمد ﷺ، قال: والظاهر ما أشرنا إليه، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقناة والسدي، قال: وقُلُوبًا يقال للمعتمد: هو شيعته للمتأخر. اهـ.

(١) قال ابن كثير: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أذف خروجهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بأهلهم ليكرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [١٩] قال: قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يليهم به فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف، قال ابن كثير: فأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات، ننتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ مَقَلَكُم كُفْرُكُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة: «هي أختي» قال: فهو حديث مخرج في الصحاح والسنتن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُدْمُ فاعله، حاشا وكلأ ولئلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعارض لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: «إن في المعارض لندوحة عن الكذب». اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولها تركهم جذافاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. اهـ. وقال الألوسي: ﴿فَرَأَى عَيْنَيْنِ ضَرْبًا بَالِيَيْنِ﴾، أي: باليد اليمنى كما روي عن ابن عباس، قال: وتقيد الضرب باليمين، للدلالة على شدته وقوته، لأن اليمين أقوى الجارحين وأشدّها في الغالب، قال: وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء. اهـ.

(٤) البيت للمُعْتَمِلِ السُّعْدِيِّ كما في «الطبري» ٧٤/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: قهر، جذع، روي: قد أَوَّلَّ وَأَفْهَرَ، مَبْنًى للمجهول.

أي: صار إلى القهر. وأما كسر الزاي مع تخفيف الفاء، فهو من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أسرع يُسرع، ولم يُعرفه الكسائي ولا الفراء، وعرفه غيرهما. قال المفسرون: بلغهم ما صنع إبراهيم، فأسرعوا، فلما انتهوا إليه، قال لهم محتجاً عليهم: ﴿أَتَبْكُونَ مَا تَنْجُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩)، قال ابن جرير: في «ما» وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم. والثاني: أن تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: والله خلقكم، وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام (١)؛ وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة [للـه]. فلما لزمته الحجة ﴿قَالُوا إِنَّا لَمَكِبَتْنَا﴾ وقد شرحنا قصته في سورة [الأنبياء: ٥٢ - ٧٤]، وبيننا معنى الجحيم في [البقرة: ١١٩]، والكيد الذي أرادوا به: إحراقه. ومعنى قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ أن إبراهيم عليهم السلام حيث سلمه الله من كيدهم وحل الهلاك بهم (٢). ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ في هذا الذهاب قولان: أحدهما: أنه ذاهب حقيقة، وفي وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حين أراد هجرة قومه؛ فالمعنى: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي حيث أمرني ربي ﴿سَيِّدِينَ﴾ إلى حيث أمرني، وهو الشام، قاله الأكثرون. والثاني: حين ألقى في النار، قاله سليمان بن صرد؛ فعلى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهب إلى الله بالموت، سيهدين إلى الجنة. والثاني: [ذاهب] إلى ما قضى [به] ربي، سيهدين إلى الخلاص من النار. والقول الثاني: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي بقلبي وعملي ونيتي، قاله قتادة (٣). فلما قِيم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤) أي: ولداً صالحاً من الصالحين، فاجتزأ بما ذكر عما ترك، ومثله: ﴿وَكُنَّا فِيهِ مِنَ الْإِبْرَاهِيمِ﴾ [يوسف: ٢٠]، فاستجاب له، وهو قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) وفيه قولان: أحدهما: أنه إسحاق. والثاني: أنه إسماعيل. قال الزجاج: هذه الإشارة تدل على أنه مبشّر بآبٍ ذَكَرَ، وأنه يبقى حتى يتهي في السن ويوصف بالعلم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يَبْقَىٰ إِلَهِي أَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ أَجَبَكَ فَانْظُرْ مَاذَا زَوَّجْتُ قَالَ يَأْتِيكَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَكَلَّمَ لِلْجَبِينِ (٧) وَفَدَيْنَاهُ أَن يُبْرَاهِيمَ (٨) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٩) إِنَّكَ هَذَا لَمَوْ الْبَتَّاءُ الْبَيْنُ (١٠) وَفَدَيْنَاهُ بِذِي عَظِيمٍ (١١) وَزَكَرْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٣) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) إِنَّهُ يَنْ عَسَاوَنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ بَيِّنًا مِنَ الصَّالِحِينَ (١٦) وَزَكَرْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا عِيسَىٰ وَغُلَامٌ لِّفَيْسِهِ مُبَارَكٌ (١٧)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالسعي هاهنا: العمل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المشي، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: بلغ أن يُنصرف معه ويُعيته. قال ابن السائب: كان ابن ثلاث عشرة سنة. والثالث: أن المراد بالسعي: العبادة، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا، يكون قد بلغ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ أَجَبَكَ﴾ أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام، وإنما المعنى أنه أمر في المنام بذبحه، ويدل عليه قوله: ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾. وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم ير إراقة الدّم. قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً، فعلوه. وذكر السدي عن أشياخه أنه لما بشر جبريل سارة بالولد، قال إبراهيم: هو إذاً لله ذبيح، فلما فرغ من بينان البيت، أتى في المنام، فقيل له: أَوْفَ بَنَدُوكَ (١). واختلفوا في الذبيح على قولين: أحدهما: [أنه] إسحاق، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، [ومسروق]، وعبيد بن عمير، والقاسم ابن أبي بزة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير. وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام. وقيل: طويت له

(١) قال ابن كثير: والأول أظهر، لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد» عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربيع بن جراح عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه» اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول الله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: فجعلنا قوم إبراهيم ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ يعني الأدنى حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقلناه مما أرادوا به من الكيد. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَقَالَ إِلَهِي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ يقول: وقال إبراهيم لما أهلكه الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله، أي: إلى الأرض المقدسة، ومفارقتهم فمعتزلهم لعبادة الله. اهـ.

(٤) ذكر ذلك البهوي في «تفسيره» بدون سند والله أعلم.

الأرض حتى حمله إلى المَنَحَرِ بِجَنَّتٍ فِي سَاعَةٍ. والثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، ويوسف بن مهران، وأبو صالح، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن سابط<sup>(١)</sup>. واختلفت الرواية عن ابن عباس، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه عطاة، ومجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبيرة كالقولين. وعن سعيد بن جبيرة، وعكرمة، والزهرى، وقتادة، والسدي روايتان. وكذلك عن أحمد رحمته الله روايتان. ولكل قوم حُجَّةٌ ليس هذا موضعها، وأصحابنا ينصرون القول الأول<sup>(٢)</sup>.

### الإشارة إلى قصة الذَّبْحِ

ذكر أهل العلم بالسِّيَر والتفسير أن إبراهيم لما أراد ذبح ولده، قال له: انطلق فثَقُرْبَ قرباناً إلى الله رحمته الله، فأخذ سيكناً وحَبَلًا، ثم انطلق، حتى إذا ذهب بين الجبال، قال له الغلام: يا أبتِ أين قُرْبَانُكَ؟ قال: يا بُني إني رأيتُ في المنام أني أذبحُكَ، فقال له: اشدُّ رباطي حتى لا اضطرب، واكثُفْ عني ثيابك حتى لا ينتضح عليك من دمي فتراه أُمِّي فتحزن، وأشرع مَرَّ السَّكِينِ على حَلْقِي ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيت أُمِّي فأقرأ عليها السلام مِنِّي؛ فأقبل عليه إبراهيم يقبله ويكيه ويقول: نَعَمْ العَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ على أمر الله رحمته الله، ثم [إنه] أَمَرَ السَّكِينِ على حَلْقِهِ فلم يَحْكُ شيئا<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: لَمَّا أَمَرُهَا على حَلْقِهِ انقلبَتْ، فقال: مالك؟ قال: انقلبْتُ، قال: اطعْنْ بها طَعْنًا. وقال السدي: ضرب الله على حَلْقِهِ صفيحة من نحاس؛ وهذا لا يُحْتَاجُ إليه، بل منتهى بالقُدرة أبلغ. قالوا: فلَمَّا طَعَنَ بها، ثَبَتَ، وعَلِمَ الله منهما الصِّدْقَ في التسليم، فنودي: يا إبراهيم قد صَدَقْتَ الرُّؤْيَا، هذا فداء ابنك؛ فنظر إبراهيم، فإذا جبريل معه كبش أملح.

قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَكْتَ﴾ لَمْ يَقُلْ له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله رحمته الله، ولكن أراد أن يَنْظُرَ ما عنده من الرُّأْيِ. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿ماذَا تُرِي﴾ بضم التاء وكسر الراء؛ وفيها قولان: أحدهما: ماذا تُرِينِي من صبرك أو جَزَعِكَ، قاله الفراء. والثاني: ماذا تُبَيِّن، قاله الزجاج؛ وقال غيره: ماذا تُشِير.

قوله تعالى: ﴿أَتَمَلَّ مَا تَوَمَّرُ﴾ قال ابن عباس: أَفْعَلْ ما أَوْحَى إِلَيْكَ من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على البلاء.

(١) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «تقريب التهذيب»: عبد الرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّهُ يُكَفِّرُ عَنْكَ سَيِّئُهُ﴾. وهذا الغلام هو إسماعيل رحمته الله، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم رحمته الله، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، قال: بل في نص كتابهم أن إسماعيل رحمته الله ولد لإبراهيم رحمته الله ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعُمُرُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، قال: وعندما أمر الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحده، وفي نسخة أخرى: «بِكُرْهٍ» قال: فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً إسحاق، قال: ولا يجوز هذا، لأنه مخالف لنص كتابهم، قال: وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوه، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم فزادوا فلك، وحرّفوا «وحيدك» بمعنى «الذي ليس عندك غيره»، فإن إسماعيل كان ذُبح به رباً إلى مكة، وهو تأويل وتخريف باطل، فإنه لا يقال: وحيدك إلا لمن ليس له غيره، قال: وأيضاً فإن أول ولده، له مَرَّةٌ ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار، قال: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رحمهم الله أيضاً. ثم قال: وليس ذلك في كتاب ولا سُنَّةٍ، وما أَظُنُّ ذلك ثَقُلِي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسَلِّماً من غير حجة، قال: وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشِّرْهُ بِأَنَّهُ يُكَفِّرُ عَنْكَ سَيِّئُهُ﴾ وقال: ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق غلوا: ﴿فَإِنَّ يَبْرَأَكَ بِكُلِّ كَيْفٍ﴾. وقال ابن كثير في قوله تعالى عن امرأة إبراهيم رحمته الله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّهُ يُكَفِّرُ عَنْكَ سَيِّئُهُ﴾ من سورة (هود: ٧١) أي: بولد لها يكون له ولد وعقب نسل، فإن يعقوب ولد لإسحاق، قال: ومن هاهنا استدلال من استدلل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق، لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، قال: فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه؟ قال: فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، قال: فتبين أن يكون هو إسماعيل. قال: وهذا من أحسن الاستدلال وأصحها وأبينه، والله الحمد. اهـ.

وقد قال الحافظ ابن قيم الجوزية في «الهدى النبوي»: إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق، فمردود بأكثر من عشرين وجهاً، ونقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع أنه باطل في كتابهم، لأن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بِكُرْهٍ، وفي لفظ: «وحيد» وقد حرّفوا ذلك في التوراة التي بأيديهم. اهـ.

(٣) ذكر نحو هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا لأمر الله ﷻ فأطاعا ورضينا. وقر علي، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والأعمش، وابن أبي عتبة: «فلما سلمنا» بتشديد اللام من غير همز قبل السين؛ والمعنى: سلمنا لأمر الله ﷻ. وفي جواب قوله: «فلما أسلمنا» قولان: أحدهما: أن جوابه: «وناديناه»، والواو زائدة، قاله الفراء. والثاني: أن الجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلما فعل ذلك، سجد وأجرل ثوابه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا لَدِينِ﴾ قال ابن قتية: أي: صرعه على جبينه فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجهة بينهما، وهي ما أصاب الأرض في السجود، والناس لا يكادون يفرقون بين الجبين والجهة، فالجهة مسجد الرجل الذي يصيبه نَدْبُ السُّجُود، والجبينان يكتفانها، من كل جانب جبين.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ قال المفسرون: نودي من الجبل: ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: قد عملت ما أمرت، وذلك أنه قصد الذبح بما أمكنه، وطاعه الابن بالتمكين مع الذبح، إلا أن الله ﷻ صرف ذلك كما شاء، فصار كأنه قد ذبح وإن لم يتحقق الذبح. والثاني: أنه رأى في المنام معالجة الذبح، ولم ير إراقة الدَّم، فلما فعل في اليقظة ما رأى في المنام، قيل له: «قد صدقت الرؤيا». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، والجحدري: «قد صدقت الرؤيا» بتخفيف الدال، وهاتنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ﴾ أي: كما ذكرنا من العفو من ذبح ولده «تَجَرَّى الْمُجِيبِينَ»<sup>(١)</sup>. «إِنَّا كَذَّبْنَاكَ الْبَلَاءَ الْيُسْرَى» في ذلك قولان: أحدهما: النعمة البينة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الاختبار العظيم، قاله ابن زيد، وابن قتية. فعلى الأول، يكون قوله هذا إشارة إلى العفو عن الذبح. وعلى الثاني، يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ يعني: الذبح «يَذبح» وهو بكسر الذال: اسم ما ذبح، ويفتح الذال: مصدر ذَبَحْتُ، قاله ابن قتية. ومعنى الآية: خلصناه من الذبح بأن جعلنا الذبح فداءً له. وفي هذا الذبح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كبشاً أقرن قد رعى في الجنة قبل ذلك أربعين عاماً، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقال في رواية سعيد بن جبير: هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه، كان في الجنة حتى فُدي به. والثاني: أن إبراهيم فدى ابنه بكبشين أبيضين أعينين أقرنين، رواه أبو الطفيل عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: [أنه] ما فُدي إلا بتيس من الأوزى<sup>(٣)</sup>، أهبط عليه من ثبير، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>. وفي معنى «عظيم» أربعة أقوال: أحدها: لأنه كان قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: لأنه ذبح على دين إبراهيم وسُنَّته، قاله الحسن. والثالث: لأنه مُقْبَلٌ، قاله مجاهد. وقال أبو سليمان الدمشقي: لما قرّبه ابن آدم، رُفِعَ حيّاً، فرعى في الجنة، ثم جُعل فداء الذبح، فقبل مرتين. والرابع: لأنه عظيم الشخص والبركة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الصفات: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا بِإِسْحَاقَ﴾ من قال: إن إسحاق الذبيح، قال: بُشِّرَ إبراهيم بنبوة إسحاق، وأُتِيَ إسحاق بصبره

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ تَجَرَّى الْمُجِيبِينَ﴾ أي: هكذا نصرف عن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِي لَا يَنْصِبُ وَمَنْ يَنْصِبْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَكْفِي لَأَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾ قال: وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافاً لطائفة من المعتزلة، قال: والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، قال: وإنما كان المقصود من شرعه أولاً، إثابة اللخيل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ الْبَلَاءَ الْيُسْرَى﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر ببيع ولده، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى، متقاداً لطاعته، قال: ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْوَيْ وَكَ﴾ اهـ.

(٢) (الذي في «الطبري» وابن كثير) من رواية أبي الطفيل عن علي عليه السلام: قال: كبش أبيض أقرن أعين.

(٣) الأوزى: الوحول.

(٤) قال ابن كثير في «التاريخ» بعد أن ذكر نحوه من هذا: ثم غالب ما هاتنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر، وأنه فُدي ببيع عظيم، قال: وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً. اهـ. وقال في «التفسير»: والصحيح الذي عليه الأكثر أن فُدي بكبش. اهـ. وثبير: جبل بمكة.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِ وَفَاءً لِّإِنْشَاقِ﴾ يعني بكثرة ذنبيهما، وهم الأسباط كلهم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مَحْسَنٌ﴾ أي: مطيع لله ﴿وَنَافِلًا﴾ وهو العاصي له. وقيل: الْمُحْسِنُ: المؤمن، والظالم: الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْضَ مَسْأَلًا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَكَانَ رَبُّهُ الْكَرِيمَ﴾ ﴿١٥٣﴾ أي: أنعمنا عليهما بالنبوة. وفي ﴿الْكَرِيمَ الْعَظِيمَ﴾ قولان: أحدهما: استبعاد فرعون ويلاؤه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: الغرق، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله فتوحّدونه وتعبّدونه؟! ﴿الَّذِينَ بَلَغُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الرّب، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتبية. وقال الضحاك: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف، فبينما هو جالس، إذ مرّ أعرابي قد ضلّت ناقته وهو يقول: من وجد ناقة أنا بعلها؟ فتبعه الصبيان يصيحون به: يا زوج الناقة، يا زوج الناقة، فدعا ابن عباس فقال: ويحك، ما عنيت ببعلها؟ قال: أنا ربها، فقال ابن عباس: صدق الله ﴿الَّذِينَ بَلَغُوا﴾: ربّاً. وقال قتادة: هذه لغة يمانية. والثاني: أنه اسم صنم كان لهم، قاله الضحاك، وابن زيد. وحكى ابن جرير أنه به سُميت «بعلبك». والثالث: أنها امرأة كانوا يعبدونها، حكاه محمد بن إسحاق.<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِهِمْ لَمَحْضُورًا﴾ (١٧٧) النار، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٧٨) الذين لم يكذبوه، فإنهم لا يُحْضَرُونَ النار.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «لَيْنَ التُّرْبَةِ» يقول جل ثناؤه: لمرسل من المرسلين «إِذْ قَالَ لِقَوِيُّوهُ أَلَا تَتَّقُونَ؟» يقول حين قال لقومه من بني إسرائيل: «أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ إِيَّاهُ الْقَوْمُ تَخَافُوهُ وَتَحْذَرُونَ عَقِبَتِهِ عَلَى عِبَادَتِكُمْ رَبًّا غَيْرَ اللَّهِ وَالْهَآ سَوَاءٌ وَتَذْكُرُونَ مَسْئَةَ الْكَافِرِينَ؟» يقول: وتذعنون عبادة أحسن من قبل له خالق؟ ثم قال ابن جرير: وللبلبل في كلام العرب أوجه، يقولون لرب الشيء: هو بقله، يقال: هذا يعمل هذه الدار، يعني ربها، ويقولون لزوج المرأة: بعلها، ويقولون لما كان من الغروس والزرع مستغنياً بماء السماء ولم يكن سقياً: بعل. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: «لَتَذْكُرُونَ بَعْلَكُمْ أَي: أنبئدون صنماً «تَذْكُرُونَ مَسْئَةَ الْكَافِرِينَ اللَّهُ يَذْكُرُ رَبِّكُمْ الْآلِافِينَ» ١٩ أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.



## الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالتفسير والسيرة أنه لما كثرت الأحداث بعد قبض حزقيال النبي ﷺ، وعُبدت الأوثان، بعث الله تعالى إليهم إلياس. قال ابن إسحاق: وهو إلياس بن تشبي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، فجعل يدعوهم فلا يسمعون منه، فدعا عليهم بحبس المطر، فجهدوا جهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً منهم على نفسه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد هلكتم جهداً، وهلكت البهائم والشجر بخطاياكم، فاخرجوا بأصنامهم وأدعوها، فإن استجابت لكم، فالأمر كما تقولون، وإن لم تفعل، علمتم أنكم على باطل فنزعتم عنه، ودعوت الله ففرج عنكم، فقالوا: أنصفت، فخرجوا بأصنامهم وأوثانهم، فدعوا فلم يستجب لهم، فعفروا ضلالهم، فقالوا: ادع الله لنا، فدعا لهم، فأرسل المطر وعاشت بلادهم، فلم ينزعوا عما كانوا عليه، فدعا إلياس ربّه أن يقضه إليه ويربّحه منهم، فقيل له: اخرج يوم كذا إلى مكان كذا، فما جاءك من شيء فاركنه ولا تهنّ، فخرج، فأقبل قرس من نار، فوثب عليه، فانطلق به، وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة المظعم والمشرب، فطار في الملائكة، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَٰى إِبْلِيسَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إلياسين» موصولة مكسورة الألف ساكنة اللام، فجعلوها كلمة واحدة؛ وقرأ الحسن مثلهم، إلا أنه فتح الهمزة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعبد الوارث، ويعقوب إلا زيدا: «إل ياسين» مقطوعة، فجعلوها كلمتين. وفي قراءة البوصل قولان: أحدهما: أنه جُنع لهذا النبي وأُمَّته المؤمنين به، وكذلك يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المهالبة، تريد: بني المهلب، والمسامعة، تريد: بني مسمع. والثاني: أنه اسم النبي وحده، وهو اسم عبراني، والعجمي من الأسماء قد يُقْتَل به هكذا، [كما] تقول: ميكال وميكائيل، ذكر القولين الفراء والزجاج. فأما قراءة من قرأ: «إل ياسين» مفصولة، ففيها قولان: أحدهما: أنهم آل هذا النبي المذكور، وهو يدخل فيهم، كقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»<sup>(٢)</sup>، فهو داخل فيهم، لأنه هو المراد بالدعاء. والثاني: أنهم آل محمد ﷺ، قاله الكلبي: وكان عبد الله بن مسعود يقرأ:

(١) ذكر نحو هذا المعنى مطولاً الطبري في «تفسيره» من رواية ابن إسحاق عن وهب بن منبه وغيره، وذكر نحوه ابن كثير في «التفسير» وقال في «التاريخ»: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته. وقال في «التاريخ»: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٨٦/٣، باب صلاة الإمام ودعائه لأصحاب الصدقة، وهو في «البخاري» أيضاً ١٤٥/١١ باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، ورواه مسلم ٧٥٧/٢ ولفظه بتمامه عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقته قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٦/٣: قوله «على آل أبي أوفى» يريد أبا أوفى نفسه، لأن الآل يطلق على ذات الشيء، كقوله ﷺ في قصة أبي موسى (الأشعري): «لقد أوتي مزاراً من مزارير آل داود» قال: واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد هو وابنه عبد الله بيعة الرضوان تحت الشجرة، وعمر عبد الله إلى أن كان آخر من مات من الصحابة بالكوفة، وذلك سنة سبع وثمانين. قال ابن حجر: واستدل به (أي الحديث) على جواز الصلاة على غير الأنبياء، قال: وكرهه مالك والجمهور، قال: قال ابن التين: وهذا الحديث يعكّر عليه، قال: وقد قال جماعة من العلماء: يدعو أخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء، لهذا الحديث، قال: وأجاب الخطابي عنه قديماً بأن أصل الصلاة: الدعاء، إلا أنه يختلف بحسب المدعول، فصلاة النبي ﷺ على أمته: دعاء لهم بالمغفرة، وصلاة أمته عليه: دعاء له بزيادة القربى والزلفى، ولذلك كان لا يليق بغيره. انتهى. قال: واستدل به على استحباب دعاء أخذ الزكاة لمعطياها، قال: وأوجه بعض أهل الظاهر، وحكاة الحنابلة وجهاً لبعض الشافعية، وتُعقّب بأنه لو كان واجباً لعلمه النبي ﷺ السعة، ولأن سائر ما يأخذه الإمام من الكفارات والديون وغيرهما لا يجب عليه فيها الدعاء، فكذلك الزكاة، قال: وأما الآية (يريد قوله تعالى: ﴿هُذِّنْ رَأْسَهُ فَصَلَ لَهُمْ خَلْفَهُمْ وَوَرَقَهُمْ﴾) فيحتمل أن يكون الوجوب خاصاً به ﷺ لكون صلاته سكتاً لهم، بخلاف غيره. اهـ.

هذا وقد اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً، فقال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٨٥/٧: قال أصحابنا: لا يصلى على غير الأنبياء إلا تبعاً، لأن الصلاة في لسان السلف مخصصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، قال: واختلف أصحابنا في النهي عن ذلك هل هو نهي تنزيه، أم محرم، أو مجرد أدب؟ على ثلاثة أوجه، الأصح الأشهر أنه مكروه، قال: واتفقوا على أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم في ذلك، فيقال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته وأتباعه» لأن السلف لم يمنعوا منه، وقد أمرنا به في التشهد وغيره. اهـ.

وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤٦/١١، في حكم الصلاة على الأنبياء من المؤمنين: اختلف فيه، فقيل: لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصة، وحكي عن مالك، قال: وقالت طائفة: لا تجوز مطلقاً استقلالاً، وتجوز تبعاً فيما ورد فيه النص أو الحق به، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْمَعُوا دُكَّةَ الْكُفَرِ لَتَبْغِضُنَّكُمْ كُذَّابٌ بِهِمْ كَبُرَ مَا بَسَّ﴾ قال: ولأنه لما علمهم السلام قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ولما علمهم الصلاة قصر ذلك عليه وعلى أهل بيته. قال: وهذا القول اختاره القرطبي في «المفهم» وأبو المعالي من الحنابلة، قال: وقالت طائفة: تجوز تبعاً مطلقاً، ولا تجوز استقلالاً، قال: وهذا قول =

«سلام على آذراسين» وقد بينّا مذهبه في أن إلياس هو إدريس. فإن قيل: كيف قال: «إدراسين» وإنما الواحد إدريس، والمجموع إدريسي، لا إدراش ولا إدراسي؟ فالجواب: أنه يجوز أن يكون لغة، كإبراهيم وإبراهام، ومثله: قَدْزِي وَمِنْ نَضْرِ الْحَبِيبِينَ قَدْزِي<sup>(١)</sup>

وقرأ أبي بن كعب، وأبو نعيم: «سلام على ياسين» بحذف الهزة واللام<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْيَهُودُ﴾ إِذْ بَيَّنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعُونَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفَدَيْنِ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦٣﴾ وَلَكِنْ لَنُثَرِّقَهُنَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴿١٦٤﴾ وَنَالِي أَفْلًا تَقُولُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ بَيَّنَّتْهُ﴾ إذا هاتنا لا يتعلق بما قبله، لأنه لم يُرْسَلْ إِذْ نُحْيِي، ولكنه يتعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد إذ نجّيناه<sup>(٣)</sup>. وقد تقدم تفسير ما بعد هذا [الشعر: ١٧١] إلى قوله: ﴿وَلَكِنْ لَنُثَرِّقَهُنَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ هذا خطاب لأهل مكة، كانوا إذا ذهبوا إلى الشام وجازوا، مروا على قرى قوم لوط صباحاً ومساءً، ﴿أَفَلَا تَقُولُونَ﴾ فتعجبون؟

﴿وَلَا يُؤْمِنُ الْيَهُودُ﴾ إِذْ بَيَّنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعُونَ ﴿١٦١﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٦٢﴾ فَالْقَعُ أَلْحَقَ بِهِ وَهُوَ يُلِيمُ ﴿١٦٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٦٤﴾ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ يَمْشُونَ ﴿١٦٥﴾ تَبَدَّدَتْ بِالْمَكَّةِ وَهُوَ سَاقِطٌ ﴿١٦٦﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٦٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَنَاتِهِ آلِ يَرْبُوعَ ﴿١٦٨﴾ فَاتَّخَذْنَ مِنْهُنَّ سَتَرٌ لَكُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ بَيَّنَّتْ﴾ قال المبرد: تأويل «أَبَيَّنَّتْ»: تباعد؛ وقال أبو عبيدة: فَرَعَ؛ وقال الزجاج: هرب؛ وقال بعض أهل المعاني: خرج ولم يؤدّن له، فكان بذلك كالهارب من مولاة. قال الزجاج: والفلك: السفينة، والمشحون: المملوء، وساهم بمعنى [قارع]، «مِنَ الْمُدْحَضِينَ»: أي: المغلوبين؛ قال ابن قتية: يقال: أَدْحَضَ الله حَجَّتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالها [فزالته]، وأصل الدَحَض: الرُّقَى.

### الإشارة إلى قصته

قد شرحنا بعض قصته في آخر (يونس) وفي [الأنبياء: ٨٦] على قدر ما تحتمله الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله. قال عبد الله بن مسعود: لما وعد يونس قومه بالعذاب بعد ثلاث، جأروا إلى الله ﷻ واستغفروا، فكف عنهم العذاب، فانطلق مغاضباً حتى انتهى إلى قوم في سفينة، فعرفوه فحملوه، فلما رَكِبَ السفينة وَقَفَتْ، فقال: ما لسفيتكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكنّي أدري، فيها عبد أبى من ربّه، وإنها والله لا تسير حتى تُلْقَوْه، فقالوا: أمّا أنت يا نبيّ الله فوالله لا نُثْقِيقُ، قال: فاقترعوا، فمن قرع فَلْبِقْع، فاقترعوا، ففرع يونس، فأبَوْا أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ الْوُقُوعِ، فعادوا إلى

أبي حنيفة وجماة، قال: وقالت طائفة: تكره استغلالاً لا تبعاً، قال: وهي رواية عن أحمد، قال: وقال النووي: هو خلاف الأولى، قال: وقالت طائفة: تجوز مطلقاً، قال: وهو مقتضى صريح البخاري، فإنه صلّى بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسَلْ عَلَيْهِمْ﴾، ثم علّق الحديث الدال على الجواز مطلقاً، وعطبه بالحديث الدال على الجواز تبعاً، ثم قال الحافظ ابن حجر: وقال ابن القيم: المختار أن يصلّي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ وآله وذريّته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرداً في بعض الأحيان من غير أن يتخذ شعاراً، لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ يقول ذلك لهم وهم من أدّى زكاته إلا نادراً. اهـ.

(١) الرجز لحمد الأرقط كما في «الصحاح» و«اللسان»: قند، و«القرطبي» ١١٨/١٥.

(٢) قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حنفنا قراءة من قرأه ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ بكسر ألفها، على مثال «إدراسين» لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبياً أن أنبياءه صلوات الله عليهم في هذه السورة، بأن عليه سلاماً، لا على آله، فذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إلياس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك، ثم قال: فإن ظن طان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غشّي عن الزيادة فيه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط ﷺ أنه بعث إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلّهم بأنواع من العقوبات وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة قيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها سبيل مقيم يمرّ بها المسافرين ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَنُثَرِّقَهُنَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٢٤/١٢٥ أي: أفلا تعجبون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟

(٤) قال ابن جرير الطبري: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم إذ أبى إلى الفلك المشحون. اهـ.

الْقُرْعَة حَتَّى قَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَاتٍ. وَقَالَ طَاوُوسُ: إِنَّ صَاحِبَ السَّفِينَةِ هُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّمَا يَمْنُهَا أَنْ تَسِيرَ أَنْ فَيَكُم رَجُلًا مَشْهُومًا، فَاقْتَرَعُوا لِنَلْقَى أَحَدَنَا، فَاقْتَرَعُوا، فَقَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَاتٍ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَكُلَّ اللَّهُ بِهِ حَوْتًا، فَلَمَّا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ التَّقْمَةُ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَضُرَّهُ وَلَا يَكْلِمَهُ، وَسَارَتِ السَّفِينَةُ حَيْثُئِذٍ. وَمَعْنَى التَّقْمَةِ: ابْتَلَعَهُ. ﴿وَقَوْ مُلِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ: أَيُّ: مُذْنِبٌ، يُقَالُ: أَلَامَ الرَّجُلُ: إِذَا أَتَى ذَنْبًا يُلَامُ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

[تَعُدُّ مَعَاذِرًا لَا عُذْرَ فِيهَا] وَمَنْ يَخْذُلُ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَتْ مِنَ الْمَرْسُوحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنَ الْمُضْلِينَ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. والثاني: مِنَ الْعَابِدِينَ، قاله مجاهد، ووهب بن منبه. والثالث: قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنْهُ مِنْ الْغَالِيِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قاله الحسن. وروى عمران القلقان عن الحسن قال: والله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ فعلى هذا القول، يكون تسيخه في بطن الحوت. وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدم له قبل التقام الحوت إياه من التسيخ، ﴿لَكِنَّتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله تعالى بذلك<sup>(٤)</sup>. وفي قدر مكثه في بطن الحوت خمسة أقوال: أحدها: أربعون يوماً، قاله أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي. والثاني: سبعة أيام، قاله سعيد بن جبيرة، وعطاء. والثالث: ثلاثة أيام، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: عشرون يوماً، قاله الضحاك. والخامس: بعض يوم، التقمه ضحى، ونبذ قبل غروب الشمس، قاله الشعبي<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ قال ابن قتيبة: أَي: أَلْقَيْنَاهُ ﴿وَالْعَمَلُ﴾ وهي الأرض التي لا يُتَوَارَى فيها بشجر ولا غيره، وكأنه مِنْ عَرِي الشَّيْءِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْ سَقِيرٌ﴾ أَي: مريض؛ قال ابن مسعود: كهية الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش. وقال سعيد بن جبيرة: أوحى الله تعالى إلى الحوت أن ألقه في البر، فألقاه لا شعر عليه ولا جلد ولا ظفر.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْبَسْنَاهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً يَنْ يَقْطُرُ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس: هو القرع، وقد قال أمية بن أبي الصلت قبل الإسلام: فَأَلْبَسَتْ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ

مِنْ اللَّهِ نَزَلَا اللَّهُ أَلْفَيْ سَاحِبًا<sup>(٦)</sup>

قال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطين، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان: إذا أقام، فهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض، فلذلك قيل له: يقطين. قال ابن مسعود: كان يستظل بها ويصيب منها فيستبكي عليها، فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرة أن ييسر، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟! قال يزيد بن عبد الله بن قسيط: قَيْضُ [الله] له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشياً فيشرب من لبنها حتى نبت لحمه. فإن قيل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها؟ فالجواب: أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا، وجلده قد ذاب، فأدنى شيء يمر به يؤذيه، وفي ورق اليقطين خاصية، وهو أنه إذا ترك على شيء، لم يقربه ذباب، فأنبته الله ليغطيها ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَاقَةِ آلِ يَاقَةَ آلَيْهِ﴾ اختلَفوا، هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إياه، أم بعد ذلك؟ على قولين: أحدهما: أنها كانت بعد نبذ الحوت إياه، على ما ذكرنا في [يونس: ٩٨]، وهو مروي عن ابن عباس. والثاني:

(١) البيت لام حمير بن سلمى الحنفي، وهو في «غريب القرآن» ٤٢٢، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لوم.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ﴾ يعني يونس «كَانَ» مِنَ الْمُضْلِينَ لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿لَكِنَّتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: لبقي في بطنه إلى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوباً، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء فأنقذه ونجّاه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير، بعد أن ذكر هذه الأقوال: والله أعلم بمقدار ذلك. اهـ.

(٤) البيت في «الطبري» ١٠٣/٢٣، و«مجمع البيان» ٨٤/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٧٥/٧.

(٥) قال ابن كثير: وذكر بعضهم في القرع فوائد: منها سرعة نياه، وتلطيل ورقه لكبره ونعمته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بله وقشره أيضاً، قال: وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب اللبأ ويتبعه من حواشي الصفحة. اهـ.

أنها كانت قبل التقام الحوت له، وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصح. والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف، فلما خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسل إليهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «بل» قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: أنها بمعنى الواو، قاله ابن قتيبة. وقد قرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «ويزيدون» من غير ألف. والثالث: أنها على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رأيتم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون. وفي زيادتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا مائة ألف يزيدون عشرين ألفاً، رواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً. والثالث: مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً، رواه عن ابن عباس. والرابع: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيد بن جبير، ونوف.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتُوا﴾ في وقت إيمانهم قولان: أحدهما: عند معاينة العذاب. والثاني: حين أرسل إليهم يونس ﴿فَتَقْتُلُوهُمْ إِنْ يَحْيَى﴾ إلى منتهى آجالهم.

﴿فَاسْتَفْتُوا أَرْبَكَ الْبَنَاتِ وَلَهُنَّ الْبُتُورُ﴾ ١٠٠ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٠١ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ لَدُنْهُمْ يُقُولُونَ﴾ ١٠٢ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكُذُوبٌ﴾ ١٠٣ ﴿أَسْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٠٤ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٠٥ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٠٦ ﴿لَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ١٠٧ ﴿فَأَنَّا بِكَيْدِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ سَادِقِينَ﴾ ١٠٨ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِمَةٍ سَبًّا وَقَدْ عَلِمْتُمُ الْإِثْمَ﴾ ١٠٩ ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ١١٠ ﴿سَبَّحَنَ اللَّهُ عَنَّا يَاسُودَ﴾ ١١١ ﴿لَا عِبَادَ لِلَّهِ الْمُتَحَلِّينَ﴾ ١١٢ ﴿وَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَبِعُكُمْ﴾ ١١٣ ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَعَّاتِينَ﴾ ١١٤ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ سَالٍ لِمَجْمُوعٍ﴾ ١١٥

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتُوا﴾ أي: سل أهل مكة سؤال توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله. ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ أي: حاضرون. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ لَدُنْهُمْ﴾ أي: كذبهم ﴿يُقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ﴾ حين زعموا أن الملائكة بناته.

قوله تعالى: ﴿أَسْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ قال الفراء: هذا استفهام فيه توبيخ لهم، وقد تطرح ألف الاستفهام من التوبيخ، ومثله: ﴿أَذَقْتُمْ مُلْكَكُمْ﴾ [الاحقاف: ٢٠]، وأذعبتهم بها ولا يستفهم، ومعناها واحد. وقرأ أبو هريرة، وابن المسيب، والزهري، وابن جمار عن نافع، وأبو جعفر، وشيبة: «وانهم لكاذبون اضطفي» بالوصل غير مهموز ولا ممدود؛ قال أبو علي: وهو على [وجه] الخبر، كأنه قال: اضطفي البنات على البنين كما يقولون، كقوله: ﴿ذَقَّ إِنَّكَ أَتَى الْمَرْيُومَ الْكَرِيمَ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٠٥ ﴿لَهُ بِالْبَنَاتِ وَلَا نَفْسِكُمْ بِالْبَنِينَ؟﴾ ١٠٦ ﴿لَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ١٠٧ ﴿أَي: حُجَّةٌ [بَيِّنَةٌ] عَلَى مَا تَقُولُونَ، ﴿فَأَنَّا بِكَيْدِكُمْ﴾ الذي فيه حجتكم. ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِمَةٍ سَبًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: هو إبليس أخوان، رواه العوفي عن ابن عباس؛ قال الماوردي: وهو قول الزنادقة والذين يقولون: الخير من الله، والشر من إبليس. والثاني: أن كفار قريش قالوا: الملائكة بنات الله، والجنة صنف من الملائكة يقال لهم: الجنة، قاله مجاهد. والثالث: أن اليهود قالت: إن الله تعالى تزوج إلى الجن فخرجت من بينهم الملائكة، قاله قتادة، وابن السائب. فخرج في معنى الجنة قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. والثاني: الجن. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْإِثْمَ﴾ أي: علمت الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إن هؤلاء المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الثاني، وعلى الثاني، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْإِثْمَ﴾ أي: إن الجن أنفسهم لَمُحْضَرُونَ الحساب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُتَحَلِّينَ﴾ ١١٢ يعني الموحدون. وفيما استثنوا منه قولان: أحدهما: أنهم استثنوا من حضور النار، قاله مقاتل. والثاني: مما يصف أولئك، وهو معنى قول ابن السائب.

(١) قال ابن كثير: قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً، أمر بالتزود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم. اهـ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٠٤/٢٣، والترمذي ١٥٥/٢ وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢١٩/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي بن كعب ؓ. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الاحضار في هذه السورة إنما عُنِيَ به الاحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾ من دون الله، ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبُدون ﴿يَقِينِينَ﴾ أي: بمُضِلِّينَ أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَنِّيمِ﴾ أي: مَنْ سبق له في عِلْمِ الله أنه يدخل النار.

﴿وَمَا يَكُنْ إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٨٠﴾

ثم أخبر عن الملائكة بقوله: ﴿وَمَا يَكُنْ﴾ والمعنى: ما مِنَّا مَلَكٌ ﴿إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أي: مكان في السموات مخصوص يعبد الله فيه، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ قال قتادة: صفوف في السماء. وقال السدي: هو الصلاة. وقال ابن السائب: صفوفهم في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: المُصَلُّون. والثاني: المنزهون لله عَنِ السُّوءِ. وكان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه وقال: يا أيها الناس استوتوا، فإنما يريد الله بكم هَذي الملائكة، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ. ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين، فقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ اللام في «يَقُولُونَ» لام توكيد؛ والمعنى: وقد كان كفار قريش يقولون قبل بعثة النبي ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مثل كتب الأولين، وهم اليهود والنصارى، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُسَلِّينَ﴾ أي: لأخلصنا العبادة لله ﷻ. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ فيه اختصار، تقديره: فلَمَّا أَنَاهُمْ ما طلبوا، كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم، وهذا تهديد لهم. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ أي: تقدَّم وَعَدُنَا للمُرسَلِينَ بنصرهم. والكلمة قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِيكُنَا أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّهُمْ لَمُ الْمَصْرُورُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ بالحقَّة، ﴿وَلَقَدْ جُنُكُنَا﴾ يعني حزبنا المؤمنين ﴿لَمُ الْقَلِيلُونَ﴾ بالحقَّة أيضاً والظفر. ﴿فَنَزَّلْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّى جِيءَ﴾ أي: حتى تنقضي مُدَّةُ إِمهالهم. وقال مجاهد: حتى نأمرَك بالقتال؛ فعلى هذا، الآية مُحْكَمَةٌ. وقال في رواية: حتى الموت؛ وكذلك قال قتادة. وقال ابن زيد: حتى القيامة؛ فعل هذا، يتطرق نسخها. وقال مقاتل بن حيان: نسخها آية القتال.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ﴾ أي: انظر إليهم إذا نزل العذاب. قال مقاتل بن سليمان: هو العذاب ببدر؛ وقيل: أبصر حالهم بقلبك ﴿فَسَوْفَ يَصِيرُونَ﴾ ما أنكروا، وكانوا يستعجلون بالعذاب تكذيباً به، فقول: ﴿أَفَعَلْنَا بِمَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ ١٩ ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا﴾ يعني العذاب. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا﴾ برفع النون وكسر الزاي وتشديدها ﴿وَسَاحِرِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وناحيتهم. والساحة: فناء الدار. قال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم، فيقولون: نزل بك العذاب ويساحتك. قال الزجاج: فكان عذاب هؤلاء القتل ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: بُسْ صَبَاحُ الَّذِينَ أَنْذَرُوا العذاب<sup>(٢)</sup>. ثم كرَّر ما تقدم توكيداً لوعده بالعذاب، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَنْهُمْ﴾... الآيةتين. ثم نَرَّه نفسه عن قولهم بقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ﴾ قال مقاتل: يعني عَزَّةٌ مَنْ يتعزَّر من ملوك الدنيا.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: من اتِّخَاذِ النساء والأولاد. ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: تسليَّمه عليهم إكراماً لهم. والثاني: إخباره بسلامتهم. ﴿وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك المُشْرِكِينَ ونُصْرَةِ الأنبياء والمرسلين<sup>(٣)</sup>.

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٣٧١/١ عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «فَعَلْنَا عَلَى النَّاسِ ثَلَاثًا: جَعَلْنَا صَفُوفًا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا، وَجَعَلْنَا ثَرْتَهَا لَنَا طَهْرًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ».

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: فبُسْ ما يصبحون، أي: بُسْ الصبح صباحهم، قال: ولهذا ثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك ؓ قال: صَبَّحَ رسول الله ﷺ خير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورواوا الجيش رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ. والحمد لله ربِّ الثقلين الجني والإنس خالصاً دون ما سواه، لأن كل نعمة لعباده، فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمته عناهم، بل كُلُّها من قِبَلِهِ ومن عنده. اهـ.

## سورة ص

ويقال لها: سورة داود، وهي مَكِّيَّة [كُلُّهَا] بإجماعهم

فأما سبب نزول أولها، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن قريشاً شَكَّوا رسولَ الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عمّ، إنما أريد منهم كلمة تَدُلُّ لهم بها العرب وتؤدّي إليهم الجزية بها العجم»، قال: كلمة؟ قال: «كلمة واحدة»، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ فنزلت فيهم: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ لِّثَمَلٍ﴾<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ بِلِ اللَّيْلِ كَرُّوا فِي عِزِّ وَشَقَاقٍ ﴿١﴾ كَرَّ أَهْلُكَ مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ فَأَدَاؤُا وَلَآتٍ بَيْنَ مَنَاسٍ ﴿٢﴾

واختلفوا في معنى «ص» على سبعة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى: صَدَقَ محمدٌ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: صَدَقَ الله، قاله الضحاك. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: معناه: صادق فيما وَعَدَ. وقال الزجاج: معناه: الصادقُ الله تعالى. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به، قاله قتادة. والخامس: أنه اسم حَيَّةٍ رأسها تحت العرش ودُنْبُهَا تحت الأرض السفلى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: أظنه عن عكرمة. والسادس: أنه بمعنى: حَادِثُ القرآن، أي: انظر فيه، قاله الحسن، وهذا على قراءة من كسروا، منهم ابن عباس، [وَالْحَسَنُ]، وابن أبي عبيدة. قال ابن جرير: فيكون المعنى: صَادٍ بِعَمَلِكَ الْقُرْآنَ<sup>(٣)</sup>، أي: عَارِضُهُ. وقيل: عَارِضُهُ على عملك<sup>(٢)</sup>، فانظر أين هو [منه]. والسابع: أنه بمعنى: صَادَ محمدٌ قُلُوبَ الْخَلْقِ واستمالها حتى آمَنُوا به وأَحَبُّوا، حكاه الثعلبي<sup>(٣)</sup>، وهذا على قراءة من فتح، وهي قراءة أبي رجاء، وأبي الجوزاء، وحמיד، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة «صَادَ» بتسكين الدال، لأنها من حروف التَّهَجِّي. وقد فُرِثَ بالفتح وبالكسر؛ فمن فتحها، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين. والثاني: على معنى: أَتْلُ «صَادَ»، ويكون [صَادَ] اسماً للسورة لا يتصرف؛ ومن كسر، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين أيضاً. والثاني: على معنى: صَادَ القرآن بعملك، من قولك: صَادَى يُصَادِي: إذا قَابَلَ وعَادَلَ، يقال: صَادَيْتُهُ: إذا قَابَلْتَهُ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ في المراد بالذِّكْر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرْفُ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي. والثاني: البيان، قاله قتادة. والثالث: التذكير، قاله الضحاك<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: أين جواب القسم بقوله: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ﴾

(١) روله أحمد، والترمذي ١٥٥/٢ عن ابن عباس، وقال الترمذي: هنا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه ٤٣٢/٢ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الطبري ١٢٥/٢٣، والواحدي: ٢٠٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٩٥/٥، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس.

(٢) في الأصل: صَادَ بعملك القرآن، ولعله سهو من الناسخ، وقد كتب على الصواب بعد قليل، وما أثبتاه من «الطبري» وكتب التفسير «واللسان»: صدي. تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور في التعليق الذي في أول سورة (العنكبوت) وغيرها بما أغنى عن إعادته هاهنا، وقد تكلم المصنف على ذلك في أول سورة (البقرة).

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قُرْآنُ الأمصار مستغنية فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات، فَيُفَرِّقُونَ إعراب الأسماء والأدوات والأصوات، فَيُسَكِّنُ بِهِمْ مسالكهم، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بيانها فيما مضى. اهـ.

(٤) رجح الطبري القول الثالث، وهو أنه بمعنى التذكير، قال: لأن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿بِلِ اللَّيْلِ كَرُّوا فِي عِزِّ وَشَقَاقٍ﴾ ﴿١﴾ فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذِكْراً لعباده ذَكَّرَهم به، وأن التَكْثِيرَ من الإيمان به في عِزِّ وَشَقَاقٍ. اهـ. وقال ابن كثير: إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتدبَّر وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم يتنوع به الكافرون، لأنهم ﴿بِلِ عِزِّ﴾ أي: استكبار عنه وحمية ﴿وَبِشَقَاقٍ﴾ أي: ومخالفة له ومعاندة ومفارقة. اهـ.

وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ فَعِنْدَهُ خَمْسَةٌ أُجُوبَةٌ: أحدها: «أَنْ «صَرَ» جواب لفيوله: «وَالْقُرْآنَ»، فـ «صَرَ» في معناها، كقولك: وَجِبَ والله، نَزَلَ والله، حَقَّ والله، قاله الفراء، وتعلب. والثاني: أَنْ جواب «صَرَ» قوله: ﴿كَرَّ أَهْلُكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾، ومعناه: لَكُمْ، فلَمَّا طَالَ الكلام، حُدِثَ اللام، ومثله: ﴿وَالشَّيْرَ وَصَحَّهَا ۝﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشعر: ١ و٩]، فَإِنَّ المعنى: لقد أَفْلَحَ، غير أنه لَمَّا اعترض بينهما كلام، تبعه قوله: «قَدْ أَفْلَحَ»، حكاية الفراء، وتعلب أيضاً. والثالث: أنه قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ﴾ [ص: ١٤]، حكاية الأخفش. والرابع: أنه قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ۝﴾ [ص: ٦٤]، قاله الكسائي، وقال الفراء: لا نجده مستقيماً في العربية، لِتَأْخُرَهُ جَدًّا عَنْ قَوْلِهِ: «وَالْقُرْآنَ». والخامس: أَنْ جوابه محذوف، تقديره: وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ الْكُفَّارُ، ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَيُشَاقِقُونَ ۝﴾، ذكره جماعة من المفسرين، وإلى نحوه ذهب قتادة<sup>(١)</sup>. والجزء: الْحَبِيَّةُ والتكثير عن الْحَقِّ. وقرأ عمرو بن العاص، وأبو رزين، وابن يعمر، وعاصم الجحدري، ومحبوب عن أبي عمرو: «فِي غِرَّةٍ» بغين معجمة وراء غير معجمة. والشقاق: الْخِلَافُ والعداوة لرسول الله ﷺ، وقد سبق بيان الكلمتين مشروحاً [البقرة: ١٣٨، ٢٠٦]. ثم خَوَّفَهُمْ بقوله: ﴿كَرَّ أَهْلُكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾ يعني الأمم الخالية «فَتَذَرُوا» عند وقوع الهلاك بهم. وفي هذا النداء قولان: أحدهما: أنه الدُّعَاءُ. والثاني: الاستغاثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحِينَ﴾ وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «وَلَا تَحِينَ» بفتح التاء ورفع النون. قال ابن عباس: ليس حين يرويه فرار. وقال عطاء: في لغة أهل اليمن «لَا تَحِينَ» بمعنى «ليس». وقال وهب بن منبه: هي بالسريانية. وقال الفراء: «لَا تَحِينَ» بمعنى «ليس»، والمعنى: ليس بحين فرار. ومن القراء من يَخْفَضُ «لَا تَحِينَ»، والوجه النُصْبُ، لأنها في معنى «ليس»، أنشدني المفضل:

تَذَكَّرْتُ حُبَّ لَيْلَى لَا تَحِينَ ۝ وَأَضْحَى السَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا<sup>(٢)</sup>

قال ابن الأنباري: كان الفراء والكسائي والخليل وسيبويه والأخفش وأبو عبيدة يذهبون إلى أن التاء في قوله: «وَلَا تَحِينَ» منقطعة من «حين»، قال: وقال أبو عبيدة: الوقف عندي على هذا الحرف «ولا»، والابتداء «تحين» لثلاث حُجَج: إحداهن: أن تفسير ابن عباس يشهد لها، لأنه قال: ليس حين يَرَوْهُ فرار؛ فقد عَلِمَ أَنَّ «ليس» هي أخت «لا» وفي معناه. والحجة الثانية: أَنَّا لَا نَجِدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ «وَلَا تَحِينَ»، إنما المعروفة «لا». والحجة الثالثة: أن هذه التاء، إنما وجدناها تلحق مع «حين» ومع «الآن» ومع «أوآن»، فيقولون: كان هذا تحين كان ذلك، وكذلك: «تأوآن»، ويقال: اذهب تَلَاَنَ، ومنه قول أبي وجزة السعدي:

الْعَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ ۝ الْمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمٍ<sup>(٣)</sup>

وذكر ابن قتيبة عن ابن الأعرابي أن معنى هذا البيت: «العاطفونة» بالهاء، ثم تبدى: «حين» ما مِنْ عَاطِفٍ؛ قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن الهاء إنما تُقَحَّمُ عَلَى التَّوْنِ فِي مَوَاضِعِ الْقَطْعِ وَالسُّكُونِ، فَأَمَّا مَعَ الْإِتِّصَالِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُوْجُودٍ. وقال علي بن أحمد التيسابوري: النحويون يقولون في قوله: «وَلَا تَحِينَ»: هي «لا» زيدت فيها التاء، كما قالوا: تُمُّ وَتُمْتُ، وَرُبَّ وَرُبْتُ، وَأَصْلُهَا هَاءٌ وَصَلَتْ بِ«لا»، فقالوا: «لا»، فلَمَّا وَصَلَتْهَا، جعلوها تاءً؛ والوقف عليها بالتاء عند الزجاء، وأبي علي، وعند الكسائي بالهاء، وعند أبي عبيد الوقف على «لا»<sup>(٤)</sup>. فأما المَنَاصُ، فهو الفرار. قال الفراء: التَّوَصُّصُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأَخُّرُ وَالتَّوَصُّصُ: التَّقَدُّمُ، قال امرؤ القيس:

(١) وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره».

(٢) البيت في «الطبري» ١٢٢/٢٣، و«مجمع البيان» ٩٥/٢٣، و«القرطبي» ١٤٧/١٥.

(٣) البيت في «مشكل القرآن» ٤٠٤، و«الطبري» ١٢٣/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: حين.

(٤) قال ابن كثير: وهذه الكلمة، وهي «لَا تَحِينَ» هي «لا» التي للفتي زيدت معها التاء كما تزداد في «ثم» فيقولون: «ثمت» و«رب» فيقولون: «ربت» - وهي مفصولة (بمعنى كلمة «لا»)، والوقف عليها، قال: ومنهم من حكى عن المصنف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بـ «حين» «ولا تحين مناص» قال: والمشهور الأول، قال: ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس الحين حين مناص. اهـ.



أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقْصُرُ عَنْهَا عَظُوءٌ وَتَبُوصُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: التناص، مصدر ناص يتوص، وهو المنجى والفوز.

﴿وَيَعْبُرُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُذِذٌ مِنْهُمْ﴾ قَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَكُنْهُ عَجَابٌ﴾ ﴿وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ أَنْ أَمْسُوا وَاسْمِعُوا عَلَى عَالِيكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُنْهُ سِرَادٌ﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْآلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخِلَتْ ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٌ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿أَمْ لَهُمْ ثُلُكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَنْقُذُوا فِي الْأَنْصَابِ﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُرُوا﴾ يعني الكفار ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُذِذٌ مِنْهُمْ﴾ يعني رسولا من أنفسهم يُذِيرُهُم النَّارَ. ﴿أَجْمَلُ الْآلَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لانه دعاهم إلى الله وحده وأبطل عبادة آلهتهم؛ وهذا قولهم لما اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وهي «لا إله إلا الله»، فقاموا يقولون: «أَجْمَلُ الْآلَةِ إِلَهًا وَاحِدًا»، ونزلت هذه الآية فيهم<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الذي] يقول محمد من أن الآلهة إله واحد ﴿لَكُنْهُ عَجَابٌ﴾ أي: لأمر عَجَبٌ. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن السميع: «عَجَابٌ» بتشديد الجيم. قال اللغويون: العُجَاب والعُجَاب والعُجَاب بمعنى واحد، كما تقول: كَبِيرٌ وَكُبَارٌ وَكُبَارٌ، وَكَبِيرٌ وَكُرَامٌ وَكُرَامٌ، وَطَوِيلٌ وَطَوَالٌ وَطَوَالٌ؛ وأنشد الفراء:

جَاؤُوا بِصُنْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ أَزْهَقِي الْعَيْنِينَ طَوَالِ الذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

قال قتادة: عجب المشركون أن دُعي الله وَحْدَهُ، وقالوا: أَيْسَمُحُ لِجَاحَتَانِ جَمِيعاً إِلَهُ وَاحِداً؟!

قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: لما اجتمع أشرف قريش عند أبي طالب وشكوا إليه رسول الله ﷺ على ما سبق بيانه، نفروا من قول: «لا إله إلا الله»، وخرجوا من عند أبي طالب، فذلك قوله: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾. والانطلاق: الذَّهَابُ بسهولة، ومنه طَلَاةُ الْوَجْهِ. والملا: أشرف قريش. فخرجوا يقول بعضهم لبعض: «أَمْشُوا». و﴿أَنْ﴾ بمعنى «أي»؛ فالمعنى: أي: امشوا. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: انطلقوا بأن امشوا، أي: انطلقوا بهذا القول. وقال بعضهم: المعنى: انطلقوا يقولون: امشوا إلى أبي طالب فاشكوا إليه ابن أخيه، ﴿وَأَسْمِعُوا عَلَى عَالِيكُمْ﴾ أي: اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لَكُنْهُ سِرَادٌ﴾ أي: لأمر يُرَادُ بِتَا. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي جاء به محمد من التوحيد ﴿فِي الْآلَةِ الْآخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: النصرانية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، وبه قال محمد بن كعب القرظي، ومقاتل. والثاني: أنها ملَّة قريش، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثالث: اليهودية والنصرانية، قاله الفراء، والزجاج؛ والمعنى أن اليهود أشركت بغيري، والنصارى قالت: ثالث ثلاثة، فهذا أنكرت التوحيد. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جاء به محمد ﷺ ﴿إِلَّا أَنْخِلَتْ﴾ أي: كذب. ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ يعنون القرآن. «عليه» يعنون رسول الله ﷺ، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف خُصَّ بهذا دوننا وليس بأعلانا نسباً ولا أعظمتنا شرفاً؟! قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي: من القرآن؛ والمعنى أنهم ليسوا على يقين مما يقولون، إنما هم شاكون ﴿بَلْ لَمَّا﴾ قال مقاتل: «لَمَّا» بمعنى «لم» كقوله: ﴿وَلَمَّا يَخْلُ الْإِنْسُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقال غيره: هذا تهديد لهم؛ والمعنى أنه لو نزل بهم العذاب، علموا أن ما قاله محمد حق. وأثبت ياء ﴿عَذَابٌ﴾ في الحالين يعقوب. قال الزجاج: ولما دلَّ قولهم: ﴿أَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ على حسدهم له، أعلم الله ﷻ أن المُلْك والرسالة إليه، فقال: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾؟! قال المفسرون: ومعنى الآية: بأيديهم مفاتيح النبوة فيضعونها حيث

(١) «ديوانه» ١٧٧، و«غريب القرآن» ٣٧٦، و«الطبري» ١٢٠/٢٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٢٧/١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: بوص.

(٢) تقدم تخريج الحديث في أول السورة حيث ذكر المصنف هناك سبب نزول هذه الآيات من أول السورة إلى هنا، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤١: «وروى الترمذي والنسائي وابن حبان وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم، من طريق يحيى بن عمار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؓ قال: مرض أبو طالب فجاهته قريش وجاء النبي ﷺ... الحديث.

(٣) البيت في «مجمع البيان» ٩٤/٢٣.

شاؤوا؟! والمعنى: ليست بأيديهم، ولا مُلْكُ السموات والأرض لهم، فإن ادَّعَوْا شيئاً من ذلك ﴿فَلْيَرْتَوْا فِي الْآسَبِ﴾ قال سعيد بن جبيرة: أي: في أبواب السماء. وقال الزجاج: فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ﴾ أي: هُمُ جُنْدٌ. والجُنْد: الأتباع، فكانه قال: هُمُ أتباعٌ مقلدون ليس فيهم عالمٌ راشد. و﴿مَّا﴾ زائدة، و﴿مُنَالِكُ﴾ إشارة إلى بدر. والأحزاب: جميع مَنْ تقدَّمهم من الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء. قال قتادة: أخبر الله نبيّه وهو بمكة أنه سيَهْزِمُ جُنْدَ المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

﴿كَذَّبَ قَلْبُهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ١١ ﴿وَتَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَآصْحَابَ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ١٢ ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ ١٣ ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ١٤

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ قَلْبُهُمْ قَوْمَ نُوحٍ﴾ ١١ قال أبو عبيدة: قَوْمٌ من العرب يؤثِّنون «القوم»، وقوم يذكرون، فإن احْتَجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وقع المعنى على العشيرة، واحتجُّوا بقوله: ﴿لَا إِنَّا نَذْكُرُ﴾ ١٢ [عبس: ١١]، قالوا: والمُضْمَرُ مذكَّرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كان يعذِّبُ الناس بأربعة أوتاد يَشُدُّهم فيها، ثُمَّ يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشُدُّه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وكذلك قال الحسن، ومجاهد: كان يعذِّبُ الناس بأوتاد يوثقها في أيديهم وأرجلهم. والثاني: أنه ذو البناء المُحْكَم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاک، والقرطبي، واختاره ابن قتيبة، قال: والعرب تقول: هُمُ في عزٍّ ثابتٍ الأوتاد، ومثلُك ثابتٍ الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا، أن البيت [من بيوتهم] يثبت بأوتاد، قال الأسود بن يَغْفَرُ:

ولقد عَنُوا فيها بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ  
في ظلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ<sup>(١)</sup>

والثالث: أن المراد بالأوتاد: الجنود، رواه عطية عن ابن عباس، وذلك أنهم كانوا يَشُدُّون مُلْكَه وَيُقَوُّونَ أمره كما يقوِّي الوَتْدَ الشَّيْءَ. والرابع: أنه كان يبني مَنَاراً يذبح عليها الناس. والخامس: أنه كان له أربع أسطوانات، فيأخذ الرَّجُلَ فيمُدُّ كُلَّ قَائِمَةٍ إلى أسطوانة فيعذِّبه، روي القولان عن سعيد بن جبيرة. والسادس: أنه كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعبُ له عليها، قاله عطاء، وقاتدة<sup>(٢)</sup>. ولما ذكر المَكْذِبِينَ، قال: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش من هؤلاء، وقد عذِّبوا وأهلكوا، ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾<sup>(٣)</sup>، أثبت الباء في الحاليين يعقوب. ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله مقاتل. والثاني: النفخة الأخيرة، قاله ابن السائب<sup>(٤)</sup>. وفي الفَوَاقِ قراءتان: قرأ حمزة، وخلف، والكسائي: بضم الفاء. وقرأ الباقون:

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حلَّ بهم من العذاب والثكال والنفقات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال: وقد تقدمت قصصهم بسوطة في أماكن متعددة. اهـ.

(٢) البيت في «غريب القرآن» ٣٧٧، و«البحر المحيط» ٣٨٦/٧، و«القرطبي» ١١٥/١٥، و«المفضليات» ٢١٧. ومعنى «عَنُوا»: أقاموا، يقال: عَنَيْنَا بمكان كذا وكذا.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غَنِيَّ بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما لَلْعَبِّ كان يُلْعَبُ له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد (وتمود وقوم لوط) قود ذكرنا أخبار كلِّ هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا، قال: ﴿وَآصْحَابَ لَيْكَةِ﴾ يعني: وأصحاب النيفضة. اهـ.

(٤) في الأصل: فكيف كان عقاب، ولعل المصنف رحمه الله اشتبهت عليه هذه الآية بآية سورة [الرعد: ٣٢]. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزِّبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوِّكٌ بهم سبيلهم ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ يقول: ما كلُّ هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ أي: كانوا أكثر منكم، وأشدَّ قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لَمَّا جاء أمر ربك، قال: ولهذا قال ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ ففعل علَّةً إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشدَّ الحذر. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وهذه الصيحة، هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ﷻ. اهـ.

بفتحها. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو معنى قول الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: والمعنى: ما لها من راحة ولا إفاقة، وأصله من الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهيمة أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العبادة قُدْرُ فُوقِ نَاقَةٍ»<sup>(١)</sup>. ومن يفتح الفاء، فهي لغة جيدة عالية. وقال ابن قتيبة: الفُوق والفُوق واحد، وهو أن تُحَلَبِ النَاقَةُ وتُتْرَكَ ساعةً حتى تُنْزَلَ شيئاً من اللبن، ثم تُحَلَبِ، فما بين الحَلْبَيْنِ فُوق، فاستعير الفُوق في موضع المكث والانتظار. وقال الزجاج: الفُوق: ما بين حَلْبَتِي النَاقَةِ، وهو مشتق من الرُجُوع، لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحَلْبَتَيْنِ، يقال: أفاق من مرضه، أي: رَجَعَ إلى الصَّحَّةِ. والثاني: أن مَنْ فتحها، أراد: ما لها مِنْ راحة، ومن ضَمَّها، أراد: فُوقِ النَاقَةِ، قاله أبو عبيدة. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما لها من رجعة، ثم فيه قولان: أحدهما: مالها من ترداد، قاله ابن عباس، والمعنى أن تلك الصيحة لا تُكَرَّرُ. والثاني: ما لها من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدوا إلى الدنيا. والثالث: ما لهم منها من إفاقة، بل تُهْلِكُهم، قاله ابن زيد. والرابع: ما لها من راحة، حكاية جماعة من المفسرين.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup> أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرَ عَذَابَكَ كَادُودًا الْآخِرَ إِنَّهُمْ أَوَّلُ ﴿٣﴾ إِنَّا سَخَرْنَا لِحَبَالِ مَعْمُ يُبَيِّنُ بِالْقِسِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٤﴾ وَالطَّيْرِ حَشْرَةً كُلٌّ لَهُمْ أَوَّلٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ مَلَكْنَا أَلْحَكَمَةَ وَفَصَّلَ لِلطَّيْرِ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنه لما ذُكِرَ لهم ما في الجنة، قالوا هذا، قاله سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أنه لما نزل قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَ بَيَّسَتْ...﴾<sup>(٣)</sup> الآيات [المائدة: ١٩-٢٧]، قالت قريش: زعمت يا محمد أننا نؤتي كتبنا بشمالنا؟! فعجل لنا فُلْتَنَا، يقولون ذلك تكديباً له، قاله أبو العالية، ومقاتل<sup>(٤)</sup>. وفي المراد بالقِطُّ أربعة أقوال: أحدها: أنه الصحيفة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: القِطُّ في كلام العرب: الصُّكُّ، وقال أبو عبيدة: القِطُّ: الكتاب، والقِطُوط: الكتب بالجواز، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أن القِطُّ: الحساب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه القضاء، قاله عطاء الخراساني، والمعنى أنهم لما وُعِدُوا بالقضاء بينهم، سألوا ذلك. والرابع: أنه النصيب، قاله سعيد بن جبير<sup>(٥)</sup>. [قال الزجاج: القِطُّ: النصيب، وأصله: الصحيفة يُكْتَبُ للإنسان<sup>(٦)</sup> فيها شيء يَصِلُ إليه، واشتقاقه من قَطَطْتُ، أي: قَطَعْتُ، فالنصيب: هو القطعة من الشيء. ثم في هذا القول للمفسرين قولان: أحدهما: أنهم سألوه نصيبهم من الجنة، قاله سعيد بن جبير]. والثاني: سألوه نصيبهم من العذاب، قاله قتادة. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً، لتكذيبهم بالقيامة. ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾<sup>(٧)</sup> أي: من تكذيبهم وأذاهم؛ وفي هذا قولان: أحدهما: أنه أمير بالصبر، سلوكاً لطريق أولي العزم، وهذا مُحْكَم. والثاني: أنه منسوخ بآية السيف فيما زعم الكلبي.

(١) هذا الحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس بن مالك ﷺ بلفظ: «العبادة فُوقِ نَاقَةٍ» ولم يتكلم عليه الحافظ المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير بشيء، بل قال: ورواه عنه التلمذي بلا سند. اهـ.

(٢) ذكر هذين القولين الطبرسي في مجمع البيان كما هما هنا بدون سند، وكذلك ذكر هذا المعنى البيهقي والخازن بدون سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صحتهم بخطوطهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاءً بوعيد الله، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن القِطُّ هو ما وصفت من الكتب بالجواز والحطوط، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فكان معلوماً بذلك أن سألهم ما سألوا النبي ﷺ، لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم، لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً وكان فيه لُزُومُ الله ﷻ، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿عَجَلْنَا لَكَ فَلْتَنَا﴾ بيان أي القِطُوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معني به القِطُوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا: إن منسوخهم كانت بما ذكرت من خطوطهم من الخير والشر. اهـ.

(٤) في الأصل: الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ في وجه المناسبة بين قوله: «اصبر» وبين قوله: «واذكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ» قولان أحدهما: أنه أمر أن يتقوى على الصبر بذكر قوة داود على العبادة والطاعة. والثاني: أن المعنى: عرفهم أن الأنبياء مع طاعتهم - كانوا خائفين مني، هذا داود مع قوته على العبادة، لم يزل باكياً مستغفراً، فكيف حالهم مع أفعالهم؟! فاما قوله: ﴿فَإِنَّ الْآيَةَ﴾ فقال ابن عباس: هي القوة في العبادة. وفي «الصحاح» من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ»<sup>(١)</sup>. وفي الأواب أقوال قد ذكرناها في (بني إسرائيل: ٢٥). ﴿لَنَا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ قد ذكرنا تسبيح الجبال معه في (الأنبياء: ٧٩)، وذكرنا معنى العشي في مواضع مما تقدم (آل عمران: ٤١)، الأنعام: ٥٣، وذكرنا معنى الإشراق في (الحجر: ٧٣) عند قوله: ﴿ثُمَّ رَفَعْنَاكَ﴾. قال الزجاج: الإشراق: طلوع الشمس [واضاعتها]. وروي عن ابن عباس أنه قال: طَلَبْتُ صَلَاةَ الضُّحَى، فلم أجدها إلا في هذا الآية. وقد ذكرنا عنه أن صلاة الضحى مذكورة في (النور: ٣٦) في قوله: ﴿بِالْفَلَدِ وَالْأَصَالِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبيدة: «وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تسبح الله معه ﴿كُلُّ لَهْرٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى داود، أي: كلُّ لداود ﴿وَأَبٌ﴾ أي: رجّاع إلى طاعته وأمره، والمعنى: كلُّ له مُطِيع بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور. والثاني: [أنها] ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كلُّ مسبح لله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا مَلَكَهُ﴾ أي: قوينا. وفي ما شُدَّ به مُلْكُهُ قولان: أحدهما: أنه الحرس والجنود؛ قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه هَبَّيْ أَلْفَيْتَ له في قلوب الناس؛ وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُ أَلْحَمَّةً﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفهم، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: الصواب، قاله مجاهد. والثالث: السنّة، قاله قتادة. والرابع: النبوة، قاله السدي. وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: علّم القضاء والعدل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: بيان الكلام، روي عن ابن عباس أيضاً. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود. والثالث: قوله «أما بعد»، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري، والشعبي. والرابع: تكليف المدعي البيّنة، والمدعي عليه اليمين، قاله شريح، وقاتدة؛ وهو قول حسن، لأن الخصومة إنما تُفصل بهذا.

﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبَاُ الْخَصَمِ إِذْ سَرَوْا الْحَرَابَ﴾<sup>(١١)</sup> إِذْ سَلُّوا عَلَى دَاوُدَ فَنَجَّاهُ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَاتَّكَمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُلْطِفْ وَأَعِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الْأَصْرَابِ<sup>(١٢)</sup> إِنَّ هَذَا أَجَى لَمْ يَسَعْ رَهْمُونَ تَجَمَّهَ وَلَى تَجَمَّهَ وَاجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلِيْنَا وَعَزَى فِي الْخِلَابِ<sup>(١٣)</sup> قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِنَّكَ يَخْلُجُ وَإِنَّ كَيْدَ بَيْنَ الْفُلُكَلِ لَيَبِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ دَامَتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقِيلَ مَا هُمْ وَعَلَى دَاوُدَ أَمَّا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ<sup>(١٤)</sup> فَفَعَّرْنَا لَمْ ذَلِكَ وَإِنَّ لَمْ عِنْدَنَا لَزَلَّةً وَحُسْنَ مَكَاِبِ<sup>(١٥)</sup> يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاتَّقِ الْهَوَى فَعِيلَكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَبُّوا يَوْمَ الْحِسَابِ<sup>(١٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبَاُ الْخَصَمِ﴾ قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاك فاستمع له نقضض عليك. واختلف العلماء في السبب الذي امتحن لأجله داود عليه السلام بما امتحن به على خمسة أقوال: أحدها: أنه قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وِدِدْتَ أَتَىكَ أعطيتني مثله، فقال الله تعالى: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم؟ قال: نعم، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة، فأراد أن يأخذها فطارت، فذهب ليأخذها، فرأى امرأة تغتسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال السدي<sup>(١٧)</sup>. والثاني: أنه ما

(١) رواه البخاري في (صحيحه) ١٤/٣، ومسلم ٨١٦/٢ باختلاف يسير في الفاظه، والحديث رواه أيضاً أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) رواه الطبري من رواية العوفي عن ابن عباس ١٤٦/٢٣ والعوفي ضعيف، ورواه عن السدي بنحو ١٤٧/٢٣.

زال يجتهد في العبادة حتى برَزَ له قرناؤه من الملائكة وكانوا يصلُّون معه ويُسعدونه بالبكاء، فلما استأنس بهم، قال: أخبروني بأي شيء أنتم موكلون؟ قالوا: ما نكتب عليك ذنباً، بل نكتب صالح عملك ونثبتك ونوفِّقك ونصرف عنك الشؤم، فقال في نفسه: ليت شعري، كيف أكون لو خلّوني ونفسي؛ وتمنّى أن يخلّى بينه وبين نفسه ليعلّم كيف يكون، فأمر الله تعالى قرنائه أن يعتزلوه ليعلّم أنه لا غناء به عن الله ﷻ، فلما فقدهم، جدّ واجتهد ضعفت عبادته إلى أن ظنَّ أنه قد غلب نفسه، فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه، فأرسل إليه طائراً من طيور الجنة، فسقط في محرابه، فقطع صلاته ومدّ يده إليه، فتنحّى عن مكانه، فأثبته بصره، فإذا امرأة أوريا، هذا قول وهب بن منبه<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه تذاكر هو وبني إسرائيل، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيُطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكبَّ على قراءة الزبور، فإذا حمامة من ذهب، فأهوى إليها فطارت، فتبعها فرأى المرأة، رواه مطر عن الحسن<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه قال لبني إسرائيل حين ملك: والله لأغلبنَّ بينكم، ولم يستن، فابتلّى، رواه قتادة عن الحسن. والخامس: أنه أعجبه كثرة عمله، فابتلّى، قاله أبو بكر الوراق<sup>(٣)</sup>.

### الإشارة إلى قصة ابتلائه

قد ذكرنا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي: تصوّر له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لما تبع الحمامة، رأى امرأة في بستان على شطّ بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها، فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظلّه، فنقضت شعرها، فغطى بدنّها، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها، فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة، فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان مَنْ قُدّم على التابوت لا يحلُّ له أن يرجع حتى يُفتَح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففتّح عليه، فكتب إلى داود يخبره، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، ففتّح له، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فقتل في المرأة الثالثة، فلما انقضت عدّة المرأة تزوّجها داود، فهي أم سليمان، فلما دخل بها لم<sup>(٤)</sup> يلبث إلّا يسيراً حتى بعث الله ﷻ ملكين في صورة إنسيين، وقيل: لم يأتهم الملكان حتى جاء منها سليمان وشبّ، ثم أتياه فوجدها في محراب عبادته، فمتعهما الحرس من الدخول إليه، فتسورا المحراب عليه؛ وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين<sup>(٥)</sup>، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن، وقاتدة، والسدي، ومقاتل في آخرين. وذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرّة بعد مرّة إلى أن قُتل، فتزوّجها؛ وروي مثلاً [هذا] عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة. قال المصنّف: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزّهون عنه. وقد اختلف المحقّقون في ذنبه الذي عُوتب عليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه لما هوى بها، قال لزوجها: تحوّل لي عنها، فعُوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفّلينيها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود<sup>(٦)</sup>. وقد حكى أبو سليمان

(١) ذكر الطبري ١٤٩/٢٣ بسند فيه جهالة من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري ١٤٨/٢٣ من رواية مطر عن الحسن، ومطر هو ابن طهمان الوراق، أبو رجاء، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ.

(٣) قال ابن كثير عن تفسير هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه، قال: ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يُردّ علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً. اهـ. وخبر يزيد الرقاشي، ذكره بطوله الطبري في «تفسيره» من رواية ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو خبر لا يصح سنده كما قال الحافظ ابن كثير.

(٤) في الأصل: فلم.

(٥) وقد رأيت قول ابن كثير قبل قليل: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه.

(٦) «الطبري» ١٤٤/٢٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن رواية ابن جرير عن ابن مسعود.

الدمشقي أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غزاته، فأدناه وأكرمه جدًّا، إلى أن قال له يوماً: أنزل لي عن امرأتك؛ وانظر أي امرأة شئت في بني إسرائيل أزوجهك، أو أي امرأة شئت أبتاعها لك، فقال: لا أريد بامرأتي بديلاً؛ فلما لم يُجبه إلى ما سأل، أمره أن يرجع إلى غزاته. والثاني: أنه تمتى تلك المرأة حلاًلاً، وحدثت نفسه بذلك، فاتفق غزو أوريا وهلاكه من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلما بلغه قتله، لم يَجْزَعْ عليه كما جزع على غيره من جُنْدِه، ثم تزوج امرأته، فغوتب على ذلك. وذنوب الأنبياء ﷺ وإن صغرَتْ، فهي عظيمة عند الله ﷻ. والثالث: أنه لما وقع بصره عليها، أشبع النَّظْرَ إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه<sup>(١)</sup>. والرابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا قد خطبها، فتزوجها، فاغتم أوريا، وعاتب الله تعالى داود إذ لم يتركها لخطبها الأول؛ واختار القاضي أبو يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله: ﴿وَعَزَّيْ فِي الْخِطَابِ﴾، قال: فدلَّ هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدَّم تزوج الآخر، فغوتب داود ﷺ لشئني ينبغي للأنبياء التَّزْهُّ عَنهما، أحدهما: خطبته على خطبته غيره، والثاني: إظهار الجزص على التزويج مع كثرة نسائه، ولم يعتقد ذلك معصية، فعاتبه الله تعالى عليها؛ قال: فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة فهويها وقَدَّم زَوْجَهَا للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: إنما قال: «الْخَصْمُ» بلفظ الواحد، وقال: «تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» بلفظ الجماعة، لأن قولك: خصم، يَصْلُحُ للواحد والاثنتين والجماعة والذكر والأنثى، تقول: هذا خصم، وهي خصم، وهما خصم، وهم خصم؛ وإنما يصلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول: خَصَمْتُهُ أَخْصِمُهُ خَصْماً. والمحراب هاهنا كالغرفة، قال الشاعر:

رَيْثُ مِخْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا      لَمْ أَلْقَها أَوْ أَرْتَقِي سُلْماً<sup>(٣)</sup>

و«تَسَوَّرُوا» يدل على علو. قال المفسرون: كانا ملكين، وقيل: هما جبريل وميكائيل ﷺ، أتياه لينبئاه على التوبة. وإنما قال: «تَسَوَّرُوا» وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، والاثنان فما فوقهما جماعة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ قال الفراء: يجوز أن يكون معنى «تَسَوَّرُوا»: دَخَلُوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أن تكون «إِذ» بمعنى «لَمَّا»، فيكون المعنى: إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ لَمَّا دَخَلُوا، وَلَمَّا تَسَوَّرُوا إِذْ دَخَلُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَعَ مِنْهُمْ﴾ وذلك أنهما أتيا على غير صفة مجيء الخصوم، وفي غير وقت الحكومة، ودخلا تَسَوَّرًا من غير إذن<sup>(٤)</sup>. وقال أبو الأحوص: دَخَلَا عليه وكُلُّ واحد منهما أَخَذَ برأس صاحبه. و«خَصَمَانِ» مرفوع بإضمار «نَحْنُ»، قال ابن الأنباري: [المعنى]: نحن كخصمين، ومثُلُ خصمين، فسقطت الكاف، وقام الخصمان مقامهما، كما تقول العرب: عبد الله القمرُ حُسناً، وهم يريدون: مثل القمر، قالت هند بنت عتبة ترثي أباهما وعمَّها:

(١) وكذلك يتره عن مثل هذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال المصنف قبل قليل.

(٢) قال القاضي عياض في «الشفاء»: وأما قصة داود ﷺ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون على أهل الكتاب الذين بَقِلُوا وغَيِّرُوا، ونقله بعض المفسرين، قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، قال: والذي نص الله عليه قوله: ﴿وَكَلَّ دَاوُدُ أَمَّا قَتْنُهُ فَاسْتَقَرَّ بِهِ بِرُكْبَةٍ وَأَنَابَ﴾ وقوله فيه: ﴿أَنَابَ﴾، بمعنى (نشأ) أي: اختبرناه، و(أَوَّاب) قال قتادة: مطيع، قال: وهذا التفسير أولى، قال: قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد على أن قال للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأكفلتها، فعاتبه الله على ذلك وتبَّه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا. ثم قال: وإلى نفي ما أخيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر، وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال: قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. اهـ. وقال الخازن في «تفسيره»: اعلم أن من خصه الله بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، واثمته على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأئمة ذلك. اهـ. قال الخازن: وقال الإمام فخر الدين الرازي: حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، قال: وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بمعاقل أن يظن بدَّوْدَ ﷺ هذا. اهـ. وقال القاضي البضاوي: وما قيل: أنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها (بني امرأته)، هراء واقتراء. اهـ.

(٣) البيت لرواح اليمن: وهو في «مجاز القرآن» ١/١٤٤، و«الأغاني» ٦/٢٣٧، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: حرب. وقد سبق البيت صفحة ١٩١.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَنَزَعَ مِنْهُمْ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشمر إلا بشخصين، قد تسَوَّرَا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. اهـ.

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْـ  
أَسَدَيْنِ فِي عِيْلِ يَجِيدُ الـ  
صَفْرَيْنِ لَا يَتَذَلَّلَا  
رُفَحَيْنِ خَطْبَيْنِ فِي

مُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَأَاهُمَا  
مَقْدُومَ عَن غُرَاهُمَا  
نِ وَلَا يُبَاحُ حِمَاهُمَا  
كَبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهُمَا<sup>(١)</sup>

أرادت: ويثل أسدين، ومثل صقرين، فأسقطت مثلاً وأقامت الذي بعده مقامه، ثم صرف الله ﷻ النون والألف في «بتضناً» إلى «نحن» المضمر، كما تقول العرب: نحن قوم شرف أبونا، ونحن قوم شرف أبوهم، والمعنى واحد. والحق هاهنا: العدل. «وَلَا تَشْطَطُ» أي: لا تتجر، يقال: شَطَّ وأَشْطَطَ: إذا جار. وقرأ ابن أبي عبله: «وَلَا تَشْطَطُ» بفتح التاء وضم الطاء. قال الفراء: وبعض العرب يقول: شَطَطْتُ عَلَيَّ فِي السَّوْمِ، وأكثر الكلام «أشططت» بالألف، وشَطَطْتُ الدَّارُ: تباعدت.

قوله تعالى: «وَأَمَّا إِنَّا لَكَا لَصَرِيحًا» أي: إلى قصد الطريق<sup>(٢)</sup>؛ والمعنى: أحملنا على الحق. فقال داود: تَكَلَّمَا، فقال أحدهما: «إِنَّ هَذَا أَخِي» قال ابن الأنباري: المعنى: قال أحد الخصمين اللذين شبه الملكان بهما: إن هذا أخي، فأضمر القول لوضوح معناه «لَمْ يَتَّعْ وَتَعَوَّنَ نَجَّةً» قال الزجاج: كُني عن المرأة بالنَّعْجَةِ. وقال غيره: العرب تشبه النساء بالنعاج، وتورِّي عنها بالشاء والبق. قال ابن قتيبة: ورى عن ذكر النساء بذكر النعاج، كما قال عترة:

يَا شَاءَ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ

حَرُمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمَ<sup>(٣)</sup>

يعرض بجارية، يقول: أي صيد أنت لِمَنْ حَلَّ له أن يصيدك! فأما أنا، فإن حُرْمَةَ الجوار قد حرمتك علي. وإنما ذَكَرَ الْمَلَكُ هذا العدد لأنه عدد نساء داود.

قوله تعالى: «وَلَيْ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ» فتح الياء حفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. «فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا» قال ابن قتيبة: أي: ضمها إلي واجعلني كافلاً. وقال الزجاج: انزل أنت عنها واجعلني أنا أكفلها.

قوله تعالى: «وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» أي: غلبني في القول. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين [العقيلي]، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبله: «وَعَزَّنِي» بآلف، أي: غَالَبَنِي. قال ابن مسعود، وابن عباس في قوله «وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ»: ما زاد على أن قال: انزل لي عنها. وروى العوفي عن ابن عباس قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بَطَشْتُ وَتَطَشْتُ كان أشد مني. فإن قيل: كيف قال الملكان هذا، وليس شيء منه موجوداً عندهما؟ فالجواب: أن العلماء قالوا: إنما هذا على سبيل المَثَلِ والتشبيه بقصة داود، وتقدير كلامهما: ما تقول إن جاءك خصمان فقللا كذا وكذا؟ وكان داود لا يرى أن عليه تبعاً فيما فعل، فنبهه الله بالملكين. وقال ابن قتيبة: هذا مَثَلٌ ضربه الله [له] ونبيه على خطيئته. وقد ذكرنا آنفاً أن المعنى: نحن كَحَضَمَيْنِ.

قوله تعالى: «قَالَ» يعني داود «لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسَوَالِ تَجِيكَ إِنْ يَسْأَلُوكَ» قال الفراء: أي: بسؤاله نعتجتك، فإذا ألقى الهاء من السؤال، أضفت الفعل إلى النَّعْجَةِ، ومثله: «لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَا الْخَيْرِ» [نصحت: ٤٩]، أي: من دعائه بالخير، فلما ألقى الهاء، أضاف الفعل إلى الخير، وألقى من الخير الباء، وأنشدوا:

فَلَسْتُ مُسْلِماً مَا دُمْتُ حَيًّا

عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ<sup>(٤)</sup>

أي: بتسليم على الأمير.

(١) الأبيات في «شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام» ١٣٠، و«الأغاني» «ثقافة» ٢١٢/٤. حَسَّ، من باب نصر، كَأَخَسَّ، وأصل «راهما»: وآهما، فخفضت فيه الهمزة.

(٢) أي: بحيث لا تميل عن الحق أصلاً.

(٣) البيت من معلقته، وهو في «ديوانه» ١٥٢، و«مشكل القرآن» ٢٠٦، و«العمدة» ٢٨١/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٨/١، و«شرح شواهد المغني» ٢٥٢.

(٤) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ١٠٠، وانظر خبر الأعرابي قائل البيت لمعن بن زائدة في «بحر الأداب» ٢٩٣/٣.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَمِيطُ﴾ أي: لِيَضُمَّهَا إِلَى نَعَاجِهِ. قال ابن قتيبة: المعنى: بسؤال نعتك مضمومة إلى نعاجه، فاختصر. قال: ويقال «إلى» بمعنى «مع». فإن قيل: كيف حكم داود قبل أن يسمع كلام الآخر؟ فالجواب: أن الخصم الآخر اعترف، فحكم عليه باعترافه، وحذف ذكر الاعتراف اكتفاء بفهم السامع، والعرب تقول: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال، أي: فاتجرت فكسبت، ويذلل عليه قول السدي: إن داود قال للخصم الآخر: ما تقول؟ قال: نعم، أريد أن أخذها منه فأكمل بها نعاجي وهو كاره، قال: إذا لا ندعك، وإن رُمْتُ هذا ضرئنا منك هذا - ويشير إلى أنفه وجهته - فقال: أنت يا داود أحق أن يضرب هذا منك حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا إلا واحدة، فنظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الشركاء، واحدهم: خليط، وهو المخالط في المال وإنما قال هذا، لأنه ظنهما شريكين، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فإنهم لا يظلمون أحداً، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» زائدة، والمعنى: وقليل هم، وقيل: المعنى: هم قليل، يعني الصالحين الذين لا يظلمون.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَاوُدَ﴾ أي: أيقن وعلم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: اختبرناه. والثاني: ابتليناه بما جرى له من نظره إلى المرأة وافتتانه بها<sup>(١)</sup>. وقرأ عمر بن الخطاب: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتشديد التاء والنون جميعاً. وقرأ أنس بن مالك، وأبو رزين، والجنس، وقتادة، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتخفيف التاء والنون جميعاً، يعني المَلَكِينَ، قال أبو علي الفارسي: يريد: صمداً له. وفي سبب علمه وتنبهه على ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المَلَكِينَ أوصحاه بذلك، على ما ذكرناه عن السدي. والثاني: أنهما عرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فعلم أنه غني بذلك، قاله وهب. والثالث: أنه لما حكم بينهما، نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك، ثم صعدا إلى السماء وهو ينظر، فعلم أن الله تعالى ابتلاه بذلك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ رَّبِّي﴾ قال المفسرون: لما فطن داود بذنبه خرّ راکعاً، قال ابن عباس: أي: ساجداً، وعبر عن السجود بالركوع، لأنهما بمعنى الانحناء. وقال بعضهم: المعنى: فخر بعد أن كان راکعاً.

## فصل

واختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود؟ على قولين: أحدهما: ليست من عزائم السجود، قاله الشافعي. والثاني: أنها من عزائم السجود، قاله أبو حنيفة. وعن أحمد روايتان<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: بقي في سجوده أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلا لوقت صلاة مكتوبة أو حاجة لا بد منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكلت الأرض من جبينه، ونبت العُشْبُ من دموعه، ويقول في سجوده: ربّ داود، زَلْ داود زَلَّةً أبعد ممّا بين المشرق والمغرب. قال مجاهد: نبت البقل من دموعه حتى غطى رأسه، ثم نادى: ربّ قريح الجبين وجمّدت العين وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجاج فتقطع، أم مريض فتشفى، أم مظلوم فينتصر لك؟ فتحبّ نحيباً هاج كل شيء نبت، فعند ذلك غفر له<sup>(٣)</sup>. وقال ثابت البناني: اتخذ داود سبع حشايا من شعر وحشاهنّ من الرماد، ثم بكى حتى أنفذها دموعاً، ولم يشرب شرباً إلا ممزوجاً بدموع عينيه<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: نودي: يا داود ارفع رأسك فإننا قد غفّرنا لك، فرفع رأسه وقد زَمِنَ

(١) تقدم القول في مثل هذا لا يليق بالأنبياء ﷺ، والصواب هو القول الأول وهو أنه بمعنى اختبرناه.

(٢) قال ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين، الجديد من مذهب الشافعي ﷺ: أنها ليست من عزائم السجود، بل هي سجدة شكر، قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه قال في السجدة في (ص): ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها، قال: ورواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في «تفسيره» من حديث أيوب به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) ذكر هذا المعنى السيوطي في «الدرر» ٣٠٣/٥ من رواية أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: يونس بن خباب الأسدي الكوفي: صدوق يخطئ ورمي بالرفض. اهـ.

(٤) ذكره السيوطي من رواية أحمد عن ثابت البناني، والله أعلم.

وصار مرعشاً. فأما قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رَجَعَ مِنْ ذَنْبِهِ تَائِباً إِلَى رَبِّهِ، ﴿فَنَفَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ﴾ يعني الذَّنْبَ ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ [قال ابن قتيبة]: أي: تقدّم وقُرْبَة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَنَ مَنَابِ﴾ قال مقاتل: حُسْنُ مَرْجِعٍ، وهو ما أعدَّ الله له في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي بَاعَ آبَاؤُكُمْ﴾ والمعنى: وقلنا له يا داود ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ أي: صَيَّرْنَاكَ ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تُدبِّرُ أَمْرَ الْعِبَادِ مِنْ قِبَلِنَا بِأَمْرِنَا، فكانك خليفة عنا ﴿فَأَنكُمْ بَيْنَ النَّارِ وَالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا تَهْلُ مع ما تشتهي إذا خالف أمر الله ﷻ ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن دينه <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِضُلُونَ﴾ وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوة، وابن يعمر: ﴿يَبِضُلُونَ﴾ بضم الباء.

قوله تعالى: ﴿يَا سَوَادُ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بما تَرَكُوا الْعَمَلَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ، قاله السدي. قال الزجاج: لما تركوا العمل لذلك اليوم، صاروا بمنزلة الناسين. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تَرَكُوا الْقَضَاءَ بِالْعَدْلِ، وهو قول عكرمة <sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكٌ لِيَذْبَحُوا بِآيَتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أَوَّلًا الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عَبَثًا ﴿ذَلِكُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك خُلِقَ لِغَيْرِ شَيْءٍ، وإنما خُلِقَ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إِنَّا نَغْطِي فِي الْآخِرَةِ مَثَلًا مَا نَغْطُونَ، فنزلت هذه الآية <sup>(٣)</sup>. وقال ابن السائب: نزلت في الستة الذين تبارزوا يوم بدر، عليٌّ ؑ، وحمزة ؑ، وعبيدة بن الحارث ؑ، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة <sup>(٤)</sup>، فذكر أولئك بالفساد في الأرض لِعَمَلِهِمْ فِيهَا بِالْمَعَاصِي، وسَمَّى الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُتَّقِينَ لِاتَّقَاهُمْ الشَّرَّ، وَحُكْمُ الْآيَةِ عَامٌ.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن، وقد بيَّنا معنى بَرَكَتِهِ في سورة [الأنعام: ٩٢]. ﴿لِيَذْبَحُوا بِآيَتِهِ﴾ وقرأ عاصم في رواية: ﴿لِيَذْبَحُوا آيَاتِهِ﴾ بالثاء خفيفة الدال، أي: ليشتكروا فيها فيقرر عندهم صحتها ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾ بما فيه من المواعظ ﴿أَوَّلًا الْأَلْبَابِ﴾، وقد سبق بيان هذا [الرعد: ١٩] <sup>(٥)</sup>.

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الصَّبْرِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمَصْنُوعَتُ لِلْبَيَادِ ﴿٢٠﴾ فَكَأَلِ إِنَّهُ أَحَبَّتْ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ حَتَّى فَوَارَتْ بِالْحِسَابِ ﴿٢١﴾ رَدُّهَا عَلَى طَلْقِهَا مَسَاحًا بِالشَّوْقِ وَالْأَعْيَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ عَلَى كَرَمِيَّتِهِ جَدًّا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبْسِي لِي خَدًّا مِنْ بَدْوٍ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٤﴾ فَصَرَّخْنَا لَهُ الَّتِي نَحْنُ بِهَا بِرَبِّهِ وَأَمَرُوهُ بِرَحْمَةٍ حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٥﴾ وَالصَّيْلِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٢٦﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٧﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَانْقَبْ وَاتَّخِذْ بِمَقَرٍّ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٢٩﴾ وَأَذْكُرْ جَدًّا أَوَّابٌ إِذْ تَأَذَّى رَبَّهُ إِلَى مَسَى السَّيْلِ يَبْغُو وَغَدَابَ ﴿٣٠﴾ أَرَكُنَّ بِرَحْمَتِكَ هَذَا مُغْتَلَّابًا بَارِدًا وَشَرَّابًا ﴿٣١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَنْ لَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذُكْرَى لِأَوَّلِي الْأَلْبَابِ ﴿٣٢﴾ وَخَذْ بِيُوكَ صِفْقًا فَاغْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَلِيمًا نِعَمَ الصَّبْرِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٣﴾

(١) قال ابن كثير: هذه وصية من الله ﷻ لولاء الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يبدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، قال: وقد توفد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعد الأكيد والعذاب الشديد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبِضُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ يقول تعالى ذكروه: وإن الذين يميلون عن سبيل الله وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله. اهـ.

(٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي عن مقاتل بدون سند، وكذلك ذكره الخازن والألوسي بدون سند ولم ينسبه لأحد، قال الألوسي: وأنت تعلم أن العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب.

(٤) ذكر سبب النزول هذا السيوطي في [الدرر: ٣٠٨/٥] من رواية ابن عساکر عن ابن عباس ؓ في قوله: ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «الذين آمنوا»: علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، والمفسدين في الأرض: عتبة، وشيبة، والوليد، قال: وهم الذين تبارزوا يوم بدر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَلِيَذْكُرُوا أَوَّلًا الْأَلْبَابِ﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحجج ما في هذا الكتاب من الآيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يَمَّ كَتَبْتُ﴾ يعني به سليمان<sup>(١)</sup>. وفي الأواب أقوال قد تقدمت في [بني إسرائيل: ٢٥] أَلْيَقُهَا بهذا المكان أنه رَجَعَ بالتوبة إلى الله تعالى ممَّا يقع منه من السَّهو والغفلة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ﴾ وهو ما بعد الزَّوال ﴿الْفَيْتَنَتِ﴾ وهي الخيل. وفي معنى الصَّافنات قولان: أحدهما: أنها القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وابن زيد، واختاره الزجاج، وقال: هذا أكثر قيام الخيل إذا وقفت كأنها تراوح بين قوائمه، قال الشاعر:

أَلِفُ الصُّفُونِ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ  
مِمَّا يَقْرُمُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنها القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث، قال الفراء: على هذا رأيت العرب، وأشعارهم تُدُلُّ على أنه القيام خاصة. وقال ابن قتيبة: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَقْرُمَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُونًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>، أي: يُدِيمُونَ القيام له<sup>(٤)</sup>. فأما الجِيَادُ، فهي السَّرَاعُ في الجَرْي. وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عَرَضَهَا لأنه أراد جهاد عدو له، قاله علي بن أبي طالب ﷺ. والثاني: أنها كانت من دواب البحر. قال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة. وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة. وقال ابن زيد: أخرجتها له الشياطين من البحر. والثالث: أنه ورَّثَهَا من أبيه داود ﷺ، فَعَرِضَتْ عليه، قاله وهب بن منبه، ومقاتل. والرابع: أنه غزا جيشاً، فظفر به وغنمها، فدعا بها فَعَرِضَتْ عليه، قاله ابن السائب. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: ثلاثة عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: عشرون ألفاً، قاله سعيد بن مسروق. والثالث: ألف فرس، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: عشرون فرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيم التيمي<sup>(٥)</sup>. قال المفسرون: ولم تزل تُعَرِّضُ عليه إلى أن غابت الشمس، ففاته صلاة العصر، وكان مهيباً لا يثبته أحد بشيء، فلم يذْكُرْهُ، ونسي هو، فلَمَّا غابت الشمسُ ذكر الصلاة، ﴿فَقَالَ إِنَّي أَحْبَبْتُ﴾ فتح الباء<sup>(٦)</sup> أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المال، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والثاني: حُبُّ الخيل، قاله قتادة والسدي. والقولان يرجعان إلى معنى واحد، لأنه أراد بالخير الخيل، وهي مال. وقال الفراء: العرب تسمي الخيل: الخير. قال الزجاج: وقد سَمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْدَ الخيل: زَيْدَ الخير<sup>(٧)</sup>، ومعنى «أَحْبَبْتُ»: آثَرْتُ حُبَّ الْخَيْرِ على ذِكْرِ رَبِّي؛ وكذلك قال غير الزجاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضهم: يحتمل المعنى: فَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ رَبِّي. وقال أبو عبيدة: ومعنى [الكلام]: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبَّ إلى الخير. وقال ابن قتيبة: سَمَّى الْخَيْلَ خَيْرًا، لِمَا فِيهَا مِنْ

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ ابنه ولدًا ﴿يَمَّ كَتَبْتُ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُ أَرَادَ﴾ يقول: إنه رَجَعَ إلى طاعة الله، تَوَابَ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْهُ، وقيل: إنه عَنَى بِهِ أَنَّهُ كَثِيرُ الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ. اهـ. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان، أي نبياً، كما قال ﷺ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر. اهـ.

(٢) البيت في مجمع البيان ١١١/٢٣، والبحر المحيط ٣٨٨/٧، والقرطبي ١٩٣/١٥، وروح المعاني ١٧٢/٢٣، واللسان والتاج صفح.

(٣) لم نره بهذا اللفظ، ورواه الترمذي ١٠٠/٢ من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ بلفظ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وقال: هذا حديث حسن، قال: وفي الباب عن أبي أمامة، ورواه أبو داود رقم (٥٢٢٩). من حديث معاوية بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ورواه أحمد في «المسند» ٩١/٤ بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْتَلِكَ لَهُ عِبَادَ اللَّهِ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وهو حديث صحيح.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ﴾ أي: إِذْ عُرِضَ عَلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَالِ مَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِهِ الْخَيْلَ الصَّافِنَاتِ، قال: قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، قال: والجياد: السراع، قال: وكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٥) ذكر القول الرابع الطبري ١٥٤/٢٣ عن إبراهيم التيمي، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٠٩/٥، وزاد نسبة للربيعي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي ﷺ.

(٦) يعني الباء من كلمة «إني».

(٧) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة زيد الخيل: وقد في سنة تسع، وسماه النبي ﷺ: زيد الخير، قال: وروى ابن شاهين من طريق بشير مولى بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل راكب حتى أتانا، فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع أسالك عن خصلتين، فقال: «ما أسالك؟» قال: أنا زيد الخيل، قال: قبل أنت زيد الخير، سل، قال: أسالك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد... الحديث. قال ابن حجر: وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير (يعني بشير مولى بني هاشم) وضعفه. اهـ. وكان زيد الخيل شاعراً خطيباً شجاعاً كريماً، يكنى أبا مكنف ﷺ.

الخَيْر. والمفسرون على أن المراد بذكر ربه: صلاة العصر، قاله علي، وابن مسعود، وقادة في آخرين. وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة، أم لا! إلا أن اعتراضه الخيل شغلَه عن وقت كان يذكر الله فيه ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال المصنف: وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يجز لها ذكر، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفكر حقَه، لأن في الآية دليلاً على الشمس، وهو قوله: «بالعشي» ومعناه: غرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب، ولا يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر، أو دليل ذكر فيكون بمنزلة الذكر؛ وأما الحجاب، فهو ما يحجبها عن الأبصار<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبُّوكمَا عَلَيَّ﴾ قال المفسرون: لما شغلَه غرض الخيل عليه عن الصلاة، فصلّاها بعد خروج وقتها، اغتمّ وغضب، وقال: «رُدُّوها عَلَيَّ»، يعني: أعيّدوا الخيل عَلَيَّ ﴿تَطْفِقُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أقبل ﴿مَسَكًا﴾ قال الأخفش: أي: يَمْسَحُ مَسْحاً. فأما السُّوقُ، فجمع ساق، مثل دُور ودَار. وهمز السُّوق ابن كثير، قال أبو علي: وغيرُ الهمز أحسن منه. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن محيصن: «بالسُّوق» مثل الرُّؤوس. وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضربها بالسيف. روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿تَطْفِقُ مَسَكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال: «بالسيف»<sup>(٢)</sup>. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: مسح أعناقها وسوقها بالسيف. وقال الحسن، وقادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسوقها، وهذا اختيار السدي، ومقاتل، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حباً لها، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير<sup>(٤)</sup>، والقاضي أبي يعلى. والثالث: أنه كَوَى سَوْقَهَا وأعناقها وجبها في سبيل الله تعالى، حكاه الثعلبي. والمفسرون على القول الأول، وقد اعترضوا [على] القول الثاني، وقالوا: أي مناسبة بين شغلها إِيَّاه عن الصلاة وبين مسح أعرافها حباً لها؟! ولا أعلم قوله: «حباً لها» ثبت عن ابن عباس. وحملوا قول مجاهد «مسحها بيده» أي: تولّى صَرْبَ أعناقها. فإن قيل: فالقول الأول يفسد بأنه لا ذنب للحيوان، فكيف وجه العقوبة إليه وقصد التشقي بقتله، وهذا يشبه فعل الجبارين، لا فعل الأنبياء؟ فالجواب: أنه لم يكن لِيَفْعَلَ ذلك إلا وقد أبيع له، وجائز أن يُباح له ما يُمنع منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكل

(١) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَالَ إِيَّا أَجَبْتُ حَتَّى لَقِيَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، ثم قال ابن كثير: والذي يَقَع به أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، قال: وذلك ثابت في «الصحاحين» من غير وجه، قال: من ذلك حديث جابر ﷺ قال: جاء عمر ﷺ يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها» فقال: قمنا إلى بطحان، فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلّى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. اهـ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٥ من رواية الطبراني في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه عن أبي بن كعب ﷺ. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩٩/٨: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، قال: وبقي رجاله ثقات. اهـ. وقد ضعف سعيد بن بشير الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال البغوي في «تفسيره»: ﴿تَطْفِقُ مَسَكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، قال: هذا قول ابن عباس، والحسن، وقادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين، قال: وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بظن آخر. اهـ. وقال ابن كثير: قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، قال: ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوفه الله ﷻ ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، غفوها شهر ورواحها شهر، قال: فهذا أسرع وخير من الخيل. اهـ. وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن هذا القول: وهذا أولى بسياق الكلام، فإنه ذكر أنه أتوها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر، ثم أمرهم بردها عليه ليعاتب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك، وما صده عن عبادة ربه، وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه. اهـ. وقال آخرون غير هذا، منهم: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري، وسيأتي في التعليق الذي بعد هذا، والله أعلم.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٥٦/٢٣: حشني علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي (يعني ابن أبي طلحة) عن ابن عباس قوله: ﴿تَطْفِقُ مَسَكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حباً لها، قال الطبري: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالمرقة (يعني ضرب أعناقها وعراقيها بالسيف) وبذلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. اهـ.

لحمها جائز، فما وقع تفريط. قال وهب بن منبه: لما ضرب سوقها وأعناقها، شكر الله تعالى له ذلك، فسخر له الرّيح مكانها، وهي أحسن في المنظر، وأسرع في السير، وأعجب في الأخذوثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَتَلْنَا شَيْطَانًا﴾ أي: ابتليناه وامْتَحَنَاهُ بِسَلْبِ مُلْكِهِ ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾ أي: على سريه ﴿جَسَدًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس، والجمهور. وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال. أحدها: صخر، رواه العوفي عن ابن عباس. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مريداً لم يُسخر لسليمان. والثاني: آصف، قاله مجاهد، إلا أنه ليس بالمؤمن الذي عنده الاسم الأعظم، إلا أنّ بعض ناقلي التفسير حكى أنه آصف الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب، وأنه لما قُتِلَ سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبت، فقال آصف: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك، فقام في مقامه، وسار بالسيرة الجميلة، وهذا لا يصح، ولا ذكره مَنْ يوثق به. والثالث: حقيق، قاله السدي؛ والمعنى: أجلسنا على كرسيه في مُلْكِهِ شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رَجَعَ. وفيما رجع إليه قولان: أحدهما: تاب من ذنبيه، قاله قتادة. والثاني: رَجَعَ إلى مُلْكِهِ، قاله الضحّاك. وفي سبب ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال: أحدها: أنه كانت له امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، ففضى بينهم بالحق، إلا أنه ودّ أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تعالى إليه أنه سُمِّيك بلاء، فكان لا يدري آياته من السماء، أو من الأرض، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن زوجته جرادة كانت آثَرُ النساءِ عنده، فقالت له يوماً: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإنّي أحبُّ أن تُقْضِيَ له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي لأجل ما قال، قاله السدي. والثالث: أن زوجته جرادة كان قد سبها في غزاة له، وكانت بنتٌ مُلِكٍ فأسلمت، وكانت تبكي عنده بالليل والنهار، فسألها عن حالها، فقالت: أَذْكَرُ أَبِي؟ وما كنتُ فيه، فلو أنك أَمَرْتَ الشياطينَ فصوروا صورته في داري فأتسلى بها، [ففعل]، فكانت إذا خرج سليمان، تسجد له هي وولادها [أربعين صباحاً، فلما عِلِمَ سليمان، كسر تلك الصورة، وعاقب المرأة وولادها] ثم تضرّع إلى الله تعالى مستغفراً ممّا كان في داره، فسُلِّطَ الشيطانُ على خاتمه، [هذا قول وهب بن منبه. والرابع: أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان، احتجب<sup>(١)</sup> عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي ولم تُنْصِفْ مظلوماً من ظالم؟! فسُلِّطَ الشيطانُ على خاتمه]، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه قاربَ امرأةً من نسائه في الحيض أو غيره، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والقول الثاني: أن المراد بالجسد الذي أُلْقِيَ على كرسيه: أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين، فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد، لم تنفك من البلاء، فسيئلاً أن تنقلَ ولده أو تُخْلِعَ، فعَلِمَ بذلك سليمان، [فأمر السحاب] فحملة، وعدا ابنه في السحاب خوفاً من الشياطين، فعاتبه الله تعالى على تخوُّفه من الشياطين، ومات الولد، فأُلْقِيَ على كرسيه ميتاً جسداً، قاله الشعبي. والمفسرون على القول الأول<sup>(٣)</sup>. ونحن نذكر قصة ابتلائه على قول الجمهور.

(١) في الأصل: احجب.

(٢) قال ابن كثير بعد أن ذكر بعض هذه الروايات في سبب ابتلاء سليمان ﷺ: وهذه كلها من الإسرائيلية، ثم ذكر أن من أنكرها ما رواه ابن أبي حاتم من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وسرد الرواية بطولها بنحو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا في سبب ابتلاء سليمان ﷺ، ولكن بأطول منه. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٤٣: وأما ما يحكى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان ﷺ، فإله أعلم بصحته، ثم قال: وروى النسائي من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإسناده قوي، وكذلك قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣١٠/٥: وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس ﷺ قال: أراد سليمان ﷺ أن يدخل الخلاه فأعطى لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نساءه إليه. وسرد القصة بطولها. قال ابن كثير بعد أن سرد هذا القول بطوله من رواية ابن أبي حاتم: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ﷺ - إن صح عنه - من أهل الكتاب، قال: وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، قال: ولهذا كان في هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله ﷻ منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ، قال: وقد رويت هذه القصة مطوّلة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، قال: وكلها متلفة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ.

(٣) يريد به القول الأول الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: وفيه قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس والجمهور.

### الإشارة إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفية ذهاب خاتم سليمان على قولين: أحدهما: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقع منه في البحر، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أن شياطيناً أخذه، وفي كيفية ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه دخل ذات يوم الحمام ووضع الخاتم تحت فراشه، فجاء الشيطان فأخذه وألقاه في البحر، وجعل الشيطان يقول: أنا نبيُّ الله، قاله سعيد بن المسيّب. والثاني: أن سليمان قال للشيطان: كيف تَقْتِنون النَّاسَ؟ قال: أرني خاتمك أَخْبِرْكَ، فأعطاه إِيَّاه، فنبذه في البحر، فذهب مُلْك سليمان، وقعد الشيطان على كرسيه، قاله مجاهد. والثالث: أنه دخل الحمام، ووضع خاتمته عند أوثق نساءه في نفسه، فاتاها الشيطان فتمثل لها في صورة سليمان وأخذ الخاتم منها، فلَمَّا خرج سليمان، طلبه منها، فقالت: قد دفعته إليك، فهرب سليمان، وجاء الشيطان فجلس على مُلكه، قاله سعيد بن جبیر. والرابع: أنه دخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمته فألقاه الشيطان في البحر، فذهب مُلْك سليمان، وألقي على الشيطان شَيْئُهُ، قاله قتادة. فأَمَّا قِصَّةُ الشيطان، فذكر أكثر المفسرين أنه لَمَّا أخذ الخاتم رمى به في البحر، وألقي عليه شَيْئُهُ سليمان، فجلس على كرسيه، وتحكَّم في سُلْطانه. وقال السدي: لم يُلْقِه في البحر حتى فرَّ من مكان سليمان. وهل كان يأتي [نساء] سليمان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يَقْدِر عليهنَّ، قاله الحسن، وقاتة. والثاني: أنه كان يأتيهنَّ في زمن الحيز، فأَنْكَرَنَّهُ، قاله سعيد بن المسيّب، والأول أصحُّ<sup>(١)</sup>. قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدة، ويحكم بما لا يجوز، فأنكره بنو إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: إِمَّا أَنْ تكونوا قد هَلَكْتُمْ أَنْتُمْ، وإِمَّا أَنْ يكون مَلِكُكُمْ قد هَلَكَ، فاذْهَبُوا إِلَى نِسَائِهِ فَاسْأَلُوهُنَّ، فذهبنَّ، فَقُلْنَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ أَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فلم يزل على حاله إلى أن انقضى زمن البلاء. وفي كَيْفِيَّةِ بَعْدِ الشيطان عن مكان سليمان أربعة أقوال: أحدها: أن سليمان وجد خاتمته فتختم به، ثم جاء فأخذ بناصية الشيطان، قاله سعيد بن المسيّب. والثاني: أن سليمان لَمَّا رَجَعَ إلى مُلكه وجاءته الرِّيح والطَّير والشيَّاطين، فرَّ الشيطان حتى دخل البحر، قاله مجاهد. والثالث: أنه لَمَّا مضى أربعون يوماً، طار الشيطان من مجلسه، قاله وهب. والرابع: أن بني إسرائيل لَمَّا أنكروه، أثروه فأحرقوا به، ثم نَشَرُوا التُّورَةَ فقرأوا، فطار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، قاله السدي. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الآكثرون. والثاني: أربعة عشر يوماً، حكاه الثعلبي. وأما قصة سليمان عليه السلام، فإنه لما سَلَبَ خاتمته، ذهب ملكه، فانطلق هارباً في الأرض. قال مجاهد: كان يَسْتَظْهِمُ فلا يَظْلَمُ، فيقول: لو عَرَفْتُمُونِي أعطيْتُمُونِي، أنا سليمان، فيطردونه، حتى أعطته امرأةً حوتاً، فوجد خاتمته في بطن الحوت. وقال سعيد بن جبیر: انطلق سليمان حتى أتى ساحل البحر، فوجد صيَّادين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتن عليهم بعضه، فاتاهم يَسْتَظْهِمُ، فقالوا: اذهب إلى تلك الحيتان فخذ منها، فقال: لا، أطيْعُمُونِي من هذا، فأبوا عليه، فقال: أطيْعُمُونِي فَإِنِّي سليمان، فوثب إليه رجلٌ منهم فضربه بالعصا غَضَباً لسليمان، فأتى تلك الحيتان فأخذ منها شيئاً، فشَقَّ بطن حوت، فإذا هو بالخاتم. وقال الحسن: ذُكِرَ لي أنه لم يُوْهِ أحدٌ من الناس، ولم يُعْرِفْ أربعين ليلةً، وكان يأوي إلى امرأة مسكينة، فبينما هو يوماً على شَطِّ نهر، وجد سمكة، فأتى بها المرأة فشَقَّتْهَا فإذا بالخاتم. وقال الضحاك: اشترى سمكة من امرأة فشَقَّ بطنها فوجد خاتمته. وفي المدة التي سَلَبَ فيها الملك قولان: أحدهما: أربعون ليلةً، كما ذكرنا عن الحسن. والثاني: خمسون ليلةً، قاله سعيد بن جبیر. قال المفسرون: فلَمَّا جعل الخاتم في يده، ردَّ الله عليه بهاءً ومُلْكاً، فأظْلَمَتِ الطَّيْرُ، وأقبل لا يستقبله جني ولا طائر ولا حجر ولا شجر إلَّا سجد له، حتى انتهى إلى منزله. قال السدي: ثم أرسل إلى الشيطان، فجاء به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقفل، وختم عليه بخاتمته، ثم أمر به فألقي في البحر، فهو فيه إلى أن تقوم الساعة. وقال وهب: جاب<sup>(٢)</sup> صخرةً فأدخله فيها، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم قذفه في البحر.

(١) وقد رأيت قبل قليل كيف قال ابن كثير: فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمه الله عليه السلام منه تشريعاً وتكريماً لنبيه عليه السلام، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السلف، ثم قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ.

(٢) جاب: قطع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ فتح الياء<sup>(١)</sup> نافع، وأبو عمرو. وفيه قولان: أحدهما: لا يكون لأحد بعدي، قاله مقاتل، وأبو عبيدة. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ عَفْرِيئًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَائِرَةٍ مِنْ سُورِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَلَذَكَّرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾، فَرَدَّدْتُهُ خَاسِتًا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي، كما فعل الشيطان الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن، وقتادة<sup>(٣)</sup>. وإنما طلب هذا المُلْك، ليعلم أنه قد عُفِرَ له، ويعرف منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك. ولم يكن في مُلكه حين دعا بهذا الرِّيح ولا الشياطينُ ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾<sup>(٤)</sup> وقرأ أبو الجوزاء، وأبو جعفر، وأبو المتوكل: «الرَّيَّاح» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿رُجَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُطِيعَةٌ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. والثاني: أنها الطَّيِّبَةُ، قاله مجاهد. والثالث: اللَّيْثَةُ، مأخوذ من الرَّخَاوَةِ، قاله اللُّغَوِيُّونَ. فإن قيل: كيف وصفها بهذا بعد أن وصفها في سورة [الأنبياء: ٨١] بأنها عاصفة؟ فالجواب: أن المفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارة ويأمر الرُّخَاءَ أخرى. وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد. قال الأصمعي: تقول العرب: أصاب فلان الصَّوَابَ فأخطأ الجواب، أي: أراد الصَّوَابَ.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْلَيْنِ﴾ أي: وسَحَرْنَا له الشياطينَ ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ يبنون له ما يشاء ﴿وَعَوَّاسٍ﴾ يغوصون له في البحار فيستخرجون الدرَّ<sup>(٥)</sup>، ﴿وَالْآخَرِينَ﴾ أي: وسَحَرْنَا له آخرين، وهم مَرَدَّةُ الشياطين، سَحَرهم له حتى قَرَنَهم في الأصفاد ليكفرهم. قال مقاتل: أوتقهم في الحديد. وقد شرحنا معنى ﴿مَقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ في سورة نبي الله إبراهيم ﷺ [إبراهيم: ٤٩]. ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ المعنى: قُلْنَا له: هذا عطاؤنا. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه جميع ما أعطي، ﴿فَأَنزَلْنَا أَوْ شَيْئًا﴾ أي: أعطى مَنْ شئت من المال، وأمنع مَنْ شئت. والمَنْ: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. والثاني: أنه إشارة

(١) أي: ياء بعدي.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٢٩/٦، ٤٢٠/٨، ومسلم: ٣٨٤/١، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣١٣/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، والنسائي، والحكيم الترمذي في «تواضع الأصول»، وابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقوله: «تَفَلَّتْ عَلَيَّ» أي: تعرَّض لي فلتة، أي: بنته، وقوله: «البارحة» أي: الليلة الخالية الزائلة، قال: والبارح: الزائل، قال: ويقال من بعد الزوال إلى آخر النهار: البارحة، قال: وقوله: «فلذكَّرت دعوة أخي سليمان» أي: قوله: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ قال: وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك، إلا أنه تركه رعاية لسليمان ﷺ، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في هذا القدر فقط، قال: واستدل الخطابى بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم، قال: وأما قوله: ﴿إِنَّهُمْ رَيْنَكُمْ هُوَ وَقِيلَ لَهُمْ مَنْ لِي بِدَائِي﴾ فالمراد: الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، قال: وتُعقَّب بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية، بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا، قال: ولا ينبغي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، قال: ويحتمل العموم، وهو الذي فهمه أكثر العلماء، حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن، أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: قوله: ﴿قَالَ نَبِيُّ أَفْرِزِي لِي وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان راعياً إلى ربه: رب استر عليّ ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك فلا تماقني به ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ لا يسلبني أحد كما سلبني قبل هذه الشيطان. اهـ. وقال ابن كثير: قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي، كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسية، لا أنه يحجر على مَنْ بعده من الناس، قال: والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، قال: وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسحَرْنَا له الرِّيح.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَالْقَيْلَيْنِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَّاسٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وسَحَرْنَا له الشياطين فسُلْطَنَاهُ عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسية منها، يستعملها فيما شاء من أعماله، من بَنَاءٍ وغَوَّاصٍ، فالْبَنَاءَةُ منها يصنعون محارِبٍ وتماثيل، والغَوَّاصَةُ يستخرجون له الحُلِيَّ من البحار، وآخرون ينحتون له جفائاً وتدوراً، والمرتدة في الأغلال مَقْرُونُونَ. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله جل جلاله: ﴿وَالْقَيْلَيْنِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَّاسٍ﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محارِبٍ وتماثيل وجفان كالجواب وقدر ورسايت إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، قال: وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللؤلؤ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها. اهـ.



إلى الشياطين المسحّرين له؛ فالمعنى: فامتنُ على مَنْ شئت بإطلاقه، وأميك مَنْ شئت منهم. وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَحَّبُ﴾ قال الحسن: لا تبعَ عليك في الدنيا ولا في الآخرة. وقال سعيد بن جبيرة: ليس عليك حساب يوم القيامة. وقيل: في الكلام تقليد وتأخير، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامتنُ أو أميك<sup>(١)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [سبا: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣]<sup>(٢)</sup> إلى قوله: ﴿مَسَى الشَّيْطَانُ﴾ وذلك أن الشيطان سلط عليه، فأضاف ما أصابه إليه.

قوله تعالى: ﴿يُتَسَبَّ﴾ قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد؛ وقرأ الحسن، وابن أبي عبيدة، وابن السميع، والجاحدري، ويعقوب: بفتحهما. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما سواء. قال الفراء: هما كالرشد والرشد، والعُدْم والعُدْم، والحُزْن والحُزْن، وكذلك قال ابن قتيبة، والوجاج. قال المفسرون: والمراد بالنصب: الضُّر الذي أصابه. والثاني: أن النصب يتسكين الصاد: الشرُّ، وتحريكها: الإعياء؛ قاله أبو عبيدة. وقرأت عائشة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص: «بُصْب» بضم النون والصاد جميعاً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهبيرة عن حفص: «بُصْب» بفتح النون وسكون الصاد<sup>(٣)</sup>. وفي المراد بالعذاب قولان: أحدهما: أنه العذاب الذي أصاب جسده. والثاني: أنه أخذ ماله وولده.

قوله تعالى: ﴿رَكَضَ﴾ أي: اضرب الأرض ﴿بِرِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومنه: رَكَضْتُ الفرس<sup>(٥)</sup>. فَرَكَضَ فنبعث عَيْنُ ماءٍ، فذلك قوله ﷺ: ﴿هَذَا مَسْئَلٌ بَايَدٌ وَتَرَكٌ﴾. قال ابن قتيبة: الْمُغْتَسَلُ: الماء، وهو الغسل أيضاً. قال الحسن: رَكَضَ بِرِجله فنبعث عَيْنٌ [فاغْتَسَلَ منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم رَكَضَ بِرِجله فنبعث عَيْنٌ] فَشَرِبَ منها؛ وعلى هذا جمهور العلماء أنه رَكَضَ ركضتين فنبعث له عينان، فاغْتَسَلَ من واحدة، وشرب من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاكَ﴾ كان قد حَلَفَ لئن شفاء الله ليجلِدَنَّ زوجته مائة جلدة<sup>(٦)</sup>. وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أن إبليس جلس في طريق زجة أيوب كأنه طيب، فقالت له: يا عبد الله: إن هاهنا إنساناً مهتلياً، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، إن شاء شفيته، على أن يقول إذا برأ: أنت شفيتني، فجاءت فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، لله عليّ إن شفاني أن أجلِدَكَ مائة جلدة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والثاني: أن إبليس لقيها

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبر تعالى أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين قال: ثم قال عز ذكره: هذا الذي أعطيتك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك، عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، ثم قال: والله لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿مَكَأَنَّكَ تَكُنُّ أَوْ أَتَيْكَ يَتَرَحَّبُ﴾ أي: هذا الذي أعطيتك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعطى من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك مهما فعلت، فهو جائر لك، احكم بما شئت فهو صواب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لئله سخر ﷺ: ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أيضاً يا محمد ﷺ: ﴿عَذَابُ الْوَيْلِ إِذْ تَأْتِيكَ رِيحٌ﴾ مستقيماً به فيما نزل به من البلاء يا رب ﷻ مَسَى الشَّيْطَانُ يَتَسَبَّ. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حديثنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك الضم في النون والسكون في الصاد. اهـ.

(٤) قال القاسمي: أي: استجبتنا له وقلنا: اركض بركلك، أي: اعد بها وامش فقد برئت وشفيت من مرضك وقوي جسك وضح بدنك ﴿رَكَضَ بِرِكَ﴾ مَكَأَنَّ بَايَدٌ وَتَرَكٌ، أي: ماء تغتسل به وتشرب منه، قال: والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما. وقال الطبري: فاغْتَسَلَ وشرب، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهبنا له إله من زوجة وولد ﴿وَنُظِّمَ مَعَهُ رَحْمَةً﴾ له ﴿وَرُكِّنَ﴾ يقول: وتذكيراً لأولي المقول ليعتروا بها فيعتظوا. اهـ.

(٥) في «الصحيح» و«اللسان»: ورَكَضْتُ الفرسَ بركلي: إذا استعنته ليعتقو، ثم كثر حتى قيل: رَكَضَ الفرسُ: إذا غدا، وليس بالأصل، والصواب: رَكَضَ الفرسُ، على ما لم يُسم فاعله، فهو مَرَكُوضٌ.

(٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَعَذَّبْنَاكَ بِرِكَ﴾ فَمَا تَرَبَّيْدٌ وَلَا تَحْتَفٌ، وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته - قيل: باعت ضفيريها بغير فاطمته إياه - فلأما على ذلك وحلف إن شفاء الله تعالى ليعسرنها مائة جلدة، وقيل لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاء الله ﷻ وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأنشأ الله ﷻ أن يأخذ ضنناً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برئت يمينه وخرج من حنّته ووفى بنبذته، قال: وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه. اهـ.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرة» ٣١٦/٥ من رواية أحمد في «الزهدة»، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.

فقال: إني أنا الذي فعلت بأبيوب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي، فانطلقني أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلها وولدها ومألها، فأتت أيوب فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله سئمك؟ والله لئن شفاني الله <sup>(١)</sup> لأجلدتك مائة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح لي هذه وقد برأ؛ فأخبرته، فحلفت لأجلدتها، وقد ذكرنا هذا القول في سورة (الأنبياء: ٨٣) عن الحسن. فأما الضعف، فقال الفراء: هو كل ما جمعه من شيء مثل الحزمة الرطبة، قال: وما قام على ساق واستطال ثم جمعته، فهو ضِعْفٌ. وقال ابن قتيبة: هو الحزمة من الخلال والعيذان. قال الزجاج: هو الحزمة من الحشيش والزئحان وما أشبهه. قال المفسرون: جزي الله زوجته بحسن صبرها أن أفاته في ضربها فسهل الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبل، وقيل: كانت أسلاً<sup>(٢)</sup>، وقيل: من الإذخير<sup>(٣)</sup>، وقيل: كانت شماريح، فضربها بها ضربة واحدة ولم يخنث في يمينه. وهل ذلك خاص له، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، [وابن أبي ليلى]. والثاني: أنه خاص لأيوب، قاله مجاهد.

### فصل

وقد اختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك، والليث بن سعد: لا يبرأ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها، فقد برأ، واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ مُسِرًّا﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبراهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْصَارِ﴾ (١) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٢) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٣) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ ثَوَابٍ (٥) حَتَّىٰ عَدَدِ ثَمَنَةِ لَمْ الْأَوْفَىٰ (٦) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِكُمُحَمَّرٍ كَثِيرٍ وَتَرَابٍ (٧) وَعِدْنَاهُمْ قِصْرَ الْفَلَكِ أَزْوَاجٍ (٨) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ (٩) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ (١٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾ وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד، وابن محيصن، وابن كثير: «عبدنا»، إشارة إلى إبراهيم، وجعلوا إسحاق ويعقوب عطفاً عليه، لأنه الأصل وهما ولداه، والمعنى: أذكر صبرهم، فإبراهيم ألقى في النار، وإسحاق أضجع للذبح<sup>(١)</sup>، ويعقوب صبر على ذهاب بصره وابتلى بفقد ولده؛ ولم يذكر إسماعيل معهم، لأنه لم يتبلى كما ابتلوا<sup>(٢)</sup>. ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾ يعني القوة في الطاعة ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ البصائر في الدين والعلم. قال ابن جرير: وذخر الأيدي مثل، وذلك لأن باليد البطش، وبالبطش تعرف قوة القوي، فلذلك قيل للقوي: ذو يدي؛ وعنى بالبصر: بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء. وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «أولي الأيدي» بغير ياء في الحاليين. قال الفراء: ولها وجهان: أحدهما: أن يكون القارئ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياء، وهو صواب، مثل الجوار والمناد. والثاني: أن يكون من القوة والتأييد، من قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ أي: اصطفييناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمفردة من خصال الخير؛ ثم أبان

(١) قال في «المصباح»: الأسئل: شجر، ويقال: كل شجر له شوك طويل فتوكمه أسئل.

(٢) قال في «المصباح»: الإذخر، بكسر الهمزة والخاء: نبات معروف ذكي الريح، وإذا جفأ ابيض.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ مُسِرًّا﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب مسيراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول في معصيته ﴿يَتِمُّنَ اللَّيْلُ لَيْلَةً لَّارْتَا﴾ يقول: إنه إلى طاعة الله مقبل، وإلى رضا رجاء. اهـ.

(٤) هذا على رأي من قال بأن الليث هو إسحاق، وبذلك قال المصنف، وقد رجح ذلك الطبري، وقد تقدم أن الصواب في ذلك أن الذبح إسماعيل عليه السلام، لا إسحاق، وعليه الجمهور.

(٥) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأتباعه العابدين ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبراهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْصَارِ﴾ (١) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع، والقوة في العبادة والبصيرة النافذة. اهـ.

عنها بقوله: ﴿ذَكَرَى الدَّارَ﴾. وفي المراد بالدار هاهنا قولان: أحدهما: الآخرة. والثاني: الجنة. وفي الذكرى قولان: أحدهما: أنها من الذِّكْر، فعلى هذا يكون المعنى: أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذِكر غيرها، قاله مجاهد، وعطاء، والسدي. وكان الفضيل بن عياض رحمه الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب. والثاني: أنها التذكير، فالمعنى أنهم يذكرون الناس إلى الآخرة وإلى عبادة الله تعالى، قاله قتادة. وقرأ نافع: «بخالصة ذِكرى الدَّارِ»، فأضاف «خالصة» إلى «ذِكرى الدَّار» قال أبو علي: تحتل قراءة من نوّن وجهين: أحدهما: أن تكون «ذكرى» بدلاً من «خالصة»، والتقدير: أخلصناهم بذكر الدار، والثاني: أن يكون المعنى: أخلصناهم بأن يذكروا الدَّار بالتأنيب للآخرة والزُّهد في الدنيا. ومن أضاف، فالمعنى: أخلصناهم بإخلاصهم ذِكرى الدَّار بالخوف منها. وقال ابن زيد: أخلصناهم بأفضل ما فيه الجنة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنكَ لَنَاصِرَتَيْنِ﴾ أي: من الذين اتخذهم الله صفوة فصفاهم من الأدناس ﴿الْخَيْرِ﴾ الذين اختارهم. ﴿وَأَذْكُرْهُمْ لِسَمِيلٍ وَالسَّعِ وَكَأَنَّ الْكُفْلَ﴾ أي: اذكُرهم بفضلهم وصبرهم لِمَسَلِكِ طَرِيقِهِمْ. وَأَنبِئْهُمْ نَبِيٍّ، واسمه أعجمي معرب، وقد ذكرناه في [الأنعام: ٨٥]، وشرحنا في سورة [الأنبياء: ٨٥] قصة ذي الكفل، وتكلمنا في [البقرة: ١٢٥] في اسم إسماعيل، وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرف وثناء جميل يذكرون به أبداً ﴿وَأَنَّ لِلشَّيْئِ لَئْسَنَ مَتَابٍ﴾ أي: حُسن مَرْجِع يرجعون إليه في الآخرة. ثم بيّن ذلك المَرْجِع، فقال: ﴿جَنَّتِي عَنِّي مُنْعَمَةٌ لَّمْ أَكُونُ﴾ ﴿٥٦﴾ قال الفراء: إنما رُفعت «الأبواب» لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة، فيقولون: مرتت على رجلٍ حَسَنَ التَّيْنِ، قبيح الأنف، والمعنى: حسنة عينه، قبيح أنفه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْبَيْتِ هِيَ الْكَوَاكِبُ﴾ [النازعات: ٣٩] والمعنى: مأواه. وقال الزجاج: المعنى: مفتحة لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف، لا للبدل. قال ابن جرير: والفائدة في ذِكر تفتيح الأبواب، أن الله ﷻ أخبر عنها أن أبوابها تُفَتَّحُ لهم بغير فتح سُكَّانِهَا لها بيد، ولكن بالأمر، قال الحسن: هي أبواب تكلم، فتكلم: انفتحت، انغلق.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ قُيُودُ الْمَظْهُرِ﴾ قد مضى بيانه في [الصافات: ٤٨]. قال الزجاج: والأتراب: اللواتي أسنأهنَّ واحدةً وهُنَّ في غاية الشباب والمُسن. .

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير بالياء. والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿يُؤْوِي الْمَسَاكِينَ﴾ اللام بمعنى «في». والثَّغَاد. الانقطاع. قال السدي: كلُّما أخذ من رِزْقِ الجنة شيء، عاد مثله.

﴿هَذَا وَرَأَى لِلطَّيْفِ لَرَّ مَتَابٍ﴾ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَكُنُ الْمَهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا قَلْبُهُ وَهُوَ حَيَّةٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْجُحٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا قَرَجٌ مُنْعَمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِلَيْهِمْ صَلَوا النَّارَ، ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنشَرْنَا لَمْ مَرْجَأَ بِكُمْ أَنشَرْنَا قَدْ مَسَّوْهُ لَنَا فَيَكُنُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّ عَلَيْنَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَقْدُمُ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَفَعَذَابُهُمْ شَرٌّ أَمْ لَافَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجَائِمِ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنِّي إِلاَّ أَنَا الْوَيْدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناه ﴿وَأَنَّ لِلطَّيْفِ﴾ يعني للكافرين. ﴿لَرَّ مَتَابٍ﴾ ﴿٢٣﴾، ثم بيّن ذلك

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأ بالتثنية أن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا فاعطوا الله وراقبوه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة، هي التي وعدنا لعباده المطيعين الذين يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هَذَا﴾ الذي وصفت لهؤلاء المتقين، قال: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه ويقبوا فقال: ﴿وَأَنَّ لِلطَّيْفِ﴾ وهم الذين تمردوا على ربهم فقصوا أمرهم مع إحسانه إليهم ﴿لَرَّ مَتَابٍ﴾، يقول: لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا. اهـ.

بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ والمهاد: الفراش. ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ﴾ قال الفراء: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميمٌ وعَسَاقٌ فَلْيَذُقُوهُ؛ وإن شئتَ جعلتَ الحميم مستأنفاً، كأنك قلتَ: هذا فَلْيَذُقُوهُ، ثم قلتَ: منه حميمٌ، ومنه عَسَاقٌ، كقول الشاعر:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي غَلَسٍ      وَغَوِيزَ الْبَقْلِ مَلُويٍّ وَمَخْضُودٍ<sup>(١)</sup>  
فأما الحميم، فهو الماء الحارّ. وأما العَسَاق، ففيه لغتان، قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: بالتشديد، وكذلك في (عم يتساءلون: ٢٥)، تابعهم المفضل في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف. وفي العَسَاق أربعة أقوال: أحدها: الزمهرير، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: العَسَاق لا يستطيعون أن يذوقوه من برده. والثاني: أنه ما يجري من صديد أهل النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطية، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أن العَسَاق: عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيٍّ أَوْ عَرَبٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَسْتَنْقِعُ، فَيُوتِي بِالْأَدَمِيِّ فَيُغَمَسُ فِيهَا غَمَسَةً، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، وَيَجُرُّ لَحْمَهُ جَرًّا الرَّجُلُ ثَوْبَهُ، قاله كعب. والرابع: أنه ما يسيل من دموعهم، قاله السدي. قال أبو عبدة: العَسَاق: ما سال، يقال: عَسَقَتِ العين والجرح. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن قتيبة قال: لم يكن أبو عبدة [يذهب] إلى أن في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيره] يزعم أن العَسَاق: البارد المُنْتِن بلسان الترك. وقيل: فَعَالٌ، من عَسَقَ يَغْسِقُ؛ فعلى هذا يكون عربياً. وقيل في معناه: إنه الشديد البرد، يخرق من برده. وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ قرأ أبو عمرو، والمفضل: «وأخرَجَ» بضم الهمزة من غير مدٍّ، فجعما لأجل نعتة بالأزواج، وهي جمع. وقرأ الباقون بفتح الالف ومدّه على التوحيد، واحتجوا بأن العرب تنعت الاسم إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفراء: تقول: عذابُ فلانٍ ضروبٌ شتى، وضربان مختلفان؛ وإن شئتَ جعلتَ الأزواج نعتاً للحميم والفَسَاق والآخر، فهُنَّ ثلاثة، والأشبه أن تجعله صفة لواحد. وقال الزجاج: من قرأ «وأخرَجَ» بالمدِّ، فالمعنى: وعذاب آخر «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مثلي الأول. ومن قرأ «وأخرَجَ»، فالمعنى: وأنواعٌ آخر، لأن قوله: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ بمعنى أنواع. وقال ابن قتيبة: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِهِ، «أَزْوَاجٌ» أي: أصناف. وقال ابن جرير: «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِ الْحَمِيم. قال ابن مسعود في قوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ﴾: هو الزمهرير. وقال الحسن: لما ذكر الله تعالى العذاب الذي يكون في الدنيا، قال: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ» أي: وآخر لم يَرِ في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَذَا قَوْلَ الرِّبَّانِيَةِ لِلْقَادَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْكُفْرِ إِذَا جَاؤَهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ. وقيل: بل هو قول الملائكة لأهل النار كلما جاؤوهم بأمة بعد أمة<sup>(٤)</sup>﴾. والفوج: الجماعة من الناس، وجمعه: أفواج. والمُتَقَدِّمُ: الداخل في الشيء رمياً بنفسه. قال ابن السائب: إنهم يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ، فَيُلْقَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فِي النَّارِ وَيَبْنُونَ فِيهَا خَوْفاً مِنْ تِلْكَ الْمَقَامِعِ. فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار، قالوا: ﴿لَا مَرَجَ لِيهِمْ﴾، فاتصل الكلام بأنه قول واحد، وإنما الأول من قول الملائكة، والثاني من قول أهل النار؛ وقد بيّنا مثلاً هذا في قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَكُنْهُ بِالْقَبْرِ﴾ [يوسف: ٥٢]. والمَرْحَبُ والرَّحْبُ: السَّعَةُ. والمعنى: لا أَسْعَتَ بِهِمْ مَسَاكِنُهُمْ. قال أبو عبدة: تقول العرب للرجل: لا مَرْحَباً [بك] أي: لا رَحْبَتَ عَلَيْكَ الْأَرْضُ. وقال ابن قتيبة: معنى قولهم: «مَرْحَباً وَأَهْلًا» أي: آتَيْتَ رُحْباً، أي: سَعَةً، وَأَهْلًا، أي: آتَيْتَ

(١) البيت من شواهد الفراء، وهو في (معاني القرآن: ١٩٣)، و(الطبري: ١٧٦/٢٣)، والغلس: ظلام آخر الليل. والملوي: الياض النابل.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، قال: لأن ذلك هو الأغلب من معنى الشقوق، وإن كان الآخر وجه صحيح. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾، ألوان من العذاب، قال: وقال غيره: كالزمهرير والسوم وشراب الحميم وأكل الرُّقوم والصمود والهوي، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة، قال: والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله ﷻ: ﴿هَذَا قَوْلَ الرِّبَّانِيَةِ لِمَنْ لَا مَرَجَ لِيهِمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾، هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ كُنْتُمْ أَكْثَرًا نُفُثًا﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض.

أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ، فائتس ولا تستوحش، وسهلاً، أي: أتيت سهلاً لا حزناً، وهو في مذهب الدُّعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيْرًا. قال الزجاج: «وَمَرْحَبًا» منصوب بقوله: رَحِبْتَ بِلَاذِكْ مَرْحَبًا، وصادفت مَرْحَبًا، فأدخلت «لا» على ذلك المعنى. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَالُوا نَارًا﴾ أي: داخلوها كما دخلناها، ومُقاسون حَرًّا. فأجابهم القوم، فـ ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قُلْتُمْوهَا﴾. إن قلنا: إن هذا قول الأتباع للرؤساء، فالمعنى: أنتم زُيْتُمْ لنا الكفر؛ [وإن قلنا: إنه قول الأئمة المتأخرة للأئمة المتقدمين، فالمعنى: أنتم شرعتم لنا الكفر] وبدأنم به قبلنا، فدخلتم النار قبلنا ﴿فَقُلْنَا أَفْكَرًا﴾ أي: بشئ المُستَقَرَّ والمنزل. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ أي: مَنْ سَنَّهُ وشرعه ﴿فَرَدُّهُ هَذَاكَ بِنِعْمَةٍ فِي النَّارِ﴾ وقد شرحناه في [الأعراف: ٢٨]. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنه قول جميع أهل النار، قاله ابن السائب. والثاني: قول الأتباع. قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني أهل النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَيْحًا كَمَا نَعُدُّ مِنْ النَّارِ﴾ قال المفسرون: إذا دخلوا النار، نظروا فلم يَرَوْا مَنْ كَانَ يَخْلُقُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فيقولون ذلك. قال مجاهد: يقول أبو جهل في النار: أين صُهِيب، أين عَمَار، أين خَبَاب، أين بلال؟

قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ سَخِرًا﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «مِنْ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ» بالوصل على الخبر؛ أي: [إننا] اتَّخَذْنَاهُمْ، وهؤلاء يتدنون بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بقطع الالف وفتحها على معنى الاستفهام، وهؤلاء يتدنون بفتح الهمزة. وقال الفراء: وهذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ، والمعنى أنهم يويئون أنفسهم على ما صنعوا بالمؤمنين. وسُخِرًا يُقْرَأ بضم السين وكسرها. وقد شرحناها في آخر سورة [المؤمنين: ١١٠] ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ﴾ أي: وهم معًا في النار ولا نراهم؟ وقال أبو عبيدة: «أَمْ» هاهنا بمعنى «بَلْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ قال الزجاج: [أي]: إن الذي وصفناه عنهم لَحَقٌّ. ثم بيّن ما هو، فقال: هو ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> وقرأ أبو الجوزاء، وأبو الشعثاء، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: «تَخَاصُّمُ» برفع الصاد وفتح الميم، وكسر اللام من «أَهْلِ» وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وأبو المتوكل، وابن السميع: «تَخَاصُّمُ أَهْلِ» بفتح الصاد والميم ورفع اللام.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلِ إِذْ يَخْسِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يُؤْمِنُ إِلَيَّ إِلَّا أَنَا أَنَا نَذِيرٌ تُبِينَ ﴿٤٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَنَرٌ تَيْنِ طِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ﴿٤٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا ﴿٤٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ ﴿٤٦﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٥٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٥١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُخْرِجَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٥٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَوْبٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٥٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> النَّبَأُ: الْخَبَرُ. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه البعث بعد الموت، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>، ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٤)</sup> أي: لا تتفكرون فيه فتعلمون صِدْقِي فِي بُرْهَانِي، وَأَنْ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الْمَاضِينَ لَمْ أَغْلَمْهُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ. ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلِ﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ يَخْسِرُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ والمعنى: إِنِّي مَا عَلِمْتُ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ، ﴿إِنْ يُؤْمِنُ إِلَيَّ﴾ أي: مَا يُوْحِي إِلَيَّ ﴿إِلَّا أَنَا أَنَا نَذِيرٌ﴾

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم بعضاً، لَحَقٌّ لا رمية فيه ولا شك. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتكم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: هذا القرآن خبر عظيم. اهـ.

[أي]: **إِلَّا أَنِّي نَبِيٌّ أَنذِرُكُمْ وَأُبَيِّنُ لَكُمْ مَا تَأْتُونَهُ وَتَجْتَنِبُونَهُ<sup>(١)</sup>**. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا متصل بقوله: «يَخْتَصِمُونَ»، وإنما اعترضت تلك الآية بينهما. قال ابن عباس: اختصموا حين شُوروا في خَلْقِ آدم، فقال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذه الخصومة منهم إنما كانت مُنَاطَرَةً بينهم. وفي مُنَاطَرَتِهِمْ قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوا: لَنْ يَخْلُقَ اللهُ خَلْفًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ مِنْهُ وَأَعْلَمَ، قاله الحسن؛ هذا قول الأكثر من المفسرين. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ رَبِّي ﷻ»، فقال لي: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: أَنْتَ أَغْلَمُ يَا رَبِّ، قال: فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدرجات، فَأَمَّا الْكَفَّارَاتِ، فإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ<sup>(٢)</sup>، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وَأَمَّا الدَّرَجَاتِ، فإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامَ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَكَبَّرْتَ﴾ أي: اسْتَكْبَرْتَ بنفسك حين أَبَيْتَ السُّجُودَ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: من قوم يَتَكَبَّرُونَ فتَكَبَّرْتَ عن السُّجُودِ لِكُونِكَ من قوم يَتَكَبَّرُونَ؟!

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ نَجِيمٌ﴾ أي: مرجومٌ بِالذَّمِّ وَاللُّغْنِ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرُّ الْوَيْلِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو وقت النَّفْخَةِ الْأُولَى، وهو حين موت الخلائق. وقوله: ﴿فَوَعْرَبَكْ﴾ يعين بمعنى: فَوَعَّرَكَ. وما أخللنا به في هذه القصة فهو مذكور في [الأعراف: ١٢] و[الحجر: ٣٤] وغيرهما مما تقدم.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا الْفَلَكُ﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا الْفَلَكُ لَا يَتَّبِعُونَ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحى إليّ ربي فعملني ذلك، يقول: فني إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله، وتزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعايته، ولكني علمت ذلك بأخبار الله إليّ به. اهـ.

(١) الشُّبَرَات: جمع شُبْرَة يسكنون الباء، وهي الغداة الباردة.

(٣) لهذا الحديث طرق متعددة، وروايات مختلفة ذكرها السيوطي في «الدرر» ٣١٩/٥ - ٣٢٠، وقد رواه أحمد في «المسند» ٢٤٣/٥ مطولاً من حديث عبد الرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل ﷺ قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرون الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً، فَنَزَلَ بِالصَّلَاةِ وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَالِكُمْ»، ثُمَّ أَتَى إِلَيْنَا فَقَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُكُمْ مَا جَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةُ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَتَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَلَمَّا أَنَا بِرَبِّي ﷻ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَ أَثْمَلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قلت: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكُرْبِيَّاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قلت: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلَبِنُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسِ نِيَامَ، قَالَ: سَلِّ، قلت: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكُ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فَتْنَةً فِي قَوْمٍ تَرَفَّقَنِي فِيمَ مَقْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حَيْكَ وَحُبَّ مِنْ يَحْبُوكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرِبُنِي إِلَى حَبْلِكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعْلَمُوهَا». قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَهُوَ حَدِيثُ الْمَنَامِ الْمَشْهُورِ، قَالَ: وَمَنْ جَعَلَهُ يَقْطَعَةً، فَقَدْ غَلَطَ، قَالَ: وَهُوَ فِي «السَّنَنِ» مِنْ طَرُقٍ، قَالَ: وَهَذَا الْحَدِيثُ بَعِيْثُهُ قَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَهْضَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِمِيِّ بِهِ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالَ: وَلَيْسَ هَذَا الْاِخْتِصَامُ هُوَ الْاِخْتِصَامُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ فُسِّرَ، وَأَمَّا الْاِخْتِصَامُ الَّذِي فِي الْقُرْآنِ، فَقَدْ فُسِّرَ بَعْدَ هَذَا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِ الْاِخْتِصَامُ إِلَى خَلِيفَةٍ بَشَرًا مِّنْ بَيْنِهِمْ﴾ ﴿فَلَمَّا تَوَسَّعَتْ يَدَا رَبِّيْ نَبِيٍّ يُرْسِي قَدْرًا لِّمَنْ سَيَرْبِي﴾ ﴿فَجَعَلَ الْمُلُوكَ كَهَيْئَةِ كَهْلِهِمْ جُمُوعًا﴾ ﴿إِلَّا لِبَنِيٍّ اسْتَكْبَرَ تَكَبُّرَ الْكِبَرِيِّينَ﴾ ﴿قَالَ كَلَيْلٌ مَا تَسْأَلُكَ أَنْ تَسْجُدَ لَكَ فَتَكُونَ بِكَ...﴾ الْآيَاتِ. اهـ. وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة سماها «اختيار الأولى» في شرح حديث اختصام الملا الأعلى، وقال عنه بعد ما ذكره من رواية أحمد في «المسند» عن معاذ بن جبل ﷺ: وَخَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالَ (يعني التِّرْمِذِيُّ): وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيَّ عَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: قُلْتُ: وَفِي إِسْنَادِهِ اخْتِلَافٌ، وَلَهُ طَرُقٌ مُتَعَدَّةٌ، وَفِي بَعْضِهَا زِيَادَةٌ، وَفِي بَعْضِهَا نَقْصَانٌ، ثُمَّ قَالَ: فِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ تَأْخِيرُ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى قُرْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عَادَتُهُ الْغُلُوفُ بِهَا، وَكَانَ أحياناً يَسْفِرُ بِهَا عِنْدَ انْتِشَارِ الضُّوءِ عَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: وَأَمَّا تَأْخِيرُهَا إِلَى قُرْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ، قَالَ: وَلِهَذَا اعْتَرَلَهُمْ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ آخِرِ الصَّلَاةِ إِلَى آخِرِ الْوَقْتِ لَعْنَرُ أَوْ غَيْرُهُ، وَخَافَ خُرُوجَ الْوَقْتِ فِي الصَّلَاةِ إِنْ طَوَّلَهَا، أَنْ يَخْفُفَهَا حَتَّى يَدْرِكَهَا كُلُّهَا فِي الْوَقْتِ، قَالَ: وَفِي حَدِيثٍ مَعَاذُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مَنْ رَأَى رُؤْيَا تَسْرَةً فَهُوَ يَقْضَاهَا عَلَى أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ الْمُحِبِّينَ لَهُ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ تَضَمَّنَتْ رُؤْيَاهُ بَشَارَةً لَهُمْ وَتَعْلِيماً لِمَا يَنْفَعُهُمْ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا...»، قَالَ: وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّ مَنْ اسْتَقْبَلَ نَوْمَهُ فِي تَهَيُّدِهِ بِاللَّيْلِ حَتَّى رَأَى رُؤْيَا تَسْرَةً، فَإِنْ فِي ذَلِكَ بَشَرٌ لَهُ، قَالَ: وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ الْمُقَرَّبُونَ مِنْهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَتَرَاوَعُونَ الْقَوْلَ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي تَقْرُبُ بَنِيَّ آدَمَ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَتَكْفُرُ بِهَا عَنْهُمْ خَطَايَاهُمْ... إِلَى غَيْرِ مَا هُنَاكَ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَمَنْ أَرَادَ الزِّيَادَةَ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى رِسَالَتِهِ «اخْتِيار الأولى» فِي شَرْحِ حَدِيثِ اخْتِصَامِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَإِنَّهَا ثِمَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (١) قرأ عاصم إلا حسنون عن هبيرة، وحمزة، وخلف، وزيد عن يعقوب: «فالحق» بالرفع في الأول ونصب الثاني، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد؛ قال ابن عباس في معناه: فأنا الحق وأقول الحق؛ وقال غيره: خبر الحق محذوف، تقديره: الحق مثنى. وقرأ محبوب عن أبي عمرو بالرفع فيهما؛ قال الزجاج: من رفعهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحق والحق أقول. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: بالنصب فيهما. قال الفراء: وهو على معنى قولك: حقاً لا يتنك، ووجود الألف واللام وطرحهما سواء، وهو بمنزلة قولك: حمداً لله. وقال مكّي بن أبي طالب: انتصب الحق الأول على الإغراء، أي: أتبعوا الحق، واسمعوا والزمو الحق. وقيل: هو نصب على القسم، كما تقول: الله لأفعلن، فتنصب حين حذف الجار، لأن تقديره: فبالحق؛ فأما الحق الثاني، فيجوز أن يكون الأول، وكرره تأكيداً، ويجوز أن يكون منصوباً بـ «أقول» كأنه قال: وأقول الحق. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، [والأعمش]: «فالحق» بكسر القاف «والحق» بنصبها. وقرأ أبو عمران [الجوني] بكسر القافين جميعاً. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو نهيك: «فالحق» بالنصب «والحق» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ أي: مِنْ نَفْسِكَ وَذُرِّيَّتِكَ. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَئِنْ﴾ أي: على تبليغ الوحي ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أي: لم أتكلف إتيانكم من قبل نفسي، إنما أمرت أن أتيتكم، ولم أقل القرآن من تلقاء نفسي، إنما أوحى إليّ<sup>(١)</sup>. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَلَقَدْ كُفِّرْنَا﴾ يا معاشر الكفار ﴿بِآيٍ﴾ أي: خبر صدق القرآن ﴿بَعْدَ جِيٍّ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بعد الموت. والثاني: يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، روى عن ابن عباس، وبالأول يقول قتادة، وبالثاني يقول عكرمة. والثالث: يوم بدر، قاله السدي، ومقاتل. وقال ابن السائب: من بقي إلى أن ظهر أمر رسول الله ﷺ علم ذلك، ومن مات علمه بعد الموت. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.



- (١) قال ابن كثير: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به آيته، لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، قال: قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله ﷻ قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَئِنْ﴾ أي: لَئِنْ أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ (١) قال: أخرجه من حديث الأعمش به. اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، قال: وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُفِّرْنَا بِآيٍ بَعْدَ جِيٍّ﴾ قال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين. اهـ.



## سورة الزمر

### وتسمى سورة الغَرْف

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مَكِّيَّة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد. وروي عن ابن عباس أنه قال: فيها آيتان نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] قوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال مقاتل: فيها من المدني ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾... الآية [الزمر: ٥٣]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]. وفي رواية أخرى عنه قال: فيها آيتان مدينتان ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدينت ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْشُرْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَلَقَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: الكتاب هاهنا القرآن، ورفع «تنزيل» من وجهين: أحدهما: الابتداء، ويكون الخبر «وَمِنَ اللَّهِ»، فالمعنى: نزل من عند الله. والثاني: على إضمار: هذا تنزيل الكتاب؛ و«مُخْلِصًا» منصوب على الحال؛ فالمعنى: فاعبد الله موحداً لا تُشْرِكْ به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يعني: الخالص من الشُّرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به؛ [وقيل]: المعنى: لا يستحقُّ الدِّينَ الخالصَ إلا الله. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة، ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: ﴿عِزُّ رَبِّنَا أَكْبَرُ﴾ والنصارى لقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وجميع عُبَاد الأصنام، ويدلُّ عليه قوله بعد ذلك: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي: إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا إِلَى اللَّهِ. والزُّلْفَى: القُرْبَى، وهو اسم أقيم مقام المصدر، فكانه قال: إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ تَقْرِيباً. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل الأديان فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدين. وذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يُرْشِدُ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴿فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الْآلِهَةَ تَشْفَعُ﴾ كَفَّارٌ ﴿أَي: كافر باتخاذها آلهة، وهذا إخبار عمن سبق عليه القضاء بجرمان الهداية﴾ (٢). ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [أي]: على ما يزعم من ينسب ذلك إلى الله ﴿لَاصْطَلَقَ﴾ أي: لا اختار ممَّا يخلُق. قال مقاتل: أي: من الملائكة (٣).

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وافقوا على حلف الباء من ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا ما انفرد به أبو العلاء عن رويس من إثباتها وقفاً، فخالف سائر الناس كما مر في المرسوم.

(٢) قال ابن كثير: وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَلَقَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، قال: وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، قال: وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال ﴿لَوْ أَرَادْنَا أَنْ نَنْزِلَ فَمَا لَأَتَّخِذْتَنِي مِن دُونِهَا كُتُبًا مُّبِينِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ كَلِمَتِي بِرَحْمَتِي وَلَكِنِّي أَنَا الْبَرُّ الْكَافِرُ﴾ قال: كل هذا من باب الشرط، قال: ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. اهـ.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَيْكَ عَلَى النَّهَارِ وَتُكُونُ اللَّيْلُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَنِيُّ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [أي]: لم يخلقهما لغير شيء. ﴿يَكُونُ إِلَيْكَ عَلَى النَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابن قتيبة: وأصل التَّكْوِينُ: اللَّفْظُ، ومنه كَوُرُ العِمَامَةِ. وقال غيره: التَّكْوِينُ: طَرْحُ الشيء بعضه على بعض. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما للسَّير على ما أراد ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الأجل الذي وقَّت الله للذَّنبِ. وقد شرحنا معنى العزيز في [البقرة: ١٢٩] ومعنى الغفار في [طه: ٤٨٢].

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَآوَزَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَى نَسَبَكُمْ أَزْوَاجَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَمَنْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ مُصْرَفُونَ﴾ (٦)

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكُمْ جعل منها زوجها، لأنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذَّرِّيَّةِ، ومثله في الكلام أن تقول: قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتك أمس أكثر؛ هذا اختيار الفراء. وقال غيره: ثم أخبركم أنه خلق منها زوجها ﴿وَآوَزَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَى﴾ أي: خَلَقَ ﴿نَسَبَكُمْ أَزْوَاجَ﴾، وقد بيَّناها في سورة [النَّام: ١٤٣]. ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نَفْطًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مَضْغًا ثُمَّ عِظْمًا ثُمَّ لَحْمًا ثُمَّ أَنْبَتَ الشَّعْرَ، إلى غير ذلك من تَقَلُّبِ الأحوال إلى إخراج الأطفال، هذا قول الجمهور. وقال ابن زيد: خَلْقًا فِي الْبُطُونِ مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُمْ فِي ظَهْرِ آدَمَ.

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظُلْمَةُ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةُ الرَّجِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَيْمَةِ<sup>(١)</sup>، قاله الجمهور، وابن زيد معهم. وقال أبو عبيدة: إنها ظُلْمَةُ صُلْبِ الْآبِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْمَرَاةِ، وَظُلْمَةُ الرَّجِمِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتُمْ مُصْرَفُونَ﴾ أي: من أين تُصْرَفُونَ عن طريق الْحَقِّ بعد هذا البيان؟!

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنَكُمُ وَلَا يَرْضَى لِيُبَادِيَ الْكَفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِنْ رَيْتُمْ مُرْجِعَكُمْ فَإِن شَكْرْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا عَلَيْهِ يَرْدِ الْأَشْدُّورُ﴾ (٧)

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنَكُمُ﴾ أي: عن إيمانكم وعبادتكم ﴿وَلَا يَرْضَى لِيُبَادِيَ الْكَفْرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يرضاه للمؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته، وقرئ بين الإرادة والرضا، وقد أشرنا إلى هذا في [البقرة: ٢٠٥] عند قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ﴾. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشكر لكم<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ يَرْدِ الْأَشْدُّورُ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ فَسَمَّىٰ نِعْمَةً رَبِّهِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكَمْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: في عتبة بن ربيعة، قاله عطاء. والثاني: في أبي حذيفة بن المغيرة، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. والضَّرُّ: البلاء والشدة. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه من شركه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ﴾ أي: أعطاه وملَّكه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾ بعد البلاء الذي أصابه، كَالصَّحَّةِ بعد المرض، وَالزُّنَى بعد الفقر ﴿نِسَى﴾ أي: ترك ما كان يدعو إليه، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: نسي الدُّعَاءَ الذي كان يتضرع به إلى الله تعالى. والثاني: نِسَى الضَّرَّ الذي [كان] يدعو [الله] إلى كُشْفِهِ. والثالث: نِسَى الله الذي [كان] يتضرع إليه. قال الزجاج: وقد تَدَلَّى «ما» على الله ﷻ، كقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]. وقال الفراء: تَرَكَّ ما كان يدعو إليه. وقد سبق معنى الأنداد [البقرة: ٢٢] ومعنى ﴿يُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩].

(١) الميمنة وزان كريمة: غشاء ولد الإنسان، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: الميمنة والكيس والغلاف.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تومنوا بربكم وتطيعوه يرض شُكْرَكُمْ له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكفى عن الشكر ولم يُذَكَّرْ، وإنما ذُكِرَ الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. اهـ.

(٣) ذكر سبب النزول هذا؛ البغوي والخازن بدون سند.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُرْهِكُمْ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد، ومثله: ﴿فَنَسْتَوْفَىٰ فَسَوْفَ تَمْلَكُونَ﴾ [النحل: ٥٥].  
 ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ مَّا نَاءَ الْبَلِي سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِنَّمَا يَنْذَرُ الْوَلَاةَ﴾ (١) قُلْ يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا أَفْعَا رَيْكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يَوْفَى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢)

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، وأبو جعفر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَمَّنْ» بالتخفيف؛ وقرأ الباقون: بالتشديد. فأما المشددة، فمعناها: هذا الذي ذكرنا خير، أَمَّنْ هو قانت؟ والأصل في «أَمَّنْ»: أَمَّ مَنْ، فأدغمت الهمزة في الميم. وأما المخففة، ففي تقديرها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بمعنى النداء. قال الفراء: فسرها الذين قرؤوا بها فقالوا: يا مَنْ هو قانت، وهو وجه حسن، والعرب تدعو بالالف كما تدعو بياء، فيقولون: يا زيد أَقْبِلْ، و: أَزِيدُ أَقْبِلْ، فيكون المعنى: أنه ذكر الناسي الكافر، ثم قصَّ قصَّة الصالح بالنداء، كما تقول: فلان لا يصوم ولا يصلِّي، فيا مَنْ يَضُمُّ أَتَشْرُ. والثاني: أن تقديرها: أَمَّنْ هو قانت كمن ليس بقانت؟! والثالث: أَمَّنْ هو قانت كمن جعل الله أندادا؟! وقد ذكرنا معنى القنوت في [البقرة: ١١٦] ومعنى ﴿مَّا نَاءَ الْبَلِي﴾ في [آل عمران: ١١٣].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يعني في الصلاة (١). وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، رواه عطاء عن ابن عباس (٢). والثاني: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر (٣). والثالث: عمار بن ياسر، قاله مقاتل (٤). والرابع: ابن مسعود، وعمار، وصهيب، وأبو ذر، قاله ابن السائب (٥). والخامس: أنه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام (٦).

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذاب الآخرة. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعروة، وسعيد بن جبيرة، وأبو رجاء، وأبو عمران: «يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ» بزيادة «عذاب». ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها المغفرة، قاله ابن السائب. والثاني: الجنة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ أَنَّمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ حَقٌّ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ؟﴾ وباقي الآية قد تقدم في [الرمز: ١٩] (٧)، وكذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قد تقدم في [النحل: ٣٠]. وفي قوله: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه حَتَّ لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون. والثاني: أنها أرض الجنة رغبهم فيها. ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّادِقُونَ﴾ الذين صبروا لأجل الله تعالى على ما نالهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يُعْطَوْنَ عَطَاءً كَثِيرًا أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحْسَبَ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، لا على قدر أعمالهم.

(١) قال ابن كثير: يقول ﷺ: أَمَّنْ هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟! لا يستون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ سَوَاءٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُ قَائِمٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ الْبَلِي وَهُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ وقال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ مَّا نَاءَ الْبَلِي سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ أي: في حال سجوده وفي حال قيامه، ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون. اهـ.

(٢) الواحدي في «أسباب النزول»، والبغوي في «الظهير» بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٣٢٣/٥: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن حساكر عن ابن عمر ﷺ: أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ مَّا نَاءَ الْبَلِي سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ...﴾ الآية، قال: ذاك عثمان بن عفان، وفي لفظ: نزلت في عثمان بن عفان. وذكر سبب النزول هذا الواحدي والبغوي والغازي عن ابن عمر بدون سند.

(٤) الواحدي في «أسباب النزول» عن مقاتل بدون سند، وقال السيوطي في «الدرر» ٣٢٣/٥: أخرج ابن سعد في «طبقاته»، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ مَّا نَاءَ الْبَلِي سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

(٥) قال السيوطي في «الدرر» ٣٢٣/٥: أخرج جوير عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت هذه الآية في ابن مسعود، وعمار، وسالم مولى حليفته ﷺ. وذكر البغوي عن الكلبي بدون سند أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان. وذكر الألوسي عن مقاتل بدون سند أن المراد بمن هو قانت: عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر.

(٦) ذكره الألوسي عن يحيى بن سلام بدون سند. والآية عامة في كل من اتصف بما تقدم.

(٧) قال ابن كثير: أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل الله أندادا لفضل عن سبيله ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ الْوَلَاةَ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل، والله أعلم. اهـ.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ السَّلَاطِينَ ۖ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١١﴾ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٣ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٤ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٥ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٦ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٧ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٨ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝١٩ قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝٢٠

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ما حملك على أتيتنا به؟ ألا تنتظر إلى ملة آبائك فتأخذ بها؟ فنزلت هذه الآية (١)؛ والمعنى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ﴾ أي: أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ السَّالِمِ مِنَ الشَّرْكِ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ السَّلَاطِينَ ۖ﴾ من هذه الأمة. ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ بالرجوع إلى دين آبائي ﴿مَلَائِكَةُ يَوْمِ عِظَمٍ﴾ وقد اختلفوا في نسخ هذه الآية كما بيّنا في نظيرتها في [الأنعام: ١٥]. ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ بالتوحيد، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾، وهذا تهديد، وبعضهم يقول: هو منسوخ بآية السيف، وهذا باطل، لأنه لو كان أمراً، كان منسوخاً، فأما أن يكون بمعنى الوعيد، فلا وجه لِنسخه. ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ بأن صاروا إلى النار ﴿وَوُحِّشُوا﴾ خسرنا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خسرنا الحور العين اللواتي أعيدن لهم في الجنة لو أطاعوا، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: خسرنا الأهل في النار، إذ لا أهل لهم فيها، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: خسرنا أهلهم الذين كانوا في الدنيا، إذ صاروا إلى النار بكفرهم، وصار أهلهم إلى الجنة بإيمانهم، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظُلْمُ النَّارِ﴾ وهي الأطباق من النار. وإنما قال: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ﴾ لأنها ظلمت لمن تحتهم ﴿ذَلِكَ﴾ الذي وصف الله من العذاب ﴿يَحْوِطُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَبِثُوا الْكُفْرَ﴾ روى ابن زيد عن أبيه أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يوحّدون الله تعالى: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر، وسلمان الفارسي، رضي الله عنهم (٢)؛ قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ﴾ الله بغير كتاب ولا نبي. وفي المراد بالطاغوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الشياطين، قاله مجاهد. والثاني: الكهنة، قاله ابن السائب. والثالث: الأوثان، قاله مقاتل، فعلى قول مقاتل هذا (٣)؛ إنما قال: «يعبدوها» لأنها مؤنثة. وقال الأخفش: إنما قال: «يعبدوها» لأن الطاغوت في معنى جماعة، وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: رجعوا إليه بالطاعة ﴿لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظُلْمُ النَّارِ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾ بياؤ، وحرك الباء أبو عمرو. ثم نعمتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] القرآن، قاله الجمهور. فعلى هذا، في معنى ﴿يَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أقوال قد شرحناها في [الأعراف: ١٤٥] عند قوله: ﴿وَأَمَّا قَوْمُكَ يَأْخُذُوا بِالْحَبَرِ﴾. والثاني: أنه جميع الكلام. ثم في المعنى قولان: أحدهما: [أنه الرجل] يجلس مع القوم فيسمع كلامهم، فيعمل بالمحاسن ويحدث بها، ويكف عن المساوئ ولا يظهورها، قاله ابن السائب. والثاني: [أنه] لما ادّعى مسيلمة أنه قد أتى بقرآن، وأتت الكهنة بالكلام المزخرف في الأباطيل، فرّق المؤمنون بين ذلك وبين كلام الله، فاتبّعوا كلام الله، ورفضوا أباطيل أولئك، قاله أبو سليمان الدمشقي (٤).

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابُ الْعَذَابِ فَإِنَّ تَوَلَّى مِنْ فِي النَّارِ ۚ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ لَمْ يَرْفَعُوا رُفُوعاً مَبِينَةً يَجْزِي عَنْ تَحِيَّاتِهِمْ أَكْثَرُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ عِوَادَ ۝١٥﴾

(١) ذكر سبب النزول هذا الخازن في «التفسير» بدون سند.

(٢) «الطبري» ٢٠٧/٢٣ عن زيد بن أسلم. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٢٤/٥ من رواية ابن جرير، وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٠ عن عبد الرحمن بن زيد بدون سند، وكذلك ذكر ابن كثير سبب النزول هذا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بدون سند، ثم قال: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن، فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اهـ.

(٣) عبارة الأصل: فعلى هذا قول مقاتل.

(٤) لم يذكر المصنف سوى قولين، ولعله اكتفى بهما عن القول الثالث.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ قال ابن عباس: سبق في علم الله أنه في النار. فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيل: أما الفراء، فإنه يقول: هذا مما يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهام إلى غير موضعه فردّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنت تُنقِذ مَنْ في النار مَنْ حَقَّتْ عليه كلمة العذاب؟ ومثله: ﴿أَيَذَكِّرُ الْاُنْكَرَ إِنْكَارًا وَمَنْ كَثُرَ تَرَاكِبًا وَعَظُمَ انْكَارُ مَخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٥] فردّ «انْكَارُ» مرتين، والمعنى: أَيْذَكِّرُكُمْ أَنْكُمْ مَخْرَجُونَ إِذَا مِتُّمْ؟ ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاكُمْ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فردّ «تَحْسَبَنَّ» مرتين، والمعنى: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ. وقال الزجاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوف، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب فيتخلص منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟ قال المفسرون: أفأنت تخلصه مما قُدِّرَ له فتجعله مؤمنًا؟ والمعنى: ما تقدر على ذلك. قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْإِنِّ انْفَرَا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر: «لَكِنَّ» بتشديد النون [وفتحها]. قال الزجاج: والغُرْف: هي المنازل الرفيعة في الجنة، «وَمِنْ فَوْقَهَا عَرْقٌ» أي: منازل أرفع منها. «وَعَدَّ اللَّهُ» منصوب على المصدر؛ فالمعنى: وعدهم الله غرَفًا وعدًا. ومن قرأ: «وَعَدَّ اللَّهُ» بالرفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ اللَّهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبُوعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ نُجِئُ بِهِ زَرْعًا مَخْلُفًا لَّأُولِهِ ثُمَّ يُؤْخِذُ فَتَرَاهُ مُصْفًى ثُمَّ يُغَمِّدُ لَهُ ظُلُمًا فَاكُنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال الشعبي: كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ فَمِنْ السَّمَاءِ يَنْزِلُ «سَلَكَهُ يَنَبُوعٌ» قال ابن قتيبة: أي: أدخله فجعله ينابيع، أي: عُيُونًا تَنْبُوعٌ، «ثُمَّ يُؤْخِذُ» أي: يَنْسُ. قال الأصمعي: يقال للْبَيْتِ إِذَا تَمَّ جَفَافُهُ: قَدْ هَاجَ يَبْهَاجُ هَيْجًا. فَأَمَّا الْحُطَامُ، فقال أبو عبيدة: هو مَا يَسَّ فَتَحَاتْ مِنَ الثَّبَاتِ، ومثله الرُّفَات. قال مقاتل: هذا مَثَلٌ ضُرِبَ لِلدُّنْيَا، بَيْنَا تَرَى النَّبْتَ أَخْضَرَ، إِذْ تَغْيَرُ فَيَسَّ ثُمَّ هَلَكَ، وكذلك الدُّنْيَا وَزَيْتُهَا. وقال غيره: هذا البيان للدلالة على قدرة الله ﷻ.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ فَهُوَ عَلَى نُورٍ يَنْزِلُ مِنْ رَبِّهِ قَوْلًا لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ يَنْزِلُ فِي صُلَيْمَانَ ثَمِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ قال الزجاج: جوابه متروك، لأن الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شرح صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد؟ ويُدلُّ على هذا قوله: ﴿قَوْلًا لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ﴾؛ وقد روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقلنا: يا رسول الله وما هذا الشرح؟ فذكر حديثاً قد ذكرناه في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: اليقين، قاله ابن عباس. والثاني: كتاب الله يأخذ به ويتبهي إليه، قال قتادة. والثالث: البيان، قاله ابن السائب. والرابع: الهدى، قاله مقاتل. وفيمن نزلت هذه الآية؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأبي بن خلف، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: في علي وحزمة

(١) في الأصل: الدلالة.

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نصرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، قال: والشاب يعود شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، قال: وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً.

(٣) انظر ٤٦٦، والحديث بشامه: روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْمَائِيلَ﴾ فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذفه الله في القلب فيفتح القلب» قالوا: فهل لذلك من أمار؟ قال: «نعم» قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله». رواه الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» مرسلًا ومتصلًا، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً، وقد قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الراوي، فيه كلام، ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» وفي سننه رجل ضعيف. اهـ.

وأبي لهب وولده، قاله عطاء. والثالث: في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لَّيْقِيَّةٍ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قد بينّا معنى القساوة في [البقرة: ٧٤]. فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله ﷻ؟ فالجواب: أنه كلما تليّ عليهم ذكر الله الذي يكذبون به، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عن الإيمان به. وذهب مقاتل في آخرين إلى أن «مِنْ» هاهنا بمعنى «عَنْ»، قال الفراء: كما تقول: أُنْجِثْتُ عَنْ طعام أكلته، وَمِنْ طعام أكلته؛ وإنما قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، لأنهم جعلوه كذباً فأقْسَى قُلُوبُهُمْ؛ ومن قال: قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عنه، أراد: أَعْرَضَتْ عنه. [وقد] قرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبله، وأبو عمران: «قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» مكان قوله: «مِنْ».

﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُتْلَاهُ مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن؛ وقد ذكرنا سبب نزولها في أول (يوسف)<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَنَبِّهًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن بَعْضَهُ يُشَبِّهُ بَعْضًا في الآي والحروف، فالآية تشبه الآية، والكلمة تشبه الكلمة، والحرف يشبه الحرف. والثاني: أن بَعْضُهُ يَصْدُقُ بَعْضًا، فليس فيه اختلاف ولا تناقض. وإنما قيل له: «مَثَانِي» لأنه كُرِّرَتْ فيه القصص والفرائض والحدود والثواب والعقاب. فإن قيل: ما الحكمة في تكرار القصص، والرواية قد كانت تكفي؟ فالجواب: أن وفود العرب كانت تَرُدُّ على رسول الله ﷺ، فيُقرِّئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يَتَمَثَّلُ إلى القبائل المَضْرُوبَةُ بالسُّورِ المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة مكررة، لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله تعالى أن يُشِيرَ هذه القصص في أطراف الأرض وَيُلْقِيَهَا إلى كل سَمْعٍ. فأمّا فائدة تكرار الكلام من جنس واحد، كقوله: ﴿يَأَيُّهَا آلَ زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ [الرحمن]، وقوله: ﴿لَا أَغْبُدُ مَا سَعْدُونَ﴾ [الكافرون]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَكَ قَائِلٌ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥] وَمَا أَذْرَبُهُ مَا يَوْمَ الدِّينِ [الأنعام: ١٧، ١٨] فنسندكرها في سورة (الرحمن) ﷻ.

قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: تأخذهم قشعريرة، وهو تغير يحدث في جلد الإنسان من الوجَل. وروى العباس بن عبد المطلب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، تَحَاثَّتْ نُفُوسُهُ كَمَا يَتَحَاثُّ عَنْ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا»<sup>(٣)</sup>. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: تَقْشَعِرُّ مِنْ وَعِيدِهِ، وتَلِينُ عَنْ وَغْدِهِ، قاله السدي. والثاني: تَقْشَعِرُّ مِنَ الْخَوْفِ، وتَلِينُ مِنَ الرَّجَاءِ. والثالث: تَقْشَعِرُّ الْجُلُودُ لِإِعْظَامِهِ، وتَلِينُ عَنْ تَلَاوَتِهِ، ذكرهما الماوردي. وقال بعض أهل المعاني: مفعول الذِّكْرُ في قوله: ﴿إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ محذوف، لأنه معلوم؛ والمعنى: تَطْمَتُّ قُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ الْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ. قال قتادة: هذا نَعَتْ أولياء الله، تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ [وتَلِينُ قُلُوبُهُمْ]، ولم يَنْتَعِمْهُمْ بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ وَالْغَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْلِ الْبَدْعِ، وهذا من الشَّيْطَانِ. وقد روى أبو حازم، قال: مَرَّ ابْنُ عَمْرٍو بِرَجُلٍ سَاقِطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُصِيبُهُ هَذَا، قَالَ: إِنَّا لَنَخْشَى اللَّهَ ﷻ، وَمَا نَسْقُطُ. وقال عامر بن عبد الله بن الزبير: جثت أبي، فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت قوماً، ما رأيت خيراً منهم قط، يذكرون الله ﷻ فيرعد واحد منهم حتى يُغْشَى عليه من خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ، فقعدهت معهم، فقال: لا تقعد معهم بعدها [أبدًا]، قال: فرأني كاني لم يأخذ ذلك فَيٍّ، فقال: رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يتلو القرآن، ورأيتُ أبا بكر وعمر يتلون القرآن فلا يُصِيبُهُمْ هَذَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعالى، أَفَتَرَى أَنَّهُمْ أَخْشَى اللَّهَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ قال: فرأيت ذلك كذلك. وقال عكرمة: سئلت أسماء بنت أبي بكر: هل كان أحد من السلف يُغْشَى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا

(١) ذكر سبب النزول هذا الخازن بدون سند، والله أعلم. (٢) انظر ٦٧٩.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٦/٥ من رواية الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» عن العباس بن عبد المطلب ﷺ، وقد ذكره في «الجامع الصغير» أيضاً من رواية بسموه في «فوائده»، والطبراني في «الكبير»، قال الحافظ المنائي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: وكذا رواه البزار والبيهقي في «الشعب» عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال المنثري والعراقي: سنده ضعيف، قال: وبينه البيهقي فقال: فيه أم كلثوم بنت العباس ﷺ، لم أعرّفها، وبقي رجاله ثقات.



يكون. وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجَدَّتِي أسماء بنت أبي بكر، كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى، تَذْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ. فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن، حَرَّ أَحَدُهُمْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان جَوَابَ يُرْعَدُ عند الذِّكْرِ، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنت تملكه، فما أبالي أن لا اعتد بك، وإن كنت لا تملكه، فقد خالفت مَنْ كان قبلك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما ينزل بالمؤمنين عند تلاوة القرآن من اقشعرار الجلود عند الوعيد، ولينها عند الوعد، قاله ابن الأنباري.

﴿أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَذَانُ اللَّهِ لِلزُّرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَلَّكَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ﴾ أي: شِدَّتُهُ. قال الزجاج: جوابه محذوف، تقديره: كَمَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ وجاء في التفسير أن الكافر يلقى في النار مغلولاً، ولا يتهيأ له أن يتقيها إلا بوجهه. ثم أخبر عما يقول الخزنة للكفار بقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كَسْبِكُمْ.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل كفار مكة ﴿فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمنون غافلون عن العذاب، ﴿فَأَذَانُ اللَّهِ لِلزُّرَى﴾ يعني الهوان والعذاب، ﴿وَلَعَلَّكَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ولكنهم لا يعلمون ذلك. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: وَصَفْنَا لَهُمْ ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل شبه يشبه أحوالهم.

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال الزجاج: «عربياً» منصوب على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه، فذكر «قرآنًا» توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً عاقلاً، فذكر رجلاً وإنساناً توكيداً.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِي عِجَجٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: غير مخلوق. وقال غيره: مستقيم غير مختلف<sup>(٢)</sup>.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاوِرُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلًا هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لَخَسِدٍ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّكَ يَتَّيْتُ وَلَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنه فقال: ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاوِرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مختلفون، يتنازعون ويتشاورون فيه، يقال: رجلٌ شَكِسٌ. وقال البيهقي: الشكس من الرجال: الضَّيِّقُ المَحْلُوقُ. قال المفسرون: وهذا مثل

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمة ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه. أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمت الآيات من أصوات القينات. والثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرواً سُجُداً وَيَكْبِتُ بَادِبٍ وَخَشْيَةً وَرَجَاءً وَمَحَبَةً وَفَهْمٌ وَعِلْمٌ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُفِعَ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسُجُودًا بِادِبٍ وَخَشْيَةً وَرَجَاءً وَمَحَبَةً وَفَهْمٌ وَعِلْمٌ وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يَفْهَمُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَكُنْ عَنْهُمْ زِينَةٌ وَتَفْهُؤٌ وَزِينَةٌ كَرِيمَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِشَيْءٍ مِمَّا نُهُوا عَنْهُ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ﴿٢١﴾﴾ أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل متصفين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلها إنما يعملون بها ويسجدون عندنا عن بصيرة، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم. والثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضوا الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى، من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلمون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان. قال: وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد. اهـ.



ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبد آلهة شتى، فمثله بعيد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين؛ والمؤمن يعبد الله وحده، فمثله بعيد لرجل واحد، قد عليم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه، فذلك قوله: «سَلَامًا لِرَجُلٍ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو إلا عبد الوارث في غير رواية القزاز، وأبان عن عاصم: «ورجلاً سالماً» بالف وكسر اللام وبالنصب والتنوين فيهما؛ والمعنى: ورجلاً خالصاً لرجل قد سلم له من غير منازع. ورواه عبد الوارث إلا القزاز كذلك، إلا أنه رفع الاسمين، فقال: «ورجلاً سَلِمَ لِرَجُلٍ» وقرأ ابن أبي عبة: «سَلِمَ لِرَجُلٍ» بكسر السين ورفع الميم. وقرأ الباقون: «ورجلاً سَلَمًا» يفتح السين واللام [وبالنصب] فيهما والتنوين. والسلم، يفتح السين واللام، معناه الصلح، والسلم، بكسر السين مثله. قال الزجاج: من قرأ: «سَلَمًا» و«سَلَمًا» فهما مصدران وُصِفَ بهما، فالمعنى: ورجلاً ذا سلم لرجل وذا سلم لرجل، فالمعنى: ذا سلم؛ والسلم: الصلح، والسلم، بكسر السين مثله. وقال ابن قتيبة: [من قرأ]: «سَلَمًا لِرَجُلٍ» أراد: سلم إليه فهو سلم له. وقال أبو عبيدة: السلم والسلم الصلح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا يستويان، لأن الخالص لمالك واحد يستحق من معرفته وإحسانه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين. وقيل: لا يستويان في باب الراحة، لأن هذا قد عرف الطريق إلى رضا ماله، وذاك متحير بين الشركاء. قال ثعلب: وإنما قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ولم يقل: مَثَلَيْنِ، لأنهما جميعاً ضرباً مثلاً واحداً، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَا آتِينَ مَرِيحًا وَمَاءً مَائَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ولم يقل: آيتين، لأن شأنهما واحد. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿أَلَمْ تَدْرُ لَهُ﴾ أي: له الحمد دون غيره من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه بما بعد هذا الكلام أنه يموت، وأن الذين يكذبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخصومة عند الله ﷻ، المُحِقُّ والمُبْطِلُ، والمظلوم والظالم. وقال ابن عمر: نزلت هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها، وما نرى أنها نزلت إلا فينا وفي أهل الكتابين، حتى قُتِلَ عثمان، فعرفت أنها فينا نزلت. وفي لفظ آخر: حتى وقعت الفتنة بين علي ومعاوية<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وَالَّذِي جَاءَهُ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَمْ يَأْمُرْهُمْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ يُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بأن دعا له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ وهو التوحيد والقرآن ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: مقامٌ للنجاحدين؟! وهذا استفهام بمعنى التقرير، يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالصِّدْقِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد. ثم في الصديق الذي جاء به قولان: أحدهما: أنه «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال [سعيد] بن جبیر. والثاني: [أنه] القرآن، قاله قتادة. [وفي الذي صدق به ثلاثة أقوال. أحدها: أنه رسول الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصديق، وهو صدق به، قاله ابن عباس، والشعبي. والثاني: أنه أبو بكر، قاله علي بن

(١) في «فتح الباري» ٤٢٢/٨: وعن أبي عبيدة: «ورجلاً سالماً»، الرجل سالم وسلم واحد، وهو من الصلح. فعلى هذا التفسير، السلم: مصدر أريد به اسم الفاعل.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ بِرَأْيِهِمْ وَبِهِمْ جَحِيضٌ﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَكُنَّ نَتَاجُ أَوْ قِيلَ أَتَأْتِيكُمْ عَلَى كَفَرٍكُمْ وَمَنْ يَغْلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ قَدْ يُضِلُّ اللَّهُ سَبِيلَ﴾ وَسَيَّرَ اللَّهُ الشَّكْرَ ﴿٣٣﴾ قال: ومعنى هذه الآية: إنكم ستفلقون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين، قال: ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. اهـ.

أبي طالب. والثالث: أنهم المؤمنون، قاله قتادة، والضحاك، وابن زيد. والقول الثاني: [أن] الذي جاء بالصدق: أهل القرآن، وهو الصدق الذي يُجيئون به يوم القيامة، وقد أدوا حقه، فهم الذين صدّقوا به قاله مجاهد. والثالث: أن الذي جاء بالصدق الأنبياء، قاله الربيع، فعلى هذا، يكون الذي صدّق به: المؤمنون. والرابع: أن الذي جاء بالصدق: جبريل، وصدق به: محمد، قاله السدي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقُوا الشُّرَكَ<sup>(٢)</sup>؛ وإنما قيل: «هُم»، لأن معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عبيدة، والزجاج:

فَلَمَّا السَّيِّ حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ، كُلُّ الْقَوْمِ، يَا أُمَّ خَالِدٍ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا ليُكَفِّرَ عنهم ﴿أَسْأَلُ إِلَهِي عَمَلُوا﴾، أي: لِيَسْتُرَ ذلك بالمغفرة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ بمحاسن أعمالهم، لا بمساوئها.

﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُجْزِيهِمْ وَهُوَ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ﴾ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ذكر المفسرون أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، ما تزال تذكر آلهتنا وتعيبها، فاتق أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. والمراد بعبد هاهنا: محمد ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «عبادة» على الجمع، وهم الأنبياء، لأن الأمم قصدتهم بالسوء؛ فالمعنى أنه كما كفى الأنبياء قبلك، يكفيك. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عمران الجوني: «يكافي» مثبته الياء «عَبْدِي» بكسر الدال والهاء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، والشعبي مثله، إلا أنهم أثبتوا الألف في «عباده». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش: «يكافي» بالتنوين، «عبادة» على الجمع. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء العطاردي: «يكافيني» بياء مرفوعة قبل الكاف وباء ساكنة بعد الفاء «عبادة» على الجمع. ﴿وَيُجْزِيهِمْ﴾ أي: بالذين يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ، وهم الأصنام. ثُمَّ أَعْلَمَ بما بعد هذا أن الإضلال والهداية إليه تعالى، وأنه منتقم ممن عصاه. ثم أخبر أنهم مع عبادتهم، يُؤَيَّرُونَ أنه الخالق. ثم أمر أن يُخْتَجَّ عليهم بأن ما يعبدون لا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرٍّ وَلَا جَلْبَ خَيْرٍ. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «كاشفاتُ ضُرِّه» و«ممسكاتُ رحمته» منوئاً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرِّه» و«ممسكاتُ رحمته» على الإضافة.

﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَلِكُمْ إِلَى عَمَلِكُمْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ افْتَكَرَ وَلَنَفْسِهِ وَمَنْ سَلَ قَائِمًا يُضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَلِكُمْ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها والآية التي تليها نُسخَتْ بآية السيف. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليس فيه باطل. وتام الآية مفسر في آخر [يونس: ٤١٠٨]، وذكرنا أنه منسوخ بآية السيف.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالنَّبِيِّتِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله، والعمل بما ابتهت به رسوله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين اتَّقُوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فخافوا عقابه. اهـ.

(٣) البيت للشهيد بن رُمَيْلة، وهو في «الكتاب» ٩٦/١، و«مجاز القرآن» ١٩٠/٢، و«مشكل القرآن» ٢٨١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: فُلج.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٣٢٨/٥: أخرجه عبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو لنامرئها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾.

﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَوْتِهِا فِيمَسِكُ إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ إِلَيْهِ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَمُ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا﴾ أي: يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ حِينَ مَوْتِ أَجْسَادِهَا ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ﴾ أي: ويتوَكَّلُ الذي لَمْ يَمُتْ ﴿فِي مَوْتِهِا﴾. ﴿فِيمَسِكُ﴾ أي: عن الجسد [والنفس] ﴿إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿قَضَىٰ﴾ بضم القاف وفتح الباء، «الموت» بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ﴾ إلى الجسد ﴿إِلَيْهِ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء العُمُر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَمُ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمر البعث<sup>(١)</sup>. وروى [سعيد] بن جبيرة عن ابن عباس قال: تلقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُرَدُّ أرواح الأحياء إلى أجسادها، فلا يخطأ بشيء منها، فذلك قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَمُ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقال ابن عباس في رواية أخرى: في ابن آدم نفس وروح، فبالنفس العقل والتمييز، وبالروح النفس والحريك، فإذا نام العبد، قَبِضَ اللَّهُ نَفْسَهُ ولم يَقْبِضْ روحه. وقال ابن جريج: في الإنسان روح ونفس، بينهما حاجز، فهو تعالى يَقْبِضُ النَّفْسَ عند النوم ثم يَرُدُّهَا إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتة العبد في نومه، لم يَرُدِّ النَّفْسَ وَقَبِضَ الرُّوحَ. وقد اختلف العلماء، هل بين النفس والروح فرق؟ على قولين قد ذكرتهما في «الوجوه والنظائر»، وزدت هذه الآية شرحاً في باب التوقي في كتاب «النظائر». وذهب بعض العلماء إلى أن التوقي المذكور في حق النائم هو نومه، وهذا اختيار الفراء وابن الأنباري؛ فعلى هذا، يكون معنى توقي النائم: قبض نفسه عن التصرف، وإرسالها: إطلاقها باليقظة للتصرف.

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ دَرَأَ اللَّهُ شُفَعَاءَ قُلُوبِ أَوْلَو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَقُولُونَ﴾ (١٢) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ دَرَأَ اللَّهُ شُفَعَاءَ قُلُوبِ أَوْلَو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَقُولُونَ﴾ أي: لا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وفي المراد بالشُّفَعَاءِ قولان: أحدهما: أنها الأصنام، زعموا أنها تشفع لهم في حاجاتهم، قاله الأكثرون. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. ﴿قُلْ أَوْلَو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَقُولُونَ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا الاستفهام محذوف، تقديره: أَوْلَو كَانُوا بهذه الصفة تتخذونهم؟ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ أي: لا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٤) ﴿قُلْ أَلَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَيْهِمُ الْعَقَبُ وَالشَّهَادَةُ أَنَّكُمْ كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٥) ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١٦) ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: انقبضت عن التوحيد، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: استكبرت، قاله قتادة. والثالث: تفرّت، قاله أبو عبيدة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الأنعام: ١٤، ٧٣، البقرة: ١٧٣، الرعد: ١٨] إلى قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. قال السدي: ظَنُّوا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَسَنَاتٌ، فبَدَتْ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ. وقال غيره: عَمِلُوا أَعْمَالاً ظَنُّوا أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ شِرْكُهُمْ. قال مقاتل: ظهر لهم حين يُعْتَبَرُوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم؛ فهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم كانوا يرجون القرب من الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها، بدا لهم ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَ. والثاني: أَنَّ البعث والجزاء لم يكن في حسابهم.

(١) قال ابن كثير: قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَلْهَىٰ بَنُوكُمْ بِالْوَيْلِ وَيُنَاسِ مَا جَاءَهُمْ بِالْأَلْبَابِ ثُمَّ يَبْسُطُكُم بِهِ لَقَدْ أُفٍّ لَّكُمْ شَيْئاً ثُمَّ إِلَيْهِ رُجُوعُكُمْ ثُمَّ يَبْسُطُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمُوتُونَ﴾ ﴿وَمَنْ أَلْهَىٰ قَوْمَهُ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ رُسُلُهُمْ يَتَزَكَّىٰ عَنْهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَقَدْ كَانُوا يَكُونُونَ﴾ فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى، قال: وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَوْتِهِا فِيمَسِكُ إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ إِلَيْهِ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. اهـ.

وروي عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت وقال: أخشى هذه الآية أن يدولي ما لا أحسب.

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما كانوا يتكبرونه ويكذبون به.

﴿إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَمًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)   
 قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سِتَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سِتَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَمًا﴾ قال مقاتل: هو أبو حذيفة بن المغيرة، وقد سبق في هذه السورة نظيره (الزمر: ٨). وإنما كتني عن النعمة بقوله: ﴿أُوتِيتُهُ﴾، لأن المراد بالنعمة: الإنعام. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي، أي: على خير عليمه الله عندي. وقيل: على علم من الله بأنني له أهل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هِيَ﴾ يعني النعمة التي أنعم [الله] عليه بها ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: بلوى يبتلى بها العبد ليَشْكُرَ أو يكفر، ﴿وَلَكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك استدراج لهم وامتحان. وقيل: بل هي أي: المقالة التي قالها الفتنة. ﴿قَدْ قَالُوا﴾ يعني تلك الكلمة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الأمم الماضية، قاله السدي. والثاني: قارون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: ما دفع عنهم العذاب ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الكفر. والثاني: من عبادة الأصنام. والثالث: من الأموال. ﴿فَأَصَابَهُمْ سِتَاتٌ مَّا كَسَبُوا﴾ أي: جزاء سيئاتهم، وهو العذاب. ثم أورد كفار مكة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سِتَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: إنهم لا يُعْجِزُونَ الله ولا يَفُوتُونَهُ. قال مقاتل: ثم وعظهم ليَعْلَمُوا وحدانيته حين مُطِّروا بعد سبع سنين، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في بسط الرِّزْق وتقيده ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ يَبَايِدِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)   
 وَيَا بَيِّنَا إِلَٰك رَيْبَكُمْ وَأَسْلَمُوا لَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْمَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبَايِدِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ناساً من المشركين كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو نُحْجِرْنَا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونقر من المسلمين كانوا قد أسلموا، ثم عذبوا فافْتَبَتُوا، فكان أصحاب رسول الله يقولون: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً، قوم تركوا دينهم بعذاب عذبوا فنزلت هذه الآية، فكتبها عمر إلى عياش والوليد وأولئك النفر، فأسلموا وهاجروا؛ وهذا قول ابن عمر<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في وحشي؛ وهذا القول ذكرناه مشروحاً في آخر [الفرقان: ٦٨] عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونُسَلِّم وقد فعلنا ذلك؟! فنزلت هذه الآية؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٤)</sup>. ومعنى «أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ» ارتكبوا الكبائر. والقنوط بمعنى اليأس<sup>(٥)</sup>. ﴿وَيَا بَيِّنَا﴾ بمعنى ارجعوا إلى الله من الشرك والذنوب،

(١) رواه البخاري ٤٢٢/٨ من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والطبري ٤١/١٩، وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذلك رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١، ورواه البخاري أيضاً ٣٨٠/٨ في سورة الفرقان مختصراً. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٧٧/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٥/٢٤، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٠/٥: أخرج الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند فيه لين عن ابن عباس ... الخ.

(٤) «الطبري» ١٤/٢٤، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١ عن ابن عباس بدون سند، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٣١/٥، وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٥) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب =

﴿وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ أي: أخلصوا له التوحيد. و«تُنْصَرُونَ» بمعنى تُمْنَعُونَ. «وَأَسْلِمُوا أَحْسَنَ مَا أُفْرِلَ إِلَيْكُمْ» قد بيّناه في قوله: «يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» [الأعراف: ١٤٥].

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَةٍ عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ التَّخَوِّينَ﴾ (٥٦) «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (٥٧) «أَوْ تَقُولَ لَمَنِ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْشِينَ» (٥٨) «بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ» (٥٩)

قوله تعالى: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» قال المبرد: المعنى: بإدروا قبل أن تقول نفْسٌ، وحذراً من أن تقول نفْسٌ. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى «بِحَسْرَةٍ» يا ندامتا ويا حزنا. والتحسر: الاحتمام على ما فات. والألف في «يا حسرتا» هي [ياء] المتكلم، والمعنى: يا حسرتي<sup>(١)</sup>، على الإضافة. قال الفراء: والعرب تحوّل الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدعاء، وربما أدخلت العرب الهاء بعد هذه الألف، فيخفّضونها مرّةً، ويرفعونها أخرى. وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو الجوزاء: «يا حسرتي» بكسر التاء، على الإضافة إلى النَّفْسِ. وقرأ معاذ القارئ، وأبو جعفر: «يا حسرتاي»، بألف بعد التاء وياء مفتوحة. قال الزجاج: وزعم الفراء أنه يجوز «يا حسرتاة» على كذا؛ بفتح الهاء، و«يا حسرتاه» بالضم والكسر، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تُثَبِّتَ هذه الهاء مع الوصل.

قوله تعالى: «فِي حَسْبِ اللَّهِ» فيه خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن. والثاني: في حق الله، قاله سعيد بن جبير. والثالث: في أمر الله، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: في ذكر الله، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: في قُرب الله؛ روي عن الفراء أنه قال: الجَنَبُ: القُربُ، أي: في قُرب الله وجواره؛ يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي: في قُربه وجواره؛ فعلى هذا يكون المعنى: [على] ما فَرَّقْتُ في طلب قُرب الله تعالى، وهو الجنة. قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ التَّخَوِّينَ» أي: وما كنتُ إلّا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين في الدنيا. «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي» أي: أرشدني إلى دينه «لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» الشُّركُ؛ فيقال لهذا القائل: «بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي» قال الزجاج: و«بلى» جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، غير أن معنى «لو أن الله هداني»: ما هُديتُ، فقليل: «بلى قد جاءتك آياتي». وروى ابن أبي سريج [عن الكسائي]: «جاءتك»، «فكذبت»، «واستكبرت»، و«كنت»، بكسر التاء فيهن، مخاطبةً للنفس. ومعنى «استكبرت»: تكبرت عن الإيمان بها.

﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوْتٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) «وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا بِمَقَالَتِهِمْ لَا يَنْصُرُهُمُ السَّوْءُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» (٦١)

قوله تعالى: «وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ» فزعموا أن له ولداً وشريكاً «وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ». وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل. وباقى الآية قد ذكرناه آنفاً [الزمر: ٣٢]. قوله تعالى: «وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا بِمَقَالَتِهِمْ» وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بمقالاتهم». قال الفراء: وهو كما قد تقول: قد تبين أمر القوم وأمورهم، وارتفع الصوت والأصوات، والمعنى واحد. وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال. أحدها: بفضائلهم، قاله السدي. والثاني: بأعمالهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثالث: بفوزهم من النار. قال المبرد: المَفَازة: مَفْعَلَةٌ من الفوز، وإن جُمع فحسن، كتولك: السعادة والسعادات، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم، أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

= منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر، قال: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، وسرد بعض الأحاديث المتعلقة بهذه الآية التي تدل على سعة رحمة الله وفضله، ثم قال: وهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع الذنوب مع التوبة، قال: ولا يقطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة واسع، قال الله تعالى: «أَلَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ هُوَ بِقَبْلِ الْكُفَّةِ مَن يَكُونُ» وقال ﷺ: «وَمَنْ يَسْأَلْ شَوْءًا أَوْ يَتَلَمَّزْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (٦٢). ثم ذكر عدة أحاديث في نفي القنوط، واعتقاد أن الله تعالى غفور رحيم لمن تاب إليه وأتاب.

(١) في الأصل: «يا حسرتا».





﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَوَقَ مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِنَّا هُمْ يَوْمًا يَنْظُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾  
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَوُيَاتِ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
عَمِلَتْ وَهُمْ أَهْلُ أَعْلَمَ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرِقِ الْأَرْضَ بَنِي رَيْبَا﴾ أي: أضاعت. والمراد بالأرض: عَرَصات القيامة.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ بَابُ رَبِّكُمْ وَيُذَكِّرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حُجَّتْ كُلُّهُمْ عَلَى الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ وَقَدْ أَفْضَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِطَبَعْتُمْ هَٰذَا وَلَمْ تَلْمِزُوا فِيهِ خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَالَتَهُ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأُفُيَ بَيْنَهُمُ الْخَبْرُ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ قال أبو عبيدة: الزمر: جماعات في تفرقة بعضهم على إثر

بعض، واحدها: زُمْرَةٌ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ نَّيْمٌ﴾ أي: من أنفسكم. و﴿كَلِمَةُ الْمَذَابِ﴾ هي قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨].  
قوله تعالى: ﴿فَتَحَّتْ أَرْوَاحُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿فَتَحَّتْ﴾ و﴿فَتَحَّتْ﴾ مشددين؛ وقرأ

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٣٤/١٣ مختصراً، ورواه مسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، واللفظ له، وتمام الحديث عنده: «ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: «أنا الملك، أين الجارون، أين المتكبرون».

(٢) قال ابن كثير: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، قال: والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكلف ولا تحريف. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقلوه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخًا مِّنْ فِي السُّجُوتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَلَا مَرَّةً إِلَّاهُ﴾ قال: هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحاً مفسراً في حديث الصور المشهور، قال: ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفخ الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لَسَىٰ أَكَلُ الْأَشْيَاءِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ﴾، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنا الذي كنت وجدي وقد هزمت كل شيء، وحسبتم بالفناء على كل شيء، ثم يجيب أول من يجيب إسرائيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ لَفْظًا ثَلَاثًا ثُمَّ يَبْظُرُونَ﴾ أي: أحياء بعدما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أمهال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي سَعِيرٍ رَّحْمَةٌ﴾ ﴿لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ أَعْيُنٌ﴾ اهـ.

[illegible]



عاصم، وحمرة، والكسائي: بالتخفيف. وفي هذه الواو ثلاثة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللغويين منهم الفراء. والثاني: أنها واو الحال؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مُغلقة قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فُتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مُغلقة ليكون أشدَّ لحراً، ذكره أبو إسحاق ابن شافلا من أصحابنا<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوعٌ ذلٌّ، فصيّن أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أهل الجنة بابها مُغلقةً لأثّر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلّق باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة، وقد قال ﷺ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]؛ قال المصنف: هذا وجهٌ خطر لي. والقول الثالث: أن الواو زيدت، لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، والعرب تُعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما ذكرناه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَاتَّخَذَتْهُمْ كُتُبًا﴾ [الكهف: ٢٢]، حكى هذا القول والذي قبله الثعلبي. واختلف العلماء أين جواب هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الجواب محذوف، قاله أبو عبيدة، والمبرّد، والزجاج في آخرين. وفي تقدير هذا المحذوف قولان. أحدهما: أن تقديره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ...﴾ إلى آخر الآية... سَعِدُوا، قاله المبرّد. والثاني: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا كَلِيلِينَ...﴾ دخلوها، وإنما حُذف، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيار الزجاج. والقول الثاني: أن الجواب: قال لهم خزنتها، والواو زائدة، ذكره الأخفش، قال: ومثله في الشعر:

فَإِذَا ذَلِكَ يَا كُتُبِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِخَيَالٍ<sup>(٣)</sup>

أي: فإذا ذلك. والثالث: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها، والواو زائدة، حكاه الزجاج عن قوم من أهل اللغة. وفي قوله: ﴿يُتَبَّرُ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينا، فيشربون من إحدهما، فلا يبقى في بطونهم أدنى ولا قذى إلا خرج، ويفتسلون من الأخرى، فلا تَغَيَّرَ جلودهم ولا تَسَعَّتْ أشعارهم أبداً، حتى إذا انتهوا إلى باب الجنة قال لهم عند ذلك خزنتها: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يَتَبَّرُ﴾، رواه عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقد ذكرنا في [الأعراف: ٤٤] نحوه عن ابن عباس. والثاني: طاب لكم المقام، قاله ابن عباس. والثالث: طِبُّنْمْ بطاعة الله، قاله مجاهد. والرابع: أنهم طُيِّبُوا قُبُلُ دخول الجنة بالمغفرة، واقتُص من بعضهم لِبَعْض، فلَمَّا هُذِبُوا قالت لهم الْخَزَنَةُ: طِبُّنْمْ، قاله قتادة. والخامس: كنتم طُيِّبِينَ في الدنيا، قاله الزجاج. فلَمَّا دخلوها قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْفَىٰ أَلْفَاظَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَّرُ مِنْ أَلْجَنَّةِ حَيْثُ كُنَّا﴾ أي: نَتَخَذُ فيها من المنازل ما نشاء. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن أُمَّة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَّرُ مِنْ أَلْجَنَّةِ حَيْثُ كُنَّا﴾؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْمُتَحَلِّينَ﴾ أي: نِعْمَ ثَوَابُ الْمُطِيعِينَ في الدنيا الجنة. قوله تعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْمَرْثَى﴾ أي مُخْلِقِينَ به، يقال: حَفَّ الْقَوْمُ بفلان: إذا أَخَذُوا به؛

(١) وهي الواو في قوله تعالى: ﴿وَوَيْتَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لِمَنْ خَرَجْتَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شافلا البزار الحنبلي، جليل القدر، كثير الرواية، حسن الكلام في الأصول والفروع، توفي رحمه الله سنة (٣٦٩ هـ).

(٣) البيت لثميم بن مقبل، «ديوانه» ٢٥٩ من تصديده مطلقها:

سَائِلٌ بِكُتُبِيَّةٍ دَارِمٍ الْأَطْلَالِ

فَدَمِيخُجْكَ رُسُومُهَا إِسْوَالِ

وهو في الطبري ٣٦/٢٤، «الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لَمَم. ورواية البيت في الديوان: «إِلَّا كَلِمَةً... وَالْحَلَمَةُ: الْمَرْثَى مِنْ «حَلَمَ»: إِذَا رَأَى شَيْئًا فِي الْمَنَامِ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّي: قَوْلُهُ: «فَإِذَا وَذَلِكَ» مُبْتَدَأٌ، وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ، كَذَا ذَكَرَهُ الْأَخْفَشُ، وَلَمْ يَكُنْ خَبْرُهُ.

(٤) «الطبري» ٣٥/٢٤. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٢٢/٥، وزاد نسبه لابن المبارك في «الزهدة»، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، والبيهقي في «البعث»، والضياء في «المختارة» عن علي ﷺ.

ودخلت «مِنْ» للتوكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السدي، ومقاتل: بأمر ربهم. وقال بعضهم: يُسَبِّحُونَ بالحمد له حيث دخل الموحّدون الجنة. وقال ابن جرير: التَّسْبِيحُ هاهنا بمعنى الصَّلَاة. قوله تعالى: ﴿وَقُفِّصَ بِهِمْ﴾ أي: بين الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا قول أهل الجنة شُكْرًا لله تعالى على إنعامه. قال المفسّرون: ابتدأ الله ذِكْرَ الْخَلْقِ بِالْحَمْدِ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختم<sup>(١)</sup> غاية الأمر - وهو استقرار الفريقين في منازلهم - بالحمد لله بهذه الآية، فنبّه على تحميده في بداية كل أمرٍ وخاتمته.



## سورة المؤمن

قال أبو سليمان الدمشقي: ويقال لها: سورة الطُّوْل<sup>(١)</sup>. وهي مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ والتي بعدها [المؤمن: ٣٥، ٣٦]. قال الزجاج: وذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة. قال ابن قتيبة: يقال: إن «حم» اسم من أسماء الله أضيفت هذه السورة إليه، كأنه قيل: سُورَةُ اللَّهِ، لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا، فقيل: آل حاميم، وإن كان القرآن كله سُورَةُ اللَّهِ، وإن هذا كما يقال: بَيْتُ اللَّهِ، وَحَرَمُ اللَّهِ، وَنَافَةُ اللَّهِ، قال الكمي:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً  
تَأُولُهَا مِنَّا تَقِيٍّ وَمُغْرِبٍ<sup>(٢)</sup>  
وقد تجعل «حم» اسماً للسورة، ويدخل الإعراب ولا يُضَرَفُ، ومن قال هذا في الجميع: الحواميم، كما يقال: «طس» والطواسين. وقال محمد بن القاسم الأنباري: العرب تقول: وقع في الحواميم، وفي آل حميم، أنشد أبو عبيدة:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللّٰوَاتِي طُوْلَتْ  
وَبِمَثَانٍ تُنْثِيَتْ فَكُرِّرَتْ  
وبالحواميم اللّٰوَاتِي سُبِعَتْ  
وَبِمَثْنَيْنِ بَغْدَهَا قَدْ أُنْثِيَتْ  
وَبِالطّٰوَارِسِينَ اللّٰوَاتِي تُلْثَتْ  
وبالمفصل اللّٰوَاتِي فُضِّلَتْ<sup>(٣)</sup>

فمن قال: وقع في آل حاميم، جعل حاميم اسماً لكلهنّ؛ ومن قال: وقع في الحواميم، جعل «حم» كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي قال: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب أن تقول: قرأت آل حاميم. وفي حديث ابن مسعود «إذا وقعت في آل حم»<sup>(٤)</sup> وقعت في روضات دوثات<sup>(٥)</sup>، وقال الكمي:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴿٢﴾

وفي «حم» أربعة أقوال: أحدها: قَسَمَ أَقْسَمَ اللَّهُ به وهو من أسمائه ﷻ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو سليمان: وقد قيل: إن جواب القَسَمِ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمن: ١٠]. والثاني: أنها حروف من أسماء الله ﷻ، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن «الر» و«حم» و«نون» حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن الحاء مفتاح اسمه «حميد»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية. والثالث: أن الحاء مفتاح كل اسم لله ابتداءه حاء، مثل «حكيم»، و«حليم»، و«حي»، والميم مفتاح كل اسم له، ابتداءه ميم مثل «ملك»، و«متكبر» و«مجيد»، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وروي نحوه عن عطاء الخراساني. والثالث: أن معنى «حم»: قُضِيَ ما

(١) ويقال لها أيضاً: سورة غافر.

(٢) البيت في «الكتاب» ٣٠/٢، و«مجاز القرآن» ١٩٣/٢، و«غريب القرآن» ٣٦، و«الطبري» ٤٠/٢٤، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: عرب.

(٣) «مجاز القرآن» ٧/١ والزيادة بين المعقفين منه.

(٤) كذا في الأصول وكتب التفسير، وفي «النهاية» و«اللسان» و«التاج»: «قرأت آل حاميم» بدل «وقعت في آل حاميم».

(٥) قال السيوطي في «الدر» ٣٤٤/٥: أخرج أبو عبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا وقعت في الحواميم وقت في روضات أنثى فيهن.

هو كائن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ورُوي عن الضحاك والكسائي مثل هذا كأنهما أرادا<sup>(١)</sup> الإشارة إلى حُم، بضم الحاء وتشديد الميم. قال الزجاج: وقد قيل في «حَم»: حُم الأمر. والرابع: أن «حَم» اسم من أسماء القرآن، قال قتادة: وقرأ ابن كثير: «حَم» بفتح الحاء؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بكسرهما؛ واختلف عن الباقي. قال الزجاج: أما الميم، فساكنة في قراءة القراء كلهم إلا عيسى بن عمر، فإنه فتحها؛ وفتحها على ضريبن. أحدهما: أن يجعل «حَم» اسماً للسورة، فينصبه ولا ينوّه، لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل. والثاني: على معنى: اتل حَم؛ والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف الهجاء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذا تنزيل الكتاب. والتَّوْبُ: جمع تَوْبَةٍ، وجائز أن يكون مصدرًا من تاب يُتَوَّبُ تَوْبًا. والطَّوْلُ: الفضل. قال أبو عبيدة: يقال: فلان ذو طَوَّلٍ على قومه، أي: ذو فَضْلٍ. وقال ابن قتيبة: يقال: طُلَّ عليّ يرحمك الله، أي: تَفَضَّلَ. قال الخطابي: ذو: حرف النسبة، والنسبة في كلامهم على ثلاثة أوجه. بالياء، كقولهم: أسدي، وبكري، والثاني: على الجمع، كقولهم: المهالبة، والمسامعة، والأزارقة، والثالث: بـ «ذِي» و«ذات»، كقولهم: رجل مال، أي: ذو مال، وكيش صاف، أي: ذو صوف، وناقة ضامر، أي: ذات ضمر؛ فقوله: ذو الطَّوْلُ، معناه: أهل الطَّوْل والفضل.

﴿مَا يُجِدُ اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِيكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَدِ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَحْدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۗ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْفَتُكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يُجِدُ اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ما يُخَاصِمُ فيها بالكذب لها ودفعها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وبإني الآية في (آل عمران: ١٩٦)؛ والمعنى: إن عاقبة أمرهم إلى العذاب كماقبة مَنْ قَبْلَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ليقبضوه، قاله ابن عباس، وفتادة. والثاني: ليحبسوه ويعذبوه، ويقال للأسير: أخبذ، حكاية ابن قتيبة. قال الأخفش: وإنما قال: «ليأخذوه» فجمع على الكل، لأن الكل مذكر ومعناه معنى الجماعة. وما بعد هذا مفسر في [الكهف: ٥٦] إلى قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أي: عاقبتهم وأهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل الذي حَقَّ على الأمم المكذبة ﴿حَقَّتْ كَيْفَتُكَ رَيْكَ﴾ بالعذاب، وهي قوله: ﴿لَأَنلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] على الذين كفروا من قومك. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَيْكَ﴾، ﴿أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ عِبَادِكَ وَآتَاهُمْ وَأَنزَلْنَاهُمْ فِيهَا أَنْزَلَ الْغُرُورِ الْحَكِيمِ ۝﴾ ﴿وَقِهِمُ السَّعْيَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّعْيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجَعْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفُرُورُ الْعَظِيمُ ۖ﴾

ثم أخبر بفضل المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَ﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال وهب بن منبه: حَوْلُ العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة ليس فيهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبحه الآخر. وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون وهم سادة الملائكة. وقد ذكرنا في السورة المتقدمة معنى قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: رَبَّنَا ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. وقال غيره: المعنى: وَسِعَتْ رحمتك وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشُّرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ وهو

(١) في الأصل: أراد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، قال: وقد بيَّنا ذلك في قوله: ﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾ ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في ﴿حَم﴾ وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجى قولاً واحداً، اهـ.

دين الإسلام. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَرِجَهُمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: يعني العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ١٠ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا أَتْنَيْنِ وَأَعْيَيْنَا فَأَفْرَفْنَا بِدُعْوَانَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ١١ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ١٢

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ﴾ قال المفسرون: لما رأوا أعمالهم وأدخلوا النار مقننوا أنفسهم لسوء فعلهم، فناداهم مناد: لَمَقْتُ الله إيتاكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أكبر من مقتكم أنفسكم. ثم أخبر عما يقولون في النار بقوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا أَتْنَيْنِ وَأَعْيَيْنَا أَتْنَيْنِ﴾ وهذا مثل قوله: ﴿وَكُنْتُمْ آمِنًا فَلَمَّا نَكَّمْتُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ ثُمَّ يُخَبِّئُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وقد فسرناه هناك.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ أي: من النار إلى الدنيا لنعمل بالطاعة ﴿بَيْنَ سَبِيلٍ﴾؟ وفي الكلام اختصار، تقديره: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك؛ وقيل لهم: ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني العذاب الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: إذا قيل «لا إله إلا الله» أنكروا، وإن جعل له شريك آتتم، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ فهو الذي حكم على المشركين بالنار. وقد بيّنا في سورة [البقرة: ٢٥٥] معنى العلي، وفي [الرعد: ٩] معنى الكبير.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٤ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ ١٥ يَوْمَ هُمْ بَبْرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ١٦ الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٧

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: مصنوعاته التي تدل على وحدانيته وقدرته. والرزق هاهنا: المطر، سمي رزقا، لأنه سبب الأرزاق. و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بمعنى يتعظ، و﴿يُنِيبُ﴾ بمعنى يرجع إلى الطاعة. ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: موحدين.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ قال ابن عباس. يعني رافع السموات. وحكى الماوردي عن بعض المفسرين قال: معناه: عظيم الصفات.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: خالقه ومالكه.

قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: النبوة. والقولان مرويان عن ابن عباس. وبالأول قال ابن زيد، والثاني قال السدي. والثالث: الوحي، قاله قتادة. وإنما سمي القرآن والوحي روحاً، لأن قوام الدين به، كما أن قوام البدن بالروح. والرابع: جبريل، قاله الضحاك. والخامس: الرحمة، حكاه إبراهيم الحربي.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قضائه، قاله ابن عباس. والثاني: بأمره، قاله مقاتل. والثالث: من قوله، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني الأنبياء. ﴿يُنْزِلُ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله تعالى. والثاني: النبي الذي يوحى إليه. والمراد بـ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم القيامة. وأثبت ياء «التلاقي» في الحاليين ابن كثير ويعقوب، وأبو جعفر وافقهما في الوصل؛ والباقون بغير ياء في الحاليين، وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخرون، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يلتقي فيه الخلق والخالق، قاله قتادة ومقاتل. والرابع: يلتقي المظلوم والظالم، قاله ميمون بن مهران. والخامس: يلتقي المرء بعمله، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَبْرُونَ﴾ أي: ظاهرون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ﴾. فإن قيل: فهل يخفى عليه منهم اليوم شيء؟ فالجواب: أن لا، غير أن معنى الكلام التهديد بالجزاء؛ وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا

يُخْفَى عَلَيْهِ مِمَّا عَمِلُوا شَيْءٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. والثاني: لَا يَسْتَرُونَ مِنْهُ بِجِبِلٍ وَلَا مَدَرٍ، قَالَ قَتَادَةُ. والثالث: أَنْ الْمَعْنَى: أَبْرَزَهُمْ جَمِيعاً، لِأَنَّهُ لَا يُخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْكُلُّ الْيَوْمَ﴾ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا يَقُولُهُ اللَّهُ ﷻ بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلَائِقِ. وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ قَوْلِهِ لَهُ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: [أَنَّهُ] يَقُولُهُ عِنْدَ فَنَاءِ الْخَلَائِقِ إِذَا لَمْ يَبْقَ مُجِيبٌ، فَيَرُدُّهُ عَلَى نَفْسِهِ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْوَجِدَ الْفَهَّارَ﴾، قَالَ الْأَكْثَرُونَ. والثاني: أَنَّهُ يَقُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِيهِمْ يُجِيبُهُ حِينَئِذٍ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُجِيبُ نَفْسَهُ وَقَدْ سَكَتَ الْخَلَائِقُ لِقَوْلِهِ، قَالَ عَطَاءٌ. والثاني: أَنَّ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ يُجِيبُونَهُ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّ الْوَجِدَ الْفَهَّارَ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِسَابٍ وَلَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ جِزَاءٍ﴾ يَقْلَمُ حَاطَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفَى السُّدُورُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ الْجُمْهُورُ. قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: وَاسْمُتِ الْقِيَامَةُ بِذَلِكَ لِقُرْبِهَا، يُقَالُ: أَرَفْتُ شَخْصًا فَلَانٍ، أَيْ: قُرْبٍ. والثاني: أَنَّهُ يَوْمُ حُضُورِ الْمُنِيَّةِ، قَالَ قَطْرَبُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْتَقِي إِلَى الْحَنَاجِرِ فَلَا تَخْرُجُ وَلَا تَعُودُ، هَذَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَعَلَى الثَّانِي: الْقُلُوبُ هِيَ النُّفُوسُ تَبْلُغُ الْحَنَاجِرَ عِنْدَ حُضُورِ الْمُنِيَّةِ؛ قَالَ الزَّجَاجُ: وَ﴿كَظِيمِينَ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْحَالُ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ لَا يُقَالُ لَهَا: كَاطِمِينَ، وَإِنَّمَا الْكَاطِمُونَ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ؛ فَالْمَعْنَى: إِذْ قُلُوبُ النَّاسِ لَدَى الْحَنَاجِرِ فِي حَالِ كَظْمِهِمْ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: «كَاطِمِينَ» أَيْ: مَغْمُومِينَ مَمْتَلِينَ خَوْفًا وَحُزْنًا، وَالكَاطِمُ: الْمُخْمِيكُ لِلشَّيْءِ عَلَى مَا فِيهِ؛ وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالْكَظِيمُ الْقَظِيمُ﴾ (إِلَ عَمْرًا: ١٣٤). «مَا لِلظَّالِمِينَ» يَعْنِي الْكَافِرِينَ «وَمِنْ حِسَابٍ» أَيْ: قَرِيبٍ يَنْفَعُهُمْ «وَلَا سَفِيعَ يُطَاعُ» فِيهِمْ فَتَقَبَّلَ شَفَاعَتَهُ. «يَقْلَمُ حَاطَةَ الْأَعْيُنِ» قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: الْخَائِنَةُ وَالْخِيَانَةُ وَاحِدٌ. وَلِلْمَفْسَرِينَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ فِتْنَةً بِرَأْيِهِمْ أَنَّهُ يُغْضُ بَصَرَهُ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ غَفْلَةً لَحَظَ إِلَيْهَا، فَإِنْ خَافَ أَنْ يَقْطُنُوا لَهُ غَضَّ بَصَرَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. والثاني: أَنَّهُ نَظَرَ الْعَيْنَ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ، قَالَ مُجَاهِدٌ. والثالث: الْغَمَزُ بِالْعَيْنِ، قَالَ الضَّحَّاكُ وَالسَّدي. قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْغَمَزُ بِالْعَيْنِ فِيمَا لَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَلَا يَرْضَاهُ. والرَّابِعُ: النَّظَرَةُ بَعْدَ النَّظَرَةِ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفَى السُّدُورُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الْفِعْلِ أَنْ لَوْ قَدَّرْتَ عَلَى مَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. والثاني: الْوَسُوسَةُ، قَالَ السَّدي. والثالث: مَا يُبْرِهُ الْقَلْبَ مِنْ أَمَانَةٍ أَوْ خِيَانَةٍ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١٩﴾ أَوَّلُهُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُدَوِّهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ رَاقٍ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَفَوْا فَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ إِلَهُ رَفُوعٍ وَهَمَلٍ وَكَذَرٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَاسْتَخَيَبُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: يَحْكُمُ بِهِ فَيَجْزِي بِالْحَسَنَةِ وَالسُّيئَةِ «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» مِنَ الْأَلْهَةِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «تَدْعُونَ» بِالنَّاءِ، عَلَى مَعْنَى: قُلْ لَهُمْ: ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ أَيْ: لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ وَلَا يُجَاوِزُونَ بِهِ؛ وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ ﷻ بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَقْضِي مَنْ كَانَ حَيًّا، وَأَيْدِ ذَلِكَ بِذِكْرِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، لِأَنَّهُمَا إِنَّمَا يَشْتَانُ لِحَقِّ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ. وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهُ (يُوسُف: ١٠٩) وَبَعْضُهُ ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَوْمَ الْآزِفَةِ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَاسْمُتِ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ الْيَوْمَ الْآزِفَةُ﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَائِدَةٌ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ﷻ: «اتَّقُوا النَّاسَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الْكَرِيمَ» وَقَالَ جُل وَعَلَا: «اتَّقُوا لِلَّهِ يَسَابِغُهُمْ» وَقَالَ: «اللَّهُ أَعَزُّ أَهْلًا فَلَا تَسْتَهْزِئُوا» وَقَالَ جُل جَلَالَهُ: «تَقَارَرًا زُلَّةً يَبْتَغِي زُفُوفُ الْوَيْلِ كَثْرًا...» الْآيَةُ. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقْلَمُ حَاطَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفَى السُّدُورُ﴾ يُخْبِرُ ﷻ عَنْ عِلْمِهِ التَّامِّ الْمَحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَلَطِيفِهَا، لِيَحْزَنَ النَّاسُ عِلْمَهُ فَيَسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ، وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَيَرَاتِقُوهُ مِرَاقِبَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّ ﷻ يَعْلَمُ الْعَيْنَ الْخَائِنَةَ وَإِنْ أَبَدَتْ أَمَانَةً، وَيَعْلَمُ مَا تَطْوِي عَلَيْهِ خِيَابِ الصُّدُورِ مِنَ الْفُضَائِلِ وَالسَّرَائِرِ. اهـ.

مِنْهُمْ قُوَّةٌ ﴿٢٦﴾ وقرأ ابن عامر: «أَشَدُّ مِنْكُمْ» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ» أي: من عذاب الله «بَيْنَ وَاقٍ» بقي العذاب عنهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم «بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...» إلى آخر الآية. ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا. وأراد بقوله: «أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ» أعيادوا القتل عليهم كما كان أولاً، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كان فرعون قد كف عن قتل الولدان، فلما بعث الله موسى، أعاد عليهم القتل ليصُدَّهم بذلك عن متابعة موسى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إنه يذهب باطلاً ويحقيق بهم ما يريد الله ﷻ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي وَلَيْدِيَ الرَّبِّ إِني أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنيِ عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيُّوتِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾ يَقْوَمُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَهْرِي فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقْوَمُ إِنيِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ تَبْرَأُ الْخِزَابِ ﴿٣١﴾ يَمْلِكُ دَابَّ قَوْمِ نُجَّ وَكَادِ وَقَوْمُوا وَالَّذِينَ مِنْ بَدْوِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْيَاقِ ﴿٣٢﴾ وَيَقْوَمُ إِنيِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُنَادُوا مَدِينٍ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ زُلِمَ فِي سَكِّهِ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَاكَ قُلْتُمْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ وإنما قال هذا، لأنه كان في خاصة فرعون مَنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قَتْلِهِ خوفاً من الهلاك «وَلَيْدِيَ الرَّبِّ» الذي يزعم أنه أرسله فلم يمنعه من القتل «إني أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ» أي: عبادتكم إنيِ «أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَأَنْ» بغير ألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «أَوْ» أن» بآلف قبل الواو، على معنى: إن لم يبدل دينكم أوقع الفساد، إلا أن نافعاً وأباً عمرو قرأ: «يُظْهِرُ» بضم الياء «الفساد» بالنصب. وقرأ الباقون: «يُظْهِرُ» بفتح الياء «الفساد» بالرفع، والمعنى: يظهر الفساد بتغيير أحكامنا، فجعل ذلك فساداً بزعمه؛ وقيل: يقتل أبناءكم كما تفعلون بهم. فلما قال فرعون هذا، استعاض موسى بربه فقال: ﴿إنيِ عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر: «عُدْتُ» مبيئة الدال، وأدغمها أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف «بَيْنَ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ» أي: متعظم عن الإيمان ففسد فرعون قتل موسى، فقال حينئذٍ «رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...» وفي الآل هاهنا قولان: أحدهما: [أنه] بمعنى الأهل والنسب؛ قال السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون، وهو المراد بقوله: ﴿رَبِّكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْتِ مَعِي﴾ [القصص: ٢٠]. والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة؛ قال قتادة ومقاتل: كان قبطياً. وقال قوم: كان إسرائيلياً، وإنما المعنى: قال رجل مؤمن بكم إيمانه من آل فرعون؛ وفي اسمه خمسة أقوال: أحدها: حزيل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حبيب، قاله كعب. والثالث: سمعون، بالسین المهملة، قاله شعيب الجبائي. والرابع: جبريل<sup>(١)</sup>. والخامس: شمعان، بالشين المعجمة، روي عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج «شمعان» بالشين، وذكره ابن مأكولا بالشين المعجمة أيضاً. والأكثر على أنه آمن بموسى لما جاء. وقال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى<sup>(٢)</sup>، وكذلك امرأة فرعون. قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة سنة.

قوله تعالى: «أَقْتُلُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» أي: لأن يقول «رَبِّيَ اللَّهُ» وهذا استفهام إنكار «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بما يدل على صدقه، «وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» أي: لا يضركم ذلك «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

(١) في الأصل: جبرك، والتصحيح من كتب التفسير.

(٢) قال ابن كثير: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، قال: قال السدي: كان ابن عم فرعون، قال: ويقال: إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام، قال: واختاره ابن جرير وود قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون اشغل لكلامه واستمعه وكث عن قتل موسى ﷺ، قال: ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالقوبة لأنه منهم.



يَعِدُّكُمْ» من العذاب.. وفي «بعض» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «كُلِّ»، قاله أبو عبيدة، وأنشد للبيد:

تَرَاكَ أَنْكِرَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها

أَوْ يَغْتَلِبُ بَغْضَ النُّفُوسِ حَمَاهُ<sup>(١)</sup>

أراد: كُلُّ النُّفُوسِ. والثاني: أنها صِلَةٌ؛ والمعنى: يُصِيبُكُم الذي يَعِدُّكُمْ، حُكِيَ عن الليث. والثالث: أنها على أصلها، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فدخل ذِكْرُ البعض لأنهم على أحد الحالين. والثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكهم في الدنيا بعض الوعد، ذكرهما الماوردي. قال الزجاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر:

قَدْ يُذِرُكَ الْمُتَأَنِّي بَغْضَ حَاجَتِهِ

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الرُّلُّ<sup>(٢)</sup>

ولما ذكر البعض ليجب الكل، لأن البعض من الكل، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الرُّلُّ، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يُقَدَّرُ الخصم أن يدفعه، فكان المؤمن قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يُصِيبَكُم بعض الذي يَعِدُّكُمْ، وفي بعض ذلك هلاككم؛ قال: وأما بيت لبيد، فإنه أراد ببعض النفوس: نَفْسَهُ وحدها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: لا يوفق للصواب ﴿مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المشرك، قاله قتادة. والثاني: أنه الشَّاكِرُ للهدى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عالين في أرض مصر ﴿فَمَنْ يَضُرُّكَ﴾ أي: من يَمْنَعُنَا ﴿مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه؛ والمعنى: لا تتعرضوا للعذاب بالتكذيب وقتل النبي؛ فقال فرعون عند ذلك: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ لنفسي ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ أي: أدعوكم إلا إلى طريق الهدى في تكذيب موسى والإيمان بي، وهذا يدل على أنه انقطع عن جواب المؤمنين. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يَتْلُو آيَاتِ الْأَنْزَابِ﴾ قال الزجاج: أي: يَتْلُو يَوْمَ حَرْبِ حَزْبٍ؛ والمعنى: أخاف أن تُقيموا على كفركم فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم المكذبة رسلاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ النَّارِ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الشَّادِ» بغير ياء. وأثبت الباء في الوصل والوقف ابن كثير، ويعقوب، وافقهم أبو جعفر في الوصل. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وابن جبر، وأبو العالية، والضحاك: «الشَّادِ» بتشديد الدال. قال الزجاج: أما إثبات الباء فهو الأصل، وحذفها حسن جميل، لأن الكسرة تدل على الياء، وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال، ومن قرأ بالتشديد فهو من قولهم: نَدَّ فلان، ونَدَّ البعير: إذا هرب على وجهه، ويدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَى الْأَزَلَّى مِنْ لَدُنْهُ﴾ [ص: ٣٤]؛ قال أبو علي: معنى الكلام: إني أخاف عليكم عذاب يوم الشَّادِ. قال الضحاك: إذا سمع الناس زفير جهنم وشهيقها نَدُّوا فِرَاراً منها في الأرض، فلا يتوجهون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا. وقال غيره: يُؤَمَّرُ بهم إلى النار فيَقْرُونَ ولا عاصم لهم. فأما قراءة التخفيف، فهي من التَّداء، وفيها للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضاً، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ إسرئيلَ بالنَّفخة الأولى فيقول: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فتسير

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته، وهو في «ديوانه» ٣١٣، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٠٥، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٥٧٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٩٤، و«اللسان» بعض.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «البحر المحيط»: ٤٦١/ ٧.

(٣) قال ابن كثير: هذا إخبار من الله ﷻ عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يَتْلُو آيَاتِ الْأَنْزَابِ﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كفروا بنوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف جل بهم بأس الله وما رده عنهم راد، ولا صدّه عنهم صاد ﴿وَمَا اللَّهُ يُدِّئُ لَهَا لِلْآدَامَةِ﴾ أي: إنما أهلكتهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فانفذ فيهم قدره، ثم قال: ﴿وَيَتَقَوَّى إِلَهُ آيَاتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾ يعني يوم القيامة. اهـ.

الجبال، وتُخرج الأرض، وتضع الحوامل، ويولّي الناس مُذْهِبِينَ ينادي بعضهم بعضاً [وهو قوله: «يَوْمَ التَّنَادِ»<sup>(١)</sup>]. والثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في [الأعراف: ٤٤، ٥٠]، وهذا قول قتادة. والثالث: أنه قولهم: يا حسرتنا! يا ويلتنا، قاله ابن جريج. والرابع: أنه ينادي فيه كل أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

قوله تعالى: «يَوْمَ تُولَوْنَ مُذْهِبِينَ» فيه قولان: أحدهما: هرباً من النار. والثاني: أنه انصرفهم إلى النار.

قوله تعالى: «مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ» أي: من مانع.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» وهو يوسف بن يعقوب، ويقال: إنه ليس به، وليس بشيء.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلُ» أي: مِنْ قَبْلِ موسى «بِالْبَيِّنَاتِ» وهي الدلالات على التوحيد، كقوله: «مَآزِيكَ تُتَقَرُّونَ حَيْرٌ...» الآية [يوسف: ٣٩]، وقال ابن السائب: البيّنات: تعبير الرؤيا وشقّ القميص، وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موت ملك مصر إلى القبط.

قوله تعالى: «فَإِذَا زُلْزِلَتْ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ» أي: من عبادة الله وحده «حَقَّ إِذَا هَلَكَ» أي: مات «فَلْتَرَ أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: إنكم أقمتهم على كفرهم وظننتم أن الله لا يجدد لإيجاب الحجة عليكم «كَذَلِكَ» أي: ومثل هذا الضلال «يُعِضِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» أي: مُشْرِكٌ «مُتْرَاكٌ» أي: شاكٌّ في التوحيد وصدق الرُّسل<sup>(٢)</sup>.

«الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْلُعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ»<sup>(٣)</sup> «وَقَالَ رَفَعُونَ يُنْهَكُونَ آبَنِي مَرَمًا لَعَلِّي أَتْلُعَ»<sup>(٤)</sup> «أَلَسْتُ بِأَتْلُعُ»<sup>(٥)</sup> «أَسْبَبَ أَلَسْتُ بِأَتْلُعُ»<sup>(٦)</sup> «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ»<sup>(٧)</sup> «لَأَكُونَنَّ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيُفَرِّقُونَ سَوَاءَ عَمَلِهِمْ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ»<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» قال الزجاج: هذا تفسير المسرف المرتاب، والمعنى هُم الذين يجادلون في آيات الله. قال المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير سلطان، أي: بغير حُجَّة أَتَاهُمْ من الله. «كَبُرَ مَقْتًا» أي: كَبُرَ جَدَاهُمْ مَقْتًا عند الله وعند الذين آمنوا، والمعنى: يَمَقُتُهُم الله وَيَمَقُتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بذلك الجدل. «كَذَلِكَ» أي: كما طَلَعَ الله على قلوبهم حتى كَذَّبُوا وجادلوا بالباطل، يَطْلُعُ «عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وتوحيده. وقد سبق بيان معنى الجَبَّار في [هود: ٥٩]. وقرأ أبو عمرو: «على كُلِّ قَلْبٍ» بالتونين، وغيره من القراء السبعة يُضَيِّفُهُ. وقال أبو علي: المعنى: يطبع على جملة القلب من المتكبر. واختار قراءة الإضافة الزجاج، قال: لأن المتكبر هو الإنسان، لا القلب. فإن قيل: لو كانت هذه القراءة أصوب لتقدم القلب على الكل؟ فالجواب: أن هذا جائز عند العرب، قال الفراء: تقدم هذا وتأخره واحد، سمعت بعض العرب يقول: هو يرَجُلُ شعره يوم كل جمعة، يريد: كلَّ

(١) هذا جزء من حديث الصور الطويل، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره». عند قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ» من سورة [الأنعام: ٧٣] - بطوله من رواية الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه «المطولات» ثم نقل عن الطبراني قوله عقب الحديث: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فممن من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمر بن علي الفلام، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكذب حديثه في جملة الضعفاء، قال ابن كثير: قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أوردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأفكر عليه بسبب ذلك، ثم قال ابن كثير: وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فإله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٣٣٩/٥ - ٣٤٢ بطوله، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وعلي بن سعيد في كتاب «الطاعة والمعصية»، وأبي يعلى، وأبي الحسن الطقاني في «المطولات»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي موسى المديني في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه الصلاة والسلام، وهو يوسف عليه الصلاة والسلام، كان عزيز أهل مصر وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: «فَإِذَا زُلْزِلَتْ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقَّ إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: يستم فقلتم طامعين: «أَنْ يَبْسُكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» وذلك لكفرهم وتكذيبهم «كَذَلِكَ يُعِضِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُتْرَاكٌ» أي: كمالكم هذا يكون حال من يشله الله لإسرافه في أفعاله وأرتباب قلبه.

يوم الجمعة، والمعنى واحد. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «على قلب كل متكبر» بتقديم القلب. قال المفسرون: فلما وعظ المؤمنُ فرعونَ وزجره عن قتل موسى، قال فرعونُ لوزيره: «يَهْتَكُنْ أَبْنِيَّ لِي مَرَحًا» وقد ذكرناه في [القصاص: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني أبوابها. وقال أبو صالح: طرقها. وقال غيره: المعنى: لعلِّي أبْلُغُ الطُّرُقَ من سماءٍ إلى سماءٍ. وقال الزجاج: لعلِّي أبْلُغُ ما يؤدِّيني إلى السموات. وما بعد هذا مفسَّر في [القصاص: ٣٨] <sup>(١)</sup> إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثلُ ما وصفنا ﴿زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى. قرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «وَصُدَّ» بضم الصاد، والباقون بفتحها، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في بطلان وخسران.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْتِيهِمْ آيَاتُكَ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَكَرِ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا فِيهَا﴾ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْفُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

ثم عاد الكلام إلى نصيحة المؤمن لقومه، وهو قوله: ﴿أَتَأْتِيهِمْ آيَاتُكَ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ أي: طريق الهدى، ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعُ﴾ يعني الحياة في هذه الدار متاع يُتَمَتَّعُ بها أياماً ثم تنقطع ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هِيَ دَارُ الْفَكَرِ﴾ التي لا زوال لها <sup>(٢)</sup>. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشُّرك، ومثلها جهنم، قاله الأكثرون. والثاني: المعاصي، ومثلها: العقوبة بمقدارها، قاله أبو سليمان الدمشقي. فعلى الأول، العمل الصالح: التوحيد، وعلى الثاني هو [على] الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَدْخُلُونَ» بضم الياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالفتح، وعن عاصم كالقراءتين. وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا تَبَعَةٌ عليهم فيما يُغْفَلُونَ في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه يُصَبُّ عليهم الرُّزْقُ صَبًّا بغير تقدير، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَيَقُولُ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَيَدْعُوْنَ إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَرِيزِ الْفَنَرِ ﴿لَا جَرَمَ إِنَّمَا تَدْعُونِي إِلَىٰ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْرِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْإِيسَاءِ ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَبِيلَ مَا مَكْرُورًا وَحَقَّ يَقَالُ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْمَذَابِ﴾ إِنَّا نَرَىٰ فِرْعَوْنَ عَذَابًا يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ مَا يَدْعُوكُمْ﴾ أي: مالكم، كما تقول: مالي أراك حزينا، معناه: مالك، ومعنى الآية: أخبروني كيف هذه الحال، أدعوكم ﴿إِلَى النَّجْوَى﴾ من النار بالإيمان، ﴿وَيَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ أي: إلى الشُّرك الذي يوجب النار! ثم فسَّر الدَّعْوَتَيْنِ بما بعد هذا. ومعنى ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ أي: لا أعلم هذا الذي ادَّعَاهُ شريكاً له. وقد سبق بيان ما بعد هذا [البقرة: ١٢٠، ط: ٨٢] إلى قوله: ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ليس له استجابة دعوة، قاله السدي. والثاني: ليس له شفاعة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَرَّجَعْنَا، والمعنى أنه يجازينا بأعمالنا. وفي المُسْرِفِينَ قولان قد ذكرناهما عند قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعذره وتمرده وإفترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً - وهو القصر العالي المنيف الشاهق - وكان اتخاذه من الأجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزِلْنَا فِي يَهْتَكُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَكْبَلَ لِي مَرَحًا﴾.

(٢) قال ابن كثير: يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطنى وأثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿يَتَقَوُّوا أَيُّمِيهِمْ آيَاتُكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿وَمَا آيَاتُكَ إِلَّا سَبِيلُ الرَّسَادِ﴾ ثم زُجِّدَ في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى وصدَّتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي مَنَعُ﴾ أي: قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب وتضمحل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هِيَ دَارُ الْفَكَرِ﴾ أي: الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل، إما نعيم، وإما جحيم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني، وأبور جاء: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ﴾ بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها؛ وقرأ أي بن كعب، وأيوب السخنياني: بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعاً. أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة؟! ﴿وَأَنْتُمْ أَتَيْتُمُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أرذته<sup>(١)</sup>، وذلك أنهم تواعدوه لمخالفتي دينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعَمَادِ﴾ أي: بأوليائه وأعدائه. ثم خرج المؤمن عنهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه، ونجا مع موسى لما عبر البحر، فذلك قوله: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ أي: ما أرادوا به من الشر ﴿وَصَاقَ يَكَّالٍ يُفْرَوْنَ﴾ لما لجوا في البحر ﴿سُوءَ الْعَمَادِ﴾ قال المفسرون: هو الفرق<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يُعْرَضُونَ على النار كل يوم مرتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم. وروى ابن جرير قال: حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا حماد بن محمد البلخي قال: سمعت الأوزاعي، وسأله رجل، فقال: رأينا طيوراً<sup>(٤)</sup> تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بيضاً، فزجاً فزجاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً، قال: وقطنتم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن تلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يُعْرَضُونَ على النار غُدُوًّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سواده، فينبئ عليها من الليل ريشا بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو ويعرضون<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فسذكرون أيها القوم - إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه - صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار، ثم قال: وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَتَيْتُمُ إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وأسلم أمري إلى الله وأجمله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي من توكل عليه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَصَاقَ يَكَّالٍ يُفْرَوْنَ سُوءَ الْعَمَادِ﴾ وهو الفرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّ ألماً، وأعظمه نكالاً.

(٣) قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال: ولكن هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلتوا بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الامام أحمد: ثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النصر - ثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - ثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة ؓ أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة ؓ إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت عائشة ؓ: فدخل رسول الله ﷺ عليّ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا»، من زعم ذلك؟ قالت: هذه اليهودية لا أضنع معها شيئاً من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال ﷺ: «كذبت يهودية، وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة» ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه محمراً عينا وهو ينادي بأعلى صوته: «القبر كقطع الليل المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكتم كثيراً وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعملوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق» قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، قال: وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد، ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ؓ قالت: قالت لها: وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة ؓ ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ: «لا» قالت عائشة ؓ: ثم قال قال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «وانه أوحى إلي أنكم تشنون في قبوركم» قال: وهذا أيضاً على شرطهما. قال: فيقال: فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ قال: والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غُدُوًّا وعشيًّا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال نالها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فاما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. قال: وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بنبذ، قال: وما يدل على ذلك ما رواه الامام أحمد: ثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعريت أنكم تشنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة ؓ: فلينا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعريت أنه أوحى إلي أنكم تشنون في القبور؟» وقالت عائشة ؓ: فكان رسول الله ﷺ بعد يستدعي من عذاب القبر، قال: وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد، وحرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به. قال: وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، قال: ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها، فلما أوحى إلى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه، استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. قال: وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة ؓ أن يهودية دخلت عليها فقالت: تعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة ؓ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة ؓ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. قال ابن كثير: فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرء عليه، قال: وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، قال: فلعلهما قضيتان، والله سبحانه أعلم، قال: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً.

(٤) في الأصل: «طير» وانتصوب من «الطير».

(٥) في الأصل: «طير» وانتصوب من «الطير».

على النار غدوًا وعشيًا، لثم ترجع إلى وكورها<sup>(١)</sup>، فذلك دأبها<sup>(٢)</sup> في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله ﷻ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذْ مَاتَ حُرِّضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْفِدَاءِ وَالْعَشْيَةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ [أَهْلِ] الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ [أَهْلِ] النَّارِ»، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. وهذه الآية تدل على عذاب القبر، لأنه بين ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَذْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، [وأبو عمرو]، وأبو بكر وإبان عن عاصم: «الساعة اذخلوا» بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف. وقرأ الباقر: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدون بفتح الألف.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ قِيُولُ الْمُعَذِّبُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ<sup>(٥)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحْثِفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ<sup>(٦)</sup> قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ<sup>(٧)</sup> إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ<sup>(٨)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِضُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ<sup>(٩)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾ المعنى: واذكر لقومك يا محمد إذ يختصمون، يعني أهل النار، والآية مفسرة في [سورة] [إبراهيم: ٢١]، والذين استكبروا هم القادة. ومعنى ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ﴾ أي: قضى هذا علينا وعليكم<sup>(٥)</sup>. ومعنى قول الخزنة لهم: ﴿فَادْعُوا﴾ أي: نحن لا ندعو لكم ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إن ذلك يبطل ولا ينفع<sup>(٦)</sup>. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك بإثبات حُججهم. والثاني: بإهلاك عدوهم. والثالث: بأن العاقبة تكون لهم. وفصل الخطاب: أن نصرهم حاصل لا بد منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من المُلْك ما قهرا به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على مكذبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بعد وفاة الرسل، كسليطه بختصر على قُتلة يحيى بن زكريا. وأما نصرهم يوم يقوم الأشهاد، فإن الله منجيهم من العذاب، وواحد الأشهاد شاهد، كما أن واحد الأصحاب صاحب. وفي الأشهاد ثلاثة أقوال: أحدها: الملائكة، شهدوا للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالكذب، قاله مجاهد، والسدي. قال مقاتل: وهم الحفظة من الملائكة. والثاني: الملائكة والأنبياء، قاله قتادة. والثالث: أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تَنْفَعُ» بالناء، والباقر بالياء: لأن المعذرة والاعتذار بمعنى. ﴿الظَّالِمِينَ مَعْرِضُهُمْ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إن اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعد من الرَّحمة. وقد بينا في [الرد: ٢٥] أن «لهم» بمعنى «عليهم»، و«سوء الدار»: النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهِنْدَ وَأَرْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١٠)</sup> هَذَى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ<sup>(١١)</sup> فَاصْبِرْ لِرَبِّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَقْبَرْنَا لِدُنْيَاكَ وَسَخَّرْنَا مَحَدَ رَبِّكَ بِالْغَيْبِ وَالْإِنْكَارِ<sup>(١٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْتَرِ سُلْطَانُ أَتْلُهُمْ إِنْ فِي

(٢) في الأصل: «دأبهم» والتصويب من «الطبري».

(١) زيادة من «الطبري».

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ١٩٣/٣، وَمُسْلِمٌ ٢١٩٩/٤.

(٣) زيادة من «البخاري» ومسلم.

(٥) قال ابن جرير الطبري ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْوَسَاوِ﴾ بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم متقلون. اهـ.

(٦) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، لأنه دعاء لا يفهم ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: اسخروا فيها ولا تكلمون. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب. اهـ.

(٧) قال ابن كثير: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل. اهـ.



الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴿١﴾ فِيهِ قَوْلَان: أحدهما: عن توحيدِي، والثاني: عن دعائي ومسالتي ﴿سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ <sup>(١)</sup> قرا ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، وعباس بن الفضل <sup>(٢)</sup> عن أبي عمرو: «سَيَذَخُلُونَ» [بضم الياء]، والباقون بفتحها. والذآخر: الضآغر. وما بعد هذا قد سبق في مواضع متفرقة [يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، الأنعام: ٩٥، النمل: ٦١، الأعراف: ٥٤، الحج: ٢٩] إلى قوله: ﴿وَلْيَبْتَغُوا أَجَلًا مَّسْمًى﴾ وهو أجل الحياة إلى الموت ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ توحيد الله وقدرته.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي مَائِنَةِ اللَّهِ أَنَّهُ بَصَرُونُ﴾ <sup>(٣)</sup> الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ إِذِ الْأَغْطِلَ فِي أَصْنَعِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٥﴾ فِي لُغْيِيمٍ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَبْضِلُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٩﴾ أَذْخَلُوا أَنْبِيَاءَ جَهَنَّمَ فِيهَا فَلَمَّا مَتَوَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ كَمَا كُنَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي وَعَدْنَاهُ أَوْ تَرَوْنَكَ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُجِئَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ ﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِيَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَسَلُّوا عَلَيْهَا حَاكِمًا فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَكَلِ الْأُفْلَاحُ تَحْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَرَبِّكُمْ ءَايَتُهُ فَأَيَّ ءَايَتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ تَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَشَدَّ فَوْزًا وَمَنَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَصَافَك بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّثْهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِنِعْمَتِهِمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا شَيْءٌ اللَّهُ أَلَمَّا قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي مَائِنَةِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن، يقولون: ليس من عند الله، ﴿أَنَّهُ بَصَرُونُ﴾ أي: كيف صُرِفُوا عن الحق إلى الباطل؟! وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم القدرية، ذكره جماعة من المفسرين. وكان ابن سيرين يقول: إن لم تكن نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت <sup>(٤)</sup>. وقرا ابن مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، والضحاك، وابن عمر، وابن أبي عبله: «والسلاسل يسحبون» بفتح اللام والياء. وقال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشد عليهم.

قوله تعالى: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ قال مجاهد: تروقد بهم النار فصاروا وقودها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مفسر في [الأعراف: ١٩٠]. وفي قوله: ﴿لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أن الأصنام لم تكن شيئاً، لأنها لم تكن تُضر ولا تنفع، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم قالوه على وجه الجحود، قاله أبو سليمان الدمشقي، «كَذَلِكَ» أي: كما أضل الله هؤلاء يضل الكافرين. «وَلَكُمْ» العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بالباطل ﴿وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقد شرحنا المَرَح في [ابن إسرائيل: ٣٧]. وما بعد هذا قد تقدم بتمامه [النحل: ٢٩، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وذلك لأنهم كانوا يفترحون عليه الآيات ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو قضاؤه بين الأنبياء وأممهم، و«الْبَاطِلُونَ»: أصحاب الباطل.

إليه من سأل فأكبر شؤله، وما من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب، رواه ابن أبي حاتم، قال: وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يَنْفَضُّبُ إِنْ تَرَكْتُ سَوْأَهُ

وَيَسْأَلُ أَدَمَ حِينَ يُسْأَلُ بِنَفْسِهِ

(١) روى الإمام أحمد في [المسند: ٢٧١/٤] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثم قرا: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهَكُمْ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ كُلُّهُمْ» ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. والحديث ذكره السيوطي في [الدر: ٣٥٥/٥]، وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري في [الأدب المفرد] وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في [الحلية]، والبيهقي في [شعب الإيمان] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) قال ابن الجوزي في [طبقات القراء]: العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة أبو الفضل الوافي الأنصاري البصري، قاضي الموصل، أستاذ حافظ ثقة، قال الحافظ أبو الملاء: وكان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة.

(٣) [الطبري: ٨٣/٢٤] من رواية سفيان عن داود بن أبي هند عن محمد بن سيرين.



قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِهِمْ﴾ أي: حوائجكم في البلاد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها للنفي. والثاني: [أنها] للاستفهام، ذكرهما ابن جرير<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: [أنهم] الأمم المكذبة، قاله الجمهور؛ ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلم منهم لن نُبْعَثَ ولن نُحَاسَبَ، قاله مجاهد. والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه عِلْمٌ<sup>(٤)</sup>، قاله السدي. والقول الثاني: أنهم الرُّسل؛ والمعنى: فرح الرُّسل لما هلك المكذبون ونَجَوْا بما عندهم من العلم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه أبو سليمان وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَوَافَقَ بِهِمْ﴾ يعني بالمكذِّبين العذاب الذي كانوا به يستهزون<sup>(٥)</sup>. والبأس: العذاب. ومعنى ﴿سَكَتَ اللَّهُ﴾: أنه سَنَّ هذه السُّنة في الأمم، أي: أن إيمانهم لا ينفعهم إذا رأوا العذاب، ﴿وَيَخِيرُ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾. فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إنما بَيَّنَّ لهم خُسْرَانَهُمْ عند نزول العذاب، قاله الزجاج.



(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِهِمْ﴾ يقول: ولتبلغوا بالعمولة على بعضها - وذلك الإبل - حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشق لأنفس، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَتَحِيلُوا عَلَى النَّاسِ لَئِنْ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْبِهِمْ إِلَّا بَيْتِيقَ الْآفُسِ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: يقول: فأي حجاج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها توحيد الله وتدعون من دونه إلهاً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وماذا حلَّ بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروا في الأرض وجمعوا من الأموال، قال: فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا ردَّ عنهم ذرةً من بأس الله، قال: وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغفروا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

(٤) الذي في «الطبري» وابن كثير: عن السدي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بهيالهم.

(٥) قال ابن كثير: ﴿وَوَافَقَ بِهِمْ﴾ أي يكذبون ويستبعدون وقوعه. ثم قال في تلمة الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم ﴿فَالَمَّا بَأْسًا بِاللَّهِ وَشَدِيدَ وَغْصَتَرًا بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ أي: وَخَذُوا اللَّهَ بِحَقِّهِ، وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقال العثرات ولا تنفع المعذرة، قال: وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿كَانَتْ آيَةُ رَبِّ الْفِرْعَوْنَ لَا يَسْمِعُ إِلَهُهُ إِلَّا الْآيَةَ الَّتِي كَانَتْ بِهِ لَبَّاسًا وَيَكْفُرُ بِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ قال تبارك وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ وَقَعَتْ عَصِيَّتْ قَبْلَ وَاتِّسَاعِ الْكُنُوزِ﴾<sup>(٦)</sup> أي: فلم يقبل الله منه، لأنه قد استجاب لبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال: ﴿وَأَشْفَذُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوِيَ الْأَنْهَابُ الْأُمَمَ﴾ قال: وهكذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَيْسَتُمْ بِهِمْ إِلَّا رَأَوْا بَأْسًا شَدِيدًا فَلَمَّا وَلَّىٰ فَسَمِعُوا أَنَّهُ يُخَوِّدُ الْوَحْشَ جَمِيعًا مِنْ تَابٍ عِنْدَ مَعَانِيَةِ الْعَذَابِ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ، قَالَ: ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحجرية وعابن الملك، فلا توبة حينئذٍ، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَخِيرُ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾. اهـ.

## سورة السجدة

مَكِّيَّة [كُلُّهَا] يَا جَمَاعَهُمْ، وَيُقَالُ لَهَا: سَجْدَةُ الْمُؤْمِنِ، وَيُقَالُ لَهَا: الْمَصَابِيحُ<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَتَبْتُ فَصِيلَتَ مَا بَيْنَتْهُمُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُوكَ إِلَيْهِ وَقَدْ مَأْكَانَنَا قُرْءٌ وَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمْلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ قال الفراء: يجوز أن يرتفع «تَنزِيلٌ» بـ ﴿حَمْدٌ ۝﴾، ويجوز أن يرتفع بإضمار «هذا». وقال الزجاج: «تَنزِيلٌ» مبتدأ، وخبره، ﴿كَتَبْتُ فَصِيلَتَ مَا بَيْنَتْهُمُ﴾، هذا مذهب البصريين. و﴿قُرْآنًا﴾ منصوب على الحال، المعنى: بَيَّنْتُ آيَاتَهُ فِي حَالِ جَمْعِهِ، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لِمَنْ يَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبراً عنه، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ﴾ أي: في أغلبية فلا نفقه قولك. وقد سبق بيان «الأكثرة» وال«وَقُرْءٌ» في [الأنعام: ٢٥]. ومعنى الكلام: إِنَّا فِي تَرْكِ الْقَبُولِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَقْهَمُ، ﴿وَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ أي: حاجزٌ في التَّحَلُّةِ وَالذَّيْنِ. قال الأخفش: و«من» هاهنا للتوكيد. قوله تعالى: ﴿فَاغْمَلْ﴾ فيه قولان: أحدهما: اعمل في إبطال أمرنا إِنَّا عاملون على إبطال أمرك. والثاني: اغْمَلْ على وِبْنِكَ إِنَّا عاملون على ديننا. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ﴾ أي: لولا الوحي لَمَا دَعَوْتُكُمْ. ﴿فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ﴾ أي: تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، واستغفروه من الشرك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والمعنى: لا يظهرون أَنفُسَهُمْ مِنَ الشَّرْكِ بِالتَّوْحِيدِ. والثاني: لا يؤمنون بالزكاة ولا يُقَرُّونَ بِهَا، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد، والربيع. والرابع: لا يتصدقون، ولا يُنْفِقُونَ فِي الطَّاعَاتِ، قاله الضحاك، ومقاتل. والخامس: لا يُعْطُونَ زكاة أموالهم، قال ابن السائب: كانوا يُحْجُّونَ ويعتَمرون ولا يزكُّون<sup>(٣)</sup>.

(١) ويقال لها: فَصِيلَتٌ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المضرين، إِنَّمَا إِلَهُ وَاحِدٌ، ﴿فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: اسألو الله الغفران، ثم قال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: دمار لهم ومهلك عليهم.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، قال: وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين غنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ مراد به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، لم يكن لقوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، قال: وفي اتباع الله قوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما يبين عن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال. وقال ابن كثير: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال قتادة: الذين يمنعون زكاة أموالهم، قال: وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، قال: وفيه نظر، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد، قال: وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِحَقِّكُم بِتَرَفٍّ مِّمَّنْ﴾ قال: فأما الزكاة ذات النُسب والمقادير، فإنما بُيِّنَ أمرها بالمدينة، قال: ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفُضِّلَ شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والله أعلم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿عَبْرَ مَنُوتٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

﴿قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا آدَاءً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُسَ مِنْ قُوَّتِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ إِلَ التَّوْبَةِ إِلَى أَسْمَاءٍ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِمَا طَوَّيَا أَوْ كَرِهْتُمَا فَالْتَمَتَا أَنْتُمَا طَائِفَتَانِ ۖ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس: في يوم الأحد والاثنين، وبه قال عبد الله بن سلام، والسدي، والأكثر. وقال مقاتل: في يوم الثلاثاء والأربعاء. وقد أخرج مسلم في أفراد من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خَلَقَ اللهُ ﷻ التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس»، وهذا الحديث يخالف ما تقدم، وهو أصح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهَا آدَاءً﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٢] و﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل ما ذكر ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُسَ﴾ أي: جبالاً ثوابت من فوق الأرض، و﴿بَرَكَ فِيهَا﴾ بالأشجار والثمار والحبوب والأنهار، وقيل: البركة فيها: أن ينمي فيها الزرع، فتخرج الحبة حبات، والنواة نخلة ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال أبو عبيدة: هي جمع قوت، وهي الأرزاق وما يحتاج إليه. وللمفسرين في هذا التقدير خمسة أقوال: أحدها: أنه شقق الأنهار وغرس الأشجار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قسم أرزاق العباد والبهائم، قاله الحسن. والثالث: أقواتها من المطر، قاله مجاهد. والرابع: قدر لكل بلدة ما لم يجعله في الأخرى كما أن ثياب اليمن لا تصلح إلا بـ «اليمن» والهروية بـ «هراة»، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: قدر البر لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، واللذرة لأهل قطر، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ثمة أربعة أيام. قال الأخفش: ومثله [أن] تقول: تزوجت أمس امرأة، واليوم ثنتين، وإحدهما التي تزوجتها أمس. قال المفسرون: يعني: الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ قرأ أبو جعفر: «سواء» بالرفع. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: «سواء» بالجر. وقرأ الباقر من العشرة بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالخفض، جعل «سواء» من صفة الأيام؛ فالمعنى: في أربعة أيام مستويات تأتت؛ ومن نصب، فعلى المصدر؛ فالمعنى: استوت سواء واستواء؛ ومن رفع، فعلى معنى: هي سواء. وفي قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ وجهان: أحدهما: للساكنين القوت، لأن كلاً يطلب القوت ويسأله. والثاني: لمن يسأل: في كم خلقت الأرض؟ يقال: خلقت في أربعة أيام سواء، لا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٩] ﴿وَجَعَلَ دُخَانٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه لما خلق

(١) ولفظ الحديث بشامه عند مسلم ٢١٤٩/٤: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل». وهذا الحديث من أفراد مسلم كما ذكر المؤلف رحمه الله، وقد رواه الإمام أحمد في «المستد» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك رواه النسائي في «التفسير» وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث في «التفسير»، بعد ما أورده: وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم» وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة سمعه من كعب الأحبار، وإنما اشبهه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي. اهـ. والحديث سند صحيح، ومن صححه الشوكاني في «فتح القدير»، وإنما تكلم عليه بعض العلماء من جهة منه، ورأوا أنه معارض للقرآن، والذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام، وخلق الأرض وحدها في يومين، والحديث بين أن الله خلق ما في الأرض في سبعة أيام، ويحتمل أن تكون هذه الأيام السبعة، غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض، ويحتمل لا تعارض، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، والله تعالى أعلم.

[الماء] أرسل عليه الريح فتار منه دخان فارتفع وسما، فسماه سماء. والثاني: أنه لما خلق الأرض أرسل عليها ناراً، فارتفع منها دخان فسما.

قوله تعالى: ﴿فَنَالُوا لَهَا وَلِأَرْضٍ﴾ قال ابن عباس: قال للسماء: أظهري شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقي أنهارك، وأخرجي ثمارك، ﴿طَوْنًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَيْنَا طَائِفِينَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، وإنما لم يقل: طائعات، لأنهن جبرن مجرى ما يغفل ويميز، كما قال في النجوم: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، قال: وقد قيل: أتيننا نحن ومن فينا طائعين. ﴿فَنَقَّصْنَاهُ﴾ أي: خلقهن وصنعهن. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا  
مَعْنَاهُ: عَمِلَهُمَا وَصَنَعَهُمَا.

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس وعبد الله بن سلام: وهما يوم الخميس ويوم الجمعة. وقال مقاتل: الأحد والاثنين، لأن مذهبه أنها خلقت قبل الأرض. وقد بينا مقدار هذه الأيام في [الأعراف: ٥٤]. ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أوحى ما أراد، وأمر بما شاء، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: خلق في كل سماء خلقها، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَلَمَنْعَ الْآثِيَا﴾ أي: القزى إلى الأرض ﴿يَسْبَحِينَ﴾ وهي النجوم، والمصابيح: الشرج، فسبي الكوكب مصباحاً، لإضاءته ﴿وَحِفْظًا﴾ قال الزجاج: معناه: وحفظناها<sup>(١)</sup> من استماع الشياطين بالكواكب حفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَوْفَةً مِثْلَ صَوْفَةِ عَادٍ وَثُودٌ﴾ (١٣) ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ خَلْقِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾ (١٤) ﴿فَالَمَّا عَادَ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِمَّا أَشَدُّ قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْمَدُونَ﴾ (١٥) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَاعِقًا مِمَّا صَوَّرْنَا فِي آيَاتِنَا لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَرٌ وَمَنْ لَا يُصْرَفْ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) ﴿وَجَعَلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَقَانُوا يَلْقَوْنَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَوْفَةً﴾ الصاعقة: المهلك من كل شيء؛ والمعنى: أنذرتكم عذاباً مثل عذابهم<sup>(٢)</sup>. وإنما خص القبيلتين، لأن قريشاً يمرؤون على قري القوم في أسفارهم. ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ خَلْقِهِمْ﴾ أي: أنت آباءهم ومن كان قبلهم ﴿وَمِنْ خَلْقِهِمْ﴾ أي: من خلف الآباء، وهم الذين أرسلوا إلى هؤلاء المهلكين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أي: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أي: لو أراد دعوة الخلق ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تكبروا عن الإيمان وعملوا بغير الحق. وكان هود قد تهددهم بالعذاب فقالوا: نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا. والآيات هاهنا: الحُجج. وفي الرُّيح الصَّرصر أربعة أقوال: أحدها: أنها الباردة، قاله ابن عباس، وفتادة، والضحاك. وقال الفراء: هي الرُّيح الباردة تحرق كالنار، وكذلك قال الزجاج: هي الشديدة البرد جداً؛ فالصَّرصر متكرر فيها البرد، كما تقول: أقللت الشيء وقلقلته، فأقللته بمعنى رفعته، وقلقلته: كررت رفعه. والثاني: أنها الشديدة السُّموم<sup>(٣)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: الشديدة الصَّوت، قاله السدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. والرابع: الباردة الشديدة، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

(١) البيت في شرح أشعار الهذليين ٣٩/١، ومجاز القرآن ٢٧٥/١، وغريب القرآن ٣٨٨، ومشكل القرآن ٣٤٢، والطبري ٦٧/٢٢، والصباح واللسان والتاج: قضي.

(٢) في الأصل: وحفظناه.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى، قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جنتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جنتكم به من عند الله تعالى، فإني أنذركم حلول نعمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمسليين. اهـ.

(٤) السُّموم: الريح الحارة.

(٥) قال ابن كثير: والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة =

قوله تعالى: ﴿فِي آيَاتِهِ حَسَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «نَحْسَاتٍ» بإسكان الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرها. قال الزجاج: من كسر الحاء، فواحدُهن «نَحْسٌ»، ومن أسكنها، فواحدُهن «نَحْسٌ»؛ والمعنى: مشؤمات<sup>(١)</sup>. وفي أول هذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: غداة يوم الأحد، قاله السدي. والثاني: يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. والثالث: يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام. والخزني: الهوان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُوْدٌ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بيتاً لهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقال قتادة: بيتاً لهم سبيل الخير والشر. والثاني: دعوتاهم، قاله مجاهد. والثالث: دللتهم على مذهب الخير، قاله الفراء. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعَبُوا الْقَمْنَ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَلَعَنَتَهُمْ صَبَقَةُ الْعَذَابِ الْمُؤْنِ﴾ أي: ذي الهوان، وهو الذي يُهِنُهُمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ <sup>(١)</sup> حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَيُلَوِّدُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٢)</sup> وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ <sup>(٣)</sup> وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا سَعَلْتُمْ وَمَتَى لَكُمْ لَذَّةُ الْحَيَاةِ <sup>(٤)</sup> فَلْيَسْتَعِزُّوا بِمَا هُمْ مِنَ الْمُتَعِزِّينَ <sup>(٥)</sup> وَفَقِصْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَرَسَدُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ <sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع: «نَحْشَرُ» بالنون «أعداء» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُخْبَسُ أَوْلَاهُمْ على آخرهم ليتلاحقوا. ﴿حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهُمَا﴾ يعني النار التي حُشِرُوا إليها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَيُلَوِّدُهُمْ﴾، وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال: أحدها: الأيدي والأرجل. والثاني: الفروج، روى عن ابن عباس. والثالث: أنه الجلود نفسها، حكاه الماوردي. وقد أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون ممَّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربِّه، يقول: يا رب ألم تُجزني من الظُّلَم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فلاني لا أُجِيرُ عليَّ إلاَّ شهداء مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتِبَينَ شهوداً، قال: فيُخْتَمُ على فيه، فيقال لأركانهِ<sup>(١)</sup>: أنطقي، قال: فتَنطِقُ بأعماله، قال: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فيقول: بُعْدُ لَكُنْ وَسُخْفُ، فَنَعْنُكَ كُنْتُ أَنَاضِلُ<sup>(٢)</sup>».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ممَّا نطق. وهاهنا تم الكلام. وما بعده ليس من جواب الجلود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾ روى البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث ابن مسعود قال: كنْتُ مستترّاً بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشيٌّ وخثانيٌّ ثقفِيَّان، أو ثقفِيٌّ وخثانيٌّ قرشيَّان،

= البرد جلدًا، كقوله تعالى: ﴿يَبِيعُ سِمَتَهُ يَبِيعُونَ﴾ أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، قال: ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق مصرصراً لقوة صوت جريهِ. اهـ.

(١) وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي آيَاتِهِ حَسَاتٍ﴾ قال: أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب، قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بذلك المشاييم، قال: وقال آخرون: معنى ذلك: أيام ذات شر، وقال آخرون: النحسات: الشداد. ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بها: أيام مشاييم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقال الثوري: دعوتاهم ﴿فَاسْتَعِزُّوا الْقَمْنَ عَلَى الْمَدِينِ﴾ أي: بقرنائهم، وبيتاً لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه، وعفروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فَلَعَنَتَهُمْ صَبَقَةُ الْعَذَابِ الْمُؤْنِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿وَنَبَّأَهُمُ الْآيَاتُ﴾ أي: من بين أظهرهم لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله ﷻ. اهـ.

(٣) أي: جوارحه.

(٤) أي: أدافع وأجادل. والحديث في «صحيح مسلم» ٢٢٨٠/٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه النسائي وغيره.



﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ آمَنَّا مِنَ الْآثِقِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّ إِلَٰهَكَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَتَنَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ الْأَوَّلُ وَلَا تَحْمِلُوا وَلَا تَحْمِلُوا بِالْجَنَّةِ إِلَىٰ كُنْتُمْ تُوْعَدُونَ ﴿١١١﴾ تَحْنُ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَوُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ نَجِيعٌ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما دخلوا النار ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ أَسْلَمْنَا﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿أَرْزَنَا﴾ يسكنون الرءاء. قال المفسرون: يغنون إبليس وقابيل، لأنهما سنا المعصية، ﴿تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا﴾ يَكُونَا مِنِ الْآفَاقِينَ ﴿آي: فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، وهو أشدُّ عذاباً من غيره. ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [آي: وَحْدَهُ] ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصديق، ومجاهد، والثاني: على طاعة الله وأداء فرائضه، قاله ابن عباس، والحسن، وقناة. والثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية، والسدي<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بناتُه، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربُّنا الله، وعزيرُ ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربُّنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْزَنُوا﴾ أي: بأن لا تخافوا. وفي وقت نزولها عليهم قولان: أحدهما: عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد؛ فعلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: أحدهما: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، قاله مجاهد. والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي. والقول الثاني: تتزَّل عليهم إذا قاموا من القبور، قاله قتادة؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم ييسرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم، والمعنى: نحن [الذين] كنا ننولكم في الدنيا، لأن الملائكة تتولى المؤمنين وتحبهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السماء، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: ونحن معكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. وقال السدي: هم الحفظة على ابن آدم، فلذلك قالوا: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ وقيل: هم الملائكة الذين يأتون لقبض الأرواح<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا آي: فِي الْجَنَّةِ. ﴿زُلْزَلًا﴾ قَالَ الزَّجَاجُ: مَعْنَاهُ: أَيْسَرُوا بِالْجَنَّةِ تَنْزِلُونَهَا [زُلْزَلًا]. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ أَنْزِلْنَاهُ زُلْزَلًا.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْمَسْكُونَةُ وَلَا النَّارُ أَدْفَقَ بِالْأُفْقَى هِيَ أَحْسَنُ فَأِذَا أُلْقِيَ يَتِيمَكَ فِي يَدَيْكَ عَدُوًّا كَانَتْ وَلِيُّكَ حَيْبُورٌ ﴿١٣٢﴾ وَمَا يُقْلِدُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلِدُهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿١٣٣﴾﴾ وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمْسُوكَ بِالْأَيْمَانِهِمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٣٤﴾﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٦٥/١ عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» والحديث ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٦٣/٥، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٢١٣ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٣) قال ابن كثير: وتوفاه تعالى: ﴿نَسْخَلُ لَهُمْ فِيهَا جَنَّتَيْنِ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت قائلين ﴿أَلَا تَحْزَنُونَ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما علمتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإننا نخلفكم فيه ﴿وَأَكْبِرُوا إِلَيْنَا﴾ كثرة مؤمنين فيشرونهم بذهب الشر وحصول الخير، قال: وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى رَوْح وريحان ورب غير غضبان». اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِالْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرنائكم في الحياة الدنيا نسعدكم ونوقمكم ونعتقكم بامر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ونونس منكم الوحشة في القبور، وعند الضخّة في الصور، ونؤمّنكم يوم البعث والنشور، ونجازيكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَشْتَكُمُ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقرّ به العيون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْرُونَ﴾ أي: مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم.



قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيمن أريد بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤذنون. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نزلت في المؤذنين»<sup>(١)</sup>، وهذا قول عائشة، ومجاهد، وعكرمة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثالث: أنه المؤمن أجاب الله إلى ما دعاه، ودعا الناس إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في إجابته، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: صلى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومجاهد، وروى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ قال: الأذان ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال: الصلاة بين الأذان والإقامة. والثاني: أدى الفرائض وقام لله بالحق، قاله عطاء. والثالث: صام وصلى، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ لِلْفَسَنَةِ وَلَا أَلْسِنَتُهُ﴾ قال الزجاج: «لا» زائدة مؤكدة؛ والمعنى: ولا تستوي [الحسنة] والسيئة. وللمفسرين فيها ثلاثة أقوال. أحدها: أن الحسنة: الإيمان، والسيئة: الشرك، قاله ابن عباس. والثاني: الجلم والفخس، قاله الضحاك. والثالث: الثغور والصبر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت ذلك صار الذي بينك وبينه عداوة كالصديق القريب. وقال عطاء: هو السلام على من تعاديه إذا لقيته. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٍ عَظِيمٍ﴾ أي: ما يُعطاهما. قال الزجاج: ما يُلْقِي هذه الفعلة؛ وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا أَلْيَيْنَ صَبْرًا﴾ على كظم الغيظ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٍ عَظِيمٍ﴾ من الخير. وقال السدي: إلا ذو جد. وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة؛ فالمعنى: ما يُلْقَاهَا إِلَّا مَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَمَّا يَبْرِزَنَّكَ مِنَ الْعَيْطَنِ تَرَبُّعٌ﴾ قد فسرناه في [الأعراف: ٢٠٠]<sup>(٥)</sup>.

(١) الذي في كتب التفسير وأسباب النزول عن عائشة وعكرمة موقوفاً عليهم أن هذه الآية نزلت في المؤذنين، وقد قال السيوطي في «الدرة» ٥/ ٣٦٤: أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾. اهـ. ولم نر رواية جابر بن عبد الله التي ذكرها المؤلف في المرفوع، والله أعلم. وقد قال ابن كثير في «التفسير»: والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، قال: فاما حال نزول هذه الآية، فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أراه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامة فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقاه على بلال رضي الله عنه فإنه أئدى صوتاً كما هو مقرر في موضعه. ثم قال ابن كثير: فالصحيح إذن أنها عامة، كما قال عبد الرزاق عن يعمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَوَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفة الله، هذا خير الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. اهـ.

وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ويجاب عن هذا بأن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة، والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو تادية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله. اهـ.

وقال الخازن في «تفسيره»: وقيل: إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية، قال: والدعوة إلى الله مراتب، الأولى: دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثانية: دعوة العلماء، والثالثة: دعوة المجاهدين في سبيل الله، والرابعة: دعوة المؤمنين إلى الصلاة، قال: فهم أيضاً دعاء إلى الله تعالى وإلى طاعته.

(٢) والصحيح أنها عامة في كل ذلك.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَإِنَّمَا أَلْيَيْنَ صَبْرًا وَتَرَبُّعًا عَدَاوَةً كَافَّةً وَرَبُّكَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرك به يا محمد، من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاحظته إياك ويؤثر لك، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، قال: والحكيم: هو القريب. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا أَلْيَيْنَ صَبْرًا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٍ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَرَمَّا يَبْرِزَنَّكَ مِنَ الْعَيْطَنِ تَرَبُّعٌ فَاسْتَوِدَّ بِرَأْسِهِ﴾ أي: إن شيطان الإنس ربما يتخذه بالإحسان إليه، فاما شيطان الجن، فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخاله الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه، كفك عنك ورؤك كيداً، قال: وقد كان رسول الله ﷺ إذا

﴿وَمِن مَّا يَدْعُوا إِلَيْهِ رَأْسُ الْعَصَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُم بِأَلْفِ نِجْمٍ خَلْقَهُنَّ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِن مَّا يَدْعُوا أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي آخِذَاكُمْ لَعَلَى الْوَعْدِ إِنَّهُ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ [أي: تكبروا عن التوحيد والعبادة] ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يصلون. ويسامون بمعنى يملئون. وفي موضع السجدة قولان: أحدهما: أنه عند قوله: «يسامون»، قاله ابن عباس، ومسروق، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى، لأنه تمام الكلام. والثاني: [أنه] عند قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن.

قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَدْعُوا أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ قال قتادة: غبراء متهشمة. قال الأزهري: إذا بَيَسَتِ الْأَرْضُ وَلَمْ تَنْظُرْ، قيل: خَشَعَتْ.

قوله تعالى: ﴿اهْزَلَتْ وَرَبَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي: عُلَتْ، لأن النبات إذا أراد أن يَظْهَرَ ارتفعت له الأرض؛ وقد سبق بيان هذا [الحج: ٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا أَقَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ مِّن بَيْنِ يَأْتِي مَالِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَظِيمُونَ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ عَمِيمٍ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال مقاتل: نزلت في أبي جهل<sup>(٢)</sup>. وقد شرحنا معنى الإلحاد في [النحل: ١٠٣]؛ وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه وضع الكلام على غير موضعه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه المكاء والصفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد. والثالث: أنه التكذيب بالآيات، قاله قتادة. والرابع: أنه المعاندة، قاله السدي. والخامس: أنه التمثيل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا﴾ هذا وعيد بالجزاء ﴿أَقَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ مِّن بَيْنِ يَأْتِي مَالِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وهذا عام. غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال: أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أبو جهل وعمار بن ياسر، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أبو جهل ورسول الله ﷺ، قاله ابن السائب،

قام إلى الصلاة يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»، قال: وقد قلنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿عِذَّ النَّارِ كُذِّبَتْ بِالْزَّبْرِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُهَيْلِ﴾ (٣٩) وَإِنَّا بِفِرْعَوْنَ ذَنْعٌ مُّسْتَقْبَذٌ بَاقِرٌ إِنَّهُ سَجِعٌ عُذْبٌ ﴿٤٠﴾ وفي سورة (المؤمنين) عند قوله: ﴿وَأَتَتْ بِآبِئِ يُوسَىٰ أَنَّهُ أَخْتُنَا فَحَبَّبَ إِلَيْهَا لِتُصَوِّبَ مَا يَقُولُ﴾ (٣٠) وَقَالَ رَبُّهُمُ إِنَّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾ وَأَعَادَ بِكَ رَبُّكَ أَنْ يَضُرُّوكَ ﴿٣٢﴾. اهـ.

(١) يريد بذلك الآية التي قبل قوله: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا...﴾ الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَدْعُوا إِلَيْهِ رَأْسُ الْعَصَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) وقد حذفها المؤلف ولم يفسرها لوضوح معناها. قال القرطبي في «تفسيره»: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها، فقال مالك: موضعه ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأنه متصل بالامر، وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: «تعبدون»، وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال، وبه قال أبو حنيفة، وكان ابن عباس يسجد عند قوله: «يسامون»، وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما، وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب، وطلحة وزيد اليامين (نسبة إلى يامة بطن من همدان) والحسن وابن سيرين، وكان أبو وائل وقتادة ويكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: «يسامون» قال ابن العربي: والامر قريب. اهـ. وقال الخازن في «تفسيره»: فصل: وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة، وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء، وهما وجهان لأصحاب الشافعي، أحدهما: أنه عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن، وحكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد، لأن ذكر السجدة قبله، والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي: أنه عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة، وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة، لأن عنده يتم الكلام. اهـ.

(٢) ذكر ذلك البيهقي عن مقاتل بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٣٦٦/٥ أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ؓ في قوله: ﴿أَقَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ﴾ قال: أبو جهل بن هشام، ﴿مِّن بَيْنِ يَأْتِي مَالِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال: أبو بكر الصديق ؓ.

(٤) قال السيوطي في «الدرر» ٣٦٦/٥ أخرجه ابن عساكر عن عكرمة ؓ في قوله: ﴿أَقَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ﴾ قال: أبو جهل بن هشام، ﴿مِّن بَيْنِ يَأْتِي مَالِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل.

ومقاتل. والرابع: أبو جهل وعثمان بن عفان، حكاة الثعلبي. والخامس: أبو جهل وحزمة، حكاة الواحدي. والسادس: أبو جهل وعمر بن الخطاب. والسابع: الكافر والمؤمن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قال الزجاج: لفظه الأمر، ومعناه الوعيد والتهديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ يعني القرآن؛ ثم أخذ في وصف الذِّكْر؛ وَتَرَكَ جواب «إِنَّ»، وفي جوابها هاهنا قولان: [أحدهما]: أنه «أَوَّلُكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»، ذكره الفراء. والثاني: أنه متروك، وفي تقديره قولان: أحدهما: إن الذين كفروا بالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ كفروا به. والثاني: إن الذين كفروا يجازون بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَكُنْتُ عَرِيضٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مَنَعَ من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً، قاله السدي. والثاني: كريم على الله، قاله ابن السائب. والثالث: مَنَعَ من الباطل، قاله مقاتل. والرابع: يمتنع على الناس أن يقولوا مِنهُ، حكاة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: التكذيب، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشيطان. والثالث: التبديل، روي عن مجاهد. قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً. وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿يُرَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بين يَدَيْ تزييه، وبعد نزوله. والثاني: أنه ليس قَبْلَهُ كتاب يُبَيِّنُهُ، ولا يَأْتِي بعده كتاب يُبَيِّنُهُ. والثالث: لا يَأْتِيه الباطل في إخباره عما تقدّم، ولا في إخباره عما تأخر.

﴿تَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ وَدُوٌّ عِقَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ آيَاتُنَا مَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَى وَالَّذِينَ لَا يُمْنُونَ فِي مَآذِنِهِمْ وَفَرُّهُ عَلَيْهِمْ عَمَّا أَوَّلَ لَكِ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قد قيل فيمن أُرْسِلَ قَبْلَكَ: ساحر وكاهن ومجنون، وكَذَّبُوا كما كَذَّبَتْ، هذا قول الحسن، وفتادة، والجمهور. والثاني: ما تُخْبِرُ إِلَّا بما أَخْبَرُ الأنبياء قَبْلَكَ من أن الله غفور، وأنه ذو عقاب، حكاة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ يعني الكتاب الذي أنزل عليه ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: بغير لغة العرب ﴿لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ آيَاتُنَا﴾ أي: هَلَّا بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ بالعربية حتى نفهمه؟ ﴿مَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عمر، وحفص عن عاصم: «عجمي» [بهزجة] ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «العجمي» بهزنتين، والمعنى: أكتاب أعجمي ونبي عربي؟ وهذا استفهام إنكار؛ أي: لو كان كذلك لكان أشد لتكذيبهم. ﴿قُلْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ للشكوك والأوجاع. و«الوَفْرُ»: الصَّمَمُ؛ فهم في ترك القبول بمنزلة مَنْ في أذنه صمم. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٌّ﴾ أي: ذو عَمٍّ. قال قتادة: صَمُّوا عن القرآن وَعَمُّوا عنه ﴿أَوَّلَ لَكِ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُنادي من بعيد.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَتَشْتَلِفُ فِيهِ وَتَوَلَّى كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُوفَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرْسَرٌ ﴿٤٥﴾ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَلَنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَ فَمَلَّيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ؛ والمعنى: كما آمن بكتابك قومٌ وكذَّب به قومٌ، فكذلك كتاب موسى، ﴿وَتَوَلَّى كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب إلى أجل مسمى وهو القيامة ﴿لَقُوفَى بَيْنَهُمْ﴾ بالعذاب الواقع بالمكذِّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ﴾ من صدقك وكتابك، ﴿مُرْسَرٌ﴾ أي: مُوقِع لهم الرِّبَا.

﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا مَا أَذْنُكَ مَا بَيْنَا مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيٍّ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أَخْبِرْنَا عن الساعة إن كنتَ رسولا كما

تزعج، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>. ومعنى الآية: لا يَتَلَمَّ قيامها إلا هو، فإذا سُئِلَ عنها فَعَلِمَها مردوداً إليه. وَمَا تُخْرِجُ مِنْ ثَمَرَةٍ قَرَأَ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من ثمرة». وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «من ثمرات» على الجمع «مِنْ أَكْثَرِهَا» أي: أوعيتها. قال ابن قتيبة: أي: من المواضع التي كانت فيها مستورة، وغلاف كل شيء؛ كُتْمُه، وإنما قيل: كُتْمُ القميص، من هذا. قال الزجاج: الأكمام: ما غُطِّيَ، وكلُّ شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكْتَمٌ فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غُطِّيَ جُفَارُها من السَّعْفِ والليف والجذع، وكلُّ ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، فالظلمة كُتْمُها قشرها، ومن هذا قيل للقلنسوة: كُتْمٌ، لأنها تُغْطِّي الراس، ومن هذا كُتْمُ القميص، لأنها يَغْطِّيَانِ اليدين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ الذين كنتم تزعمون ﴿قَالُوا مَا ذُنُوبُنَا﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أعلمناك، وقال مقاتل: أسمعناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من قوم المشركين؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ بَأَنَّ لَكَ شَرِيكاً، فينبِذُون يومئذٍ ممّا كانوا يقولون، هذا قول مقاتل. والثاني: [أنه] من قول الألهة التي كانت تُعْبَدُ؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ لَهم بما قالوا، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل عنهم في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ أي: يعبدون في الدنيا، ﴿وَعَنَّا﴾ أي: أيقنوا ﴿مَا لَمْ يَنْجِيهِمْ﴾ وقد شرحنا المحيص في سورة [النساء: ١٢١].

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَا الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَدْعُو قَوْلًا ۖ وَلَئِنْ آذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْبٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُؤَيِّقَنَّ مِنْ عَذَابٍ خَلِيطٍ ۖ وَلَئِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَفْرَصَ وَقَدْ يَحْجِبُهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾ قال المفسرون: المراد به الكافر؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافر ﴿مِنْ دَعَا الْخَيْرِ﴾ أي: من دعائه بالخير، وهو المال والعافية. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ وهو الفقر والشدة؛ والمعنى: إذا اختبر بذلك يشس من رَوْحِ الله، وقَطَنَ من رحمته. وقال أبو عبيدة: اليؤوس، قُومٌ من يَأْسُ<sup>(٣)</sup>، والقُوط، قُومٌ من قَطَط.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ آذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: خيراً وعافية وغيثاً، ﴿لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا واجب لي بعملتي وأنا محقوق به، ثم يشك في البعث فيقول: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: لست على يقين من البعث ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾ يعني الجنة، أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة ﴿لَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لنُخَبِّرَنَّهُمْ بمسائير أعمالهم. وما بعده قد سبق [إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٨٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَنَكَا بِحَبَابِهِ﴾ قَرَأَ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «ونأى» مثل «نعى». وقرأ ابن عامر: «وناء» مفتوحة النون ممدودة والهمزة بعد الألف. وقرأ حمزة: «نشى» مكسورة النون والهمزة<sup>(٤)</sup>. ﴿فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: معنى العريض: الكثير، وإن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام. ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: خلاف للحق ﴿بَعِيدٍ﴾ عنه؟! وهو اسم؛ والمعنى: فلا أحد أضل منكم. وقال ابن

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وقد روي أن المشركين قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فخبرنا متى تقوم الساعة؟ فنزلت. وقد تقدم في سورة [الأعراف: ١٨٧] عند قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِنْدِي نَبَأٌ وَحِيدٌ أَن لَّيْلًا نُنَزِّلُ فِيهَا سَحَابًا مَّاءً يَنْزِلُ إِلَّا فِي هَرَجٍ قَوْلَانِ فِي سَبِّ نَزُولِهَا: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت، والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد بيننا وبينك قرابة فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت، وقد قال ابن جرير الطبري هناك: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة؛ فأنزل الله هذه الآية، وجاز أن يكون كانوا من قريش، وجاز أن يكون كانوا من اليهود، ولا خير بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان. اهـ.

(٢) عبارة «اللسان»: وقال الزجاج في قوله: «ذات الأكمام» قال: عنى بالأكمام ما غُطِّيَ...

(٣) في الأصل: اليد، والتصويب من «اللسان».

(٤) في «معجم القرآن»: «يؤوس» فعول من يست؛ وفي «اللسان»: قال سيبويه: يَأْسُ يَأْسُ وَأَمْسُ يَأْسُ لَفْظَانِ ثُمَّ يَرْجُبُ مِنْهُمَا لَفْظٌ.

(٥) سبق ذكره القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَئِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَفْرَصَ وَقَدْ يَحْجِبُهُ﴾ في سورة [الإسراء: ٨٣].

جرير: معنى الآية: [لَئِنْ كَفَرْتُمْ بِهِ، أَلَسْتُ فِي شِقَاقٍ لِلْحَقِّ وَبُعْدٍ عَنِ الصَّوَابِ؟] فجعل مكان هذا باقي الآية.

﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي رِيزَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في الآفاق: فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم: فتح مكة، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنها في الآفاق: وقائع الله في الأمم الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدر، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: أنها في الآفاق: إمساك القطر عن الأرض كلها، وفي أنفسهم: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج. والرابع: أنها في الآفاق: آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادث الأرض، قاله ابن زيد. وحكي عن ابن زيد أن التي في أنفسهم: سبيل الغائط والبول، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين. والخامس: أنها في الآفاق: آثار مَنْ مَضَى قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ، وفي أنفسهم: كونهم خُلِقُوا نَظْفًا ثُمَّ عَلَفًا ثُمَّ مُضْغًا ثُمَّ عِظَامًا إِلَى أَنْ يُقْلُوا إِلَى الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسول. وقال ابن جرير: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا على محمد وأوحينا إليه من الوعد له بآتاء مظهره دينه على الأديان كلها. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أَوَلَمْ يَكُنْ بِهِ أَنَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؟ قال الزجاج: المعنى: أَوَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ شَهَادَةٌ بِرَبِّكَ؟ ومعنى الكفاية هاهنا: أنه قد بَيَّنَّ لَهُمْ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَتَثْبِيتِ رِسَالِهِ<sup>(٢)</sup>.



(١) قال ابن كثير: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حَلَّتْ بِهِمْ، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الذَّلَالِ على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق الثابتة من حسن وقبح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحلوه أن يجوزها ولا يتعداها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية: وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي رِيزَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هدر لا يعيرون به، وهو كائن لا محالة، وواقع لا ريب في، قال: ثم قال تعالى مَقَرّاً أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طغي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة حم عسق

## واسمها سورة الشورى

وهي مكِّيَّة، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة قالا: إلا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولها: ﴿قُلْ لَا أَشْكُمُ عَلَيْهٖ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال مقاتل: فيها من المدني قوله: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الشورى: ٢٣] إلى قوله: ﴿يَذَٰلِكَ السُّدُورُ﴾ [الشورى: ٢٤] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الشورى: ٣٩] إلى قوله: ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُ﴾ [الشورى: ٤١].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السُّورَةِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السُّكُوتُ يَنْتَظِرُكَ مِنْ تَوَفَّيْهِ وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝﴾ قد سبق تفسيره [المؤمن].

قوله تعالى: ﴿عَسَقٌ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه حروف من أسماء؛ ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أن العين عِلْمُ الله، والسين سناؤه، والقاف قُدرته، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أن العين فيها عذاب، والسين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحاء من حرب، والميم من تحويل مُلك، والعين من عدوِّ مقهور، والسين استئصال بيسنَّيْنِ كسني يوسف، والقاف من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين من قُدوس، والقاف من قاهر، قاله [سعيد] بن جبيرة. والخامس: أن العين من العزيز، والسين من السلام، والقاف من القادر، قاله السدي. والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه كما أوحيت ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ إلى كل نبي، كذلك نوحها إليك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك نوحى إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أن ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ نزلت في أمر العذاب، فقيل: كذلك نُوحى إليك أن العذاب نازل بمن كَذَّبَكَ كما أوحينا ذلك إلى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: هكذا نوحى إليك، قاله ابن جرير. وقرأ ابن كثير: ﴿يُوحَىٰ﴾ بضم الباء وفتح الحاء. كأنه إذا قيل: من يوحى؟ قيل: الله. وروى أبان عن عاصم: ﴿نوحى﴾ بالنون وكسر الحاء. ﴿تَكَادُ السُّكُوتُ يَنْتَظِرُكَ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ بياء وتاء مفتوحة وفتح الطاء وتشديدها. وقرأ نافع، والكسائي: ﴿يَكَادُ﴾ بالياء ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ مثل قراءة ابن كثير. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ بالنون وكسر الطاء وتخفيفها، أي: يَتَشَقَّقْنَ ﴿مِنْ تَوَفَّيْهِ﴾ أي: من فوق الأرضين من عَظَمَةِ الرحمن؛ وقيل: من قول المشركين: ﴿أَتَعَزَّدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾. ونظيرها [النبي] في [عريم: ٩٠]. ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضهم: يصلون بأمر ربهم؛ وقال بعضهم: ينزهونه عما لا يجوز في صفته، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد المؤمنين، قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلَمَّا ابْتَلَى هَارُوتَ

(١) قال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: واختلفوا في ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝﴾ فقيل: معناها: حُمْدٌ، أي: قضي، وقيل: إن «ح» حمله، و«م» مجده، و«ع» علمه، و«س» سناؤه، و«ق» قدرته، أقسم الله بها، وقيل غير ذلك منها هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل، ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، قال: وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك ما لا أصل له. اهـ. وقد تقدم الكلام على أوائل الحروف في (المنكوت) وغيرها بما فيه كفاية.

وماروت استغفروا لِمَن في الأرض. ومعنى استغفارهم: سألهم الرزق لهم، قاله ابن السائب. وقد زعم قوم منهم مقاتل أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وليس بشيء، لأنهم إنما يستغفرون للمؤمنين دون الكفار، فلفظ هذه الآية عام، ومعناها خاص، ويدل على التخصيص قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، لأن الكافر لا يستحق أن يستغفر له.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني كفار مكة اتَّخَذُوا آلَهُ فَعَبَدُوها من دونه؛ ﴿اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافظ لأعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نوكلك بهم فتوخذ بهم. وهذه الآية عند جمهور المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا يصح.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْبَلْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتَةِ فِي رَحْمَةٍ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَوِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ما ذكرنا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ليفهموا ما فيه ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ يعني مكة، والمراد: أهلها<sup>(١)</sup>، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْبَلْعِ﴾ أي: وتنتهرهم يوم الجمع، وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وأهل السموات والأرضين ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لا شك في هذا الجمع أنه كان، ثم بعد الجمع يتفرقون، وهو قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. ثم ذكر سبب افتراقهم فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، كقوله: ﴿لَجَعَلَهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتَةِ فِي رَحْمَةٍ﴾ أي: في دينه ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ وهم الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم منه. ﴿أَوِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: بل اتخذ الكافرون من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة يتولونهم ﴿قَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: ولي أوليائه، فليأخذوه ولياً دون الآلهة؛ وقال ابن عباس: وليك يا محمد وولي من أتبعك.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ دَالِكُ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من أمر الدين؛ وقيل: بل هو عام ﴿فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: علمه عند الله. والثاني: هو يحكم فيه. قال مقاتل: وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وأمن بعضهم، فقال الله: أنا الذي أحكم فيه. ﴿وَاللَّهُ دَالِكُ الْأُمُورِ﴾ الذي يحكم بين المختلفين، هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مهماتي، ﴿وَرَأَيْتُ أُولَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: أرجع في المعاد. ﴿فَاطِرُ السَّمَكَاتِ﴾ قد سبق بيانه [الأنعام: ٤١٤]، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من مثل خلقكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ نساء، ﴿وَمِنَ الْأَنْثَىٰ﴾ أصنافاً ذكوراً، وإناثاً، والمعنى أنه خلق لكم الذكر، والأنثى من الحيوان كله، ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: يخلقكم، قاله السدي. والثاني: يعيشكم، قاله مقاتل. والثالث: يكثركم، قاله الفراء. وفي قوله [في قوله] قولان: أحدهما: أنها على أصلها، قاله الأكثرون. فعلى هذا في هاء الكناية

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: واضعاً جلياً بيناً ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من سائر البلاد شرقاً وغرباً، قال: وصيت مكة أم القرى، لأنها أشرف من سائر البلاد، لأمة كثيرة مذكورة في مواضعها، قال: ومن أوجز ذلك وأدله ما قاله الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: إن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزرة في سوق مكة: فوالله إنك لتخسر أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنه أخرجت منك ما خرجت؛ قال ابن كثير: هكذا رواية الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث الزهري به، وقال الترمذي: حسن صحيح.



ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى بطون الإناث وقد تقدم ذكر الأزواج، قاله زيد بن أسلم. فعلى هذا يكون المعنى: يخلقكم في بطون النساء، وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة، فقال: يخلقكم في الرِّجَم أو في الزُّوج<sup>(١)</sup>؛ وقال ابن جرير: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام. والثاني: أنها ترجع إلى الأرض، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا يكون المعنى: يذركم فيما خلق من السموات والأرض. والثالث: أنها ترجع إلى الجعل المذكور؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يعيشكم فيما جعل من الأنعام، قاله مقاتل. والثاني: يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الأزواج، قاله الواحدي. والقول الثاني: أن «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يكثركم بما جعل لكم، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس كهو شيء، والعرب تقيم المِثْل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي: أنا لا يقال لي هذا. وقال الزجاج: الكاف مؤكدة، والمعنى: ليس مثله شيء. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الزمر: ٦٣، الرعد: ٢٦]. إلى قوله: ﴿خَرَجَ لَكُمْ﴾ أي: بين وأوضح ﴿يَوْمَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة. والثاني: تحريم الأخوات والأمهات، قاله الحكم. والثالث: التوحيد وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: من القرآن وشرائع الإسلام، قال الزجاج: المعنى: وشرع الذي أوحينا إليك وشرع لكم ما وصَّى به إبراهيم وموسى وعيسى<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿أَنْ أَقْبِلُوا الَّذِينَ﴾ تفسير قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِنْهُمْ وَمُؤْمِنِي وَيَسَئِرُ﴾، وجائز أن يكون تفسيراً لـ ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ولقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِنْهُمْ وَمُؤْمِنِي وَيَسَئِرُ﴾، فيكون المعنى: شرع لكم وللمن قبلكم إقامة الذين وترك الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرسل. وقال مقاتل: ﴿أَنْ أَقْبِلُوا الَّذِينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾ أي: لا تختلفوا ﴿كَبَرَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عظم على مشركي مكة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمد من التوحيد.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَخْتِصُّ إِلَيْهِ﴾ أي: يصطفي من عباده لإدنيه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ إلى دينه ﴿مَنْ يَنْسِبُ﴾ أي: يرجع إلى طاعته. ثم ذكر افتراقهم بعد أن أوصاهم بترك الفرقة، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْإِسْلَامُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد كثرة علمهم للبغي. والثاني: من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال. والثالث: من بعد ما جاءهم القرآن، بغيثاً منهم على محمد ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير المكذبين من هذه الأمة إلى يوم القيامة، ﴿لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال العذاب على المكذبين ﴿وَلَنْ الَّذِينَ أَوْفُوا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿يُنْزِلُ بِهِمُ﴾ أي: من بعد أنيائهم ﴿لَنْ يَسْأَلَ بَيْنَهُ﴾ أي: من محمد ﷺ.

﴿فَلِللَّهِ قَادَعٌ وَاسْتَقَمَ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تُلَاحِظْ أَمْوَالَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ لَا أَعْمَلُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ لَا حِمَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ١٥﴾ وَالَّذِينَ يَخَافُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جُنتُهُمْ دَارِجَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِللَّهِ قَادَعٌ﴾ قال الفراء: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوت إلى فلان، ودعوت لفلان، و«ذلك» بمعنى «هذا»؛ وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني: أنه التوحيد، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

(١) قال القرطبي: أو في الزوج، أي: يخلقكم في بطون الإناث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿خَرَجَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام، وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية (الأحزاب) عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبِّكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَأَنْ يُؤْمِنُوا بَمَا وَصَّيْنَا أَنْتَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ الآية، قال: والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ١٥﴾ وفي الحديث: «نحن معشر الأنبياء أولاد غلات ديننا واحد» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم وتمامهم، فتقوله جل جلاله: ﴿يَكُنْ جَمْعًا بَيْنَكُمْ بَرَكَةً وَنِعْمَةً﴾. اهـ.

(٣) في الأصل: «ما وصي».

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى وذكره: فإلى ذلك الذين الذين شرع لكم، ووصَّى به نوحاً، وأوصاهم إليك يا محمد، فادع عبادة الله، واستقم على =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِغْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني أهل الكتاب، لأنهم دعوه إلى دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمِزْتُ لَأَكْذِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال بعض النحويين: المعنى: أمزْتُ كي أغدِلَ. وقال غيره: المعنى: أمزْتُ بالغَدْل. وتقع «أَمِزْتُ» على «ان»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يقال: أمزْتُ أن أعدل، وكي أعدل، ولاعدل. ثم في ما أَمِرَ أن يَغْدِلَ فيه قولان: أحدهما: في الأحكام إذا تراعفوا إليه. والثاني: في تبليغ الرسالة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو إلهنا وإن اختلفنا، فهو يجازينا بأعمالنا، فذلك قوله: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال مجاهد: لا خصومة بيننا وبينكم.

### فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أنها اقتضت الاختصار على الإنذار، وذلك قبل القتال، ثم نزلت آية السيف فسختها، قاله الأكثرون. والثاني: أن معناها: إن الكلام - بعد ظهور الحجج والبراهين - قد سقط بيننا، فعلى هذا هي مُحْكَمَةٌ، حكاها شيخنا علي بن عبيد الله عن طائفة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي آلِهِ﴾ أي: يُخَاصِمُونَ في دينه، قال قتادة: هم اليهود، قالوا: كتابنا بَلَّ كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، فنحن خير منكم. وعلى قول مجاهد: هم المشركون، طمعوا أن تعود الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ أي: من بعد إجابة الناس إلى الإسلام؛ ﴿مَجْهُدُكُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومتهم باطللة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۖ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَفَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِؤُنَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفِثْ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم ينزله لغير شيء، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقاتدة، والجمهور. والثاني: أنه الذي يوزن به، حكى عن مجاهد. ومعنى إنزاله: إلهام الخلق أن يعملوا به، وأمر الله ﷻ إياهم بالإنصاف، وسُمِّيَ الْعَدْلُ ميزاناً، لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق. وتام الآية مشروح في [الأحزاب: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذ لم يؤمنوا بكونها، فهم يطلبون قيامها استبعاداً واستهزاء، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿مِنْهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحَاسِبُونَ ومَجْزِيُّونَ، ولا يدرون ما يكون منهم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي: أنها كائنة لا محالة. ﴿أَفَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِؤُنَ فِي السَّاعَةِ﴾ أي: يخاصمون في كونها ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ حين لم يتفكروا، فعملوا قدرة الله على إقامتها. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ قد شرحنا معنى [اسمه] «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٣]. وفي عباده هاهنا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: أنه عامٌ في الكل. ولطفه بالفاجر: أنه لا يهلكه. ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع له الرزق.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عمل الآخرة، يقال: فلان يحرت للدين، أي: يعمل لها ويجمع المال؛ فالمعنى: من أراد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: نُضَاعِفْ له الحسنات. قال

العمل به، ولا تُرْعَ عنه، وأثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. اهـ.

وقال ابن كثير: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها متفصلة عن التي قبلها، حُكِمَ برأسها، قال: قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكروسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه، قال: وقوله: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ نَذِيرٌ﴾ أي: فالذي أوحينا إليك من الدين الذي وُضِعَ به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار الشبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه، قال: وقوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَفْتِمُ كَمَا كُنْتُ أُرْتَفَى﴾ أي: واستقم أنت ومن أتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله ﷻ. اهـ.



أجراً. وقد أشار ابن عباس في رواية الضحاك إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسخَت هذه بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ فَهَوَ لَكُمْ﴾ الآية [سبا: ٤٧]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل. والثاني: أنه استثناء من غير الأول، لأن الأنبياء لا يسألون على تبليغهم أجراً؛ وإنما المعنى: لكُنِّيْ أذكُرْكم المَوَدَّةَ في القُرْبَى، وقد روى هذا المعنى جماعة عن ابن عباس، منهم العوفي، وهذا اختيار المحققين، وهو الصحيح، فلا يتوجَّه النسخ أصلاً<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالقُرْبَى خمسة أقوال: أحدها: أن معنى الكلام: إلَّا أن تَوَدُّوني لقرباتي منكم، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في الأكثرين، قاله ابن عباس: ولم يكن بطلن من بطون قريش إلَّا ورسول الله ﷺ فيهم قرابة. والثاني: إلَّا [أن] تَوَدُّوا قرباتي، قاله علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، والسدي. ثم في المراد بقرباته قولان: أحدهما: علي وفاطمة وولدها، وقد روه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم الذين تَحَرَّم عليهم الصدقة ويُقَسَّم فيهم الخُمُس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. والثالث: أن المعنى: إلَّا أن تَوَدُّوا إلى الله تعالى فيما يقرِّبكم إليه من العمل الصالح، قاله الحسن، وقتادة. والرابع: إلَّا أن تَوَدُّوني، كما تَوَدُّون قرباتكم، قاله ابن زيد. والخامس: إلَّا أن تَوَدُّوا قرباتكم وتصلوا أرحامكم، حكاه الماوردي. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: مَنْ يَتَّبِعْ ﴿حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: نُضَاعِفْهَا بالواحدة عشرًا فصاعداً. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، والجاحلي: ﴿يَزِدْ لَهُ بِالْيَاءِ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ﴾، ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل حتى يضاعفه. ﴿أَمْ يَكُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفار مكة ﴿أَنَّهُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله! ﴿فَإِنْ يَسْأَلُ اللَّهَ بِخَبْرٍ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يَحْتِمِ على قلبك فيُنْسِيك القرآن، قاله قتادة. والثاني: يَرْبِط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يَشُقَّ عليك قولهم: إنك مفتي، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَمْسَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ قال الفراء: ليس بمردود على ﴿يَحْتِمِ﴾ فيكون جزماً، وإنما هو مستأنف، ومثله مما حُذِفَتْ منه الواو، ﴿وَيَسَّخِرُ الْإِنْسَانَ الْبَاطِلَ﴾ [الإسراء: ٤١]. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير. تقديره: والله يمحو الباطل. وقال الزجاج: الوقف عليها «ويمحوها» بواو وألف؛ والمعنى: والله يمحو الباطل على كل حال، غير أنها كُتِبَتْ في المصاحف بغير واو، لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتبت على الوصل، ولفظ الواو ثابت؛ والمعنى: ويمحو الله الشُّرك ويُبَيِّنُ الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّه ﷺ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُؤْتِيهِمْ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قد ذكرناه في [إبراهيم: ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَسَّخِرُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: من خير وشر. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء، على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم. و«يستجيب» بمعنى يُجِيب. وفيه قولان. أحدهما: أن الفعل

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معنا: قل لا أسألكم عليه أجراً بما مشر قريش، إلَّا أن توفوني في قرباتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. اه. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَبِئْسَ إِلَّا التَّوْبَةُ فِي الشَّرِّ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرككم مني، وتنفروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تصبروني فلا توفوني بما بيني وبينكم من القرابة. اه.

(٢) قال السيوطي في «الدرر»: ٧/٦: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَبِئْسَ إِلَّا التَّوْبَةُ فِي الشَّرِّ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرباتك هؤلاء الذين وجبت موتهم؟ قال: «علي وفاطمة وولدها» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وقال: في سند حسين الأشعري ضعيف ساقط، قال: وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري من رواية طاووس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: قرئ آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عَجَلْتُ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلَّا كان له فيهم قرابة... الحديث. قال ابن كثير: ولا ننكر الوصلة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا مَثْبُتِينَ للسنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كآلِ عباس وبنه، وعلي وأهل بيته وفريته، ﷺ أجمعين. اه.

فيه لله، والمعنى: فيجيبهم إذا سألوه؛ وقد روى قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي<sup>(١)</sup>، «وَسَجَّيْبُ الَّذِينَ آمَنُوا» قال: يُشْفَعُونَ في إخوانهم، «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قال: يُشْفَعُونَ في إخوان إخوانهم. والثاني: أنه للمؤمنين؛ فالمعنى: يجيئونهم. وأول أصح.

قوله تعالى: «وَلَوْ بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ» قال حَبَاب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نَظَرْنَا إلى أموال بني قريظة والنضير فتمنيناها، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: لو أوسع الله الرزق لعباده لبطروا وغصوا وبغى بعضهم على بعض، «وَلَكِنْ يَزِيلُ يَقْدَرُ مَا يَشَاءُ» أي: ينزل أمره بتقدير ما يشاء مما يصلح أمورهم ولا يطغيهم «إِنَّهُ يَبْكَوهُ خَيْرٌ بَيْرٌ» فمنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر<sup>(٣)</sup>.

«وَهُوَ الَّذِي يَزِيلُ الْفَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» ﴿١٨﴾ «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْزِلَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَاكَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» ﴿١٩﴾ «وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ» ﴿٢٠﴾ «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» ﴿٢١﴾

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَزِيلُ الْفَيْتَ» يعني المطر وقت الحاجة «مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» أي: يشعوا، وذلك أدعى لهم إلى شكر منزله «وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ» في الرحمة هاهنا قولان: أحدهما: المطر، قاله مقاتل؛ والثاني: الشمس بعد المطر، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وقد ذكرنا «الولي» في سورة [النساء: ٤٥] و«الحميد» في [البقرة: ٢٦٧].

قوله تعالى: «وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ» وهو ما يلحق المؤمن من مكروه «فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» من المعاصي. وقرأ نافع، وابن عامر: «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» بغير فاء، وكذلك [هي] في مصاحف أهل المدينة والشام، «وَيَعْلَمُ عَنْ كَثِيرٍ» من السينات فلا يعاقب بها. وقيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ قال: إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، وقرأ هذه الآية.

قوله تعالى: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» إن أراد الله عقوبتكم، وهذا يدخل فيه الكفار والعصاة كلهم. «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ» ﴿٢٢﴾ «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ شَاكِرٍ» ﴿٢٣﴾ «أَوْ يُوقِفَهُنَّ مِمَّا كَسَبُوا وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ» ﴿٢٤﴾ «وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَدِّلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِجِيمٍ» ﴿٢٥﴾ «فَأَنْوَيْتُمْ مِنَ قَوْمٍ فَفَعَلَ الْخَبْرُ الْاَلْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَلْقِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَ رِيحِهِمْ يَوْمَهُمْ» ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ» والمراد بالجوار: السفن. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «الجواري» بياء في الوصل، إلا أن ابن كثير يقف أيضاً بياء، وأبو عمرو بغير ياء، ويعقوب يوافق ابن كثير، والباقون بغير ياء في الوصل والوقف؛ قال أبو علي: والقياس ما ذهب إليه ابن كثير، ومن حذف، فقد كثر حذف مثل هذا في كلامهم. «كَالْأَعْلَامِ» قال ابن قتيبة: كالجبال، واحدها: عَلم. وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: كل شيء مرتفع - عند العرب - فهو عَلم.

قوله تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ» التي تُجرىها «فَيَظْلَنَ» يعني الجواري «رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ» أي: سواكن على ظهر البحر [لا يَجْرِينَ]. «أَوْ يُوقِفَهُنَّ» أي: يُهْلِكُهُنَّ وَيُغْرِقُهُنَّ، والمراد أهل السفن، ولذلك قال: «بِمَا كَسَبُوا» أي: من

(١) كذا الأصل، والذي في «الطبري»: إبراهيم اللخمي.

(٢) ذكر سبب النزول هذا عن حباب بن الأرت بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٢١٣ بدون سند، وكذلك ذكره البيهقي والخازن في «تفسيريهما» عن حباب رضي الله عنه بدون سند. وروى الطبري في «تفسيره» من رواية عمرو بن حريث وغيره قال: يقولون: إنما نزلت في أهل الشُّقَّة. وقال السيوطي في «الدرر» ٨/٦: أخرج ابن المنذر، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن أبي هانئ الخولاني قال: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أهل الشُّقَّة: «وَلَوْ بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ لَبَتَرَأَ فِي الْأَرْضِ» وذلك أنهم قالوا: «وَإِنْ أَتَى النَّاسَ الْفَقْرُ فَهُمْ يَلْعَنُونَ» وقال السيوطي أيضاً: وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الشُّقَّة: «وَلَوْ بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِيَاكُوهُ لَبَتَرَأَ فِي الْأَرْضِ» وذلك أنهم قالوا: «وَإِنْ أَتَى النَّاسَ الْفَقْرُ فَهُمْ يَلْعَنُونَ» الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: ولكن يوزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك، فيخفي من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. اهـ.

الذُّنُوبَ ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذنوبهم، فيُجِيبهم من الهلاك. ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَيَّلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «وَيَعْلَمُ» بالرفع على الاستئناف وقطعه من الأول؛ وقرأ الباقون بالنصب. قال الفراء: هو مردود على الجزم، إلا أنه ضُرف، والجزم إذا ضُرف عنه معطوفه نُصب. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: ويعلم الذين يخاصمون في آيات الله حين يؤخِّدون بالفرق أنه لا ملجأ لهم. والثاني: أنهم يعلمون بعد البعث أنه لا مهرب لهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَرْيَيْتُمْ تَبَتُّو﴾ أي: ما أعطيت من الدنيا فهو متاع تتمتعون به، ثم يزول سريعاً، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَلَئِنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعد لهم في الآخرة العذاب.

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ شَيْءٌ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣) ﴿وَعَزَّوْا سِنِينَ سَنَوَاتٍ مِنْهُ لَنْ يَسْلَمَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَرْضِ النَّاسُ وَلَوْ جَمَعُوا لَهُمْ قُوَّةً وَلَكِنْ تَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ فُلُوكُ الْوَلَدِ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤) ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥) ﴿وَلَكِنْ صَبَرْ وَعَفَّ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزِّ الْأُمُورِ﴾ (٦)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «كبير الإثم» على التوحيد من غير ألف، والباقون بألف. وقد شرحنا الكبائر في سورة [النساء: ٣١] (١). وفي المراد بالفواحش هاهنا قولان: أحدهما: الزنا. والثاني: موجبات الحدود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يغفون عنهم ظلمهم طلباً لثواب الله تعالى (٢). ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه فيما دعاهم إليه. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يتشاورون فيه [بينهم]. وقال الزجاج: المعنى أنهم لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه (٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ شَيْءٌ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤) اختلَفوا في [هذا] البني على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بغي الكفار على المسلمين. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم، ثم مكَّنهم الله منهم فانتصروا. وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين بمكة، فرقة كانت تؤذى فتعفو عن المشركين، وفرقة كانت تؤذى فتنتصر، فأنى الله ﷻ عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ شَيْءٌ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٥) أي: من المشركين. وقال ابن زيد: ذكر المهاجرين، وكانوا صنفين، صنفاً عفا، وصنفاً انتصر، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، فبدأ بهم، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ شَيْءٌ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٦) أي: من المشركين؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَغْفِرُونَ﴾ وهم الأنصار؛ ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ بِهِمْ شَيْءٌ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٧) من المشركين. والثاني: أنه بغي المسلمين على المسلمين خاصة. والثالث: أنه عام في جميع البغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

## فصل

واختلف في هذه الآية علماء الناسخ والمنسوخ، فذهب بعض القائلين بأنها في المشركين إلى أنها منسوخة بآية السيف، فكانهم يشيرون إلى أنها أثبتت الانتصار بعد بغي المشركين، فلما جاز لنا أن نبدأهم بالقتال، دلَّ على أنها منسوخة. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَلَكِنْ صَبَرْ وَعَفَّ﴾ [الشورى: ٤٣] فكانتها نبهت على مدح المنتصر، ثم أعلمنا أن الصبر والغفران أمدح، فبان وجه النسخ. والثاني: أنها محكمة، لأن الصبر

(١) انظر ٢٧٥.

(٢) قال ابن كثير: أي: سبَّحهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سبَّحهم الانتقام من الناس.

(٣) قال ابن كثير: أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليسانعواو بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَاذِبُهُمْ فِي الْآثَمِ...﴾ الآية، قال: ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطلب بذلك قلوبهم، قال: وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفداء حين طعن جمل الأمر بعده شوري في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، فاجتمع رأي الصحابة كلهم ﷺ على تقديم عثمان عليهم، ﷺ. اهـ.



والغفران فضيلة، والانتصار مباح، فعلى هذا تكون محكمة، [وهو الأصح]. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية - وظاهرها مدح المنتصر - وبين آيات الحث على العفو؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه انتصار المسلمين من الكافرين، وتلك رتبة الجهاد كما ذكرنا عن عطاء. والثاني: أن المنتصر لم يخرج عن فعل أبيح له، وإن كان للعفو أفضل، ومن لم يخرج من الشرع بفعله، حسن مدحه. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين، صنف يعفو، فبدأ بذكره، وصنف ينتصر. والثالث: أنه إذا بنى على المؤمن فاسق، فلائ له اجترأ الفساق عليه، وليس للمؤمن أن يذل نفسه، فينبغي له أن يكسر شوكة العصاة لتكون الجزة لأهل الدين. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق، فإذا قُدرُوا عَفُوا. وقال القاضي أبو يعلى: هذه الآية محمولة على من تعدى وأصر على ذلك، وآيات العفو محمولة على أن يكون الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا سَيِّئًا يَبْتَغِيْنَ نَافَعًا﴾ قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح، إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يعتدي. وقال مقاتل: هذا في القصاص في الجراحات والدماء. ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ فلم يقتص ﴿وَمَنْ أَمْلَحَ﴾ العمل ﴿فَأَمْرٌ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني من بدأ بالظلم. وإنما سُمي المجازاة سيئة، لما بيئنا عند قوله: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. قال الحسن: إذا كا يوم القيامة نادى مُنادٍ: لِيَقُمْ مَنْ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، فلا يقوم إلا مَنْ عفا. ﴿وَلَكِنْ أَمَرَ بِدَعْوَتِهِمْ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول، ونظيره: ﴿وَمِنْ دَعَا الْخَيْرِ﴾ [نصفت: ٤٩] و﴿سُؤَالِ تَحِيَّاتِكَ﴾<sup>(١)</sup> [ص: ٢٤]، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من طريق إلى لزوم ولا حد، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أي: يبتدئون بالظلم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَبَرْ﴾ فلم ينتصر ﴿وَعَفَرَ لِنَافَعِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿وَكُنْ مِنَ الْأَمْثَرِ﴾ وقد شرحناه في لال عمران: ١٨٦.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَزَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوتَ هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup> وَزَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِمَا خَشِيعَتَيْنِ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْمُنِيرِوتَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ<sup>(٣)</sup> وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُصْرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه. ﴿وَزَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ في الآخرة يسألون الرجعة إلى الدنيا ﴿يَقُولُوتَ هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾؟ ﴿وَزَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على النار ﴿خَشِيعَتَيْنِ﴾ أي: خاضعتين متواضعين ﴿وَمِنْ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: من طَرَفٍ ذليل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال الأخفش: ينظرون من عين ضعيفة. وقال غيره: ﴿مِنْ﴾ بمعنى «الباء». والثاني: يسارقون النظر، قاله قتادة، والسدي. والثالث: ينظرون ببعض العين، قاله أبو عبيدة. والرابع: أنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم قد حُشروا غُصْباً، فلم يَرَوْهَا بِأَعْيُنِهِمْ، حكاها الفراء، والزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ١٢، مود: ٣٩] إلى قوله: ﴿يُصْرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: استجبوا لربكم ﴿يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: لا مَرَدَ لَهُ مِنْ رَبِّكَ ﴿لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup> فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْكَفْلُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَيَّ بِهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنِينَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ ثَلَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً إِنَّهُ يَشَاءُ الذِّكْرَ<sup>(٧)</sup> أَوْ يُرْجِيهِمْ ذِكْرًا وَنَسَاءً وَيَعْمَلُ مَن يَشَاءُ عَمِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: اجيبوه، فقد دعاكم برسوله ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: لا يقدر أحد على رده ودفعه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ قال مجاهد:



من ناصر ينضركم. وقال غيره: من قُدرة على تغيير ما نزل بكم<sup>(١)</sup>. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفظ أعمالهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أي: ما عليك إلا أن تبلغهم. وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ إِذَا أَقْنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَهُ فَرِحَ بِهِ﴾ قال المفسرون: المراد به: الكافر؛ والرحمة: الغنى والصحة والمطر ونحو ذلك، والسَّيِّئَةُ: المرض والفقر والقحط [ونحو ذلك]. والإنسان هاهنا: اسم جنس، فلذلك قال: ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدِمَتْ آيَاتُهُمْ﴾ أي: بما سلف من مخالفتهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ بما سلف من النعم. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾ أي: له التصرف فيها بما يريد، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ يعني البنات ليس فيه ذكر، كما وهب للوط عليه السلام، فلم يولد له إلا البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلم يولد له إلا الذكور. ﴿أَوْ بَرُوجُهُمْ﴾ يعني الإناث والذكور. قال الزجاج: ومعنى «بَرُوجُهُمْ»: يقرنهم. وكل شيئين يقرن أحدهما بالآخر، فهما زوجان، ويقال لكل واحد منهما: زوج، تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمفسرين قولان: أحدهما: أنه وضع المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية، قاله مجاهد والجمهور. والثاني: [أنه] وضع المرأة جاريةً وغلاماً توأمين، قاله ابن الحنفية. قالوا: وذلك كما جمع لمحمد ﷺ، فإنه وهب له بنين وبنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ لا يولد له، كيحیی بن زكريا عليه السلام. وهذه الأقسام موجودة في سائر الناس، وإنما ذكروا الأنبياء تمثيلاً.

﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ رُسُلًا رَشُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّكَذِّبٍ﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُكُوعًا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنِ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ قال المفسرون: سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم: «لم ينتظر موسى إلى الله»، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والمراد بالوحي هاهنا: الوحي في المنام. ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى<sup>(٣)</sup>. ﴿أَوْ رُسُلًا﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «يُرْسِلُ» بالرفع «فَيُوحِي» بسكون الياء. وقرأ الباقون: «يُرْسِلُ» بنصب اللام «فيوحي» بتحريك الياء، والمعنى: «أو يرسل رسولاً» كجبرائيل «فيوحي» ذلك الرسول إلى المرسل إليه «بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ». قال مكي بن أبي طالب: من قرأ «أو يرسل» بالنصب، عطفه على معنى قوله: «إِلَّا وَحْيًا» لأنه بمعنى: «إِلَّا أَنْ يُوْحِي». ومن قرأ بالرفع، فعلى الإبتداء، كأنه قال: أو هو يرسل. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشراً إلا من وراء حجاب في دار الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسُل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، وقيل: الواو عطف على أول السورة، فالمعنى: كذلك نوحى إليك وإلى الذين من قبلك. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُكُوعًا مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قال ابن عباس: هو القرآن. وقال

(١) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأحوال والأمور العظام الهائلة، حذر منه، وأمر بالاستعداد له فقال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرْجَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع، قال: وقوله ﷺ: «مَا لَكُمْ مِنْ تَلَكُّلٍ يَتَّبِعُهُ رَبُّكُمْ لَكُمْ مِنْ تَلَكُّلٍ» أي: ليس لكم حصن تحصنونه فيه، ولا مكان يستتركم وتتغرون فيه فتفنيون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم يعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿يَوْمَ لَا تَنْفَعُ الْإِيمَانُ لَكُمْ شَيْئًا﴾ ﴿لَا لِلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رَبًّا﴾ ﴿لَا تَدْرِي لَكُمُ الْيَوْمَ أَلَمَّا يَتَذَكَّرُ﴾ ﴿٥١﴾. اهـ.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٤ بدون سند، وكذلك ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: حديث أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه، فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ لم أجده. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يلقف في رُوح النبي ﷺ شيئاً لا يمتارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في «صحيح ابن حبان» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنْ رُوحُ الْقَلَسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رُزْقَهَا وَأَجَلُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الْعُلُقِ» قال: وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الروية بعد التكلم فحجب عنها. ثم قال: وقوله ﷺ: ﴿أَوْ رُسُلًا رَشُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مقاتل: وَخِياً بِأَمْرِنَا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ وذلك أنه لم يكن يعرف القرآن قبل الوحي ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الدعوة إلى الإيمان، قاله أبو العالية. والثاني: أن المراد به شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سُمِّي الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذا اختيار ابن قتيبة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة. والثالث: أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وإذ كان طفلاً قبل البلوغ، حكاه الواحدي. والقول ما اختاره ابن قتيبة، وابن خزيمة، وقد اشتهر في الحديث عنه ﷺ أنه كان قبل النبوة يوحد الله، وَيُخَيِّضُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَيُحْجُجُ وَيَعْتَمِر، وَيَتَّبِعُ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، فهو قول سوء، ليس كان لا يأكل ما ذُبِحَ على النُّسُب؟ وقال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعين سنة. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسماعيل، من ذلك حُجُّ البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين، ودية النفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويعيبها. وكان لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [يعني القرآن] ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ يعني شرائع الإيمان؛ ولم يُرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحججون له [البيت] مع شركهم. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَاءَنِي﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى الإيمان. ﴿وَوَرَاكَ أَي: ضياءً ودليلاً على التوحيد﴾ ﴿تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ﴾ [من عبادنا] إلى دين الحق<sup>(٢)</sup>. ﴿وَوَيْلٌكَ لَهْدَى﴾ أي: لتدعو ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: هو وخياً بأمرنا.

(٢) قال البيهقي في تفسيره: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال: وقال محمد بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع: الصلاة، ودليله قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ قال: وأهل الأصول على أن الأنبياء ﷺ كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يبين له شرائع دينه. اهـ.

وقال ابن كثير: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن. اهـ. وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى إليه، فقال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ أي: أي شيء هو؟ لأنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز وأدلى على صحة نبوته، قال: ومعنى ﴿وَلَا الْإِيمَنُ﴾ أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، قال: وخص الإيمان، لأنه رأسها وأساسها، قال: وقيل: أراد بالإيمان هنا: الصلاة، قال بهذا جماعة من أهل العلم، منهم إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِسْمَكُمْ﴾ يعني الصلاة، فسمّاها إيماناً، قال: وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به، وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَرَاكَ أَي: يا محمد﴾ ﴿تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم قال في تمة الآية: ثم فسر بقوله تعالى: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي: شرعه الذي أمر به الله ﴿الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿إِلَّا إِلَهُ تَعَالَى الْأَشْوَاقِ﴾ أي: ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً. اهـ.

## سورة الزخرف

### وهي مكية ياجماعهم

وقال مقاتل: هي مكية، إلا آية، وهي <sup>(١)</sup> قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّمَا فِي أَرْكِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٌ ۝ أَنْتَضَرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَعْنَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْغَلِيْبُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن: ١]. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسم بالقرآن. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ قال سعيد بن جبير: أنزلناه. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [النساء: ٨٢، يوسف: ٢] إلى قوله: ﴿وَلَئِنْ﴾ يعني القرآن ﴿فِي أَرْكِ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أي: في أصل الكتاب، وأصل كل شيء: أمه، والقرآن مُثَبَّتٌ عند الله ﷻ في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلُّ﴾ أي: رفيع. وفي معنى الحكيم قولان: أحدهما: مُحْكَمٌ، أي: ممنوعٌ من الباطل، قاله مقاتل. والثاني: حاكمٌ لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الكفر بالنار، ذكره أبو سليمان الدمشقي، والمعنى: إن كُذِّبْتُمْ به يا أهل مكة فإنه عندنا شريفٌ عظيمٌ المَحَلُّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَضَرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: نُفْسِكُ عَنْكُمْ فلا نذكركم صفحاً، أي: إعراضاً، يقال: صَفَحْتُ عن فلان: إذا عرضت عنه، والأصل في ذلك أن تُولِيَهُ صَفْحَةَ عُنُقِكَ، قال كُثَيْبٌ يصف امرأة: صَفُوحاً فَمَا تُلْفَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ

أي: مُعْرِضَةً بوجهها، يقال: صَرَبْتُ عن فلان كذا: إذا أمسكته وأضربت عنه. ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أن كنتم» بالنصب <sup>(٣)</sup>، أي: لأن كنتم قوماً مسرفين. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة. قال الزجاج: وهذا على معنى الاستقبال، أي: إن تكونوا مسرفين نَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ. وفي المراد بالذِّكْر قولان: أحدهما: أنه ذِكرُ العذاب، فالمعنى: أفنميكُ عن عذابكم ونترُككم على كفركم! وهذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: أفنميكُ عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به! وهو معنى قول قتادة، وابن زيد. وقال قتادة: «مُسْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلم نبيه أني قد بعثتُ رُسُلًا فَكُذِّبُوا فَأَهْلَكْتُ الْمَكْذِبِينَ بِالآيَاتِ التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ أي: قُوَّةٌ ﴿وَمَعْنَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سبق وصف عقابهم فيما أنزل عليك. وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المشابهة بينهم في الإهلاك. ثم أخبر عن جهلهم حين أقروا بأنه خالق السموات والأرض ثم عبدوا غيره بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسرة في [طه: ٥٣] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) في الأصل: وهو.

(٢) «غريب القرآن» ٣٩٥، «واللسان» و«التاج»: صفح. وفي «غريب القرآن» و«التاج»: «إلا بخيلة» بدل «بخيلة».

(٣) أي: بفتح الهمزة.

الْفَالِكِ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ تُمْ تَذْكُرُوا يَنْعَمَ رَبُّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلْقَيْنَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْكَ السَّمَاءَ مَاءً يَقْدَرُ﴾ قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قدر فأغرقهم، بل هو بقدر ليكون نافعا. ومعنى «أنشأنا» أحيينا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر: «تَخْرُجُونَ» بفتح التاء. وضم الراء؛ والباقون بضم التاء وفتح الراء. وما بعد هذا قد سبق [يس: ٣٦، ٤٢] إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ قال أبو عبيدة: هاء التذكير لـ «ما». ﴿تُمْ تَذْكُرُوا يَنْعَمَ رَبُّكُمْ﴾ إذ سخر لكم ذلك المركب في البر والبحر، ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أي: مطيقين، قال ابن قتيبة: يقال: أنا مقرن لك، أي: مطيق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قرن لفلان: إذا كنت مثله في الشدة، فإن قلت: أنا قرن لفلان - بفتح القاف - فمعناه: أن تكون مثله بالسِّن. وقال أبو عبيدة: «مُقْرِنِينَ» أي: ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان، أي: ضابط له.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلْقَيْنَ﴾ ﴿١٣﴾ أي: راجعون في الآخرة<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلُوا لَمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤﴾ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَيِّنِ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُيِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَمْ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أنا الجعل هاهنا، فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله؛ والمعنى: جعلوا له نصيبا من الولد، قال الزجاج: وأنشدني بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى «جزء» معنى الإناث - ولا أدري البيت قديم أو مصنوع -:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ، يَوْمًا، فَلَا عَجَبٌ  
قَدْ تُجْزِئُ الْحُرَّةُ الْمَذْكَارُ أَخِيَانًا<sup>(٢)</sup>  
أي: أنت، ولدت أنثى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود لينعم الله ﷻ ﴿بِالْبَيِّنِ﴾ أي: ظاهر الكفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهام توبيخ وإنكار ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾ أي: أخلصكم ﴿بِالْبَيِّنِ﴾. ﴿وَإِذَا بُيِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: بما جعل لله شبها، وذلك أن ولد كل شيء شبهه وجنسه. والآية مفسرة في النحل: ١٥٨.

قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «يُنَشَّأُ» بضم الباء وفتح النون وتشديد الشين؛ وقرأ الباقيون: بفتح الباء وسكون النون. قال المبرد: تقديره: أو يجعلون من ينشأ ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ قال أبو عبيدة: الحلية: الحلي. قال المفسرون: والمراد بذلك: البنات، فإنهن زبيّن في الحلي. والخصام بمعنى المخاصمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حجة. قال قتادة: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وقال بعضهم: هي الأصنام.

﴿وَجَعَلُوا أَلَكِبَكَّةَ الَّتِي هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنتَأَ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَنَسُوا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَعْزَمُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أَلَيْسَ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ يَشْهَدُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِمْ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوعًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى آثَرِهِمْ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ نَلَّ أَوَّلُو حَيْثُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٢٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُكَذِبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا، ثم قال: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ وَلَوْلَا إِلَهُ رَبَّنَا لَسْتَلْقَيْنَ﴾ ﴿١٣﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بطنه، اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من غثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهم، وزاد فيهن «آيرون تابرون، عابدون، لربنا حامدون».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٣٩٦، و«القرطبي» ٦٩/١٦، و«البحر المحیط» ٨/٨، و«اللسان» و«التاج»: جزأ.

(٣) قال في «غريب القرآن» نقلًا عن الزجاج: فمعنى «إن أجزاء» أي: أنت، أنت، أي: أنت بآنى.

[illegible]

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ۖ ﴿٣٧﴾ وَسَمِعَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ فَلَمَّا رَجَعُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ مَنَعَتْ هَتُوكَ وَإِنَّهَمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ قال الزجاج: البراء بمعنى البريء، والعرب تقول للواحد: أنا البراء منك، وكذلك للثنتين والجماعة، وللذكر والأنثى، يقولون: نحن البراء منك والخلاء منك، لا يقولون: نحن البراءان منك، ولا البراءون منك، وإنما المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذو البراء منك، كما يقال: رجل عدل، وامرأة عدل. وقد بينّا استثناء إبراهيم ربه ﷺ مما يعبدون عند قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَسَمِعَهَا﴾ يعني كلمة التوحيد، وهي «لا إله إلا الله» «كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» أي: فيمن يأتي بعده من ولده، فلا يزال فيهم موحد ﴿لَمَّا رَجَعُوا﴾ إلى التوحيد كلهم إذا سمعوا أن أباهم تبرأ من الأصنام ووحد الله ﷻ. ثم ذكر نعمته على قريش فقال: ﴿بَلْ مَنَعَتْ هَتُوكَ وَإِنَّهَمْ﴾ والمعنى: إِنِّي أَجَزَلْتُ لَهُمُ النَّعْمَ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ وهو محمد ﷺ، فكان ينبغي لهم أن يقابلوا النَّعْمَ بالطاعة للرسول، فخالفوا. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني قريشاً في قول الأكثرين. وقال قتادة: هم اليهود. و﴿الْحَقُّ﴾ القرآن.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ أَهَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْسَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفَعَلْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْجُدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَجْدَةً وَرَحْمَتٌ لِّرَبِّكَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتَنَّهُمْ سُقْمًا مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَالِجٌ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٣﴾ وَلِيُثْبِتَنَّهُمْ أَلْحَاكَمَ وَمُزَكَّاتٍ عَلَيْهَا يُشْكِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿قُرْآنٌ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّ عَظِيمٍ﴾ أما القرطبان، فمكة والطائف، قاله ابن عباس، والجماعة؛ وأما عظيم مكة، ففيه قولان: أحدهما: الوليد بن المغيرة القرشي، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، [وبه قال قتادة، والسدي]. والثاني: عُتْبَةُ بن ربيعة، قاله مجاهد. وفي عظيم الطائف خمسة أقوال: أحدها: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: مسعود بن عمرو بن عبيد الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال قتادة. والرابع: [أنه] ابن عبد ياليل<sup>(٢)</sup>، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: كنانة بن عبد [بن]<sup>(٣)</sup> عمرو بن عمير الطائفي، قاله السدي. فقال الله ﷻ ردّاً عليهم وإنكاراً: ﴿أَهَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني النبوة، فيضعونها حيث شاؤوا، لأنهم اعترضوا على الله بما قالوا<sup>(٤)</sup>. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْسَتَهُمْ﴾ المعنى أنه إذا كانت الأرزاق بقدر الله، لا بحول المحتال - وهو دون النبوة - فكيف تكون النبوة؟! قال قتادة: إنك لتلقى ضعيف الحيلة عبيء اللسان قد بسط له الرزق، وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان<sup>(٥)</sup> وهو مقتور عليه.

ومكابرهم للحق وأهله. قال الله تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فعله تبارك وتعالى في قصصهم: ﴿كَانَ كَذِبًا كَانَ عَوْدُ الْمُكذِبِينَ﴾ أي: كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين. اهـ.

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليفه إمام الحنفاء والد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ۖ﴾ ﴿وَسَمِعَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»، أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداة الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿لَمَّا رَجَعُوا﴾ أي: إليها. اهـ.

(٢) هو كنانة بن عبد ياليل الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف (في الحجاز)، كان رئيس ثقيف في زمانه، مدح النعمان بن المنذر، وأدرك الإسلام، وقدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف بعد حصار الطائف، فأسلم الوفد إلا كنانة، فتوجه إلى بلاد الروم فمات فيها.

(٣) زيادة من «الطبري» و«القرطبي».

(٤) قال ابن كثير: قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرهم بيتاً وأطهرهم أصلاً. اهـ.

(٥) كذا الأصل «بسيط اللسان» والذي في الطبري «سليط اللسان».

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالغنى والفقر. والثاني: بالحرية والرق ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا﴾ وقرأ ابن السميع، وابن محيصن: «سُخْرِيًّا» بكسر السين. ثم فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فَيَلْتَمِمْ قِوَامَ الْعَالَمِ، وهذا على القول الأول. والثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيَتَخَذُونَهُمْ عِبِيدًا، وهذا على الثاني<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْتُ رَبَّكَ﴾ فيها قولان: أحدهما: الثبوة خير من أموالهم التي يجمعونها، قاله ابن عباس. والثاني: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لولا أن يجتمعوا على الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: على إشار الدنيا على الدين، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِقَ سَفْهًُا مِّنْ فَسْهٍ لَّهُوَ الْدُّنْيَا عِنْدَنَا. قَالَ الْفَرَاءُ: إِن شِئْتَ جَعَلْتُ الْإِلَامَ فِي «لِيُوشِقَ» مَكْرَرَةً، كَقَوْلِهِ: «يَتَكَلَّمُكَ عَنِ الْكَلْبِ الْكَلْبُ وَتَالِي فِيهِ» [البقرة: ٢١٧]، وَإِن شِئْتَ جَعَلْتُهَا بِمَعْنَى «عَلَى»، كَأَنَّهُ قَالَ: جَعَلْنَا لَهُمْ عَلَى بِيُوتِهِمْ، تَقُولُ لِلرَّجُلِ: جَعَلْتُ لَكَ لَقَوْمَكَ الْأَعْطِيَّةَ، أَيْ: جَعَلْتُهَا مِنْ أَجْلِكَ لَهُمْ. قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «سَفْهًُا» عَلَى التَّوْحِيدِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «سَفْهًُا» بِضَمِّ السِّينِ وَالْقَافِ جَمِيعًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالسَّفْءُ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ؛ فَالْمَعْنَى: جَعَلْنَا لِبَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَفْهًُا مِنْ فِضَّةٍ «وَمَتَّاعٍ» وَهِيَ الدَّرَجَةُ وَالْمَعْنَى: وَجَعَلْنَا مَعَاجِرَ مِنْ فِضَّةٍ، وَكَذَلِكَ «وَلِيُوشِقَ» أَيْ: أَيْ: مِنْ فِضَّةٍ «وَمَتَّاعٍ» أَيْ: مِنْ فِضَّةٍ.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أَيْ: يَغْلُوبُونَ، يُقَالُ: ظَهَرْتُ عَلَى الْبَيْتِ: إِذَا عَلَوْتَ سَطْحَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكَافُورُ﴾ وهو الذهب؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وغنى ﴿وَإِن كُنتُمْ لَمَّا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المعنى: لَمَتَّاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا زَائِدَةٌ وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمَزَةٌ: «لَمَّا» بِالتَّشْدِيدِ، فَجَعَلَاهُ بِمَعْنَى «إِلَّا»؛ وَالْمَعْنَى: إِنَّ ذَلِكَ يُنْتَجَبُ بِهِ قَلِيلًا ثُمَّ يَزُولُ «وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» خَاصَّةً لَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَن يَشَأْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ وَأَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ حَقًّا إِذَا جَاءَكَ قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِيِّ يُقَالُ الْقَرِينُ ﴿٣٧﴾ وَكَأَنَّهُ يَنْفَعُكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَكْثَرُ فِي الْمَذَابِ مُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ أَفَأَنْتُمْ تُشْمِعُونَ الْبَصَرَ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ وَمَنْ كَانَتْ فِي سَلَكِهِ شُبُهَةٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشَأْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يُعْرِضُ، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء، والزجاج. والثاني: يَمُنُّ، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثالث: أَنَّهُ الْبَصَرُ الضَّعِيفُ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي. وَقَالَ أَبُو عبيدة: تُظَلِّمُ عَيْنَهُ عَنْهُ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: مَنْ قَرَأَ: «يَعْرِضُ»، فَمَعْنَاهُ: يُعْرِضُ، وَمَنْ نَصَبَ الشَّيْنَ،

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَعَن كَسَنَ يَتَمَّ يَتَمَّ يَتَمَّ﴾ في الْكَوْنِ الدُّنْيَا يقول تعالى ذِكْرَهُ: بَلْ نَحْنُ نَقْصِمُ رَحْمَتَنَا وَكِرَامَتَنَا بَيْنَ مَن شِئْنَا مِنْ خَلْقِنَا، فَنَجْعَلُ مِنْ شِئْنَا رَسُولًا، وَمَنْ أَرَدْنَا صَدِيقًا، وَنَتَّخِذُ مِنْ أَرَدْنَا خَلِيلًا، كَمَا قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمُ الَّتِي يَعْمَلُونَ بِهَا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَقْوَاتِ، فَجَعَلْنَا بَعْضَهُمْ فِيهَا أَرْفَعَ مِنْ بَعْضٍ دَرَجَةً، بَلْ جَعَلْنَا هَذَا غَنِيًّا، وَهَذَا فَقِيرًا، وَهَذَا مُلْكًا، وَهَذَا مَمْلُوكًا ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا﴾.

وقال ابن كثير: قال الله ﷻ مَبْنًى أَنَّهُ قَدْ فَارَتْ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْمَقُولِ وَالْفَهْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فَقَالَ: ﴿فَعَن كَسَنَ يَتَمَّ يَتَمَّ يَتَمَّ﴾ فِي الْكَوْنِ الدُّنْيَا... ﴿الْآيَةُ﴾ قَالَ: وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَسْتَجِدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لِيَسْخَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَعْمَالِ، لِاحْتِيَاجِ هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، قَالَ السَّيِّدِي وَغَيْرُهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: لِيَمْلِكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَرَفَعْتُ رَبَّكَ سَبْعًا مِثْرًا يَبْسُوتُ﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ: وَرَحِمَةً رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ خَيْرَ لِّهِمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا. اهـ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيْ: وَرَحِمَةً اللَّهِ خَيْرَ لِّهِمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ لَمَّا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ: وَمَا كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْتُ، مِنَ السَّفْءِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْمَعَاجِرِ وَالْأَبْوَابِ وَالسُّرَرِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالزَّخْرِفِ، إِلَّا مَتَاعٌ يَسْتَمْتَعُ بِهِ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ: وَزَيْنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَبِهَآوَاهَا عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ - الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ خَافُوا عِقَابَهُ، فَجَدُّوا فِي طَاعَتِهِ وَحَذَرُوا مَعَاصِيَهُ - خَاصَّةً، دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. اهـ. وَفِي «الصَّاحِحِينَ» عَنْ حَذِيقَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسْرِبُوا فِي آتِيَةِ اللَّعِبِ وَالْفُضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَابِهِمَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ». وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَمْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَسَارِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَمُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافَرًا شَرِيَةً مَاءً» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



أراد: يَغَمُّ عنه؛ قال ابن قتبية: لا أرى القول إلا قول أبي عبيدة، ولم نر أحداً يجيز «عَشَوْتُ عن الشيء»: أعرضت عنه، إنما يقال: «تَعَاشَيْتُ عن كذا»، أي: تغافلْتُ عنه، كأنِّي لم أره، ومثله: تعامَيْتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النار»: إذا استدلتَّ إليها يبصر ضعيف، قال الحطية:

مَتَى تَأْتِي تَغْشَوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ<sup>(١)</sup>

ومنه حديث ابن المسيب: «أن إحدى عَيْنَيْهِ ذَهَبَتْ، وَهُوَ يَغْشَوُ بِالْأُخْرَى»، أي: يُبْصِرُ بِهَا بَصِراً ضَعِيفاً. قال المفسرون: «وَمَنْ يَغْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» فلم يَخَفْ عِقَابَهُ ولم يلتفت إلى كلامه «فَيَقِظْ لَهُ» أي: نسب له «شَيْطَاناً» فنجعل ذلك جزاءه «فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» لا يفارقه<sup>(٢)</sup>. «وَأَنْتُمْ» يعني الشياطين «لِصُدُوتِهِمْ» يعني الكافرين، أي: يمنعونهم عن سبيل الهدى؛ وإنما جمع، لأن «مَنْ» في موضع جمع، «وَيَحْسَبُونَ» يعني كفار بني آدم «أَنْتُمْ» على هدى. «حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ» قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «جاءنا» واحد، يعني الكافر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «جاءنا» بالفتن على الثنية، يعنون الكافر وشيطانه. وجاء في التفسير أنهما يُجعلان يومَ البعث في سلسلة، فلا يفترقان حتى يُصَيِّرَهُمَا الله إلى النار، «قَالَ» الكافر للشيطان: «بَلَيْتَ بَيْتِي وَبَيْتَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ» أي: بُعد ما بين المشرقَيْن؛ وفيهما قولان: أحدهما: أنهما مشرقُ الشمس في أقصر يوم في السنة، ومشرقُها في أطول يوم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه أراد المشرق والمغرب، فغلب ذكر المشرق، كما قالوا: سُنَّةُ الْعَمْرَيْنِ، يريدون: أبا بكر وعمر، وأنشدوا من ذلك:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْنُكُمْ      لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِغُ<sup>(٣)</sup>

يريد: الشمس والقمر؛ وأنشدوا:

فَبَضْرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْجِرَاءُ لَنَا      وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَّا مِضْرُ وَالْحَرَمِ<sup>(٤)</sup>

يريد: الجزيرة والموصل، [وهذا اختيار الفراء، والزجاج].

قوله تعالى: «يَنْتَسِ الْقَرِينُ» أي: أنت أيها الشيطان. ويقول الله ﷻ يومئذٍ للكفار: «وَلَكِنْ يَنْفَعُكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» أي: أشركتم في الدنيا «أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» أي: لن ينفعكم الشُّركَة في العذاب، لأن لكل واحد منه الحظ الأوفر. قال المبرد: مُبِعُوا روح النَّاسِي، لأن النَّاسِي يُسهل المصيبة، وأنشد للخنساء أخت صخر بن مالك في هذا المعنى:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي      عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَنْبُكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ      أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِي<sup>(٥)</sup>

وقرأ ابن عامر: «إنكم» بكسر الالف. ثم أخبر عنهم بما سبق لهم من الشفاوة بقوله: «أَفَأَنْتَ تُشْعِ الْمَسْرَ...» الآية.

«فَإِنَّمَا نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْفِقُونَ» ١١ «أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ» ١٢ «فَأَسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِمَّاكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ١٣ «وَأَنْتَ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ» ١٤

قوله تعالى: «فَإِنَّمَا نَذَهَبَ بِكَ» قال أبو عبيدة: معناها: فإن نَذَهَبْنِ؛ وقال الزجاج دخلت «ما» توكيداً للشرط، ودخلت النون الثقيلة في «نَذَهَبْنِ» توكيداً أيضاً؛ والمعنى: إِنَّا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ إِنْ تُوفِّيتَ أَوْ تُرِيَّتْ مَا وَعَدْنَاهُمْ وَوَعَدْنَاكَ فِيهِمْ

(١) «ديوانه» ١٦١، و«مجاز القرآن» ٢/٢٠٤، و«غريب القرآن» ٣٩٨، و«الكتاب» ١/٤٤٥، و«الخرائفة» ٣/٦٦٢، و«روح المعاني» ٧٤/٢٥، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: عشا.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: «وَمَنْ يَغْشَ» أي: يتماهى ويتغافل ويعرض «عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» قال: والعشا في العين: ضعف بصرها، والمراد هاهنا: عشا البصيرة «فَيَقِظْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» كقوله تعالى: «وَمَنْ يُكَافِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ قُوفُوا مَا قَوْلَ وَتُصْلِحُوا جَهَنَّمَ وَكَانَتْ صُورًا» ١٥. اهـ.

(٣) البيت للفرزدق، «ديوانه» ٥١٩، و«الكامل» ١٢٤، و«الطبري» ٧٤/٢٥.

(٤) البيت غير منسوب في «الطبري» ٧٤/٢٥، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: وصل.

(٥) «ديوانها» ٨٤، و«الكامل» ١٥، و«البحر المحيط» ٨/١٧، و«روح المعاني» ٧٧/٢٥، و«الناسي»: التصير.

من النضر. قال ابن عباس: ذلك يوم بدر. وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا وجه [له].

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُمْ﴾ يعني القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي: شَرَفَ لَكَ بما أعطاك الله ﴿وَلَقَوْلُكَ﴾ في قومه ثلاثة أقوال: أحدها: العرب قاطبة. والثاني: قريش. والثالث: جميع من آمن به. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سئل: لِمَنْ هذا الأمرُ من بعدك؟ لم يُخبر بشيء، حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: «لقريش»<sup>(١)</sup> وهذا يُدلُّ على أن النبي ﷺ فهم من هذا أنه يلي على المسلمين بحُكم النبوة وشرف القرآن، وأن قومه يخلفونه من بعده في الولاية لشرف القرآن الذي أنزل على رجلٍ منهم. ومذهب مجاهد أن القوم هاتان: العرب، والقرآن شَرَفَ لهم إذ أنزل بلمنتهم. قال ابن قتيبة: إنما وضع الذكر موضع الشرف، لأن الشرف يُذكر. وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ تَشْكُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: عن شكر ما أعطيتهم من ذلك. والثاني: عما لزمكم فيه من الحقوق.

﴿وَسَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجْمَلًا مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ؕ إِلَهُهُ يُعِيدُونَ ۝١٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِِّّكَ الْكَادِبِ ۝١٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَضْحَكُونَ ۝١٧ وَمَا يُرِيدُهُم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَأَعْلَمَنَّ بِرَحْمَتِ رَبِّهِمْ ۝١٨ وَقَالُوا يَا بَنِيَّ الْآسَافُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَكَاهِنُونَ ۝١٩ فَلَمَّا كُفِّنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ ۝٢٠ وَتَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَعُ الْبَشَرَ لِي مَلَكٌ وَهَٰذِهِ الْآفَتُ أَخْرِجْنِي مِّنْ هَٰهْنَا أَفَلَا تَتُحَرُونَ ۝٢١ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُي وَلَا يُكَادُ بِئْسَ ۝٢٢ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّرِينَ ۝٢٣ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٢٤ فَلَمَّا أَسْفَوْا أَنْتَفَعْنَا مِنْهُنَّ فَاصْرَفْنَاهُنَّ أَجْمَعِينَ ۝٢٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۝٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف يسأل الرسل وقد ماتوا قبله؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما أسري به جُمع له الأنبياء فصلَّى بهم، ثم قال [له] جبريل: سَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... الآية<sup>(٢)</sup>. فقال: لا أسأل، قد اكتفيت، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا قول سعيد بن جبير، والزهري، وابن زيد؛ قالوا: جُمع له الرسل ليلة أسري به، فلقيهم، وأمر أن يسألهم، فما شك ولا سأل. والثاني: أن المراد [أسأل] مؤمني أهل الكتاب [من] الذين أرسلت إليهم الأنبياء، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. قال ابن الأنباري: والمعنى: سَلْ أَتْبَاعَ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ، كما تقول: السخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشعر زهير، أي: شعر زهير. وعند المفسرين أنه لم يسأل على القولين. وقال الزجاج: هذا سؤال تقرير، فإذا سأل جميع الأمم، لم يأتوا بأن في كتبهم: أن اعبدوا غيري. والثالث: [أن] المراد بـ«خطاب النبي ﷺ»: خطاب أمته، فيكون المعنى: سَلُّوا، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿إِذَا هُمْ مِنهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بها وتكذيباً. ﴿وَمَا يُرِيدُهُم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا﴾ يعني ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والظنفس، فكانت كُلُّ آيَةٍ أَكْبَرُ مِنَ الَّتِي قَبْلُهَا، وهي العذاب المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾، فكانت عذاباً لهم، ومعجزات لموسى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا بَنِيَّ الْآسَافُ﴾ في خطابهم له بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا: يا أيها العالم، وكان

(١) ذكره البغوي من رواية الضحاك عن ابن عباس بدون سند، وكذلك ذكره البغوي عن ابن عباس بدون سند. قال السيوطي في «الدر» ١٨/٦: أخرج ابن عدي، وابن مردويه عن علي وابن عباس قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعلمهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك فلم يجبه بشيء، لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء، حتى نزلت: ﴿وَرَأَيْتُمْ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْلُكَ﴾ فكان بعد ذلك إذا سئل، قال: «لقريش» فلا يجيبه، حتى قبلته الانتصار على ذلك. وروى البخاري في «صحيحه» عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديه أحد إلا كُيِّهَ الله على وجهه ما أقاموا الذين». قال ابن كثير: ومعناه: أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلمنتهم، فهم أهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعلمهم بمقتضاه، قال: وهكذا كان خيارهم وصنوتهم من الخلف من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتأبيه. اهـ.

(٢) وهذا تفسير للآية، ولفظها: ﴿وَسَلَّمَ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾. (٣) رجح القول الثاني ابن جرير الطبري في «تفسيره».

الساحر فيهم عظيماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله الحسن. والثالث: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُهَيِّدُونَ﴾ أي: مؤمنون بك. فدعا موسى، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا. وقد ذكرنا ما تركناه هاهنا في [الأعراف: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿تَجَرَّى مِنْ يَحْيَى﴾ أي: من تحت قصوري<sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وشدة ملكي؟ ﴿أَنَا أَنَا خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: أراد: بل أنا خير. وحكى الزجاج عن سيبويه والخليل أنهما قالوا: عطف «أنا» بـ «أَمْ» على «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [فكانه قال: أفلا تبصرون] أم أنتم بصرأ؟ لأنهم إذا قالوا: أنت خير منه، فقد صاروا عنده بصراء. قال الزجاج: والمهين: القليل؛ يقال: شيء مهين، أي: قليل. وقال مقاتل: «مهين» بمعنى ذليل ضعيف<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَئِينَ﴾ أشار إلى عقدة لسانه التي كانت به ثم أذهبها الله عنه، فكانه عيره بشيء قد كان وزال، ويدل على زواله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَوَيْتَ سَوْكَ يَمُوتِينَ﴾ [طه: ٣٦]، وكان في سؤاله: ﴿وَأَمَلْتُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]. وقال بعض العلماء: ولا يكاذ يبين الحجة ولا يأتي ببيان يفهم<sup>(٣)</sup>. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا «أَلْقَى عَلَيْهِ أَسَاوِرَهُ مِنْ ذَهَبٍ» وقرأ حفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ بغير ألف. قال الفراء: واحد الأساورة: إشوار، وقد تكون الأساورة جمع أسورة، كما يقال في جمع الأسقية: الأساقى، وفي جمع الأكرع: الأكارع، وقال الزجاج: يصلح أن تكون الأساورة جمع الجمع تقول: أسورة وأساورة، كما تقول: أقوال وأقاويل، ويجوز أن تكون جمع إشوار، وإنما صرفت أساورة، لأنك ضمنت الهاء إلى أساور، فصار اسماً واحداً، وصار له مثال في الواحد، نحو «علانية». قال المفسرون: إنما قال فرعون هذا، لأنهم كانوا إذا سؤدوا الرجل منهم سؤروه يسوار. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرِّيْنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: متابعين، قاله قتادة. والثاني: يمشون معه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ قال الفراء: استفرهم؛ وقال غيره: استخف أحلامهم وحملهم على خفة الجلم بكيدة وغروره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ في تكذيب موسى. ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال ابن عباس: أغضبونا. قال ابن قتيبة: الأسف: الغضب، يقال: أيسفت أسف أسفاً، أي: غضبت<sup>(٤)</sup>. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفاً﴾ أي: قوماً تقدموا. وقرأها أبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وحמיד الأعرج: «سلفاً» بضم السين وفتح اللام، كان واحده سلفاً من الناس، مثل القطعة، يقال: تقدمت سلفاً من الناس، أي: قطعة منهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «سلفاً» بضم السين واللام، وهو جمع «سلف»، كما قالوا: حشَب وحشِب، وثَمَر وثَمَر، ويقال: هو جمع «سليف»، وكلُّه من التقدُّم. وقال الزجاج: «السليف» جمع قد مضى؛ والمعنى: جعلناهم سلفاً متقدمين ليحفظ بهم الآخرون.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ﴾ أي: عيرة [وعطة].

﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَلَكًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِيدُونَ﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَوْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرد وعته وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها ﴿الَّذِينَ لِي مُلْكٌ وَهُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ وكذا ﴿الَّذِينَ تَحَرَّى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يعني فرعون - لعنه الله - بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، قال: وقد كذب في قوله هذا كذباً بيناً واضحاً، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، قال: ويعني بقوله: «مهين» كما قال سفيان: حقير، وقال قتادة والسدي: يعني ضعيف، قال: وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَئِينَ﴾ افتراء أيضاً (يعني من فرعون لعنه الله) فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحلَّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، قال: وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أَوَيْتَ سَوْكَ يَمُوتِينَ﴾ قال: ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلان والإفهام، قال: فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، قال: وفرعون وإن كان يفهم وله عقل، فهو يدرى هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال: أغضبونا ﴿انْتَفَخْنَا بَنِي﴾ يقول: انتقمنا منهم بما جل العذاب الذي جعلناه لهم، فأغرقتهم جميعاً في البحر. اهـ.

قَوْمٌ حَاصِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَذَابٌ أُنْعَمًا عَلَيْهِ وَنَعْلَتُهُ مَثَلُ لَيْلٍ إِسْكِرْبَلٍ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَتَلَكَّهٖ فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَوَلَّمَ لِسَاعَةً فَلَا تَنْتَرِكُ بِهَا وَالْحَيُّونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْطَّيِّبِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاتَّخَذَ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوِيلًا لَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْآخِرِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيري رسول الله ﷺ حين نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨] وقد شرحنا القصة في سورة [الأنبياء: ١٠١] <sup>(١)</sup>. والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مثلاً لآلهتهم وشبهوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذكر الأصنام، لأنها عُدَّتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فالزموه عيسى، وضربوه مثلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى. والمراد بقومه المشركون. فأما ﴿يَصُدُّونَ﴾ فقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بضم الصاد، وكسرهما الباقون؛ قال الزجاج: ومعناها جميعاً: يَصُدُّونَ، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يُغْرِضُونَ. وقال أبو عبيدة: من كسر الصاد، فمجازها: يَصُدُّونَ، ومن ضمها، فمجازها: يَغْدِلُونَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلَيْسَ خَيْرٌ أَنْ هُوَ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإن كان في النار لأنه عُدَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فقد رضى أن تكون آلهتنا بمنزلة. ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ذكروا عيسى إلا ليجادلوك به، لأنهم قد علموا أن المراد بـ «حَصَبِ جَهَنَّمَ» ما اتخذوه من الموات <sup>(٢)</sup> ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَاصِرُونَ﴾ أي: أصحاب خصومات <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنَعْلَتُهُ مَثَلًا﴾ أي: آية وعبرة ﴿لَيْلٍ إِسْكِرْبَلٍ﴾ يعرفون به قدرة الله على ما يريد، إذ خلقه من غير أب. ثم خاطب كفار مكة، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَتَلَكَّهٖ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لَجَعَلْنَا بدلاً منكم ﴿مَثَلًا﴾؛ ثم في معنى «يَخْلُفُونَ» ثلاثة أقوال: أحدها: يخلف بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: يخلفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مجاهد. والثالث: يخلفون الرُّسُلَ فيكونون رسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أن المعنى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَثَلًا﴾ أي: قَلْبْنَا الْخَلْقَةَ فَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ مَثَلًا لِبَعْضٍ يَخْلُفُونَ مَنْ ذَهَبَ مِنْكُمْ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَوَلَّمَ لِسَاعَةً﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: [أنها] تُرْجِعُ إِلَى عِيسَى ﷺ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: نزول عيسى من أشراط الساعة يُعَلِّمُ به قُرْبَهَا، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق. والقول الثاني: أنها تُرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقرأ الجمهور: «لَعَلَّمْ» بكسر العين وتسكين اللام؛ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وحמיד، وابن محيصن: بفتحهما <sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين، فالمعنى أنه يُعَلِّمُ به قُرْبُ السَّاعَةِ، ومن فتح العين واللام، فإنه بمعنى العلامة والدليل <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٥، ٢١٤، وذكره البغوي بدون سند قال: قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبير مع النبي ﷺ في شأن عيسى ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وكذلك ذكره الخازن بدون سند، وقد ذكر المفسرون ذلك في سورة [الأنبياء: ١٠١]، وانظر ٩٤٥ من كتابنا هذا.

(٢) عبارة البغوي والخازن: وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هؤلاء الأصنام.

(٣) روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري عن أبي أمامة ﷺ بسند صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ﴾.

(٤) في الأصل: بفتحها، والتصويب من كتب الضمير.

(٥) قال ابن كثير: تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص وغير ذلك من الأسقام، قال: وفي هذا نظر، قال: وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبيرة أن الضمير في «وإنه» عائد على القرآن، قال: بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، قال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ يَنْزِلَ إِلَيْكُمُ الْوَيْلُ مِنَ الْوَيْلِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَوْلِ مُوسَى﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَوْمَ الْوَيْلِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حُكْيُكَا﴾ قال: ويؤيد هذا المعنى القراءة =

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ﴾ أي: فلا تشكَّنْ فيها ﴿وَأَنْتُمْ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿يَرْبُطُ تَسْقِيرَ﴾. ﴿وَلَنَا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قد شرحنا هذا في [البقرة: ٨٧]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ وفيها قولان: أحدهما: النبوة، قاله عطاء، والسدي. والثاني: الإنجيل، قاله مقاتل. ﴿وَلَا يَنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِقُونَ فِيهِ﴾ [أي: من أمر دينكم؛ وقال مجاهد: ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْلِقُونَ فِيهِ﴾ من تبديل التوراة؛ وقال ابن جرير: من أحكام التوراة. وقد ذهب قوم إلى أن البعض هاهنا بمعنى الكل. وقد شرحنا ذلك في [لحم المؤمن: ٢٨]؛ قال الزجاج: والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل، وإنما بين لهم عيسى بعض الذي اختلفوا فيه مما احتاجوا إليه؛ وقد قال ابن جرير: كان بينهم اختلاف في أمر دينهم ودنياهم، فبين لهم أمر دينهم فقط. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ١٧٥، مريم: ٣٧] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني كفار مكة.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ الَّتِي أَوْفَوْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ أي: في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأن الحلة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوة يوم القيامة؛ وقال مقاتل: نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحدين<sup>(١)</sup>. فإذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ﴾، فيرفع الخلائق رؤوسهم، فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فينكس الكفار رؤوسهم<sup>(٢)</sup>. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحاليين وإسكانها، وحذفها في الحاليين ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص، والمفضل عن عاصم، وخلف. وفي أزواجه قولان: أحدهما: زوجاتهم. والثاني: قرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ﴾ قال الزجاج: واحدها صفعة، وهي القضة. والأكواب، واحدها: كُوب، وهو إناء مستدير لا غرورة له؛ قال الفراء: الكُوب [الكوز]<sup>(٣)</sup> المستدير الرأس الذي لا أذن له، وقال عدي: مُتَّكِئاً تَضْفِئُ أَبْوَابَهُ

وقال ابن قتيبة: الأكواب: الأباريق التي لا غرى لها. وقال شيخنا أبو منصور اللغوي: وإنما كانت بغير غرى ليُشرب الشارب من أين شاء، لأن العروة تَرُدُّ الشارب من بعض الجهات.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تشتيه» بزيادة هاء. وحذف الهاء كإثباتها في المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَوِذْتُ الشيء، واستلذذته، والمعنى: ما من شيء اشتتهه نفس أو استلذته

= الأخرى ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال: قال مجاهد: ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، قال: هكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزل عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقيماً. اهـ.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله، فإنه دائم بدمائه، قال: وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْنَهُمْ بَرْكَاتٌ وَكَانُوا لَكُمْ تَبَعِينَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَمِيدُ لَا حَوْلَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه، قال: ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمتنكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها. اهـ.

(٣) زيادة من «اللسان».

(٤) البيت لعدي بن زيد، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٠٦، و«القرطبي» ١٦/١١٤، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: كُوب.

عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتعام النعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم تطب. ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ﴾ يعني التي ذكرها في قوله: ﴿أَنفَلُوا الْجَنَّةَ﴾ ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ قد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣] عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لا يُفَرِّقُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ وَكَادُوا يَكْفُرُكَ لِقَبُولِ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّكَ مُنْكَرٌ مِّنْكَرَاتٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمُ الْهَادُونَ ﴿٧٧﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُيُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّحَّانِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ شُبْحَنَ رَبِّيَ أَلَمْ نَكُنْ مِنَ الْوَالِدِينَ ﴿٨١﴾ فَذَرْنَهُمْ يَمُوشُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿لَا يُفَرِّقُ﴾ أي: لا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾ يعني في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ قال ابن قتيبة: آيسون من رحمة الله. وقد شرحنا هذا في [الأنعام: ٤٤] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ أي: ما عذبناهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بما جَنَوْا عليها. قال الزجاج: والبصريون يقولون: «هم» هاهنا فصل، كذلك يسمونها، ويسمونها الكوفيون: العباد.

قوله تعالى: ﴿وَكَادُوا يَكْفُرُكَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن مسعود، وابن يعمر: [يا مال] بغير كاف مع كسر اللام. قال الزجاج: وهذا يسميه النحويون: [الترخيم]، ولكني أكرهها لمخالفة المصحف. قال المفسرون: يَدْعُونَ مَالِكًا خازِنَ النار فيقولون: ﴿لِقَبُولِ عَلَيْنَا رَبِّكَ﴾ [أي: لِحِثْنَا<sup>(١)</sup>]. والمعنى: أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيستريحوا من العذاب؛ فيسكت عن جوابهم مدة، فيها أربعة أقوال: أحدها: أربعون عاماً، قاله عبد الله بن عمرو، ومقاتل. والثاني: ثلاثون سنة، قاله أنس. والثالث: ألف سنة، قاله ابن عباس. والرابع: مائة سنة، قاله كعب. وفي سكوتهم عن جوابهم هذه المدة قولان: أحدهما: أنه سكت حتى أوحى الله إليه أن أجبه، قاله مقاتل. والثاني: لأن بُعِدَ ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل. قال الماوردي: فَرَّدَ عليهم مالك فقال: ﴿إِنَّكَ مُنْكَرٌ مِّنْكَرَاتٍ﴾ أي: مقيمون في العذاب. ﴿لَقَدْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالتوحيد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمُ﴾ قال ابن عباس: يريد: كُلُّكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾ لما جاء به محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ في «أَمْ» قولان: أحدهما: أنها للاستفهام. والثاني: بمعنى «بل». والإبرام: الإحكام. وفي هذا الأمر ثلاثة أقوال: أحدها: المَكْرُ برسول الله ﷺ ليقثلوه أو يُخْرِجوه حين اجتمعوا في دار الندوة؛ وقد سبق بيان القصة [الأنفال: ٣٠]، قاله الآخرون. والثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة. والثالث: أنه: إبرام أمرهم يُنجيهم من العذاب، قاله الفراء. ﴿إِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي: مُخَيِّمُونَ أَمْرًا في مجازاتهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ هو ما يسرونه من غيرهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يتناجون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ والمعنى: إِنَّا نَسْمَعُ ذَلِكَ ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يعني [من] الحَفَظَةِ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْفُيُونَ﴾. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّحَّانِ وَلَدٌ﴾ في «إِنْ» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الشرط؛ والمعنى: إن كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا في قوله: ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فانا أول الجاحدين، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن أعرابيين اختصما إليه، فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض، فبعديها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فانا أول العابدين الجاحدين أن الله ولدًا. والثاني: فانا أول من عبد الله مخالفاً لقولكم، هذا قول مجاهد. وقال الزجاج: معناه: إن كنتم تزعمون للرحمن ولدًا، فانا أول الموحدين.

(١) في الأصل: يميننا، والتصويب من كتب الضمير.

(٢) قال ابن كثير: ﴿لَكِنَّ أَكْثَرَكُمُ لِقَبُولِ كُفْرِهِمْ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله، ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصعد عن الحق وتباه، وتبغض أهله، ففودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفكم الندامة. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كَانَ لِلزَّحَّانِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأنني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممنوع في حق تعالى، قال: والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَلَهُ لَاسْمُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مَا يَكُنْ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ مِّنْهُ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنْهُ يَكُنْ لَّكُمْ بِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. اهـ.

والثالث: فأننا أول الآتين لله مما قُلْتُمْ، قاله ابن السائب، وأبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يقال: عَيْدْتُ من كذا، أَعْبَدْتُ عَبْدًا، فأننا عَيْدٌ وَعَابِدٌ، قال الفرزدق:

[أولئك قَوْمٌ إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ] وأغْبَدَ أَنْ تُهْجَى نَسِيمٌ بِدَارِمٍ<sup>(١)</sup>  
أي: آتَفْتُ. وأنشد أبو عبيدة:

وأغْبَدُ أَنْ أُسَبِّهُمُ بِقَوْمِي وأَوْثَرُ دَارِمًا وَبَنِي رَزَاحٍ  
والرابع: أن معنى الآية: كما أَنِّي لَسْتُ أول عابِدٍ لله، فكذلك ليس له ولد؛ وهذا كما تقول: إِنْ كُنْتُ كَاتِبًا فأنَا حَاسِبٌ، أي: لَسْتُ كَاتِبًا وَلَا أَنَا حَاسِبٌ؛ حكى هذا القول الواحدي عن سفيان بن عيينة. والقول الثاني: أَنْ «إِنْ» بمعنى «فما»، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد؛ فيكون المعنى: ما كَانَ لِلرَّحْمَنِ [ولد]، فأننا أولٌ من عَبَدَ الله على يقين أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ. وقال أبو عبيدة: الفاء على [هذا القول] بمعنى الواو<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَذَرَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿يَخْرُصُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِزُوا﴾ في دنياهم ﴿حَقًّا يُلْقُوا﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن محيصن، وأبو جعفر: «حتى يُلْقُوا» بفتح الباء والقاف وسكون اللام من غير ألف. والمراد: يلاقوا [يوم] القيامة وهذه الآية [عند الجمهور] منسوخة بآية السيف.

﴿وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ (٨٤) وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَلَكًا أَلْتَمَنَتْهُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ فَاَنْ يَخْلُقَهُمْ قَوْمٌ لَا يَوْمُونَ (٨٧) فَاصْبِرْ لَهُمْ رِجْلًا مِمَّا سَأَلْتَهُمْ فَيَقُولُ لَا يَوْمُونَ (٨٨) وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَلَكًا أَلْتَمَنَتْهُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ قال مجاهد، وقتادة: يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ وَيُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ. وقال الزجاج: هو الموحد في السماء وفي الأرض. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس، وابن السميع، وابن يعمر<sup>(٣)</sup>، والجحدري: «في السماء الله وفي الأرض الله» بألف ولام من غير تنوين ولا همز فيهما. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأعراف: ٥٤، لقمان: ٣٤]<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿وَمَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، فنحن نتولى الملائكة، فهم أحق بالشفاعة من محمد، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: أَنَّهُ أَرَادَ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ: آلِهَتَهُمْ، ثُمَّ اسْتَنَى عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ، فَقَالَ: «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» وهو أَن يَشْهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» بقلوبهم ما شهدوا به بأنفسهم، وهذا مذهب الأكثرين، منهم قتادة. والثاني: أَن الْمُرَادَ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ: عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ عِبَدَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفَاعَةَ لِأَحَدٍ «إِلَّا مَنْ شَهِدَ» أي: [إِلَّا] لِمَنْ شَهِدَ «بِالْحَقِّ» وهي كلمة الإخلاص «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أَن اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ عِيسَى وَعَزِيرَ وَالْمَلَائِكَةَ، وهذا مذهب قوم، منهم مجاهد. وفي الآية دليل على أَن شرط جميع الشهادات أَن يكون الشاهد عالمًا بما يَشْهَدُ بِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَلْمِزُواكَ يَكْرِبُ﴾ قال قتادة: هذا نبئكم يشكو قومَه إِلَى رَبِّهِ. وقال ابن عباس: شكا إِلَى اللَّهِ تَخَلُّفَ

(١) البيت في مجاز القرآن ٢/٢٠١، وفريه القرآن ٤٠١، والبحر المحيط ٢٨/٨، والقرطبي ١٦/١٢٠، «الصالح» و«اللسان» و«التاج»: عبد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى «إِنْ»: الشرط الذي يقضي الجزاء.

(٣) في النسخة الاستنبولي: «وأبو الجوزاء» بدل «وإبن يعمر».

(٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ أي: هو إِلَهُ من في السماء، وإله من في الأرض، يعبدُه أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه، وهو الحكيم المليم، قال: وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَمَوْءَاظٍ فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ أي: هو المدعوُّ الله في السموات والأرض، ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَلَكًا أَلْتَمَنَتْهُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا معانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وتبارك، أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص، لأنَّ الربَّ العلَّيَّ العظيم المالك للأشياء الذي بيده أزمنة الأمور نقضاً وإبراماً، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: فيجازي كُلًّا بعمله، إِنْ خيراً فخير، وَإِنْ شَرًّا فشر. اهـ.

(٥) ذكر سبب النزول هذا الخازن في «تفسيره» بدون سند، ولم يعزه لأحد، بل قال: قيل: سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا: ... إلخ.



قومه عن الإيمان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «وَقِيلَهُ» بنصب اللام؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه أضمر معها قولاً، كأنه قال: وقال قِيلَهُ، وشكا شكواه إلى رَبِّهِ. والثاني: أنه عطف على قوله: «أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ» وقِيلَهُ؛ فالمعنى: ونَسْمَعُ قِيلَهُ، ذكر القولين الفراء، والأخفش. والثالث: أنه منصوب على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَهُ، لأن معنى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»: يَعْلَمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَهُ، هذا اختيار الزجاج. وقرأ عاصم، وحزمة: «وَقِيلَهُ» بكسر اللام والهاء حتى تبلغ إلى الباء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَعِلْمُ قِيلَهُ. وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة، وحמיד: برفع اللام؛ والمعنى: وندأوه هذه الكلمة: يا رب؛ ذكر عِلَّةُ الخفض والرفع الفراء والزجاج.

قوله تعالى: «فَأَصْنَعْ عَلَيْهِمْ» أي: فأعرض عنهم «وَقُلْ سَأَكْفُرُ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قُلْ خيراً بدلاً من شرهم، قاله السدي. والثاني: ازْدُدْ [عليهم] معروفاً، قاله مقاتل. والثالث: قُلْ ما تَسْلَمُ به من شرهم، حكاه الماوردي. «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يَكْفُرُونَ عاقبة كفرهم. والثاني: أنك صادق. والثالث: حلول العذاب بهم، وهذا تهديد لهم: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ»<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر: «تَعْلَمُونَ» بالتاء. ومن قرأ بالياء، فعلى الأمر للنبي ﷺ بأن يخاطبهم بهذا، قاله مقاتل؛ فنسخت آية السيف الإعراض والسلام.



(١) قال ابن كثير: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» هذا تهديد من الله تعالى لهم. قال: ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، قال: وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب، والله أعلم.

## سورة الدخان

وهي مكِّيَّة كلها باجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ﴾ ① وَالْعَكَبِ ② الْبَيْنِ ③ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ④ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ⑤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑥ أَمْرًا يَنْزِلُ ⑦ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑧ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑨ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ⑩ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑪ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ ⑫ الْأَوَّلِينَ ⑬ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ⑭ ﴿﴾

قوله ﴿﴾: ﴿حَمِّ﴾ ① وَالْعَكَبِ ② الْبَيْنِ ③ ﴿﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن، والزخرف]، وجواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، والهاء كناية عن الكتاب، وهو القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في السماء الدنيا، ثم أنزل نجوماً. وقال مقاتل: نزل القرآن كله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوفين عقابنا<sup>(٢)</sup>. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفَصَّلُ<sup>(٣)</sup>. وقرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القاري: ﴿يُفْرَقُ﴾ بفتح الباء وكسر الراء «كُلُّ» بنصب اللام ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم. قال ابن عباس: يُكْتَبُ من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحاج، وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى. وعلى ما روي عن عكرمة أن ذلك في ليلة النصف من شعبان، والرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة أنه قال: في ليلة القدر، وعلى هذا المفسرون<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْرًا يَنْزِلُ﴾ قال الأخفش: «أمرًا» و«رحمة» منصوبان على الحال؛ المعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ آمْرِينَ أمرًا وراحمين رحمة. قال الزجاج: ويجوز أن يكون منصوباً بـ «يُفْرَقُ» بمنزلة يُفْرَقُ قَرْقًا، لأن «أمرًا» بمعنى «قَرْقًا». قال الفراء: ويجوز أن تُنْصَبَ الرحمة بوقوع «مرسيلين» عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ. وقال مقاتل: «مرسيلين» بمعنى منزّلين هذا القرآن، أنزلناه رحمةً لِمَنْ آمَنَ به. وقال غيره: ﴿أَمْرًا يَنْزِلُ﴾ أي: إِنَّا نَأْمُرُ بِنَسْخِ مَا يُنْسَخُ من

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، ثم قال: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد الشجة، فإن نص القرآن أنها في رمضان.

(٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: معلّمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر الشئ وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، قال: وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحك، وغير واحد من السلف. اهـ. وكذلك ذكر غيره من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ يعود على الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر، وهو الحق الذي لا معدل عنه، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، فحجته في ذلك بعض الآثار الضعيفة التي لا تقوم بها حجة، ومن ذلك تعلم خطأ الدعاء الذي يقرؤه بعض الناس في ليلة النصف من شعبان: «... إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرّم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويرسم...» فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، هي ليلة القدر المقصودة في هذه السورة، وليست ليلة النصف من شعبان.

(٤) قال ابن كثير: والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى» قال: فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ.

اللوح<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا كُنَّا مُتَسِلِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَحْمَةً﴾ متا بخلقنا ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «رب» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «رب» بكسر الباء. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني الكفار ﴿فِي سُلُوكِهِمْ﴾ مما جنتهم به ﴿يَلْمِزُونَ﴾ به.

﴿فَلْيَقِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿أَنَّ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا بَعْضُنَا ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ فِئَالًا﴾ ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ فِئَالًا﴾ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبُطُنَةُ﴾ ﴿الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِضُونَ﴾ ﴿﴾

﴿فَلْيَقِمْ﴾ أي: فانتظر ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ اختلفوا في هذا الدخان ووقته على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] دخان يجيء قبل قيام الساعة، فروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام»<sup>(٢)</sup>. وروى عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوث على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمك الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذئب، فخشيت أن يطرق الدخان<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى مروى عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، والجسن. والثاني: أن قريشاً أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخاناً من الجوع؛ فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق، قال: كنا عند عبد الله، فدخل علينا رجل، فقال: جئتكم من المسجد وتركتم رجلاً يقول في هذه [الآية] ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام؛ فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، إنما كان [هذا] لأن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ فِئَالًا﴾ ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ فِئَالًا﴾، فكشف عنهم، ثم عادوا إلى الكفر، فأخذوا يوم بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبُطُنَةُ﴾<sup>(٤)</sup>، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنه يوم فتح مكة لما حُجبت السماء بالغبرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذاب. ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ فيه قولان: أحدهما: الجوع. والثاني: الدخان ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿أَنَّ لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: من أين لهم التذكّر والاتعاظ بعد نزول هذا

(١) عبارة الطبرسي في «مجمع البيان» والشوكاني في «فتح القدير»: إننا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ.

(٢) ذكر الطبري نحوه عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه من رواية أبي الضحى عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاضاً عند أبواب كندة يقص ويزعج أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام... إلخ.

(٣) «الطبري» ١١٣/٢٥، قال ابن كثير: وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفیان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس ؓ... فذكره، قال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ؓ حبر الأمة وترجمان القرآن، قال: وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين ؓ أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والنحasan وغيرهما التي أوردوها بما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَقِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿﴾ أي: بين واضح يراه كل أحد، قال: وعلى ما فسر به ابن مسعود ؓ (أي في الحديث الذي بعد هذا من رواية البخاري ومسلم عن مسروق) إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. اهـ.

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح (يريد بذلك سند رواية ابن أبي حاتم)، وكذا صححه السيوطي، ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية، قال: وقد عرفنا أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يترأى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراتها، فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، قال: وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي هو من أشرط الساعة، كإبن كثير في «تفسيره» وغيره، قال: وهكذا يندفع قول من قال: إنه الدخان الكائن يوم فتح مكة، متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله: ﴿فَلْيَقِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿﴾، قال: فإن هذا لا يعارض ما في «الصحيحين» على تقدير صحة إسناده، مع احتمال أن يكون أبو هريرة ؓ ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنه المراد بالآية، قال: ولهذا لم يصح بأنه سبب نزولها. اهـ.

(٤) ذكره البخاري بالفاظ مختلفة: ٣٩٤/٨، ٤٢٠، ٤٤٠، ورواه مسلم أيضاً، وذكره السيوطي في «الدرا» ٢٨/٦، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل».

البلاء، ﴿و﴾ حالهم أنه ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ أي: ظاهر الصدق؟! ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: أعرضوا ولم يقبلوا قوله ﴿وَقَالُوا مَلَكٌ بَشَرٌ لِّمَن لَّمْ يَلْمِمْهُمْ بِشَرِّ مَجْنُونٍ بِأَدْعَائِهِ النَّبُوءَةِ﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ أي: زماناً يسيراً. وفي العذاب قولان: أحدهما: الضَّرُّ الذي نزل بهم كُشف بالخصب، هذا على قول ابن مسعود. قال مقاتل: كشفه إلى يوم بدر. والثاني: أنه الدخان، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى عذاب الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر، وأبو عمران: «يَوْمَ نُبْطِشُ» بفتح الطاء «الْبَطْشَةَ» بالرفع. قال الزجاج: المعنى: واذكر يومَ نُبْطِشُ، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «منتقمون»، لأن ما بعد «إِنَّا» لا يجوز أن يعمل فيما قبلها. وفي هذا اليوم قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن مسعود، وأبني بن كعب، وأبو هريرة، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن. والبطش: الأخذ بقوة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذْوَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِنِّي مَالِكٌ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٠﴾ وَإِنْ لَرُبُّنَا إِلَىٰ فَاغْرُبُوا ﴿١١﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنْ هَذَا قَوْمٌ مَّجْرُمُونَ ﴿١٢﴾ فَأَنزَلَ بِرَبِّكَ إِلَهُكُمْ مُّشْبَعُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا مَّاخِرِينَ ﴿١٥﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتلينا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قومك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عمران. وفي معنى «كريم» ثلاثة أقوال: أحدها: حسن الخلق، قاله مقاتل. والثاني: كريم على ربه، قاله الفراء. والثالث: شريف وسيط النسب، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَذْوَا﴾ أي: بأن أذوا ﴿إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أذوا إلي ما أَدْعُوكُم إليه من الحق باتباعي، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا ينتصب «عباد الله» بالنداء. قال الزجاج: ويكون المعنى: أن أذوا إلي ما أَمْرُكُمْ به يا عباد الله. والثاني: أرسلوا معي بني إسرائيل، قاله مجاهد، وفتادة، والمعنى: أطلقوهم من تسخيركم، وسلموهم إلي. ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تفثروا عليه، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعتوا عليه<sup>(١)</sup>، قاله فتادة. والثالث: لا تعظموا عليه، قاله ابن جريج ﴿إِنِّي مَالِكٌ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة تدل على صدقي. فلما قال هذا تواعدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٠﴾﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه رجم القول، قاله ابن عباس؛ فيكون المعنى: أن يقولوا: شاعر أو مجنون. والثاني: القتل، قاله السدي. ﴿وَإِنْ لَرُبُّنَا إِلَىٰ فَاغْرُبُوا ﴿١١﴾﴾ أي: فاتركوني لا معي ولا علي، فكفروا ولم يؤمنوا، ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنْ هَذَا قَوْمٌ مَّجْرُمُونَ ﴿١٢﴾﴾ قال الزجاج: من فتح «أَنْ»، فالمعنى: بأن هؤلاء؛ ومن كسر، فالمعنى: قال: إن هؤلاء، وإن «بعد القول مكسورة. وقال المفسرون: المجرمون هاهنا: المشركون. فأجاب الله دعاءه، وقال: ﴿فَأَنزَلَ بِرَبِّكَ إِلَهُكُمْ مُّشْبَعُونَ﴾ يعني بالمؤمنين ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ أي: ساكتاً على حاله بعد أن انفرد قومه؛ فأعلمهم أنهم يتبعونهم، وأنه سيكون سبباً لغرقهم. ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ أي: ساكتاً على حاله بعد أن انفرد لك، ولا تأمره أن يرجع كما كان حتى يدخله فرعون وجنوده. والرَّهَوُ: مشي في سُكون. قال فتادة: لما قطع موسى <sup>(١٣)</sup> البحر، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فليل [له]: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾، أي كما هو - طريقاً يابساً<sup>(١٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبره الله <sup>(١٥)</sup> بغرقهم لِيُظْمِنَ قَلْبُهُ فِي تَرْكِ الْبَحْرِ عَلَىٰ حَالِهِ. ﴿كَذَلِكَ نَرْكُؤُا﴾ أي:

(١) كذا الأصل: «لا تعتوا» بتامين، والذي في الطبري عن فتادة: «لا تبغوا».

(٢) قال ابن كثير: وقوله <sup>(١٢)</sup> ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ أي: جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ. ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاز هو وبني إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حلالاً بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكتاً، ويشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى. اهـ.

بعد غرقهم ﴿مِنْ جَنَّتِي﴾ وقد فسرنا الآية في [الشعراء: ٥٧]. فأما «التَّعْمَةُ» فهو العيش اللَّيِّن الرِّغْد. وما بعد هذا قد سبق بيانه [يس: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا لَّخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ أي: على آل فرعون؛ وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الحقيقة؛ روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ، بَابٌ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فإذا مات بكيا عليه» وتلا ﷺ هذه الآية <sup>(١)</sup>. وقال علي عليه السلام: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلِّاهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمُصْعِدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصَلِّيٌ وَلَا فِي السَّمَاءِ مُصْعِدُ عَمَلٍ، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. وقال ابن عباس: الحُمرَةُ التي في السماء: بكاؤها. وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، فقليل له: أو تَبْكِي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالكروك والسجود؟! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها ذَوِي كَدَوِي النحل <sup>(٣)</sup>! والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَخْرُجَ لَكُمُ أَزْوَاجًا﴾ [محمد: ٤]، أي: أهل الحرب. والثالث: أن العرب تقول إذا أرادت تعظيم مَهْلِكٍ عَظِيمٍ: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ لَهُ، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ لِفَقْدِهِ، وَيَكْنَى الرِّيحَ وَالْبَرْقَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة، وليس ذلك بكذب منهم، لأنهم جميعاً متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه؛ وَرَبِّتُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ: كَادَتْ تُظْلِمُ، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ: كَادَ يَكْسِفُ، ومعنى «كاد»: هَمٌّ أَنْ يَفْعَلَ وَلَمْ يَفْعَلْ؛ قال ابن مفرغ يري رجلاً:

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامَةٍ <sup>(٤)</sup>

وقال الآخر:

الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَبِسَتْ بِكَاسِفَةٍ - تُبْكِي عَلَيْكَ - نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا <sup>(٥)</sup>

أراد: الشمس طالعة تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر، لأنها مُظْلِمَةٌ، وإنما تُكْسِفُ بضوئها، فنجوم الليل بادية بالنهار، فيكون معنى الكلام: إن الله لما أهلك قوم فرعون لم يترك عليهم بال، ولم يجزغ جازع، ولم يوجد لهم قفد، هذا كله كلام ابن قتيبة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِكَ إِسْرَافًا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ <sup>(١)</sup> مِنْ فَرَعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الشَّرِيفِينَ <sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى التَّلَوِينِ <sup>(٣)</sup> وَهَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ <sup>(٤)</sup> إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ <sup>(٥)</sup> إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ <sup>(٦)</sup> فَأَنَّا بِمَا كُنَّا فِيهَا كَاذِبِينَ <sup>(٧)</sup> أَهْمَ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْجِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ <sup>(٨)</sup> وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاجِرِينَ <sup>(٩)</sup> مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١٠)</sup> إِنْ يَوْمَ الْقَبْرِ يَقِظُهَا أَجْمَعِينَ <sup>(١١)</sup> يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتَ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ <sup>(١٢)</sup> إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ <sup>(١٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني قتل الأبناء واستخدام النساء والتعب في أعمال فرعون، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ أي: جباراً. ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ علمه الله فيهم على عالمي زمانهم، ﴿وَهَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ كانوا في البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسُّلْوَى، إلى غير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ أي: نعمة ظاهرة. ثم رجع إلى ذم كفر مكة، فقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ﴾ <sup>(١٤)</sup> إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى يعنيون التي تكون في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾

- (١) رواه الترمذي في «سننه» ١٥٨/٢ من حديث موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرُّقَاشِي عن أنس بن مالك عليه السلام، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرُّقَاشِي يَشْفُقَانِ فِي الْحَدِيثِ. والحديث ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٠/٦، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والخطيب عن أنس بن مالك عليه السلام.
- (٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣١/٦ من رواية ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر من طريق السَّيِّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام.
- (٣) أورده السيوطي في «الدرر» ٣٠/٦ من رواية عبد بن حميد، وأبي الشيخ في «العظمة» عن مجاهد بنحوه.
- (٤) البيت ليزيد بن مفرغ الجُمَيْرِي، وهو في «مشكل القرآن» ١٢٨، و«الأضداد» للأباري ٤٢٤، و«الأغاني» ١٨/١٨٧.
- (٥) البيت لجبرير يري عمر بن عبد العزيز، «ديوانه» ٣٠٤، و«مشكل القرآن» ١٢٨، و«الصحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: بكى. ورواية البيت في «الديوان»:

تُبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَبِسَتْ بِطَالِيعَةٍ

أي: بمبعوثين، ﴿فَأَتُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ابغثوهم لنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في البعث. وهذا جهل منهم من وجهين: أحدهما: أنهم قد رأوا من الآيات ما يكفي في الدلالة؛ فليس لهم أن ينتظروا. والثاني: أن الإعادة للجزاء؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خوفهم عذاب الأُمم قبلهم، فقال: ﴿أَنْتُمْ خَيْرٌ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟ أي: ليسوا خيراً منهم. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أدري تبعاً، نبي، أو غير نبي»<sup>(١)</sup>. وقالت عائشة: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى دَمَّ قومه ولم يذمه<sup>(٢)</sup>. وقال وهب: أسلم تبع ولم يسلم قومه، فلذلك ذكر قومه ولم يذكر. وذكر بعض المفسرين أنه كان يبعد النار، فأسلم ودعا قومه - وهم حمير - إلى الإسلام، فكذبوه. فأمّا تسميته بـ «تبع» فقال أبو عبيدة: كل ملك من ملوك اليمن كان يسمى «تبعاً»، لأنه يتبع صاحبه، فموضع «تبع» في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام، وقال مقاتل: إنما سمي تبعاً لكثرة أتباعه، واسمه: مَلَكِيَكْرَب<sup>(٣)</sup>. إنما ذكر قوم تبع، لأنهم كانوا أقرب في الهلاك إلى كفار مكة من غيرهم. وما بعد هذا قد تقدم [الأنبياء: ١٦، الحجر: ٨٥] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وهو يوم يَفْصِلُ الله ﷻ بين العباد ﴿بِقِسْطِهِمْ﴾ أي: ميعادهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأولون والآخرون. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ينفع قريب قريباً، قاله مقاتل. وقال ابن قتيبة: لا يغني ولي عن وليه بالقرابة أو غيرها. والثاني: لا ينفع ابن عم ابن عمه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَلَا هُمْ يُصْرَتُونَ﴾ أي، لا يمتنعون من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم في بعض.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿كُلَّمَا أَلْهَلَ بِعَلَى فِي الْبَطْنِ﴾ كَلَّمَا الْحَمِيرِ ﴿حَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ لَكَ سَوَاءُ الْحَمِيرِ﴾ ثُمَّ سُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيرِ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿إِنَّ الْمَتَّوِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُشْبٍ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَرْقٍ مُتَّقِلِينَ﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينٍ﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْحَمِيرِ ﴿فَلَا يَنْزِلُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْمَظْمُورُ﴾ فَإِنَّمَا يَنْتَرِكُ لَعَلَّهْمُ يَنْتَكِرُونَ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ قد ذكرناها في [الصفات: ٦٢]. و«الأيمن»: الفاجر؛ وقال مقاتل: هو أبو جهل. وقد ذكرنا معنى «المهل» في [الكهف: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا فِي الْبَطْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يغلي» بالياء؛ والباقون: بالتاء. فمن قرأ [«تغلي»] بالتاء، فلتأنيث الشجرة؛ ومن قرأ بالياء، حملة على الطعام. قال أبو علي الفارسي: ولا يجوز أن يُحْمَلَ الْعَلْيُ عَلَى الْمُهْلِ. لأن المهل ذكر للتشبيه في الذؤب، وإنما يغلي ما شُبَّه به ﴿كَلَّمَا الْحَمِيرِ﴾ وهو الماء الحار إذا اشتدَّ غَلْيَانُهُ.

قوله تعالى: ﴿حَذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: بضم التاء؛ وكسرهما الباقيون؛ قال ابن قتيبة: ومعناه: قودوه بالعنف، يقال: جيء بفلان يُعْتَلُّ إلى السلطان، و﴿سَوَاءُ الْحَمِيرِ﴾: وسط النار. قال مقاتل: الآيات في أبي جهل يضربه الملك من خزان جهنم على رأسه بمقموعة من حديد فتشَّبَّ عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصبُّ الملك في الثَّقب ماءً حَمِيماً قد انتهى حرُّه، فيقع في بطنه، ثم يقول [له] الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ هذا توبيخ له بذلك؛ وكان أبو جهل يقول: أنا أعزُّ قريش وأكرمها. وقرأ الكسائي: ﴿ذُقْ أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة؛ والباقيون: بكسرهما. قال أبو علي: من كسرهما، فالمعنى: أنت

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ١٤٨: رواه الثعلبي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة روى، قال: والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري العيني هو، أم لا؟ وما أدري أعزير نبي، أم لا؟» أخرجه أبو داود، والحاكم، لكن قال: «فرو القرنين» بدل «عزير» قال: قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق، وغيره أرسله. اهـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٥٠ عن عائشة رضى الله عنها، ووافقه الذهبي. قال ابن كثير: وكأنه - والله أعلم - كان كافراً ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحياء اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح ﷺ، وحج البيت في زمن الجرهميين وكساء الملاء والوصلات من الحرير والبحر ونحوه ستة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن. اهـ.

(٣) الذي في «القرطبي»: وقال الكلي: تبع: هو أبو كرب أسعد بن ملكيكر.

العزیز فی زعمک، ومن فتح، فالمعنى: بأنك. فإن قيل: كيف سُمي بالعزیز وليس به؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قيل ذلك استهزاء به، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والثاني: أنت العزیز [الكريم] عند نفسك، قاله قتادة. والثالث: أنت العزیز فی قومك، الكريم على أهلک، حكاه الماوردي. ويقول الخزّان لأهل النار: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (٥٠) أي: تشكون في كونه. ثم ذكر مستقرّ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَارِ أَيْنٍ﴾ (٥١) قرأ نافع، وابن عامر: «في مقام» بضم الميم، والباقون: بفتحها. قال الفراء: المقام، بفتح الميم: المكان، وبضمها: الإقامة.

قوله تعالى: ﴿أَيْنٍ﴾ أي: أينوا فيه الغيّر والحوادث. وقد ذكرنا «الجَنّات» في [البقرة: ٣٥] و[ذكرنا] معنى «الغيون» ومعنى «مقابلين» في [الحجر: ٤٥، ٤٧] وذكرنا «السُّدُسَ والإِسْتِيقَ» في [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما وصفنا ﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال المفسرون: المعنى: قرّناهم بهنّ، وليس من عقد التزويج. قال أبو عبيدة: المعنى: جعلنا ذكور أهل الجنة أزواجاً ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ من النساء، تقول للرجل: زوّج هذه النعل الفرد بالنعل الفرد، أي: اجعلهما زوجاً، والمعنى: جعلناهم اثنين اثنين. وقال يونس: العرب لا تقول: تزوّج بها، إنما يقولون: تزوّجها. ومعنى ﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرّناهم. وقال ابن قتيبة: يقال: زوّجته امرأة، وزوّجته بامرأة. وقال أبو علي الفارسي: والتزويج على ما قال يونس، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَزَجْنَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وما قال: زوّجناك بها. فأما الحور، فقال مجاهد: الحور: النساء النقيات البياض. وقال الفراء: الحوراء: البيضاء من الإبل؛ قال: وفي «الحور العين» لغتان: حور عين، وجير عين، وأنشد:

أزمانَ عينا سمرور المسير  
وحوراء عينا سواد سواد  
وقال أبو عبيدة: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سواد سوادها. وقد بيّنا معنى «العين» في [الصافات: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكَحْنَهُمْ آيَاتٍ﴾ (٥٢) فيه قولان: أحدهما: آيتين من انقطاعها في بعض الأزمنة. والثاني: آيتين من الثّم من الأسقام والآفات.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْوَتَنَ الْأَوَّلَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿حُلِيِّبٍ فِيهَا مَا كَانَتِ الْأَنْوَارُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] أي: سوى ما شاء لهم ربك من الزيادة على مقدار الدنيا، هذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الروح والريحان وأسباب من الجنة يزوّن منازلهم منها، وإذ ماتوا في الدنيا، فكانهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن «إلا» بمعنى «بعد»، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وهذا قول ابن جرير (١).

قوله تعالى: ﴿فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ﴾ أي: فعل الله ذلك بهم فضلاً منه (٢). ﴿فَأَنَّا يَسْتَرْزِقُهُ﴾ أي: سهلناه، والكناية عن القرآن ﴿يَسْلُكُ﴾ أي: بلغه العرب ﴿لَمَلَهُمْ يَنْكَرُونَ﴾ أي: لكي يتعظروا فيؤمنوا، ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ أي: انتظر بهم العذاب ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَابُونَ﴾ هلاكك (٣)؛ وهذه عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.



(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْوَتَنَ إِلَّا الْوَتَنَ الْأَوَّلَ﴾ هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت في صورة كيش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يلبس ثم يقال: يا أهل الجنة غلوه فلا موت، ويا أهل النار غلوه فلا موت».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَوَكَّلْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار، تفضلاً يا محمد من ربك عليهم، وإحسانه من إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، قال: ولولا تفضله عليهم بصفحة لهم من العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يذهب عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكرهه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مُسْتَلِياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذب بالمعطي والهالك ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ أي: انتظر ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَابُونَ﴾ أي: فيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن أتبعكم من المؤمنين. اهـ.







والثالث: [أنه] قوله: ﴿أُوْدِنَ الَّذِينَ يَفْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ غُلَاقٌ﴾ [الحج: ٣٩]، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِي قَوْمًا﴾ وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لِنَجْزِي» بالنون «قوماً» يعني الكفار، فكانه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن. وما بعد هذا قد سبق [الإسراء: ٧] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْفُرْقَ﴾ وهو الفهم في الكتاب، ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ يَمَنَ الْيَمِينِ﴾ يعني المَنَ والسُّلَى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم. ﴿وَوَآتَيْنَاهُمْ يَمِينَ الْأَمْرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيان الحلال والحرام، قاله السدي. والثاني: العلم بمبعث النبي ﷺ وشواهد نبوته، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [آل عمران: ١٩] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ سبب نزولها أن رؤساء قريش دعوا رسول الله ﷺ إلى مِلَّةِ آبائهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. فاما قوله: ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ فقال ابن قتيبة: [أي] على مِلَّةٍ ومذهب، ومنه يقال: شَرَعَ فلان في كذا: إذا أخذ فيه، ومنه «مَشَارِعُ الماء» وهي الفُرُض التي شرع فيها الوارد<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: ثم جعلناك بعد موسى على طريقة من الأمر، أي: من الدين «فَأَتَيْنَاهَا»<sup>(٣)</sup>. و«الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» كفار قريش. «إِنَّهُمْ لَن يَشْعُرُوا عَنَّا» أي: لن يدعوا عنك عذاب الله إن أتبعتهم، «وَأَنَّ الظَّالِمِينَ» يعني المشركين<sup>(٤)</sup>. «وَأَنَّكَ لَوِ الْغَالِيَةُ» الشرك. والآية التي بعدها [مفسرة] في آخر [الأعراف: ٢٠٣]. «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّعْيَاتِ» سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للمؤمنين: إِنَّا نعطى في الآخرة مثلما تُعطون من الأجر، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>. والاستفهام هاهنا استفهام إنكار. و«اجترحوا» بمعنى اكتسبوا. «سَوَاءٌ يَحْكُمُهُمْ وَسَوَاءٌ نَحْكُمُهُمْ» قرأ حزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «سواء» نصباً؛ وقرأ الباقون: بالرفع. فمن رفع، فعلى الابتداء؛ ومن نصب، جعله مفعولاً ثانياً، على تقدير: أن نجعل محياهم ومماتهم سواء؛ والمعنى: إن هؤلاء يَخْيُونُ مؤمنين ويموتون مؤمنين، وهؤلاء يَخْيُونُ كافرين ويموتون كافرين؛ وشأن ما هم في الحال والمآل «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أي: بشئ ما يقضون<sup>(٦)</sup>. ثم ذكر بالآية التي تلي هذه أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: للحق والجزاء بالعدل، لئلا يُظن الكافر أنه لا يجزي بكفره.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَفَّيْهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَنَبَوتَ فَمَن يَهْدِيهِ يَنبِذْهُ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِيكُمُ إِلَّا أَلْفَاظَ الْكُفْرِ وَمَا لَكُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا يَظُنُونَ﴾ [١٠٩] ﴿وَأَنَّا نُنَزِّلُ الْكِتَابَ مَكِّيًّا مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّ كُفْرَهُمْ حَدِيدٌ﴾ [١١٠] ﴿قُلِ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ فِي عِلِّيِّينَ﴾ [١١١] ﴿وَلِلَّهِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ وَالْأَرْضُ يَوْمَ تَفُوتُ أَشْعَاةُ بِومِيزٍ يَخْسَرُ الْمُطْلُوكُ﴾ [١١٢] ﴿وَرَأَى كُلُّ اقْتَرَبَةٍ إِلَى اللَّهِ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١١٣]

(١) قال البغوي: وذلك أنهم كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك، فقال الله جل ذكره: «إِنَّهُمْ لَن يَشْعُرُوا عَنَّا» وكذلك قال الخازن. قال القرطبي: «وَلَا تَشْجُ أُمَّةٌ إِلَّا لِمَا تَشَاءُ» قال ابن عباس: نزلت لما دعت قريش إلى دين آبائهم. وقال الألوسي: «وَلَا تَشْجُ أُمَّةٌ إِلَّا لِمَا تَشَاءُ» أي: آراء الجاهل التابعة للشهوات، قال: والمراد بهم ما يعم كل ضال، وقيل: هم جهال قريظة والنفير، وقيل: رؤساء قريش كانوا يقولون له ﷺ: ارجع إلى دين آبائك.

(٢) قال في «اللسان»: شَرَعَ الوارد شَرْعاً وشُروعاً: تناول الماء بفيه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لبيد محمد ﷺ: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل الذين وصف لك صفتهم «عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» يقول: على طريقة وشئ ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا «فَأَتَيْنَاهَا» يقول: فأتيت تلك الشريعة التي جعلناها لك «وَلَا تَشْجُ أُمَّةٌ إِلَّا لِمَا تَشَاءُ» يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك إن عملت به. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: «وَأَنَّ الظَّالِمِينَ يَسْتَكْبِرُونَ إِلَهُكُمُ إِلَهُكُمْ» أي: وما تنفي عنهم ولا يتهم لبعضهم بعضاً، لأنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً. اهـ.

(٥) قال البغوي والخازن: نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا. وقال الألوسي: والآية وإن كانت في الكفار على ما نقل عن «البحر»، وهو ظاهر ما روي عن الكلبي من أن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا لعلي كرم الله تعالى وجهه، وحزمة، «والؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقاً لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا، فنزلت الآية: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّعْيَاتِ»... إلخ، قال: وهي متضمنة للرد عليهم على جميع أوجهها، كما يعرف بأدنى تدبر يستنبط منها تبين حالي المؤمن الماسي والمؤمن الطائع. اهـ.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّعْيَاتِ» يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجتروا السيئات في الأعمال في الدنيا وكذبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة؟ كلاً ما كان الله يفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير. اهـ.

الْيَوْمَ نُحْزِنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَكُرُوا أَفْكَرَ ثُمَّ أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَوَّلَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ مَوْتَهُ﴾ قد شرحناه في [الفرقان: ٤٣]. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِلِّيٍّ﴾ أي: على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي<sup>(٢)</sup> ﴿وَحَمَّ عَلَى سَمِيٍّ﴾ أي: طبع عليه فلم يسمع الهدى ﴿وَرَىٰ﴾ على ﴿قلبه﴾ فلم يَقُولِ الهدى. وقد ذكرنا الفشاة والختم في [البقرة: ٧]. ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ ١٩ أي: مَنْ بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِلَيْهِ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فَتَعَرَّفُوا قُدْرَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ<sup>(٣)</sup>. وما بعد [هذا] مفسر في سورة [المومن: ٣٧]<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغُكَ إِلَّا الدَّعْوَىٰ﴾ أي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قالوه عن علم، إنما قالوه شاكين فيه. ومن أجل هذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَسُبُّوا الدُّعْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدُّعْرُ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: هو الذي يُهْلِكُكُمْ، لا ما توهمونه من مرور الزمان. وما بعد هذا ظاهر، وقد تقدم بيانه [البقرة: ٢٨، الشورى: ٧] إلى قوله: ﴿يَحْسُرُ الْكَافِرُ﴾ يعني المكذبين الكافرين أصحاب الأباطيل والمعنى: يظهر خسرائهم يومئذ. ﴿وَرَىٰ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ قال الفراء: ترى أهل كل دين ﴿جَانِبَهُ﴾ قال الزجاج: أي: جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان جُثْوًا: إذا جلس على ركبته، ومثله: جذا يَجْذُو. والجذو أشد استيفازاً من الجُثْو، لأن الجذو: أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه. قال ابن قتيبة: والمعنى أنها غير مطمئنة.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ تَدْعُو إِلَىٰ كَيْفِيَّهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه حسابها<sup>(٦)</sup>، قاله الشعبي، والفراء، وابن قتيبة. والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله، حكاه الماوردي. ويقال لهم: ﴿الْيَوْمَ نُحْزِنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب. والثاني: اللوح المحفوظ، قاله مقاتل: والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرؤونه فيدلُّهم ويذكِّرهم، فكانه يُنْقِطُ عليهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكتبتها وإثباتها. وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، تَسْتَنْسِخُ الملائكة كلَّ عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا مِنْ أَصْلٍ. قال الفراء: يرفع الملكان العمل كله،

(١) ذكر سبب النزول هذا القرطبي بدون سند، قال: قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه. اهـ. وقال الألويسي: والآية نزلت على ما روي عن مقاتل في الحارث بن قيس السهمي، كان لا يهوى شيئاً إلا ركبها، قال: وحكمها عام، قال: وفيها من دُم اتباع هوى النفس ما فيها. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَنصَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِلِّيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ ١٩ يقول تعالى ذكره: فمن يوقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشاد بعد إضلال الله إياه ١٩ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً ١٩. اهـ.

(٤) في الأصل: «المومن».

(٥) رواه بهذا اللفظ مسلم في [صحيحه] ١٧٦٣/٤ عن أبي هريرة ؓ. قال الامام النووي في [شرح مسلم]: أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سبتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومزنها، قال: وأما الدهر الذي هو الزمان، فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، قال: ومعنى «فإن الله هو الدهر» أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم. اهـ. وقال ابن كثير: قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، قال: وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكانهم إنما سبوا الله ﷻ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهاذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. قال ابن كثير: هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. اهـ. وللحديث ألفاظ أخر، منها ما رواه أحمد في [المستند والبخاري ومسلم في [صحيحيهما]] وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، اقتلب ليله ونهاره».

(٦) في الأصل: «حسناتها» والتصويب من «غريب القرآن».

فُثِّبْتُ الله منه ما فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو. وقال الزجاج: نستسخ ما تكتبه الحفظة، ويثبت عند الله ﷻ. قوله تعالى: ﴿فِي رَحْمَةٍ﴾ قال مقاتل: في جنته.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ مِنَّا أَيُّنِي﴾ فيه إضمار، تقديره: فيقال لهم ألم تكن آياتي، يعني آيات القرآن ﴿تُنَلِّ عَلَىكُمْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا جَرِيمِينَ﴾ ١؟ قال ابن عباس: كافرين.

﴿وَإِنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلَمَّ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ ٢ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ يَسْتَرْشِدُونَ﴾ ٣ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكَ كَمَا نَنسِفُ الْيَوْمَ عَذَابَ الْآلِ بْنِ تَمِيمٍ﴾ ٤ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مَا كَانُوا اللَّهُ هُوَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ﴾ ٥ ﴿فَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ٦ ﴿وَالْأَرْضُ بِأَنفُسِهَا فَتُكْفَىٰ ذِكْرُ الْكَافِرِينَ﴾ ٧ ﴿وَالْكَافِرِينَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٨

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ أي: كائن ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ قرأ حمزة: «والساعة» بالنصب ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: كائنة بلا شك ﴿فَلَمَّ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي: أنكرتموها ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلم ذلك إلا ظناً وحساً، ولا نستيقن كونها. وما بعد هذا قد تقدم [الزمر: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكَ﴾ أي: نترككم في النار ﴿كَمَا نَنسِفُ الْيَوْمَ عَذَابَ الْآلِ بْنِ تَمِيمٍ﴾ أي: كما تتركهم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم<sup>(١)</sup>. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعلنا بكم ﴿وَالْأَرْضُ بِأَنفُسِهَا فَتُكْفَىٰ ذِكْرُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: مهزوءاً بها ﴿وَعَزَّكَو الْحَبِيرُ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: إنه لا بعث ولا حساب ﴿وَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضم الراء. وقرأ الباقون: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ بضم الياء وفتح الراء ﴿وَمِنَّا﴾ أي: من النار ﴿وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله ﷻ، لأنه ليس بحين توبة ولا اعتذار.

قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: السلطان، قاله مجاهد. والثاني: الشرف، قاله ابن زيد. والثالث: العظمة، قاله يحيى بن سلام، والزجاج<sup>(٢)</sup>.



(١) ثبت في «صحيح مسلم» ٢٢٧٩/٤ عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أكرمك وأسودك؟» (أي أجعلك سيداً على غيرك) وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأفرك رأساً (أي تكون رئيس القوم) وترفع؟ (أي: تأخذ الميراث الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذ من الغنيمة، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟) فيقول: بلى، قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتي (أي: أمتك الرحمة كما امتنعت من طاعتي).

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَالْكَافِرِينَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: قال مجاهد: يعني السلطان، أي: هو العظيم المسجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، قال: وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكتته ناري». ثم قال في تمة الآية: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الذي لا يقال ولا يمانع ﴿الْعَزِيزُ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة الأحقاف

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ اللَّهِ الْقُرْآنَ وَمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالَّذِينَ لَهُ الْأَلْبَانُ وَالَّذِينَ لَهُ الْأَلْبَانُ وَالَّذِينَ لَهُ الْأَلْبَانُ﴾<sup>(١)</sup> مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِالْحَقِّ مُسَوِّدُ الْوَلَدَيْنِ كَهَرًا عَنَّا أَنْزَلُوا مَقْرُونُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَىٰ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنْزَلْنَاهُ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ سَادِقِينَ ﴿٣﴾

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكيّة، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا: فيها آية مدنيّة، وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]. وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] نزلتا بالمدينة. وقد تقدم تفسير فاتحتها [المومن، الحجر: ٨٥] إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مِثْقَالٌ﴾ وهو أجل فناء السموات والأرض، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ مفسّر في [فاطر: ٤٠] إلى قوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِكِتَابٍ﴾، وفي الآية اختصار، تقديره: فإن ادّعوا أن شيئاً من المخلوقات صنعها آلهتهم، فقل لهم: إيتوني بكتاب ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ فيه برهان ما تدعون من أن الأصنام شركاء الله، ﴿أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيء يشيره مستخرجه، قاله الحسن. والثاني: بقيّة مِنْ عِلْمٍ تُؤَثِّرُ عن الأولين، قاله ابن قتيبة، وإلى نحوه ذهب الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: علامة مِنْ عِلْمٍ، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأيوب السخيتاني، ويعقوب: «أَثَرُهُ» بفتح الثاء، مثل شجرة. ثم ذكروا في معناها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحُطُّ، قاله ابن عباس؛ وقال: هو حُطُّ كانت العرب تحُطُّ في الأرض، قال أبو بكر بن عيَّاش: الحُطُّ هو العيافة. والثاني: أو عِلْمٌ تأثرونه عن غيركم، قاله مجاهد. والثالث: خاصّة مِنْ عِلْمٍ، قاله قتادة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن يعمر: «أَثَرُهُ» بسكون الثاء من غير ألف بوزن نظيرة<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: قرئت «أثارة» و«أثره»، وهي لغات، ومعنى الكل: بقيّة مِنْ عِلْمٍ، ويقال: أو شيء مأثور من كتب الأولين، فمن قرأ «أثارة» فهو المصدر، مثل قولك: الساحة والشجاعة، ومن قرأ «أثره» فإنه بناء على الأثر، كما قيل: قَتَرَهُ، ومن قرأ «أثره» فكانه أراد مثل قوله: «الْحُطُّطَةُ» [الصافات: ١٠] و«الرَّجُفَةُ» [الأعراف: ٧٨]. وقال البيهقي: الأثارة: البقيّة؛ والأثره، مصدر أثره يَأْثُرُهُ، أي: يذكّره ويرويه، ومنه: حديث مأثور.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَنْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِيلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِذَا خِیرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٤﴾ وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مَائِنَتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَكْثَرُهُ قُلْ إِنْ أَقْرَبْتُمْ فَلَا تَكِلْكُلُ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَكْرَمُ بِمَا يُفْعِلُونَ فِيهِ كُنْ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ يعني الأصنام<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَنْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِيلُونَ﴾ لأنها جماد لا تسمع، فإذا قامت

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، قال: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: والقراءة التي لا أستجيز غيرها «أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمٍ» بالألف، لإجماع قراء الأمصار عليها. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: رأيي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله الهة «لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ» يقول: لا يجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

القيامة صارت الآلهة أعداء لعابديها في الدنيا<sup>(١)</sup>. ثم ذكر [بما] بعد هذا أنهم يسمون القرآن سحراً وأن محمداً افتراه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا تقدرون على أن تؤذوا عني عذابه، أي: كيف أفترى من أجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عذابه عني؟! ﴿هُوَ أَكْبَرُ بِمَا يُفَيْضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب والقول بأنه سحر ﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أن القرآن جاء من عند الله ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ في تأخير العذاب عنكم. وقال الزجاج: إنما ذكر هاهنا الغفران والرحمة ليُعلمهم أن من أتى ما أتيت ثم تاب فإن الله تعالى غفور له رحيم به.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرُ إِنْ أُنْعِمَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ فَأَمَّا لِمِثْلِهِ فَقَاتِلْ أَصْحَابَ الْأَفْئَامِ الْقَالِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: ما أنا بأول رسول<sup>(٢)</sup>. والبذع والبذيع من كل شيء: المبتدأ ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرُ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عيلة: «ما يُفْعَلُ» بفتح الياء، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان: أحدهما: [أنه] لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك لما يلقون من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا بُرهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى تُهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرُ﴾، يعني لا أدري، أخرجُ إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيته في منامي، وما «أُنْعِمَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ»، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وكذلك قال عطية: ما أدري هل يتركني بمكة أو يخرجني منها. والثاني: ما أدري هل أخرج كما أخرج الأنبياء قبلي، أو أقتل كما قُتلوا، ولا أدري ما يُفْعَلُ بكم، أتعذبون أم تؤخرون؟ أُنصَدِّقُونَ أم تُكذِّبون؟ قاله الحسن. والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة<sup>(٤)</sup>. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، نزل بعدها ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقال: ﴿يُنْزِلُ الْغُورِينَ وَالْغُورِينَ جَنَّتْ...﴾. الآية [الفتح: ٥] فأعلم ما يُفْعَلُ به وبالمؤمنين<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن المشركين فرحوا عند نزول هذه الآية وقالوا: ما أمزنا وأمر محمد إلا واحد، ولولا أنه ابتدع ما يقوله لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزل قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ...﴾ الآية [الفتح: ٢]، فقال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فماداً يُفْعَلُ بنا؟ فنزلت: ﴿يُنْزِلُ الْغُورِينَ وَالْغُورِينَ جَنَّتْ...﴾ الآية [الفتح: ٥]؛ وممن ذهب إلى هذا القول أنس، وعكرمة، وقتادة، وروى عن الحسن ذلك.

(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَنْ عَنْ دُكَاهُورَ عَوَّلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وألهمتهم التي يدعونهم عن دعائهم ليأهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، قال: وإنما عني بوصفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان السامي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، قال: وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما يتزل بهم من الجوائح والمصائب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظره حتى تستكروني وتستبعدون بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم. اهـ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٥ هكذا بدون سند عن أبي صالح عن ابن عباس. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

(٤) قال ابن كثير: قال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرُ﴾ قال: أما في الآخرة، فمعاذ الله، وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا يكم في الدنيا، أخرج كما أخرج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أيخسف بكم أو ترمون بالحجارة؟ قال: وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير الطبري، وإنه لا يجوز غيره، قال: ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن أتبعه، وأما في الدنيا، فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا، أيؤمنون، أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم؟ اهـ.

(٥) رواه بنحو مختصراً الطبري ٧/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨/٦ بنحوه، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٦) في الأصل: فنزلت.

(٧) هكذا ذكره البغوي والخازن بدون سند، وذكره بنحو مختصراً أحمد في «المسند» والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك.



قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنبِئْتُ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكُفِّرْتُ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن سلام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أنه موسى بن عمران عليه السلام، قاله الشعبي، ومسروق. فعلى القول الأول يكون ذلك المثل صلة، فيكون المعنى: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه، أي: على أنه من عند الله، ﴿قَامَنَّ﴾ الشاهد، وهو ابن سلام ﴿وَأَسْكَنْتُكُمْ﴾ يا معشر اليهود. وعلى الثاني يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، ﴿قَامَنَّ﴾ من آمن بموسى والتوراة ﴿وَأَسْكَنْتُكُمْ﴾ أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن. فإن قيل: أين جواب «إن»؟ قيل: هو مضمَّر؛ وفي تقديره ستة أقوال: أحدها: أن جوابه: فَمَنْ أَضَلُّ مِنْكُمْ، قاله الحسن. والثاني: أن تقدير الكلام: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن، أنؤمنون؟ قاله الزجاج. والثالث: أن تقديره: أنؤمنون عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي. والرابع: أن تقديره: أفما تهلكون؟ ذكره الماوردي. والخامس: من المَجْهُوِّ مَنَّا ومنكم ومن المَبْطِل؟ ذكره الثعلبي. والسادس: أن تقديره: أليس قد ظَلَمْتُمْ؟ ويدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ذكره الواحدي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَفْزِلُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرِيقٍ لِّنَسِيرٍ ظَلَمُوا ۝ وَلَشَرٌّ لِّلْمُتَّعِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا حُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَحْصَىٰ الْجَنَّةُ خَلَائِلَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَوَضْعُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشَدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَنْفَعُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن الكفار قالوا: لو كان دين محمد خيراً ما سبقنا إليه اليهود، فنزلت هذه الآية، قاله مسروق. والثاني: أن امرأة ضعيفة البصر أسلمت، وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الزناد. والثالث: أن أبا ذر الغفاري أسلم واستجاب به قومه إلى الإسلام، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو المتوكل. والرابع: أنه لما اهتمت مُرَيَّةُ وَجْهِيَّةُ وأسلمت، قالت أسد وَعُظْفَان: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاء الشاء، يعنون مُرَيَّةَ وَجْهِيَّةَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أن اليهود قالوا: لو كاد دين محمد خيراً ما سبقتمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لكم بذلك، ولو كان حقاً لدخلنا فيه، ذكره أبو سليمان الدمشقي وقال: [هو قول من يقول: إن الآية نزلت بالمدينة؛ ومن قال: هي مكية، قال: هو قول المشركين. فقد خرج في «الذين كفروا» قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: اليهود. وقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أي: لو كان دين محمد خيراً ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾. فمن قال: هم المشركون، قال: أرادوا: إِنَّا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ؛ ومن قال: هم اليهود، قال: أرادوا: لَأَنَا أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَفْزِلُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ﴾ أي: كذب متقدم، يعنون أساطير الأولين. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ التَّوْرَةَ. وفي الكلام محذوف، تقديره: فَلَمْ يَهْتَدُوا، لأن المشركين لم يهتدوا بالتوراة. ﴿إِمَامًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال ﴿وَرَحْمَةً﴾ عطف عليه ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ المعنى: مصدقٌ للتوراة ﴿لِّسَانِ عَرِيقٍ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: مصدقٌ لما بين يديه عريقاً؛ وذكر «لساناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيد صالحاً.

قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «لِيُنْذِرَ» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: «لِيُنْذِرَ» بالياء. وعن ابن كثير كالتقراءتين. «والذين ظلموا» المشركون ﴿وَيُشْرَى﴾ أي: وهو يُشْرَى ﴿لِلْمُتَّعِينَ﴾ وهم الموحَّدون يبشرون بالجنة. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [فصلت: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ وقرأ

عاصم، وحمزة، والكسائي: «إحساناً» بآلف. «حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «كُرْهًا» بفتح الكاف؛ وقرأ الباقون: بضمها. قال الفراء: والنحويون يستحبون الضم هاهنا، ويكرهون الفتح، للعلّة التي بيّناها عند قوله: «وَمَوْ كُرْهًا لَكُمْ» [البقرة: ٢١٦]. قال الزجاج: والمعنى: حملته على مشقة «وَوَضَعَتْهُ» على مشقة<sup>(١)</sup>. «وَفَصَّلَتْهُ» أي: فطامه. وقرأ يعقوب: «وَفَضَّلَهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف «فَلَنُؤَنَّهُ شَهْرًا»<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: «وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» يريد به شدّة الطلق. واعلم أن هذه المدة قدّرت لأقلّ الحمل وأكثر الرضاع؛ فأما الأشدّ، ففيه أقوال قد تقدّمت؛ واختار الزجاج أنه بلغ ثلاث وثلاثين سنة، لأنه وقت كمال الإنسان في بدنه وقوّته واستحكام شأنه وتمييزه<sup>(٣)</sup>. وقال ابن قتيبة: أشدّ الرجل غير أشدّ اليتيم، لأن أشدّ الرجل: الاكتحال والحُكّة وأن يشتدّ رأيه وعقله، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة، وأشدّ الغلام: أن يشتدّ خلقه ويتناهى نباته<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرنا بيان الأشدّ في [الأنعام: ١٥٣] وفي [يوسف: ٢٢] وهذا تحقيقه. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنها] نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه صحّب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سيّدة، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلّها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال [له]: مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي فِي ظِلِّ السِّدْرَةِ؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبيّ، وما استظلّ تحتها أحدٌ بعد عيسى إلا محمدٌ نبيّ الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره وحضره، فلما نُبّي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة - صدّق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ أربعين سنة قال: ربّ أَوْزِغْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال الأكثرون؛ قالوا: فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، دعا الله تعالى بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله، فأسلم والداه وأولاده ذكورهم وإناثهم، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة. والقول الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا قصته في سورة [المنكبوت: ٢٨]، وهذا مذهب الضحاك، والسدي<sup>(٦)</sup>. والثالث: أها نزلت على العموم، قاله الحسن. وقد شرحنا في سورة [النمل: ١٩] معنى قوله: «أَوْزِغْنِي».

قوله تعالى: «وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» قال ابن عباس: أجابه الله - يعني أبا بكر - فأعتق تسعة من المؤمنين كانوا يُعَذِّبون في الله تعالى، ولم يُرَدْ شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، واستجاب له في دُرَيْتِهِ فَأَمَنُوا، «إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ» أي: رَجَعْتُ إِلَى كُلِّ مَا تُحِبُّ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «أَوَلَيْكَ الَّذِينَ تَتَّبِعُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يَتَقَبَّلُ» و«نَتَجَاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: «نَتَقَبَّلُ» و«نَتَجَاوَزُ» بالنون فيهما. وقرأ أبو المتوكّل، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني: «يَتَقَبَّلُ» و«نَتَجَاوَزُ» بياء

(١) قال ابن كثير: «حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا» أي: قاست بسببه في حال حمل مشقة وتعباً من وحم وغشيان وثقل وكره، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة «وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدة. اهـ.

(٢) «وَفَصَّلَتْهُ لَنُؤَنَّهُ شَهْرًا» قال ابن كثير: وقد استدل عليّ عليه السلام بهذه الآية مع التي في لقمان «وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ» وقوله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ يُزَيِّنُونَ أَوْلَادَهُمْ لَعَنَ اللَّهُ كَلِمَتَهُمْ لِمَنْ أَزَاكَ أَنْ يَمُرَّ بِالرَّحْمَةِ» على أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، قال: وهو استنباط قوي صحيح، قال: ووافقه عليه عثمان رضي الله عنه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

(٣) «حَتَّىٰ يَكُنَّ أَشَدُّ» قال ابن كثير: أي: قوي وشب وارتمل «وَنَعَىٰ أَرْبَعِينَ سَنَةً» أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. اهـ.

(٤) في النسخة الاستبوية: بيانه، والذي في [اللسان] و[التاج]: ويتبي شبهه.

(٥) هكذا ذكره الواحدي بتمامه في «أسباب النزول» ٢١٦ من رواية عطاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بدون سند. وقال السيوطي في «الدرر» ٤٠/٦: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه «وَوَضَعَتْهُ أُمُّ كُرْهًا» إلى قوله: «وَعَدَّ الْفَيْقُ إِلَى كَأَنَّا يُرَدُّونَ».

(٦) قال البغوي: قال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقال الخازن: قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص.

(٧) قال ابن كثير: «إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ التَّائِبِينَ» قال: وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله تعالى ويعزم عليها. اهـ.

مفتوحة فيهما، يعني أهل هذا القول. والأحسن بمعنى الحسن. ﴿فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة من يتجاوز عنهم، وهم أصحاب الجنة. وقيل: «في» بمعنى «مع». ﴿وَعَدَ الْيَتِيمَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب، لأنه مصدر مؤكد لما قبله، لأن قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقُولُ﴾ يعني الوعد، لأنه وعدهم القبول بقوله: ﴿وَعَدَ الْيَتِيمَ﴾، يؤكد ذلك قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: على السنة الرُّسُل في الدنيا<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْوَلَدِ أَوَّلَ لَحْنًا أَفْدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَذَا يَسْتَوِيَانِ اللَّهُ وَيَلِكَ مَا مِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْدِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ﴾ ﴿وَلَكِنْ دَرَحَتْ بِنَا عَمَلُوا وَلِيَوْمِهِمْ أَعْمَلُتُمْ وَهُمْ لَا يُلَاقُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ لَيْبَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا قَالُوا بَلْ يَوْمَ تَحْرَقُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْوَلَدِ أَوَّلَ لَحْنًا﴾ قرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أف لكما» بالخفض من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: بفتح الفاء. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: «أف» بالخفض والتنوين. وقرأ ابن يعمر: «أف» بتشديد الفاء مرفوعة منوثة. وقرأ حميد، والجدري: «أفأ» بتشديد الفاء وبالنصب والتنوين. وقرأ عمرو بن دينار: «أف» بتشديد الفاء وبالرفع من غير تنوين. وقرأ أبو المتوكل، [وعكرمة]، وأبو رجاء: «أف لكما» بإسكان الفاء خفيفة. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «أفني» بتشديد الفاء وياء ساكنة مُمالة. وروي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قُبِلَ إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهور المفسرين. وقد روي عن عائشة أنها كانت تُنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن، وتُخلف على ذلك وتقول: لو شئت لسميت الذي نزلت فيه. قال الزجاج: وقول من قال: إنها نزلت في عبد الرحمن، باطل بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، فأعلم الله أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن؛ والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق. وروي [عن] مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وعن الحسن [أنها] نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لأبائهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ خَلَى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: مضت القرون فلم يرجع منهم أحد، قاله مقاتل. والثاني: مضت القرون مكذبة بهذا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا يَسْتَوِيَانِ اللَّهُ﴾ أي: يدعوان الله له بالهدى، ويقولان له: ﴿وَيَلِكَ مَا مِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقد سبق شرحها [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني الكفار ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم قضاء الله أنهم من أهل النار ﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي: مع أمم. فذكر الله تعالى في الآيتين قُبِلَ هذه من برِّ والديه وعَمِلَ بوصية الله ﷻ، ثم ذكر من لم يَعْمَلْ بالوصية ولم يُطِعه ربه ولا والديه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «أنهم» بفتح الهمزة. ثم قال: ﴿وَلَكِنْ دَرَحَتْ بِنَا عَمَلُوا﴾ أي: منازل ومراتب بحسب ما اكتسبوه من إيمان وكفر، فيفاضل أهل الجنة في الكرامة، وأهل

(١) قال ابن كثير: قال الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقُولُ﴾ تَقُولُ عَنْهُمْ لَحْنًا مَا عَمِلُوا وَتَجَارَوْا عَنْ سَبِيلِهِمْ فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين تَقَبَّلَ عنهم أحسن ما عملوا، وتجاوز عن سيئاتهم، فغفر لهم الكثير من الزُّلُم، وتَقَبَّلَ منهم اليسير من العمل «في أصحاب الجنة» أي: هم في جملة أصحاب الجنة، قال: وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله ﷻ من تاب إليه وأناب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَعَدَ الْيَتِيمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْوَلَدِ أَوَّلَ لَحْنًا﴾: هذا عام في كل من قال هذا، قال: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، فقله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، قال: وروي العوفي عن ابن عباس ﷺ أنها نزلت في ابن أبي بكر الصديق ﷺ، قال: وفي صفة هذا نظر، والله تعالى أعلم، قال: وقال ابن جرير عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر ﷺ، قاله ابن جريج، وقال آخرون: عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، وهذا أيضاً قول السدي، قال: وإنما هذا عام في كل من عاق والديه وكذب بالحق فقال للوالدين: أف لكما، عفيهما. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْوَلَدِ أَوَّلَ لَحْنًا أَفْدَانِي أَنْ أَخْرَجَ﴾ أي: أن أبنت ﴿وَعَدَ خَلَى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾.

النار في العذاب ﴿وَلَوْ فِيهِمْ أَهْلُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «وَلَوْ فِيهِمْ» بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاء أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ والمعنى: واذكر لهم يوم يعرض ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي: ويقال لهم: أذهبتم، قرأ ابن كثير: [«أَذْهَبْتُمْ» بهمزة مطولة<sup>(١)</sup>]. وقرأ [ابن عامر: «أأذهبتم» بهمزتين. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، وهو توبيخ لهم. قال الفراء والزجاج: [«العرب» تونج بالالف ويغير الألف، فتقول: أَذْهَبْتُ وفعلت كذا؟]: و: ذهبْتُ ففعلت؟ قال المفسرون: والمراد بطيائهم: ما كانوا فيه من اللذات مشتغلين بها عن الآخرة مُعْرِضِينَ عن شكرها. ولَمَّا وَيَعْهَمُ الله بذلك، أثار النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب نعيم العيش ولذته ليتكامل أجْرهم ولئلا يُلهِيَهُمْ عن معادهم. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خَصْفَةٍ وبَعْضُهُ على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، فقال: يا رسول الله: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سُرُر الذهب وفُرُش الدُّبْيَانِ والحريز؟ فقال ﷺ: «يا عمر، إن أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيائُهُمْ، وهي وشبكة الانقطاع، وإِنَّا أَخْرَجْنَا لَنَا طَيِّبَاتِنَا»<sup>(٢)</sup>. وروى جابر بن عبد الله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتريت لحماً فاشتريته، فقال: أو كُلُّمَا اشتيت اشتريت يا جابر؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>. وروي عن عمر أنه قيل له: لو أمرت أن تصنع لك طعاماً ألين من هذا، فقال: إني سمعت الله عير أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا».

قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تتكبرون عن عبادة الله والإيمان به.

﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّى النَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّهُ لَكَنَّا عَلَيْكَ عَذَابٌ قَوِيمٌ عَظِيمٌ﴾ قالوا: أَجِئْنَا لِنُفَكَّكَ عَنْ أَلَمِنَا فَأَلَمْنَا بِمَا نَعِدُكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَلَمْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَدْتُكُمْ قَوْمًا يَهْلِكُونَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطَرٌّ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ تَذَمَّرَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا بَرَّةَ إِلَّا مَسْكَنَهُمْ كَذَلِكَ تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ﴾ يعني هوداً ﴿إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال الخليل: الأحقاف: الرمال العظام. وقال ابن قتيبة: واحد الأحقاف: حَقْفٌ، وهو من الرَّمْلِ: ما أشرف من كُثْبَانِه واستطال وانحنى. وقال ابن جرير: هو ما استطال من الرَّمْلِ ولم يبلغ أن يكون جَبَلًا. واختلفوا في المكان الذي سُمِّي بهذا الاسم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبل بالشام، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه واد، ذكره عطية. وقال مجاهد: هي أرض. وحكى ابن جرير أنه واد بين عُمان ومَهْرَة. وقال ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عُمان وحَضْرَمَوْت، واليمن كله. والثالث: أن الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشَّحْر، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّى النَّدْرُ﴾ أي: قد مضت الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هود وَمِنْ بَعْدِهِ بإنذار أممها ﴿أَلَّا تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ﴾؛ والمعنى: لم يُبْعَثْ رسولٌ قَبْلَ هود ولا بعده إِلَّا بالأمر بعبادة الله وحده. وهذا كلام اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه. ثم عاد إلى كلام هود فقال: ﴿إِنَّهُ لَكَنَّا عَلَيْكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِنُفَكَّكَ﴾ أي: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالإفك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو يَعْلَمُ متى يأتاكم العذاب. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يوعدون في قوله: «بما نَعِدُكُمْ» ﴿عَارِضًا﴾ أي: سحب يعرض من ناحية السماء. قال ابن قتيبة: العارض: السحاب. قال المفسرون: كان المطر

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وقرأ ابن كثير والداودي عن هشام من طريق النهرواني ورويس بهمزتين محققةً فمسهلة مع عدم الفصل.

(٢) روه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس ؓ وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه في «سننه» بنحوه من حديث ابن عباس أيضاً بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك ؓ بنحوه.

(٣) ذكره بنحوه البخاري والحاظ من رواية جابر بن عبد الله عن عمر بدون سند.

(٤) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هوداً بالأحقاف، قال: والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة. اهـ.

قد حُسِنَ عن عاد، فساق الله إليهم سحابة سوداء، فلما رأوها فرحوا و﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ﴾، فقال لهم هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾، ثم بين ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فنشأت الريح من تلك السحابة، ﴿تُذِيرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: تُهْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّتَ بِهِ من الناس والدواب والأموال. قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الريح تحتل القطعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة، ﴿فَأَسْبَحُوا﴾ يعني عاداً ﴿لَا يَرَى إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ قرا عاصم، وحمزة: ﴿لَا يَرَى﴾ برفع الياء إلا مَسَاكِنَهُمْ برفع النون. وقرأ علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقناة، والجحدري: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مضمومة. وقرأ أبو عمران، وابن السميع: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مفتوحة إلا مَسْكَنَهُمْ على التوحيد. وهذا لأن السُكَّانَ هلكوا، فقبل: أصبحوا. وقد غطتهم الريح بالرَّمْلِ فلا يَرَوْنَ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا وَاتَّصَرَّا وَافْتَدَا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَتَعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا اتَّقَاتِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْعَلُونَ يَكُنَّى اللَّهُ وَحَاقَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَلَّذِينَ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ مَسَلُوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٩﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال ﴿١٧﴾: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ في «إِنْ» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «لَمْ»، فتقديره: فيما لم نمكنكم فيه، قاله <sup>(١)</sup> ابن عباس، وابن قتيبة. وقال الفراء: هي بمنزلة «ما» في الجحد، فتقدير الكلام: في الذي لم نمكنكم فيه. والثاني: أنها زائدة؛ والمعنى: فيما مكناكم فيه، وحكاه ابن قتيبة أيضاً. ثم أخبر أنه جعل لهم آلات الفهم، فلم يتدبروا بها، ولم يتفكروا فيما يدلهم على التوحيد. قال المفسرون: والمراد بالافتدة: القلوب؛ وهذه الآلات لم ترد عنهم عذاب الله <sup>(٢)</sup>. ثم زاد كفار مكة في التخويف، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ كديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من الأمم المهلكة ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: بيناها ﴿لَلَّذِينَ﴾ يعني أهل القرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. وهانها محذوف، تقديره: فما رجعوا عن كفرهم. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ أي: منعه من عذاب الله ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾؟ يعني الأصنام التي تقربوا بعبادتها إلى الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، معناه: لم ينصروهم ﴿بَلْ مَسَلُوا عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني دعاءهم الآلهة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن يعمر، وأبو عمران: «وذلك أفكهم» بفتح الهمزة وقصرها وفتح الفاء وتشديدها ونصب الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو رزين، والشعبي، وأبو العالية، والجحدري: «أفكهم» بفتح الهمزة وقصرها ونصب الكاف والفاء [وتخفيفها]. قال ابن جرير: أي: أضلهم. وقال الزجاج: معناها: صرفهم عن الحق فجعلهم ضللاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: «أفكهم» بفتح الهمزة ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف، أي: مضلهم.

﴿وَرَادَّ صَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَنْقُرُونَنَا إِنْآ سَمِعْنَا كُنْتُمْ أَنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مَوْعِدٍ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَاقِ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١﴾ يَنْقُرُونَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ بِهِ يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُخَرِّجُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي سَلَاقِ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَادَّ صَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ ونسخ الله ﷻ بهذه الآية كفار قريش بما آمنت به الجن. وفي سبب صرفهم إلى النبي ﷺ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم صرفوا إليه بسبب ما حدث من رجهم بالشُّهْب. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد

(١) في الأصل: قال، والصواب من كتب التفسير.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم تعلمكم مثله ولا قريباً منه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وافتدة ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَتَعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا اتَّقَاتِيَهُمْ﴾ من شئ إذ كانوا يجعلون يَكُنَّى الله وَحَاقَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أي: وأحاط بهم العذاب والتكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيسيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة. اهـ.

حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: جِيلٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا هَذَا الْأَمْرُ، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ نَهَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بـ «نَخْلَةٌ»<sup>(١)</sup> وَهُوَ يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي هَالِكٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ، فَهَذَا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الْكُرْشِ﴾ [الجن: ١-٢] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ نَارَ الْكُرْشِ تَجِدُوهَا مِنْ شَيْءٍ فَاصْبِرُوا» [الجن: ١٦].

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن، ولا رآهم، وإنما أتوه وهو بـ «نخلة» فسمعوا القرآن. والثاني: أنهم ضُربوا إليه لِيُنْذِرَهُمْ، وأمر أن يقرأ عليهم القرآن، هذا مذهب جماعة، منهم قتادة. وفي أفراد مسلم من حديث علقمة قال: قلت لعبد الله: من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن؟ فقال: ما كان منّا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة، فقلنا: اغتيل رسول الله ﷺ أو استُطير، فانطلقنا نطلبه في الشُعَابِ، فلقيناه مُقْبِلًا مِنْ نَحْوِ جِرَاءِ، فقلنا: يا رسول الله، أين كنت؟ لقد أشققتنا عليك، وقلنا له: بِشَا اللَّيْلَةِ بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حِينَ فَقَدْنَاكَ، فقال: «إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجَنِّ، فَذَهَبَتْ أَقْرَبُهُمُ الْقُرْآنَ»، فذهب بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجَنِّ، فَأَيْكُمْ يَتَّبِعُنِي؟» فاطرقوا، ثم استتبِعهم فاطرقوا، ثم استتبِعهم الثالثة فاطرقوا، فأتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل نبي الله ﷺ شِعْبًا يُقَالُ لَهُ: «شِعْبُ الْحَجُونِ»، وخطَّ على عبد الله خطًّا لِيُثَبِّتَهُ بِهِ، قال: فسمعت لغطًا شديدًا حتى خِفْتُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا اللَّغَطُ الَّذِي سَمِعْتُ؟ قَالَ: «اجْتَمَعُوا إِلَيَّ فِي قَبِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ، فَقَضَيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنهم مَرُّوا بِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ. فذكر بعض المفسرين أنه لما يش من أهل مكة أن يجيبوه، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام - وقيل: ليلتمس نصرهم - وذلك بعد موت أبي طالب، فلما كان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر، فمرَّ به نفرٌ من أشرف جنِّ نصيبين، فاستمعوا القرآن. فعلى هذا القول والقول الأول، لم يعلم بحضورهم حتى أخبره الله تعالى؛ وعلى القول الثاني، علِمَ بهم حين جاءوا<sup>(٤)</sup>. وفي المكان الذي سمعوا فيه تلاوة النبي ﷺ قولان: أحدهما: الْحَجُونِ، وقد ذكرناه عن ابن مسعود، وبه قال قتادة. والثاني: بطن نخلة، وقد ذكرناه عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وأما النَّفَرُ، فقال ابن قتيبة: يقال: إِنْ النَّفَرُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ. وللمفسرين في عدد هؤلاء النَّفَرِ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن مسعود، وزُرُّ بْنُ حَبِيشٍ، ومجاهد، ورواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: تسعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: اثني عشر ألفًا، روي عن عكرمة، ولا يصح، لأن النَّفَرُ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْكَثِيرِ.

قوله تعالى: «فَلَمَّا حَضَرُوا» أي: حضروا استماعه، و«فَنُصِيَ» يعني: فُرِغَ مِنْ تِلَاوَتِهِ «وَلَوْ أَنَّ قَوْمَهُمْ مُتَذَرِّينَ» أي: محذرين عذاب الله ﷻ لَمْ يَنْ يَوْمِنَا. وهل أنذروا قَوْمَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ، أم جعلهم رسول الله ﷺ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ؟

(١) موضع بين مكة والطائف، وهي التي ينسب إليها، «بطن نخلة» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ووقع في رواية مسلم «بنخل» بلا هاء، والصواب إثباتها. اهـ.

(٢) رواه البخاري ٢/٢١٠، ٨/٥١٣، ومسلم ١/٣٣١، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٦/٢٧٠، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم ١/٣٣٢، ورواية المصنف له عن مسلم بالمعنى. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المستد» رقم (٤١٤٩). وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لعبد بن حميد، والترمذي.

(٤) هذه الرواية مرسله، رواها ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) هذا الخبر من رواية ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن كثير بعد أن سرد كثيراً من الروايات حول هذا الموضوع: فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصداً، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷻ، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، قال: وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود. قال: وأما ابن مسعود، فإنه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، قال: وإنما كان بعيداً منه، ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، قال: هذه طريقة البيهقي، قال: وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود ولا غيره، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم.





قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ﴾ يعني العذاب. قال بعض المفسرين: كان النبي ﷺ ضَجِرَ بعض الضَّجَرِ، وأحب أن ينزل العذاب بمن أبى من قومه، فأمر بالصبر.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّلُ مَا يُدْعَوْنَ﴾ أي: من العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً يَوْمَ نَهَارٍ﴾ لأن ما مضى كأنه لم يكن وإن كان طويلاً. وقيل: لأن مقدار مكثهم في الدنيا قليل في جناب مكثهم في عذاب الآخرة. وهاهنا تم الكلام. ثم قال: ﴿يَلْبَثُ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ عن الله إليكم. وفي معنى وصف القرآن بالبلاغ قولان: أحدهما: أن البلاغ بمعنى التبليغ. والثاني: أن معناه: الكفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفاية وغنى. وذكر ابن جرير وجهاً آخر، وهو أن المعنى: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ذلك بُت بلاغ، أي: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم، ثُمَّ حَذَفْتُ «ذَلِكَ بُت» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِرَ في الكلام عليها. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: ﴿يَلْبَثُ﴾ بكسر اللام وتشديدها وسكون الغين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل، وابن محيصن: «يَهْلِكُ» بفتح الياء وكسر اللام، أي: عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله ﷻ؟! (١).



(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعباده إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به؟! قال: ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. اهـ.

## سورة محمد ﷺ

وفيها قولان: أحدهما: [أنها] مدنية، قاله الأكثرون، منهم مجاهد، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس وقناة أنها مدنية، إلا آية منها نزلت عليه بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَايْنِ يَنْ قَرِيْبَهُ مِنْ أَشَدِّ قُوَّةٍ يَنْ قَرِيْبِكَ﴾ [محمد: ١٣]. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك، والسدي.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظَمِ

﴿الَّذِي كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَحَ أَهْلَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَيْسَتْ آلَاءُهُمْ فَتَرَبَّ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَغْتَسَمُوهُمْ فَتَدُوا الْوَتَاكَ إِنَّمَا مَتَا بَدُوْا وَمَا فِيْهَا حَقٌّ نَّصَحَ الْمَرْبِ أَرْزَأَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ بَشَاةُ اللَّهِ لَانْتَصَرْنَاهُمْ وَلَكِنْ لَبَلَّوْا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَدِّلَ أَهْلَهُمْ ۖ سَيَبْذَرُهُمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيَدْلِيْهِمْ لَحْنَةً عَرَفَهَا لَكُمْ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَفَرُوا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَصَدُوا﴾ الناس عن الإيمان به، وهم مشركو قريش، ﴿أَصْلَحَ أَهْلَهُمْ﴾ أي: أبطلها، ولم يجعل لها ثواباً، فكأنها لم تكن؛ وقد كانوا يُطْعَمُونَ الطَّعام، وَيَصِلُونَ الأَرْحَام، ويتصدقون، ويفعلون ما يعتقدونه قربةً. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني أصحاب محمد رسول الله ﷺ. ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وقرأ ابن مسعود: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والرَّاي وتشديدها. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئي: ﴿أُنْزِلَ﴾ بهمزة مضمومة مكسورة الرَّاي. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والرَّاي وتخفيفها، ﴿كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: غفرها لهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم، قاله قناة، والمبرد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: معناه: الأمرُ ذلك، وجائز أن يكون: ذلك الإِضلال، لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: كذلك يبين أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين كهذا البيان.

قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّ الرِّقَابِ﴾ إغراء، والمعنى: فاقْتُلُوهم، لأن الأغلب في موضع القتل ضربُ العُنُق<sup>(١)</sup> ﴿حَتَّى إِذَا أَغْتَسَمُوهُمْ﴾ أي: أكثرتم فيهم القتل ﴿فَتَدُوا الْوَتَاكَ﴾ يعني في الأسر؛ وإنما يكون الأسر بعد المبالغة في القتل. و﴿الْوَتَاكَ﴾ اسم من الإيقاق؛ تقول: أوثقتُه إيقاقاً ووثاقاً، إذا شددت أسره لئلا يُفْلِتَ ﴿فَإِنَّمَا مَتَا بَدُوْا﴾ قال أبو عبيدة: إما أن تمُتُوا، وإما أن تغادوا، ومثله: سَقِيَا، وَرَغِيَا، وإنما هو سُقِيَتْ وَرُغِيَتْ. وقال الزجاج: إما مَنَّتُمْ عليهم بعد أن تأسروهم مَتَا، وإما أطلقتموهم بِفداء.

### فصل

وهذه الآية محكمة عند عامة العلماء. وممن ذهب إلى أَنَّ حُكْمَ الْمَنْ وَالْفِدَاءَ باقٍ لم يُنسخ: ابنُ عمر، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وأحمد، والشافعي. وذهب قوم إلى نسخ الْمَنْ وَالْفِدَاءَ بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وممن ذهب إلى هذا ابن جريج، والسدي، وأبو حنيفة. وقد أشرنا إلى القولين في [إبراء: ٥].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَصَحَ الْمَرْبِ أَرْزَأَهُمْ﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين. وقال مجاهد: حتى لا

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَيْسَتْ آلَاءُهُمْ فَتَرَبَّ الرِّقَابِ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيف. اهـ.

(٢) في الأصل: «أقتلوا» بدل «فاقتلوا».

يكون دينٌ إلّا دين الإسلام. وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح. وقال الفراء: حتى لا يبقى إلّا مُسْلِمٌ أو مُسَالِمٌ. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: حتى يضع أهل الحرب سلاحهم؛ قال الأعشى:

وَأَغْدَذْتُ لِنَحْرٍ أَوْزَارَهَا: رِمَاحاً طَوَالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً<sup>(١)</sup>

وأصل «الوزر» ما حملته، فسُمي السلاح «أوزاراً» لأنه يُحمل، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشرك وقبائح أعمالهم بأن يُسلموا ولا يعُبدوا إلّا الله، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذُكرنا ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانفَصَرْتُمْ﴾ بإهلاكهم أو تعذيبهم بما شاء ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم بالحرب ﴿لِيَبْلُوَ تَقْوَكُمْ يَتَزَكَّى﴾ فيُثيب المؤمن ويُكرمه بالشهادة، ويُخزي الكافر بالقتل والعذاب.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ قرأ أبو عمرو، وحُفص عن عاصم: «قُتِلُوا» بضم القاف وكسر التاء؛ والباقون: «قاتلوا» بآلف.

قوله تعالى: ﴿سَيَبْرُهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى أرشد الأمور، قاله ابن عباس. والثاني: يحقق لهم الهداية، قاله الحسن. والثالث: إلى مُحاجة منكر ونكير. والرابع: إلى طريق الجنة، حكاهما الماوردي. وفي قوله: ﴿عَرَفْتُمْهُمْ﴾ قولان: أحدهما: عَرَفْتُمْ منازلهم فيها فلا يستدلّون عليها ولا يُخطئونها، هذا قول الجمهور، منهم مجاهد، وقتادة، واختاره الفراء، وأبو عبيدة. والثاني: طيَّبها لهم، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: وهو قول أصحاب اللغة، يقال: طعماً معروفاً، أي: مطيَّب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «عَرَفْتُمْهُمْ» بتخفيف الراء<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتْلُو الْآيَاتِ مَأْتُوا﴾ إن نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ الْفَتْكَ<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَنَّا لَهُمْ وَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ عَنْهُمْ<sup>(٤)</sup> ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَسْئَلَهُمْ<sup>(٥)</sup> أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَسْئَلُهُمْ<sup>(٦)</sup> ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ<sup>(٧)</sup> إِنْ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا رَحِمًا وَالصَّالِحِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ وَالنَّارُ مَوْجِيءٌ لَهُمْ<sup>(٨)</sup> وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ<sup>(٩)</sup> أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمٍ مِنْ زَيْدٍ. كَنْ زَيْدٍ لَمْ سَوْ عَمِلِهِ وَأَتَمُوا أَوَّلَهُمْ<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ﴾ أي: تنصروا دينه ورسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ الْفَتْكَ﴾ عند القتال. وروى المفضل عن عاصم: «وَيُهَيِّئْ» بالتخفيف. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَنَّا لَهُمْ﴾ قال الفراء: المعنى: فاتعنهم الله، والدُّعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي. قال ابن قتيبة: هو من قولك: تَنَسَّتُ، أي: عَنَرْتُ وَسَقَطْتُ. وقال الزجاج: التَّنَسُّسُ في اللغة: الانحطاط والعُثُور. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم [الله: ٣١] ﴿وَالِلْكَافِرِينَ أَسْئَلُهُمْ﴾ أي: أمثال تلك العاقبة. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعله بالمؤمنين من النصر، وبالكافرين من الدمار ﴿يَأْتِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليُّهم. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَأَكُلُوا كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ﴾<sup>(١١)</sup> أي: إن الأنعام تأكل وتشرب، ولا تُدري ما في غد، فكذلك الكفار لا يلتفتون إلى الآخرة. و«المُؤْوَى»: المنزل. ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ مشروح في [المراد بقرية: مكة] وأضاف القوة والإخراج إليها، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمٍ مِنْ زَيْدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله أبو العالية. والثاني: أنه

(١) «ديوانه» ٩٩، و«غريب القرآن» ٤٠٩، و«الطبري» ٢٢٩/١٦، و«الصاحح» و«اللسان» و«التاج»: وزر.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: سيرفتن الله تعالى ذكره للعمل بما يرى ويحبّ هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله ﴿سَيَبْرُهُمْ﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُهَيِّئْ لَهُمْ عَرَفْتُمْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> يقول: ويدخلهم الله جنة عَرَفْتُمْهُمْ ويُنَبِّئُهُمْ لهم، قال: حتى إن الرجل يأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشكّل عليه ذلك. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا ذهبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا».

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ يعني المشركين بالله المكذّبين لرسوله ﷺ ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عاقبهم بتكذيبهم وكرهم.

(٤) وأول الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْثَمُ﴾. (٥) وأول الآية: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

المؤمن، قاله الحسن. وفي «البيئة» قولان: أحدهما: القرآن، قاله ابن زيد. والثاني: الدين، قاله ابن السائب. ﴿كَانَ زَيْنٌ لَمْ سَوْ عَلَيْهِ﴾ يعني عبادة الأوثان، وهو الكافر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عبادتها<sup>(١)</sup>.

﴿نَتْلُ الْجَنَّةَ أَلَيْ رُغِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ فيها أَنْزَرَ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْزَرَ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغْفَرَ طَعْمُهُ وَأَنْزَرَ مِنْ حَمَرٍ لَدَّوْ لِلشَّيْءِ وَأَنْزَرَ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَهَيَّ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفُورَةٌ مِنْ زَيْتٍ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ ﴿٥٥﴾

﴿نَتْلُ الْجَنَّةَ أَلَيْ رُغِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صِفَتُهَا، وقد شرحناه في [الرعد: ٣٥]. و«المتقون» عند المفسرين: الذين يتقون الشرك. و«الآسِن» المتغير الرِّيح، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن قتيبة: هو المتغير الرِّيح والطَّعم، و«الآجِن» نحوه. وقرأ ابن كثير: «غير آسِن» بغير مد. وقد شرحنا قوله ﴿لَدَّوْ لِلشَّيْءِ﴾ في [الصفات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ أي: من عسل ليس فيه عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كَانَ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: أراد: مَنْ كَانَ فِي هَذَا النِّعَمِ، كمن هو خالد في النار؟<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَاءٌ حَمِيمًا﴾ أي: حارًّا شديد الحرارة. و«الأمعاء» جميع ما في البطن من الحوايا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَنُفِثَ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنَاقٌ إِذَا رَخَّخُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ عِزَّىٰ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ ﴿٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ يَذْكُرُهُمْ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: أحدهما: أنه سماع خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة. والثاني: سماع قوله على عموم الأوقات، فاما ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فالمراد بهم: علماء الصحابة.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ عِزَّىٰ﴾ قال الزجاج: أي: ماذا قال الساعة، وهو من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأته، وروضة أنف: لم تُرْعَ، أي: لها أَوَّلٌ يُرْعَى؛ فالمعنى: ماذا قال في أَوَّلِ وقت يَقْرُبُ مِنَّا. وحَدَّثَنَا عن أبي عمر غلام ثعلب أنه قال: معنى «أنفأ» مَذْ سَاعَةٍ. وقرأ ابن كثير، في بعض الروايات عنه: «أنفأ» بالقصر، وهذه قراءة عكرمة، وحמיד، وابن محيصن. قال أبو علي: يجوز أن يكون ابن كثير توهم، مثل حاذِرٍ وحذِرٍ، وفاكِه وفكِه. وفي استفهامهم قولان: أحدهما: لأنهم لم يَقُولُوا ما يقول، ويذُلُّ عليه باقي الآية. والثاني: أنهم قالوه استهزاء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. والثاني: قومٌ من أهل الكتاب كانوا على الإيمان بأبنائهم وبمحمد ﷺ، فلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ آمَنُوا بِهِ، قاله عكرمة. وفي الذي زادهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. والثاني: قول الرسول. والثالث: استهزاء المنافقين زاد المؤمنين هُدًى، ذكرهن الزجاج. وفي معنى الهدى قولان: أحدهما: أنه العِلْم. والثاني: البصيرة. وفي قوله: ﴿وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. والثاني: اتِّقَاءُ الْمُنْسُوخِ وَالْعَمَلُ بِالنَّاسِخِ، قاله عطية. والثالث: أعطاهم التقوى مع الهدى، فاقْتَنُوا مَعْصِيَتَهُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٤)</sup>. و«يَنْظُرُونَ» بمعنى ينتظرون، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الأشهب، وحמיד: «إِنْ تَأْتِيَهُمْ» بكسر الهمزة من غير ياء بعد التاء. والأشراط: العلامات؛ قال أبو عبيدة: الأشراط: الأعلام، وإنما سُمِّيَ الشُّرْطُ - فيما تَرَى - لأنهم أعلموا أنفسهم. قال المفسرون: ظهور النبي ﷺ من

(١) يقول تعالى: ﴿أَمَّا كَافِرٌ لَمْ يَقْنُتْ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جله الله عليه من الفطرة المستقيمة ﴿كَانَ زَيْنٌ لَمْ سَوْ عَلَيْهِ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾؟! أي: ليس هذا كهذا، كقوله تعالى: ﴿أَمَّا يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ الْبَشَرَ إِنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ الْبَشَرَ إِنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ الْبَشَرَ إِنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ فَكَيْفَ يُكَلِّمُ الْبَشَرَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ليس هؤلاء كهؤلاء، وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وسقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حرُّه، ففُطِّعَ ذلك الماء من شدة حرِّه أمعاءهم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: والذين فصلوا الهداية، وقَّعهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبتهم عليها، وزادهم منها ﴿وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم. اهـ.

أشراط الساعة، وانشقاق القمر والدخان وغير ذلك<sup>(١)</sup>. «فَأَنذَرْتُ لَهُمْ» أي: فمن أين لهم «إِنَّا جَاءَهُمْ» الساعة «وَذَكَّرَهُمْ»؟ قال قتادة: أتى لهم أن يذكروا ويتوبوا إذا جاءت! ١

«فَأَنذَرْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْفِتْنَةُ رَأَيْتُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَشْرِقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَرْبًا لَهُمْ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: «فَأَنذَرْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال بعضهم: أثبت على علمك، وقال قوم: المراد بهذا الخطاب غيره؛ وقد شرحنا هذا في فاتحة (الأحزاب). وقيل: إنه كان يصيق صدره بما يقولون، فقيل له: اغلظ أنه لا كاشف لما بك إِلَّا الله. فأتى قوله: «وَاسْتَغْفِرُ لِذَنبِكَ» فإنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة<sup>(٢)</sup>، وأمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم لأنه شفيح مجاب<sup>(٣)</sup>. «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: متقلبكم في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامكم في القبور، قاله عكرمة. والثالث: «متقلبكم» بالنهار ومثواكم» أي: ما أوامكم بالليل، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ» قال المفسرون: سألوا ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله، اشتياقاً منهم إلى الوحي وجرصاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هلا، وكان أبو مالك الأشجعي يقول: «لا» هاهنا صلة، فالمعنى: لو أنزلت سورة، شوقاً منهم إلى الزيادة في العلم، ورغبة في الثواب والأجر بالاستكثار من الفرائض. وفي معنى «مُحْكَمَةٌ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يُذَكَّر فيها القتال، قاله قتادة. والثاني: أنها التي يُذَكَّر فيها الحلال والحرام. والثالث: التي لا منسوخ فيها، حكاهما أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله: «وَذَكَرَ فِيهَا الْفِتْنَةَ» أي: فُرِضَ فيها الجهاد. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: النفاق، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: الشك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ» أي: يَتَخَصَّصُونَ نحوك بأبصارهم ينظرون نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت، لأنهم يكرهون القتال، ويخافون إن قعدوا أن يتبين نفاقهم. «فَأُولَئِكَ لَهُمْ» قال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: «أُولَئِكَ لَكَ» أي: وَلِيكَ وَقَارِئِكَ ما تكزّه. وقال ابن قتبية: هذا وعيد وتهديد، تقول للرجل - إذا أردت به سوءاً، ففَأَتَكَ - أُولَئِكَ لَكَ، ثم ابتداً، فقال: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ...» وقال سيبويه والخليل: المعنى: طاعة وقول معروف أمثل. وقال الفراء: الطاعة معروفة<sup>(٥)</sup> في كلام العرب، إذا قيل لهم: افعلوا كذلك، قالوا: سَمِعُ طَاعَةً، فوصف [الله] قولهم قبل أن تنزل السورة أنهم يقولون: سَمِعُ طَاعَةً، فإذا نزل الأمر كرهوا. وأخبرني حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال الله تعالى: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ»، ثم قال: «لَهُمْ» أي: للذين آمنوا منهم «طَاعَةً»، فصارت «أُولَئِكَ» وعيداً

(١) قال ابن كثير: فبعت رسول الله ﷺ من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، قال: وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت به قبله، قال: ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن سهل بن سعد ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى والي ثلها: «بعت أنا والساعة كهاتين».

(٢) روى مسلم في «صحيحه» عن الأغر بن يسار المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» والمراد بليغان: أن يفتر عن الذكر الذي في شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك ذنباً فاستغفر منه. وروى البخاري في «صحيحه» عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها في النهار موثقاً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موثق بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

(٣) روى أحمد في «مسنده» من حديث شعبة عن حاصم الأحول قال: سمعت عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال ﷺ: «ولك» فقلت (أي شعبة): استغفر لك؟ قال: «نعم ولكم»، وقرأ: «وَاسْتَغْفِرُ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ». قال ابن كثير: ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن حاصم الأحول به.

(٤) والقول الثالث أولى كما قال ابن كثير. (٥) في الأصلين: مرفوعة.

لِمَنْ كَرِهَهَا، واستأنف الطاعة بـ «لهم»؛ والأول عندنا كلام العرب، وهذا غير مردود، يعني حديث أبي صالح. وذكر بعض المفسرين أن الكلام متصل بما قبله، والمعنى: فأؤلى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً بالإجابة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ قال الحسن: جَدُّ الأمر. وقال غيره: جَدُّ رسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، وَلَزِمَ فرض القتال، وصار الأمر معروفاً عليه. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: فإذا عَزَمَ الأمرُ نَكَلُوا؛ يَدُلُّ على المحذوف ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من المعصية والكرامة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ (١١) أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اللَّهُ فَاسْتَعِزَّ وَأَعْتَصَمَ بِمَنْزِلِهِمْ (١٢) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (١٣) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَ لَهُمْ (١٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيمَكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَسَّرُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ (١٥) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَصْرِيخُ وَيُجْهِدُ وَأَذْبَرَهُمْ (١٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (١٧)

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المخاطب بهذا أربعة أقوال: أحدها: المنافقون، وهو الظاهر. والثاني: منافقو اليهود، قاله مقاتل. والثالث: الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني. والرابع: قريش، حكاه جماعة منهم الماوردي. وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإعراض. فالمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن تعودوا إلى الجاهلية يقتل بعضكم بعضاً، ويغير بعضكم على بعض، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه من الولاية لأمر الناس، قاله القرظي. فعلى هذا يكون معنى «أن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ»: بالجور والظلم. وقرأ يعقوب: «وتَقَطَّعُوا» بفتح التاء والطاء وتخفيفها وسكون القاف (١). ثم دَمَّ من يريد ذلك بالآية التي بعد هذه. وما بعد هذا قد سبق [النساء: ٨٢] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ «أم» بمعنى «بل»، وذكر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى. [قال مجاهد]: الزان أيسر من الطنوع، والطنوع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله. وقال خالد بن معدان: ما مِنْ آدمي إِلَّا وله أربع أعين، عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ لِذُنْيَاهُ وَمَا يُضْلِحُهُ مِنْ مَعِيشَتِهِ، وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ لِذُنْيِهِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ، فإذا أراد الله بعد خيراً أبصر عَيْنَاهُ اللتان في قلبه، وإذا أراد به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي: رجعوا كُفَّاراً؛ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة، ومقاتل. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى﴾ أي: مِنْ بَعْدِ مَا وَضَحَ لَهُمُ الْحَقَّ. ومن قال: هم اليهود، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ وَصَفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ونعته في كتابهم. ومعنى زَيْنَ، ﴿وَأَمْلَ لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وزيد عن يعقوب: «وَأَمْلِي لَهُمْ» بضم الهمزة وكسر اللام وبعدها ياء مفتوحة. وقرأ يعقوب إلا زيدا، وأبان عن عاصم كذلك، إلا أنهم أسكنوا الياء. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام. وقد سبق معنى الإملاء [آل عمران: ١٧٨، الأعراف: ١٨٣].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: ذلك الإضلال بقولهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وفي الكاهن قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، فعلى هذا في معنى قوله: ﴿سَنَطِيمَكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ﴾ ثلاثة

(١) أي: وتقطعوا الأرحام. قال ابن كثير: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأعمال وبذل الأموال، قال: وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة. أهـ. روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يسقط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه». وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «للرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «ارزوا لي شتم» ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْصَامَكُمْ﴾ (١١) أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اللَّهُ فَاسْتَعِزَّ وَأَعْتَصَمَ بِمَنْزِلِهِمْ (١٢) ﴿﴾

(٢) رواء الطبري ٥٧/٢٦ وفي سند ضعيف.

أقول: أحدهما: في الشُّعُود عن نُصْرَةِ محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: في المَيْل إليكم والمظاهرة على محمد ﷺ. والثالث: في الارتداد بعد الإيمان، حكاهما الماوردي. والثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه قولان: أحدهما: في أن لا يصدّقوا شيئاً من مقالة رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثاني: في كُتْم ما علموه من بُيُوتِهِ، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِسْرَارَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، والوليد عن يعقوب: بكسر الألف على أنه مصدر أسررتُ؛ وقرأ الباقون: بفتحها على أنه جمع سرٌّ، والمعنى أنه يعلّم ما بين اليهود والمنافقين من السرِّ. قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ؟﴾ أي: فكيف يكون حالهم حينئذٍ؟ وقد بيّنا في [الأنفال: ٥٠] معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَصَكِّرُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: كَرِّهُوا ما فيه الرِّضْوَان، وهو الإيمان والطاعة.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ﴾ (٣١) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لَمَسَّهُمْ فَلَمَرَهُمْ بِسَمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٢) وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَيَتْلُوَ لَكُمْ آيَاتِهِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرُّسُلَ مِنْ بَدَا مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْمُنْكَرَ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ (٣٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمِمْوَا اللَّهُ وَلِمِمْوَا الرُّسُلَ لَا تَقِيلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاؤُوا وَهُمْ كَفَارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: نفاق ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ﴾ قال الفراء: أي لن يُبَيِّدِ الله عداوتهم ويُغْضِبهم لمحمد ﷺ. وقال الزجاج: أي: لن يُبَيِّدِ عداوتهم لرسوله ﷺ ويُظهِرُهُ على نفاقهم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لَمَسَّهُمْ﴾ أي: لعرفناكم، تقول: قد أريتكَ هذا الأمر، أي: قد عرفتُك إياه، المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السيماء ﴿فَلَمَرَفَنَّهُمْ بِسَمِهِمْ﴾ أي: بتلك العلامة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فحوى القول، فدلّ بهذا على أن قول القائل وفعله يدلّ على نيّته. وقول الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أخذ في ناحية عن الصواب، وَعَدَلُ عن الصواب إليها، وقول الشاعر:

مَنْ طَلَّقَ صَائِبٌ وَلَحَنَ أَخِي

نَأَى، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَخْنًا<sup>(٣)</sup>

تأويله: خير الحديث من مثله هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعرَفُ قولها في أنحاء قولها. قال المفسرون: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في فحوى الكلام ومعناه ومقصدّه، فإنهم يتعرّضون بتهجين أمرك والاستهزاء بالمسلمين. قال ابن جرير: ثم عرّفه الله إياهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: وَلَيَعْمَلَنَّكُمْ معاملة المُخْتَبِرِ بأن نأمرهم بالجهاد ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء؛ وقد شرحنا هذا في [المكيت: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوَ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: نُظهِرُهَا ونُكْشِفُهَا بإياه من يأبى القتال ولا يَضْرِبُ على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بإياه «حتى يعلّم» بإياه «ويُتْلُو» بإياه فيهن. وقرأ معاذ القارئ، وأيوب السخيتاني: «أخياركم» بإياه جمع «خير»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الآية<sup>(٥)</sup>] اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في المُطْغَمِينَ

(١) قال ابن كثير: أي: ما لؤوم وتاصحروهم في الباطن على الباطل، قال: وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطون، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِسْرَارَكُمْ﴾ أي: ما سرُّون وما يخفون، والله مطلع عليه وعالم به، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَشْقَانَهُمْ﴾؟ أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويبيّنه حتى يفهمهم ذرؤ البصائر، قال: وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة (براءة) فيبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، قال: ولهذا كانت تسمى «الفاضحة»، قال: والأصناف جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره. اهـ.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وهو في «البيان والبيان» ١/١٤٧، و«الأمالي» ٥/١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لحن. قال في «اللسان»: تأويله: وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعرَفُ أمرها في أنحاء قولها.

(٤) قال في «اللسان»: ورجلٌ خَيْرٌ وخَيْرٌ، مشدّد ومخفف، وامرأة خَيْرَةٌ وخَيْرَةٌ، والجمع أخيارٌ وخِيَارٌ.

(٥) وتامها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرُّسُلَ مِنْ بَدَا مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْمُنْكَرَ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ﴾.



يوم بدر، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الحارث بن سويد، ووجوح الأنصاري، أسلما ثم ارتدّا، فتاب الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ، وأبى صاحبه أن يرجع حتى مات، قاله السدي. والثالث: أنها في اليهود، قاله مقاتل. والرابع: أنها في قريظة [والنضير]، ذكره الواحدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا في مَبِيلُهَا على أربعة أقوال: أحدها: المعاصي والكبائر، قاله الحسن. والثاني: الشك والتفاق، قاله عطاء. والثالث: الرياء والسُّمعة، قاله ابن السائب. والرابع: بالَمَنْ<sup>(٤)</sup>، وذلك أن قوماً من الأعراب قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَسْمُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]، هذا قول مقاتل<sup>(٥)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدلُّ على أن كُلَّ مَنْ دخل في قُرْبَةِ لم يُجْزَ له الخروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحج، فأما في الصلاة والصيام، فهو على سبيل الاستحباب<sup>(٦)</sup>.

﴿فَكَ تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَةِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكُزَ أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّمَا لِلْيَوْمِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ تَوَيْتُوا وَتَنَفَّوْا يَرْكُزُ لِمُرُومِكُمْ وَلَا يَسْطَلُكُمْ أَمْرُكُمْ<sup>(٨)</sup> إِنْ يَسْطَلْكُمَا يَخُونَكُم تَبَخَّلُوا وَخَسِرَ أَصْفَانُكُمْ<sup>(٩)</sup> هَاسَتْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِيُغْفَرُوا لِي سَبِيلَ اللَّهِ فَيَسْخَرَكُم مِّنْ يَّسْخَرُ وَإِنَّمَا يَسْخَرُ عَنِ تَقْوِيهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَكَ تَهْتُوا﴾ أي: فلا تَضَعُوهَا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَةِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى السُّلَم» بفتح السين؛ وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر السين، والمعنى: لا تَدْعُوا الكفار إلى الصلح ابتداء. وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز طلب الصلح من المشركين، ودلالة على أن النبي ﷺ لم يدخل مكة صلحاً، لأنه نهاه عن الصلح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾ أي: أنتم أَعَزُّ مِنْهُمْ، وَالْحُجَّةُ لَكُمْ، وَأَجْرُ الْأَمْرِ لَكُمْ وَإِنْ غَلَبَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَوَاقِ<sup>(١١)</sup> ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالْعَزْوَ وَالنُّصْرَةِ ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لن يَنْقُصَكُمْ ولن يَظْلِمَكُمْ، يقال: وَرَزَنِي حَقِّي، أي: بَحْثَنِي. قال المفسرون: المعنى: لن يَنْقُصَكُمْ من ثواب أعمالكم شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْطَلُكُمْ أَمْرُكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> أي: لن يَسْأَلَكُمْ مَوْلَاهَا.

قوله تعالى: ﴿يَخُونَكُم﴾ قال الفراء: يُجْهِدُكُمْ. وقال ابن قتيبة: يُلْحِقُ عَلَيْكُمْ بما يوجب في أموالكم ﴿تَبَخَّلُوا﴾، [يقال: أخفاني بالمسألة والخف: إذا ألح]. وقال السدي: إن يسألكم جميع ما في أيديكم تبخلوا. ﴿وَخَسِرَ أَصْفَانُكُمْ﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن عمر: «وَيُخْرِجُ» بياء مرفوعة وفتح الراء «أَصْفَانُكُمْ» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وعكرمة، وابن السميع، وابن محيصن، والجحدري: «وَتُخْرِجُ» بشاء مفتوحة ورفع الراء،

(١) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عمن كفر وصعد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه، ويخسرهما يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه برده متقال بعوضة من خير، بل يحبط ويمحطه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات. اهـ.

(٣) والآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ فَضْلِي الْإِسْلَامَ وَلَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾.

(٤) قال الشوكاني في «فتح القدير»: والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كانت ما كان من غير تخصيص بنوع معين. اهـ.

(٥) ذكره البغوي عن مقاتل بدون سند.

(٦) روى أحمد والبيهقي بسند جيد عن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ شرب شراباً، فناولها لتشرب، فقالت: إني كنت صائمة، ولكني كرهت أن أورد سؤرك، فقال: «إن كان قضاء من رمضان، فاقضي يوماً مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضي، وإن شئت فلا تقضي».

(٧) قال ابن كثير: أي: لا تضعفوا من الأعداء ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَةِ﴾ أي: إلى المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعُدَّتكم، قال: ولهذا قال: ﴿فَكَ تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَةِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾ أي: في حال علوكم على عدوكم، قال: فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جمع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفار قريش عن مكة ودَعَوْهُ إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك. اهـ.

(٨) والآية بتمامها: ﴿إِنَّمَا لِلْيَوْمِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ تَوَيْتُوا وَتَنَفَّوْا يَرْكُزُ لِمُرُومِكُمْ وَلَا يَسْطَلُكُمْ أَمْرُكُمْ﴾.

«أضغانكم» بالرفع. وقرأ ابن مسعود، والوليد عن يعقوب: «وُنُخِرْ» بنون مرفوعة وكسر الراء، «أضغانكم» بنصب النون، أي: يُظهر بُغْضَكُمْ وعداوتكم لله ولرسوله ﷺ، ولكنه فرض عليكم يسيراً. وفيمن يضاف إليه هذا الإخراج وجهان: أحدهما: إلى الله ﷻ. والثاني: البخل، حكاهما الفراء. وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، وليس بصحيح، لأنّا قد بينّا أن معنى الآية: إن يسألكم جميع أموالكم؛ والزكاة لا تنافي ذلك.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ هَذِهِ نَدْوَى لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني ما فرض عليكم في أموالكم ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: على نفسه بما ينفعها في الآخرة ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وَأَنْتُمْ أَلْفَقَرَاءُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطوع له منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَشْتَكْرُ﴾ بل خيراً منكم. وفي هؤلاء القوم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم العجم، قاله الحسن. وفيه حديث يرويه أبو هريرة قال: لما نزلت ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا<sup>(١)</sup>: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين إذا تولّينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ [يدَه] على منكب سلمان، فقال: «هذا وقومُه، والذي نفسي بيده، لو أن الدّين معلقٌ بالشّريا لتناولوه رجال من فارس»<sup>(٢)</sup>. والثاني: فارس والروم، قاله عكرمة. والثالث: من يشاء من جميع الناس، قاله مجاهد. والرابع: يأتي بخلق جديد غيركم، وهو معنى قول قتادة. والخامس: كندة والنخع، قاله ابن السائب. والسادس: أهل اليمن، قاله راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير، وشريح بن عبيد. والسابع: الأنصار. قاله مقاتل. والثامن: أنهم الملائكة، حكاها الزجاج وقال: فيه بُعْدٌ [لأنه] لا يقال للملائكة «قَوْمٌ»، إنما يقال ذلك للآدميين؛ قال: وقد قيل: إن تولّى أهلُ مكّة استبدل الله بهم أهلَ المدينة، وهذا [معنى] ما ذكرنا عن مقاتل<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: فقال.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٦٦/٢٦، وفي سننه مسلم بن خالد المخزومي المعروف بالزنجي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ففيه صدوق كثير الأوهام، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم، والله أعلم. ورواه الترمذي في «سننه» ١٥٨/٢، وفي سننه جعفر بن عبد الله بن نجيع، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٦٧/٦، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥٢: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره. ورواه البخاري في «صحيحه» ٤٩٢/٨، ومسلم ١٩٧٢/٤ بسبب نزول سورة (الجمعة)، ولفظه عند مسلم: عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة (الجمعة) فلما قرأ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفيما سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لثله رجال من هؤلاء» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قال: ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين (بريد آية سورة «الجمعة» وآية سورة «محمد»). اهـ. والحديث رواه مسلم في «صحيحه» دون سبب النزول عن أبي هريرة بلفظ: «لو كان الدّين عند الثريا للعب به رجل من فارس» (أو قال: من أبناء فارس) حتى يتناولوه. ورواه أحمد في «المسنند» عن أبي هريرة بلفظ: «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناولوه ناس من أولاد فارس» وفي سننه شهر بن حوشب، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام كما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تتولّوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ فزتوا رجعين عنه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، يقول: يهلككم، ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم، يصدّقون به، ويعملون بشرائعه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَشْتَكْرُ﴾، يقول: ثم لا يخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيّعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كلّ على ما يؤمرون به. اهـ.

## سورة الفتح

وهي مدنيّة كُلُّهَا بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ وَبِعْدَ ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُ بِيَمِينِهِ فِيمَتَّمَ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ سَبِيلًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾...﴾ [الآية] سبب نزولها أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَا آتَيْنِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ [الاحقاف: ١٩] قال اليهود: كيف نُسَبِّع رجلاً لا يدري ما يفعله به؟ فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواء عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالفتح أربعة أقول: أحدها: أنه كان يوم الحديبية، قاله الأكثرون. قال البراء بن عازب: نحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان<sup>(٢)</sup>. وقال الشعبي: وهو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام. قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهدي بالحديبية وخلق رأسه. وقال ابن قتيبة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ أي: قضينا لك قضاء عظيمًا، ويقال للقاضي: الفتح. قال الفراء: والفتح قد يكون صلحًا، ويكون أخذ الشيء عنوةً، ويكون بالقتال. وقال غيره: معنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق، والصلح الذي يجعل مع المشركين بالحديبية كان مسدودًا متعذرًا حتى فتحه الله تعالى.

### الإشارة إلى قصة الحديبية<sup>(٣)</sup>

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى في النوم كأنه قائلاً يقول [له]: لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين، فأصبح فحدث الناس برويائه، وأمرهم بالخروج للعمرة<sup>(٤)</sup>؛ فذكر أهل العلم بالسيرة أنه خرج واستنفر أصحابه للعمرة،

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٧ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٤٠/٧ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان» يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ المراد بالفتح هنا: الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتّب على الصلح الذي وقع منه الأمن ووقع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وغيرهما، ثم تبعته الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح. ثم قال: وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَأَكْبَرْتَهُمْ فَتَحْنَا قُرَيْشًا﴾ فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح، لأنها هي التي وقعت فيها المغنمات الكثيرة للمسلمين، قال: وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾... الآية، فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إنه الفتح»، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية، قال: وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: صلح الحديبية، وغفر له ما تقدم وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله. قال: وأما قوله تعالى: ﴿تَمَكَّنَ مِنْ ذِيكَ فَتَحْنَا قُرَيْشًا﴾ فالمراد بالحديبية. وأما قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٢﴾﴾ وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد به فتح مكة باتفاق، قال: فيها ما يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال بمون الله تعالى. اهـ.

(٣) الحُدَيْبِيَّةُ: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت بئر عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، أو بشجرة حذباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

(٤) قال الواحدي: قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك =

وذلك في سنة ست، ولم يخرج بسلام إلا السيوف في القُرب. وساق هو وأصحابه البُذَن، فصلَّى الظهر بـ «ذي الحليفة»، ثم دعا بالبُذَن فجلَّت، ثم أشعرها وقلَّدها، وفعل ذلك أصحابه، وأحرم ولَّي، فبلغ المشركين خروجُه، فأجمع رأيهم على صدِّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتى عسكروا بـ «بَلَدَح»<sup>(١)</sup>، وقدّموا مائتي فارس إلى كُراع الغميم، وسار رسولُ الله ﷺ حتى دنا من الحديبية؛ قال الزجاج: وهي بئر، فسَمِّي المكان باسم البئر؛ قالوا: وبينها وبين مكة تسعة أميال، فوقفت يدًا راحلته، فقال المسلمون: حَلَّ حَلَّ<sup>(٢)</sup> يَزْجُرُونَهَا، فَأَبَتْ، فقالوا: خَلَّاتِ الْقَضَاءُ<sup>(٣)</sup> - وَالْخَلَاءُ فِي النَّاقَةِ مِثْلُ الْجِرَانِ فِي الْفَرَسِ - فقال: «مَا خَلَّاتُ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً فِيهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثم جرَّها فقامت، فولَّى راجعاً عَوْدَهُ عَلَى بُذْنِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى تَمَدٍّ مِنْ أُنْمَادِ الْحَدِيبَةِ قَلِيلِ الْمَاءِ<sup>(٤)</sup>، فانتزع سهماً من كنانته فغرزَه فيها، فجاشت لهم بالرَّوَاء<sup>(٥)</sup>، وجاءه بُذَيْلُ بْنُ رِقَاءٍ فِي رَكْبٍ فَسَلَّمُوا وَقَالُوا: جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمِكَ وَقَدْ اسْتَفْتَوْا لَكَ الْأَحْيَائِشَ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، يُقْسِمُونَ، لَا يَخْلُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتَّى تُبَيِّدَ خَضِرَاءَهُمْ<sup>(٦)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ أَحَدٍ إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلُنَا»، فَرَجَعَ [بِدَيْلٍ] فَأَخْبَرَ قَرِيشاً، فَبِعَثُوا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَكَلَّمَهُ بِنَحْوِ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَ قَرِيشاً، فَقَالُوا: نَرُدُّهُ مِنْ عَامِنَا هَذَا، وَيَرْجِعُ مِنْ قَابِلٍ فَيَدْخُلُ مَكَةَ وَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى قَرِيشٍ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ أَحَدٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا زُؤَاراً لِهَذَا الْبَيْتِ»، مَعَنَا الْهَدْيُ نَحْنُ وَنَنْصَرِفُ، فَأَتَانَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالُوا: لَا كَانَ هَذَا أَبَداً، وَلَا يَدْخُلُهَا الْعَامَ، وَيَلْغُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عِثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِرَهُمْ»، فَذَلِكَ حِينَ دَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَبَايَعَهُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ<sup>(٧)</sup>. وَفِي عِدَّتِهِمْ يَوْمُئِذٍ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ، قَالَه الْبَرَاءُ، وَسَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَجَابِرٌ، وَمَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ. وَالثَّانِي: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ، رَوَى عَنْ جَابِرٍ أَيْضاً، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ. وَالثَّلَاثُ: أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسَ وَعِشْرُونَ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالرَّابِعُ: أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٍ، قَالَه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: وَضَرَبَ يَوْمُئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ عَلَى يَمِينِهِ لِعِثْمَانَ، وَقَالَ: إِنَّهُ ذَهَبَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَتْ الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُمْ، فَأَجْمَعُوا عَلَى الصُّلْحِ، فَبِعَثُوا سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو فِي عِدَّةِ رِجَالٍ، فَصَالَحَهُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي [بِرَاءة: ٧]، فَأَقَامَ بِالْحَدِيبَةِ بَضْعَةَ عَشْرِ يَوْمًا، وَيُقَالُ: عَشْرِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ بِـ «ضَبَّحَانَ»<sup>(٨)</sup> نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّا مَتَنَّا لَكَ فَمَا تُبَيِّنَا﴾، فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَهَيْئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَةَ، رَوَاهُ مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ، وَبِهِ قَالَ السُّدِّيُّ. وَقَالَ بَعْضُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا: إِنَّمَا وُعِدَ بِفَتْحِ مَكَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ فَتَحَ خَيْبَرَ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَالْعَوْفِيُّ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ كَالْقَوْلَيْنِ. وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الْقَضَاءُ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، قَالَه مِقَاتِلٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: حَكَّمْنَا لَكَ بِإِظْهَارِ دِينِكَ وَالثُّبُورَةِ عَلَى عَدُوِّكَ.

= أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوها مكة، فقال المنافقون: والله ما حلقنا، ولا قَصَرْنَا، وَلَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. اهـ.

- (١) قَالَ فِي «مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ»: «بَلَدَح»: آخَرُ حَاءٍ مَهْمَلَةٍ وَالْدَالُ قَبْلَهُ: وَادٍ قَبْلَ مَكَةَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ.
- (٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»: حَلَّ حَلَّ، بِفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الدَّالِّ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلثَّاقَةِ إِذَا تَرَكْتَ الشَّيْءَ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنْ قُلْتَ: «حَلَّ» وَاحِدَةً، فَالسُّكُونُ، وَإِنْ أَعْدَدْتَهَا، نَوَّتْ فِي الْأَوَّلَى، وَسَكَنْتْ فِي الثَّانِيَةِ. قَالَ: حَكَى غَيْرُهُ السُّكُونُ فِيهِمَا وَالتَّنْوِينَ، كَنظِيرِهِ فِي: «بَيْعِ بَيْحٍ» يُقَالُ: خَلَّحْتُ فَلَانًا: إِذَا أَرَضَيْتَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ. اهـ.
- (٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: الْقَضَاءُ، بِفَتْحِ الْقَافِ بَعْدَهَا مَهْمَلَةٌ وَمَدٌّ: اسْمُ نَاقَةٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَزَعَمَ الدَّوْدِيُّ أَنَّهَا كَانَتْ لَا تَسْبِقُ، فَقِيلَ لَهَا: الْقَضَاءُ، لِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنَ السَّبْقِ أَقْصَاءً.
- (٤) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»: التَّمَدُّ: حَفِيرَةٌ فِيهَا مَاءٌ مَشْمُودٌ، أَيْ قَلِيلٌ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: قَلِيلُ الْمَاءِ، تَأْكِيدٌ لِدَفْعِ تَوْهَمِ أَنْ يَرَادَ لُغَةً مِنْ يَقُولُ: إِنَّ التَّمَدُّ: الْمَاءَ الْكَثِيرَ. قَالَ: وَقِيلَ: التَّمَدُّ: مَا يَظْهَرُ مِنَ الْمَاءِ فِي الشِّتَاءِ وَيَذْهَبُ فِي الصَّيْفِ.
- (٥) قَالَ فِي «اللِّسَانِ»: وَمَاءٌ رَوَاءُ، مَمْدُودٌ مَفْتُوحُ الرَّاءِ، أَيْ: غَدَبٌ.
- (٦) قَالَ فِي «اللِّسَانِ»: وَقَوْلُهُمْ: أَبَادَ اللَّهُ خَضِرَاءَهُمْ، أَيْ سَوَادَهُمْ وَمُنَظَّمَهُمْ.
- (٧) حَدِيثُ قِصَّةِ الْحَدِيبَةِ، ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ، وَهُوَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» وَأَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَغَيْرِهِمْ مُخْتَصَرًا وَمَطْوًلًا، بِالْفَظِّ مُخْتَلَفَةً، وَانْظُرْ «صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ» ٥/٢٤١، وَ٧/٣٤٨، وَ«الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» لِابْنِ كَثِيرٍ ٤/١٧٣، وَ«الدَّرَ الْمُتَوَرِّ» ٦/٧٦، وَ«تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ» ٤/١٩٤.
- (٨) قَالَ فِي «مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ»: ضَبَّحَانَ: جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ نَهْمَةٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ قال ثعلب: اللام لام «كي»، والمعنى: لكي يجتمع لك [مع] المغفرة تمام النعمة في الفتح، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث، حسن معنى «كي»، وغلط من قال: ليس الفتح سبب المغفرة.

قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال ابن عباس: والمعنى: «ما تقدم» في الجاهلية، و«ما تأخر» ما لم تعلمه، وهذا على سبيل التأكيد، كما تقول: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤَيِّدُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن ذلك في الجنة. والثاني: أنه بالنبوة والمغفرة، روى ابن عباس. والثالث: بفتح مكة والطائف وخيبر، حكاه الماوردي. والرابع: بإظهار دينك على سائر الأديان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: وثبتك عليه؛ وقيل: ويهدي بك، ﴿وَصَرَفَكَ اللَّهُ﴾ على عدوك ﴿نَصْرًا عَزِيمًا﴾ قال الزجاج: أي: نصراً ذا عزم لا يقع معه ذل<sup>(١)</sup>.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِبْنِهِمْ وَوَلَّهُ جُنُودَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> يُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جُنُودَ قَمَرِيٍّ مِنْ نَحْبِهِ الْأَنْهَارِ خَلِيدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا<sup>(٣)</sup> وَيُصَدِّقُ الْتَائِبِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِينَ الْأَقْلَابِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْوَقْتُ عَلَيْهِمْ دَاهِيَةُ السَّوَةِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا<sup>(٤)</sup> وَوَلَّهُ جُنُودَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا<sup>(٥)</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا<sup>(٦)</sup> لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُغْفِرَ لَهُ دُورَهُ وَتُؤْمِنُوا بِكُفْرِهِ وَأَمِيلًا<sup>(٧)</sup> إِنَّ الَّذِي يَبَايِعُوكَ إِنَّمَا يَبَايِعُوكَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَوْفِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي: السكون والطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلا تنزعج قلوبهم لما يرد عليهم، فسلموا لقضاء الله، وكانوا قد اشتد عليهم صدُّ المشركين لهم عن البيت، حتى قال عمر: علام نعطى الذينة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيئني»<sup>(٩)</sup>، ثم أوقف الله الرضى بما جرى في قلوب المسلمين، فسلموا وأطاعوا. ﴿لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا﴾ وذلك أنه كلما نزلت فريضة زاد إيمانهم. ﴿وَوَلَّهُ جُنُودَ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ يريد أن جميع أهل السموات والأرض ملوك له، لو أراد نصرة نبيه بغيركم لفعل، ولكنه اختاركم لذلك، فاشكروه.

قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الآية] سبب نزولها أنه لما نزل قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: هنيئاً لك يا رسول الله بما أعطاك الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك<sup>(١٠)</sup>. قال مقاتل: فلما سمع عبد الله بن أبي بذر، انطلق في نفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزلت: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ...﴾ الآية. قال ابن جرير: كُفِّرَتْ اللَّامُ فِي «لِيُدْخِلَ» عَلَى اللَّامِ فِي «لِيُغْفِرَ»، فالمعنى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ، ولذلك لم يُدْخِلَ بينهما واو العطف، والمعنى: لِيُدْخِلَ وَلِيُعَذِّبَ.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال كثيرة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة، قال: ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشد تعظيماً ولأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة: «حبسها حابس الفيل» ثم قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمت الله إلا أجبتهم إليها» قال: فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup> لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُؤَيِّدُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكَ أَي: في الدنيا والآخرة ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي بما يشرع لك من الشرع العظيم والدين القويم ﴿وَنَصَرَكَ اللَّهُ تَمَرًا عَزِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> أي بسبب خضوعك لأمر الله ﷻ يرفعك الله وينصرك على أعدائك، كما جاء في الحديث الصحيح: «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله ﷻ إلا رفعه الله تعالى». اهـ.

(٢) روى أحمد في «المستد» بهذا اللفظ، ورواه البخاري، وأبو داود، والسنائي، وابن جرير بمعناه.

(٣) روى أحمد في «المستد»، والبخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أنس بن مالك ﷺ، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٠/٦، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، وأبي نعيم في «المعركة» عن أنس بن مالك ﷺ.

قوله تعالى: ﴿طَلَبْتُمْ دَابَّةَ السَّيِّئَةِ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم السين؛ والباقون: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حكم لهم بالفوز، فلذلك وعدهم إدخال الجنة.

قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقِينَ يَلْعَنُ اللَّهُ عَذَابُ النَّارِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله شريكاً. والثاني: أن الله لا ينصّر محمداً وأصحابه. والثالث: أنهم ظنوا به حين خرج إلى الحديدية أنه سيقتل أو يهزم ولا يعود ظافراً. والرابع: أنهم ظنوا أنهم ورسول الله ﷺ بمزلة واحدة عند الله. والخامس: ظنوا أن الله لا يعث الموتى. وقد بينا معنى «دائرة السوء» في [براهة: ٩٨]. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الفتح: ٤، الأحزاب: ٤٥] إلى قوله: ﴿لَتَنُصِّرُنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَيُؤْمِنُوا» بالياء «وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ» كلهن بالياء؛ والباقون؛ بالتاء؛ على معنى: قل لهم: إنا أرسلناك، لتؤمنوا. وقرأ علي بن أبي طالب: وابن السميعف: «وَيُعَزِّرُوهُ» بزاءين. وقد ذكرنا في [الأعراف: ١٥٧] معنى «وَيُعَزِّرُوهُ» عند قوله: ﴿وَعَزَّزْنَاهُ وَنَصَرْنَاهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِّرُهُ﴾ أي: يعظموه ويبجلوه. واختار كثير من القراء الوقف هاهنا، لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده.

قوله تعالى: ﴿وَسُبُّوا﴾ هذه الهاء ترجع إلى الله ﷻ<sup>(٢)</sup>. والمراد بتسييحه هاهنا: الصلاة له. قال المفسرون: والمراد بصلاة البكرة: الفجر، وبصلاة الأصيل: باقي الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَفْرَحُونَ﴾ يعني تبعة الرضوان بالحديبية. وعلى ماذا بايعوه؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم بايعوه على الموت، قاله عبادة بن الصامت. والثاني: على أن لا يفروا، قاله جابر بن عبد الله. ومعناها متقارب، لأنه أراد: على أن لا تغفروا ولو مثم. وسميت تبعة، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ، فكانهم بايعوا الله ﷻ، لأنه ضمن لهم الجنة بوفائهم. ﴿يُدْأَنُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يد الله في الوفاء فوق أيديهم. والثاني: يد الله في الثواب فوق أيديهم. والثالث: يد الله عليهم في المنة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة، ذكر هذه الأقوال الزجاج. والرابع: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، ذكره ابن جرير، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي: نقض ما عقده من هذه البيعة ﴿فَلَا يَمُكُّكُمْ عَلَى نَقِيصِهِ﴾ أي: يَرْجِعُ ذلك النَقْضُ عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ <sup>(٣)</sup> من البيعة ﴿فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبان عن عاصم: ﴿فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ﴾ بالنون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بالياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة. قال ابن السائب: فلم ينكث العهد منهم غير رجل واحد يقال له: الجذ بن قيس، وكان منافقاً <sup>(٤)</sup>.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَعْلَوْنَا فَنَشْتَفِدُ لَكَ بِقَوْلِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَعْنْتُمْ أَنْ لَنْ يَغْلِبَ الرِّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا بِأَمْرِهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ عَلَى الشَّرِّ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِرْ بِالْقَوِّ وَرَسُولِهِ فَلَا أَصْحَابًا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن إسحاق: لما أراد العمرة استنفر من حَوْل المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، خوفاً من قومه أن يَغْرَضُوا له بحرب أو بصدٍّ، فتشاكل عنه كثير منهم، فهم الذين

(١) هذه الفقرة من الآية الكريمة تنمى لقوله تعالى: ﴿الْقُلُوبُ بِأَقْصَىٰ عِلْمٍ عَلَى السَّوَاءِ﴾ الذي سيأتي بعد قليل، وكان حق المؤلف أن يذكرها في محلها، ولعله ذكرها هنا ليكمل عن الخلاف في قراءتها فقط، لأنه لم ير أن يفسرها في محلها حيث قال: وقد بينا معنى «كِبَرُ السَّوَاءِ» في (براهين).

(٢) وذكر ابن جرير عن قتادة أن في بعض القراءات: «ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً».

(٣) قال الألوسي في «روح المعاني»: قرأ الجمهور «عليه» بكسر الهاء كما هو الشائع، وضمها حفص هنا. ثم قال: وحسن الضم في الآية، للتوصل به إلى تخفيف لفظ الجلالة الملائم لتخفيف أمر العهد المشعر به الكلام. اهـ.

(2) ونقل الزمخشري في «الكشاف» نحوه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، والذي في «صحيح مسلم» ١٤٨٣/٣ عن جابر: فبايعناه، غير جد بن قيس اختياً تحت بطن بعيره. ولأبي يعلى: بايعناه كلنا إلا الجد بن قيس، فإنه اختياً تحت بطن بعيره، فهذا ليس فيه أنه بايع ونكث، بل فيه أنه لم يبايع أصلاً.

عن الله بقوله: ﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، قال أبو صالح [عن ابن عباس]: وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والدليل وأسلم. قال يونس النحوي: الدليل في عبد القيس ساكن الياض. والدُول من حنيفة ساكن الواد، والدليل في كنانة رهط أبي الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup>. فأما المخلفون، فإنهم تخلّفوا مخافة القتل. ﴿سَقَلْنَا أَمْرًا وَأَقْلَوْنَا﴾ أي: خُفْنَا عليهم الضيعة ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: ادْعُ [الله] أَنْ يُغْفِرَ لَنَا تَخْلُفْنَا عَنْكَ ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ما يبالون استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ضَرًّا» بضم الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو علي: «الضَرُّ» بالفتح: خلاف النفع، وبالضم: سوء الحال، ويجوز أن يكونا لغتين كالْفَقْر والْفَقْر، وذلك أنهم ظنوا أن تَخْلُفَهُمْ يدفع عنهم الضَرَّ، ويعجل لهم النفع سلامة أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إذا أراد بهم شيئاً، لم يغيّر أحد على دفعه [عنهم]، ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَمَلُّونَ خَبِيرًا﴾ من تَخْلُفَهُمْ وقولهم عن المسلمين أنهم سيهلكون، وذلك قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ أي: تَوَهَّمْتُمْ ﴿أَنْ لَنْ يَغْلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا عَلَيْهِمْ﴾ أي لا يرجعون إلى المدينة، لاستئصال العدو إياهم، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ وذلك من تزيين الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ قد ذكرناه في [الفرقان: ١٨].

﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخْلَفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَيْكَ مَكَائِدَ تِلْكَ الْأَعْدَاءِ دُونَكُمْ يَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُسَوِّدُوا وَجْهَكُمْ وَأَنْ يَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَسْأَلُونَ بَلْ تَحْسُدُونَ بَلْ كَاوُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخْلَفُونَ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديدية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَيْكَ مَكَائِدَ﴾ أنهم لما انصرفوا عن الحديدية بالصلح وعدهم الله فتح خير، وخصّ بها من شهد الحديدية فانطلقوا إليها، فقال هؤلاء المخلفون: ﴿دُونَكُمْ يَتَّبِعُكُمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُسَوِّدُوا وَجْهَكُمْ وَأَنْ يَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وخلف: «أن» يبدّلوا كَلِمَ الله بكسر اللام. وفي المعنى قولان: أحدهما: أنه مواعيد الله بغنيمة خير لأهل الحديدية خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أمر الله نبيه أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديدية أن يفتح عليه خير، ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلفين، قاله مقاتل. وعلى القولين: قصدوا أن يجيز لهم رسول الله ﷺ ما يخالف أمر الله، فيكون تبديلاً لأمره.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ فيه قولان. أحدهما: قال: إن غنائم خير لمن شهد الحديدية، وهذا على القول الأول. والثاني: قال: لن تتبعونا، وهذا قول مقاتل. ﴿فَيَسْأَلُونَ بَلْ تَحْسُدُونَ﴾ أي: يمنعكم الحسد من أن تُصيب معكم الغنائم.

﴿قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِنْ قَوْمٌ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ لَقَدْ نَقَلْتُمُوهُمْ أَوْ يُبَلِّغُوا فَإِنْ أَطَاعُوا يُؤَيِّدُكُمْ اللَّهُ بِجَرٍّ حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿سِتْرَةٌ إِنْ قَوْمٌ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ المعنى: إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فستدعون إلى جهاد قوم ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وفي هؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أنهم فارس، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وابن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين. والثاني: فارس والروم، قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثالث: أنهم أهل الأوثان، رواه ليث عن مجاهد. والرابع: أنهم الروم، قاله كعب. والخامس: أنهم هوازن وغطفان، وذلك يوم حنين، قاله سعيد بن جبيرة، وقتادة. والسادس: بنو حنيفة يوم البمامة، وهم أصحاب مسيلة الكذاب، قاله الزهري، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: خلافة أبي بكر في هذه بيعة مؤكدة. وقال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دُعِيَ أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال بعض أهل

(١) قال أبو العباس المبرّد: الدؤلي مضمومة الدال مفتوحة الواو من الدليل بضم الدال وكسر الياض: وهو دابة.

(٢) قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم، الذين هم أولي بأس شديد على أقوال، ثم قال: وعن مجاهد: هم رجال أولو بأس شديد، قال: ولم يعين فرقة، وبه يقول ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير. اهـ.



العلم: لا يجوز أن تكون هذه الآية إلا في العرب، لقوله: ﴿تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا﴾، وفارس والروم إنما يقاتلون حتى يسلموا أو يؤثوا الجزية. وقد استدلل جماعة من العلماء على صحة إمامة أبي بكر وعمر بهذه الآية، لأنه إن أريد بها بنو حنيفة، فأبو بكر دعا إلى قتالهم، وإن أريد بها فارس والروم، فعمرو دعا إلى قتالهم، والآية تلزمهم اتباع طاعة من يدعوه، وتتوعددهم على التخلف بالعقاب. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدل على صحة إمامتهما إذا كان المتولي عن طاعتها مستحقاً للعقاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ قال ابن جريج: فإن تطيعوا أبا بكر وعمر، ﴿وَلَنْ تَنَازِلُوا﴾ عن طاعتها ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى الحديبية. وقال الزجاج: المعنى: إن تبتم وتركتم نفاقكم وجاهدتم، يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن توليتم فاقمتم على نفاقكم، وأعرضتم عن الإيمان والجهاد كما توليتم على عهد رسول الله ﷺ يعذبكم عذاباً أليماً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْآخِضِينَ حَرَجٌ﴾ قال المفسرون: عذر الله أهل الرمانة الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ نافع، وابن عامر: «تُدْخِلْهُ» وتُعْذِبُهُ بالنون فيهما؛ والباقون: بالياء.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَنَافِعَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> وَعَذَّبَكُمْ اللَّهُ مَنَافِعَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٦)</sup> وَأُفْرَوْنِ لَر تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿وَلَوْ فَتَنَّاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّيْتَ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَفْدُوكَ وَيَأْتِيَنَّكَ اللَّهُ بَنَافِعًا وَمِنَ الْأَمْرِ مَا كُنْتَ تَفَكَّرُ﴾<sup>(٧)</sup> سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي قَدْ عَلَّمَ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ إِسْنَاءَ اللَّهِ بُرْهَانًا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَابْتَدَأُكُمْ عَنْهُمْ يَطْلُبُ نَكَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾<sup>(٨)</sup>

ثم ذكر الذين أخلصوا نيتهم وشهدوا ببيعة الرضوان بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد ذكرنا سبب هذه البيعة آنفاً. وإنما سميت ببيعة الرضوان، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ روى إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه، قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية، نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس، البيعة، البيعة، نزل روح القدس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمره، فبايعناه<sup>(٩)</sup>. وقال عبد الله بن مغفل: كان رسول الله ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس، وإني لأرفع أعضائها عن رأسه<sup>(١٠)</sup>. وقال بكير بن الأشج: كانت الشجرة بفتح نحو مكة<sup>(١١)</sup>. قال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت<sup>(١٢)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا﴾ يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم، ولكم النصرة عليهم، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا﴾ أي تستجيبوا وتتفروا في الجهاد وتؤثوا الذي عليكم فيه ﴿بَيْنَكُمْ اللَّهُ أَمْرًا حَسَنًا وَلَنْ تُنَازِلُوا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم ﴿يُؤْثِرُكُمْ مَكَائِلًا أَلِيًّا﴾.

(٣) قال ابن كثير: ذكر تعالى الأعداء في ترك الجهاد، فمنها لازم كالعمى والعرج المستعز، وعارض كالمرض الذي يطرأ أليماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بلوي الأعداء اللازمة حتى يبرأ. اهـ.

(٤) والآية بتماها: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَوَيَنْتَزِلُ فِيهَا بِمُزِيدٍ عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ﴾ وذلك ترغيب في الجهاد وطاعة الله ورسوله، وأن من نكل عن الجهاد وأقبل على المعاش يعذبه عذاباً أليماً في الدنيا بالملأة، وفي الآخرة بالنار.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ٨٦/٢٦ وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، وعند مسلم ١٤٨٦/٣ من حديث مولى سلمة بن الأكوع قال: قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. والسر: وزان وجعل وسبع: شجر الطلع، وهو نوع من المعاء، الواحدة: سمره.

(٦) رواه الطبري ٩٣/٢٦، ٩٤ وإسناده حسن، وهو في مسلم ١٤٨٥/٣ بمعناه من حديث مغفل بن يسار.

(٧) رواه الطبري: ٨٦/٢٦ عن بكير بن الأشج أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله ﷺ على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «على ما استطعتم» والشجرة التي بويج تحتها بفتح نحو مكة.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٤٥/٧ رواه ابن سعد بإسناد صحيح.

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والمعنى: عَلِمَ أَنَّهُمْ مُخْلِصُونَ ﴿فَأَنزَلَ الْكَتِبَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الطَّمَانِينَةَ والرُّضَى حتى بايعوا على أن يقاتلوا ولا يَفِرُّوا ﴿وَأَنبَاهَهُمْ﴾ أي: عَوَّضَهُمْ عَلَى الرُّضَى بِقَضَائِهِ وَالصَّبْرَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿فَتَنَّا قَرْيَةً﴾. وهو خيبر، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ أي: من خيبر، لأنها كانت ذات عقار وأموال. فأما قوله بعد هذا: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فقال المفسرون: هي الْفَتْوحُ التي تَفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴿فَمَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها غنيمة خيبر، قاله مجاهد، وقادة، والجمهور. والثاني: أنه الصِّلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي أَتَابِينَ عَنْكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود همُّوا أن يغتالوا عيال المسلمين الذين خلفوهم في المدينة، فكفَّهم الله عن ذلك، قاله قتادة. والثاني: أنهم أسد وغطفان جاؤوا لينصروا أهل خيبر، فقذَّبَ الله في قلوبهم الرُّعْبَ، فانصرفوا عنهم، قاله مقاتل. وقال الفراء: كانت أسد وغطفان [مع أهل خيبر، فقصدهم رسول الله ﷺ فصالحوه وخلُّوا بينه وبين خيبر. وقال غيرهما: بل هُمَّتْ أسد وغطفان] باغتيال [أهل] المدينة، فكفَّهم الله عن ذلك. والثالث: أنهم أهل مكة كفَّهم الله بالصِّلح، حكاهما الثعلبي وغيره. ففي قوله: «عنكم» قولان: أحدهما: أنه على أصله، قاله الأكثرون. والثاني: عن عيالكم، قاله ابن قتيبة، وهو مقتضى قول قتادة. ﴿وَلَتَكُنَّ مَكَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الفُعلة التي فعلها بكم من كفَّ أيديهم عنكم كانت آيةً للمؤمنين، فعلموا أن الله تعالى متولِّي حراستهم في مشهدهم ومغيبيهم. والثاني: أنها خيبر كان فتحها علامةً للمؤمنين في تصديق رسول الله ﷺ فيما وعدهم به.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: طريق التوكل عليه والتفويض إليه، وهذا على القول الأول. والثاني: يَزِيدُكُمْ هُدًى بالتصديق بمحمد ﷺ فيما جاء به من وعد الله تعالى بالفتح والغنيمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ﴾ المعنى: وعدكم الله مَغَانِمَ أُخْرَى؛ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها ما فُتِحَ للمسلمين بعد ذلك. روى سماك الحنفي عن ابن عباس ﴿وَلَا تُغْنِي لَكُمْ قُدْرَتُهَا عَلَيْهَا﴾ قال: ما فتح لكم من هذه الفتوح، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها خيبر، رواه عطية، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد. والثالث: فارس والروم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الحسن، وعبد الرحمن بن أبي ليلى. والرابع: مكة، ذكره قتادة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ لِكَاكَةٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أحاط بها علماً أنها ستكون من فُتُوحِكُمْ. والثاني: حَفِظَهَا لكم ومَنَعَهَا من غيركم حتى تفتحوها.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا لَكُمُ الدِّينَ كَفَرًا﴾ هذا خطاب لأهل الحديبية، قاله قتادة؛ والذين كفروا مشركو قريش. فعلى هذا يكون المعنى: لو قاتلوكم يومَ الحديبية ﴿لَوَلَوْ أَلْبَسْتُمْ﴾ إما في قلوبهم من الرُّعْبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَيَكَاةَ﴾ لأن الله قد خذلهم. قال الزجاج: المعنى: لو قاتلكم من لم يقاتلكم لُصِرَتْ عليه، لأن سُنَّةَ اللَّهِ الثُّبُوتَ لأوليائه. و﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ منصوبة على المصدر، لأن قوله: ﴿لَوَلَوْ أَلْبَسْتُمْ﴾ معناه: سَنَّ اللَّهُ ﷻ خِذْلَانَهُمْ سُنَّةً. وقد مرَّ ومثْلُ هذا في قوله: ﴿يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿سُنَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ﴾ روى أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غزوة<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلَماً<sup>(٣)</sup>، فاستجابه، وأنزل الله

(١) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أتاهم الله من سيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها. اهـ.

(٢) الْغَزْوَةُ: هي الغزاة، أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غزاة عن التأهب لهم لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ غَدْرِهِمْ وَفَتْكِهِمْ بِهِمْ.

(٣) قال الامام النووي في «شرح مسلم» ١٨٧/١٢: «سِلَماً» ضبطه بوجهين: أحدهما: سَلَمًا، والثاني: سَلَمًا، قال الحميدي: ومعناه: الصلح. قال القاضي في «المشاور»: هكذا ضبطه الأكثرون، قال فيه وفي الشرح: والرواية الأولى أظهر. والمعنى: أسرهم. والسلام: الأسر. وجزم الخطابي بفتح اللام والسین، قال: والمراد به: الاستسلام والإذعان، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ الْحَبْلَ﴾ أي: الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنتين.

هذه الآية<sup>(١)</sup>. وروى عبد الله بن مغفل قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد؟» أو «هل جعل لكم أحد أماناً؟» قالوا: اللهم لا، فخلّى سبيلهم، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فأتوه بانتي عشر فارساً من الكفار، فأرسلهم<sup>(٣)</sup>، وقال مقاتل: خرجوا يقاتلون رسول الله ﷺ، فهزمهم النبي ﷺ بالظن والنبل حتى أدخلهم بيوت مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكر منته إذ حجز بين الفريقين فلم يقتل حتى تم الصلح بينهم. وفي بطن مكة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحديبية، قاله أنس. والثاني: وادي مكة، قاله السدي. والثالث: التنعيم، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأما «مكة» فقال الزجاج: «مكة» لا تصرف لأنها مؤنثة، وهي معرفة، ويصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق «بكة»، والميم يُبدل من الباء، يُقال: ضربة لازم، ولازب، ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة: إذا مصّ مصاً شديداً حتى لا يبقى فيه شيئاً، فيكون سمي بذلك لشدة الازدحام فيها؛ قال: والقول الأول أحسن. وقال قطرب: مكة من تَمَكَّكْتُ المَحَّ: إذا أكلته. وقال ابن فارس: تَمَكَّكْتُ العظم: إذا أخرجت مَحَّهُ؛ والتمكك: الاستقصاء؛ وفي الحديث: «لا تَمَكَّكُوا على غرماكم»<sup>(٤)</sup>. وفي تسمية «مكة» أربعة أقوال: أحدها: لأنها مثابة يؤمها الخلق من كل فج، وكأنها هي التي تجذبهم إليها، وذلك من قول العرب: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة. والثاني: أنها سُميت (مكة) من قولك: بَكَكْتُ الرجل: إذا وضعت منه وَرَدَدْتَ نَحْوَهُ<sup>(٥)</sup>، فكانها تَمَكُّ من ظلم فيها، أي: تُهلكه وتُنْقِصه، وأنشدوا: يا مَكَّةُ، الفاجر مُكِّي مَكَّا ولا تُمَكِّي مَذْجِجاً وعُجْجاً<sup>(٦)</sup>

والثالث: [أنها] سُميت بذلك لجهد أهلها. والرابع: لِقِلَّةِ الماء بها. وهل مكة وبكة واحد؟ قد ذكرناه في [آل عمران: ٩٦].

قوله تعالى: «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَلْفَرَقَكُمْ عَلَيْهِمْ» أي: بهم؛ يقال: ظَفِرْتُ بفلان، وظَفِرْتُ عليه.

قوله تعالى: «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» قرأ أبو عمرو: [يعملون] بالياء؛ والباقون: بالناء.

«هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالَّذِي مَكُونُوا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلُهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَرَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَقْلُوهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَصَرًا يَغْرِ عَلِيٍّ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَنَذَرْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا كَثُرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٧)</sup> إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّيْمَةَ حِمَّةً لِمَا هَلَكُوا فَنَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَنَهُمْ كَلِمَةً تَنْقُزِي وَكَانُوا لَمَعًا يَبَا وَأَعْلَاهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>(٨)</sup>»

قوله تعالى: «هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني أهل مكة «وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أن تطوفوا به وتحلوا من غيركم «وَالَّذِي» قال الزجاج: أي: صدوا الهدي «مَكُونُوا» أي: محبوساً «أَنْ يَبْلُغَ حِمْلُهُمْ» أي: عن أن يبلغ «حِمْلُهُمْ» قال المفسرون: «حِمْلُهُ» منخره، وهو حيث يحل نحره «وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ» وهم المستضعفون بمكة «لَرَّ تَعْلَمُوهُمْ» أي: لم تعرفوهم «أَنْ تَقْلُوهُمْ» بالقتل. ومعنى الآية: لولا أن تطوفوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات بالقتل، وتوقعوا بهم ولا تعرفونهم، «فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَصَرًا» وفيها أربعة أقوال: أحدها: إنهم، قاله ابن زيد. والثاني: غرم

والجمع، قال ابن الأثير: هذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً، وإنما أخذوا قهراً، وأسلموا أنفسهم عجزاً، قال: وللقول الآخر وجه، وهو أنه لما لم يجر معهم قتال، بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم، فرضوا بالأسر، فكانهم قد صولحو على ذلك. اهـ.

(١) رواه مسلم ١٤٤٢/٣، والطبري ٩٤/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٥/٦، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه الطبري ٩٤/٢٦ وإسناده حسن، والحاكم ٤٦٠/٢، وصححه، والواحي في «أسباب النزول» ٢١٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٨/٦ وزاد نسبه لأحمد، والنسائي، وأبي نعيم في «الدلائل»، وابن مردويه، عن عبد الله بن مغفل ﷺ.

(٣) «الطبري» ٩٤/٢٦ وهو مرسل، وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٥/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) هذا الحديث ذكره ابن الأثير في «النهاية» في غريب الحديث، ولم نره في كتب الحديث.

(٥) كانت العبارة في الأصل هكذا (تَمَكَّكْتُ الرجل: إذا أردت نخوته) وقد صوبناها كما ترى نقلاً عن المصنف كما مر سابقاً عن الزبيدي وقطرب، ومن كتب اللغة.

(٦) الرجز غير منسوب في «اللسان» و«التاج»: مكك.

الدِّية، قاله ابن إسحاق. والثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله ابن السائب. والرابع: عيب يقتل مَنْ هو على دينكم، حكاة جماعة من المفسرين. وفي الآية محذوف، تقديره: لأدخلكم من عامكم هذا؛ وإنما حُلْتُ بينكم وبينهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمِهِ﴾ أي: في دينه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل مكة، وهم الذين أسلموا بعد الصلح ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾ قال ابن عباس: لو تفرَّقوا. وقال ابن قتيبة، والزجاج: لو تميَّزوا. قال المفسرون: لو انماز المؤمنون من المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والسَّيِّئ بايديكم. وقال قوم: لو تزيَّل المؤمنون من أصلاب الكفار لعذبنا الكفار. وقال بعضهم: قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لكلامين: أحدهما: «لولا رجاله»، والثاني: «لو تزيَّلوا»، وقوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَا﴾ من صلة قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والحمية: الأتفة والجبرية. قال المفسرون: وإنما أخذتهم الحمية حين أراد رسول الله ﷺ دخول مكة، فقالوا: يدخلون علينا [وقد قتلوا] أبناءنا وإخواننا فتحدث العرب بذلك! والله لا يكون ذلك، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يَدْخُلْهُمْ ما دخل أولئك فيخالفوا الله في قتالهم. وقيل: الحمية ما تداخل سهيل بن عمرو من الأتفة أن يكتب في كتاب الصلح ذمُّ «الرحمن الرحيم» وذمُّ «رسول الله» ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً الْقُرْآنِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد في آخرين، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(١)</sup>؛ فعلى هذا يكون معنى: «الزَّمَهُمْ»: حَكَّمْ لَهُمْ بِهَا، وهي التي تنفي الشُّرك. والثاني: «لا إله إلا الله والله أكبر»، قاله ابن عمر. وعن علي بن أبي طالب كالقولين. والثالث: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو عل كل شيء قدير»، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قاله عطاء الخراساني. والخامس: «بسم الله الرحمن الرحيم» قاله الزهري. فعلى هذا يكون المعنى أنه لما أبى المشركون أن يكتبوا هذا في كتاب الصلح، ألزمه الله المؤمنين ﴿وَكَاذِبًا أَحَقُّ بِهَا﴾ من المشركين ﴿و﴾ كانوا «أهلها» في علم الله تعالى.

﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَائِيَّتَ مِائِيَّتَيْنِ رُؤُوسَكُمْ وَمَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ قِيلَ مَا لَمْ تَمَلُّوا فَعَمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَمَّا قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَكُمْ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: سبب نزلها أن رسول الله ﷺ كان أري في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يَدْخُلُونَ مكة وقد خَلَقُوا وقَصَرُوا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا إلى الحديبية حَسِبُوا أنهم يَدْخُلُونَ مكة في عامهم ذلك، فلما رجعوا ولم يَدْخُلُوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟! فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، فدخلوا في العام المقبل. وفي قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن «إن» بمعنى «إِذَا»، قاله أبو عبيدة، وابن

(١) روى الترمذي في مسنده ١٥٩ قال: حدثنا الحسن بن قُرَّة البصري، حدثنا سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً الْقُرْآنِ﴾ قال: «لا إله إلا الله» قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قُرَّة، قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. اهـ. وثوير بن أبي فاختة ضعيف، ورواه الطبري ٢٦/ ١٠٤ بنفس السند، وذكره السيوطي في «الدر» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، والبيهقي في «الاسماء والصفات»، عن أبي بن كعب مرفوعاً، وذكر السيوطي أيضاً من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً، ومن رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع مرفوعاً.

(٢) روى سبب النزول هذا البغوي والخازن هكلاً بغير سند. ورواه الطبري ١٠٧/ ٢٦ من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية، قال: قال لهم النبي ﷺ: «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محللين رؤوسكم ومقصرين»، فلما نزل بالحديبية، ولم يدخل ذلك العام، طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿وَتَشَهِدُ لَا تَخَافُونَ﴾ إني لم أره يَدْخُلُهَا هذا العام، وليحزن ذلك.

وروى الطبري أيضاً من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله: ﴿الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ قال: أرى بالحديبية أنه يَدْخُلُ مكة وأصحابه محللين، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد ﷺ. وذكره السيوطي في «الدر» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه للفرابي، وعبد بن حيد، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد.

تقية. والثاني: أنه استثناء من الله، وقد علمه، والخلق يستنون فيما لا يعلمون، قاله ثعلب، فعلى هذا يكون المعنى أنه علم أنهم سيدخلونه، ولكن استثنى على ما أمر الخلق به من الاستثناء. والثالث: أن المعنى: لتدخلن المسجد الحرام إن أمركم الله به، قاله الزجاج. والرابع: أن الاستثناء يعود إلى دخول بعضهم أو جميعهم، لأنه علم أن بعضهم يموت، حكاية الماوردي. والخامس: أنه على وجه الحكاية لما رآه النبي ﷺ في المنام أن قائلا يقول: ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِيكَ﴾، حكاية القاضي أبو يعلى. والسادس: أنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول، فلا شك فيه، حكاية الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَامِيكَ﴾ من العدو. ﴿مُحَلِّينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ من الشعر<sup>(٢)</sup> ﴿لَا تَخَافُوكُمْ﴾ عدواً. ﴿تَلِمَ مَا لَمْ تَمْلِكُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: علم أن الصلاح في الصلح. والثاني: أن في تأخير الدخول صلاحاً. والثالث: فعلم أن يفتح عليكم خير قبل ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قِتْمًا قَرِيبًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فتح خبير، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: صلح الحديبية، قاله مجاهد، والزهري، وابن إسحاق. وقد بينا كيف كان فتحاً في أول السورة. وما بعد هذا مفسر في [براه: ٣٣] إلى قوله<sup>(٣)</sup>: ﴿وَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شهد له على نفسه أنه يظهره على الدين كله، قاله الحسن. والثاني: كفى به شهيداً أن محمداً رسولاً، قاله مقاتل.

﴿تَحَدَّ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَيْدِيَهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ رَبِّهِمْ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّخِذُونَ فِتْنًا مِنْ اللَّهِ رِضْوَانًا سِبْغَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الْجُبُونِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَجٍ أخرج سَطَمَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَقْلَقَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يَجْعَبُ الزَّرْجَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُوا الْقَلْبَ بَيْنَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَمْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿تَحَدَّ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وأبو المتوكل، والجحدري: «محمداً رسول الله بالنصب فيها. قال ابن عباس: شهد له بالرسالة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني أصحابه، والأشداء: جمع شديد. قال الزجاج: والأصل: أشيداء، نحو نصيب وأنصاء، ولكن الدالّين تحركتا، فأدغمت الأولى في الثانية، [ومثله] ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿رُحْمًا يُبْتِغَى﴾ الرُّحْماء جمع رحيم، والمعنى أنهم يُغْلِظُونَ على الكفار، ويتَوَادُّون بينهم<sup>(٤)</sup> ﴿رُكْعًا سَجْدًا﴾ يَصِفُ كثرة صلاتهم ﴿يَتَّخِذُونَ فِتْنًا مِنْ اللَّهِ﴾ وهو الجنة ﴿رِضْوَانًا﴾ وهو رضا الله عنهم. وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور<sup>(٥)</sup> وروى مبارك بن فضالة عن الحسن البصري أنه قال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر ﴿أَيْدِيَهُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحْمًا يُبْتِغَى﴾ عثمان ﴿رَبِّهِمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ علي بن أبي طالب ﴿يَتَّخِذُونَ فِتْنًا مِنْ اللَّهِ رِضْوَانًا﴾ طلحة والزبير

(١) قال ابن كثير: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء.

(٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿مُحَلِّينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ حال مقدرة، لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه، ومنهم من قصره. اهـ. وقد روى مسلم في «صحيحه» ٩٤٦/٢ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: يا رسول الله! وللمقصرين، قال: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: يا رسول الله! وللمقصرين، قال: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: يا رسول الله! وللمقصرين، قال: «اللهم اغفر للمقصرين».

(٣) قال ابن كثير: ﴿تَلِمَ مَا لَمْ تَمْلِكُوا﴾ أي: فعلم الله ﷻ من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: قبل دخولكم الذي رُءِيت به في رُؤيا النبي ﷺ ﴿قِتْمًا قَرِيبًا﴾ وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وهذه صفة المؤمنين، أن يكون أحدهم شديداً عفيفاً على الكفار رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عصبياً في وجه الكافر، ضحواً بوشواً في وجه أخيه المؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في تواديبهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقال ﷺ: «والؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشك ﷺ بين أصحابه، قال: وكلا الحديثين في الصحيح.

(٥) قال ابن كثير: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّهِمْ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّخِذُونَ فِتْنًا مِنْ اللَّهِ رِضْوَانًا﴾ وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها ﷻ، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله ﷻ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاء تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال جل وعلا: ﴿رِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. اهـ.

وعبد الرحمن وسعد وسعيد وأبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَيَكُونُ﴾ أي: علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾، وهل هذه العلامة في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السُّمْتُ الحسن، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة؛ وقال في رواية مجاهد: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ، وكذلك قال مجاهد: ليس بِنَدَبٍ التراب في الوجه، ولكنه الخُشُوع والوقار والتواضع. والثاني: أنه نَدَى الظُّهور وترى الأرض، قاله سعيد بن جبير. وقال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأنواب. وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حَمَلَتْ جباههم من الأرض. والثالث: أنه السُّهُوم<sup>(٢)</sup>، فإذا سهم وجه الرجل من الليل أصبح مُصْفَرًّا. قال الحسن البصري: ﴿سَيَكُونُ﴾ فِي وُجُوهِهِمْ: الصُّفْرَةُ؛ وقال سعيد بن جبير: أثر السهر؛ وقال شمر بن عطية: وهو تَهْيِجٌ في الوجه من سهر الليل. والقول الثاني: أنها في الآخرة<sup>(٣)</sup>. ثم فيه قولان: أحدهما: أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشدَّ وجوههم بياضاً يوم القيامة، قاله عطية العوفي، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، والزهري. وروى العوفي عن ابن عباس قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة. والثاني: أنهم يُعَيِّنُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أثر الظُّهور<sup>(٤)</sup>، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: صِفَتُهُمْ؛ والمعنى أن صفة محمد ﷺ وأصحابه ﴿فِي الْكُرْبِيِّ﴾ هذا. فأما قوله: ﴿وَيَكُونُ فِي الْإِنجِيلِ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن هذا المَثَلُ المذكور أنه في التوراة هو مَثَلُهُمْ في الإنجيل. قال مجاهد: مَثَلُهُمْ في التوراة والإنجيل واحد. والثاني: أن المتقدم مَثَلُهُمْ في التوراة فأما مَثَلُهُمْ في الإنجيل فهو قوله: ﴿كَزَرَ﴾، وهذا قول الضحَّاك، وابن زيد<sup>(٥)</sup>. والثالث: أن مَثَلُهُمْ في التوراة والإنجيل كزَرَ، ذكر هذه الأقوال أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ سَطَفًا﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: [سَطَفًا] بفتح الطاء والهمزة. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: [سَطَفًا] بسكون الطاء. وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن أبي عبة: [سَطَفًا] بفتح الطاء [وبالمد] والهمزة وبالف. قال أبو عبيدة: أي: فراخه يقال: أسطا الزُّرْعُ فهو مُسْطَطٌ؛ إذا أفرخ ﴿فَأَزْرَهُ﴾ أي: ساواه، وصار مثل الأم. وقرأ ابن عامر: «فَأَزْرَهُ» مقصورة الهمزة مثل قَعْلَهُ. وقال ابن قتيبة: آزره: أعانه وقواه ﴿فَأَسْتَظِلُّ﴾ أي: غَلَطَ ﴿فَأَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ﴾ وهي جمع «ساق»، وهذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ لِلنَّبِيِّ ﷺ إذ خرج وحده، فأيد به أصحابه، كما قوى الطاقة من الزُّرْع بما نبت منها حتى كَثُرَتْ<sup>(٦)</sup> وَغَلَطَتْ واستحكمت. وقرأ ابن كثير: «على سُوقِهِ» مهموزة؛ والباقون: بلا همزة. وقال قتادة: في الإنجيل: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزُّرْعِ<sup>(٧)</sup>. وفيمن أريد بهذا المَثَلُ قولان: أحدهما: أن أصل الزُّرْع: عبد المطلب ﴿أَخْرَجَ سَطَفًا﴾: أخرج محمداً ﷺ ﴿فَأَزْرَهُ﴾: بأبي بكر ﴿فَأَسْتَظِلُّ﴾: بعمر ﴿فَأَسْتَوِي﴾: بعثمان ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: علي بن طالب، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أن المراد بالزُّرْع:

(١) اللغة لا تحتمل هنا التأويل، وليس مع الحسن نقل ثبت عن رسول الله ﷺ. ومبارك بن فضالة الراوي عن الحسن موصوف بالتدليس.

(٢) قال في «اللسان»: الشَّامُ والشَّامُ: الضُّمَرُ وتغير اللون وذبول الشَّفَتَيْنِ. سَهَمٌ: بالفتح، يَنْهَمُ شُهَامًا وشُهَامًا، وسَهْمٌ أيضاً، بالضم، يَنْهَمُ شُهَامًا فيهما، وشُهْمٌ يَنْهَمُ، فهو شُهْمٌ؛ إذا ضَمُرَ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذي وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، قال: ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، قال: وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهدوئه وسَمْتُهُ وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغُرَّة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود. اهـ.

(٤) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أثر الوضوء» واللفظ لمسلم.

(٥) وهو الذي اختار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما. (٦) كذا الأصل، وفي «غريب القرآن»: حتى كَثُرَتْ.

(٧) قال ابن كثير: أي: فكل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشَّطَط مع الزُّرْع.

(٨) هذا تأويل بعيد، وليس تفسيراً لظاهر لفظ القرآن، وقد ذكر مثل هذا المعنى السيوطي في «الدرر» ٨٣/٦ من رواية ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عباس، والله أعلم بصحته، وكذلك الخبر الذي بعد هذا من رواية الضحَّاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن، والأولى في ذلك أن يكون هذا مثلاً لأصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل على العموم، ولا شك أن هؤلاء أفضل من غيرهم، فهم داخلون بطريق الأولى.

محمد<sup>(١)</sup> ﷺ «أَفْرَحَ شَعْلَمُ»: أبو بكر «فَنَزِدُ»: بعمر «فَأَسْتَقْلُظُ»: بعثمان «فَأَسْتَوِي عَلَى سُوءٍ»: بعلي. «يُصِيبُ الزَّجَاجُ»: يعني المؤمنين «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ» وهو قول عمر لأهل مكة: لا يُعْبَدُ الله سِوَا بعد اليوم، رواه الضحاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن.

قوله تعالى: «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ» أي: إِنَّمَا كَثَرَهُمْ وَقَوَّاهُمْ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ. وقال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وقال ابن إدريس: لا أَمْنُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ ضَارَعُوا الْكُفَّارَ، يعني الرافضة، لأن الله تعالى يقول: «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ تَقْفِرُهُمْ وَأَجْرًا عَظِيمًا» قال الزجاج: في «مِنْ» قولان: أحدهما: أن يكون تخلصاً للجنس من غيره، كقوله: «فَأَجْعَلُوا الْيَحْيَى مِنَ الْآوْتَانِي» [الحج: ٣٠]، ومثله أن نقول: أَنْفَقَ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أي: اجعل نفقتك من هذا الجنس. قال ابن الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، أي: من جنس الصحابة. والثاني: أن يكون [هذا] الوعدُ لِمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: «محمد».

(٢) ولا يجوز لمسلم أن يظن في الصحابة رضوان الله عليهم، أو يتعرض لهم بسوء، أو يضمر في قلبه بغضاً لأحد منهم، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ اتَّفَقَ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَباً مَا يُلْغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفُهُ» وروى مسلم عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لَأَمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَاهُمْ مَا يَوْعَدُونَ»، أي من الفتن.

(٣) قال ابن كثير في تمة الآية: «تَقْفِرُهُمْ» أي للذنوب «وَأَجْرًا عَظِيمًا» أي ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، قال: ووعده الله حقاً وصدق، لا يخلف ولا يبذل، وكل من اقتفى أثر الصحابة ﷺ، فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ﷺ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس ماوهم، وقد فعل. اهـ.



وهي مدنيّة ياجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) قال ابن كثير في أول سورة (ق): هذه السورة هي أول الحزب المفصل، وقيل: من (الحجرات)، قال: وأما ما يقول العوام: إنه من (عم) فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء رحمهم الله المعتمدين فيما نعلم، قال: والدليل على أن هذه السورة (يعني سورة «ق») هي أول المفصل، ما رواه أبو داود في «سننه»: «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، أخبرنا رحمهم الله قُرْآن (الأصل: قراب وهو خطأ) ابن تمام - ح - وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حبان، وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة، ثم اتفقا، قال: قدما على رسول الله ﷺ في وفد ثقف، قال: فزلت الأحلاف على المغيرة بن ثعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبته له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدما على رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قريش، ثم يقول ﷺ: «لا سواء (في ابن كثير: «لا أساء» وفي «تهذيب السنن» «لا أنسى» وكلاهما خطأ) وكنا مستضعفين مستذلين، قال مسدد: بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم، نُدال عليهم، ويُدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، قلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتته» قال أوس (يعني ابن حذيفة) سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. قال ابن كثير: رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به. قال: ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن - هو ابن يعلى الطائفي - به. ثم قال ابن كثير: إذا علم هذا، فإنا عدت ثمانياً وأربعين سورة، فالثي عشرة: سورة (ق) بيانه: «ثلاثه: البقرة، وآل عمران، والنساء، و«خمس»: الفاتحة، والأنعام، والأعراف، والأشفال، وزمره. «سبع»: يونس، وهود، ويوسف، والروعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل، «تسع»: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمومتون، والتور، والفرقان. «واحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والمكيت، والروم، ولقمان، وأكم السجدة، والأحزاب، وسبا، وقاطر، يس. فثلاث عشرة: الصفات، ص، والزمر، وخافه، وحم السجدة، وحم عسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم، قال: فتبين أن أوله سورة (ق) وهو الذي قلنا، والله الحمد والمآة. اهـ.

صَوَّبَ النَّبِيُّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ سَمِيعِكُمْ يَتَعَنَّ أَنْ تَحِطَّ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ أَسْرَاتَهُمْ هِيَ رَسُولُ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلْقَوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رَجُلًا من بني تميم قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أَمَرُ القَعْقَاعِ بنَ مَعْبِد، وقال عمر: أَمَرُ الْأَقْرَعِ بنِ حَابِس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافتك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾، فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله ﷺ [بعد هذه الآية] حتى يستفهمه، رواه عبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>. والثاني: أن قومًا ذَبَحُوا قبل أن يُصَلِّيَ رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُعِيدُوا الذَّبْحَ، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يقولون: لو أنزل الله في كذا وكذا فكره الله ذلك، وقَدَّمَ فيه، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. والرابع: [أنها] نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب<sup>(٤)</sup>. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة<sup>(٥)</sup>. وروى العوفي عنه قال: نُهِوا أن يتكلموا بين يَدَيَّ كلامه<sup>(٦)</sup>. وروى عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم<sup>(٧)</sup>. ومعنى الآية على جميع الأقوال: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل. قال ابن قتيبة: يقال فلان يُقَدِّم بين يَدَيَّ الإمام وبين يَدَيَّ أبيه، أي: يُعَجِّل بالأمر والنهي دونه. فأما «تَقْدُمُوا» فقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك وابن سيرين، وقاتدة، وابن عمر، ويعقوب: بفتح التاء والدال؛ وقرأ الباقر: بضم التاء وكسر الدال. قال الفراء: كلاهما صواب، يقال: قَدَّمْتُ، وَتَقَدَّمْتُ؛ وقال الزجاج: كلاهما واحد؛ فأما «بين يَدَيَّ الله ورسوله» فهو عبارة عن الأمام، لأن ما بين يَدَيَّ الإنسان أمامه؛ فالمعنى: لا تَقْدُمُوا قَدَامَ الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر وعمر رفعوا أصواتهما فيما ذكرناه آنفًا في حديث ابن الزبير، وهذا قول ابن أبي مليكة<sup>(٨)</sup>. والثاني: [أنها] نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٤/٨ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ مِنْ رَبِّكَ الْمُرْتَدِّينَ أَصْحَابُكُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ ما دون قوله: «فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله ﷺ حتى يستفهمه» فإنه ذكره في الباب الذي قبله من سورة الحجرات ٤٥٢/٨ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية من حديث ابن أبي مليكة، ثم قال: قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، يريد بذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية. والحديث ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨ بسنده، دون قول ابن الزبير: «فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله ﷺ حتى يستفهمه» وأورده السيوطي في «الدرر» ٨٣/٦ بنحوه من رواية البخاري، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢) ذكره الطبري عن الحسن بن سعيد بن سند ١١٧/٢٦، وأورده السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٣) رواه الطبري ١١٧/٢٦ عن قتادة، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ذكره الألويسي بمعناه بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٥) رواه الطبري ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) «الطبري» ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ من رواية الطبراني في «الأوسط» وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

(٨) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٢/٨ باب: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية، من حديث نافع عن ابن أبي مليكة قال: كاذب الخيثران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرب بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بربل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافتك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر. اهـ. وفي رواية الترمذي: وما ذكر ابن الزبير جده، وفي رواية الطبري: وما ذكر ابن الزبير جده، يعني أبا بكر. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، والطبراني عن ابن أبي مليكة.

جَهْوَرِي الصَّوْت، فربما كان إذا تكلم تأذى رسول الله ﷺ بصوته، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الجهر بالصَّوْت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تَدْعُو باسمه: يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تَحْبَطَ. وقال الأخفش: مَخَافَةٌ أَنْ تَحْبَطَ. قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المَنْزِلَة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ قال ابن عباس: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ تَأَلَّى أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يَكْلُمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ، فَنَزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي بَكْرٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾، وَالنَّصُّ: النَّقْصُ<sup>(٢)</sup> كَمَا بَيَّنَّا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿قُلِ لِلرَّيْبِيِّكَ يُفْعَلُ﴾ [النور: ٣٠]. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ اللَّهَ قَلْبَهُمْ﴾ قال ابن عباس: أَخْلَصَهَا ﴿لِلنَّفْسِ﴾ مِنَ الْمَعْصِيَةِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: اخْتَبَرَ قُلُوبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ مُخْلِصِينَ، كَمَا تَقُولُ: قَدْ آمَنَتْ هَذَا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، أَيِ: اخْتَبَرْتَهُمَا بَأَن أَذْبَهْتَهُمَا حَتَّى خَلَصَا، فَعَلِمْتَ حَقِيقَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: اخْتَبَرَهَا بِامْتِحَانِهِ إِتَاهَا، فَاصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلنَّفْسِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَثَةِ الْحَجَرِ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ① وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ رَجِيمٌ ②

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَثَةِ الْحَجَرِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن بني تميم جازوا إلى رسول الله ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فَإِنَّ مَذْحَنًا زَيْنَ وَإِنْ ذَمْنًا شَيْنَ، فخرج وهو يقول: «إنما ذلكم الله»، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال: «ما بالشعر يُعْثَى ولا بالفخار أُمِرْتُ، ولكن هاتوا»، فقال الزبيرقان بن بدر لشاب منهم: قُمْ فَادْكُرْ فَضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ، فقام فذكر ذلك، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس، فأجابه: وقام شاعرهم، فأجابه حسان، فقال الأقرع بن حابس: والله ما أدري ما هذا الأمر؟! تَكْلَمُ خَطِيبُنَا فَكَانَ خَطِيبُهُمْ أَحْسَنَ قَوْلًا، وَتَكْلَمُ شَاعِرُنَا فَكَانَ شَاعِرُهُمْ أَشْعَرَ، ثُمَّ دَنَا فَاسْلَمَ، فَأَعْطَاهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَسَاهُمْ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، هَذَا قول جابر بن عبد الله في آخرين<sup>(٣)</sup>. وقال ابن إسحاق: نزلت في جُفَاءِ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَ فِيهِمُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ، وَالزَّبْرِيقَانُ بْنُ بَدْرِ، [وقيس بن عاصم المنقرى]، وَخَالِدُ بْنُ مَالِكٍ، وَسُوَيْدُ بْنُ هِشَامٍ، وَهُمَا نَهْشَلِيَّانِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَعُطَاءُ بْنُ حَابِسٍ، وَوَكَيْعُ بْنُ وَكَيْعٍ<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ بعث سرَّيْهُ إِلَى بَنِي الْعَنْبَرِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَيْنَةَ بْنَ حَصْنٍ الْفَزَارِيَّ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِذَلِكَ هَرَبُوا وَتَرَكُوا عِيَالَهُمْ، فَسَبَاهُمْ عَيْنَةُ، فَجَاءَ رَجَالُهُمْ يُقَدِّمُونَ الدَّرَارِيَّ، فَقَدِمُوا وَقَتَ الظَّهِيرَةِ

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٨ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَلَمْ يَرْوَهُ لِأَحَدٍ. وَحَدَّثَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بِنَ شِمَاسٍ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ٤٥٤/٨ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مَتَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَبَّرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى (يَعْنِي ابْنَ أَنَسٍ) فَجَرَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَيِّنَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدُّرَرِ» ٨٤/٦ وَزَادَ نَسْبَهُ لِأَحْمَدَ، وَأَبِي يَعْلَى فِي «مَجْمَعِ الصَّحَابَةِ» وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الدَّلَالِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٩ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِغَيْرِ سَنَدٍ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَفْخِيرِ الْكُشَافِ»: وَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَمْوَالَكُمْ قَرَى صَرِيحَ الْكَلْبِ﴾ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْتَ أَلَّا أَكْلِمَكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، قَالَ: وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْمَدْخَلِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ يُفْعَلُونَ...﴾ الْآيَةُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكْلِمُكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ﷻ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٣) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢٢٠ مَطْوُلاً، مِنْ رِوَايَةِ مَعْلَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَكَمِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَفِي سَنَدِهِ مَعْلَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَاسِطِيُّ، ضَعُفَ الدَّرَجَةُ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٩ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بِغَيْرِ سَنَدٍ.

ورسول الله ﷺ قائل، فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.  
والثالث: أن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جناحه، فجاؤوا، فجعلوا ينادون يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية، [قاله زيد بن أرقم]<sup>(٢)</sup>.  
فأما «الحجرات» فقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، وأبو جعفر، وشيبة: بفتح الجيم؛ وأسكنها أبو رزين، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبله؛ وضمها الباقر. قال الفراء: وجه الكلام أن تُضمّ الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجرات والرُّكبات، وربما خففوا فقالوا: «الحُجرات»، والتخفيف في تميم، والتثقيب في أهل الحجاز. وقال ابن قتيبة: واحد الحُجرات حُجرة، مثل ظُلْمة وظُلُمات. قال المفسرون: وإنما نادوا من وراء الحُجرات، لأنهم لم يعلموا في أي الحُجَر رسول الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لكان الصبر خيراً لهم. وفي وجه كونه خيراً لهم قولان: أحدهما: لكان خيراً لهم فيما قدّموا له من فداء ذراريهم، فلو صَبَرُوا خَلَّى سَبِيلَهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، قاله مقاتل. والثاني: لكان أحسنَ لآدابهم في طاعة الله ورسوله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب منهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَيَقْضُوا عَنْ مَا قَعَلْتُمْ تَوْبِينَ ۚ ﴿١﴾ وَأَعْلَمُوا أَن يَكُنْ رَسُولٌ اللَّهُ لَوْ طَبِعَ فِي كَبِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَتَبَيَّنَ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْيَانِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ۚ ﴿٢﴾ فَضَلَّكَ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في الوليد بن عتبة، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق ليُقبض صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فسار بعض الطريق، ثم خاف فرجع فقال: إنهم قد منعوا الصدقة وأرادوا قتلي، فصرف رسول الله ﷺ البعث إليهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقد ذكرتُ القصة في كتاب «المُغني» وفي «الحدث» مستوفاة، وذكرْتُ معنى «تَبَيَّنُوا» في سورة [النساء: ٩٤]، والثَّابِّي: الخبر، و«أَنْ» بمعنى «ثلاثاً»، والجهالة هاهنا: أن يجهل حال القوم، «فَتَبَيَّنُوا عَنْ مَا قَعَلْتُمْ» من إصابتهم بالخطأ «تَوْبِينَ». ثم خوفهم فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إن كَذَّبْتُمُوهُ أخبره الله فافتضحتم، ثم قال: ﴿لَوْ طَبِعَ فِي كَبِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: مما تخبرونه فيه بالباطل «تَوْبِينَ» أي: لَوْ قَعَلْتُمْ فِي عَثَبٍ. قال ابن قتيبة: وهو الضَّرُّ والفساد. وقال غيره: هو الإثم والهلاك، وذلك أن المسلمين لما سَمِعُوا أن أولئك القوم قد كَفَرُوا قالوا: ابْعَثْ إِلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاغْزِهِمْ وَاقْتُلْهُمْ؛ ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ إلى قوله: «وَالْأَعْيَانِ»، ثم عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ أي: المهتدون إلى محاسن الأمور، «فَضَلَّكَ مِنَ اللَّهِ» قال الزجاج: المعنى: ففعل بكم ذلك فضلاً أي: للفضل والنعمة.

﴿وَلَن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنُوا فَاسِلِحُوا يَبْتَهُمَا فَإِنْ بَدَّ إِسْدَهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَنَقِلُوا إِلَيْهِ تَبَيَّ حَتَّى تَرَىٰ إِلَهُ أَمْرٍ اللَّهُ فَإِنْ فَادَتْ فَاسِلِحُوا يَبْتَهُمَا بِالْمَدْلِ وَالْأَسْطَرِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاسِلِحُوا بَيْنَ أَخْوَاكُمْ وَأَتُوا اللَّهَ لِمَلَكُوتِ رَبِّكُمْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن طَافَيْنَا...﴾. الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن مردويه من رواية إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد تالف.

(٢) رواه الطبري ١٢١/٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٨٦/٦ وزاد نسبه لابن راهويه، ومسدد، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم.

(٣) ذكره الرازي في «أسباب النزول» ٢٢٢ بغير سند، ورواه الطبري من حديث أم سلمة، وفي سننه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ورواه أحمد في «المستد» من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه ابن إسحاق، والطبراني من حديث أم سلمة، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. قال: ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي. وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر. قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، قال: ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مستد» من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، ثم قال: وكذا ذكر غير واحد من السلف، منهم ابن أبي ليلى، ويزيد بن رومان، والضحك، ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عتبة، والله أعلم.

«الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول الله ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي ﷺ، قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نثن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجرید والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ...﴾ الآية<sup>(١)</sup>. وقد أخرجنا جميعاً من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ خرج يعود سعد بن عباد، فمر بمجلس فيهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فحمر ابن أبي وجهه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا، فذكر الحديث، وأن المسلمين والمشركين واليهود استبوا<sup>(٢)</sup>. وقد ذكرت الحديث بطوله في «المغني» والحدائق. وقال مقاتل: وقف رسول الله ﷺ على الأنصار وهو على حمار له، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي: أف، وأمسك على أنفه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لهو أطيب ريحاً منك، فكان بين قوم ابن أبي وابن رواحة ضرب بالنعال والأيدي والسعف، ونزلت هذه الآية. والقول الثاني: أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مُمارة في حق بينهما، فقال أحدهما: لأخذن حقي غنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاء الآخر ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج؛ اقتتلوا بالعصي بينهم. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «اقتلا» على فعل اثنين مذكرين. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وأبو الجون، وابن أبي عبة: «اقتلتنا» بناء وألف بعد اللام على فعل اثنين مؤنثين. وقال الحسن وقتادة والسدي «فَأَمْلَحُوا بَيْنَهُمَا» بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷺ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿إِنْ بَعَثَ إِحْدَهُمَا﴾ طلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح، ﴿فَقَاتِلُوا آلَ تَيْبَةَ حَتَّى يَفْقَهُوا﴾ أي: ترجع ﴿إِلَّا أَتَى اللَّهُ﴾ أي: إلى طاعته في الصلح الذي أمر به.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلَ عِبَادَ اللَّهِ آلِيهِمْ ۚ ذَٰلِكُمْ دِينُهُمْ عَلٰى رَأْسِ الثُّمُلِ ۚ﴾ (٤) أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما (٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْكُفْرُ بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنَّسَبُ ۚ﴾ (٥) قال الزجاج: إذا كانوا متفقين في دينهم رجعوا باتفاقهم إلى أصل النسب، لأنهم لآدم وحواء، فإذا اختلفت أديانهم افرقوا في النسب (٥).

قوله تعالى: ﴿فَأَمْلِكُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: [بين أخويكم] بياء على الشنية، وقرأ أبي بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، [وقتادة]، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، ويعقوب: [بين إخوانكم] بناء مع كسر الهمزة على الجمع. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وابن سيرين: [بين إخوانكم] بالنون وألف قبلها. قال قتادة: ويعني بذلك الأوس والخزرج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخْرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَيْنَ الَّذِينَ الْإِيمَانِ وَبَيْنَ الَّذِينَ الْكُفْرَانِ ۚ قُلِ الْمَرْءُ أَفْوَاحٌ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ نَبِيِّ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب؛ فاما أولها إلى قوله تعالى: ﴿حَبِطَ مِنْهُمْ﴾

- (١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٢١٨/٥، وَمُسْلِمٌ ١٤٢٤/٣، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦، وَالحَدِيثُ رَوَاهُ أَيْضاً أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «الضَّرِيحِ»، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦، وَزَادَ نَسْبَهُ لَابْنِ الْمُنْزَلِ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ يَثِيْبٍ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.
- (٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ١٧٣/٨، وَمُسْلِمٌ ١٤٢٤/٣.
- (٣) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٩٠/٦ عَنْ رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ الْمُنْزَلِ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذُكِرَ لَنَا هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا مِمَارَاةٌ... الخ.
- (٤) وَتَمَّةُ الْآيَةِ «وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» أَي: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَادِلِينَ فِي أَحْكَامِهِمْ، الْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ خَلْقِهِ بِالْقِسْطِ اهـ. وَهُوَ الْعَدْلُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ١٤٥٨/٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكُلُّنَا يَدِيهِ يَمِينِ. الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا».
- (٥) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، «إِنَّا كَلَّمْنَاهُ إِخْوَةً» أَيِ الْجَمْعِ إِخْوَةً فِي الدِّينِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ» وَفِي «الصَّحِيحِ»: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضاً: «إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بَطْشَ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلِكُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ» وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. قَالَ: وَفِي «الصَّحِيحِ»: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلَّاهُمْ وَتَرَاحَمَهُمْ وَتَوَاصَلَهُمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَلَفَّاهُ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ». وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضاً: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْيَتِيمِ يَشُدُّ بِعَضْوِهِ مِثْلَ شَيْئٍ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ» اهـ.

فنزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدُّنُوَّ من رسول الله ﷺ، وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلساً، فجلس مُخَضَّباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان. فقال ثابت: أنت ابن فلانة!! فذكر أمّا له كان يعبر بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن وفد تميم استهزؤوا بقراء أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا من رثالة حالهم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ نِسَاءِ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ عيّن أم سلمة بالخصر، فنزلت هذه [الآية]، قاله أنس بن مالك<sup>(٣)</sup>. وزعم مقاتل أن عائشة استهزأت من قصر أم سلمة. والثاني: أن امرأتين من أزواج رسول الله ﷺ سخرتا من أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، وكانت أم سلمة قد خرجت ذات يوم وقد ربطت أحد طرفي جلبابها على خفوها، وأرخت الطرف الآخر خلفها، ولا تعلم، فقالت إحداهما للآخرى: انظري، ما خلّفت أم سلمة كأنه لسان كلب، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن صفية بنت حيّ بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيّرني ويقولن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: «هَلَّا قُلْتِ: إن أبي هارون، وإن عمّي موسى، وإن زوجي محمد» فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة ولهم ألقاب يُدْعَوْنَ بها، فجعل الرجل يدعو الرجل بلقبه، فقليل له: يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله أبو جيرة بن الضحاك<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة، فقال له الرجل: يا ابن اليهودية، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله الحسن. والثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي كلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله مقاتل. وأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: لا يستهزئ غنيّ بفقر، ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر عليه، ولا ذو حَسَبٍ بثلثم الحَسَبِ، وأشابه ذلك ممّا ينتقصه به، عسى أن يكون عند الله خيراً [منه]. وقد بيّنا في [البقرة: ٥٤] أن القوم اسم الرجال دون النساء، ولذلك قال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ نِسَاءِ﴾ و«تَلْمِزُوا» بمعنى تَعْيَبُوا، وقد سبق بيانه [التوبة: ٥٨]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تَعْيَبُوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم. والتنايز: التفاعل من النَّبَزَ، وهو مصدر، والنَّبَزُ الاسم. والألقاب جمع لقب، وهو اسم يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سُمِّيَ به. قال ابن قتيبة: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بها. و«الألقاب» و«الأنبا» واحد، ومنه الحديث: «تَبْزُهُمُ الرَّافِضَةُ» أي: لقبهم<sup>(٧)</sup>. وللمفسرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال: أحدها: تعبير التائب بسببئات قد كان عملها، رواه عطية العوفي عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه تسميته بعد إسلامه بدنيه قبل الإسلام، كقوله

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بغير سند ولم يعزه لأحد. وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره العلوي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند.

(٢) ذكر البغوي والخازن عن الضحاك بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن أنس بن مالك بغير سند، وكذلك البغوي والخازن.

(٤) ذكره الألويسي بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٥) ذكره البغوي والخازن في «التفسير»، والواحدي في «أسباب النزول» عن عكرمة عن ابن عباس بلا سند.

(٦) رواه الترمذي ١٥٩/٢ وقال: حديث حسن، ورواه الطبري ١٣٢/١٦، والواحدي في «أسباب النزول»، وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري في «الآداب المفردة»، والنسائي، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن المنذر، والبغوي في «معجمه»، وابن حبان، والثيراني في «الألقاب»، والطبراني، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي جيرة بن الضحاك.

(٧) قال ابن قتيبة في «غريب القرآن»: ومت قيل في الحديث: «قوم تبزهم الرافضة» أي لقبهم، قال الفقيه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في مقلمة كتابه «الصواعق المحرقة» في الرد على أهل البدع والزندقة. أخرج الدارقطني عن علي عن النبي ﷺ: «سيأتي من يعدي قوم لهم نيز يقال لهم: الرافضة». الحديث، ولم نثر عليه، والله أعلم بصحته.

(٨) «الطبري» ١٣٣/٢٦.

لليهودي إذا أسلم: يا يهودي، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup>، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، والقرظي. والثالث: أنه قول الرجل للرجل: يا كافر، يا منافق، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه تسميته بالأعمال السيئة، كقوله: يا زاني؛ يا سارق، يا فاسق، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. قال أهل العلم: والمراد بهذه الألقاب: ما يكرهه المنادى به، أو يُعَدُّ ذمّاً له. فأما الألقاب التي تكسب حمداً وتكون صدقاً، فلا تُكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك. وقوله: ﴿يَتَسَنَّوْنَ﴾ أي: تسميته فاسقاً أو كافراً وقد آمن، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ﴾ من التنازع ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا كِبْرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَئْسَ الْفِعْلُ إِن يَكُنْ لَّحِمٌ أَخِيهِ مِمَّا كَفَرْتُمُوهُ وَالْفَرْقَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا كِبْرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمن أن يظنَّ بالمؤمن شراً. وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخل مدخلاً لا يريد به [سوءاً]<sup>(٤)</sup>، فيراه أخوه المسلم فيظنُّ به سوءاً. وقال الزجاج: هو أن يظنَّ بأهل الخير سوءاً. فأما أهل سوء والفسق، فلنا أن نظنَّ بهم ومثل الذي ظهر منهم. قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم يثبته عن جميع الظن؛ والظنُّ على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه، فأما المحظور، فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب: حُسْنُ الظن بالله<sup>(٥)</sup>، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور<sup>(٦)</sup>، وأما الظن بالمأمور به، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تُعْبَدُنَا بتنفيذ الحكم فيه، والاقتصار على غالب الظن، وإجراء الحكم عليه واجب، وذلك نحو ما تُعْبَدُنَا به من قبول شهادة المُدُول، وتحريُّ القبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنائيات التي لم يَرِدْ بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تُعْبَدُنَا فيه بأحكام غالب الظنون. فأما الظن المباح، فكالشَّاك في الصلاة إذا كان إماماً، أمره النبي ﷺ بالتحريُّ والعمل على ما يُغْلِب في ظنِّه، وإن فعله كان مباحاً، وإن عَدَلَ عنه إلى البناء على اليقين كان جائزاً وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا ظَنَنْتُمْ فَلَا تَحْقُقُوا﴾<sup>(٧)</sup>، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الرِّية، فلا ينبغي له أن يحققه. وأما الظن المندوب إليه، فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يُنْدَب إليه ويُثَاب عليه. فأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن»<sup>(٨)</sup>، فالمراد: الاحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحاً خشيت السُّراق.

(١) ذكره الطبري ١٣٣/٢٦ عن الحسن، وذكره السيوطي في «الدر» ٩١/٦ من رواية عبد الرزاق عن الحسن.

(٢) «الطبري» ١٣٢/٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٩١/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة.

(٣) «الطبري» ١٣٣/٢٦.

(٤) زيادة ليست في الأصلين.

(٥) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٠٦/٤ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ».

(٦) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيكم والظن للظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تاجسسوا، ولا تعاسدوا، ولا تباضوا، ولا تداروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

(٧) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية الطبراني، ولفظه بتمامه: «ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن» فقال رجل: وما يذهبهين يا رسول الله ممن هن في؟ قال ﷺ: «إذا حدثت فاستغفر، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض»، وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٧٨ وقال: رواء الطبراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف.

(٨) رواء الطبراني في «الأوسط» وابن عدي من حديث بقة بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن سليم عن أنس مرفوعاً. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨٦/٨: بقة بن الوليد مدلس، وبقية رجاله ثقات، وقال الحافظ المناري في «فيض القدير»: قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: خرج الطبراني في «الأوسط» من طريق أنس، وهو من رواية بقة بالنعنة، عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف، فله علتان. قال: وصح من قول مطرف، أخرجه مسند. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: رواء أحمد في «الزهة» والبيهقي في «السنن» وغيرهما، كلاهما من قول مطرف بن الشخير أحد التابعين. اهـ. والحديث مخالف للأحاديث الصحيحة التي يأمر فيها النبي ﷺ المسلمين بأن لا يسيئوا الظن بإخوانهم، منها قوله ﷺ في الحديث الذي تقدم: «يا أيكم والظن... الحديث، ولا تستقيم المعاملة مع الناس على إساءة الظن بهم».



قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِمَنْ أَلْفَنِي إِثْرًا﴾ قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنّه من السوء بأخيه المسلم، فإن لم يتكلّم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يَأْثَمُ بنفس ذلك الظن وإن لم يُنْطِقْ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء، وابن يعمر: بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتجسس واحد، وهو التَّبَحُّثُ، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: التجسس، بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم؛ فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليُطْلَع عليه إذ ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرًا، فقال: إنا نُهِنّا عن التجسس، فإن يَظْهَرُ لنا شيء نأخذ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَبِهُنَّ عَنْكُمُ بَعْضُهُنَّ أَبي﴾ لا يتناول بعضكم بعضاً بظَهر الغَيْبِ بما يَسُوهُ. وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سئل ما الغيبة؟ قال: «ذَكَرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قال: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ. قال: «إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»<sup>(١)</sup>. ثم صَرَّبَ الله للغيبة مثلاً، فقال: «أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» وقرأ نافع «مَيْتًا» بالتشديد. قال الزجاج: وبيانه أن ذَكَرَكَ بسوءٍ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يُحْسِنُ بذلك. قال القاضي أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النفوس تُعافى من طريق الطَّعْنِ، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلة في الكراهة.

قوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «فَكَرِهْتُمُوهُ» برفع الكاف وتشديد الراء. قال الفراء: أي: وقد كرهتموه فلا تفعلوه، ومن قرأ «فَكَرِهْتُمُوهُ» أي: فقد بُغِضَ إليكم، والمعنى واحد. قال الزجاج: والمعنى: كما تكرهون أكل لحمه ميتاً، فكذاك تجنّبوا ذِكْرَهُ بالسوء غائباً.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَوَشِيُّ﴾ أي: في الغيبة ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿تَوَّابٌ﴾ به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: نزلت في ثابت بن قيس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: أنت ابن فلانة، وقد ذكرناه عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه لما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بالآلاف فصعد على ظهر الكعبة فأذّن، وأراد أن يُذِلَّ المشركين بذلك، فلما أذّن، قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أسيداً قبل اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟! وقال سهيل بن عمرو: إن يَكْرِهَ الله شيئاً يَغْيِرْهُ، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، فأني إن قُلْتُ شيئاً لَتَشْهَدَنَّ عَلَيَّ السماء، وَلَتُخَيِّرَنَّ عَنِّي الأرض، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عبداً أسود مرض فعاده رسول الله ﷺ، ثم قبض فتولّى غسله وتكفينه ودفنه، فأثر ذلك عند الصحابة، فنزلت هذه الآية، قاله يزيد بن شجرة<sup>(٤)</sup>. فأما المراد بالذكر والأنثى، فأدم وحواء. والمعنى: إنكم تتساوون في النسب؛ وهذا زجر عن التفاخر بالأنساب. فأما الشعوب، فهي جمع شعب. وهو الحي العظيم، مثل مضر وربيعة، والقبائل دونها، كبكر من ربيعة، وتميم من مضر، هذا قول الجمهور من المفسرين وأهل اللغة. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد بالشعوب: الموالي، وبالقبايل: العرب. وقال أبو رزين: الشعوب: أهل الجبال الذين لا يَغْتَرُونَ

(١) رواه أبو داود في «سننه» (رقم ٤٨٧٤)، والترمذي في «جامعه» ١٥/٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير ١٣٧/٢٦. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٤/٦ وزاد نسبة لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، كلهم عن أبي هريرة رَوَاهُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» ٤/٢٠٠. ولفظه: عن أبي هريرة رَوَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِن كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ». أي: قلت فيه البهتان، وهو الباطل.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بلا سند، ولم يعزه لأحد، وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بلا سند أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي ومن قبله عن ابن عباس بغير سند.

(٣) ذكره. الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٤ عن مقاتل.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥٩: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

لأحد، والقبائل: قبائل العرب. وقال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل: إن القبائل هي الأصول، والشعوب هي البُطون التي تشعب منها، وهذا ضد القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِنْتَعَرُوا﴾ أي: ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده. قال الزجاج: المعنى: جعلناكم كذلك لتعارفوا، لا لتفاحروا. ثم أعلمهم أن أرفعهم عنده منزلة أنقامهم. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والضحاك، وابن عمر، وأبان عن عاصم: ﴿لَتَعْرِفُوا﴾ بإسكان العين وكسر الراء من غير ألف. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل، وابن محيصن: ﴿لَتَعَارَفُوا﴾ بقاء واحدة مشددة وبالف مفتوحة الراء مخففة. وقرأ أبو نهيك، والأعمش: ﴿لَتَتَعَرَّفُوا﴾ بقاءين مفتوحة الراء وبتشديدها من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو الجوزاء: «أَنْ» بفتح الهمزة. قال الفراء: من فتح «أَنْ» فكانه قال: لتعارفوا أَنَّ الكريمَ الثَّقي، ولو كان كذلك لكانت «لَتَعْرِفُوا»، غير أنه يجوز «لَتَعَارَفُوا» على معنى: ليعرف بعضكم بعضاً أن أكرمكم عند الله اتقاكم<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآءًا قَلًى لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَكَّا يَدْخُلُ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنفَكَنَّ عَنْكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَتَمْلِكُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكِلُ شَيْءَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ إِنَّ أَسْمَاءَ قَدْ لَبَّتُنَا عَلَى إِسْنَكِمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآءًا﴾ قال مجاهد: نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة. ووصف غيره حالهم، فقال: قديموا المدينة في سنة مُجْدِيَّة، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارهم، وكانوا يُعْتَوْنَ على رسول الله ﷺ يقولون: آيتناك بالاثقال والعيال، ولم تُقَاتِلْكَ، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: نزلت في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار [وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة (الفتح)] وكانوا يقولون: آمنا بالله، ليامنوا على أنفسهم، فلما استشفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقال مقاتل: كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرّت بهم سرية من سرايا رسول الله ﷺ قالوا: آمنا، ليامنوا على دمائهم وأموالهم، فلما سار رسول الله ﷺ إلى الحديبية استفهمهم فلم يفتروا معه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لَمْ تَصَدِّقُوا ﴿وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ قال ابن قتبية: أي: استسلمنا من خوف السيف، وانقذنا. قال الزجاج: الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به رسول الله ﷺ، وبذلك يُخَفَّنَ الدَّم، فإن

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرَّكُمْ﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى، لا بالأحساب. قال: وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري في (صحيحه) عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم». وروى مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» وروى أبو داود في (مستدركه) والترمذي وحسنه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَبَ عَنْكُمْ خِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ (كبرها ونفختها) وفخرها بالآباء، مؤمن ثقي، وفاجر شقي، أتم بنو آدم وأدم من تراب، ليدفن رجالاً فخرهم بأقوالهم إنما هم فحمن من فحمن جهنم، أو ليعكفون لعون على الله من الجملان التي تلعب بأنفسها التين».

وروى أحمد في «المستدرك» بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لمجمعي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» ثم قال ابن كثير في تكملة الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكِلُ خَيْرُ﴾ أي عليهم بكم، خير بأموركم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله، قال: واستدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط، ولا يشترط سوى الدين، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرَّكُمْ﴾ قلت: ورويه الحديث المروى: «إذا اتاكم من ترضون دينه وأمانته فتزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد هريض» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو حديث حسن.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» والبيهقي والخازن في «التفسير» بلا سند.

(٣) ذكره البيهقي والخازن عن السدي بغير سند، ولم يمزوا لأحد.

كان معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فآخَرَجَ الله هؤلاء من الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصَدِّقُوا، إنما أسلمتم تعزُّداً من القتل، وقال مقاتل: «ولمَّا» بمعنى «ولم» يدخل التصديق في قلوبكم<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَعَسَىٰ أَمْرُهُمْ كَعَمَلِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: إن تُخْلِصُوا الإيمان ﴿لَا يَلْتَكِرْ﴾ قرأ أبو عمرو: «يَالْتَكُم» بآلف وهمز؛ وروي عنه بآلف ساكنة مع ترك الهمزة: وقرأ الباقون: «يَلْتَكُم» بغير ألف ولا همز. فقراءة أبي عمرو من أَلَتْ يَالَتْ، وقراءة الباقين من لَات يَلَيْتْ، قال الفراء: وهما لغتان، قال الزجاج: معناهما واحد. والمعنى: لا يَنْقُصُكُمْ. وقال أبو عبيدة: فيها ثلاث لغات: أَلَتْ يَالَتْ، تقديرها: أَفَكَ يَأْفَكَ، وَأَلَات يَلَيْتْ، تقديرها: أَقَالَ يُقِيلُ، وَلَات يَلَيْتْ، قال رؤية:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدَى سَرَرْتُ وَلَمْ يَلِثْنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتٌ<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ غُثًى مِّنَ السَّمَاءِ وَنُفًى مِّنَ الْأَرْضِ مُصَوِّبًا لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: من ثوابها. ثم نعت الصادقين في إيمانهم بالآية التي تلي هذه<sup>(٣)</sup>. ومعنى: ﴿يَرْكَبُوا﴾ يَشْكُوا. وإنما ذكر الجهاد، لأن الجهاد مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [في إيمانهم. فلما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون] فتزلت [هذه الآية].  
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُم مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ و«عَلِمَ» بمعنى «أعلم»، ولذلك دخلت الباء في قوله: «بدينكم» والمعنى: أتخبرون [الله] بالدين الذي أنتم عليه؟! أي: هو عالمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخباركم؛ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ قالوا: أسلمنا ولم نقَاتِلْكَ<sup>(٤)</sup> [والله أعلم].



(١) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادَّعَوْا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يمتثلن الإيمان في قلوبهم بعد ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَا جَاءَنَا لَهُمْ تَزْيِينًا وَلَكِنَّهُمْ قَوْلًا امْتَلَأْنَا وَكَلَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قال: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال: ويدل عليه حديث جبريل ﷺ حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه. اهـ.

(٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٢٢١، و«الطبري» ٢/١٥ و٢/٢٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: ليت.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدرة» ١٠٠/٦: أخرج ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقَاتِلْكَ كما قَاتَلْتَ بَنُو قُلَان، فأنزل الله ﴿يَشْرُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ الآية، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» ١١٢/٧: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة، ولكنه منلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن كثير عن البزار عن طريق أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم قال: قال البزار: لا تعلمه يروى إلا من هذا الوجه، ولا تعلم زوى أبو عون محمد بن عبد الله غير هذا الحديث. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» من رواية النسائي والبزار وابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن سعيد بن جبير، ومن رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن. والله أعلم اهـ.

## سورة ق<sup>(١)</sup>

### ويقال لها: سورة الباسقات

روى العوفي [وغيره] عن ابن عباس أنها مكِّيَّة، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية [ق: ٣٨].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبْتَ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ عَجِبٍ ۝ أَوَلَمْ يَسْمَعْ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَاطٌّ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ق﴾ قرأ الجمهور بإسكان الفاء، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «قاف» بنصب الفاء، وقرأ أبو رزين، وقتادة: «قاف» برفع الفاء. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «قاف» بكسر الفاء. وفي «ق» خمسة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه جبل من زَبَرَجْدَة خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: خَلَقَ اللَّهُ جِبَلًا يقال له: «ق» محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله ﷻ أن يزلزل قرية، أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض. وروى عن الضحاك أنه من زمردة خضراء، وعليه كَتَفَا<sup>(٢)</sup> السماء، وخُضْرَة السماء منه. والثالث: أنه جبل من نار في النار، قاله الضحاك في رواية عنه عن ابن عباس. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والخامس: أنه حرف من كلمة. ثم فيه خمسة أقوال. أحدها: أنه افتتاح اسمه «قدير»، قاله أبو العالية. والثاني: أنه افتتاح أسمائه: القدير والقاهر والقريب ونحو ذلك، قاله القرطبي. والثالث: أنه افتتاح «قُضِيَ الأمر»، وأنشدوا:

قُلْنَا لَهَا قُضِيَ فَقَالَ ثَقَاف<sup>(٣)</sup>

معناه: أقف، فاكثفت بالقاف من «أقف»، حكاية جماعة منهم الزجاج. والرابع: قف عند أمرنا ونهيها، ولا تَعُدُّهُمَا، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: قُلْ يا محمد، حكاية الثعلبي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: الممجيد: الكريم. وفي جواب هذا القسم أربعة أقوال: أحدها: أنه مُضْمَر، تقديره: تقديره. لَيَبْتَغُنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ. قاله الفراء، وابن قتيبة، ويدلُّ عليه قول الكفار: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ عَجِبٍ﴾

(١) وهي أول المفصل على الصحيح، وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة (الحجرات) فليراجع، وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع، لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والمعقاب والترغيب والترهيب.

(٢) في الأصلين: كَتَفَا بالناء وهو تصحيف.

(٣) الرجز في «الطبري» ١٤٧/٢٦، و«القرطبي» ٢/١٧، و«اللسان»: وقف.

(٤) قال ابن كثير: روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، إما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ليسون به على الناس أمر دينهم، كما اتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالمهد من يَدَم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوز العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذب، فليس من هذا القبيل والله أعلم، قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، وعلى الله الحمد والمِنَّة، ثم قال: والذي ثبت عن مجاهد أن ﴿ق﴾ حرف الهجاء، فقول: ﴿قَ، حَم، طَس، أَلَم﴾ ونحو ذلك. قال: وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة (البقرة) اهـ. وقد ذكرنا نحن الكلام على ذلك في أول سورة (الشعراء) فليراجع.

عَجِبَ. والثاني: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى: [قاف] والقرآن المجيد لقد عَلِمْنَا، فحُدِثَ الَّلَامُ لَأَنَّمَا قَبْلَهَا عَوَضَ مِنْهَا، كقوله: ﴿وَالْتَّيْسُ وَصَحْهَا... قَدْ أَفْلَحَ﴾ [النسر: ١-٩] أي: لقد أَفْلَحَ، أجاز هذا القول الزجاج. والثالث: أنه قوله: ﴿هَذَا يَلِيطُ مِنْ قَوْلِي﴾، حكى عن الأخفش. والرابع: أنه في سورة أخرى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، ولم يبين في أي سورة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ مفسر في [ص: ٤] إلى قوله: ﴿هَؤُلَاءِ عَجِبُوا﴾ أي: مُعْجِبٌ. ﴿أَوَدَا وَتَنَا﴾ قال الأخفش: هذا الكلام على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟ وقال غيره: تقدير الكلام: ق والقرآن لِيُثَبِّتُنَّ، فقال: أنذا متنا وكنا تراباً؟ والمعنى: أثبتت إذا كنا كذلك؟! وقال ابن جرير: لما تعجبوا من وعيد الله على تكذيبهم بمحمد ﷺ فقالوا: هذا شيء عجيب، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بعثتم ما يكون حالكم في تكذيبكم محمداً، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟!

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ أي: رُدُّ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لا يكون. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم إذا ماتوا، يعني أن ذلك لا يَغْزُبُ عن علمه، ﴿وَعِدْنَاكَ﴾ مع علمنا بذلك ﴿كَتَبَ حَبِيطٌ﴾ أي: حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تَنْقُصُ الأرض منهم، وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يكون. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن. والمريج: المختلط، قال ابن قتيبة: يقال: مَرَجَ [أمر] الناس، وَمَرَجَ الدِّينُ، وأصل هذا أن يَفْلُقَ الشيء، ولا يستقر، يقال: مَرَجَ الخاتم في يدي: إذا قلق، للهزال. قال المفسرون: ومعنى اختلاط أمرهم: أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة: ساحر، مرة: شاعر، مرة: مُعَلِّمٌ، ويقولون للقرآن مرة: سحر، مرة: مَقْتَرَى، مرة: رَجَزٌ، فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ١ ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِجْسًا وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِحِجِّ ٢﴾ ٢ ﴿تَبَعْرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٣﴾ ٣ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَبَلَتٍ وَحَبَّ الْقَمْصِيدِ ٤﴾ ٤ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ٥﴾ ٥ ﴿وَرَزَقْنَا لِلْحَبَادِّ وَآحِينَاتٍ بِهِ بِلَادَةً مِثْلًا كَذَلِكَ لِلزُّرُوعِ ٦﴾ ٦ ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٍ وَأَصْحَبُ الْأَرْوَاحِ وَتَمُودَ ٧﴾ ٧ ﴿وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَخَوَانَ لُوطَ ٨﴾ ٨ ﴿وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُجِّ كُلِّ كَذَبٍ الْأُرْسُلَ لَقَى وَبَعْدَ ٩﴾ ٩ ﴿أَفَمِنْ أَلْحَلَّى الْأَوَّلَ بَلْ هُوَ فِي لَيْسَ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٠﴾ ١٠ ثم دلهم على قدرته على البعث بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من صدوع وشقوق. والزُوج: الجنس. والبهيج: الحسن، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: البهيج: الذي يَتَهَجَّ به.

قوله تعالى: ﴿تَبَعْرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ١١ ﴿قال الزجاج: أي: فعلنا ذلك لِنُبْصِرَ وَنَدَّلَ عَلَى الْقُدْرَةِ. والمنيب: الذي يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَيُفَكِّرُ فِي قُدْرَتِهِ.﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير، فيه حياة كل شيء، ﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَبَلَتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَحَبَّ الْقَمْصِيدِ﴾ أراد: الحبَّ الحصيد، فأضافه إلى نفسه، كقوله: ﴿هَلْوَ حَقُّ الْيَتِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الزَّوْبِيدِ﴾ [ق: ١٦] فالْحَبْلُ هو الزريد، وكما يقال: صلاة الأولى، يراد: الصلاة الأولى، ويقال: مسجد الجامع، يراد: المسجد الجامع، وإنما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفراء، وابن قتيبة. وقال غيرهما: أراد حَبَّ النَّبْتِ الحصيد. ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أي: وأنبتنا النخل: ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ و«بُسُوقها» طولها. قال ابن قتيبة: يقال: بَسَقَ الشيء يَبْسُقُ بُسُوقًا إذا طال، والنضيد: المنضود بعضه فوق بعض، وذلك قبل أن يَفْتَحَ، فإذا انشَقَّ جُفُ طُلُعَهُ وَفَرَّقَ فَلَيْسَ بِنَضِيدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَا لِلْحَبَادِّ﴾ أي: أنبتنا هذه الأشياء للزُّرُوعِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿بِلَادَةً مِثْلًا كَذَلِكَ لِلزُّرُوعِ﴾ من القُبور. ثم ذكر الأمم المكذبة بما بعد هذا، وقد سبق بيانه إلى قوله: ﴿لَقَى وَبَعْدَ﴾ أي: وجب عليهم عذابي. ﴿أَفَمِنْ أَلْحَلَّى الْأَوَّلَ﴾ هذا جواب لقولهم: ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ، والمعنى: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وهو الخلق الأول، فنعمنا بالبعث وهو الخلق الثاني؟! وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق، وأنكروا البعث ﴿بَلْ هُوَ فِي لَيْسَ﴾ أي: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿٢﴾ مَا يُلْقِيَنَّ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿٣﴾ وَمَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٤﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٥﴾ وَمَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَاشِدٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَيِدٌ ﴿٧﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أي: ما تحدثه به نفسه. وقال الزجاج: نعلم ما يُكِنُّه في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الحبل هو الوريد، وإنما أضافه إلى نفسه لما شرحناه آنفاً في قوله: ﴿وَحَبِّ الْقَبْرِ﴾ [ق: ٩] قال الفراء: والوريد: عِرْقٌ بين الحُلُقُومِ والعُلْبَاوَيْنِ. وعنه أيضاً قال: عرق بين اللَّبَّةِ والعُلْبَاوَيْنِ. وقال الزجاج: الوريد: عِرْقٌ في باطن العُنُقِ، [وهما وريدان]، والعُلْبَاوَانِ: العَصْبَتَانِ الصَّفْرَاوَانِ في مَثْنِ العُنُقِ، واللَّبَّتَانِ: مَجْرَى الْفَرْطِ في العُنُقِ. وقال ابن الأنباري: اللَّبَّةُ حيث يتذبذب الْفَرْطُ مِمَّا يَقْرُبُ من شحمة الأذن. وحكى بعض العلماء أن الوريد: عِرْقٌ متفرق في البدن مُخَالِطٌ لجميع الأعضاء، فلَمَّا كانت أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضاً، أَعْلَمَ أن عِلْمَهُ لا يحجب شيئاً. والمعنى: ونحن أقرب إليه حين يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ، وهما الملكان الموكَّلتان بابن آدم يتلقَّيانِ عَمَلَهُ (١). وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذان ذلك ويُثَبِّتانه ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ كاتب الحسنات ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ كاتب السيئات. قال الزجاج: والمعنى: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فدلَّ أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ (٢)  
وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَالْإِدِي بَرِيئاً، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (٣)

المعنى: كنتُ منه بريئاً. وقال ابن قتيبة: الْقَعِيدُ بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القعيد بمعنى مُقَاعِدٍ، كالأكيل والشَّربِ بمنزلة: المُؤَاكِلِ والمُشَارِبِ.

قوله تعالى: ﴿مَا يُلْقِيَنَّ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلَّم من كلام فيَلْقِظُهُ، أي: يَرْمِيهِ من فمه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ حافظ، وهو الملك الموكَّل به، إمَّا صاحب اليمين، وإمَّا صاحب الشمال ﴿عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: العتيد: الثابت للأزم، وقال غيره: العتيد: الحاضر معه أينما كان. وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، فَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَرَادَ صَاحِبُ الشَّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا، قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُنْفِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» (٤). وقال ابن عباس: جَعَلَ اللَّهُ

(١) قال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس. ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: «وأنا أقرب إليه من حبل الوريد» وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِيزُونَ﴾ (٥) يعني ملائكته. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الْكَرِيمُ﴾ (٦) قال: فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن، بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك، قال: فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، قال: وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ أي مترصد. احد. وقد سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وأوضحه في كتابه «شرح حديث النزول».

(٢) سبق تخريج البيت في ٥٨٠ و ١١٥٢، وانظر «اللسان»: فقد.

(٣) البيت لعمر بن أحمد بن العمرد الباهلي، أو للأزرق بن طرفة، وهو في «الكتاب» ٣٨٠/١، ومعاني القرآن ٤٥٨/١، ومجاز القرآن ١٦١/٢، واشواهد الكشاف ١٢٨، «والصالح»، «واللسان» و«التاج»: حول.

(٤) رواء البغوي والعليني من طريق حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة وفيه ضعف، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه، وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه، وروى أبو نعيم في «الحلية» وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عياش، عن عاصم بن رجا عن عروة بن روم عن القاسم عن أبي أمامة، وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة قال: دخل عثمان بن عفان على =

على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار. واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين: أحدهما: أنهما يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، قاله مجاهد. والثاني: أنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر [عليه]، أو يؤزر، قاله عكرمة. فأما مجلسهما، فقد نطق القرآن بأنهما عن اليمين وعن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أمامة. وقد روى عليّ كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مَقْعِدَ مُلْكِكَ عَلَى ثَنِيَّتِكَ، وَلَسَانُكَ قَلَمُهُمَا، وَرِيقُكَ مَدَادُهُمَا، وَأَنْتَ تَجْرِي فِيمَا لَا يَعْنِيكَ»<sup>(١)</sup> وروى عن الحسن والضحاك قالا: مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ وهي غمرته وشِدُّته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وتُدْله على أنه ميت، ﴿بِالْحَقِّ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للإنسان ما لم يكن يبئاً له من أمر الآخرة. ذكر الوجهين الفراء، وابن جرير. وقرأ أبو بكر الصديق ﷺ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾، قال ابن جرير: ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سَكْرَةُ الله بالموت. والثاني: أن تكون السَكْرَةُ هي الموت، أضيفت إلى نفسها، كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ حَقٌّ الْيَقِينِ﴾<sup>(٢)</sup> [الواقعة: ٩٥]، فيكون المعنى: وجاءت السَكْرَةُ الْحَقُّ بالموت، بتقديم «الحق». وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «وَجَاءَتْ سَكْرَاتُ» على الجمع «الحق بالموت» بتقديم «الحق». وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة: «وَجَاءَتْ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ» على الجمع «بالحق» بتأخير «الحق».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فيقال للإنسان حينئذ: «ذلك» أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ نَعِيْدُ﴾ أي: تهرب وتفر<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس: تكبر.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي أَسْرَرٍ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ أي: يوم وقوع الوعيد. قوله تعالى: ﴿مَتَمَّا سَاءَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السائق: ملك يسوقها إلى مَحْشَرها، قاله أبو هريرة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه قرينها من الشياطين، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها. وفي الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ملك يشهد عليها بعملها، قاله عثمان بن عفان، والحسن. وقال مجاهد: الملكان: سائق، وشهيد. وقال ابن السائب: السائق: الذي كان يكتب عليه السيئات، والشاهد: الذي كان يكتب الحسنات. والثاني: أنه العمل يشهد على الإنسان، قاله أبو هريرة. والثالث: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله، قاله الضحاك. وهل هذه الآيات عامة، أم خاصة؟ فيها قولان: أحدهما: أنها عامة، قاله الجمهور. والثاني: خاصة في الكافر، قاله الضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ أي: ويقال له: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم. وفي المخاطب بهذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافر، قاله ابن عباس، وصالح بن كيسان في آخرين. والثاني: أنه عام في البر والفاجر، قاله حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، واختاره ابن جرير. والثالث: أنه النبي ﷺ، وهذا قول ابن زيد<sup>(٥)</sup>. فعلى القول الأول يكون المعنى: لقد كنت في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بكفرك به؛ وعلى الثاني: كنت غافلاً عن أهوال القيامة، ﴿كَذُفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك. وقيل معناه: أريناك ما كان مستوراً

= رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم مع العبد ملك؟... الحديث. وقد ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٤/٦ من رواية الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة ﷺ.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٣/٦ عن علي موقوفاً قال: أخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن علي قال: لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداد. وذكره مرفوعاً من رواية أبي نعيم، والديلمي عن معاذ بن جبل ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَغُفُّ الْمَلِكِينَ الْحَافِظِينَ حَتَّى اجْلِسَ عَلَيْهِمَا عَلَى النَّاجِلِينَ وَجَعَلَ لِسَانَهُ قَلَمُهُمَا، وَرِيقَهُ مَدَادُهُمَا» والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

(٣) قال ابن كثير: هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ آدَمَ ثِيَابًا وَبَدَنًا يَدْرُسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى النَّاسِ كُلِّهِمْ. فَإِنَّ اللَّهَ لَغُفُّ الْمَلِكِينَ الْحَافِظِينَ حَتَّى اجْلِسَ عَلَيْهِمَا وَجَعَلَ لِسَانَهُ قَلَمُهُمَا، وَرِيقَهُ مَدَادُهُمَا» والله أعلم.

(٥) «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» أي: وجاءت سَكْرَةُ الموت بالحق ﴿ذَلِكَ﴾ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَعِيْدُ، وإذا كان ذلك كذلك، كانت بينة صحة ما قلنا. اهـ.



عنك؛ وعلى الثالث: لقد كنت قبل الوحي في غفلة عما أوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي ﴿فَمَرَكْ أَيَّامَ حَودٍ﴾ وفي المراد بالبصر قولان: أحدهما: البصر المعروف، قاله الضحاك. والثاني: العلم، قاله الزجاج. وفي قوله: «اليوم» قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله الأكترون. والثاني: أنه في الدنيا، وهذا على قول ابن زيد. فأما قوله: «حديث» فقال ابن قتيبة: الحديد بمعنى الحاذ. أي: فأنت ثاقب البصر. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فبصرك حديثاً إلى لسان الميزان حين تُوزَنُ حسناتك وسيئاتك، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة، قاله مقاتل. والثالث: أنه العلم النافذ، قاله الزجاج.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۖ أَلِيَّا فِي جَهَنَّمَ ۚ كُلُّ كَفَّارٍ عِنْدِي ۖ فَنُفِخَ لِلنَّعِيرِ فَمُتُوا ۖ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ الْوَحْيُ لَوَاقِيَهُ فِي الْعَذَابِ الْغَدِيدِ ۚ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْغَيْتُمْ وَلَكِنْ كَانُ فِي سَكْرٍ مِّنْ عَذَابِ ۖ قَالُوا لَا تَخْصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَيْدِ ۚ مَا يُبَيِّنُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قال مقاتل: هو ملكه الذي كان يكتب عمله السعي في دار الدنيا، يقول لربه: قد كتبت ما وكلفتني به، فهذا عندي مُعَدُّ حاضر من عمله الخبيث، فقد أنيتك به ويعمله. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «من» قاله مجاهد. والثاني: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيء لديّ عتيذ، قاله الزجاج. وقد ذكرنا معنى العتيد في هذه السورة (ق: ١٨)، فيقول الله تعالى: ﴿أَلِيَّا فِي جَهَنَّمَ﴾ وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاطبة للواحد بلفظ الخطاب للاثنتين، قال الفراء: والعرب تأمر الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجل: ويلك ارحلها وازجرها، سمعتها من العرب، وأنشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَخِيسَانَا  
وَأَنْشَدَنِي أَبُو ثُرَوَانَ:

فَلَمَّا تَزَجَّرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ  
وَنَرَى أَنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِأَن أَمْنَى أَعْوَانَ الرَّجُلِ فِي إِبْلِهِ وَغَنَمِهِ اثْنَانِ، وَكَذَلِكَ الرَّفْقَةُ أَدْنَى مَا تَكُونُ ثَلَاثَةٌ، فَجَرَى الْكَلَامُ عَلَى صَاحِبِهِ، أَلَا تَرَى الشَّعْرَ أَكْثَرَ شَيْءٍ قِيلاً: يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي. قال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرًّا بِِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ  
نُقْضِي (٣) لُبَانَاتِ الْفُرَادِ الْمُعَذِّبِ  
ثُمَّ قَالَ:

أَلَمْ تَرَأْنِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً  
وَجَذْتُ بِهَا طَيْباً وَإِنْ لَمْ تَطْيِبِ (٤)

فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقال: «أليّا» خطاب للخازن، يعني خازن النار. والثاني: أنه فعل ثني توكيداً، كأنه لما قال: «أليّا»، ناب عن ألتى، وكذلك: قفا بئلك (٥)، معناه: قف وقف، فلما ناب عن فعلين، ثني، قاله المبرد. والثالث: أنه أمر للملكين، يعني السائق والشهيد، وهذا اختيار الزجاج. فأما «الكفار»، فهو أشدُّ مُبَالَعَةً مِنَ الْكَافِر. و «العتيد» قد فسرناه في (هود: ٥٩).

(١) البيت لمُفَرَّسٍ بِنِ وَيُحْيَى الْأَسَدِي، وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، و«المصاحح»، و«اللسان» و«التاج»: جزز، ونسبه الجوهري ليزيد ابن الطرية. وقوله: «فقلت لصاحبي» أراد بالصاحب من يحتطب له، يقول لصاحبه: لا تحبسا عن شيء اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه، بل اكتف بقطع الشج فو أسهل وأسرع.

(٢) البيت في «مشكل القرآن» ٢٢٥، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، وقوله: «وإن تدعاني» أي: إن تركتاني حميت عرضي معن يؤذيني، وإن زجرتاني انزجرت وصبرت.

(٣) في الأصل: يقضي، والتصويب من «الدبيان».

(٤) «ديوانه» ٤١، و«الطبري» ١٦٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٣/١. و«اللُّبَانَاتُ»: جمع لُبَانَة، وهي الحاجة، والطارق: الذي يأتي ليلاً، يعني أنها طيبة الريح وإن لم تمس طيباً، وخاصة في الوقت الذي تتغير فيه الأنواء.

(٥) جزء من أول بيت في معلقة امرئ القيس، والبيت بتمامه:

قِفَا بئلكَ مِن ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ  
يَسْطِطُ السُّؤْيُ بَيْنَ السُّخُولِ فَخَوَّلِ

قوله تعالى: ﴿مَتَّعَ لِلْعَيِّتِ﴾ في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الزكاة المفروضة، قاله قتادة. والثاني: أنه الإسلام، يمنع الناس من الدُّخُول فيه، قاله الضحاك، ومقاتل، وذكر أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه عن الإسلام<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه عامٌّ في كل خير من قول أو فعل، حكاه الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَتَّعَ﴾ أي: ظالم لا يُؤَيَّر بالتوحيد<sup>(٣)</sup> ﴿مُرِيبٌ﴾ أي: شاكٌ في الحق، من قولهم: أراب الرجل: إذا صار ذا ريب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَيَمْوُءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: شيطانه، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، والجمهور. وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان ادّعى على قرينه من الشياطين أنه أضله فقال: ﴿رَبَّنَا مَا لَلْفِتْنَةِ﴾ أي: لم يكن لي قوة على إضلاله بالإكراه، وإنما طغى هو بضلاله. والثاني: أنه الملك الذي كان يكتب السيئات. ثم فيما يدّعي الكافر على الملك قولان: أحدهما: [أنه] يقول: زاد عليّ فيما كتب، فيقول الملك: ما أطغيته، أي: ما زدته عليه، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه يقول: كان يُعجلني عن التوبة، فيقول: ربنا ما أطغيته، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي مَكَلِّ يَبِيدُ﴾ أي: بعيد من الهدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْتَسِبُوا لَدَيَّ﴾. في هذا الخصام قولان: أحدهما: أنه اعتذارهم بغير عذر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه خصامهم مع قرانهم الذين أعوَّوهم، قاله أبو العالية. فاما اختصاصهم فيما كان بينهم من المظالم في الدنيا، فلا يجوز أن يهمل، لأنه يوم التناصف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْبَيْدِ﴾ أي: قد أخبرتكم على السَّن الرُّسُل بعذابي في الآخرة لمن كفر. ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يبدل [القول] فيما وعدته من ثواب وعقاب، قاله الأكثرون. والثاني: ما يكذب عندي ولا يغيّر القول عن جهته، لأنّي أعلم الغيب وأعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتهم، هذا قول ابن السائب واختيار الفراء وابن قتيبة، ويدل عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ولم يقل: ما يبدل قولي ﴿وَمَا أَنَا بِطَّاغُوتٍ مُّبِيدٍ﴾ فأريد على إساءة المُسيء، أو أنقص من إحسان المُحسن.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وَأَوَّلَتْ الْجَنَّةُ لِلنَّارِ عَرَّ بَعِيدٍ ﴿هَذَا مَا وَعَدْنَاهُ لِكُلِّ أَزْوَاجٍ حَفِظُوا﴾ مِّنْ حَيْثُ الرِّجْحَنَ بِالْغَيْبِ وَبَقِيَ شَيْبِ ﴿أَدْعُلُوهُمْ بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْقُلُوبِ﴾ ثُمَّ مَا يَنَافُونَ بَيْنًا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيسٍ﴾ إِذْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَّوْنٍ ﴿٧٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٧٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٨٠﴾﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يوم نقول» بالنون المفتوحة وضم القاف. [وقرأ نافع، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يوم يقول» بالياء المفتوحة وضم القاف]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «يوم يُقال» بياء مضمومة وفتح القاف وإثبات ألف. قال الزجاج: وانتصاب «يوم» على وجهين: أحدهما: على معنى: ما يبدل القول لديّ في ذلك اليوم. والثاني: على معنى: وأنذرتهم يوم نقول لجهنّم. فأما فائدة سؤاله إياها، وقد علم هل امتلأت أم لا، فإنه توبيخ لمن أدخلها. وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]. وفي قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قولان عند أهل اللغة: أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فالمعنى: هل بقي في موضع لم يمتلئ؟ أي: قد امتلأت. والثاني: أنها تقول تغيطاً على من عصى الله

(١) ذكره البغوي والخازن في «تفسيريهما» بنحوه بغير سند ولم يعزوه لأحد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله تعالى أو لأدمي في ماله، قال: والخير في هذا الموضع هو المال، وإنما قلنا: ذلك هو الصواب من القول، لأن الله تعالى ذكره عم بقوله: ﴿مَتَّعَ لِلْعَيِّتِ﴾ أنه يمنع الخير، ولم يخص من شيء دون شيء، فذلك على كل خير يمكن منعه طالبه. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «معتمد» يقول: معتمد على الناس بلسانه، بالبذاء والفحش في المنطق، ويبدد بالسطوة والبطش ظملاً. اهـ. وقال ابن كثير: «معتمد» أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد، قال: وقال قتادة: معتمد في منطق وسيره وأمره. اهـ.

تعالى، وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهَا أَنْ تَمَيَّزَ وَتَخَاطَبَ، كما جَعَلَ فِي النَّمْلَةِ أَنْ قَالَتْ: ﴿أَذْنُلُوا سَنَكُنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨] وفي المخلوقات أَنْ تَسْبَحَ بحمده.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا إِلَيْنَا الرُّسُلَ﴾ أي: قُرِيتَ لِلْمُتَّقِينَ [الشرك] ﴿غَيْرَ بَيِّنٍ﴾ أي: جُعِلَتْ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ حيث يراها أَهْلُ الْمَوْقِفِ، ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ الذي ترونه ﴿مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن: «يُوعِدُونَ» بالياء «يَكِلُ أَرْأَيْ» وفيه أقوال قد ذكرناها في [بني إسرائيل: ٢٥]. وفي «حَفِيطٌ» قولان: أحدهما: الحافظ لذنبه حتى يرجع عنها، قاله ابن عباس. والثاني: الحافظ لأمر الله تعالى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَنْ حَقَّقَ الرَّحْمَنَ وَالنَّبِيَّ﴾<sup>(١)</sup> قد بَيَّنَّاهُ فِي [الأنبياء: ٤٩] ﴿وَيَكَلِّبُ نَبِيًّا﴾ أي: راجع إلى طاعة الله عن معصيته. ﴿أَتَذْكُرُونَا﴾ أي: يقال لهم: أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ ﴿سَلَامٌ﴾ وذلك أَنَّهُمْ سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَسَلِمُوا فِيهَا مِنَ الْعُيُوفِ وَالغَيْثِ وَالزُّوَالِ، وَسَلَّمُ اللَّهِ وَمَلَأَتْهُ عَلَيْهِمْ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ لَا مَوْتَ فِيهَا وَلَا زَوَالَ. ﴿فَمَنْ مَّا يَكْفُرُ﴾ وذلك أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ حَتَّى تَنْتَهِيَ مَسْأَلَتُهُمْ، فَيُعْطُونَ مَا شَاؤُوا، ثُمَّ يَزِيدُهُمْ مَا لَمْ يَسْأَلُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. وللمفسرين في المراد بهذا المزيد ثلاثة أقوال: أحدها: أَنَّهُ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ ﷻ؛ رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي النَّبِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قَالَ: يَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَى فِي كُلِّ جُمُعَةٍ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أَنَّ السَّحَابَ يَمُرُّ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَمْطَرُهُمُ الْحُورُ، فَتَقُولُ الْحُورُ: نَحْنُ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ. والثالث: أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا تَمَنَّوْهُ وَسَلَّوْهُ مِمَّا لَمْ تَسْمَعْ بِهِ أَذْنَ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ. ثُمَّ خَوْفُ كُفَّارِ مَكَّةَ بِمَا بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَقَبَّلُوا فِي الْيَدِ﴾ قَرَأَ الْجُمْهُورُ «فَتَقَبَّلُوا» بِفَتْحِ النُّونِ وَالْقَافِ مَعَ تَشْدِيدِهَا. وَقَرَأَ أَبُو بَنِي بَنِ كَعْبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ السَّمِيعِ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَسَرُوا الْقَافَ عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ تَهْدِئَةً. وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ، وَعَبِيدُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو: «فَتَقَبَّلُوا» بِفَتْحِ الْقَافِ وَتَخْفِيفِهَا. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَمَعْنَى «فَتَقَبَّلُوا»: سَارُوا فِي الْبِلَادِ، فَهَلْ كَانَ لَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ﴿مِنْ عَجِيرٍ﴾ فَأَضْمَرْتُ «كَانَ» هَاهُنَا، كَقَوْلِهِ: ﴿أَمَلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣] أي: فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَاصِرٌ. وَمَنْ قَرَأَ «فَتَقَبَّلُوا» بِكَسْرِ الْقَافِ، فَإِنَّهُ كَالْوَعِيدِ؛ وَالْمَعْنَى: أَذْهَبُوا فِي الْبِلَادِ وَجِئُوا فَهَلْ مِنَ الْمَوْتِ مِنْ مَحِيصٍ؟ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: «تَقَبَّلُوا» طَوَّقُوا وَفَتَّشُوا، فَلَمْ تَرَوْا مَحِيصًا مِنَ الْمَوْتِ. قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

لَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَنَاقِ حَتَّى

رَضِيتُ مِنَ الْعَزِيمَةِ بِالْإِيَابِ<sup>(٣)</sup>

فَأَمَّا الْمَحِيصُ فَهُوَ الْمَغِيلُ؛ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا شَرْحَهُ فِي سُورَةِ [النساء: ١٢١].

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ يعني الذي ذكره من إهلاك القرى ﴿لَذِكْرٌ﴾ أي: تَذْكِرَةٌ وَعِظَةٌ ﴿لِّمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ قال ابن عباس: أي: عقل. قال الفراء: وهذا جائز في اللغة أَنْ تَقُولَ: مَا لَكَ قَلْبٌ، وَمَا مَعَكَ قَلْبُكَ، تَرِيدُ الْعَقْلَ. وقال ابن قتيبة: لَمَّا كَانَ الْقَلْبُ مَوْضِعًا لِلْعَقْلِ كُنِيَ بِهِ [عنه]. وقال الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: لَمَنْ صَرَفَ قَلْبَهُ إِلَى التَّفْهَمِ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: اسْتَمَعَ مِنِّي ﴿وَوَفَّوْهُ شَهِيدٌ﴾ أي: وَقَلْبُهُ فِيمَا يَسْمَعُ. وقال الفراء: «وهو شهيد» أي: شاهد ليس بغائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ذكر المفسرون أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، آخِرَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَلِذَلِكَ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ،

(١) قال ابن كثير: أي: مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ ﷻ، كَقَوْلِهِ ﷻ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَآضَتْ عَلَيْهِ».

(٢) ذكره الْأَلُوسِيُّ فِي «رُوحِ الْمَعَانِي» ١٧٣/٢٧ مِنْ رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي «الرُّوَيْةِ» وَالدِّبْلَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النَّبِيِّ ﷻ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قَالَ: يَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ ﷻ.

(٣) ذكره الْأَلُوسِيُّ فِي «رُوحِ الْمَعَانِي» ١٧٣/٢٧ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمُنْذَرِ وَجَمَاعَةٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: يَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ جُمُعَةٍ.

(٤) «ديوانه» ٩٩، وَفَسَّاجُ الْقُرْآنِ ٢/٢٢٤، وَ«الطَّبْرِي» ١٧٦/٢٦، وَمَخْتَارُ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ ٨٠/١، وَ«اللسان» وَ«التاج»: تَقَبَّ. وَفِي «الديوان»: «وَقَدْ طَوَّقَتْ» بِدَلٍّ «لَقَدْ تَقَبَّتْ».

فأكذبهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا مَسْكَنَيْنِ لُثُوبٍ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: واللُثوب: الثَّعْب والإعياء.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من بهتهم وكذبهم. قال المفسرون: ونسخ معنى قوله: «فاصبر» بآية السيف، ﴿وَسَيَحْمَدُنَّ رَبَّكَ﴾ أي: صلُّ بالثناء على ربك والتنزيه [له] ممَّا يقول المُنِيطلون ﴿قِيلَ طُلُوعَ الشَّمْسِ﴾ وهي صلاة الفجر. ﴿وَقِيلَ الْغُرُوبِ﴾ فيها قولان: أحدهما: صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس. والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبد الله، قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ حِينَئِذَا كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ»<sup>(٢)</sup> في رؤيته، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَافْعَلُوا. وقرأ: ﴿وَسَيَحْمَدُنَّ رَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة الليل كله، أي وقت صلى منه، قاله مجاهد. والثاني: صلاة العشاء، قاله ابن زيد. والثالث: صلاة المغرب والعشاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلشُّجُورِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، وخلف: بكسر الهمزة؛ وقرأ الباقون بفتحها. قال الزجاج: من فتح ألف «أدبار» فهو جمع دُبر، ومن كسرهما فهو مصدر: أدبر يُدبر إدباراً. وللمفسرين في هذا التسييح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه<sup>(٤)</sup> الركعتان بعد صلاة المغرب، روي عن عمر، وعلي، والحسن بن علي ﷺ، وأبي هريرة، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وقاتدة في آخرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه<sup>(٥)</sup> النوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه التسييح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات، رواه مجاهد عن ابن عباس. وروي عن أبي الأحوص أنه قال في جميع التسييح المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

﴿وَأَسْبَحَ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(١)</sup> يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْكَاثِرُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ نَشْغُفُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَحَ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِيَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ينادي المنادي» بياء في الوصل. ووقف ابن كثير بياء، ووقف نافع وأبو عمرو بغير ياء. ووقف الباقون ووصلوا بياء. قال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي المنادي. قال المفسرون: والمنادي: إسرافيل، يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس هلمُّوا إلى الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء؛ وهذه هي النفخة الأخيرة. والمكان القريب: صخرة بيت المقدس. قال كعب ومقاتل: هي قرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن السائب: بانني عشر ميلاً. قال الزجاج: ويقال: إن تلك الصخرة في وسط الأرض<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ وهي [هذه] النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ «بِالْحَقِّ» أي: بالبعث الذي لا شك فيه ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: نُمِيت في الدنيا ونُحْيِي للبعث ﴿وَإِنَّا الْكَاثِرُونَ﴾ بعد البعث، وهو قوله: ﴿يَوْمَ نَشْغُفُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «نَشْغُفُّ» بتشديد الشين؛ وقرأ الباقون بتخفيفها: ﴿سِرَاعًا﴾ أي: فيخرجون منها سراعاً. ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هيئ. ثم عزى نبيّه فقال: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في تكذيبك، يعني كفار مكة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ قال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً،

(١) ذكره الطبري عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن الحسن وقاتدة.

(٢) «لا تضامون» يجوز ضم التاء وفتحها. وهو بتشديد الميم من الضم، أي: لا ينضم بعضهم إلى بعض، ولا يقول: أرنه، بل كل ينفر برويته. وروي بتخفيف الميم من الضم، وهو الظلم، يعني: لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضهم دون بعض، بل تستون كلكم في رؤيته تعالى.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٨، ومسلم ٤٣٩/١، ورواه أحمد في «المستند» وأصحاب «السنن» عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٤) في الأصل: أنها.

(٥) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند، والخازن بغير سند ولم يعزه لأحد، وذكره ابن جرير الطبري ١٨٣/٢٦ عن قتادة عن كعب الأحبار مطولاً، ومختصراً عن بريدة ﷺ، ولأورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ من رواية ابن عساكر والواسطي في «فضائل بيت المقدس» عن يزيد بن جابر.

وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم؛ وأنكر الفراء هذا القول فقال: العرب لا تقول: «فَعَالٌ مِنْ أَفْعَلْتُ» لا يقولون: «خَرَجَ» يريدون «مُخْرِجٌ» ولا «دَخَلَ» يريدون «مُدْخِلٌ»، إنما يقولون «فَعَالٌ» من «فَعَلْتُ»، وإنما الجَبَّارُ هنا في موضع السلطان من الجبرية، وقد قالت العرب في حرف واحد: «دَرَاكَ» من «أَذْرَكَتُ» وهو شاذ، فإن جعل هذا على هذه الكلمة فهو وجه. وقال ابن قتيبة: «يَجْبَرُ» أي: بمسلط، والجَبَّارُ: المَلِكُ، سُمِّيَ بذلك لِتَجْبِرَهُ، يقول: لستَ عليهم بملك مُسَلِّط. قال اليزيدي: لستَ بمسلط فتقهرهم على الإسلام. وقال مقاتل: لِنَقْتُلَهُمْ. وذكر المفسرون أن قوله: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: «تَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ» أي: فَعِظْ بِهِ «مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» [وقرأ يعقوب: «وعيدي» بياء في الحالين]، أي: ما أوعدتُ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْعَذَابِ<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن كثير: «تَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» أي: بلغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله وعيده، ويرجو وعده كقوله تعالى: «إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ» وقوله جل جلاله: «تَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ ۝١٠ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ»، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ»، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ» وقوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ تَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ» اهـ.

## سورة الذاريات

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ ذُرُّوا ۖ فَلْيَمْلِكْ وَيَقْرَأْ ۚ فَلْيُكَلِّمْ يَسْرَ ۚ﴾ ١ ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ۚ﴾ ٢ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۚ﴾ ٣ ﴿وَالَّذِينَ لَوْعَتِ ۙ﴾ ٤ ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْمُنَبِّ ۙ﴾ ٥ ﴿إِنْكَرَ لَيْ قَوْلِي تَخَلِّفَ ۙ﴾ ٦ ﴿يُؤْتِكُ عَنْهُ مَنَ الْفِكَ ۙ﴾ ٧ ﴿يَلِ الْمَرْصُونَ ۙ﴾ ٨ ﴿الَّذِينَ مَنَ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ ۙ﴾ ٩ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ ۙ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ ۙ﴾ ١١ ﴿يَوْمَ مَنَ عَلَى الْآثَارِ يُفْتَنُونَ ۙ﴾ ١٢ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْتَلُونَ ۙ﴾ ١٣ ﴿إِنَّ السَّاعِيْنَ فِي جَنَّتِي وَحِيدُونَ ۙ﴾ ١٤ ﴿لَا يَذِينَ مَا هَآلَهُمْ ۙ﴾ ١٥ ﴿رَبِّهِمْ إِلَهُهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ كُفَّارًا ۙ﴾ ١٦ ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْبَلِّ مَا يَهْتَمُّونَ ۙ﴾ ١٧ ﴿وَالْأَشْخَارُ هُمْ يَسْتَفْتِرُونَ ۙ﴾ ١٨ ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَاهُمْ حَقًّا لِلْأَسْبَابِ وَالْخُرُوبِ ۙ﴾ ١٩ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۙ﴾ ٢٠ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۙ﴾ ٢١ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۙ﴾ ٢٢ ﴿وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ يَتْلُو مَا أَنْكُمُ نَظِيرُونَ ۙ﴾ ٢٣

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ذُرُّوا ۖ﴾ يعني الرِّيحُ، يقال: ذَرَّتْ الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوهُ ذُرْوًا: إذا فَرَّقَتْهُ. قال الزجاج: يقال: ذَرَّتْ فهي ذارية، وأذَرَتْ فهي مُذَرَّة، بمعنى واحد. ﴿وَالَّذِينَ ذُرُّوا ۖ﴾، مجرور على القسم، المعنى: أخلف بالذاريات وهذه الأشياء، والجواب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۚ﴾، قال قوم: المعنى: ورب الذاريات، ورب الجاريات.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَمْلِكْ وَيَقْرَأْ ۚ﴾ يعني السحاب التي تحمل وقرها من الماء. ﴿فَالْيَمْلِكْ يَسْرَ ۚ﴾ يعني السفن تجري ميسرة [في الماء] جرياً سهلاً. ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ۚ﴾ يعني الملائكة تقسم الأمور على ما أمر الله به<sup>(١)</sup>. قال ابن السائب: والمقسّمات أربعة، جبريل، وهو صاحب الوحي والغلبة، وميكائيل، وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل، وهو قابض الأرواح. وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته. ثم ذكر المُقَسِّمَ عليه فقال: ﴿إِنَّمَا مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۚ﴾ أي: من الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿لَصَادِقٌ ۚ﴾ أي: لَحَقٌّ. ﴿وَالَّذِينَ لَوْعَتِ ۙ﴾ فيه قولان: أحدهما: الحساب. والثاني: الجزء ﴿لَوْعَتِ ۙ﴾ أي: لكائن. ثم ذكر قَسَمًا آخر فقال: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْمُنَبِّ ۙ﴾ وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين: «الحَبْكُ» بكسر الحاء والباء جميعاً. وقرأ عثمان بن عفان، والشعبي، وأبو العالية، وأبو حيو: «الحَبْكُ» بكسر الحاء وإسكان الباء. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس وأبو رجاء، وابن أبي عبل: «الحُبْكُ» برفع الحاء وإسكان الباء. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة: «الحَبْكُ» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وأبو الجوزاء، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «الحَبْكُ» بفتح الحاء وكسر الباء. ثم في معنى «الحبك» أربعة أقوال: أحدها: ذات الخلق الحسن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: البنيان المُثَقَّن، قاله مجاهد. والثالث: ذات الرينة، قاله سعيد بن جبیر. وقال الحسن: حُبْكُهَا: نُجُومُهَا. والرابع: ذات الطرائق، قاله الضحاك واللغويون<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: الحُبْكُ: تَكْشُرُ كُلُّ شَيْءٍ كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ السَّائِكَةُ، والماء القائم إذا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ، والشَّعْرَةُ الْجَعْدَةُ تَكْشُرُهَا حُبْكُ، وواحد الحُبْكُ: حَبَاكٌ وَحَبِيكَةٌ. وقال الزجاج: أهل اللغة يقولون: الحُبْكُ: الطرائق الحسنّة، والمَحْبُوكُ في اللغة: ما أجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق

(١) قال السيوطي في «الدرر» ١١١/٦: أخرجه عبد الرزاق، والفرجاني، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طرق عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ذُرُّوا ۖ﴾ قال: الرياح ﴿فَالْيَمْلِكْ وَيَقْرَأْ ۚ﴾ قال: السحاب ﴿فَالْيَمْلِكْ يَسْرَ ۚ﴾ قال: السفن ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ۚ﴾ قال: الملائكة.

(٢) قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس عليه السلام، فإنها من حسنها مرتفعة شفافه صفيقة شديدة البهاء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

في الماء وفي الرَّمْل إذا أصابته الرِّيح فهو حُبْك. وروي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: هذه هي السماء السابعة. ثم ذكر جواب القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَيْسَ قَوْلُكُمْ نَعْلَمَ﴾ في أمر محمد ﷺ، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون. وفي القرآن [بعضكم] يقول: سِخْر، وبعضكم يقول: كَهانة وَرَجَز، إلى غير ذلك. ﴿يُؤْثِقُكَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ﴾ أي: يُضَرِّفُ عن الإيمان [به] مَنْ ضَرَفَ [فَحَرَمَهُ]، [والهَاء في «عنه» عائدة إلى القرآن، وقيل: يُضَرِّفُ عن هذا القول، أي: من أجله وسببه عن الإيمان من ضَرَفَ]. وقرأ قتادة: «مَنْ أَفَكَ» بفتح الألف والفاء. وقرأ عمرو بن دينار: «مَنْ أَفَكَ» بفتح الألف وكسر الفاء. ﴿يُنَزِّلُ الْفَرْصُونَ﴾ قال الفراء: يعني [لَعْن] الكذَّابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكذَّاب وشاعر، خَرَصُوا ما لا علم لهم به. وفي رواية العوفي عن ابن عباس: أنهم الكهنة. وقال ابن الأنباري: والقتل إذ أخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍ﴾ أي: في عمى وجهالة بأمر الآخرة: ﴿سَاهَوْنَ﴾ أي: غافلون. والسَّهْو: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه. ﴿يَسْتَأْذِنُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ﴾ أي: يقولون: يا محمد متى يومُ الجزاء؟! تكذِّباً منهم واستهزاء. ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى أَنْفَارٍ﴾ قال الزجاج: «اليوم» منصوب على معنى: يقع الجزاء يومُ هُمْ على النَّارِ ﴿يَنْفَتُونَ﴾ أي: يُحَرِّقُونَ ويمدَّبُونَ، ومن ذلك يقال للحجارة الشُّود التي كانها قد أحرقت بالنار: القَيْن.

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا﴾ المعنى: يقال لهم: ذوقوا ﴿وَيَنْتَكِرُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: تكذيبكم، قاله ابن عباس. والثاني: حريقكم، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: هاهنا تم الكلام، ثم انتشف، فقال: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ قال المفسرون: يعني الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء. ثم ذكر ما وعد الله لأهل الجنة فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنُحُورٍ﴾ وقد سبق شرح هذا [البقرة: ٢٥، الحجر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لَيْلِيَّةٍ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، فالمعنى: في جَنَاتٍ وعيون في حال أخذ ﴿مَا أَنْتَهُمْ بِهِ﴾ قال المفسرون: أي ما أعطاهم الله من الكرامة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا نَحْسِينَ﴾ في أعمالهم. وفي الآية وجه آخر: ﴿لَيْلِيَّةٍ مَا أَنْتَهُمْ بِهِ﴾ أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا نَحْسِينَ﴾ أي: مطيعين، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مسلم البطين<sup>(١)</sup>. ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ والهجوع: التَّوَمُّ بالليل دون النهار<sup>(٢)</sup>. وفي «ما» قولان: أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله: «قليلاً» على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتداء فقال: «من الليل ما يهجمون» على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحَّاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجمونه، وهذا مذهب الحسن، والأحف بن قيس، والزهري، وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَنْفَارِ هُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ وقد شرحناه في [آل عمران: ١٧].

قوله تعالى: ﴿فَرَىٰ أَمْوَالَهُمُ خَبْرٌ﴾ أي: نصيب، وفيه قولان: أحدهما: أنه ما يَصِلُونَ به رَجْماً، أو يَقْرُونَ به ضيقاً، أو يحملون به كلاً، أو يعينون به محروماً، وليس بالزكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة، وابن سيرين.

(١) رواه ابن جرير ١٩٦/٢٦ وفي سننه ضعف وانقطاع، وذكره ابن كثير عن عثمان بن أبي شيبة بسند حسن. وقد رد ابن كثير على ابن جرير هذا التفسير الذي أورده في «تفسيره» واقتصار عليه بقوله: والذي فسر به ابن جرير، فيه نظر، لأن قوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْلِيَّةٍ﴾ حال من قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنُحُورٍ﴾ فالمفتون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما أتاهم ربهم، أي: من النعم والسور والنبطة. وقوله ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ كُنُوا نَحْسِينَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿نَحْسِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتِ النَّفْسُ فَيَتَنَفَّسُ فِي الْآيَةِ الْآيَةِ﴾.

(٢) روى أحمد في «المستد» والترمذي وابن ماجه في «استنهما» بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس عليه (أي: ذهبوا)، مسرعين إليه فكانت فيمن انجفل، فلما تبين وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «أفئوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».



قوله تعالى: ﴿لَتَسَّالِينَ﴾ وهو الطالب. وفي: «المَحْرُوم» ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي ليس له سهم في شيء المسلمين، وهو المُحَارَف<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال إبراهيم: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. والثاني: أنه الذي لا ينمي له شيء، قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء: هو المحروم في الرزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير، قاله محمد بن علي. والرابع: أنه المتعفف الذي لا يسأل شيئاً، قاله قتادة، والزهري. والخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن بن محمد ابن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي. والثامن: أنه الكلب، روي عن عمر بن عبد العزيز. وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل - ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل - ثم يتحفظ بالمتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروماً من قِبَل نفسه حين لم يسأل، ومن قِبَل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفطن له متيقظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْأَشْيَاءِ يُدْعَى﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿لِتَرْفَعَهُنَّ﴾ بالله ﷻ الذين يعرفونه بصنعه. ﴿رَبِّ أُنْشِكُكُمْ﴾ آيات إذ كنتم نطفاً، ثم عظاماً، ثم علقاً، ثم مضغاً، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطباع، وتقويم الأدوات، والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله: «وفي أنفسكم»، ثم قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وحמיד، وأبو حصين الأسدي: «أزرقكم» براء ساكنة ويألف بين الزاي والقاف. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو نهيك: «رازقكم» بفتح الزاء وكسر الزاي ويألف بينهما. وعن ابن محيصن<sup>(٣)</sup> كهاتين القراءتين. وفيه قولان: أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وفي قوله: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمرة مجازة: عند من في السماء رزقكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضمِر، قال نابغة [ذبيان]:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أُنْشِشٍ      يُقَعِّقُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنٍّ<sup>(٤)</sup>

أراد: كأنك جمل من جمال بني أنشيش.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّكُم﴾ قال الزجاج: يعني ما ذكره من أمر الآيات والرزق وما توعدون وأمر النبي ﷺ ﴿يُنْزِلُ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُنْزِلُ» برفع اللام. وقرأ الباقر بنصب اللام. قال الزجاج: فمن رفع «يُنْزِلُ» فهي من صفة الحق، والمعنى: إنه لَحَقُّكُم يَنْزِلُ نَظْفَقُكُم؛ ومن نصب فعلى ضربين: أحدهما: أن يكون في موضع رفع، إلا أنه لما أُضيف إلى «أَنْ» فُتِح. والثاني: أن يكون منصوباً على التأكيد، على معنى: إنه لَحَقُّ حَقًّا يَنْزِلُ نَظْفَقُكُم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لَحَقُّكُم كما أنك تتكلم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيفٍ لِرَبِّهِمُ الْكَاذِبِينَ﴾ (١) إِذْ سَمِعُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَفًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢) فَرَأَى إِلَهُهُ فَجَاءَ بِسِتْرٍ سِيمِينَ (٣) فَفَرَّقَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٤) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّوا رَبَّنَا يُبَشِّرُكُمْ بِمَلَائِكَةٍ عَلَيْهِمْ (٥) فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ فِي صَرَرٍ فَصَكَّتْ

(١) قال في «الصحاح»: ورجل محارف، بفتح الراء، أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك، وقد حورف كسب فلان: إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه.

(٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿رَبِّ أُنْشِكُكُمْ﴾ أيضاً أيها الناس آيات وعبر تلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تظنون في ذلك فتضكروا فيه فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم؟

(٤) تقدم البيت ٥٥٨.

(٣) في الأصل: «محيصن».

وَجَعَلَهَا رَقَاتٍ مَجْرُورٍ عَقِيمٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْتِلَاكَ لَكَ قُرَى مُجْرِمِينَ ﴿٨٢﴾ لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٨٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَرَكَّابًا فِيهَا نَارًا لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ صَبَإٍ إِبْرَاهِيمَ الْكُرِّيِّ﴾ ﴿٨٦﴾ «هل» بمعنى «قد» في قول ابن عباس، ومقاتل، فيكون المعنى: قد أتاك فاستمع تقصصه عليك، وضيقة: هم الذين جاؤوا بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في [هود: ٧٠]، وذكرنا هناك معنى الضيف. وفي معنى «المُكْرِيَّينَ» أربعة أقوال: أحدها: لأنه أكرمهم بالعجل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: بأن خدمهم هو وامراته بأنفسهما، قاله السدي. والثالث: أنهم مُكْرَمُونَ عند الله، قاله عبد العزيز بن يحيى. والرابع: لأنهم أضياف، والأضياف مُكْرَمُونَ، قاله أبو بكر الوراق.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلْنَاكَ﴾ قد ذكرناه في [هود: ٧٠].

قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ شُكِّرُونَ﴾ قال الزجاج: ارتفع على معنى: أنتم قومٌ مُنْكَرُونَ. وللمفسرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال: أحدها: لأنه لم يعرفهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأنهم سَلَّمُوا عليه، فأنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قاله أبو العالية. والثالث: لأنهم دخلوا [عليه] من غير استئذان. والرابع: لأنه رأى فيهم صورة البشر وصورة الملائكة.

قوله تعالى: ﴿رَأَى لَكَ آهْلِيهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عدل إليهم في حقيقته، ولا يكون الرواغ إلا أن تُخْفِيَ ذهابك ومجيئك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَبْعَثْ سَيِّدٍ﴾ وكان مشوثاً ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: والمعنى: فقربه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ ١٩ على النكير، أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قد شرحناه في [هود: ٧٠]، وذكرنا معنى: «غلام عليم» في [الحجر: ٥٤]. ﴿فَأَبَاقَتْ أَمْرَاتُهُمْ﴾ وهي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة: لم تُقْبِلْ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وإنما هو كقولك: أقبلَ يَشْتَمْنِي، وأقبلَ يَصِيحُ ويتكلم، أي: أخذ في ذلك، والَصْرَةُ: الصيحة. وقال أبو عبيدة: الصْرَةُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ. وفيما قالت في صيحتها قولان: أحدهما: أنها تأوّهت، قاله قتادة. والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَصَكَتَ رَجُلَاهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لطمت وجهها، قاله ابن عباس. والثاني: ضربت جبينها تعجباً، قاله مجاهد. ومعنى الصك: ضَرْبُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ العريض<sup>(٢)</sup>. ﴿وَقَاتَتْ مَجْرُورٍ﴾ قال الفراء: هذا مرفوع بإضمار «أَتَيْدُ عَجُوزًا». وقال الزجاج: المعنى: أنا عجزوز عقيم، فكيف ألد؟ وقد ذكرنا معنى «الْعَقِيمِ» في [هود: ٧٢]. ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ أنك ستلدن غلاماً؛ والمعنى: إنما نُخْبِرُكَ عن الله ﷻ وهو حكيم عليم يَقْدِرُ أن يجعل العقيم ولوداً، فعَلِمَ [حينئذ] إبراهيم أنهم ملائكة. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مفسر في [الحجر: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو الأجر.

قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ قد شرحناه في [هود: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾، أي: من قُرى لوط ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الآية.

[هود: ٨٢].

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾: تُلْغَفُ في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: تأنيمكم بطعام. بل جاء به بسرعة وخفاء، وأنى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فني سمين مشوي. فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

(٢) قال في، «اللسان»: الصك: الضرب الشديد بالشئ العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صكه يصكه صكاً.

﴿فَا وَهَبْنَا فِيهَا عِوَجَ يَتَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفهم الله ﷻ بالإيمان والإسلام، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وَرَزَقْنَا يَبَا يَابَةَ﴾ أي: علامة للخائفين من عذاب الله تذلُّهم على أن الله أهلهم. وقد شرحنا هذا في المنكبات: ٢٥ وبيَّنا المكني عنها.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ ثَلَاثِينَ ﴿٢٨﴾ نَتَوَكَّلْ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِيرُ أَوْ جَحُورٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلَةٌ كَالْأَمِيرِ ﴿٣٢﴾ وَفِي نُوحٍ إِذْ يَقُولُ لِأَهْلِهِ تَنَصَّعُوا حَتَّىٰ يَجِيءَ فِتْنًا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمَارٍ وَمَا كَانُوا مُتَعِمِّينَ ﴿٣٤﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٥﴾ وَالشَّعَاءُ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ وَنَا لَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَالْأَرْضُ قَرَشَتْهَا فَيَمُّ الْمَهْدُونَ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجُلَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٨﴾ فَنُفِّرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُنْ مِنْهُ ذَكِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَلَا تَحْمِلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَّ إِلَى لَكْرٍ مِنْهُ ذَكِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي: وفيه أيضاً آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ ثَلَاثِينَ﴾ أي: بحجة ظاهرة ﴿نَتَوَكَّلْ بِرُكْبِهِ﴾ أي: أعرض ﴿بِرُكْبِهِ﴾ قال مجاهد: بأصحابه. وقال أبو عبيدة: «بركته» و«بجانيه» سواء، إنما هي ناحيته ﴿وَقَالَ سِيرٌ﴾ أي: وقال لموسى: هذا ساحر ﴿أَوْ جَحُورٌ﴾ وكان أبو عبيدة يقول: «أو» بمعنى الواو. فأما «اليم»، فقد ذكرناه في (الأعراف: ١٣٦) و«مليم» في (الصافات: ١٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أي: في إهلاكهم آية أيضاً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup> وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تُلْقِحُ شجراً ولا تحُولُ مطراً، وإنما هي للإهلاك. وقال سعيد بن المسيب: هي الجَنُوب. ﴿فَمَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: من أنفسهم وأموالهم، ﴿إِلَّا جَمَلَةٌ كَالْأَمِيرِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي. قال الفراء: الرَّمِيم: نبات الأرض إذا يَبَسَ وَبَسَ. وقال الزجاج: الرَّمِيم: الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم. ﴿وَفِي نُوحٍ﴾ آية أيضاً ﴿إِذْ يَقُولُ لَأَهْلِهِ تَنَصَّعُوا حَتَّىٰ يَجِيءَ فِتْنًا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ في قولان: أحدهما: أنه قيل لهم: تَمَتَّعُوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهتدوا لهم. والثاني: أن صالحاً قال لهم بعد عقر الناقة: تَمَتَّعُوا ثلاثة أيام؛ فكان الجين وقت فناء آجالهم، ﴿فَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: عصوا أمره ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل. وقرأ الكسائي وحده: «الصَّعْقَةُ» [يسكون العين من غير ألف]؛ وهي الصَّوْت الذي يكون عن الصاعقة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ في قولان: أحدهما: يَرَوْنَ ذلك عياناً. والثاني: وهم يَنْتَظِرُونَ العذاب، فاتاهم صيحة يوم السبت.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمَارٍ﴾ في قولان: أحدهما: ما استطاعوا نُهوضاً من تلك الصَّرعَة. والثاني: ما أطاقوا ثُبوتاً لعذاب الله ﴿وَمَا كَانُوا مُتَعِمِّينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث، وحمزة، والكسائي: بخفض الميم، وروى عبد الوارث رفع الميم، والباقون بنصبها. قال الزجاج: من خفض القوم فالمعنى: وفي قوم نوح آية، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فإن معناه: أهلكناهم، فيكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح، والأحسن - والله أعلم - أن يكون محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ وَجُودُهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ لأن المعنى: أغرقناه، وأغرقنا قوم نوح. ﴿وَالشَّعَاءُ بَيْنَهُمَا﴾ المعنى: وبيننا السماء بينهما ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي بقوة، وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسائر المفسرين واللغويين: [بأيدي] أي بقوة. وفي قوله: ﴿وَنَا لَمُوسَى﴾ خمسة أقوال: أحدها: لموسى الرزق بالمطر، قاله الحسن. والثاني: لموسى السماء، قاله ابن زيد. والثالث: لقادرون، قاله ابن قتيبة. والرابع: لموسى ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج. والخامس: لذو سعة لا يضيق عما يريد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ قَرَشَتْهَا فَيَمُّ الْمَهْدُونَ﴾ قال الزجاج: هذا عطف على ما قبله منصوب بفعل مُضْمَر

(١) وهي الدبور، فقد روى مسلم في «صحيحه» ٦١٧/٢ عن عبد الله بن عباس رضى الله عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».

محذوف يدل عليه قوله: «فرشناها»، فالمعنى فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَتَعَمَّ الْفِتْهُورُ﴾ أي: فيعم الماهدون نحن. قال مقاتل: «فرشناها» أي: بسطانها مسيرة خمسمائة عام، وهذا بعيد، وقد قال قتادة: الأرض عشرون ألف فرسخ<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَّمْنَا نَدَبَيْنِ﴾، أي: صنفين ونوعين كالذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار، والحلو والمُر، والثور والظلمة، وأشباه ذلك ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أن خالق الأزواج واحد. ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: اغربوا منا يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ﴾ ﴿أَتَوَسَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكٍ﴾ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيِّنِ﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا يَحِلُّ ذُنُوبَ أَحْسَنِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ ﴿قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما كذبت قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كانوا من قبلك يقولون للأنبياء.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَسَّوْا بِهِ﴾ أي: أوصى أولهم آخرهم بالكذب! وهذا استفهام توبيخ. وقال أبو عبيدة: أتواطؤوا عليه فأخذ بعضهم من بعض!؟

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة. ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ﴾ فقد بلغتهم ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ عليهم ﴿يَلْمُزُونَ﴾ لأنك قد أدت الرسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. والثاني: آية السيف. وفي قوله: «وذكر» قولان: أحدهما: عطف، قاله مقاتل. والثاني: ذكرهم بأيام الله وعذابه ورحمته، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أثبت الباء في «يعبدون» و «يطيعون» و «لا يستعملون» في الحاليين يعقوب. واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلا لأمرهم أن يعبدوني، قاله علي بن أبي طالب، واختاره الزجاج. والثاني: إلا ليقرؤوا بالعبودية طوعاً وكرهاً، قاله ابن عباس؛ وبيان هذا قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُوا اللَّهُ﴾ [الزخرف: ١٨٧]. والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني. وقال الضحاك، والفراء، وابن قتيبة: هذا خاص لأهل طاعته، وهذا اختيار القاضي أبي يعلى فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأن البهائم والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، فكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُفْرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمن خلق للشفاء ولجهنم، لم يخلق للعبادة. والرابع: إلا ليعضدوا إليّ وينذلوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد. وكلُّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لقضاء الله ﷻ لا يملك خروجاً عما قضاه الله ﷻ، هذا مذهب جماعة من أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ أي: أن يطيعوا أحداً من خلقي، لأنني أنا الرزاق. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله، ومن أطعم عياله أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا ابن آدم: استطعتك فلم تطعمني»، أي: لم تطعم عبيدي<sup>(٢)</sup>. فأمّا ﴿الرَّزَّاقُ﴾ فقرا الضحاك، وابن محيصن: «الرَّزَّاقُ» بوزن «العالم». قال الخطابي: هو المشكّل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها. ﴿الَّذِينَ﴾ الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته ولا يلحقه في

(١) ليس في هذا خير عن الشارح، وإنما هو ضرب من الظن وال تخمين.

(٢) وهو قطعة من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ١/ ١٩٠، ونصه: عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، قال: يا رب كيف أهولك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبيدي فلا تأمرهم أن يعبدوا عبيدي، أما علمت أنك لو عدت لوجدتني عندك؟ يا ابن آدم استطعتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعتك عبيدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيك فلم تسقي، قال: يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبيدي فلان فلم تسقه، أما إنك لم تسقه ووجدت ذلك عندي».

أفعاله مَشَقَّة. وقد روى قتيبة عن الكسائي أنه قرأ: «المتين» بكسر النون. وكذا قرأ أبو رزين، وقتادة، وأبو العالية، والأعمش. قال الزجاج: «ذُو الْقُوَّةِ المتين» أي: ذو الاقتدار الشديد، ومن رفع «المتين» فهو صفة الله ﷻ، ومن خفضه جعله صفة للقوة، لأن تأنيث القوة تأنيث الموعظة، فهو كقوله: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» [البقرة: ٢٧٥].

قوله تعالى: «إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني مشركي مكة «ذُنُوبًا» أي: نصيباً من العذاب «يُنَالُ ذُنُوبُ أَحَدِهِمْ» الذين أهلكوا، كقوم نوح وعاد وثمود. قال الفراء: الذُّنُوبُ في كلام العرب: الدَّلُؤُ العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصِيب والحِظُّ: <sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمُ ذُنُوبٌ      فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيلُ <sup>(٢)</sup>  
والذُّنُوبُ يُذَكَّرُ ويؤنث. وقال ابن قتيبة، أصل الذُّنُوب: الدَّلُؤُ العظيمة، وكانوا يَسْتَقُونَ، فيكون لكل واحد ذُنُوبٌ، فيُجْعَل «الذُّنُوب» مكان «الحِظُّ والنَّصِيب».

قوله تعالى: «فَلَا يَسْتَمْلِكُونَ» أي: بالعذاب إن أُخْرُوا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يوم بدر.



(١) وتام كلام الفراء: وبذلك أتى الضمير، فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم.

(٢) البيت في معاني القرآن «الورقة ٣١٣»، و«الطبري» ٢٧/٤٤، و«البحر» ٨/١٣٢، و«اللسان» و«التاج»: ذنب. والقلب: البئر.

## سورة الطُّور

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الثَّانِي

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٌ ٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْأَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالصَّفِّ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَآرِئٌ ٧ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوَرًا ٩ وَيَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ قَوْلٌ بَيِّنٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كُنُوزُكَ ١٣ هَٰذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ ١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ ١٥ أَصْلَحًا فَاصْبِرًا أَوْ لَا تَصْبِرْ سَاءَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ هذا قسم بالجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى ﷺ، وهو بأرض مدين لإواسمه زبيراً<sup>(١)</sup>. ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ٢﴾ أي: مكتوب، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: التوراة. والرابع: القرآن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ﴾ قال أبو عبيدة: الرُّقُّ: الزُّرْق. فأما المنشور: فهو المبسوط.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بيت في السماء. وفي أي سماء هو؟ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] في السماء السابعة، رواه أنس عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وحديث مالك بن صعصعة الذي أخرج في «الصحاحين» يدل عليه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه في السماء السادسة، قاله علي بن أبي حمزة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه في السماء الدنيا، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: هو حيال الكعبة يحجُّه كلُّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضُّراح. وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلما كان زمن نوح أمر الناس بحجِّه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفِعَ فجُعل بحذاء البيت في السماء الدنيا<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه البيت الحرام، قاله الحسن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «المعمور»: الكثير الغاشية.

قوله تعالى: ﴿وَالصَّفِّ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، قاله علي بن أبي حمزة<sup>(٧)</sup> والجمهور. والثاني: العرش، قاله الربيع.

(١) قال ابن كثير: يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، قال: فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، قال: وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل. اهـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٧/٢٧ من حديث حماد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» ورواه الحاكم ٤٦٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ١١٦/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) حديث مالك بن صعصعة رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٩/٦، ومسلم ١٥٠/١ وهو حديث طويل، والشاهد منه هنا قوله ﷺ: «فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من ابن نبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخر ما عليهم...» واللفظ للبخاري.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ١٦/٢٧ وفي سنده خالد بن عرعة وهو مجهول، وهو معارض للحديث الصحيح.

(٥) ذكره السيوطي في «الدرر» ١١٧/٦ ونسبه إلى ابن المنذر، والعقيلي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وضيف إسناده. وقال ابن كثير: والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة، والله أعلم.

(٦) والقول الأول، وهو أن البيت المعمور في السماء السابعة هو الصواب كما ثبت ذلك في «الصحاحين» وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بحر تحت العرش ماؤه غليظ يُنظر العباد منه بعد النسخة الأولى أربعين صباحاً فينبئون في قبورهم، قاله علي رضي الله عنه. والثاني: أنه بحر الأرض<sup>(١)</sup>، ذكره الماوردي. وفي ﴿الْجَبْرِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: المملوء، قاله الحسن، وأبو صالح، وابن السائب، وجميع اللغويين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموقد، قاله مجاهد، وابن زيد. وقال شمر بن عطية: هو بمنزلة التنور المسجور. والثالث: أنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، قاله أبو العالية. وروي عن الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة. وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد. وقد نقل في الحديث «أن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً، فتزاد في نار جهنم»<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن «المسجور» المختلط عذبه ببلحه، قاله الربيع بن أنس. فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن تعذيب المشركين حق، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي: لكائن في الآخرة. ثم بين متى يقع، فقال: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى سَفْهُهُ فَسَفْهُهُ يَوْمَ لَا حَافِيَ لَهُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: تدور دَوْرًا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. والثاني: تحرك تحركاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال أبو عبيدة: «تمور» أي: تكفأ، وقال الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ<sup>(٥)</sup>

والثالث: يموج بعضها في بعض لأمر الله تعالى، قاله الضحاك. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل: ٨٨] إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حُورٍ يَلْمُؤْنَ﴾<sup>(٦)</sup> أي: يخوضون في حديث محمد ﷺ بالكذب والاستهزاء، ويلهون بذكره، فالويل لهم. ﴿وَمَنْ يَدْعُوا﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُدفعون، يقال: دَعَعْتُهُ أَدْعُهُ، أي: دفعته، ومنه قوله: ﴿يُدْعَى الْيَتِيمُ﴾ [الماعن: ٢]. قال ابن عباس: يُدفع في أعناقهم حتى يردوا النار. وقال مقاتل تَغْلُ أيديهم إلى أعناقهم وتُجمَع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿هَٰذَا النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكْفَرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> في الدنيا «أَقْبِرْ هَٰذَا» العذاب الذي ترون؟ فإنكم زعمتم أن الرُّسل سحرة ﴿لَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْعَثُونَ﴾ النار؟ فلما أُلْقُوا فيها قال لهم خزنتها: ﴿أَصَلَوْا﴾. وقال غيره: لما نسبوا محمداً ﷺ إلى أنه ساحر يغطي على الأبصار بالسحر، ويخفوا عند رؤية النار بهذا التوبيخ، وقيل: ﴿أَصَلَوْا﴾ أي: قاسوا شدتها ﴿فَاصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿وَإِلَّا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّا نَجْزِي جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾<sup>(٨)</sup> فكيف بين ما آلتهم رَيْثٌ وَوَقْتُهُمْ رَيْثٌ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٩)</sup> مَكِينٌ عَلَى سُورٍ مُصَوِّفَةٍ وَرَجَتْهُ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٠﴾

ثم وصف ما للمؤمنين بما بعد هذا، وقوله: ﴿فَنُكَبِّهِمْ﴾ قرئت بألف ويغير ألف، وقد شرحناها في [يس: ٥٥]، ﴿وَوَقْتُهُمْ﴾ أي: صرف عنهم و﴿الْجَنِيمُ﴾ مذكور في [البقرة: ١١٩]. ﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم: كُلُوا ﴿وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ تأمنون حدوث المرض عنه. قال الزجاج: المعنى: ليهنكم ما صيرتم إليه، وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٤]. ثم ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم، فقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ﴾ وقال ابن جرير: فيه محذوف تقديره: على نمارق على سُورٍ، وهي جمع سرير ﴿مُصَوِّفَةٍ﴾ قد وُضع بعضها إلى جنب بعض. وباقى الآية مفسر في سورة [الدخان: ٥٤].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَنتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَئِيهٖ﴾<sup>(١١)</sup> وَأَمَّا ذُرِّيَّتُهُمْ بِفِكَهٖ وَلَكِنْ رَمَّا بِشَتْوٍ ﴿١٢﴾ يَنْتَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَوَّ فِيهَا وَلَا تَأْيِيهٖ ﴿١٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُجَّارُهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤُ مَكْنُونٍ ﴿١٤﴾ وَأَبَدٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَلَّلُونَ ﴿١٥﴾ نَازِلًا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَعْلَانَا مُتَفَوِّينَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَلَّهٖ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾

(١) وهو قول الجمهور، والأول لا يصح.

(٢) وهو الذي اختاره الطبري ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء.

(٣) لم نقف على هذا الحديث مستنداً فيما بين أيدينا من المصادر، وقد أورده بعض المفسرين كالمصنف بلا سند.

(٤) «ديوانه» ٥٥، و«مجاز القرآن» ٢٣١/٢، و«الطبري» ٢٧/٢٠، و«مختار الشعر الجاهلي» ٩٧/٢، و«اللسان» و«التاج»: مور. وفي «الديوان»: «مُرٌّ بدل

«مور».



قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وَاتَّبَعْتَهُمْ» بالتاء «ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة ﴿يَوْمَ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدة أيضاً. وقرأ نافع: «وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة «بهم ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً. وقرأ ابن عامر: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» «بهم ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً في الموضعين. واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: اتبعتهم ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمان الحقنا بهم [ذُرِّيَّاتِهِمْ] من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلِّغوا أعمال آبائهم، تكملةً من الله تعالى لأبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمان، أي: بلغت أن آمنث، ألحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ الصغار الذين لم يبلِّغوا الإيمان. وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. ومعنى هذا القول، أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء، [لأن الولد يُحكم له بالإسلام تبعاً لوالده. والثالث: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» بإيمان الآباء] فأدخلناهم الجنة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ﴾ قرأ نافع: وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بالهمزة وفتح اللام. وقرأ ابن كثير: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ عن قنبل عنه «وما أَلْتَنَاهُمْ» بإسقاط الهمزة مع كسر اللام. وقرأ أبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بإسقاط الهمزة مع فتح اللام. وقرأ ابن السميع «وما أَلْتَنَاهُمْ» بمد الهمزة وفتحها. وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وما وَلْتَنَاهُمْ» بواو مفتوحة من غير همزة وينصب اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: «وما أَكُنْتُمْ» مثل جَعَلْتُمْ. وقد ذكرنا هذه الكلمة في [المحرات: ١٤٠] والمعنى: ما نَقَضْنَا الآباء بما أعطَيْنَا الذُرِّيَّةَ. ﴿كُلُّ إِنْرِي يَأْ كَسْبَ رِيْنٍ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد. وقيل: هذا الكلام يختص بصفة أهل النار، وذلك الكلام قد تم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَرَعُونَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتعاطون ويتداولون، وأنشد الأخطل:

نَارَ غُشَّةٍ طَلَبَ الرِّيحَ الشُّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدُّجَاجُ وَحَانَتْ وَفَعَةُ السَّارِي<sup>(١)</sup>

قال الرَّجَّاجُ: يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا. فأما الكأس فقد شرحناها في [الصفات: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لَا تَوَّ فِيهَا وَلَا تَأْتِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَا تَعَوَّ فِيهَا وَلَا تَأْتِي» نصباً، وقرأ الباقون: «لَا تَوَّ فِيهَا وَلَا تَأْتِي» رفعاً منوئاً. قال ابن قتيبة: أي: لا تذهب بعقولهم فيلغوا ويترفوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا. وقال غيره: التائيم: تفعيل من الإثم، يقال: أثمه: إذا جعله ذا إثم. والمعنى أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. ﴿وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة «وَلَمَّا لَهَرُ كَأْنُهُمْ» في الحُسن والبياض «لَوْلَوْ مَكُونُ» أي: مصونٌ لم تَمَسَّهُ الأيدي. وسئل رسول الله ﷺ: فقل: يا نبي الله، هذ الخادم، فكيف المخدم؟ فقال: «إِنْ فَضَّلَ المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَسْمُهُ عَلَى بَعِيٍّ يَسْأَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلَانَا﴾ أي: في دار الدنيا «شُفِيْقَيْنِ» أي: خائفين من العذاب، ﴿فَسَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة «وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّوْرِ» أي: عذاب النار. وقال الحسن: السُّموم من أسماء جهنم. وقال غيره: سُموم جهنم: وهو ما يوجد من نَفْحِهَا وَحَرِّهَا، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ بَقْلِ تَدْعُوْةٍ﴾ أي: نوحده ونُخْلِصُ له «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ» وقرأ نافع، والكسائي: «أنه» بفتح الهمزة. ورفي معنى «البَرُّ» ثلاثة أقوال: أحدها: الصادق فيما وعد، رواه أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ١١٦، ومجاز القرآن ٢/ ٢٢٢، والطبري ٢٧/ ٢٨.

(٢) روى ابن جرير الطبري ٢٩/ ٢٧ عن قتادة قوله: ﴿وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمْ لَمَّا لَهَرُ كَأْنُهُمْ لَوْلَوْ مَكُونُ﴾ ذكر لنا «أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدم؟ قال: «والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وهو مرسل، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٩/ ٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٦٠: رواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة به.

ابن عباس. والثاني: اللطيف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عَمَّ بِرَّه جميع خلقه، قاله أبو سليمان الخطابي.

﴿تَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِمَعْتَرِكِ يَكَاهِنُ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ السَّمَوْنَ ﴿٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانُكُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَائِفُونَ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٦﴾ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرَ﴾ أي: فَعِظْ بِالْقُرْآنِ ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَعْتَرِكِ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوة ﴿يَكَاهِنُ﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويُخَيِّرُ عَمَّا فِي غَدَمٍ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ. والمعنى: إِنَّمَا تَنْطِقُ بِالْوَحْيِ لَا كَمَا يَقُولُ [فِيكَ] كَفَّارِ مَكَّةَ. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعر. وقال أبو عبيدة: «أَمْ» بمعنى «بل»، قال الأخطل:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِسَوَائِطٍ  
غَلَسَ الظُّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا<sup>(١)</sup>  
لم يستفهم، إنما أوجب أنه رأى.

قوله تعالى: ﴿تَرَبَّصْ بِهِ رَبُّهُ السَّمَوْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، و«المنون» الدهر، قال أبو ذؤيب:

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبِّهِ نَسْوَجُجُ  
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنِ يَجْزَعُ<sup>(٢)</sup>  
هكذا أنشدناه أصحاب الأصمعي عنه، وكان يذهب إلى أن المنون الدهر، قال: وقوله: «والدهر ليس بمُعْتَبَرٍ» يدلُّ على ذلك، كأنه قال: «أَمِنَ الدَّهْرُ وَرَبِّهِ تَوَجَّعُ؟» قال الكسائي: العرب تقول: لا أكلمك آخِرَ المنون، أي: آخِرَ الدهر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا بي ذلك ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: من المُتَظَرِّينَ عذابكم، فعذبوا يوم بدر بالسيف. وبعض المفسرين يقول: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، إذ لا تضادَّ بين الآيتين.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانُكُمْ بِهَذَا﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي العقول، فازرى الله بخلوهم، إذ لم تُشِيرْ لَهُمْ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقول؟! فقال: تلك عقول كادها بارئها، أي: لم يَضَحَّهَا التَّوْفِيقُ. وفي قوله: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ» وقوله: ﴿أَمْ هُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهما بمعنى «بل»، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى ألف الاستفهام، قاله الزجاج؛ قال: والمعنى: أَتَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِتَرْكِ الْقَبُولِ مِمَّنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَيَأْتِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْذَّلَائِلِ، أَمْ يَكْفُرُونَ طُغْيَانًا وَقَدْ ظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ؟! وقال ابن قتيبة: المعنى: أَمْ تَذَلُّهُمْ عَقُولُهُمْ عَلَى هَذَا؟! لَأَنَّ الْجِلْمَ يَكُونُ بِالْعَقْلِ، فكني عنه به.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي: افْتَعَلَ الْقُرْآنُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ؟ وَالتَّقُولُ: تَكَلُّفُ الْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْكُذْبِ ﴿بَل﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن، استكباراً. ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ في نظمه وحسن بيانه. وقرأ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورق العجلي، وعاصم الجحدري: «بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» بغير تنوين ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أن محمداً نقوله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوْنَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُحِيطُونَ ﴿٥﴾ أَمْ لَهُمْ سُلٌ سَمِعُونَ فِيهِ قَلَائِبَ مَسْمُوعٍ بِسُلْطَانِ يُبِينُ ﴿٦﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ تَنْظُرُهُمْ آجَرًا فَهُمْ يَنْ تَقَرَّرُ تُنْقَلُونَ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُيُونَ ﴿٩﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ رَبِّ خَالِقٍ؟ والثاني: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ آبَاءٍ وَلَا أُمَّهَاتٍ، فهم كالجماد لا يعقلون؟ والثالث: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ أي: إنهم ليسوا بأَشْدَّ خُلُقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لأنها خُلِقَتْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَهُمْ خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابِئِهِ. والرابع: أَمْ

(١) سبق تخريج البيت ٤٥٠.

(٢) البيت مطلع مرثية الجيلة، وهو في «ديوانه» ١/١، و«غريب القرآن» ٤٢٥، و«المفضليات» ٤٢١، و«ديوان الهلاليين» ١/١، و«اللسان» و«التاج»:

خُلِقُوا لغير شيء؟ فتكون «مِنْ» بمعنى اللام. والمعنى: ما خُلِقُوا عَبَثًا فلا يؤمرون ولا يُنهَوْنَ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فلذلك لا يأتَمرون ولا يتنهَوْنَ؟ لأن الخالق لا يؤمر ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالحق، وهو توحيدُ الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: المطر والرُّزق، قاله ابن عباس. والثاني: الثبوة،

قاله عكرمة. والثالث: عِلْم ما يكون من الغيب، ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: المعنى: أعندهم ما في خزائن رَيْكَ من العِلْم، وقيل: من الرُّزق، فهم مُعْرِضُونَ عن رَبِّهم لاستغنائهم؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُتَعَبِّطُونَ﴾ قرأ ابن كثير: «المُسيطرون» بالسین. وقال ابن عباس: المُسلطون<sup>(١)</sup>. قال أبو

عبيدة: «المُسيطرون»: الأرباب. يقال: تسيطر على، أي: اتَّخَذْتَنِي حَوْلًا، قال: ولم يأت في كلام العرب اسم على «مُفْعِل» إلا خمسة أسماء: مُهَيِّم، ومُجَبِّر، ومُسيطر، ومُبيطِر، ومُبيقر؛ فالْمُهَيِّم: الله الناظر المُحصي الذي لا يفوته شيء؛ ومُجَبِّر: جبل؛ والمُسيطر: المسلط؛ ومُبيطِر: يَبْطِر؛ والمُبيقر: الذي يخرج من أرض إلى أرض، يقال: يَبْقر: إذا خرج من بلد إلى بلد، قال امرؤ القيس:

أَلَا هَلْ أَتَانَا، وَالْحَوَادِثُ جَمْعٌ      بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ ابْنَ تَمْلِكَ بَيَّقَرَا<sup>(٢)</sup>

قال الزجاج: المسيطرون: الأرباب المسلطون، يقال: قد تسيطر علينا وتسيطر: بالسین والصاد، والأصل السین، وكل سین بعدها طاء، فيجوز أن تُقلب صادًا، تقول: سطر واطر، وسطا علينا واططا. قال المفسرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحت أمر ولا نهى؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيٌ: مَرَفَقٌ وَمُضْعِدٌ إِلَى السَّمَاءِ﴾ بِسَيِّمُونَ يَوْمٌ: أي: عليه الوحي، كقوله: ﴿فِي جُدُوعِ اللَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فالمعنى: يستمعون [الوحي] فيعلمون أن ما هُم عليه حق ﴿فَلْيَاكُ سَمْعُهُمْ﴾ إن ادَّعى ذلك ﴿يَسْأَلُنِي﴾ أي: بِحُجَّةٍ واضحة كما أتى محمد بِحُجَّةٍ على قوله. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله البنات. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَتَرُكُوهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مُتَّفِقُونَ﴾ [٥٠] أي: هل سألتهم أجرًا على ما جئت به، فاتقلمهم ذلك الذي تطلبه منهم فمنعهم عن الإسلام؟ والمُتَّفِقُ بمعنى العُزم، وقد شرحناه في [براءة: ٩٨].

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿تَرَىٰ بِهِ رَبِّي السَّيِّئُونَ﴾؛ والمعنى: أعندهم الغيب؟ وفيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، ﴿فَنَمَّ يَتَّبِعُونَ﴾ ما فيه ويخبرون الناس. قاله ابن عباس. والثاني: أعندهم عِلْم الغيب فيعلمون أن محمداً يموت قبلهم ﴿فَنَمَّ يَتَّبِعُونَ﴾ أي: يحكمون فيقولون: سَتَفْهَرُكَ. والكتاب: الحكم؛ ومنه قول النبي ﷺ: «سأقضي بينكما بكتاب الله»<sup>(٣)</sup> أي: بحكم الله ﷻ؛ وإلى هذا المعنى: ذهب ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو ما كانوا عزموا عليه في دار الندوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَسْكُرُ رَبُّكَ الْإِنِّينَ كَثْرًا﴾ [الأنفال: ٣٠] ومعنى ﴿مُرُّ الْمَكِيدُونَ﴾ هم الْمُجَزِّبُونَ بكيدهم، لأن ضرر ذلك عاد عليهم فقتلوا بيدٍ وغيرها. ﴿أَمْ لَمْ يَلَمْزْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ آلِهِمْ إِلَهُ يَرْزُقُهُمْ ويحفظهم غيرُ الله؟ والمعنى أن الأصنام ليست بآلهة، لأنها لا تنفع ولا تدفع. ثم نَرَهُ نَفْسَهُ عن شركهم بباقي الآية.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٦٣/٨ عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خَلْقُوا النَّاسَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَمْ مَدَّاهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْقَائِلُونَ؟ كاد قلبي أن يطير.

(٢) «ديوانه» ٣٩٢، «واللسان» والتاج: بقر. و«تلك»: أم.

(٣) هو قطعة من حديث أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب «السنن» من حديث أبي هريرة، ولفظه عند مسلم ١٣٢٤/٣: عن أبي هريرة: زيد بن خالد الجهني أنهما قالوا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أقره منه: نعم فافض بيننا بكتاب الله، واثبت لي، فقال رسول الله ﷺ: «قل: قال: إن ابني كان سيئاً (أجيراً) على هذا فزني بامراته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد (مرودة إليك) وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» قال: ففدنا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ١١﴾ فَذَرْنَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ١٢ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٣ وَإِن لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٤ وَأَمِيرٌ لِّمَكْرٍ رَبِّكَ فَاغْنِنَا وَصَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ١٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ١٦﴾

ثم ذكر عنادهم فقال: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ والمعنى: لو سقط بعض السماء عليهم لَمَا انتهوا عن كفرهم، ولَقَالُوا: هذه قطعة من السحاب قد رُكِمَ بعضه على بعض. ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ أي خَلَّ عنهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا﴾ قرأ أبو جعفر «يُلَاقُوا» بفتح الياء والقاف وسكون اللام من غير ألف ﴿يَوْمَهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم موتهم. والثاني: يوم القيامة. والثالث: يوم النِّفخة الأولى.

قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر: «يُصْعَقُونَ» برفع الياء، من أصعقهم غيرهم؛ والباقون بفتحها، من صعقوهم. وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قولان: أحدهما: يموتون. والثاني: يُغشى عليهم، كقوله: ﴿وَحَرَّ مَوْسَى صَوْفًا﴾ [الاعراف: ١٤٣]، وهذا يخرج على قول من قال: هو يوم القيامة، فإنهم يُغشى عليهم من الأحوال. وذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا يصح، لأن معنى الآية الوحيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ هذا اليوم الأول؛ والمعنى: لا ينفعهم مكرهم ولا يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي، قبل ذلك اليوم؛ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه عذاب القبر، قاله البراء، وابن عباس. والثاني: عذاب القتل يوم بدر، وروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: مصائبهم في الدنيا، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: عذاب الجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازل بهم. ﴿وَأَمِيرٌ لِّمَكْرٍ رَبِّكَ﴾ أي: لما يحكم به عليك ﴿فَاغْنِنَا﴾ قال الزجاج: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك. وذكر المفسرون: أن معنى الصبر نُسْخَ بآية السيف، ولا يصح، لأنه لا تضاد. ﴿وَصَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: صلِّ الله حين تقوم من منامك، قاله ابن عباس. والثاني: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك» حين تقوم من مجلسك، قاله عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثالث: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» حين تقوم في الصلاة، قاله الضحاك. والرابع: سَبِّحَ الله إذا قُمْتَ من نومك، قاله حسان بن عطية. والخامس: صلِّ صلاة الظهر إذا قُمْتَ من نوم القائلة، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. والسادس: اذْكُرْ الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال مقاتل: صلِّ المغرب وصلِّ العشاء ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ قرأ زيد عن يعقوب، وهارون عن أبي عمرو، والجعفي عن أبي بكر: «وإدبار النجوم» بفتح الهمزة؛ و [قرأ] الباقر بكسرهما. وقد شرحناها في [ق: ٤٠]؛ والمعنى: صلِّ له في إدبار النجوم، أي: حين تدبر، أي: تغيب بضوء الصُّبْح. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: أنها الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ صلاة الفجر، رواه عليٌّ عليه السلام عن النبي ﷺ، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها صلاة الغداة، قاله الضحاك، وابن زيد.



(١) رجع هذا القول ابن جرير الطبري في «تفسيره».

(٢) أخرجه مسند في «مسنده»، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر» ١١٠/٦ عن علي بن أبي طالب قال: سألت رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم والسجود، فقال: «إدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الركعتان قبل الغداة».

## سورة النجم

### وهي مَكِّيَّة بإجماعهم

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حُكِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ أَنَّهُمَا قَالَا إِلَّا آيَةٌ مِنْهَا، وَهِيَ ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَكْثَرَ اللَّيْلِ﴾ [النجم: ٣٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ مِقَاتِلٌ؛ [قال]: وهذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بِمَكَّةَ.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا سَلَكَ سَجْدًا وَهِيَ تَلْقَىٰ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجْمٌ يُحَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝﴾ هذا قسم. وفي المراد بالنجم خمسة أقوال: أحدها: أنه الثريا، رواه العوفي عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: والعرب تسمي الثريا - وهي ستة أنجم - نجماً. وقال غيره: هي سبعة، فسته ظاهرة، وواحد خفي يمتحن به الناس أبصارهم. والثاني: الرجوم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه القرآن نزل نجوماً متفرقة، قاله عطاء عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد. وقال مجاهد: كان ينزل نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات ونحو ذلك. والرابع: نجوم السماء كلها، وهو مروى عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنها الزهرة: قاله السدي. فعلى قول من قال: النجم: الثريا، يكون «هوى» بمعنى «غاب»؛ ومن قال: هو الرجوم، يكون هويهاً في رمي الشياطين، ومن قال: القرآن، يكون معنى «هوى»: نزل، ومن قال: نجوم السماء كلها، ففيه قولان: أحدهما: أن هويهاً أن تغيب. والثاني: أن تنتشر يوم القيامة. قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح أو آخر آياتها. وقرأ أبو عمرو ونافع بين الفتح والكسر. وقرأ حمزة والكسائي ذلك كله بالإمالة.

قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَ سَجْدًا﴾ هذا جواب القسم؛ والمعنى: ما ضلَّ عن طريق الهدى، والمراد به: رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا يَطُّعُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾ أي: ما يتكلم بالباطل. وقال أبو عبيدة: «عن» بمعنى الباء. وذلك أنهم قالوا: إنه يقول القرآن من تلقاء نفسه. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجْمٌ﴾ أي: ما القرآن إِلَّا رَجْمٌ من الله ﴿يُحَىٰ﴾ وهذا مما يحتج به من لا يجيز للنبي أن يجتهد، وليس كما ظنوا، لأن اجتهد الرأي إذا صدر عن الوحي، جاز أن يُنسب إلى الوحي.

﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُوَىٰ ۝ دُرُورًا فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتَسْمُوتُونَ عَلَىٰ مَا بُرِّئَ ۝ وَلَقَدْ رَمَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأَنْوَىٰ ۝ إِذْ يَنْشَىٰ الْغَدَاةَ مَا يَتَشَّىٰ ۝ مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ وَمَا لَمْ يَلْمِ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُوَىٰ ۝﴾ وهو جبريل عليه السلام علم النبي ﷺ؛ قال ابن قتيبة: وأصل هذا من «قُوَى الجبل» وهي طاقاته، الواحدة: قُوَّة؛ ﴿دُرُورًا﴾ أي: ذو قُوَّة، وأصل المِرَّة: القنل. قال المفسرون: وكان من قُوَّته أنه قلع قريات لوط وحملها على جناحه فقلبها، وصاح بشمود فأصبحوا خامدين.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: فاستوى جبريل، وهو يعني النبي ﷺ؛ والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>. والثاني: فاستوى جبريل، وهو - يعني جبريل -

(١) قال ابن كثير: وكلما روي عن سفيان الثوري، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) قال ابن كثير: وقد قال ابن جرير هاهنا قولاً لم أره لغيره، ولا حكاة هو من أحد، وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي هذا الشيد القيوي ذو المِرَّة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى، أي: استويا جميعاً بالأفق الأعلى، وذلك ليلة الإسراء، كذا قال. ولم يوافق أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قال من حيث العربية، فقال: وهو كقولهم: ﴿هَذَا كَأَنَّ رَجْمًا نَزَلَ﴾ فغطف بالأبواب على المكني في «كنا» من غير إظهار «نحن» فكذلك قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ وهو، قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يَتَمَثَّلُ لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المشرق، فملا الأفق؛ فيكون المعنى: فاستوى جبريلُ بالأفق الأعلى في صورته، هذا قول الزجاج. قال مجاهد: والأفق الأعلى: هو مَظْلِعُ الشمس. وقال غيره: إنما قيل له: «الأعلى» لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨١) قال الفراء: المعنى: ثم تَدَلَّى فدنا، ولكنه جائز أن تقدّم أيّ الفعلين شئت إذا كان المعنى فيهما واحداً، فنقول: قد دنا فقرب، وقرب فدنا، وشم فأساء، وأساء فشم، ومنه قوله: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ تَتَنَقَّى﴾ (٨٢) [الفر: ٨١]، المعنى - والله أعلم -: انشق القمر واقتربت الساعة. قال ابن قتبية، المعنى: تَدَلَّى فدنا، لأنه تَدَلَّى لِلدُّنُو، ودنا بالتدلي. وقال الزجاج: دنا بمعنى قَرَّبَ، وتدلى: زاد في القرب، ومعنى اللفظتين واحد. وقال غيرهم: أصل التَّدَلَّى: التَّزُولُ إلى الشيء حتى يقرب منه، فوضع موضع القُرْب. وفي المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: أحدها: أنه ﷺ. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك قال: «دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سلمة عن ابن عباس: «ثم دنا» قال: دنا ربه فتدلى، وهذا اختيار مقاتل. قال: دنا الرَّبُّ من محمد ليلة أُسْرِيَ به، فكن منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى. وقد كشفت هذا الوجه في كتاب «المُغْنِي» ويثبت أنه ليس كما يخطر بالبال من قُرب الأجسام وقطع المسافة، لأن ذلك يختص بالأجسام، والله منزّه عن ذلك. والثاني: أنه محمد دنا من ربه، قاله ابن عباس، والقرطبي. والثالث: أنه جبريل. ثم في الكلام قولان: أحدهما: دنا جبريلُ بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فنزل إلى رسول الله ﷺ، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: دنا جبريلُ من ربه ﷻ فكان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩١) وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين: «فكان قاد قوسين» بالبدال. وقال أبو عبيدة: القَابُ والقَادُ: القُدْر. وقال ابن فارس: القَابُ: القدر. ويقال: بل القَابُ: ما بين المَفْضِ والسَّيَةِ، ولكل قوس قَابان. وقال ابن قتبية: سَيَةِ الْقَوْسِ: ما عُوْطِفَ من طَرَفَيْهَا. وفي المراد بالقوسين قولان: أحدهما: أنها القوس التي يُرمى بها، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتبية، فقال: قَدَّرَ قَوْسَيْنِ. وقال الكسائي: أراد بالقوسين: قَوْساً واحداً. والثاني: أن القوس: الذراع؛ فالمعنى: كان بينهما قَدَّرَ ذراعين، حكاه ابن قتبية، وهو قول ابن مسعود، وسعيد بن جبیر، والسدي. قال ابن مسعود: دنا جبريل منه حتى كان قَدَّرَ ذراع أو ذراعين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى «بل»، قاله مقاتل. والثاني: أنهم خوطبوا على لغتهم؛ والمعنى: كان على ما تقدرونه أنتم قَدَّرَ قَوْسَيْنِ أو أقل، هذا اختيار الزجاج.

ألم تر أن السباع يصلب عودها ولا يستوي والخروج المستقص

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، لكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرواية لجبريل، لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ، وتلّى إليه فاتحته منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرواية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة «آزّا» ثم قرأ الوحي... حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبيض في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوصى إليه عن الله ﷻ ما أمر به، ففرغ عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانه عند خالقه الذي بعث إليه. اهـ.

(١) حديث شريك أخرجه البخاري في «صحيحه» ٣٩٩/١٣، وذكر مسلم ١٤٨/١ قطعة منه، ثم قال: قدّم وأخر وزاد وتقص. وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث أروام أنكرها عليه الحفاظ، وغلطوه فيها. منها ما نقله ابن كثير عن الحافظ أبي بكر البيهقي أنه قال: في حديث شريك زيادة تفرد بها على ملحق من زعم أنه ﷺ رأى الله ﷻ يعني قوله: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى» قال البيهقي: وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصبح. قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق، فإن أبا ذر قال: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «نور أتى أراه» وفي رواية «رأيت نوراً» أخرجه مسلم. وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨١) إنما هو جبريل ﷺ كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا، ثلث: وهذا القول هو الصواب وما عداه من الأقوال لا يصح. وإذا أردت الاطلاع على بقية ما أخطأ فيه شريك في هذا الحديث فانظر «شرح مسلم» ٢/٢١٠، وفتح البازي ١٣/٤٠٢، ٤٠٥.

قوله تعالى: ﴿تَأْوِي إِلَهُ عِبَادِهِ مَا اتَّوَى﴾ (١) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أوحى الله إلى محمد كِفاحاً<sup>(١)</sup> بلا واسطة، وهذا على قول من يقول: إنه كان في ليلة المعراج. والثاني: أوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله إليه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أوحى [الله] إلى جبريل ما يوحيه، روي عن عائشة رضي الله عنها، والحسن، وقائدة.

قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (٢) قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وأبان عن عاصم: «ما كَذَّب» بتشديد الدال؛ وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن شدد أراد: ما أنكر فؤاده ما رآه عينه؛ ومن خفف أراد: ما أوهمه فؤاده أنه رأى، ولم ير، بل صدق<sup>(٣)</sup> الفؤاد رؤيته. وفي الذي رأى قولان: أحدهما: أنه رأى ربه ﷻ، قاله ابن عباس، [وأنس] والحسن، وعكرمة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي خلق عليها، قاله ابن مسعود وعائشة.

قوله تعالى: ﴿أَفْتَنَّمُوهُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف، ويعقوب: «أَفْتَمُّوهُ». قال ابن قتيبة: معنى «أَفْتَمُّوهُ»: أفتجادلونه، من الجراء، ومعنى «أَفْتَمُّوهُ»: أفتنجدونه.

قوله تعالى: ﴿رَفَعَهُ رَهَبَهُ تِلْكَ لُفُؤُهُ﴾ (٥) قال الزجاج: أي: رآه مرة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد ربه؛ وبيان هذا أنه تردّد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربه في بعض تلك المرات مرة أخرى. قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى، فرأه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين. وقد روي عن ابن مسعود أن هذه الرؤية لجبريل أيضاً، رآه على صورته التي خلق عليها<sup>(٦)</sup>. فأما يذرة المُنْتَهَى، فالسُّرَّة: شجرة النِّقْ، وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نَبِّهْهَا مِثْلَ لِقَالِ هَجَرٍ، وَوَزَّقْهَا مِثْلَ أَذَانِ الْفَيْلَةِ»<sup>(٧)</sup>. وفي مكانها قولان: أحدهما: أنها فوق السماء السابعة، وهذا مذكور في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة<sup>(٨)</sup>. قال مقاتل: وهي عن يمين العرش. والثاني: أنها في السماء السادسة، أخرجه مسلم في أفرادهِ<sup>(٩)</sup> عن ابن مسعود، وبه قال الضحاك. قال المفسرون: وإنما سُمِّيَتْ يذرة المُنْتَهَى، لأنه إليها مُنْتَهَى ما يُضَعَّد به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها فيقبض منها، وإليها ينتهي علم جميع الملائكة.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو نهيك: «عِنْدَهُ» بهاء مرفوعة على ضمير مذكّر ﴿جَنَّةُ الْآلُوفِ﴾ قال ابن عباس: هي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال الحسن: هي التي يصير إليها أهل الجنة. وقال مقاتل: هي جنة إليها تأوي أرواح الشهداء. وقرأ سعيد بن المسيّب، والشعبي، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: «جَنَّةُ الْمَأْوَى» بهاء صحيحة مرفوعة. قال ثعلب: يريدون أجنته، وهي شاذة. وقيل: معنى «عندها»: أدركه المبيت، يعني رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْتَنِي السَّمَاءُ مَا يَتَّقِي﴾ (١٠) روى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن مسعود قال: غَشِيَهَا قَرَارٌ مِنْ ذَهَبٍ<sup>(١١)</sup>. وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا غَشِيَتْهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَتْهَا، تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا»<sup>(١٢)</sup>. وقال الحسن، ومقاتل: تَغَشَّاها الملائكة أمثال الغُرَبان حين يَقَعْنَ على الشجرة. وقال الضحاك: «غَشِيَهَا» نور رب العالمين.

(١) كِفاحاً، أي: مواجهة. (٢) في الأصل: صدقة.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١) و﴿رَفَعَهُ رَهَبَهُ تِلْكَ لُفُؤُهُ﴾ (٢) قال: رآه بفؤاده مرتين. قال ابن كثير: وكذا رواه سالك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين، قال: وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، قال: وهي محمولة على القيد بالفؤاد، قال: ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء من الصحابة رضي الله عنهم، وقال البغوي في «تفسيره»: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

(٤) وهو الذي عليه أكثر المحققين. قال ابن كثير: هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وهو جزء من حديث الإسراء الطويل.

(٦) البخاري ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١.

(٧) البخاري ١٥٧/١.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ولا يعارض قوله: إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل على أصلها في السادسة وأعضاؤها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل سابقها.

(٩) هذا اللفظ في رواية ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مسلم في «صحيحه» ١٤٦/١.





بفتح الضاد من غير همز. قال الزجاج: الضيبي في كلام العرب: الناقصة الجائرة، يقال: ضازه يضيئه إذا نقصه حقه، ويقال: ضآزه يضآؤه<sup>(١)</sup> بالهمز. وأجمع النحويون أن أصل ضيبي: ضوزي، وحجّتهم أنها نقلت من «فعلى» من ضوزى إلى ضيبي، لتسلم الياء، كما قالوا: أبيض وبيض، وأصله: بوض، فنقلت الضمة إلى الكسرة. وقرأت على بعض العلماء باللغة: في «ضيبي» لغات يقال: ضيبي، وضوزي، وضوزي، وضآري على «فعلى» مفتوحة؛ ولا يجوز في القرآن إلا «ضيبي» بياء غير مهموزة؛ وإنما لم يقل النحويون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فعلى» صفة، إنما يعرفون الصفات على «فعلى» بالفتح، نحو سكرى وغضبى، أو بالضم، نحو حبلى وقضلى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّا أَشْمَاءٌ﴾ والمعنى: إن هذه الأوثان التي سمّوها بهذه الأسماء لا معنى تحتها، لأنها لا تضر ولا تنفع، فهي تسميات ألقيت على جمادات، ﴿مَّا أَتَىكَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: لم ينزل كتاباً فيه حجة بما يقولون: إنها آلهة. ثم رجع إلى الإخبار عنهم بعد الخطاب لهم فقال: ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾ في أنها آلهة، ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾<sup>(٢)</sup> وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفُتْنُ﴾ وهو البيان بالكتاب والرسول، وهذا تعجيب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وُضوح البيان. ثم أنكر عليهم تمنّيه شفاعتها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني الكافر ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من شفاعاة الأصنام، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup> أي لا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه. ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَقُولُ شَفَاعَةً لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فجمع في الكناية، لأن معنى الكلام الجمع ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في الشفاعاة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَ﴾؛ والمعنى أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنهم.

﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تِسْمَةً الْأَنْثَى﴾<sup>(٤)</sup> وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَخْلَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً<sup>(٥)</sup> فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ قَوْلَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا<sup>(٦)</sup> ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ رَأَوْا ظَهْرَ مَوْلًى عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَغْلَىٰ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعث ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تِسْمَةً الْأَنْثَى﴾ وذلك حين زعموا أنها بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ بذلك، ﴿بِمَنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما يستطيعون أنها إناث ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ أي: لا يقوم مقام العلم<sup>(٨)</sup>؛ فالحق هاهنا بمعنى العلم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ قَوْلَ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن؛ وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ قال الزجاج: إنما يعلمون ما يحتاجون إليه في معاشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَغْلَىٰ بِمَنْ سَبَّلَهُ مِنَ الْآيَةِ﴾ والمعنى أنه عالم بالفرقين فيجازيهم. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بَيْنَ عَمَلِهِمْ وَتَجَرَىٰ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٩)</sup> الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا آلَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ وَبِعِ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَغْلَىٰ بِكُمْ إِذْ أُنْشِأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ آجِنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَغْلَىٰ بِمَنْ أَتَقَىٰ<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن قدرته وسعة ملكه، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾ لأن اللام في «اليجزي» متعلقة بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهما، جازى كلًّا بما يستحقه، وهذه لام العاقبة، وذلك أن علمه بالفرقين أدّى إلى جزائهم باستحقاقهم، وإنما يقدّر على مجازاة الفرقلين إذا كان واسع الملك، فلذلك أخبر به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. قال المفسرون: و «أسأوا» بمعنى أشركوا، و «أحسنوا» بمعنى وحّدوا. والمحسنى: الجنة. والكبائر مذكورة في سورة [النساء: ٣١]. وقيل: كبائر الإثم: كلُّ ذنب حُتم بالنار، والفواحش: كلُّ ذنب فيه الحدّ. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف:

(١) في الأصل: ضازه يضيئه بالهمز، والتصويب من كتب اللغة.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسوا، ولا تجسوا، ولا تناجسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تبايروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

(٣) ما بين المققين زيادة سقطت من الأصل.

يَجْتَنِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَاللَّمَمَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُقَارَبَةُ لِلشَّيْءِ. وفي المراد به هاهنا ستة أقوال: أحدها: ما أَلْمُوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام، قاله زيد بن ثابت. والثاني: أن يُلَمَّ بالذَّنْبِ مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثالث: أنه صِغارُ الذُّنُوبِ، كالتَّظَرُّة والقُبلة وما كان دون الرُّنَا، قاله ابن مسعود، وأبو هريرة، والشعبي، ومسروق، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَقَّهُ مِنَ الرُّنَا، فَرْنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرَ، وَرْنَا اللِّسَانَ الطُّقَّ، وَالنَّفْسَ تَشْتَهِي وَتَمْتَنِي، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ الْقُرْجُ»<sup>(١)</sup>، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِقُرْجِهِ كَانَ الرُّنَا، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ. والرابع: أنه ما يَهْمُ به الإنسان، قاله محمد ابن الحنفية. والخامس: أنه أَلَمٌ بالقلب، أي: خَطَرٌ، قاله سعيد بن المسيَّب. والسادس: أنه النَّظَرُ من غير تعمد، قاله الحسين بن الفضل. فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس.

قوله تعالى: ﴿إِذْ رَدَّكَ رَبُّكَ وَرَبِّعَ الْمُشْفَرُّوْا﴾ قال ابن عباس: لَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ تَابَ، وَهَاهُنَا تَمَّ الْكَلَامُ. ثم قال: ﴿هُوَ أَكْثَرُ يَكُوْرُ﴾ يعني قبل خلقكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني آدم ﷺ ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ﴾ جمع جِنِينٌ؛ والمعنى أنه عِلِمٌ ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تَرْكُؤًا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تشهدوا لها أنها زَكِيَّةٌ بريئة من المعاصي. وقيل: لا تمدحوها بحُسن أعمالها. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا إذا هلك لهم صبي، قالوا: صِدِّيقٌ، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من المسلمين قالوا: قد صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَفَعَلْنَا، يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْثَرُ بِينَ أَتَقَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عمل حسنة وارعوى عن معصية، قاله علي رضي الله عنه. والثاني: أخلص العمل لله، قاله الحسن. والثالث: اتَّقَى الشُّرَكَ فَاَمْنٌ، قاله الثعلبي.

﴿أَنْزَيْتَ اللَّيْلَ تَوَكَّلْ﴾ ٣٧ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى﴾ ٣٨ ﴿أَعْنَدُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ ٣٩ ﴿أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَّوَسَى﴾ ٤٠ ﴿وَابْتَرِهِيَ اللَّيْلَ وَكَلَّ﴾ ٤١ ﴿أَلَا نَزِدُ ذُرِّيَّةً بِزَكَاةٍ وَيَزِيدُ زُنُوفَ﴾ ٤٢ ﴿وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ بَرِيءٌ﴾ ٤٣ ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَكْثَى﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿أَنْزَيْتَ اللَّيْلَ تَوَكَّلْ﴾ ٣٧: اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد تَبِعَ رسولَ الله ﷺ على دينه، فغيره بعضُ المشركين، وقال: تركت دينَ الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيتُ عذابَ الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحملَ عنه عذابَ الله ﷻ فافعل، فأعطاه بعضُ الذي ضمنَ له، ثم يَخِلْ ومنعه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه النَّضْرُ بن الحارث أعطى بعضَ فقراء المسلمين خمسَ قلائصٍ حتى ارتدَّ عن إسلامه. وضمنَ له أن يَحْمِلَ عنه إثمَه، قاله الضحاك. والثالث: أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: واللَّهِ ما يَأْمُرُنَا مُحَمَّدٌ إِلَّا بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، قاله محمد بن كعب القرظي. والرابع: أنه العاص بن وائل السهمي، وكان ربِّماً وافق رسولَ الله ﷺ في بعضِ الأمور، قاله السدي. ومعنى «تَوَكَّلْ»: أَعْرَضَ عن الإيمان. ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أطاع قليلاً ثم عصى. قاله ابن عباس. والثاني: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع، قاله مجاهد. والثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم مَنَعَ، قاله الضحاك. والرابع: أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع، قاله مقاتل. قال ابن قتبية: ومعنى «أَكْثَى»: قَطَعَ، وهو من كُذِيَةِ الرِّكِيَّةِ، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يش من حفرها، فقطع الحُفْرَ، فقليل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يُيَمِّ: أَكْثَى.

قوله تعالى: ﴿أَعْنَدُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ ٣٩: فيه قولان: أحدهما: فهو يرى حاله في الآخرة، قاله الفراء. والثاني: فهو يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة وغيرها، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَّوَسَى﴾ ٤٠: يعني التوراة، ﴿وَابْتَرِهِيَ﴾ أي: وصحف إبراهيم. وفي حديث

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢/١١، ومسلم ٢٠٤٦/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن ثابت بن الحارث الأنصاري وفي سننه ابن لهيعة، وفكره السيوطي في «الدر» ١٢٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نعيم في «المعرفة»، وابن مردويه عن ثابت بن الحارث الأنصاري.

أبي ذر عن النبي ﷺ «أن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف»<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ قرأ سعيد بن جبير، وأبو عمران الجوني، وابن السميع اليماني «وفى» بتخفيف الفاء. قال الزجاج: قوله: «وفى» أبلغ من «وفى»، لأن الذي أمثن به من أعظم المحن. وللمفسرين في الذي وفى عشرة أقوال: أحدها: أنه وفى عمله يومه بأربع ركعات في أول النهار، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وفى في كلمات كان يقولها. روى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليله [الذي وفى]؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿قَسْبَحَنَّا اللَّهَ حِينَ تَسْبُحُونَ وَحِينَ تَقْسِبُونَ﴾» وختم الآية [الروم: ٢٧]<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه وفى الطاعة فيما فعل بآبائه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال القرظي. والرابع: أنه وفى ربّه جميع شرائع الإسلام، روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس. والخامس: أنه وفى ما أمر به من تبليغ الرسالة، روى عن ابن عباس أيضاً. والسادس: أنه عمل بما أمر به، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وقال مجاهد: وفى ما فُرض عليه. والسابع: أنه وفى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرَةَ﴾ وما بعدها، وهذا مروى عن عكرمة، ومجاهد، والنخعي. والثامن: وفى شأن المناسك، قاله الضحاك. والتاسع: أنه عاهد أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما قُذِف في النار قال له جبريل، ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا<sup>(٤)</sup>، فوفى بما عاهد، ذكره عطاء بن السائب. والعاشر: أنه أدّى الأمانة، قاله سفیان بن عيينة. ثم بين ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرَةَ﴾<sup>(٥)</sup> أي: لا تحمل نفس حاملةً جمل أخرى؛ والمعنى: لا تؤخذ بإثم غيرها. «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» قال الزجاج: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عمل خيراً جُزي عليه خيراً، وإن عمل شراً جُزي شراً. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال: أحدها: أنها منسوخة بقوله: «وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان»<sup>(٦)</sup> [الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجئة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يصح، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تنسخ. والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأئمة فلهم ما سَعَوْا وما سعى غيرهم، قاله عكرمة، واستدل بقول النبي ﷺ للمرأة التي سألت: إن أبي مات ولم يحج، فقال: «حجني عنه»<sup>(٧)</sup>. والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأما المؤمن، فله ما سعى وما سعى له، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل، فجاز أن يزيد الله ﷻ ما يشاء، قاله الحسين بن الفضل. والخامس: أن معنى «ما سعى»: ما نوى، قاله أبو بكر الوراق. والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي. والسابع: أن اللام بمعنى «على»، فتفديده: ليس على الإنسان إلا ما سعى. والثامن: أنه ليس له إلا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خدمة الدين والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدين، فيكون ذلك سبباً حصل بسعيه، حكى

(١) قال السيوطي في «الدر»: ٣٤١/٦: أخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف... إلخ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٧٣/٢٧ وفي سننه جعفر بن الزبير الباهلي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه، وذكره السيوطي في «الدر»: ١٢٩/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والشيрази في «الألقاب» والديلمي بسند ضعيف عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه أحمد في «المسند»: ٣٣٩/٣ عن معاذ بن أنس، وابن جرير الطبري ٧٣/٢٧، وفي سننه زيان بن فائد وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر»: ١٥٤/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدعوات» عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) قد تقدم الكلام على هذا الأثر ٩٣٤ فانظر فيه.

(٥) قراءة حفص «وَالَّذِينَ تَزَيَّجْتُمْ» وهذه قراءة ابن عامر.

(٦) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونسبه: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدرته فريضة الله في الحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، قال: «فحجني عنه».

القولين شيخنا علي بن عبيد الله الزاغوني<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعَيْتُمْ سَوَافٍ يَرَىٰ﴾ في قولان: أحدهما: سوف يُعَلِّمُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: سوف يرى العبد سعيه يوم القيامة، أي: يرى عمله في ميزانه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يُحِيزُهُ﴾ الهاء عائدة على السعي ﴿الْحِزَّةُ الْأَوَّلَى﴾ أي: الأكل الأتم.

﴿وَأَنْ لَّكَ رَبِّكَ الشُّبُهَاتُ﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ وَأَنْتَ خَلَقَ الرَّزْمَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿مِنْ ثُلُثَةِ إِبْرَاقٍ﴾ وَأَنْ عَلَيَّ الشَّاةُ الْآخَرَى ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَفْقَى وَأَقْنَى﴾ وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ النَّعْرَى ﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَا الْأَوَّلَى﴾ وَكُنُوا مَا أَفْقَى ﴿وَقَدْ نُجِ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَلْمَنَ﴾ وَالْمُؤَنِّفَةُ أَهْوَى ﴿فَقَسَّهَا مَا عَشَى﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ تَشَاوَى ﴿وَأَنْ لَّكَ رَبِّكَ الشُّبُهَاتُ﴾ أي: مُتَتَّى العباد ومرجعهم. قال الزجاج: هذا كُلُّه في صحف إبراهيم وإسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قالت عائشة: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَفْعَلْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبْكَيْتُمْ كَثِيرًا، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ بهذه الآية، فرجع إليهم، فقال: ما خَطَبُوتُ أَرْبَعِينَ خُطُوةً حَتَّى أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا تنبيه على أن جميع الأعمال بقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء. وقال مجاهد: أَضْحَكَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَبْكَى أَهْلَ النَّارِ. وقال الضحاك: أَضْحَكَ الْأَرْضَ بِالنبات، وَأَبْكَى السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَأَحْيَا﴾ لِلْبَيْتِ ﴿وَأَنْتَ خَلَقَ الرَّزْمَيْنِ﴾ أي: الصَّنْفَيْنِ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ ﴿مِنْ ثُلُثَةِ إِبْرَاقٍ﴾ في قولان: أحدهما: إِذَا تَرَأَّى فِي الرَّجْمِ، قاله ابن السائب. والثاني: إِذَا تُخْلِقُ وَتُقَدِّرُ. ﴿وَأَنْ عَلَيَّ الشَّاةُ الْآخَرَى﴾ وهي الْخَلْقُ الثَّانِي لِلْبَيْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَفْقَى﴾ فِي أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَغْنَى بِالْكَفَايَةِ، قاله ابن عباس. والثاني: بِالْمَعِيشَةِ، قاله الضحاك. والثالث: بِالْأَمْوَالِ، قاله أبو صالح. والرابع: بِالْقِنَاعَةِ، قاله سفيان. وفي قوله: ﴿وَأَقْنَى﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَرْضَى بِمَا أُعْطِيَ، قاله ابن عباس. والثاني: أَخْدَمَ، قاله الحسن، وقَتَادَةَ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ كَالْقَوْلَيْنِ. والثالث: جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ قِيَّةً، وَهُوَ أَصْلُ مَالٍ، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ النَّعْرَى﴾ قال ابن قتيبة: هُوَ الْكَوْكَبُ الَّذِي يُظَلِّعُ بَعْدَ الْجُزْأِ، وَكَانَ نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهَا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَا الْأَوَّلَى﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَعَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ: «عَادَا الْأَوَّلَى» مَثَوْنَةٌ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «عَادَا لَوْلَى» مُوصُولَةٌ مَدْعُومَةٌ. ثُمَّ فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَوْمُ هُودٍ، وَكَانَ لَهُمْ عَقِبٌ فَكَانُوا عَادَا الْآخَرَى، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَالثَّانِي: أَنَّ قَوْمَ هُودٍ هُمْ عَادَا الْآخَرَى، وَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ عَادِ الْأَوَّلَى، قَالَهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَفِي «الْأَوَّلَى» لَفَاتٌ، أَجُودَهَا سَكُونُ اللَّامِ وَإِثْبَاتُ الْهَمْزِ، وَالثَّانِي تَلْهِيقُهَا فِي الْجُودَةِ ضَمُّ اللَّامِ وَطَرَحُ الْهَمْزَةِ، وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: لَوْلَى، يَرِيدُ: الْأَوَّلَى، فَتَطْرَحُ الْهَمْزَةُ لِتَحْرِكَ اللَّامَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نُجِ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَلْمَنَ﴾ مِنْ غَيْرِهِمْ، لَطُولُ دَعْوَةِ نُوحٍ إِلَيْهِمْ، وَعَتَوْتُهُمْ، ﴿وَالْمُؤَنِّفَةُ أَهْوَى﴾ قَرَأَ قَوْمٌ لُوطَ ﴿أَهْوَى﴾ [أَي]: أَسْقَطَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ جِبْرِيلُ بَعْدَ أَنْ رَفَعَهَا، وَاتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِالْحِجَارَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَسَّهَا﴾ أَي: أَلْبَسَهَا ﴿مَا عَشَى﴾ يَعْنِي الْحِجَارَةَ ﴿فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ تَشَاوَى﴾ هَذَا خُطَابٌ لِلْإِنْسَانِ، لَمَّا عَدَّدَ اللَّهُ مَا فَعَلَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبُّكَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَشْكُرُكَ؟ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَ تَكْذِبُ يَا وَلِيدَ، يَعْنِي [الْوَلِيدُ] بَنُ الْمَغِيرَةِ.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلَى﴾ أَرَيْتَ الْآيَةَ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ﴾ أَوْنِ هَذَا الْمَلِكِ تَجِبُونَ ﴿وَقَسَّكَونَ وَلَا يَكُونُ﴾ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿فَاصْبِرُوا لِلَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾

(١) هو علي بن عبيد الله بن نصر بن السري البغدادي مؤرخ فقيه من أعيان الحنابلة، قال ابن رجب: كان متفتناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله. توفي سنة ٥٢٧هـ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٣٠ من رواية ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، نذيرٌ بما أنذرث الكتبُ المتقدِّمة، قاله قتادة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، نذيرٌ بما أنذرث به الأنبياء، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ أي: دُنت القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ﴾<sup>(١)</sup> فيه قولان: أحدهما: إذا غَشِيَتِ الْخَلْقُ شِدَائِهَا وأحوالها لم يَكْشِفْهَا أَحَدٌ ولم يَرُدِّهَا، قاله عطاء، وقاتدة، والضحاك. والثاني: ليس لِعَلْمِهَا كَاشِفٌ دُونَ اللَّهِ، أي: لا يَعْلَمُ عِلْمُهَا إِلَّا اللَّهُ، قاله الفراء، قال: وتأنيت «كاشفة» كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> [الباقية: ٨]، يريد: من بقاء؛ والعافية والباقية والناحية كُلُّهُ في معنى المصدر. وقال غيره: تأنيت «كاشفة» على تقدير: نفس كاشفة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَذَّبَ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن «تَجَبُّونَ» تكذيباً به، «وَتَضْحَكُونَ» استهزاءً «وَلَا يَكُونُ» مما فيه من الوعيد؟! ويعني بهذا كفار مكة، «وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ»<sup>(٣)</sup> فيه خمسة أقوال: أحدها: لاهون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قاله الفراء والزجاج. قال أبو عبيدة: يقال: دَغَ عَنْكَ سُمُودُكَ، أي: لَهُوكَ. والثاني: مُغْرَضُونَ، قاله مجاهد. والثالث: أنه الغناء، وهي لغة يمانية، يقولون: اشْمُدْ لَنَا، أي: تَعَنَّ لَنَا، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة: هو الغناء بالجمْريَّة. والرابع: غافلون، قاله قتادة. والخامس: أشيروا يَطْرُونَ، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سُجُودُ التَّلَاوةِ، قاله ابن مسعود. والثاني: سُجُودُ الْفَرَضِ فِي الصَّلَاةِ. قال مقاتل: يعني بقوله: «فَأَسْجُدُوا»: الصَّلَاةُ الْخَمْسُ. وفي قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ قولان: أحدهما: أنه التَّوْحِيدُ. والثاني: العبادة<sup>(٤)</sup>.



(١) الآية في التلاوة: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ وقد سوغ المتقدمون حذف الواو والفاء عند ذكر الآية للاستدلال، انظر «الرسالة» للشافعي ٣٦١ بتحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ: فَاسْجُدُوا لَهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِي صَلَاتِكُمْ دُونَ مِنْ سِوَاهِ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَلِيَاةٍ فَاعْبُدُوا دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، فَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالسُّجُودَ، وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكاً فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ. وروى البخاري في «صحيحه» ٤٧٢/٨ عن ابن عباس ؓ قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. وروى البخاري أيضاً عن ابن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «وَالَّذِينَ» قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً وأبته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فراهته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.

## سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْرَبَ السَّاعَةُ وَانْتَقَ الْقَمَرُ ۝ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُنْثَىٰ مُسْتَقَرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَةِ مَا فِيهِ مُرْدَجَةٌ ۝ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ لِّمَا تُنْزِلُ ۝﴾.

وهي مكيّة بإجماعهم، وقال مقاتل: مكيّة غير آية ﴿سَبِّحْ لِلْمَعْرِجِ﴾ [القمر: ٤٥]، وحكي عنه أنه قال: إلّا ثلاث آيات، أولها: ﴿أَنْتَ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ [١] إلى قوله: ﴿وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٤-٤٦]، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فنشأ لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلت تؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا فلان يا فلان اشهدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة<sup>(١)</sup>. وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»<sup>(٢)</sup>. وقد روى حديث الانشقاق جماعة، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا جميع المفسرين، إلّا أن قوماً شذّوا فقالوا: سيئشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَأَنْتَقَ﴾ لفظ ماضٍ، وحُمِلَ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ دليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿اَقْرَبَ﴾: دَنَتْ، و ﴿السَّاعَةُ﴾: القيامة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، تقديره: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال مجاهد: انشق القمر فصار فرقتين، فثبت فرقة، وذهبت فرقة وراء الجبل. وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قُعَيْقَعَانَ، والنصف الآخر على أبي قُبَيْس - قال ابن مسعود: لما انشق القمر قالت قريش: سحرهم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّارَ، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿اَقْرَبَ السَّاعَةُ وَانْتَقَ الْقَمَرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ أي: آية تذلّمهم على صدق الرسول، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهبٌ، من قولهم: مرّ الشيء واستمرّ: إذا ذهب، قاله مجاهد، وقطادة، والكسائي، والفراء؛ فعلى هذا يكون المعنى: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديدٌ قويٌّ، قاله أبو العالية، والضحاك، وابن قتيبة، قال: وهو مأخوذ من المِرَّةِ، والمِرَّةُ: القتل<sup>(٦)</sup>. والثالث: دائمٌ، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا﴾ يعني كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ما زين لهم الشيطان ﴿وَكُلُّ أُنْثَىٰ مُسْتَقَرٌّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن كلّ أمر مستقرّ بأهله، فالخير يستقرّ بأهل الخير، والشر يستقرّ بأهل

(١) رواه البخاري ٤٦٤/٦ بمعناه مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ ونسب إلى أبي نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس.

(٢) البخاري ٤٧٤/٨، ومسلم ٢١٥٨/٤.

(٣) حديث عبد الله بن عمر رواه مسلم والترمذي والبيهقي: وحديث حذيفة أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» وابن جرير، وابن مردويه. وحديث جبير بن مطعم رواه أحمد والبيهقي. وحديث ابن عباس رواه البخاري في «صحيحه». وحديث أنس بن مالك رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٤) في الأصل: موجود.

(٥) رواه الواحدي في «أسياب النزول» ٢٢٧، وابن جرير الطبري ٨٥/٢٧، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل» من طريق مسروق عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) في الأصل: القتل، وهو تصحيف، والتصويب من «غريب القرآن».



الشر، قاله قتادة. والثاني: لكل حديث مُتَّهَى وحققة، قاله مقاتل. والثالث: أن قرار تكذيبهم مستقر، وقرار تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقة الثواب والعقاب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿بِإِنِّ الْأَنْبَاءَ﴾ أي: من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُرَذَّجٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مُتَعَطَّ ومُتَّهَى.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ قال الزجاج: هي مرفوعة لأنها بدل من «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حكمة بالغة [وإن شئت رفعتها بإضمار: هو حكمة بالغة]. و «ما» في قوله: ﴿فَمَا تَنْي الْأَنْدَرُ﴾ جائز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، فيكون المعنى: أي شيء تُغني النذر؟! وجائز أن يكون نفيًا، على معنى، فليست تُغني النذر. قال المفسرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية، فما تُغني النذر إذا لم يؤمنوا!.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ ١ ﴿خُشْعًا أَصْرَمَرُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَبِزٌ ٢﴾ ٢ ﴿مُتَهَيِّجِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ٣﴾ ٣

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: هذا وقف التمام، و «يَوْمَ» منصوب بقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾. وقال مقاتل: فتولَّى عنهم [إلى] يوم «يَدْعُ الدَّاعِ» أثبت هذه الباء في الحاليين يعقوب؛ ووافقه أبو جعفر، وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الأكثرون في الحاليين. و «الدَّاعِ»: إسرافيل ينفخ النفخة الثانية. ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ وقرأ ابن كثير: «نُكْرٍ» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع. وقال مقاتل: «النُّكْرُ» بمعنى المنكر، وهو القبامة، وإنما يُنكرونه إعظاماً له. والتولي المذكور في الآية منسوخ عند المفسرين بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَصْرَمَرُ﴾ قرأ أهل الحجاز، وابن عامر، وعاصم: «خُشْعًا» بضم الخاء وتشديد الشين من غير ألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خَاشِعًا» بفتح الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين. قال الزجاج المعنى: يخرجون خُشْعًا، و «خَاشِعًا» منصوب على الحال، وقرأ ابن مسعود: «خَاشِعَةً»؛ ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدّمت على الجماعة التوحيد والتأنيث والجمع؛ تقول: مررت بشبانٍ حَسَنٍ أوجههم، وجسانٍ أوجههم، وحَسَنَةً أوجههم، قال الشاعر:

وَسَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. والأحداث: القبور، وإنما شبههم بالجراد المنتشر، لأن الجراد لا جهة له يقيصدها، [فهو أبدأً مختلف بعضه في بعض]، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يقيصدها. والدَّاعِ: إسرافيل. وقد أثبت ياء «الدَّاعِ» في الحاليين ابن كثير، ويعقوب؛ تابعهما في الوصل نافع، وأبو عمرو؛ والباقون بحذفها في الحاليين. وقد بينّا معنى «مُتَهَيِّجِينَ» في سورة [إبراهيم: ٤٣] والعير: الصَّعْب الشديد.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْجُونٌ وَازْدَجَرُوا ١﴾ ١ ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ٢﴾ ٢ ﴿فَنَنَادَى الْأَرْبَابَ الْأَسْمَاءَ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ ٣﴾ ٣ ﴿وَعَبْرُوا الْأَرْضَ عِوَجًا فَآلَقْنَاهُ لَمَأً عَلَيْهِ قَدْ فُودِرَ ٤﴾ ٤ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَلْجِ وَدُسِرَ ٥﴾ ٥ ﴿تَحَرَّى يَاعِينَا جَرَاءَ لَيْلٍ كَانَ كَثِيرَ ٦﴾ ٦ ﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا بِأَيِّ قَوْلٍ ٧﴾ ٧ ﴿مِنْ مُذْكَرٍ ٨﴾ ٨ ﴿كَفَيْتَ كَانَ عَلَيْنَا وَنَذَرُ ٩﴾ ٩ ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٠﴾ ١٠ ﴿كَذَّبْتَ عَادَ فَكَيْفَ كَانَ عَلَيْنَا وَنَذَرُ ١١﴾ ١١ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مَرْمَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيرٍ مُشْتَبِرٍ ١٢﴾ ١٢ ﴿يَرْجُ النَّاسُ أَجَارًا نَحْلٍ شَفِيرٍ ١٣﴾ ١٣ ﴿كَفَيْتَ كَانَ عَلَيْنَا وَنَذَرُ ١٤﴾ ١٤

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَحْجُونٌ وَازْدَجَرُ﴾ قال أبو عبيدة: افتعل من رَجِر. قال المفسرون: زجره عن مقالته ﴿فَدَعَا﴾ عليهم نوح ﴿رَبِّهِ﴾ بـ «أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ» أي: فانتقم لي ممن كذبني. قال الزجاج: وقرأ عيسى بن عمر النحوي: «أَنِّي» بكسر الألف، وفسرها سيويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: قال: إني مغلوب؛ ومن فتح، وهو الوجه، فالمعنى: دعا ربّه بـ «أَنِّي مَغْلُوبٌ».

(١) البيت للمحارث بن دوس الإيادي، ويروي لأبي داود الإيادي «هاشم القرطبي» ١٢٩/١٧. وهو في «الطبري» ٩٠/٢٧. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة ٣١٧ قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهو له، أو قبل جمع مؤنث، مثل الانتصار والأعمار وما أشبهها، جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه.

قوله تعالى: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قرأ ابن عامر «فَفَتَحْنَا» بالتشديد. فأما المُنْهَمِر، فقال ابن قتيبة: هو الكثير السريع الانصباب، ومنه يُقال: هَمَر الرجل: إذا أكثر من الكلام وأسرع. وروى عليٌّ عليه السلام أن أبواب السماء فُتحت بالماء من المجرة، وهي شَرْجُ السماء. وعلى ما ذكرنا من القصة في [هود: ٤٤] أن المطر جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفُجرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «الماءان» بهمزة وألف ونون مكسورة. وقرأ ابن مسعود: «المايان» بياء وألف ونون مكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «الماوان» بواو وألف وكسر النون. قال الزجاج: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأن اسم الماء اسم يجمع ماء الأرض وماء السماء.

قوله تعالى: ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدِّدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: كان قَدَرُ ماء السماء كَقَدَرِ ماء الأرض، قاله مقاتل. والثاني: قد قَدَّر في اللوح المحفوظ، قاله الزجاج. فيكون المعنى: على أمر قد قُضي عليهم، وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ يعني نوحاً ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ قال الزجاج. أي: على سفينة ذات ألواح. قال المفسرون: ألواحها: خشباتها العريضة التي منها جُمعت. وفي الدُّسْر أربعة أقوال: أحدها: أنها المسامير، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والقرطبي، وابن زيد. وقال الزجاج: الدُّسْر: المسامير والشُّرط التي تُشدُّ بها الألواح، وكل شيء نحو السَّمَر أو إدخال شيء في شيء بقوة وشدة قَهْر فهو دُسِّر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أدسَرُهُ وأدسِرُهُ. والدُّسْر: واحد دسار، نحو جمار، وحُمُر. والثاني: أنه صَدْر السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدُسِّر الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر أنه شيء دسره البحر، أي: دفعه<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الدُّسْر: أضلاع السفينة، قاله مجاهد. والرابع: أن الدُّسْر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانبها، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: بَمَنْظَرٍ ومَرَأًى مِنَّا ﴿جَرَائِمَ﴾ قال الفراء: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كُفِّر به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى، وهو مذهب مجاهد، فيكون المعنى: عوقبوا الله وكُفِّرهم به. والثاني: أنه نوحٌ كُفِّر به وجُجد أمره، قاله الفراء. والثالث: أن «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاء لما كان كُفِّر من نعم الله عند الذين أغرقهم، حكاه ابن جرير. وقرأ قتادة: «لَمَنْ كان كَفَرًا» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها السفينة، قال قتادة: أبقاها الله على الجودي حتى أدرَكها أوائل هذه الأمة. والثاني: أنها الفَعْلَةُ، فالمعنى: تركنا هذه الفَعْلَةَ وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وأصله مُدْتَكِر، فأبدلت التاء دالاً على ما بيَّنا في قوله: ﴿وَأَذَكَّرَ بِذَلِكَ نَارًا﴾ [يوسف: ٤٥]. قال ابن قتيبة: أصله: مُدْتَكِر، فأدغمت التاء في الدال، ثم قُلِبَت دالاً مشددة. قال المفسرون: والمعنى: هل من مُدَكِّرٍ يعتبر بذلك؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وفي هذه السورة «وَنُذْر» ستة مواضع، أثبت الياء فيها في الحاليين يعقوب، تابعه في الوصل ورش، والباقيون بحذفها في الحاليين. وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ استفهام عن تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. قال ابن قتيبة: والنُّذْر هاهنا جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار، ومثله التَّكْيِير بمعنى الإنكار. قال المفسرون: وهذا تخويف لمشركي مكة. ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي: سَهَّلْنَاهُ ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للحِفْظ والقراءة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: من ذاكِرٍ يذكره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلُّمه<sup>(٢)</sup> قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقرأ كُلُّه ظاهراً إلا القرآن. وأما الرُّيْح الصَّرصر، فقد ذكرناها في [حم السجدة].

(١) قال الشيخ محمد السفاريني في «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد»: جاء في الحديث عن ابن عباس عليه السلام: مثل رسول الله ﷺ عن زكاة العنبر؟ فقال: «إنما هو شيء دسره البحر».

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، لينذكر الناس، كما قال: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا لِيُذَكِّرَ﴾ [يونس: ١] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، لينذكر الناس، كما قال: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا لِيُذَكِّرَ﴾ [يونس: ١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [يونس: ١] قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ يعني مؤثراً أولاً الألب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسِرَ﴾ قرأ الحسن: «في يوم» بالتثنية، على أن اليوم منعت بالتحسين. والمستمر: الدائم الشوم، استمر عليهم بنحوه. وقال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم. وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر<sup>(١)</sup>. ﴿تَبَيَّنَ النَّاسُ﴾ أي: تفلهم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد، فـ ﴿كَانَهُمْ أَصْبَارٌ تَخُولُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع: «أعجز نخل» برفع الجيم من غير ألف بعد الجيم. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو عمران: «كانهم عجز نخل» بضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصول نخل ﴿شَقِيرٌ﴾ أي: متقلع. وقال الفراء: المنقعر: المنقعر من النخل. قال ابن قتيبة: يقال: فَعَزْتُه فَأَنْقَعَرُ، أي قلعته فسقط. قال أبو عبيدة: والنخل يُذَكَّرُ ويؤنث، فهذه الآية على لغة من ذكّر، وقوله: ﴿أَعْبَارُ نَخْلٍ حَارِيثٌ﴾ [الحاقة: ٨] على لغة من أنث. وقال مقاتل: شبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخل الساقطة التي لا رؤوس لها، وإنما شبههم بالنخل لظولهم، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً.

﴿وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَادَ لِلذِّكْرِ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ كَذَبَتْ مُرُوءٌ بِالْثَنَاءِ ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ نَحْنُ وَجَدَا نَقِيعَهُ إِذَا لَيْلٍ سَلَالٍ وَشَمْرِ﴾ لَأَلْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَثِيرِ﴾ إِذَا مَرَّيْلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّةٌ لَهُمْ فَارْتَقِبْتُمْ وَأَمَطَلِرٌ وَنَيْتَهُمْ أَنْ أَلَاءَ فَنَنَّةٌ يَنْتَهُمْ كُلُّ زَيْرٍ مُخَضَّرٌ ﴿فَادَا سَالِحٌ قَتْلَانِ مَقَرَّ﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَلَايَ وَنَدِيرٌ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَجَدَةً فَجَارًا كَثِيرٌ الْخَنْطِرِ﴾ وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَادَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ مُرُوءٌ بِالْثَنَاءِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه جمع نذير. وقد بينّا أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب الكل. والثاني: أن الثناء بمعنى الإنذار كما بينّا في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَلَايَ وَنَدِيرٌ﴾؛ فكانهم كذبوا الإنذار الذي جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ نَحْنُ﴾ [قال الزجاج: هو منصوب بفعل مُضَمَّرٌ والذي ظهر تفسيره، المعنى: أنتع<sup>(٢)</sup> بَشَرًا مِنَّا وَجَدًا]، قال المفسرون: قالوا: هو آدمي وفلنا، وهو واحد فلا نكون له تبعاً ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَيْلٍ سَلَالٍ﴾ أي: خطراً وذهاب عن الصواب ﴿وَشَمْرِ﴾ قال ابن عباس: أي: جنون. قال ابن قتيبة: هو من: تَسَعَرْتُ<sup>(٣)</sup> النَّارَ إذا التهب، يقال: ناقةٌ مَسْعُورَةٌ، أي: كأنها مجنونة من النشاط. وقال غيره: لَفَى شِقَاءٌ وَعَنَاءٌ لِأَجْلِ مَا يُلْزَمُ مِنْ طَاعَتِهِ. ثم أنكروا أن يكون الوحي يأتيه فقالوا: ﴿لَأَلْفَى الذِّكْرَ﴾؟ أي: أنزل الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَا﴾؟ أي: كيف خُصَّ من بيننا بالنبوة والوحي؟ ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المرح المتكبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: البطر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ قرأ ابن عامر وحزمة: «سيعلمون» بالتاء «غداً» فيه قولان: أحدهما: يوم القيامة، قاله ابن السائب. والثاني: عند نزول العذاب بهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرَّيْلُوا النَّاقَةَ﴾ وذلك أنهم سألوا صالحاً أن يظهر لهم ناقةً من صخرة، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرَّيْلُوا النَّاقَةَ﴾ أي: مخرجوها كما أرادوا ﴿فَنَنَّةٌ لَهُمْ﴾ أي: محنة واختباراً ﴿فَارْتَقِبْتُمْ﴾ أي فانتظر ما هم صانعون ﴿وَأَمَطَلِرٌ﴾ على ما يصبىك من الأذى، ﴿وَنَيْتَهُمْ أَنْ أَلَاءَ فَنَنَّةٌ يَنْتَهُمْ﴾ أي: بين ثمود وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: ﴿كُلُّ زَيْرٍ مُخَضَّرٌ﴾ يحضره صاحبه ويستحقه.

قوله تعالى: ﴿فَادَا سَالِحٌ قَتْلَانِ﴾ واسمه قدار بن سالف ﴿قَتْلَانِ﴾ قال ابن قتيبة: تعاطى عقر الناقة ﴿مَقَرَّ﴾ أي: قتل؛ وقد بينّا هذا في [الأعراف: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَجَدَةً﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصتهم في [مرد: ٦١]

١ - قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن. وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الأعميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى. وقوله: ﴿هَذَا مِنْ ذِكْرِكُمْ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل منجز عن المعاصي؟

(١) الشوم من معتقدات الجاهلية المقيمة التي أبطلها الإسلام، وما يروى مرفوعاً من أن «يوم الأربعاء يوم نحس مستمر» فلا يصح منه شيء.

(٢) في الأصل: اتبع، والتصويب من «القرطبي». (٣) في الأصل: تسعر، والتصويب من «غريب القرآن».

﴿كَانُوا كَهَشِيمٍ الْحَطِيرِ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنم، فهو الهشيم. وقد بينا معنى «الهشيم» في [الكهف: ٤٥] وقال الزجاج: الهشيم: ما يس من الورق وتكسر وتحطم، والمعنى: كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، فهو يُجمع ليوقد. وقرأ الحسن: «المُحْتَظَرُ» بفتح الظاء، وهو اسم الحظيرة؛ والمعنى: كهشيم المكان الذي يُحْتَظَرُ فيه الهشيم من الحطب. وقال سعيد بن جبیر: هو التراب الذي يتناثر من الحيطان. وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. والمراد من جميع ذلك: أنهم يادوا وهلكوا حتى صاروا كالشيء المتحطم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [١٣] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَخَرٍ﴾ [١٤] ﴿نِعْمَةً مِنَّا عِندَآ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [١٥] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَلْغَاءً فَتَوَارَّوْا بِالنَّدْرِ﴾ [١٦] ﴿وَلَقَدْ رَدَدُوهُ عَنْ حَيْبِوَ فَلَظَسْنَا مِنْهُمُ عُقْبَتَهُمْ فَذَوُّوا عَلَآ وَنَذَرِ﴾ [١٧] ﴿وَلَقَدْ مَتَّعَهُمْ بِبُكْرَةٍ عَلَآ مُمْسِقَةٍ﴾ [١٨] ﴿فَذَوُّوا عَلَآ وَنَذَرِ﴾ [١٩] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ [٢٠]

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ قال المفسرون: هي الحجارة التي قذفوها بها ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يعني لوط وابنتيه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ من ذلك العذاب ﴿بِسَخَرٍ﴾ قال الفراء: «سَخَر» هاهنا يجري<sup>(١)</sup> لأنه نكرة، كقوله: نَجَّيْنَاهُمْ بِلَيْلٍ، فإذا ألقت العرب منه الباء لم يجر، لأن لفظهم به بالالف واللام، يقولون: ما زال عندنا منذ السَخَرِ، لا يكادون يقولون غيره، فإذا حذف منه الألف واللام لم يُصَرَفْ. وقال الزجاج: إذا كان السَّحَرُ نكرة يراد به سَخَرٌ من الأسحار، انصرف، فإذا أردت سَخَرَ يومك، لم ينصرف.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ قال مقاتل: من وحَّد الله تعالى لم يُعَذَّبْ مع المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَدَدُوهُ عَنْ حَيْبِوَ﴾ أي: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه، وهم الملائكة ﴿فَلَظَسْنَا مِنْهُمُ عُقْبَتَهُمْ﴾ وهو أن جبريل ضرب أعينهم بجناحه فأذهبها. وقد ذكرنا القصة في سورة [مود: ٨١]. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿فَذَوُّوا﴾ أي: قتلنا لقوم لوط لما جاءهم العذاب: ذوقوا ﴿عَلَآ وَنَذَرِ﴾ أي: ما أنذرهم به لوط، ﴿وَلَقَدْ مَتَّعَهُمْ بِبُكْرَةٍ﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿عَذَابٍ مُّسْتَقَرٍّ﴾ أي: نازل بهم. قال مقاتل: استقرَّ بهم العذاب بُكْرَةً. قال الفراء: والعرب تُجري «عُدوة» و «بُكْرَة» ولا تُجريهما، وأكثر الكلام في «عُدوة» ترك الإجراء، وأكثر في «بُكْرَة» أن تُجْرى، فمن لم يُجرها جعلها معرفة، لأنها اسم يكون أبداً في وقت واحد بمنزلة «أمس» و «غد»، وأكثر ما تُجري العرب «عُدوة» إذا قرنت بعشيّة، يقولون: إني لأتبيهم عُدوةً وعشيّةً، [وبعضهم يقول: «عُدوة»، فلا يُجريها، و «عشيّة» فيجريها، ومنهم من لا يُجري «عشيّة» لكثرة ما صحبت «عُدوة». وقال الزجاج: العُدوة والبُكْرَة إذا كانتا نكرتين نُونتا وُصِرْتا، فإذا أردت بهما بُكْرَة يومك وغداة يومك، لم تصرفهما، والبُكْرَة هاهنا نكرة، فالصرف أجود، لأنه لم يثبت رواية في أنه كان في يوم كذا في شهر كذا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [١] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَلَنَنْهَضَنَّهُمْ أَجْدَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ﴾ [٢] ﴿أَكْفَارُكَ حَيْرٌ مِّنْ أَوْلَٰئِكَ أَمْ لَكَ بَرَاءَةٌ فِي النَّارِ﴾ [٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّشْتَرِكُونَ﴾ [٤] ﴿سَيَرْجِعُ الْجَمْعُ رَوْبَهُمْ وَبَرُّوْنَ الدَّرْ﴾ [٥] ﴿بِإِلَٰهِنَا مَرْدُودُهُمْ وَالنَّاسُ أَهْلُ أَمْرٍ﴾ [٦]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ يعني القبط «النُّذُر» فيهم قولان: أحدهما: [أنه] جمع نذير، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى. والثاني: أن النُّذُر بمعنى الإنذار؛ وقد بيناه أنفأ، ﴿فَلَظَسْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَجْدَ عَزِيزٍ﴾ أي: غالب في انتقامه ﴿مُقْدِرٍ﴾ قادر على هلاكهم. ثم خوف أهل مكة فقال: ﴿أَكْفَارُكَ﴾ يا معشر العرب ﴿حَيْرٌ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿مِّنْ أَوْلَٰئِكَ﴾؟! وهذا استفهام معناه الإنكار؛ والمعنى: ليسوا بأقوى من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم ﴿أَمْ لَكَ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب أنه لا يصيبكم ما أصابهم ﴿فِي النَّارِ﴾ أي: في الكتب المتقدمة، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّشْتَرِكُونَ﴾ [٢] المعنى: يقولون: نحن يدٌ واحدة على مَنْ خالفنا فننتصر منهم؟ وإنما وحَّد المُنتَصِر للفظ الجميع، فإنه على لفظ «واحد» وإن كان اسماً للجماعة «سَيَرْجِعُ الْجَمْعُ» وروى أبو حاتم بن يعقوب: «سنهزم» بالنون، «الجمع» بالنصب،

«وتولون» بالتاء، ويعني بالجمع: جمع كفار مكة «وَيُولُونَ الذُّبُرَ» ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائز؛ قال الفراء: ومثله أن يقول: إن فلاناً لكثير الدُّينار والدُّرهم. وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب، فكانت الهزيمة يوم بدر.

قوله تعالى: «وَالسَّاعَةُ أَذَنٌ» قال مقاتل: هي أظفح «وَأَمْرٌ» من القتل. قال الزجاج: ومعنى الذاهية: الأمر الشديد الذي لا يهتدي لدوائه؛ ومعنى «أمرٌ»: أشد مرارة من القتل والأشمر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْعَجُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهمْ دُورُوا مِّن سَقَرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَجَدَةً كَلَجٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ نَّفَعُوهُ فِي الزَّبْرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرَّ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ وَهَبٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ لَيْلِكِ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (١٧) في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ انفرد بإخراجه مسلم من حديث أبي هريرة<sup>(١)</sup> وروى أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الآية نزلت في القدرية»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أشقف نجران جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم خصماء الله»، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَسُعُرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجنون. والثاني: العناء. وقد ذكرناهما في صدر السورة. والثالث: أنه نار تشتعل عليهم، قاله الضحاك. فاما «سَقَرٌ» فقال الزجاج: هي اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: سَقَرٌ: اسم لنار الآخرة أعجمي، ويقال: بل هو عربي، من قولهم: سَقَرْتُهُ الشمس: إذا أذا به، سميت بذلك لأنها تذيب الأجسام. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ مَّنَادٍ فَنَادَى نَدَاءً يَسْمَعُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: أَيْنَ خُصْمَاءُ اللَّهِ؟ فَتَقُومُ الْقَدَرِيَّةُ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿دُورُوا مِّن سَقَرٍ﴾ (١٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»<sup>(٣)</sup>، وإنما قيل لهم: «خُصْمَاءُ اللَّهِ» لأنهم يُخاصمون في أنه لا يجوز أن يُقدَّر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: قال: واللّه لو أن قديراً صام حتى يصير كالجمل، ثم صلى حتى يصير كالوتر، ثم أخذ ظملاً وزوراً حتى دُبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سَقَرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. لوروى مسلم في أفراد من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضع يدك على خذك. وقال الزجاج: معنى «بِقَدَرٍ» أي: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كُلُّ شَيْءٍ» بفعل مضمر؛ المعنى: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَجَدَةً﴾ قال الفراء: أي: إلا مرة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرة واحدة لا مشنونة لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر. ومعنى اللَّحْمُ بالبصر: النظر بسرعة. «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية «فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ» أي متعظ «وَكُلَّ شَيْءٍ نَّفَعُوهُ» يعني الأمم. وفي «الزَّبْرِ» قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ الحَقَّة. والثاني: اللُّوحُ المحفوظ. «وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ» أي: من الأعمال المتقدمة «مُسْتَطَرَّ» أي: مكتوب، قال ابن قتيبة: هو «مُقْتَلَرٌ» من «سَطَرْتُ» إذا كتبت، وهو مثل «مُسْطَوْر».

(١) ٢٠٤٦/٤، ورواه أحمد في «المستند»، والترمذي، وابن ماجه، والواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٨، وابن جرير الطبري، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ١٣٧/٦ ونسبه إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) ذكره بنصه الخازن في «تفسيره» نقلاً عن المؤلف، وذكر السيوطي في «الدر» ١٣٨/٦ نحوه عن ابن عباس رضي الله باطول منه من رواية ابن مردويه.

(٤) «صحيح مسلم» ٢٠٤٥/٤، والكيس: ضد المعجز، وهو النشاط والخلق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المستند».

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدل على الجميع، فيجتزأ به من الجميع. أنشد سيويه والخليل:

بِهَا جَيْفُ الْحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُهَا  
يريد: وأما جلودها، ومثله:

فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(١)</sup>

ومثله:

كُلُّوا فِي يَضْفٍ بِظَنِّكُمْ تَعْيِشُوا<sup>(٢)</sup>

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وُحِدَ لأنه رأسُ آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: النَّهْرُ: الضياء والسَّعة، من قولك: أَنَهَرْتُ الطعنة: إِذَا وَسَّعْتُهَا، قال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنَهَرْتُ فَتَقَّهَا

أي: أوسعتُ فَتَقَّهَا. قلت: وهذا قول الضحاک. وقرأ الأعمش «وَنَهْرٍ».

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: مَجْلِسٍ حَسَنٍ؛ وقد نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢٧]. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمَلِكُ: هُوَ الْمَالِكُ، وَبِنَاءُ فَعِيلٍ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْوَصْفِ، وَيَكُونُ الْمَلِكُ بِمَعْنَى الْمَلِكِ، وَمِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ. وَالْمُقْتَدِرُ مَشْرُوحٌ فِي [الكهف: ٤٥].



(١) تقدم تخريجه ٢٩٩.

(٢) سبق الرجز ٢٩٩.

(٣) سبق الشطر ١٣٣ و٥٠٥ والبيت بكامله ٧٨٠.

(٤) «ديوانه» ٨، و«غريب القرآن» ٤٣٥، و«مشكل القرآن» ١٣٢، و«الصحاح»، و«اللسان» و«التاج»: نهر.

## سورة الرحمن

وفي نزولها قولان: أحدهما: أنها مكيّة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، ومقاتل، والجمهور، إلا أن ابن عباس قال: سوى آية، وهي قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩]. والثاني: أنها مدنيّة، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال ابن مسعود.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْثَارِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالنَّارُ ذُو الْقَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال مقاتل: لما نزل قوله: ﴿أَسْمِعُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفّار مكّة: وما الرّحمن؟! فأنكروه وقالوا: لا نعرف الرّحمن، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أنكروه هو الذي ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾. وفي قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ قولان: أحدهما: علّمه محمداً، وعلّم محمداً أمته، قاله ابن السائب. والثاني: يسرّ القرآن، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، فالمعنى: خلق الناس جميعاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا، في «البيان» ستة أقوال: أحدها: النطق والتّمييز، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: الحلال والحرام، قاله قتادة. والثالث: ما يقول وما يُقال له، قاله محمد بن كعب. والرابع: الخير والشر، قاله الضحاك. والخامس: [طُرق] الهدى، قاله ابن جريج. والسادس: الكتابة والخط، قاله يمان. والثاني: أنه آدم، قاله ابن عباس، وقاتدة. فعلى هذا في «البيان» ثلاثة أقوال: أحدها: أسماء كل شيء. والثاني: بيان كل شيء. والثالث: اللغات. والقول الثالث: أنه محمد ﷺ، علّمه بياناً ما كان وما يكون، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ أي: بحساب ومنازل، لا يَغْدُوْنَهَا، وقد كَشَفْنَا هذا المعنى في [الأنعام: ٩٦]. قال الأخفش: أضمر الخبر، وأُظْهِرَ - والله أعلم - أراد: يَجْرِيَانِ بِحُسْبَانٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ في النجم قولان: أحدهما: أنه كُلُّ نَبْتٍ ليس له ساق، وهو مذهب ابن عباس، والسدي، ومقاتل، واللّغويين. والثاني: أنه نَجْمُ السَّمَاءِ، والمُراد به: جميعُ النُّجُوم، قاله مجاهد. فأما الشَّجَرُ: فكلُّ ما له ساق. قال الفراء: سُجُودُهُمَا: أنَّهُمَا يَسْتَقِيلَانِ الشَّمْسَ إذا أشرقت، ثم يَمِيلَانِ معها حتى يَنْكَسِرَ الفَيء. وقد أشرت في [النحل: ٤٩] إلى معنى سُجُودٍ ما لا يَغْفِلُ. قال أبو عبيدة: وإِنَّمَا نِيَّ فعلُهُمَا على لفظُهُمَا.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ۝﴾ وإِنَّمَا فعل ذلك ليحيي الحيوان وتمتدّ الأنفاس، وأجرى الرِّيحَ بينها وبين الأرض، كما يترجّح<sup>(٣)</sup> [الخلق]. ولولا ذلك لماتت الخلائق كَرْبًا.

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العَدْلُ، قاله الأكثرون، منهم مجاهد والسدي

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكّره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بضرّكم به ما فيه رضا وريكم، وعرفّكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم وعملكم بما أمركم به، وتجنبكم ما يسخط عليكم فتسجّوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجّوا من أليم عقابه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإِنَّمَا يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفثين على اختلاف مخارجها وأنواعها. اهـ.

(٣) في الأصل: يترجّح.



واللغويون. قال الزجاج: وهذا لأن المعادلة: مُوَازَنَةُ الأشياء. والثاني: أنه الميزان المعروف، ليتناصف الناس في الحقوق، قاله الحسن، وقتادة، والضحاك. والثالث: أنه القرآن، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَقُولُوا﴾ ذكر الزجاج في «أَنْ» وجهين: أحدهما: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لنلّا تَقُولُوا. والثاني: أنها للتفسير، فتكون «لَا» للتهي؛ والمعنى: أي: لا تَقُولُوا، أي لا تُجَاوِزُوا الْعَدْلَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَيِّرُوا الْيَمِينَ﴾ قال ابن قتيبة، أي: لا تنقصوا الوزن. فأما الأنام، فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الناس، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: كل ذي رُوح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي، والفراء. والثالث: الإنس والجن، قاله الحسن، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَيْهَةٌ﴾ أي، ما يُتَفَكَّهُ [به] من ألوان الشمار. ﴿وَالْعُثْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ والأكمام: الأوعية والغُلْف؛ وقد استوفينا شرح هذا في [حم السجدة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْفُ﴾ يريد: جميع الحبوب، كالبر والشعير وغير ذلك. وقرأ ابن عامر: «وَالْحَبُّ» بنصب الباء «ذا العصف» بالالف «وَالرَّيْحَانُ» بنصب النون. وقرأ حمزة، والكسائي إلّا ابن أبي سُرَيْج، وخلف: ﴿وَالْعَصْفُ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ بخفض النون؛ وقرأ الباقون بضم النون. وفي «العصف» قولان: أحدهما: أنه تين الزُّرْع وورقه الذي تعصفه الرياح، قاله ابن عباس. وكذلك قال مجاهد: هو ورق الزُّرْع، قال ابن قتيبة: العصف: ورق الزُّرْع، ثم يصير إذا جفّ ويس ويس تبناً. والثاني: أن العصف: المأكول من الحب، حكاه الفراء. وفي «الرَّيْحَانُ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرُّزْق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جببر، والسدي. قال الفراء: الرَّيْحَانُ في كلام العرب: الرُّزْق، تقول: خرجنا نَطْلُبُ رَيْحَانَ اللَّهِ، وأنشد الزجاج للتَّوْبَرِ بن تَوَلْب:

سَلَامُ الْإِلَهِ وَزِيحَاتُهُ      وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ وَرَزْ

والثاني: أنه خُضْرَةُ الزُّرْع، رواه الوالي عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: فعلى هذا، سُمِّي رَيْحَانًا، لاستراحة النَّفْسِ بالنظر إليه. والثالث: أنه رَيْحَانُكُم هذا الذي يُسَمُّ، روى العوفي عن ابن عباس قال: «الرَّيْحَانُ»: ما أنبتت الأرض من الرَّيْحَانِ، وهذا مذهب الحسن، والضحاك، وابن زيد. والرابع: أنه ما [لم] يؤكل من الحب، والعصف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن قيل: كيف خاطب اثنين، وإنما ذكر الإنسان وحده؟ فنه جوابان ذكرهما الفراء: أحدهما: أن العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين كما بيّنا في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. والثاني: أن الذكر أريد به: الإنسان والجان، فجرى الخطاب لهما من أول السورة إلى آخرها. قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطب الجن والإنس قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها مُنْعَمٌ بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم. وقال ابن قتيبة: الآلاء: النعم، واحدها: آلاء، مثل: قفأ، وإلّا، مثل: يعى.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣ رَبُّ الْغَفِيِّ ٤ رَبُّ الْمَغْشِيِّ ٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦ مَرْجَ الْبَحْرِ ٧ يَلْقَاكَ ٨ يَتَّبِعُكَ بِرَنَجٍ لَا يَتَّبِعُكَ ٩ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٠ يَخْرُجُ مِنْهَا الزُّوْلُ ١١ وَالْمَرْحَاتُ ١٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ وَلَهُ الْغَوَايِشُ ١٤ فِي الْبَحْرِ ١٥ كَالْأَكْمَامِ ١٦ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٧

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم «بِإِنْسَانٍ» قد ذكرنا في [الحجر: ٢٦، ٢٧] الصّلصال والجان، فأما قوله: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ فقال أبو عبيدة: خلق من طين يابس لم يُطْبَخْ، فله صوت إذا نُقِرَ، فهو من يُنْبِشُهُ كَالْفَخَّارِ. والفَخَّار: ما

(١) البيت في (غريب القرآن) ٤٣٧، و(الطبري) ١٢٣/٢٧، و(القرطبي) ١٥٧/١٧، و(الصالح)، و(اللسان)، و(التاج): روح، ويعد:

عَمَامٌ يُنْزَلُ رُزْقُ الْمَوْبَدِ      نَاسِيَا بِلَادَ وَطَنِ النَّاسِجِزِ

طبخ بالنار. فأما المارج، فقال ابن عباس: هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهمت. وقال مجاهد: هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدث. وقال مقاتل: هو لهب النار الصافي من غير دخان. وقال أبو عبيدة: المارج: خلط من النار. وقال ابن قتيبة: المارج: لهب النار، من قولك: قد مَرَجَ الشيء: إذا اضطرب ولم يستقر. وقال الزجاج: هو اللهب المختلط بسواد النار. فإن قيل: قد أخبر الله تعالى عن خلق آدم ﷺ بالفاظ مختلفة، فتارة يقول: ﴿عَلَّكُم مِّنْ رَبِّ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وتارة: ﴿مِّنْ سَلْصَلٍ﴾، وتارة: ﴿مِّنْ طِينٍ لَّزِيظٍ﴾ [الصافات: ١١]، وتارة: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وتارة: ﴿مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٩]؛ فالجواب: [أن الأصل التراب فجعل طيناً، ثم صار كالحمى المسنون، ثم صار صلصالاً كالْفَخَّارِ، هذه أخبار عن حالات أصله. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلُكُمْ نَكَلًا بَآئِنًا﴾ [الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأکید التذكير بها. قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار [للتخفيف والإيجاز، لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره] في المقام على فنٍّ واحد، يقول القائل منهم: واللّه لا أفعله، ثم واللّه لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أَنْ يفعل، كما يقول: واللّه أفعله، بإضمار «لا» إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجل: اغْجَلْ اغْجَلْ، وللرامي: ارم ارم، قال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَهُ وَكَمْ وَكَمْ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر:

هَلَّا سَأَلْتُ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمٌ وَلَوْ أَئِنَّ أَئِنَّ<sup>(٢)</sup>

وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة، فغيروا منها حرفاً ثم اتبعوها الأولى، كقولهم: عَظْشَانُ نَظْشَانُ، وشَيْطَانُ لَيْطَانُ، وَحَسَنٌ بَسَنٌ. قال ابن دريد: ومن الإنباع: جائع نائع، ومليح قريح، وقبيح شقيح، وشحيح نخيح، وخبيث نبث، وكثير بثير، وسبيغ لينغ، وسائغ لائغ، وخفير نفير، وضئيل بئيل، وخضر مضر<sup>(٣)</sup>، وعفريت نفريت، وثقة بقة، وكن إن، وواحد فاحد، وحائر بائر، وَسَمَحٌ لَمَحٌ. قال ابن قتيبة: فلما عدّد الله تعالى في هذه السورة نعماءه، وأذكّر عباده آلامه، ونبّههم على قدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين، لِيُفَهِّمَهُمُ النِّعَمَ وَيُفَرِّهَهُمُ بِهَا، كقولك للرجل: ألم أبوئك منزلاً وكنت طريداً؟ أفنتكر هذا؟ ألم أحج بك وأنت ضرورة<sup>(٤)</sup>؟ أفنتكر هذا؟ وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها [ثم] قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟ لَنَلْجُنَّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رِذَاءً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلُكُمْ نَكَلًا بَآئِنًا﴾ [١٤]، إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ قرأ أبو رجاء، وابن أبي عيلة: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» بالخفض، وهما مشرق الصَّيْفِ ومشرق الشتاء ومغرب الصَّيْفِ ومغرب الشتاء للشمس والقمر جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسل العذب والمِلْحَ وخلّاهما وجعلهما: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿يَنْهَمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز

(١) الرجز غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٨٣ وفيه:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وهو أيضاً في «أمالي المرتضى» ٨٤/١ و«الصناعين» ١٤٤، و«الصاحي» ١٧٧.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص، «ديوانه» ١٤٢، و«مشكل القرآن» ١٤٣، و«مختارات ابن الشجري» ٣٩/٢، و«الشعر والشعراء» ٢٢٤/١.

(٣) قال في «اللسان»: مضر: أخذ الشيء خضراً يضرأً وخضراً مضراً، أي: غصاً طرياً.

(٤) في «اللسان»: صرد: ورجل ضرور وضرورة: لم يهج قط.

(٥) رواه الترمذي ١٦١/٢، والحاكم في «المستدرک» ٧٣/٢ من حديث الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ... وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حدث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قلت: وزهير بن محمد هذا وإن أخرج له الشيخان فقد قال البخاري كما في «التهذيب» ٣/٣٤٩: ما روى عنه أهل الشام، فإنه متاكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، قلت: وهذا الحديث مما رواه عنه الوليد بن مسلم وهو من أهل الشام.

من قدرة الله تعالى: ﴿لَا يَبْيَأَنَّ﴾ أي: لا يختلطان فيبني أحدهما على الآخر. وقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام. قال الحسن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يعني [بحر] فارس والروم، بينهما برزخ، يعني الجزائر؛ وقد سبق بيان هذا في [الفرقان: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال الزجاج: إنما يخرج من البحر الملح، وإنما جمعهما، لأنه إذا خرج من أحدهما فقد أخرج منهما، ومثله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُجُومًا﴾ [نوح: ١٦]. قال أبو علي الفارسي: أراد: يخرج من أحدهما، فحذف المضاف. وقال ابن جرير: إنما قال «منهما» لأنه يخرج من أصداف البحر عن قطر السماء. فأما اللؤلؤ والمرجان، ففيهما قولان: أحدهما: أن المرجان: ما صغر من اللؤلؤ، واللؤلؤ: العظام، قاله الأكثرون. منهم ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والفراء. وقال الزجاج: اللؤلؤ: اسم جامع للحب الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره. والثاني: أن اللؤلؤ: الصغار، والمرجان: الكبار، قاله مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال ابن عباس: إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهاها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ؛ قال ابن جرير: حيث وقعت قطرة كانت لؤلؤة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ذكر بعض أهل اللغة أن المرجان أعجمي معرب. قال أبو بكر، يعني ابن دريد: ولم أسمع فيه بفعل منصرف، وآخر به أن يكون كذلك. قال ابن مسعود: المرجان: الخرز الأحمر. وقال الزجاج: [المرجان] أبيض شديد البياض. وحكى القاضي أبو يعلى أن المرجان: ضرب من اللؤلؤ كالقضبان.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكُورُ﴾ يعني السفن ﴿الْمُنْتَثَثُ﴾ قال مجاهد: هو ما قد رُفِعَ قَلْعُهُ من السفن دون ما لم يُرْفَعَ قَلْعُهُ. قال ابن قتيبة: هُنَّ اللواتي أنشئن، أي: ابتدئ بهنَّ ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، وقرأ حمزة: «الْمُنْتَثَثُ»، فجعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر: إذا ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول. والأعلام: الجبال، وقد سبق هذا [التورى: ٣٢].

﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيَّا قَانُ﴾ ﴿وَبَقِيَ رَبُّكَ ذُو الْمَلَكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَاءَهُ رَبُّكَ تَكْدِيَانُ﴾ ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَاءَهُ رَبُّكَ تَكْدِيَانُ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيَّا قَانُ﴾ أي: على الأرض، وهي كناية عن غير المذكور، «قَانُ»: أي، هالك. ﴿وَبَقِيَ رَبُّكَ﴾ أي: وبقي ربك ﴿ذُو الْمَلَكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: الجلال: مصدر الجليل، يقال: جليل بين الجلالة والجلال. والإكرام: مصدر أكرم يُكرِّم إكراماً؛ والمعنى أن الله تعالى مستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَم، ولا يُجحد ولا يُكْفَر به؛ وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنه يُكرِّم أهل ولايته ويرفع درجاتهم؛ وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين - وهو الجلال - مضافاً إلى الله تعالى بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْلُ الْفَقْرَى وَأَقْلُ الْفَقْرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]. فانصرف أحد الأمرين إلى الله وهو المغفرة، والآخر إلى العباد وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى أن الكل يحتاجون إليه فيسألونه وهو غني عنهم ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مثل أن يُحيي ويُميت، ويُعزِّز ويُذل، ويشفي مريضاً، ويُعطي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. وقال الحسين بن الفضل: هو سؤق المقادير إلى المواقيت. قال مقاتل: وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئاً، فنزلت: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

﴿سَفَرُكُمْ لَكُمْ إِلَهُ الْفَقْدَانِ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَاءَهُ رَبُّكَ تَكْدِيَانُ﴾ ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَانُذُوا لَا تَسْأَلُونَ إِلَّا سُلْطَانُ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَاءَهُ رَبُّكَ تَكْدِيَانُ﴾ ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَانُذُوا لَا تَسْأَلُونَ إِلَّا سُلْطَانُ﴾ ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَانُذُوا لَا تَسْأَلُونَ إِلَّا سُلْطَانُ﴾ ﴿يَسْأَلُكَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَانُذُوا لَا تَسْأَلُونَ إِلَّا سُلْطَانُ﴾

قوله تعالى: ﴿سَفَرُكُمْ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «سَفَرُكُمْ» بنون مفتوحة. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، والأعشى، وحمزة، والكسائي، وعبد الوارث: [«سَفَرُكُمْ»] بياء مفتوحة. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وعاصم الجحدري، عن عبد الوارث: «سَفَرُكُمْ» بضم الياء وفتح الراء. قال الفراء: هذا وعيد من الله تعالى، لأنه لا يشغله شيء عن شيء، تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي؛ قد فرغت تشمتني؟! أي: قد أخذت في هذا وأقبلت عليه؟! قال الزجاج: الفراغ في اللغة على ضربين. أحدهما: الفراغ من شغل. والآخر:

القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي: قد زال شغلي به، وتقول: سأفرغ لفلان، أي: سأجعله قصدي، ومعنى الآية: ستفقد لحسابكم. فأما «الْقَلَان» فهما الجن والإنس، سُميا بذلك لأنهما ثقل الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: تخرجوا؛ يقال: نفذ الشيء من الشيء: إذا خلص منه، كالسهم ينفذ من الرمية؛ والأقطار: النواحي والجوانب. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، قاله ابن عباس. والثاني: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا وأخرجوا منها؛ والمراد: أنكم حينما كنتم أدركم الموت، هذا قول الضحاك ومقاتل في آخرين. والثالث: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا؛ وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تنفدون إلا في سلطان الله ومملكه، لأنه مالك كل شيء، قاله ابن عباس. والثاني: لا تنفدون إلا بحجة، قاله مجاهد. والثالث: لا تنفدون إلا بملك، وليس لكم ملك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فثنى على اللفظ. وقد جمع في قوله: ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ على المعنى. فأما «الشواظ» ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار. والثاني: الدخان، قاله سعيد بن جبير. والثالث: النار المحضة، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: هي النار التي تأجج لا دخان فيها، ويقال: شواظ وشواظ. وقرأ ابن كثير بكسر الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهل البصرة: «ونحاس» بالخفض، والباقون برفعهما. وفي «النحاس» قولان: أحدهما: أنه دخان النار، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والفراء وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، ومنه قول الجعدي يذكر امرأة:

نُضِيءُ كَضَرْوِ سِرَاجِ السَّلِيلِ — طَلَمَ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاساً<sup>(١)</sup>

وذكر الفراء في السليط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه دهن السنام، وليس له دخان إذا استُصيح به. والثاني: أنه دهن السمسم. والثالث: الزيت. والثاني: أنه الصُفْرُ المُذاب يُصَبُّ على رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقاتة. قال مقاتل: والمراد بالآية: كفار الجن والإنس، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصُفْرُ الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار نهار الدنيا<sup>(٢)</sup>، ﴿فَلَا تَنْفَرُونَ﴾ أي: فلا تمتنعان من ذلك.

﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٧) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ (٨) ﴿فَيَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْ دُؤْبِهِ إِشٍ وَلَا جَنَآءٌ﴾ (٩) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ (١٠) ﴿يَعْرِفُ الْمَتَرْمُونَ بِسِتْمِهِمْ فَيُؤَخِّدُ بِالرُّمَى وَالْأَقْدَامِ﴾ (١١) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ (١٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُتَرْمُونَ﴾ (١٣) ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ رَجِيمٍ مَاءٍ﴾ (١٤) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انفرجت من المجرة لتزول من فيها يوم القيامة «فَكَانَتْ وَرْدَةً» وفيها قولان: أحدهما: كلون الفرس الوردة، قاله أبو صالح، والضحاك. وقال الفراء: الفرس الوردة، تكون في الربيع وردة إلى الصُفْرَة، فإذا اشتد الحر كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل؛ وكذلك قال الزجاج: «فَكَانَتْ وَرْدَةً» أي: كلون فرس وردة؛ والكُميت: الورد يتلون، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الصيف خلاف لونه في الشتاء، فالسماء تتلون من الفزع الأكبر. وقال ابن قتيبة: المعنى: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. والثاني: أنها وردة النبات؛ وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحمرة، ذكره الماوردي. وفي الدُّهَان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دهن، والدُّهْن تختلف ألوانه بخضرة وحمرة وصُفْرَة، حكاه البيهقي، وإلى نحوه ذهب

(١) البيت في معجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، وغريب القرآن ٤٣٨، والطبري ٢٧/ ١٤١، واللسان والتاج: نحس.

(٢) هذا الخبر لا سند له، ورواه مقاتل - وهو ابن سليمان الأزدي المفسر - كذبوه وهجروه ورموه بالتجسيم كما في «الطريق».





يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ فِيهَا فِكْمُهُ وَنَحْلُ رَيْكَا ﴿٧٨﴾ يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ فِيمَا خَيْرَتْ حَسَانُ ﴿٨٠﴾ يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨١﴾ سُرٌّ مَقْصُورَةٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٨٢﴾ يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٣﴾ لَمْ يَلِيْنَنَّ إِشْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُ ﴿٨٤﴾ يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٥﴾ مُكَيِّنٌ عَلَى رَفْرِفٍ خَصِرٍ وَبَقَرَتِي حَسَانُ ﴿٨٦﴾ يَأْتِي مَالَهُ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٧﴾ تَبَرَّكَ أَنْتُمْ رَبُّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾ قال الزجاج: المعنى: ولَمَنْ خاف مقام ربِّه جَنَّاتان، وله مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتان. وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: دونهما في الدَّرَج، قاله ابن عباس. والثاني: دونهما في الفضل كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿جَنَّاتان من ذهب وجَنَّاتان من فضة﴾<sup>(١)</sup>؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿مُدَّاهَنَاتَانِ﴾ قال ابن عباس [وابن الزبير]: خضراوان من الرِّي. وقال أبو عبيدة: من خُضِرْتِهما قد اسودَّتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضرب خُضِرْتِهما إلى السَّوَاد، وكل نبت أخضر فتمام خُضِرْتِه ورويَّه أن يضرب إلى السَّوَاد.

قوله تعالى: ﴿نَضَّاجَاتٌ﴾ قال أبو عبيدة: فَوَارَاتان. وقال ابن قتيبة: تفوران، و«النَّضْح» أكثر من «النَّضْح». وفيما يفوران به أربعة أقوال: أحدها: بالمسك والكافور، قاله ابن مسعود. والثاني: بالماء، قاله ابن عباس. والثالث: بالخيز والبركة، قاله الحسن. والرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْلُ رَيْكَا﴾ قال ابن عباس: نَحْلُ الْجَنَّةِ: جذوعها زمرؤ أخضر، وكرْبُها: ذهبٌ أحمر<sup>(٢)</sup>، وسَعْفُها: كُسوة أهل الجنة، منها مَقْطَعَاتُهم وحُلُهم. وقال سعيد بن جبيرة: نخل الجنة: جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرؤ، ورطبها كاللداء أشد بياضاً من اللَّبَن، والين من الرُّبْد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم<sup>(٣)</sup>. قال أبو عبيدة: الكرانييف: أصول السَّعَف الغلاظ، الواحدة: كَرْنَافَة<sup>(٤)</sup>. وإنما أعاد ذكر النُّخْل والرُّمَّان - وقد دخلا في الفاكهة - لبيان فضلها كما ذكرنا في قوله: ﴿وَنَلَّهَ كَيْدَ وَرُسُلِهِ وَجَنِّيْلَ وَمِيْكَنَلْ﴾ [البقرة: ٩٨]، هذا قول جمهور المفسرين واللُّغَوِيِّين. وحكى الفراء والزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة؛ قال الفراء: وقد ذهبوا مذهباً، ولكن العرب تجعلهما فاكهة. قال الأزهري: ما علمتُ أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها: إنها ليست من الفاكهة، وإنما قال من قال، لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بكلام العرب، فالعرب تذكرُ أشياء جملة ثم تَحْصُ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه، كقوله: ﴿وَجَنِّيْلَ وَمِيْكَنَلْ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فمن قال: ليسا من الملائكة كفر، ومن قال: ثمر النخل والرمان ليسا من الفاكهة جهل.

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الْجَنَّتَانِ الأربع: ﴿خَيْرَاتٌ﴾ يعني الحور. وقرأ معاذ القاري، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك؛ «خَيْرَاتٌ» بتشديد الباء. قال اللغويون: أصله «خَيْرَاتٌ» بالتشديد، فُخِّفَ، كما قيل: هَيِّنْ لَيْنٌ. وَهَيِّنْ لَيْنٌ. وروى أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حَسَانُ الْوُجُوهِ»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حُرٌّ مَقْصُورَةٌ﴾ قد بيَّنا في سورة [الدخان: ٥٤] معنى الْحُور. وفي المقصورات قولان: أحدهما: المحبوسات في الْحِجَال، قاله ابن عباس، وهو مذهب الحسن، وأبي العالية، والقرظي، والضحاك، وأبي صالح. والثاني: المقصورات الطَّرَف على أزواجهن، فلا يرفعن طَرَفاً إلى غيرهم، قاله الربيع. وعن مجاهد كالقولين. والأول أصح، فإن العرب تقول: امرأة مَقْصُورَةٌ وقَصِيرَةٌ وقَصُورَةٌ: إذا كانت ملازمة خدرها، قال كُثَيْر:

لَعَنَرِي لَقَدْ حَبَّبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ  
إِلَيَّ، وَمَا تَذَرِي بِذَاكَ الْقَصَصَائِرِ<sup>(٦)</sup>

(١) رواء البخاري في «صحيحه» ٤٧٩/٨ ومسلم ١٦٣/١ ولفظه يتشابه: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

(٢) قال في «النهاية»: وفي صفة نخل الجنة: كَرْبُها ذهب، وهو بالتحريك أصل السف، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالعراقي.

(٣) المعجم بالتحريك: النوى، الواحدة: عجمة، مثل قصبة وقصب.

(٤) كَرْنَافَة: بكسر الكاف وضمة.

(٥) رواء ابن جرير الطبري ١٥٨/٢٧ وفي سنده ضعف، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٥٠/٦ وزاد نسبته للطبراني، وابن مردويه عن أم سلمة ؓ.

(٦) البيتان في «غريب القرآن» ٤٤٣، و«القرطبي» ١٨٩/١٧، و«البحر» ١٨٩/٨، و«اللسان» و«التاج»: قصر.



عَنْبَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحَجَالِ، وَلَمْ أَرِدْ  
وَبَعْضُهُمْ يَنْشُدُهُ: قَصُورَةٌ، وَقَصُورَاتٌ؛ وَالبَحَاتِرُ الْقَصَارُ. وفي «الخيام» قولان: أحدهما: أنها البيوت. والثاني: خيام  
تضاف إلى القصور. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ [أنه] قال: «إن  
للمؤمن في الجنة نخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم  
[المؤمن]، فلا يرى بعضهم بعضاً»<sup>(١)</sup>. وقال عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس: الخيام: دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وقال  
ابن عباس: النخيمة: لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «على رَفَارَفٍ» جمع  
غير مصروف. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني مثلهم، إلا أنهم صرفوا «رفارف» قال ثعلب: إنما لم  
يقُل: أخضر، لأن الرَفْرَفَ جمع، وأحدته: رفرقة، كقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] ولم  
يقُل: الخُضْرُ، لأن الشجر جمع، تقول: هذا حصي أبيض، وحصي أسود، قال الشاعر:  
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ مَا شِئْتُ  
بِهَرَجَابٍ مَا دَامَ الْأَرَاكُ بِهِ خُضْرًا<sup>(٢)</sup>

واختلف المفسرون في المراد بالرَفْرَفِ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها فضول المحابس [والبُسُطُ]، رواء العوفي  
عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: هي: الفُرُش والبُسُط. وحكى الفراء، وابن قتيبة: أنها المحابس<sup>(٣)</sup>. وقال النقاش:  
الرَفْرَفُ: المحابس الخُضْرُ فوق الفُرُش. والثاني: أنها رياض الجنة، رواء أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن  
جبير. والثالث: أنها الرسائد، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَقَرِيَّ حَسَانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الزَّرَابِيَّةُ، قاله ابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك،  
وابن زيد، وكذلك قال ابن قتيبة: العبقرية: الطنَّافِسُ النُّحَانُ. قال أبو عبيدة: يقال لكل شيء من البُسُط: عبقرية.  
والثاني: أنه اللِّبْيَاغُ الغليظ، قاله مجاهد. قال الزجاج: أصل العبقرية في اللغة أنه صفة لكل ما بُولَغَ في وصفه، وأصله  
أن عبقر: بلد كان يوشى فيه البُسُط وغيرها، فُنسب كل شيء جيد إليه، قال زهير:

بَحْنِيلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبَقَرِيَّةٌ  
جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَغْلُوا<sup>(٤)</sup>

وقرأ عثمان بن عفان، وعاصم الجحدري، وابن محيصن: «وَعَبَاقِرِيَّةٌ» بآلف مكسورة القاف مفتوحة الباء من غير  
تنوين؛ قال الزجاج: ولا وجه لهذه القراءة في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان، نحو: مساجد ومفاتيح، لا  
يجوز أن يكون فيه مثل عباقري، لأن ما جاوز الثلاثة لا يُجمع بياء التَّسْبِ، فلو جمعت «عبقرية» كان جمعه «عباقرة»،  
كما أنك لو جمعت «مُهَلِّيَّةً» كان جمعه «مُهَالِيَّةً»، ولم تقل: «مُهَالِيَّةً»، قال: فإن قيل: «عبقرية» واحد، و«حَسَانًا»  
جمع، فكيف جاز هذا؟ فالأصل أن واحد هذا «عبقرية» والجمع «عبقرية»، كما تقول: ثَمَرَةٌ، وَتَمْرٌ، وَلَوْزَةٌ، وَلَوْزٌ،  
ويكون أيضاً «عبقرية» اسماً للجنس. وقرأ الضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «وَعَبَاقِرِيَّةٌ» بآلف مع التنوين.

قوله تعالى: ﴿بَارَكْ أَمْ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ذَكَرَ «الاسم» صِلَةً، والمعنى: تبارك ربك. والثاني: أنه  
أصل. قال ابن الأنباري: المعنى: تفاعل من البركة، أي: البركة ثَمَالٌ وَتُكْتَسَبُ بِذِكْرِ اسْمِهِ. وقد بَيَّنَّا معنى «تبارك» في  
[الأعراف: ٥٤]، وذكرنا في هذه السورة معنى ﴿وَيُؤَيِّدُ لِّلْمَلِكِ وَاللِّكَاظِمِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وكان ابن عامر يقرأ: «ذو الجلال» وكذلك  
هي في مصاحف أهل الشام؛ والباقون: «ذو الجلال» وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والعراق، [وهم] متفقون  
على الموضع الأول أنه «ذو».



(١) رواء البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ٢١٨٢/٤.

(٢) الشطر الثاني من البيت في «اللسان» و«التاج»: هرجب. و«هرجاب»: اسم موضع.

(٣) المحابس: جمع محبس، وهو الثوب يطرح عن ظهر الفرائش للنوم عليه.

(٤) «ديوانه» ١٠٣، و«مجاز القرآن» ٢٤٦/٢، و«القرطبي» ١٩٢/١٧، و«اللسان»: عبقر.

## سورة الواقعة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مَكِّيَّة، قاله الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس أن فيها آية مدنيَّة وهي قوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ لَكُمْ لِيُكْفَرُوا﴾ [الواقعة: ٤٨]. والثاني: أنها مدنيَّة، رواه عطية عن ابن عباس.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَادِبٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رَمَتْ الْأَرْضُ رِيًّا ۝ وَسَتَّ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّدًا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَبُ الِالْيَمِينَةِ مَا أَصْحَبُ الِالْيَمِينَةِ ۝ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟ نزل قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، فالمعنى: يكون إذا وقعت الواقعة. قال المفسرون: والواقعة: القيامة، وكل آتٍ يتوقع، يقال له إذا كان: قد وقع، والمراد بها هاهنا: النَّفْخَةُ فِي الصُّورِ لقيام الساعة. ﴿لَيْسَ لِقَوْمِهَا﴾ أي: لظهورها ومجيئها «كَادِبٌ» أي: كذب، كقوله: ﴿لَا تَسْمَعْ فِيهَا لَيْقَةً﴾ [الناس: ١١] أي: لغوا. قال الزجاج: «كَادِبَةٌ» مصدر، كقولك: عافاه الله عافيةً، وكَذَبَ كاذبَةً، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا رجعة لها ولا ارتداد، قاله قتادة. والثاني: ليس الإخبار عن وقوعها كذباً، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ﴾ أي: هي خافضة «رَافِعَةٌ» وقرأ أبو رزين<sup>(١)</sup>، وأبو عبد الرحمن، وأبو العالية، والحسن، وابن أبي عبيدة، وأبو حيوة، واليزيدي في اختياره: «خافضة رافعة» بالنصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها خفضت فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، رواه العوفي عن ابن عباس. وهذا يدل على أن المراد بالواقعة: صيحة القيامة. والثاني: أنها خفضت ناساً، ورفعت آخرين، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال المفسرون: تخفض أقواماً إلى أسفل السافلين في النار، وترفع أقواماً إلى عليين في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَمَتْ الْأَرْضُ رِيًّا﴾ أي: حُرِّكَتْ حركةً شديدةً وزلزلت، وذلك أنها ترتج حتى ينهدم ما عليها من بناء، ويتشتت ما عليها من جبل. وفي ارتجاجها قولان: أحدهما: أنه لإماتة من عليها من الأحياء. والثاني: لإخراج من في بطنها من الموتى.

قوله تعالى: ﴿وَسَتَّ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: قُتَّتْ قَتًّا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. قال ابن قتية: قُتَّتْ حتى صارت كالذَّقِيقِ والسَّوِيقِ المبسوس. والثاني: لُتَّتْ، قاله قتادة. وقال الزجاج: خُلِطَتْ وَلُتَّتْ. قال الشاعر:

لَا تَخْخَبُ زَوْا خَبَزُوا وَبَسَّ بَسًّا<sup>(٢)</sup>

وفي «الهباء» أقوال قد ذكرناها في [الفرقان: ٢٣]. وذكر ابن قتية أن الهباء المُتَّبَتُّ: ما سطع من سنايك الخيل، وهو من «الهيَّوة»، والهيَّوة: الغبار. والمعنى: كانت تراباً مشتتاً.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً «ثَلَاثَةً». «فَأَصْحَبُ الِأَيْمَنَةِ» فيهم ثمانية أقوال: أحدها: [أنهم] الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت ذُرِّيَّتُهُ مِنْ صُلْبِهِ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيمانهم، قاله

(١) في النسخة الاستنبولية: أبو المتوكل.

(٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٢٤٨، و«الطبري» ٢٧/١٦٧، و«القرطبي» ١٧/١٩٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: بسس.

الضحاك، والقرظي. والثالث: أنهم الذين كانوا يمامين على أنفسهم، أي: مباركين، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنهم الذين أخذوا من شئ آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم. والخامس: أنهم الذين منزلتهم عن اليمين، قاله ميمون بن مهران. والسادس: أنهم أهل الجنة، قاله السدي. والسابع: أنهم أصحاب المنزل الرفيعة، قاله الزجاج. والثامن: أنهم الذين يؤخذ بهم] ذات اليمين إلى الجنة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَحْصَاهُ الْكَافِرُونَ﴾ قال الفراء: عَجِبَ نَبِيَّهُ ﷺ منهم؛ والمعنى: أي شيء هُم؟ قال الزجاج: وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، ومجراه من الله ﷻ في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم، ومثله: ﴿مَا لَكَ﴾ [الحاقة: ٢٢]، ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [الفارقة: ٢]؛ قال ابن قتيبة: ومثله أن يقول: زَيْدٌ مَا زَيْدًا أَي: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ! ﴿وَأَحْصَى النَّفْسَ مَا أَحْصَى النَّفْسَ﴾ [أي: أصحاب] <sup>(١)</sup> الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشُّومَى، والجانب الأيسر: الأَشَام، ومنه قيل: اليمين والشُّوم، فاليمين: كأنه [ما] <sup>(٢)</sup> جاء عن اليمين، والشُّوم [ما جاء] عن الشمال، ومنه سميت «اليمين» و «الشَّام» لأنها عن يمين الكعبة وشمالها. قال المفسرون: أصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين، ويعطون كتبهم بأيمانهم؛ وتفسير أصحاب المشأمة على ضد تفسير أصحاب الميمنة سواء، والمعنى: أي قوم هم؟ ماذا أعد لهم من العذاب؟!

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أنهم الذين صلوا [إلى] القبلتين، قاله ابن سيرين. والثالث: أهل القرآن، قاله كعب. والرابع: الأنبياء، قاله محمد بن كعب. والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سودة. وفي إعادة ذكرهم قولان: أحدهما: أن ذلك للتوكيد. والثاني: أن المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: يعني عند الله في ظل عرشه وجواره.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣] وَفِيهِ مِنَ الْآخِرِينَ [١٤] عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ [١٥] مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ [١٦] يَلْقَوْنَ عَلَيْهِمْ قُلُوبٌ وَلَدُنْهُمْ عُرُشٌ وَرُوحٌ عِزٌّ [١٧] كَانَتْ لِلَّهِ الْكُلُوبُ الْأَكْثَرُ [١٨] جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٩] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأَلِيمًا [٢٠] إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [٢١]

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣] الثلاثة: الجماعة غير محصورة العدد. وفي الأولين والآخرين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأولين: الذين كانوا من زمن آدم إلى زمن نبينا ﷺ، والآخرين: هذه الأمة. والثاني: [أن الأولين]: أصحاب رسول الله ﷺ، والآخرين: التابعون. والثالث: أن الأولين [والآخرين: من] أصحاب نبينا محمد ﷺ. فعلى الأول يكون المعنى: إن الأولين السابقين جماعة من الأمم المتقدمة الذين سبقوا بالتصديق لأنبيائهم من جاء بعدهم مؤمنًا، وقليل من أمة محمد ﷺ، لأن الذين عاينوا الأنبياء أجمعين وصدّقوا بهم أكثر ممن عاين نبينا وصدّق به. وعلى الثاني: أن السابقين: جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل من التابعين وهم الذين اتَّبَعُوهم بإحسان. وعلى الثالث: أن السابقين: الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل ممن جاء بعدهم لعجز المتأخرين أن يلحقوا الأولين، فقليل منهم من يقاربهم في السبق. وأما «الموضونة»، فقال ابن قتيبة: هي المنسوجة، كان بعضها أدخِلَ في بعض، أو نُصِدَ بعضها على بعض، ومنه قيل للدُّع: موضونة، ومنه قيل: وَضِئُ الثَّاقَةِ، وهو بَطَانٌ من سُيُورٍ يُدْخَلُ بعضُه في بعض. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: الْأَجْرُ مَوْضُونٌ بعضُه على بعض، أي: مُشْرَج. وللمفسرين في معنى «مَوْضُونَةٌ» قولان: أحدهما: مرمولة بالذهب <sup>(٢)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عباس. وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت، وهذا معنى ما ذكرناه عن ابن قتيبة، وبه قال الأكثرون. والثاني: مصفوفة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الكهف: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَلَدُنْهُمْ عُرُشٌ﴾ [الولدان:

الغلمان. وقال الحسن البصري: هؤلاء أطفال لم يكن لهم حسنات فيُجَزَّون بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها. فوضعوا بهذا الموضع. وفي المخلدين قولان: أحدهما: أنه من الخلد؛ والمعنى: أنهم مخلوقون للبقاء لا يتغيرون، وهم على سنٍّ واحد. قال الفراء: والعرب تقول للإنسان إذا كبر ولم يَشْمَط: أو لم تذهب أسنانه عن الكبر: إنه لمخلد، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المُفَرَّقُونَ، ويقال: المُسَوَّرُونَ، ذكره الفراء، وابن قتيبة، وأنشدوا في ذلك:

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللَّجَيْنِ كَأَنَّمَا عَجَازُهُنَّ أَقَاوِرُ الْكُتُبَانِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَأَوَّلُ وَأَبْرَأَ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ولا خرطوم، وقد ذكرناه في [الزخرف: ٧٢]؛ والأباريق: آنية لها عُرَى وخرطوم؛ وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الإبريق: فارسي معرب، وترجمته من الفارسية أحد شيتين، إما أن يكون: طريق الماء، أو: صب الماء على هيئة، وقد تكلمت به العرب قديماً، قال عدي بن زيد:

وَدَعَا بِالصَّبُيُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ<sup>(٢)</sup>

وربما في الآيات في [الصفات: ٤٤٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يَصْدُقُونَ عَتَا وَلَا يُزْفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: لا يَلْحَقُهُم الصَّدَاع الذي يلحق شارب خمر الدنيا. و «عنها» كناية عن الكأس المذكور، والمراد بها: الخمر، وهذا قول الجمهور. والثاني: لا يفرقون عنها، من قولك: صدغته فانصدع، حكاه ابن قتيبة. «ولا يُزْفُونَ» مفسر في [الصفات: ٤٤٧]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَتَخَفَتُونَ﴾ أي: يختارون، تقول: تخيرت الشيء: إذا أخذت خيره.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَتَخَفَتُونَ﴾ قال ابن عباس: يخطر على قلبه الطير، فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى. وقال مغيث بن سمي: تقع على أغصان شجرة طوبى طير كأمثال البُخْتِ<sup>(٥)</sup>، فإذا اشتهى الرجل طيراً دعاه، فيجيء حتى يقع على خوانه<sup>(٦)</sup>، فيأكل من أحد جانبيه قديداً والآخر شواءً، ثم يعود طيراً فيطير فيذهب.

قوله تعالى: ﴿يُخَوَّرُ عَيْنٌ﴾<sup>(٧)</sup> قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وُخَوَّرُ عَيْنٌ» بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفر، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض فيهما. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وُحَوَّرَ عَيْنًا» بالنصب فيهما. قال الزجاج: والذين رفعوا كرهوا الخفض، لأنه معطوف على قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، قالوا: والحور ليس ممّا يُطَاف به، ولكنه مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء، لأن المعنى: يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون بأكوابٍ ينعمون بها، كذلك ينعمون بلحم طير، فكذلك ينعمون بخور عين، والرفع أحسن، والمعنى: ولهم حورٌ عَيْنٌ؛ ومن قرأ «وُحَوَّرَ عَيْنًا» حملة على المعنى، لأن المعنى: يُعْطَوْنَ هذه الأشياء ويُعْطَوْنَ حوراً عَيْنًا، إلا أنها تخالف المصحف فتكره. ومعنى «كَأَنَّمَالِ اللُّؤْلُؤُ» أي: صفاؤه وتلألؤه كصفاء اللؤلؤ وتلألؤه. والمكنون: الذي لم يغيّر الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهو كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه. «جزءاً» منصوب مفعول له؛ والمعنى: يُفعل بهم ذلك جزءاً بأعمالهم، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدَانِ»: يُجَاوِزُونَ جزءاً بأعمالهم؛ وأكثر التحوين على هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاً﴾ قد فسرنا معنى اللغو والسلام في سورة ارمي: [٦٢] ومعنى التأثيم في [الطور: ٢٣] ومعنى «هَٰذَا أَصْحَابُ آلِيَيْنِ» في أول هذه السورة [الواقعة: ٩]. فإن قيل: التأثيم لا يُسمع فكيف ذكره مع المسموع؟ فالجواب: أن العرب يُنعمون آخر الكلام أوّله، وإن لم يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، فيقولون: أكلتُ خبزاً ولبناً، واللبن لا يؤكل، إنما حسن هذا لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤١٧، و«القرطبي» ٢٠٢/١٧، و«اللسان» و«التاج»: قوز. والأقاز: جمع قوز، وهو كتيب من الرمل صغير شبه به أرداد النساء، فالإضافة للبيان.

(٢) البيت في «المعرب» للجراقي ٢٣.

(٣) قال ابن كثير: وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: الشُّكْر، والصُّدَاع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال. اهـ.

(٤) الخوان، بضم الخاء وكسرها: الذي يؤكل عليه.

(٥) البُخْت: الإبل الحُرَاسانية.

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا  
قَالَ: وَالْعَيْنُ لَا تَزُجُّجُ إِنَّمَا تَكْجُلُ، فَرَدَّهَا عَلَى الْحَاجِبِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يُعْرَفُ، وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:  
وَلَقَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى  
وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:

عَلَفْتُهَا تَبْنَاءَ وَمَاءً بَارِدًا<sup>(١)</sup>

والماء لا يُغْلَفُ وإنما يُشْرَبُ، فجعله تابعاً للثَبْنِ؛ قال الفراء: وهذا [هو] وجه قراءة من قرأ، «وَجُورِ عَيْنٍ» بالخفض، لإتباع آخر الكلام أوَّله، وهو وجه العربية.

﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ مَا أَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ (١٧) فِي يَمِينِ مَحْضُورٍ (١٨) وَكَلَجَ مَحْضُورٍ (١٩) وَظَلَى مَحْضُورٍ (٢٠) وَكَأَوْ مَحْضُورٍ (٢١) وَكَفَكَهُ (٢٢) لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً (٢٣) وَفِي مَمْنُوعَةٍ (٢٤) إِنَّا أَشْأَنَهُنَّ إِنَّا (٢٥) لَمَنْهَنَّهُنَّ أَكْثَرًا (٢٦) عُرَا أَكْثَرًا (٢٧) لَا أَحْسَبُ الْيَمِينَ (٢٨) ثَلَّةٌ يَكُ الْأَوَّلَى (٢٩) وَثَلَّةٌ يَكُ الْآخِرِينَ (٣٠)

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ في قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ [الواقعة: ٩]. وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِي يَمِينِ مَحْضُورٍ﴾ (١٨) سبب نزولها أن المسلمين نظروا إلى وَجْهِهِ. وهو وادٍ بالطائف مخصب. فأعجبهم سِدْرُهُ، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية، والضحاك. وفي المخضود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي لا شوك فيه، رواه أبو طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقسامة بن زهير. قال ابن قتيبة: كلُّهُ مُجْصَدٌ شَوْكُهُ، أي: قلع، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: «لَا يُخْصَدُ شَوْكُهَا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه المؤقر حملاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك. والثالث: أنه المؤقر الذي لا شوك فيه، ذكره قتادة. وفي الطَّلَح قولان: أحدهما: أنه الموز، قاله علي، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، [والحسن]، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه شجر عظام كبار الشوك، قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلَح عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ  
عَدَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ<sup>(٣)</sup>

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلَح؟ فالجواب أن له نَوْرًا وريحاً طيبةً، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا. وقال مجاهد: كانوا يُعْجِبُونَ بِ«وَجْهِهِ» وظلاله من طلحه وسدره. فأما المنضود، فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نُضِذَ بِالْحَمْلِ أو بالورق والحمل من أوَّله إلى آخره، فليس له ساق بارزة، وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها.

قوله تعالى: ﴿ظَلَى مَحْضُورٍ﴾ (٢٠) أي: دائم لا تتسخه الشمس<sup>(٤)</sup>. ﴿وَأَكَا مَحْضُورٍ﴾ (٢١) أي: جار غير منقطع. قوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً﴾ (٢٣) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مقطوعة في حين دون حين، ولا ممنوعة بالحيطان والنواطير، إنما هي مطلقّة لمن أرادها، هذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، ولخصه بعضهم فقال: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والثاني: لا تنقطع إذا جُنِيتْ، ولا تُنَمَّن من أحد إذا أريدت،

(١) البيت غير منسوب في مشكل القرآن ١٦٥، والطبري ١٧٦/٢٧، وأساس البلاغة والصالح، واللسان والتاج: زجج.

(٢) سبق البيت ٣٦٢.

(٣) رواه الطبري ١٧٩/٢٧ وفي سنده عثمان بن قيس وهو ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المستدرك رقم (٢٩٢٣) ولفظه بتمامه: عن ابن عباس عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حرم، وحرمي المدينة، اللهم إني أحرمها بحرمك، أن لا يورى فيها محدث، ولا يخلى خلاها، ولا يعهد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمتشد» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠١/٣ عن أحمد وحسنه. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٧/٤: ووقع في رواية لعمر بن شبة بلفظ «لا يخلص» بالخاء المعجمة بدل العين المهملة، وهو راجع إلى معناه، فإن أصل الخفض: الكسر ويستعمل في القطع. اهـ.

(٦) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٢/٢٥٠، والطبري ١٨١/٢٧، ونسبه «القرطبي» ٢٠٨/١٧ إلى الجعدي.

(٧) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أبي هريرة عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، الرووا إن شئت: ﴿ظَلَى مَحْضُورٍ﴾».

روي عن ابن عباس. والثالث: لا مقطوعة بالفناء، ولا ممنوعة بالفساد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرُفِعَ رُفُوعَةً﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، وفي رفعها قولان: أحدهما: [أنها] مرفوعة فوق السرر. والثاني: أن رفعها؛ زيادة حشوها لطيب الاستمتاع بها. والثاني: أن المراد بالفراش: النساء؛ والعرب تسمي المرأة: فراشاً وإزاراً ولباساً؛ وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن رُفِعْنَ بالجمال على نساء أهل الدنيا. والثاني: رُفِعْنَ عن الأدناس. والثالث: في القلوب لثمة الميل إليهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثًا﴾ يعني النساء. قال ابن قتيبة: اكتفى بذكر القرش لأنها محل النساء عن ذكرهن. وفي المشار إليهن قولان: أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات؛ ثم في إنشأتهن قولان: أحدهما: أنه إنشأوهن من القبور، قاله ابن عباس. والثاني: إعادتهن بعد الشَّمط<sup>(١)</sup> والكِبَر أباكراً صغاراً، قاله الضحاك. والثاني: أنهن الحُور العين، وإنشأوهن: إيجادهن عن غير ولادة، قاله الزجاج. والصواب أن يقال: إن الإنشاء عَمَهُنَّ كُلَّهُنَّ، فالحُور أنشئن ابتداءً، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ الْمُنْشَأَتِ اللَّاتِي كُلُّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزٌ غُضُاشٌ رُفُصًا»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مُحْشَّاتُهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي: عذارى. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلا وجدها بكراً.

قوله تعالى: ﴿عُرْيًا﴾ قرأ الجمهور: بضم الراء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء؛ قال ابن جرير: هي لغة تميم وبكر. وللمفسرين في معنى «عُرْيًا» خمسة أقوال: أحدها: أنهن المتحبات إلى أزواجهن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنهن العواشي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل، والميرد؛ وعن<sup>(٣)</sup> مجاهد كالتقويلين. والثالث: الحسنة التبعل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والرابع: الغَنجات، قاله عكرمة. والخامسة: الحسنة الكلام، قاله ابن زيد. فأما الأتراب فقد ذكرناهن في [ص: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةً مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَثَلَاثَةً مِنَ الْآخِرِينَ هذا من نعت أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلاف، وقد سبق شرحه [الرواية: ١١٣]. وقد زعم مقاتل أنه لما نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وجد المؤمنون من ذلك وجداً شديداً حتى أنزلت ﴿وَثَلَاثَةً مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فنسختها. وروي عن عروة بن رُويم نحو هذا المعنى. قلت: وادعاء النسخ هاهنا لا وجه له لثلاثة أوجه: أحدها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا. والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، فهو هاهنا لا وجه له. والثالث: أن الثَلَاثَةَ بمعنى الفِرْقَة والفئة؛ قال الزجاج: اشتقاقهما من القطعة، والثَلُّ: الكسر والقطع. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثَلَاثَةُ في معنى القليل.

﴿وَأَحَبُّ إِلَيْنَا مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا﴾ (١) فِي سُبُورٍ دَكِيمَةٍ (٢) وَظِلٌّ يَنْ يَحْمِيهِ (٣) لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ (٤) لِيَتَمَّ كَانُوا قَدْ ذَلِكَ مُتَرَبِّعِينَ (٥) وَكَانُوا يَصْرُفُونَ عَلَى لَيْسَ الْعَلِيمِ (٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدَا يَتَنَا وَكُنَّا تُرَاكًا وَعِظْلًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ (٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٨) قَدْ لَكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٩) لَمَبْعُوثُونَ لَكِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ (١٠) ثُمَّ لَكُمْ إِلَيْنَا السَّالُوتُ الْكَذِبُونَ (١١) لَا يَكُونُ يَنْ شَجَرٍ يَنْ تَقُومُ (١٢) قَالُوا يَتَنَا الْبَلُوتُ (١٣) فَتَدْرُونَ عَلَيْهِ يَنْ لَيْسَ (١٤) فَتَدْرُونَ شَرِبَ الْمِيرَ (١٥) هَذَا تَزَلُّمٌ يَوْمَ الدِّينِ (١٦)

قوله تعالى: ﴿مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا﴾ قد بينّا أنه بمعنى التعجب من حالهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أعدّ لهم من الشر؟ ثم بين لهم سوء مُتَقَلِّبِهِمْ فقال: ﴿فِي سُبُورٍ﴾ قال ابن قتيبة: هو حَرُّ النَّارِ.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٌّ يَنْ يَحْمِيهِ﴾ قال ابن عباس: ظِلٌّ من دخان. قال الفراء: الِيَحْمُوم: الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ، ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ فوجه الكلام الخفض تبعاً لما قبله، ومثله ﴿يَتَزَيَّوْنَ لَا شَرِيَّةً وَلَا غَرِيَّةً﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك قوله:

(١) الشَّمط: الثَّيْب.

(٢) رواه ابن جرير ١٨٥/٢٧، ١٨٦، والترمذي في «جامعه» ١٦٤/٢ من رواية موسى بن عبيدة الرليدي عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، قال: وموسى بن عبيدة ويؤيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) في الأصل: عن.





قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: نبذل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن. والثاني: ننشلكم في حواصل طير سود تكون بـ «برهوت» كأنها الخطاطيف، قاله سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والثالث: نخلقكم في أي خلق شئنا، قاله مجاهد. والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي. قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقه ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلا تتعبدون فتعلموا قدرة الله فتقروا بالبعث.

﴿أَوَلَيْسَ مَا تَحْرُثُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> **أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** <sup>(٣)</sup> **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَتَأْكُلُهُ النَّفْثَةُ نَفْثُكُمْ** <sup>(٤)</sup> **إِنَّا لَمَعْرِضُونَ** <sup>(٥)</sup> **بَلْ نَحْنُ مَحْرُشُونَ** <sup>(٦)</sup> **أَوَلَيْسَ الْمَاءُ الَّذِي تَحْرُثُونَ** <sup>(٧)</sup> **أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ** <sup>(٨)</sup> **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَاحِلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** <sup>(٩)</sup> **أَوَلَيْسَ النَّارُ الَّتِي تُورُونَ** <sup>(١٠)</sup> **أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ** <sup>(١١)</sup> **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمَتًا لِلْمُؤْمِنِينَ** <sup>(١٢)</sup> **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** <sup>(١٣)</sup>

﴿أَوَلَيْسَ مَا تَحْرُثُونَ﴾ <sup>(١٤)</sup> أي: ما تعملون في الأرض من إنارتها، وإلقاء البذور فيها، ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي: تبتنونه؟! وقد نبه هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى، ومنها الامتنان بإخراج الفوت، ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ يعني الزرع ﴿حُطَبًا﴾ قال عطاء: تبناً لا قمح فيه. وقال الزجاج: أبطلناه حتى يكون محتطاً لا حنطة فيه، ولا شيء.

قوله تعالى: ﴿فَنَفْثَتُمْ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عتبة: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بكسر الظاء؛ وقد بيناه في قوله: ﴿ظَلَلْتَ عَلَيْهِ نَاقَتًا﴾ [طه: ٤٩٧].

قوله تعالى: ﴿نَفْثَتُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع، والقاسم بن محمد، وعروة: ﴿تَفَكَّنُونَ﴾ بالنون. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: تَعَجَّبُونَ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. قال الفراء: تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ في زرعكم. والثاني: تَذَمُّونَ، قاله الحسن، والزجاج. وعن قتادة كالقولين. قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفَكَّنُونَ﴾: تَذَمُّونَ، ومثلها: تَفَكَّنُونَ، وهي لغة لمُكَلِّ. والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة. والرابع: تَضْجَعُونَ، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ <sup>(١٥)</sup> قال الزجاج: أي: تقولون: قد عَرَضْنَا وَذَهَبَ زَرْعُنَا. وقال ابن قتيبة: ﴿لَمَعْرِضُونَ﴾ أي: لَمَعْدُونُونَ<sup>(١٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُشُونَ﴾ <sup>(١٧)</sup> أي: حُرِمْنَا مَا كُنَّا نَطْلُبُهُ مِنَ الرِّيحِ في الزرع. وقد نبه بهذا على أمرين: أحدهما: إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حطاً. والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع. فأما المَزْنُ، فهي السحاب، وأحدثها: مُزْنَةٌ. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿تُورُونَ﴾ قال أبو عبيدة: تستخرجون، من أَوْرَيْتُ، وأكثر ما يقال: وَرَيْتُ. وقال ابن قتيبة: التي تستخرجون من الزُّنُودِ. قال الزجاج: «تورون» أي: تقدحون، تقول: أَوْرَيْتُ النَّارَ إذا قدحتها.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها الشجرة التي تَتَّخِذُ منها الزُّنُودُ، وهو خشب يُحَكُّ بعضه ببعض فتخرج منه النار، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أن شجرتها: أصلها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قال المفسرون: إذا رآها الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿وَمِنَعًا﴾ أي: منفعة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس،

(١) برهوت: واد باليمن، وقد روي أن أرواح الكفار تجتمع فيه، وأن أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، ولكن لا دليل عليه من الكتاب والسنة الصحيحة، ولعل ذلك من الإسرائيليات.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إِنَّا لَمَعْدُونُونَ، وذلك أن الغرام عند العرب: المذاب.

وقتادة، والضحاك. قال ابن قتيبة: سما بذلك لنزلهما القوي، وهو القفر. وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين، لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى بهم الضال. والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد. والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب. والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مرد لهم، قاله أبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ اللَّيْلُ نَظِيرَ﴾<sup>(٧٦)</sup> قال الزجاج: لما ذكر ما يدل على توحيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: برّ الله ونزهه عما يقولون في وصفه. وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك، أي: استفتح الصلاة بالتكبير. وقال ابن جرير: سبح بذكر ربك وتسميته. وقيل: الباء زائدة. والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْقِعِ الْجَبْرِ﴾<sup>(٧٧)</sup> وَإِنَّهُ لَفَسَرُّ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُكَ كَرِيمٌ ﴿٧٩﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٨٠﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٨١﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّكَ الْكَافَى ﴿٨٢﴾ أَتَيْدَا لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ كَذِبٌ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأقسم، ومثله ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [العنبر: ٢٩] قال الزجاج: وهو مذهب سعيد بن جبير. والثاني: أنها على أصلها. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي. والثاني: أن<sup>(١)</sup> «لا» رد لما يقوله الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر، وكهانة. ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري: وقرأ الحسن: فلا قسم بغير ألف بين اللام والهمزة.

قوله تعالى: ﴿بِمَوْقِعِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد. قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومن أفرد، فلأنه اسم جنس. ومن جمّع، فلاختلاف ذلك. وفي «النجوم» قولان: أحدهما: نجوم السماء، قاله الأكثرون. فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال: أحدا: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، قاله الحسن. والثاني: منازلها، قاله عطاء وقتادة. والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه ابن جبير عن ابن عباس. فعلى هذا سميت نجومها متفرقة، ومواقعها: نزولها ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَرُّ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه. ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُكَ كَرِيمٌ﴾<sup>(٧٩)</sup> والكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعْظَم عند الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة. وفي «المكنون» قولان: أحدهما: مستور عن الخلق، قاله مقاتل، وهذا على القول الأول. والثاني: مصون، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>(٨١)</sup> من قال: إنه اللوح المحفوظ. فالمطهرون عنده: الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. فعلى هذا يكون الكلام خبراً. ومن قال: هو المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور. فيكون ظاهر الكلام النفي، ومعناه النهي. والثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب. والثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أن معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفراء<sup>(٢)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُني بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء له، وأصله من قولهم: أوت الدار: إذا خليت من أهلها وسكانها. اهـ.

(٢) في الأصل: أنه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، فعم بغيره المطهرين، ولم يخص بعضاً دون بعض، قال: فالملائكة من المطهرين، والرسول والأنبياء من المطهرين، قال: وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثنى وعني بقوله: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. اهـ.

قال ابن كثير: وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن =

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل. والمعنى: هو منزل، فسمي المنزل تنزيلاً في اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قدر، وللمخلوق: خلق.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكذبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: مائلون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: المدمن: المداخن، وكذلك قال ابن قتيبة: «مدمنون» أي: مدهنون. يقال: أدهن في دينه، وداهن ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> روى مسلم في «صحيحه»<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر». قالوا: هذه رحمة وضعها الله حيث شاء. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوْعِدِ الْجُورِ﴾ حتى بلغ ﴿أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة بالحديبية على إثر سماء<sup>(٣)</sup> كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرزق هاهنا بمعنى الشكر. روت عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شكركم»<sup>(٥)</sup>، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس. وكان علي يقرأ «وتجعلون شكركم»<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله الأكثرون. وذلك أنهم كانوا يمتطرون، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. والثالث: أن الرزق بمعنى الحظ. فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي. وقرأ أبي بن كعب، والمفضل عن عاصم «تَكْذِبُونَ» بفتح التاء، وإسكان الكاف، مخففةً الذال.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُ ۖ وَأَنْتُمْ حِينَالِمْ تَنْظُرُونَ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ۖ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ ۖ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ مَوَاقِفَ ۖ تَرْجُوْنَ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَبِيْرٌ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلَّوْا ۖ إِنَّكُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَنُزُلٌ مِنْ جَحِيْمٍ ۖ وَنَصِيْلَةٌ جَهِِيْمٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ ۖ أَلِيْنٌ ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَلِيْمِ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُ﴾ يعني: النفس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك: إِذَا حَشَرَ جَنَّتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّنْدُ<sup>(٧)</sup>

= هاهنا: المصحف، كما روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطئه» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، قال: وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر» اهـ. قلت: وقد روي الحديث موصولاً عن كثير من الصحابة، وهو صحيح بمجموع طرقه اهـ.

(١) ٨٤، ٨٣/١. (٢) إثر وأثر، لغتان مشهورتان، أي بعد المطر، والسماء: المطر.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٣٤/٢، ومسلم ٨٤/١ واللفظ للبخاري. قال أبو عمرو بن الصلاح: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء ينوء، أي: سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع. اهـ.

(٤) لم تقف على هذا الحديث من طريق عائشة وإنما هو من طريق علي ﷺ عن النبي ﷺ كما رواه الطبري ٢٠٧/٢٧ وفي سننه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف، ورواه أحمد أيضاً ٧٧/٢ من حديث عبد الأعلى بن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن النبي ﷺ قال: ﴿وَيَحْتَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾<sup>(٨)</sup> قال: «شكركم (وفي «المستند» شكركم وهو خطأ). مطرنا بنوء كذا وكذا: بنجم كذا وكذا.

وروى ابن جرير في «تفسيره» ٢٠٨/٢٧ بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون».

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠٨/٢٧ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كان علي ﷺ يقرأ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وفي سننه عبد الأعلى الثعلبي، وقد حمل بعض الشراح هذه القراءة على التفسير، من غير قصد للتلاوة.

(٦) البيت لحاتم الطائي، «ديوانه» ٥٠ وصدره:

أماوي ما ينسني الشراء من الفنى

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يعني أهل الميت ﴿تَنْظُرُونَ﴾ إلى سلطان الله وأمره. والثاني: تنظرون إلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون له شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿عَمَّ مَتَدِينٌ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: محاسبين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة. والثاني: موقنين، قاله مجاهد. والثالث: مبعوثين، قاله قتادة. والرابع: مجزيين. ومنه يقال: دنته، وكما تدن تدان، قاله أبو عبيدة. والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دنت له بالطاعة، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿تَرْجُؤُنَا﴾ أي: تردون أنفس. والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهل تردون هذه النفس؟! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم. قال الفراء: وقوله تعالى: ﴿تَرْجُؤُنَا﴾ هو جواب لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكَ﴾ (١) ولقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَمَّ مَتَدِينٌ﴾ (٢) فإنهما أجيبتا بجواب واحد. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ يَتْبَعُ هَذِي فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَا فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٨] ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نفسه الحلقوم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عند الله. قال أبو العالية: هم السابقون ﴿فَرُوحٌ﴾ أي: قلَّة رُوح. والجمهور يفتحون الراء. وفي معناها ستة أقوال: أحدها: الفرح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: الراحة، رواه أبو طلحة عن ابن عباس. والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: الجنة، قاله مجاهد. والخامس: رُوح من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب. والسادس: رُوح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة (٣). وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقاتدة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: ﴿فَرُوحٌ﴾ برفع الراء. وفي معنى هذه القراءة قولان: أحدهما: أن معناها: فرحة، قاله قتادة. والثاني: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: معناها: فحياة دائمة لا موت معها. وفي «الريحان» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: أنه الريحان المسموم. وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضاير (٤) الريحان من الجنة، فتجعل روحه فيه.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ أَلْيَيْنَ﴾ (٥) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح

= والحشرجة: الفراغة عند الموت، وتردد النفس، وهو في «أمالى المرتضى» ٦٣/٤، و«العلامة» ٢٦٣/٢، و«مجموعة المعاني» ٣١، و«العقد الفريد» ٣٣٦/١، و«أمالى ابن الشجري» ٥٠/١.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عن بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رجحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر. وروى الإمام أحمد في «المسند» أن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: فيكون النسيم طيراً يعلق بالفجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها، وفي سنده ابن لهيعة، قال ابن كثير: هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن. ومعنى يعلق: يأكل، ويشهد لهذا الحديث بالصحة ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، عن رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قال: وهذا إسناد عظيم ومتن قويم، قال: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شامت ثم تأتي إلى قتاديل معلقة بالعرش... الحديث. اهـ. وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة أو بعض أزواجه ﷺ: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

(٢) الضباير - كما في «اللسان» -: الجماعات في تفرقة، وفي الحديث: أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضباير الريحان. قلت: أخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٥) ﴿فَرُوحٌ وَرَحْمَةٌ﴾ قال: بلغني أن المؤمن إذا نزل به الموت يلقى بضاير الريحان من الجنة فتجعل روحه فيها. انظر «الدر المنثور» ١٦٧/٦.

عن ابن عباس. والثاني: تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عطاء. والثالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. وقد علمت ما أعدّ لهم من الجزاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بالبعث ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى ﴿فَنَزَّلْنَا﴾ وقد بيّناه في هذه السورة [الواقعة: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿لَمَوْحٌ حَقٌّ الْبَيِّنُ﴾ أي: هو اليقين حقاً، فأضافه إلى نفسه، كقولك: صلاة الأولى، وصلاة العصر، ومثله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا المعنى. وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقاً. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواقعة: ١٧٤] <sup>(١)</sup>.



(١) روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْغَدِيرِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه. وإسناده صحيح. وروى البخاري في آخر «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

## سورة الحديد

وفيهما قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقناة، ومقاتل. والثاني: أنها مكية، قاله ابن السائب.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْخَشِيِّ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّكِيمُ﴾ ① لَمْ تَكُنِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِشَيْءٍ وَثِيقًا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعَلِّمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ لَمْ تَكُنِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَكِ اللَّهُ تَرْبَعُ الْأُمُورُ ⑤ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أما تسييح ما يعقل، فمفعول، وتسييح ما لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: هو السابق للأشياء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بحججه الباهرة، وبراهينه الثيرة، وشواهد الدالة على صحته وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدرته. وقد يكون الظهور بمعنى العلو، ويكون بمعنى الغلبة. والباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية. وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين. ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب ① ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مفسر في [الأعراف: ٥٤] إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو مفسر في [سبا: ٢٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي: بعلمه وقدرته ②. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب لكفار قريش ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّطِينَ فِيهِ﴾ يعني: المال الذي كان بأيدي غيرهم، فاهلكهم الله، وأعطى قريشاً ذلك المال، فكانوا فيه خلفاء من مضي.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّطِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا هُمُ الْأَمْثَرُ كَيْفَ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ ءَايَتِهِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

(١) قال ابن كثير: وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بقعة عشر قولاً، وقال البخاري: قال يحيى: (يريد به يحيى بن زياد الفراء صاحب معاني القرآن) الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً. اهـ. وروى مسلم في [صحيحه] ٢٠٨٤/٤ عن سهيل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحد أن ينأى أن يضطجع على شقة الأيمن ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أموذ بك من شئ كل شيء أنت تخذل بصاحبه، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغننا من الفقر» قال: وكان (بني أبا صالح) يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتعلبيكم ومثاكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ، وطاعة ومعصية، ذو بصير، وهو لها محصن، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والسيئ بإسأته. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي وقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سرهم ونجواهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ سُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعْتِفُونَ بِأَنفُسِهِمْ مَا يُخْفُونَ تَأْخِذُكُمْ مَا يُخْفُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ السُّرُورِ﴾ وقال تعالى: ﴿مَرْكَاةً يُبْدُونَ أَنَّهَا الْقَرْوَلُ وَمَنْ جَهَرْ بِهِ وَنَنَّ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلَافٍ وَسَائِرٍ بِالْهَارِ ⑨﴾ فلا إله غيره ولا رب سواه. قال: وقد ثبت في [الصحيح] أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». اهـ.

النُّورَ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَطْعَمَ دَبَّحَةً مِّنَ اللَّيْلِ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ تَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله ﴿وَقَدْ أَخَذَ يَشْفَقُكُمْ﴾؟ قرأ أبو عمرو «أخذ» بالرفع. وقرأ الباقون «أخذ» بفتح الخاء ﴿يَشْفَقُكُمْ﴾ بالفتح. والمراد به: حين أخرجتم من ظهر آدم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالجمع والدلائل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم عَلَى عِبَادِهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿وَإِنِّي بَيْنَ يَدَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ يعني الشرك ﴿إِلَّا﴾ نور الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة. ثم حثهم على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: أي شيء لكم في ترك الإنفاق مما يقرب إلى الله ﷻ وأنتم ميتون تاركون أموالكم؟! ثم بين فضل من سبق بالإنفاق فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه فتح الحديبية، قاله الشعبي. والمعنى: لا يستوي من أنفق قبل ذلك ﴿وَقَتْلٍ﴾ ومن فعل ذلك بعد الفتح<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق<sup>(٢)</sup>. ﴿أُولَئِكَ أَطْعَمَ دَبَّحَةً﴾ قال ابن عباس: أعظم منزلة عند الله. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. قال الزجاج: لأن المتقدمين كانت بصائرهم أنفذ، ونالهم من المشقة أكثر ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وكلا الفريقين وعده الله الجنة. وقرأ ابن عامر «وكل» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر «فَيُضَاعِفُهُ» مشددة بغير ألف، إلا أن ابن كثير يضم الفاء، وابن عامر يفتحها. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي «فيضاعف» بالألف وضم الفاء، وافقه عاصم، إلا أنه فتح الفاء. قال أبو علي: يضاعف ويضعف بمعنى واحد، إلا أن الرفع في «يضاعف» هو الوجه، لأنه محمول على «يقرض». أو على الانقطاع من الأول، كأنه [قال: فهو يضاعف. ويحمل قول الذي نصب على المعنى، لأنه إذا قال: من ذا الذي يقرض الله، معناه: أيقض الله أحد قرضاً فيضاعفه. والآية مفسرة في البقرة: ٢٤٥] والأجر الكريم: الجنة<sup>(٣)</sup>.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَنفِهِمْ هُمْ يَسْعَىٰ﴾ جَاءَتْ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ يَلْمِزُونَ أَمَّا نُنْظِرُهُم فَتَقْبَلُ مِنَّا نُورُهُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَصِرَتْ يَتِيمًا يَسْعَىٰ لَمْ يَلْبَسُوا يَوْمَ الرَّحْمَةِ وَظَلَمَهُمُ يَوْمَ يَبْلُغُهُ الْعَذَابُ ﴿٢﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُن مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَمَيْتُمْ عَزَّائِكُمُ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ

(١) أي: لا يستوي هذا ولم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح، فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَطْعَمَ دَبَّحَةً مِّنَ اللَّيْلِ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا: فتح مكة، وعن الشعبي وغيره: أن المراد بالفتح هاهنا: صلح الحديبية.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠٣ عن محمد بن فضيل بن غزوان عن الكلبي، والكلبي منهم بالكذب، ورواه الواحدي بسنده عن ابن عمر، وفي سنده ضعف. وذكره ابن كثير وقال: هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه. اهـ. ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبى بكر ﷺ له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ﷻ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

(٣) قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال. قال ابن كثير: والصحيح أنه أهم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ أَكَاكِبُكُمْ﴾ وله أجر كريم أي: جزاء جميل، وزود باهر، وفي الجنة يوم القيامة. اهـ. وقال الألوسي: القرض الحسن: الإنفاق بالإخلاص، وتحري أكرم المال وأفضل الجهات قال: وذكر بعضهم أن القرض الحسن: ما يجمع عشر صفات: أن يكون من الحلال، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن يكون من أكرم ما يملكه المراء، وأن يكون والمرء صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر، وأن يضعه في الأحوج الأولى، وأن يكتم ذلك، ولا يبيعه باليمن والأذى، وأن يقصد به وجه الله تعالى، وأن يستحق ما يعطى وإن كثر، وأن يكون من أحب أمواله إليه، وأن يتوخى في إيصاله للفقير ما هو أسر لديه من الوجوه كحمله إلى بيته، قال: ولا يخفى أنه يمكن الزيادة والنقص فيما ذكر. اهـ.



اللَّهُ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهُ الْقُرْآنُ ﴿١٤﴾ قَالَتِمْ لَا يُؤْخَذُ بِكُمْ مَتَى وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا تَرْكَبُ النَّارُ مِنْ مَوْلَانَكُمْ وَيَسِّرَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَسِّرَ مَوْتَكُمْ﴾ قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم. قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرة، ويتقد أخرى. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرَ مَوْتَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه كتبهم يعطونها بأيامانهم، قاله الضحاك. والثاني: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: «في». و«في» بمعنى «عن»، هذا قول الفراء. قوله تعالى: ﴿يَسِّرَ مَوْتَكُمْ﴾ هذا قول الملائكة لهم.

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا نَتِيجَتِمْ﴾ وقرأ حمزة: «أنظرونا» بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء. قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في نور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم ﴿قِيلَ أَرْجِعُوا رَدَّكُمْ﴾ في القائل قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، قاله ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فارجعون، فلا يرون شيئاً. والثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله لكم نوراً. والثالث: أن المعنى: لا نور لكم عندنا. ﴿فَقَسَّرَ بَيْنَهُمْ سُبُورَ﴾ قال ابن عباس: هو الأعراف، وهو سورٌ بين الجنة والنار ﴿بِالْمِثْرِ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهي: الجنة ﴿وَوَظَّيَّرَ﴾ يعني: من وراء السور ﴿بَيْنَ فَيْكِهِ أَلْفَلَاكٍ﴾ وهو جهنم. وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون بيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: على دينكم نصلي بصلواتكم، ونغزو معكم؟! فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّا أَنْتُمْ﴾ قال الزجاج: استعملتموها في الفتنة. وقال غيره: آثمتموها بالنفاق ﴿وَفَرَّقْنَاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ترئصتم بالتوبة. والثاني: ترئصتم بمحمد الموت، وقلتم: يوشك أن يموت فنستريح ﴿وَأَرْبَعُونَ﴾ شككتهم في الحق ﴿وَعَزَّيْنَاهُمُ الْأَمَانِ﴾ يعني: ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الموت. والثاني: إلقاؤهم في النار ﴿وَعَزَّيْنَاهُمُ بِاللَّهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: غرکم الشيطان بحكم الله وإمهاله. ﴿قَالَتِمْ لَا يُؤْخَذُ بِكُمْ مَتَى﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «لا تؤخذ» بالتاء، أي: بدل وعوض عن عذابكم. وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْزِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنْ مَوْلَانَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آفَاتِهِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَلَا تَحِلُّ عَلَيْهِمُ الْأُمْدُ فَتَسَّ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ فِتْيُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمِثْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ يَتَنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَمَلَكُمْ تَقُولُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبتنا بهذه الآية إلا أربع سنين<sup>(٢)</sup>، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا:

(١) قال ابن كثير: وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى، ومثلاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بـ «وادي جهنم» فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين، قال: وقول كعب الأبحار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتزواته، وإنما المراد بذلك: سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من وراءه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة. اهـ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ٢٣١٩/٤ عن عبد الله بن مسعود رَوَاهُ أَيْضاً النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَذَكَرَهُ السَّيوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ١٧٥/٦ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِابْنِ الْمُنْتَدَرِ، وَابْنُ مَرْثُومٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

(٣) هذا غير صحيح، لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

حَدَّثَنَا عَنْ التَّوْرَةِ، فَإِنْ فِيهَا الْعَجَائِبُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ الزَّجَاجُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُتُوًا عَلَى الرُّقَّةِ وَالْخَشُوعِ. فَأَمَّا مَنْ كَانَ وَصْفَهُ اللَّهُ ﷻ بِالْخُشُوعِ، وَالرُّقَّةِ، فَطَبَقَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَوْقَ هَؤُلَاءِ. فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ الْإِيمَانُ حَقِيقَةً. وَعَلَى الثَّانِي: يَكُونُ الْمَعْنَى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» بِالسَّتْهِمْ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: الْمَعْنَى: أَلَمْ يَحِنْ، تَقُولُ: أَنَّى الشَّيْءُ: إِذَا حَانَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَنْ تَقْشَعَ قُلُوبُهُمْ» أَي: تَرَقُّ وَتَلِينُ لَذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>. الْمَعْنَى: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُوْرِثَهُمُ الذِّكْرُ خُشُوعًا «وَمَا زَلَّ مِنْ كَلَمَةٍ» قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ «وَمَا نَزَّلَ» بِفَتْحِ النُّونِ، وَالزَّيَّاعِ، مَعَ تَشْدِيدِ الزَّيَّاعِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَحَفْصٌ، وَالْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ «نَزَلَ» بِفَتْحِ النُّونِ، وَتَخْفِيفِ الزَّيَّاعِ. وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَأَبَانٌ عَنْ عَاصِمٍ «نَزَّلَ» بِرَفْعِ النُّونِ، وَكَسْرِ الزَّيَّاعِ، مَعَ تَشْدِيدِهَا. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو رَجَاءٍ «وَمَا أَنْزَلَ» بِهَمْزَةٍ مُفَتْوحَةٍ، وَفَتْحِ الزَّيَّاعِ. وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ بَضَمَ الْهَمْزَةَ، وَكَسَرَ الزَّيَّاعِ. وَ«الْحَقُّ» الْقُرْآنُ، «وَلَا يَكُونُوا» قَرَأَ رُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ «لَا تَكُونُوا» بِالتَّاءِ «كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يَعْنِي: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى، «فَلَا ظَلَمَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ» وَهُوَ: الزَّمَانُ. وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: الْأَمْدُ: الْغَايَةُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ بَعْدَ عَهْدِهِمُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَتْ نِتْنُهُمْ فَيَقُوتُ» وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِعِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ<sup>(٣)</sup> «أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِ» أَي: يَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ بَعْدَ يَسْهَاهَا، فَكَذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ<sup>(٤)</sup> «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ «لَسَّكُمْ تَقْوَلُونَ»، أَي: لَكِي تَتَأَمَّلُوا.

«إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا يَنْصَبُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهِيدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ<sup>(٥)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ» قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَعَاصِمٌ إِلَّا حَفْصًا بِتَخْفِيفِ الصَّادِ فِيهِمَا عَلَى مَعْنَى التَّصَدِيقِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ، بِالتَّشْدِيدِ عَلَى مَعْنَى الصَّدَقَةِ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهِيدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» اخْتَلَفُوا فِي نَظْمِ الْآيَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ تَمَامَ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ تَعَالَى: «وَالشَّهِيدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٍ، وَالْفَرَّاءِ فِي آخَرِينَ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا عَلَى نَظْمِهَا. وَالْوَاوُ فِي «وَالشَّهِيدَةُ» وَآوِ النَّسْقِ. ثُمَّ فِي مَعْنَاهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ صَدِيقٌ شَهِيدٌ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُجَاهِدٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مَخْصُوصِينَ، وَهُمْ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ سَبَقُوا إِلَى

(١) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ٣٣ عَنْ الْكَلْبِيِّ وَمَقَاتِلٍ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْبَقَوِيُّ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى: أَمَا أَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لَذِكْرِ اللَّهِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ فَتُفْهَمُ وَتَتَفَادَى لَهُ وَتَسْمَعُ لَهُ وَتَطِيعُهُ. أَهـ. وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: الْمَعْنَى: أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ تَرَقُّ قُلُوبُهُمْ لِأَجْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَكِتَابِهِ الْحَقِّ النَّازِلِ فَيَسْأَرُوا إِلَى الطَّاعَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهَا؟ أَهـ.

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ أَحْمَلُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَمَّا تَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ بَلَلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بَأْدِيهِمْ وَاشْتَرَبُوا بِهِ شَيْئًا قَلِيلًا وَزَيَّنُوهُ وَرَوَّاهُ ظُهُورَهُمْ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمُتَفَتِكَةِ وَقَلَدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا أَجْرَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَغَدَا ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً وَلَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ وَلَا وَعِيدٍ. أَهـ.

(٤) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَلِينُ الْقُلُوبَ بَعْدَ تَسْوِئَتِهَا، وَيَهْدِي الْحَيَارَى بَعْدَ ضَلَّتِهَا، وَيُفْرِجُ الْكُرُوبَ بَعْدَ شَدَّتِهَا، فَكَمَا يَحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ الْمَجْدِيَّةَ الْهَامِدَةَ بِالْغَيْثِ الْهَاتِنِ الرَّابِلِ، كَذَلِكَ يَهْدِي الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ بِرَاهِمِ الْقُرْآنِ وَالذَّلَالِ، وَيُؤَلِّجُ إِلَيْهَا النُّورَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَقْفَلَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْوَاضِلُ، فَسُبْحَانَ الْهَادِي لِمَنْ يَشَاءُ بَعْدَ الضَّلَالِ، وَالْمُضِلِّ لِمَنْ أَرَادَ بَعْدَ الْكَمَالِ، الَّذِي هُوَ لَمَّا يَشَاءُ قَعَالَ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَدْلُ فِي جَمِيعِ الْفَعَالِ، الْغَلِيفُ الْخَيْرِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. أَهـ.

(٥) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: قَرَأَتْ عَامَةُ قُرَاءَةِ الْأَمْصَارِ خِلَا ابْنِ كَثِيرٍ وَعَاصِمٍ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَالْدَّالِ، بِمَعْنَى: إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ، قَالَ: ثُمَّ تَدْخُمُ التَّاءُ فِي الصَّادِ فَتَجْعَلُهَا صَادًا مُشَدَّدَةً، كَمَا قِيلَ: «يُؤَيِّدُ الْكُرْبُلَ» يَعْنِي: الْمُتَزَلُّ: قَالَ: وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَعَاصِمٌ: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ» بِتَخْفِيفِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ، بِمَعْنَى: إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي أَنْ يَقَالَ: إِنَّمَا قَرَأَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، فَيَأْتِيهِمَا قُرَاءَةُ الْفَرَاغِ فَمُصِيبٌ. قَالَ: فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْنٌ عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ قُرْآنِ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ فِي الْحَرْفَيْنِ أَعْنِي فِي الصَّادِ وَالْدَّالِ: إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمُ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ «وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا» بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَفِيمَا أَمَرَ بِالنَّفَقَةِ فِيهِ، أَوْ فِيمَا نَدَبَ إِلَيْهِ «يُنْصَبُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ» يَقُولُ: يُضَافُ إِلَيْهِمْ قُرُوضُهُمُ الَّتِي أَقْرَضُوها إِيَّاهُ، فَيُؤَدُّهُمْ ثَوَابُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ «وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» يَقُولُ: وَلَهُمْ ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى صَدَقَتِهِمْ وَقُرُوضِهِمْ إِيَّاهُ كَرِيمٌ، وَذَلِكَ الْجَنَّةُ. أَهـ.

الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد. والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِزَةٌ وَلَكُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَذَلِكِ عَيْتِ أَجَبَ الْكَفَّارَ بَنَاهُ ثُمَّ يَجِجُ فَتَرْتَهُ مُسْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الضَّرِيرُ ﴿٢٠﴾ سَابِقًا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿لَمِزَةٌ وَلَكُمْ﴾ أي: غرور ينقضي عن قليل. وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزين الدنيا، ويفخر قرناه وجيرانه، ويكاثروهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حله، ويتطاول على أولياء الله بماله، وخدومه، وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شبهاً، فقال: ﴿كَذَلِكِ عَيْتِ أَجَبَ الْكَفَّارَ﴾ وهو الزُّرَّاعُ، وسموا كفاراً، لأن الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره، أي: غطاه. ﴿بَنَاهُ﴾ أي: ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثُمَّ يَجِجُ﴾ أي: يبس ﴿فَتَرْتَهُ مُسْفَرًا﴾ بعد خضرته ورَّيه ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: ينحطم، وينكسر بعد يسه<sup>(١)</sup>. وشرح هذا المثل قد تقدم في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٢٤]، وفي «الكهف» عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لأعداء الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في (آل عمران: ١٨٥) إلى قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ فيبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ بِالْبَغْلِ ذُنُوبًا وَمَنْ يُؤْتِ لَكَ اللَّهُ هُوَ الْفَيْضُ الْعَظِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أن نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إثبات ذلك على كثرته هيئ على الله ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وقرأ أبو عمرو - إلا اختيار البيهقي - بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقر بالمد على معنى: أعطاكم الله منها. وأعلم أنه من علم أن ما قضي لا بد أن يصيبه قل حزنه وفرحه. وقد روى قتبية بن سعيد قال: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا بفضاء من الأرض فيه من الإبل ما لا يحصى عدده، كلها قد مات، فسألت عجوزاً: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تل يغزل الصوف، فقلت له: يا شيخ ألك كانت

(١) قال ابن كثير: مكنا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، قال: والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعشوان شبابه فحسباً طرياً، لين الأعطاف بهي المنظر، ثم إنه يشرى في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٢٤﴾﴾ قال: ولما كان هذا المثل حالاً على زوال الدنيا وانقضاءها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها، ورجب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُتُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآنية القريبة إلا إما هذا، وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُتُورِ﴾ أي: هي متاع فاني غار لم ركن إليه فإنه يفتز بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد ورامعا، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. اهـ.

(٢) وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ: قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدكم منكم هذه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «فولنا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة» متفق عليه واللفظ لمسلم.

هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ  
مَا سَرَّنِي أَنْ يُسَلِّيَ فِي مَبَارِكِهَا

وما بعد هذا قد ذكرناه في سورة [النساء: ٣٧] والذي قيل في البخل هناك هو الذي قيل هاهنا إلى قوله: «وَمَنْ يَتَوَلَّ» أي: عن الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى أولياته. وقد سبق معنى الاسمين في [البقرة: ٢٦٧] وقرأ نافع وابن عامر «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، والشام.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَرْسَلْنَا الْخَلِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْذُرُ بَذْرَهُمْ وَيَسْلُكُ يَوْمَ الْقِيَامِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

قوله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بالآيات والحجج «وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» ببيان الشرائع، والأحكام. وفي «الميزان» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل. فعلى القول الأول: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان، أي أمرنا به ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: لكي يقوموا بالعدل.

قوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الْخَلِيدَ» فيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان، والكلبتين، والمطرقة، قاله ابن عباس. والثاني: أن معنى «أرسلنا»: أنشأنا وخلقنا، كقوله تعالى: «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَخْرُجُ مِنْهُ زَرْعٌ كَثِيرٌ» [النور: ٦].

قوله تعالى: «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» قال الزجاج: وذلك أنه يُمتنع به، ويُحارب به «وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ» في أدواتهم، وما يتفقون به من آية وغيرها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ» هذا معطوف على قوله تعالى: «لِيَقُومَ النَّاسُ»، والمعنى: ليتعامل الناس بالعدل وليعلم الله «مَنْ يَبْذُرُهُمْ» بالقتال في سبيله ونصرة دينه، وذلك أنه أمر في الكتاب الذي أنزل بذلك. وقد سبق معنى قوله تعالى: «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ» في مواضع. وقوله تعالى: «بِالْبَيِّنَاتِ» أي: ولم ير الله، ولا أحكام الآخرة، وإنما يجهد ويثاب من أطاع بالغيب.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُنْتَهَى وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يُرْسِلْنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» يعني: الكتب «فَمِنْهُمْ» يعني: من الذرية «مُنْتَهَى وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» في قولان: أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس. والثاني: عاصون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ» أي: أثبتنا على آثار نوح، وإبراهيم، وذريتهما «عِيسَى» وكان آخر أنبياء بني إسرائيل، «وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» يعني: الحواريين وغيرهم من أتباعه على دينه «رَأْفَةً وَرَحْمَةً» وقد سبق بيانها [النور: ٢] متوآدين، كما وصف الله تعالى أصحاب نبيينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: «رَحْمَةً يَنْهَاهُمْ» [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: «وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا» ليس هذا معطوفاً على ما قبله، وإنما انتصب بفعل مضمر، يدل عليه ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهبانيتها ابتدعوها، أي: جاؤوا بها من قبل أنفسهم، وهي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الْخَلِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، قال: ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهزم لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. قال: ولهذا قال تعالى: «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» يعني السلاح كالسيوف والحرايب والسنان والنصال والدروع ونحوها «وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ» أي في معاشهم، كالسكة والفلس والقدم والمنتشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحرث والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك. اهـ.

أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبّد في الجبال ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما فرضناها عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا آيَةً رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها»، وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرامي عن قتادة، وزيد بن أسلم. والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: «ما كتبناها». ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعاً إلا ابتغاء رضوان الله. قال الحسن: تطوَّعوا بابتداعها ثم كتبها الله عليهم. وقال الزجاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه، لزمه أن يتمّه<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذر ويوجهه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولاً، أو فعلاً، فعليه رعايتها وإتمامها. والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله ﷻ، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ما رَعَوْهَا لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي. والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم. والثالث: لكفرهم برسول الله ﷺ لما بُعث، ذكر القولين الزجاج. والثاني: أنهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رَعَوْهَا بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿وَكَبُرَ بَيْنَهُمْ فَيْسُوتٌ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به. والثاني: أن الذين آمنوا: المؤمنون بعبسى، والفاسقون: المشركون. والثالث: أن الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْخَذَ مِنكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ﴾ عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْخَذُ مِنكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين، وحظَّين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي. وقد بينا معنى «الكفل» في سورة [النساء: ٨٥] وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان: أحدهما: لإيمانهم بمن تقدّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أن: أحدهما: أجر الدنيا، والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْصَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: نوراً تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الهدى، قاله مجاهد. والرابع: الإيمان، قاله ابن السائب.

(١) وهو مذهب الحنفية والمالكية، وأما عند الشافعية فلم يوجبوا الإتمام، ففي «المجموع» ٦/٣٩٢: قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: فإذا دخل في صوم تطوع أو صلاة تطوع، استحب له إتمامها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا أَهْلَكُمْ﴾ وللخروج من خلاف العلماء، فإن خرج منها بغير علم أو بغير علم، لم يحرم عليه ذلك، ولا قضاء عليه، لكن يكره الخروج منها بلا علم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا أَهْلَكُمْ﴾ هذا هو المذهب.

(٢) جاء في «تفسير القاسمي» ١٦/٥٦٩٨: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: ما قاموا بما التزموا منها حق القيام من التزهد والتخلي للمعبدة وعلم الكتاب، بل اتخذوها آلة للفرس والسودد وإخضاع الشعب لأموالهم.

(٣) حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجراً مرتين، كما في الآية التي في (القصص)، وكما في حديث «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجراً مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبه وأمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدب أمة فأحسن تأديبها ثم أعطاها وتزوجها فله أجران». ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة ابن أبي حكيم وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبيرة: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجراً مرتين، أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْخَذَ مِنكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَحْصَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة، ﴿وَيُؤْتِي لَكُمْ﴾، فضلهم بالنور والمغفرة.

قوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَمْكُرُ﴾ «لا» زائدة. قال الفراء: والعرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد. والمعنى: ليعلم ﴿أَهْلِي الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿أَلَّا يَقْدُرُونَ﴾ أي: أنهم لا يقدرُونَ ﴿عَلَىٰ تَحْوِيٍّ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فاتاه المؤمنين. هذا تلخيص قول الجمهور في هاتين الآيتين. وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مُسلمة أهل الكتاب ﴿الَّذِينَ ءَايَتُهُمُ الْكِتَابُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي خصَّكم، فإنه فضلكم على جميع الخلائق. وقال قتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْلًا يَمْكُرُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الآية.



## سورة المجادلة

وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والجمهور. وروي عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدني، والباقي مكي. وعن ابن السائب: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَكْثُرُ مِنْ تَجَوُّرِ النَّكَّاتِ﴾.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعَ تَحَارُكَهَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أما سبب نزولها، فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات<sup>(٢)</sup>. فأما تفسيرها، فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إدغام الدال في السين حسن لقرب المخرجين، لأنهما من حروف طرف اللسان، وإظهار الدال جائز، لأنه وإن قرب من مخرج السين، فله حيز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصفير. وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال: أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي. والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي، حرمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، ثم ندم، وقال لامرأته: انطلقني إلى رسول الله ﷺ فسله، فأنته، فنزلت هذه الآيات<sup>(٣)</sup>. فأما مجادلتها رسول الله ﷺ، فإنه كان كلما قال لها: قد حرمت عليك، تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحى إلي في هذا شيء، فجعلت تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى: تشكو. يقال: اشتكيت ما بي، وشكوت. وقالت: إن لي صبية صغيراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا. فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عترة في فرسه:

لو كان يذري ما المُحَاوَرَةُ اُشْتَكِيَ      ولو كان لو عَلمَ الكلامَ مُكَلِّمِي<sup>(٤)</sup>

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أُنْهَيْنَهُنَّ وَإِنَّ إِلَهُهُنَّ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُنَّ لِزَيْنَهُنَّ يَتَوَدَّوْنَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرَ رِقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّ ذَلِكَ تُوعَطُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup> فَمَنْ أَرَادَ يَحْدُ فَعِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَتَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّ فَمَنْ أَرَادَ يَسْطِغَ فِلَاطَعَامٌ سِتْنَيْنِ وَسِتْنَيْنِ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَلَذَّ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أُنْهَيْنَهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وتشديد

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠٤، والطبري ٦٠٥/٢٨، والحاكم في «المستدرک» ٤٨١/٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٠٦٣) وسنده صحيح، والبيهقي في «سننه» ٣٨٢/٧.

(٢) رواه البيهقي في «سننه» ٣٨٣/٧ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سننه أبو حمزة الثعالي، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». والخبر ذكره السيوطي في «الدرر» ١٧٩/٦ وزاد نسبه للنحاس، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٣) هو من معلقته المشهورة. وفي «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: أو كان لو علم الكلام مكلمي. وفي «مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٩/١: أو كان يلدي ما جواب تكلمي.



الظاء والهاء وفتحهما من غير ألف. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظاء، وبألف، وتخفيف الهاء. وقرأ عاصم «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف. وقرأ ابن مسعود «يُتَظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وألف. وقرأ أبي بن كعب «يُتَظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وتخفيف الياء، وتشديد الهاء من غير ألف. وقرأ الحسن، وقتادة، والضحاك «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وفتح الظاء، مخففة، مكسورة الهاء مشددة. والمعنى: تقولون لمن: أنتن كظهور أمهاتنا. «مَا مِنْ أَهْنِيَهْ» قرأ الأكثرون بكسر التاء. وروى المفضل عن عاصم رفعها. والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم «إِنْ أَهْنِيَهْ» أي: ما أمهاتهم «إِلَّا أَلَيَّ وَلَدْنِهْ» قال الفراء: وانتصاب «الأمهات» هاهنا بإلقاء الباء، وهي قراءة عبد الله «مَا مِنْ بَأْمِهَاتِهِنَّ»، ومثله: «مَا هَذَا بَشَرًا» (يوسف: ٢٣١)، المعنى: ما هذا ببشر، فلما ألقيت الباء أبقي أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما من أمهاتهم» و «ما هذا بشر» أنشدني بعض العرب: رِكَابٌ حُسَيْلٍ أَحْرَ السَّيْنِفِ بُدْنٌ وَنَاقَةٌ عَمْرٍو مَا يُحْلِلُ لَهَا رَحْلٌ (١) وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يَا حُسَيْلٌ وَلَا أَضْلُ

قوله تعالى: «إِنْ هُمْ» يعني: المظاهرين «يَقُولُونَ مُسْكِرًا بَيْنَ الْقَوْلِ» لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرمات على التأييد، بخلاف الزوجات. «وَرَوَّارًا» أي: كذبًا «وَلَيْتَ اللَّهُ لَمَتُّوْ عَفْرًا» إذ شرع الكفارة لذلك (٢). قوله تعالى: «ثُمَّ يَبُودُونَ لَهَا قَالُوا» اللام في «لها» بمعنى «إلى» والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء. قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا. وقال سعيد بن جبيرة: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرّموه على أنفسهم. وقال الحسن، وطاووس، والزهري: العود: هو الوطء. وهذا يرجع إلى ما قلناه. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة، لأنه قصد بالظهار تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة. وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانيًا، لأن ظاهر قوله تعالى: «يَبُودُونَ» يدل على تكرير اللفظ. قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة. وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادّعوا، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معادًا، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليه. قال الهذلي:

وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ (٣)

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: «وَلَيْتَ اللَّهُ رَبِّعَ الْأُمُورِ» (البقرة: ٢١٠) قال ابن قتيبة: من توهم أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء، لأن الناس قد أجمعوا أن الظهار يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكم عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» يريد في الجاهلية «ثُمَّ يَبُودُونَ لَهَا قَالُوا» في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام (٤)، «فَتَحَرَّوْا رِقَبَةً» قال المفسرون: المعنى: فعليتهم، أو فكفارتهم تحرير رقية، أي: عتقها. وهل

(١) أنشد البيهقي صاحب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ٦٩٤ ولم يعزها لقائل، والشاهد في قوله: «وما أنت فرع يا حُسَيْلٌ ولا أصل» فإنه أهمل «ما» النافية فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر، وإعمالها لغة تميم، وإعمالها لغة الحجاز.

(٢) قال ابن كثير: أصل الظهار: مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٣) في الأصلين: كالطفل، وهو خطأ، وقائل البيت أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي، وهو في «شرح أشعار الهذليين» ١٢٢٣/٣، و«ديوان الهذليين» ٢/ ١٥٠، و«سيرة ابن هشام» ١٧٣/٢، و«الطبري» ١٦٣/٢، و«الأغاني» ٤١/٢١، و«الكامل» ٢٦٧/١، و«مشكل القرآن» ١١٢، و«شرح الحماسة» للمرزوقي ١٣١٤ من أبيات جياذ في رثاء صديق له. وفي «ديوان الهذليين» يقول: رجع الفتى عما كان عليه من قوته. وصار كأنه كهل. قوله. فاستراح العواذِل، لأنهن لا يجدن ما يملن فيه سوى العدل، أي: سوى الحق.

(٤) قال ابن كثير: اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: «ثُمَّ يَبُودُونَ لَهَا قَالُوا» فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، =

يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَنَاسَّأَ﴾ وهو: كناية عن الجماع على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان. وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية «والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم».

## فصل

إذا وطئ المظاهر قبل أن يكفر أئمه، واستقرت الكفارة. وقال أبو حنيفة: يسقط الظهار والكفارة. واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاوس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه كفارة واحدة، وقال الزهري، وقتادة في آخرين: عليه كفارتان. فإن قال: أنت علي كظهر أمي اليوم، بطل الظهار بمضي اليوم، هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي. وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبداً.

واختلفوا في الظهار من الأمة، فقال ابن عباس: ليس من أمة ظهار، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال سعيد بن جبير، وطاوس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار. ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهراً من أمته، ولكن تلزمه كفارة الظهار، كما قال في المرأة إذا ظهرت من زوجها لم تكن مظهارة، وتلزمها كفارة الظهار.

واختلفوا فيمن ظاهر مراراً، فقال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات، وإن كان في مجلس واحد، فكفارة. قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس، أو في مجالس، ما لم يكفر، وهذا قول مالك.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَوْعِظُكُمْ بِهِ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به. والمعنى: أن غلظت الكفارة وغطت لكم حتى تركوا الظهار.

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَنْدَ﴾ يعني: الرقبة «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ» أي: فعليه صيام شهرين «مَتَتَّايَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّأَ فَنَنْتَرِ بِسَلْبِهِ» الصيام «ف» كفارته «فَلَعَلَّامَ يَتُوبَ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ» أي: الفرض ذلك الذي وصفنا «لِيَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذُرُّهُمُ» أي: تصدقوا بأن الله أمر بذلك وتصدقوا بما أتى به الرسول «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابُ الْبُشْرِ» قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ رَسُولَهُ كُفْرًا كَمَا كُفِيَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَاتُ يَنْبَغِي لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٦١ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءُ مَا كَانُوا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ لَّا تُحِيطُ بِحُكْمِهِ وَلَا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ كَانُوا يُحْسِنُونَ ٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ رَسُولَهُ﴾ قد ذكرنا معنى المحادثة في [التوبة: ٦٣] ومعنى «كُتِبُوا» في [آل عمران: ١٧٧]

وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقول داود. حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكر بن الأشج والفرافرة من أهل الكلام. وقال الشافعي: هو أن يسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق في فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإنسائك، وعنه: أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمضى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه واليث بن سعد. وقال ابن لبيبة: حدثني عطاء عن سعيد بن جبير «فَمَنْ يَتَوَدَّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَا قَالُوا» يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرّموه على أنفسهم. قال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر.

(١) قال ابن كثير: هاتنا الرقبة مطلقه غير مفيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاتنا على ما يؤيد هناك، لاتحاد الموجب، وهو حق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في «مسنده» ومسلم في «صحيحه».

عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾. وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الذين من قبلهم ممن قاتل الرسل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: من قبورهم ﴿فَيُنْزِلُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من معاصيه، وتضييع فرائضه. ﴿أَخَصَّنَهُ اللَّهُ﴾ أي: حفظه الله عليهم ﴿وَسَوَّاهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السر والعلانية ﴿شَبِيدًا﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ خَلُوةٍ ثَلَاثَةٌ يَسْرُونَ شَيْئًا، وَيتَنَاجَوْنَ بِهِ﴾ ﴿إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ﴾ أي: عالم به. و «نجوى» مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع. وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع. وقال الضحاک: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: علمه معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَتَتَّبِعُونَ الْإِنشِرَ وَالْمُدُونِ وَمَعَصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بَصُورًا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَنْتَهِجُكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا الْإِنشِرَ وَالْمُدُونِ وَمَعَصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَّبِعُوا بِالْإِزْمَارِ وَالْقَنُودِ وَأَتَوْا اللَّهَ الَّذِينَ إِلَيْهِ تُخْشَوْنَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَرِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد. قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها، فنزلت هذه الآية. وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين. والنجوى: بمعنى المناجاة. ﴿ثُمَّ يَمُودُونَ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَتَتَّبِعُونَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب إلا زيدا، وروحا «ويتنجون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بألف. وفي معنى تناجيهم ﴿وَالْإِنشِرَ وَالْمُدُونِ﴾ وجهان: أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان، ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول. والثاني: يتناجون بعد نهى الرسول، ذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في اليهود. قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: «ما يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله! ترى ما يقولون؟ فقال: أأست ترميني أرد عليهم ما يقولون، وأقول: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والسام: الموت. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس. قال المفسرون: ومعنى «حيوك» سلموا عليك بغير سلام الله عليك، وكانوا يقولون: سام عليك. فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أو يقول بعضهم لبعض: لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول.

(١) هو في «أسباب النزول» ٣٠٦ عن ابن عباس ومجاهد بغير سند.

(٢) رواه ابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن مسروق عن عائشة وإسناده صحيح، وهو أيضاً في «صحيح مسلم» ١٧٠٧/٤ عن عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المسند» رقم (٦٥٨٩) عن عبد الله بن عمر أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْإِنشِرَ وَالْمُدُونِ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾. وقال ابن كثير: إسناده حسن، وهو في «معجم الزوائد» ١٢١/٧، وقال: رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وإسناده جيد، لأن حماداً سمع من عطاء في حالة الصحة..

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا تَنَجَيْتُمْ﴾ فيها قولان: أحدهما: نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بزعيمهم، وهذا قول عطاء ومقاتل. والثاني: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نهاهم عن فعل المنافقين واليهود، وهذا مذهب جماعة، منهم الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَنَجَّيْنَا﴾ هكذا قرأ الجماعة بألف. وقرأ يعقوب وحده «فلا تنجوا». فأما «البر» فقال مقاتل: هو الطاعة، و«التقوى» ترك المعصية. وقال أبو سليمان الدمشقي: «البر» الصدق، و«التقوى» ترك الكذب. ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: من تزيينه، والمعنى: إنما يزين لهم ذلك ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقد بينا اتقاء ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى ﴿وَلَيْسَ بِضَارٍّ شَيْئًا﴾ أي: وليس الشيطان بضار المؤمنين شيئاً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فِتْنَتَكُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فليكلوا أومرهم إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وقرأ عاصم «في المجالس» على الجمع، وذلك لأن كل جالس له مجلس، فالمعنى: ليفسح كل رجل منكم في مجلسه. قال المفسرون: نزلت في نفر من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السابقة، لم يجدوا موضعاً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم الجمعة جالس في صُفَّةٍ ضيقةٍ في المسجد، جاء نفر من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقي بعضهم، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فقال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه من أقامهم الكراهة، وتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: والله ما عدل، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل مقبل صُنُّوا بمجلسهم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، قال المفسرون: ومعنى «تفَسَّحُوا» توسعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حول رسول الله ﷺ فلا يجد غيرهم مجلساً عنده، فأمرهم أن يوسعوا لغيرهم ليتساوى الناس في الحظ منه، ويظهر فضيلة المقرَّبين إليه من أهل بدر وغيرهم. وفي المراد «بالمجلس» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مجلس الحرب، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف، فيقول لهم: تَوَسَّعُوا، فيأبؤون عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وأبي العالية، والقرظي. والثاني: أنه مجلس رسول الله ﷺ، قاله مجاهد. وقال قتادة: كان هذا للنبي ﷺ ومن حوله خاصة. والثالث: مجالس الذكر كلها، روي عن قتادة أيضاً<sup>(١)</sup>. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، وابن أبي عبيدة، والأعمش: ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ بألف على الجمع.

قوله تعالى: ﴿يَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «انشزوا فانشزوا» برفع الشين. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بكسر الشين فيهما. ومعنى «انشزوا» قوموا. قال الفراء: وهما لغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال: أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يشاقلون عنها، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة، والضحاك. والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن. والثالث: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله مجاهد. والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنه كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهداً به، فأمرهم أن ينشزوا إذا قيل لهم: انشزوا، قاله ابن زيد. والخاص: أن المعنى: قوموا

قوله تعالى: ﴿يَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «انشزوا فانشزوا» برفع الشين. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بكسر الشين فيهما. ومعنى «انشزوا» قوموا. قال الفراء: وهما لغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال: أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يشاقلون عنها، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة، والضحاك. والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن. والثالث: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله مجاهد. والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنه كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهداً به، فأمرهم أن ينشزوا إذا قيل لهم: انشزوا، قاله ابن زيد. والخاص: أن المعنى: قوموا

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أمر المؤمنين أن يتفصحوا في المجالس. ولم يخص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال. اهـ.

وتَحَرَّكُوا وَتَوَسَّعُوا لِإِخْوَانِكُمْ، قاله الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من الإيمان ﴿وَهُوَ﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ﴾ على من ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة. والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولتُرْعَبْكُمْ في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات<sup>(٢)</sup>.

﴿تَأْتِيهِمُ الْآيَةُ إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> أَشْتَقُّكُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ فَإِذَا لَمْ تَقْدِمُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرُونَ مناجاة رسول الله ﷺ، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فيخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة، قاله مقاتل بن حيان، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينئذٍ على مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يقدم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب. وروى مجاهد عن علي عليه السلام قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قَدِّمْتُ درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿أَشْتَقُّكُمْ أَنْ تَقْدِمُوا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لدينكم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. إذ عفا عمن لا يجد.

قوله تعالى: ﴿أَشْتَقُّكُمْ﴾ أي: خِفْتُم بالصدقة الفاقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فتجاوز عنكم، وَخَفَّفَ بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

﴿أَنْزَلَ إِلَيْنَا الْآيَةَ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَى اللَّهَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ بِكُمْ وَلَا يَنْتَهِي عَنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ أَفَعَدَّوْا أَيْمَنَهُمْ حَتَّى فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾ لَنْ تَنفَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ

(١) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا». وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به». قال ابن كثير: وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال، فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة، قرأه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم. قال: فأما اتخاذ ديدناً، فإنه من شعار العجم، قال: وقد جاء في «السنن» أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةَ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَى اللَّهَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ بِكُمْ وَلَا يَنْتَهِي عَنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا نتخذونه أنه إذا نسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو ردة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكوره، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةَ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَى اللَّهَ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ بِكُمْ وَلَا يَنْتَهِي عَنْهُمْ﴾ أي: خير بمن يستحق ذلك ومن لا يستحقه. اهـ.

وروى مسلم في «صحيحه» ٥٥٩/١ عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب وكان عمر يستعمله على مكة. فقال: من استعملت على أهل الروادي؟ فقال: ابن أبيزى، قال: ومن ابن أبيزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷺ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

(٣) ذكر سبب النزول هذا البخوي في «تفسيره» عن ابن عباس بغير سند، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٨٥/٦ من رواية ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس وقال في آخره: فأنزل الله بعد هذا ﴿أَشْتَقُّكُمْ﴾ الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق.

مَنْ اللَّهُ شَيْئًا أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْظِرُونَ لَكَ مَا بَلَغُوا لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ آٰلَآئِهِمْ هُمْ أَكْثَرُونَ ﴿٨﴾ اسْتَخَرْنَا عَلَيْهِمُ الْقَيْظَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ وَذَكَرَ اللَّهُ أَوْلَيْكَ فَجَزَبَ الشَّيْطَانُ آٰلَآئَهُمْ إِنَّ جَزَبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآٰذِلِينَ ﴿١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلًا قَوَّامًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين. وقال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوماً، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان في ظل حُجرة من حججه، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تُكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْظِرُونَ﴾ الآية<sup>(١)</sup>. فاما التفسير، فالذين تولوا: هم المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود ﴿وَيَحْسَبُونَ عَلَىٰ الْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبوا رسول الله ﷺ، ولا تولوا اليهود ﴿وَهُمْ يَمْلِكُونَ﴾ أنهم كذبة ﴿أَفْعَدُوا أَيْتَهُمْ جَنَّةٌ﴾ أي: ستره يَتَّقُونَ بها القتل. قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف، فكلما ظهر لهم شيء يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: صدوا الناس عن دين الإسلام، قاله السدي. والثاني: صدوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوله تعالى: ﴿فَيُنْظِرُونَ لَكَ﴾ قال مقاتل، وفتادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿آٰلَآئِهِمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم. قوله تعالى: ﴿اسْتَخَرْنَا عَلَيْهِمُ الْقَيْظَ﴾ قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة النساء: [١٤١] عند قوله تعالى: ﴿تَسْتَخِرُوا عَلَيْهِمْ﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ فِي الْآٰذِلِينَ﴾ أي: في المغلوبين، فلمهم في الدنيا ذُلٌّ، وفي الآخرة خِزْيٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآٰذِلِينَ﴾ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَخِيَّتِكَ إِنَّا وَرَسُولِي﴾ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآٰخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَيْكَ﴾ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَنَّهُمْ يَرْجِعُ مِنْهُ بَدِّلْهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَيْكَ﴾ جَزَبَ اللَّهُ آٰلَآئَهُمْ إِنَّ جَزَبَ اللَّهُ هُمُ الْقَائِلُونَ ﴿١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَأَخِيَّتِكَ إِنَّا وَرَسُولِي﴾ وفتح الياء نافع، وابن عامر. قال المفسرون: من بُعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: مانع حربه من أن يذل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرعدة الأولى<sup>(٢)</sup>، فقال: متعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمزة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحزمة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في

(١) الحاكم في «المستدرک» ٨٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه أحمد في «المسنَد» رقم (٣٢٧٧)، وإسناده جيد كما قال ابن كثير.

(٢) الرعدة والرَّعِيل: القطعة المتقدمة من الخيل، يريد: الفوج الأول المتقدم ليقاتل في سبيل الله.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ بغير سند، وروى الحاكم في «المستدرک» ٢٦٥/٣ عن عبد الله بن شاذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب آل آل (وهي الحرية العريضة الصل) لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصد أبو عبيدة، فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ وقال الحافظ في «الإصابة» ٢٤٤/٢: وأخرجه الطبري بسند جيد عن عبد الله بن شاذب.

أبي بكر الصديق، وذلك أن أبا قحافة سبَّ رسول الله ﷺ، فصغَّه أبو بكر صغَّةً شديدةً سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أو فعلته؟» قال: نعم. قال: فلا تعدَّ إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. والثالث: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله، فشرب رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتكم بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال رسول الله ﷺ: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل، واختاره الفراء، والزجاج. وهذه الآية قد بينت أن موعدة الكفار تقدر في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين، يعني: الذين لا يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم «كُتِبَ» برفع الكاف والنون من «الإيمان». وفي معنى «كتب» خمسة أقوال: أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس. والثاني: جعل، قاله مقاتل. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان، حكاه الماوردي. والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان، ذكره الثعلبي. والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ أي: قوَّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وفي المراد «بالروح» ها هنا خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحاً، لأن أمرهم يحيا به. والثاني: الإيمان، قاله السدي. والثالث: القرآن، قاله الربيع. والرابع: الرحمة، قاله مقاتل. والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر، ذكره الماوردي. فأما ﴿حَرَّبَ إِلَهُ﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم وارتضاهم، و«ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة... إلخ، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٦٦: نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة... فذكره.



## سورة الحشر

### وهي مدنية كلها بإجماعهم

وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يسمي هذه السورة «سورة بني النضير»<sup>(٢)</sup> وهذه الإشارة إلى قصتهم.

ذكر أهل العلم بالتفسير والتسير: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، فصلّى فيه، ثم أتى بني النضير، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد أمتنهما، فقتلها عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهُمُوا بِالْعَدْرِ بِهِ، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليُخَبِرَنَ بما همتم به، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فنهض سريعا، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر؟ فقال: هَمَّتْ يَهُودُ بِالْغَدْرِ، فأخبرني الله بذلك، فقامت، وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدتي، فلا تساكنوني، وقد هممت بما هممت به، وقد أجَلْتُكم عشرا<sup>(٣)</sup>. فمن رثي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياما يتجهّزون، فأرسل إليهم ابن أبي: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتَمُدُّكُمْ قَرِيطَةً، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع حَيٍّ فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله ﷺ، وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله، فأخبر الله رسوله بذلك، فبعث محمد بن مسلمة فاعتره فقتله، وحاصره رسول الله، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فأجلاهم عن المدينة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقَبَضَ سلاحهم وأموالهم، فوجد خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير فقد ذكرنا فاتحة هذه السورة في [الحديد: ١].

(١) وهم طائفة من اليهود أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة بعدما نقضوا العهد الذي بينه وبينهم على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد كما ذكر ذلك عبد الرزاق في «مصنفه» عن معمر عن الزهري عن عروة.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٢٥٦/٧ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٣/٨: كأنه كره تسميتها بالحشر، لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير.

(٣) هكذا رواية ابن سعد: «وقد أجَلْتُكم عشرا». والذي في «دلائل النبوة» للبيهقي كما في «فتح الباري» ٢٥٤/٧ من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام.

(٤) روى هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ٥٧/٢، ٥٨ في غزوة بني النضير، وذكره ابن هشام في «السيرة» ١٩٠/٢ بنحو من رواية ابن إسحاق، وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير دمشقي ٧٥/٤، و«شرح المواهب اللدنية للزرقاني» ٩٥/٢، ٩٦. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٥٥/٧: وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهدّونهم بيوثهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه يقاتل المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فظفروا، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون يتهدّدونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنا بك أتبعناك، ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصحبهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة، فحاصره، فعاودوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتلوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها. وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، قال الحافظ: وكذا أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» عن عبد الرزاق، قال: وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت (القاتل ابن حجر): فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ حَسِبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّقْبُ يُخْرَجُونَ يَذَرُوكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَاتَّخِذُوا يُتَأَوَّلُ الْيَهُودَ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعُقُلَةَ لَتَذَرَبُوا فِي الدُّنْيَا وَلَكِنْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٣) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ نَحْسْتُمْهَا فَأَلَمَتْهُ عَلَيْهَا أَسْوَاقُهَا فَيَاذَنُ اللَّهُ وَيُخْرِجُ الْقَتِيلِينَ (٤)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿وَمِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: من منازلهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم أول من حُشر وأخرج من داره، قاله ابن عباس. وقال ابن السائب: هم أول مَنْ نفي من أهل الكتاب. والثاني: أن هذا كان أول حشرهم، والحشر الثاني: إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن. قال عكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: اخرجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر (١). والثالث: أن هذا كان أول حشرهم. والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة. والرابع: أن هذا كان أول حشرهم من المدينة، والحشر الثاني: من خيبر (٢)، وجميع جزيرة العرب إلى أذربعات (٣)، وأريحا (٤) من أرض الشام في أيام عمر بن الخطاب، قاله مرة الهمداني.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ يخاطب المؤمنين ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم لعزهم، وَمَنْعَتُهُمْ، وَحُصُونُهُمْ ﴿وُظَنُّوا﴾ يعني: بني النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوا﴾ وذلك أَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهَ بِقِتَالِهِمْ وَإِجْلَائِهِمْ، ولم يكونوا يظنون أن ذلك يكون، ولا يحسبونه، ﴿وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّقْبُ﴾ لخوفهم من رسول الله ﷺ، وقيل: لقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرَجُونَ يَذَرُوكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ قرأ أبو عمرو ﴿يُخْرَبُونَ﴾ بالتشديد. وقرأ الباقر ﴿يُخْرِبُونَ﴾. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أن المشددة معناها: النقص والهدم. والمخففة معناها: يخرجون منها ويتروكونها خراباً معطلة، حكاه ابن جرير. روي عن أبي عمرو أنه قال: إنما اخترت التشديد، لأن بني النضير نقضوا منازلهم، ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة. والثاني: أن القراءتين بمعنى واحد. والتخريب والإخراب لغتان بمعنى، حكاه ابن جرير عن أهل اللغة (٥). وللمفسرين فيما فعلوا بمنزلهم أربعة أقوال: أحدها: أنه كان المسلمون كلما ظهروا على دار من دُورهم هدموها ليتسع لهم مكان القتال، وكانوا هم يتقون دورهم، فيخرجون إلى ما يليها، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا ما يتنون به الذي خربه المسلمون، قاله الضحاك. والثالث: أنهم كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم، أو العمود، أو الباب، فيستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم، ويخرب المؤمنون باقيها، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا يخربونها لثلاث يسكنها المؤمنون، حسداً منهم وبغيّاً، قاله ابن زيد.

= يعني في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جلّ أهل المغازي، قاله أعلم. اهـ.

(١) روى ابن أبي حاتم عن أبيه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

(٢) وذلك أن رسول الله ﷺ لما أجلى يهود بني النضير من المدينة لندورهم، ذهبوا إلى خيبر، وأذربعات، وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُر (٩٦ ميلاً) من المدينة إلى جهة الشام، فتحها رسول الله سنة سبع من الهجرة. وقد روى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك ؓ قال: صبحتا خيبر بكرة، فخرج أهلها بالمساحي (آلات الحرب) فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس (الجيش) فقال النبي ﷺ: «الله أكبر غريت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم لساء صباح المنظرين»، وكذلك رواه مسلم، ثم بعدما فتحها رسول الله ﷺ قسم غنائمها، فأعطى الراجل سهماً، والفراس ثلاثة أسهم، بعد أن خسها خمسة أجزاء، ثم دفعها لأهل خيبر ليعملوا فيها بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع على أن يخرجهم منها إذا شاء، فاستمروا على ذلك إلى خلافة عمر بن الخطاب ؓ، إلى أن وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار في ذلك الصحابة ؓ.

(٣) أذربعات: بفتح الهزء، وسكون الذال، وكسر الراء، وعين مهمله، وألف، وتاء: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعَمَّان، والنسب إليها أذرعي، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.

(٤) أريحا: بفتح الهزء وكسر الراء وياء ساكنة وهاء مهمله وألف بالقصر: مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها، و «الأبصار» العقول. والمعنى: تدبروا ما نزل بهم ﴿وَلَوْ أَنَّ كُتِبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ﴾ وهو خروجهم من أوطانهم. وذكر الماوردي بين الإخراج والجلء فرقين: أحدهما: أن الجلء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد. والثاني: أن الجلء لا يكون إلا لجماعة. والإخراج: قد يكون لواحد ولجماعة. والمعنى: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَمَذَبْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقرينة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذلك الذي أصابهم ﴿يَأْتُهُمْ شَأْوَأُ اللَّهِ﴾ وقد سبق بيان الآية [الأنفال: ١٣] و [محمد: ٣٢]. قال القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلء من ديارهم من غير سبي ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم، لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية. وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدروا على إدخالهم في الإسلام أو الذمة، يجوز لهم حينئذ مصالحتهم على الجلء من بلادهم. وفي هذه القصة دلالة على جواز مصالحتهم على مجهول من المال، لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلت الإبل، وذلك مجهول.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير، وقطع، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أنه لما نزلت ببني النضير تحصنوا في حصونهم، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزعوا، وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم. واختلف المسلمون، فقال بعضهم: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>. وفي المراد «باللينة» ستة أقوال: أحدها: أنه النخل كله ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وبه قال عكرمة، وقتادة، والفراء. والثاني: أنه النخل والشجر، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنها ألوان النخل كلها إلا العجوة، والبرنية، قاله الزهري، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الزجاج: أهل المدينة يسمون جميع النخل: الألوان، ما خلا البرني والعجوة. وأصل «الينة»: لؤنة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والرابع: أنها النخل كله، قاله مجاهد وعطية، وابن زيد. قال ابن جرير: معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخل. والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان. والسادس: أنها ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، وهي شديدة الصفرة، ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم إليهم<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>. وفي عدد ما قطع المسلمون ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قطعوا وأحرقوا ست نخلات، قاله الضحاك. والثاني: أحرقوا نخلة وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق. والثالث: قطعوا أربع نخلات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال يزيد بن رومان ومقاتل: بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني اليهود. وخزيعهم: أن يزيهم أموالهم يتحكّم فيها المؤمنون كيف أحبوا. والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودل على المحذوف قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَنْكُمُ الرُّسُلُ فَحَدُّهُمْ وَمَا تَنْكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لَفَقَّرَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾

(١) البخاري في «صحيحه» ٢٥٦/٧ و ٤٨٣/٨، ومسلم ١٣٦٥/٣، ١٣٦٦.

(٢) الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٢، ورواه الطبري ٣٤/٢٨ من رواية ابن إسحاق، ثنا يزيد بن رومان.

(٣) في الأصل: إليه.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهو من ألوان النخل ما لم تكن عجوة.

مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَنَوَّنُونَ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَرَضَوْنَهُ اللَّهُ وَرِضْوَانُهُ أَوْلَىٰ لَّكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ أي: ماردٌ عليهم ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: من بني النضير ﴿فَمَا أَرْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن حِيلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: الإيجاف: الإيضاع، والركاب: الإبل. قال ابن قتيبة: يقال: وجف الفرس والبعير، وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير. وقال الزجاج: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ خاصة. قال المفسرون: طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمس أموال بني النضير لما أُجْلُوا، فنزلت هذه الآية تبين أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله ﷺ، فهو له خاصة، يفعل فيه ما يشاء، فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منه شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دُجَانَة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصُّمَّة. ثم ذكر حكم الفيء فقال تعالى: ﴿فَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي من أموال كفار أهل القرى: ﴿فَلِلَّهِ﴾ أي: يأمركم فيه بما أحب، ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ بتحليل الله إياه. وقد ذكرنا ذوي القربى واليتامى في [الأنفال: ٤١] وذكرنا هناك الفرق بين الفيء والغنيمة.

### فصل

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فذهب قوم: أن المراد بالفيء هاهنا: الغنيمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوة، وكانت في بدو الإسلام للذين سبَّاهم الله هاهنا دون الغالبيين<sup>(١)</sup> الموجفين عليه، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في [الأنفال: ٤١]: ﴿وَأَقْلَبُوا أَمَّا غَنِمَتُهُمْ مِّن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، هذا قول قتادة ويزيد بن رومان. وذهب قوم إلى أن هذا الفيء: ما أخذ من أموال المشركين ما لم يوجف بخيل ولا ركاب، كالصلح، والجزية، والعشور ومال من مات منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كان يقسم في زمن رسول الله ﷺ خمسة أخماس، فاربعة لرسول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء، والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية. واختلف العلماء فيما يصنع بسهم رسول الله ﷺ بعد موته على ما بينا في [الأنفال: ٤١] فعلى هذا تكون هذه الآية مثبتة لحكم الفيء والتي في [الأنفال: ٤١] مثبتة لحكم الغنيمة، فلا يتوجه النسخ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ يعني: الفيء ﴿ذُولَةً﴾ وهو اسم للشيء يتداوله القوم. والمعنى: لتلا يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبوا الفقراء عليه. قال الزجاج: الذولة؛ اسم الشيء يتداول. والذولة، بالفتح: الفعل والانتقال من حال إلى حال. ﴿وَمَا مَنَّاكُمْ الرَّسُولُ﴾ من الفيء ﴿فَحُدُودُهُ وَمَا تَنَكَّمُ﴾ عن أخذه ﴿فَأَنْتَهُأُ﴾ وهذا نزل في أمر الفيء. وهو عام في كل ما أمر به، ونهى عنه<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: ثم بين من المساكين الذين لهم الحق، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

(١) في الأصل: العالمين.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى مبيناً ما الفيء؟ وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها ما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالبارزة والمصالحة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هبة رسول الله ﷺ، فأناؤه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فرد على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآية فقال تعالى: ﴿فَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي من بني النضير ﴿فَمَا أَرْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن حِيلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني الإبل ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُبَلِّغُ رِسَالَهُ كُلَّ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء، ثم قال تعالى: ﴿فَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي: جميع البلدان التي فتحت هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَمَا مَنَّاكُمْ الرَّسُولُ فَحُدُودُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما آتاه الله عليه من أهل القرى فنخذوه، ﴿وَمَا تَنَكَّمُ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره من الأمور: ﴿فَأَنْتَهُأُ﴾. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا تَنَكَّمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُأُ﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنها ينهى عن شر. اهـ. وقال الشوكاني في فتح القدير: والحق أن هذه الآية عامة في كل =

لَفَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿١﴾ قال المفسرون: يعني بهم المهاجرين ﴿يَتَّبِعُونَ فَتًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: رزقاً يأتيهم ﴿وَرِضْوَانًا﴾ رضا ربهم حين خرجوا إلى دار الهجرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ في إيمانهم. ثم مدح الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفء، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ يعني: دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَالْإِيمَانِ مِن بَيْنِهِمْ﴾ فيها تقديم وتأخير، تقديره: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على «الدار» في الظاهر، لا في المعنى، لأن «الإيمان» ليس بمكان يتبوأ، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره، والمعنى: تبوؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة ﴿يُخْرِجُونَ مَن مَّا جَاءَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم، ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ فِي سُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون. وفيما أوتوه قولان: أحدهما: مال الفء، قاله الحسن. وقد ذكرنا آنفاً أن النبي ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار غير ثلاثة نفر. والثاني: الفضل والتقدم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ﴾ أي فقر وحاجة، فبين الله ﷻ أن يثأرهم لم يكن عن غنى<sup>(١)</sup>. وفي سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله؛ إني جائع فاطعمني، فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: هل عندكن شيء؟ فكلهن قلن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال: ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمك هذه الليلة. ثم قال: «مَن يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله؟» فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فأتى به منزله، فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله ﷺ، فأكرمه ولا تدخري عنه شيئاً، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، فقال: قومي فعلملهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً، ثم أصبح سراجك<sup>(٢)</sup>، فإذا أخذ الضيف ليأكل، فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفيه، وتعالى نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع، ففعلت ذلك، وظن الضيف أنها يأكلان معه، فشبع هو، وibatا طاوئين، فلما أصبحا عذوا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسم، ثم قال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما<sup>(٣)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ﴾ الآية. أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة<sup>(٤)</sup>. وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أن الضيف كان من أهل الضفة، والمضيف كان من الأنصار، وأن

= شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع، نند أعطانا إياه وأوصلنا إليه، قال: وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها! ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاهم عنه، أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال: ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فهو معاقب من لم يأخذ ما أتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه. اهـ. وقد روى الإمام أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لمن الله الواشحات والمستوشحات، والتمتمات والمطلجات للحسن المعثرات خلق الله ﷻ، فبلغ ذلك امرأة من بني أمية يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، قال: وما لي لا ألن من لمن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت: لقد قرأت ما بين لحي المصحف فما وجدت فيه شيئاً من هذا؟ قال: لئن كنت قرأته لقد وجدت فيه، أما قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾؟ قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ قد نهي عنه... وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

(١) ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى بقوله: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَتَى النَّاسَ عَلَىٰ غَيْرِهِ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوا، من هذا الباب تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثل أوج ما يكون إليه، فرده الآخر إلى الثالث، حتى وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، ﷺ وأرضاهم.

(٢) أي أوقديه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما: الرضا بصنيعهما؛ وقوله «فعالكما» وفي رواية «فعالكما» بالافراد، قال في «البارع»: الفعل بالفتح: اسم الفعل الحسن، مثل الجود والكرم، قال: وفي «التلهيب»: الفعل بالفتح: فعل الواحد في الخير خاصة، يقال: هو كريم الفعل بفتح الفاء، وقد يستعمل في الشر. والفعل بالكسر: إذا كان الفعل بين اثنين، يعني أنه مصدر فاعل، مثل قاتل قتلاً.

(٤) البخاري في «صحيحه» ٧/٩٠، ٩١، و٨/٤٨٤، ومسلم ٣/١٦٢٤.

النبي ﷺ قال: «لقد عجب من فعالكما أهل السماء»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أهدي له رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تداولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أهدي لبعض الصحابة رأس شاة مشوي، وكان مجهوداً، فوجّه به إلى جاري له فتناوله تسعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء «ومن يُوقِ» بتشديد القاف. قال المفسرون: هو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمتنع شيئاً أمره الله بأدائه. والمعنى: أن الأنصار ممن وقى شُحَّ نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفیء للمهاجرين.

### فصل

وقد اختلف العلماء في الشح والبخل، هل بينهما فرق، أم لا؟ فقال ابن جرير: الشُّحُّ في كلام العرب: هو منع الفضل من المال. وقال أبو سليمان الخطابي: الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشُّحُّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل: إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قِبَل الطَّبع والجِبِلَّة. وحكى الخطابي عن بعضهم أنه قال: البخل: أن يَصْنُ بَماله، والشح: أن يبخل بماله ومعروفه. وقد روى أبو الشعثاء أن رجلاً أتى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، الشُّحُّ: أن تأكل مال أخيك ظملاً، إنما ذلك البخل، وبش الشيء البخل<sup>(٤)</sup>. وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «برئ من الشُّحِّ من أدّى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النّابة»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني التابعين إلى يوم القيامة. قال الزجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فله وللرسول ولهؤلاء المسلمين، وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ فمن ترحم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غلّ لهم، فله حظ من فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترحم عليهم، وكان في قلبه غلّ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنص الكتاب. وكذلك روى عن مالك بن أنس أنه قال: من تنقص أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غلّ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَیْنُ أَخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِكُورُكُمْ﴾

(١) كذا لفظ الحديث في «أسباب النزول» للواحدي ٣١٣، ٣١٤، وكون المضيف من الأنصار ثابت في «الصحيحين». وأهل الشُّفَّة: أضياف الإسلام من قراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله ﷺ، والشفة: موضع مظلل من المسجد كانوا يأوون إليه.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٤ عن عبد الله بن عمر، وفي سننه عبيد الله بن الوليد الوصافي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ضعيف.

(٣) والحديث رواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٨٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: عبيد الله بن الوليد، ضعفه. وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ١٩٥ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في رواية البخاري الأولى: هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية، ثم ذكر رواية ابن مردويه هذه وقال: ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله. اهـ.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٢٥/ ١٨ ونسبه إلى الثعلبي عن أنس، بلفظ: «فتناولت سبعة أنفس في سبعة أبيات» بدل «فتناوله تسعة أنفس».

(٤) رواه ابن جرير: ٤٣/ ٢٨، وذكره ابن كثير ٣٣٩/ ٤ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، إلا أن السمعودي أحد رواه اختلط قبل موته.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ٤٤/ ٢٨ وفي سننه ضعف، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٩٧ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٦/ ٤ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أَحَدًا أَبَدًا وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ دِينٌ ۖ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذَى ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۖ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۖ لَا يَتَّقِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَكَلَةٍ جَدْرٍ بِأَسْهُرَ يَنْتَهَرُ بَيْنَهُمْ شَرِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۖ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرَيْبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَالِكِينَ ۖ فَكَانَ عَقِبُهُمَا آتَاهُمَا فِي النَّارِ خَلِيدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ۖ

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُكُمْ﴾ أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ دِينٌ﴾ ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى، لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم، ومعنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ﴾: لئن قُدر وجود نصرهم، لأن الله نفى نصرهم، فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: بني النضير.

قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّقِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي. والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون مُتَحَصِّينَ ﴿فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَكَلَةٍ جَدْرٍ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان «جدار» بآلف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي «جُدْر» بضم الجيم والدال. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن أبي عتبة «جُدْر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصم الجحدري «جُدْر» بفتح الجيم وسكون الدال. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والحسن، وابن سيرين، وابن يعمر «جُدْر» بضم الجيم وإسكان الدال. ﴿بِأَسْهُرَ يَنْتَهَرُ شَرِيدٌ﴾ فيما وراء الحصون شديد، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله.

قوله تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ قال الزجاج: أي: هم مختلفون لا تستوي قلوبهم، ولا يتعاونون بنيات مجتمعة، لأن الله تعالى ناصر حزبه، وخاذل أعدائه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحظ لهم. ثم ضرب لليهود مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرَيْبًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بنو قينقاع، وكانوا وادعوا رسول الله، ثم غدروا، فحصرهم، ثم نزلوا على حكمه أن له أموالهم، ولهم النساء والأثريّة. فالمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبنى قينقاع فيما فعل بهم. والثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد. والمعنى: مثل هؤلاء اليهود كمثل المشركين الذين كانوا من قبلهم قريباً، وذلك لقرب غزاة بني النضير من غزاة بدر. والثالث: أنهم بنو قريظة، فالمعنى: مثل بني النضير كبنى قريظة ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ بأن قُتِلَتْ مقاتلتهم، وسُبيَتْ ذراريهم، وهؤلاء أجلبوا عن ديارهم فذاقوا وبال أمرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً فقال تعالى: ﴿كَتَلِ الشَّيْطَانُ﴾. والمعنى: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير، وقولهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتن لننصركم، كمثل الشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه مثَّلَ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس، قاله مجاهد. والثاني: أنه مثَّلَ ضربه الله لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين، وهذا شرح قصته. ذكر أهل التفسير أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصة تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصة، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا



أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انتقل برصيصا، أطلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقْبَلْ إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انتقل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا يفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقتة، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَوَاتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، أخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكك الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرض لرجل فخته، ثم جاءه في صورة رجل متطبّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجها؟ قالوا نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جَنِّه، ولكن سارشدكم إلى من يدعو له فيعافي، فقالوا له: دُنَّا، قال: انطلقوا إلى برصيصا العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيُعاوَنُونَهُ، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فختنها، ثم جاء إليهم في صورة متطبّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سارشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا، ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟! قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافي، وتتصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افترضت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟! فإن سألوك عنها قتل: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل بها حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصَدَّقُوهُ، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أَمَسُوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكثر، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط، وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكانكم اتَّهَمْتُمُونِي، قالوا: لا والله، واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فأروها، فقالوا: يا عدُوَّ الله لم تقتلها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، أنا صاحبك الذي علَّمتك الدعوات، ويحك ما اتَّيَّت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييتَ من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباك بين الناس؟! فإن منَّ على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له،

فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ ثم قتل<sup>(١)</sup>. فضرب الله هذا المثل لليهود حين عَرَّهم المنافقون، ثم أسلموهم.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ ونصب ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ياء «إني» وأسكنها الباقون. وقد بينا المعنى في [الأنفال: ٤٨] ﴿فَكَانَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلَنُنْظُرَ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنُنْظُرَ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ﴾ أي: لينظر أحدكم أي شيء قدَّم؟ أعمالاً صالحاً ينجيه؟ أم سيئاً يوقيه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره ﴿فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم، فلم يعملوا بالطاعة، ولم يقدِّموا خيراً. قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع.

﴿قُلْ أَرْسَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأْسِهِ خَشِيعًا مُّصَدَّقًا مِنْ خَشِيعَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْقَتِيبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي هُوَ الْقُدُّوسُ أَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْسَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ أخبر الله بهذا عن تعظيم شأن القرآن، وأنه لو جعل في جبل - على قساوته وصلابته - ميميزاً، كم جعل في بني آدم، ثم أنزل عليه القرآن لتشقق من خشية الله، وخوفاً أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن. و «الخاصع»: المتطاطي الخاضع، و «المتصدع»: المتشقق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل، وبذلك على هذا المثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبر بعظمته وربوبيته، فقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزجاج: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ ردُّ على قوله تعالى في أول السورة: ﴿سُبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فأمَّا هذه الأسماء، فقد سبق ذكر «الله»، و «الرحمن»، و «الرحيم» في (الفاتحة) وذكرنا معنى «عالم الغيب والشهادة» في [الأنعام: ٧٣]. و «الملك» في سورة [المؤمنين: ١١٦]. فأمَّا «القدوس» فقرأ أبو الأشهب، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بفتح القاف. قال أبو سليمان الخطابي:

(١) الخبر بطوله أخرجه ابن جرير الطبري ٥٠/٢٨ وغيره عن ابن عباس موقوفاً عليه وإسناده ضعيف جداً، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ٤٨٤/٢ عن علي عليه السلام قال: كان راهب يتعبد في صومته وامرأة زينت له نفسها، فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها فدفنوها، فجاءوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون، إذ جاءه الشيطان فقال: أنا الذي زينت لك، فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأقول الله عليه السلام: ﴿كَتَلْتُكَ أَتَيْتَنِي إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَا كُفْرَ قَالَ إِنِّي بِرِيءٌ مِنْكَ﴾ الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ١٩٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن راهويه، وأحمد في «الزهد»، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي عليه السلام. اهـ. وما رواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبيد بن رفاعه الزرقني يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم في قصة هذا الراهب، فلا يصح رفعها، بل الصحيح أنها موقوفة على علي عليه السلام وغيره، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم. وقد أورد هذه القصة ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، قال: واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو «برصيصا» قاله أعلم.

وجاء في هامش نسخة الرباط بخط مغربي ما يلي:

له در الحافظ ابن الجوزي، إذ لم ينص على ضعف هذه القصة، إذ نسبها صاحب «الدر المنثور» لعبد الرزاق، وابن راهويه، وأحمد في «الزهد» وعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححها، وسلمه الذهبي في «التلخيص» وابن مردويه، والبيهقي عن علي موقوفاً. ثم أوردنا أيضاً من عند ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً، ثم عن ابن مسعود كذلك، أخرجه ابن جرير، ثم عن ابن أبي الدنيا، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن رفاعه الزرقني مرفوعاً، لكن رفعها لا يصح، إنما الصحيح فيها الوقف على علي، خلافاً لقول ابن عطية لما علقها: منسوبة للخصاص ضعيفة. اهـ. فلان كاتبه محمد بن جبر إسلام. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والمراد بالإنسان هنا: ﴿كَتَلْتُكَ أَتَيْتَنِي إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ﴾ - جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان. وقيل: هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر فأتاه، فلما كفر قال: إني بريء منك. وقيل: المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، قال: والأول أولى. اهـ. يريد بذلك عموم جنس الإنسان. وقال الرازي في «تفسيره»: أي مثل المنافقين الذين غرَّوا بني النضير بقولهم: ﴿إِنِّي أَخْرِجُكُمْ لِتَنَزَّلَ مِنْكُمْ﴾ ﴿كَتَلْتُكَ أَتَيْتَنِي إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ﴾ ثم تبرأ منه في العاقبة. اهـ.

«القدوس»: الطاهر من العيوب، المنزه عن الأنداد والأولاد. و القدس: الطهارة. ومنه سمي: بيت المقدس، ومعناه: المكان الذي يُنظَّهُر فيه من الذنوب. وقيل للجنة: حظيرة القدس، لطهارتها من آفات الدنيا. والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فُعول بضم الفاء إلا «قُدُوس»، و «سُبُوح» وقد يقال أيضاً: قُدُوس، وسُبُوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولهم: سَفُود، وكُلُوب. فأما «السلام» فقال ابن قتيبة: سمي نفسه سلاماً، لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء. وقال الخطابي: معناه: ذو السلام. والسلام في صفة الله سبحانه: هو الذي سَلِمَ من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخلق من ظلمه. فأما «المؤمن»، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه الذي آمَنَ الناسُ ظلمه، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابه، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه المجبر، قاله القرظي. والثالث: الذي يصدّق المؤمنون إذا وحّدوه، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الذي وحّد نفسه، لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] ذكره الزجاج. والخامس: أنه الذي يصدّق عباده وعده، قاله ابن قتيبة. والسادس: أنه يصدّق ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخَيَّبُ آمالهم، كقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(١)</sup> حكاه الخطابي. فأما «المهيمن» ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي. قال الخطابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا يَوْمَ الْمَوْتِ شَوَارِبَ ذِئْبٍ وَبُيُوتَ نَارٍ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل. والثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك، قال الخطابي: وأصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، لأن الهاء أخفُّ عليهم من الهمزة. ولم يأت مُفَيِّلٌ في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف «مسيطر» و «مُبيطر» و «مهيمن». وقد ذكرنا في سورة [الطور: ٣٧] عن أبي عبيدة، أنها خمسة أحرف. والثالث: المصدّق فيما أخبر، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل. قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ  
مُهَيِّمُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ وَالْشُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم. وقد زدنا هذا شرحاً في [المائدة: ٤٨] وبيّنا معنى «العزیز» في [البقرة: ١٢٩]. فأما «الجبار»، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العظيم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسدي. وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء. وحكى الخطابي: أنه الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره السلطان، وأجبره. والثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. والرابع: أنه العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبات: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطابي. فأما «المتكبر» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة. والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج. والثالث: أنه ذو الكبرياء، وهو الملك، قاله ابن الأنباري. والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق. والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فقصمهم، ذكرهما الخطابي. قال: والتاء في «المتكبر» تاء التفرّد، والتخصّص، لأن التعاطي والتكلف والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلّل. وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق<sup>(٢)</sup>. وأما «الخالق» فقال

(١) هذه قطعة من حديث قدسي رواه البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/١٣، ومسلم ٢١٠٢/٤، ولفظه عند البخاري بتمامه: عن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». والحديث يرشد إلى تحسين الظن بالله ﷻ، ولكن حسن الظن إنما يكون لمن تاب وندم وأقلع وبدّل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة، فمن فعل ذلك، ثم أحسن الظن، فقد أحسن، وحله محله، وأما من أساء وأصر على الكبائر، فوحشة المعاصي لا يجامعها إحسان الظن بالله تعالى. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٢٧/١٣: قال صاحب «المشارق»: والمراد بما جاء في الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد، أو تيسير طاعته وتقويته عليها، وتام هدايته وتوقيفه، والله أعلم بمراده. اهـ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١٧٣/١٦ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني حليته» قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ «المرء إزاره والكبرياء رداؤه» فالضمير في «إزاره وردائه» يعود إلى الله تعالى، للعلم به، وفيه محذوف =

الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع لهم على غير مثال سبق، فأما في نعوت الأدميين، فمعنى الخلق: كقول زهير:  
 وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ  
 ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي<sup>(١)</sup>  
 يقول: إذا قدرت شيئاً قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، أي: يتمنى ما لا يبلغه. و«البارئ» الخالق. يقال:  
 بَرَأَ اللهُ الخلقَ يَبْرِؤُهُمْ. و«المصور»: الذي أنشأ خلقه على صُورٍ مختلفةٍ ليتعارفوا بها. ومعنى: التصوير: التخطيط  
 والتشكيل. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع «البارئ المصور» بفتح الواو والراء جميعاً، يعني:  
 آدم عليه السلام. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الأعراف: ١٨٠، والإسراء: ١١٠] إلى آخر السورة.



= تقديره، قال الله تعالى: ومن يتازعني ذلك أعليه، ومعنى يتازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك.

(١) «ديوانه»: ٩٤ «ومختار الشعر الجاهلي» ١/ ٢٦٥ و«الأضداد» لابن السكيت: ٢٠٥، وشرح شواهد الشافعية: ٢٢٩، و«الكتاب» ٢/ ٢٨٩ و«الحيوان»: ٣/ ٣٨٣. والخالق هنا: الذي يقدر الجلد ويهيئه لأن يقطعه ويخرزه. والفري: القطع، يريد أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تمجز عنه كما يميز بعض القوم عن إتمامه.

## سورة الممتحنة

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لَأُفَوِّتُ بِهِمْ الْيُودَىٰ وَقَدْ كُفِّرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَآيَاتِهِ مَرْهَوْنَ لِيَوْمِ الْيَوْمِ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّا أَكْبَرُ مِنْ مَا اكْتُمِبْتُمْ وَمَا أَدْنَىٰ مِنْ بَقَعَلِهِمْ إِنَّ بَقَعْلَ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَنْسَلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَالُتُوهُ وَيَدُّوهُ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ يَمَا تَعْمَلُونَ صَبِرٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ذكر أهل التفسير أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفية بن هاشم أنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت إليكم لتعطوني. قال لها رسول الله ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» وكانت مغنية، فقالت: ما طلبت مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاهم عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، [وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكة] إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذرهم، فخرجت به سارة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ»<sup>(١)</sup>، فإن فيها ظعينة<sup>(٢)</sup> معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وغلوا سبيلها، فإن لم تدفعوه إليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً، فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال: أخرجي الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فلما رأت الجذأ أخرجه من ذوائبها<sup>(٣)</sup>، فغلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم. قال: «فما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلّا ولّه بمكة من يمنع عشيرته، وكنت [غريباً] فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن ألتجئ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله ﷺ وعذّره، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر، فقالوا: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٤)</sup>. وقد أخرج هذا الحديث في «الصحيحين» مختصراً، وفيه ذكر علي، وابن الزبير، وأبي مرثد فقط<sup>(٥)</sup>.

(١) «روضة خاخ»: موضع بين مكة والمدينة، شرقهما الله تعالى، بقرب المدينة.

(٢) الظعينة هنا: الجارية، وهي في الأصل: اليهودج، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

(٣) اللواية: الناصية، أو منبتها من الرأس، وشعر في أعلى ناصية الفرس، والمراد هنا: الشعر المصفور من شعر الرأس.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٥ ولم ينسب لأحد، بل قال: قال جماعة من المفسرين: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة... فذكره.

(٥) انظر «صحيح البخاري» ٤٠٠/٧ و ٤٨٦/٨، و«مسلم» ١٩٤١/٤، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٠٢/٦ من رواية «الصحيحين» وزاد نسبه لأحمد في «المستد» والمحمدي، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأبي عوانة، وابن حبان، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

قوله تعالى: ﴿تَلَقُّوهُ بِالْمَوْدَةِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الباء زائدة، والمعنى: تلقون إليهم المودة، ومثله ﴿وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْعَادِ يُظْلَمُ﴾ [الحج: ٢٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، وابن قتيبة، والجمهور. والثاني: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وبشره بالمودة التي بينكم وبينه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرْنَا﴾ الروا للحال، وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وهو القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُلَ وَإِنَّا كُفْرًا مِنْ مَكَّةَ﴾ ﴿أَنْ تَزْمُوا بِاللَّهِ زَيْكُمُ إِنَّ كُفْرَ خَرَجْتُمْ﴾ هذا شرط، جوابه متقدم، وفي الكلام تقديم وتأخير. قال الزجاج: معنى الآية: إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

قوله تعالى: ﴿يُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوْدَةِ﴾ الباء في «المودة» حكمها حكم الأولى. قال المفسرون: والمعنى: يُسِرُّونَ إليهم النصيحة ﴿وَأَنَا أَفْكُرُ بِمَا أَفْعَيْتُمْ﴾ من المودة للكفار ﴿وَمَا أَغْنَيْتُمْ﴾ أي: أظهرتم بالاستتكم. وقال ابن قتيبة: المعنى: كيف تستسرون بمودتكم لهم مني وأنا أعلم بما تضمرون وما تظهرون؟

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْكُمْ﴾ يعني: الإسرار والإلقاء إليهم ﴿فَقَدْ سَلَ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ طريق الهدى. ثم أخبر بعداوة الكفار فقال تعالى: ﴿إِنْ يَقْتُلُوكُمْ﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ لا موالين ﴿وَيَسْطَلُوا عَلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَالْيَدِ يَنْتَهُمُ بِالسُّوءِ﴾ وهو: الشتم ﴿وَرَوْدًا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فترجعون إلى دينهم. والمعنى: أنه لا ينفعكم التقرب إليهم بنقل أخبار رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي: قراياتكم. والمعنى: ذوو أرحامكم، أراد: لن ينفعكم الذين عصيتهم الله لأجلهم، ﴿يَوْمَ الْيَقِينِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «يُفْضَلُ» برفع الياء، وتسكين الفاء، ونصب الصاد. وقرأ ابن عامر: «يُفْضَلُ بَيْنَكُمْ» برفع الياء، والتشديد، وفتح الصاد، وافقه حمزة، والكسائي، وخلف، إلا أنهم كسروا الصاد. وقرأ عاصم، غير المفضل، ويعقوب بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد، وتخفيفها. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية: «فُفْضَلُ» بنون مرفوعة، وفتح الفاء، مكسورة الصاد مشددة. وقرأ أبو رزين، وعكرمة، والضحاك: «فُفْضِلُ» بنون مفتوحة، ساكنة الفاء، مكسورة الصاد خفيفة، أي: فصل بين المؤمن والكافر وإن كان ولده. قال القاضي أبو يعلى: في هذه القصة دلالة على أن الخوف على المال والولد لا يبيح التقية في إظهار الكفر، كما يبيح في الخوف على النفس، ويبين ذلك أن الله تعالى فرض الهجرة، ولم يعذرهم في التخلف لأجل أموالهم وأولادهم. وإنما ظن حاطب أن ذلك يجوز له ليدفع به عن ولده، كما يجوز له أن يدفع عن نفسه بمثل ذلك عند التقية، وإنما [قال] (١) عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق لأنه ظن أنه فعل ذلك عن غير تأويل.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَدْ رَبَّنَا قَبُلَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كَرِهَ رَبُّنَا وَيَسِّرَ رَبُّنَا وَالْمَدَوَّةَ وَالنَّصِيحَةَ أَبَدًا حَتَّى تَوَفَّيْنَا بِاللَّهِ وَنَحْنُ إِذْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ إِنَّكَ مِن شِعْرِ رَبِّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلْ لَنَا رَبَّنَا إِلَهًا أَنتَ الْغَرَضُ الْمُبِيدُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّى فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْمُسْتَعِی ۝ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَا يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبْذُرُوهُمْ وَتُقْسِلُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِلِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا عَنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَاللَّهُ يُظْلِمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وقرأ عاصم: «أسوة» بضم الألف، وهما لغتان، أي: اقتداء

حاتم، وابن مردويه، والبيهقي وأبي نعيم في «الدلائل» عن علي ؑ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٨٧ في شرح قوله ﷺ: «وما يدريك لعل الله اطلاع على أهل بدر فقال: اعلموا ما شتمت فقد غفرت لكم». قال القرطبي: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، فمن أن هؤلاء، حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السابقة، وتأملوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى القوة ولازم الطريق المثلى، ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلاع على سيرهم. اهـ.

(١) زيادة ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

حَسَنَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ. وَفِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ. وَالثَّانِي: الْمُؤْمِنُونَ، ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَسَبَّحُوا الْقُرْآنَ﴾ يَقُولُ: أَفَلَا تَأْسَيْتَ يَا حَاطِبُ بِإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ فَبَرَّأتَ مِنْ أَهْلِكَ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنْ قَوْمِهِمْ؟!

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قال المفسرون: والمعنى: تأسوا بإبراهيم إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فلا تأسوا به في ذلك، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه ﴿وَمَا أَتَيْكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أَدْفَعَ عَنْكَ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ أَشْرَكَتَ بِهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَىٰ قَوْلِكَ تَعَالَىٰ﴾: ﴿الْفَرْزُ الْحَكِيمُ﴾ قال الفراء: قولوا أنتم: ربنا عليك توكلنا. وقد بينا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْنَا سُنَّةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في [يونس: ٢٨٥]. ثم أعاد الكلام في ذكر الأسوة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي: في إبراهيم ومن معه، وذلك أنهم كانوا يبغضون من خالف الله. وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾. وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله، ويخشى عقاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن الإيمان ويوال الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَاذِبُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيدُ﴾ إلى أوليائه. فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عاذاؤا أقرباءهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْكُمْ مَخْرَجًا﴾ أي: من كفار مكة ﴿مَوَدَّةً﴾ ففعل ذلك، بآن أسلم كثير منهم يوم الفتح، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأنكسر أبو سفيان عن كثير مما كان عليه حتى هداه الله للإسلام ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على جعل المودة ﴿وَاللَّهُ عَفُوفٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بعدما أسلموا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُوكُمْ فِي الْإِيمَانِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد المطلب، قَدِمَتْ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ بِهَدَايَا، فَلَمْ يَقْبَلْ هَدَايَاهَا، وَلَمْ تَدْخُلْهَا مَنْزِلَهَا، فَسَأَلَتْ لَهَا عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَدْخُلَهَا مَنْزِلَهَا، وَتَقْبَلْ هَدِيَّتَهَا، وَتَكْرُمَهَا، وَتَحْسِنَ إِلَيْهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً، قاله ابن عباس. وروي عن الحسن البصري أنها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فداموا على الوفاء به. والثالث: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس، قاله عطية العوفي ومرة. والرابع: أنها عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قاله قتادة. والخامس: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزجاج. قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَرَّ يَرْجُوكُمْ مِنْ يَرْجُوكُمْ﴾ أي: من مكة ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتَقْطَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا بِالْإِسْخَارِ﴾ أي: عاونوا على ذلك ﴿أَنْ تَوَلَّوْا هَؤُلَاءَ﴾ لأن مكاتبتهم بإظهار ما أسرَّه رسول الله ﷺ موالاة. وذكر بعض المفسرين أن معنى الآية والتي قبلها منسوخ بآية السيف. قال ابن جرير: لا وجه لادعاء النسخ، لأن برَّ المؤمنين للمحاربين سواء كانوا قرابة أو غير قرابة، غير محرم إذا لم يكن في ذلك تقوية لهم على الحرب بكراع أو سلاح، أو دلالة لهم على عورة أهل الإسلام. ويدل على ذلك حديث أسماء وأمها الذي سبق.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٧ من رواية عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير. ومصعب بن ثابت لين الحديث كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». ورواه أحمد في «المستند» ٤/٤ من رواية ابن المبارك، والطبري، والحاكم في «المستدرک» ٤٨٥/٢. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٢٣/٧ من رواية أحمد والطبراني والبيهقي، وقال: وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقي رجاله رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٤/٦. وزاد نسبه للطائفة، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «تاريخه»، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ﷺ. وروى أحمد في «مستند» والبخاري ومسلم في «صحيحهما» بغير هذا السياق عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راقية، أفاصلها؟ قال: «نعم صلي أمك».



(٥) قال القرطبي في تفسيره ١٨/ ٦٣: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قرشياً، من أنه يرد إليهم من جاء منهم مسلماً، فنسخ من ذلك النساء، قال: وهذا مذهب من يرى نسخ النسخ بالقرآن. وقال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٥٠: تقدم في سورة (الفتح) ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قرش، فكان فيه: على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا ردته إلينا. وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا ردته إلينا، قال: وهذا قول عروة، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد، والزهرري، ومقاتل بن حيان، والسدي، قال: فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للنسوة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، قال: وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ

بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي تولّى امتحانهم، ويراد به سائر المؤمنين عند غيبته ﷺ. قال ابن زيد: وإنما أمرنا بامتحانهم، لأن المرأة كانت إذا غضبت على زوجها بمكة، قالت: لألحقن بمحمد. وفيما كان يمتحنهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يمتحنهم بـ «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه كان يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، روي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه كان يمتحنهم بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ﴾ فمن أقرت بهذا الشرط قالت: قد بايعتك، هذا قول عائشة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي: إن هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهن، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ مَوَازِينَ﴾ وذلك يعلم بإقرارهن، فحينئذ لا يحل ردهن ﴿إِلَّا الْكَافِرَ﴾ [لأن الله تعالى لم يبيح مؤمنة لمشرك ﴿وَأَنفُسَهُنَّ﴾ يعني أزواجهن الكفار] ﴿مَّا أَنفَقُوا﴾ يعني: المهر. قال مقاتل: هذا إذا تزوجها مسلم. فإن لم يتزوجها أحد، فليس لزوجها الكافر شيء ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ وهي المهور.

### فصل

عندنا إذا هاجرت الحرة بعد دخول زوجها بها، وقعت الفرقة على انقضاء عدتها. فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي امرأته، وهذا قول الأوزاعي، والليث، ومالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا بِصِمِّ الْكَافِرِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «تُمسِكُوا» بضم التاء، والتخفيف. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: «تُمسِكُوا» بضم التاء، وبالتشديد. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن يعمر، وأبو حية: «تُمسِكُوا» بفتح التاء، والميم، والسين مشددة. و «الكافر» جمع كافرة، والمعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن المقام على نكاح الكافر، وأمرهم بفراقهن. وقال الزجاج: المعنى: أنها إذا كفرت، فقد زالت العصمة بينها وبين المؤمن، أي: قد انبثَّ عَقْدُ النكاح. وأصل العصمة: الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ﴾ أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة، فاسألوهما ما أنفقتم من المهر إذا لم يدفعوها إليكم ﴿وَلَسْتُمْ لَهُنَّ كَافِرُونَ﴾ يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهن بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم، فليسأل أزواجهن الكفار من تزوجهن «ما أنفقوا» وهو المهر. والمعنى: عليكم أن تغرموا لهم الصداق كما يغرمون لكم. قال أهل السير: وكانت أم كلثوم حين هاجرت عاتقاً لم يكن لها زوج فيبعث إليه قدر مهرها، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني ما ذكر في هذه الآية.

= أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار، لا من حل لهم، ولا هم يحلون لهن. اهـ.

(١) رواء الطبري ٦٨/٢٨ بإسناد مسلسل بالضعفاء عن ابن عباس.

(٢) رواء الطبري ٦٧/٢٨ من حديث قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس... وقيس بن الربيع الأسدي قال الحافظ: صدوق تغير لما كبير، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، وأبو نصر الأسدي وثقه أبو زرعة، وقال البخاري: لم يعرف سماعه من ابن عباس.

(٣) رواء الطبري ٦٨/٢٨ من رواية ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، والترمذي ١٦٤/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا إِلَّا الْكَافِرَ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا أول دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامها، لا هجرتها. وقال أبو حنيفة: الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين، قال: والصحيح الأول، لأن الله تعالى قال: ﴿هَؤُلَاءِ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فيبين أن العلة عدم الحل بالإسلام، وليس باختلاف الدار. والله أعلم.

## فصل

وذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ﴾ أنه نسخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا تخصيص لا نسخ.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى فَاكْرَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ إِلَى الْكَافِرِ فَنَاقَظَهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم. وقرأ ابن مسعود، والأزهري، والنخعي: «فَعَقَبْتُمْ» بغير ألف، وفتح العين والقاف، وتخفيفها. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وحמיד، والأعمش مثل ذلك، إلا أن القاف مشددة. قال الزجاج: المعنى في التشديد والتخفيف واحد، فكانت العقوبة لكم بأن غلبتم. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، ومجاهد: «فَاعَقَبْتُمْ» بهجمة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: «فَعَقَبْتُمْ» بفتح العين، وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف ﴿فَنَاقَظَهُمُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يَنْتَلِ مَا أَنتَفَرُوا﴾ أي: أعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في عياض بن غنم<sup>(١)</sup>، كانت زوجته مسلمة، وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدت، فلحق بمكة، فأمر الله المسلمين أن يعطوا زوجها من الغنيمة بقدر ما ساق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢١] إلى رأس الخمس.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صدق قد وجب رده على أهل الحرب، منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. قلت: وكذا قال مقاتل: كل هؤلاء الآيات نسختها آية السيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْفِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَبْنِينَ بِمَهْنَتَيْنِ بَعْرَتَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِنَّ وَأَرْسُلَهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَإِيَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتهن الشرائط المذكورة في الآية، فبايعهن وهو على الصفا، فلما قال: ولا يزني، قالت هند<sup>(٢)</sup>: أو تزني الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربيتهن صغارا فقتلتموهن كبارا، فأنتم وهم أعلم<sup>(٣)</sup>. وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ لم يصالح في البيعة امرأة، وإنما يبايعهن بالكلام<sup>(٤)</sup>. وقد سئنا من أحصينا من المبايعات

(١) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد الفهري، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد، وكان يقال له: زاد الراكب، لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده، وإذا كان مسافرًا أثرهم بزاده، فإن نفذ نحر لهم جملة.

(٢) هي هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) ذكره بنحوه البغوي في «تفسيره» وكذلك الخازن، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أره بسياقه، لكن أخرجه الطبري بمعناه وأخص منه من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيتهن صغارا فقتلتموهن كبارا، فضحك عمر بن الخطاب ﷺ حتى استلقى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٤٨٨/٨ عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ إلى قوله: «غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات: قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتكم كلاما» والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعات، ما يبايعن إلا بقوله: «قد بايعتكم على ذلك». والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حديد، وابن ماجة، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

وروى الإمام أحمد من حديث سفيان بن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسائي لبنايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئا... الآية. وقال: «فيما استطعتم وأطقتم» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة واحدة قولني لمائة امرأة» قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح، قال: وقد رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة، والنسائي أيضا من حديث الثوري، ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر به، وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وزاد: «لم يصافح منا امرأة» قال: وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن المنكدر به.

والمبايعات عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيها بالمعاهدة المالية.

في كتاب «التلقيح» على حروف المعجم، وهن أربع مائة وسبع وخمسون امرأة، والله الموفق.  
قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَنَلَّانِ أَرْكَدَهُنَّ﴾ قال المفسرون: هو الواد الذي كانت الجاهلية تفعله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِنَّ أَنْ يَدِينَنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قاله ابن عباس، والجمهور، وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ﴾ لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها. وقيل: معنى ﴿بَيْنَ يَدَيْهِنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ﴾: يأخذنه لقيطاً «وَأَرْجُلَهُنَّ» ما ولدته من زنى. والثاني: السحر. والثالث: المشي بالنيمة، والسعي في الفساد، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التَّوَحُّ، قاله ابن عباس، وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لا يذعن ويلاً، ولا يخذل وجهاً، ولا يثشثر شعراً، ولا يشفق ثوباً، قاله زيد بن أسلم. والثالث: جميع ما يأمرهن به رسول الله ﷺ من شرائع الإسلام وأدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي هذه الآية دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المباح دون المحظور.

قوله تعالى: ﴿فَابِيعُنَّ﴾ المعنى: إذا بايعتك على هذه الشرائط فبايعهن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتقربون إليهم بذلك ليصيروا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمداً، وهم يعرفون صدقه، قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة خير، والمعنى: قد يئسوا من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال قتادة: قد يئسوا أن يبعثوا، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يئس الكفار من بعث من في القبور، قاله ابن عباس. والثاني: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة، لأنهم أيقنوا بالعذاب، قاله مجاهد.



قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٨/٨: قوله: «قد بايعتك كلاماً» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة.

وقال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» طبع المكتب الإسلامي ٩٢٨/٢: وما جاء عن ابن خزيمة، وابن حبان، والبخاري، وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جده أم عطية ؓ في قصة المبايعة، قالت: فمد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: «اللهم اشهد» وكذا حديثها الذي في «البخاري» وغيره: فقبضت منا امرأة يدها، فإنه يشعر بأنهن كن يبايعنه بأيديهن، والتي قبضت يده هي أم عطية أبهمت نفسها. قال: وأجب عن الأول بأن مد الأيدي من وراء الحجاب، إشارة إلى وقوع المبايعة وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض الأيدي: التأخر عن القبول. وأم عطية التي قبضت يدها وتأخرت عن المبايعة، رجعت بعد ذلك وبايعها رسول الله ﷺ. فهذه النصوص التي تقدمت تدل على أن المبايعة كانت كلاماً، ولم تكن مصافحة باليد، وأن الرسول ﷺ ما مست يده يد امرأة قط.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ٦٤٦/٢ من حديث أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَرَكَزْ بَيْنَ يَدَيْهِنَّ أَنْ يَدِينَنَّ﴾... وَلَا يَتَّبِعُنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قالت: كان منه النجاسة... وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث أم سلمة الأنصارية قالت امرأة من هذه النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه؟ قال ﷺ: «لا تاتحن...» الحديث.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٨ بغير سند ولم يعزه لأحد، وكذلك البيهقي والخازن في تفسيريهما، وقال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/٢١١: أخرج ابن إسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس ؓ قال: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن حارثة، يوافون رجلاً من يهود، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

## سورة الصف

### ويقال لها: سورة الحواريين

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن يسار.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: ما روى أبو سلمة عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلنا: لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ عملناه، فأنزل الله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الرجل كان يجيء إلى النبي ﷺ، فيقول: فعلت كذا وكذا، وما فعل، فنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال الضحاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن صهيياً قتل رجلاً يوم بدر، فجاء رجل فادعى أنه قتله وأخذ سلبه، فقال صهيب: أنا قتلت يا رسول الله، فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيب، ونزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن صهيب. والخامس: أن المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلما خرج النبي ﷺ نكصوا عنه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «مقتاً» منصوب على التمييز، والمعنى: كَبُرَ قولُكم ما لا تفعلون مقتاً عند الله<sup>(٤)</sup>. ثم أعلم ﷻ ما الذي يحبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا ۝﴾ أي: بنيان لاصق ببعضه ببعض، فأعلم أنه يحب من ثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثيوت البنيان

(١) رواه الدارمي في «سننه» ٢/٢٠٠، والواحدي في «أسباب النزول»، ورواه بمعناه أحمد في «المسنند» ٥/٤٥٢، والحاكم في «المستدرک» ٢/٤٨٦ مسلسلاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي ٢/١٦٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/١١٢ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن حبان، ثم قال: وأخرجه ابن المنذر مسلسلاً، والبيهقي في «الشعب» و«السنن» مسلسلاً، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/٤١٩: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها وإسناده صحيح قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٢) ذكره السيوطي بنحوه في «الدر» ٦/١١٢ من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٨/٨٤ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/١١٢ من رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

(٤) وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ فيه إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفهمه، ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعد، أم لا، واحتجوا أيضاً بما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان» وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...» ذكره ابن خلدون، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ۝﴾. وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعد، وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: تزوج ولك علي كل يوم كذا، فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضائق، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، وهكذا هذه الآية معناها، وهذا اختيار ابن جرير.

المرصوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنين المرصوص. وللمفسرين في المراد بـ «المرصوص» قولان: أحدهما: أنه الملتصق ببعضه ببعض، فلا يرى فيه خلل لإحكامه، قاله الأكثرون. والثاني: أنه المبني بالرصاص، وإلى نحو هذا ذهب الفراء، وكان أبو بحرية يقول: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية<sup>(١)</sup>. اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التراغمي، يروي عن معاذ<sup>(٢)</sup>، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفون في الغالب إنما يصطف الرجال<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَنَكَّرْتُمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١) **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٢) وَمَنْ آتَاكَ مِنْ شَيْءٍ فَأْتِهِ الْكُذِّبُ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٣) يُرِيدُونَ يُظْلِمُوا ذُرَّ اللَّهِ بِأَقْرَبِهِمْ وَاللَّهُ مِتُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يُظَاهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٥)**

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذيك من المنافقين ما صنعتُ بالذين آذوا موسى. وقد ذكرنا ما آذوا به موسى في [الأحزاب: ٦٩]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي: مالوا عن الحق: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالها عن الحق جزاء لما ارتكبهوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم «من بعدي اسمه» بفتح الياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «من بعدي اسمه» بإسكان الياء<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ آتَاكَ مِنْ شَيْءٍ فَأْتِهِ الْكُذِّبُ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله مقاتل. والثاني: النصاري حين قالوا: عيسى ابن الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف «يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» بفتح الياء، والدال، وتشديدها، ويكسر العين، وما بعد هذا في [براء: ٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿مِثُّ نُورِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف «مِثُّ نُورِهِ» مضاف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «مِثُّ» رفع منون.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ عَلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ (٦) تَوْرَتُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُوكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُقْلِقِينَ (٧) يَنْفِرَ لَكُمْ دُونُكُمْ وَيَنْجِيكُمْ مِنْ يَدَيْهِمْ وَتَحْتَ الْكُرْسِيِّ وَتَحْتَ الْكُرْسِيِّ فِي جَنَّةٍ عَذْوٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨) وَأُفْرَى شَيْئَاتٍ تَصْرُفُ عَنْ اللَّهِ وَفَتْحَ قُرَيْبٍ وَبَنِي النَّوْزِيِّينَ (٩) يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قَامَتِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَذْفٌ ظَالِمٌ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَذَابِهِمْ فَأَنْصَرُوا عَلَيْهِمْ (١٠)﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَخْرَجٍ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله

(١) رواء الطبري في «تفسيره» ٨٦/٢٨ وفي سنده بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن في هذا الخبر.

(٢) هو عبد الله بن قيس الكندي السكوني التراغمي أبو بحرية الحمصي، شهد خطبة عمر بالجابية، روى عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح وأبي الدرداء وأبي هريرة ومالك بن يسار السكوني وحمزة بن ثعلبة، وعنه ابنه بحرية، ويزيد بن قطيب السكوني، وخالد بن معدان، ويزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، وأبو غلبه الكلاعي، وعبد الملك بن مروان، وأبو بكر بن عبيد الله بن أبي مريم، قال ابن عبد البر: تابعي ثقة، وذكر أبو الحسن بن سميع أنه أدرك الجاهلية. قال الحافظ في «التقريب»: حمصي مشهور مخضرم ثقة، مات سنة سبع وسبعين.

(٣) الرِّجَالُ، جمع راجل، وهو الذي يمشي على رجله، وله جموع كثيرة، قال في «القاموس»: ورجل - كفرح - فهو راجل، ورجل، ورجل، ورجل، ورجل، وإذا لم يكن له ظهر يركبه، والجمع رجال، ورجالة، ورجال، ورجالي، ورجالي، ورجلي، ورجلان، ورجلة، ورجلة، وأرجلة، وأراجل، وأراجيل.

(٤) قال ابن كثير: وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: «رحمة الله على موسى، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» قال: وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ آمَنُوا مَوْسَى قَبْلَهُ وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) قال ابن كثير: فميسى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وانظر (١١٦٦) من كتابنا هذا.

لعملنا به أبداً، فدلّهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه <sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿شُجِرَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر «تَنَجِّيْكُمْ» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بيّن التجارة، فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: وقوله: «يغفر لكم» جواب قوله: «وتجاهدون»، لأن معناه معنى الأمر. والمعنى: آمنوا بالله واجاهدوا، يغفر لكم، أي: إن فعلتم ذلك، يغفر لكم. وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب «هل» وهذا غلط بيّن، لأنه ليس إذا دلّهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر له إذا عملوا بذلك. ومن قرأ «يغفر لهم» يادغام الراء في اللام، فغير جائز عند سيبويه والخليل، لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم. وقد رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء، وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب: وقد زعم سيبويه والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحُجَّتُهُمْ أن الراء حرف مكرر قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال الفراء: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبونها، ثم فسرها فقال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْبِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. ثم حصّهم على نصر دينه بقوله تعالى: ﴿كُذِّبَ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «كونوا أنصاراً لله» منوثة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أنصاراً لله». معنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نُصْرَةِ الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ وَحَرِّكَ نَافِعُ يَاءٍ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾. وقد سبق تفسير هذا الكلام (إلا عمران: ٥٢) ﴿فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكُفِّرَتْ طَائِفَةٌ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿فَأَقْبَذَ إِلَهِ الْأَمَلِ بِعِيسَى﴾ عَزَّ وَجَلَّ وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرَتْ طَائِفَةٌ﴾، ﴿فَأَقْبَذَ إِلَهِ الْأَمَلِ بِمُحَمَّدٍ﴾ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَنْ عَدُوٌّ فَاتَّبَعُوا طَائِفَتَهُ﴾ بمحمد على الأديان. وقال إبراهيم النخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة <sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ﴿فَأَصْحَابُ طَائِفَتِهِ﴾ أي: غاليين عليهم بمحمد. من قولك: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرّت فوقه.



(١) ذكر ذلك البغوي والمخازن في «تفسيريهما» وقد تقدم في حديث عبد الله بن سلام في أول السورة أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأُنزل الله هذه السورة، ومن جعلتها هذه الآية.

(٢) قال ابن كثير: أي لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتمت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته وزعموه وأمه بالعظام، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة، قال: وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، واخترقوا فرقاً وشيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل: إنه الله، وهم النصارى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وقال ابن كثير أيضاً في سورة [المائدة: ٧٢، ٧٣] عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ و ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً، قال: وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: إني أنا الله، ولا: ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَا آتَانِي الْكِتَابَ وَبَعَلَنِي إِلَيْكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيْلَ اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكَ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمراً لهم بعبادة الله ربه وربه وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا تَعْبُدُونَ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ﴾.

(٣) والأول أظهر، والله أعلم.





واحدة، وملة واحدة. والثاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجيج عن مجاهد. والرابع: أنهم الأطفال، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَدَ اللَّهِ﴾ يعني: الإسلام والهدى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ بإرسال محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَقْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قل يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن رِزْقَكُمْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَنَّوا التَّوَاتُتَ إِن كُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا الْمَوْتُ الَّذِي نُتَرَكُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْكِيكُمْ ثُمَّ تَرْوُونَ إِلَيَّ عَلَيْهِ الْقَتِيبَ وَالشَّهَادَةَ فَيُنْفِخُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا الثَّوْرَةَ﴾ أي: كُلفوا العمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بموجبها، ولم يؤدوا حقها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وهي جمع سفر. والسفر: الكتاب، فشبههم بالحمار لا يعقل ما يحمل، إذ لم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد [وهذا المثل يلحق من لم يعمل بالقرآن ولم يفهم معانيه ﴿يَقْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ ذم مثلهم، والمراد ذمهم، واليهود كذبوا بالقرآن وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أنفسهم بتكذيب الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿إِن رِزْقَكُمْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: نحن ولد إسرائيل الله، ابن ذبيح الله، ابن خليل الله، ونحن أولى بالله ﷻ من سائر الناس، وإنما تكون النبوة فينا. فقال الله ﷻ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ﴾ لهم إن كنتم ﴿أَرْسَلَهُ اللَّهُ... فَتَقَنَّوا التَّوَاتُتَ﴾ لأن الموت خير لأولياء الله من الدنيا. وقد بينا هذا وما بعده في [البقرة: ٩٤] إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا الْمَوْتُ الَّذِي نُتَرَكُ مِنْهُ﴾ وذلك أن اليهود علموا أنهم أفسدوا على أنفسهم أمر الآخرة بتكذيبهم محمداً، وكانوا يكرهون الموت، ف قيل لهم: لا بد من نزوله [بكم] بقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُ مُلْكِيكُمْ﴾ قال الفراء: العرب تدخل الفاء في كل خير كان اسمه مما يوصل، مثل «من» و «الذي» فمن أدخل الفاء هاهنا ذهب «بالذي» إلى تأويل الجزاء. وفي قراءة عبد الله «إن الموت الذي تتركون منه ملائكتكم» وهذا على القياس، لأنك تقول: إن أحاك قائم، ولا تقول: فقامم، ولو قلت: إن ضاربك فظالم، لجاز، لأن تأويله: إن من يضربك فظالم. وقال الزجاج: إنما جاز دخول الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله تعالى «تتركون منه» كأنه قيل: إن فررت من أي موت كان من قتل أو غيره «فإنه ملائكتكم» وتكون «فإنه» استثناءً بعد الخبر الأول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ بَيْتِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ﴾ وهذا هو النداء الذي ينادى به إذا جلس الإمام على المنبر، ولم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد، وكذلك كان على عهد أبي بكر، وعمر، فلما كثر الناس على عهد عثمان أمر بالتأذين على دار له بالسوق، يقال لها: «الزوراء»<sup>(٢)</sup> وكان إذا

- قال ابن كثير: والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق عن ثور بن يزيد الدبلي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به، قال: ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَتَاخِرُونَ بِهِمْ﴾ بفارس، قال: ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿وَتَاخِرُونَ بِهِمْ لَنَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: هم الأحاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب.

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحابوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس، لأن الله ﷻ هم بقوله: ﴿وَتَاخِرُونَ بِهِمْ لَنَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷻ يتلو عليهم آيات الله.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٦/٢ من السائب بن يزيد ﷺ قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ.

جلس أذن أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أي: لوقت الصلاة. وفي «الجمعة» ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور. وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبله، والأعمش. وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو. قال الزجاج: من قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل الضميتين. وأما فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لُعَنَ: يكثر لعنة الناس، وَضَحَكَ: يكثر الضحك. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال: أحدها: لأن فيه جُمع آدم. روى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري ما الجمعة؟» قلت: لا. قال: «فيه جُمع أبوك» يعني: تمام خلقه في يوم<sup>(٢)</sup>. والثاني: لاجتماع الناس فيه للصلاة. والثالث: لاجتماع المخلوقات فيه، لأنه اليوم الذي منه فرغ من خلق الأشياء<sup>(٣)</sup>. وفي أول من سماها بالجمعة قولان: أحدهما: أنه كعب بن لؤي سماها بذلك، وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة، قاله أبو سلمة. وقيل: إنما سماها بذلك لاجتماع قريش فيه. والثاني: أول من سماها بذلك الأنصار، قاله ابن سيرين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وفي هذا السعي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المشي، قاله ابن عباس. وكان ابن مسعود يقرؤها «فامضوا» ويقول لو قرأتها «فاستعوا» لسعيت حتى يسقط ردائي<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة. والثاني: أن المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك، فيكون المعنى: فاعملوا على

= وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء. وفي رواية أخرى للبخاري عن السائب بن يزيد زيادة «فثبت الأمر على ذلك». قال باقوت في «معجم البلدان»: الزوراء: موضع عند سور المدينة قرب المسجد. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «زاد النداء الثالث» في رواية وكيع عن ابن أبي ذئب «فأمر عثمان بالأذان الأول» ونحوه للشافعي من هذا الوجه. قال: ولا منافاة بينهما، لأنه باعتبار مزيداً يسمى ثالثاً، وباعتبار كونه جعل مقدماً على الأذان والإقامة يسمى أولاً، قال: ولفظ رواية عقيل: (يعني في البخاري) أن التأذين بالثاني أمر به عثمان، قال: وتسميته ثانياً أيضاً متوجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة. والمقصود من الأذان الثالث، الإقامة.

(١) أي إذا جلس على المنبر أذن الأذان الثاني.

(٢) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في «المسند» ٤٤٠/٥ وتتمته قال النبي ﷺ: «ألا أحدثك عن يوم الجمعة، لا يظهر رجل مسلم ثم يمضي إلى المسجد، ثم ينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التي بعدها ما اجتنبت المغتلة». وهو حديث حسن، قال الحافظ الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٧٤/٢: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن، قال: وروى النسائي بعضه، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢١٦/٦ وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وروى مسلم في «صحيحه» ٥٨٥/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». وروى مالك في «الموطأ» ١٠٨/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة (مصينة لنفخة الساعة) يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا الإنس والجن، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» وسنده صحيح، ورواه بنحوه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، قال الترمذي ٣٦٦/٢: هذا حديث صحيح. وروى أبو داود في «سننه» رقم (١٠٤٧) عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»، قال: قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت، فقال: «إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء». وسنده صحيح. ورواه النسائي وابن ماجه وغيرهما.

(٣) قال ابن كثير: إنما سميت الجمعة جمعة، لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، قال: وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٤/٢: روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة، فقال الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهل فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر. فجعلوه يوم القروية.

(٥) رواه الطبري ١٠٠/٢٨ من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، وفي سنده انقطاع. قال الحافظ الهيثمي في «المعجم» ١٢٤/٧: رواه الطبراني، وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود، ورجاله ثقات، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢١٩/٦ وزاد نسبة لعبد الرزاق، والقرطبي، وأبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن الأباري من طرق عن عبد الله بن مسعود. وصح عن عمر أنه قرأها كذلك. ونقل القرطبي عن ابن شهاب أنه قرأها كذلك، ثم قال: وهو كله تفسير منهم. وقال البخاري في «صحيحه» (باب فرض الجمعة) لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَكَّدَ لِّلصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الثُّمَّةِ فَاسْتَوُوا إِلَيْكَ ذِكْرَ اللَّهِ وَذَكْرَ الْيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قال: فاستعوا فامضوا. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وهو تفسير منه للمراد بالسعي، بخلاف قوله في الحديث: «فلا تأتوها تسعون» فالمراد به: الجري، وقد جاء أن عمر قرأ «فامضوا» وهو يؤيد ذلك.

المضي إلى ذكر الله بالتفرض له، والاشتغال بالطهارة ونحوها. والثالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن. وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجد. وفي المراد «بذكر الله» قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت. وعندنا: أنه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيع باطلاً في حق من يلزمه فرض الجمعة. وبه قال مالك<sup>(١)</sup> خلافاً للأكثرين<sup>(٢)</sup>.

## فصل

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صَيِّتاً، والريح ساكنة. وقد حذَّه مالك بفسخ، ولم يحذَّه الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما. وتجب الجمعة على أهل القرى<sup>(٣)</sup>. وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافاً للشافعي. ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة<sup>(٤)</sup> وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان. وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة: ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجاوز الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد. وتجاوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين. والمستحب لأهل الأعدار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلاً. والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة. والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافاً للشافعي في أحد قوليه. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافاً للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً. ومن شرط الخطبة: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة.

وقال ابن كثير: أي: اقتصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، قال: وليس المراد بالسمي هاهنا: المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَوَّاهَا سَوَّاهَا بِمَنْ مَعَهُ﴾ قال: وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود، رضي الله عنهما، يقرأنها «فامضوا إلى ذكر الله» قال: فأما المشي السريع إلى الصلاة، فقد نهى عنه، لما أخرجهما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدرككم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

(١) قال القرطبي في تفسير الآية: وملعب مالك أن يترك البيع إذا نودي للصلاة، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت، ولا يفسخ المتق والنكاح والطلاق وغيره، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع، قالوا: وكذلك الشركة والهبة والصدقة ناهي لا يفسخ. قال: قال ابن العربي: والصحيح فسخ الجميع، لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به، فكل أمر يشغل عن الجمعة من العقود كلها، فهو حرام شرعاً منسوخ ودعاً.

(٢) كأي حنيفة، والشافعي، وغيرهما، فإن البيع عندهم يتعقد مع الحرمة بعد النداء ولا يفسخ. قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا: هل يصح إذا تعاطا متعاط، أم لا؟ على قولين، قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: عن عمر أنه كتب إلى أهل البحرين أن جمعوهم حيثما كنتم. قال: وهذا يشغل المدن والقرى، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع عن أبي هريرة عن عمر، وصححه ابن خزيمة، قال: وعند عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يجب عليهم.

(٤) لا خلاف بين العلماء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة، ولكن اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة إلى عدة أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في «الفتح»، والراجع أنها تصح باثنين فأكثر، قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: وقد انعقدت سائر الصلوات بالاثنتين بالإجماع، والجمعة صلاة، فلا تختص بحكم يخالف غيرها إلا بدليل، ولا دليل على اعتبار عدد فيها زائد على المعتبر في غيرها، وقد قال عبد الحق الإشبيلي: إنه لا يثبت في عدد الجمعة حديث، وكذلك قال السيوطي: لم يثبت في شيء من الأحاديث تبيين عدد مخصوص، ومن ذهب إلى هذا: الطبري، وداود، والنخعي، وابن حزم.

والخطبتان واجبتان. وأما القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرط، خلافاً للشافعي. والسنة للإمام إذا صعد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلم، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان. ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافاً للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حنيفة. ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك<sup>(١)</sup>. وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كان لكم علم بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغتم منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمر بإباحة ﴿وَانْفَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وقال الحسن، وابن جبير: هو طلب العلم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْهُمَا قَالًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمَنِ الْيَحْرُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِيقِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عبر قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. وذلك أنهم أصابهم جوع، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: ﴿لَوْ اتَّبَعْتُمْ آخِرَهُمْ أَوَّلَهُمْ لَنُفِضُوا إِلَيْهَا نَاراً﴾<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: كان الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي، قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم. قالوا: قديم بها من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدموها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمت عبر<sup>(٤)</sup>. قال جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعاماً. وقال أبو مالك: كانت زيتاً. والمراد باللهم: ضرب الطبل. و«انفضوا» بمعنى: تفرقوا عنك، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة. وإنما خصت برد الضمير إليها، لأنها كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء، والمبرد. وقال الزجاج: المعنى: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما، لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفضوا إليهما» على التشية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفضوا إليه» على ضمير مذكر ﴿وَزَكَّوْهُمَا قَالًا﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الصلاة والثبات مع رسول الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمَنِ الْيَحْرُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِيقِ﴾ لأنه يرزق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويجحده، فهو يعطي من سأل، ويبتدئ من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منفعة، ويقبل على خدمته<sup>(٥)</sup>.



(١) وذهب الشافعي إلى الاستحباب أيضاً. وحجتهم في ذلك ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر ﷺ قال: دخل رجل يوم الجمعة رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «صليت؟» قال: لا، قال: «فصل ركعتين» والرجل هو: سليك النطفاني ﷺ. وروى مسلم في «صحيحه» عن جابر ﷺ قال: جاء سليك النطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: يا سليك قم فاركع ركعتين وتجاوز فيهما» ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما».

(٢) البخاري ٤٩٣/٨، ومسلم ٥٩٠/٢.

(٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن عن الحسن بن علي بن سعيد. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٤ من رواية عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً بنحوه. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقلت عبر إلى المدينة، فابتدوها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْهُمَا﴾.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٦ من رواية البيهقي عن قتادة مرسلاً.

(٥) قال ابن جرير الطبري: «والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره».

## سورة المنافقون

### وهي مدنية بإجماعهم

وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبدالله بن أبيّ ونظرائه. وكان السبب أن عبد الله خرج مع النبي ﷺ في خَلْعٍ كثير من المنافقين إلى المُرَيْسِع، وهو ماء لبني المصطلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد، لأن السفر قريب. فلما قضى رسول الله ﷺ غزوه، أقبل رجل من جهينة، يقال له: سنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد، وهو أجير لعمر بن الخطاب لاستقاء الماء، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فطمم الجهني، فأدماه، فنادى الجهني: يا آل الخزرج، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا آل قريش، فأقبلوا، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين. فبلغ الخبرُ عبد الله بن أبيّ، فقال وعنده جماعة من المنافقين: والله ما مَثَلُكم ومَثَلُ هؤلاء الرهط من قريش إلا مَثَلُ ما قال الأول: سَمْنٌ كلبك يأكلُك، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم، أو يتموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أموالكم، فقوموا وضَعُفُتم. وإيم الله؛ لو أمسكتكم أيديكم لتفرقت عن هذا جموعه، ولئن رجعنا إلى المدينة لُيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلام يومئذٍ لا يؤبُّه له، فقال عبد الله: أنت والله اللذليل القليل، فقال: إنما كنت أَلعب، فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني أضرب عنقه. فقال: إذن ترد له آنف كبيرة، قال: فإن كرهت أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر سعد بن عبادة، أو محمد بن مسلمة، أو عبّاد بن بشر فليقتله، فقال: إذن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ، فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام؟ فقال: والذي أنزل عليك ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيدا لكذّاب، فقال من حضر: لا يصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعزّره رسول الله ﷺ، وفشت الملامة من الأنصار لزيد، وكذبوه، وقال له عمّه: ما أردت إلا أن كذّبت رسول الله ﷺ والمسلمون، ومقتوك! فاستحيا زيد، وجلس في بيته. فبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، لما بلغك عنه. فإن كنت فاعلاً فمُرني، فانا أحمل إليك رأسه، فإني أخشى أن يقتله غيري، فلا تدعني نفسي حتى أقتل قاتله، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل تحسن صحبتته ما بقي معنا»، وأنزل الله سورة (المنافقين) في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فأرسل رسول الله ﷺ فقرأها عليه، فقال: إن الله قد صدقك. ولما أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه، فقال: ما وراءك، قال: مالك وملك؟ قال: والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ ليعلم اليوم من الأعزِّ، ومن الأذلِّ، فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خلّ عنه حتى يدخل، فلما نزلت السورة وبان كذبه قيل له: يا أبا حباب: إنه قد نزلت فيك آيات شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فلو به رأسه، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقيل: الذي قال له هذا عبادة بن الصامت<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢١، ٣٢٢ بنحو مختصر. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: حديث أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع، وهو ماء لهم وهزمهم، وقتل منهم، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد - أجير عمر - يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبيّ واقتتلا... الحديث، وفيه قصة زيد بن أرقم في قول عبد الله بن أبي: ليخرجن الأعز من الأذل، وغير ذلك إلى قوله: إن الله قد صدقك وكذب المنافق... هكذا ذكره الواقدي في «الغمازي» بغير إسناد، وعزاه إلى الثعلبي والواحدي ولأصحاب السير، قال: وأخرجه ابن إسحاق في «السيرة»: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، فذكر الغزوة بطولها، والقصة المذكورة باختلاف يسير، وكذا أخرجه الطبري من طريقه، وأصل القصة في «الصحيحين» من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول... الحديث. وأوله عندهما أيضاً من طريق عمرو بن دينار عن جابر قال: كنا في غزوة بني المصطلق، ففتح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار... قال: ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق أبي سعد الأودي: حدثنا زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب، فكانا نبتلر الماء، وكان الأعراب يسبقونا، سبق أعرابي فلما الحوض فذكر القصة بطولها، وفي سياقها اختلاف.

(٢) يعني قوله: يا أبا حباب إنه قد نزلت فيك آيات شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، والصحيح الأول.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَتَّبِعُكَ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَفَعَدَّوْا إِلَيْنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَجَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَرٌ لَا يَقْهَوْنَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَجَنَّبَكْ أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِرُ كُلُّ مَنِيْعٍ عَلَيْهِمْ هُرُّ الْمَدْدِ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَكِّدُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿قَالُوا نَتَّبِعُكَ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهاهنا تم الخبر عنهم. ثم ابتدا فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذبين، لأنهم أضمرنا غير ما أظهروا. قال الفراء: إنما كذب ضميرهم. ﴿أَفَعَدَّوْا إِلَيْنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في [المجادلة: ١٦]. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أن قول القائل: «أشهد» يمين، لأنهم قالوا: «نشهد» فجعله يميناً بقوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّوْا إِلَيْنَهُمْ جُنَّةً﴾ وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأغزم، وأخلف، كلها أيمان. وقال الشافعي: «أقسم» ليس بيمين. وإنما قوله: «أقسم بالله» يمين إذا أراد اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الكذب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السر ﴿فَطَجَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَرٌ لَا يَقْهَوْنَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَجَنَّبَكْ أَجْسَامَهُمْ﴾ يعني: أن لهم أجساماً ومناظر. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً، ذُلَّ اللسان<sup>(٢)</sup>، فإذا قال، سمع النبي ﷺ قوله. وقال غيره: المعنى: تصني إلى قولهم، فتخيب أنه حق. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: وحزمة: «خُشْبٌ» بضم الخاء، والشين جميعاً، وهو جمع خشبة. مثل ثَمَرَةٍ، وثَمَرٍ. وقرأ الكسائي: بضم الخاء، وتسكين الشين، مثل: بَذَنَةٍ، وبُذْنٍ، وأَكْمَوٌ، وأُكْمٌ. وعن ابن كثير، وأبي عمرو مثله. وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: «خُشْبٌ» بفتح الخاء، والشين جميعاً. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران بفتح الخاء، وتسكين الشين، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهيم والاستبصار بمنزلة الخُشْبِ. والمُسْنَدُ: الممالة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتمي، بل خُشْبٌ مُسْنَدٌ إلى حائط. ثم عابهم بالجبن فقال تعالى: ﴿يَحْسِرُونَ كُلُّ مَنِيْعٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى:

لَوْ أَنَّهُا عُضْفُورَةٌ لَحَبِئَتْهَا

مُسُوْمَةٌ تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمًا<sup>(٣)</sup>

أي: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

قوله تعالى: ﴿هُرُّ الْمَدْدِ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي: لا تأمنهم على سِرِّكَ، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. ﴿فَنَلَّهَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَكِّدُونَ﴾ مفسر في [براءة: ٣٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْسِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْصُرُوا بِرَأْيِهِ الْفِتْرَةَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْهَوْنَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ

(١) قال القرطبي في «تفسيره»: من قال: أقسم بالله، أو أشهد بالله، أو أحرمت بالله، أو أحلف بالله، أو أقسمت بالله، أو أشهدت بالله، أو أهرمت بالله، أو أحلفت بالله، فقال في ذلك كله «بالله» فلا خلاف في أنها يمين. قال: وكذلك عند الله وأصحابه إن قال: أقسم، أو أشهد، أو أحرمت، أو أحلف، ولم يقل: «بالله» إذا أراد «بالله»، قال: وإن لم يرد «بالله» فليس بيمين، قال: حكاة الكفاة عن الشافعي، قال الشافعي: إذا قال: أشهد بالله ونوى اليمين كان يميناً، قال: وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أشهد بالله لقد كان كذا، كان يميناً، ولو قال: أشهد لقد كان كذا دون النية كان يميناً، لهذه الآية، لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة، ثم قال: ﴿أَفَعَدَّوْا إِلَيْنَهُمْ جُنَّةً﴾ قال: وعند الشافعي لا يكون ذلك يميناً وإن نوى اليمين، لأن قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّوْا إِلَيْنَهُمْ جُنَّةً﴾ ليس يرجع إلى قوله: ﴿قَالُوا نَتَّبِعُكَ﴾ وإنما يرجع إلى ما في [براءة] من قوله تعالى: ﴿يَحْسِرُونَ كُلُّ مَنِيْعٍ عَلَيْهِمْ﴾ والله ما قالوا.

(٢) أي طلق اللسان، يقال: تكلم فلان بلسان ذلق طلق. أي: فصيح بليغ. قال في «اللسان»: لسان ذلق طلق، وذلق طلق، وذلق طلق، وذلق طلق، أي لغات فيها، والغليق: النصح اللسان.

(٣) البيت للعوام بن شاذب، الشيباني، وهو في «مشكل القرآن» ٦، و«غرب القرآن» ٤٦٨، و«الناقص» ٥٨٥، و«العقد الفريد» ١٩٥/٥، و«معجم الشعراء» ٣٠٠، و«عيون الأخبار» ١/١٦٦، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: زعم، و«القرطبي» ٢٨/١٢٦، و«أزعم» بطن من بني يربوع.

يَتَّبِعُوا الْآذَلَّ وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بينا سببه في نزول السورة ﴿لَوْزًا رُؤُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: ﴿لَوْزًا﴾ بالتخفيف. واختار أبو عبيدة التشديد. وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرة بعد مرة. قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أبي: تعال يستغفر لك رسول الله لوى رأسه، قال: ماذا قلت؟ وقال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار. وقال الفراء: حركوها استهزاء بالنبي وبدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْنَهُمْ صُذْرُونَ﴾ أي: يعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: متكبرون عن ذلك. ثم ذكر أن استغفاره لهم لا يضعهم بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بالمد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قد بينا أنه قول ابن أبي. و ﴿تَنْفِقُوا﴾ بمعنى: ينفقوا. ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات. والمعنى: أنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك، ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن الله رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم. ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا﴾ من هذه الغزوة. وقد تقدم ذكرها وهذا قول ابن أبي ﴿لِنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ﴾ يعني: نفسه، وعن يـ ﴿الْآذَلَّ﴾ رسول الله ﷺ. وقرأ الحسن: ﴿لِنُخْرِجَنَّ﴾ بالنون مضمومة وكسر الراء ﴿الْأَعَزَّ﴾ بنصب الزاي [والآذل منصوب] على الحال [بناء على جواز تعريف اليحال، أو زيادة «ال» فيه، أو بتقدير «مثل»]. المعنى: لنخرجنه ذليلاً على أي حال ذل. والكل نصبوا [الآذل] فرد الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ﴾ وهي: المنعة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا الَّذِي نَذَرْتُكَ إِلَيَّ أَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تشغللكم. وفي المراد بذكر الله هاهنا أربعة أقوال: أحدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الصلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك. والرابع: أنه على إطلاقه. قال الزجاج: حطهم بهذا على إدامة الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زكاة الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه النفقة في الحقوق الواجبة بالمال، كالزكاة والحج، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروى عن الضحاك. والثالث: أنه صدقة التطوع، ذكره الماوردي. فعلى هذا يكون الأمر ندباً، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميت.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا الَّذِي نَذَرْتُكَ إِلَيَّ أَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: هلاً آخرتي [إلّا أكل أجلي قريب] يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدق ويحكي، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقْ﴾ قال أبو عبيدة: «فأصدق» نصب، لأن كل جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: مَنْ عندك فأتيتك. هلاً فعلت كذا فافعل كذا، ثم تبعها ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بغير واو. وقال أبو عمرو: إنما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخط. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء، وهكذا يقرأها أبو عمرو «وأكون» بالواو، ونصب النون. والباقون يقرأون «وأكن» بغير واو. قال الزجاج: من قرأ «وأكون» فهو على لفظ فأصدق. ومن جزم «أكن» فهو على موضع «فأصدق»، لأن المعنى: إن أخبرني أصدق وأكن. وروى أبو صالح عن ابن عباس «فأصدق» أي: أركي مالي «وأكن» من الصالحين أي: أخرج مع المؤمنين، وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ والمعنى: بما تعملون من التكذيب بالصدقة. قال مقاتل: يعني المنافقين. وروى الضحاك عن ابن عباس: ما من أحد يموت، وقد كان له مال لم يركه، وأطاق الحج فلم يحج، إلا سأل الله الرجعة عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: أنا أتلو عليكم به قرآنا، ثم قرأ هذه الآية (١).

(١) في سنده انقطاع كما قال ابن كثير، والله أعلم.



## سورة التغابن

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك. وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ﴾ واللذان بعدها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْجُدْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الثَّلَاثُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَتَكُونُوا كَافِرًا وَمَنْ مَزَّيْنًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُظْهِرُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَتَرَى بِأَيْدِيكَ بَنَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهمْ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِهِ خَلْقٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَعْزُوتُنَا فَنَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَآتَيْنَاهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾

وقد سبق تفسير فاتحتها إلى قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا كَافِرًا وَمَنْ مَزَّيْنًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، رواه الوالبي عن ابن عباس. والأحاديث تعضد هذا القول، كقوله عليه الصلاة والسلام: «خلق فرعون في بطن أمه كافرًا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا»<sup>(١)</sup>، وقوله: «فيؤمر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقي، وأجله، وعملي، وشقي أم سعيد»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿وَتَكُونُوا كَافِرًا وَمَنْ مَزَّيْنًا﴾، واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال: أحدها: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء. والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج<sup>(٣)</sup>. والكفر بالخلق مذهب الدهرية، وأهل الطبايع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله. وقرأ الأعمش «صوركم» بكسر الصاد. ويقال في جمع صورة: صُور، وصُور، كما يقال في جمع لحية: لِحَى، وَلَحَى. وذكر ابن السائب أن معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أحكمها. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا كَافِرًا وَمَنْ مَزَّيْنًا﴾ روى المفضل عن عاصم «يسرون» و«يعلنون» بالياء فيهما: ﴿أَتَرَى بِأَيْدِيكَ بَنَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا خطاب لأهل مكة خوفهم ما نزل بالكفار قبلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَشْرَ﴾ أي: ناس مثلنا ﴿يَعْزُوتُنَا﴾؟ والبشر اسم جنس معناه الجمع، وإن كان

(١) ذكر هذا الحديث السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية ابن عدي، والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرًا» قال الحافظ المنائي في «فيض القدير»: وكذا رواه الديلمي عن ابن مسعود، وفي سنده محمد بن سليم العبدي الراسبي، قال النسائي: ليس بالقوي في الحديث، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق فيه لين.

(٢) هو قطعة من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

(٣) جاء في «القرطبي» ١٨/١٣٣: وقال الزجاج - وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة -: إن الله خلق الكافر، وكفره ففعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، إيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنه، ورواه بنحوه الترمذي في «جامعه» ١٦٥/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، =



(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِن كَانِ يَتَّبِعُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا يخرج من بيوتهم إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبيتة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبيتة، تشمل الزنى كما قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو قلابة، وأبو صالح، والضحاك، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والسدي، وسعيد بن أبي هلال، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نذرت المرأة، أو بلغت على أهل الرجل، وأذنتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب، وابن عباس، وعكرمة وغيرهم.

تَسْمُوهُ أَي: أتم فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لِمَلَّ اللَّهُ بِحَدِّكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يوقع في قلب الزوج المحبة لرجعتها بعد الطَّلَاق والطلاقين. وهذا يدل على أن المستحب في الطلاق تفرقه، وأن لا يجمع الثلاث.

﴿إِذَا بَلَغَ الْبُغْلُ أَهْلَهُ فَأَمْسِكُوهُ بِمَرْوٍ أَوْ فَاوْهُنَ بِمَرْوٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَفَّى بَعْدَ مَا يُوعَدُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْبُغْلُ أَهْلَهُ﴾ أي: قاربن انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُ بِمَرْوٍ﴾ وهذا مبين في [البقرة: ٢٣١] ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ قال المفسرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة. واختلف العلماء: هل الإشهاد على المراجعة واجب، أم مستحب؟ وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قولان<sup>(١)</sup> ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أشهدوا بالحق، وأدوها على الصحة، طلباً لمرضاة الله، وقياماً بوصيته. وما بعده قد سبق بيانه [البقرة: ٢٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فذكر أكثر المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابناً له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقة، فقال: اتق الله، واصبر، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي معناها للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: ومن يتق الله يُنَجِّهِ من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس. والثاني: بأن مَخْرَجَهُ: علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع، من قِبَلِ الله، وهو معنى قول ابن مسعود. والثالث: ومن يتق الله، فيطلق للشئ، ويراجع للشئ، يَجْعَلُ له مخرجاً، قاله السدي. والرابع: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب. والخامس: يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، قاله الزجاج. والصحيح أن هذا عام، فإن الله تعالى يجعل للنقي مخرجاً من كل ما يضييق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة. قال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما يضييق على الناس ﴿وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو. قال الزجاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على الشئ، رزقه الله أهلاً بدل أهله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: مَنْ يَتَّقِ به فيما نابه، كفاه الله ما أهّمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ وروى حفص، والمفضل عن عاصم «بالحق أمره» مضاف. والمعنى: يقضي ما يريد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: أجلاً ومنتهاً ينتهي إليه، قدر الله ذلك كله، فلا يقدم ولا يؤخر<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقدر متى يكون هذا الغني فقيراً، وهذا الفقير غنياً.

﴿وَالَّذِي يَتَّقِ مِنَ الْمَرْجُوعِ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَحْضُرُ وَأُولَئِكَ الْأَنْحَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَزْلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَكْرَامًا ۝﴾

(١) وقال عطاء: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهداً عدل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ إلا أن يكون من عذر. وروى أبو داود في «سننه» رقم (٢١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين ﷺ سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها؟ فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تُؤَدُّ. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «بلوغ المرام».

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٤ بغير سند. وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٣٣/٦ من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وينحوه من رواية الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق جوير عن الفضاك عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلًا قال: نزلت في رجل من أشجع، فذكره بنحوه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٤: رواه التلميذ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: وروى الحاكم من طريق سالم أبي الجعد عن جابر قال: نزلت هذه الآية في رجل من أشجع... فذكره. قال: وفيه عيب بن كثير تركه الأذري.

(٣) روى أحمد في «السنن»، والترمذي في «سننه» عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفوك بشيء لم ينفكوا إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، راعمت الأقلام، وجفت الصحف» قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرتقكم كما يرتق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً» قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي. ومعنى خماصاً: جياً، وطاناً: شباعاً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَنْهَىٰ مِنَ الْمَخِيضِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها لما نزلت عِدَّة المطلقة، والمتوفى عنها زوجها في [البقرة ٢٢٧، ٢٢٨] قال أُبَيُّ بن كعب: يا رسول الله: إن نساء من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «وما هو؟» قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْنَكَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨] قال خُلاَّد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله، فما عِدَّة التي لا تحيض، وعِدَّة التي لم تحض، وعِدَّة الحُبلى؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتكم فلم تَدْرُوا ما عِدَّتِهِنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: المراد بالارتباب هاهنا: ارتباب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتباب المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية. ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجه الخطاب إليهن، فقيل: إن ارتبتين، أو ارتبتين، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن. وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة. والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة. فإن حاضت قبل السنة بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تَمَّت السَّنَةُ من غير حيض، حَلَّت، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبداً حتى يعلم براءة رحمها قطعاً، وهي أن تصير في حد لا يحيض مثلها، فتعد بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضاً، لأنه كلام لا يستقل بنفسه، فلا بد له من ضمير وضميره تقدم ذكره مظهراً، وهو العدة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعد ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعد سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَخْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصَغْنَ حَلَّتْهُنَّ﴾ عامٌ في المطلقات، والمتوفى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود البصري، وأبي هريرة، وقضاء الأمصار. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعد آخر الأجلين. ويدل على قولنا عموم الآية. وقول ابن مسعود: من شاء لاعتته ما نزلت ﴿وَأُولَئِكَ الْأَخْمَالُ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها<sup>(٤)</sup>، وقول أم سلمة: إن سبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: فيما أمر به ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ يُسْهَلْ﴾ عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٤ عن عمرو بن سالم، ورواه نحوه ابن جرير الطبري ١٤١/٢٨، والحاكم ٤٩٢/٢ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٤/٦ وزاد نسبه لإسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنه» عن أبي بن كعب ؓ.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٤ عن مقاتل بغير سند. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن قتادة.

(٣) قال ابن كثير: وهذا مروي عن سعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى. وذكر أنه يحتاج لذلك بحدث عمرو بن سالم الذي تقدم ذكره. (٤) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٦: أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: تعد آخر الأجلين، فقال: من شاء لاعتته، إن الآية التي نزلت في سورة النساء القصص (يريد بذلك سورة الطلاق) نزلت بعد سورة [البقرة] ﴿وَأُولَئِكَ الْأَخْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصَغْنَ حَلَّتْهُنَّ﴾ بكذا وكذا شهر، فكل مطلقة أو متوفى عنها زوجها فأجلها أن تضع حملها.

رواه البخاري في «صحيحه» ٥٠١/٨ عن أم سلمة قالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها. قال ابن كثير: هكذا أورد البخاري هذا الحديث هاهنا مختصراً، وقد رواه مسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه أخر، وذكره من رواية أحمد ثم قال: ورواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن أم سلمة ؓ. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٦/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه.

الأكثرين. وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق الشئ، يجعل الله له من أمره يسراً في الرجعة ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ أي: يمحي عنه خطاياه: ﴿وَيُخَوِّضْ لَكَ أَمْرًا﴾ في الآخرة.

﴿أَتَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا تَضَارُّهُمْ لِمُصِيقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أَزَلْتَ حَتَّى فَلَا تَفِيْقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصْنَعُوا حَمَلَهُمْ إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوُوهُمْ أَجْرُهُمْ وَأَنْبَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَقَارَضْتُمْ فَسَرِّضْ لَكُمْ أُخْرَى ۖ﴾ لِيُفِيَقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعِيْقِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا مَاتَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ و «من» صلة قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قرأ الجمهور بضم الواو. وقرأ أبو هريرة، وأبو عبد الرحمن، وأبو رزين، وقتادة، وزوج عن يعقوب بكسر الواو. قرأ ابن عمر، وابن أبي عبله، وأبو حيوة: بفتح الواو. قال ابن قتيبة: أي: يقدّر وسعيكم. والوجد: المقدرة والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وجيد. قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان مؤسماً عليه، وسع عليها في المسكن والثقة، وإن كان مقترراً عليه، فعلى قدر ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضَارُّهُمْ﴾ بالنضيق عليهن في المسكن والنفقة، وأنتم تجدون سعة. قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرِي لَكُلِّ اللَّهُ حَدِيثٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ﴾ [الطلاق: ٦]. وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ لَأْهُنَّ فَاتَمُكُونَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] فدل ذلك على أنه أراد الرجعية. وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى. وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقال مالك والشافعي: لها السكنى، دون النفقة. وقد رواه الكوسج<sup>(١)</sup> عن أحمد. ويدل على الأول حديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال لها: «إنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة، فإذا لم يكن له عليها، فلا نفقة ولا سكنى»<sup>(٢)</sup>. ومن حيث المعنى: إن النفقة إنما تجب لأجل التمكن من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها. واختلفوا في الحامل، والمتوفى عنها زوجها، فقال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو العالية، والشعبي، وشریح، وإبراهيم: نفقتها من جميع المال، وبه قال مالك، وابن أبي ليلى، والثوري. وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوُوهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني: أجرة الرضاع. وفي هذا دلالة على أن الأم إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثلاً، لم يكن للأب أن يسترضع غيرها ﴿وَأَنْبَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: لا تشط المرأة على الزوج فيما يطلبه من أجرة الرضاع، ولا يقصر الزوج عن المقدار المستحق ﴿وَإِنْ تَقَارَضْتُمْ﴾ في الأجرة، ولم يراض الوالدان<sup>(٣)</sup> على شيء ﴿فَسَرِّضْ لَكُمْ أُخْرَى﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، أي: فليسترضع الوالد غير والدته الصبي. ﴿لِيُفِيَقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعِيْقِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق عليه من المطلقين. وقرأ أبي بن كعب، وحמיד «قُدِّرَ» بضم القاف، وتشديد الدال. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «قُدِّرَ» بفتح القاف وتشديد الدال «رِزْقُهُ» بنصب القاف ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر ما أعطاه ﴿لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا مَاتَهَا﴾ أي: على قدر ما أعطاه من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: بعد ضيق وشدة، غنى وسعة، وكان الغالب عليهم حينئذ الفقر، فأعلمهم أنه سيفتح عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَلَّيْنِ مِّن قَرْبَيْهِ عَنِّ أَمْرِ رَجَا وَيُسْلُو. فَكَاسَتْهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَهَا عَدَابًا لَّكُمَا ۝٨﴾ فَذَاتَ وَكَالَ أَمْرَهَا وَكَانَ عَيْنُهُ أَمْرَهَا خُتْرًا ۝٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الْكَاتِبَ الَّذِينَ كَاتَبُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِلَيْنَا ۝١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيتَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ

(١) هو إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، وهو الذي دوّن المسائل الفقهية عن الإمام أحمد بن حنبل، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وهو ثقة ثبت من رجال الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٥١هـ).

(٢) رواه أحمد في «المسنَد» ٣٧٣/٦ فاطمة بنت قيس وهو جزء من حديث طويل. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٠٨/٧: تفرد برفعه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، قال: وقد تابعه في رفعه بعض الرواة، قال في «الفتح»: ولكنه أضعف من مجالد، وهو في أكثر الروايات موقوف عليها، والرفع زيادة يتعين قولها لما بيّنا في غير موضع، ورواية الضعيف مع الضعيف توجب الارتفاع عن درجة السقوط إلى درجة الاعتبار.

(٣) في الأصل: الولدان.



مَاتُوا وَكَلِمَاتُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى التُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ أي: وكم ﴿مِنْ قَرِينَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، أي: عن أمر رسله. والمعنى: عتا أهلها. قال ابن زيد: عتت، أي: كفرت، وتركت أمر ربها، فلم تقبله. وفي باقي الآية قولان: أحدهما: أن فيها تقديمًا، وتأخيرًا. والمعنى: عذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع، والسيف، والبلايا، وحاسبتها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابن عباس، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: حاسبتها بعملها في الدنيا، فجازيها بالعذاب على مقدار عملها، فذلك قوله تعالى: «وَعَذَّبْنَاهَا» فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والتكر: المنكر ﴿فَنَذَفْتُمْ كِلَا أُنْحَارًا﴾ أي: جزء ذنبها. ﴿وَكَانَ عَقِبُهُ آتْرَافًا خُشْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَنْكُورًا﴾ أي: قرآنًا ﴿رَسُولًا﴾ أي: وبعثه رسولاً، قاله مقاتل. وإلى نحوه ذهب السدي. وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبرائيل، فعلى هذا: يكون الذكر والرسول جميعاً منزّلين. وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدّم [البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩] إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَمْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ يَنْتَهِى لَهَا الْأَنْهَارُ يَبْنِي السَّمَاءَ لَهَا أَنْبَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ﴾ أي: وخلق الأرض بعددهن<sup>(١)</sup>. وجاء في الحديث: كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك<sup>(٢)</sup>. وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى، فهذا الحديث [تارة] يرفع إلى ابن عباس، وتارة يوقف على أبي الضحى<sup>(٣)</sup>، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقاً من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذرئته في السّنّ والقدّم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم. وقال كعب:

(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ﴾ أي: سبعاً أيضاً، كما ثبت في «الصحيحين»: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوفه من سبع أرضين» وفي «صحيح البخاري»: «خسف به الله سبع أرضين» قال: ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجمة، وأغرق في التزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند. وقد صح من رواية البخاري وغيره قوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أظللن» الحديث.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٥٣/٢٨، وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على الجهمية» ص ٢٦ طبع المكتب الإسلامي من طريق عاصم عن زاذ عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً عليه قال: خلق الله سبع سموات، غلط كل واحدة مسيرة خمسمائة عام، وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جل ثناؤه فوق الماء، ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، والأرض سبع، وبين كل أرضين خمسمائة عام، وغلط كل أرض خمسمائة عام. وإسناده حسن ولكنه موقوف. ورواه مرفوعاً أحمد في «المسنند» رقم (١٧٧٠) و (١٧٧١)، وأبو داود رقم (٤٧٢٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، وفي سننه عندهم عبد الله بن عميرة وهو مجهول، وفيه أسطورة الأوعال. ورواه الترمذي ١٦٢/٢ من رواية الحسن بن أبي هريرة وليس فيه ذكر الأوعال وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وروى شريك بعض هذا المعنى عن سماك ووقفه، فالحديث لا يصح مرفوعاً، وهو حسن موقوفاً والله أعلم.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٢٨٥/٤: وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أحمد بن يعقوب، ثنا عبيد بن غنام الحنفي، أنا علي بن حكيم، ثنا شريك، عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ يَنْتَهِى لَهَا الْأَنْهَارُ يَبْنِي السَّمَاءَ لَهَا أَنْبَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قال: في كل أرض نبي كنبكم، وأدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. قال: ثنا رواء البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ الْغَيْثُ يَنْتَهِى لَهَا الْأَنْهَارُ يَبْنِي السَّمَاءَ لَهَا أَنْبَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قال: ثم قال البيهقي: إسناده هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرّة، لا أعلم لأبي الضحى عليه متاباً، والله أعلم.

وقال ابن كثير أيضاً في «البداية والنهاية» ٢١/١: وهو محمول - إن صح نقله عن ابن عباس - على أنه أخذه ﷺ عن الإسرائيليات، والله أعلم.



ساكن الأرض الثانية: البحر العميق، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ أَلَمْ يَبَيِّنْ﴾، في الأمر قولان: أحدهما: قضاء الله وقدره، قاله الأكثرون. قال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضاؤه. والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء<sup>(٣)</sup>.



(١) وهذا أيضاً - والله أعلم - من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن أهل الكتاب.

(٢) قال ابن جرير: وقوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّى الْأَمْرَ يَتِيمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقلوه: ﴿يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. يقول تعالى ذِكْرُه: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك، كي تعلموا أيها الناس أنه قَدَرْتَه وسلطانَه، وأنه لا يتعذر عليه شيء أرادَه، ولا يستعجز عليه أمر شاءَه، ولكنه على ما يشاء قدير ﴿وَأَنَّ اللَّهَ فَدَّ السَّاعَةَ يَكُنِّي عَيْنَهُ﴾ يقول جل ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. يقول جل ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على كل شيء قدير، ومحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيا عليكم ليجازيكم بها، يوم تجزى كل نفس ما كسبت.

## سورة التحريم<sup>(١)</sup>

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ مَرَضَاتُ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ مَخْلَعًا أَمِينَكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِمْ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَنظَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بِمَقْعِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْأَنَاهُ هَذَا قَالَ نَبِيُّ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ ۝ إِنْ نَبَأْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُنَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُؤْمِنَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ فَيُنْكِحَ عِيْدَتِي سَبِيحَتِي فَيُنْكِحَ وَأَنْكَارًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تَتَحَدَّثُ عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم [الذي] يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة. فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت من كان عندك. والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ: «والله لأَرْضِيَنَّكَ، وَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاخْفِظِي»، قالت: وما هو؟ قال: «إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنْ سِرَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رَضِيَ لَكَ»، وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري، إن النبي ﷺ قد حرَّم عليه فاتته، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقد روي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جاريته؟! فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: «لا تذكره لأحد»، فذكرته لعائشة، فألَى أن لا يدخل على نساءه شهرًا، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup> وقال الضحاک: قال لها: «لا تذكره لعائشة ما رأيت»، فذكرته، فغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، والأكثر. والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحُلُوءَ والعسل<sup>(٥)</sup>، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نساءه، فدخل على حَفْصَةَ بنت عمر، احتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةً من عسل<sup>(٦)</sup>، فسقت رسول الله ﷺ، فقلت: أما والله لنحتالَنَّ له<sup>(٧)</sup>، فقلت لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولِي له: يا رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولِي؛

(١) ويقال لها: سورة التحريم، وسورة «لم تحرم». قال الألويسي: ويقال لها «سورة النبي ﷺ» وعن ابن الزبير: سورة النساء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٥٧/٢٨ عن محمد بن سعد صاحب «الطبقات» من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف. وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٣٩/٦ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٥، قال ابن كثير: وقال الهيثم بن كليب في «مسنده»: ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام» فقالت: أنحرّم ما أحل الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربها» قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ مَخْلَعًا أَمِينَكُمْ﴾ قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، قال: وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المستخرج».

(٤) رواه الطبري ١٥٦/٧٨ وفي آخره: وأمره أن يكفر عن يمينه ويأتي جاريته، وفي سننه انقطاع.

(٥) المراد بالحُلُوء هنا: كل شيء حل، وذكر المسئل بعدها تنبيه على شرفه ومزيمته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وفيه جواز أكل للذيذ الأطعمة والطيّبات من الرزق، وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة، لا سيما إذا حصل اتفاقاً.

(٦) قال الجوهري: العُكَّة: آنية السمن، أو القربة الصغيرة.

(٧) أي لتظنين له الحيلة، وهي الحيل في تدبير الأمور وتقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود.

جَرَسَتْ نَحْلَهُ الْعُرْفُطُ<sup>(١)</sup> وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حَرَمَنَاهُ<sup>(٢)</sup> قلت لها: اسكتي، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أن التي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحاً، ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: «إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه»، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أن التي شرب عندها العسل زينب بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولاً له ذلك القول<sup>(٥)</sup>. قال أبو عبيد: المغافير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلالة.. وخرج الناس يتمغفرون: إذا خرجوا يجتنونه. ويقال: المغافير بالثاء، مثل جدث، وجدف. وقال الزجاج: المغافير: صمغ متغير الرائحة. فخرج في المراد بالذي أحل الله له قولان: أحدهما: أنه جاريته. والثاني: العسل<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَ مَرَضَاتُ أَرْزَاقِكُمْ﴾ أي: تطلب رضاها بتحريم ذلك. ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ غفر الله لك التحريم ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: قد بين الله لكم ﴿عَجَلَةً أَيْمَنَكُمْ﴾ أي: كفارة أيمانكم، وذلك البيان في [المائدة: ٨٩]. قال المفسرون: وأصل «عَجَلَةً» تَحْلِيلَةٌ على وزن تَفْعِلَةٌ، فأدغمت، والمعنى: قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة، فأمره الله أن يكفر يمينه، فأعتق رقبة<sup>(٧)</sup>. واختلفوا هل حرم مارية على نفسه يمين، أم لا؟ على قولين: أحدهما: حرمها من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه حلف يميناً حرمها بها، قاله الحسن. والشعبي، وقتادة<sup>(٩)</sup>، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم.

- (١) أي: رعت نحل هذا العسل الذي شربته، يقال: جرس النحل تجرس جرساً: إذا أكلت لتعسل، ويقال للنحل: جوارس، والعرفط: مفعل جرس، وهو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير، أي لكونها رعته وأخفت منه حصلت هذه الرائحة.
- (٢) حرمناه، هو بتخفيف الراء، أي: منناه منه، يقال فيه: حرمة وأحرمته، والأول أنصح.
- (٣) رواء البخاري في «صحيحه» ١١/ ٢٩٥-٢٩٧ ومسلم ١١٠١/٢ من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها.
- (٤) وقال السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٣٩: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل على حفصة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا مَا كَلَ اللَّهُ لَهُ﴾ الآية. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٢٩٢: وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة... والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير.
- (٥) رواء البخاري ١١/ ١٩٣، ومسلم ١١٠١/٢، قال ابن كثير بعد أن ساق حديث عبيد بن عمير وحديث عروة: وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا يُعد في ذلك، إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم، قال: وما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان، الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس، وفيه أنه سأل عمر بن الخطاب عن الرايتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَزْرًا إِلَيْ اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قَرْيَتًا﴾، فقال: هي عائشة وحفصة. والحديث بطوله أخرجه البخاري ٥٠٣/٨ وغيره.
- (٦) قال الحافظ في «الفتح» ١١/ ١٩٩: وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوب على تحريمه كما اختلف في سبب حله على أن لا يدخل على نساءه على أقوال، فالذي في «الصحيحين» أنه العسل، وقول آخر: إنه في تحريم جاريته مارية، ووقع في رواية يزيد بن رومان عن عائشة عند ابن مردويه ما يجمع القولين، وذكر غيره، ثم قال: والراجح من الأقوال كلها قصة مارية، لاختصاص عائشة وحفصة بها، بخلاف العسل، فإنه اجتمع فيه جماعة منهن، قال: ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أمها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة.
- (٧) ذكر الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٤٠ من رواية ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه: فأعتق رسول الله ﷺ رقبة. قال القرطبي: وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه بعق رقبة وعاد إلى مارية رضي الله عنها، قاله زيد بن أسلم وغيره. وكذلك ذكر الزمخشري والخازن، والشوكاني، والألويسي. وأخرج النسائي ١٥١/٦ من طريق سالم الأفلح عن سعد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً جاءه فقال: إني جعلت امرأتي علي حراماً، قال: كنت ما هي عليك بحرام، ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا مَا كَلَ اللَّهُ لَهُ﴾ ثم قال له: عليك رقبة. وإسناده صحيح. قال الحافظ: وكأنه أشار عليه بالرقبة لأنه عرف أنه موسر، فأراد أن يكفر بالأغلظ من كفارة اليمين، لا أنه تعين عليه عتق الرقبة. وذكره السيوطي في «الدرر» ٦/ ٣٤١ من رواية ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس.
- (٨) رواء ابن جرير ١٥٧/٢٨ من طريق العوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدرر» ٦/ ٢٣٩ من رواية ابن سعد، وابن مردويه عن ابن عباس. قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء معن قال بوجوب الكفارة على من حرم جارية أو زوجة أو طعاماً أو شرباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، قال: وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم يمينهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إن نوى طلاق الزوجة أو عتق الأمة فقد فيها.
- (٩) قال السيوطي في «الدرر»: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن الشعبي وقتادة رضي الله عنهما، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا مَا كَلَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال: حرم جاريته، قال =

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِذِ بَئِذٍ أُزْلِفُوا حُوتًا﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه. وفي هذا السر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قال لها: إني ميسر إليك سرّاً فاحفظيه، سرتي هذه عليّ حرام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي. والثاني: أنه قال لها: «أبوك، وأبو عائشة، وإليها الناس من بعدي، فلياك أن تخبري أحداً»، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي، قاله ميمون بن مهران<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّتْ يَدَهُ﴾ أي: أخبرته به عائشة ﴿وَأَلْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع الله نبيه على قول حفصة لعائشة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، لأنه استكنم حفصة ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعض ما قالت، فذلك قوله تعالى: ﴿عَرَفَ بَهْضَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَهْضِهِ﴾ وفي الذي عرفها إياه قولان: أحدهما: أنه حدثها ما حدثتها عائشة من شأن أبي بكر وعمر، وسكت عما أخبرته عائشة من تحريم مارية، لأنه لم يبال ما أظهرت من ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الذي عرف: تحريم مارية، والذي أعرض عنه: ذكر الخلافة لثلاث يتتشر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>، وهذا اختيار الزجاج. قال: ومعنى «عرف بعضه» عرف حفصة بعضه. وقرأ الكسائي، «عَرَفَ» بالتخفيف. قال الزجاج: على هذه القراءة قد عرف كل ما أسره، غير أن المعنى جارٍ على بعضه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَكْتُمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٩]، أي: يعلمه ويجازي عليه، وكذلك: ﴿فَمَنْ يَكْمُلْ يَشْقَالْ دَرَجَةً خَيْرًا يَسِرُّهُ﴾ [الزلزلة: ٧] أي: يرى جزاءه. فقيل: إن النبي ﷺ طلق حفصة طليقة، فكان ذلك جزاءها عنده، فأمره الله أن يراجعها. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلقها، وإنما هم بطلاقها، فقال له جبريل: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، ثم قرأ ﴿عَرَفَ بَهْضَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَهْضِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن السميع «عُرِفَ» برفع العين، وتشديد الراء وبالف «بعضه» بالخفض.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّا يَدَهُ﴾ أي: أخبر حفصة بإفشاءها السرّ ﴿فَالَتْ مَنْ أَبَاكَ هَذَا؟﴾ أي: من أخبرك بأني أفشيت سرّك؟ ﴿قَالَ نَبَاؤُكَ الْخَيْرُ﴾ ثم خاطب عائشة وحفصة، فقال: ﴿إِنْ نُبَاؤُكَ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال ابن عباس: زاغت، وأثمت. قال الزجاج: عدلت، وزاغت عن الحق. قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيئاً حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زاغت قلوبكما. وإنما جعل

= الشعبي: وحلف يميناً على التحريم، فتابه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين، وقال قتادة: حرماً فكانت يميناً.

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٠٠/١١ من رواية ابن مردويه عن الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتهما فوجدت معه مارية فقال: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك بيشارة، إن أباك يلي هذا الأمر بعد أبي بكر إذا أتت...» قال: وفي سننه ضعف.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ٣٤١/٦: أخرج ابن عساکر عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِذِ بَئِذٍ أُزْلِفُوا حُوتًا﴾ قال: أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي. وهذان الأثران مخالفان للأحاديث الصحيحة، فإنها ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر ﷺ، وإلا لما حصل خلاف في ذلك أبداً، ولكنها تشير إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ، من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «لهي لك أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فلي أعرف أن يمتحن فممن يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فكلت في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرايت إن جئت ولم أجدك - كأنها تريد الموت - قال: «فاتي أبا بكر». وروى الترمذي بسند جيد عن عمر ﷺ قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وقال ﷺ في أبي بكر وعمر فيما رواه الترمذي عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدرى ما بقائي فيكم؟ فافتدوا بالثلثين من بعدي أبي بكر وعمر» وهو حديث حسن، وروى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» وهو حديث صحيح. وروى الترمذي عن عتبة بن عامر قال: قال النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» وهو حديث حسن. وروى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نزل أصحاب النبي ﷺ لا تفاضل فيهم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتهما فوجدت معه مارية، فقال: لا تخبري عائشة، فأخبرتها، فتابته ولم يعاتبها على أمر الخلافة، فلعلها قال الله تعالى: ﴿عَرَفَ بَهْضَهُ وَأَعْرَفَ عَنْ بَهْضِهِ﴾. قاله: وأخرج الطبراني في «الأوسط» وفي «عشرة النساء» عن أبي هريرة نحوه بتمامه، وفي كل منهما ضعف.

(٤) تقدم الحديث في الصفحة ١٤٥٠ بلفظ: فراجعها فإنها صوامة قوامة، هو يدل على أنه ﷺ طلقها، ويؤيده ما رواه أبو داود ٣٨٢/٢ والسنائي ٢١٣/٦ عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وإسناده صحيح.

القلبين جماعة لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة. وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ شَرَوْا الْيَعْرَابَ﴾ [ص: ١١]. قال المفسرون: وذلك أنهم أحبوا ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته، ﴿وَإِنْ تَظْهَرَا﴾<sup>(١)</sup> وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والأعمش «تظاهرا» بتخفيف الظاء، أي: تعاونوا على النبي ﷺ بالإيذاء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي: وليه في العون والنصرة ﴿زَيْبِيلٌ﴾ وليه ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وفي المراد بصالح المؤمنين ستة أقوال: أحدها: أنهم أبو بكر وعمر، قاله ابن مسعود، وعكرمة، والضحاك. والثاني: أبو بكر، رواه مكحول عن أبي أمامة. والثالث: عمر، قاله ابن جبير، ومجاهد. والرابع: خيار المؤمنين، قاله الربيع بن أنس. والخامس: أنهم الأنبياء، قاله قتادة، والعلاء بن زياد العدوي، وسفيان. والسادس: أنه علي عليه السلام، حكاه الماوردي. قاله الفراء: «فصالح المؤمنين» موحد في مذهب جميع، كما تقول: لا يأتييني إلا سائس الحرب، فمن كان ذا ساسة للحرب، فقد أمر بالمجيء، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَسَارِئُ رَاكِبَاتٍ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَاسِرٌ﴾ [المعارج: ١٩] في كثير من القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كُفً بَدَّ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراً، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجميع، ومثله ﴿يَحْزَنُكُمْ لَفْظًا﴾ [غافر: ٦٧]، وقد شرحناه هناك. ثم خوف نساءه، فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ وسبب نزولها ما روى أنس عن عمر بن الخطاب قال: بلغني بعض ما آذى به رسول الله نساؤه، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرهن واحدة واحدة، فقلت: والله لتنتهين، أو ليدلن الله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والمعنى واجب من الله ﴿إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ رسوله ﴿أَنْ يَبُولَهُ أَرْجُلًا خَيْرًا يَنْكُحُ مُسْلِمَاتٍ﴾ أي: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بتوحيد الله ﴿قَاتِنَاتٍ﴾ أي: طائعات ﴿مُسْتَحَبَاتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: صائحات، قاله ابن عباس، والجمهور. قد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿الْمُسْتَحَبَّاتُ﴾ [التوبة: ١١٢]. والثاني: مهاجرات، قاله زيد بن أسلم، وابنه. والثبات جمع ثيب، وهي المرأة التي قد تزوجت، ثم ثابت إلى بيت أبيوها، فعدت كما كانت غير ذات زوج. «والأبكار» العذارى.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْماً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْأَلُونَهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ قُوَّةً إِلَى اللَّهِ قُوَّةً نَصُوبًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سِجَانَكُمْ وَيَخْلُصَ لَكُمْ جَنَّتُ بَقَرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نَوْمَهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا زُكْرًا وَنُكَاحًا وَغَيْرَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قَوْماً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقاية النفس: بامتنال الأوامر، واجتناب النواهي، وقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطاعة، وينهوا عن المعصية. وقال علي عليه السلام: «علموهم وأدبوه»<sup>(٤)</sup>: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وقد ذكرناه في

(١) بحذف إحدى التامين وتخفيف الظاء وهي قراءة حاصم ونافع في رواية، وقرأ الجمهور «تظاهرا» بتشديد الظاء.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَاسِرٌ﴾ فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقرين إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجميع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقره واحداً كان أو جماعة.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ١٦٤/٢٨ وسنده صحيح، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم.

(٤) روي ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قَوْماً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: يفهم: أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية ودعيتهم عنها، وزجرتهم عنها. وقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ إِلَيْكَ بِالْوَسْطِيِّ وَأَصْلَحَ لِنَبِيِّكَ﴾ أي: استغفركم عن عذاب الله بإقامة الصلاة وأصبر أنت على مثلها.

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» ١٨٧/٢، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٩٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أمروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» وهو حديث حسن. ومعنى: فرقوا بينهم في المضاجع: أي: ذكروا كانوا أو إناثاً، وهو من باب سد الذرائع، ومن محاسن هذه الشريعة الفراء. قال ابن كثير: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستتر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق. ويدخل هذا في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا عَلَى الْإِيزِ وَالْقُرْآنِ﴾ والإنسان مسؤول يوم القيامة عن أهله ورجيته، فقد روى البخاري =

[البقرة: ٢٤] ﴿عَلَيْكَ مَلِكُكَ غُلَاطٌ﴾ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غلاط القلوب شِدَادُ الأبدان. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خَزَنَةُ النَّارِ تسعة عشر، ما بين منكي أحدهم مسيرة سنة، وَقُوَّتُهُ: أن يضرب بالمقعدة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفاً، فيهوون في قعر جهنم ﴿لَا يَصُومُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخافون فيما يأمر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يتجاوزون ما يؤمرون. والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخروه ولا يقدمونه. ويقال لأهل النار: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْأَلُونَهُم﴾.

قوله تعالى: ﴿ثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صُورًا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع «نُصُوحًا» بضم النون. والباقون بفتحها. قال الزجاج: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و «فَعُول» من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: يتصحون فيها نصوحاً، يقال: نصحت له نصحاً، ونصاحاً، ونصوحاً. وقال غيره: من ضم أراد: توبة نُصِحَ لأنفسكم. وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أنه لا يعود. وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود. وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ قد بينا معنى «الخزي» في [آل عمران: ١٩٢] وبيننا معنى قوله تعالى: ﴿ثَوْرُهُمْ يَسْتَعِينُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ﴾ في [الحديد: ١٢] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأُ سألوا الله تعالى أن يتم لهم [نورهم]، ويبلغهم به الجنة. قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة. فاما المنافق فيُطْفَأُ نوره، والمؤمن مُشْفِقٌ مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا﴾.

﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ① ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّا زَيَّنَّا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِطِينَ﴾ ② ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَسَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَارِ الْأَثَلِيلِينَ﴾ ③ ﴿وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكِتَابِ رَبِّهَا وَكُنُيُو. وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قد شرحناه في [إبراهيم: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ﴾ قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مقاتل: اسم امرأة نوح «والهة» وامرأة لوط «والغة».

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ يعني: نوحاً ولوطاً ﷺ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهم في الدين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيف بالليل أو قُدت النار، وإذا نزل بالنهار دخت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف. وقال السدي: كانت خيانتهم: كفرهما. وقال الضحاك: نيمتهما. وقال ابن السائب: نفاقهما.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَيَّنَّا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطيع بقوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم ؑ. وقال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة ؓ. ثم ضرب لهما هذا المثل يرغبهما في التمسك بالطاعة. وكانت آسية قد آمنت بموسى. قال أبو هريرة:

«مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

ضرب فرعون لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ أَنِّي لِيَ عِنْدَكَ بَيِّنًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته قبل موتها<sup>(١)</sup> ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: أهل دين المشركين. قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَتَحَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة (الأنبياء: ٩٢) فمن قال: هو فرج ثوبها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مَدَّ جيب درعها، فدخل فيه. ومن قال: هو مخرج الولد، قال: «الهاء» كناية عن غير مذكور، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنها قول جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (مريم: ١٩). والثاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري «بكلمة ربها» على التوحيد. و«وَكُتِبَ»، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «وكتابت» على التوحيد، وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع «وَكُتِبَ» جماعة، وهي التي أنزلت على الأنبياء، ومن قرأ «وكتابه» فهو اسم جنس على ما بيَّنا في خاتمة [البقرة: ٢٨٥] وقد بيَّنا فيها القنوت مشروحاً [البقرة: ١١٦]. ومعنى الآية: وكانت من القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات<sup>(٣)</sup>.



- (١) قال السيوطي في «الدرر» ٢٤٥/٦: أخرج أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة ﷺ، فقالت: ﴿رَبِّ أَنِّي لِيَ عِنْدَكَ بَيِّنًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة.
- (٢) أي: شركه وكفرو، وهذا القول أولى، والمعنى: نجني من نفس فرعون الخيئة وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة غير الله والتعذيب بغير جرم وغير ذلك من قبائحه.
- (٣) قال ابن كثير: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعث إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت الفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى ﷺ.
- (٤) روى البخاري وسليم في «صحيحهما» عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وهي مكة ياجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤]<sup>(٢)</sup>.

(٢) روى أحمد في المستند، وأصحاب السنن الأربعة بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصابئ حتى يخرجه، وهي: ﴿تَبٰرَكَ الَّذِي يَدُوُّ الْمَلَائِكَةُ﴾».



﴿وَيَوْمَ تَقُورُ﴾ أي: تغلي بهم كغلي الرزجل ﴿كَكَادُ تَمِيرُ﴾ أي: تنقطع من تعطيها عليهم ﴿كَلَمَّا أَتَىٰ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعة منهم ﴿سَالَمٌ حَرَّتْهَا آتٌ بِأَذَىٰ نَدِيرٍ﴾ ١٩ وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿إِنِ أَنْتَ إِلَّا فِي سَلْبٍ﴾ أي: في ذهاب عن الحق بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع من يعي ويفكر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل من يُميز وينظر ﴿مَا كُنَّا﴾ من أهل النار ﴿نَسْخَقُ﴾ أي: بُغْدًا. هو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسحق: البعد. وكذلك روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فسحقاً﴾ أي: بُغْدًا. وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سُحُق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ٢٠ وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ إِذَاتُ الشُّدُورِ ﴿٢١﴾ أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٢﴾ هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاتَّشُوا فِي مَنَازِكِهَا وَكَلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٢٣﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سورة [الأنبياء: ٤٩] ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقٌ﴾ ١٩ أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ ١٩ و ﴿اللطيف﴾ مشروح في [الأنعام: ١٠٣] و ﴿الخبير﴾ في [البقرة: ٢٢٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ أي: مُدَلَّلَةً سَهْلَةً لم يجعلها ممتنة بالخزونة والغلظ. قوله تعالى: ﴿فَاتَّشُوا فِي مَنَازِكِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل. والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي: إليه يُعْتَبَرُونَ من قبوركم. ﴿وَأَنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَقُورُ﴾ ٢٠ أَمْ أَنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبَ الْفَلِيقُ فَوَقَّهْمُ سَنَنَاتٍ وَتَقَبُّشٌ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٢٢﴾.

ثم خوف الكفار فقال: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: ﴿وإليه النشور وأنتم﴾ وقرأ نافع، وأبو عمرو: ﴿النشور أنتم﴾ بهزمة معدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿أنتم﴾ بهزتين ﴿مَنَ فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: أنتم عذاب مَنَ في السماء، وهو الله عز وجل؟ ١٩ و ﴿تمور﴾ بمعنى: تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط، ﴿فَسَتَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: كيف كانت عاقبة إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿كَذَّبَ الْفَلِيقُ﴾ أي: إنكاري عليهم بالعذاب. ﴿أَنْتُمْ بَرَأَ إِلَى الْفَلِيقِ فَوَقَّهْمُ سَنَنَاتٍ﴾ أي: تصف أجنتها في الهواء، وتقبط أجنتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿مَا يُنْسِكُهُنَّ﴾ أن يقعن: ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾. ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرُكُ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ ٢١ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٢﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرَفُّكَ إِنْ أَسَّكَ يَرْفُقُ بَلْ لَكُنَا فِي عُرْوٍ وَنُقُورٍ ﴿٢٣﴾ أَفَنَ بَنِي مِثْكَ عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ بَنِي سَوَاءٍ عَلَى حِرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري أيضاً.

وَالْأَجْنَزَ وَالْأَفْنَدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِذُّ عَنِ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجُنْد» مُوحَّد، فلذلك قال تعالى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُنْدَ لَكُمْ ﴿يَصْرُكُم﴾ أي: يمنعكم من عذاب الله إن أَرَادَهُ بكم ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلْوٍ﴾ وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم ﴿إِنَّمَا هَذَا الَّذِي بَرَزْتُمْ لَـهُ﴾ المطر وغيره ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ذلك عنكم ﴿لَجُرَّافٌ عِثَّةٌ﴾ أي: تماد في كفر ﴿وَيُثْقِرُونَ﴾ عن الإيمان. ثم ضرب مثلاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لا يبصر يمينا، ولا شمالاً، ولا من بين يديه. يقال: أَكَبَّ فلانٌ على وجهه بالالف، وكَبِهَ الله لوجهه، وأَرَادَ: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و«السوي»: المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مُكِبًّا على وجهه، والمؤمن يمشي سويًا.

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل. والثاني: يشكرون قليلاً، قاله أبو عبيد.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ أي: خلقكم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون بالوعد: العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: رأوا العذاب قريباً منهم ﴿سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الزجاج: أي: تبين فيها السوء. وقال غيره: قُبِحت بالسواد ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن «تَدْعُونَ» بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وأدعيت، كما يقال: حَبَزْتُ وَاحْتَبَزْتُ، ومثله: يَذْكُرُونَ، وَيَذْكُرُونَ، هذا قول الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدْعُونَ الأباطيل والأكاذيب، تَدْعُونَ أنكم إذا مُثِّمٌ لا تُبْعَثُونَ! وهذا اختيار الزجاج. وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، وابن أبي عبله، ويعقوب: «تَدْعُونَ» بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلُونَ من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يَدْعُونَ بالعذاب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوًّا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ بعذابه ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «معي» بفتح الباء. وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: «معي» بالإسكان، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعدُّبْنَا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ أي يمنعهم ويؤمنهم ﴿مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟! أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ الذي نَعْبُدُ ﴿فَتَسْتَعْمَلُونَ﴾ وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاينة العذاب من الضالِّ نحن أم أنتم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوًّا﴾ قد بيَّنا في [الكهف: ٤١] ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟! أي: بماؤ ظاهر تراه العيون، وتنااله الأرضية.



## سورة القلم

وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا ما حكى عن ابن عباس وقتادة أن فيها من المدني قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْخَمْسَةِ

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَمَنْ خُلِقَ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ فَسَتَجِيرُ وَيُبْيِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمُ الْمَفْضُورُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ مَلَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْزَيْنِ ﴿٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ت﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص: ﴿نُ﴾ والقلم ﴿القلم﴾ النون في آخر الهجاء من نون ظاهرة عند الواو، وهذا اختيار الفراء. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان لا يبين النون من (نون). وبها قرأ الكسائي، وخلف، ويعقوب، وهو اختيار الزجاج. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والأعمش: «نون» والقلم «بكر» النون. وقرأ الحسن، وأبو عمران، وأبو نهيك: ﴿نُ﴾ والقلم «برفع» النون. وفي معنى نون سبعة أقوال: أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة»<sup>(١)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة، وبه قال الحسن وقتادة. والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه الحوت الذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو مذهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أنه لُوح من نور، قاله معاوية بن قرة. والخامس: أنه افتتاح اسمه «نصير»، و «ناصر»، قاله عطاء. والسادس: أنه قَسَمٌ يُضَرُّهُ الله للمؤمنين، قاله القرطبي. والسابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصادق<sup>(٣)</sup>. وفي «القلم» قولان: أحدهما: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه الذي يكتب به الناس<sup>(٤)</sup>. وإنما أقسم به، لأن كتبه إنما تكتب، و «يَسْطُرُونَ» بمعنى: يكتبون. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وفيما أرادوا بما يكتبونه قولان: أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنهم جميع الكتبة، حكاه الثعلبي. ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: ما أنت بإنعام ربك عليك بالإيمان والنبوة بمجنون. قال الزجاج: هذا جواب قولهم: إنك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بنعمة الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبرك على افترائهم عليك، ونسبتهم إليك إلى الجنون ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص، ﴿وَإِنَّكَ لَمَنْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني:

(١) رواه ابن عساکر ١٧/٢٤٧ عن الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة ؓ بأطول منه، وتماه: «ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون - أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فلذلك قوله: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾» ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وهرني لأكملنك فيمن أحببت، ولأقتضنك ممن أبغضت. والحسن بن يحيى صدوق كثير الغلط كما قال الحافظ في «التقريب»، والحديث رواه أحمد في «المسند» ٣١٧/٥ من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه عباد بن الصامت ؓ، وليس فيه ذكر النون في أوله، ولا ذكر العقل في آخره، ورواه الترمذي ١٦٢/٢ بنحو رواية أحمد وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٠٠)، والطبري ١٧/٢٩ وهو حديث صحيح بهذا القدر.

(٢) رواه الطبري ١٤/٢٩، وأبو ظبيان قايوس، فيه لين كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) والصواب أن (نون) من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته، وقد تقدم ذلك.

(٤) قال ابن كثير: والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ الْكِتَابَ فِي الْفَلَقِ﴾ أي: على الفلق، ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ مَا كَرِهَ﴾ فهو قسم منه تعالى وتبنيه لخلقته على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

أدب القرآن، قاله الحسن. والثالث: الطبع الكريم. وحقيقة «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خُلُقاً، لأنه يصير كالخُلقة في صاحبه. فأما ما طبع عليه فيسمى: «الخيم» فيكون الخيم: الطبع الغريزي، والخُلُق: الطبع المُتَكَلَّف. هذا قول الماوردي. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلُقُه القرآن<sup>(١)</sup>. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوله تعالى: ﴿سَبَّيْحُ وَيُسَيْرُ﴾<sup>(٢)</sup> يعني: أهل مكة. وهذا وعيد لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب ببذر. «بأيكم الفتون» وفيه أربعة أقوال: أحدها: الضال، قاله الحسن. والثاني: الشيطان، قاله مجاهد. والثالث: المجنون، قاله الضحاك. والمعنى: الذي قد فتن بالجنون. والرابع: المعذب، حكاه الماوردي. وفي الباء قولان: أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

لَنُخْرِجَنَّ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابَ الْفَلَجِ  
نُضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(٣)</sup>

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفراء، والزجاج. قال الزجاج: ليس كونها لغواً بجائز في العربية في قول أحد من أهلها. وفي الكلام قولان للنحويين: أحدهما: أن «الفتون» هاتنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس هذا معقود رأي، أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره، أي: يسره. والمعنى: بأيكم الجنون. والثاني: بأيكم الفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج. وقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: «في أي الفتون». ثم أخبر أنه عالم بالفرقتين بما بعد هذا.

﴿لَا تُطِيعُ الشَّكَّيْنِ﴾<sup>(٤)</sup> وَدُّوْا لَوْ تَدْرُوْنَ بَيْهَتُونَ<sup>(٥)</sup> وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّيْ مَهِينٍ<sup>(٦)</sup> هَتَاوْ تَشْلَمُ بَيْبِيرٍ<sup>(٧)</sup> مَنَّاغَ لَلخَيْرِ مَعْتَدُوْا أَيْبِرٍ<sup>(٨)</sup> عُمْلِيْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِرٍ<sup>(٩)</sup> أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ<sup>(١٠)</sup> إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>(١١)</sup> سَكَنُ عَلَى الْخُرُوبِ<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تُطِيعُ الشَّكَّيْنِ﴾<sup>(٤)</sup> وذلك أن رؤساء أهل مكة دَعَوْهُ إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدْرُوْنَ بَيْهَتُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فيه سبعة أقوال: أحدها: لو ترخص فبرخصون، قاله ابن عباس. والثاني: لو تُضَايِعُهُمْ في دينك فَيُضَايِعُونَ في دينهم، قاله الحسن. والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل. والرابع: لو تَلَيَّنُوا فيلنوتون لك، قاله ابن السائب. والخامس: لو تنافق وترائي فيناقفون ويرأفون، قاله زيد بن أسلم. والسادس: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهم مَدَّةً، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هو من المداينة. والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك، قاله ابن كيسان<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّيْ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل «مَهِينٍ» وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: المَهِين: الكذاب. واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الأخنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي. والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

(١) هو قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥١/٦، ٥٢، ورواه مسلم ٥١٢/١ بنحو حديث أحمد. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٩٩ مختصراً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأزوده السيوطي في «الدر» ٢٥٠/٦ مختصراً، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها. قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيلاً له وخُلُقاً طبعه وترك طبعه الجبلي، فهما أحره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، لهذا مع ما جبلة الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والعلم، وكل خلق جميل.

(٢) هو لراجز من بني جمعة، كما في «مجاز القرآن» ٥/٢، و«الخرائفة» ١٦٠/٤، و«الانقباض» ٤٥٨، وشواهد «المغني» ١٦٤، و«الطبري» ١٤/١٨ و٢٩/ ٢٠، و«القرطبي» ٣٥/١٢. والفعل يتحرك اللام: موضع لبني جمعة بن قيس بنجد، وهو في أعلى بلاد قيس، والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله «بالفرج»، أي: ونرجو الفرج، وهي زائدة في المفعول به سماعاً، ويروى البيت: نضرب بالبيض وتدعو بالفرج. وكلا الروايتين بمعنى واحد.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودُّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تليين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركوع إلى آلهم فيلنوتون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَيَذَرُكَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كَذَّبْتَ تَرَكَنْهُنَّ ذُنُبًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup> إِنْكَ لَأَذَقْتَهُنَّ يَمَنَ الْآبَةِ رَضَمَ الْكَلْبِ قَالَ: وإنما هو مأخوذ من الذُّهن، شبه التليين في القول بتليين الذُّهن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٠٧/٨ عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿عُمْلِيْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِرٍ﴾<sup>(١)</sup> قال: رجل من قريش له زُمنة مثل زُمنة الشاذ. قال الحافظ =

قوله تعالى: ﴿مَكَارٍ﴾ قال ابن عباس: هو المختاب. وقال ابن قتبية: هو العَيَّاب.

قوله تعالى: ﴿تَشْتَكِي بِبَيْتِهِ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم<sup>(١)</sup> ﴿مَنْعًا لِلْحَيِّرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: مَنْعٌ للحقوق في ماله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مُتَعَدٍّ﴾ أي: ظلوم ﴿أَتَيْرٍ﴾ فاجر ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: مع ما وصفناه به<sup>(٢)</sup>. وفي «العتل» سبعة أقوال: أحدها: أنه العاتي الشديد المنافق، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المتوَقَّرُ الجسم، قاله الحسن. والثالث: الشديد الأثِيرُ. قاله مجاهد. والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة. والخامس: الأكل الشروب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير. والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء. والسابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتبية. وفي «الزئيم» أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّعِي في قریش وليس منهم، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا معروف في اللغة أن الزئيم: هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء. وأبو عبيدة، وابن قتبية. قال حسان:

وَأَنْتَ زَنْيِمٌ نَبِيطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ

كَمَا نَبِيطٌ خَلَفَ الرَّائِبِ الْقَدْحُ الْقَرْدُ<sup>(٣)</sup>

والثاني: أنه الذي يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بِزَنَمَتِهَا<sup>(٤)</sup>، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: أنه الذي له زَنَمَةٌ مثل زَنَمَةِ الشاة. وقال ابن عباس: نُعت قلم يعرف حتى قيل: زئيم، فعرف، وكانت له زَنَمَةٌ في عنقه يعرف بها. ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد، لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعب للناس، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدَّعْوَةُ، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة. والزَنَمَتَانِ: المعلقتان عند حلق المعزى. وقال ابن فارس: يعني التي تتعلق من أذنها. والرابع: أنه الظلوم، رواه الوالي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: «أن كان» على الخبر، أي: لأن كان. والمعنى: لا تقطعه لماله وبنيه. وقرأ ابن عباس بهمزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، وفصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: «أَنَّ كان» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وله وجهان: أحدهما: لأن كان ذا مال تطيعه؟ والثاني: لأن كان ذا مال وبنتين؟ ﴿٢﴾ «إِذَا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ عَيْنَانِ» يكفر بها؟ فيقول: ﴿أَسْطَلُّ الْأَوْبَانِ﴾ ذكر القولين الفراء. وقرأ ابن مسعود: «أن كان» بهزمة واحدة مقصورة. ثم أوعده فقال تعالى: ﴿سَيَسْأَلُ عَنِ الْخُرُومِ﴾ الخروم: الأنف. وفي هذه السمة ثلاثة أقوال: أحدها: سنسمة بالسيف، فنجعل ذلك علامة على أنه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس. والثاني: سنلح به شيئاً لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتبية. والثالث: أن المعنى: سنسود وجهه. قال الفراء: و «الخروم» وإن كان قد خص بالسمة، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤذي عن البعض. وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من أسوداد وجوههم. وجائز - والله أعلم - أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره.

ابن حجر في «الفتح»: اختلف في الذي نزلت فيه، فقليل: هو الوليد بن المغيرة. وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره»، وقيل: الأسود بن عبد يغوث، ذكره سيد بن داود في «تفسيره»، وقيل: الأخنس بن شريق، وذكره السهيلي عن القتيبي. وحكى مذهب القولين الطبري، فقال: يقال: هو الأخنس، وزعم قوم أنه الأسود، وليس به، وأبعد من قال: إنه عبد الرحمن بن الأسود، فإنه يصغر عن ذلك، وقد أسلم، وذكر في الصحابة.

(١) وقد ثبت في «الصحاح» من حديث ابن عباس ؓ قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبيرين، فقال: «إنهما ليعلمبان، وما يعلمبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». وفي «الصحاح» أيضاً من حديث حذيفة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتاتٌ أي: نمام»، كما في رواية أخرى لمسلم.

(٢) في «الصحاح» عن حارثة بن وهب الخزاعي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أتنبئكم بأهل الجنة، كل ضعيف متصطف لو أقسم على الله لأبره، ألا أتنبئكم بأهل النار كل خُلٍ جَوَاطٍ مستكبر». والجَوَاطُ: الجموع المنوع.

(٣) «ديوانه» ١٦٠، و«مجاز القرآن» ٢/٢٦٥، و«الطبري» ٢٩/٢٥، و«القرطبي» ١٨/٢٣٤.

(٤) قال في «المصباح»: الزَنَمَةُ مثال قصبة: المتدلية من الحلق.

﴿إِنَّا بَوَّهْتُمْ كَمَا بَوَّهْنَا أَهْبَابَ لَهْزَةٍ إِذْ أَتَيْنَا بُعِثَرِمْثًا مَّصِيبِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا عَلَيْنَا لَهْزَتٌ مِّنْ رَبِّكَ وَهَرَّ تَابُوتٌ ﴿١٩﴾ فَأَنْبَحَتْ كَالْمَيِّتِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَا مَصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَوِ اقْدُوا عَلَى حَرْزِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَطْلَقُوا وَهَرَّ يَنْفَعُونَ ﴿٢٣﴾ أَوِ لَا يَسْتَنْقِذُ إِلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ يَنْبَحُونَ ﴿٢٤﴾ وَهَرَّ عَلَى حَرْزٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَمَلَكُونَ ﴿٢٦﴾ عَلَى غَيْرِ غَرَضٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَلْتُمْ أَوْ أَمَلْتُمْ لَكُمْ وَلَا تَحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا شَيْعَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِتَ ﴿٢٩﴾ فَأَتَاكَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَبْرُكْتَ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَنِ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَكَ حَرْبًا مِّنَّا إِنَّا لَكِنْ رَبَّانِيَتُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْقَدَابُ وَلَمَّا بَلَغَ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ أَلْوَمَ ﴿٣٤﴾ أَنْجَلُ السَّالِفِينَ كَالْغُرِيِّ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كَيْفَ يَبْدَأُ يَوْمَ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَا تَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ بِبَلَدِكُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذْ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَّمَهُ أَتَاهُمْ بِذَلِكَ رَبِّهِمْ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَمْ شَرَكُوا قَبْلَئِذَا يُشْرِكُهُمْ إِن كَانُوا مَعِينِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَوَّهْتُمْ﴾ يعني: أهل مكة، أي: ابتليناهم بالجوع، والفحط ﴿كَمَا بَوَّهْنَا أَهْبَابَ لَهْزَةٍ﴾ حين هلكت جثثهم

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً. وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينثر عند الدُّراس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاث بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا. فغرموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليفقدوا قبل خروج الناس، فليصرم نخلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَتَيْنَا﴾ أي: جلفوا ﴿بُعِثَرِمْثًا﴾ أي: ليقطعن نخلهم ﴿مَصِيبِينَ﴾ أي: في أول الصباح. وقد بقيت من الليل ظلمة لثلاث يمين للمساكين شيء <sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون. والثاني: لا يستنقذون حق المساكين، قاله عكرمة. ﴿فَلَمَّا عَلَيْنَا لَهْزَتٌ مِّنْ رَبِّكَ﴾ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطائف لا يكون إلا بالليل. قال المفسرون: بعث الله عليها ناراً بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قول تعالى: ﴿فَأَنْبَحَتْ كَالْمَيِّتِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس. والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء. وكذلك قال ابن قتية: أصبحت سوداء كالليل محترقة. والليل: هو الصريم، والصبح أيضاً: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. والثالث: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الشمر، فكانه قد صرم، أي: قطع وجُد، حكاه ابن قتية أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَادَا مَصِيبِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا ﴿أَوِ اقْدُوا عَلَى حَرْزِكُمْ﴾ يعني: الثمار والزروع والأعنان ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: فاطعين للنخل، ﴿فَأَطْلَقُوا وَهَرَّ يَنْفَعُونَ﴾ أي: ذهبوا إلى جثثهم ﴿وَهَرَّ يَنْفَعُونَ﴾ قال ابن قتية: يتساررون بـ ﴿أَوِ لَا يَسْتَنْقِذُ إِلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ يَنْبَحُونَ﴾ وهَرَّ عَلَى حَرْزٍ: فيه ثمانية أقوال: أحدها: على قدرة، قاله ابن عباس. والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية. والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية، والفراء، ومقاتل. والرابع: على أمر مجمع قد أسوسه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة. والخامس: أن الحرد: اسم الجنة، قاله السدي. والسادس: أنه الحق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان. وأشد أبو عبيدة:

أَسْوَدُ شَرِيٍّ لَا تَثُ اسْوَدُ خَفِيٍّ

تَسَاقَوْا عَلَى حَرْزٍ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ <sup>(٢)</sup>

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حَارَدَتِ السَّيَّةُ فليس فيها مطر، وحارَدَتِ الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتية. والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتية. وأنشدوا:

(١) ذكر هذه القصة البخوي في «تفسيره» من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكرها الخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٢) البيت للأشهب بن رُمَيْلة الذي كان يهاجي الفرزدق، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٦٦، و«الكامل» للمبرد ٤٣٨، و«الطبري» ٣٣/١٩، و«القرطبي» ٢/١٧٧، و«السمط» ٣٥، و«معجم ما استمع» ٣/٧٨٥، و«العي» ١/٤٨٢، و«الخزانة» ٢/٥٠٨، و«شري» و«خفية» مأسدتان معروفتان، و«الحرد»: الغضب، من حَرَدَ يَحْرُدُ حَرْدًا، مثل غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا. والأساود: جمع أسود، وهو اسم للحية، ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على «أفاعل»، مثل «أرانب»، ولو كان صفة لجمع على: سود.

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

يَخْرُجُ الْجَنَّةُ الْمُغْلَّةُ<sup>(١)</sup>

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيها لغتان: حَرَدٌ، وَحَرَدٌ، كما يقال: الدَّرَكُ، والدَّرَكُ. وفي قوله تعالى: ﴿تَذِيرٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: قادين على جَنَّتِهِمْ عند أنفسهم، قاله قتادة. والثاني: قادين على المساكين، قاله الشعبي. والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون، أي: واجدون، قاله ابن قتيبة. قالوا: ﴿لَا رَأْيَ﴾ محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَنَالُونَ﴾ أي: قد ضللتنا طريق جَنَّتِنَا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ بِمُحْرَضِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: حُرْمَتْنَا تَمَرُ جَنَّتِنَا بمنعنا المساكين ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: أعدلهم، وأفضلهم ﴿قُلْ لَا﴾ أي: هَلَّا ﴿تَسْبِيحٌ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: هلا تَسْتَشْتُونَ عند قولكم: «ليصْرُمُهَا مصيحين» قاله ابن جريج والجمهور. والمعنى: هَلَّا قلتم: إن شاء الله. قال الزجاج: إنما قيل للاستثناء: تسبيح، لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله ﷻ عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله. والثاني: أنه كان استثناءهم قول: «سبحان الله»، قاله أبو صالح. والثالث: هلا تَسْبِيحُونَ الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثعلبي. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ فنزّهوه أن يكون ظالماً فيما صنع، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنعنا المساكين ﴿فَأَنبَلَّ بِصُهُمْ عَلَىٰ بُيُوتِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> أي: يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أَنْتَ أَشْرَيت علينا، ويقول الآخر: أَنْتَ فَعَلْتَ، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: ﴿وَبَيْنَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع آبائنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهَا﴾. وقرأ قوم: «بيدنا» بالتخفيف، وهما لغتان. وفرّق قوم بينهما، فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية. والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه. ونقل أن القوم أخلصوا، فبدلهم الله جَنَّةَ العنقود منها وقرَّبَ بَغْلِي.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أُنَبِّئُكُمْ﴾ ما فعلنا بهم فعل بمن تعدى حدودنا. وهاهنا انتهت قصة أهل الجنة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَكَذَٰلِكَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَمْلِكُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا لنغطي في الآخرة أفضل مما تُعْطُونَ، فقال تعالى مكذباً لهم: ﴿فَتَجَمَّلَ الشَّيْطَانُ كَلِمَتَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup>؟ قال الزجاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاهنا مجاز التوبيخ، والتقرير.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تقضون بالجور ﴿إِنَّمَا لَكُمْ كِتَابٌ﴾ أنزل من عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون ما فيه ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَا تَحْزَنُونَ﴾ أي: ما تختارون وتشتنون. وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وأبو عمران: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تفريع لهم، وتوبيخ على ما يتمنون من الباطل ﴿سَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِذَٰلِكَ رَيْبٍ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّمَا لَكُمْ إِئْتِنَا بِلَفَةٍ﴾ أي: ألكم عهد على الله تعالى حلف لكم على ما تَدْعُونَ بأيمان بالغفوة، أي: مؤكدة. وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ. ويجوز أن يكون المعنى: بالغة إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمان إلى يوم القيامة في لزومها وتوكيدها. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَأَ تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفراء: والقرءاء على رفع «بالغة» إلا الحسن فإنه نصبها على مذهب المصدر، كقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ [الروم: ٤٧]. ومعنى الآية: هل لكم أيمان علينا بالغة بأن لكم ما تحكمون؟! فلما كانت اللام في جواب «إن» كسرتهَا.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِذَٰلِكَ رَيْبٍ﴾<sup>(٦)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقاتدة. والمعنى: أئْتِهم كفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير. والثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

(١) الرجز غير منسوب «مجاز القرآن» ٢/٢٦٦، «والكامل» ٥٠، «والطبري» ٣٣/٢٩، «والفرطبي» ٣٤٢/١٨، «وشواهد الكشاف» ٢٥٤، وفي «معاني القرآن» للفراء: والحد أيضاً: القصد كما يقول الرجل: قد أقبلت، وقصدت قصدك، وحردت حردك، وأنشدني بعضهم: وجاء سيل كان... وجاء في «الكامل» للمبرد بعد إنشاء البيت: قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطرياً. وأبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من شيوخ أبي العباس، وقوله: «هذه صنعة» يريد حذف الألف من لفظ الجلالة، والألف بـ اسم الله أن ينطق به على أكمل وجه، والمراد بـ «قطري» قطري بن الفجاءة الخارجي. قال المصنف في شرح «الكامل» ١/١٨٠: ومن الغريب من نقل عن ابن السيد شارح الكتاب أن هذا الرجز لقطرب بن المستير تلميذ سيويه.



قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله تعالى، والمعنى: ألهم أرباب يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يشهدون لهم بصدق ما ادَّعَوْا ﴿فَتَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أنها شركاء الله. وإنما أضيف الشركاء إليهم لدَّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١٧) خَشِيعَةً أَمْرُهُمْ زَمَهُمُ اللَّهُ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَاحِلُونَ (١٨) قَدْفٍ وَمِنْ يَكْذِبٍ يَكْذِبُ الْكُذِبُ مَسْتَدْبِرُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ (١٩) وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيْدَ مِتْنٍ (٢٠) أَمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ تَعْمُرٍ ثُنَائُونَ (٢١) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُيُونَ (٢٢)

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ المعنى: فلْيأتوا بها يوم يكشف عن ساق. قرأ الجمهور: «يُكْشَفُ» بضم الياء، وفتح الشين. وقرأ ابن أبي عبلة، وعاصم الجحدري، وأبو الجوزاء، بفتح الياء، وبكسر الشين. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس: «تُكْشِفُ» بئاء مفتوحة، وكسر الشين. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وابن يعمر، والضحاك: «نُكْشِفُ» بنون مفتوحة مع كسر الشين. وهذا اليوم هو يوم القيامة. وقد روى عكرمة عن ابن عباس: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» قال: يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ<sup>(١)</sup>، وأنشد:

وَقَامَتْ الْحَزْبُ بِنَاءً عَلَى سَاقٍ<sup>(٢)</sup>

وهذا قول مجاهد، وقناة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجذب فيه، شمر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، واللغويين. وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى. فروي في «الصحاحين» من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه «يكشف عن ساقه»<sup>(٣)</sup>، وهذا إضافة إليه، لأن الكل له وفعله. وقال أبو عمر الزاهد: يراد بها النفس، ومنه قول علي عليه السلام: أقاتلهم ولو تلفت ساقِي، أي: نفسي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلى لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ﴾ يعني: المنافقين: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ كان في ظهورهم سفايد الحديد. قال النقاش: وليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا، وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم بتركهم السجود ﴿خَشِيعَةً أَمْرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿زَمَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا، ويؤمنون بالصلاة المكتوبة ﴿وَهُمْ سَاحِلُونَ﴾ أي: معافون ليس في أصلاهم مثل سفايد الحديد. وفي هذا وعيد لمن ترك صلاة الجماعة. وكان كعب يقول: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. ﴿قَدْفٍ وَمِنْ يَكْذِبٍ يَكْذِبُ يَكْذِبُ الْكُذِبُ﴾ يعني: القرآن والمعنى: خل بيني وبينه. قال الزجاج: أي: لا تشغل قلبك به، كُله إلي فانا أكفيك أمره. وذكر بعض الفسرين أن هذا القدر من الآية إلى قوله: «الحديث» منسوخ بآية السيف. وما بعد هذا مفسر في [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣] إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ تَعْمُرٍ ثُنَائُونَ﴾ فإنها مفسرة والتي قبلها في [الطور: ٣٩، ٤٠].

﴿قَاتِرٍ يَلْعَبُ رِيَكٍ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوَيْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٢٣) وَلَا أَنْ تَذَكَّرَ يَمَةً مِنْ رَبِّهِ لَيْدٍ بِالْعَمَلِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٢٤) فَاجْتَنِبْ رِيَكٌ فَصَلَّمْ يَنْ الصَّالِحِينَ (٢٥) وَإِنْ يَكُ الْإِنْسَانُ كَفُورًا لَكُفْرَتِكَ بِأَمْرِهِمْ لَنَا سَمْعًا أَلَا تَرْجُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنَ الْعَمَلِ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿قَاتِرٍ يَلْعَبُ رِيَكٍ﴾ أي: اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوَيْتِ﴾ وهو يونس. وفيماذا نُهي أن يكون مثله قولان: أحدهما: أنه العجلة والغضب، قاله قناة. والثاني: الضعف عن تبليغ الرسالة، قاله ابن جرير. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرج يونس من

(١) قال النووي في «شرح مسلم»: فسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي: يكشف عن شدة وأمر مهول.

(٢) هذا البيت من الرجز المشطور، ذكره الطبري ٣٨/٢٩ من رواية ابن حميد عن مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن عباس، ونص رواية عكرمة عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: هو يوم حرب وشدة، ولم يذكر الرجز فيها.

(٣) هو جزء من حديث طويل مشهور في البخاري ٣٥٩/١٣، ومسلم ١/١٦٨، ورواه البخاري مختصراً ٥٠٨/٨ ونصه: عن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيلعب ليسجد ليعود ظهره طبقاً واحداً».



أولي العزم، لأنها خطيئة. ولو قلنا: إن كل مخطئ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى. ثم أخبر عن عقوبته إذ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْشُومٌ﴾ قال الزجاج: مملوء غماً وكرهاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَذَكَّرُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبله: «لولا أن تذاركت» بتاء خفيفة، وبتاء ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال. وقرأ أبو هريرة، وأبو المتكلى: «تذاركه» بتاء واحدة خفيفة مع تشديد الدال. وقرأ أبي بن كعب: «تنداركة» بتاءين خفيفتين. ﴿يَمَّةٌ بَيْنَ رَيمٍ﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿لَيْدٌ أَلَمٌ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بينا معنى «العراء» في [الصفات: ١٤٥]. ومعنى الآية: أنه نَبَذَ غير مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة. وقال ابن جريج: نَبَذَ بالعراء، وهي: أرض المحشر، فالمعنى: أنه كَانَ يَبْقَى مكانه إلى يوم القيامة ﴿فَاتَّبَعْتَهُ رَيمٌ﴾ أي: استخلصه واصطفاه، وخلّصه من الدم ﴿فَجَعَلَهُ بَيْنَ الْعَلَيْنِ﴾ فردّ عليه الوحي، وشقّعه في قومه ونفسه ﴿وَإِنْ يَكَادُ الْيَغْنَمُ كَفَرُوا بِكُرْهُنَّكَ الْأُصْرَارِ﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان بفتحها من رَلَقْتَهُ أَرْزَلَقَهُ، وهما لغتان مشهورتان في العرب. قال الزجاج: يقال: زلق الرجل رأسه وأزلقه: إذا حلقه. وفي معنى الآية للمفسرين قولان: أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً لا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قوم من المفسرين تلقّوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزِلُّقَهُ من شدته، أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعمل في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا:

يَنْتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَوُّوا فِي مَوْطِنٍ      نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ<sup>(٢)</sup>

أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج. ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَنَا يَوْمَ الْأَكْزَرِ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة، فيُجِدُّونَ النظر إليه بالبغضاء. وإصابة العين، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظَنُّ بالكلبي أنه فهم معنى الآية. ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن ابن عباس رضيهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

وروى البخاري وأصحاب «السنن» عن ابن عباس رضيهما قال: كان رسول الله ﷺ يموذ الحسن والحسين يقول: «أهليكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لائمة».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤٨٢، و«مشكل القرآن» ١٣٠، و«البيان والتبيين» ١/١١، و«الصناعين» ٢٨١، و«اللسان»: قرض، وتفسير القرطبي ٢٥٦/٨، و«البحر المحيط» ٣١٧/٨، و«الكشاف» ١٣٢/٤: ١٤٥.



ثلاثة أقوال: أحدها: قرى قوم لوط. والمعنى: وأهل المؤتفكات، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم الذين ائتمنوا بذنوبهم، أي: هلكوا بالذنوب التي معظمها الإفك، وهو الكذب، قاله الزجاج. والثالث: أنه قارون وقومه، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿بِالْمَلَأَيْنَا﴾ قال ابن قتيبة أي: بالذنوب، وقال الزجاج: الخاطئة: الخطأ العظيم. ﴿نَمَسُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلهم ﴿فَلَنَذَعَنَّهُمْ أَغْدًا رَابِعَةً﴾ أي: زائدة على الأحداث ﴿إِنَّا لَنَا مَلَأُ الْمَلَأُ﴾ أي: تجاوز حده حتى علا على كل شيء في زمن نوح: ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني: حملنا آبائكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ وهي: السفينة التي تجري في الماء: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح، ونجاة من حملنا معه: ﴿نَذِيرًا﴾ أي: عبرة، وموعظة: ﴿وَرَبِّهَا أَذُنٌ رَبِيعَةٌ﴾ أي: أذن تحفظ ما سمعت، وتعمل به. وقال الفراء: لتحفظها كل أذن، فتكون عظة لمن يأتي بعده.

﴿وَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ نَذِيرًا وَاحِدَةً﴾ ﴿فَيَوْمَذِي وَقَمَتِ الْوَرْقَةُ﴾ ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَنَظَرُوا رَبَّيْهُمْ وَرَأَوْا كَلُومًا كَلِيمًا﴾ ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحُلُّ حَرُّ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَذِي قَنِينَةٍ﴾ ﴿يَوْمَذِي تَعَرَّضُونَ لَا تُخَفِّى سِكْرًا عَاقِبَةً﴾ ﴿فَأَنَّا مِنْ أَرْوَاهِ كَيْبَةٍ يَسِيرُونَ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَيْبَةً﴾ ﴿إِنِّي لَنَذِيرٌ لِّمَنِ احْتَسِبَ﴾ ﴿فَهُوَ فِي يَمِينِهِ رَأْسِي﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَاطِيَةٍ﴾ ﴿فَلَوْفُهَا دَائِبَةٌ﴾ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أَرِقَ كِتَابَهُ بِشَكَاوِهِ فَيَقُولُ يَلْبَسْتُ لَرَأْتُ كَيْبَةً﴾ ﴿وَلَرَأَى مَا فِي جَنَّةٍ يَكْبِتُهَا كَانَتْ الْغَائِيَةُ﴾ ﴿مَا أَفْنَى عَلَى مَا لَيْتَ﴾ ﴿هَلْكَ عَلَى سُلْطَانِيَّةٍ﴾ ﴿عُدُوهُ فَنَلُّوهُ﴾ ﴿ثَرَى لِلْجَنِّمْ سَأَلُوهُ﴾ ﴿ثَرَى فِي سِلَاسٍ دَرَعُهَا سَبْعُونَ دِرَاهِمًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَلَا يَحْشُرُ عَلَى مَلْعَمِ الْيَسْكِينِ﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَمُّ هُنَا جَبِيمٌ﴾ ﴿وَلَا مَلْعَمٌ إِلَّا مِنْ غِيلِينَ﴾ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفِظْفُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله عطاء. والثاني: الأخيرة، قاله ابن السائب، ومقاتل. ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: حملت الأرض والجبال وما فيها ﴿نَذِيرًا وَاحِدَةً﴾ أي: كسرتا، ودفعتا دفعة واحدة، لا يثنى عليها حتى تستوي بما عليها من شيء، فتصير كالأديم الممدود. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الأعراف: ١٤٣] عند قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّةً﴾. قال الفراء: وإنما قال: فدكتا، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٢٣] وأنشدوا:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسْرَتْ عَنْمَا هُمَا<sup>(١)</sup>

والعرب تقول: قد يسرت الغنم: إذا ولدت، أو تهايت للولادة.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَذِي وَقَمَتِ الْوَرْقَةُ﴾ ﴿٥٦﴾ أي: قامت القيامة ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ لتزول من فيها من الملائكة ﴿فَنَظَرُوا رَبَّيْهُمْ وَرَأَوْا كَلُومًا كَلِيمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وهبها: ضَعَفُهَا وتمزقها من الخوف، قاله مقاتل. والثاني: أنه تشققها، قاله الفراء. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسم جنس ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أي: على جوانبها. قال الزجاج: ورجاء كل شيء: ناحيته، مقصور. والتثنية: رجوان، والجمع: أرجاء. وأكثر المفسرين على أن المشار إليها السماء. قال الضحاك: إذا انشقت السماء كانت الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الله تعالى، فينزولون إلى الأرض، فيحيطون بها، ومن عليها. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: على أرجاء الدنيا.

(١) البيت في تفسير ابن جرير الطبري ٥٦/٢٩، ونسبه في «اللسان»: بسر، والمعنى في شرح شواهد الألفية إلى أبي أسيدة الدبيري، وأنشد في «اللسان» قبله بيتاً آخر هو:

إِن لَنَا سَيِّدَيْنِ لَا يُشْفَعَانِنَا غَنِيَيْنِ لَا يُجِيرِي عَلَيْنَا غَنَامُ

أي: ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غنماهما، أي: كثرت ألبانها ونسلها، والسودد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التنبيه والحلم، وليس عندهما من ذلك شيء، واستشهد المؤلف بهذا البيت على أن الشاعر قال: غنماهما بلفظ التثنية للغنم، مع أن الغنم اسم للجمع، وليس بمفرد، ولكنه عامله معاملة المفرد، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ نَذِيرًا وَاحِدَةً﴾ في حكم المفرد كالأرض، ولذلك قال: فدكتا، ولم يقل: فدككن.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فوق رؤوسهم، أي: العرش على رؤوس الحَمَلَة، قاله مقاتل. والثاني: فوق الذين على أرجائها، أي: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها. والثالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿تَكْتُمُتُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ثمانية أملاك. وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور<sup>(١)</sup>. والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة. والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل. وقد روى أبو داود في «سننه» من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أُفِنِّي لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حِمْلَةِ الْعَرْشِ، أَنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أَذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله لحسابكم ﴿لَا تَخَفْنَ﴾ عليه. قرأ حمزة، والكسائي «لا يخفى» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. والمعنى: لا يخفى عليه ﴿وَمِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: نفس خافية، أو قُلْعَةٌ خافية. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجذال، ومعاذير، وأما الثالثة، فعندها تتطابق الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله»<sup>(٣)</sup>، وكان عمر بن الخطاب يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزبنوا للعرض الأكبر، يومئذ لا تخفى منكم خافية. ﴿يَقُولُ هَازِمٌ﴾ قال الزجاج: «هاؤم» أمر من الجماعة. بمنزلة هاكم. تقول للواحد: ها يا رجل، وللثنتين: هاؤما يا رجلان. وللثلاثة: هاؤم يا رجال. قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجاته. وذكر مقاتل أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي كُنْتُ﴾ أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿إِنِّي كُنْتُ حَكِيمَةً﴾ أي: أبعث، وأحاسب في الآخرة ﴿فَنُفِئَ فِي سَبْعَةٍ﴾ أي: حالة من العيش ﴿رَاضِيَةً﴾ قال الفراء: أي: فيها الرضا. وقال الزجاج: أي: ذات رضى يرضاها من يعيش فيها. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عالية المنازل ﴿فَنُفِئَ فِيهَا﴾ أي: ثمارها ﴿دَائِمَةً﴾ أي: قريبة ممن يتناولها، وهي جمع قطف. والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَأَشْرَبُوا حَيْثُ يَمَّا أَسْلَمْتُمْ﴾ أي: قَدَّمْتُمْ من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ الماضية، وهي أيام الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ كَيْفَ يَشْكُرُ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسد، قتله حمزة بيدر، وهو أخو أبي سلمة. وقيل: نزلت في أبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرَى كَيْفِيَّةَ﴾ وذلك لما يرى فيه من القبايح ﴿وَلَوْ أَنَّكَ مَا حَكِيمَةً﴾<sup>(٤)</sup> لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب، إنما كله عليه. وكان ابن مسعود، وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من «كتايبه»، و«حسابيه» في الوصل. قال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات، ولا توصل، لأنها أدخلت للوقف. وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أحب مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾<sup>(٥)</sup> [البقرة: ١٠].

(١) رواه الطبري من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ، وهو خبر مقطوع. ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «هم اليوم أربعة» يعني حملة العرش «فإذا كانوا يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية» وقد قال الله: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبِيَّةً﴾ وهذا خبر مقطوع أيضاً. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبِيَّةً﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، قال: ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٧٧) وسنده جيد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه أحمد في «المسند»، وابن ماجه ١٤٣٠/٢ من رواية وكيع عن علي بن رفاعه عن الحسن بن أبي موسى. قال البوصيري في «الزوائد»: رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى، قاله علي بن المديني، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وقد رواه الترمذي عن الحسن بن أبي هريرة وقال: لا يصح هذا الحديث من يَبُلُّ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. ورواه الطبري ٥٩/٢٩ من رواية مجاهد بن موسى عن زيد، عن سليمان بن حامد عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله نحوه، وقال ابن كثير: ورواه سعيد بن أبي غريرة عن قتادة مرسلًا مثله.

قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُهُ﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعة للحياة، فكانه تمنى دوام الموت، وأنه لم يُبْعَثْ للحساب ﴿هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ﴾ (١) فيه قولان: أحدهما: ضلّت عني حجتني، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي. والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿خُذْهُ﴾ أي: يقول الله تعالى: ﴿خُذْهُ فَتَلَوْهُ﴾ (٢) أي: اجمعوا يده إلى عنقه ﴿فَرُّ لَلْجِيمِ سَلَوْهُ﴾ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجمعوه يضلّي النار ﴿فَرُّ فِي سَلِيلَةٍ﴾ وهي: خلقٌ منتظمة ﴿ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس: بذراع المَلَك. وقال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كل ذراع سبعون باعاً، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رجة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعاً بالذراع الأول. ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

قوله تعالى: ﴿تَأْسَلُكُونُ﴾ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها. والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْغَظِيْرِ﴾ (٣) أي: لا يصدق بوحدانيته وعظمته ﴿وَلَا يَحْشُرُ عَلَىٰ طَعْمِ آتِسِكِينَ﴾ (٤) أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هِمًّا حَبِيمٌ﴾ (٥) أي: قريب ينفعه، أي: يشفع له ﴿وَلَا طَعْمٌ إِلَّا مِنْ غَنَيْنٍ﴾ (٦) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس. قال مقاتل: إذا سال القبيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار. والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع: والثالث: أنه غسالة أجوافهم، قاله يحيى بن سلام. قال ابن قتبية: وهو «فغلين» من «غسلت» كأنه غسالة<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْهَرُونَ﴾ (٨) وَمَا لَا تُبْهَرُونَ (٩) إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٠) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (١١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (١٢) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْكَافِرِينَ (١٣)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ﴾ «لا» ردٌ لكلام المشركين، كأنه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون «أقيم بما تُبْهَرُونَ» (٨) وَمَا لَا تُبْهَرُونَ وقال قوم: «لا» زائدة مؤكدة. والمعنى: أقسم بما ترون، وما لا ترون، فأراد جميع الموجودات. وقيل: الأجسام والأرواح، ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: محمد ﷺ، قاله الأكثرون. والثاني: جبريل، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال ابن قتبية: لم يرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، وفي الرسول ما يدل على ذلك، فاكتمى به من أن يقول عن الله ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن كثير: «يؤمنون» و«يذكرون» بالياء فيهما. قال الزجاج: «ما» مؤكدة، وهي لغو في باب الإعراب. والمعنى: قليلاً تؤمنون. وقال غيره: أراد نفي إيمانهم أصلاً. وقد بيّنا معنى «الكاهن» في [الطور: ٢٩]. قال الزجاج: وقوله تعالى: «تنزيل» مرفوع بـ «هو» مضمرة يدل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ﴾ هو تنزيل.

﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِبَعْضِ الْأَقَابِلِ﴾ (١٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٥) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٦) فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَشَدِّ حَنِينٍ (١٧) وَإِنَّهُمْ لَنُذَكِّرُونَ (١٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ يَنْكُرُ مُكْذِبِينَ (١٩) وَإِنَّهُمْ لَحَسَرُوهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٠) وَإِنَّهُمْ لَعَنُ الْآلَمِينَ (٢١) فَسَجَّ يَأْتِمُ رَبُّكَ الْغَظِيْرِ (٢٢) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلف محمد أن يقول علينا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (١٥) أي: لأخذناه بالقوة والقدرة، قاله الفراء، والمبرد، والزجاج. قال ابن قتبية: إنما أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ميامنه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (١٦) وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى،

(١) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصحيحين»، وكان راوياً للقصاص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار. توفي نحو (٩٥هـ) رحمه الله.

(٢) في الأصل: الغسالة.

ومات صاحبه. قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشَّمَاخ:

إِذَا بَلَغْتُ غَتِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي عَرَابَةً فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مَنَكُ مِنْ أَمَةٍ عَنْهُ حَنِينٌ﴾<sup>(١٧)</sup> أي ليس منكم أحد يحجزنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَنِينٌ﴾ لأن أحداً يقع على الجمع، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَهْلِ بَيْتٍ رَسُولِيٍّ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج. ومعنى الكلام: أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ في يوم القيامة. يندمون إذ لم يؤمنوا به ﴿وَلَا تَرْحَمُ الْآيِينَ﴾<sup>(١٨)</sup> إضافة إلى نفسه لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: ﴿وَلَذَارُ الْأَخْرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال الزجاج: المعنى: وأنه لليقين حق اليقين، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في [الواقعة: ٩٥، ٩٦].



(١) البيت للشماخ بن ضرار التغلبي، «ديوانه» طبع القاهرة ٩٢، و«الطبري» ٩٧/٢٩، و«القرطبي» ٢٧٦/١٨ من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيثي، وكان هو وأبوه من الصحابة، وكان عرابة مشهوراً بالكرم.

## سورة المعارج

سورة سأل سائل، ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها:

سورة الواقع، وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ۝ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ (٤) فَأَمَّا صَبْرًا كَبِيرًا ۝ (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ (٦) وَرَأَيْنَاهُ قَرِيبًا ۝ (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۝ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ (٩) وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۝ (١٠) يَمْشُرُهُمْ يَوْمَ الْمُنْجَمِ لَوِ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَبِينُ ۝ (١١) وَصَجَّيْنِهِ وَآخِيهِ ۝ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۝ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ (١٤) كَلَّا إِنَّمَا لَأُفْلَحُ ۝ (١٥) نَزَاعًا لِلْأُفْشَى ۝ (١٦) تَتَمَوَّعُ مِنْ أَذْرَى وَقَوْلٍ ۝ (١٧) وَجَمْعٍ قَاطِعٍ ۝ (١٨)﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْلِمْ عَلَيْنَا حِكْمَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> [الأنفال: ٢٢]، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل. قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر: «سأل» بغير همز. والباقون: بالهمز<sup>(٢)</sup>. فمن قرأ: «سأل» بالهمز ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذابٍ واقع. والثاني: سأل سائل عن عذابٍ واقع لمن هو؟ وعلى من يَنْزِلُ ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلْيُنْصِي خَبِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ<sup>(٣)</sup>

والثالث: سأل سائل عذاباً واقعاً، والباء زائدة. ومن قرأ بلا همز ففيه قولان: أحدهما: أنه من السؤال أيضاً، وإنما كُنِ الهمزة، يقال: سأل، وسال، وأنشد الفراء:

تَعَالَوْا فَسْأَلُوا يَعْلَمِ النَّاسُ أَتَيْنَا لِمَصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدُّفْرِ تَابِعِ

والثاني: المعنى: سأل وإِ في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون «سَال سَيْلٌ» بفتح السين، وسكون الياء من غير ألف ولا همز وإذا قلنا: إنه من السؤال، فقوله تعالى: «للكافرين» جواب للسؤال، كأنه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين. والواقع: الكائن. والمعنى: أن العذاب للذي سأل هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ۝ (٢) مِنْ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: ذلك العذاب واقع من الله للكافرين.

قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة. قال ابن قتيبة: أصل «المعارج» الدَّرَج، وهي من عَرَجَ: إِذَا صَعِدَ. قال الفراء: لما كانت الملائكة تَعْرُجُ إليه، وصف نفسه بذلك. قال الخطابي: المعارج: الدَّرَج، واحدها: مَعْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إليه بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يُصْعَدُ فيها. والثاني: أن المَعَارِجَ: الفَوَاضِلُ والنِّعَم، قاله قتادة.

(١) رواء الحاكم في «المستدرک» ٥٠٢/٢ عن سعيد بن جبیر وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: علی شرط البخاری فقط، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٦٣/٦ وزاد نسبة للقرطبي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ بالهمز، لإجماع الحجة من القراء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمزة تأولوه.

(٣) البيت لعلمقة بن عبيدة، وهو في «ديوانه» ١١، و «المفضليات» ٣٩٣، وأدب الكاتب ٥٠٥، والقرطبي ٢٧٩/٢٨ والشاهد فيه أن الباء في قوله «بالنساء» بمعنى «عن». والمعنى: فإن تسألوني عن النساء. والأدواء: جمع داء.

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْكَلْبَكُ﴾ قرأ الكسائي: «يُغْرَج» بالياء. «وَالرُّوحُ» في «الروح» قولان: أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون. والثاني: رُوح الميت حين تُقبَضُ، قاله قيسة بن دُؤيب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي﴾ أي: إلى الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ كَانَ مَقَادَرُ حَسِينِ الْكَافِرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والقرظي، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق. وفي الحديث: «إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ»<sup>(١)</sup>. وقيل: بل لو ولي حسب الخلق سوى الله ﷻ لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار. وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس دافع من الله في يوم مقداره خمسين ألف سنة. قيل: المعنى: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير. والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعدوا غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزِلْ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم إياك ﴿صَبْرًا جَبِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل أن يُؤْمَرَ بقتالهم، ثم نسخ بآية السيف. ﴿إِنَّمَا يَرْوَنَّهُ﴾ يعني: العذاب ﴿بِيَدٍ﴾ غير كائن ﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>، كائنًا، لأن كل ما هو آت قريب. ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ كَالْهَلَالِ﴾<sup>(٣)</sup> وقد شرحناه في [الكهف: ٢٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾<sup>(٤)</sup> أي: كالصوف، فَشَبَّهَهَا فِي صَفْعِهَا وَلِينِهَا بِالصَّوْفِ. وقيل: شَبَّهَهَا بِهِ فِي خِفَّتِهَا وَسَوَّيَّتِهَا، لأنه قد نقل أنها تسير على صورتها، وهي كالهباء. قال الزجاج: «العهن» الصوف. واحدته: عِهْنَةٌ، ويقال: عُهْنَةٌ، وعُهْنٌ، مثل: صُوفٍ، وصُوفٍ. وقال ابن قتيبة: «العِهْنُ» الصوف المصبوغ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَبِيرٌ حَبِيرًا﴾ قرأ الأكثرون: «يسال» بفتح الياء. والمعنى: لا يسأل قريب عن قرابته، لاشتغاله بنفسه. وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلِّمه من شدة الأهوال. وقرأ معاوية، وأبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن، وابن أبي عبله، وأبو جعفر بضم الياء. والمعنى: لا يقال للحميم: أين حميمك؟

قوله تعالى: ﴿يُصْرَوْنَهُمْ﴾ أي: يَعْرِفُ الحميم حميمه حتى يَعْرِفَهُ، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه، ولا يكلِّمه اشتغالاً بنفسه. يقال: بَصُرْتُ زَيْدًا كَذَا: إِذَا عَرَفْتُهُ إِيَّاهُ. قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يَسْأَلُ ذُو قَرَابَةٍ عَنْ قَرَابَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُصْرَوْنَهُمْ، أي: يُعْرِفُونَهُمْ. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران «يُصْرَوْنَهُمْ» بإسكان الباء، وتخفيف الصاد، وكسرهما.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الدُّمُورِ﴾ يعني: يتمنى المشرك لو قُبِلَ منه الفداء ﴿يَوْمَ يَبْدُو لِلَّذِينَ﴾<sup>(٥)</sup> رَسَجَتِهِمْ وهي الزوجة: ﴿وَقَصِيصِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته. وقال الزجاج: هي أدنى قبيلته منه. ومعنى: ﴿تَقْوِيَةٍ﴾ تضمينه، فيؤدُّ أن يفتدي بهذه المذكورات ﴿بِمِ يَبِيدِ﴾ ذلك الفداء، ﴿كَلَّا﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَّمَا لَقَى﴾ قال الفراء: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجَرَّ، وقال غيظه: معناها في اللغة: اللهب الخالص. وقال ابن الأباري: سميت لظي لشدة تَوَقُّدِهَا وتَلْهِبِهَا، يقال: هو يَتَلْظَى، أي: يَتَلْهَبُ ويتوقَّد. وكذلك النار تَتَلْظَى يراد بها هذا المعنى. وأنشدوا:

جَحِيمًا تَلْظَى لَا تَفْشُرُ سَاعَةً وَلَا الْحَرُّ مِنْهَا غَايِرَ الدَّهْرِ يَبْرُدُ

﴿نَزَاعَةً لِلنَّارِ﴾<sup>(٦)</sup> قرأ الجمهور «نَزَاعَةً» للنشوى بالرفع على معنى: هي نَزَاعَةٌ. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبله، وحفص عن عاصم «نَزَاعَةً» بالنصب. قال الزجاج: وهذا على أنها حال مؤكدة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١] ويجوز أن ينصب على معنى «إنها تلتظي نزعاً». وفي

(١) رواه الإمام أحمد عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ولفظه: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا» ورواه ابن جرير الطبري عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به، ودراج وشيخه أبو الهيثم ضعيفان.



المراد بـ ﴿إِلَشْرَى﴾ أربعة أقوال: أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد. والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: العصب، والعقب، قاله ابن جبير. والرابع: الأطراف: اليدين، والرجلان، والرأس، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَتَعَوَّزُوا بِذِيكُمُ الْإِيمَانَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ عن الحق. قال المفسرون: تقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق ﴿وَجَعَلَ قَارِعًا﴾ قال الفراء: أي جمع المال في وعاء فلم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٢١ ﴿إِلَّا الصَّلَاةَ﴾ ٢٢ ﴿الَّتِي هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ٢٣ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حُمْلَةٌ مِّنْ مَّا لَمْ يَذْكُرُوا﴾ ٢٤ ﴿وَالَّذِينَ يَصُفُّونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٢٥ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ ٢٦ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ خَيْرٌ مِّمَّا هُمْ آمَنُونَ﴾ ٢٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٢٨ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرَ مَلْمُومِينَ﴾ ٢٩ ﴿فَنِ انْفِرْ وَلَكِ الْكَافِرُونَ﴾ ٣٠ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنَسِهِمْ فِي مَضْجِعِهِمْ نَذِيرُونَ﴾ ٣١ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٣٢ ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾ ٣٣ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَرِهُوا آلَ مُحَمَّدٍ﴾ ٣٤ ﴿عَنِ الْيَتِيمِ ذِينَ الْإِيمَانِ﴾ ٣٥ ﴿أَتَطَّعُ كُلَّ إِنْرِي يَنْتَهَ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمَ﴾ ٣٦ ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَّمَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣٧ ﴿فَلَا أَتَمُّ مَرْبَ الشَّرِّ وَالْكَرْبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ٣٨ ﴿عَلَىٰ أَنْ يُدْخَلَ خَيْرًا يَنْتَهَ وَمَا تَحْتَهُ يَسْتَوْفُونَ﴾ ٣٩ ﴿فَذَرَهُ يَمْشُوا وَمِنْ مَّاءٍ يَنْفُورًا يَوْمَئِذٍ إِلَىٰ يَوْمِئِذٍ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَشْدَادِ يَرَكًا كَانَتْهُمْ إِلَ نَصَبٍ يَوْمَئِذٍ﴾ ٤٠ ﴿خَشِيعَةً أَهْرَافَهُمْ رَهَقَهُمْ ذَٰلِكَ يَوْمَ الدِّينِ كَانُوا يَوْمَئِذٍ﴾ ٤١

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩ قال مقاتل: عنى به أمة بن خلف الجُمحي. وفي الهلوع سبعة أقوال: أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الحريص على ما لا يحل له، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك. والرابع: الشحيح، قاله ابن جبير. والخامس: الشر، قاله مجاهد. والسادس: الضُّجُور، قاله عكرمة، وقَتَادَة، ومقاتل، والفراء. والسابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: أصابه الفقر ﴿جَزُوعًا﴾ لا يصبر، ولا يحسب ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ أصابه المال ﴿مَنُوعًا﴾ بمنعه من حق الله ﷻ ﴿إِلَّا الصَّلَاةَ﴾ ٢٢ وهم أهل الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمع من الإنسان، لأنه اسم جنس ﴿الَّتِي هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ٢٣ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قول ابن مسعود. والثاني: أنهم لا يلتفتون عن إيمانهم وشمالهم في الصلاة، قاله عتبة بن عامر، واختاره الزجاج. قال: ويكون اشتقاقه من الدائم، وهو الساكن، كما جاء في الحديث أنه نهى عن البول في الماء الدائم<sup>(١)</sup>. والثالث: أنهم الذين يكثرون فعل التطوع، قاله ابن جريج. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حُمْلَةٌ مِّنْ مَّا لَمْ يَذْكُرُوا﴾ ٢٤ قد سبق شرح هذه الآية والتي بعدها في [الذاريات: ١٩] وبيننا معنى [يوم الدين] في الفاتحة. وما بعد هذا قد شرحناه في [المؤمنين: ٧، ٨] إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَسْتَكْبِرُوا﴾ ٢٦ قرأ ابن كثير وحده: «لأمانتهم» ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَرُونَ﴾ ٢٧ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بشهادتهم» على التوحيد. وقرأ حفص عن عاصم: «بشهاداتهم» جمعاً ﴿قَائِمُونَ﴾ ٣٠ أي: يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَرِهُوا آلَ مُحَمَّدٍ﴾ ٣٤ نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويكذبون به. قال الزجاج: والمُطَّع: المُقْبِلُ بَصَرَهُ على الشيء لا يُزِيلُهُ، وكانوا ينظرون إلى النبي نظر عداوة. وقد سبق الخلاف في قوله تعالى: ﴿مُطَّعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣، والقمر: ٨].

قوله: ﴿هَيَّ الْيَتِيمَ ذِينَ الْإِيمَانِ﴾ ٣٥. قال الفراء: العزُّون: الحلق، الجماعات، وأخذتها: عزة، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: إن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمد ﷺ، فلندخلها قبلهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَتَطَّعُ كُلَّ إِنْرِي يَنْتَهَ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمَ﴾ ٣٦ وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، والمفضل عن عاصم «أن يُدْخَلَ» بفتح الياء، وضم الخاء. وقال أبو عبيدة: عَزِين جمع عزة، مثل تَبَةٍ، وتَبِين، فهي جماعات في تفرقة<sup>(٢)</sup>.

(١) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبول أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه».

(٢) ذكره الواحدي عن المفسرين بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٣٢٢/١ عن جابر بن سمرة ؓ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قرأنا جُلُوعًا، فقال: «ما لي أراكم عَزِين؟» أي جماعات في =

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَّا يَمْلِكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة، فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يَدَّعيه من الشرف على غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة. والثاني: إنا خلقناهم من أقدار. فبماذا يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟! وقد روى بشر<sup>(١)</sup> بن جحاش عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنَّا يَمْلِكُونَ﴾ ثم بَرَّقَ، قال: يقول الله ﷻ: أَنَّى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سَوَّيْتُكَ، وَعَدَّلْتُكَ، مَشَيْتَ بين بُرْدَيْنِ، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أَتَصَدَّقُ، وَأَنْتَى أوان الصدقة؟!<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَقْسَرُ﴾ قد تكلمنا عليه في [الحاقة: ٣٨] والمراد بالمشارق، والمغارب: شرق كل يوم ومغربُه ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرَ نِعَمٍ﴾ أي: نَخْلُقْ أَثْمَلُ مِنْهُمْ، وَأَطْوَعُ لَه حِينَ عَصَا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْرُورِينَ﴾ مفسر في [الواقعة: ٦٠] ﴿مَذَرْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِيزُوا﴾ أي: يلهاو في دنياهم ﴿حَتَّى يَلْقَوا﴾ وقرأ ابن محيصن ﴿يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر، معناه الوعيد. وذكر المفسرون أنه منسوخ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وعيد بقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَرْمِزًا﴾ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يَسْتَقِفُونَ.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم بضم النون والصاد. وقال ابن جرير: وهو واحد الأنصاب، وهي ألتهتهم التي كانوا يعبدونها. فعلى هذا يكون المعنى: كأنهم إلى ألتهتهم التي كانوا يعبدونها يُسرعون. وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي بفتح النون وسكون الصاد، وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنه مصدر. كقول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون. وقال ابن جرير: تأويله: كأنهم إلى صنم منصوب يُسرعون. وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي «نُصْب» برفع النون، وإسكان الصاد. وقرأ الحسن، وأبو عثمان النُّهدي، وعاصم الجحدري «إِلَى نَصَبٍ» بفتح النون والصاد جميعاً. قال ابن قتيبة: النصب، حجر يُنْصَبُ أو صنم، يقال: نُصِبَ، ونُصِبَ، ونُصِبَ. وقال الفراء: النُّصْبُ والنُّصْبُ واحد، وهو مصدر، والجمع: الأنصاب. وقال الزجاج: النُّصْبُ، والنُّصْبُ: العلم المنصوب. قال الفراء: والإيفاض: الإسراع.

قوله تعالى: ﴿رَمَقَهُمْ وَرَمَقَهُمْ﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار «وَرَمَقَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ» بغير تنوين، ويخفف الميم. وباقى السورة قد تقدم بيانه [المعارج: ٤٢].



= تفرقة، جمع عِزَّة، وأصلها «عزوة» فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس كثيبن جمع بُتة. والحديث رواه أيضاً أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير الطبري. وفي هذا الحديث دلالة على أن التفرقة في الأجسام تولد التفرقة في القلوب.

(١) كذا الأصل: «بشر» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» «يسر» بالسين المهملة بن جحاش قال: بكسر الجيم بعدها هملة خفيفة، قال: ويقال: يفتحها بعدها مثلة، وبعد الألف معجمة، قرشي نزل حمص. قال ابن منده: أهل العراق يقولونه بالمعجمة (بشر) وقال الدارقطني وابن زيد: لا يصح بالمعجمة، وكذا ضبطه بالمهملة أبو علي الهجري في «نواذره» لكن سمي أباه جحشاً. وقال مسلم وابن السكُن وغيرهما: لم يرو عنه غير جبير بن نفيير، وحديثه عند أحمد وابن ماجه والحاكم من طريقه بإسناد صحيح. قال ابن منده: عداده في الشاميين، مات بجمص.

(٢) رواه أحمد في «المستد» ٢١٠/٤ من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن مسيرة عن جبير بن نفيير عن يسر بن جحاش، وإسناده حسن، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٠٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: صحيح. ورواه ابن ماجه رقم (٢٧٠٧)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٧/٦ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان».



قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَکُمْ لَا رِجْوْنَ لِلّٰهِ وَقَدْ﴾؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تَرَوْنَ لله عظمة، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: لا تخافون عظمة الله، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لا تَرَوْنَ لله طاعة، قاله ابن زيد. والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١) أي: وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم من نقطة، ثم من علة شيئاً بعد شيء إلى آخر الخلق. قال ابن الأنباري: الطُّور: الحال، وجمعه: أطوار. وقال ابن فارس: الطُّور: الثارة، طوراً بعد طور، أي: تارة بعد تارة. وقيل: أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، من طويل، وقصير، وغير ذلك، ثم قرَّروهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «طباق» بتوئين القاف، وكسرهما من غير ألف. وقد بيَّنَّا هذا في سورة [الملك: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وجه القمر قبيل السموات، وظهره قبيل الأرض، يضيء لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو. والثاني: أن القمر في السماء الدنيا. وإنما قال: «فيهن» لأنهن كالشيء الواحد، ذكره الأخفش والزجاج، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم، وركبت السفن، ﴿وَجَعَلَ النَّهْرَ يَرْكَبُهَا﴾ يستضيء بها العالم (٢) ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم ﴿يَتَكَلَّمُ﴾ قال الخليل: معناه: فنبتهم نباتاً. وقال الزجاج: «نباتاً» محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتاً. قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنه جاء على نبت. ومثله: ﴿وَيَنْتَظِرُ إِلَىٰ يَتِيئِكُمُ﴾ [الزمل: ٨] فجاء على «بئل». قال الشاعر:

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ  
فَجَاءَ عَلَىٰ أَثْبَثُ. وقال الآخر:

فجاء على أثبت. وليس بأن تَتَّبَعَهُ أَتْبَاعًا (٣)

وإن شئتم تسموا وندنا عواداً

فجاء على «عادونا»، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال، لأن الأفعال وإن اختلفت أبينتها، واحدة في المعنى. قوله تعالى: ﴿سُبْحًا يَبَاقًا﴾ قال الفراء: هي الطرق الواسعة.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مِنْ لَّدُنْهُمْ مَا لَهُمْ وَوَلَدَهُ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم «وولده» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «وُلْدَهُ» بضم الواو، وسكون اللام. قال الزجاج: وهما بمعنى واحد، مثل العَرَب، والغُرَب، والعُجَم، وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجحدري: «وَوُلْدَهُ» بكسر الواو، وإسكان اللام. قال المفسرون: المعنى: أن الأتباع، والفقراء اتَّبَعُوا رأيي الرؤساء والكبراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٤) قرأ أبو رجاء، وأبو عمران: «كِبَارًا» برفع الكاف، وتخفيف الباء. وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن «كِبَارًا» بكسر الكاف مع تخفيف الباء. والمعنى «كبيراً» يقال: كبير، وكبار. وقد شرحنا هذا في أول (ص). ومعنى «المكر»: السعي في الفساد. وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من الإيمان بنوح ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: لا تَدَعُ عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ رَدًا﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع بضم الواو. والباقون بفتحها. وهذا الاسم وما بعده أسماء ألهتهم. وجاء في التفسير أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح، ونشأ قوم بعدهم

= لكم الزرع، وأذر لكم الضرع، وأمذكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وغلَّلها بالأنهار الجارية بينها. ثم قال: هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿ثُمَّ لَکُمْ لَا رِجْوْنَ لِلّٰهِ وَقَدْ﴾ (٥)؟

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نوراً، وجعل الشمس فيهن سراجاً. وقال ابن كثير: المقصود أن الله سبحانه وتعالى: خلق سبع سموات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً، أي: فأتيت بينهما في الاستارة، فجعل كلًّا منهما نموذجاً على حدة ليصرف الليل والنهار بطلع الشمس ومضيها، وقدر للقمر منازل ويرجأ، وفاترت نوره، فتارة يزداد حتى يتأهي، ثم يشرع في النقص حتى يستمر ليلد على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّهْرَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّيْرَ سُبُلًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْوَسِيلَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ يُعَلِّمُ الْاٰیٰتِ وَيُزَكِّي سَمْعَكُمْ﴾. وقال الألويسي: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ متوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله فيهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد وهو في بقعة منها، والمرجح له الإيجاز والملازمة بالكلية والجزئية وكونها طباقاً شفاعاً.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «ديوان» ٣٥، «واللسان»: تبع. وضع الأتباع موضع التبج مجازاً، لأن تَبَّعْتُ في معنى أَتَيْتُ.

يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صُورَهُمْ كان أنشط لكم، وأشوق للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وسميت تلك الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المستمين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم، مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها. ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صور صوراً خمسة. ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: لمن نعبد؟ قال: هذه آلهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصورة في مصالكم؟! فعبدوها. وقال الزجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان «ود» للكلب، و«سواع» لهمدان، و«يغوث» لبني غطف، وهم حي من مراد. وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين، قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجل، و«سواع» على صورة امرأة، و«يغوث» على صورة أسد، و«يعوق» على صورة فرس، و«نسر» على صورة النسر من الطير.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخْلَوْا كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها. والثاني: وقد أضل الكبراء كثيراً من الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا سَكَلًا﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ أَفْرُقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوْحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْاَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اتَّقِ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ﴾ «ما»: صلة. والمعنى: من خطبتاتهم: أي: من أجلها، وسببها. وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم»، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري «خطبتهم» من غير ألف، ﴿أَفْرُقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة ناراً، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين. وقال الضحاك: فأدخلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يفرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿ذِيَارًا﴾ قال ابن قتية: أي: أحداً. يقال: ما بالمنازل ذياراً، أي: ما بها أحد، وهو من الدار، أي: ليس بها نازل داراً. وقال الزجاج: أصلها: «ذِيَّوَار» فُتَعَال، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإما دعا عليهم نوح، لأن الله تعالى أوحى إليه ﴿لَنْ يُؤْمِنَ بَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ وذلك أن الرجل منه كان ينطلق بانيته إلى نوح، فيحذر تصديقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اتَّقِ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين. وقرأ أبو بكر الصديق، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدري، والجوني «ولوالذي» ساكنة الياء على التوحيد. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولولدي» من غير ألف على التنثية «وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي» وقرأ حفص عن عاصم «بيتي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك. والثالث: سفينة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا عام في كل من آمن، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكاً. ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارًا تَنْبِيْرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ قَتَلْنَا جَدَّ رَبِّنَا﴾ اختلف القراء في انثني عشرة همزة في هذه السورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأننا ظننا»، «وأنه كان رجال»، «وأنهم ظنوا»، «وأننا لمسننا»، «وأننا كنا»، «وأننا لا ندرى»، «وأننا منا»، «وأننا ظننا أن لن نعجز الله»، «وأننا لما سمعنا»، «وأننا منا» ففتح الهمزة في هذه المواضع ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ووافقه أبو جعفر في ثلاثة مواضع: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنه كان رجال»، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرها. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: «أن» بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: «إن» بالكسر، معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَمِيتًا قَرْيَانَا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جدُّ ربنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيها. فأما من فتح، فذكر بعض النحويين، يعني الفراء: أنه معطوف على الهاء في قوله تعالى: ﴿فَتَأْتَانِي بِهِ﴾ وبأنه تعالى جدُّ ربنا. وكذلك ما بعد هذا. وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمناً به، فيكون المعنى: وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا. وللمفسرين في معنى ﴿قَتَلْنَا جَدَّ رَبِّنَا﴾ سبعة أقوال: أحدها: قُتِرَ رَبَّنَا، قاله ابن عباس. والثاني: غَنِيَ رَبَّنَا، قاله الحسن. والثالث: جَلَّأَ رَبَّنَا، قاله مجاهد، وعكرمة. والرابع: عَظَّمَهُ رَبَّنَا، قاله قتادة. والخامس: أَمَرُ رَبَّنَا، قاله السدي. والسادس: ارتفاع ذكروه وعظمته، قاله مقاتل. والسابع: مُلْكُ رَبِّنَا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَهِيبًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ييلس، قاله مجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه كفارهم، قاله مقاتل. و «الشطط»: الجُرُ، والكذب، وهو: وصفه بالشريك، والولد. ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنشَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾ وقرأ يعقوب: «أن لن نقول» بفتح القاف، وتشديد الواو. والمعنى: الظننهم صادقين في قولهم: لله صاحبة ولد، وما ظننَّاهم يكذبون حتى سمعنا القرآن، يقول الله ﷻ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنشِ مُؤَذَّرُونَ رِجَالٌ يَنْذِرُ الْغَافِلِينَ﴾ وذلك أن الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ

يسئد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في جوارٍ منهم حتى يصبح. ومنه حديث كردم بن أبي السائب الأنصاري، قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب، فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنادى منادٍ لا نزاه: يا سرحان أرسله. فإذا الحمل يشند حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة<sup>(١)</sup>، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ قولان: أحدهما: أن الإنس زادوا الجن رهقًا لتعوذهم بهم، قاله مقاتل. والمعنى: أنهم لما استعاذوا بسادتهم قالت السادة: قد سدنا الجن والإنس. والثاني: أن الجن زاد الإنس رَهَقًا، ذكره الزجاج. قال أبو عبيدة: زادوهم سَفَهًا وطغيانًا. وقال ابن قتيبة: زادوهم ضلالًا. وأصل الرهق: العيب. ومنه يقال: فلان يرهق في دينه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ يقول الله ﷻ: ظن الجن ﴿كُنَّا ظَنُّنُمْ﴾ أيها الإنس المشركون أنه لا بعث. وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَنَسْنَا أَسْكَنَهُ﴾ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها من استراق السمع ﴿وَشُهْبًا﴾ جمع شهاب، وهو النجم المضيء ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلِسَمْعِ﴾ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماع بعد بعث محمد ﷺ رُمينا بالشُّهْب. ومعنى ﴿رَصَدًا﴾ قد أرصد له المرمى به ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَتَشْرُؤُ أَرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسال محمد ﷺ إليهم، فيكذبونه، فيهلكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أن يؤمنوا فيهدتوا، قاله مقاتل. والثاني: أنه قول كفر الجن، والمعنى: لا ندري أشرُّ أريدُ بمن في الأرض بحدوث الرجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفراء. ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَمِنَّا ذُو دَلِيلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: أنه أهل الشر دون الشرك. ﴿كُنَّا طَرَائِقَ فِدْكَ﴾ قال الفراء: أي: فرقًا مختلفة أهواؤنا. وقال أبو عبيدة: واحد الطرائق: طريقة، وواحد القيد: قدة، أي: ضروياً وأجناساً ومِللاً. قال الحسن، والسدي: الجن مثلكم، فمنهم قَدْرِيَّةٌ، ومرجئةٌ، ورافضةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: أيقنا ﴿أَن لَّنْ تُجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لن نُفَوِّتَهُ إذا أراد بنا أمراً ﴿وَلَنْ تُجِزَؤَ هَرًا﴾ أي: أنه يدركننا حيث كنا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَوَقْنَا الْمُدَّةَ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ﴿هَامِكًا يَوْمَ﴾ أي: صدقنا أنه من عند الله ﷻ ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِخَسَا﴾ أي: نقصاً من الثواب: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ولا ظلماً ومكروهاً يغشاه ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْتَّائِلُونَ﴾ قال مقاتل: المخلصون لله ﴿وَمِنَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وهم المردة. قال ابن قتيبة: القاسطون: الجاثرون. يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: هم الكافرون. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: تَوَخَّوْهُ، وأمَّوْهُ. ثم انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفار مكة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: طريقة الهدى، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي، واختاره الزجاج. قال: لأن الطريقة هاهنا بالآلف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى. وذهب قوم إلى أن المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمد بن كعب، والربيع، والفراء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسعنا

(١) أي: أثر عصف.

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم، وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، وذكره الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٢٩/٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة (كردم بن أبي السائب) بعدما ساق حديثه هذا من رواية العقيلي من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب: وأخرجه ابن مردويه في «التفسير» من هذا الوجه، وأخرج له شاهداً من حديث معاوية بن قره عن أبيه. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧١/٦ وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن عساكر عن كردم بن أبي السائب الأنصاري ﷺ. قال ابن كثير: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جثيًا حتى يرهق الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويخرجه عن دينه، والله أعلم. اهـ.

(٣) ومنه قوله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نورا».





قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ قرأ عاصم، وحزمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبي ﷺ. قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع بمثله فارجع عنه، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: لا أَدفعه عنكم ﴿وَلَا﴾ أسوق إليكم ﴿رَشَدًا﴾ أي: خيرًا، أي: إن الله تعالى يملك ذلك، لا أنا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: إن عصيته لم يمنعي منه أحد، وذلك أنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ وقد بيناه في [الكهف: ٢٧] ﴿إِلَّا بَلَاًا مِنَ اللَّهِ﴾ فيه وجهان، ذكرهما الفراء: أحدهما: أنه استثناء من قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا أن أبلغكم. والثاني: لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالته. وبالأول قال ابن السائب، وبالثاني قال مقاتل. وقال بعضهم: المعنى: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت، فذلك البلاغ هو الذي يجيرني. ﴿وَمَنْ يَقْوِ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني: الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة: ﴿فَيَسْمَلُونَهُمْ مِنْ أَصْفَنَ فَأَمَرُوا نَاصِرًا وَأَقْلَمَ عِدَدًا﴾ أي: جنأ ونصرًا، أهم، أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنْ أَذْرَبْتُ فَأَرْبُ بَٰرِئٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِجًّا أُمَّدًا﴾ أي: غاية ويُعدًّا<sup>(١)</sup>. وذلك لأن علم الغيب لله وحده ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ أي: فلا يُطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ الذي يعلمه ﴿أَمَّا﴾ من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَسْلُكُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: من بين يدي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي: يجعل له حَفَظَةً من الملائكة يحفظون الوحي من أن تُسْتَرْقَه الشياطين، فتلقه إلى الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبر النبي ﷺ الناس. وقال الزجاج: يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رصداً. وقيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرُصْدُ من الملائكة يدفعون الشياطين عن أن تستمتع ما ينزل من الوحي.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ليعلم محمد ﷺ أن جبرائيل قد بلغ إليه، قاله ابن جبير. والثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله ﴿قَدْ أَتَيْنَا رَسَلَاتٍ رَٰبِيَةٍ﴾ وأن الله قد حفظها فدفع عنها، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. والثالث: ليعلم مكذبو الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، قاله مجاهد. والرابع: ليعلم الله ﷻ ذلك موجوداً ظاهراً يجب به الثواب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَهُ الْقُرْآنَ أَنَّهُ الَّذِينَ جَعَلُوا بِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٤٢]، قاله ابن قتيبة. والخامس: ليعلم النبي أن الرسل قد أتته ولم تصل إلى غيره، ذكره الزجاج. وقرأ رويس عن يعقوب «لِيُعْلَمَ» بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وقال ابن قتيبة: وَيُقْرَأُ «لَتُعْلَمَ» بالثاء، يريد: لتعلم الجن أن الرسل قد بلغت عن الله بما رجوا من استراق السمع. ﴿وَأَمَّا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: علم الله ما عند الرسل ﴿وَأَخْبَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ فلم يفته شيء حتى الذر والخردل.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة، فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعزابي، كان فيما سأله أن قال: يا محمد: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ولما ناداه ذلك الأعزابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «فويلك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «فأنت مع من أحبته» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث.

(٢) هذا القول اختاره ابن جبري الطبري في تفسيره.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَرَوَى الْبُكَارِيُّ قِيلَ﴾ أي: أقرء على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتبليغه، قال، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة فيرثها حتى تكون أطول من أطول منها. وفي «صحيح البخاري» عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿يَسْمِعُ أَكْثَرَ الْغَنَمِ﴾ ﴿يَسْمِعُ أَكْثَرَ الْغَنَمِ﴾ وسمد ﴿الْحَبِيرِ﴾. ثم قال: روى الإمام أحمد عن

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا لَكَ فَوْلاً قَلِيلًا﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثقله ستة أقوال: أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه، وهذا قول عائشة. قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، يعني يتخلص عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد. والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى. والخامس: أنه ليس بالخفيف ولا السفساف، لأنه كلام الرب ﷻ، قاله الفراء. والسادس: أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفقه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول وزن: إذا استجدته، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة. وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان: أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة. وإلى هذا ذهب اللخويون. قال ابن قتيبة: ناشئة الليل: ساعاته الناشئة، من نشأت: إذا ابتدأت. وقال الزجاج: ناشئة الليل: ساعات الليل، كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث. وقال أبو علي الفارسي: كأن المعنى: إن صلاة ناشئة، أو عمل ناشئة الليل. والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل. ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي. وقد نص عليه أحمد في رواية المروزي. والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز. والرابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة. والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، «وطاء» بكسر الواو مع المد، وهو مصدر واطأت فلاناً على كذا موأطأة، ووطاء، وأراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهيم للقرآن والإحكام لتأويله<sup>(٣)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا عِدَّةٌ مَّا حَرَّمَ اللَّهُ﴾. النوبة: [٣٧]. وقرأ الباقون «وطلا» بفتح الواو مع القصر. والعنى: إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم. ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضرم<sup>(٤)</sup>». ذكر معنى القراءتين ابن قتيبة. وقرأ ابن محيصن «أشد وطأة» بفتح الواو، والطاء، وبالمد.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ يَلًا﴾ أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سمعه وتفهمه حائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ أي: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء. وقرأ علي، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبله «سبخاً» بالخاء المعجمة. قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح. يقال: قد سبخت القطن بمعنى نفشته. ومعنى نفّشته: وسّعته، فيكون المعنى: إن لك في النهار توسعاً طويلاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَيْكَ﴾ أي: بالنهار أيضاً ﴿وَيَنْتَلِ إِلَيْهِ تَبِيلًا﴾ قال مجاهد. أخلص له إخلاصاً. وقال

= عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقل كما كنت ترتل في الدنيا، لما منزلتك عند آخر آية تقرؤها» ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الرُّوحُ؟ فَقَالَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَجِيتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَهْوِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الرُّوحُ ﷺ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينُهُ يَتَفْصَدُ عَرَقًا.

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ بِالْصَّوَابِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ قَوْلٌ ثَقِيلٌ، فَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ ثَقِيلٌ مَحْمَلُهُ، ثَقِيلُ الْعَمَلِ بِحُدُودِهِ وَفَرَاغِهِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: وَالْإِحْكَامُ وَتِلَاوَتُهُ، وَالتَّصَوُّبُ مِنْ «غَرِبِ الْقُرْآنِ». قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ: أَجْمَعَ لِلْخَاطِرِ فِي آدَاءِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهَا مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ، لِأَنَّهُ وَقْتُ انْتِشَارِ النَّاسِ وَلَغْظِ الْأَصْوَاتِ وَأَوْقَاتِ الْمَعَاشِ.

(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَةِ الْقُنُوتِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ.

ابن قتيبة: انقطع إليه، من قولك: بئَلْتُ الشيء: إذا قطعته. وقال الزجاج: انقطع إليه في العبادة. ومنه قيل لمريم: البتول، لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة. وكذلك صدقة بتلة: منقطعة من مال المصدق. والأصل في مصدر تَبَتَّلَ تَبَتَّلًا. وإنما قوله تعالى: «تَبَتَّلًا» محمول على معنى: تَبَتَّلَ. «وَبِئَلِّ الشَّرِيقَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم «رَبِّ» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بالكسر. وما بعد هذا قد سبق [الشراء: ٢٨] إلى قوله تعالى: «وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» من التكذيب لك والأذى «وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» لا جزع فيه. وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السي. «وَوَدَّيْكَ وَالْكَذِبِينَ» أي: لا تهتم بهم، فإنا أكفيهم «أَوَّلِ الْفِتْنَةِ» يعني: التتعم. وفيمن غني بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المطيعون يَنْدِرُ، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان. والثالث: أنهم المستهزون، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «وَمَهَلْهُزَّيْلًا» قالت عائشة: فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» وهي القيود، واحدها: نكل. وقد شرحنا معنى «الجحيم» في [البقرة: ١١٩] «وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا» وهو الذي لا يسوغ في الحلق. وفيه للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: الرُّقُوم، قاله مقاتل. والثالث: الضُّريع، قاله الزجاج. والرابع: الرُّقُوم والغسلين والضُّريع، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» والمعنى: ينكل الكافرين ويعذبهم «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» أي: تُزَلْزَل وتُحَرَّكُ أغلظ حركة.

قوله تعالى: «كَانَتْ لِكَيْلَالٍ» قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشلة، والقوة «كَيْبًا» قال الفراء: «الكثيب: الرمل. و «المهيل»: الذي تحرك أسفله، فينهال عليك من أعلاه. والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول. وقال الزجاج: الكثيب جمعه: كَثْبَان، وهي: القطع العظام من الرمل. وللمهيل: السائل.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ» يعني أهل مكة «رَسُولًا» يعني: محمداً ﷺ «سَهْدًا عَلَيْكَ» بالتبليغ، وإيمان من آمن، وكفر من كفر «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ رُحُونِ رَءُوسًا» وهو موسى ﷺ. والوبيل: الشديد. قال ابن قتيبة: هو من قولك: استوبلت المكان: [إذا استوخمته]. ويقال: كَلَامٌ مُسْتَوْبِلٌ أي: لا يُسْتَمَرُّ. قال الزجاج: الوبيل: الثقل الغليظ جداً. ومنه قيل للمطر العظيم: وابل. قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الوبيل: الغرق. وهذا تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا» أي: عذاب يوم. قال الزجاج: المعنى: بأي شيء تتحصنون من عذاب يوم من هوله يتسبب الصغير من غير كبير. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران «نَجْعَلُ الْوِلْدَانَ» بالنون.

قوله تعالى: «الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِعَاتٌ بِالْأَلِفِ» قال الفراء: السماء تُذَكَّرُ وتؤنث. وهي هاهنا في وجه التذكير. قال الشاعر:

فَلَسَوْ رَعَى السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَجِئْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين: أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني: على قولهم: امرأة مُرْضِعٌ على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انقطاع، كما أن الموضع ذات الرضاع. وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء مُنْشَقٌّ به، أي: فيه، يعني في ذلك اليوم.

قوله تعالى: «كَانَ رَعْدُهُ مَقُولًا» وذلك أنه وعد بالبعث، فهو كائن لا محالة.

«إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ» مَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ سَيِّئًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِمَا تَعْمَلُ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ إِنَّ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ لَدُنَّكَ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾

الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُوجُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِرُهُمْ مَا يَنْتَرُونَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقِيلُوا لِاتِّخَاذِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَلْفِ عَشْرٍ رَجِيمٍ ﴿١٥﴾

﴿إِنْ هَذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذَكُّرٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَمْلِكُ إِنَّكَ تَكُونُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِنْ كُلِّ آلٍ يَرْزُقُهُ﴾ وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة بفتح الفاء والثاء والباقون: بكسرهما.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَامُهُ يَنْ أَلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُدِيرُ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما، فيعلم القدر الذي تقومون<sup>(١)</sup> به من الليل ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: لن تطيقوا قيام ثلثي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل. والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء. ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف ﴿قَاتِرُهُمْ مَا يَنْتَرُونَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْفَرَّانِ﴾ يعني: في الصلاة، من غير أن يوقت وقتاً. وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء. ثم ذكر أعضائهم فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ تَرْجَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَأَخْرُوجُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسافرون للتجارة: ﴿يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: من رزقه فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَأَخْرُوجُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون فلا يطيقون قيام الليل ﴿قَاتِرُهُمْ مَا يَنْتَرُونَ مِنَ الْفَرَّانِ﴾ وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلوات الخمس في أوقاتها<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه [الحديد: ١٨]. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرى الضيف، ﴿وَمَا تُقِيلُوا لِاتِّخَاذِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي تجدوا ثوابه في الآخرة. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: تجدوه خيراً. قال الزجاج: ودخلت ﴿هو﴾ فضلاً. وقال المفسرون: ومعنى ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضل مما أعطيتكم ﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: تقوموا.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النُصُب والمخرج لم يُبين إلا بالمدينة، والله أعلم. قال: وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والنخسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل، واختلَفوا في المدة التي بينهما على أقوال، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل الذي سأله: ماذا فرض الله عليه من الصلوات؟ قال: خمس صلوات في اليوم واللييلة قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.

(٣) قال ابن جرير الطبري في تلمة الآية من آخر السورة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَلْفِ عَشْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: سلوا الله غفران ذنوبكم، يصفح لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة للذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

## سورة المدثر

### وهي مكية بإجماعهم

وقال مقاتل: فيها من المدني آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ [المدثر: ٣١].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبِّكَ أَكْبَرُ ۝ وَبِالْأَنفَالِ أَكْبَرُ ۝ وَلَا تَنْسَ شَتْرَكَ ۝ وَلِرَبِّكَ فَانصِرْ ۝ ١-٥﴾  
 يُنْذِرُ فِي النَّافِرِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ عَذَابٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ ۝ ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتَ وَجْهًا ۝ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَنُودَ ۝ وَيَتَنَبَّهُوا ۝ وَنَهَدْتَ لَهُمْ مَوَاجِدَ ۝ ثُمَّ بَلَغَ أَنْ أُزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لَبَيْنًا عَيْنًا ۝ سَاءَ رَفَعَهُمْ صُورًا ۝ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرَ ۝ فَقِيلَ كَيْفَ تَقْدَرُ ۝ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ تَقْدَرُ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۝ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝ سَأُفْلِحُ بَشَرًا ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرْتُ ۝ لَا يَبْقَى وَلَا تَذَرُ ۝ وَلَئِنَّمَا لِلشَّمْسِ بَشِيرٌ ۝ عَلَيْهَا سِتْرَةٌ عَشْرٌ ۝ وَمَا جَعَلْنَا أَحْقَارَ الْأُمَمِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۝ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشَاقِقُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْ لَا يُشَاقِقُوا ۝ وَلَا يَرْجُوا لَوْنًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَتَبْنَا وَفُتِنُوا ۝ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ تَرَاهُمْ كَاذِبِينَ ۝ فَذَلِكَ مِمَّا أَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۝ سَنَلْكَ كَذِبًا يُبْصِرُ ۝ اللَّهُ مَنَّ بِنُكْحِهِمْ ۝ وَمَا يَخْتَرُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَكُنْ إِلَّا ذِكْرًا لِلنَّاسِ ۝ كَلَّا وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ۝ وَالشَّجَرِ إِذَا تَشَعَّرَ ۝ إِنَّهَا لَأُحْدِثُ الْكُفْرَ ۝ نِيدَا لِّلشَّمْسِ ۝ لِيَسْئَلَنَّ أَنْ يَنْفَعَهُمْ ۝ أَوْ يَنْتَصِرَ ۝ ٦-٣١﴾

فأما سبب نزولها، فروى<sup>(١)</sup> البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى<sup>(٢)</sup> نزلت فاستبطنت بطن الوادي<sup>(٣)</sup>، فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو في الهواء (يعني: جبريل ﷺ) فاقبلت إلى خديجة، فقلت: «دثروني دثروني»، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾<sup>(٤)</sup> قال المفسرون: فلما رأى جبريل وقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبه عليه، وقال: «دثروني، فدثروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، والأعمش «المدثر» بإظهار التاء. وقرأ أبو رجاء، وعكرمة، وابن يعمر «المدثر» بحذف التاء، وتخفيف الدال. قال اللغويون: وأصل «المدثر» المتدثر، فأدغمت التاء، كما ذكرنا في المترمل، وهذا في قول الجمهور من التدثير بالثياب. وقيل المعنى: يا أيها المدثر بالنبوة، وأثقالها. قال عكرمة: دثرت هذا الأمر فقم به.

قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ كَفَارَ مكة العذاب إن لم يُوحِّدوا ﴿وَرَبِّكَ أَكْبَرُ ۝﴾ أي: عظمه عما يقول عبدة الأوثان. ﴿وَبِالْأَنفَالِ أَكْبَرُ ۝﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر. قال غيلان بن سلمة الثقفي:

وَلَئِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تَوْبَ فَاجِرٍ لِّسِنْتُ وَلَا مِنْ عَذْرَةٍ أَتَقَنَّعُ<sup>(٥)</sup>

روى هذا المعنى عكرة عن ابن عباس. والثاني: لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر، روى عن ابن عباس

(١) في الأصل: روى.

(٢) أي: مجاورتي واعتكافي.

(٣) أي: جبرت في باطنه.

(٤) رواه البخاري ٥٢٠/٨، ومسلم ١٤٤/١، وأحمد في «المستد» ٣٠٦/٣، والطبري ١٤٣/٢٩، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣، وأورده السيوطي في «الذرة» ٦/٢٨٠ وزاد نسبته للطائلي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن الأنباري في «المصاحف» عن جابر ﷺ.

(٥) البيت في «الطبري» ١٤٥/٢٩، و«القرطبي» ٦٢/١٩، و«البحر المحيط» ٣٧١/٨، و«ابن كثير» ٤٤١/٤، و«الدر» ٣٨١/٦، وفتح القدير» للشوكاني ٣١٥/٥ منسوباً إلى غيلان بن سلمة الثقفي، وهو في «اللسان»: ثوب.

أيضاً. والثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد، وقادة. ويشهد له قول عترة:

فَشَكَّكَتْ بِالرُّمُحِ الْأَصَمَّ ثِيَابَهُ  
لَبَسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَّا بِمُحَرَّمٍ<sup>(١)</sup>  
أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة. قال: المعنى: طهر نفسك من الذنوب، فكنتى عن الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه. قالت ليلي الأخيلية وذكَّرتْ إبلاً:

رَمَوْهَا بِأَسْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى  
لَهَا شَبَهًا إِلَّا السَّعَامَ الْمُتَقَرًّا<sup>(٢)</sup>  
أي: ركبوها، فَرَمَوْهَا بأنفسهم. والعرب تقول للعفاف: إزار، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ. والرابع: وَعَمَلَكَ فَأُضْلِعَ، قاله الضحاك. والخامس: خُلِّقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسن، والقرظي. والسادس: وَثِيَابَكَ فَقَصِّرْ وَشَمِّرْ، قاله طاووس. والسابع: قَلْبَكَ فَطَهِّرْ، قاله سعيد بن جبير. ويشهد له قول امرئ القيس:

فَلَا بَانَ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ  
فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ<sup>(٣)</sup>  
أي: قلبي من قلبك. والثامن: اغسل ثيابك بالماء، ونقها، قاله ابن سيرين، وابن زيد<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَأْتِيهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم إلا أبا بكر، ويعقوب، وابن محيصن، وابن السميع «والرجز» بضم الراء. والباقون بكسرهما. ولم يختلفوا في غير هذا الموضع. قال الزجاج: ومعنى القراءتين واحد. وقال أبو علي: قراءة الحسن بالضم، وقال: هو اسم صنم. وقال قتادة: صتمان: إساف، ونائلة. ومن كسر، فالرجز: العذاب. فالمعنى: ذو العذاب فاهجر. وفي معنى «الرجز» للمفسرين ستة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس. ومجاهد، وعكرمة، وقادة، والزهري، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الشرك، قاله ابن جبير، والضحاك. والرابع: الذنب، قاله الحسن. والخامس: العذاب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: الرجز في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله. والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان<sup>(٦)</sup>. ﴿وَلَا تَنْتَنُ تَنْكُرُ﴾<sup>(٧)</sup> فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تعط عطية تلتبس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقادة. قال المفسرون: معناه: أعط لربك وأرد به الله، فأذبه بأشرف الآداب. ومعنى «لا تمنن»: لا تعط شيئاً من مالك لتعطى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي ﷺ خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يهدي هدية يرجو بها ثواباً أكثر منها. والثاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن. والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد. والرابع: لا تمنن على الناس بالنبوة لتأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد<sup>(٨)</sup>. ﴿وَرَبِّكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لأجل ربك. والثاني: لثواب ربك. والثالث: لأمر ربك. والرابع: لوغيد ربك ﴿فَأَمِّنْ﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعته وفرائضه. والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَقَرُ فِي الْأَفْئِدِ﴾<sup>(٩)</sup> أي: نفخ في الصور. وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان، ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾<sup>(١٠)</sup> أي: يعسر الأمر فيه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١١)</sup> غير هين ﴿ذَرْفٍ﴾ قد شرحناه في [المزمّل: ١١] ﴿وَمَنْ خَلَقَتْ﴾ أي: ومن خلقته ﴿وَجِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقته وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله

(١) «ديوانه» ١٢٥، و«شرح القصائد العشر» ١٨٤، و«أمالي المرتضى» ٦٤/٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٧/١.

(٢) هو في «المعاني الكبير» ٤٨٦/١، و«الصناعتين» ٢٧٧، و«الفاقي» ٢٨/١، و«اللسان»: ثوب، غير منسوب. قال ابن قتيبة: يعني بأجسام خفاف، يريد: ركبوها.

(٣) «ديوانه» ١٣ وروايته فيه: وإن كنت قد ساءت مني خليفة... إلخ.

(٤) واختار هذا الأخير ابن جرير الطبري: قال: قال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويظهر ثيابه. وقال ابن كثير: وقد تشتمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب.

(٥) قال ابن كثير: وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبيسه ﷺ بشيء من ذلك. فقله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْغُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَعْيُنَكُمْ عَنْ تَحْقِيقِ الْغُنْيَةِ﴾، ﴿وَقَالَ مَوْلَى أَيُّوبَ إِذَا دُعِيَ لِلطَّيْرِ﴾.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندني بالصواب قول من قال، معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، قال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيها أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقي من الأذى فيه، قال: فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها.

مجاهد. والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، قاله الزجاج. قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما يقبله، فقال: قد علمت قریش أنني من أكثرها مالاً. قال: فقل في قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، فوالله ما يشبهها الذي يقول، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لثمير أعلاه، مغزوق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه. فقال: هذا سحر يؤثر: يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾... والآيات كلها<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: قال الوليد لقریش: إن لي إليكم حاجة فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذروا أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم، ويطلقون من عندكم على أمر مختلف، فاجتمعوا على شيء واحد. ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر. فقالوا: نقول: إنه كاهن، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحر. قال: وما الساحر؟ قالوا: يشر يحييون بين المتباعدين، ويخفون بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلتقي أحد منهم النبي إلا قال: يا ساحر، فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ بِؤْتَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> وذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا لِمَالَا مَثَدُوكَ﴾ في معنى الممدود ثلاثة أقوال: أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة. والثاني: دائماً، قاله ابن قتيبة. والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج. وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال: أحدها: غلَّة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب. والثاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير. قال الفراء: نرى أن الممدود مجلَّ غاية للعدد، لأن «الف» غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف. والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة. والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا ينقطع خيره شئاً ولا صيفاً، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُؤْبَا﴾ أي: حضوراً معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيثوا عنه. وفي عددهم أربعة أقوال: أحدها: عشرة، قاله مجاهد، وقاتة. والثاني: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير. والثالث: إثنا عشر، قاله السليبي. والرابع: سبعة، قاله مقاتل. ﴿وَمَدَدْتُ لِمَ مَوْبِدًا﴾ أي: بسطت له العيش، وطول العمر، ﴿ثُمَّ يَلْمَعُ أَنْ أَرِيدَ﴾ في قولان: أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن. والثاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا أفعل، فمنعه الله المال والولد حتى مات فقيراً، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا﴾ أي: معانداً. وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن جبير. والثاني: الحق، قاله مجاهد. والثالث: رسول الله ﷺ، قاله السليبي.

قوله تعالى: ﴿سَأُفِيَّتُهُ صَعُوكَ﴾ قال الزجاج: سألحمه على مشقة من العذاب. وقال غيره: سألحمه مشقة من العذاب لا راحة له منها. وقال ابن قتيبة: «الصَّعُود»: العقبة الشاقة، وكذلك «الكؤود». وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَأُفِيَّتُهُ صَعُوكَ﴾ قال: جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع رجله عليها ذابت، فإذا رفعها عادت. يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً<sup>(٤)</sup>. وذكر ابن السائب أنه جبل من صخرة ملساء في

(١) رواه بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٣٣٠ من رواية عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتي عن عكرمة عن ابن عباس، وسنده صحيح. ورواه الحاكم به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ورواه الطبري من رواية معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة. ورواه أيضاً الطبري بنحوه من رواية عطية الموفي عن ابن عباس. قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا.

(٢) ذكره بنحوه وبأخصر منه الواحد في «أسباب النزول» ٣٣٠ من مجاهد بغير سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَبَعَثْنَا لِمَالَا مَثَدُوكَ﴾ وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته.

(٤) هذا الحديث ذكره المؤلف ملفقاً من حديثين، الأول رواه ابن جرير الطبري من رواية شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي عن عمارة بن القعقاع عن عطية الموفي عن أبي سعيد الخدري، ورواه ابن أبي حاتم من رواية شريك عن عمار الدعني عن عطية به، بلفظ ﴿سَأُفِيَّتُهُ صَعُوكَ﴾. قال: هو جبل =



النار يكلف أن يصعدا حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدا، فذلك ذابه أبداً، يجذب من أيامه سلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدا في أربعين سنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكْفُرُ بِنَفْسِهِ﴾ أي: تفكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القول في نفسه ﴿ثَقِيلٌ﴾ أي: لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ثم قيل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُ﴾ أي: لعن على أي حال قَدَّرَ ما قَدَّرَ من الكلام. وقيل: «كيف» هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. وإنما كرر تأكيداً ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويردّه ﴿ثُمَّ عَسَىٰ وَتَرَىٰ﴾ قال اللغويون: أي: كره وجهه وقطب. يقال: بسر الرجل وجهه، أي: قبضه. وأنشدوا لقوته:

وَقَدْ رَأَيْتِي مِنْهَا ضُدُودَ رَأْيِي

قال المفسرون: كره وجهه، ونظر بكراهية شديدة، كالمهتّم المتفكر في الشيء ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْكَبَ﴾ أي: تكبر حين دعي إليه ﴿يَقَالُ إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا بَرٌّ يَزُورُ﴾ أي: يروى عن السحرة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ أي: من كلام الإنس، وليس من كلام الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿سَأُخْبِرُكَ﴾ أي: سأدخله النار. وقد ذكر «سقر» في سورة القمر: [٤٨] ﴿وَمَا أَتَيْتُكَ بِمِثَرٍ﴾ ليعظم شأنها ﴿لَا بَقِيَّةَ وَلَا نَذْرَ﴾ أي: لا بقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تدرهم إذا أعيدوا خلقاً جديداً ﴿لَوْنَهُ﴾ أي: مغيرة. يقال: لأتته الشمس، أي: غيرته. وأنشدوا:

يَا ابْنُئْتَةَ عَنِّي لَأَحْنِي الْهَوَاجِرَ<sup>(٢)</sup>

وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن أبي عبله «لَوَاحَةً» بالنصب. وفي «البشر» قولان: أحدهما: أنه جمع بشر، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجاج. والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيَّ يَمَّةٌ عَثَرَ﴾ وهم خزائنها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنبياهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كفت أحدهم مثل ربيعة ومضر. قد نزع منهم الرحمة. فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخونكم محمد بتسعة عشر، أما له من الجنود إلا هؤلاء! أيعجز كل عشرة منكم أن يبطش بواحد منهم، ثم يخرجون من النار! فقال أبو الأشدين<sup>(٣)</sup> - قال مقاتل: اسمه: أسيد بن كلفة. وقال غيره: كلفة بن خلف الجمحي -: يا معشر قريش: أنا أمشي بين أيديكم فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ الْكَافِرِينَ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا آدميين، فمن يطيقهم ومن يغلبهم؟! ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القلة ﴿إِلَّا يَمَّةً﴾ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿يَسْتَبِينَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ﴾ أن ما جاء به محمد حق، لأن عِدَّتَهُم في التوراة تسعة عشر ﴿وَيَزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيْمَانًا﴾ أي: تصديقاً بمحمد ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم موافقاً لما في كتابهم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكُتُبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ولا يشك هؤلاء في عِدَّتِهِ الْخَزَنَةِ ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون. والثاني: أنه الشك، قاله مقاتل. وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنية. والثالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكة نفاق. وهذه مكية. فأما «الكافرون» فهم مشركو العرب، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ أي: أي شيء أراد الله

من نار يكلف أن يصعد، فإذا وضع يده قاب، وإذا وضع رجليه ذابت، وإذا رفعها عادت. وعطية العوفي ضعيف. والحديث الثاني رواه أحمد من حديث ابن لبيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، والطبري عن عمرو بن الحارث عن دراج به، بلفظ «الضعود» جبل من نار، يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك منه أبداً ودراج عن شيخه أبي الهيثم ضعيفان. وقال ابن كثير بعدما ذكر حديث أحمد والطبري (وهو الرواية الثانية): وفيه غرابة ونكارة.

(١) البيت لقوة بن الحميم، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«الأغاني» ١٠/٢٧٢، و«الطبري» ٢٩/١٥٦، و«القرطبي» ١٩/٧٤.

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«القرطبي» ١٩/٧٦، و«الألوسي» ٢٩/٢٢٥.

(٣) كذا الأصل: «أبو الأشدين»، وهو كذلك في بعض كتب التفسير، وفي النسخة الاستنبولية: «أبو الأسدين». والذي في «القرطبي»، و«البحر»، و«روح المعاني»: «أبو الأشد أسيد بن كلفة الجمحي». وكان شديد البأس، وذكروا أنه كان يسطر له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلا قطعاً، ويقتي موضع قطعته، وكان من أعداء النبي ﷺ.

﴿بِهَذَا﴾ الحديث والخبر ﴿مَثَلًا﴾ والمثل يكون بمعنى الحديث نفسه. معنى الكلام: يقولون: ما هذا من الحديث ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أضل من أنكر عَدَدَ الْحَزَنَةِ، وهدي من صدق ﴿يُحِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وأنزل في قول أبي جهل: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿وَمَا يَنْتَهِ جُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار. وذلك أن لكل واحد من هؤلاء التسعة عشر من الأعداء ما لا يعلمه إلا الله. وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولاً محتملاً، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير، لأن الأحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الأحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاختصار على عدد يجمع أقل الكثير، وأكثر القليل. ثم رجع إلى ذكر النار فقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَّا يَكُونُ﴾ أي: ما النار في الدنيا إلا مذكورة لنار الآخرة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿وَالْقَمَرِ﴾ والآل في أدبر، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «إذا أدبر» وقرأ نافع، وحزمة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب «إذا بسكون الدال من غير ألف بعدها «أدبر» بسكون الدال، وبهمزة قبلها. وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل، وأدبر. ودبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش، وثعلب. والثاني: أن «دبر» بمعنى خلف، و«أدبر» بمعنى ولى. يقال: دبرني فلان: جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَرْنَا﴾ أي: أضاء وتبين ﴿إِنَّمَا﴾ يعني: سفر ﴿لِنَهْدِي الْأَكْبَرُ﴾ قال ابن قتيبة: الكبر، جمع كبرى، مثل الأول، والأولى، والصغر والصغرى. وهذا كما يقال: إنها لإحدى العظام. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أوهى منها. وقال ابن السائب، ومقاتل: أراد بالكبر: دركات جهنم السبعة.

قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّبَشَرٍ﴾ قال الزجاج: نصب «نذيراً» على الحال. والمعنى: إنه لكبيرة في حال الإنذار. وذكر «النذير»، لأن معناه معنى العذاب. ويجوز أن يكون «نذيراً» منصوباً متعلقاً بأول السورة، على معنى: قم نذيراً للبشر.

قوله تعالى: ﴿لَنْ نَكْفُرَ﴾ بدل من قوله تعالى: «للبشر»، ﴿أَنْ يَتَّقُوا أَوْ يَتَّقُوا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عن معصيته، قاله ابن جريج. والثاني: أن يتقدم إلى النار، أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي. والثالث: أن يتقدم في الخير، أو يتأخر إلى الشر، قاله يحيى بن سلام. والرابع: أن يتقدم في الإيمان، أو يتأخر عنه. والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل أحد ممن أقر أو كفر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ﴾ إِلَّا أَحَبَّ إِلَيْنِ ﴿١٨﴾ فِي جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ ﴿١٩﴾ عَنِ الشَّجَرِينَ ﴿٢٠﴾ مَا سَلَكَ فِي سَفَرٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ نَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٣﴾ وَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْيَتِيمِ ﴿٢٤﴾ حَقٌّ أَتَيْنَا إِلَيْنِ ﴿٢٥﴾ قَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّيْئِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مَرْضِيَيْنِ ﴿٢٧﴾ كَانَتْهُمْ حُمُرٌ شَتَّىفَرَةٍ ﴿٢٨﴾ قَرَّتْ مِنْ سَوَرَةٍ ﴿٢٩﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً ﴿٣٠﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٣١﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ تَكْرُرُهُ ﴿٣٢﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٣٣﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُرُونِ وَأَهْلُ الْغُفْرَةِ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كل نفس بالغية مرتبة بعملها لتحاسب عليه ﴿إِلَّا أَحَبَّ إِلَيْنِ﴾ وهم أطفال المسلمين، فإنه لا حساب عليهم، لأنه لا ذنوب لهم، قاله علي، واختاره الفراء. والثاني: كل نفس من أهل النار مرتبة في النار، إلا أصحاب اليمين، وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضحاك. والثالث: كل نفس مرتبة بعملها لتحاسب عليه إلا أصحاب اليمين، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ عَنِ الشَّجَرِينَ ﴿٢٠﴾ قال مقاتل: إذا خرج أهل التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿مَا سَلَكَ فِي سَفَرٍ﴾؟ قال المفسرون: سلككم بمعنى: أدخلكم. وقال مقاتل: ما حبسكم فيها؟ ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ الله في دار الدنيا ﴿وَلَوْ نَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْيَتِيمِ﴾ أي: لم نتصدق لله ﴿وَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْيَتِيمِ﴾ أهل

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصوب.

الباطل والتكذيب ﴿رَكَعًا يُكَبِّرُ فِيهِ أَلَيْنَ﴾ (١) أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰ آتَنَّا الْيَقِينَ﴾ (٢) وهو الموت. يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَتَمَنَّوْنَ شَيْئًا الْفَتَيْنِ﴾ (٣) وهذا إنما جرى بعد شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل على نفع الشفاعة لمن آمن. ﴿فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْتَّكْوِينِ مُرِيدِينَ﴾ (٤)؟ يعني: كفار قريش حين نفروا من القرآن والتذكير بمواعظه. والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به، ثم شبههم في نفورهم عنه بالحُمُر، فقال تعالى: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ﴾ (٥) ﴿قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ بِفَتْحِ الْفَاءِ. وَابْنُ الْقَاسِمِ بِكَسْرِهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ: مَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الْفَاءِ أَرَادَ: مَذْعُورَةً، اسْتَفْرَتْ فَفَرَّتْ. وَمَنْ قَرَأَ بِكَسْرِ الْفَاءِ أَرَادَ: نَافِرَةً. قَالَ الْفَرَاءُ: أَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: حُمُرٌ مُّسْتَفِرَّةٌ. وَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَكْسِرُونَ الْفَاءَ. وَالفَتْحُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَرَأْتُنَا بِالْكَسْرِ. أَشْدَدُنِي الْكِسَافِيُّ:

إِحْبِسْ جِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَشْفِرٌ فِي إِثْرِ أَخِيْرَةِ عَمَدَنَ لِغُرَبٍ (١)  
و «غُرَب» موضع. وفي «القصورة» سبعة أقوال: أحدها: أنه الأسد، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه. قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هزئت منه، فكذاك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزجاج. قال ابن قتيبة: كأنه من التَّسْرِ والتَّهْرِ. فالأسد يقهر السباع. والثاني: أن القصورة: الرماة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقَتادة، والضحاك، ومقاتل، وابن كيسان. والثالث: أن القصورة: جبال الصيادين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم عُصَبُ الرُّجَالِ، رواه أبو حمزة عن ابن عباس. واسم أبي حمزة: نصر بن عمران الضبيعي. والخامس: أنه رَكْزُ الناس، وهذا في رواية عطاء أيضاً عن ابن عباس. ورَكْزُ الناس: جِشْمُ وأصواتهم. والسادس: أنه الظُّلْمَةُ والليل، قاله عكرمة. والسابع: أنه التَّبَلُّ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّنَةً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَنْبَغِكَ، فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان ابن فلان يؤمر فيه بأبوابك، قاله الجمهور. والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعذبوا بها، قاله أبو صالح. والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوباً إذا أصبح في رُقعة. فما بالنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء. فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتون الصُّحُفَ ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: لا يَخْشَوْنَ عَذَابَهَا. والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً. وقيل: معنى ﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر كما يريدون ويقولون ﴿إِنَّهُمْ تَذَكَّرُوا﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٢) الهاء عائدة على القرآن، فالمعنى: فمن شاء أن يذكر القرآن ويتعظ به ويفهمه، ذكره. ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا أن يريد لهم الهدى ﴿هُوَ أَقْلُ الْقُلُوبِ﴾ أي: أهل أن يتقوا ﴿وَأَقْلُ الْقُلُوبِ﴾ أي: أهل أن يَغْفِرَ لمن تاب. روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال: «قال ربكم ﷻ: أنا أهل أن أتقى، فلا يشرك بي غيري. وأنا أهل لمن أتقى أن يشرك بي غيري أن أغفر له» (٣).



(١) البيت في «اللسان»: نفر، منسوباً لابن الأعرابي، وأوله «اربط حمارك» بدل «اجس» وهو في «الطبري» ١٦٨/٢٩ غير منسوب، و«القرطبي» ٨٧/١٩ وأوله فيهما «اسك حمارك» بدل «اجس». و«غُرَب» كَشْرٌ: اسم موضع وجبل دون الشام في بلاد بني كلب.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والترمذي ١٦٨/٢، و«الحاكم» ٥٠٨/٢، وابن ماجه، والدارمي، والطبراني في «الأوسط»، وابن عدي، وأبو يعلى، والبراز، كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت بن أنس، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد انفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٠: ورواه الحكيم الترمذي في السامع والسبعين بعد المائة بلفظ: «قال: هو أهل أن يتقى، فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له» وله شاهد من رواية عبد الله قال: سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس ﷺ يقولون: مثل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى... فذكره.

## سورة القيامة

وهي مكية كلها بإجماعهم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَمِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أَمِمْ وَالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝ أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ۝ بَلْ قَدِيرٌ عَلَيْهِ أَنْ سُئِيَ بِكَامٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ لَأَمَامَهُ ۝ يَنْتَظِرُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ إِنَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ وَحَسَّ الْقَمَرُ ۝ وَجَمَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۝ كَلَّا لَا وَدَّ ۝ إِنْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لَشَتَّى ۝ يُبْذَرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْفَ مَعَادِيرٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَمِمْ﴾: اتفقوا على أن المعنى «أقسم» واختلفوا في «لَا» فجعلها بعضهم زائدة، كقوله تعالى: ﴿لَيْتَ يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وجعلها بعضهم رداً على منكري البعث. ويدل عليه أنه «أقسم» «على كون البعث». قال ابن قتيبة: زيدت «لَا» على نية الرد على المكذبين، كما تقول: لا والله ما ذاك، ولو حذفت جاز، ولكنه أبلغ في الرد، وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح «لأقسم» بغير ألف بعد اللام، فجعلت لاهياً دخلت على «أقسم»، وهي قراءة ابن عباس. وأبي عبد الرحمن، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، ابن محيصن. قال الزجاج: من قرأ «لأقسم» فاللام لام القسم والتوكيد. وهذه القراءة بعيدة في العربية، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيداً. ولا يجوز: لأضرب زيداً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَمِمْ وَالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝﴾ قال الحسن: أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقال قتادة: حكما حكم الأولى<sup>(١)</sup>. وفي «النفس اللوامة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس، فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم. والثاني: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برّ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملاً خيراً قال: هلا زدت. وإن كانت عملت سوءاً، قال: ليتني لم أفعل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ۝﴾ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وقال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي ﷺ له: «نعم»، فاستهزأ منه، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه: لَتُبْعَثُنَّ، لَتُحَاسَبُنَّ، فدل قوله تعالى: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ۝﴾ على الجواب، فحذف<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُتَبَدَّلُ﴾ وقوف حسن. ثم يُتَبَدَّلُ ﴿بَلْ قَدِيرٌ﴾ على معنى: بلى نجعلها قادرين. ويصلح نصب «قادرين» على التكرير: بلى فليحسبنا قادرين<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى أَنْ سُئِيَ بِكَامٍ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً

(١) قال ابن كثير: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، كما قاله قتادة رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، واختاره ابن جرير.

(٢) قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال مقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

(٣) قال البغوي: نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة تحت الأحنس بن شريق الثقفي، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اكفني حازي السوء»، يعني عدياً والأحنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد حدثني من القيامة متى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: لو عاينث ذلك اليوم لم أصفك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ أنزل الله ﷻ: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ۝﴾ بعد التفرق والبلى فتحيه قبل ذكر العظام، وذكره كذلك بغير سند القرطبي والخازن. والله أعلم. وفي «القرطبي» و«البحر المحيط»: وقيل: نزلت في أبي جهل.

(٤) قال ابن كثير: والمقسم عليه هاهنا، هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعم الجبهة من العباد من عدم بعث الأجساد.

(٥) قال ابن كثير: والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدِيرٌ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿يَجْعَ﴾ أي أظن الإنسان أنا لا نجعل عظامه؟ ﴿بَلْ﴾ «نستجمعها» ﴿قَدِيرٌ﴾ «عَلَى أَنْ سُئِيَ بِكَامٍ»، أي قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئت لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بئانه وهي أطراف أصابعه مستوية.

واحداً كُفَّت البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه. كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. وقد بينا معنى البنان في [الأنفال: ١٢].

قوله تعالى: ﴿يُذِئِدُ الْإِنْسَانَ يَفْجَرُ مَا فِيهِ﴾ (١٠) فيه قولان: أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس. والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب، قاله سعيد بن جبيرة. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١١) أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر ﴿وَإِنَّا بِكَ لَشَرٌّ﴾ (٧) ﴿قُرْأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَأَبَانَ عَنْ عَاصِمٍ ﴿بَرْقٌ﴾ بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا. قَالَ الْفَرَاءُ: الْعَرَبُ تَقُولُ: بَرْقُ الْبَصْرِ يَبْرُقُ، وَيَبْرُقُ يَبْرُقُ: إِذَا رَأَىٰ هَوَلاً يَفْزَعُ مِنْهُ. وَ «بَرْقٌ» أَكْثَرُ وَأَجُودُ<sup>(٢)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَنَفْسِكَ فَانْعَ وَلَا تَنْفَسِي  
وَدَاوِ الْكُلُومَ وَلَا تَنْبَرِقِ<sup>(٣)</sup>

بِالْفَتْحِ. يَقُولُ: لَا تَفْزَعْ مِنْ هَوْلِ الْجِرَاحِ الَّتِي<sup>(٤)</sup> بِكَ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: يَشْخَصُ بَصَرُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَظَرُفُ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي كَانَ يَكْذِبُ بِهَا فِي الدُّنْيَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بَرْقُ الْبَصْرِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

قوله تعالى: ﴿وَكَسَفَ الْقَمَرَ﴾ (١٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَسَفَ وَخَسَفَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَي: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ. قوله تعالى: ﴿وَرَجَعَ النَّفْسُ إِلَىٰ الْقَمَرِ﴾ (١٣) إِنَّمَا قَالَ «جَمَعَ» لِتَذْكِيرِ الْقَمَرِ، هَذَا قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: جُمِعَتْ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: جَمَعَ بَيْنَهُمَا. وَفِي مَعْنَى الْآيَةِ قَوْلَانُ: أَحَدُهُمَا: جَمَعَ بَيْنَ ذَاتَيْهِمَا. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: جَمَعَا كَالْبَعِيرَيْنِ الْقَرِينَيْنِ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: يُجْمَعَانِ ثُمَّ يُفْقَدَانِ فِي الْبَحْرِ. وَقِيلَ: يُفْقَدَانِ فِي النَّارِ. وَقِيلَ: يَجْمَعَانِ، فَيُطْلَعَانِ مِنَ الْمَغْرِبِ. وَالثَّانِي: جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي ذَهَابِ نَوْرِهِمَا، قَالَ الْفَرَاءُ، وَالزَّجَاجُ.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: الْمَكْذُوبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّا لَنَرُّ﴾ قُرْأَ الْجُمْهُورُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْفَاءُ، وَقُرْأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَعَاوِيَةُ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالْحَسَنُ، وَعُكْرَمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَابْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ: بِكَسْرِ الْفَاءِ. قَالَ الزَّجَاجُ: فَمَنْ فَتَحَ، فَالْمَعْنَى: أَيْنَ الْفَرَارُ؟ وَمَنْ كَسَرَ، فَالْمَعْنَى: أَيْنَ مَكَانَ الْفَرَارِ؟ تَقُولُ: جَلَسْتُ مَجْلِساً بِالْفَتْحِ، يَعْنِي: جُلُوساً. فَإِذَا قُلْتَ: مَجْلِساً بِالْكَسْرِ، فَانْتَ تَرِيدُ الْمَكَانَ.

قوله تعالى: ﴿لَا رَدَّ﴾ (١٤) قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: لَا مَلْجَأَ. وَأَصْلُ الْوَزْرِ: الْجِبَلِ الَّذِي يَمْتَنِعُ فِيهِ ﴿إِلَّا رَدَّكَ يَوْمَهِ السَّعَةِ﴾ (١٥) أَي: الْمَتْنِهِ وَالْمَرْجِعِ. ﴿يَوْمَ الْإِنْسَانُ يَوْمَهُ يَمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾ (١٦) فِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: بِمَا قَدَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَمَا سَرَّ مِنْ شَيْءٍ فَعَمِلَ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: يَتَبَأُ بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ. قَالَه مُجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: بِمَا قَدَّمَ مِنَ الشَّرِّ، وَآخَرَ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَه عُكْرَمَةُ. وَالرَّابِعُ: بِمَا قَدَّمَ مِنْ فُرْضٍ، وَآخَرَ مِنْ فُرْضٍ، قَالَه الضَّحَّاكُ. وَالْخَامِسُ: بِمَا قَدَّمَ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَآخَرَ مِنْ طَاعَةٍ. وَالسَّادِسُ: بِمَا قَدَّمَ مِنْ أَمْوَالِهِ، وَمَا خَلَّفَ لِلْوَرَثَةِ، قَالَه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ يَصِيرُ﴾ (١٧) قَالَ الْفَرَاءُ: الْمَعْنَى: بَلْ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، أَي: رَقِيبَةٌ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِعَمَلِهِ، وَهِيَ: الْجَوَارِحُ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: فَلَمَّا كَانَتْ جَوَارِحُهُ مِنْهُ، أَقَامَهَا مَقَامَهُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَرَوَى عَنْ عُكْرَمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَالضَّحَّاكِ وَالسَّدي وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الذُّنُوبَ وَسُوءَ التَّوْبَةِ.

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَأَوَّلَى الْقَرَامَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالضَّوَابِ كَسَرَ الرَّاءِ، ﴿وَإِنَّا بِكَ لَشَرٌّ﴾ بِمَعْنَى: فَرَحَ نَفْسُكَ وَفُتِحَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَفَزَعِ الْمَوْتِ، قَالَ: وَبِذَلِكَ جَاءَتْ أَشْعَارُ الْعَرَبِ.

(٣) الْبَيْتُ لَطُرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ فِي «دِيوانِهِ» ٢١٨، وَهُوَ فِي «الطَّبْرِيِّ» ١٧٩/٢٩، وَ«الْقُرْطُبِيِّ» ٩٤/١٩، وَ«اللسان»: بَرَقَ. وَتَبَرَّقَ: تَهَدَّدَ. يَقُولُ طَرَفَةُ لِحَنَانَةَ: إِذَا نَاقَتْ نَفْسُكَ إِلَى السَّخْرِيقِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ، فَاغْبَدْ عَنِّي وَاسْتِهْزِئْ بِنَفْسِكَ وَاحْتَقِرْهَا، وَاحْبِسْ نَفْسَكَ وَاخْلُ لِنَدَاوِي مَا أَصْبَحْتُكَ بِهِ مِنْ جُرُوحٍ، وَلِيَاكَ وَتَهْدِيدِ الْأَبْطَالِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا تَقْوَى عَلَيْهِمْ. وَقَبْلَهُ بَيْتٌ، وَهُوَ:

نَمَانِي حَسَنَانَةً طَرِبَالَةً  
تَسُفُّ بِسَبِيحٍ مِنَ السَّوْطِ بَرَقَ

وَمَعْنَى نَعَانِي: شَهَرِي وَحَاوَلْتُ أَنْ يَسْمِيَ سَمْعَتِي، طَرِبَالَةً: نَجْمَةٌ، لِقَبِّهِ بِذَلِكَ، وَهِيَ مَتَّصِيَةٌ عَلَى التَّرْخِيمِ. تَسُفُ: تَأْكُلُ. الْبَيْسُ: الْيَابِسُ. الْعَشْرِيقُ: نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ حَنَانَةَ قَدْ حَاوَلَتْ أَنْ يَسْمِيَ وَيَشْهَرِي، فَرَحِمَةً لَكَ أَيُّهَا النَجْمَةُ الَّتِي تَرَعَى يَابِسَ الْعُشْبِ وَأَرْوَدَهُ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: الَّذِي.

جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذكر، كما جاءت في رجل «راوية»، و «طاغية»، و «علامة».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلْمُغَابِرِينَ ۖ﴾ في المعاذير قولان: أحدهما: أنه جمع عذر، فالمعنى: لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذب عذره، وهي: الجوارح، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستور. والمعاذير: الستور. فالمعنى: ولو أرخى ستوره، هذا قول الضحاك، والسدي، والزجاج. فيخرج في معنى «القي» قولان: أحدهما: قال، ومنه «فَأَلْقُوا إِلَيْهِنَّ الْقَوْلَ» [النحل: ٣٦]، وهذا على القول الأول. والثاني: أرخى، وهذا على القول الثاني.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ ۖ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَفُتَاتَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتِحَ قُرْآنِكَ ۖ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ۖ ﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْكَلِمَةَ ۖ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۖ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ تَابُوتُ ۖ ﴿١٢﴾ إِلَيْ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۖ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ بُكْرَةُ ۖ ﴿١٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يَهْجُرَ بِهَا كَأُفْرَةٍ ۖ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يشتد عليه حفظه، وكان إذا نزل عليه الوحي يُحَرِّكُ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ قَبْلَ فِرَاقِ جَبْرِيلَ مِنْ قِرَاءَةِ الْوَحْيِ، مخافة أن لا يحفظه، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>. ومعناها: لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بأخذه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَفُتَاتَهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ضمه وجمعه في صدرك ﴿إِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: جمعناه ﴿فَاتِحَ قُرْآنِكَ﴾ أي: جمعه. قال المفسرون يعني: اقرأ إذا فرغ جبريل من قراءته. قال ابن عباس: فاتح قرآنه، أي: اعمل به. وقال قتادة: فاتح حلاله وحرامه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بيئته بلسانك، فتقروه كما أقرأك جبريل. وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب، قرأه كما وعده الله، قاله ابن عباس. والثاني: إن علينا أن نجزي به يوم القيامة بما فيه من وعد ووعد، قاله الحسن. والثالث: إن علينا بيان ما فيه من الأحكام، والحلال، والحرام، قاله قتادة. والرابع: علينا أن ننزله قرآنًا عربيًا، فيه بيان للناس، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال عطاء: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه، وقال ابن جرير: المعنى: ليس الأمر كما تقولون من أنكم لا تُبْعَثُونَ، ولكن دعاكم إلى قيل ذلك مَحَبَّتِكُمْ لِلْعَاجِلَةِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُؤْخِرُ الْكَافِرَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «بل يحبون العاجلة ويذرون» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. المراد: كفار مكة، يحبونها ويعملون لها «ويذرون الآخرة» أي: يتركون العمل لها إيثارًا للعالمين عليها.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ تَابُوتُ ۖ﴾ أي: مشرقة بالنعيم ﴿إِلَيْ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال: إلى الله ناظرة. قال الحسن: حق لها أن تُنْصَرَّ وهي تنظر إلى الخالق، وهذا مذهب عكرمة. وروية الله ﷻ حق لا شك فيها، والأحاديث فيها صحاح، قد ذكرت جملة منها في «المعني» و «الحدائق»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ بُكْرَةُ ۖ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عابسة مقطبة.

قوله تعالى: ﴿تَنْظُرُ﴾ قال الفراء: أي: تعلم، و «الفارقة» الداهية. قال ابن قتيبة: إنه من فُقارة الظهر، كأنها تكسره، يقال: فُقِرْتُ الرجل: إذا كسرت فقارَه، كما يقال: رأسُه: إذا ضربت رأسه، ويَنْظُرُهُ: إذا ضَرَبْتَ بَطْنَهُ. قال ابن زيد: الفارقة: دخول النار. قال ابن السائب: هي أن تُحْجَبَ عن ربها، فلا تنظر إليه.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقُرَىٰ ۖ﴾ قِيلَ مَنْ كَلَوُ ۖ ﴿٧﴾ وَظَرَّ اللَّهُ الْفِرَاقُ ۖ ﴿٨﴾ وَالْقَبْرِ أَلْسَانُ ۖ ﴿٩﴾ إِلَيْ رَبِّكَ يُؤْمِدُ الْإِنْسَانُ ۖ ﴿١٠﴾ فَلَا مَكْدُ وَلَا مَكَلُ ۖ ﴿١١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلُ ۖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْ أَهْلِهِ يَنْتَقِلُ ۖ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ لَكَ قُلُوبٌ ۖ ﴿١٤﴾ ثُمَّ أَوَلَمْ لَكَ قُلُوبٌ ۖ ﴿١٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُؤْتَرَ مَكُ ۖ ﴿١٦﴾

(١) روله الإمام أحمد في «المعنى» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس، و«البخاري» ٣٢٥/٨، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وذكر السيوطي في «الدر» ٢٨٩/٦ وزاد نسبه للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» عن ابن عباس ﷺ.

(٢) وقد ثبت رؤية المؤمنين ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهما في «الصحيحين» أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟» قالوا: لا، قال: «إنكم ترون ربكم كذلك» وفي «الصحيحين» عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا».

أَوَّلُكَ تَلْفَةً مِنْ مَيِّتٍ يَتَّقُ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْفَةً فَلَمَّا قُتِلَ سَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾  
قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: «كلا» ردع وتنبية. المعنى: ارتدعوا عما يؤدي إلى العذاب. وقال غيره: معنى «كلا»: لا يؤمن الكافر بهذا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني: النفس. وهذه كناية عن غير مذكور. و «التراقي» العظام المكتنفة للقرّة النحر عن يمين وشمال. وواحدة التراقي: ترقة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، ﴿فَقِيلَ مَنْ لَكَ﴾ ﴿٣٧﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قول الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى روحه، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية ومقاتل. والثاني: أنه قول أهله: هل من راقٍ يزقيه بالرقى؟ وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عكرمة، والضحاك، وأبو قلابة، وقنادة، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ﴾ أي: أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿أَنَّ الْفِرَاقَ﴾ للدنيا ﴿وَالْفَتَى السَّائِقَ﴾ ﴿٣٨﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أمر الدنيا بأمر الآخرة، رواه الوالبي عن ابن عباس: وبه قال مقاتل. والثاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: التفت ساقاه في الكفن، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي. والخامس: الشدة بالشدة، قاله قنادة. قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ السَّنَاءَ﴾ ﴿٣٩﴾ أي: إلى الله المنتهى. ﴿فَلَا سَدَّكَ وَلَا مَلَ﴾ ﴿٤٠﴾ قال أبو عبيدة: «لا» هاهنا في موضع «لم». قال المفسرون: هو أبو جهل<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ ﴿٣٧﴾ أي: رجع إليهم يتبختر ويختال. قال الفراء: «يتمطّى»، أي: يتبختر، لأن الظهر هو المَطَا، فيلوي ظهره متبخترًا. وقال ابن قتيبة: أصله يتمطط، فقلبت الطاء فيه ياءً، كما قيل: يتظنى، وأصله: يتظنن، ومنه المشية المَطِيطَاء. وأصل الطاء في هذا كله دال. إنما هو مد يده في المشي إذا تبختر. يقال: مَطَطْتُ وَمَدَدْتُ بمعنى.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ لَكَ قَاوِلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ قل ابن قتيبة: هو تهديد ووعيد. وقال الزجاج: العرب تقول: أولى لفلان: إذا دعت عليه بالمكروه، ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَبَّ الْإِنْسُ﴾ يعني: أبا جهل ﴿بِرَبِّكَ سُوءًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: يهمل فلا يؤمر ولا ينهى ولا يعاقب، يقال: أسدبت الشيء، أي: أهملته. ثم دل على البعث بقوله تعالى: ﴿أَوَّلُكَ تَلْفَةً مِنْ مَيِّتٍ يَتَّقُ﴾ ﴿٣٧﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، الكسائي وأبو بكر عن عاصم: «تُمْنَى» بالطاء. وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب «يُمْنَى» بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقد شرحنا هذا في [النجم: ٢٤] ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْفَةً﴾ بعد النطفة ﴿فَلَمَّا قُتِلَ﴾ فيه الروح، وسَوَّى خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: خلَقَ من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الذي فعل هذا ﴿بِقَدِيرٍ﴾؟ وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري «يقدر» ﴿عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ١٩ وهذا تقرير لهم، أي: إن من قَدَّر على الابتداء قَدَّر على الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى<sup>(٣)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك من شدة كرب الموت، بشدة هول المطلع.

(٢) والصحيح أنها عامة في أبي جهل وغيره.

(٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأبو إسحاق السبيعي ثقة عابد لكنه اختلط بآخرة. ورواه أبو داود والترمذي مطولاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفي سنده أعرابي لم يسم، وعنه أخرجه أحمد ٢٤٩/٢، والترمذي ٢٣٨/٢ مختصراً وأعله بالأعرابي. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥١٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنده يزيد بن عياض، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف». ورواه أبو داود رقم (٤٨٤) من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه من النبي ﷺ قال ابن كثير: تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.

(٢) قال ابن كثير: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فإمام نفسه فمعتزها أو موبقها».



﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا﴾ ﴿١٠﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَتَزْكُرُهُ فَمَنْ شَاءَ لَنُحْدِثْ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة «سلاسل» بغير تنوين، ووقفوا بالفاء. ووقف أبو عمرو بالفاء. قال مكي بن أبي طالب النحوي: «سلاسل» و «قوارير» أصله أن لا ينصرف، ومن صرفه من القراء، فإنها لغة لبعض العرب. وقيل: إنما صرفه لأنه وقع في المصحف بالالف، فصرفه لاتباع خط المصحف. قال مقاتل: السلاسل في أعناقهم، والأغلال في أيديهم. وقد شرحنا معنى «السعير» في [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ واحد هم برٌّ، وبارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون. وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرَّ ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه شراب ﴿كَأْسَ رِجَالِهَا﴾ يعني: مزاج الكأس ﴿كَأْسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافور المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثة أقوال: أحدها: برده، قاله الحسن. والثاني: ريحه، قاله قتادة. والثالث: طعمه، قاله السدي. والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب. والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، أجازها القراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ قال القراء: هي المفسرة للكافور، وقال الأخفش: هي منصوبة على معنى: أعين عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشرب منها. والثاني: يشربها، والباء صلة. والثالث: يشرب بها عباد الله الخمر يمزجونها بها. وفي هذه العين قولان: أحدهما: أنها الكافور الذي سبق ذكره. والثاني: التسليم، و ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ هاهنا: أولياؤه ﴿يَجْزِيهِمْ تَقْبِيرًا﴾ قال مجاهد: يقودونها إلى حيث شاؤوا من الجنة. قال القراء: حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجزها لنفسه.

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ قال القراء: فيه إضمار «كانوا» يوفون بالندر. وفيه قولان: أحدهما: يوفون بالندر إذا نذروا في طاعة الله، قاله مجاهد، وعكرمة. والثاني: يوفون بما فرض الله عليهم<sup>(١)</sup>، قاله قتادة. ومعنى «الندر» في اللغة: الإيجاب. فالمعنى: يوفون بالواجب عليهم ﴿وَعِبَادُ اللَّهِ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَبِيرًا﴾ قال ابن عباس: فاشياً. وقال ابن قتيبة: فاشياً متشراً. يقال: استطار الحريق: إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء. وأشدوا للأعشى: قَبَانَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا وَصَدَعَا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَبِيرًا<sup>(٢)</sup>

وقال مقاتل: كَانَ شَرُّهُ فاشياً في السموات، فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكوَّرت الشمس والقمر في الأرض، ونُسِفَت الجبال، وغَارَت المياه، وتكسَّر كل شيء على وجه الأرض من جبل، وبناء، وفشا شرُّ يوم القيامة فيها.

قوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَلَى خَيْرٍ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في علي بن أبي طالب. أجر نفسه ليسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح. فلما قبض الشعير طحن ثلثه، وأصلحوه منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكين، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم أتى يتيم، فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما استوى جاء أسير من المشركين، فأطعموه وطوَّروا يومهم ذلك، فنزلت هذه الآيات، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيُوفُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ أي: يعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر. قال الإمام مالك في «الموطأ» ٤٧٦/٢: عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن محمد بن الصديق عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطعم الله فليطعمه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» ورواه البخاري في «صحيحه» كتاب الأيمان والنذور: باب النذر في الطاعة من حديث مالك.

(٢) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» ٩٣ ورواية الشطر الأول فيه: وبانت وقد أُوْزَتْ في الفؤاد... الخ وهو في «الطبري» ٢٩/٢٠٩، و«القرطبي» ١٩٦/١٩٦، «والنكتة» ٤٥٤/٢٤، «والشوكاني» ٣٣٧/٥.

(٣) ذكره الواحدي في «أسانيب التزول» ٣٣٦، والبغوي من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب وقاطمة بنت رسول الله ﷺ. والله أعلم.

والثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ویتيم، وأسیر، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>. وفي هاء الكناية في قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا غَافِلًا﴾ قولان: أحدهما: ترجع إلى الطعام، فكانهم كانوا يؤثرون وهم محتاجون إليه، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والزجاج، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: ترجع إلى الله تعالى، قاله الداراني<sup>(٣)</sup>. وقد سبق معنى «المسكين والیتيم» [البقرة: ٨٣]. وفي الأسير أربعة أقوال: أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة، قاله عطاء، ومجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي. والرابع: العبد، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

## فصل

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمول على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطِيعُونَ اللَّهَ لِوَيْهِ تُحِبُّونَ﴾ أي: لطلب ثواب الله. قال مجاهد، وابن جبير: أما إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب.

قوله تعالى: ﴿لَا يُدْرِيكُمْ جَزَاءُ﴾ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُّوا﴾ بالقول ﴿إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا﴾ أي: ما في يوم ﴿عَذَابًا﴾ قال ابن قتبية: أي: تمسب فيه الوجوه، فجعله من صفة اليوم، كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ٤١٨]، أراد: عاصف الريح. فأما «القمطير» فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنه الطويل. وروى عنه العوفي أنه قال: هو الذي يقبض فيه الرجل ما بين عينيه. فعلى هذا يكن اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قلنا في «العبوس» لأن اليوم لا يوصف بتقيض ما بين العينين. وقال مجاهد، وقتادة: «القمطير» الذي يقلص الوجوه، ويقبض الحياة، وما بين العينين من شدته. وقال الفراء: هو الشديد. يقال: يوم قمطير، ويوم قماطر. وأنشدني بعضهم:

بَنِي عَمْنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا  
عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمَاطِرٌ<sup>(٥)</sup>

وقال أبو عبيدة: العبوس، والقمطير، والقماطر، والعصيب، والعصنب: أشد ما يكون من الأيام، وأطولها في البلاء.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ﴾ أي: حسناً وبياضاً في الوجوه ﴿وَسَرَّوْهُمَا﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النُّصْرَةُ في الوجوه، والسَّرُّورُ في القلوب ﴿وَجَزَّهَمُ بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعته، وعن معصيته

(١) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند قال: نزلت في رجل من الأنصار، ولم يسمه، وقال الخازن: قيل: نزلت في رجل من الأنصار يقال له: أبو الدحداح، وقال القرطبي في «تفسيره» ١٢٨/١٩: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلاً حسناً، فهي عامة، قال: وقد ذكر النقاش، والنعلبي، والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الشكاف» ١٨٠: رواه العلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ إِذْ وَقَّعَ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [التكوير: ٢٥] وتكويره الكلام على حياء شيكاً وتيكاً وأيكراً، وزاد في إثباته شعراً لعلي وفاطمة، ثم قال: قال الحكيم الترمذي: هذا حديث مزوَّق مفصل لا يروج إلا على أحمد ق جاهل، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير عن الأصم بن نباتة، قال: مرض الحسن والحسين... إلخ. فذكره بشعره وزيادة الفاظ ثم قال: وهذا لا شك في وضعه.

(٢) قال ابن كثير: والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: يطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوئهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ آلُكَ عَلَىٰ حِيَدٍ﴾ وكقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا اللَّهَ حَقَّ تَبَعًا إِنَّمَا يُنَالُ بِمَا شِئْتُمْ﴾. ثم قال: وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي: في حال محبتك للمال وحركتك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال: ﴿وَتَكْوِيرُهُ الْكَلَامَ عَلَىٰ حِيَدٍ وَشَيْكًا وَتِيكًا وَأِيكًا﴾.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي أبو سليمان الداراني، زاهد مشهور من أهل داريا (بغولقة دمشق) توفي فيها رحمه الله سنة (٢١٥هـ).

(٤) قال ابن كثير: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير، لمعموم الآية للمسلم والمشرك، وهكذا قال سعيد بن جبير وغطاء والحسن وقتادة، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه آخر ما أوصى أن جعل يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

(٥) البيت في «اللسان»: قماطر، ولم ينسبه، وهو في «الطبري» ٢٩/٢١١، «القرطبي» ١٩/١٣٣، «ابن كثير» ٤/٤٥٥، «الشوكاني» ٥/٣٣٨.

﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾ وهو لباس أهل الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، أي: جزاهم جنة في حال اتكائهم فيها. وقد شرحنا هذا في [الكف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد الشديد. والمعنى: لا يجدون فيها الحرَّ والبرد. حكى عن ثعلب أنه قال: الزمهرير: القمر، وأنشد:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اغْتَكَّرَ  
قَطْعُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ<sup>(١)</sup>  
أي: لم يطلع القمر.

قوله تعالى: ﴿وَدَائِبُهُ﴾ قال الفراء: المعنى: وجزاهم جنة، ودائبة عليهم ظلالها، أي: قرية منهم ظلال أشجارها: ﴿وَذَلَّلَتْ قُلُوبُهُمْ لَذَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: إذا همَّ أن يتناول من ثمارها تَذَلَّتْ إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قُرِبَتْ إليهم مُذَلَّلَةٌ كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياماً، وقعوداً، ومضطجعين، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلُوبُهُمْ دَائِبَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. فأما «الأكواب» فقد شرحناها في [الزخرف: ٧١]. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: تلك الأكواب هي قوارير، ولكنها من فضة. قال ابن عباس: لو ضُرِبَتْ فضة الدنيا حتى جعلتها مثل جناح الذباب، لم يُرَ الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة. وقال الفراء، وابن قتيبة: هذا على التشبيه، المعنى: كأنها من فضة، أي لها بياض كبياض الفضة وصفاء كصفاء القوارير. وكان نافع، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم يقرؤون «قواريراً قواريراً» فَيَصِلُونَهَا جميعاً بالتونين. ويقفون عليهما بالالف. وكان ابن عامر وحمة يَصِلَانِهَا جميعاً بغير تنوين، ويقفان عليهما بغير ألف. وكان ابن كثير يَصِلُ الأول بالتونين، ويقف عليه بالالف، وَيَصِلُ الثاني بغير تنوين، ويقف بغير ألف. وروى حفص عن عاصم أنه كان يقرأ «سلاسل» و «قوارير قوارير» يَصِلُ الثلاثة بغير تنوين، ويقف على الثلاثة بالالف. وكان أبو عمرو يقرأ الأول «قواريرا» فيقف عليه بالالف، ويصل بغير تنوين. وقال الزجاج: الاختيار عند النحويين أن لا يصرف «قوارير» لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. ومن قرأ «قواريرا» يصرف الأول علامة رأس آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بأخر آية. ومن صرف الثاني: أتبع اللفظ اللفظ، لأن العرب قلبت إعراب الشيء لَتَشَبَعَ اللفظ اللفظ، كما قالوا: جُحِرَ ضَبٌّ حَرِبٍ. وإنما الحَرِبُ من نعت الجحر.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوا قَدْرًا﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر «قَدَرُوا» برفع القاف، وكسر الدال، وتشديدها. وقرأ حميد، وعمر بن دينار «قَدَرُوا» بفتح القاف، والدال، وتخفيفها. ثم في معنى الآية قولان: أحدهما: قَدَرُوا في أنفسهم، فجاءت على ما قَدَرُوا، قاله الحسن. وقال الزجاج: جعل الإناء على قَدَر ما يحتاجون إليه ويريدونه على تقديرهم. والثاني: قَدَرُوا على مقدار لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد. وقال غيره: قَدَر الكأس على قَدَر رِيْهِمْ، لا يزيد عن رِيْهِمْ فَيُقِلُّ الكَفِّ، ولا ينقص منه فيطلب الزيادة، وهذا أَلَدُ الشراب. فعلى هذا القول يكون الضمير في «قَدَرُوا» للسقاة والخدم. وعلى الأول للشاربين.

قوله تعالى: ﴿رَشَقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني في الجنة ﴿كَأَنَّ رِجَالَهُمْ يُزْجَلُونَ﴾ والعرب تضرب المثل بالزنجبيل والخمر ممزوجين. قال المسيب بن علس يصف فم امرأة:

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزُّنْجَبِيلِ بِهِ  
إِذْ ذُوقْتُهُ وَسُلَاقَةُ الْخَمْرِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

كَأَنَّ الْقَرْنِفُلَ وَالزُّنْجَبِيلَ  
لِ بَاتَا بِفِيهَا وَأَزْيَا مُشَارَا<sup>(٣)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٣٦/١٩، و«الألوسي» ١٥٨/٢٩.

(٢) هو في آخر «ديوان الأعشى» ابن أخت المسيب بن علس، وراوته ٣٥٢ من قصيدة مطلعها:

أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصِيلِ مِنْ فِتْرِ  
وَهَجَرْتُهَا وَلَجَجْتُ فِي الْهَجْرِ

(٣) رواية البيت في «ديوان الأعشى الكبير» ميمون بن قيس ٩٣:

كَأَنَّ جَنْبِيًّا مِنَ الزُّنْجَبِيلِ  
لِ غَالِطَ نَاقَا وَأَزْيَا مُشَارَا

الأزى: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل. قال مجاهد: والزنجيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الزنجيل معرب. وقال الدُّنُورِي: يَنْبُثُ في أرياف عُمان، وهي عروق تسري في الأرض، وليس بشجرة تؤكل رُطْبًا، وأجود ما يحمل من بلاد الصين. قال الزجاج: وجاز أن يكون فيها طعم الزنجيل، والكلام فيه كالكلام السابق في الكافور. وقيل: شراب الجنة على برد الكافور، وطعم الزنجيل، وريح المسك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قال الزجاج: يسقون عيناً. وسلسيل: اسم العين، إلا أنه صرف لأنه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. فكان العين وصفت وسميت بصفتها. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿سَلْسِلًا﴾ قيل: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف. وقيل: هو اسم معرفة، إلا أنه أجري، لأنه رأس آية. وعن مجاهد قال: حديقة الجربة. وقيل: سلسيل: سلسل ماؤها، مستفيد لهم. وقال ابن الأنباري السلسيل صفة للماء، لِسَلْسِيهِ وسهولة مدخله في الحلق. يقال: شراب سَلْسَل، وسَلْسَال، وسَلْسِيل. وحكى الماوردي: أن علياً قال: المعنى: سَلْ سَيْلاً<sup>(١)</sup> إليها، ولا يصح<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ قد سبق بيانه [الواقعة: ١٧] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ جَنَّتَهُمْ لَوْلَا شَرُّهُ﴾ أي: في بياض اللؤلؤ وحُسْنِهِ، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظراً. وإنما شَبَّهُوا باللؤلؤ المنشور، لانتشارهم في الخدمة. ولو كانوا صَفًّا لَشَبَّهَوْهُ بالمنظم. ﴿وَلَا رَأَيْتُمْ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتُمْ﴾ لا يوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلا قَدَرُوا عليه، ولا يدخل عليهم ملك إلا باستئذان.

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم بإسكان الياء، وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلا أن الجعفي عن أبي بكر قرأ «عَالِيَتُهُمْ» بزيادة تاء مضمومة. وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقاتدة «عَالِيَهُمْ» بفتح اللام، وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف. قال الزجاج: فأما تفسير إعراب «عَالِيَهُمْ» بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون الخبر ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وأما «عَالِيَهُمْ» بفتح الياء، فنصبه على الحال من شيئين، أحدهما من الهاء والميم، والمعنى: يطوف على الأبرار وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ عَالِيًا للأبرار ثياب سندس، لأنه وصف أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالاً من الولدان. المعنى: إذا رأيتهم حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا منشوراً في حال غُلُو الثياب. وأما «عَالِيَتُهُمْ» فقد قرئت بالرفع والنصب، وهما وجهان جيّدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير «عاليهم».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قرأ ابن عمر، وأبو عمرو «خَضِر» رفعاً «وَإِسْتَبْرَقُ» خفضاً. وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم «خَضِر» خفضاً «وَإِسْتَبْرَقُ» رفعاً. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم «خَضِر» وإسْتَبْرَقُ كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي «خَضِر» وإسْتَبْرَقُ كلاهما بالخفض. قال الزجاج: من قرأ «خَضِر» بالرفع، فهو نعت الثياب، ولفظ الثياب لفظ الجمع، ومن قرأ «خَضِر» فهو من نعت السندس، والسندس في المعنى راجع إلى الثياب. ومن قرأ «وَإِسْتَبْرَقُ» فهو نسق على «ثياب» المعنى: وعليهم إستبرق. ومن خفض، عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين. وقد يَبَيَّنُ في [الكهف: ٣١] معنى السندس، والإسْتَبْرَقُ، والأساور.

قوله تعالى: ﴿وَسَنَنْهَمُ رَبَّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يُخَذُّون ولا يَبُولُونَ عن شَرْبِ خَمَرِ الْجَنَّةِ، قاله عطية. والثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء. وقال أبو قلابة: يُؤْتَوْنَ بعد الطعام بالثَّارِبِ الطَّهْوَرِ فيشربون فَتَضْمُرُ بذلك بَطُونُهُمْ، ويفيض من جلودهم عَرَقٌ مثل ريح المسك.

(١) على أنه أمر للنبي ﷺ ولأمة بسؤال السبل إليها.

(٢) قال الألوسي: وهو غير مستقيم بظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: «سل سَيْلاً» جعلت اسماً للمعين، كما قيل: تأبط شراً، وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سَيْلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل الأمير ﷺ أبعد، ونص بعضهم على أنه افتراء عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: ما وصف من نعيم الجنة ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ بأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعِيرًا﴾ أي: عملكم في الدنيا بطاعته ﴿تَشْكُرُوا﴾ قال عطاء: يريد: شكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ أي: فضّلناه في الإنزال، فلم نُنزِلْهُ جُمْلَةً واحدة ﴿فَتَمَيَّزَ لِكُلِّ رَبٍّ﴾ وقد سبق بيانه في مواضع [الطور: ٤٨، والقلم: ٤٨]. والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، ﴿وَلَا تُلَاقُوا بِهِمْ﴾ أي: من مشركي أهل مكة: ﴿إِنَّمَا أَوْفَرُوا﴾ «أو» بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿أَوِ الْكُوفَى﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وقد سبق هذا. وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما صفتان لأبي جهل. والثاني: أن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والثالث: الآثم: الوليد. والكفور: عتبة، وذلك أنهما قالا له: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج. ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّمَّ رَبُّكَ﴾ أي: اذكره بالتوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً﴾ يعني: الفجر ﴿وَأَمْسِلًا﴾ يعني: العصر. وبعضهم يقول: صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنْ أَلَيْلٍ فَاسْتَجِدْ لَّهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء. ﴿وَسَبِّحْهُ ثَلَاثَ طَوِيلَاتٍ﴾ وهي: صلاة الليل، كانت فريضة عليه، وهي لأُمِّيَّة تَطَوُّع ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ يعني: كفّار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوْمًا قَبِيلًا﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمان به، والعمل له. ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي: خلقهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: يقال: امرأة حسنة الأسر، أي: حسنة الخلق، كأنها أيسر، أي: شُدَّتْ. وأصل هذا من الإسار، وهو: القيد. [الذي تشد به الأتخاب] يقال: ما أحسن ما أسر قَتَبَةً، أي: ما أحسن ما شُدَّه [بالقيد]. وروي عن أبي هريرة قال: مفاصلهم. وعن الحسن قال: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، ﴿وَإِنَّا شَتْنَا بِذَلِكَ أُنْتَلَاهُمْ﴾ أي: إن شتينا أهلكتناهم وأتينا بأشباحهم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ﴾ قد شرحنا الآية في [المزمّل: ١٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ إيجاد السبيل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك لكم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، «وما يشاؤون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال المفسرون: الرحمة هاهنا: الجنة، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المشركون. قال أبو عبيدة: نصب «الظالمين» بالجوار. المعنى: ولا يُدْخِلُ الظالمين في رحمته. وقال الزجاج: إنما نصب «الظالمين» لأن<sup>(١)</sup> قبله منصوباً. المعنى: يُدْخِلُ من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين، ويكون قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيراً لهذا المضمّر، وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عتبة: «والظالمون» رفعاً.



(١) في الأصل: لأنه، والتصحيح من «تفسير الرازي».



على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك. والرابع: البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع. والخامس: المطر ينشر النبات، حكاه الماويدي. وفي «الفارقات» أربعة أقوال: أحدها: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الأكثرون. والثاني: أي القرآن فَرَّقَتْ بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان. والثالث: الريح تفرق بين السحاب فتبدِّده، قاله مجاهد. والرابع: الرسل، حكاه الزجاج. «فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا» ﴿٦﴾ قولان: أحدهما: الملائكة تلقي ما حلت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، والجمهور. والثاني: الرسل يلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ تَذَرًا﴾ ﴿٦﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «عَذْرًا خفيفاً» أو تَذَرًا مثقلاً. وقرأ أبو عمرو، وخمزة، والكسائي، وحفص، وخلف «عَذْرًا أَوْ تَذَرًا» خفيفتان. قال الفراء: وهو مصدر، مثقلاً كان أو مخففاً. ونصبه على معنى: أرسلت بما أرسلت به إعداراً من الله وإنذاراً. وقال الزجاج: المعنى: فالمملقيات عذراً أو تذراً. ويجوز أن يكون المعنى: فالمملقيات ذكراً للإعذار والإنذار. وهذه المذكورات مجرورات بالقسم. وجواب القسم «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَعْدٍ» ﴿٧﴾ قال المفسرون: إن ما توعدون به من أمر الساعة، والبعث، والجزاء لواقع، أي: لكائن. ثم ذكر متى يقع فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَكْثَبُكُمْ طَيْسًا﴾ ﴿٨﴾ أي: مُجِي تَوْرُهَا ﴿٩﴾ وَإِنَّمَا أَكْثَبُكُمْ طَيْسًا ﴿١٠﴾ أي: شَقَّتْ ﴿١١﴾ وَإِنَّمَا أَكْثَبُكُمْ طَيْسًا ﴿١٢﴾ قال الزجاج: أي: ذُهِبَ بها كلها بسرعة. يقال: انتسفت الشيء: إذا أخذه بسرعة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ ﴿١٣﴾ قرأ أبو عمرو «وُتِّتْ» بواو مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفر، إلا أنه خَفَّفَ للقاف. وقرأ الباقر: «أُتِّتْ» بآلف مكان الواو مع تشديد القاف. قال الزجاج: وُتِّتْ وَأُتِّتْ بمعنى واحد. فمن قرأ «أُتِّتْ» بالهمز، فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو. وكل واو انضمت، وكانت ضميتها لازمة، جاز أن تبدل منها همزة. وقال الفراء: الواو إذا كانت أول حرف، وُضُمَّتْ، همزت. تقول: صلى القوم أحداناً. وهذه أجوبة حسان. ومعنى «أُتِّتْ»: جمعت لوقتها يوم القيامة. وقال ابن قتيبة: جمعت لوقت، وهو يوم القيامة. وقال الزجاج: جعل لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ ﴿١٤﴾ أي: أُخْرِثَ. وَضُرِبَ الأجل لجمعهم، يعجب العباد من هول ذلك اليوم. ثم بيَّنه فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنفَلُ﴾ ﴿١٥﴾ وهو يوم يفصل الله تعالى فيه بين الخلاق. ثم عَظَّمَ ذلك اليوم بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ ﴿١٧﴾ بالبعث. ثم أخبر الله تعالى عما فعل بالأمم المكذبة، فقال: ﴿أَوَّ تِلْكَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٨﴾ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٩﴾ والقراء على رفع العين في «تتبعهم»، وقد قرأ قوم منهم أبو حيوة بإسكان العين. قال الفراء: «تتبعهم» مرفوعة. ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود «وستتبعهم الآخريين». ولو جزم على معنى: ألم تقدر على إهلاك الأولين وإتباعهم الآخريين كان وجهاً جيداً. وقال الزجاج: الجزم عطف على «تهلك»، ويكون المعنى: لمن أهلك أولاً وآخراً. والرفع على معنى: ثم تتبع الأول الآخر من كل مجرم. وقال مقاتل: ثم تتبعهم الآخريين: يعني: كفار مكة حين كذبوا بالنبي ﷺ. وقال ابن جرير: الأولون: قوم نوح، وعاد، وثمود، والآخرين: قوم إبراهيم، ولوط، ومذنب.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: مثل ذلك «فَعَمَلُ الْيَمِينِ» يعني: المكذبين. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ﴾ ﴿٢١﴾؟ فالجواب: أنه أراد بكل آية منها غير ما أراد بالآخرى، لأنه كلما ذكر شيئاً قال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلنَّكَّارِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ بهذا.

قوله تعالى: ﴿أَوَّ تِلْكَ الْأَوَّلِينَ﴾ قرأ قالون عن نافع بإظهار القاف. وقرأ الباقر بإدغامها.

قوله تعالى: ﴿بَيْنَ مَاوٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: ضعيف «فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مُّكِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ يعني: الرحم «إِن كَذَّبَ تَتَّبِعُوا» وهو مدة

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا﴾ ﴿٦﴾ عَذْرًا أَوْ تَذَرًا يعني الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري، ولا خلاف ها هنا، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعدار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

الحمل ﴿سَدَرْنَا﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي ﴿قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد. وقروا الباقر: بالتخفيف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. قال الفراء: تقول العرب: قَدَّر عليه، وقَدَّر عليه. وقفه احتج من قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشددة لقال: فنعم المقدرون، فأجاب الفراء فقال: قد تجمع العرب بين اللغتين: كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْفُرْ أَتَيْنَاهُمْ رَبًّا ١٧﴾ ﴿الطارق: ١٧﴾. قال الشاعر:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ

مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالضَّلَامَا<sup>(١)</sup>

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس. والثاني: أن المخففة من القُدرة والملك، والمشددة من التقدير والقضاء. ثم بين لهم صنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ تَحْمِلُ الْأَرْضَ كَثَا ١٦﴾ قال اللغويون: الكثف في اللغة: الضم. والمعنى: أنها تقضم أهلها أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. قال ابن قتيبة: يقال: اكثف هذا إليك، أي: ضمه. وكانوا يسمون بقبع الغرق: كفته، لأنه مقبرة يضم الموتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَحْيَا وَأَمَاتَا ١٧﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: تكفهم أحياء وأمواتاً، قاله الجمهور. قال الفراء: وانتصب الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليهم، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات، فإذا تَوُت نصبت كما يقرأ ﴿أَرَأَيْتَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْقَرٍ ١٤﴾ (البلد: ١٤). وقال الأخفش: انتصب على الحال. والقول الثاني: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء للنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب واليأس، هذا قول مجاهد، وأبي عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوِّسًا﴾ قد سبق بيانه ﴿شَيْخَرًا﴾ أي: عالياً، ﴿وَأَنْتَبَكُرُ﴾ قد سبق معنى ﴿أَسْقِينَا﴾ (الحجر: ٢٢، والجن: ١٦) ومعنى «الفرات» (الفرقان: ٥٣، واطر: ١٢) والمعنى: إن هذه الأشياء أعجب من البحث. ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة: ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا ظِلٌّ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانية بكسر اللام على الأمر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، ورويس عن يعقوب بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابن قتيبة: «والظل» هاهنا: ظل من دخان نار جهنم سطع، ثم افترق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار. ﴿لَا ظِلٌّ﴾ أي: لا يظلكم من حر هذا اليوم بل يدانيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس. قال مجاهد: تكون شعبة فوق الإنسان، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به. وقال الضحاك: الشعب الثلاث: هي الضريع، والزقوم، والفلسين. فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُ مِنَ الْآلِهَةِ﴾ أي: لا يدفع عنكم لهب جهنم. ثم وصف النار فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ يَشْكُرُ﴾، وهو جمع شررة، وهو ما يتطاير من النار متفرقاً ﴿كَالْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور بإسكان الصاد على أنه واحد القصور المبنية. وهذا المعنى في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول الجمهور. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، وأبو الجوزاء «كالقصر» بفتح الصاد. وفي أفراد البخاري<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال: كنا نرفع الخشب [بقصر<sup>(٣)</sup>] ثلاثة أذرع أو أقل [فرفعهم<sup>(٤)</sup>] للثناء، فنسميه: القصر. قال ابن قتيبة: من فتح الصاد أود: أصول النخل المقطوعة المقلوعة. قال الزجاج: أراد أعناق الإبل. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وهكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر «كالقصر» بفتح القاف، وكسر الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي «كالقصر» برفع القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبير «كالقصر» بكسر القاف، وفتح الصاد، وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ «كالقصر» بضم القاف وإسكان الصاد.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَجَلَّتْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «جملات» بالفتح،

(١) البيت للأعشى الكبير ١٠١ من قصيدة يمدح بها هذؤ بن علي المحنفي ملك اليمامة، وأنشده الفراء في معاني القرآن ٢٠٤. و«الطيري» ٢٩/٢٣٦، و«الطيري» ١٩/١٥٨.

(٢) زيادة من «صحيح البخاري».

(٣) ٥٢٨/٨ تفسير سورة المرسلات.



وكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «جَمَالَةً» على التوحيد. وقرأ رويس عن يعقوب «جَمَالَات» بضم الجيم. وقرأ أبو رزين، وحמיד، وأبو حيوة «جَمَالَةً» برفع الجيم على التوحيد. قال الزجاج: من قرأ «جَمَالَات» بالكسر، فهو جمع جَمَال، كما تقول: بُيوت، ويُيُونَات، وهو جمع الجمع، فالمعنى: كأن الشرارات كالجمالات. ومن قرأ «جَمَالَات» بالضم، فهو جمع «جمالة» ومن قرأ «جمالة» فهو جمع جَمَل وجمالة، كما قيل: حَجَر، وجِجَارَة. وذكر، وذكارة. وقرئت «جمالة» على ما فسرناه في جمالات بالضم. و «الصُّفْر» هاهنا: السود. يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صُفْر. وقال الفراء: الصُّفْر: سود الإبل لا يرى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةً، فلذلك سَمَتُ العرب سود الإبل: صُفْرًا، كما سَمَوْا الظباء: آدمًا لما يعلوها من الظلمة في بياضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٥٥) قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة. قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم، وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون بحجة تَنفَعُهُمْ. وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش، وابن أبي عبله «هذا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» بنصب الميم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَى﴾ أي: بين أهل الجنة وأهل النار ﴿جَمَعْتُكُمْ﴾ يعني: مكذبي هذه الأمة، ﴿وَالْآلَيْنِ﴾ من المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٥٦) أثبت فيها الياء في الحالين يعقوب، أي: إن قَدَرْتُمْ على حيلة، فاحتالوا لأنفسكم. ثم ذكر ما للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنِينَ فِي ظِلِّ الشَّجَرِ، وَظِلَالِ أَكْنَانِ الْقُصُورِ، وَرِيَّانِ الْمَاءِ، وَهَذَا قَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا﴾ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله. ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَشَبَّهُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون بالله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه حين يُذْعَنُونَ إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم: اركعوا، أي صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يصلون. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأصح. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نحني، فإنها مَسَبَةٌ علينا، فقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ﴾ (٥٧).

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّ حَادِيٍّ بَعْدُ يُؤْمِنُ﴾ أي: إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فبأي كتاب بعده يصدقون، ولا كتاب بعده.



(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨١: هكذا ذكره الثعلبي، قال: وأخرجه أبو داود ٢٢٢/٣، وأحمد ٢١٨/٤، وابن أبي شيبة، والطبراني، من رواية الحسن عن عثمان بن أبي العاص به، وأنتم منه. قلت: وفيه عنمة الحسن.

(١) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ١/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٠٥/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن.

وبيضاً، وحمراً ﴿وَجَعَلْنَا قُورَيْشًا سَبَآ﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم. وقد شرحنا هذا في [الفرقان: ٤٧] وشرحنا هناك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْإِلَّهَ يَاسًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْبَهْرَ مَنَآ﴾ أي: سبباً لمعاشكم. والمعاش: العيش، وكل شيء يُعَاشُ به، فهو مَعَاشٌ. والمعنى: جعلنا النهار مطلباً للمعاش. وقال ابن قتيبة: معاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدر. ﴿وَجَعَلْنَا قُورَيْشًا سَبَآ﴾ قال مقاتل: هي السموات، غلظ كل سماءٍ مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني آدم. فاحذروا أن تَغْضُوا فتُخَرَّجَ عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا يَرْيَا﴾ يعني: الشمس ﴿وَمَا يَأِي﴾ قال ابن عباس: هو المضيء. وقال اللخويون: الوهاج: الوقود. وقيل: الوهاج يجمع النور والحارة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُشْرِبِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السموات، قاله أبي بن كعب، والحسن، وابن جبير. والثاني: أنها الرياح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. وقال زيد بن أسلم: هي الجنوب. فعلى هذا القول تكون «مِنْ» بمعنى «الباء»، فتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدُرُّ المطر. والثالث: أنها السحاب، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والضحاك، والربيع. قال الفراء: السحابة المعصر: التي تتحلَّبُ بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحض. وكذلك قال ابن قتيبة: شَبَّهَتِ السحاب بمعاصير الجوازي، والمُعَصِرُ: الجارية التي قد دنت من الحيض. وقال الزجاج: إنما قيل للسحاب: معصرات، كما قيل: أجْرُ الزرع، فهو مُجْرٌ، أي: صار إلى أن يُجْرَ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أن يطر، فقد أعصر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجِيءُ﴾ قال مقاتل: أي: مطراً كثيراً مُنْصَباً يتبع بعضه بعضاً. وقال غيره: يقال: ثَجَّ الماء يثج: إذا انصب ﴿يُتْرَجُ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿مَاءٌ وَبَيَّآ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الحب: ما يأكله الناس، والنبات: ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام، هذا قول الجمهور. وقال الزجاج: كُلُّ ما حُصِدَ حَبٌّ، وكُلُّ ما أَكَلَتْهُ الماشية من الكلال، فهو نبات. والثاني: أن الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي الأرض عشباً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ يعني: بساتين ﴿لَلنَّاسِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: متلقة من الشجر ليس بينها خلال، الواحدة: لَفَاءٌ، وجنات لَفٌ، وجمع الجمع: أَلْفَافٌ. قال المفسرون: فدلَّ بذكر المخلوقات على البعث. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَأَن يَمِيقَتَا﴾ لما وعد الله من الثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يَنفُخُ فِي الصُّورِ قَاتُونَ﴾ من قبوركم ﴿أَنفُوكَا﴾ أي: زُمراً زُمراً من كل مكان ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «وَفُتِحَتْ» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بالتخفيف، وإنما تفتح لنزول الملائكة ﴿كَانَتْ أُرُوكَا﴾ أي: ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿كَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: كالسراب، لأنها تصير هباءً منبهاً فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المبرد: مرصاداً يرصدون به، أي: هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُدُ بها خزنتها الكفار. وقال الأزهرى: المرصاد: المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدو. ثم بين لمن هي مرصاد فقال تعالى: ﴿لِّلظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين ﴿وَالنَّاسِ﴾ أي: مرجعاً.

قوله تعالى: ﴿الْبَيْتِ﴾ وقرأ حمزة «لَبَيْتِ» والمعنى فيهما واحد. يقال: هو لايت بالمكان، ولبيت. ومثله ظامع، وطمع، وفاره، وفره. وأما الأحقاب فجمع حقب، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في [الكهف: ٦٠]. فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلودهم في النار لا نفاذ له؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب. ولو أنه قال «لابتين» فيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وببانه أن زمان أهل الجنة والنار يَتَصَوَّرُ دخوله تحت العدد، وإن لم يكن لها نهاية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: أنهم يلثون فيها أحقاباً ﴿

(١) في النسخة الاستنبولية: وإن لم يكن لها غاية.

يَذُوقُونَ فِي الْأَحْقَابِ ﴿بَرْدًا وَلَا شَرًّا﴾ فَمَا خلودهم في النار فدايم. هذا قول الزجاج. وبيانه أن الأحقاب حَدُّ لعذابهم بالحميم والغساق، فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبُوا بغير ذلك من العذاب. وفي المراد «بالبرد» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه برد الشراب. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب، ولا الشراب. والثاني: أنه الرُّوح والراحة، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أنه النوم، قاله مجاهد، والسدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، وأنشدوا:

لَمَّا شِئْتُ حَرِّئْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَفْسًا وَلَا بَرْدًا<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: النقاخ: الماء، والبرد: النوم، سمي بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة. وقال مقاتل: لا يذوقون فيها بردًا ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطش، ﴿إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «غَسَاقًا» بالتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وحفص عن عاصم بالتشديد. وقد تقدم ذكر الحميم، والغساق (ص: ٥٧) ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ قال الفراء: وفاءً لأعمالهم. وقال غيره: جُوزُوا جزاءً وفاءً لأعمالهم على مقدارها، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿١٧﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور. والثاني: لا يرجون ثواب حساب، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذِبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ قال الفراء: الكذاب بالتشديد لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذبت به كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكل «فعلت» فمصدره في لغتهم مُشَدَّد. قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلُّ أحب إليك، أم القِصَار؟ وأنشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طَالَ مَا بُطِطْتَنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجٍ قِضَاوَهَا مِنْ شِفَائِيَا<sup>(٢)</sup>

وأما أهل نجد، فيقولون: كذبت به تكدياً. وقال أبو عبيدة: الكذاب أشد من الكذاب، وهما مصدر المكاذبة. قال الأعشى:

فَصَدَّقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ قال الزجاج: «كل» منصوب بفعل مضمر تفسيره: أحصيناه، والمعنى: أحصينا كل شيء، و«كُنَّا» توكيد<sup>(٤)</sup> لـ «أحصيناه» لأن معنى «أحصيناه» و«كتبناه» فيما يحصل ويثبت واحد. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المفسرون: وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ. ﴿هَذُوًّا﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا جزاء فعالكم ﴿فَلَنْ تَرِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٢٠﴾ إِذْ لَلْمُتَّئِينَ الذين لم يشركوا ﴿مَفَازًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: متنزهاً، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: «مفازاً» في موضع «فوز». ﴿مُتَّئِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الحدائق: بساتين نخل، واحدها: حديقة.

قوله تعالى: ﴿وَكَايَ﴾ قال ابن عباس: الكواعب: التواهد. قال ابن فارس: يقال: كعبت المرأة كعابة، فهي كاعب: إذا تَنَّا ثُلِيهَا. وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في [ص: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَايَ وَهَآ﴾ ﴿٢١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملاى، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

(١) البيت لعبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، ٥٠٩، و«شواهد الكشاف» ٣٤، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«البحر» ٤١٤/٨.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري ١٦/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان»: قضى. والشاهد فيه تشديد «قضاؤها».

(٣) البيت في ملحق «ديوان الأعشى» ٢٣٨، و«مجاز القرآن» ٢/٢٨٣، و«الكامل» للمبرد ٥٦٤. قال المبرد: وأنشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة:

فَصَدَّقْتُ شَيْئُهُمْ وَكَذَّبْتُ شَيْئُهُمْ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

وهو في الطبري ٢٠/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان» و«التاج»: صدق.

(٤) في الأصل: توكيداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة إذا شربوها ﴿لَقَدْ﴾ وقد ذكرناه في [الطور: ٢٣] وغيرها ﴿وَلَا كَذِبًا﴾ أي: لا يكذب بعضهم بعضاً، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل، وأهل الجنة مُتَزَهِّونَ عن ذلك. قال الفراء: وقراءة علي عليه السلام ﴿كَذَابًا﴾ بالتخفيف، كأنه - والله أعلم - لا يتكاذبون فيها. وكان الكسائي يخفف هذه ويشدد، ﴿وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ لأن «كذبوا» يقيد «الكذاب» بالمصدر، وهذه ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرًا. وقد ذكرنا عن أبي عبيدة أن الكذاب بالتشديد والتخفيف مصدر المكاذبة. وقال أبو علي الفارسي: «الكذاب» بالتخفيف مصدر «كذب»، مثل «الكتاب» مصدر «كُتِبَ».

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً﴾ قال الزجاج: المعنى: جازاهم بذلك جزاء، وكذلك «عطاء»، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد. و«جسًا» معناه: ما يكفيهم، أي: فيه كل ما يشتهون. يقال: أحسبني كذا بمعنى كفاي. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والمفضل «رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وما بينهما الرحمن» برفع الباء من «رب» والنون من «الرحمن» على معنى: هو ربُّ السموات. وقرأ عاصم، وابن عامر بخفض الباء والنون على الصفة من «ربك». وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع النون، واختار هذه القراءة الفراء، ووافقه على هذا جماعة، وعللوا بأن الربُّ قريب من المخفوض، والرحمن بعيد منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَلْكُونَ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في قولان: أحدهما: لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه، قاله ابن السائب. والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلموا الربَّ إلا بإذنه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنه جند من جند الله تعالى، وليسوا بملائكة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون. والثاني: أنه ملك أعظم من السموات والجال، والملائكة، قاله ابن مسعود، ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: الروح: ملك ما خلق الله أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفًا، وقامت الملائكة كلهم صفًا واحدًا، فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم. والثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفتين قبل أن تُردَّ إلى الأجسام، رواه عطية عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك. والخامس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن، وقتادة. والسادس: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم. والسابع: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا﴾ قال الشعبي: هما سماءان، سماء من الروح، وسماء من الملائكة. فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الروح صفاً، والملائكة صفاً. وقال ابن قتبية: معنى قوله تعالى: ﴿صَفًا﴾ صفوفاً.

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُونَ﴾ يعني: الخلق كلهم ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا صواباً، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين. وقال مجاهد: قال حقاً في الدنيا، وعمل به ﴿وَالَّذِي أَلَمَّ لَتْفُ﴾ الكائن الواقع بلا شك ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ أي: مرجعاً إليه بطاعته. ثم خُوفُ كَفَّار مَكَّة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب الآخرة، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلَمْ يَذْهَبْ﴾ أي: يرى عمله مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ رَبًّا﴾ يا ليتني لم أبعث. وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا: إبليس، وذلك أنه عاب آدم، لأنه خُلِقَ من التراب، فتمنى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم، فقال: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٠٩/٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «المعظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس، والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقوفاً عليه، وذكره ابن كثير والشوكاني عن مجاهد وأبي صالح، ولعله مما تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢٢/٣٠ عن ابن مسعود. قال ابن كثير: وهذا قول غريب جداً.

(٣) توقف ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، وقال ابن كثير: والأشبه عندي - والله أعلم - أنهم بنو آدم.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر، وإبليس داخل بطريق الأولى.

## سورة النازعات

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّيِّدَاتِ سَيًّا﴾ ٣ ﴿فَالْمَدْبُورَاتِ آمْرًا﴾ ٤ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّايِفَةُ﴾ ٥ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادَّةُ﴾ ٦ ﴿ثُلُوبٌ يُومِذُ وَاجِبَةً﴾ ٧ ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيبَةً﴾ ٨ ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَزْدُوذُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ ٩ ﴿أَوْدَا كُنَّا عَطَلًا يَغْرَهُ﴾ ١٠ ﴿قَالُوا يَلَيْكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ﴾ ١١ ﴿فَلَمَّا هِيَ بَرْجَةٌ وَجِدَةٌ﴾ ١٢ ﴿لَإِنَّا هُمْ بِالنَّازِعَةِ﴾ ١٣

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تنزع أزواج الكفار، قاله علي، وابن مسعود. وروى عطية عن ابن عباس قال: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، وبه قال مسروق. والثاني: أنه الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد. والثالث: أنها النفس حين تنزع، قاله السدي. والرابع: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن، وقتادة، وأبو عبيدة، والأخفش، وابن كيسان. والخامس: أنها القيبي تنزع بالسهم، قاله عطاء، وعكرمة. والسادس: أنها الوحوش تنزع وتفر، حكاه الماوردي. والسابع: أنها الرماة، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿غَرَقًا﴾ اسم أقيم مقام الإغراق. قال ابن قتيبة: والمعنى: والنازعات إغراقاً، كما يغرق النازع في القوس، يعني: أنه يبلغ به غاية المد.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة<sup>(٢)</sup>. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغم، قاله علي عليه السلام. قال مقاتل: ينزع ملك الموت روح الكافر، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه، فيعذبه في حياته، ثم ينشطها من حلقه - أي: يجذبها - كما ينشط السفود من الصوف الميتل. والثاني: أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها، قاله ابن عباس. وقال الفراء: الذي سمعته من العرب: كما أنشط من عقال بالف. تقول: إذا ربطت الحبل في يد البعير: نشطته، فإذا حللته قلت: أنشطته. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. ويبيانه أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك. والثالث: أن الناشطات: الموت ينشط نفوس الإنسان، قاله مجاهد. والرابع: النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي: تذهب، قاله قتادة، وأبو عبيدة، والأخفش. ويقال لبقير الوحش: نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع. قال أبو عبيدة: والهموم تنشط بصاحبها. قال هيمان بن قحافة:

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا

الشَّامُ بِي طُوراً وَطُوراً وَاسْطَا<sup>(٣)</sup>

والخامس: أنها النفس حين تنشط بالموت، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّدَاتِ سَيًّا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، قاله علي عليه السلام. قال ابن السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء. فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع، يسألونها سلاً رقيقاً،

(١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾: الملائكة، قال: يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرقه في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلقه من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا﴾.

(٢) وهو الأقرب.

(٣) البيت في «اللسان»: نشط، لهيمان بن قحافة، راجز إسلامي. وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٨٤، والطبري ٣٠/ ٢٩، والقرطبي ١٩/ ١٩٠، و«أرواح المعاني» ٣٠/ ٢٤، ومعنى البيت: يقول: صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد، فمرة إلى الشام، ومرة إلى واسط.

ثم يَدْعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ. والثاني: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفرس الجواد: سابح: إذا أسرع في جريه، قاله مجاهد، وأبو صالح، والفراء. والثالث: أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها السفن تسبح في الماء، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كل في فلك يسبحون، قاله قتادة، وأبو عبيدة. والسادس: أنها الخيل، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَبَيَّنْتَ سَبْقًا﴾<sup>(٢)</sup> فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله علي، ومسروق. والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد، وأبو رزق. والثالث: أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان، قاله الحسن. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الموت يسبق إلى النفوس، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها الخيل، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَبَيَّنْتَ أَمْرًا﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هي الملائكة. قال عطاء: وكُلْتُ بأمور عَرَفْنَاهُ الله العمل بها. وقال عبد الرحمن بن سابط: يُدَبِّرُ أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وهو موكل بالرياح والجنود. وميكائيل، وهو موكل بالقطر والنبات. وملاك الموت، وهو موكل بقبض الأنفس. وإسرافيل، وهو ينزل بالأمور عليهم. وقيل: بل جبريل للوحي، وإسرافيل للصور. وقال ابن قتيبة: فالمدبرات أمراً: تنزل بالحلال والحرام. فإن قيل: أين جواب هذه الأقسام؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَخْشَى﴾<sup>(٤)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: أن الجواب مضمّر، تقديره: لَتُبَيَّنَّ، وَلَتَحَاسِبَنَّ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أَوَدَا كُنَّا عَظَمًا نَحْرَةً﴾<sup>(٥)</sup> قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجُّ الرَّجِلُةُ﴾<sup>(٦)</sup>، وهي النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلائق. و«الراجفة» صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحض. و«ترجف» بمعنى: تتحرك حركة شديدة ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾<sup>(٧)</sup> وهي: النفخة الثانية ردت الأولى، أي: جاءت بعدها. وكل شيء جاء بعد شيء فهو يردفه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أحوال القيامة، ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾<sup>(٩)</sup> أي: ذليلة لمعاينة النار. قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام. ويدل على هذا أنه ذكر منكري البعث، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوَنَّا لَنُرْزِقُوهُمْ فِي لَنَافِرَةٍ﴾<sup>(١٠)</sup> قرأ ابن عامر وأهل الكوفة «أنا» بهمزتين مخففتين على الاستهزام، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتلين الثانية، وفصل بينهما بألف نافع وأبو عمرو. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحافرة: الحياة بعد الموت. فالمعنى: أنرجع أحياء بعد موتنا؟! وهذا قول ابن عباس، وعطية، والسدي. قال الفراء: يعنون: أنرُدُّ إلى أمرنا الأول إلى الحياة؟! والعرب تقول: أتيت فلاناً، ثم رجعت على حافرتي، أي: رجعت من حيث جئت. قال أبو عبيدة: يقال: رجع فلان في حافرتي، وعلى حافرتي: إذا رجع من حيث جاء، وهذا قول الزجاج. والثاني: أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسميت حافرة، والمعنى: محفورة، كما يقال: ﴿هَلَوُ دَانِي﴾ [الطارق: ٦]، و﴿يَسْئُرُ دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١] وهذا قول مجاهد والخليل. فيكون المعنى: أننا لمرودون إلى الأرض خلقاً جديداً؟! قال ابن قتيبة: «في الحافرة» أي: إلى أَوَّلِ أمرنا. وَمَنْ فَسَّرَهَا بِالْأَرْضِ، فإلى هذا يذهب، لأننا منها يُدَبِّرُنَا. قال الشاعر:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْوٍ وَعَارٍ<sup>(١١)</sup>

[كانه قال: أارجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا]<sup>(١٢)</sup> بعد ما شَيْبْتُ وَصَلَعْتُ؟!<sup>(١٣)</sup>. والثالث: أن الحافرة: النار، قاله ابن زيد<sup>(١٤)</sup>.

(١) والقول الأول أقرب إلى الصواب. (٢) في الأصل: «في»، والتصحيح من «غريب القرآن».

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥١٣، والطبري ٣٣/٣٠، والقرطبي ١٩/١٩٥، وهو في «اللسان»: حفر، قال: وأشد ابن الأعرابي... فذكره.

(٤) في الأصل: أرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا. والتصحيح من «لسان العرب».

(٥) زيادة من «اللسان». (٦) ما بين المعقوفين زيادة من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ لَكُمُ الْكِتَابَ وَالْأَرْثَ﴾ أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا، ﴿يَوْمَ النَّبِيُّ يَفْتَرِي الْأَفْثَةَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَعَلَنَّهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى الْكَافِرِ وَيَوْمَ النَّبِيُّ لَا يَصْعَدُ﴾ قال: وهذا الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿كَلَّمَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي الدنيا والآخرة.



السما، فيكون المعنى: أم السماء التي بناها. وقال قوم: السماء ليس مما توصل، ولكن المعنى: أنتم أشد خلقاً، أم السماء أشد خلقاً؟ ثم بين كيف خلقها، فقال تعالى: ﴿بَنَاهَا﴾ قال المفسرون: أخلقكم بعد الموت أشد عندكم، أم السماء في تقديركم؟ وهما في قدرة الله واحد. ومعنى: «بناها» رفعها. وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء. ومعنى ﴿رَفَعَ سَنَاهَا﴾ رفع ارتفاعها وعلوها في الهواء ﴿سَنَاهَا﴾ بلا شقوق، ولا فطور، ولا تفاوت، يرتفع فيه بعضها على بعض ﴿وَأَقْلَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: أظلمه فجعله مظلماً. قال الزجاج: يقال: غطش الليل وأغطش، وغبش وأغبش، وغسق وأغسق، وغشي وأغشى، كله بمعنى أظلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَجَ صَهْنَهَا﴾ أي: أبرز نهارها. والمعنى: أظهر نورها بالشمس. وإنما أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنها مصدران ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ أي: بسطها. وبعض من يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن «بعد» هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»؛ كقوله تعالى: ﴿عَلَّيْ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِي﴾ [الفلم: ١٣]، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد كمال السماء، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص. وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في [البقرة: ٢٩] <sup>(١)</sup>. ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى: ﴿دَحَاهَا﴾. ﴿وَأَنزَجَ صَهْنَهَا مَاهَا﴾ أي: فجر العيون منها ﴿وَنَزَعَهَا﴾ وهو ما يأكله الناس والأعنام، ﴿وَالْيَمَالُ أَرْسَهَا﴾ قال الزجاج: أي: أثبتنا ﴿سَنَاهَا لَكُ﴾ أي: للإمتاع، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاه: أمتع بذلك. وقال ابن قتيبة: ﴿سَنَاهَا لَكُ﴾ أي: منفعة لكم].

﴿فَإِذَا جَاءَ الظَّالِمُ الظَّالِمُ الْكَثِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿وَيُرِيدُ الْجَنَّةَ لَمَّا بَرَى﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿وَرَأَى لَكِزَّةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿فَإِنَّ الْكَلِيمَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوْكِ﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿يَتْلُونَكَ عَنِ الشَّعْرِ إِيَّانَ مُرْسِنَا﴾ ﴿يَمُ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ ﴿إِلَّا رَيْكَ سُنْبُنَا﴾ ﴿لَمَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِنْ بَحْسِنَا﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ يَسْتَوُونَ إِلَّا عِيشَةً أَوْ صَهْنًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الظَّالِمُ الظَّالِمُ الْكَثِيرُ﴾ والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها، أي: تملو فوقه. وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النفخة الثانية التي فيها البعث. والثاني: أنها حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. والثالث: أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

قوله تعالى: ﴿يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: ما عمل من خير وشر ﴿وَيُرِيدُ الْجَنَّةَ لَمَّا بَرَى﴾ أي: لأبصار الناظرين. قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق. وقرأ أبو مجلز، وابن السميع: «لمن ترى» بالتاء. وقرأ ابن عباس، ومعاذ القارئ «لمن رأى» بهززة بين الراء والالف.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ في كفره ﴿وَرَأَى لَكِزَّةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْكَلِيمَ مِنَ النَّارِ﴾ قال الزجاج: أي هي المأوى له. وهذا جواب ﴿فَإِذَا جَاءَ الظَّالِمُ الظَّالِمُ الْكَثِيرُ﴾ فإن الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قد ذكرناه في سورة [الرحمن: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوْكِ﴾ أي: عما تهوى من المحارم. قال مقاتل: هو الرجل يهيم بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَكَ عَنِ الشَّعْرِ إِيَّانَ مُرْسِنَا﴾ قد سبق في [الأمراء: ١٨٧] ﴿يَمُ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: لست في شيء من علمها وذكورها. والمعنى: إنك لا تعلمها ﴿إِلَّا رَيْكَ سُنْبُنَا﴾ أي: منتهى علمها ﴿لَمَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِنْ بَحْسِنَا﴾ وقرأ أبو جعفر «منذر» بالتونين. ومعنى الكلام: إنما أنت مخوف من يخافها. والمعنى: إنما ينفع إنذارك من يخافها، وهو المؤمن بها. وأما من لا يخافها فكانه لم يندر ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: يعاينون القيامة ﴿لَوْ يَسْتَوُونَ﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿إِلَّا عِيشَةً أَوْ صَهْنًا﴾ أي: قدر آخر النهار من بعد العصر، أو أوله إلى أن

(١) قال ابن كثير ٩٢/٤: أما خلق الأرض، فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس <sup>(١)</sup> فيما ذكره البخاري. انظر «صحيح البخاري» ٤٢٧/٨، ٤٢٨. ثم قال ابن كثير ٤٦٨/٤: ولكن إنما دحيت الأرض بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، قال: وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد، واختاره ابن جرير.

ترتفع الشمس. قال الزجاج: والهاء والألف في «ضحاهما» عائدان<sup>(١)</sup> إلى العشية. والمعنى: إلا عشية، أو ضحى العشية. قال الفراء: فإن قيل: للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار؟ فالجواب: أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا: آتاك العشية، أو غدائها، أو آتاك الغداة، أو عَشِيَّتْها، فتكون العشية في معنى «آخر»، والغداة في معنى «أول». أنشدني بعض بني عقيل:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِي دَارِهَا      عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ مِرَارِهَا<sup>(٢)</sup>

أراد: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية، فهذا أشد من قولهم: آتاك الغداة أو عشيّتها.



(١) في الأصل: عائد.

(٢) البيت لبعض بني عقيل، أنشده الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٧ عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ وهو في الطبري ٥٠/٣٠، والقرطبي ٢٠٨/١٩.

## سورة عبس

## مكية كلها بإجماعهم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَلْجَأَ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يَدْرِي لَعَلَّكَ بَرْكٌ ۝٣ أَوْ يُلْكَرُ فَنَنْفَعُهُ الْإِذْكِرَ ۝٤ أَنَا مَنِ اسْتَنْقَى ۝٥ فَاتَّ لَمْ تَصْدَلِ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ ۝٧ وَأَنَا مَنِ جَاءَكَ يَسِّنْ ۝٨ وَهُوَ يَخْفَى ۝٩ فَاتَّ عَنْهُ لَلَّي ۝١٠ كَلَّا إِنَّا نَنْزِكُ ۝١١ قُرْآنَ ذِكْرٍ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ تَرْفَعُوهُ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمياً وأبياً ابني خلف، ويذعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرّر النداء، ولا يدري أنه مشغل بكلام غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك، ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>. وذهب قوم، منهم مقاتل، إلى أنه إنما جاء ليؤمن، فأعرض عنه النبي ﷺ اشتغالا بالرؤساء، فنزلت فيه هذه الآيات. ومعنى ﴿عَبَسَ﴾ قَلَبَ وَكَلَحَ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ بوجهه ﴿أَلْجَأَ﴾ أي: لأن جاءه. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، «أَن جَاء» بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع «أَنَّ» بهمزتين مقصورتين مفتوحتين. و﴿الْأَعْمَى﴾ هو ابن أم مكتوم، واسمه عمرو بن قيس. وقيل: اسمه عبد الله بن عمرو ﴿وَمَا يَدْرِي لَعَلَّكَ بَرْكٌ﴾ أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك. وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿أَوْ يُلْكَرُ﴾ أي: يتعظ بما يتعلمه من مواظ القرآن ﴿فَنَنْفَعُهُ الْإِذْكِرَ﴾ قرأ حفص عن عاصم «فتفتحه» بفتح العين، والباقون برفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب «لعل»، ومن رفع، فعلى العطف على «يرزق».

قوله تعالى: ﴿أَنَا مَنِ اسْتَنْقَى﴾ قال ابن عباس: استغنى عن الله وعن الإيمان بماله. قال مجاهد: ﴿أَنَا مَنِ اسْتَنْقَى﴾: عتبة، وشيبة، ﴿فَاتَّ لَمْ تَصْدَلِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع «تَصْدَى» بتشديد الصاد. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «تَصْدَى» بفتح التاء، والصاد وتخفيفها، وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: «تَتَصْدَى» بتاءين مع تخفيف الصاد. قال الزجاج: الأصل: تصدى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين. ومن قرأ «تَصْدَى» بإدغام التاء، فالمعنى أيضاً: تصدى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد. قال ابن عباس: «تَصْدَى» تقبل عليه بوجهك. وقال ابن قتيبة: تتعرض<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، والجدري: «تُصْدَى» بتاء واحدة مضمومة، وتخفيف الصاد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ أي: أي شيء عليك في أن لا يُسَلِّمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلا البلاغ. ﴿وَأَنَا مَنِ جَاءَكَ يَسِّنْ﴾ فيه قولان: أحدهما: يمشي. والثاني: يعمل في الخير، وهو ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْفَى﴾ الله ﴿فَاتَّ عَنْهُ لَلَّي﴾ وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وأبو الجوزاء «تلهي» بتاءين. وقرأ أبي بن

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣ بغير سند، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٨١: ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه. وأخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن حبان عن عائشة قالت: أنزلت سورة «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرسلني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقول على الآخر، ويقول: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت.

(٢) وفي «غريب القرآن»: تعرض.

كعب، وابن السميع، والجحدري: «تَلَّهَى» بئاء واحدة خفيفة مرفوعة. قال الزجاج: أي: تشاغل عنه. يقال: لهيت عن الشيء ألهى عنه: إذا تشاغل عنه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا تفعل ذلك. ﴿إِنَّمَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: آيات القرآن، قاله مقاتل. والثاني: هذه السورة، قاله الفراء. «والتذكرة» بمعنى التذكير ﴿فَنَ شَأْ ذَكَرُ﴾ ﴿١٥﴾ مفسر في آخر [المدر: ٥٥]. ثم أخبر بجلالة القرآن عنده، فقال تعالى: ﴿فِي حُجَّتٍ تَكْرِيهُ﴾ ﴿١٦﴾ أي: هو في صحف، أي: في كتب مكرمة، وفيها قولان: أحدهما: أنها اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثاني: كتب الأنبياء، ذكره الثعلبي. فعلى هذا يكون معنى «مرفوعة»: عالية القدر. وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء. وفي معنى «المطهرة» أربعة أقوال: أحدها: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن. والثاني: مطهرة من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: لأنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله الفراء. والرابع: مطهرة من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِي سَرَّوُ﴾ ﴿١٧﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الجمهور. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله وهب بن منبه. وفي معنى «سَرَّوُ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الكتبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج. قال الزجاج: واحدهم: سَافِرٌ، وسَفَرَةٌ، مثل كَاتِبٌ، وَكَتَبَةٌ، وكَافِرٌ، وَكَفَرَةٌ. وإنما قيل للكتاب: سفر، وللكتاب: سافر، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه. يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء. وسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها. ومنه: سفرت بين القوم، أي: كشفت ما في قلب هذا، وقلب هذا، لأصلح بينهم. والثاني: أنهم القراء، قاله قتادة. والثالث: أنهم السفراء، وهم المصلحون. قال الفراء: تقول العرب: سفرت بين القوم، أي: أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله، كالسفير الذي يصلح بين القوم. قال الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السَّفَرَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بِخِشِّ إِنْ مَشَيْتُ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿رَكِبَ﴾ أي: على رُكْبٍ ﴿رَبْرَ﴾ أي: مطيعين. قال الفراء: واحد «البرة» في قياس العربية: بَارٌّ، لأن العرب لا تقول: فَعَلَتْ يَتُونَ به الجمع إلا والواحد منه فاعل، مثل كافر، وَكَفَرَةٌ، وفاجر، وَفَجَرَةٌ.

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ ﴿١٨﴾ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ خَلَقَ ﴿١٩﴾ مِنْ تَلْفِئَةِ خَلْقٍ فَقَدَرُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ السَّيْلِ يَسْرُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَنَا أَنَا فَاقْدَرُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُ ﴿٢٣﴾ كَلَّا لَنَا يَفْضُ مَا أَمَرُ ﴿٢٤﴾ يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَلَابِعِهِ ﴿٢٥﴾ أَنَا سَيِّئُ الْآلَةِ سَيِّئُ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا ﴿٢٧﴾ فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبَا ﴿٢٨﴾ رَعِيًا وَقَضَا ﴿٢٩﴾ وَزَيَّنَّا وَخَلَقْنَا ﴿٣٠﴾ وَصَدَّقْنَا عَلَا ﴿٣١﴾ وَكَلَّمْنَا وَأَنَا ﴿٣٢﴾ نَسْنَا لَكَ وَلِأَخِيكَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: لعن. والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أشار إلى كل كافر، قاله مجاهد. والثاني: أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك. والثالث: عتبة بن أبي لهب، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أشد كفرة، قاله ابن جريج. والثاني: أي شيء أكفره؟ قاله السدي. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثالث: أنه على وجه التعجب، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون، والمعنى: اعجبوا أنتم من كفرة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ قَوْمٍ خَلَقَ﴾ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ تَلْفِئَةِ خَلْقٍ﴾. وفي معنى «فَقَدَرُ» ثلاثة أقوال: أحدها: قَدَّرَ أَعْضَاءَهُ: رأسه، وعينه، ويديه، ورجليه، قاله ابن السائب. والثاني: قَدَّرَهُ أَطْوَاراً: نقطة، ثم علقه، إلى آخر خلقه، قاله مقاتل. والثالث: فَقَدَّرَهُ عَلَى الْإِسْتَوَاءِ، قاله الزجاج. ﴿ثُمَّ السَّيْلِ يَسْرُ﴾ ﴿٣٥﴾ فيه قولان: أحدهما: سَهْلٌ له العلم بطريق الحق والباطل، قاله الحسن، ومجاهد. قال الفراء: والمعنى: ثم يسره للسبيل. والثاني: يسر له السبيل في خروجه من بطن أمه، قاله السدي، وقائل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْدَرُ﴾ قال الفراء: أي جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، فكان القبر مما أُكْرِمَ به المسلم. ولم يقل: قبره؛ لأن القابر هو الدافن بيده. والمُقْبِرُ الله، لأنه صيَّرَه مقبوراً، فليس فعله كفعل الآدمي.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٨، وفي «اللسان»: سفر، وهو في الطبري ٥٤/٣٠، والقرطبي ٢١٤/١٩، وابن كثير ٤٧١/٤.

(٢) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره.

والعرب تقول: بَتَرْتُ ذَنْبَ البعير، والله أبتره. وَعَصَبْتُ قَرْنَ الثور، والله أَغْصَبَه. وطرَدْتُ فلاناً عني، والله أطرده، أي: صَيَّرَهُ طريدًا. وقال أبو عبيدة: أَقْبَره: أي أمر أن يقبر، وجعل له قبرًا. قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الحم: أَقْبَرْنَا صَالِحًا، فقال: دونكموه. والذي يدفن بيده هو القابر. قال الأعشى:

لَوْ أَتَيْنَاكَ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهِمَا عَاشَ وَلَمْ يُنَلِّمْ إِلَى قَابِرٍ<sup>(١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿فَمِنْ إِذًا مَنَ أَنْتَرُ﴾ أي: بعثه. يقال: أنشأ الله الموتى، فَنَشَرُوا، وَنَشَرَ الْمَيِّتَ: حَيَّيْ [هو] بِنَفْسِهِ،  
 ورواحدهم نَاشِرٌ. قال الأعشى:

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ وَمَا رَأَوْا  
قوله تعالى: ﴿لَا﴾ قال الحسن: حقاً ﴿لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا﴾ به ربّه، ولم يؤدّ ما فرض عليه. وهل هذا عام، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام. قال مجاهد: لا يقضي أحد أبداً كُلُّ ما افترض الله عليه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه خاص للكافر لم يقض ما أمر به من الإيمان والطاعة، قاله يحيى بن سلام. ولما ذُكر خلق ابن آدم، ذكر رزقه ليعبر وليستدلّ بالنبات على البعث، فقال تعالى: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٤)</sup> قال مقاتل: يعني به عتبة بن أبي لهب. ومعنى الكلام: فلينظر الإنسان كيف خلقه الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟ ثم بين فقال تعالى: ﴿إِنَّا قَرَأْنَا ابْنَ كَثِيرٍ، وَنَافِعَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ﴾ بالكسر. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي ﴿إِنَّا مَبْنِيًّا﴾ بفتح الهَمْزَة في الوصل وفي الابتداء، ووافقهم رويس على فتحها في الوصل، فإذا ابتداء كسر. قال الزجاج: من كسر «إنا» فعلى الابتداء والاستئناف، ومن فتح، فعلى البدل من الطعام، المعنى: فلينظر الإنسان أنا صبينا. قال المفسرون: أراد بصب الماء: المطر ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿ثُمَّ قَالَتْ فِيهَا جَبًا﴾ يعني به جميع الحبوب التي يُعْغَذَى بها ﴿وَرَبَّانِيًّا وَقَفَّيَا﴾<sup>(٥)</sup> قال الفراء: هو الرُّطْبَة. وأهل مكة يسمون القَتَّ: القُضْب<sup>(٦)</sup>. قال ابن قتيبة: ويقال: إنه سمي بذلك، لأنه يُقَضَّبُ مرة بعد مرة، أي: يقطع، وكذلك القَصِيل، لأنه يُقَصَّلُ، أي: يقطع.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا الْقُلُوبَ﴾ وَزَيَّنَّا الْقُلُوبَ: قال الفراء: كل بستان كان عليه حائط، فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل: حديقة. والغُلْب: ما غلظ من النخل. قال أبو عبيدة: يقال: شجرة غُلْباء: إذا كانت غليظة. وقال ابن قتيبة: الغُلْب: الغلاظ الأعناق. وقال الزجاج: هي المتكاثفة، العظام.

قوله تعالى: ﴿وَنَكَّبَهُ﴾ يعني: ألوان الفاكهة ﴿وَأَيُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس، وعكرمة، واللفخوريون. وقال الزجاج: هو جميع الكلا التي تعتلفه الماشية. والثاني: أنه الثمار الرطبة، رواه الوالي عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. ﴿مَنْشَأَ لَكُمْ وَلَمْ نَكُنْ﴾ قد بيَّنا في السورة التي قبلها [النازعات: ٣٣].

(١) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، «ديوانه» ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في المناقرة التي جرت بينهما، وهو فر. «مجاز القرآن» ٢٨٦/٢، والطري ٥٦/٣٠، والقرطبي ٢١٧/١٩. ورواية البيت فيها: عاش ولم يتنقل إلى قابر.

(٢) هو أيضاً للأعشى الكبير من القصيدة نفسها ١٤١، ويعد البيت السابق بلا فاصل بينهما، وهو في «مجاز القرآن» لأبي عبيد ٢/٢٨٦، والطبري ١/٥٦، والقرطبي ١٩/٢١٧.

(٣) قال ابن كثير: وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو هذا من هذا، قال: ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ أي: بعثه ﴿لَا تَنفَعُ أَرْسُلُهُ﴾ أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي الملة ويفرح القدر من بني آدم ممن كتب الله أن يحد عنهم - يخرجهم إلى الدنيا - وقد أمر به تعالى كوناً وقدرًا، فإذا تاهب ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

(٤) القَضْبُ: الرُّطْبَةُ، ويقال لها: القُضْفِيصَةُ، وهي التي تأكلها الدواب رَطْبَةً، ويقال لها: القُتُّ أيضاً، وكلها بمعنى واحد.

(٥) وما ورد من أن أبا بكر الصديق ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ دِينُ اللَّهِ﴾ فقال: أي سماء تظلمني وأي أرض تغلطني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم فقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في (فضائل القرآن)، عن رواية محمد بن زيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أبي بكر ﷺ، وهو مقلد بين إبراهيم التيمي وبين أبي بكر ﷺ. وقد روى ابن جرير قال: حدثنا بشر، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب ﷺ ﴿يَسِّرْ وَلَكُمْ دِينَ اللَّهِ﴾ حتى أتى على هذه الآية ﴿وَلَكُمْ دِينُ اللَّهِ﴾ قال: قد عرفنا ما الفاكهة فما الأب؟ فقال: لعمر يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وقد رواه غير واحد عن أنس به، ولكن هذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وألا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿فَالْبَقَا يُرَىٰ جَاءَ ﴿١٦﴾ وَفِي زَكَاةٍ ﴿١٧﴾ وَزَيْتُونًا ﴿١٨﴾ وَنَخْلًا ﴿١٩﴾

﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۖ يَوْمَ يَرَى الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأَخِيهِ وَأَخِيهِ ۖ وَصَحْبَهُ وَيَدِي ۖ لِكُلِّ أَرْمِي نِتْنَم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَتَّبِعُ ۖ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُتَّبِعٌ ۖ حَاجِكُمْ مُتَّبِعَةٌ ۖ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَنَّا عِبْرَةٌ ۖ تَعْمَقُ نَدْرَةً ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْقَرُوءُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ وهي الصلوة الثانية. قال ابن قتبية: الصاخة تصبُحُ صَحَاً، أي: تُصِمُّ. يقال: رجل أصخ، وأصلخ: إذا كان لا يسمع. والداهية صاخة أيضاً. وقال الزجاج: هي الصلوة التي تكون عليها القيامة، تصبُحُ الأسماع، أي: تصمتها، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها. ثم فسّر في أي وقت تجيء، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْكَافِرُ مِنْ أَخِيهِ﴾ قال المفسرون: المعنى: لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه، لِعِظَم ما هو فيه. قال الحسن: أول من يَؤُورُ من أخيه هابيل، ومن أمه وأبيه إبراهيم، ومن صاحبه نوح ولوط، ومن ابنه نوح. وقال قتادة: يفر هابيل من قابيل، والنبي ﷺ من أمه، وإبراهيم من أبيه، ولوط من صاحبه، ونوح من ابنه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَرْمِي نِتْنَم يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ﴾ قال الفراء: أي: يَشْعَلُهُ عن قرابته. وقال ابن قتبية: أي: يَضْرِفُهُ ويصُدُّه عن قرابته، يقال: أغنى عني وجهك، أي: أصرفه، وأغن عني السفه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميع، وابن محيصن، وابن أبي عتبة «يعنيه» بفتح الياء والعين غير معجمة. قال الزجاج: معنى الآية: له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره. وكذلك قراءة من قرأ «يعنيه» بالعين، معناه: له شأن لا يهمه معه غيره. وقد روى أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي ﷺ: أنحشر عراة؟ قال: نعم. قالت: واسوءتاه، فأنزل الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَرْمِي نِتْنَم يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُتَّبِعٌ﴾ أي: مضية قد علمت ما لها من الخير «حَاجِكُمْ» لسرورها «مُتَّبِعَةٌ» أي: فرحة بما نالها من كرامة الله ﷻ. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ عَنَّا عِبْرَةٌ﴾ أي: غبار. وقال مقاتل: أي: سواد وكآبة «تَعْمَقُ» أي: تغشاه «نَدْرَةً» أي: ظُلْمَةً. وقال الزجاج: يعلوها سواد كالدخان. ثم بيّن مَنْ أَهْلُ هذه الحال، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْقَرُوءُ﴾ وهو جمع كافر وفاجر.



(١) والصحيح أن الآية عامة. قال الخازن: وفائدة الترتيب: كأنه قيل: يوم يفر المرء من أخيه، بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة، بل من الصاحبة والولد، لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين. قال ابن كثير: يراهم ويفرّ منهم، لأن الهول عظيم، والخطب جليل. ثم قال: وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أن إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدته.

(٢) رواه بنحوه الطبري ٦١/٣٠ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أضر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح به، وعائذ بن شريح، قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعليل»: في حديثه ضعف. وروى الترمذي في «سننه» ١٦٨/٢ عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «تَحْشَرُونَ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرُلَاءَ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: أَيَبْصُرُ أَوْ يَرَى بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟» قال: يا ثلاثة ﴿لِكُلِّ أَرْمِي نِتْنَم يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ﴾ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن ابن عباس. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/٢١٩٤ عن عائشة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرُلَاءَ (غير مختونين)، قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «بِأَعْيُنِهِمْ» أي: ينظر بعضهم إلى بعض.

## سورة التكوير

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْأَشْيَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُجُوشُ حُيِّرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا الْثُلُوفُ ذُوِبَتْ ⑦ وَإِذَا الْأَنْفُسُ سُيِّرَتْ ⑧ وَإِذَا الْأَنْفُسُ سُيِّرَتْ ⑨ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑩ وَإِذَا الْثُلُوفُ ذُوِبَتْ ⑪ وَإِذَا الْوُجُوشُ حُيِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑬ وَإِذَا الْثُلُوفُ ذُوِبَتْ ⑭﴾

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾»<sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ ①﴾ أربعة أقوال: أحدها: أظلمت، رواه الوالي عن ابن عباس، وكذلك قال الفراء: ذهب ضوؤها، وهذا قول قتادة، ومقاتل. والثاني: ذُهِبَتْ، رواه عطية عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: اضمحلَّت. والثالث: غُوِّرَتْ، روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن الأنباري، وهذا من قول الناس بالفارسية: كُورِبَكْرَدُ<sup>(٢)</sup>. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: هو بالفارسية كُورِبُورُ. والرابع: أنها تُكُوِّرُ مثل تكوير العمامة، فتلث وتحمي، قاله أبو عبيد. قال الزجاج: ومعنى «كُوِّرَتْ» جمع ضوؤها، وَلُثَّتْ كما تلف العمامة. ويقال: كُوِّرَتْ العمامة على رأسي أكوِّرها: إذا لَفَقْتَهَا. قال المفسرون: تُجمع الشمس بعضها إلى بعض، ثم ثُلَّتْ ويرمى بها في البحر. وقيل: في النار<sup>(٣)</sup>. وقيل: تعاد إلى ما خلقت منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②﴾ أي: تناثرت، وتهاقت. يقال: انكدر الطائر في الهواء: إذا انقضَّ. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ عن وجه الأرض، فاستوت مع الأرض ﴿وَإِذَا الْأَشْيَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ قال المفسرون وأهل اللغة: العشار: النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقبل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أحسن زَمَانٍ حَمْلُهَا، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لتمام في سنة، فهي أنفس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها، إلا لإتيان ما يَشْغَلُهُمْ عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل. ومعنى «عُطِّلَتْ» سُيِّتَتْ وَأُهْمِلَتْ، لاستغفالهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُجُوشُ حُيِّرَتْ﴾ يعني: دوابُّ البحر ﴿حُيِّرَتْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ماتت، قاله ابن عباس. والثاني: جمعت إلى القيامة، قاله السدي. وقد زدنا هذا شرحاً في [الأنعام: ١١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «سُجِّرَتْ» بتخفيف الجيم، وقرأ الباقر بتشديدها. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أَوْقَدَتْ فاشتعلت ناراً، قاله علي وابن عباس. والثاني: يبست، قاله الحسن. والثالث: ملئت بأن صارت بحراً واحداً، وكثر ماؤها، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الثُّلُوفُ ذُوِبَتْ ⑦﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قرنت بأشكالها، قاله عمر رضي الله عنه. الصالح مع الصالح في الجنة، والفاجر مع الفاجر في النار، وهذا قول الحسن، وقاتل<sup>(٤)</sup>. والثاني: رُدَّتْ الأرواح إلى الأجساد،

(١) أخرجه أحمد في «المستدرك» رقم ٤٨١٦ و ٤٩٣٤ و ٤٩٤١ و ٥٧٥٥ وإسناده صحيح، والترمذي ١٦٨/٢، والحاكم ٥١٥/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣١٩/٦ وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري، ونقله عنه ابن كثير، والسيوطي في «الدرر المنتثرة» بألفاظ مختلفة.

(٣) وقد ورد في المرفوع من حديث أبي هريرة: «الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» وإسناده صحيح. ورواه بنحوه أبو يعلى والبخاري من حديث أبي هريرة، والطائلي من حديث أنس. وذلك تكيّفاً لمن عبدهما في الدنيا.

(٤) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير، وهو الصحيح.

فَرَوَّجَتْ بِهَا، قاله الشعبي. وعن عكرمة كالقولين. والثالث: رَوَّجَتْ أَنْفُسَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَأَنْفُسَ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ، قاله عطاء، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُوفُ دُشِدَتْ﴾ (٨) قال اللغويون: المؤودة: البنت تُدْفَن وهي حَيَّةٌ، وكان هذا من فعل الجاهلية. يقال: وَأَدَّ وَلَدَهُ، أي: دفنه حياً. قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا  
بِأَخِيَا الرَّيِّدِ وَلَمْ يُوَادَّ<sup>(١)</sup>

يعني: صعصعة بن صوحان، وهو جدُّ الفرزدق. قال الزجاج: ومعنى سؤالها: تبيكت قاتليها في القيامة، لأن جوابها: قُتِلْتُ بغير ذنب. ومثل هذا التبيكت قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِي إِلهِينَ﴾ [١٩] (المائدة: ١١٦). وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن، وابن يعمر، وابن أبي عتبة، وهارون عن أبي عمرو «سَأَلْتُ» بفتح السين، وألف بعدها «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» بإسكان اللام، وضم التاء الأخيرة. وسؤالها هذا أيضاً تبيكت لقاتليها. قال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، فكان أوان ولادها حفرت حفيرة، فتمخضت على رأس الحفيرة، فإن ولدت جارية رَمَتْ بِهَا في الحفيرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الضُّفَى نُثِرَتْ﴾ (٩) قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «نُثِرَتْ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد. والمراد بالصفح: صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١٠) قال الفراء: نُزِعَتْ، فطُوِثَتْ. وفي قراءة عبد الله «فُشِطَتْ» بالقاف، وهكذا تقوله قيس، وتميم، وأسد، بالقاف. وأما قرش، فتقوله بالكاف، والمعنى واحد. والعرب تقول: القافور، والكافور، والقسط، والكسط. وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات، كما يقال: حَدَثٌ، وَحَدَّثٌ. قال ابن قتيبة: كُشِطَتْ كَمَا يُكْشَطُ الْغَطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، فطُوِثَتْ. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. «سُيِّرَتْ» أوقدت. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «سُفِرَتْ» مشددة. قال الزجاج: المعنى واحد. إلا أن معنى المشددة: أوقدت مرة بعد مرة. «أُزْلِفَتْ» قُرِبَتْ من المتقين. وجواب هذه الأشياء «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ» (١١) أي: إذا كانت هذه الأشياء، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرت من عمل، فأنشئت على قدر عملها. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (١١): لهذا جرى الحديث<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: من أول السورة إلى هاهنا اثنا عشرة خصلة، ستة في الدنيا، وستة في الآخرة.

﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْقَيْنِ﴾ (١٢) الجوار الكنس (١٣) وَالْبَلَّاءُ إِذَا عَسَسَ (١٤) وَالْفُجْجُ إِذَا نَفَسَ (١٥) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٦) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (١٧) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ (١٨) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمُهَيَّوْنٍ (١٩) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُنْفِ الْأَيْبَنَ (٢٠) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ (٢٢) قَالَن تَذَهَبُونَ (٢٣) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٤) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٥) وَمَا تَشَاوَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ﴾ لا زائدة، والمعنى: أقسم «بِالْقَيْنِ» وفيها خمسة أقوال: أحدها: أنها خمسة أنجم تُخَسُّ بالنهار فلا تُرى، وهي: زُحَلٌ، وَغُطَّارِدٌ، وَالْمَشْتَرِيُّ، وَالْمَرِيخُ، وَالزُّهْرَةُ، قاله علي، وبه قال مقاتل، وابن قتيبة. وقيل: اسم المشتري: البرجس. واسم المريخ: بهرام. والثاني: أنها النجوم، قاله الحسن وقتادة على الإطلاق، وبه قال أبو عبيدة. والثالث: أنها بقر الوحش، قاله ابن مسعود. والرابع: الظباء، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والخامس: الملائكة، حكاه الماوردي. والأكثر على أنها النجوم<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: وإنما سماها خُسُفًا، لأنها تسير في البروج والمنازل، كسير الشمس والقمر، ثم تُخَسُّ، أي: ترجع، بينا يرى أحدها في آخر البروج كَرَّ رَاجِعًا إِلَى أَوَّلِهِ، وَسَمَّاهَا كُتُسًا، لأنها تكنس، أي: تسير كما تكنس الظباء. وقال الزجاج: تخنس، أي: تغيب، وكذلك تكنس، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وإذا كان المراد الظباء فهو يدخل الكناس، وهو الغصن من أغصان الشجر. ووقف يعقوب على «الجواري» بالياء.

(١) «ديوانه» ٢٠٣/١، وفي «الأغاني» و«الكامل» و«معاهد التنصيص» وجدي الذي منع الواحدات، وهو في «اللسان»: وأد، و«مجاز القرآن» (٢/٢٨٧)، والقرطبي (١٩/٢٣١)، و«شواهد الكشاف» (١٠٢).

(٢) في «تفسير ابن كثير»: أجرى الحديث.

(٣) وهو الأقرب إلى الصواب.



قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْوَيْلَ مِنَ الْقَلَمِ سَعِيًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: ولئى، قاله ابن عباس، وابن زيد، والفراء. والثاني: أقبل، قاله ابن جبير، وقتادة. قال الزجاج: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل. وعسعس: إذا أدبر. واستدل من قال: إن المراد: إدباره بقوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْوَيْلَ مِنَ الْقَلَمِ سَعِيًّا﴾ وأنشد أبو عبيدة لعقمة بن قوط:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسَا ۝ وانجاب عنها لَيْلُها وَعَسَسَا<sup>(١)</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿تَنَفَّسَ﴾ قولان: أحدهما: أنه طلوع الفجر، قاله علي وقتادة. والثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك. قال الزجاج: معناه: إذا امتد حتى يصير نهاراً بيّناً. وجواب القسم في قوله: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحَقِّ﴾ وما بعده قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: أن القرآن نزل به جبريل. وقد بيّنا هذا في [الحاقة: ٤٠]. ثم وصف جبريل بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وقد شرحناه في [النجم: آية ٦] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يعني: في المنزلة ﴿ثُمَّ أَمْرًا أَن يَرِيحَ﴾ أي: في السموات تطيعه الملائكة. فمن طاعة الملائكة له: أنه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتحها لمحمد ﷺ فدخلها ورأى ما فيها، وأمر خازن جهنم ففتح له عنها حتى نظر إليها. وقرأ أنبي بن كعب، وابن مسعود، وأبو حيوة «ثم» بضم التاء. ومعنى «أمين» على وحي الله ورسالاته. قال أبو صالح: أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا سَاجِدٌ بِمَثُونٍ﴾ يعني محمداً ﷺ، والخطاب لأهل مكة. قال الزجاج: وهذا أيضاً من جواب القسم، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس بمجنون كما يقول أهل مكة. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَيْمَنِ الَّذِينَ﴾ قال المفسرون: رأى محمد ﷺ جبريل على صورته بالأفق. وقد ذكرنا هذا في سورة [النجم: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض ﴿يُضَيِّنُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس «بظنين» بالظاء، وقرأ الباقر بالضاد. قال ابن قتيبة: من قرأ بالظاء، فالمعنى: ما هو بمُتَّهَمٍ على ما يُخبر به عن الله، ومن قرأ بالضاد، فالمعنى: ليس ببخيل عليكم بعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم. وقال غيره: ما يكتمه كما يكتم الكاهن لياخذ الأجر عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿يَقُولُ يُبَيِّنُ حَجْرٍ﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا: إنما يجيء به الشيطان، فيلقيه على لسان محمد.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَنذَرُكَ نَذْرَيْنِ﴾ قال الزجاج: معناه: فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بيّنت لكم؟ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: موعظة للخلق أجمعين ﴿لَئِنْ شَاءَ مِنكُمُ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾ على الحق والإيمان. والمعنى: أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق. وقد بيّنا سبيل الاستقامة، فمن شاء أخذ في تلك السبيل. ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا، وقد بيّنا هذا في سورة [الإنسان: ٣٠] قال أبو هريرة: لما نزلت ﴿لَئِنْ شَاءَ مِنكُمُ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾ قالوا: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقيل: القائل لذلك أبو جهل. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو المتوكل، وأبو عمران: «وما يشاؤون» بالياء.

### فصل

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَاءَ مِنكُمُ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾ وقوله تعالى في [عبس: ١٢]: ﴿فَنَنْشِئْ لَكَ دَكْرًا﴾، وقوله تعالى في سورة [الإنسان: ٢٩] وفي سورة [المزمل: ١٨]: ﴿فَنَنْشِئْ لَكَ دَكْرًا﴾ كلاً منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ولا أرى هذا القول صحيحاً؛ لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجّه النسخ. فاما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنسخ وجه.

## سورة الانفطار

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرِّجِيِّ

﴿إِذَا الشَّمْسُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَّتْ ② وَإِذَا الْبُيُوتُ تَبَيَّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَاقُ مَا قَدَّمَتْ ⑤ وَآخَرَتْ ⑥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ⑦ أَلَيْسَ خَلْقَكَ فَسَوْنَكَ فَعَدَلَكَ ⑧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ ⑩ بِالَّذِينَ ⑪ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑫ كِرَامًا كَثِيرِينَ ⑬ يَتْلُونَ مَا تُعَلِّمُونَ ⑭ إِنَّ الْأَوَّلَ لَنُحْيِيهِ ⑮ وَإِنَّ الْآخِرَ لَنُحْيِيهِ ⑯ يَوْمَ لَا تُغْنِي عَنْكَ قُدْرَتُكَ نَفْسُ لَافْسٍ ⑰ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَهِ لِلَّهِ ⑱﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ انْفَطَرَتْ ①﴾ انفطارها: انشقاقها. و﴿انْشَظَّتْ ②﴾ بمعنى تساقطت. و﴿تَبَيَّرَتْ ③﴾ بمعنى فُتِحَ بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً. وقال الحسن: ذهب ماؤها، و﴿بُعثِرَتْ ④﴾ بمعنى أثيرت. قال ابن قتيبة: قُلِبَتْ فأخرج ما فيها. يقال: بَغِثْتُ المتاع وَبَغِثْتُهُ: إذا جعلت أسفله أعلاه.

قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَاقُ مَا قَدَّمَتْ وَآخَرَتْ ⑤﴾ هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ يَوْمَهِ ⑥﴾ بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَهُ ⑦ [القيامة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ⑧﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه غُيِبَ به أبو الأشدين<sup>(١)</sup>، وكان كافراً، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المشر: ٣٠]. والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة. والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ ⑨﴾ قال الزجاج: أي: ما خدَعَكَ وسوَّلَ لك حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال غيره: المعنى: ما الذي أثنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلاً؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غَرَّكَ بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرني سُتُورُكَ المُرَخَاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غَرَّكَ بي؟ قلت: بِرَّكَ سَالِفاً وَآتِفاً. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لقن عبده الجواب، ليقول: غَرَّنِي كرم الكريم.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ خَلْقَكَ فَسَوْنَكَ ⑧﴾ إنساناً تسمع وتبصر ﴿فَعَدَلَكَ ⑧﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتشديد. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف. قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه - والله أعلم -: فسوَّركَ إلى أي صورة شاء، إما حَسَن، وإما قَبِيح، وإما طَوِيل، وإما قَصِير. وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القربات تشبيهاً. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم -: جعلك معتدلاً، معدل الخلق. وقال غيره: عدلُ أعضائك فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑨﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون (ما) زائدة. ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يرَكِّبَكَ فيها رَكَّبَكَ. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: في أي صورة من صور القربات رَكَّبَكَ، وهو معنى قول مجاهد. والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو

(١) قد تقدم الكلام عليه في سورة المشر.

(٢) وهذا هو الصواب أنه عام لكل كافر.

قصر، أو ذكر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء. والثالث: إن شاء أن يرُجِّب في غير صورة الإنسان رُجِّب، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالى: ﴿وَرَأَى عَلَيْكُمْ كِتَابَيْنِ﴾ أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربهم ﴿كُتِبِينَ﴾ يكتبون أعمالكم ﴿يَكْتُوْنَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر، فيكتبونه عليكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة ﴿وَرَأَى الْأَكْبَارَ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: الظلمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا ليت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَوُونَ﴾ يعني: يدخلون الجحيم مقاسين حرها ﴿يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا تُمَنُّهُ﴾ أي: عن الجحيم ﴿يَمْنِيْنَ﴾ وهذا يدل على تخليد الكفار. وأجاز بعض العلماء أن تكون «عنها» كناية عن القيامة، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث. ويشتمل هذا على الأبرار والفجار. ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ ثم كرر ذلك تفخيماً لشأنه، وكان ابن السائب يقول: الخطاب بهذا للإنسان الكافر، لا لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ قُرْآنُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو «يَوْمُ» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزجاج: من رفع «اليوم» فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين». ويجوز أن يكون رفعه<sup>(١)</sup> بإضمار «هو» ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قال المفسرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحدٌ إلا الله، ولم يملك أحدٌ من الخلق شيئاً كما ملكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.



(١) في نسخة الرباط: رفعها، وفي النسخة الإستانبولية: رفعاً.

## سورة المطففين

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والضحاك، ويحيى بن سلام. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل، إلا أن ابن عباس، وقتادة قالوا: فيها ثمان آيات مكية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخرها. وقال مقاتل: فيها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا نُظِرَ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ فَالْأَنظِرْ الْأَنزِلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]. والثالث: أنها نزلت بين مكة، والمدنية، قاله جابر بن زيد وابن السائب، وذكر هبة الله ابن سلامة<sup>(١)</sup> المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدنية، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْكَائِبِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبت الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فاحسنوا الكيل بعد ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية. وقد شرحنا معنى «الويل» في [البقرة: ٧٩]. وقال ابن قتيبة: المطفف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طَفَأَ: إذا لم يكن مملوئاً. وقال الزجاج: إنما قيل: مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أخذ من طَفَّ الشيء، وهو جانبه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس. فـ«على» بمعنى «من» في قول المفسرين واللغويين. قال الفراء: «على»، و«من» يعتبان في هذا الموضع، لأنك إذا قلت: اكتلت عليك، فكأنك قلت: أخذت ما عليك [كيلاً]، وإذا قلت: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك [كيلاً]. قال الزجاج: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وكذلك إذا ائزنوا، ولم يَذْكُرْ «إِذَا ائْزَنُوا»، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكَالُ وَيُوزَنُ، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون في الكيل والوزن. فعلى هذا لا يجوز أن يقف على «كالوا»، ومن الناس من يجعل «هم» توكيداً لما كالوا<sup>(٣)</sup>، ويجوز أن يقف على «كالوا» والاختيار الأول. قال الفراء: سمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المد والمدن إلى الموسم المقبل.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم يُبْعَثُونَ ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني به يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ منصوب بقوله تعالى: ﴿مَبْعُوثُونَ﴾. قال المفسرون: والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى: يقوم الناس، أي: من قبورهم ﴿لِرَبِّهِمُ الْكَائِبِينَ﴾ أي: لأمره، أو لجزائه وحسابه. وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء. وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: في

(١) في الأصل: سلام، وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٤٨/٢)، والطبري (٩١/٣٠)، والواحدي (٣٣٣)، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» (١٢٨): رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. وأورده السيوطي في «الدرة» (٣٢٣/٦) وزاد نسبه إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن ابن عباس.

(٣) قال الألوسي: «هم» ضمير مرفوع، تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو، يعني في «كالوا».

هذه الآية: «يقوم أحدهم في رَشَحِهِ»<sup>(١)</sup> إلى أنصاف أذنيه»<sup>(٢)</sup>. وقال كعب: يقفون ثلاثمائة عام. قال مقاتل: وذلك إذا خرجوا من قبورهم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَقَدْ يَمْدُ الْكَذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَذِرٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَ عَلَيْهِ مَائِدَاتُ الْأَكَلِ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُنَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَيِّبٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَنْبَاكِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَرَوْنَ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِثْحُورٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُ رَبِّكَ عَلَى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَنَزَّاهُ مِنْ نَجْنِيهِ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَحْكُمُ بِمَا الْمَكْرُورُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر، أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليترددوا. وهامنا تم الكلام عند كثير من العلماء. وكان أبو حاتم يقول: ﴿كَلَّا﴾ ابتداء يتصل بما بعده على معنى «حقاً» ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ قال مقاتل: إن كتاب أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الأرض السابعة، وهذا قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل. وروي عن مجاهد قال: ﴿سِجِّينَ﴾ صخرة تحت الأرض السابعة، يجعل كتاب الفجار تحتها، وهذه علامة لخسارتهم، ودلالة على خسارة منزلتهم. والثاني: أن المعنى: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن. والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة. والرابع: لفي حيس، فُعِلَ من السجن، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ﴾ هذا تعظيم لأمرها. وقال الزجاج: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب مرقوم، أي: مكتوب. قال ابن قتيبة: والرقم: الكتاب. قال أبو ذؤيب:

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَا  
وَيَزِيرُهُ الْكَتَابُ الْجَمِيرِي<sup>(٤)</sup>

وأشده الزجاج: «يَذِيرُهَا» بالذال المعجمة، وكسر الباء. قال الأصمعي: يقال: زبر: كتب، وذبر: قرأ. وروى أبو عمرو عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الصواب: زبرت - بالزاي - كتبت. وذبرت - بالذال - أتقنت ما حفظت. قال: والبيت يزيرها، بالزاي والضم. وقال ابن قتيبة: يروى «يزيرها» و«يذيرها» وهو مثله، يقال: زبر الكتاب يزبره، ويذيره. وذبره يذبره، ويذره. وقال قتادة: رقم له بشر، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر. وقيل: المعنى: إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ يَمْدُ الْكَذِبِينَ﴾ هذا منتظم بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، وما بينهما كلام معترض. وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «بَلْ رَانَ» بفتح الراء مدغمة، وقرأ أبو بكر عن عاصم «بَلْ رَانَ» مدغمة بكسر الراء. وقرأ حفص عن عاصم «بَلْ» بإظهار اللام ﴿رَانَ﴾ بفتح الراء. قال اللغويون: أي: غلب على قلوبهم، يقال: الخمرة ترين على عقل السكران. قال الزجاج: قرئت بإدغام اللام في الراء، لقرب ما بين الحرفين، وإظهار اللام جائز، لأنه من كلمة، والرأس من كلمة أخرى. ويقال: ران على قلبه الذئب يرين ريناً: إذا غشي على قلبه، ويقال: غان يغين غيناً، والغين كالغيم الرقيق، والرين كالصدا يغشى على

(١) أي: عرق، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء، كما يرشح الإناء المحتلل الأجزاء.

(٢) رواء مالك في «الموطأ» والبخاري ٥٣٥/٨، ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لاسلم.

(٣) قال ابن كثير: والصحيح أن «سجينا» مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأسفل إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل السافلين؛ كما قال تعالى: ﴿فَنَزَّلْنَاهُ لَسْفَلٍ سَبِيلِينَ﴾ إلا أَلِيمٌ مَائِدَاتُ الْأَكَلِ، قال هاهنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ، وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْزِلْهُ سِجًّا مُّشْرَبٍ وَلَا يَمْلَأُ جَبْهًا شُورًا﴾.

(٤) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، وهو في «ديوان الهلليين» (٦٤/١)، و«غريب القرآن» (٥١٩) وفيهما: «يزيرها» بدلاً من «يزيره».

القلب. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: الغين يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا﴾ وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي»<sup>(١)</sup>، وكذلك الراءية يقال بالراء، وبالغين، والرميصاء تكتب «بالغين»، وبالراء، لأن الرمص يكتب بهما. قال المفسرون: لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يصدقون. ثم استأنف ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ قال ابن عباس: إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائه حتى رآوه. وقال الشافعي: لما حجب قومًا بالشُّطْطِ دلَّ على أن قومًا يَرَوْنَهُ بالرضا<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم. ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَآؤُكَ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار: ﴿هَآؤُكَ﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ كَلَّا أي: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه. ثم أعلم أين محلّ ﴿كُنتُمْ بِالْآبِرَارِ﴾ فقال تعالى: ﴿لَنَبِيٍّ عَنِيتُمْ﴾ وفيها سبعة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، قاله كعب، وهو مذهب مجاهد، وابن زيد. والرابع: أنها قائمة العرش اليمنى، قاله قتادة. وقال مقاتل: ساق العرش. والخامس: أنه سدرة المنتهى، قاله الضحاك. والسادس: أنه في علو وصعود إلى الله ﷻ، قاله الحسن. وقال الفراء: في ارتفاع بعد ارتفاع. والسابع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَزْنَاكَ مَا عَظِيمٌ﴾ هذا تعظيم لشأنها.

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ رَافِقُونَ﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلها.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَهُهُ الْمَرْوَةُ﴾ أي: يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صُعِدَ به إلى عليين. وما بعد هذا قد سبق بيانه [لافتظار: ١٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: إلى ما أعطاهم الله من الكرامة. والثاني: إلى أعدائهم حين يعدَّبون.

قوله تعالى: ﴿تَوَرَّتْ فِي وُجُوهِهِمْ نَقْرَةُ النَّعِيمِ﴾ وقرأ أبو جعفر، ويعقوب «تُعَرَّفْ» بضم التاء، وفتح الراء «نقْرَةُ» بالرفع. قال الفراء: بريق النعيم ونداء. قال المفسرون: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، لما ترى من الحسن والنور. وفي «الرحيق» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال: أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد. والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش. والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل. والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة. والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن. والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وفي قوله تعالى: ﴿تَخْشَوْنَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود. والثاني: مختوم على إنائه، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد. والثالث: له ختام، أي: عاقبة ربح، وتلك العاقبة هي قوله تعالى: ﴿حِثَّمُ مَسْكٍ﴾، أي: عاقبته. هذا قول أبي عبيدة. ﴿حِثَّمُ مَسْكٍ﴾ قرأ ابن كثير،

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢٧٧٥/٤ عن الأغر المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

(٢) روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا﴾» وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تملو قلبه، فهو الران الذي قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا﴾».

(٣) وقال ابن كثير: قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلَّ عليه منطوق قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَرَوْنَهُ كَإِذَا نَبَّكَ الْكَوْكَبُ﴾ وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة ﴿خَتَمُ﴾ بكسر الخاء، ويفتح التاء، وبألف بعدهما، مرفوعة الميم. وقرأ الكسائي «خَاتَمَهُ» بخاء مفتوحة، بعدها ألف، وبعدها <sup>(١)</sup> تاء مفتوحة. وروى الشيزري «خَاتِمَهُ» مثل ذلك، إلا أنه يكسر التاء. وقرأ أبي بن كعب، وعروة، وأبو عالية: «خَتَمَهُ» بفتح الخاء والتاء ولبضم الميم من غير ألف. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿خَتَمُ يَسْكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: خَلَطَهُ مسك، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أن خَتَمَهُ الذي يختم به الإناء مسك، [قاله ابن عباس. والثالث: أن طعمه وريحه مسك، قاله علقمة. والرابع: أن آخر طعمه مسك] <sup>(٢)</sup> قاله سعيد بن جبيرة، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَزَّلِ الْمُتَشَفِّعُونَ﴾ أي: فليجئوا في طلبه، وليحرصوا عليه بطاعة الله. والتنافس: كالنشاط على الشيء، والتنازع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِهِمْ مِنْ تَنْسِيمٍ﴾ <sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين. والثاني: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك. قال مقاتل: وإنما سمي تسيماً، لأنه يتسّم عليه من جنة عدن، فينصب عليهم انصباباً، فيشربون الخمر من ذلك الماء. قال ابن قتبية: يقال: إن التسنيم أرفع شراب في الجنة. ويقال: إنه يمتزج بماء ينزل من تسيم، أي: من علو. وأصل هذا من سنام البعير، ومن تسيم القبور. وهذا أعجب إليّ، لقول المسيّب بن علس في وصف امرأة:

كَأَنَّ بِرَيْقَتِهَا لَلْمِرَا

ج مِنْ ثُلُجٍ تَسْنِيمٍ شَيْبَتْ عُقَارَا <sup>(٤)</sup>

أراد: كأن بريقها عقاراً شيبَتْ للمزاج من ثلج تسيم، يريد: جبلاً. قال الزجاج: المعنى: ومزاجه من تسيم عيناً تأتاهم من تسيم، أي: من علو يتسّم عليهم من الغرف. «عيناً» في هذا القول منصوبة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُلَاقَى فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبٍ﴾ <sup>(٥)</sup> يَمُكًا <sup>(٦)</sup> [البلد: ١٥]. ويجوز أن تكون «عيناً» منصوبة بقوله: يُسْقُونَ عيناً، أي: من عين. وقد بينا معنى ﴿يَتَشَرَّبُونَ﴾ في [هل أنى: ٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَعْرِضُوا عَنْ ذَاكَ مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَنُجْزِيَنَّ عَنْهُمْ شَرَ لَفِظِهِمْ فِي النَّارِ﴾ <sup>(٧)</sup> وَإِذَا أُنْفِلُوا مِنْهَا قَالُوا إِنَّا هُنَا حَرَارٌ مِمَّا أَتَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَلَٰكِنْ نَحْنُ غَافِلُونَ ﴿٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا مَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا ﴿٩﴾ وَتَوَلَّىٰ وَجْهُكَ النَّارُ بِحَرِّهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرِيَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَعْرِضُوا﴾ أي: أشركوا ﴿كَأُولَ الَّذِينَ عَمِلُوا﴾ يعني أصحاب رسول الله ﷺ، مثل عمار، وبلال، وخبّاب وغيرهم ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على وجه الاستهزاء بهم ﴿وَإِذَا أُنْفِلُوا﴾ يعني: المؤمنون ﴿يَمُكًا﴾ أي: بالكفار ﴿يَتَنَزَّلُونَ﴾ أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاء بهم ﴿وَإِذَا أُنْفِلُوا﴾ يعني: الكفار ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ أنقلبوا فأكهين: أي: متعجبين بما هم فيه يتفكّهون بذكرهم. وقرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم، وعبد الرزاق عن ابن عامر ﴿يَكْهِنُ﴾ بغير ألف. وقد شرحنا معنى القراءتين في [يس: ٥٥] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: رأوا أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قَالُوا إِنَّا هُنَا حَرَارٌ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي: على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ يحفظون أعمالهم عليهم، أي: لم يؤكّلوا بحفظ أعمالهم ﴿قَالِيمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿الَّذِينَ عَمِلُوا مِنَ الْكُفْرِ يَكْفُرُونَ﴾ إذا رأوهم يعذبون في النار. قال أبو صالح: يقال لأهل النار وهم فيها: أخرجوا، وفتحت لهم أبوابها، فإذا أقبلوا يريدون الخروج، غُلقت أبوابها دونهم. والمؤمنون ﴿عَلَىٰ الْأَرْبَابِ يَنْظُرُونَ﴾ <sup>(١١)</sup> إلى عذاب عدوهم. قال مقاتل: لكل رجل من أهل الجنة ثلثة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون، فيحمدون الله على ما أكرمهم به، فهم يكلمون أهل النار ويكلمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها، فتسدّ حيثن الكوى.

قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُبُتَ الْكُفْرُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وهارون عن أبي عمرو ﴿هَلْ ثُبُتَ﴾ بإدغام اللام. أي: هل جوزوا وأثبوا على استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير.

(١) في الأصل: وبعده.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الاستنبولية.

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥٢٠.

## سورة الانشقاق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُشَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخُتَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُشَّتْ ⑤ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهْ ⑦ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْدَهُ بِسَيْبِهِ ⑧ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ⑩ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْدَهُ وَرَدَّ ظَهْرَهُ ⑪ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑫ وَيَصِلُ سِيرًا ⑬ إِنَّكَ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ⑭ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ ⑮﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾ قال المفسرون: انشقاقها من علامات الساعة. وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن: [الفرقان: ٢٢٥، الرحمن: ٣٧، الحاقة: ٤٦]. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ②﴾ أي: استمعت وأطاعت في الانشقاق، من الأذن، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه، وأنشدوا:

صُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا دُكِرْتُ بِهِ  
فَإِنْ دُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا<sup>(١)</sup>  
﴿وَحُشَّتْ ④﴾ أي: حق لها أن تطيع ربها الذي خلقها ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ، ويزاد في سعتها. وقال مقاتل: لا يبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ③﴾ من الموتى والكنوز ﴿وَخُتَّتْ ④﴾ أي: خُلَّتْ من ذلك، فلم يبقَ في باطنها شيء. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال: أحدها: أنه متروك، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن. والثاني أنه ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥﴾ كقول القائل: إذا كان كذا وكذا، فيا أيها الناس ترون ما عملتم، فيجعل ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥﴾ هو الجواب، وتضمير فيه الفاء، كأن المعنى: يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت، وذكر القولين الفراء. والثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقه إذا السماء انشقت» قاله المبرد. والرابع: أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَلْيَقِهْ ⑦﴾. فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا ⑦﴾ فيه قولان: أحدهما: إنك عامل لربك عملاً، قاله ابن عباس. والثاني: ساع إلى ربك سعيًا، قاله مقاتل. قال الزجاج: و«الكدح» في اللغة: السعي، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة. قال تميم بن مقبل:

وَمَا الدَّفْعُ إِلَّا تَارَتَانِ فَوْنُهُمَا  
أُمُوتُ وَأُخْرَىٰ أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ<sup>(٢)</sup>  
وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ⑦﴾ قولان: أحدهما: عامل لربك، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: إلى لقاء ربك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَقِهْ ⑦﴾ قولان: أحدهما: فملاقٍ عَمَلِكَ. والثاني: فملاقٍ رَبِّكَ، كما ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧﴾ وهو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله له. وفي «الصحاحين» من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك، فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: ﴿فَسَوْفَ

(١) البيت لقُتَبَ بن ضمرة ابن أم صاحب أم عنب، وكان في أيام الوليد، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٧٧، و«الطبري» ٣٠/١١٢، و«السمط» ٣٦٢، و«الانقضاء» ٢٩٢، و«شواهد الكشاف» ١٤٣، و«القرطبي» ١٩/٢٦٧، و«اللسان: أذن، وأورد بيتاً قبله، هو:

إِنْ يَسْتَمُوا رِبَّةً طَارُوا بِهَا قَرْحًا  
يَتِي وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا  
(٢) «ديوانه» (٢٤)، وسيبويه ١/٣٧٦، و«الكامل» ٣/٩٠٨، و«الحيوان» ٣/٤٨، و«حماة البحري» ١٨٣، و«القرطبي» ١٩/٢٦٩.



يَحْسَبُ حَسَابًا يَبِيرًا ﴿١٩﴾ قَالَ: ذَلِكَ الْعَرْضُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ إِلَيْكَ أَهْلِي﴾ يعني: في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿سَرُورًا﴾ بما أوتي من الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ وَرَدَّ ظَهْرَهُ﴾ قال المفسرون: نُغَلُّ يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره ﴿فَتَوَقَّ يَدْعُوًا ثُبُورًا﴾ قال الزجاج: يقول: يا ويلاه، يا ثُبُوراه، وهذا يقوله كل من وقع فيهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «ويُصَلِّي» بضم الياء، وتشديد اللام. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة «ويصلي» بفتح الياء خفيفة، إلا أن حمزة والكسائي يميلانها. وقد شرحناه في سورة [النساء: ١١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ فِي ظَهْرِهِ﴾ يعني في الدنيا ﴿سَرُورًا﴾ باتباع هواه، وركوب شهواته ﴿إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى الآخرة، ولن يبعث وهذه صفة الكافر. قال اللغويون: الحور في اللغة: الرجوع، وأنشدوا للبيد:

وَمَا الْمَرْءُ كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ  
يَحُورُ زَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ<sup>(٢)</sup>

﴿يَنْ إِذْ رَدَّكَ كَانَ يَدُ بَصِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ فَلَا أَقِيمَ بِالْشَّفَىٰ ﴿٢٢﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿٢٣﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿٢٤﴾ لَتَرْكَبَنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿٢٥﴾ فَمَا لَمْ لَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّا فَرَقْنَا عَلَيْهِمُ الثَّرَاثُ لَا يَسْتَدِينُونَ ﴿٢٧﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٩﴾ فَيَفْتَرِمُهُمْ بِمَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْ﴾ قال الفراء: المعنى: بلى ليحورون، ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿إِنْ رَدَّكَ كَانَ يَدُ بَصِيرًا﴾ قال المفسرون: بصيراً به على جميع أحواله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمَ﴾ قد سبق بيانه. فأما «الشفق» فقال ابن قتيبة: هما شفقان: الأحمر، والأبيض؛ فالأحمر: من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم غيب، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل. وللمفسرين في المراد «بالشفق» هاهنا ستة أقوال: أحدها: الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشفق: الحمرة»<sup>(٣)</sup>، وهذا قول عمر، وابنه، وابن مسعود، وعبداد، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، ومالك، والأوزاعي، وأبي يوسف، والشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق، وكان أحمر. والثاني: أنه النهار. والثالث: الشمس، روي القولان عن مجاهد. والرابع: ما بقي من النهار، قاله عكرمة. والخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والسادس: أنه البياض، قاله عمر بن عبد العزيز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: وما جمع وضم. وأنشدوا:

إِنْ لَنَا قَلْبَانِصَا حَقَّائِقًا  
مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَ سَائِقًا<sup>(٤)</sup>

قال أبو عبيدة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما علا فلم يمنع منه شيء، فإذا جَلَّ الليل الجبال، والأشجار، والبحار، والأرض، فاجتمعت له، فقد وسقها. وقال بعضهم: معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه إلى ماواه.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ﴿٢٤﴾ قال الفراء: اتَّسَقَ: اجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، إلى ست عشرة.

(١) رواه البخاري ١٧٦/١ و ٥٣٥/٨ و ٣٤٧/١١، ومسلم ٢٢٠٤/٤، ورواه الطبري ١١٦/٣٠، والترمذي ١٦٩/٢، وقال: حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٢٩/٦ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة.

(٢) «ديوانه» ١٦٩.

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» ١٠٠، وصححه البيهقي وقفه، وقال في «المعرفة»: روي هذا الحديث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وعبداد بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، ولا يصح عن النبي ﷺ فيه شيء، وذكره السيوطي في «الدرر» موقوفاً على ابن عمر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

(٤) الرجز في «ملحق ديوان المجاز» ٨٤، وهو في «مجاز القرآن» ٢٩١/٢، و«الطبري» ١٢٠/٣٠، و«القرطبي» ٢٧٥/١٩، و«اللسان» وسق.

قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «لَتَرْكَبَنَّ» بفتح التاء والباء، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه خطاب لرسول الله ﷺ، ثم في معناه قولان: أحدهما: لتركبنَّ سماءً بعد سماء، قاله ابن مسعود، والشعبي، ومجاهد. والثاني: لتركبن حالاً بعد حال، قاله ابن عباس، وقال: هو نيكم. والقول الثاني: أن الإشارة إلى السماء. والمعنى: أنها تتغير ضرورياً من التغيير، فتارة كالمُهَل، وتارة كالدَّهَان، روي عن ابن مسعود أيضاً. وقرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح التاء، وضم الباء، وهو خطاب لسائر الناس. ومعناه: لتركبنَّ حالاً بعد حال. وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وأبو الأشهب: «ليركبنَّ» بالياء، ونصب الباء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن يعمر: «ليركبنَّ» بالياء، وضم الباء. وعن «بمعنى بعد». وهذا قول عامة المفسرين والخوئين، وأنشدوا للأقرع بن حابس:

إِنِّي أَمْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ  
وَسَأَقْنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ<sup>(١)</sup>

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: أنه الشدائد، والأحوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الرخاء بعد الشدة، والشدّة بعد الرخاء، والغنى بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة، [قاله الحسن. والثالث: أنه كون الإنسان رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً]<sup>(٢)</sup>، قاله عكرمة. والرابع: أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان ضيعاً، ويتضع من كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين، قاله أبو عبيدة. وكان بعض الحكماء يقول: من كان اليوم على حالة، وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى سواء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بمحمد والقرآن، وهو استفهام إنكار ﴿وَإِذَا رُفِئَ عَنْهُمْ الْقَرْبُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يصلُّون، قاله عطاء، وابن السائب. والثاني: لا يخضعون له، ويستكينون، قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى. قال: وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة، وليس فيها دلالة على ذلك، وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع منه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ بالقرآن، والبعث، والجزاء ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب. قال ابن تقيّة: ﴿يُوعُونَ﴾: يجمعون في قلوبهم. وقال الزجاج: أوعيت المتاع في الوعاء، ووعيت العلم.

قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ يَدَايِ آلِ يَسَ﴾ ﴿١٨﴾ أي: أخبرهم بذلك. وقال الزجاج: اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة، العذاب الأليم. و«المؤمنون» عند أهل اللغة: المقطوع.



(١) أنشده القرطبي في «تفسيره» ٢٧٨/١٩.

(٢) زيادة سقطت من نسخة الرباط، واستدركناها من النسخة الاستنبولية.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ - موجهاً - جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أحوالاً.

## سورة البروج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلَ ذَاتَ الْوُجُجِ ① وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدَ مَشْهُورِ ③ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ④ النَّارَ ذَاتَ الْوُكُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ⑨ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبْتُؤُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَبِيرُ ⑫ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑬ إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِيهِ وَيُعِيدُ ⑭ وَهُوَ الْغَفُورُ ⑮ الْوَدُودُ ⑯ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑰ فَمَنْ لَمَّا يُرِيدُ ⑱ هَلْ أَتَاكَ خَبْرٌ لِمَنْتَوْرٍ ⑲ فَرَعَوْنَ يَوْمَؤْ ⑳ بَيِّ الدِّينِ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ ㉑ وَاللَّهُ يَنْزِلُ فِي سَحَابٍ مُبِينٍ ㉒﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ ذَاتَ الْوُجُجِ ①﴾ قد ذكرنا البروج في [الحجر: ١٦] ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ②﴾ هو يوم القيامة بإجماعهم ﴿وَشَاهِدَ مَشْهُورِ ③﴾ فيه أربعة وعشرون قولاً: أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال علي، وابن عباس في رواية، وابن زيد. فعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة. والثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر، قاله ابن عمر. والثالث: أن الشاهد: الله ﷻ، والمشهود: يوم القيامة، رواه الوالبي عن ابن عباس. والرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن بن علي. والسادس: أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس، قاله جابر بن عبد الله. والسابع: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة، قاله الضحاك. والثامن: أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيّب. والتاسع: أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم، قاله سعيد بن جبيرة. والعاشر: أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة، قاله الضحاك. والحادي عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثاني عشر: أن الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال عكرمة. الثالث عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، وذريته، والمشهود: يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار. والرابع عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: الله ﷻ، قاله محمد بن كعب. والخامس عشر: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهود: يوم عرفة، قاله إبراهيم. والسادس عشر: أن الشاهد: عيسى ﷺ، والمشهود: أمته، قاله أبو مالك. ودليله قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ⑩﴾ [المائدة: ١١٧]. والسابع عشر: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: أمته، قاله عبد العزيز بن يحيى، وبيانه ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ⑩﴾ [النساء: ٤١]. والثامن عشر: أن الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الناس، قاله الحسين<sup>(٢)</sup> بن الفضل، ودليله ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ⑩﴾ [البقرة: ١٤٣]. والتاسع عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، قاله محمد بن علي الترمذي، وحكي عن عكرمة نحوه. والعشرون: أن

(١) رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وفي سنده موسى بن عُثَيْبَةَ الرِّبَازِي، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب»، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عُثَيْبَةَ، وموسى بن عُثَيْبَةَ: يضاعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقال ابن كثير: وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عُثَيْبَةَ الرِّبَازِي، وهو ضعيف، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

(٢) في الأصل: الحسن.

الشاهد: الحق، والمشهدود: الكون، قاله الجنيد. والحادي والعشرون: أن الشاهد: الحجر الأسود، والمشهدود: الحاج. والثاني والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمشهدود: محمد ﷺ، وبيانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ...﴾ الآية (٨١) عمران. والثالث والعشرون: أن الشاهد: الله ﷻ، والملائكة، وأولو العلم، والمشهدود: لا إله إلا الله، وبيانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالَّتِي هِيَ وَأُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٨) عمران، حكى هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي. والرابع والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء ﷺ، والمشهدود: الأمم، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله<sup>(١)</sup>. وفي جواب القسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (٢١) قتادة، والزجاج. والثاني: أنه قوله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (٢٢)، كما أن القسم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ رَضَعْنَاهَا﴾ (٢٣): ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حكاه الفراء. والثالث: أنه متروك، وهذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (٢٢) أي: لُنُوتُوا. والأخدود: شق يشق في الأرض، والجمع: أخاديد. وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار، وألقوا فيها من لم يكفر. واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال: أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر، وكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِكُ، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به: اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبيني على جذع، وارمني بهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربَّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخذ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر الحديث، وفيه طول، وقد ذكرته في «المغني» و«الحدائق» بطوله من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ملكاً من الملوك سكر، فوقع على أخته، فلما أفاق قال لها: ويحك: كيف المخرج؟ فقالت<sup>(٣)</sup>: [له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله ﷻ قد أحلَّ نكاح الأخوات، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسوه، خطبتهم فحرمتهم. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السوط، ثم جرد السيف، فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، وقذف من أبي قول ذلك، قاله علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنهم ناس اقتتل مؤمنهم وكفارهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يغيِّر بعضهم ببعض، فنذر كفارهم، فأخذوهم، فقال له رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابعكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحمت منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة. والرابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس. وال خامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (٢٢) وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه، قاله مقاتل. والسادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخذوا لهم أخدوداً، وقذفوهم فيه، حكاه الزجاج<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في الذين أحرقوا على خمسة أقوال: أحدها: أنهم كانوا من الحبشة، قاله

- (١) وقال الطبري بعد أن سرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف: والصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقامه بذلك أي شاهد رأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنى مما يستحق أن يقال: شاهد ومشهود.
- (٢) انظر الحديث بطوله في «مسند أحمد» ١٧/٦، و«صحيح مسلم» رقم ٢٠٠٥، و«سنن الترمذي» ١٦٩/٢.
- (٣) من هنا وحتى قيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط، استدركتنا من النسخة الاستنبولية، وقد بدلنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف كثير، نبهنا إلى بعضه، وأغلطنا أكثره لمعم فائدته.
- (٤) ذكره الطبري ١٣٢/٣٠ وفيه أن ذلك الملك كان من المجوس، وأنهم كانوا أهل كتاب، وذكر في آخره: فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأهتات.

(٥) قال ابن كثير: وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم من دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا آتوتاً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل يختبئ الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصحابه عزريا وميشايل، فأوقد لهم آتوتاً وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برءاً وسلاماً، وانقلبهما منها،

عليّ كرم الله وجهه. والثاني: من بني إسرائيل، قاله ابن عباس. والثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن. وقال الضحاك: كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة. والرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد. والخامس: من النبط، قاله عكرمة. وفي عددهم ثلاثة أقوال: أحدها: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: سبعون ألفاً، قاله ابن السائب. والثالث: ثمانون رجلاً، وتسعة نسوة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿النَّارُ ذَاتُ الْوُكُودِ ۖ﴾ هذا بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾ كأنه قال: قتل أصحاب النار، و﴿الْوُكُودُ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٤]. وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبة «الوُكُود» بضم الواو. ﴿إِذْ هَرَمَ عَلَيْنَا مَوْلَاكَ﴾ أي: عند النار. وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبقى ألقوه ﴿وَمَنْ عَلَى مَا يَمْلِكُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُبُودٌ﴾ أي: حضور، فأخبر الله ﷻ في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم وقيمتهم أن صبروا على التحريق بالنار، ولم يرجعوا عن دينهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن أبي عبة: «نَقِمُوا» بكسر القاف. قال الزجاج: أي: ما أنكروا عليهم إيمانهم، وقد شرحنا معنى نقموا في [المائدة: ٥٩] و[براءة: ٧٤] وشرحنا معنى «الْمُزَيِّنِ الْحَمِيدِ» في [البقرة: ١٢٩، ٢٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يخف عليه ما صنعوا، فهو شهيد عليهم بما فعلوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُذَّبُوا﴾ أي: أحرقوهم، وعذبوهم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُوتُ أُنثَىٰ تَقُولُ لَمْ يَحْضُرْ بِيَوْمِي﴾ [الذاريات: ١٣] ﴿يَوْمَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ شُرَكَاءٌ﴾ من شركهم وفعلهم ذلك بالمؤمنين ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ لَّعِينٌ﴾ بما أحرقوا المؤمنين، وكلا العذابين في جهنم عند الأكثرين. وذهب الربيع بن أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، فذلك عذاب الحريق في الدنيا. قال الربيع: وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار. وحكى الفراء أن المؤمنين نَجَوْا من النار، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْقَرَارُ الْكَبِيرُ﴾ لأنهم فازوا بالجنة. وقال بعض المفسرين: فازوا من عذاب الكفار، وعذاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ رِزْقُكَ﴾ قال ابن عباس: إن أخذته بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبابرة «لَنَدِيدُ». قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا هُوَ يَدِي وَيَدِي﴾ فيه قولان: أحدهما: يدئ الخلق ويعيدهم، قاله الجمهور. والثاني: يدئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد شرحنا في [مرد: ٩٠] معنى «الْوُكُودِ».

قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُرْسِيِّ لِلْجِدِّ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم «المجيد» بالخفض، وقرأ غيرهم بالرفع، فمن رفع «المجيد» جعله من صفات الله ﷻ، ومن كسر جعله من صفة العرش. قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ﴾ أي: قد أتاك حديث «الْمُنُودِ» وهم الذين تجندوا على أولياء الله. ثم بين من هم، فقال تعالى: ﴿وَعَزَّ وَشُدُّهُ﴾ بَيَّ الْأَيْنِ كُذُّوا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك والقرآن، أي: لم يعتبروا بمن كان قبلهم «وَاللَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مُطِئٌ» لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ نَجِيدٌ﴾ أي: كريم، لأنه كلام الله، وليس كما يقولون بشعر، ولا كهانة، ولا سحر. وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مُجِيدٌ» بغير تنوين وبخفض «مجيد» ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب، فهو محفوظ عند الله، محروس به من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان منه. وقرأ نافع «محفوظ» رفعاً على نعت القرآن. فالمعنى: إنه محفوظ من التحريف والتبديل.



= وألقى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فاكلتهم النار. وذكر نحوه عن أسباط عن السدي، وعن ابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس، والله أعلم.

## سورة الطارق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْعَظِيمِ

﴿وَاللَّيْلَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ مِمَّ حُقِّقَ ﴿٥﴾ حُقِّقَ مِنْ شَلَوِّ دَاقِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّلُبِ وَالرَّكَبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُمْ عَلَى رُجُومٍ لَقَادِرٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبْلُ الْكَرَّيْرُ ﴿٩﴾ قَالُوا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قَوْزٍ وَلَا نَاسِرٍ ﴿١٠﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾﴾ قال ابن قتيبة: الطارق: النجم، سمي بذلك، لأنه يطرق، أي: يطلع ليلاً، وكل من أتاك ليلاً، فقد طرقتك. ومنه قول هند ابنة عتبة:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ  
نمشي على النمارق<sup>(١)</sup>  
تريد: إن أبانا نجم في شرفه وعلوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ قال المفسرون: ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً<sup>(٢)</sup>، فلم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به حتى تبينه بقوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ يعني: المضيء، كما بينا في [الصفات: ١٠]. وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زُحَل، قاله علي عليه السلام، وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس عليه السلام قال: هو زحل، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء، هبط، فكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد. والثاني: أنه الثريا، قاله ابن زيد. والثالث: أنه اسم جنس، ذكره علي بن أحمد النسابوري.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ قرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل [إن] بالتشديد «كل» بالنصب ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم الجحدري، وحمزة، وأبو حاتم عن يعقوب «لما» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. قال الزجاج: هذه الآية جواب القسم، ومن خفف فالمعنى: لَهَا حَافِظٌ و«ما» لغو. ومن شدد، فالمعنى: [إلا<sup>(٣)</sup>]، قال: فاستعملت «لما» في موضع «إلا» في موضعين. أحدهما: هذا. والآخر<sup>(٤)</sup>: في باب القسم. تقول: سألتك لما فعلت، بمعنى: إلا فعلت. قال المفسرون: المعنى: ما من نفس إلا عليها حافظ، وفيه قولان: أحدهما: أنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر. والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلمه إلى المقادير، قاله الفراء. ثم نبه على البعث بقوله تعالى: ﴿فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ مِمَّ حُقِّقَ ﴿٥﴾﴾ أي: من أي شيء خلقه الله؟ والمعنى: فلينظر نظر التفكر والاستدلال ليعرف أن الذي ابتداء من نطفة قادر على إعادته.

قوله تعالى: ﴿حُقِّقَ مِنْ شَلَوِّ دَاقِقٍ ﴿٦﴾﴾ قال الفراء: معناه: مدفوق، كقول العرب: سر<sup>(٥)</sup>، كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية. وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً. قال الزجاج: ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، والمعنى: من ماء ذي اندفاق<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّلُبِ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميع، وابن أبي عبله ﴿الشُّلُبِ﴾ بضم

(١) انظر «الأغاني» طبع دار الثقافة ٣٤٣/١٢، والقرطبي ٢٠/٢٠.

(٢) قال ابن كثير: قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارِقاً، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، قال: ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي: يأتيهم فجأة بالليل.

(٣) في الأصل: إلاط.

(٤) في الأصل: ستر.

(٥) في الأصل: والأخرة.

(٦) في الأصل: من ماذا اندفاق.

الصاد، واللام جميعاً، يعني: يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. قال الفراء: يريد يخرج من الصلب والترائب. يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي «الترائب»<sup>(١)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موضع القلادة، قاله ابن عباس. قال الزجاج: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس:

مَهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْفُولَةٌ كَالسَّجَنَجِلِ<sup>(٢)</sup>

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: السجنجل: المرأة بالرومية. وقيل: هي سبيكة الفضة، وقيل: السجنجل: الزعفران، وقيل: ماء الذهب. ويروى: البيت «بالسجنجل». والثاني: أن الترائب: اليدان والرجلان والعينان، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ الهاء كناية عن الله ﷻ ﴿عَلَى نَبِيِّهِ﴾ الرجوع: رد الشيء إلى أول حاله. وفي هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها تعود على الإنسان، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر، قاله الحسن، وقنادة. قال الزجاج: ويدل على هذا القول قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي الشُّرَكَاؤُكُمْ﴾. والثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: رد الماء في الإحليل، قاله مجاهد. والثاني: على رده في الصلب، قاله عكرمة، والضحاك. والثالث: على حبس الماء فلا يخرج، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي الشُّرَكَاؤُكُمْ﴾ التي بين العبد وبين ربه حين يظهر خيراها من شرها، ومؤدبها من مضيعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا، لا يدرى أصله، أم لا؟ أتوضأ، أم لا؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سر، فكان زيناً في الوجه، أو شيناً. وقال ابن قتيبة: تُخْتَبَرُ سرائر القلوب.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ﴿وَلَا تَأْوِيهِ﴾ ينصره.

﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّنِيعِ﴾ ٧ ﴿إِنَّكُمْ لَعَزَّزْتُمْ لَقَدْ﴾ ٨ ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّازِ﴾ ٩ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٠ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١١ ﴿فَبِئْسَ الْكَاذِبِينَ أَنفُسَهُمْ رَئِبًا﴾ ١٢

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّنِيعِ﴾ ٧ أي: ذات المطر، وسمي المطر رجماً لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّنِيعِ﴾ ٨ أي: ذات الشق. وقيل لها هذا، لأنها تتصدع وتتشقق بالنبات، هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَعَزَّزْتُمْ لَقَدْ﴾ ٧ يعني به القرآن، وهذا جواب القسم. والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّازِ﴾ ٩ أي: باللعب. والمعنى: إنه جَدُّ، ولم ينزل باللعب. وبعضهم يقول: الهاء في «إنه» كناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [أي: يحنلون] وهذا الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٠ أي: أجازيهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون، فأنقم منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار. ﴿فَبِئْسَ الْكَاذِبِينَ﴾ هذا وعيد من الله لهم. ومَهْلٌ وأمهْلٌ لغتان جمعتا هاهنا. ومعنى الآية: مهْلهم قليلاً حتى أهلكهم، ففعل الله ذلك بِئْسَر، ونسخ الإمهال بآية السيف. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّازِ﴾ مهْلًا،

(١) في الأصل: وفي التراب.

(٢) «ديوانه» ١٥، «إحصاج القرآن» للباقلاني ٢٧٠، والقرطبي ٥/٢٠، والمهفهفة: الخفيفة اللحم ليست برهلة، ولا ضخمة البطن، والمفاضة: المسترخية البطن، والترائب جمع تريبة، وهي موضع القلادة من الصدر.

(٣) واختاره ابن جرير الطبري.

ورويذك بمعنى أمهل. قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَكْثَرِينَ أَمَّهَلَهُمْ رُودًا﴾ (١٧) أي: أمهلهم قليلاً، فإذا لم يتقدمها ﴿أَمَّهَلَهُمْ﴾ كانت بمعنى «مهلاً». ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر. قال الشاعر:

كَأَنَّهَا مِنْ لُ مَن يَمْشِي عَلَى رُودٍ (١)

أي: على مهل.



(١) كنا أنشد ابن قتيبة في «مشكل القرآن» ٤٢٣، وتبعه ابن فارس في «الصاحي» ١٢٤، و«مقاييس اللغة» ٤٥٨/٢، و«الصواب ما في «القرطبي» ١٢/٢٠، و«اللسان» مادة: رود قال الجموح الظفري:

تَكَادُ لَا تَحْلُمُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهَا

كَأَنَّهَا لَمْ يَمْشِ عَلَى رُودٍ

وفي «أساس البلاغة» ٣٧٩/١: قال الهذلي:

تَكَادُ لَا تَحْلُمُ الْبَطْحَاءُ خَطُوتَهَا....



## سورة الأعلى

وهي مكية كلها بإجماعهم<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الْأَلَى عَلَى سَمَوَاتٍ ۝ وَالَّذِي أَنْزَلَ الذِّكْرَ ۝ وَالَّذِي أَنْزَلَ الذِّكْرَ ۝ فَكَلَّمَهُ غَنَةً أَحْوَى ۝ سُبُّكَ فَلَا تَسْمَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَيَبْسُوكَ لِلسَّرِّ ۝ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَتَجَنَّبَهَا ۝ الْأَلَى يَصِلُ أَثَرُ الْكَلَمِ ۝ ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى ۝﴾

وفي معنى «سَبِّحْ» خمسة أقوال: أحدها: قل: سبحان ربِّي الأعلى، قاله الجمهور. والثاني: عَظُمَ. والثالث: صَلَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ، روي القولان عن ابن عباس. والرابع: نَزَّهَ رَبِّكَ عَنِ السَّوْءِ، قاله الزجاج. والخامس: نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ أَنْ تَذَكَّرَهُ وَأَنْتَ مُعْظَمٌ لَهُ، خَاشِعٌ لَهُ، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ» قولان: أحدهما: أَنْ ذَكَرَ الْاسْمَ صَلَةً، كَقَوْلِ لَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَمَا مَلَأَ فَقَدْ اغْتَدَرَ<sup>(٣)</sup>والثاني: أَنَّهُ أَصْلِي<sup>(٤)</sup>. وقال الفراء [سَبِّحْ رَبِّكَ، وَأَ] سَبِّحَ اسْمَ رَبِّكَ سِوَاءَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

قوله تعالى: «الَّذِي عَلَى سَمَوَاتٍ» أي: فَعَدَّلَ الْخَلْقَ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الانتظار: ٧] «وَالَّذِي قَدَّرَ» قرأ الكسائي وحده «قَدَّرَ» بالتخفيف «قَدَّرَ» فيه سبعة أقوال: أحدها: قَدَّرَ الشَّقَاةَ وَالسَّعَادَةَ، وَهَدَى لِلرُّشْدِ وَالضَّلَالَةِ، قَالَه مُجَاهِدٌ. والثاني: جَعَلَ لِكُلِّ دَابَّةٍ مَا يَصْلَحُهَا وَهَدَاهَا إِلَيْهِ، قَالَه عَطَاءٌ. والثالث: قَدَّرَ مَدَّةَ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ ثُمَّ هَدَاهُ<sup>(٥)</sup> لِلخُرُوجِ، قَالَه السَّيِّدِي. والرابع: قَدَّرَهُمْ ذِكْرًا وَإِنَاءً، وَهَدَى الذِّكْرَ لِإِتْيَانِ الْأَنْثَى، قَالَه مِقَاتِلٌ. والخامس: أَنَّ الْمَعْنَى: قَدَّرَ فَهْدَى وَأَضَلَّ، فَحَذَفَ «وَأَضَلَّ»، لِأَنَّهُ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ، حَكَاهُ الزَّجَاجُ. والسادس: قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، وَهَدَى إِلَى طَلِبِهَا. والسابع: قَدَّرَ الذُّنُوبَ، وَهَدَى إِلَى التَّوْبَةِ، حَكَاهُمَا الثَّعْلَبِيُّ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٥٣٧/٨ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (يعني بالمدينة) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرأنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء، فما جاء حتى قرأت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» في سور مثلها أم. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ويسورة الغاشية في صلاة الجمعة والميدين وتر العشاء، وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «هَلَا صَلَاتُكَ بِسَمِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى؟».

(٢) وفي «الطبري»: نَزَّهَ تَسْمِيَتَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ: أَنْ تَذَكَّرَهُ إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ خَاشِعٌ مُتَذَلِّلٌ، وَفِي «معالم التنزيل»: نَزَّهَ تَسْمِيَةَ رَبِّكَ بِأَنْ تَذَكَّرَهُ وَأَنْتَ لَهُ مُعْظَمٌ وَلِلذِّكْرِ مُحْتَرَمٌ. وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عقبه بن عامر الجهني لما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سَجُودِكُمْ» وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٣) تقدم تخريج البيت رقم (٦٠٠)، يَقُولُ لَيْدٌ لِابْنَتِهِ، فِي آيَاتِ هِيَ: تَمَنَّى الْإِسْكَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهَا فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ وَقَوْلُهُ: «إِلَى الْحَوْلِ»، أَي: إِلَى أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ. والحول: السنة كاملة بأسرها، وقوله: «فَقَدْ اغْتَدَرَ» هُنَا، بِمَعْنَى اعْتَدَى، أَي بَلَغَ أَقْصَى الْغَايَةِ فِي الْعَدْرِ.

(٤) قَالَ الْأَلُوسِي فِي «روح المعاني» ٣٤٧/٩: أَي نَزَّهَ أَسْمَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ، فَلَا تَزُولُ مِمَّا وَرَدَ مِنْهَا اسْمًا مِنْ غَيْرِ مُقْتَضٍ، وَلَا تَبْقَى عَلَى ظَاهِرِهِ إِذَا كَانَ مَا وَضَعَ لَهُ مِمَّا لَا يَصِحُّ لَهُ تَعَالَى، وَلَا تُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ سِبْحَانَهُ أَصْلًا إِذَا كَانَ مُخْتَصًّا بِكَالِاسْمِ الْجَلِيلِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِ فِيهِ سِوَاهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا، فَلَا تَقُلْ لِمَنْ عَطَاكَ شَيْئًا مَثَلًا: هَذَا رَازِقِي عَلَى وَجْهِ يَشْعُرُ بِبَلَدِكَ وَصْنَهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ وَالتَّلَفُّظِ بِهَ فِي مَحَلٍّ لَا يَلِيقُ بِهِ...

(٥) زِيَادَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَلَكِنَّا يَتَضَيِّقُ السِّيَاقُ. (٦) فِي الْأَصْلِ: هَدَى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ الْغَيْثَ﴾ (١) أي: أنبت العشب، وما ترعاه البهائم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ قال الزجاج، أي: جفّفه حتى جعله هشياً جافاً كالغناء الذي تراه فوق ماء السيل<sup>(١)</sup>. وقد بينا هذا في سورة [المؤمنين: ٤١]. فأما قوله تعالى: ﴿أَحْوَى﴾ فقال الفراء: الأحوى: الذي قد اسودّ عن القدم، والعنق<sup>(٢)</sup>، ويكون أيضاً: أخرج المرعى أحوى: أسود من الخضرة، فجعله غثاء<sup>(٣)</sup>؛ كما قال تعالى: ﴿مُدْمَأَمَّتَانِ﴾ (٤) [الرحمن: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿سُقْرَتُكَ فَلَا تَسْخُ﴾ (٥) قال مقاتل: سنعلّمك<sup>(٦)</sup> القرآن، ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: إلا ما شاء الله أن تنسى شيئاً، فإنما هو كقوله تعالى: ﴿خَلِيلُكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [مرد: ١٠٧]، فلا يشاء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَدْرَأُ الْيَهُودَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منهما ﴿وَيُخَيِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (٧) أي: يُسهّل<sup>(٧)</sup> عليك عمل الخير ﴿فَذَرِكْ﴾ أي: عظ أهل مكة ﴿إِنْ تَنَمَّ الذِّكْرُ﴾ وفي ﴿إِنْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشرطية، وفي معنى الكلام قولان، أحدهما: إن قُبِلَتْ<sup>(٧)</sup> الذكرى، قاله يحيى بن سلام. والثاني: إن نفعت وإن لم تنفع، قاله علي بن أحمد النيسابوري. والثاني: أنها بمعنى «قد»، فتقديره: قد نفعت الذكرى، قاله مقاتل. والثالث: أنها بمعنى «ما» فتقديره: فذكر ما نفعت الذكرى، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَرُكَ سَيِّطَرٌ﴾ سيّطعظ<sup>(٨)</sup> بالقرآن ﴿مَنْ يَخْفَى وَيَجَنِّبُ﴾ ويتجنب الذكرى ﴿الْأَنفَى الَّذِي يَصِلُ الْكَارَ الْكَبْرَى﴾ (٩) أي: العظيمة الفظيعة لأنها أشد من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَجِيءُ﴾ حياة تنفعه. وقال ابن جرير: تصير نفس أحدهم في حلقه، فلا تخرج فتضارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيها. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ (١٠) وَكَرَّرَ أَسَدُ زَيْدٍ فَصَلَ (١١) بَلْ تُؤَيِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا (١٢) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٤) صُفِّ بِرَبِّهِمْ وَرُؤْسَى (١٥)

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزجاج: أي: صادف البقاء الدائم، والفوز ﴿مَنْ زَكَّى﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: من تطهّر<sup>(١٦)</sup> [من] الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس. والثاني: من أعطى صدقة الفطر، قاله أبو سعيد الخدري، وعطاء، وقتادة. والثالث: من كان عمله زاكياً، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنها زكوات الأموال كلّها، قاله أبو الأحوص. والخامس: تكثّر بتقوى الله. ومعنى الزاكي: النامي الكثير، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ أَسَدُ زَيْدٍ﴾ قد سبق بيانه [الأحزاب: ٣١]. وفي قوله تعالى: ﴿فَصَلَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: صلاة العيدين، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: صلاة التطوّع، قاله أبو الأحوص. والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عيد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤَيِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) قرأ أبو عمرو، وابن قتيبة، وزيد عن يعقوب «بل يؤثرون» بالياء،

(١) في الأصل: السيل، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: والعنق، وهو تصحيف، والتصحیح من «اللسان» نقلًا عن الفراء.

(٣) نص عبارة الفراء كما في «اللسان»: وقد يكون معناه أيضاً: أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر فجعله غثاء بعد خضرته، فيكون مؤخرًا معناه التقديم، والأحوى: الأسود من الخضرة.

(٤) في الأصل: سيعلّمك.

(٥) عبارة الفراء كما في «القرطبي» ١٨/١٠: إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن ينسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿خَلِيلُكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاء.

(٦) في الأصل: لسهل.

(٧) في الأصل: قلت، والتصحیح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٨) في الأصل: أسرّيت يتعظ، والتصحیح من «مجمع البيان» للطبرسي. (٩) في الأصل: يظهر.

والباقون بالتاء، واختار الفراء والزجاج التاء، لأنها رويت عن أبي بن كعب: «بل أنتم تؤثرون». فإن أريد بذلك الكفار، فالمعنى: أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بها. وإن أريد به المسلمون، فالمعنى: يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب. قال ابن مسعود: إن الدنيا عجلت لنا، وإن الآخرة تُعِثُّ<sup>(١)</sup> لنا، وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل]<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لك؛ يعني الجنة أفضل ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدام من الدنيا. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ قاله قتادة. والثاني: هذه السورة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أنه لم يرد [أن معنى] السورة [في الصحف الأولى]، ولا الألفاظ<sup>(٣)</sup> بعينها، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلّى، في الصحف الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابن قتيبة. والرابع: أنه من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾ قاله ابن جرير<sup>(٤)</sup>. ثم بين الصحف الأولى ما هي، فقال: ﴿صُحُفٌ إِيَّاهِم مَّوَسَى﴾ وقد فسرناها في [النجم: ٣٦].



(١) في الأصل: تُعِث.

(٢) زيادة لم ترد في الأصل، استدركناها من الطبري، والبغوي و«مجمع البيان» والقرطبي، وابن كثير. وعبارة ابن جرير الطبري في «التفسير»: عن عرفة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود «مَنْ تَزَكَّى أَلْفَلَ» فلما بلغ: ﴿يَوْمَ تُؤْتَوْنَ الْحَيَاةَ الدَّيْمَةَ﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لآنا رأينا زيتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل. قال ابن كثير: وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

(٣) في الأصل: لفاظها، والتصويب من «غريب القرآن» ٥٢٤.

(٤) واختاره، وقال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره، لأن «هذا» إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قُرِبَ منها، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره.

## سورة الغاشية

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهُ يُوسَّوْهُ خَزِيمَةٌ ۝ عَالِمَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ صَلََا نَارًا سَاجِيَةً ۝ تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَّانِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيَعٍ ۝ لَا يَسْئَلُونَ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ جُزْءٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاك، قاله قطرب. وقال الزجاج: والمعنى: هذا لم يكن من علمك<sup>(١)</sup>، ولا من علم قومك. وفي ﴿الْفَنِيَّةِ﴾ قولان: أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالآهوال، قاله ابن عباس، والضحاك، وابن قتيبة. والثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله سعيد بن جبيرة، والقرطبي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يُوسَّوْهُ خَزِيمَةٌ﴾ أي: ذليلة، وفيها قولان: أحدهما: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جميع الكفار، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿عَالِمَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان، وكفَّار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنهم الرهبان، وأصحاب الصوامع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وزيد بن أسلم. والثالث: عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، لأنها [لم]<sup>(٢)</sup> تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن. وقال قتادة: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب. قال الضحاك: يُكَلَّفُونَ ارتقاء جبل في النار. وقال ابن السائب: يَخْرُونَ على وجوههم في النار. وقال مقاتل: عاملة في النار تأكل من النار، ناصبة للعذاب. والرابع: عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة، قاله عكرمة والسدي. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابها. وقد بينا معنى النصب في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿صَلََا نَارًا سَاجِيَةً﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم إلا حفصاً *تُضَلَّى* بضم التاء. والباقون بفتحها<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: قد حمت فهي تتلظى<sup>(٤)</sup> على أعداء الله، ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَّانِيَةٍ﴾ أي: متناهية في الحرارة. قال الحسن: وقد [أوقدت]<sup>(٥)</sup> عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها [ورداً]<sup>(٦)</sup> عطاشاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيَعٍ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه نبت ذو شوك لا طعم بالأرض، وتسميه قریش «الشُّبْرُق» فإذا هاج سموه: ضريعاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتادة. والثاني: أنه شجر من نار، رواه الوالبي عن ابن عباس. والثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبيرة. والرابع: أنه السِّلَمُ<sup>(٧)</sup>، قاله أبو الجوزاء. والخامس: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، قاله ابن زيد. والسادس: أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابن كيسان. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون:

(١) في الأصل: علمك، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) قال في «البحر» و«روح المعاني»: وقرأ خازن «تُضَلَّى» بضم التاء، وفتح الصاد مشددة اللام، للبيان.

(٣) في الأصل: تظلى.

(٤) كلمة «أوقدت» سقطت من الأصل، واستدركتها من البغوي والخازن والقرطبي.

(٥) زيادة من البغوي والخازن والقرطبي.

(٦) في الأصل: السلا.

(٧) في الأصل: السلا.

إِنْ إِبْلَانَا لَتَسْمَنَّ عَلَى الضَّرِيعِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي وَلَا يَتَّقِي مِنْ شَيْءٍ﴾ (٧) ﴿وَكَذَّبُوا، فَإِنْ إِبْلَانَا إِنَّمَا تَرَعَاهُ مَا دَامَ رَطْبًا، وَحِينَئِذٍ يَسْتَوِي شَيْئًا، لَا ضَرِيعًا، فَإِذَا يَبْسُ يَسْمَى: ضَرِيعًا لَمْ يَأْكُلْ شَيْءًا. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ (١)﴾ قَدْ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٨) ﴿(٢)﴾ وَفِي مَكَانٍ آخَرَ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَنِيِّينَ﴾ (٩) ﴿[الحاقة: ٣٦] فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّارَ حَرَكَاتٌ، وَعَلَى قَدَرِ الذُّنُوبِ تَقَعُ الْعُقُوبَاتُ، فَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الرِّقُّومُ، [وَمِنْهُمْ] (٣) مَنْ طَعَامُهُ غَشْلِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الْحَمِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الصَّدِيدُ، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ.

﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ تَاعِمَةٌ﴾ (٨) ﴿لَيْسَ بِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَهْفَ﴾ (١١) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) ﴿فِيهَا مَرْزُورَةٌ﴾ (١٣) ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١٤) ﴿وَمَنَارٌ مَصْفُوعَةٌ﴾ (١٥) ﴿وَرِزْقٌ مَبْنُوعَةٌ﴾ (١٦) ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى اللَّيَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣) ﴿يَعِزُّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّا إِنَّمَا إِنَّا بَنَيْنَاهُمْ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ إِنَّا عَنَيْنَاهُمْ جَسَدَهُمْ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ تَاعِمَةٌ﴾ (٨) أي: في نعمة وكرامة ﴿لَيْسَ بِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: رَضِيَتْ بِثَوَابِ عَمَلِهَا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) قد فسرناه في [الحاقة: ٢٢]، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَهْفَ﴾ (١١) ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَرُوَيْسٌ لَا يَسْمَعُ﴾ بَيَاءٌ مَضْمُومَةٌ. «لَاغِيَةٌ» بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بَتَاءٌ مَضْمُومَةٌ، وَالباقون بَتَاءٌ مَفْتُوحَةٌ، وَنَصَبَ «لَاغِيَةٌ» وَالْمَعْنَى: لَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةً [لِغَو] (٤) ﴿فِيهَا مَرْزُورَةٌ﴾ (١٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلُوحَا مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلَةٌ بِالزَّبْرِجَدِ، وَالدَّرُّ، وَالباقون، مَرْتَفَعَةٌ مَا لَمْ يَجْعَ أَهْلُهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا، تَوَاضَعَتْ لَهُ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَرْتَفِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١٤) عِنْدَهُمْ. وَقَدْ ذَكَرْنَا «الْأَكْوَابَ» فِي [الزخرف: ٢٧]، ﴿وَمَنَارٌ﴾ وَهِيَ الْوَسَائِدُ، وَاحِدُهَا: نَمْرَقَةٌ بِضَمِّ النُّونِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَسَمِعْتُ بَعْضَ كَلْبٍ يَقُولُ: يَنْمِرُقُ، بِكَسْرِ النُّونِ وَالرَّاءِ وَبَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، وَالزَّرَابِيُّ: الطَّنَافِسُ [التِّي] (٥) لَهَا خَمَلٌ (٦) رَقِيقٌ ﴿مَبْنُوعَةٌ﴾ كَثِيرَةٌ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: كَثِيرَةٌ مَفْرَقَةٌ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: لَمَّا نَعَتَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مَا فِي الْجَنَّةِ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْكَفَرَةِ، فَذَكَّرَهُمْ صُنْعَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ (٧) وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ اللَّهُ ارْتِفَاعَ [سُرُرِ] (٨) الْجَنَّةِ، وَفَرَشَهَا، فَقَالُوا: كَيْفَ نَصْعُودُهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٩). قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا خَصَّ الْإِبِلَ مِنْ غَيْرِهَا لِأَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَرَوْا بِهِمَةَ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَمْ يَشَاهِدُوا الْفِيلَ إِلَّا الشَّاذَّ مِنْهُمْ، وَلَأنَّهَا كَانَتْ أَنْفَسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَكْثَرَهَا، لَا تَفَارِقُهُمْ وَلَا يَفَاوِقُونَهَا، فَيَلْحَظُونَ فِيهَا الْغَيْرَ الذَّلَالَةَ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ، مِنْ إِخْرَاجِ لَبْنِهَا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ [وَأ] (١٠) مِنْ عَجِيبِ خَلْقِهَا، وَهِيَ عَلَى عَظَمَتِهَا مُذَلَّلَةٌ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ، وَتَنْقَادُ لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ، وَلَيْسَ فِي ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ وَقَرَهُ وَهُوَ بَارِكُ فَيَطِيقُ النَّهْوضَ بِهِ سِوَاهَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو عَمْرٍو الْجُونِي، وَالْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو «الْإِبِلُ» بِاسْكَانِ الْبَاءِ، وَتَخْفِيفِ اللَّامِ. وَقَرَأَ أَبُو بِيْنٍ كَعْبٌ، وَعَاشِشٌ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَالجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ السَّمِيعِ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ وَهَارُونُ كِلَاهِمَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو «الْإِبِلُ» بِكَسْرِ الْبَاءِ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ. قَالَ هَارُونُ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو: «الْإِبِلُ» بِتَشْدِيدِ اللَّامِ: السَّحَابُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَاءَ.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ «خُلِقَتْ» بِفَتْحِ الْخَاءِ، وَضَمُّ التَّاءِ. وَكَذَلِكَ قَرَأُوا: «رَفَعَتْ» وَ«نُصِبَتْ» وَ«سَطَّحَتْ».

قوله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى اللَّيَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩)

(١) في الأصل: ابن.

(٢) زيادة لم ترد في الأصل.

(٣) سقطت من الأصل، واستدركناها من القرطبي نقلًا عن الفراء والأخفش.

(٤) زيادة من الطبري والقرطبي.

(٥) في الأصل: حل.

(٦) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ١٦٥/٣٠، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّر» ٣٤٣/٦ وَزَادَ نِسْبَةَ لَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٧) كَلِمَةُ «سُرَر» سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ، وَاسْتَدْرَكْنَاهَا مِنَ الْبَغْوِيِّ وَالْخَازَنِ.

(٨) ذَكَرَهُ الْبَغْوِيُّ وَالْخَازَنُ عَنْ قَتَادَةَ بِغَيْرِ سَنَدٍ.

(٩) زيادة ليست في الأصل.

على الأرض لا تزول ولا تتغير ﴿وَلِلَّهِ الْأَرْضُ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾<sup>(١)</sup> أي: بُسِطَتْ. والسطح: بسط الشيء، وكل ذلك يدل على [قدرة]<sup>(٢)</sup> خالقه ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعظ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي: بمسلط، فتقتلهم وتكرهمهم على الإيمان<sup>(٣)</sup>. ثم نسختها آية السيف. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحلواني عن ابن عامر «بمسيطر» بالسين. وقد سبق بيان «المسيطر» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُمْ الْمُصَيِّرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وهذا استثناء منقطع معناه: لكن من تولى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير. وقرأ ابن عباس، وعمر بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو مجلز، وقتادة، وسعيد بن جبيرة «ألا من تولى» بفتح الهمزة وتخفيف اللام ﴿فَعَذِبَهُ اللَّهُ الْمَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾<sup>(٤)</sup> وهو أن يدخله جهنم، وذلك أنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع، والقتل، والأسر، فكان عذاب جهنم هو الأكبر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> قرأ أبي بن كعب، وعائشة، وعبد الرحمن، وأبو جعفر «إيأبهم» بتشديد الياء، أي: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ﴿ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ حَسَابَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> قال مقاتل: أي: جزاءهم.



(١) قال القرطبي: وقرأ الحسن وأبو حية وأبو رجاء «سَطَّحَتْ» بتشديد الطاء وإسكان التاء.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٥٣/١ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾<sup>(١)</sup> كُنْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»، ورواه الترمذي (١٧٠/٢) وقال: حديث حسن صحيح.

## سورة الفجر

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَكَانَ عَشِرٌ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَرُ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاءِ ۝ إِدْمَ ذَاتِ الْوَمَاذِ ۝ أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْبَلَدِ ۝ وَمُؤَدِّ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخِرَ بِالْوَإِ ۝ وَرُوعُونَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ ۝ فَأَكْبَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِهْمَصَادٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝﴾ قال ابن عباس: الفجر: انفجار الطُّلعة عن الصبح، وانفجر الماء: انبجس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: الفجر: ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، وهو مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النهر ينفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء، ومن هذا سمي الفاجر فاجراً، لأنه خرج عن طاعة الله. وللمفسرين في المراد بهذا الفجر ستة أقوال: أحدها: أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار، قاله عليٌّ عليه السلام <sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم، وبهذا قال عكرمة، وزيد بن أسلم، والقرظي. والثاني: صلاة الفجر، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: النهار كله، فعبر عنه بالفجر، لأنه أوله، وروى هذا المعنى أبو نصر <sup>(٢)</sup> عن ابن عباس. والرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد <sup>(٣)</sup>. والخامس: أنه فجر أول يوم <sup>(٤)</sup> من ذي الحجة، قاله الضحاك. والسادس: أنه أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَشِرٌ ۝﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه عشر ذي الحجة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي ومقاتل <sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، رواه أبو طيخان عن ابن عباس. والثالث: العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك. والرابع: العشر الأول من المحرم، قاله يمان بن رثاب.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف «الوتر» بكسر الواو، وفتحها الباقون، وهما لغتان. قال الفراء: الكسر لقريش وتميم وأسد، والفتح لأهل الحجاز. وللمفسرين في «الشفع والوتر» عشرون قولاً: أحدهما: أن الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ <sup>(٦)</sup>. والثاني: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة، رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك <sup>(٧)</sup>. والثالث: أن الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع، ومنها الوتر، رواه عمران بن حصين عن

(١) وهو المختار، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والسدي.

(٢) في الأصل: أبو نصر، والتصحيح من «الطبري» وكتب الرجال، ولا يعرف له اسم. أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وقال أبو زرعة: أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة.

(٣) وبذلك قال مسروق، ومحمد بن كعب، وهو خاتمة الليالي العشر. (٤) في الأصل: يوم أول.

(٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال: الصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. وقال ابن كثير: الليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف، قال: وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيه من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

(٦) قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه وأصل بن السائب، وهو متروك. وقال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٢٤٦/٦: أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٧) عبارة الأصل: «رواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وبه قال عكرمة والضحاك» وهي خطأ، فإن جابراً رضي الله عنه لم يروه عن رسول الله ﷺ بواسطة ابن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله ﷺ كما في «مسند أحمد» ٣٢٧/٣ من رواية زيد بن الحباب عن عياض بن عتبة =

رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال قتادة. والرابع: [أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالى]<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية مسروق، وأبو صالح. والخامس: أن الوتر: آدم شفع بزوجه<sup>(٣)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عباس. والسادس: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر: اليوم الثالث، وهو النفر الأخير، قاله عبد الله بن الزبير، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ مَّجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِقَمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والسابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاية عطية. والثامن: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والتاسع: أن الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية. والعاشر: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا والذي قبله مرويان عن الحسن. والحادي عشر: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام [منى]<sup>(٤)</sup> الثلاثة، قاله الضحاك. والثاني عشر: أن الشفع: هو الله، لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، والوتر: هو الله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٥)</sup>، قاله سفيان بن عيينة. والثالث عشر: أن الشفع: هو آدم وحواء. والوتر: الله تعالى، قاله مقاتل بن سليمان. والرابع عشر: أن الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة [بعده]<sup>(٦)</sup>، وهو يوم القيامة، قاله مقاتل بن حيان. والخامس عشر: الشفع: درجات الجنان، لأنها ثمان، والوتر: درجات النار لأنها سبع، فكان الله أقسم بالجنة والنار، قاله الحسين بن الفضل. والسادس عشر: الشفع: تضاد أوصاف المخلوقين بين عزٍّ وذلٍّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم وجهل، وموت وحياة. والوتر: انفراد صفات الله ﷻ: عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت، قاله أبو بكر الورّاق. والسابع عشر: أن الشفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. والثامن عشر: أن الشفع: مسجد مكة والمدينة، والوتر: بيت المقدس. والتاسع عشر: أن الشفع: القرآن بين<sup>(٧)</sup> الحج والتمتع، والوتر: الأفراد. والعشرون: الشفع: العبادات المتكررة، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرر، وهو الحج، حكى هذه الأقوال الأربعة الشعلي.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلُ إِلَا يَتَرِ﴾<sup>(٨)</sup> وقرأ ابن كثير، ويعقوب «يسري» بياء في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي «بتر» بغير ياء في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتباع المصحف<sup>(٩)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلُ إِلَا يَتَرِ﴾<sup>(٩)</sup> قولان: أحدهما: أن الفعل له، ثم فيه قولان: أحدهما: إذا يسري ذاهباً، قاله الجمهور، وهو اختيار الزجاج. والثاني: إذا يسري مقبلاً، قاله قتادة. والقول الثاني: أن الفعل لغيره<sup>(١٠)</sup>، والمعنى: إذا يسري فيه؛ كما يقال: ليل نائم، أي: ينام

= عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي، وهو صدوق من رجال مسلم، إلا أنه يدلّس كما قال المحافظ ابن حجر في «التقريب». وقال ابن كثير: ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، قال: وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم. وقال المحافظ البيهقي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه البزار، وأحمد، ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عبة، وهو ثقة، وأما عبد الله بن عباس، فلم يروه مرفوعاً، وإنما روي هذا المعنى موقوفاً، كما في «الطبري» ١٧٠/٣٠، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم، قال (أي هذا المعنى) ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

(١) رواه أحمد في «المستند» ٤٤٢/٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري، عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. ورواه أيضاً الترمذي ١٧٠/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، ورواه ابن جرير الطبري ١٧٢/٣٠ عن خالد بن قيس عن قتادة به، والحاكم في «المستدرک» ٥٢٢/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفيه نظر؛ لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٤٦/٦ وزاد نسبة لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) عبارة الأصل: «أن الشفع الوتر وله الخلق كله، والوتر: الله تعالى» والصحيح من الطبري والقرطبي.

(٣) في الأصل: بن وجه، والتصحيح من القرطبي، وقيل: إن الشفع والوتر آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجه حواء، فصار شفعاً بعد وتر.

(٤) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي. (٥) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي.

(٦) في الأصل: في. (٧) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٨) في الأصل: لميرة.



فيه، قاله الأخفش، وابن قتيبة. وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام في كل ليلة، وهذا الظاهر. والثاني: أنه ليلة المزدلفة، وهي ليلة جَمْع<sup>(١)</sup>، قاله مجاهد وعكرمة. والثالث ليلة القدر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها]<sup>(٢)</sup> ﴿قَسَمَ إِيَّايَ جَبَرِ﴾ أي: لذي عقل، وسمي العقل حجراً، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح، وسمي عقلاً، لأنه يعقل عما لا يحسن، وسمي العقل النُّهْي، لأنه ينهي عما لا يحل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الكلام: أن من كان ذا لبٍّ عَلم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته. وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله<sup>(٤)</sup> تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَكَّاءَ﴾ فخوف أهل مكة بإهلاك من كان أشدَّ منهم. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر «بعاد إرم» بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة. وفي «إرم» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم بلدة، قال الفراء: ولم يُجَرَّ<sup>(٥)</sup> «إرم» لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال، أحدها: أنها دمشق، قاله سعيد بن المسيب، وعكرمة، وخالد الرُّبَيْي. والثاني: الاسكندرية، قاله محمد بن كعب<sup>(٦)</sup>. والثالث: أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب. وسبأتي ذكره إن شاء الله تعالى. والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة<sup>(٧)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: أنه قبيلة من قوم عاد<sup>(٨)</sup>، قاله قتادة ومقاتل. قال الزجاج: وإنما لم تنصرف «إرم» لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت، وهي في موضع خفض. والرابع: أنه اسم لجَدِّ عاد، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق<sup>(٩)</sup>. قال الفراء: فإن كان اسماً لرجل على هذا القول، فإنما ترك إجراؤه<sup>(١٠)</sup>، لأنه كالعجمي، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى: هي إرم، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَفْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وهل قوم هود عاد الأولى، أم لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في [النجم]<sup>(١١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿إِرمَ ثَابِتَ الْكِمَاءِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلا حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يقيمون في موضع، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والفراء<sup>(١٢)</sup>. والثاني: أن معنى ذات العماد: ذات الطول، روى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل، وأبو عبيدة. قال الزجاج: يقال: رجل مُعَمَّدٌ: إذا كان طويلاً. والثالث:

(١) في الأصل: جمعة، والتصحيح من الطبري «والدر المنثور»، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى.

(٢) عبارة الأصل: فيما سأله ولده وقد قرئنا كما ترى اعتماداً على كتب التفسير.

(٣) عبارة البغوي: وسمي العقل حجراً، لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القبائح، ونهين، لأنه ينهي عما لا ينبغي.

(٤) سقطت من الأصل الباء من «بقوله»، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٥) في الأصل: ولم يجز، وهو تصحيف، والتصويب من الطبري، ومعنى «لم يجز» لم يصرف.

(٦) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله: ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرمَ ثَابِتَ الْكِمَاءِ﴾ مدينة، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب، وعكرمة، أو إسكندرية، كما روي عن القرظي، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتزم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَكَّاءَ﴾ ﴿إِرمَ ثَابِتَ الْكِمَاءِ﴾ إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما تهبت على ذلك لثلاث يفتخر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصانها لآلئ وجواهر، وترابها ينادق المسك، وأنها سارحة، وشارها سافطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها دأع ولا مجيب، وأنها تنتقل، فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم، ليختيروا بذلك عقول الجيلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(٧) يعني عاداً الأولى.

(٨) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها، قال: ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد، لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة والله أعلم، فلذلك أجمعت القراءة فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء.

(٩) الذي في الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

(١٠) في الأصل: ترك جاؤه.

(١١) في الأصل زيادة «أحدهما» بين قوله: «قولان» وقد. وانظر تفسير الآية (٥٠) من سورة النجم.

(١٢) واختاره ابن جرير الطبري.

ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك. والرابع: ذات البناء المحكم بالعماد، قاله ابن زيد. وقيل: إنما سميت ذات العماد لبناء بناء بعضهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ ۝﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: «لم تَخْلُقْ» بناءً مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وقرأ معاذ القارئ، وعمرو بن دينار: «لم تَخْلُقْ» بتون مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وفي المشار إليها قولان: أحدهما: لم يَخْلُقْ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهذا معنى قول الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد، قاله عكرمة. وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة، وهذه الإشارة إلى ذلك: روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة. فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله<sup>(٣)</sup> عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلًا، فنزل عن دابته، وعقلها، وسل سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما دخل<sup>(٤)</sup> الحصن إذا هو بيايين<sup>(٥)</sup> عظيمين [لم ير أعظم منهما<sup>(٦)</sup>]، والبايان مُرْصَعَان بالياقوت [الأبيض و<sup>(٧)</sup> الأحمر، فلما رأى ذلك دهش<sup>(٨)</sup>، ففتح أحد البايين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور، كل قصر فوقه غرف<sup>(٩)</sup> وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران. فلما عاين ذلك، ولم ير أحداً، هاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة. فقال الرجل: إن هذه هي الجنة، فحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن، فآظهر ما كان معه. وبلغ الأمر إلى معاوية، فأرسل إليه، فقصص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأبحار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أخبرك بها ويمن بناها؟ إنما بناها شداد بن عاد، والمدينة: «إرم ذات العماد»، قال: فحدثني حديثها، فقال: إن عاداً<sup>(١٠)</sup> المنسوب إليهم عاد الأولى، كان له ولدان: شديد، وشداد. فلما مات [عاد]<sup>(١١)</sup>، ثم مات شديد وبقي شداد، ملك الأرض، ودانت له الملوك، وكان مولعاً بقراءة الكتب، فكان إذا مر بذكر الجنة دعت نفسه إلى بناء مثلها عتوراً على الله تعالى. فأمر بصنع «إرم ذات العماد»، فأمر على عملها مائة قهرمان<sup>(١٢)</sup> مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدّوه بما في بلادهم من الجواهر، فخرج القهارة<sup>(١٣)</sup> يسرون<sup>(١٤)</sup> في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة، فوقفوا على صحراء<sup>(١٥)</sup> عظيمة نقية من التلال، وإذا فيها عيون ماء ومروج<sup>(١٦)</sup> فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها، فوضعوا على أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا منها<sup>(١٧)</sup> قال: انطلقوا، واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَلم ليكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ففعلوا ذلك، فأمر الملك الوزراء - وهم ألف وزير - أن يتجهتوا للنقلة إلى «إرم ذات العماد»، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله

(١) في الأصل: لبناء بعضهم، والتصحيح من الطبري.

(٢) في الأصل: أن فيها أحد أسأله، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٣) في الأصل: دنا، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٤) في الأصل: ما بين.

(٥) زيادة من «مجمع البيان».

(٦) في الأصل: دهن.

(٧) في الأصل: كل قصر منها فيها غرف، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٨) في الأصل: عاد.

(٩) القهرمان: من أماء الملك وخاصته، فارسي معرب.

(١٠) في الأصل: قتيّدوا.

(١١) في الأصل: لتجدوا ما يوافقهم حتى وقعوا على صحرة، والتصحيح من الخازن.

(١٢) في الأصل: وإذا هم يمتدون مطردة، والتصحيح من الخازن.

(١٣) في الأصل: وقد فرغوا منه، والتصحيح من الخازن.

عليه، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحد<sup>(١)</sup>. وروى الشعبي عن دَعْفَل<sup>(٢)</sup> الشيباني عن علماء جَمَيْر قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، ملك بعده ابنه مَرْثَد بن شَدَاد، وقد كان أبوه خَلَفَهُ بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، وأمر [بدفنه]<sup>(٣)</sup> فَحُفِرَتْ له حفيرة في<sup>(٤)</sup> مفازة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه:

رَوُّ بِالْعَمْرِ الْمَدِيدِ<sup>(٥)</sup>  
صَاحِبُ الْحَصَنِ الْمَشِيدِ<sup>(٦)</sup>  
سَاءَ وَالْمَلِكُ الْحَشِيدِ<sup>(٧)</sup>  
لِي مَنْ خُوفٌ وَعَيْدِي<sup>(٨)</sup>  
بِ بَسْلَطَانٍ شَدِيدِ  
دَّةٍ فِيهِ وَالْعَدِيدِ  
فِي ضَلَالٍ قَبْلَ هَوْدِ  
إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ<sup>(٩)</sup>  
مَا لَكُمْ هَلْ مِنْ مُحِيدِ؟<sup>(١٠)</sup>  
يُؤَيِّدُ مِنَ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ  
وَسَطَ بِيَدَاءِ حَصِيدِ

إِعْتَبِرْ يَا أَثِيهَا الْمَغْدُ  
أَنَا شَدَادُ بْنُ عَادِ  
وَأَخُو الْقُوَّةِ وَالْبَاءِ  
دَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ طُوراً  
وَمَلَكْتُ الشَّرْقَ وَالْمَغْرِبَ  
وَبِفَضْلِ الْمَلِكِ وَالْعَمْرِ  
فَأَتَيْتُ هَوْدَ وَكُنْتُ  
فَدَعَانًا لِقَبْلِئِنَا  
فَعَصَيْنَاهُ وَنَادَيْتُ  
فَأَتَيْنَا<sup>(١١)</sup> صِيحَةً تَهْ  
فَتَوَافَيْنَا كَزَرْعٍ

قوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا الْكَافِرَ﴾ قطعوه ونقبوه. قال إسحاق: والوادي: وادي القرى. وقرأ الحسن: «بالوادي» بإثبات الباء في الحاليين. ﴿وَمُزَيْنًا ذِي الْأَوْدَادِ﴾ مفسر في سورة [ص: ١٢]، «الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْيَلْدِ» يعني: عاداً، وثمود، وفرعون، عملوا بالمعاصي، وتجبروا على أنبياء الله ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل والمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، قال ابن قتبية: وإنما قال: سوط عذاب، لأن التعذيب قد يكون بالسوط. وقال الزجاج:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابة الذي ساقه المؤلف بطوله: رواه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فذكره مطولاً. قال ابن حجر: قلت: آثار الوضع عليه لائحة. وقال ابن كثير: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي، فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة، والوان الجواهر والياقات، واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها، والأخذ منها، فيجتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهذيان، ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دقات جاهلية وإسلامية، وكنوزاً كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا أن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن حديث عبد الله بن قلابة: وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهاء، وفارقة عظمى، ورزية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذابين الذين يجتثرون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثره بتصدد جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فادخلوا هذه الخرافات المختلفة والأقايص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وغيروا وبذلوا، قال: ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتابي الذي سميت «القولاء المجموعة في الأحاديث الموضوعية».

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٢) في الأصل: وعقل.

(٥) في الأصل: الشديد، والتصحيح من «معجم البلدان» لياقوت: إرم.

(٤) في الأصل: من.

(٧) في الأصل: الحيد.

(٦) في الأصل: «المعيد».

(٨) البيت في الأصل: وإن أهل الأرض لي من خوف وعدي ووعدي، والتصحيح من «معجم البلدان».

(٩) في الأصل: الشديد، وفي «معجم البلدان»: «أجبناء» مكان قوله: «قلباء».

(١١) في الأصل: فأتينا.

(١٠) البيت في الأصل: فعصيناه وناديت ألا هل من مجيد؟



قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّضُ الْآلَافَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُجًا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا تنفقونه في خير ﴿كَلَّا﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون [الامر<sup>(١)</sup>]. ثم أخبر عن تلقفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال تعالى: ﴿إِذَا ذُكِّرَ الْأَرْضُ دُكًّا﴾ أي: مرة بعد مرة، فتكسر كل شيء عليها، ﴿وَبَاءَ رُكَّ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: تأتي [ملائكة<sup>(٢)</sup>] كل سماء صفًّا صفًّا<sup>(٣)</sup> على حدة. قال الضحاك: يكونون سبعة صفوف، ﴿وَبَاءَ يَوْمَئِذٍ يَجْمَعُ﴾ روى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بهن يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع [كل زمام<sup>(٤)</sup>] سبعون<sup>(٥)</sup> ألف ملك يجرونها». قال مقاتل: يجاء بها فتقام عن يسار العرش. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يجاء بهنهم ﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: يتعظ الكافر ويتوب. قال مقاتل: هو أمية بن خلف ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ العمل الصالح في الدنيا ﴿يَلَيَّانِي﴾ في الآخرة التي لا موت فيها ﴿فَيُؤَيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحَدًا﴾ ﴿٦﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، والمفضل «لا يعذب» بفتح الذال، والباقون بكسرها، فمن فتح، أراد: لا يعذب عذاب الكافر أحد، ومن كسر أراد: لا يعذب عذاب الله أحد، أي كعذابه، وهذه القراءة تختص بالدنيا، والأولى تختص بالآخرة<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتَلَبَّثُ الْنَفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٨﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: في حمزة بن عبد المطلب لما استشهد يوم أحد، قاله أبو هريرة، وبريدة الأسلمي. والثاني: في عثمان بن عفان حين أوقف بثر رومة<sup>(٩)</sup>، قاله الضحاك. والثالث: في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة، قاله مقاتل. والرابع: في أبي بكر الصديق ﷺ، حكاه الماوردي. والخامس: [في<sup>(١٠)</sup>] جميع المؤمنين، قاله عكرمة<sup>(١١)</sup>. وفي معنى «الْمَطْمَئِنَّةُ» ثلاثة أقوال: أحدها: المؤمنة، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المطمئنة بالإيمان. والثاني: الراضية بقضاء الله، قاله مجاهد. والثالث: الموقنة بما وعد الله، قاله قتادة. واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين: أحدهما: عند خروجها من الدنيا، قاله الأكثرون. والثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة والضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: ارجعي إلى صاحبك الذي كنت في جسده، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة والضحاك. والثاني: ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح. والثالث: ارجعي إلى ثواب ربك، قاله الحسن. والرابع: يا أيها النفس المطمئنة [إلى الدنيا]<sup>(١٢)</sup>، ارجعي إلى الله تعالى بتركها، حكاه الماوردي<sup>(١٣)</sup>.

(١) زيادة من البغوي.

(٢) سقطت من الأصل، واستلكتها من «صحيح مسلم» ٢/٤٤٨.

(٣) في الأصل: سبعين، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧/١٧٨: هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال: رفعه وهم، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً. قلت: وحقق (أحد الرواة) ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين. والحديث رواه الترمذي أيضاً موقوفاً وموقوفاً على ابن مسعود، ورواه ابن جرير الطبري ٣٠/١٨٨ موقوفاً على عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القراء عليه. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والضميران على قراءة الجمهور في «يعذب» و«يؤتى» مبنيان للفاعل، لله عز وجل، قال: قرأ الكسائي على البناء للمفعول فيهما، فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان، أي: لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يؤتى كؤثاقه أحد، والمراد بالإنسان الكافر.

(٦) هي بئر بالمدينة.

(٧) قال القرطبي: والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع.

(٨) سقطت من الأصل، واستلكتها من البغوي والغازي.

(٩) وقال الألويسي رحمه الله في «دروخ البيان» ٩/٣٧٠: ارجعي، أي: من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل لك أولاً، وهذا لأن للمعدة قبل الحساب كما يفهم من الأخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً بكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجد غيرهم في مواقفهم من النصب، ومنه ينادي الواحد بعد الواحد للحساب، فمتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنى ما ذكر.

قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) أي: في جملة عبادي المصطفين. قال أبو صالح: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٩) وقال الفراء: ادخلي مع عبادي. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «في عبدي» على التوحيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: فعلى هذه القراءة - والله أعلم - يكون المعنى: ارجعي إلى ربك، أي: إلى صاحبك الذي خرجت منه، فادخلي فيه<sup>(٢)</sup>.



(١) في «البحر المحيط»: وقرأ الجمهور ﴿فِي عِبَادِي﴾ جمعاً، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وأبو صالح، والكلبي، وأبو شيخ الهنائي، واليماني «في عبدي» على الإفراد. قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٩) بمعنى: فادخلي في عبادي الصالحين، لإجماع الحجة من القراء عليه.

(٢) والظاهر الأول، قال ابن كثير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخْلًا وَخُشْيَةً﴾ (١٧) أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ إِلَىٰ جَوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّةٍ ﴿رَاضِيَةً﴾ أي في نفسها ﴿رَاضِيَةً﴾ أي قد رضى عن الله ورضي عنها وأرضاهما ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) أي في جملتهم ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾ قال: وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يثرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذاك هاهنا.

## سورة البلد

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحَسِبْ أَنْ كُنْ يَشْدَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَا السَّبِيلَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أقسم. و﴿لَا﴾ دخلت توكيداً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ عكرمة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو العالية: «لَأُقْسِمُ»<sup>(١)</sup> قال الزجاج: وهذه القراءة بعيدة في العربية، وقد شرحنا هذا في أول «القيامة».

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ فيه ثلاثة أقوال: و﴿الْبَلَدِ﴾ هاهنا: مكة<sup>(٢)</sup>. أحدها: حلٌّ لك ما صنعت في هذا البلد من قتلٍ<sup>(٣)</sup> أو غيره، قاله ابن عباس، ومجاهد. قال الزجاج: يقال: رجلٌ حلٌّ، وحلالٌ، ومُجَلٌّ. قال المفسرون: والمعنى: إن الله<sup>(٤)</sup> تعالى وعد نبيه<sup>(٥)</sup> أن يفتح مكة على يديه بأن يُجَلِّها له، فيكون فيها حلالاً. والثاني: فأنتم مُجَلٌّ بهذا البلد غير مُحَرَّم في دخوله، يعني: عام الفتح، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك<sup>(٦)</sup> وقتلك<sup>(٧)</sup>، ويحرِّمون قتل الصيد، حكاها الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه آدم وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. والثاني: أولاد إبراهيم، وما ولد: ذريته<sup>(٨)</sup>، قاله أبو عمران الجوني. والثالث: أنه عامٌّ في كل والدٍ وما ولد، حكاها الزجاج<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ خَمْسَةَ أَقْوَالٍ: أحدها: أنه اسم جنس، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنه أبو الأشدين الجمحي<sup>(١٠)</sup>، وقد سبق ذكره، [المدرثر: ٢٩، والانفطار: ٥] قاله الحسن. والثالث: أنه الحارث بن عامر بن نوفل، وذلك أنه أذنب ذنباً، فأمره النبي ﷺ بالكفارة، فقال: لقد ذهب مالي

(١) في الأصل: لا أقسم.

(٢) قال القرطبي: أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحبّي لك. وقال ابن كثير: هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، ليثبت على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

(٣) في الأصل: تبتل. (٤) في الأصل: إن شاء الله.

(٥) وعد نبيه.

(٦) عبارة الأصل: «أنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك».

(٧) في الأصل: وقيلك.

(٨) في الأصل: وما ولد: محمد ﷺ، والتصويب من الطبري، والقرطبي، وابن كثير. قال الشوكاني والآلوسي: وقيل: الوالد: إبراهيم، والولد: إسماعيل ومحمد ﷺ.

(٩) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبيرة، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحيل بن سعيد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

(١٠) وجاء في القرطبي: قال الكلبي: إن هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له: أبو الأشدين. وكان يأخذ الأديم المكاظي فيجعل تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماء، وكان من أعداء النبي ﷺ وفيه نزل ﴿أَحَسِبْ أَنْ كُنْ يَشْدَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني لقوته. وفي «الاشتقاق» لابن دريد ٢٥١: ومن رجالهم (أي: رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم) سنان بن خالد الأشد، وسمي الأشد، لشجاعته، وهو كذلك في «شرح القاموس».

في الكفارات، والنفقات منذ<sup>(١)</sup> دخلت في دين محمد، قاله مقاتل. والرابع: آدم عليه السلام، قاله ابن زيد. والخامس: الوليد بن المغيرة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: في نَصَبٍ، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، فإنهم قالوا: في شدة. قال الحسن: يكابد الشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء، لأنه لا يخلو من أحدهما<sup>(٢)</sup>، ويكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. قال ابن قتيبة: في شدة غلبة ومكابدة لأمر الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته. والثاني: أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على رجلين<sup>(٤)</sup>، وسائر الحيوان غير منتصب، رواه مقسم عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والضحاك، وعطية، والفراء، فعلى هذا يكون معنى الكيد: الاستواء والاستقامة. والثالث: في وسط السماء، قال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم ﴿فِي كَيْدٍ﴾ أي: في وسط السماء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّنْ يَبْدُرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ⑥ يعني الله ﷻ أي: [أيحسب أن] لن نقدر على بعثه، ومعاقبته؟! ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ ⑦ أي: كثيراً، قال أبو عبيدة: هو فعل من التلبد<sup>(٧)</sup>، وهو المال الكثير يعضه على بعض. قال ابن قتيبة: وهو المال المتلبد، كأن بعضه على بعض. قال الزجاج: وهو فعل للكثرة<sup>(٨)</sup>، كما يقال: رجل حُطِمَ: إذا كان كثير الحطيم. وقرأ أبو بكر الصديق عليه السلام، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وأبو العالية، وأبو جعفر «لُبَدًا» بضم اللام، وتشديد الباء مفتوحة. وقرأ عمر بن الخطاب عليه السلام، وأبو المتوكل، وأبو عمران «لُبَدًا» بفتح اللام وتسكين الباء خفيفة. وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، ومجاهد «لُبَدًا» برفع اللام والباء وتخفيفهما. وقرأ علي وابن أبي الجوزاء «لُبَدًا» بكسر اللام، وفتح الباء مخففة. وفيما قال لأجله ذلك قولان: أحدهما: أنه أراد: أهلك مالا كثيراً في عداوة محمد، قاله ابن السائب، فكانه استطال بما أنفق. والثاني: أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات مالا كثيراً، قاله مقاتل. فكانه ندم على ما أنفق<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ⑧ يعني الله ﷻ. والمعنى: أيظن أن الله لم يرَ نفقته، ولم يُخصِها؟! وكان قد ادّعى ما لم ينفق.

قوله تعالى: ﴿أَتَرَجَعَلُ لَمْ يَخَيَّرْ﴾ ⑨ والمعنى: ألم تفعل به ما يدل على أن الله قادر على بعثه؟! قوله تعالى: ﴿وَهَؤُلَاءِ النَّاجُونَ﴾ ⑩ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: سبيل الخير والشر، قاله علي، والحسن، والفراء. وقال ابن قتيبة: يريد طريق الخير والشر. وقال الزجاج: النجدان: الطريقان الواضحان. والنجد: المرتفع من الأرض،

(١) في الأصل: منه، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) في الأصل: في شدة عليه ومكابده من أمور الدنيا والآخرة، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة.

(٣) في الأصل: على رجله، وما أثبتاه من «الطبري».

(٤) أصل الكيد: الشدة، ومنه تكيد اللين: غلط وخُتِر واشتد، ومنه الكيد، لأنه دم تغلط واشتد. ويقال: كابدت هذا الأمر: قاسيت شدته، قال لبيد يري أخاه:

يَا عَيْنُ فَلَاحَ بِكَ يَتِ أَزِيدَ إِذَا

ثُمَّ وَقَامَ الْخَصْمُ فِي غَبِي

فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾ أي: في تمب ومشقة، والله سبحانه قد جعل حياة الإنسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة، ومنتهية بهما أيضاً، فهو ما يزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه، ومن استلهاله صارخاً إلى أن يكبر ويصير رجلاً، وفي هذا العهد تردّد مشقاته، ويكثر عليه الجهد، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب الدهر ونوازل، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة، ثم هو بعد ذلك كله يمرض ويموت، ويلاتي في قبره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه، وكان هذا هو المشار إليه بـ «في» التي تدل على الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾.

(٦) زيادة ليست في الأصل.

(٧) في الأصل: فعل الكثيرة، والتصحيح من «فتح القدير» للشوكاني نقلاً عن الزجاج.

(٩) لقد ذكر المصنف قبل قليل قول مقاتل بلفظ: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد، وهو كذلك في «القرطبي» وغيره. قال القرطبي: وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطلاً بما أنفق، فيكون طغياناً منه، أو أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.



فالمعنى: ألم نعرفه طريق الخير والشر كتبين الطريقين العالين. والثاني: سبيل الهدى والضلال، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو سبيل الشقاوة والسعادة. والثالث: الثديان ليتغذى بلبنهما، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن المسيب، والضحاك، وقادة<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (٢) فَكُ رَقَبَةً (٣) أَوْ إِبْلَعْنِي فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ (٤) يَسِمَا ذَا مَقَرَبَةٍ (٥) أَوْ مَسْكِيئًا ذَا مَقَرَبَةٍ (٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ (٧) أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا (٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكَادُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَقَةِ (٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (١٠)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ (١) قال أبو عبيدة: فلم يقتحم العقبة [في الدنيا]<sup>(٢)</sup>. وقال ابن قتبية: فلا هو اقتحم العقبة. قال الفراء: لم يضم إلى قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة كلاماً آخر فيه «لا»، والعرب لا تكاد تفرد «لا» في الكلام حتى يعيدها<sup>(٣)</sup> عليه في كلام آخر؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا مَدَدَ لَكَ مَلَكٌ﴾ (٤) [القيامة: ٣١]، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ومعنى: «لا» مأخوذ من آخر هذا الكلام، فاكتمى بواحدة من الأخرى، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة، فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (٣). ﴿أَوْ إِبْلَعْنِي فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ (٤). ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ففسرها بثلاثة أشياء، فكأنه كان في أول الكلام: فلا فعل ذا، ولا ذا. وذهب ابن زيد في آخرين إلى أن المعنى: أفلا اقتحم العقبة؟ على وجه الاستفهام، والمعنى: فهل أنفق ماله في فك الرقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة؟ فأما الاقتحام<sup>(٥)</sup> فقد بيّنه في (ص): [٥٩]. وفي العقبة سبعة أقوال: أحدها: أنه جبل في جهنم، قاله ابن عمر. والثاني: عقبة دون الجسر، قاله الحسن. والثالث: سبعون دركة<sup>(٦)</sup> في جهنم، قاله كعب. والرابع: الصراط، قاله مجاهد، والضحاك. والخامس: نار دون الجسر، قاله قتادة. والسادس: طريق النجاة، قاله ابن زيد. والسابع: أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشیطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة والإطعام، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (٢) قال سفيان بن عيينة: كل ما فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾، فقد أخبره به، وكل ما فيه ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فإنه لم يخبره به. قال المفسرون: المعنى: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ ثم بيّنه فقال تعالى: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، إلا عبد الوارث، والكسائي، والداجوني عن ابن ذكوان «فَكُ» بفتح الكاف «رَقَبَةً» بالنصب، «أو أطعم» بفتح الهزلة والميم وسكون الطاء من غير ألف. وقرأ عاصم، وابن عامر، ونافع، وحزمة «فَكُ» بالرفع «رَقَبَةً» بالخفض، «أو إطعام» بالألف. ومعنى فك الرقبة: تخليصها من أسر الرق، وكل شيء أطلقته فقد فككته<sup>(٧)</sup>. ومن قرأ «فَكُ رَقَبَةً» على الفعل، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل، واختاره الفراء؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن قتبية: والمسغبة: المجاعة. يقال: سَغِبَ يَسْغُبُ سَغُوباً: إذا جاع ﴿يَسِمَا ذَا مَقَرَبَةٍ﴾ (٥) أي: ذا

(١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير. وقال: والثديان وإن كانا سيلبي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: ﴿إِنَّا كَلَلْنَا إِلَيْنَا مِن لَّدُنَّا شَئًا يَكْفِيكَ فَمَجَلَّةٌ سِيمًا بَيِّرًا﴾ (١) إِنَّا هَدَيْنَاكَ السَّبِيلَ (٢) إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَمَدَنَتْنَا أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْنَا﴾.

(٢) زيادة من «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، يريد أن «لا» بمعنى «لم».

(٣) في الأصل: والعرب لا تكاد تفرد «لا» في الكلام حتى يعيدها، والتصحیح من «القرطبي».

(٤) الاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وأصله القحم، وهي المهالك والأمرور العظيم، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه من غير روية، والفحمة: المهلكة والسنة الشديدة، يقال: أصابت الأعراب الفحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا الرفيف.

(٥) وفي الطبري وابن كثير: درجة. قال في «اللسان»: قال أبو عبيدة: جهنم دركات، أي منازل وأطباق، وقال غيره: الدركات: بعضها تحت بعض، قال الأزهرى: والدراجات: منازل ومراقي بعضها فوق بعض، فالدركات عند الدرجات. وقال الزبيدي في «تاج المروس شرح القاموس»: وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في «البصائر»: الدرك: اسم في مقابلة الدرج، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدراجات، وعن منازل جهنم بالدركات.

(٦) في الأصل: فكتة، وروى مسلم في «صحيحه» ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يمتن فرجه بفرجه» ورواه بمعناه أحمد والبخاري.

قراءة<sup>(١)</sup> ﴿أَوْ يَشْكِكُنَا ذَا مَرِّفٍ﴾ أي: ذا فقر كأنه لصق بالتراب<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. ثم بين أن هذه القُرْب إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و«ثم» هاهنا بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدَ﴾ [يونس: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأمره ﴿وَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي بالتراحم بينهم. وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشامة في [الواقعة: ٧، ٨]. قال الفراء: و«المؤصدة» المطبقة. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. وقال ابن قتيبة: يقال: أَوْصَدْتُ الباب وآصدته: إذا أطبقته. وقال الزجاج: المعنى: أن العذاب مطبق عليهم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «مُوصَدَّةٌ» بغير همز هاهنا، وفي [الهمزة: ٨] وقرأ أبو عمرو، وحزمة، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين.



(١) روى الإمام أحمد عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصله» ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح.

(٢) تقول: تَرَبَّ الرجل يَتَرَبُّ تَرَبًّا ومتربة: إذا انقثر حتى لصق بالتراب، وتقول: أترب فلان، إذا كثر ماله حتى صار كالتراب في الكثرة.

## سورة الشمس

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْ ۖ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۖ وَاللَّيْلُ إِذَا بَقَسَتْهَا ۖ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۖ وَالْأَرْضُ وَمَا حَمَلَهَا ۖ وَالْنَّفْسُ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْ﴾ في المراد «بضحائها» ثلاثة أقوال: أحدها: ضروها، قاله مجاهد، والزجاج. والضحي: حين يصفو ضوء الشمس بعد طلوعها. والثاني: النهار كله، قاله قتادة، وابن قتيبة. والثالث: حرها، قاله السدي، ومقاتل<sup>(١)</sup>. ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: إذا تبعها، قاله ابن عباس في آخرين. ثم في وقت اتباعه لها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه في أول ليلة من الشهر يرى القمر إذا سقطت الشمس، قاله قتادة. والثاني: أنه في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس، حكاه الماوردي. والثالث: أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت تلاها القمر في الإضاءة، وخلفها في النور، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: إذا ساواها، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا استدار، فتلا الشمس في الضياء والنور، وذلك في الليالي البيض.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الشمس، قاله مجاهد، فيكون المعنى: والنهار إذا بين الشمس، لأنها تبيّن إذا انبسط النهار. والثاني: أنها الظلمة، فيكون كناية عن غير مذكور، لأن المعنى معروف، كما تقول: أصبحت باردة، وهبت شمالاً، وهذا قول الفراء، واللغويين<sup>(٢)</sup>. ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَقَسَتْهَا﴾ أي: يغشى الشمس حين تغيب تظلم الآفاق.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا﴾ في «وما» قولان: أحدهما: بمعنى «من» تقديره «ومن بناها»، قاله الحسن، ومجاهد، وأبو عبيدة، وبعضهم يجعلها بمعنى الذي. والثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وبنائها، وهذا مذهب قتادة، والزجاج. وكذلك القول في «وما حَمَلَهَا» وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين «ومن بناها» «ومن طحاها» «ومن سَوَّاهَا» كله بالنون. قال أبو عبيدة: ومعنى «طحاها»: بسطها يميناً وشمالاً، ومن كل جانب<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: يقال: خَيْرَ طَاحٍ<sup>(٤)</sup>، أي: كثير متسع. وفي المراد «بالنفس» هاتنا قولان: أحدهما: آدم، قاله الحسن. والثاني: جميع النفوس، قاله عطاء<sup>(٥)</sup>. وقد ذكرنا معنى «سَوَّاهَا» في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْتُكَ فَعَدَلْتُكَ﴾ [الأنفطار: ٧] «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار.

(٢) وقال ابن كثير: ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى «وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا» أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَقَسَتْهَا﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم، ولهذا قال مجاهد: «وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا» إنه قوله تعالى: «وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا». قال: وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها.

(٣) قال ابن كثير: وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والترمذي، وأبو صالح، وابن زيد: طحاها: بسطها، وهو أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته، والمعنى بسطها لافتراشها وازدراعها والفرص في أكناها.

(٤) الذي في «غريب القرآن»: حُرِّ طاح. قال في «القاموس»: والطاحي: الذي ملأ كل شيء كثرة.

(٥) قال ابن كثير: أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ لَا تَبْدِيلَ لِمَلَكِي أَقْوَمَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» أخرجه من رواية أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم» من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم».

وَقَوْلَهَا ﴿١٠﴾ الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزما فجورها وتقواها<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١١﴾ قال الزجاج: هذا جواب القسم. والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها. قال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد أفلحت نفس زكاهها الله ﷻ، قاله ابن عباس، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة، وابن قتيبة. ومعنى ﴿زَكَّاهَا﴾: أصلحها وطهرها من الذنوب. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ﴿١٢﴾ فيه قولان كالذي قبله. فإن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: خذلها، وأخملها، وأخفى محلها، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: أخفاها بالفجور. قال الفراء: ويروى أن ﴿دَسَّاهَا﴾ دَسَّاهَا لأن البخل يخفي منزله وماله. وقال ابن قتيبة: المعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية. والأصل من دَسَّستْ فقلبت السين ياءً، كما قالوا: قَصَّيتْ أظفاري، أي: قصصتها. فكان الِطُّفْتُ بارتكاب الفواحش دَسَنَ نفسه<sup>(٣)</sup>، وقمعها، ومُضْطَنِعُ المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا للشهرة. واللتام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: معنى ﴿دَسَّاهَا﴾ جعلها قليلة خسية.

﴿كَذَبَتْ نُوذُ بِطُغُونَهَا﴾ ﴿١٣﴾ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقَّهَا ﴿١٤﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعُوقُوا قَدَمَهُمْ عَلَيْهِمْ رَيْهٌ رِيْهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٦﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ نُوذُ بِطُغُونَهَا﴾ ﴿١٣﴾ أي: كذبت رسولها بطغيانها<sup>(٥)</sup>. والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكذيب. قال الفراء: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك. وقيل: كذبوا العذاب ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ﴾ أي: انتدب<sup>(٦)</sup> ﴿أَشَقَّهَا﴾ وهو: عاقر الناقة لعقرها<sup>(٧)</sup> ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهو

(١) بمعنى أن الله تعالى خلق في المؤمن القوى، وفي الكافر الجور، فالخلق لله، والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه، وبذلك الاختيار للخير أو الشر يثاب أو يعاقب. قال ابن جرير الطبري: ﴿فَأَكْفَمُوا حُجْرًا وَقَوْلَهَا﴾ ﴿١٤﴾ فَبَيَّنَ لَهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَأْتِيَ أَوْ تَذَرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ. وقال الشوكاني في فتح القدير: أي عرفها وأهملها حالهما وما فيهما من الحسن والقيح.

(٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء، ففي طبعه هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي الطريقين شاء؛ وقد منحه الله عز وجل القدرة على سلوك أيهما شاء ﴿وَقَدَّيْنَتَهُ الْيَتِيمَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا كُرْأًا كُرْأًا﴾، وزود الإنسان باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، وقادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر على السواء، وهذه القدرة كامنة في نفسه، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام ﴿فَأَكْفَمُوا حُجْرًا وَقَوْلَهَا﴾ ﴿١٤﴾ وتارة بالهداية ﴿وَقَدَّيْنَتَهُ الْيَتِيمَ﴾ ﴿١٥﴾، فهي كامنة بصورة استعدادات، والآيات القرآنية والرسائل الإلهية والتوجيهات توظف هذه الاستعدادات وتوجهها، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً، لأنها مخلوقة فطرة، وكامنة طبعاً، وكامنة إلهاماً، أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة واعية مدركة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغلبه على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح، ومن ظلم هذه القوة الواعية العبدية وخباها وأضعفها فقد خاب وخسر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، والله عز وجل لم ينع الإنسان لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية، بل أعانته بالرسالات التي تنفع له الموازين العاقبة، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهدى، وتجلو عنه غواشي الهوى فيظهر له الحق في صورته الصحيحة، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كافياً لا شبهة فيه فتصرف القوة الواعية حينئذ من بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاه الذي يختاره ويسير فيه. ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والمغدير، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بقوله: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها» رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم ؓ.

(٣) التطف: التهم كما في «اللبان».

(٤) في الأصل: نفسها، وفي النسخة الإستانبولية: نفسه، وهو الصواب، وهو كذلك في «مشكل القرآن».

(٥) في الأصل: إمكانها، وما أثبتناه هو في النسخة الإستانبولية و«مشكل القرآن».

(٦) عبارة ابن قتيبة في «غريب القرآن»: كذبت الرسول إليها بطغيانها.

(٧) تقول: ندبت إلى كذا، فانتدب، أي أمرته فامتل، وفي الطبري: انبعث: ثار، وفي القرطبي: نهض، والانبعث هو الإسراع.

(٨) وهو قدار بن سالف. روى البخاري في «صحيحه» (٥٤٢/٨) عن عبد الله بن زمة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقَّهَا﴾ أثبت لها رجل عزم منيع في رملها مثل أبي زمة» ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم.

صالح ﴿ثَاقَةً آلَ اللَّهِ﴾ قال الفراء: نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب. قال ابن قتيبة: المعنى: احذروا ناقة الله وشربها. وقال الزجاج: المعنى: ذُرُّوا ناقة الله ﴿وَوِ ذُرُّوا﴾ «سقيهاها». قال المفسرون: سقيهاها: شربها من الماء. والمعنى: لا تتعرَّضوا ليوم شربها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في تحذيره إياهم العذاب بعقرها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ وقد بينَّا معنى «العقر» في [الأعراف: ١٧٧]، ﴿فَكَذَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: أطبق عليهم العذاب. يقال دمدت على الشيء: إذا أطبقت فكررت الإطباق. وقال المؤرِّج<sup>(١)</sup>: الددمة: إهلاك باستئصال. وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قولان: أحدهما: سوَّى بينهم في الإهلاك<sup>(٢)</sup>، قاله السدي، ويحيى بن سلام. وقيل: سوَّى الددمة عليهم. والمعنى: أنه أهلك صغيرهم، وكبيرهم. والثاني: سوَّى الأرض عليهم. قال مقاتل: سوَّى بيوتهم على قبورهم. وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صبح بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ﴿٥٦﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، «فلا يخاف» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقر بالواو، وكذلك هي في مصاحف مكة، والكوفة، والبصرة. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ، فالمعنى: لا يخاف الله من أحد تبعه في إهلاكهم، ولا يخشى عقبي ما صنع، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخف عقبي ما صنع، وهذا مذهب الضحاك والسدي، وابن السائب. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ أنبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها. والثالث: أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها، حكاة الزجاج<sup>(٤)</sup>.



- (١) في الأصل: المؤرخ، وفي النسخة الاستبوية: المؤرخ، وهو تصحيف.
- (٢) في الأصل: إهلاك، وما أثبتاه من النسخة الاستبوية.
- (٣) قال ابن كثير: «فَسَوَّيْنَاهَا» فجعل المقوية نازلة عليهم على السواء، قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنتاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمد الله عليهم بذنوبهم فسواها.
- (٤) والقول الأول أوّل دلالة السياق عليه، كما قال ابن كثير، والله أعلم.

## سورة الليل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ١﴾ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى٤﴾ فَمَا مِّنْ أَعْمَلٍ وَاللَّيْلَ٥﴾ وَصَدَقَ بِأَلْسِنٍ٦﴾ سَبْعِينَ لِّسْرَةً٧﴾ وَأَمَّا مَن يُجَلَّ٨﴾ وَأَسْتَفْتَى٩﴾ كَذَّابٌ يَلْمُنُ١٠﴾ سَبْعِينَ لِّسْرَةً١١﴾ وَمَا يَفْقَهُ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى١٢﴾

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ١﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار. وقال الزجاج: يغشى الأفق، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض، ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى٢﴾ أي: بان وظهر من بين الظلمة، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى٣﴾ في «ما» قولان، وقد ذكرناهما عند قوله تعالى: ﴿وَمَا بَشَأُهُ﴾ [الشمس: ٥]. وفي ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى٣﴾ قولان: أحدهما: آدم وحواء، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى٤﴾ هذا جواب القسم. قال ابن عباس: إن أعمالكم لمختلفة، عمل للجنة، وعمل للنار. وقال الزجاج: سعي المؤمن والكافر مختلف، بينهما بُعد<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزول هذه السورة قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بطلاً من أمية وأبي ابن خلف بئرذة عشرة أواق، فاعتقه، فأنزل الله تعالى ﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى٤﴾ يعني: سعي أبي بكر، وأمية وأبي، قاله عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة ليأخذ منها الثمر، فربما سقطت الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، فلقي النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال: «تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟» فقال الرجل: إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجب إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام: يا رسول الله أعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل، فلقي صاحب النخلة، فساومها منه، فقال له: أما شعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت: ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنني أعطى، قال: ما منك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين<sup>(٤)</sup> نخلة، فأشهد له ناساً، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي، وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله تعالى ﴿رَأَيْتَ إِذَا يَفَتْ١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى٤﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: الذي اشتراها

(١) قال الشوكاني: والظاهر العموم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يفتنوا، فيباع نفسه فمعتقها، أو موبقها» أي: كل إنسان يسمى بنفسه، فتمن من يبيعها له بطاعة فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى ياتباعها فيوبقها، أي: يهلكها.(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٨/٦ من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن عساکر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وذكره البغوي والخازن بغير سند.

(٤) في الأصل: أربعون، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستانبولية وكتب التفسير.

(٥) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر العنني عن الحكم بن أبان العنني عن عكرمة عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف، لضعف حفص بن عمر، والحكم بن أبان العنني، صدوق عابد له أوهام، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره: وهو حديث غريب جداً. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٧/٦ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف. ومما يدل على ضعف سبب النزول هذا وعدم صحته، أن القصة كانت بالمدينة، وسورة «الليل» نزلت بمكة.

من الرجل أبو الدحداح، أخذها بحائط له، فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أبو الدحداح، وصاحب النخلة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مَ أَطَّلَ وَأَنَّ﴾ قال ابن مسعود: يعني: أبا بكر الصديق، هذا قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. وقال عطاء: هو أبو الدحداح. وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى من فضل ماله، قاله ابن عباس. والثاني: أعطى الله الصدق من قلبه، قاله الحسن. والثالث: أعطى حق الله عليه، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقى الله، قاله ابن عباس. والثاني: اتقى البُخل، قاله مجاهد. والثالث: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة. وفي «الحسنى» ستة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله»، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: الخلف<sup>(٣)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: الجثة، قاله مجاهد. والرابع: نعم الله عليه، قاله عطاء. والخامس: بوعده أن يشيه، قاله قتادة، ومقاتل. والسادس: الصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيَرُّ لَيْسَ﴾ ضم أبو جعفر سين «اليسرى» وسين «العسرى» وفيه قولان: أحدهما: للخير، قاله ابن عباس. والمعنى: يُيسر ذلك عليه. والثاني: للجنة، قاله زيد بن أسلم. ﴿وَأَنَّ مَ يَحَلَّ﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أمية وأبي إبن خليف. وقال عطاء: هو صاحب النخلة. قال المفسرون: ﴿وَأَنَّ مَ يَحَلَّ﴾ بالنفقة في الخير والصدقة. وقال قتادة: بحق الله ﷻ، ﴿وَأَسْتَقَى﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿وَكَذَّبَ يَلْسَنُ﴾ وقد سبقت الأقوال فيها. وفي «العسرى» قولان: أحدهما: النار، قاله ابن مسعود. والثاني: الشر، قاله ابن عباس. والمعنى: سبته للشر فيؤديه إلى الأمر العسير، وهو عذاب النار<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لا ينفعه، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَبْقَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي بخل به عن الخير ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ وفيه قولان: أحدهما: إذا تردى في جهنم، قاله ابن عباس، وقاتل. والمعنى: إذا سقط فيها. والثاني: إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ عَيْنًا لَّهْدَى﴾ وَلَيْ لَّا لَلْخَرَّةِ وَالْأُولَى ﴿١٢﴾ فَأَذَرَكُم مَّا تَلَظَّى ﴿١٣﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٤﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٥﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآفَتَى ﴿١٦﴾ الَّذِي يَبْقَى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٧﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٨﴾ إِلَّا أَيُّهَا وَجَرُّ رِيءِ الْآفَلِ ﴿١٩﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَيْنًا لَّهْدَى﴾ قال الزجاج: المعنى: إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة ﴿وَلَيْ لَّا لَلْخَرَّةِ وَالْأُولَى﴾ أي: فليطلبنا منا ﴿فَأَذَرَكُم مَّا تَلَظَّى﴾ أي: توفد وتوهج ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يعني: المشرك ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسول ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. قال أبو عبيدة: «الآفَتَى» بمعنى الشقي. والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل». قال طرفة:

(١) ذكره البخاري في «تفسيره» من رواية علي بن حجر عن إسحاق بن نجيع الملطي عن عطاء، وإسحاق بن نجيع الملطي قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: كذبوه، وعطاء أرسله، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في «أسباب النزول» حيث قال عن الشخص الذي اشتراه: ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ... إلخ، وهو حديث ضعيف كما تقدم. قال الخازن: والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأميه بن خلف، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك.

(٢) ونقل القرطبي قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين. وروى الحاكم في «المستدرک» ٥٢٥/٢ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجلاً جليداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد، فأنزلت هذه الآيات ﴿فَمَا مَ أَطَّلَ وَأَنَّ﴾ ﴿وَمَكَ يَلْسَنُ﴾ ﴿فَسَيَرُّ لَيْسَ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ﴿إِلَّا أَيُّهَا وَجَرُّ رِيءِ الْآفَلِ﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٦ من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به، ورواه ابن جرير الطبري ٢٢١٠/٣٠ وأوردته السيوطي في «الدرر» ٣٠٨/٦ من رواية ابن جرير وزاد نسبه لابن عساكر.

(٣) أي: بالخلف من الله تعالى على عطاء.

(٤) قال ابن كثير: والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة، وذكر منها ما رواه البخاري عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بيع الغرق في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعد من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا تنكل؟ فقال: «اعملوا فكل مبسر لما خلق له، ثم قرأ: ﴿فَمَا مَ أَطَّلَ وَأَنَّ﴾ ﴿وَمَكَ يَلْسَنُ﴾ ﴿فَسَيَرُّ لَيْسَ﴾ إلى قوله: ﴿يَلْسَنُ﴾».

نَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمُتَ قَتَلَكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ<sup>(١)</sup>  
 قال الزجاج: وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء<sup>(٢)</sup> أنه لا يدخل النار إلا كافر، وليس [الأمر] كما  
 ظنوا. هذه نار موصوفة بعينها، ولأهل النار منازل. فلو كان [كل]<sup>(٣)</sup> من لا يشرك لا يعذب لم يكن في قوله تعالى: ﴿وَيَنْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فائدة [وكان «ويغفر ما دون ذلك» كلاماً لا معنى له]<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّ﴾ أي: يَبْعُدُ عنها، فيجعل منها على جانب ﴿الْأَنفَى﴾ يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع  
 المفسرين ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾<sup>(٥)</sup> أي: يطلب أن يكون عنه الله زاكياً، ولا يطلب الرياء، ولا السمعة ﴿وَمَا يَلْحَقُ  
 عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾<sup>(٦)</sup> أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أُشْدِّثَ إليه. وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى  
 بلالاً بعد أن كان يعذب قال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ  
 عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾<sup>(٧)</sup> إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى<sup>(٨)</sup> أي: إلا طلباً لثواب ربه. قال الفراء: و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن»  
 ونصب ﴿ابْتِغَاءَ﴾ على إضمار إنفاقه. فالمعنى: وما يتفق إلا ابتغاء وجه ربه.  
 قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرَى﴾<sup>(٩)</sup> أي: بما يُعْطَى في الجنة من الثواب<sup>(١٠)</sup>.



- (١) هو في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٣٠١/٢، و«الطبري» ٢٢٧/٣٠، و«القرطبي» ٢٠/٨٨٠.
- (٢) ويسمون المرجئة، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسُموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعليمهم على المعاصي، أي أخره عنهم. وقيل: المرجئة: فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول، وأرجؤوا العمل، أي أخرروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم.
- (٣) زيادة من القرطبي.
- (٤) زيادة من القرطبي، وروى البخاري في «صحيحه» (٢١٤/١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».
- (٥) ذكره القرطبي وغيره عن عطاء عن ابن عباس بغير سند.
- (٦) قال ابن كثير: «ولسوف يرضى» أي: ولسوف يرضى من أنصف بهذه الصفات. قال: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّ الْأَنفَى﴾<sup>(١)</sup> الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى<sup>(٢)</sup> وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ مَقْدَمُ الْأَمَةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صَدِيقاً تَقِيّاً كَرِيماً جَوَاداً بَنِيَّالاً لِمَوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَنَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمِنْ مَنِّ دَرَاهِمٍ وَدَنَائِيرٍ بِذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مَتَّهٍ بِحَاجٍ إِلَى أَنْ يَكْفِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقِبَالِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَهُوَ سَيِّدُ تَقْيِيفِ يَوْمِ صَلَاحِ الْحَدِيثِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ عِنْدِي لَمْ أَجُزْكِ بِهَا لِأَجْتِكَ. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَتَّعْ جَزَاءً﴾<sup>(٤)</sup> وَلَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى<sup>(٥)</sup> وَكَسَّرَ يَتَمَتَّعَ، وَفِي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعه خزانة الجنة: يا عبد الله هذا خير» فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الرياء، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يدعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم».



## سورة الضحى

وهي مكية كلّها بإجماعهم

اتفق المفسرون: على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. والثاني: لِقَلَّةِ النظافة في بعض أصحابه، وقد ذكرنا هذين القولين في سورة [مريم: ٦٥]. والثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في [مريم: ٦٦]. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جُنْدُب قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: «ما أرى شيطانك إلا قد ودَّعَكَ»، فنزلت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(٢)</sup> جندب: هو ابن سفيان، والمرأة: يقال لها: أم جميل امرأة أبي لهب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(٢)</sup> وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ ۝٥ أَنتَ بِحَدِّكَ يَبِينًا فَنَّاءٍ ۝٦ وَوَدَّعَكَ حَالًا فُهَدَىٰ ۝٧ وَوَدَّعَكَ عَابِلًا فَأَقْبَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيُفَيَّةَ فَلا تُقَهَّرُ ۝٩ وَأَمَّا الشَّابِلُ فَلا تَنْهَرُ ۝١٠ وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبُّكَ فَعَدَّتْ ۝١١﴾

وفي المراد «بالضحى» أربعة أقوال: أحدها: ضوء النهار، قاله مجاهد. والثاني: صدر النهار، قاله قتادة. والثالث: أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: النهار كله، قاله الفراء. وفي معنى «سَجَىٰ» خمسة أقوال: أحدها: أظلم. والثاني: ذهب، روي عن ابن عباس. والثالث: أقبل، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: سكن، قاله عطاء، وعكرمة، وابن زيد. فعلى هذا: في معنى «سكن» قولان: أحدهما: استقر ظلامه، قال الفراء: «سَجَىٰ» بمعنى أظلم وركد في طوله. كما يقال: بَخَّرَ سَاجٌ، وَلَيْلٌ سَاجٌ: إذا ركد وأظلم. ومعنى: ركد: سكن. قال أبو عبيدة: يقال: ليلة ساجية، وساكنة، وشاكرة. قال الحادي:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٥٤٥/٨: وجدت في «الطبري» بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في «الصحيح» والله أعلم. وورد لذلك سبب ثالث، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً، فتغير بذلك، فقالوا: ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير قال: فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه، فقال: فقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني، فجاء جبريل بسورة «الضحى». وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها، ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: وقر الوحي فقالوا: لو كان من عند الله لتابع، ولكن الله قلاه، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ و﴿الْفَجْرِ﴾ بكاملهما، قال: وكل هذه الروايات لا تثبت، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول «الضحى»، غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياماً، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً، فاختلفتا على بعض الرواة. وتحرير الأمر في ذلك ما بيته، وقد أوضحت ذلك في التعبير لله الحمد، ووقع في «سيرة ابن إسحاق» في سبب نزول «الضحى» شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك، وعدهم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر، فضاقت صدره وتكلم المشركون، فنزل جبريل بسورة «الضحى» وبجواب ما سألوا، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝١ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ﴾، وذكر سورة «الضحى» هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين مقارباً، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث، وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٥٤٥/٨، ومسلم ١٤٢٣/٣، وأحمد في «المسند» ٣١٢/٤، وابن جرير الطبري ٢٣١/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٧، وأورد السيوطي في «الدرر» ٦/٣٦٠ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، والبيهقي وأبي نعيم معاً في «الدلائل» عن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ﷺ.

يَا حَبْبَا الْقَمَرَاءُ وَاللَّيْلِ السَّاحِ

وَطَرُقُ مِثْلُ مُلَاءِ التَّسْنَجِ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: «سَجْنٌ» بمعنى سكن، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده. والثاني: سكن الخلق فيه، ذكره الماوردي. والخامس: امتد ظلامه، قاله ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ» وقرأ عمر بن الخطاب، وأنس، وعروة، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وأبو حاتم عن يعقوب «مَا وَدَّعَكَ» بتخفيف الدال. وهذا جواب القسم. قال أبو عبيدة: «مَا وَدَّعَكَ» من التوديع كما يودع المفاقر، و«مَا وَدَّعَكَ» مخففة من ودعه يدعه «وَمَا قَلَّ» أي: أبغض.

قوله تعالى: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» قال عطاء: خير لك من الدنيا. وقال غيره: الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ» في الآخرة من الخير «فَرَضَ» بما تُعْطَى. قال عليّ والحسن: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى. قال ابن عباس: عُرض على رسول الله ﷺ ما يُفْتَحُ على أمته من بعده كَفَرًا كَفَرًا، فَسُرَ بذلك، فَأَنْزَلَ الله ﷻ: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» ١ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْضَ ٢.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» ١ فيه قولان: أحدهما: جعل لك مأوى إذا ضَلَّكَ إلى عمك أبي طالب، فكفأك المؤونة، قاله مقاتل. والثاني: جعل لك مأوى لنفسك أغناك عن كفالة أبي طالب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» ١ فيه ستة أقوال: أحدها: ضالًّا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهذا إليها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك. والثاني: أنه ضَلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة، فردّه الله إلى جدّه عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إيليس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، ففتح إيليس نفخة وقع منها إلى الحيشة، وردّه إلى القافلة، فمَنَّ الله عليك بذلك، قاله سعيد بن المسيّب. والرابع: أن المعنى: ووجدك في قوم ضلّال، فهذا للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب. والخامس: ووجدك نسيئاً، فهذا إلى الذكر. ومثله: «أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكَيِّرَ لِأُخْرَاهَا الْآخِرَى» [البقرة: ٢٨٢]، قاله ثعلب. والسادس: ووجدك خاملاً لا تُذَكَّر ولا تُعَرَّف، فهذا للناس إليك حتى عرفوك، قاله عبد العزيز بن يحيى، ومحمد بن علي الترمذي.

قوله تعالى: «وَوَجَدَكَ عَائِلًا» قال أبو عبيدة: أي: ذا فقر. وأنشد:

وَمَا يَذْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ  
وَمَا يَذْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَوْعِيلُ<sup>(٤)</sup>

أي: يفتقر. قال ابن قتيبة: العائل: الفقير، كان له عيال، أو لم يكن. يقال: عال الرجل: إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله.

قوله تعالى: «فَأَغْنِ» قولان: أحدهما: رَضَّاكَ بما أعطاك من الرزق، قاله ابن السائب، واختاره الفراء. وقال:

(١) الرجز في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«الكامل» ١٦٦، و«الطبري» ٢٣٠/٣٠، و«القرطبي» ٩١/٢٠، و«اللسان»: سجن.

(٢) قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: واللَّيْلِ إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٢/٣٠ من رواية الإمام الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس، ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال عن توقيف. ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٨، والحاكم ٥٢٦/٢، ورواه الطبراني في «الكبير». قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٩/٧: وإسناد الطبراني في «الكبير» حسن. وأورد السيوطي في «الدرر» ٣٦١/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في «الدلائل»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) البيت لأحبة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«معاني القرآن» للفراء ٢٥٥/١، و«الجمهرة» ١٩٣/٢، و«الطبري» ٧/٥٤٩، و«اللسان» عيل، و«مجاز القرآن» ٣٠٢/٢، و«القرطبي» ٩٩/٢٠.

لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله رضاء بما آتاه. والثاني: فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب، قاله جماعة من المفسرين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ<sup>(٢)</sup>﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تحقر، قاله مجاهد. والثاني: لا تقهره على ماله، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: سائل البر، قاله الجمهور. والمعنى: إذا جاءك السائل، فإما أن تعطيه، وإما أن تردّه ردّاً لئلاً. ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تنهره، يقال: نهره وانتهره: إذا استقبله بكلام يزجره. والثاني: أنه طالب العلم، قاله يحيى بن آدم في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَتِمُّكَ فَوَحَّشْ<sup>(٤)</sup>﴾ في النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة. والثاني: القرآن، روي عن مجاهد. والثالث: أنها عامة في جميع الخيرات، وهذا قول مقاتل. وقد روي عن مجاهد قال: قرأت على ابن عباس، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قال: كبر إذا ختمت كل سورة حتى تختتم. وقد قرأت على أبي بن كعب فأمرني بذلك. قال علي بن أحمد النيسابوري: ويقال: إن الأصل في ذلك أن الوحي لما فتر عن رسول الله ﷺ، وقال المشركون: قد هجره شيطانه وودّعه، اغتم بذلك، فلما نزل ﴿وَالضُّحَى﴾ كبر عند ذلك رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذته الناس سنة<sup>(٥)</sup>.



(١) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى من كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم وورث كفافاً وقلعة الله بما آتاه».

(٢) وفي «صحيح البخاري» عن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما قليلاً. ورواه أيضاً بمعناه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والسنائي.

(٣) قال عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المفسر: روي عن طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ، قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت: ﴿وَالضُّحَى﴾ قال لي: كبر حتى تختتم مع كل خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة، المتوفى سنة ١٢٠هـ) فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث، فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبحت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. قال ابن كثير: ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَعُ﴾ وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَى﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. قال ابن كثير: وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة ﴿وَالضُّحَى﴾ أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة، ثم جاء الملك فأوحى إليه ﴿وَالضُّحَى﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَعُ﴾ بالسورة بشماها، كبر فرحاً وسروراً. قال: ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم.

## سورة الانشراف

### مكية كلها ياجماعهم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرْسَلْنَاكَ مَدْرَكًا ۝ وَرَفَعْنَا عَنْكَ مَدْرَكَ ۝ أَلَيْسَ أَنْتَقَضَ ظَهْرُكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْآنَسِ بُرْءًا ۝ إِنَّ مَعَ الْآنَسِ بُرْءًا ۝ إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَاكَ مَدْرَكًا﴾ الشرح: الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك. والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق. ومعنى هذا الاستفهام: التقرير، أي: قد فعلنا ذلك<sup>(١)</sup>. ﴿وَرَفَعْنَا عَنْكَ مَدْرَكَ﴾ أي: حططنا عنك إثمك الذي سَلَفَ في الجاهلية، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والفراء، وابن قتيبة في آخرين. وقال الزجاج: المعنى: أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال ابن قتيبة: وأصل الوزر: ما حمله الإنسان على ظهره، فَشَبَّهَ بالحمل فجعل مكانه. ومعنى ﴿أَنْتَقَضَ ظَهْرُكَ﴾ أثقله حتى سمع نقيضه، أي: صوته. وهذا مثَلٌ، يعني: أنه لو كان حملاً يحمل لَسَمِعَ نقيضَ الظهر منه. وذهب قوم إلى أن المراد بهذا تخفيف أعباء النبوة التي يُثْقِلُ القيام بها الظَّهْرَ، فَسَهَّلَ الله له ذلك حتى تيسَّرَ عليه الأمر. وممن ذهب إلى هذا عبد العزيز بن يحيى.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فيه خمسة أقوال أحدها: ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: قال الله ﷻ: إذا ذُكِرْتُ [ذُكِرْتُ] معي<sup>(٢)</sup>. قال قتادة: فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا قول الجمهور. والثاني: رفعا لك ذِكْرَكَ بالنبوة، قاله يحيى بن سلام. والثالث: رفعا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي. والرابع: رفعا لك ذكرك عند الملائكة في السماء. والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان بك، والإقرار بفضلك، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْآنَسِ بُرْءًا﴾ ضم سين «العُسر»، وسين «اليسر» أبو جعفر، و﴿الآنس﴾ مذكور في الآيتين بلفظ التعريف. و«اليسر» مذكور بلفظ التنكير، فدل على أن العسر واحد، واليسر اثنان. قال ابن مسعود، وابن عباس في هذه [الآية]<sup>(٣)</sup>: لن يغلب عُسر يسرين. قال الفراء: العرب إذا ذُكِرَتْ نِكْرَةً ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين؛ كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفة، فهي كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول. ونحو هذا قال الزجاج: ذُكِرَ العُسر بالالف واللام، ثم ثُنِيَ ذِكْرُهُ، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. وقال الحسين بن يحيى الجرجاني - ويقال له: صاحب النظم -: معنى الكلام: لا يحزنك ما يُعَيِّرُك به

(١) قال ابن كثير: يقول الله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَاكَ مَدْرَكًا﴾ يعني: إنا شرحنا لك صدرك، أي نورنا وجعلناه فيضاً رحياً واسعاً، كقوله: ﴿مَنْ يُؤِدَّ إِلَهُهُ﴾ أن يُؤَيِّدَهُ يَتَّخِذْ مَكَدًا لِإِسْخَارِهِ وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فيضاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٢) سقطت هذه الكلمة من الأصل، واستدركتها من الطبري وغيره.

(٣) روى ابن جرير الطبري ٢٣٥/٣٠ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج، وإن كان صدوقاً في حديثه فإنه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ومع ذلك فقد صححه ابن حبان. وقال ابن كثير: وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج. وأورد السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٦٤ وزاد نسبت لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) زيادة من النسخة الاستنبولية.

المشركون من الفقر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [عاجلاً في الدنيا، فأنجزه بما وعده، بما فتح عليه، ثم ابتداءً فصلاً آخر فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup>، والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو، وهو وعد لجميع المؤمنين أن مع عسر المؤمنين يسراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يغلب عسر يسرين: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا، فاليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا. فأما يسر الآخرة، فداً لا ينقطع، كقوله ﷺ: «شهرها عيد لا ينقصان»<sup>(٢)</sup>، أي: لا يجتمعان في النقص. وحكي عن العتبي قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغم، فألقي في روعي بيت من الشعر، فقلت:

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَضْبَحَ  
فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف:  
أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَلَمْ  
وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْنَنَا لَمْ  
إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْعُسْرُ  
فُعُسْرُ بَيْنَ يُسْرَيْنِ  
فحفظت الأبيات وقرّج الله عني.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(٣)</sup> أي: فادأب في العمل، وهو من النَّصَب، والنَّصَب: التعب، الدُّؤوب في العمل. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، قاله ابن مسعود. والثاني: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. والثالث: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد. والرابع: فإذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك، قاله الشعبي، والزهري. والخامس: إذا صحت بدنك فاجعل صحتك نصيباً في العبادة، ذكره علي بن أبي طلحة، «وَلَا رَيْبَ أَنَّكَ فَارَغْتَ»<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: اجعل رغبتك إلى الله ﷻ وحده<sup>(٥)</sup>.



(١) زيادة من النسخة الاستبوية.

(٢) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي بكرة ﷺ، واللفظ لمسلم ٧٦٦/٢ وهو بتمامه: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وفو الحجة» ولفظ البخاري ١٠٨/٤: «شهران لا ينقصان، شهرها عيد: رمضان وفو الحجة»، قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: قوله ﷺ: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وفو الحجة» الأصح أن معناه: لا ينقص أجرهما والثواب المرتب عليهما وإن نقص عددهما. وقيل: معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً، وقيل: لا ينقص ثواب ذي الحجة عن ثواب رمضان، لأن فيه المناسك، حكاة الخطاي وهو ضعيف، والأول هو الصواب المعتمد. ومعناه أن قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً...» وغير ذلك، فكل هذه الفضائل تحصل، سواء تم عدد رمضان أم نقص، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٠٦/٤ ما ملخصه: وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فمنهم من حمله على ظاهره فقال: لا يكون رمضان ولا ذو الحجة أبداً إلا ثلاثين، وهذا قول مردود معانده للموجود المشاهد، ويكفي في رده قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة»، فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هذا، قال: ومنهم من تأول له معنى لانقضاء، قال أبو الحسن: كان إسحاق بن راهويه يقول: لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين، وقال البيهقي في «المعرفة»: إنما خصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بهما. قال ابن حجر: والمعنى أن كل ما ورد منهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين.

ثم قال: وفي الحديث حجة لمن قال: إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً، بل لله أن يفضل بإلحاق الناقص بالتمام في الثواب، ثم قال: وهذا الحديث يقتضي أن التسوية في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين، إنما هو بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة، لا من حيث تفضيل الأيام. وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد، ونظيره قوله ﷺ: «المغرب وتر النهار» أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وصلاة المغرب ليلية جهرية، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(١)</sup> وَلَا رَيْبَ أَنَّكَ فَارَغْتَ أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها، فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، قال: ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يداع له الأغنياء»، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر التشاء، فابتدؤوا بالشاء».

## سورة التين

وفيها قولان: أحدهما: مكة، قاله الجمهور، منهم الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها مدنية، حكاه الماوردي عن ابن عباس، وقاتدة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثِ

﴿التِّينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) وَطُورَ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَٰلِغِينَ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَ فَتْكِينَ (٨) ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿التِّينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) فيهما سبعة أقوال: أحدها: أنه التين المعروف، والزيتون المعروف، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وإبراهيم. وذكر بعض المفسرين أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مُخْلِصَة من شائب التنقيص، وهو يدل على قدرة من هيأه على تلك الصفة. وجعل الواحدة منه على مقدار اللقمة، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به. والثاني: أن التين: مسجد نوح ﷺ الذي بني على الجودي. والزيتون: بيت المقدس، رواه عطية عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك. والرابع: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، قاله كعب، وقاتدة، وابن زيد. والخامس: أنهم جبالن، قاله عكرمة في رواية. وروي عن قتادة قال: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. والسادس: أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، قاله القرظي. والسابع: أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال بالشام، حكاه الفراء<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿وَطُورَ سِينِينَ﴾ (٢) فالطور: جبل، وفيه قولان: أحدهما: أنه الجبل الذي كلم الله موسى عليه، قاله كعب الأحبار في الأكثرين. والثاني: أنه جبل بالشام، قاله قتادة. فأما ﴿سِينِينَ﴾ فهو لغة في سيناء، وقد قرأ علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبو العالية، وأبو مجلز «طور سيناء» ممدودة مهموزة، مفتوحة السين. وقرأ ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو حيو: «طور سيناء» مثلهم إلا أنهم كسروا السين. وقرأ أبو رجاء، والجحدري «سينين» كما في المصحف، لكنهما فتحا السين. وقال ابن الأنباري: «سينين» هو سيناء. واختلفوا في معناه، فقيل: معناه: الحسن، وقيل: المبارك، وقيل: إنه اسم للشجر الذي حوله. وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين: ٢٠] قال الزجاج: وقد قرئ هاهنا «طور سيناء» وهو أشبه لقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال مقاتل: كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين، وسيناء بلغة النبط<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣) يعني: مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية، والإسلام<sup>(٥)</sup>. قال الفراء: ومعنى «الْأَمِينِ» الآمن. والعرب تقول للأمين: آمن. قال الشاعر:

(١) وهو الصواب.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين، هو التين الذي يوكل، والزيتون: هو الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب.

(٣) قال أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين، جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين، تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال: حسن أو مبارك، لكان الطور منوئاً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعت لغيره علة تدعو إلى ذلك.

(٤) قال ابن كثير: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ﷺ، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من سامير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال =

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَحَكِّ أَنْزِي

حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُخُونُ أَمِينِي<sup>(١)</sup>

يريد أمني.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا جواب القسم. وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه كَلْدَة بن أسيد، قاله ابن عباس. والثاني: الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبو جهل بن هشام. والرابع: عتبة، وشيبة، حكامهما الماوردي. والخامس: أنه اسم جنس، وهذا مذهب كثير من المفسرين<sup>(٢)</sup>، وهو معنى قول مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أعَدَل خلق. والثاني: منتصب القامة، روى عن ابن عباس. والثالث: في أحسن صورة، قاله أبو العالية. والرابع: في شباب وقوة، قاله عكرمة<sup>(٣)</sup>. ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَشَقَّلَ سَنِينَ<sup>(٤)</sup>﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى أرذل العمر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وإبراهيم، وقادة<sup>(٥)</sup>. وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة. والسافلون: هم الضعفاء، والزُمنى، والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً. قال الفراء: وإنما قال ﴿سَنِينَ﴾ على الجمع؛ لأن الإنسان في معنى جمع. تقول: هذا أفضل قائم، ولا تقول: قائمين، لأنك تريد واحداً، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالتحديد وبالجمع. والثاني: إلى النار، قاله الحسن، وأبو العالية، ومجاهد. والمعنى: إنا نفعل هذا بكثير من الناس. تقول العرب: أنفق فلان ماله على فلان، وإنما أنفق بعضه، ومثله قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى<sup>(٦)</sup>﴾ [الليل: ١٨] لم يُرِدْ كُلَّ ماله. ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن معنى الإنسان الكثير. وللمفسرين في معنى الاستثناء قولان: أحدهما: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى الحَرَف وأرذل العمر وإن عُمِرُوا طويلاً، وهذا على القول الأول. قال ابن عباس: من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر. وقال النخعي: إذا بلغ المؤمن من الكِبَر ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعمل، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال ابن قتيبة: المعنى: إلا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة، فإنهم حال الكِبَر غير منقوصين وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك. والثاني: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار. وهذا على القول الثاني<sup>(٧)</sup>. وقد شرحنا معنى «الممنون» في «ن» [آية: ٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَدَّ بِالَّذِينَ<sup>(٨)</sup>﴾ فيه قولان: أحدهما: فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة، ﴿وَالَّذِينَ﴾ أي: ما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء؟ وهذا توبيخ للكافر، وهو معنى قول مقاتل. وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة. والثاني: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا، قاله الفراء. فأما «الذين» فهو الجزاء. والمشار بذكره إلى البعث، كأنه استدلل بتقلب الأحوال على البعث.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ بِأَمْكِرَ الْمَلَكِينَ<sup>(٩)</sup>﴾ أي: بأقضى القاضين. قال مقاتل: يحكم بينك وبين مكذبيك. وذكر بعض المفسرين: أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم، ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف<sup>(١٠)</sup>.

= فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما.

(١) البيت من شواهد الفراء ٣٧١، وهو في الطبري ٢٤١/٣٠، والقرطبي ١١٣/٢٠.

(٢) وهو الصواب.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله: ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيرٍ﴾ إنما هو نعت لمخلوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قال: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

(٤) واختار هذا القول ابن جرير الطبري، ورده ابن كثير، فقال: ولو كان هذا هو المراد، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه (يعني القول الثاني: النار)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتَزَكَّى<sup>(١)</sup>﴾ [الأنعام: ١٠٨] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَتَابُوا وَتَابَعُوا آلَهُمْ﴾.

(٥) وهو الأقرب إلى معنى الآية، كما قال ابن كثير.

(٦) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ بِأَمْكِرَ الْمَلَكِينَ<sup>(١)</sup>﴾ أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه.

## سورة العلق<sup>(١)</sup>

وتسمى: سورة القلم، وسورة العلق، وهي مكية بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنها نزلت عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثَةِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عبيدة: المعنى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ والباء زائدة. وقال المفسرون: المعنى: اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك. وإنما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم. والإنسان هاهنا: ابن آدم. والعلق: جمع علقه، وقد بينّاها في سورة «الحج». قال الفراء: لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة رؤوس الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ تقرير للتأكيد. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الخطابي: الأكرم: الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، كما جاء الأعزُّ والأطول بمعنى العزيز والطويل. وقد سبق تفسير الكريم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾ من الخط، والصنائع، وغير ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمد ﷺ.

﴿كَلَّا ⑥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّارٍ ⑦ إِنَّ رَبَّهُ اسْتَمَعَ ⑧ بَدَا لَهُ سَلَى ⑨ أَوَيْتَ ⑩ إِنَّ كَانَ عَلَ الْمَلَكِ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوْلِ ⑫ أَوَيْتَ ⑬ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑭ أَوَيْتَ ⑮ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ⑯ كَذَّبَ ⑰ كَذَّبَ وَيُظِلُّ ⑱ فَلْيَنْعِ نَادِيَهُ ⑲ سَتَعْلَمُ الْعَذَابَ ⑳ كَلَّا ㉑ لَا تُطِيعُهُ ㉒ وَالسَّجْدَ ㉓ وَاقْرَأْ ㉔﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا ⑥﴾ أي: حقاً. وقال مقاتل: ﴿كَلَّا ⑥﴾ لا يعلم أن الله علمه. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿كَلَّا ⑥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّارٍ ⑦﴾ يعني: أبا جهل. وكان إذا أصاب مالاً أشر وبَطِرَ في ثيابه، ومراكبه، وطعامه، ﴿إِنَّ رَبَّهُ اسْتَمَعَ ⑧﴾ قال ابن قتيبة: أي: أن رأى نفسه استغنى، و﴿الْإِنْسَانَ ⑦﴾: المرجع.

قوله تعالى: ﴿أَوَيْتَ ⑩﴾ أي: أريت. معنى: أريت: تعجيبه المخاطب، وإنما كرّرها للتأكيد والتعجيب. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جهل. قال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يعزُّ محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به<sup>(٢)</sup> لئن رأيته لأطأَنَّ على رقبته. فقيل له: ها هو ذاك يصلّي. فانطلق ليظنَّ على رقبته، فما فجأهم إلّا وهو ينكص على عقبيه<sup>(٣)</sup>، ويتقي بيديه، فأتوه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنيحةً. وقال نبي الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَيْتَ ⑩ الَّذِي يَنْهَى ⑪﴾ إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلّي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟!

(١) في الأصل: سورة اقرا.

(٢) في الأصل: عقبه، والتصحيح من مسلم والطبري.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٥٤/٤، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، ورواه أحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٧٠/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ.

ورواه البخاري في «صحيحه» ٥٥٧/٨ دون سبب النزول، ولفظه: عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيته محمداً يصلّي عند الكعبة لأطأَنَّ عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخلته الملائكة»، ورواه ابن جرير بنحوه بلفظ: «لو فعل لأخلته الملائكة عباتاً». ورواه بنحو رواية الطبري: الترمذي في «سننه» ١٧٠/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق،



فانصرف إليه النبي ﷺ فزبره<sup>(١)</sup>، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَلْعَنُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: والمراد بالعبد هنا: محمد ﷺ. وقيل: كانت الصلاة صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْأَذْنَى﴾ يعني المنهي وهو النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾<sup>(٤)</sup> يعني: التاهي، وهو أبو جهل، قال الفراء: والمعنى: أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى، وهو كاذب متوَلٍّ عن الذكر، فأى شيء أعجب من هذا؟ قال ابن الأنباري: تقديره: أرايته مصيباً.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ﴾ يعني أبا جهل ﴿وَاللَّهُ يَخْلُقُ﴾ ذلك فيجازيه ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلم ذلك، ﴿لَهُ لَزَبَةٌ﴾ عن تكذيب محمد وشتمه وإذائه ﴿تَسْتَفْتِ بِالْأَمِيَّةِ﴾ السفع: الأخذ، والناصية: مُقَدِّمُ الرأس. قال أبو عبيدة: يقال: سفعت بيده، أي: أخذت بها. وقال الزجاج: يقال: سفعت الشيء: إذا قبضت عليه وجذبتة جذباً شديداً. والمعنى: لتَجْرُؤَ ناصيته إلى النار.

قوله تعالى: ﴿أَمِيَّةٌ﴾ قال أبو عبيدة: هي بدل، فلذلك جرّها. قال الزجاج: والمعنى: بناصية صاحبها كاذب خاطئ، كما يقال: نهأه صافم، وليله قائم، أي: هو صائم في نهاره، قائم في ليله. ﴿يَلْعَنُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٥)</sup> أي: أهل ناديه، وهم أهل مجلسه فليستنصرهم ﴿سَنَعُ الزَّيَّانَةِ﴾<sup>(٦)</sup> قال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد. وقال مقاتل: هم خَزَنَةُ جهنم. وقال قتادة: الزَّيَّانَةُ في كلام العرب: الشَّرْطُ. قال الفراء: كان الكسائي يقول: لم أسمع للزَّيَّانَةِ بواحد، ثم قال بأخوة: واحد الزَّيَّانَةِ: زَيْيٌّ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً. وقال أبو عبيدة: واحد الزَّيَّانَةِ: زَيْيَّةٌ، وهو كل متمرّد من إنس، أو جان. يقال: فلان زَيْيَّةٌ عَفْرِيةٌ. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من الزَّيْنِ، وهو الدَّفْع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها. قال ابن دريد: الزَّيْنُ: الدفع. يقال: ناقة زبون: إذا زَبَنَتْ حالبها، ودفعته برجلها. وَتَزَابَنَ القوم: تدارؤوا. واشتقاق الزَّيَّانَةِ من الزَّيْنِ، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطْعَمُهُ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجَدُ﴾ أي: صلّ الله ﴿وَأَقْرَبُ﴾ إليه بالطاعة، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ﴾ خطاب للنبي ﷺ. وقد قيل: إنه خطاب لأبي جهل، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: اسجد أنت يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار، قاله زيد بن أسلم. والثاني: واقترب يا أبا جهل تهديداً له، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القدماء. وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدّمناه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»<sup>(٧)</sup>.



= وعبد بن حميد، وابن مردويه، وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» عن ابن عباس ؓ.

(١) أي: نهأه وأغلظ له.

(٢) رواه الترمذي ١٧١/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه أحمد في «المسند» رقم ٢٣٢١ و٣٠٤٥، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس ؓ.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ٣٥٠/١.

## سورة القدر

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، ومقاتل. قال الماوردي: والأول قول الأكثرين<sup>(١)</sup>. وقال الثعلبي: الثاني قول الأكثرين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَرِيرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْوٍ ۚ سَلُوتٌ مِّنْ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وذلك أنه أنزل جملةً في تلك الليلة إلى بيت العزّة، وهو بيت في السماء الدنيا. وقد ذكرنا هذا الحديث في أول كتابنا<sup>(٢)</sup>. والهاء في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كناية عن غير مذكور. وقال الزجاج: قد جرى ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنْكَرٍ﴾ [الدخان: ٤٣]. فأما ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال: أحدها: أن القدر: العظمة، من قولك: لفلان قدر، قاله الزهري. ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرُوهُ﴾ [الأنعام: ٩١] و[الزمر: ٦٧]. والثاني: أنه من الضيق، أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمِن مِّدْرٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]. والثالث: أن القدر: الحكم، كان الأشياء تُقدّر فيها، قاله ابن قتيبة. والرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر، حكاة شيخنا علي بن عبيد الله.

## فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية، أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ والصحيح بقاؤها. وهل هي في جميع السنة، أم في رمضان؟ فيه قولان: أحدهما: في رمضان، قاله الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: في جميع السنة، قاله ابن مسعود. واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض؟ على قولين: أحدهما: أنها في العشر الأواخر، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدلّ عليه. وقد روى البخاري في أفرادها من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة تبقى»<sup>(٤)</sup>. وفي حديث أبي بكرة قال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ، إلا في العشر الأواخر، فإني سمعته يقول: «التمسوها في تسع يقيين، أو سبع يقيين، أو خمس يقيين، أو ثلاث يقيين، أو آخر ليلة»<sup>(٥)</sup>. والقول الثاني: أنها في جميع رمضان، قاله الحسن البصري. واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع؟

(١) وهو الصواب.

(٢) وهو الصواب الذي تؤيده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وسيورد المصنف بعضها.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢٦/٤ ولفظه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى». قال ابن كثير بعدما ذكر حديث البخاري هذا: فسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر.

(٤) رواه الترمذي في «سننه» ٩٨/١ من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الترمذي في آخر الحديث: وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر يعني الأخير اجتهد. وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣٧٣/١: أخرج الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الرحمن بن جوشن قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال: أما أنا فليست بملتمسها إلا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر، لتاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو ثالثة تبقى، أو آخر ليلة»، فكان أبو بكرة ﷺ يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد.

على قولين: أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدلّ عليه. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن. وروي عن الحسن ومالك بن أنس قالا: هي ليلة ثمان عشرة<sup>(٢)</sup>. واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال: أحدها: أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين. فروى البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط، واعتكفنا معه، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع، ورجعنا معه، وأري ليلة القدر، ثم أنسيتها، فقال: «إني رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها وأراني أسجد في ماء وطين، فمن اعتكف فليرجع إلى مُعتكفه، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية، وكان سَقْفُ المسجد عريشاً من جريد، فوكف [المسجد]<sup>(٣)</sup> فوالذي هو أكرمهم، وأنزل عليه الكتاب لَرَأَيْتُهُ يصلي، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين»<sup>(٤)</sup>. وهذا مذهب الشافعي. والثاني: أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين. روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين: «اطلبوها الليلة»<sup>(٥)</sup>. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين»<sup>(٦)</sup>. وروى مسلم في أفراده من حديث عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها»<sup>(٧)</sup>، وأراني ضُبَحَهَا<sup>(٨)</sup> أسجد في ماء وطين. قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلّى بنا رسول الله ﷺ فانصرف<sup>(٩)</sup> وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ليلة ثلاث وعشرين<sup>(١٠)</sup>. والثالث: ليلة خمس وعشرين، روى هذا المعنى أبو بكرة عن النبي ﷺ<sup>(١١)</sup>. والرابع: ليلة سبع وعشرين، روى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان متحرّياً فليتحزّها ليلة سبع وعشرين»، يعني: ليلة القدر<sup>(١٢)</sup>، وهذا مذهب عليّ وأبيّ بن كعب. وكان أبيّ يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع

(١) رواه البخاري ٢٢٥/٤ وهو جزء من حديث طويل، ولفظه: «... فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر...» وهو في «مسلم» ٨٢٤/٢، بمعناه.

(٢) قال الترمذي ٩٨/١: وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. قال ابن كثير: وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابة نصّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم، قال: وهو محكي عن الشافعي، نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

(٣) زيادة من البخاري ومسلم، ومعنى وكف: أي: قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) رواه البخاري ٢٣٦/٤، ٢٤٣، ٢٤٤، ومسلم ٨٢٤/٢، ٨٢٦.

(٥) قال السيوطي في «الدر» ٣٧٢/٦: وأخرج ابن زنجويه، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ قال: ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كم بقي من الشهر؟ قلنا: مفيت اثنتان وعشرون، وبقي ثمان، فقال رسول الله ﷺ: مفيت اثنتان وعشرون، وبقيت سبع، التمسوها الليلة، الشهر تسع وعشرون».

(٦) هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمر بغير سند ولم يخرجه لأحد، ولفظه عنده بتمامه: عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى، فمن كان منكم يريد أن يقيم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين، ولم نره عند غيره بهذا اللفظ، نعم رواه البخاري ومسلم في «الصحاحين» عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد توأمت في السبع الأواخر، فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢١/٤: والظاهر أن المراد به أواخر الشهر، ثم قال: ولمسلم من طريق عقبة بن حريث عن ابن عمر: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يغلبن على السبع البواقي»، قال: وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع.

(٧) في الأصل: نسيتها.

(٨) في الأصل: فأبصرته.

(٩) رواه مسلم ٨٢٧/٢، وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣٧٣/٦: أخرجه مالك، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن زنجويه، والطحاوي، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها الليلة» وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: حكاه ابن العربي في «المعارضة»، وعزاه ابن الجوزي في «المشكّل» لأبي بكرة.

(١٢) لفظ رواية مسلم ٨٢٢/٢: «فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: ولاين المتن: «من كان



والولي في الناس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَزْنَيْكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم والتشويق إلى خيرها.

قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة، واختيار الغراء، وابن قتيبة، والزجاج. وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذكّر له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أنه كان الرجل فيما مضى لا يستحق أن يقال<sup>(٣)</sup> له: عابد حتى يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ قال أبو هريرة: الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى<sup>(٤)</sup>. وفي «الروح» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله الأكثرون. وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله ﷻ»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن الروح:

على ذلك. وقيل: إنها المصير، قال: قال الترمذي والبخاري رحمهما الله تعالى: وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم. وقال القاضي الماوردي: هو قول جمهور التابعين، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر، وقال أبو محمد بن عطية في «تفسيره»: وهو قول جمهور الناس. ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه أحمد ومسلم عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً». قال: وأخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «المسانيد» و«السنن» و«الصحاح» من طرق يطول ذكرها. وذكر أقوالاً أخرى كثيرة، ثم قال: وقد ثبت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها هـ. وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى أصبحت معروفة وليست خفية كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(١) الولي لا يعرف بعينه، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال: ﴿إِنَّا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الآية. وكما أن المؤمن تقياً كان له ولياً.

قال ابن كثير: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً، فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى وينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بمثله، وقال: وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه «الأخوادي في شرح الترمذي» أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَالْأَسْمَاءُ الْمُسَمَّيَاتُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي كثيرة، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم. وقد روى أصحاب «السنن» عن بريدة عن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»، فله أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم، وكلها عظيمة.

(٢) روى هذا الحديث البخاري في «تفسيره» من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند، وكذلك ذكره القرطبي في «تفسيره»، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد عن النبي ﷺ، وهو مقطوع، وكذلك ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧١/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، والبيهقي في «مسنده».

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في ذلك الشهر ليلة القدر، قال: هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد، قال: وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، قال: وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، لا ما عداه، وهو قوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة ببيتة حسنة وثبة صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّب فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»، ثم قال: ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٣) في الأصل: يقول، والتصحيح من النسخة الإسنوبلية.

(٤) قال ابن كثير: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، قال: والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضوءون أجنتهم لطالب العلم بصدق، تعظيماً له.

(٥) حديث أنس هذا، ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧٧/٦ وعزاه للبيهقي، والكبكية: الجماعة.

طائفة من الملائكة لا تراهـم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب، ومقاتل بن حيان. والثالث: أنه ملك عظيم يفي بخلق من الملائكة، قاله الواقدي.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾ أي: بما أمر به وقضاه ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بكل أمر. قال المفسرون: ينتزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قابل. وقرأ ابن عمر، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني: «من كل امرئ» بكسر الراء ويعدها همزة مكسورة منوثة. ويوصل اللام من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: من كل ملك سلام. والثاني: أن تكون «من» بمعنى «على» تقديره: على كل امرئ من المسلمين سلام من الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنبياء: ٧٧]. والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب. ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء فقال تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي: ليلة القدر سلام. وفي معنى السلام قولان: أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء ولا يُرسل فيها شيطان، قاله مجاهد. والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة، قاله قتادة. وكان بعض العلماء يقول: الوقف على ﴿سَلَّمَ﴾ على معنى تنزل الملائكة بالسلام.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة «مطلع» بفتح اللام. وقرأ الكسائي بكسرها. قال الفراء: والفتح أقوى في قياس العربية، لأن المطلع بالفتح: الطلوع، وبالكسر: الموضع الذي يطلع منه، إلا أن العرب تقول: طلعت الشمس مطلعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدر؛ كما تقول: أكرمك كرامة، فتجتزئ بالاسم عن المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في [الكهف: ٩] عند قوله تعالى: ﴿مَطْلَعِ النَّجْمِ﴾ شرحاً كافياً، والله الحمد.



سورة البيئة<sup>(١)</sup>

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: مكية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره يحيى بن سلام.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿لَرَّ يَكِّي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ ۖ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أَضْرَأُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَلِكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَإِنْ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿لَرَّ يَكِّي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان ﴿مُنْفَكِينَ﴾ أي: منفصلين وزائلين - يقال: فككت الشيء، فانفك، أي: انفصل - والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: حتى أتتهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي. و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول، وهو محمد ﷺ، وذلك أنه بيَّن لهم ضلالهم وجهلهم. وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم. وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية: لم يختلوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى يبعث فافترقوا. وقال بعضهم: لم يكونوا ليرتكبوا منفكين عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البيئ. والوجه هو الأول. والرسول هاهنا محمد ﷺ، ومعنى ﴿يَتْلُو صُحُفًا﴾ أي: ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن. ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب. ومعنى ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الشرك والباطل. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصحف ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أي: عادلة مستقيمة تُبَيِّنُ الحق من الباطل، وهي الآيات. قال مقاتل: وإنما قيل لها: كتب لما جَعَلَتْ من أمورٍ شَتَّى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، والمعنى: لم يزلوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. والثاني: القرآن، قاله أبو العالية. والثالث: ما في كتبهم من بيان بُرُوبِهِ، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: وما تَفَرَّقُوا في كفرهم بالنبي إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنُوا أَنَّهُ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: سورة لم يكن. وروى البخاري في «صحيحه» ٩٠/٦، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٩١٥ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَرَّ يَكِّي الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسماي؟ قال: نعم، فيكى. ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وغيرهم. وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتيازها، لما اشتملت عليه من التوحيد، والرسالة، والإخلاص، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة، والزكاة، والمعاد، وبيان أهل الجنة والنار، مع وجازتها.

(٢) وهو الصواب.

(٣) روى أبو داود في «سننه» رقم ٤٥٩٧ عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام لنا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين التتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»، ورواه أحمد في «المستدرك» ١٠٢/٤ من حديث معاوية، وأبو داود في «سننه» رقم ٤٥٩٦ من حديث أبي هريرة، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو حديث صحيح لطريقه. وروى مسلم في «صحيحه» رقم ١٣٣٧ من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فروني ما تركتم لأنما هلك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فاتوا به ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فدعوه».

وروى مسلم في «صحيحه» ١٧/١٧٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِمَقْتَنِهِمْ مِنْهُمْ وَهَجَمَهُمْ إِلَّا بِقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... الحديث، قال النووي: المراد بهذا المقْت والنظر: ما قبل بعثة رسول الله ﷺ، والمراد بقايا الكتاب: الباقي على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل.





## سورة الزلزلة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدينة، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن مسعود، وجابر، وعطاء.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّسُرَاةٍ أُعْطَاهُمْ ۝ تَمَنَّىٰ يَمَنَّ الْفِتَالُ ۝ دَرَوُا خَيْرًا يَوْمَئِذٍ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾ أي: حُرِّكَتْ حركةً شديدةً، وذلك عند قيام الساعة. وقال مقاتل: تنزل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كلُّ ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، ثم تتحرك وتضطرب، فتُخْرِجُ ما في جوفها. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: تكون في الدنيا، وهي من أشرار الساعة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها زلزلة يوم القيامة، قاله خارجه بن زيد في آخرين. قال الفراء: حدثني محمد بن مروان، قال: قلت للكلبي: أرايت قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾؟ فقال: هذه بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨] فأضيف المصدر إلى صاحبه، وأنت قائل في الكلام: لأعطينك عطيتك، تريد عطية<sup>(١)</sup>. والزَّلْزَال بالكسر المصدر، وبالفتح: الاسم. وقد قرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو حيو الجحدري «زَّلْزَالها» بفتح الزاي.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: ما فيها من الموتى، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: كنوزها، قاله عطية. وجمع الفراء بين القولين، فقال: لفظت ما فيها من ذهب، أو فضة، أو ميت. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن، وهذا قول من جعلها من أشرار الساعة، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكلُّ أنها من أشرار الساعة، فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا. والثاني: أنه الكافر خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة؛ لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها، والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث، فلذلك يسأل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ قال الزجاج: «يَوْمَئِذٍ» منصوب بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ۝﴾ «وَأَخْرَجَتِ» ففي ذلك اليوم تحدث بأخبارها، أي: تخبر بما عمل عليها. وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) الذي في القرطبي: أي: عطيتي لك.

(٢) قال ابن كثير: قاله غير واحد من السلف، وهذه كقوله تعالى: ﴿يَبْقَا النَّاسُ أَثْقَرًا رَّبَّكُمْ لَكَ زُلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَرُّ عَذَابٍ»، وقوله: ﴿زُلْزَلَةُ الْأَرْضِ ثَلَاثٌ ۝ وَأَوَّلُهَا مَا فِيهَا وَثَقَتْ ۝ وَرَوَى سَلَمٌ فِي «صَحِيحِهِ» رَقْم ١٠١٣ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيم الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قُتِلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قُطِعْتُ رَحِمِي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُبِطْتُ يَدِي، ثم يَذْفُونَهُ فَلَا يَأْخُلُونَهُ مِنْ شَيْءٍ».

(٣) رواه الترمذي في «مسنده» ١٧١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وفي آخره «فهذه أخبارها» ورواه أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرک» ٥٣٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد أورده السيوطي في «الدر» ٣٨٠/٦ وزاد نسبته لمعد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة ؓ. وللحديث شاهد عند الطبراني من رواية ربيعة الجريسي.

قوله تعالى: ﴿بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ قال الفراء: تحدّث أخبارها بوحى الله وإذنه لها. قال ابن عباس: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها. وقال أبو عبيدة: ﴿لَهَا﴾ بمعنى «إليها»<sup>(١)</sup>. قال العجاج: وَحَىٰ<sup>(٢)</sup> لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَفْقَرْتُ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: فرّقاً. فاهل الإيمان على حدة، واهل الكفر على حدة، ﴿إِثْرًا أَعْمَلْتُمْ﴾ قرأ أبو بكر الصديق، وعائشة، والجحدري: «لِيَرَوْا» بفتح الياء. قال ابن عباس: أي ليروا جزاء أعمالهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرّقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتاً. فعلى هذا: يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف الغرض ﴿فَمَنْ يَكْمَلْ يَشْكَلْ دَرَجَةً﴾ قال المفسرون: من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشر يره<sup>(٤)</sup>، وقرأ أبان عن عاصم «يُره» بضم الياء في الحرفين. وقد بيّنا معنى «الذرة» في سورة [النساء: ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان: أحدهما: أنه يراه في كتابه. والثاني: يرى جزاءه. وذكر مقاتل: أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة، كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكسرة، أو التمرة. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، فأنزل الله ﷻ هذا يُرْغِبُهُم في القليل من الخير، ويُحَذِّرُهُم اليسير من الشر<sup>(٥)</sup>.



(١) قال ابن كثير: قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، واحد.

(٢) كذا في «القرطبي» و«اللسان»، وروايته في «مجاز القرآن» و«البحر» و«روح المعاني»: أوحى، وكلاهما صواب.

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» ٣٠٦/٢، و«القرطبي» ١٤٩/٢٠، و«البحر» ٥٠١/٨، و«روح المعاني» ١٠/٣٠، و«اللسان»: وحى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٥٩/٨ عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «الغيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ينثر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطاع لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها أي (حبيلها الطويل) ذلك في العرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت في طيلها فاستثقت (خذت) شرفاً أو شرفين (شوطاً أو شوطين) كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مروت بنهر فشرمت منه ولم يرد أن يسقي: كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ينثر، ورجل ربطها فخراً ورياء، ونواء (عداوة لأهل الإسلام) فهي على ذلك وزر»، فسل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، (أي عن صدقتها)، قال: «ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفأدة (المنفردة) الجامعة: ﴿فَمَنْ يَكْمَلْ يَشْكَلْ دَرَجَةً حَبِيرًا يَسَرُّ ۖ وَمَنْ يَكْمَلْ يَشْكَلْ دَرَجَةً شَرًّا يَسَرُّ﴾»، ورواه مسلم في «صحيحه» بأطول منه ٦٨٠/٢، ٦٨١.

(٥) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٣٤٠، والبيهقي في «التفسير» عن مقاتل بغير سند، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه، وعطاء بن دينار صدوق، إلا من روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته، وسعيد بن جبير أرملة.

## سورة العاديات

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا ۝ ١﴾ فَأَلْثَمْتَ قَدَمًا ۝ ٢﴾ فَأَلْمِيذَتِ صَبَاحًا ۝ ٣﴾ فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا ۝ ٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ ٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ ٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ ٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَاسُهُ فِي الْقُبُورِ ۝ ٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ ١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الإبل في الحج، قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي. وروي عن علي أنه قال: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. وروي عن علي أنه قال هذا في صفة وقعة بدر. قال: وما كان معنا يومئذ إلا فرس، وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان. والثاني: أنه الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع، واللغويون<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فلم يأت خبرها شهراً، فنزلت ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ صبحت بمناخرها ﴿فَأَلْثَمْتَ قَدَمًا﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورثت نارا ﴿فَأَلْمِيذَتِ صَبَاحًا﴾ صبحت القوم بغارة ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا﴾ أثار بحوافرها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: صبحت الحي جميعاً<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حَيٍّ من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجوا، فيظن الرجل أنه قد قُتل أخوه أو أبوه، أو عمه، فيجد من ذلك حزناً، فنزلت: ﴿وَالْمَدْيَنَ صَبَاحًا﴾ فأخبر الله كيف فعل بهم<sup>(٣)</sup>. قال الفراء: الضبح: أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَّزْنَ. وقال ابن قتيبة: الضبح: صوت حلوقها إذا عَدَّتْ. وقال الزجاج: ضببحا: صوت أجوافها إذا عَدَّتْ.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْثَمْتَ قَدَمًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل، فأصابت بحوافرها الحجارة، انقدحت منها النيران. والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت، روي عن ابن عباس. والثالث: مَكَّرُ الرجال في الحرب، قاله مجاهد، وزيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>. والرابع: نيران الحجيج بالمزدلفة، قاله القرظي. والخامس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة.

(١) قال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١، وفي سنده حفص بن جميع، وهو ضعيف. قال ابن كثير: وقد روى أبو بكر البزار هاتنا حديثاً غريباً جداً... فذكره وذكره. الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/١٤٢ من رواية البزار، وقال: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٨٣/٦ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) هذا خبر منقطع، ومقاتل توفي سنة ١٥٠هـ. بينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز، والحديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» مصدراً إياه بقوله: بعث رسول الله ﷺ سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد، وذكره القرظي وصدره بقوله: وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد. وكذلك الألويسي في «روح المعاني»، والله أعلم بصحته.

(٤) ورجحه الطبري.

(٥) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأورين لك بزئد وار، ولأقدحن لك.

قوله تعالى: ﴿فَالْمَغِيرَاتُ مِنْهُمْ﴾ (٤) هي التي تغير على العدو عند الصباح، هذا قول الأكثرين. وقال ابن مسعود: فالمغيرات صباحاً حين يُفيضون من جمع.

قوله تعالى: ﴿فَأَثَرَهُ يَوْمَهُ﴾ قال الفراء: يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك، وهذا جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع. والقمع: الغبار، ويقال: التراب. وقال الزجاج: المعنى: فآثرن بمكان عذوهم، ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دليل عليه ﴿فَوْسَطُنْ يَوْمَهُ جَمْعًا﴾ (٥) قال المفسرون: المعنى: توسطن جمعاً من العدو، فأغارت عليهم. وقال ابن مسعود: فوسطن به جمعاً، يعني مزدلفة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ لَكَوْنٌ﴾ (٦) هذا جواب القسم. والإنسان هاتنا: الكافر. قال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي. وفي «الكنود» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي يأكل وحده، ويمنع وفده<sup>(١)</sup>، ويضرب عبده، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الكفور، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثالث: لَوَامُ لِرَبِّهِ يَغْدُ المصيبات<sup>(٣)</sup>، وينسى النعم، قاله الحسن. قال ابن قتيبة: والأرض الكنود: التي لا تثبت شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ لَشَيْبَةً﴾ (٧) في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، [تقديره]<sup>(٤)</sup>: وإن الله على كفره لشهيد. والثاني: أنها ترجع إلى الإنسان، فتقديره: إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ لَشَيْبَةً﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ يعني: المال ﴿لَشَيْبَةٍ﴾. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وإنه من أجل<sup>(٥)</sup> حُبِّ المال لبخيل، هذا قول الحسن، وابن قتيبة، والزجاج. قال أبو عبيدة: ويقال للبخيل: شديد، ومُتَشَدِّدٌ. قال طرفة:

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَلْفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ<sup>(٦)</sup>  
والثاني: وإنه للخير لشديد الحب، وهذا اختيار الفراء. قال: فكان الكلمة لما تقدم فيها الحب، وكان موضعه أن يضاف إليه «شديد»، حذف الحب من آخره لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآي. ومثله «أَشَدَّتْ يَدُ الْخَيْلِ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ» [إبراهيم: ١٨] فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتْلُمُ﴾ يعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بَعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أنير وأخرج ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الْقُدُورِ﴾ (٨) أي: مُيِّزَ واستخرج. والتحصيل: تميز ما يحصل. وقال ابن عباس: أبزر ما فيها. وقال ابن قتيبة: مُيِّزٌ ما فيها من الخير والشر. وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: لو علم الإنسان الكافر ما له في ذلك اليوم لزهده في الكفر، ويأبى إلى الإسلام. ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (٩) وقال غيره: إنما قرئت «إن» بالكسر لأجل اللام، ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها. فإن قيل: أليس الله خبيراً بهم في كل حال، فلم خص ذلك اليوم؟ فالجواب أن المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ، ومثله ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] ومعناه: يجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزَخُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

(١) الرقد، بكسر الراء: العطاء والصلة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧٨/٣٠ وفي سننه جعفر بن الزبير، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير، وقال: هو متروك، فهذا إسناد ضعيف. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٢/٦: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف، وفي الآخر من لا أحرقة. وقال السيوطي في «الدرر» ٣٨٤/٦: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة... فذكره. ورواه الطبراني ٢٧٨/٣٠ من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفاً عليه.

(٣) وفي النسخة الاستنبولية، والطبري، والقرطبي: المصائب. (٤) زيادة من النسخة الاستنبولية.

(٥) في الأصل: من أحب، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستانبولية، ومن الطبري.

(٦) «مختار الشعر الجاهلي» ٣١٨/١ من معلقته، ومجاز القرآن: لأي عبدة ٣٠٨/٢، والطبري ٢٧٩/٣٠، والقرطبي ١٦٢/٢٠، و«شواهد الكشاف» ٣٩. ومعنى يَتَامُ الكرام: أي يختارهم، والعقيلة من كل شيء: أكرمه، يقول: أرى الموت يختار كرام الناس وصفوة مال البخلاء، أي: يأخذ النفيس الذي يضر به، كما يأخذ الحقيير فلا يفي شيئاً.

## سورة القارة

وهي مكية بإجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول [الحاقة].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ اليوم منصوب على الظرف. المعنى: يكون يوم يكون الناس ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غواء الجراد، قاله الفراء. قال ابن قتيبة: غواء الجراد: صغاره، ومنه قيل لعامة الناس: غواء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه طير ليس بيعوض ولا دُبَّان، قاله أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه ما تهافت في النار من البعوض، قاله ابن قتيبة. وكذلك قال الزجاج: ما يُرى كصغار البق تهافت في النار. وشبه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض. وذكر الماوردي: أن هذا التشبيه للكفار، فهم يتهافون في النار يوم القيامة تَهَافَّتْ الفَراش<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ فهو المنتشر والمتفرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ الذي قد ندف. قال مقاتل: وتصير الجبال كالصوف المندوف. فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل: فإذا مسسته لم تر شيئا، وذلك من شدة الهول.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾، أي: رجحت بالحسنات، وقد بيّنا هذه الآية في أول [الأعراف: ٤٨] ويبيّن معنى ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في [الحاقة: ٢١].

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾، وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، والجحدري «فإمه» بكسر الهمزة. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم رأسه هاوية، يعني: أنه يهوي في النار على رأسه، هذا قول عكرمة، وأبي صالح. والثاني: أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أُمُّهُ، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: فمسكرته النار. وإنما قيل لمسكرته: أمه، لأن الأصل السكن إلى الأمهات. والثار لهذا كالألم، إذ لا ماوى له غيرها، هذا قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، ويدل على صحة هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات العبد تلقى رُوحه أرواح المؤمنين، فتقول له<sup>(٤)</sup>: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: دُهِبَ به إلى أمه الهاوية، فَبُسَّتِ الأُمُّ،

(١) قال في «اللسان»: أصل القوّاء: الجراد حين يخف للطيّران، ثم استعير للسفلو من الناس والمتسرّعين إلى الشر، ويجوز أن يكون القوّاء: الصوت والجلبة، لكثرة لفظهم وصياحهم.

(٢) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: طير، لا بعوض ولا دُبَّاب، بالياء. ويجمع الذباب على دُبَّان، قال في «التاج»: والذباب: معروف، وهو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام، وقال الديرري في «حياة الحيوان»: سمي دُبَّاباً، لكثرة حركته واضطرابه، أو لأنه كلما دُبَّ آت، والذباب أيضاً: النحل. والواحدة من ذباب الطعام: دُبَّابة، بهاء، ولا تقل: دُبَّابة، وقال في ذباب النحل، لا يقال: دُبَّابة، والصواب: دُبَّاب، وهو واحد. وفي «التعليق»: واحد الدُبَّان: دُبَّاب بغير هاء، قال: ولا يقال: دُبَّابة، وفي التنزيل: ﴿وَلَا يَسْتَمِعُ النَّاسُ مِنْكُمْ شَيْئاً﴾ فسروه للواحد. والجمع: آفة، مثل غراب وأخريرة، ودُبَّان بالكسر مثل غِرْبَان.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٢٨٥ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مطي ومطكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجَنَابِيب (كالجرار) والفراش يَتَقَرَّنَ فيها وهو يلجئُهنَّ عنها، وأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي».

(٤) في «الدرر» ٦/٣٨٥ من رواية الحاكم: فيقولون له.

وَبَسَّتِ الْمَرْبِئَةَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ يعني: الهاوية. قرأ حمزة، ويعقوب «ما هي» بحذف الهاء الأخيرة في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين. قال الزجاج: الهاء في «هي» دخلت في الوقف، لتبين فتحة الياء، فالوقف «هي» والوصل هي نار. والذي يجب اتباع المصحف. والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها، ولا توصل. ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: حارة قد انتهى حرها<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٥٣٢ من الحسن مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٣٨٥ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه، وبأطول منه من رواية ابن مردويه أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً. والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً، ولم يعزه لأحد. ورواه ابن جرير الطبري موقوفاً على الأشعث بن عبد الله الأعمى. وذكره السيوطي أيضاً في «الدر» ٦/ ٣٨٥ من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوفاً عليه بأطول منه.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» رقم ٢٣٨/٦، ومسلم في «صحيحه» رقم ٢٨٤٣ عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «تاركم هذه التي يؤقّد ابن آدم، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «لإنها فضّلت عليها بنسمة وستين جزءاً كلها مثل حرّها» واللفظ لمسلم. وروى البخاري ٢٣٨/٦، ومسلم رقم ٦١٧ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن بها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»، واللفظ لمسلم. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»، واللفظ لمسلم. وفيح جهنم: سطوع حرها وانتشاره وغليانها.

## سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وينو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن حين من قریش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما لِحَاءً<sup>(٢)</sup>، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّداً، وأعرُ نقرأ. وقال أولئك مثل هذا؛ فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكثّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم، فكثّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم، قاله ابن السائب، ومقاتل<sup>(٣)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَيْكُمُ الْفَكَارُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّ الْعَارِيقِينَ ۝ ثُمَّ لَتَنُفَسْنَ نَفْسَكُمُ الْيَوْمَ عَنِ النَّفْسِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْهَيْكُمُ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، والشعبي، وأبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عبة: «ألهاكم» بهمزتين مقصورتين على الاستفهام. وقرأ معاوية، وعائشة «ألهاكم» بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً. ومعنى الهاكم: شغلكم عن طاعة الله وعبادته. وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال: أحدها: التكاثر بالأموال والأولاد، قاله الحسن. والثاني: التفاخر بالقبائل والعشائر، قاله قتادة. والثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قولان: أحدهما: حتى أدرككم الموت على تلك الحال، حضرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار، كرجوع الزائر إلى منزله. والثاني: حتى زرتهم المقابر فتدّدتم من فيها من موتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: هي ردع وتنبية. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر.

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١ عن قتادة بغير سند، وكذا ذكره البغوي في التفسير، وذكره القرطبي عن مقاتل وفتادة بغير سند. ورواه الطبري ٢٨٣/٣٠ من طريق معمر عن قتادة ﴿الْهَيْكُمُ الْفَكَارُ﴾ قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وينو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، ولم يذكر أنهم اليهود. ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٧/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أي منازعته. قال في «اللسان»: ولاحيته ملاحاةً ولِحَاءً: إذا نازعته، قال: واللحاء ممدود: الملاحاة كالسباب، ولاحي الرجل ملاحاةً ولِحَاءً: شاته، وتلاحي الرجلان: تشاتما. ولاحي فلان فلاناً ملاحاةً ولِحَاءً: إذا استقصى عليه. قال: واللحاء: اللعن، واللحاء: العذل.

(٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي في «التفسير» عن مقاتل والكلبي بغير سند، والكلبي هو محمد بن السائب النسابي المفسر، متهم بالكذب، وقد ضعفه غير واحد، وكذلك ذكره القرطبي وأبو حيان والألويسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند، وأورده ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان ابن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿الْهَيْكُمُ الْفَكَارُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝﴾. وصالح بن حيان القرظي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التريب». قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَنُفَسْنَ نَفْسَكُمُ الْيَوْمَ عَنِ النَّفْسِ﴾ أي صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعود فقال: «لا بأس بطهور إن شاء الله»، فقال: قلت: «طهور» بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، قال: «فنعن إذن»، والآية عامة في كل من ألته دنياه عن آخرته.

(٤) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٩٥٨ عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿الْهَيْكُمُ الْفَكَارُ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأفقيت»، وروى مسلم أيضاً رقم ٢٩٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأنسى، أو ليس فأبلى، أو أعطى فأنسى (أخبره لأخرته) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتارك للناس». وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نَمَلُوكُكُمْ﴾ عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لَسَمَلَكُمْ ما تعلمون عن التكاثر، والتفاخر. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف: وهو ما ذكرنا. ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ﴿٢﴾ نَدَّرَ لَتَرَوُنَّ﴾ بفتح التاء. وقرأ مجاهد، وعكرمة، وحמיד، وابن أبي عبيدة «لَتَرَوُنَّ» «لَتَرَوُنَّ» بضم التاء فيهما من غير همز ﴿لَتَرَوُنَّ عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ﴿٣﴾ أي: مشاهدة، فكان المراد بـ ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ نفسه، لأن عين الشيء: ذاته.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ ﴿٤﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عام، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه خاص للكفار، قاله الحسن. والثاني: عام، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال: أحدها: أنه الأمن والصحة، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وتارة يأتي موقوفاً عليه<sup>(٣)</sup>، وبه قال مجاهد والشعبي. والثاني: أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الخبز البُرُّ والماء العَذْبُ، قاله أبو أمامة. والرابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله. والخامس: أنه صحة الأبدان<sup>(٥)</sup>، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباس. وقال قتادة: هو العافية. والسادس: أنه الغذاء والعشاء، قاله الحسن. والسابع: الصحة والفراغ، قاله عكرمة<sup>(٦)</sup>. والثامن: كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>. والتاسع: أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ، قاله القرطبي. والعاشر: أنه صنوف النعم، قاله مقاتل. والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يؤخده. والمؤمن يسأل عن شكرها. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ثلاث

- (١) والصحيح أن السؤال عام، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ، لأنه ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف، لأنه شكر. قال ابن جرير الطبري: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ يقول: ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا علمتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيما أصبتموه؟ وماذا علمتم به؟ وقال ابن كثير: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم نعمة من شكره وعبادته. وروى الترمذي عن أبي هريرة الأسلمي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهد.
- (٢) ذكره ابن كثير من رواية أبي حاتم من طريق إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان ابن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود. ومحمد بن سليمان الأصبهاني، صدوق يخطئ، وابن أبي ليلى، صدوق سيئ الحفظ، و عامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود. فالحديث ضعيف، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن مردويه عن ابن مسعود.
- (٣) رواه الطبراني ٢٨٦/٣٠ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وهناد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.
- (٤) رواه الترمذي ١٧١/٢، والطبري ٢٨٨/٣٠ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعني العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نصنع لك جسمك ونفوسك من الماء البارد؟» وقال: هذا حديث غريب، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لأحمد في «زوائد الزهد»، وعبد بن حميد، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
- (٥) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ أَلْسِنَةً وَالْأَعْيُنَ وَالْأَفْئِدَةَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحًا﴾. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٧/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس ؓ.
- (٦) روى البخاري في «صحيحه» ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٩٧/١١: وقوله في الحديث: «مغبون فيهما كثير من الناس» قوله تعالى: ﴿وَيَذَلُّكَ مِنْ يَدَيْكَ أَشْكُورٌ﴾، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبين بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المنبون. قال ابن حجر: وأشار بقوله: «كثير من الناس» إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. ونقل عن ابن الجوزي قوله: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المنبون، وتتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغها وصحته في طاعة الله فهو المنبون، ومن استعملها في معصية الله فهو المنبون، لأن الفراغ يعقب الشغل، والصحة يعقب السقم.
- (٧) وقول مجاهد هذا يشمل جميع الأقوال المتقدمة.



لا أسأل عبيدي عن شكرهم وأسأله عما سوى ذلك: بيت يَكْنُتهُ، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يوارى به عورته من اللباس»<sup>(١)</sup>.



(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٩١ من رواية عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، عن الحسن مرسلًا، وهو ضعيف في المرفوع، ورواه الطبري في «تفسيره» ٣٠/ ٢٨٩ بنحوه عن الحسن وقتادة من كلامهما، ولم يذكره في المرفوع. وروى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٠٣٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبه، ثم قال: الحمد لله ما أحذ اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعقد (غصن) فيه بُسر وتمر ووطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المديّة (السكين) فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب!» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة ومن ذلك الملق، وشربوا، فلما أن شبعوا ووزّوا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن من هذا التميم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا التميم».

## سورة العصر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، وابن الزبير، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَيْرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدهر، قاله ابن عباس، وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتبية. وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم. والثاني: أنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة. والثالث: صلاة العصر، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَيْرٌ ۝٢﴾ قال الزجاج: هو جواب القسم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد الدراهم. والخسر والخسران في معنى واحد. قال أهل المعاني: الخسر: هلاك رأس المال أو نقصه. فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران، لأنه عمل في إهلاك نفسه، وهما أكبر رأس ماله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۝٢﴾ أي: صدَّقُوا الله ورسوله، وعملوا بالطاعة ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ۝٣﴾ أي: بالتوحيد، والقرآن، واتباع الرسول ﴿وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ على طاعة الله، والقيام بشريعته. وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة: إن الإنسان إذا عُمر في الدنيا لفي نقص وضعف، إلا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحتهم<sup>(٢)</sup>.



(١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور، لقوله عليه الصلاة والسلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» متفق عليه. ولقوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» رواه مسلم. والأعم من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر، قاله ابن كثير.

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم. وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، والثانية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

## سورة الهمزة

### وهي مكية بإجماعهم

قال هبة الله المفسر<sup>(١)</sup>: وقد قيل: إنها مدنية. واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه، أم نزلت عامة؟ على قولين: أحدهما: نزلت في حق شخص بعينه. ثم فيه ستة أقوال: أحدها: الأخنس بن شريق، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: العاص بن وائل السهمي، قاله عروة. والثالث: جميل بن عامر، قاله ابن أبي نجیح. والرابع: الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج، ومقاتل. والخامس: أمية بن خلف، قاله ابن إسحاق. والسادس: أبي بن خلف، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُبَذَّنَ فِي النَّارِ ۝ وَمَا أَزْوَكَ مَا النَّارُ ۝ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَلْقَى عَلَى الْآفَاقِ ۝ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۝ فِي عَذَابٍ مُّتَدَدٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝﴾ اختلَفوا في الهمزة واللُّمَزَةُ هل هما بمعنى واحد، أم مختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما مختلفان. ثم فيهما سبعة أقوال: أحدها: أن الهمزة: المَغْتَاب، واللُّمَزَةُ: العِيَاب، قاله ابن عباس. والثاني: أن الهمزة: الذي يهزم الإنسان في وجهه. واللُّمَزَةُ: يَلْمُزُهُ إذا أدبر عنه، قاله الحسن، وعطاء، وأبو العالية. والثالث: أن الهمزة: الطَّعَانُ في الناس، واللُّمَزَةُ: الطَّعَانُ في أنساب الناس، قاله مجاهد. والرابع: أن الهمزة: بالعين، واللُّمَزَةُ: باللسان، قاله قتادة. والخامس: أن الهمزة: الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللُّمَزَةُ: الذي يَلْمُزُهُم بلسانه، قاله ابن زيد. والسادس: أن الهمزة: الذي يهزم بلسانه، واللُّمَزَةُ: الذي يلمز بعينه، قاله سفيان الثوري. والسابع: أن الهمزة: المَغْتَاب، واللُّمَزَةُ: الطَّاعِن على الإنسان في وجهه، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الهمزة: العِيَاب الطَّعَان، واللُّمَزَةُ مثله. وأصل الهمز واللمز: الدفع، قاله ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: الهمزة اللُّمَزَةُ: الذي يغتاب الناس ويغضُّهم<sup>(٣)</sup>. قال الشاعر:

إِذَا لَوَيْتُكَ عَنْ كُرْوَةٍ تُكَاشِرُنِي

وَأِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتُ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح: «جَمَعَ» بالتشديد. والباقون بالتخفيف.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وابن يعمر بتخفيفها<sup>(٥)</sup>. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: أحصى عَدَدَهُ، قاله السدي. والثاني: أَعَدَّهُ لما يكفيه في

(١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضريع المفسر، من أهل بغداد، وبها وفاته، كانت له حلقة في جامع المنصور، له مؤلفات، منها «الناسخ والمنسوخ في القرآن» مطبوع، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠هـ).

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عم بالقول كل همزة لُمَزَة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائنًا من كان من الناس.

(٣) في الأصل: وبعضهم، والتصحيح من «اللسان» ومجاز القرآن، والطبري، والغض: الهمز والعيب.

(٤) تقدم البيت ص ٥٨٩، ورواية الشطر الأول: إذا لويتك تبدي لي مكاشرة.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أنه قرأ «جمع مالا وعدده» بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالا، وجمع عشيرته وعدده، قال: وهذه قراءة لا استجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

السَّنين، قاله عكرمة. قال الزجاج: من قرأ «عَدَّه» بالتشديد، فمعناه: عدَّه للدهور. ومن قرأ «عَدَّه» بالتخفيف، فمعناه: جمع مالا وعدداً، أي: وقوماً اتخذهم أنصاراً.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبَنَّ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٢) أخلده بمعنى يخلده، والمعنى: يظن ماله مانعاً له من الموت، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يخلده ماله ولا يبقى له ﴿يَلْبُدَنَّ﴾ أي: لِيُظَرَّحَنَّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ وهو اسم من أسماء جهنم. سميت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لحُطْمَة. وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عبله، وابن محيصن: «اليندان» بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأُفُقَةِ﴾ (٦) أي: تَأْكُلُ اللحم والجلود حتى تقع على الأفئدة فتحرقها. قال الفراء: يبلغ ألمها الأفئدة. والاطِّلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت. وقال ابن قتيبة: تَطَّلَعُ على الأفئدة، أي: توفي عليها وتشرف. لأن الألف إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسير ﴿مُؤَمَّدَةً﴾ في سورة [البعد: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فِي عَذْرِ﴾ قرأ حمزة، وخلف، والكسائي، وعاصم إلا حفصاً بضم العين، وإسكان الميم. قال المفسرون: وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار. وفي «معنى الباء» والمعنى: مطبقة بعُمْدٍ. قال قتادة: وكذلك هو في قراءة عبد الله. وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ من حديد، حتى يرجع عليهم غمُّها وحرُّها. و﴿مُئَمَّدَةً﴾ صفة العُمْد، أي: أنها ممدودة مطوَّلة، وهي أرسخ من القصيرة. وقال قتادة: هي عُمْدٌ يعذبون بها في النار<sup>(١)</sup>. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَذْرِ مُئَمَّدَةٍ﴾ (١) قال: القيود الطوال.



## سورة الفيل

### مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ يَّبْرِيلَ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ألم تُخَيِّرْ، قاله الفراء. والثاني: ألم تَعْلَمْ، قاله الزجاج. ومعنى الكلام معنى التعجب. وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة. وفي سبب قصدهم لذلك قولان: أحدهما: أن أبرهة بنى بيعة<sup>(١)</sup> وقال: لست منتهياً حتى أضيف إليها حجَّ العرب، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فخرج، فدخلها ليلاً، فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة، فحلف ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها، قاله ابن عباس. والثاني: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بيعة، فأوقدوا ناراً، وشوؤوا لحماً، فلما رَحَلُوا هَبَّتْ الرِّيحُ، فاضطرم المكان ناراً، فغضب النجاشي لأجل البيعة، فقال له كبراء أصحابه: منهم حجر بن شراحيل، وأبو يكسوم -: لا تحزن، فنحن نهديم الكعبة، قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أبو يكسوم اسمه أبرهة بن الأشرم. وقيل: وزيره، وجنجر من قواذيه.

### ذكر الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدمها خرج معه بالفيل، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نِعم الناس، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب، وبعث بعض جنوده، فقال: سل عن شريف مكة، وأخبره أني لم آت لقتال، وإنما جئت لأهيم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت، ثم ينصرف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال، وما لنا به يد، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه، فهو بيته وحرمة، وإن يخلُ بينه وبين ذلك، فوالله ما لنا به قوة. قال: فانطلق معي إلى الملك، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه، وكرمه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان، فقال: حاجتي أن يرُدَّ عليّ مائتي بعير أصابها. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه، فلم تكلمني فيه، وكلمتني لإبل أصبتها. فقال عبد المطلب: أنا ربُّ هذه الإبل، ولهذا البيت ربُّ سيمنعه. فأمر بإبله فَرُدَّتْ عليه، فخرج، فأخبر قريشاً، وأمرهم أن يتفرَّقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من مَعَرَّةِ الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يَا رَبِّ فَأَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ

أَمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرْآنَكَ

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَ

وقال أيضاً:

(١) البيعة بكسر الباء: كنيسة النصراني، وقيل: كنيسة اليهود، والجمع: بيع.

لَا هُمْ<sup>(١)</sup> إِنَّ الْمَرَّةَ يَنْفُذُ  
لَا يَنْفُذُ بَنَ صَليْبُهُمْ  
جَرُّوا جَمِيعَ بِلَادِهِمْ  
عَمِدُوا جَمَاكَ بِكَيْدِهِمْ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكُفَّ

نَحْنُ رَحَلَهُ فَاَمْنَحْ حَلَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَمَحَالُهُمْ عَزَدُوا مَحَالَكَ<sup>(٣)</sup>  
وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُؤُوا عِيَالَكَ  
جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ  
بَنَّا قَامَرًا بِدَالَكَ

ثم إن أبرهة أصبح مهتياً للدخول، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه، فأبى، فوجهوه إلى اليمن راجعاً، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى الحرم، فأبى، فأرسل الله طيراً من البحر. واختلفوا في صفتها، فقال ابن عباس: كانت لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكفت كأكفت الكلاب. وقال عكرمة: كانت لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن إسحاق: كانت أمثال الخطاطيف. واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير. والثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير. والثالث: بيضاء، قاله قتادة. قال: وكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حَجَرَانِ في رجله، وحجر في منقاره. واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم: كانت كأمثال الحمص والعدس. وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر ك رأس الرجل والجمل، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك. وكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره. وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا الحرم، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه، فهلك، ورأى أهل مكة الطير وقد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة. ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينبج من القوم إلا أبو يكسوم، فسار، وطائر يطير من فوقه، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي، فأخبره بما أصاب القوم، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه<sup>(٤)</sup>. واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وهو الأصح<sup>(٥)</sup>. والثاني: كان بينهما ثلاث وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، حكاه مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ﴿فِي تَفْصِيلٍ﴾ أي: في ذهاب. والمعنى: أن كيدهم ضلَّ عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبْيَلَ﴾. وفي «الآبَابيل» خمسة أقوال: أحدها: أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود، والأخفش. والثاني: أنها المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً،

(١) لاهم: أصلها: اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكفي بما بقي، كما تقول: لاؤ أبوك، وهي تريد: لا أبوك، وكما قالوا أيضاً: أجنك تفعل كذا وكذا، أي: من أجل أنك تفعل كذا وكذا. والجلال: بكسر الحاء جمع حلة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا: القوم الحلول، والجلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا.

(٢) البيت في الأصل:

لَاهِمَ إِنْ الْمَرَّةَ يَمْنَحُ رَحْمَةً

لَاهِمَ إِنْ الْمَرَّةَ يَمْنَحُ رَحْمَةً

وهو خطأ، والتصحيح من سيرة ابن هشام: وكب الضير.

(٣) عَلُوا، أي غداً، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحفظت لاهم، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر. واليهال بكسر الهميم: القوة والشدة.

(٤) ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وفي سننه جهالة، ومن رواية الواقدي، والله أعلم.

قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد غزموا على دهم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آتافهم وغيَّب سعيهم وأصل عملهم وردهم بشر نخية، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم تنصركم يا معشر قريش على الحبسة لخيريكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء.

(٥) قال ابن كثير: ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال.

قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: الكثيرة، قاله الحسن، وطاووس. والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح، وكذلك قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: «الأبايل»: جماعات في تفرقة. والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم. قال الفراء، وأبو عبيدة: «الأبايل» لا واحد لها.

قوله تعالى: ﴿تَرْيِمِهِمْ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلمي «يرميهم» بالياء، وقد بينا معنى «يَرْيِمُ» في [مرد: ٨٢]، ومعنى «العصف» في سورة [الرحمن ١٢: ١٢]. وفي معنى «تَأْكُلُ» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه. والثاني: أن يكون أراد أن العصف مأكول البهائم، كما يقال للحنطة: هذا المأكول ولمّا يؤكل. وللماء: هذا المشروب ولمّا يشرب، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب، ذكرهما ابن قتيبة. والثالث: أن المأكول هاهنا: الذي وقع فيه الأكال. فالمعنى: جعلهم كورق الزرع الذي جفّ وأكل، أي: وقع فيه الأكال، قاله الزجاج.



## سورة قریش

### ويقال لها: سورة لإيلاف

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، وابن السائب. واختلف القراء في «الإيلاف» فقرأ ابن عامر «الإلاف» بغير ياء بعد الهمزة، مثل: لعلاف. وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز. وروى حماد بن أحمد عن الشموني بهزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن لعلاف. وقرأ الباقون بعدها ياء ساكنة، مثل لعيلاف<sup>(١)</sup>. وفي لام «الإيلاف» ثلاثة أقوال: أحدها: موصولة بما قبلها، المعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قریش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قریش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف [هذا قول الفراء والجمهور. والثاني: أنها لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف]<sup>(٢)</sup>، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش، والكسائي. والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين، فإذا عَرَّضَ لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يَتَّعِزُّ لهم، قال الزجاج: وهذا الوجه قول النحويين الذين ترضى أقوالهم. وقال ابن قتيبة: بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة، وأكثر الناس على أنهما سورتان، وإن كانتا متصلتي الالفاظ<sup>(٣)</sup>. والمعنى: إن قریشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء. والحرم وإد جديب لا زرع فيه ولا شجر، وإنما كانت قریش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة، رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام. ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدروا على التصرف، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكتهم الله لتقيم قریش بالحرم، فذكرهم الله نعمته بالسورتين. والمعنى: أنه أهلك أولئك ليؤلف قریشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما<sup>(٤)</sup> معاشهم، ومقامهم بمكة. تقول: ألقت موضع كذا: إذا لزمته، وألفنيه الله، كما تقول: لزمت موضع كذا وكذا، وألزمنيه الله، وكرر ﴿لِإِنِّي﴾ للتوكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس. قال الزجاج: يقال: ألقت المكان ألفاً، وألفته إيلافاً بمعنى واحد. وأما قریش فهم ولد النضر بن كنانة، وكل من لم يلد له النضر فليس بقرشي. وقيل: هم من ولد فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلد له فهر فليس بقرشي. وإنما سموا قریشاً لتجارتهم وجمعهم المال. والقرش: الكسب. يقال: هو يقرش لعياله، ويقترش، أي: يكتسب. وقد سأل معاوية ابن عباس رضي الله عنه: لم سميت قریش قریشاً؟ فقال ابن عباس: بدابة تكون في البحر يقال لها: القریش لا تمر بشيء من العث<sup>(٥)</sup> والسمين إلا أكلته. وأنشد:

وقريش هي التي تسكن البحر

رَبِّهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا<sup>(٦)</sup>

- (١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه ﴿لِإِنِّي قُرَيْشٌ﴾ بإثبات الياء فيها بعد الهمزة من ألقت الشيء أولفه إيلافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه.
- (٢) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإسنبلية. وصوب ابن جرير هذا القول، وقال: ذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان.
- (٣) قال ابن كثير: هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف، كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلاف قریش، أي لانتلائهم واجتماعهم في بلدهم آمين.
- (٤) في الأصل: التي بها.
- (٥) العث: الرديء من كل شيء.
- (٦) البيت في البيهقي ٢٤٧/٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمعي، وهو في «الدر المنثور» ٢/٣٩٨، و«روح البيان» ٣٠/٢٣٩، وأورده القرطبي ونسبه إلى تبع.



وقال ابن الأنباري: قال قوم: سُئِمُوا قريشاً بالافتقار، وهو وقوع الرُمَاح بعضها على بعض. قال الشاعر:

ولما دَنَا الرِّايَاتُ وَافْتَرَضَ القَنَا  
وَطَارَ مَعَ القَوْمِ القُلُوبُ الرُّوَا جِفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِيُؤْتِيَهُمْ فَرَقٌ﴾ ① ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ رِزْقًا لِّسَاءٍ وَالصَّيْفِ﴾ ② ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ③ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ حَؤُوبٍ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر وابن فليح عن ابن كثير، والوليد بن عتبة عن ابن عامر، والتغليبي عن ابن ذكوان، عنه «إلافهم» بهمزة مكسورة من غير ياء بعدها، مثل: علافهم. وروى الخزاعي عن ابن فليح، وأبان بن تغلب عن عاصم «إلفهم» بسكون اللام أيضاً. ورواه الشموني إلا حماداً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة، ورواه حماد كذلك إلا أنه حذف الياء. وقرأ الباقر بهمزة مكسورة بعدهما ياء ساكنة مثل «علافهم». وجمهور العلماء على أن الرحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة، ويصفون بالطائف. قال الفراء: والرحلة منصوبة بإيقاع الفعل عليها.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ③ أي: ليوحدوه ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: بعد الجوع، كما تقول: كسوتك من عُزَي، وذلك أن الله تعالى آمنهم بالحرم، فلم يُتَعَرَّضْ لهم في رحلتهم، فكان ذلك سبباً لإطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع. وروى عطاء عن ابن عباس قال: كانوا في ضُرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى استغنوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ حَؤُوبٍ﴾ وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حماهم، وإن سافروا قيل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يَغْرَضُ لهم أحد<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن كثير: ثم أرشدكم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ③ أي: فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنَّمَا تَرَكَ مَكَّةَ وَمَا فِيهَا وَلَهُ كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْهَا وَاللَّهُ غَافِلٌ عَنِ الْمُفَكِّهِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ حَؤُوبٍ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً، قال: ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلّهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلّهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلّهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

## سورة الماعون

### ويقال لها: سورة أرايت

وفيها قولان، أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة. وقال هبة الله المفسر: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ۚ فَلْيَاذْكُرْ الَّذِي بِدْعُ الْيَمِينِ ۚ وَلَا يَخْشُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ ۚ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۚ وَيَسْتَكْبِرُونَ ۚ كَالْمَاعُونِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ اختلِفوا فيمن نزلت هذه الآية على ستة أقوال: أحدها: نزلت في رجل من المنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك. والثالث: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي. والرابع في العاص بن وائل، قاله ابن السائب. والخامس: في أبي سفيان بن حرب، قاله ابن جريج. والسادس: في أبي جهل، حكاه الماوردي. وفي «الدين» أربعة أقوال: أحدها: أنه حكم الله ﷻ، قاله ابن عباس. والثاني: الحساب، قاله مجاهد، وعكرمة. والثالث: الجزاء، حكاه الماوردي. والرابع: القرآن، حكاه بعض المفسرين، و﴿يَدْعُ﴾ بمعنى يدفع. وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الطور: ١٧]. والمعنى: أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً ليأخذ ماله. وقد بينّا فيما سبق أنهم كانوا لا يؤثرون الصغير، وقيل: يدفع اليتيم إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه ﴿وَلَا يَخْشُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذّب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. فإن كانوا مع النبي ﷺ صلّوا رياءً، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ وقال ابن مسعود: والله ما تركوها البتة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها. وقال ابن عباس: يؤخّرونها عن وقتها. ونقل عن أبي العالية أنه قال: هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر. وردّ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأن رسول الله ﷺ قد سها في صلاته، ولأنه قال تعالى: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذاك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم. قال الشيخ رحمه الله: قلت: ولا أظن أن أبا العالية أراد السهو النادر، وإنما أراد السهو الدائم، وذلك يبتنى عن التفات القلب عن احترام الصلاة، فيتوجّه الذم إلى ذلك لا إلى السهو<sup>(١)</sup>. وفي «الْمَاعُونِ» ستة أقوال: أحدها: أنه الإبرة، والماء، والنار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النحو، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وإلى نحوه ذهب ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إما عن فعلها بالكليّة، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكليّة، كما قاله مسروق وأبو الضحى، وإما عن وقتها الأول فيؤخّرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور بها، وإما عن الخشوع فيها والتدبّر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من أتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج أبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ ۚ كَالْمَاعُونِ﴾ قال: ما يتعاروه الناس بينهم: الفأس، والقدرة، والدلو وأشباهه.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن ابن مسعود قال: كنّا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارئةً الدلو، والقدرة، والفأس، والميزان وما تتعاطون بينهم.

وابن عباس في رواية. وروى عنه أبو صالح أنه قال: الماعون: المعروف كله حتى ذَكَرَ الْقَدْرَ، والقصة، والفأس. وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن، فراءى في صلاته، وسها عنها<sup>(١)</sup>، ومنع هذا. قال الزجاج: والماعون في الجاهلية: كل ما كان فيه منفعة كالفأس، والقدر، والدلو، والقداحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضاً. والثاني: أنه الزكاة، قاله علي، وابن يعمر، والحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس في رواية. والرابع: المال، قاله سعيد بن المسيب، والزهري. والخامس: المعروف، قاله محمد بن كعب. والسادس: الماء، ذكره الفراء عن بعض العرب<sup>(٢)</sup> قال: وأنشدني:

يَمِجُ صَبِيرُهُ الْمَاعُونَ صَبِيًّا<sup>(٣)</sup>

والصبير: السحاب.



(١) في الأصل: وسها هذا، والتصحيح من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: وقال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المنخل، والدلو، والإبرة. روى ابن أبي حاتم. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو: ترك المعاونة بمال أو بمنفعة.

(٣) ذكره القرطبي ٢٠/٢١٤.

## سورة الكوثر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله الحسن، وعكرمة، وقناة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

وفي «الكوثر» ستة أقوال: أحدها: أنه نهر في الجنة. روى البخاري في أفراده من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا أنا أسير في الجنة»<sup>(١)</sup> إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ﷻ، فإذا طينه، أو طيبه مسك أذفر»<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم أيضاً في أفراده من حديث أنس قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة<sup>(٣)</sup>، ثم رفع رأسه متبسماً إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضَحَكْتَ؟ فقال: «إنه أنزل عليّ الآن آتفاً»<sup>(٤)</sup> سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ حتى ختمها. وقال: «هل تدرون ما الكوثر؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة عليه خير كثير تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة آتيه عدد كواكب السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحضنوا بعدك»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن الكوثر: الخير الكثير الذي أُعْطِيَ نبيُّنا ﷺ، قاله ابن عباس. والثالث: العلم والقرآن، قاله الحسن. والرابع: النبوة، قاله عكرمة. والخامس: أنه حوض رسول الله ﷺ الذي يكثر الناس عليه، قاله عطاء. والسادس: أنه كثرة أتباعه وأتته، قاله أبو بكر بن عياش.

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ في هذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: صلاة العيد. وقال قتادة: صلاة الأضحى. والثاني: صلاة الصبح بالمزدلفة، قاله مجاهد. والثالث: الصلوات الخمس، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿وَانْحَرْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: اذبح يوم النحر، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور. والثاني: وضع اليمين على اليسرى عند النحر في الصلاة. والثالث: أنه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والرابع: أن المعنى: صلِّ لله، وانحر لله، فإن ناساً يصلون لغيره، وينحرون لغيره، قاله القرطبي<sup>(٦)</sup>. والخامس: أنه استقبال القبلة بالنحر، حكاه الفراء<sup>(٧)</sup>.

(١) أي ليلة الإسراء، كما في رواية البخاري في «التفسير» ٨/٤٢٢ عن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «وأتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر».

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» بهذا اللفظ في كتاب الرقاق، باب الحوض ١١/٤١٢ وشك الراوي في آخره، وهو (هدية بن خالد) في رواية: «فإذا طينه أو طيبه»، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/٤١٢: أراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك في روايته، أنه بالنون، وهو المعتمد. قال: وتقدم في تفسير سورة الكوثر من طريق شيان عن قتادة: فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر. والأذفر: طيب الريح.

(٣) أي: نام نومة. (٤) أي: قريباً.

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» ١/٣٠٠، واللفظ الذي أورده المصنف هنا لفظ أحمد في «السند»، ورواية مسلم تختلف سيراً عن رواية أحمد. قال ابن كثير: وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسلة من السورة، وأنها منزلة معها.

(٦) قال ابن كثير: أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونحرك فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ سَأَلْتُمْ رُسُلِي وَنَسِيتُمْ وَصَايَ وَمَسَاكِي وَرَبِّ الْآلَمِينَ ﴿١﴾ لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ بُرِّئَ رُؤُسُ أَهْلِ الْآلَمِينَ﴾ قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البدن ونحوها. وكلنا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وسعيد بن أبي خالد، وغير واحد من السلف، وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَيْنَ اللَّهِ عَتِيَةً إِنَّهُ يَئِسُ ﴿١﴾﴾ الآية.

(٧) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ شَانِئًا﴾ اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد، وفيه أناس من صناديد قريش، فقالوا له: مَنْ الذي كُنْتَ تُحَدِّثُ؟ قال: ذاك الأبر، يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبر، فأنزل الله ﷻ هذه السورة. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاص: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه أبو جهل، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أبو لهب، قاله عطاء. والرابع: عقبة بن أبي معيط، قاله شمر بن عطية. والخامس: أنه عنى به جماعة من قريش، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>. والثاني: المبغض، والأبر: المتقطع عن الخير<sup>(٢)</sup>.



= والآلهة، وكذلك تحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفه له، وخضك به من إعطائه إياك الكوثر. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن، وقد سبق إلى هذا المعنى، محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

(١) قال ابن كثير: قال الزوار: حدثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى الصنبر المنير من قومه؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِيَّاكَ شَانِئًا هُوَ الْاَبْرُ﴾. قال ابن كثير: هكذا رواه الزوار، وهو إسناد صحيح. وجاء في «اللسان» مادة (صنبر) أصل الصنبر: سعة تنبت في جلع النخلة، لا في الأرض، قال أبو عبيدة: الصنبر: النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر، يقال: صنبر أسفل النخلة. ومراد كفار قريش: أنه إذا قلع انقطع ذكره كما يذهب أصل الصنبر لأنه لا عقب له. وقال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المتقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

(٢) قال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله ﷻ ﴿إِيَّاكَ شَانِئًا هُوَ الْاَبْرُ﴾ قال: وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبر: الذي إذا مات، انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلاً، بل قد أبقي ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

سورة الكافرون<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتَ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتَ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور. والثاني: مدنية، روي عن قتادة.

ذكر سبب نزولها. اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل، لو أن ابن أخيك أسلم بعض ألفتنا لصدقناه بما يقول ولأمتنا بإلهه، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف لقيا رسول الله ﷺ فقالا: يا محمد، لا ندعك حتى تتبع ديننا، وتتب دينك، فإن كان أمرنا رشداً كننت قد أخذت بحظك منه، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه، فنزلت هذه السورة، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبع دينك عاماً، وترجع إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة، قاله وهب. قال مقاتل في آخرين: نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين، ولم يبق<sup>(٢)</sup> من الذين نزلت فيهم أحد<sup>(٣)</sup>. وأما قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فهو في موضع «مَنْ» ولكنه جعل مقابلاً لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهي الأصنام. وفي تكرار الكلام قولان: أحدهما: لتأكيد الأمر، وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء. وقد أنعمنا<sup>(٤)</sup> شرح هذا في سورة الرحمن: ١٣. والثاني: أن المعنى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في حالي هذه ﴿وَلَا أَنْتَ﴾ في حالكم ﴿عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ فيما استقبل، وكذلك أنتم، نفى عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال، وهذا في قوم بأعيانهم، أعلمه الله ﷻ أنهم لا يؤمنون، كما ذكرنا عن مقاتل، فلا يكون حينئذ تكراراً، هذا قول ثعلب، والزجاج<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فتح ياء ﴿وَلِيَ﴾ نافع، وحفص، وأبان عن عاصم. وأثبت ياء «ديني» في الحاليين يعقوب. وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف<sup>(٦)</sup>.



- (١) ويقال لها أيضاً: المشققة، أي: المبصرة من النفاق.
- (٢) قال ابن كثير: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يبتزاً من دينهم بالكلية.
- (٣) أي: زنا، يقال: أنعم أن يحسن أو يسيء، أي: زاد، وأنعم فيه: بالغ وفعل كذا، وأنعم أي: زاد. ويقال: أنعم النظر في الشيء: إذا أطال الفكرة فيه.
- (٤) قال ابن كثير: ونم قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نفى الفعل، لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنْتَ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ نفى قبوله للملك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكانه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك، ومعناه: نفى الوقوع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، قال ابن كثير: وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.
- (٥) قال ابن كثير: إن العابد لا بد له من معبود يعبد، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا كَذَّبْتَ بِكَ لِي وَعَلَىٰ وَكُلَّمَا عَمَلَكُمُ شَيْئًا لَّيْتُمْ لَا أَفْعَلُ وَأَنَا نَسِيٌّ وَمَا أَتَذَكَّرُ﴾ قال: ﴿لَا أَمْنًا لَكُمْ وَأَمْنًا لَكُمْ﴾.
- (٦) وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ﴿وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف، وفي «صحيح مسلم» أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر).

## سورة النصر

### وهي مدنية بإجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي: معونته على الأعداء. ﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكة. قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان<sup>(٢)</sup> فدخلوا في دين الله أفواجاً. قال أبو عبيدة: والأفواج: جماعات في تفرقة.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله ابن عباس. والثاني: التسبيح المعروف، قاله جماعة من المفسرين. قال المفسرون: نُعِيَتْ إليه نفسه بنزول هذه السورة، وأُعْلِمَ أنه قد اقترب أجله<sup>(٣)</sup>، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح: داغ من الله، ووداع من الدنيا. قال قتادة: وعاش بعد نزول هذه السورة ستين.

(١) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٣٠٢٤ عن عبيد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم (وقال هارون: تدري) آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: صدقت. قال مسلم: وفي رواية ابن أبي شيبة (أحد الرواة): تعلم أي سورة، ولم يقل: آخر. قال الحافظ في «الفتح» ٥٦٤/٨: وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن. قال: وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت، قال: والجمع بينهما أن آخرة سورة النصر، نزولها كاملة، بخلاف (براءة)، فالمراد نزول بعضها أو معظمها، وألا فيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل ﴿إِنَّمَا أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ. هذا بالنسبة للسورة، وأما بالنسبة لآخر آية نزلت، فقد روى البخاري عن ابن عباس: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، وفي «الفتح»: وجاء عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَأَقْبُوا بَنَاتَ الْجُمُوعِ يُبَىٰ إِلَى اللَّهِ﴾» أخرجه الطبري من طرق. قال الحافظ: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية ختام الآيات المنزلة في الربا، وهي معطوفة عليهن، ثم قال: وأما ما سيأتي في آخر سورة (النساء) من حديث البراء: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتِيكَ فِي اللَّهِ يَرْحَمُكَ فِي الْكَافَّةِ﴾ فيجمع بينه وبين قول ابن عباس، بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عدهما. قال: ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية (النساء) مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً، بخلاف آية (البقرة)، ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية (البقرة) من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لغائبة النزول. قال: وأصح الأقوال في آخرة الآية قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا بَنَاتَ الْجُمُوعِ يُبَىٰ إِلَى اللَّهِ﴾ ونقل ابن عبد السلام: آخر آية نزلت آية الكلاله، فعاش بعدها خمسين يوماً، ثم نزلت آية البقرة ﴿وَأَقْبُوا بَنَاتَ الْجُمُوعِ يُبَىٰ إِلَى اللَّهِ﴾ وحكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية (يعني آية البقرة) أحداً وعشرين يوماً، والله أعلم.

(٢) أي طاقة.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٥/٨: عن ابن عباس ﷺ، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وعد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فداها ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني يومئذ إلا ليرثهم، قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، وفي جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا، لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره لينزله منزله، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للفاخرة والمباهاة، وفيه جواز تأويل القرآن ما يفهم من الإشارات، وإنما يمكن من ذلك من رسخه قدمه في العلم، ولهذا قال علي ﷺ: أوفهماً يؤتبه الله رجلاً في القرآن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٤/٨، من حديث عائشة ؓ قالت: ما صلى النبي ﷺ بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: =

## سورة تبت

وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾

وسبب نزولها ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أرايكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم، أو ممسبكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى: ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت يدا أبي لهب ﴿وَتَبَّ﴾ أي: خسر هو. قال الفراء: الأول: دعاء، والثاني: خبر؛ كما يقول الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك. وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن هذا عادة العرب يعبرون ببعض الشيء عن جميعه؛ كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. وقال مجاهد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ولد أبي لهب. فأما أبو لهب فهو عم رسول الله ﷺ. وقيل: إن اسمه عبد العزى. وقرأ ابن كثير وحده «أبي لهب» بإسكان الهاء. قال أبو علي: يشبه أن يكون لغة كالتشمع، والتشمع<sup>(٢)</sup> والنهر، والنهر. فإن قيل: كيف كناه الله ﷻ، وفي الكنية نوع تعظيم؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه إن صح أن اسمه عبد العزى، فكيف يذكره الله بهذا الاسم وفيه معنى الشرك؟! والثاني: أن كثيراً من الناس اشتبهوا بكناهم، ولم يعرف لهم أسماء. قال ابن قتيبة: خبرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما، فإن كان اسم أبي لهب كنيته، فإنما ذكره بما لا يعرف إلا به.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله ﷻ، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتردي بمالي، ولدي، فقال الله ﷻ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: و«مَا» في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه ماله وكسبه، أي: ولده. وكذلك قال المفسرون: المراد بكسبه ما هنا: ولده. و«أَغْنَىٰ» بمعنى يغني ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تذهب عليه من غير دخان ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أي: ستصلى امرأته، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر، فكان كذلك. إذ لو قالا بالسنتهما: قد أسلمنا، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ، غير أن الله علم أنهما لا يسلمان باطناً ولا ظاهراً، فأخبره بذلك.

= سبحانه ربنا وبصلك اللهم اغفر لي.

(١) رواه البخاري ٥٦٧/٨، ورواه مسلم ١٩٤/١ بمعناه. وقوله: يا صباحاه: كلمة يخاطبونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له. ورواه ابن جرير الطبري ٣٣٦/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٤٠٨/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مروه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه. وإنما كني يابى لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتقصص له ولذنبه.

(٢) في الأصل: كالشمع والشمع، والتصحيح من «اللسان».

(٣) ذكره البغوي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بنير سند، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بنير سند، والله أعلم.



قوله تعالى: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها كانت تمشي بالنميمة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والفراء. وقال ابن قتيبة: فسبّوها النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. والثاني: أنها كانت تحتطب الشوك، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلاً، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال الضحاك، وابن زيد<sup>(١)</sup>. والثالث: أن المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: أنها كانت تُعَيِّرُ رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فُغَيْرَتْ بذلك، قاله قتادة. وليس بالقوي، لأن الله تعالى وصفه بالمال<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم وحده «حمالة الحطب» بالنصب. قال الزجاج: من نصب «حمالة» فعلى الّذَمِّ. والمعنى: أعني: حمالة الحطب. والجيد: العُنُق. والمَسَدُ في لغة العرب: الحَبْلُ إذا كان من ليف المُقْل. وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الحبال: المَسَد. قال الشاعر:

وَمَسَدٌ أَمِيرٌ مِنْ أَيْئَانِي [صُهِبَ عَنَّا قِذَابٌ مُخِجٌ زَاهِقِي<sup>(٣)</sup>]

وقال ابن قتيبة: المَسَدُ عند كثير من الناس: اللَّيْفُ دون غيره، وليس كذلك، إنما المَسَدُ: كُلُّ مَا ضَخِرَ وَفُتِلَ مِنَ اللَّيْفِ وغيره. واختلف المفسرون في المراد بهذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حبال كانت تكون بمكة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الضحاك: جبل من شجر كانت تحتطب به. والثاني: أنه قلادة من وَدَع، قاله قتادة. والثالث: أنه سلسلة من حديد دُرْعُهَا سبعون ذراعاً، قاله عروة بن الزبير. وقال غيره: المراد بهذا الجبل: السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار، طولها سبعون ذراعاً. والمعنى: أن تلك السلسلة قد قتلت فتلاً مُحْكَمًا، [فهي] في عنقها تعذب بها في النار<sup>(٤)</sup>.



(١) ورجحه الطبري.

(٢) قال ابن كثير: ﴿أَمْرًا تُرَى حَمَالَةُ الْحَطَبِ﴾ كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناؤه، فلماذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْرًا تُرَى حَمَالَةُ الْحَطَبِ﴾ ① في جديدها حَبْلٌ تَنْ تَسِمُ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهينة لذلك مستعدة له. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد، وأحمد بن إسحاق، قالوا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿بِئْسَ هَذَا أَيْ لَهِيَ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالساً ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذي بشيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيحال بيني وبينها»، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر وقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنه لمصنق، فلما ولت، قال أبو بكر: ما رأتك، قال: «ما زال ملك يسترنني حتى ولت» ثم قال البزار: لا تعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر ﷺ. وحسن إسناده أيضاً الحافظ في «الفتح» ٥٦٧/٨.

(٣) الرجز لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: لعقبة الهجيمي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٥/٢، والطبري ٣٤١/٣٠، والقرطبي ٢٤٢/٢٠، و«اللسان»: مسد. وقوله «أمر» أي قتل فتلاً شديداً، والأياتن، جمع ناقة، والصهب، جمع الأصهب، وهو يعير ليس بشديد البياض، والعناق جمع عتيق، وهو الكريم. وزعم المخ: إذا اكتنر (اجتمع) لحمه، فهو زاهق.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ تَنْ تَسِمُ﴾ في عنقها حبل من نار جهنم ترتفع به إلى شفيرها ثم ترس إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

## سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقد روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعبد لثلاث القرآن»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنها تعدل لثلاث القرآن»<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أبي بن كعب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ: إلام تدعوننا يا محمد؟ قال: إلى الله ﷻ. قال: صفه لي، أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، فنزلت هذه السورة، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الذين قالوا هذا، قوم من أحبار اليهود قالوا: من أي جنس هو، وممن ورث الدنيا، ولمن يورثها؟ فنزلت هذه السورة، قاله قتادة، والضحاك<sup>(٥)</sup>. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أَحَدُ اللَّهِ» وقرأ أبو عمرو «أَحَدُ اللَّهِ» بضم الدال، ووصلها باسم الله. قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله ﷻ. والمعنى: الذي سألتم تبين نسبته هو الله. و«أَحَدٌ» مرفوع على معنى: هو أحد، فالجنى: هو الله، وهو أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ» بتنوين أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ» بترك التنوين، وقرئت بإسكان الدال «أَحَدُ اللَّهِ» وأجودها الرفع بإثبات التنوين، وكثير التنوين لسكونه وسكون اللام في «اللَّهُ»، ومن حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضاً، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ «اللَّهُ الصَّمَدُ» وهو أردوها. فأما «الأحد» فقال ابن عباس، وأبو عبيدة: هو الواحد. وفرّق قوم بينهما. وقال أبو سليمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠٥/٦ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولفظه بتمامه: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتفألها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدّل لثلاث القرآن».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ٥٥٧/١ ولفظه بتمامه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسدوا (اجتمعوا) فإني سأقرأ عليكم ثلاث القرآن، فتحدّ من تحدّد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلاث القرآن، ألا إنها تعدل لثلاث القرآن».

(٣) رواه أحمد في «المسند» ١٣٣/٥، والترمذي ١٧٢/٢، والطبري ٣٠٠/٣٤٢، والواحدى في «أسباب النزول» ٣٤٦ من حديث أبي سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٠٠/٣ أيضاً من حديث أبي سعد الصغاني به، وصححه، ووافقه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدرة» ٤٠٩/٦ وزاد نسبة للبخاري في «تاريخه»، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في «السنن»، والبغوي في «معجمه»، وابن المنذر في «المعظم»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي بن كعب ﷺ. ورواه الترمذي ٢/١٧٢ عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلًا، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وقال: وهذا أصح من حديث أبي سعد الصغاني. ورواه الطبراني عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعیل بن مجال عن مجاهد عن الشعبي عن جابر. وذكره ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وأورده الحافظ الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٤٦/٧ من رواية الطبراني في «الأوسط» وأبي يعلى. قال ابن كثير: وقد أرسله غير واحد من السلف، قال: وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: قالت قریش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: قال الطبراني: ورواه القزويني وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا، قال: ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة، ونسبة الله: قل هو الله أحد. فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبي ﷺ.

(٤) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٥) رواه الطبراني ٣٤٣/٣ عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في «الدرة» ٤١٠/٦ من رواية الطبراني في «السنن» عن الضحاك مرسلًا.

أحد. وأصل «الأحد» عند النحويين: الواحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة. وفي «أَلصَّكْدُ» أربعة أقوال: أحدها: أنه السيد الذي يُصمَّدُ إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤْدِهِ<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبيدة: هو السيد الذي ليس فوقه أحد. والعرب تسمي أشرافها: الصِّمد. قال الأسدي:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ

بعمرو بن مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصِّمَدِ<sup>(٣)</sup>

وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السُّؤْدُ، فقد صمد له كل شيء قصد قصده. وتأويل صمود كل شيء له: أن في كل شيء أثر صنعه. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. والثاني: أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي. وقال ابن قتيبة: فكان الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء، والمصمت من هذا. والثالث: أنه الدائم. والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، حكاهما الخطابي وقال: أصبح الوجوه الأول، لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: القصد. يقال: اصمد صمد فلان، أي اقصد قصده. فالصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ قال مقاتل: لم يلد فيورث ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فبرأ نفسه من ذلك. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ قرأ الأكثرون بالثقل والهمز. ورواه حفص بالثقل وقلب الهمز واواً. وقرأ حمزة بسكون الفاء. والكفء: المثل المكافئ. وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كُفُوًا، فقدم وأخر لتتفق رؤوس الآيات.



(١) ذكره الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن، قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وفي إسناده جوير، وهو متروك.

(٢) وهو في الطبري ٣٤٦/٣٠ بلفظ: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤْدِهِ، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد، وهو الله سبحانه، هذه صفة لا تنبغي إلا له.

(٣) البيت لسيرة بن عمرو الأسدي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٦/٢، و«تهذيب الألفاظ» ٢٧٠، و«السمط» ٩٣٣، والطبري ٣٤٧/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢٤٥، و«اللسان»: صمد.

## سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين. والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان. فذكر أهل التفسير في نزولهما: أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطَةً رأس رسول الله ﷺ، وعدة أسنانٍ من مُشْطِهِ، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي. ثم دسّها في بئر لبني زريق، يقال لها: بئر ذروان. ويقال: ذي أروان<sup>(١)</sup>، فمرض رسول الله ﷺ، وانتشر شعر رأسه، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن، ويخيّل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، فبينما هو ذات يوم نائم أتاه ملكان، فقعده أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ قال: طُبٌّ، قال: وما طُبٌّ؟ قال: سُحْر. قال: ومن سَحَره؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبِمِ طَبِّهِ؟ قال: بِمُشْطِ وَمُشَاطَةٍ. قال: وأين هو؟ قال: فِي جُفِّ طَلْعٍ<sup>(٢)</sup> تحت راعوفة في بئر ذروان - والجف: قشر الطلع. والراعوفة: صخرة ترك في أسفل البئر إذا حفرت<sup>(٣)</sup> - فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقّي عليها، فأنثبه رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بذلك؟»، ثم بعث علياً، والزبير، وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطَةُ رأسه، وأسنان مشطه، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغرورة بالبر، فأنزل الله تعالى المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة]<sup>(٤)</sup>. ووجد رسول الله ﷺ خِفَّةً حين انحلت العُقْدَةُ الأخيرة. وجعل جبريل ﷺ يقول: بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك، ومن حاسد وعين، والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً»<sup>(٥)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>، وقد بينّا معنى «أَعُوذُ» في أول كتابنا<sup>(٧)</sup>. وفي «الْفَلَقِ» ستة أقوال: أحدها: أنه الصبح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وقتادة، والقرظي، وابن زيد، واللغويون قالوا: ويقال: هذا أبين من قُلِّ الصبح وفَرَّق الصبح. والثاني: أنه الخَلْقُ، رواه الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: الْفَلَقُ: الْخَلْقُ كُلُّهُ. والثالث: سِجْنٌ في جهنم، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال وهب والسدي: جُبٌّ في جهنم. وقال ابن السائب: وادٍ في جهنم. والرابع: شجرة في النار، قاله

(١) في الأصل: ويقال: أروان، والتصحيح من «القرطبي». وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) الجف: بضم الجيم وتشديد الفاء: الغشاء الذي يكون على الطلع. (٣) في النسخة الإستنبولية: إذا احضرت.

(٤) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإستنبولية.

(٥) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في «تفسيره» بلا إسناد، قال: وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعشه شواهد، والله أعلم. ويغني عن هذه الرواية رواية الصحيحين التي بعدها.

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ١٩٢/١٠ - ١٩٩، ومسلم ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها، وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، وقد رواه أيضاً أحمد في «المستند» عن زيد بن أرقم وعائشة رضي الله عنها، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم، وابن ماجه عن عائشة، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس، وغيرهم.

وانظر أقوال العلماء مفصلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب (صفحة ٩١١ - ٩١٢).

(٧) (صفحة ٣١).

عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>. والخامس: أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبُّ، والتَّوَى، وغير ذلك، قاله الحسن. قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق، كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. والسادس: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنْسِفُ مَا خَلَقَ﴾ ﴿١٠﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «خُلِقَ» بضم الخاء، وكسر اللام. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، وهو الأظهر. والثاني: أن شر ما خُلِقَ: إبليس وذريته، قاله الحسن. والثالث: جهنم، حكاه الماوردي. وفي «غاسق» أربعة أقوال: أحدها: أنه القمر، روت عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: «استعبدني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب»، رواه الترمذي، والنسائي في كتابيهما<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودَّ. ومعنى «وَقَبَ» دخل في الكسوف. والثاني: أنه النجم، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الليل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والقرظي، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والزجاج. قال اللغويون: ومعنى «وَقَبَ» دخل في كل شيء فأظلم. و«الغسق» الظلمة. وقال الزجاج: الغاسق: البارد، فقيل لليل: غاسق، لأنه أبرد من النهار. والرابع: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام، والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد<sup>(٥)</sup>. فأما «الْفَلَقُ» فقال ابن قتيبة: هن السواحر ينفثن، أي: يَتَقَلَّنَ إذا سحرن، وَرَقَيْن. قال الزجاج: يَتَقَلَّنَ بلا ريق، كأنه نفخ. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نَفَثَ: نَفَخَ نفخاً ليس معه ريق، ومعنى تقل: نَفَخَ نفخاً معه ريق. قال ذو الرُّمَّة:

ومن جَوَفٍ ماءٍ عَرَضَ الحَزْلُ قَوْفُهُ  
متى يَخْسُ منه مائِحُ القومِ يَخْشَلُ<sup>(٦)</sup>  
وقد روى ابن أبي سُرَيْج<sup>(٧)</sup> «التفافات» بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها<sup>(٨)</sup>. وقال بعض المفسرين: المراد بالتفافات هاهنا: بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ. «وَمِنْ سَكْرِ حَاسِدٍ» يعني: اليهود حسدوا رسول الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحسد في [البقرة: ١٠٩]. والحسد: أخس الطبائع. وأوَّلُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء حَسَدُ إبليس لآدم، وفي الأرض حَسَدُ قايِلَ هَابِيلَ<sup>(٩)</sup>.



- (١) في النسخة الاستنبولية (عبد الله بن عمر) وهو كذلك في «القرطبي».
- (٢) قال ابن جرير: والصواب القول الأول: أنه فلق الصبح. وقال ابن كثير: وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في «صحيحه» رحمه الله تعالى.
- (٣) الترمذي ١٧٢/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في «المستدرك» ٦١/٦، وابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠، والحاكم في «المستدرک» ٢/٥٤١، وصححه، وواقفه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدر» ٤١٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن عائشة ؓ.
- (٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال ابن كثير: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.
- (٥) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وهذا محتاج إلى نقلي عن العرب أنهم يصفون الثريا بالنفوق.
- (٦) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي صفحة (٦٠٠). والجوف: المظلم من الأرض، والمرض: الخفزة التي تملو الماء، وهي المرض، والعلق، والطحلب، والشبا. والمائع: الذي يتزل البثر فيملا الدلو. والمائع: الذي يجذب الدلو. وفي «الأساس»: وذاق ماء البحر فظله، أي: صبه كرامة له.
- (٧) ابن أبي سريج، هو أحمد بن الصباح، أبو جعفر الرازي، الثقة البت، وهو شيخ البخاري، وأحد أصحاب الشافعي، قرأ على الكناي.
- (٨) قال القرطبي: وقرأ عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن سابط، وعيسى بن عمر، ورويس بن يعقوب «التفافات» في وزن «فاعلات» ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر ؓ.
- (٩) وانظر قصتهما في [سورة المائدة: ٢٧].

## سورة الناس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها مكية، رواه أبو كريب عن ابن عباس.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾

فإن قيل: لم خصّ الناس هاهنا بأنه ربُّهم، وهو ربُّ كل شيء؟ فتنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظّمون متميِّزون على غيرهم. والثاني: لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرِّهم أعلم أنه ربهم، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرِّهم. ولما كان في الناس ملوك قال تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ ولما كان فيهم من يعبد غيره قال تعالى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ③﴾. و﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، وهو ﴿الْخَنَّاسِ﴾ يوسوس في الصدور، فإذا ذُكِرَ الله، خَسَّ، أي: كَفَّ وأقصر. قال الزجاج: الوسواس هنا: ذو الوسواس. وقال ابن قتيبة: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابن عباس: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، فإذا ذُكِرَ الله، خَسَّ.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ الجِنَّة: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم، فسمى الجن هاهنا ناساً، كما سَمَّاهم رجالاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ رِيسَالًا مِّنَ الْإِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وسماهم نفراً بقوله تعالى: ﴿أَسْتَعْتَفُ نَفَرًا مِّنَ الْإِنِّ﴾ [الجن: ١]، هذا قول الفراء. وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن، كما يوسوس للإنس. والثاني: أن الوسواس: الذي يوسوس في صدور الناس، هو من الجِنَّة، وهم من الجن. والمعنى: من شر الوسواس الذي هو من الجن. ثم عطف قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ﴾ على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾. والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس، هذا قول الزجاج (٢).

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقِدَنَّ من رأى اختصارنا أننا أقللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإننا ضمنا الاختصار مع نبيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المعني في التفسير». فإن أراد مختصراً، فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب

(١) قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الرِّبِّ عز وجل: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستعبد أن يتموِّذ بالمتصِّف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخيال، والممصوم من عصمه الله. وروى مسلم في «صحيحه» ٢١٦٧/٤ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «إياي»، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير». وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معنا: أسلم أنا من شره وفتنه، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير. قال القاضي عياض: وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأن معنا، لنحتز منه بحسب الإمكان. وثبت في «الصحيحين» عن أنس في قصة زيارة صفة للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها، فليق رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعَا، فقال رسول الله ﷺ: «على وسلكما إنها صفة بنت حبي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيت أن يفلت في قلوبكما شيئاً» أو قال: شراً.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١١٦/١ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلّموا أو يعملوا».

العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أبيه آدم، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

تم بمون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم  
وقد قام بمقابلة أصوله الخطية، وتصحيحه  
وتفصيله وترقيمه، وتخريج نصوصه،  
والتعليق عليه، والإشراف على طبعه  
الأساتذة

محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق

الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ  
الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م







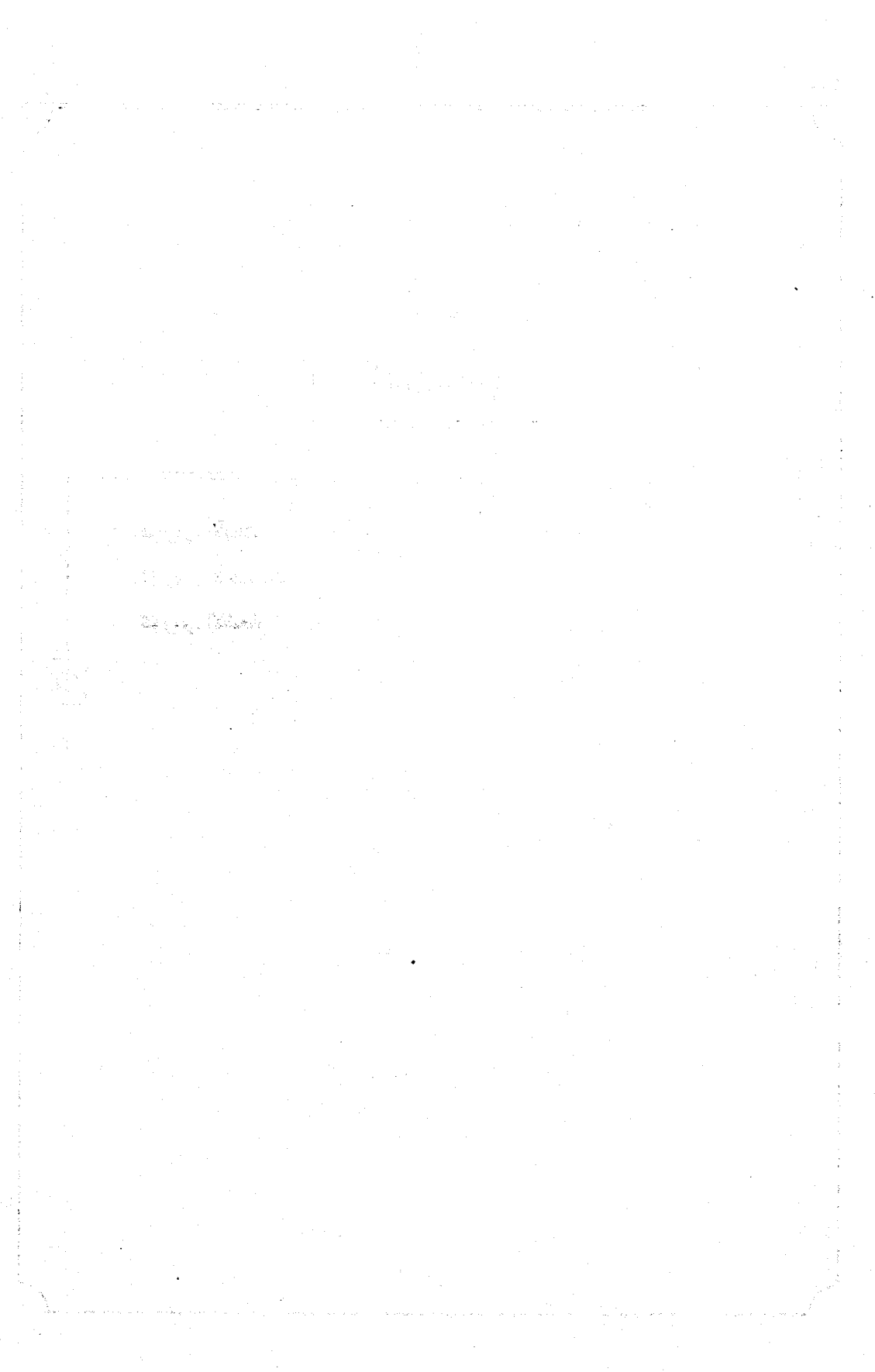
## الفهارس

\* فهرس الآيات

\* فهرس الأحاديث

\* فهرس الأشعار





## فهرس السور

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١١١٢	٣٣	سورة الأحزاب	٣٣	١	سورة الفاتحة
١١٤٢	٣٤	سورة سبأ	٣٧	٢	سورة البقرة
١١٥٧	٣٥	سورة فاطر	١٧٧	٣	سورة آل عمران
١١٦٧	٣٦	سورة يس	٢٥٣	٤	سورة النساء
١١٨٢	٣٧	سورة الصافات	٣٥٠	٥	سورة المائدة
١٢٠٠	٣٨	سورة ص	٤٢٤	٦	سورة الأنعام
١٢٢٣	٣٩	سورة الزمر	٤٨٣	٧	سورة الأعراف
١٢٣٩	٤٠	سورة غافر (المؤمن)	٥٣٩	٨	سورة الأنفال
١٢٥٢	٤١	سورة فصلت أو السجدة	٥٦٥	٩	سورة التوبة
١٢٦٣	٤٢	سورة الشورى	٦١٥	١٠	سورة يونس
١٢٧٤	٤٣	سورة الزخرف	٦٤١	١١	سورة هود
١٢٨٧	٤٤	سورة الدخان	٦٧٩	١٢	سورة يوسف
١٢٩٣	٤٥	سورة الجاثية	٧٢٤	١٣	سورة الرعد
١٢٩٨	٤٦	سورة الأحقاف	٧٤٠	١٤	سورة إبراهيم
١٣٠٨	٤٧	سورة محمد ﷺ	٧٥٣	١٥	سورة الحجر
١٣١٦	٤٨	سورة الفتح	٧٧٠	١٦	سورة النحل
١٣٢٨	٤٩	سورة الحجرات	٨٠١	١٧	سورة الإسراء
١٣٣٨	٥٠	سورة ق	٨٣٧	١٨	سورة الكهف
١٣٤٧	٥١	سورة الذاريات	٨٧٦	١٩	سورة مريم
١٣٥٤	٥٢	سورة الطور	٨٩٩	٢٠	سورة طه
١٣٦٠	٥٣	سورة النجم	٩٢٤	٢١	سورة الأنبياء
١٣٦٩	٥٤	سورة القمر	٩٤٧	٢٢	سورة الحج
١٣٧٦	٥٥	سورة الرحمن	٩٦٩	٢٣	سورة المؤمنون
١٣٨٥	٥٦	سورة الواقعة	٩٨٤	٢٤	سورة النور
١٣٩٦	٥٧	سورة الحديد	١٠١٠	٢٥	سورة الفرقان
١٤٠٤	٥٨	سورة المجادلة	١٠٢٦	٢٦	سورة الشعراء
١٤١٢	٥٩	سورة الحشر	١٠٤٠	٢٧	سورة النمل
١٤٢٣	٦٠	سورة الممتحنة	١٠٥٧	٢٨	سورة القصص
١٤٣٠	٦١	سورة الصف	١٠٧٦	٢٩	سورة العنكبوت
١٤٣٣	٦٢	سورة الجمعة	١٠٨٩	٣٠	سورة الروم
١٤٣٨	٦٣	سورة المنافقون	١٠٩٩	٣١	سورة لقمان
١٤٤١	٦٤	سورة التغابن	١١٠٦	٣٢	سورة السجدة

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١٥٥١	٩٠	سورة البلد	١٤٤٤	٦٥	سورة الطلاق
١٥٥٥	٩١	سورة الشمس	١٤٥٠	٦٦	سورة التحريم
١٥٥٨	٩٢	سورة الليل	١٤٥٦	٦٧	سورة الملك
١٥٦١	٩٣	سورة الضحى	١٤٥٩	٦٨	سورة القلم (ن)
١٥٦٤	٩٤	سورة الانشراح	١٤٦٦	٦٩	سورة الحاقة
١٥٦٦	٩٥	سورة التين	١٤٧١	٧٠	سورة المعارج
١٥٦٨	٩٦	سورة العلق	١٤٧٥	٧١	سورة نوح
١٥٧٠	٩٧	سورة القدر	١٤٧٨	٧٢	سورة الجن
١٥٧٥	٩٨	سورة البينة	١٤٨٢	٧٣	سورة المزمل
١٥٧٧	٩٩	سورة الزلزلة	١٤٨٦	٧٤	سورة المدثر
١٥٧٩	١٠٠	سورة العاديات	١٤٩٢	٧٥	سورة القيامة
١٥٨١	١٠١	سورة القارعة	١٤٩٦	٧٦	سورة الإنسان (الدهر)
١٥٨٣	١٠٢	سورة التكاثر	١٥٠٢	٧٧	سورة المرسلات
١٥٨٦	١٠٣	سورة العصر	١٥٠٦	٧٨	سورة النبأ
١٥٨٧	١٠٤	سورة الهمزة	١٥١٠	٧٩	سورة النازعات
١٥٨٩	١٠٥	سورة الفيل	١٥١٥	٨٠	سورة عبس
١٥٩٢	١٠٦	سورة قريش	١٥١٩	٨١	سورة التكويد
١٥٩٤	١٠٧	سورة الماعون	١٥٢٢	٨٢	سورة الانقطار
١٥٩٦	١٠٨	سورة الكوثر	١٥٢٤	٨٣	سورة المطففين
١٥٩٨	١٠٩	سورة الكافرون	١٥٢٨	٨٤	سورة الانشقاق
١٥٩٩	١١٠	سورة النصر	١٥٣١	٨٥	سورة البروج
١٦٠٠	١١١	سورة تبت	١٥٣٤	٨٦	سورة الطارق
١٦٠٢	١١٢	سورة الاخلاص	١٥٣٧	٨٧	سورة الأعلى
١٦٠٤	١١٣	سورة الفلق	١٥٤٠	٨٨	سورة الفاشية
١٦٠٦	١١٤	سورة الناس	١٥٤٣	٨٩	سورة الفجر

## فهرس الأحاديث مرتباً على الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣٦	أذهب فتاد في الناس	٩٨٨	حرف الهمزة - همزة الوصل
٥٠١	أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً	٩٨٨	اتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك
٧٢٩	ارجع إليه فادعه	١٥٧١	ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها
٣٦٣	ارجع فأحسن وضوءك	٤٦١	اتركهم حتى يتوب تائبهم
١٣٣	استحيوا إن الله لا يستحي من الحق	١٤١٧	اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
١٦٠٥	استعذني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب	١٠٣٩	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
٥٩٩، ٢٥١	استغفروا لأخيك وسلوا له الثبوت فإنه الآن يسأل	٧٦٤	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٦٧٦	استقم ولتحسن خلقك	١١٢٦	اتق الله
٢٥٣	استوصوا بالنساء خيراً	٦٧٦	اتق الله حيثما كنت
٢٩٧	إلى جارك	١٣٠٥	اجتمعوإني في قتل كان بينهم
٨٦٤، ٢٩٧	اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر	٩٩٢، ٢٧٥٥، ١٦٩	اجتنبوا السبع الموفقات
٧٨٥	اسقه عسلاً	١٥٣٧، ١٣٩٥	اجعلوها في ركوعكم
١٥٨٢	اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً	١٥٣٧ و ١٣٩٥	اجعلوها في سجودكم
١٣٦٩	اشهدوا	٥٩٣	اجسوا عليّ الركب
٩٦٠	اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال	١٣٣٤	احترسوا من الناس بسوء الظن
٩٩٤	اصرف بصرك	١٦٠٢	احشدوا فإنني سأقرأ عليكم ثلث القرآن
١٣١	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٢٧٠	اختر أيتهما شئت
١٥٧١	اطلبوها الليلة، أي في ليلة ثلاث وعشرين	٢٥٥	اختر منهن أربعة
٢٥٤	اعبد الله كأنك تراه	٥٤٩	اخرجوا إليه واكنموا
٦٧٦	اعبد الله ولا تشرك به شيئاً	٣٨٠	اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله
٣٨٠	اغزوا باسم الله في سبيل الله	٥٦٦	اخرج بهذه القصة من صدر براءة
١٤٥٢	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٨٢٦	اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس
٢٨٣	اقرأ عليّ القرآن	١١٣٩	اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق
٣٧	اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران	١٠٨	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
٣٨٢	اقطعوا يدها	١٤٥٢	ادعي لي أباك وأخاك
١٥٧١	التمسوها في تسع يقين	١١٢٧	اذكرها عليّ
١٥٧١	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	١٣١٧	أذهب إلى قریش فأخبرهم أنا لم تأت لقتال أحد
١٥٧٠	التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين	١٣٣٠	أذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة
حرف الهمزة - همزة القطع		١١٢٨	أذهب فاذكرها علي
٩٨٩	أبشري فقد أنزل الله براءتك	٥٣٩	أذهب فاطرحه في القبض
٨٩١	أبطأت علي حتى ساء ظني	٥٣٩	أذهب فخذ سيفك
٥٦١	أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء	٥٣٩	أذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم:
١٤٥٢	أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة	٥٣٩	أحرقكم الله

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٣٣٢	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	٤١١	أبوك حذافة
٣٥٤	إذا رميت بالمعراف فخرق فكله	١١٧٨	أتجعل نهيي ونهب العبيد بين الأقرب وعيني
٧١٨	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب	٢٠٤	احلف
٨٧٣	إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس	١٥٧٧	أتدرون ما أخبأها
١٤٣٦	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	١٠١٩	أتدرون ماذا قال ربكم
١١٣٨	إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه	١٣٣٥	أتدرون ما الغيبة
١٦٩	إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله	٩٢١	أتدرون ما المعيشة الضنك
٣٥	إذا قال الإمام «عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْحَابِ الْإِثْمِ»	١٧٥	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
٥٣٨	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	١٢٠٢	أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
	إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة	١٥٩٦	أتيت على نهر حافاه قباب اللؤلؤ مجوف
١١٤٩	بأجنحتها	٩٣٨	أجذني مغموماً
١١٣٤	إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما	٩٣٨	أجذني مكروباً
٣٥٨	إذا لم تصطحبوا ولم تغتبقوا ولم تحفظوا بقلأ فشأنكم	٣٤٨	أجورهم يدخلهم الجنة
١١٦٩، ١٠٢٥	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث	١٠٢١	أحب حبيك هوناً ما
١٥٨١	إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	١٢٠٥	أحب الصيام إلى الله صيام داود
٧٣٧	إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة	٣٥٤	أحل لكم ميتتان ودمان
٣٣٩	إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف	٥٢٧	أخذ الله العيثاق من ظهر آدم بنعمان
٣٥٦	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة	٣٣٩	أخرج متاعك فضعه على الطريق
١٤٥١	أراه من شرب شربته عند سودة والله لا أشربه	١٣٥٩	إدبار السجود الركعتان بعد المغرب
١٦٠٠	أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	٢٩٤	أد الأمانة إلى من ائتمنك
١٥٧١	أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	١٦٠٢	أدعوكم إلى الله عز وجل
١١٥٤	أرايتكم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم	١٣٣٦	إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجه
١٤٣٠	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	١٠٢١	إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون
٢١٠	أربعون سنة	٧٥٤	إذا اجتمع أهل النار في النار
٢٩٣	أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	٨٩٨	إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأجبهوه
١١١٦	أريت دار هجرتكم أرض بين حرتين	٩١٢	إذا أخذتم الساحر فاقتلوه
١٥٧١	أريت ليلة القدر ثم أنسيته	٦٧٦	إذا أسأت فأحسن
٤٩١	الأزم دواء والمعدة داء	٩٩٣	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف
٣٦٣	أسبقوا الوضوء ويل للأعقاب من النار	١٥٨٢	إذا اشتد الحر فأبردوا
٣٧٨	الإسلام يهدم ما كان قبله	١٢٢٨	إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحانت ذنوبه
٦٠٧	أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً	١٥٦٥	إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء
١٠٧٦	أشد الناس بلاء الأنبياء	١٤١٦	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
١٣٢٧	أصحابي أمة	١٥٥٦	إذا أتيت أشقاها أتيت لها رجل عازم
٥٦٢	أضعفوا على العباس الفداء	١١٤٩	إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء
٣١٣	أظنه قد أحدث حدثاً	٣٦٤	إذا تروأ العبد المسلم أو المؤمن
	أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة	١٤٣٧	إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين
١١٦٤	أعط ابتي سعد الثلاثين وأمهما الثمن	١٣٧٤	إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة
٢٦١	أعطيت حسناً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١٣٣٤	إذا حسدت فاستغفر
١١٥١، ٢٢٩	أعوذ بك من دعا لا يسمع	١٣٠٩	إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار
١٤٦٥	أعيدكما بكلمات الله التامة	٦٢٢	إذا دخل أهل الجنة الجنة
١٣٤٨	أفشوا السلام وأطعموا الطعام	٨٨٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣١	إني عباد الله، أنا رسول الله	١٤٩٨	أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح
٣٢٢	أما إذا قلتما فاذعيا فافتسما	١٤١٦	أفضل الصدقة جهد المقل
١٠٢١	أما إن ملكاً بينكما يذب عنك	١٣٢	أقبل وأدبر وأتق الدبر والحيفة
١٦٠٤	أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً	٣١٥	أقتله بعدما قال: أمنت؟!
٥٧٨	أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم	١٥٦٩	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
١١٢٤	أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر	١٣٣٦	أكرمهم عند الله أتقاهم
٥٩٦	أما ترضى أن تكون مثل نبي الله	٧٤٦	أكرموا عمتكم النخلة
١١٦٣	أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	٢٠٤	ألك بينة؟
٥٥٣	أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله	٢٣٦	ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا
١١٠٢	أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك	١١١٠	ألم أنه عن القتال
٧٠٢	أما نقصان العقل	١٥٨٤	ألم نصبح لك جسمك ونزوك من الماء البارد
١٤٨٠	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	١٥٨٤	ألم يصقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
١٥٤٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	٥٤٧	يُحْيِيكُمْ﴾
٣٩٢	أمرني خليلي ﷺ بسبح	١١٣٠	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
٨٤٤	أمرني رسول الله ﷺ أن اتخذ أنفاً من ذهب	١٠٢٤، ٢٧٦	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
١١٢٦	أمسك عليك زوجك	١٤٦١	ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف
١٤٢٣	أمسلمة جث	٦٩٨	ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع والسبع
١٠٢٢، ٢٧٦	أن تجعل لله نداً وهو خلقك	١٤٣٥	ألا أحدثك عن يوم الجمعة؟ لا يتطهر رجل مسلم ثم
١٠٢٢، ٢٧٦	أن تزاني حليلة جارك	١٤٣٥	يمشي إلى المسجد...
٢٠٨	أن تصدق وأنت صحيح شحيح	٨٨٤	ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم
١٠٢٢	أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	٢٢٥	ألا أخبركم بخير من ذلك
٢١٣	أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى	٢٥٢	ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا
٣٥٩	إن أرسلت كلبك وسميت فأخذ قتل فكل	١٣٦٦	ألا أخبركم لِمَ سُمِّيَ الله إبراهيم خليله ﴿الَّذِي وَدَّ﴾
٤٢٣	إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم	٧٦٢	ألا أراكم تفضحون
٨٣١	إن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم	٩٩٥	ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكم
٨٥٤	إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه	١٠٩٥	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
١١٠٨	إن شئت أنبئك بأبواب الخير	٥٨٢	ألا إن الزمان قد استدار
٤٦١	إن فعلت تصدقوني	١٥٧٥	ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين
١٣٦٩	إن فعلت تؤمنون	٣٢٢	وسبعين ملة
١٣٣٥	إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته	١٦٠٢	ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع
١٠٩	إن كان وسادك إذا لعريض	٢٩٤	ألا إنها تعدل ثلث القرآن
٧٠٤	أنا أكرم ولد آدم على ربه	٣٩٧	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
٣٦٩	أنا أولى الناس بعيسى	١٦٩	ألا رجل صالح يحرمني الليلة
٥٩٩	أنا بين خيرتين استغفر لهما أو لا تستغفر لهما	٥٦٧	ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
١٣١٨	أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره	٥٦٦	ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب
٧٢٧	أنا المنذر	٥٦٦	ألا لا يحج بعد العام مشرك
١٤٢١	أنا عند ظن عبدي بي	٥٦٧	ألا هل بلغت؟
١١٧٨	أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب	٤٢٢	ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم
١٥٦٣	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	٥٦٧	أليست البلدة؟
١٢٥	أنت أبصر	٥٦٧	أليس ذا الحجة؟
٧٢٧	أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي	٥٦٧	أليس يوم النحر؟
		٣٥١	إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله

الحدث	الصفحة	الحدث	الصفحة
أنت يا طلحة ممن قضى نحبه	١١٢٠	إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبيِّن من الليل ينظر في	
أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت	١٥٤	الكتاب	٧٣٨
أنتم خصماء الله	١٣٧٤	إن الله لم يأمرني بكثر الدنيا ولا باتباع الشهوات	١٠٨٧
أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى	٤٥٣	إن الله لم يمسح شيئاً فیدع له نسلأ	٧٦٠
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٣٥٣	إن الله لم يمسح قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلأ	٣٩٤
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه	٦٠٥	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشرية	
أنفق يا بلال ولا تحش من ذي العرش إقلالاً	١١٥٣	فيحمد الله عليها	٨٠٢
أنفقه على نفسك	١٢٥	إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة	١١٨٤
إن أبي أدرته فريضة الحج شيخاً كبيراً	١٣٦٦	إن الله معني أن أقبل منك صدقتك	٥٩٦
إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي	١٢٤٨	إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا	
إن أحذكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة	١٤٤١، ٩٤٩	بقايا	١٥٧٥
إن أقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر	٣٣٧	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	١٧٥
إن أرى الربا عرض الرجل المسلم	١٦٩	إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار	١٠٢١
إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في		إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً	١٣٥٥
الجنة	١٣٩٤، ٩٥	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	٣٥٨
إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين	١٣٢٦	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	١٤٠٩
إن الإسلام لا يقال	٩٥٠	إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس	
إن الجنة لا يدخلها المعاجز	٩٣٢	الناس	٤٨٥
إن الدعاء هو العبادة	١٢٥٠	إن الله يسلم على أهل الجنة	١١٣٠
إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والأرض	٥٦٧	إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة	١٥٠
إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	١٦٠٦	إن الله تعالى يطوي السموات بيمينه	١٠١٥
إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء	١٥٢٩	إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين	٩٤٤
إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها	٩٩١	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر	٢٦٦
إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً	٨٦٦	إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم	
إن الكريم بن الكريم بن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن		تعديني	١٣٥٢
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم	٧٠١	إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة	٢٨٣
إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً	٨٩٨	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٨٣٠
إن الله أعطاني السبع الطول مكان التوراة	١٣٢٨	إن الله لا يقبل إلا الطيب	٤١١
إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾	١٥٧٥	إن الله لا ينظر إلى صورك وأموالك	١١٥٢، ١٣٣٦
إن الله بعثني مبلغاً ولم يعثني متعتاً	١١٢٢	إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	
إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به نفسها	١٧٤	على وجهه يوم القيامة	٨٣٣
إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من		إن للمقسطين عند الله على منابر من نور	١٤٧٩، ١٣٣٢، ٢٥٥
فضة	٩٦٩	إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح	
إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي	٤٠٩	الطيبة	١٢٥٧
إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع		إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٤١٤
الأرض	٥٣	إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين	٢٥١
إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم	١٣١٢	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	١٣٨٢
إن الله زوى لي الأرض فأريت مشارقتها ومغارها	١٠٠٥، ٥٧٩	إن أول دم أضع من دماتنا دم ابن ربيعة بن الحارث	١٦٩
إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب	٨٧٥	إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي	٥٧٦
إن الله قد أذهب عنكم غيبه الجاهلية	١٣٣٦	إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة	١٥٨٤
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	١٣٦٥	إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون	٤٢٥
إن الله كتب عليكم الحج	٤١١	إن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	٦٩٠



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٤	إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	٣٥٨	إن جبريل كان واعدني أن يلقياني
٢١٦	إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	١٤٣	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة
١٣٤٥	إنكم سترون ربكم عياناً	١٦٩	إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمه يومكم هذا
٨٧٧	إنكم لا تدعون أصم	٥٠	إن ربكم حيي كريم
٧٠٢	إنكن أكثر أهل النار	١١٥٨	إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز
١٠٨٩	إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع	١٢٧٢	إن روح القدس نفث في روعي
٨٦١	إنما سمي الخضر لأنه جلس على فزوة بيضاء	٨٧٨	إن زكريا كان نجاراً
٩٥٦	إنما سمي الله البيت: العتيق، لأن الله أعتقه من الجبابرة		إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت ل صاحبها حتى
١٠٤٤	إن سباً رجل من العرب	١٤٥٦	غفر له
١٣٣٠	إنما ذلكم الله	١٢١٥	إن صفيراً من الجن ثقلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي
١٤٢٨	إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة		إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
١٣٩٤	إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	١٣٨٨	يقطعها
٣٨١	إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه	٣١٦	إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين
١٣٧١	إنما هو شيء دسره البحر	١٥٧٢	إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم . . .
	إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير	٩٣٢	إن في المعارض لمتدوحة عن الكذب
١٠٥١	هاتين المرتين	٨٤٧	إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين
٤٥١	إنما هو الشرك	١٥٧٢	إن لله تسعة وتسعين اسماً
١٢٩٩	إنما هو شيء رأيته في منامي	٥٢٢	إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة
١٢٤٧	إنما يفتن يهود	١٣٨٤	إن للمؤمن في الجنة نخيلة من لؤلؤة واحدة مجوفة
١٣٠٥	إنه أثنائي داعي الجن	٣٠٥٥	إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش
١٠٧٤	إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد	١١٢٩	إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد
١٥٩٦	إنه أنزل علي الآن آتفا سورة	١١٢٩	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً
٣٧٣	إنه أول من سن القتل	١٣٤١	إن مقعد ملكيك على ثنييتك
٣٦٠١	إنه سيحال بيني وبينها	٣٣٩	إن ملكاً كان يجبب عنك
١١٦٩	إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تتقلوا قرب المسجد	١٤٣٥	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة
٨٧٣، ٤٨٥	إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة	١١٧٩	إن من البيان سحراً
١٥٢٦، ١٣١١	إنه ليغان على قلبي	٧٤٥	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
٨٦٦	إنه كان ذهباً وفضة		إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم
١٢٠٢	إنها تعدل ثلث القرآن	٦٣٠	الأنبياء والشهداء
١٢٢١	إنها حق فادرسوها وتعلموها	١٣٨٩	إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً ومصاً
٧٩	إنها فتنت ملكين	٨٥٩	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
٦١٠٣	إنها في علم الله قليل	١١٤٠	إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً
٧٤٥	إنها النخلة	١٢٨٠	إن هذا الأمر في قريش
٩٤٦١	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	١٠٥٦	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
٧٠٢	إنني أرى أكثر أهل النار	٣٦٥	إن هذا اختلط سيفي وأنا نائم
١٣٠٥	إنني أمرت أن أقرأ على الجن	٨٧١	إن يأجوج ليحفرون السد كل يوم
٩٣٣	إنني حاكمك على ولد الناقة	٣٩٦	إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة
١٠٩٤	إنني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين	٨١٣	أن الأولى كانت نسياناً من موسى
١٥٧١	إنني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها	٩٣٣	إننا أحاملكم على ولد الناقة
١٢٢١	إنني سأحدثكم ما حبسني عنكم الفتاة	٣٥٨	إننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة
	إنني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام، محلقتين	٥٦٣	إنك قلت لها: إنني لا أدري ما يصيني في وجهي
١٣٢٤	رؤوسكم ومقصرين	٣٢٢	إنكم تخطصمون إلي وإنما أنا بشر

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٢٩	اللهم اشهد	١٦٠٢	إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن
٩٧٩	اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف	١٠٢٣	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة
٩٧٩	اللهم أعني على قریش بسنين كسني يوسف	٩٤٠	إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه
١٣٢٥	اللهم اغفر للمحلقين	١١٧٨	إني لست بشاعر ولا ينبغي لي
٧٢٩	اللهم اكفنيهما بما شئت	٧٦٢	إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام
١٤٩٢	اللهم اكفني جاري السوء	٩٤٥	إني لم أبعث لعناً
٢٢٣	اللهم أنج الوليد بن الوليد	٣٤٦	إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله
٥٤٢	اللهم أنجز ما وعدتني	١١٧٨	إني والله ما أنا بشاعر
٣١٢	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	١٤٥٢	إني لا أدري ما بقائي فيكم؟
١٥٧٣	اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله	١٤٢٨	إني لا أصافح النساء
٨٨	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٥٧٥	انهزموا ورب الكعبة
١٢٧٥	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى	٤٤٢	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء
٣٨٢	اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	٢٩٨	أو غير ذلك؟... فأعني على نفسك بكثرة السجود
١١٣٨	اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	١٦٩	أول ريا أضع ربانا، ريا عباس بن عبد المطلب
١٣٩٦	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	١٤٥٩	أول ما خلق الله القلم
١٤٤٨	اللهم رب السموات السبع وما أظللن	٣٤٩	أوليس قد بين الله تعالى ذلك
١١٩٥	اللهم صل على آل أبي أوفى	١٧٢	أوليس قد ابتعته منك؟
٩٩٧	اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	١٠١٢	أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس
٨١	اللهم لا نبغيها	٢٤٦	أيا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب
٢٢٦	اللهم لا يعلون علينا	٩٩٤	إياكم والجلوس على الطرقات
٥٤٧	اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	١١٣٦ ، ٩٩٥	إياكم والدخول على النساء
١١٢١	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب	١٣٦٤ ، ١٣٣٤	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
١٩٩	اللهم هؤلاء أهلي	١٥٨٥	إياك والحلوب
	اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا	٤٦١	أي شيء تحبون؟
١١٣٤ ، ٣٣٢	أملك	١٠٦٨ ، ٦٠٨	أي عم قل مي: لا إلا الله أحاج لك بها عند الله
٩٠٠	اللهم هل بلغت	٦٤٣	أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله عز وجل
	<b>حرف الياء</b>	١٢٠	أيكم يحتمل خبيئاً عن خشية وله الجنة
٣١٤ و ٢٩٠	يايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً	٢٧٩	أيما حلف كان في الجاهلية
٧٦٨	يhs عبد الله	٣٣٩	أي مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً
٢٠٩	يخ يخ ذاك مال رابع	٦٥٩	أيما رجل أعر عمرى له ولعقبه
١٤١٧	برئ من الشح من أدى الزكاة	٥٦٣	أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل
٥٨٠	بشر الكاذبين بكى في ظهورهم	٩٧٦	أيها للناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
١٨٤	بعثت إلى الأحمر والأسود	٥٣٨	أيها الناس أرمعوا على أنفسكم
١٣١١	بعثت أنا والساعة كهاتين	٤١١	أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
٩٢٣	بيني كذا وكذا من الدقيق	٣٩٧	الله
١٢١١	بل أنت زيد الخير	٥٦٣	الله -أخبرني
١٨٥	بل إلى كتاب الله	١٤١٣ ، ١١٩٩	الله أكبر خريت خبير
٩٣٨	بل أنا وأراساء	١٥٥٦	اللهم آت نفسي تقواها
١٧٢	بل قد ابتعته منك	١٠٩٧	اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها عذاباً
٦٧٥	بل هي للمسلمين عامة	١٠٩٧	اللهم اجعلها رباحاً ولا تجعلها ربحاً
١١٢٥	بلى فانكحني فإني قد رضيت لك	٣٦٤	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
		٥٩٦	اللهم ارزق ثعلبة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المتان بما أعطى	٦٠٩	بلى والله لاستغفرون لأبي
١٥٧٦ ، ١٤٠٢ ، ١٠٦٧	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	١٧٢	يَمُ تشهد؟
٢١٠	ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد	١٥٩٦	بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر
٨٠١	ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين	٨٠١	بيننا أنا في الحطيم
٨٦٤	ثم دع الماء يرجع إلى الجدر	١٠٧٣	بينما رجل يجر إزاره من الخلاء خسف به
١٤٥٩	ثم قال له: اكتب	١٠٥٣	بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
٢٣٥	الطيب أحق بنفسها من وليها	٤٦٤	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك
	<b>حرف الجيم</b>	٤٩١	البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء
٨٢٩	جاء الحق وزهق الباطل	٩٨٥	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
١٤٨٨	جبل من نار يكلف أن يصعده	٢٣٥	البكر تُستأمر في نفسها
٨٦١	جليس في فروة بيضاء فاخضرت		<b>حرف التاء</b>
٨٧٣	جنان الفردوس أربع	١١٦٣ ، ٩٥٣	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الرضوء
١٣٨٣	جنتان من ذهب وجنتان من فضة	١٠٥٣	تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى
١٣٨١ ، ٨٧٣	جنتان من فضة أتيتهما وما فيهما	٦١٠	تحب ذلك؟
١٦٦	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة	١٥١٨	تحشرون حفاة عراة غرلاً
٦٢٢	الجنة	٩٤٧	تدرون أي يوم ذلك؟
٨٧٣	الجنة مائة درجة	١٣٦	تدع الصلاة أيام أقرائها
	<b>حرف الحاء</b>	٩٩٦	تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباه بكم
٤٧٤	حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية	٢٧٦	تسع أعظمهن الإشراك بالله
٩٣٤	حسبنا الله ونعم الوكيل	١٠٥٣	تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن
٩٣٤	حسي من سؤالي علمه بحالي	٢٢١	تسوموا فإن الملائكة قد تسومت
١١٦	الحج عرفة	٩٨١	تشويه النار فتقلص شفته العليا
٤٤٠	الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	١٢٥	تصدقوا
٨٤٨	الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر	١٢٥	تصدق به على خادمك
	<b>حرف الخاء</b>	١٢٥	تصدق به على زوجك
٩٨٥ ، ٢٦٥	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	١٢٥	تصدق به على نفسك
٥٣	خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة	١٢٥	تصدق به على ولدك
٥٣	خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	٢٥٤	تصدق رجل من ديناره
١٢٥٣ ، ٤٩٩	خلق الله عز وجل التربة يوم السبت	١٢٨٧	تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان
١٤٤١	خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً	٨٢٧	تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً
١٤٤١	خلق فرعون في بطن أمه كافراً	١٥٧٧	وعشرين درجة
٩٢٧ ، ٧٦٠	خلقت الملائكة من نور	٧٠٢	تقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان
١٤٨٥	خمس صلوات في اليوم واللييلة	٦٧٩	تكثرون اللعن وتكفرون العشير
٤٠٨	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم	٣٣٧	تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها
٢٨١	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه	٦٧٥	تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق
٤٢٥	خير أمتي قرني	٢٨٧	توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل
٤٢٥	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم		التييم ضربة للوجه والكفين
١٤٣٥	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة		<b>حرف الثاء</b>
١٣٨٣	خيرات الأخلاق حسان الوجوه	١٥٨٥	ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن
٤٢٥	خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	١٣٣٤	ثلاث لازمات لأمتي، الطيرة والحسد وسوء الظن
		٩٩٦	ثلاثة حق على الله عونهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٦	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	١٥٧٨	الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر
١١٣٠	سبق المفردون		حرف الدال
١٠٨٣	ستمته صلاته	١٦٩	درهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية
١٨٣	سلاني	٨٩	دعوة أبي إبراهيم، ويشري عيسى
٤١١	سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دعت في مقام هذا	٩٤١	دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت
٥٩٧	إلا بيته لكم	١٣٦١	دنا الجبار رب العزة فتدلى
٢٢١	سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم	٣١٢	دية المعاهد نصف دية المسلم
١٣١١	سوموا فإن الملائكة قد سومت		حرف الذال
١٠٨٣	سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي	١٥٧٥ ، ٤١١	فروني ما ترككم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
	سيتناه ما تقول	٣٥٠	ذكاة الجنين ذكاة أمه
	حرف الشين	١٣٣٥	ذكرك أخاك بما يكره
٥٤٥	شامت الوجوه	٨٣١	ذلك إلى الله عز وجل
٨٧٠	شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع	١٥٢٩	ذلك العرض
٧٣٤	شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة		حرف الراء
١٥٧٣ ، ١٤٦	شغلوا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١٠٥١	رايت جبريل وله ستمائة جناح
١٥٦٥	شهرا عيد لا ينقصان	٤١٢	رايت جهنم يحطم بعضها بعضاً
٦٤١	شيتي هود وأخوانها	١٢٢١	رايت ربي عز وجل فقال لي: فيم يختصم الملا الأعلى؟
١٥٣١	الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة	٤١٢	رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجرق قصبه في النار
٢٧٦	الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين	١٦٩	رايت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني
١٥٢٩	الشفق الحمره	١٤٥٢	راجمها فإنها صوامة قوامة
١٥١٩	الشمس والقمر نوران مكوران في النار	١٥٧٣	رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه
	حرف الصاد	٢٥٢	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
٧٨٥	صدق الله وكذب بطن أخيك	٧٠٤	رحم الله أخي يوسف
٢٢٢	صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة	٦٦٦	رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد
٧٦٩ ، ٢٤٩	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً	١٤٣١	رحمة الله على موسى، لقد أوفيتي بأكثر من هذا فصبر
١٤٣٧	صليت؟ قال: لا، قال: فصل ركعتين	٢٤١	ردوا علي الرجل
١٥٦٥	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٢٥٨	رفع القلم عن ثلاثة
١٥٥٤	الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان	١٦٩	الربا ثلاثة وسبعون باباً
١٤٨٨	الصعود: جبل من نار	١٣١٢	الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله
١٤٩٨ ، ٢٨٢	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	١٧٥٨	الريح الجنوب من الجنة
٨١	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن		حرف الزاي
٤٤٨	الصور قرن ينفع فيه ثلاث نفحات	٢١٢	الزاد والراحلة
١١٠٨	الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة	٦٢٢	الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل
	حرف الضاد		حرف السين
٦٢٢ ، ٤٧٨	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	٤٤٥	سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنين، ومنعني واحدة
٥٦٥	ضموا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا	٤٢٣	سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها
	حرف الطاء	١١٦٢	سألتنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمتنا مغفور له
٢٧٠	طلق إحداهما	١١٢٦	سبحان مقلب القلوب
١١٣٥	طلق رسول الله ﷺ حفصة ثم راجعها	١٥٩٩	سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
١٠٥٣	طولها ستون ذراعاً		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٩٩	فضلنا على الناس بثلاث	٣٦٤	الطهور شطر الإيمان
١١٥٨	فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آية في خلقه		<b>حرف العين</b>
٨٨٤	فما رأيت عبقرياً يفري فري عمر	١١٨٤	عجب ربك من شاب ليست له صوة
٨٣٤	فما منعكم أن تتبعوني؟	٢١٧	عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل
١٥٧١	فمن كان متحريراً فليتحررها في السبع الأواخر	٤٣٧	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
١٤٢٨	فيما استطعتن وأطقتن	١١٣٨	عجل هذا
٨٧١	فيشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم	٢٤٣	عرضت علي أمي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر
	فيقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال	٦٩٠	عني لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل
٢٨٣	ذرة	١٤١٠	علام تشتمني؟
	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يعني يوم	١٦٠٦	على رسلكما إنها صفة
١٥٧٢	الجمعة	١٣٢١	على ما استطعتن
	<b>حرف القاف</b>	١٢٦٨	علي وفاطمة ولولدهما
٣٢٩	قاربوا وسددوا	٣٥٩	عليكم بالأسود البهيم
١٠١٩	قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	١١٦٩	عليكم منازلكم فإنما نكتب أثاركم
١٤٩١	قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن أتقى	٣٦١	عمداً قعلته يا عمر
١٧٤	قال الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها عليه	١٤٢١	العز إزاره والكبرياء رداؤه
١٠٩٤	قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	١٢٠٤	العبادة فوافق ناقة
٦٣٠	قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي	١٤٦٥	العين حق
٣٧٥	قتل الصبر لا يمر بذنوب إلا محاه		<b>حرف القين</b>
١٨٤	قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً	٨٤٧	غداً أخبركم
٥٨٧	قد أذنت لك	٣٢٩	غفر الله لك يا أبا بكر، ألسن تمرض؟ ألسن تحزن؟
١٤٢٨	قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً قد بايعتك كلاماً	١٦٠٤	الغاسق النجم
١٥٧٣	قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه		<b>حرف القاء</b>
٣٣٠	قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك	١٣٥٤	فأيتنا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل
٧١٩	قد قال أخي يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي	١٤٥٢	فأنتي أبا بكر
١١٢٦	قد قبلتك		فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي
١٠٢٢	قد كنت أحب أن أراك على غير جوار	١١٤٩	بمحمداً لا أحصيها الآن
٣٥٨	قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة	٥٦٧	فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام
٧٦٥	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين		فإن ربكم يقول: هل جزء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا
١٢٥٧	قل آمنت بالله ثم استقم	١٣٨٢	الجنة
١٠٦٨	قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة	٧٨٠	فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه
٥٩٣	قلتم كذا وكذا	٧٥٦	فإنها لا يؤمر بها لموت أحد ولا لحياة
١١٣٩	قم يا فلان فإنك منافق	٤٥٣	فأنت الحبر السمين
٨٨٥	قول عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾	١١٥٤	فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
١٤٠٩	قوموا إلى سيدكم	٣٠	فينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء
١١٠٨	قيام البعد من الليل	٦٣	فدخلوا يزحفون على أستاههم
١١٣٨	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٨٠١	فربطته بالحلقه التي يربط به الأنبياء
١٢٤٧	القبر كقطع الليل المظلم	٨٠١	فركبته حتى أتيت بيت المقدس
	<b>حرف الكاف</b>	٩٦٧	فضلت سورة على مائتي القرآن بسجديتين
١٣٤٠	كاتب الحسنات على يمين الرجل	١١٢٩	فضلت على الأنبياء بست
٥٦٢	كاد يصيبنا في خلافتك بلاء		

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٧٦	الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	٩٣٩	كان ذو الكفل رجلاً لا يتزعج عن ذنب
٢٧٥	الكبائر سبع الإشراك بالله أولهن	٣١٤	كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار
٢٧٥	الكبائر الشرك بالله وقتل النفس		كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفه
١٥٨٠	الكود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده	١١٧٨	(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
<b>حرف اللام</b>		١٢٤٧	كان رسول الله ﷺ بعد يستعيز من عذاب القبر
٦٠٨	لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	١٢٨٠	كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل
٨٠٠	لئن ظفرت بقاتل حمزة لأملن به	٧١٤	كان ليعقوب أخ مواخ
٤٣٦، ٢٩٤	لئودن المحرق إلى أهلها	٤٣٤	كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض
٥٣٢	لنقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما	٨٥٩	كانت الأولى من موسى نسياناً
٨٤٩	لِسِرَاقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ	٨٨	كانت الملائكة تحجج إلى البيت قبل آدم
١٦٨	لئن رسول الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه	٨٦٤	كانوا أهل قرية لثاماً
٩١٢، ٧٦٧	لئن العاضضة والمستعضضة	٩٦٥	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
٣٢٧	لئن الله الواشمات والمستوشمات	١٤٤٨	كتافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام
	لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت	٤٥٤	كذا أنزلت علي فأتيتها
١٠٢٣	عليه الشمس	٩٣٢، ٧٠٩	كذب إبراهيم ثلاث كذبات
٩٦٩	لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	١٢٤٧	كذبت يهودية
١١٩٥، ١١٤٣	لقد أوتي هذا زمراً من مزامير آل داود	١١٧٨	كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً
١١٢٢	لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	١٠٨٥	كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به
٩٧١	لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	١٠٨٥	نبيهم
١٥٦١	لقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني	١٥٦٠	كل أمي يدخلون الجنة
٣٥١	لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقي غادر		كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من
٢٢٤	لقد ذهبتم فيها عريضة	١٩٢	يحيى بن زكريا
١٢٨٠	لقريش	٤٧٤	كل ذي ناب من السباع حرام
١٣٨٨	لكل نبي حرم وحرمة المدينة	١٣٧٤	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس
٢٨٢	للمملوك طعامه وكسوته	٩٩٥	كل عين زانية
٤٠٢	لم أوامر بذلك	٢٥٨	كل من مال يتيمك غير مسرف
١٣١٧	لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت	١٠٩٤، ٤٢٧	كل مولود يولد على الفطرة
١١٩٠، ٩٣٢	لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات		كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في
	لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف	٢٥٢	سبيل الله
٢٣٩	طير خضر	١٥٥٨، ١٤٩٦	كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها
٣٩٧	لما بعثني الله برسائله ضقت بها ذرعاً	١٣٩٥	كلعتان خفيفتان على اللسان
١٣٦٢	لما غشينا عن أمر الله ما غشينا تغيرت	١٤٥٤	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
٦٧٥	لنعمل بها من أمي	١١٦٢	كلهم في الجنة
٤٣٦	لكن الله يدري وسيقضي بينهما	٢٣٦	كلا إني رأيته في النار في بردة غلها
١٤٠٠	لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	١٢٢١	كما أنتم على مصافكم
٢٥١	لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض	١٤٥٥	كمل من الرجال كثير
	لو أنكم توكلون على الله حق توكله لوزقكم كما يوزق	١٥٧١	كم بقي من الشهر؟
١٤٤٥	الطير	١٥٠	كم من علق رداح في الجنة لأبي الدحداح
	لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من	١١١٥	كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث
٧٠٤	وقته	١١١٥	كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد
١٣٦٧	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً	١٤٨٣	كيف يأتيك الوحي
		٢٢٣	كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٨٢	ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة	٢٩٤	لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف
٦٠٦	ما الذي أثنى الله به عليكم؟	٢٣٠	لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم
١٤٨١	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	١٠١٤	لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة
٦٠٤	ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً	١١٦٨	لو فعله لأخذته الملائكة
٨٣١	ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	١٥٦٨	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً
١٥٧٨	ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفاظة	١١٢٨	لو قالها لجاهدوا في سبيل الله
٣٥٥	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا	٤١١	لو قلت نعم لوجبت
٩٧٦	ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم	١٤٣٣، ١٣١٥	لو كان الإيمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء
١٣٣٠	ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت	١٤٥٢	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
٨٣١	ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به	١٢٧٨	لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة
١١٧٥، ٤٤٨	ما بين الفخيتين أربعون	١٣١٥	لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس
١٨٥	ما تجدون في التوراة في شأن الزنا	١١٩	لو كان على أيك دين قضيته أما كان ذلك يجرى عنه؟
٢٢٤	ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها	٧٠١	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي
٥٦١	ما ترى يا ابن الخطاب	٧٦٢	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد
٣٦٣	ما توضع عند فأحسن الرضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له	٣٦١	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء
١٣١٧	ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل	٧٩٩	لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته
	ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه	٣٥٩	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٧٣٣	في اليوم	٨٧٣	ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل
٢٨١	ما زال جبريل يوصيني بالجار	٥٧٩	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
١٥٦	ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة	١٤٤٤	ليراجعها ثم ليمسكها حتى تظهر
١٦٢	ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم	٣٤٦	ليس أحد أحب إليه المذبح من الله عز وجل
٥٨٤	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٠٤٤	ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد
٧٥٦	ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية	١٥٦٣	ليس الغنى عن كثرة العرض
١٣٧٨	مالي أراكم سكوتاً؟	٣٩٠	ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم
١٤٧٣	مالي أراكم عزين!	١٦٧	ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان
٤٩٦	ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	٤٢٧	ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة
٢٤٤	ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله	٣٣٩	ليلة الضيف واجبة على كل مسلم
٦٩١	ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد همّ بخطيئة أو عملها	٢٣٤	ليأني منكم أولو الأحلام والنهى
	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه	١٥٦	ليهنك العلم يا أبا المنذر
١٥٤٣، ٩٥٥	الأيام	٥٧٥	الآن حمي الوطيس
	ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة	١٧٤	الآيتان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه
٢٤٤	شجاع أقرع	٩٣٣	الذي في عينيه بياض
٥٨١	ما من صاحب كثر لا يؤدي زكاته	١٣٣	الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى
٢٩٠	ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك		
١١١٤	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به		
٣٦٤	ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه		
١٢٩٠	ما من مسلم إلا وله في السماء بابان		
	ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطعة رحم		
١٠٧	ولا إثم		
٣٢٣	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي		
١٠٩٤، ٤٢٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة		
١١٥٣	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان		

## حرف الميم

ما أبقيت لأهلك

ما أخرجكم من بيوتكما هذه الساعة

ما أردت بما أرى

ما أدري نبيّاً، نبي أو غير نبي

ما اسمك؟

ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك

ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٠٠	من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة	١٥٥٩	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار
٣٦٤	من توضع فأحسن الوضوء	١٦٠٦	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
٦٧٦	من توضع وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح	٤٩٦	ما منكم من أحد إلا وله منزلان
٣١٧	من جهز جيش العسرة فله الجنة	٣٦٤	ما منكم من أحد يتوضأ فليبلغ الوضوء أو فيسبغ
١٦٢	من حفر رومة فله الجنة	٣٧٢	ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر
٨٣٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة البقرة	٣٤٠	ما نقصت صدقة من مال
٢٥٣	من حلف بغير الله فقد أشرك	٥٤٤	ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة
١٢٠٤	من حلف على يمين وهو فيها فاجر	٧٧٥	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
٣٥٣	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	٥٩٩	ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى
٣٥٣	من دل على خير فله مثل أجر فاعله	١١٢٧	ما يبني لثني أن تكون له خاتمة الأعين
١٢٢١	من رأى منكم الليلة رؤيا	١٤٥	متعها ولو بقلنسوتك
٤٠٣	من رغب عن ستي فلوس مني	٥٤٨	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها
٢٤٧	من هتل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار	١١٣٠	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت
١١٦٠	من سره أن يسقط له في رزقه ونسأ له في أثره	١٣٣٢، ١٣٧٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم
١٢٠٠	من سره أن يمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار	١٥٨١، ١٠٠٩	مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً
١١١٦	من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى	١٥١٥	مرحبا بمن غابني فيه ربي
١١٦٩	من سنّ في الإسلام سنة حسنة	٥٩٦	مُرّاً بعلبة وبفلان
١٥٦٥	من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	٦٠٩	مُرّت بقر أمي فصلبت ركعتين
٢١١	من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له بها حسنة	١٤٥٣	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
١٤٤٨	من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين	١١٧٢	مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة
٥٠٥	من عقر جواده		ضمت اثنتان وعشرون وبقيت سبع التمسوها الليلة، الشهر
١٠٠٩	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٥٧١	تسع وعشرون
١١٦٩	من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر	٤٤٢	مقاتيع الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله
١٥٨٦	من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	١٣٣	ملعون من أتى النساء في أديارهن
١٤٠٩	من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	٢٤٤	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته
١٥٧٣	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	١٣٣	من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها
١٧٤	من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه	١٣١٢	من أحب أن يسقط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره
٥٣٩	من قتل قتيلاً فله كذا وكذا	٢٤٦	من أحب أن يزحزح عن النار
٢٧٤	من قتل نفسه بحديدة فحليلته بيده		من أحب أن يمثّل له عباد الله قياماً فليتبوأ مقعده من
٨٣٧	من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف	١٢١١	النار
٨٣٧	من قرأ عشر آيات من آخر الكهف		من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿إِذَا الْكُفُوسُ
	من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة	١٥١٩	كُفُوسٌ﴾
١١٣٠	من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله	١٣٩٤	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٢٥٣	من كان متحرراً فليتحرها ليلة سبع وعشرين يعني ليلة القدر	٥٥٣	من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ في الجاهلية
٢٨١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	٣٠٤	من أطاعني فقد أطاع الله
	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة	١٥٥٣	من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضواً من
٣٣٦	يدار عليها الخمر	١١١٠	النار
	من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقيم ليلة	١٥٦٠	من أغلق بابيه فهو آمن
١٥٧١	ثلاث وعشرين	٥٠٥	من أتفق زوجين في سبيل الله
		١٠٠٠	من أغريق نفسه وعقر جواده
			من بنى لله مسجداً يتنفي به وجهه لله



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٢	نعم يجمع الله هذه العظام	١١٦٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
١٥٠	نعم أي يريد منا القرض		من لم تنته صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله
١٥٦٠	نعم وأرجو أن تكون منهم	١٠٨٣	إلا بعلًا
٩٦٧	نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما	٢٩٨	من مات على ذلك كان مع النبيين
٢١٨٠	نعم يملك الله ثم يحييكم ثم يدخلك نار جهنم	١٤٩٧	من تلو أن يطيع الله فليطعه
٢٥٨٤	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس	٩٠١	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها
١٥٨٣	التعيم الأمن والصحة	٦٠٣	من هؤلاء
١٥٨٣	التعيم الماء البارد	٢١٢	من وجد الزاد والراحلة
٨٨٥	تقاعًا حينما توجهت	٢٤٦	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
١٠٨٢	نهى رسول الله ﷺ عن الخذف	٤٦٠	من الكباثر شتم الرجل والديه
٤٧٤	نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع	١٢٥٥	من مخاطبة العبد ربه
	<b>حرف الهاء</b>	١٤٠٧	مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التضحش
١١٦٢	هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	٨٢٣	المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته
٢٩٣	هات المفتاح	١٣٢٥، ١٣٣٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
٤٧٥	هنا ما أوحى إليّ أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود	٢٩٨	المرء مع من أحب
٥٩٦	هنا عملك، قد أمرتك فلم تطعني	٣٣٩	المنتجان ما قالوا فعلى المبادئ منهما
٥٦٩	هنا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو	٢١٠	المسجد الأقصى
١٠٨٥	هنا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله	٢١٠	المسجد الحرام
	هنا وقومه والذي نفسي بيده لو أن هذا الدين معلق بالثرى	١٣٣٢	المسلم آخر المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
١٣١٥	لتناوله رجال من فارس	١٦٦	المغرب وتر النهار
٥٣١	هذه أمتي بالحق يأخذون		المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة
٥٣١	هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها	٢٥٥	الموت
٣٩٢	هل أعطاك أحد شيئاً؟	١٠٧٩	
١١٧٩	هل أنت إلا أصبح دميّ؟		<b>حرف التهن</b>
١٣٩٣، ١٣٨٢	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	٥٧٤	ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة
١٥٩٦	هل تدرون ما الكوثر؟	١٥٨٢، ٧٦٠	ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم
١٢٥٥	هل تدرون مم أضحك؟	٥٧٥	ناولني حصيات
	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس هونهما	٥٤٥	ناولني كفاً من حصباء
١٤٩٤	سحاب؟	٣٦٩	نبي ضيعه قومه
١٣٢٣	هل جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟	٩٥٨	تحرنا مع رسول الله ﷺ البلدة عن سبعة والبقرة عن سبعة
	هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتو خضراً؟	٣٨٨	نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات
١١٥٨	قلت: نعم	٨٧٧	نحن معاشر الأنبياء لا نورث
	هلا صليت بـ «سبح اسم ربك الأعلى والشمس	٣٣٩	نزل ملك من السماء يكذبه
١٥٣٧	وضحاها؟	١٢٥٨	نزلت في المؤذنين
	هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي	٢٤٠	نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
١٣٢٣	محمد	١٣٥١، ١١١٥، ٥٥٦	نُصِرَتْ بِالْمُصْبَا وأهلك عاد بالبور
٦٩٠	هلك المصرون	٨٢٥	نعم
٢٨٢	هم إخوانكم خولكم	٨٧٢	نعم إذا كثر الخبث
٨٧٠	هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض	١٨٣	نعم أي أنا محمد
٥٦٠	هم الجن وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فمن احتيق	٣٤٢٥	نعم صلي أمك
٦٣٥	هم قوم تحابوا بروح الله	٢٢٤٧	نعم عذاب القبر حق
		١١٢	نعم أي: نهيت عن القتال في الشهر الحرام



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٥٥٤	لا يتم بعد حلم	٤٨٠	لا تزال القوة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها
٢٧١	لا يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها	١٥٨٤	لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه
١٣٣	لا يحل أن تأتوا النساء في جشوشهن	١١٢٣	لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها
٥٦٠	لا يغبل بيت فيه عتيق من الخيل	٣٣٨	لا تسبخي عنه
١٤٦١	لا يدخل الجنة قتات	١٣٢٧	لا تسبوا أصحابي
٩٩٥	لا يدخلن هذا عليك	١٢٩٦	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
٥٧٩	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى		لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق
١١٣٠	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى	٨٣٤	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة
١٣٣	لا يستحي الله من الحق	١٢٧٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
١١٧٨	لا يفرك بأيهما بدأت	١٠٨٤	لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً
٢٦٨	لا يفرك مؤمن مؤمنة	٣٨١، ٣٨٠	لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها
١٠٨	لا يقبل الله دعاءً من قلب غافل لاه	٣٧٥، ٣٧٣	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
١٤٠٩	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه	٤٨٠	لا تقوم الساعة حتى يبعث ذجالون كذابون
١٣٩٣	لا يمس القرآن إلا طاهر	١١٢٩	لا تكروهن أحداً من أصحابك على المسير معك
١٣٣٤، ١٢٥٦	لا يموتن أحدهم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل	١٢٧	لا تتحنن...
٧٢٠	لا ينحني له، ولا يلتزمه ولا يقبله	١٤٢٩	لا تتزولوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة
٨٣٣	لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة من الدبر	٩٨٤	لا حاجة لي فيه
	<b>حرف الياء</b>	١٤٥١	لا خلف في الإسلام
٢٨١	يا أبا ذر إذا طبخت مرقة	٢٧٩	لا خير في دين ليس فيه ركوع
٧٨٠	يا أبا ذر تدري أين ذهب الشمس؟	١٥٠٥	لا صلاة بحضرة طعام
٤٣٦	يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا؟	١٥٦٥	لا طلاق قبل النكاح
٣١٦	يا أبا سعيد من رضي الله رباً وبالإسلام ديناً	١١٣١	لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك
١٥٦	يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	١١٣١	لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله
١١٥٣	يا ابن آدم أتفق أتفق عليك	٢٠٥	لا فضل لعربي على أعجمي
١٠٨٧	يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟	١٣٣٦	لا قطع على الخائن
٨٧٧	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	٣٨١	لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت
١٣٣٦	يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد	١٦٠١	لا تبرح حتى تناجزهم
١١٢	يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض	١٣١٧	لا نورث ما تركنا صدقة
٩٤٥	يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله خفاة	٨٧٧	لا هجرة بعد الفتح
٩٤٦	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	١٣١٦	لا، وإنه قد أوحى إلي أنكم تقتنون في قبوركم
٢٧٧	يا أيها الناس إني قد كنت أذنت في الاستمتاع	١٢٤٧	لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني
٩٠٠	يا أيها الناس أي يوم هذا؟	٥٦٦	لا والله لا يلقي حبيبه في النار
٢٩٨	يا ثوبان ما غير وجهك؟	٣٦٩	لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك
٣٤٩	يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا	١١١٤	لا يأمن حيث وجد
٨٩١	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	٩١٢	لا يؤلف تحت الأرض
٥٨٧	يا جد هل لك في جلد بني الأصفر؟	١٤٨١	لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض
٣٩٧	يا رب كيف أصنع إنما أنا وحدي يجتمع علي الناس	٨٦٢	أحد
١٤٣٧	يا سليك قم فاركع ركعتين		لا يبقى على ظهر الأرض مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام
١٦٠٠، ١١٥٤	يا صباحاه	٥٧٩	لا يولن أحدهم في الماء الدائم
٩١١	يا عائشة أشعرت أن الله أفانني فيما استفتيته فيه	١٤٧٣	

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٥١٨ ، ٩٤٥	يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً	١١٢٣	يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً
٩١٢	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله	١٥١٨ ، ٩٤٥	يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض
	يخلص المؤمنون من النار، فيجسون على قنطرة بين الجنة والنار	١٦٠٤	يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي
٤٩٦	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٥٥٨	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
٨٣٠	يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كفه	٩٩٤	يا عطلي لا تتبع النظرة النظرة
١٧٤	يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة	٣٩٧	يا حماد إن الله قد عصمني من الجن والإنس
١٢٣٥	يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض	١٣٠٣	يا حمر إن أولئك قوم جعلت لهم طياتهم
١١٥٥	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	٢٧٥	يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟
١٢٣٥	يقضي الله في ذلك	١٢٩٤	يا عمر ضع سيفك
٢٦١	يقال لقارح القرآن: اقرأ ووتل	١٤٤٥	يا غلام إني أعلمك كلمات
١٤٨٣	يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة	٦٠٣	يا غيلان اخرج فإني متافق
٢٠٨	يقول ابن آدم مالي مالي	١٣٦٩	يا فلان يا فلان اشهدوا
١٥٨٣	يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	١٣٠	يا جرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة
١١٢٠	يقول العبد: مالي مالي، إملاً له من ماله ثلاث	٩٩٦	يا حمير الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
١٥٨٣	يقول الله تعالى: ابن آدم لمحي تعجزني وقد خلقتك؟	١٠٣٧	يا حمير قهش اشتروا أنفسكم من الله
٧٧١	يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة ولم يعملها لم أكتبها عليه	١٨٨	يا حمير قريش لقد خالقتكم ملة أبيكم إبراهيم
٦٩٠	يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٧٠٢	يا حمير النساء تصدقن
١١٠٨	يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	٥٤٧	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
١٥٥٥	يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك	٥٩٦	يا وبع لعلة
١٠١٤	يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم فابعث بعث النار	٩٥٠	يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال
٩٤٧	يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد	٨٧٠	يا جوج أمة وما جوج أمة
٤٨١	يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم	١٢٤٤	يا ممر الله عز وجل إسرائيل بالنسخة الأولى
٥٩٤	يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر	٨٧٣ ، ٤٨٥	يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب العظيم فيوزن
١٢٩٦	يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	١٠٢٣	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صفار ذنوبه
١٥٢٥	يكشف ربنا عن ساقه	١٢٩٢	يؤتى بالموت في صورة كبش أملح
١٤٦٤	يكون النسيم طيراً يعلق بالشجر	٨٨٦	يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة
١٣٩٤	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	٧٥١	يسقطها ويمدها مد الأديم
٤٤٨	ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال	١٥٨٣	يتبع الميت ثلاثة
١٩٨	ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا	١٣٤٤	يتجلى لهم الرب
١٨٢	يوشك أن يأتي زمان يغربل فيه الناس غربلة	٧٢٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
١٠١٩		١١٨٧	يجهاد بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح
		٥٤٩	يحيى لك الثلث
		٩٢	يحيى النبي يوم القيامة ومعه الرجل
		٢٦٩	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة
		١١٨٥	يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا

(٢) وهو في «الكتاب» ٢/ ٤٢٠، والطبري ١/ ٣٣٣، ٤٤٥، وأما ابن الشجري ٢/ ٢٠. و«القرطبي» ٩/ ١٨٣، وشرح شواهد الشافية» ٧٨٧، و«المصاحف» و«اللسان» و«التاج»: صوب.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فلان تكن الأيام	لهن ذنوب		٥٠٧ ، ١٢٣
ومن لم يغمض	وهو عاتب		٢٦٨
ومن يتتبع	الدهر صاحب		٢٦٨
فمن يك	بها الغريب	ضايح بن الحارث	٥٨٠
تمزقها	فتصروا		٥٣٥
تقول ابنتي	طبيب		٤٩٢
تتابع أحداث	والخطوب ثشب		٤٩٢
ما نقم الناس	إن غضبوا	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
وأنهم سادة	عليهم العرب	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
ولقد طعنت	أن يغضبوا	أبو أسماء بن الضريبة	٦٤٨
طلباً لمعرفك	دونك الأسباب		٦٩٠
ليس في الحق	ما يقول الكذوب		٣٩
لنا ذنوب	قلنا القلب		١٣٥٣
تميم بن قيس	علي جوابها	الفرزدق	٦٧٠ ، ٢٤٧
وقفت على	وأخاطبُه	ذو الرمة	٧٥٩
وأسقبه حتى	وملاعبُه	ذو الرمة	٧٥٩
وكائن أصابت	ومنه ثوابها		٢٢٨
فقلت انجروا	وغارِبُه		٣٢٤
أضاءت لهم	ناقِبُه <sup>(١)</sup>	أبو الطحان البقيني	٤٤
عصيت إليها	أرشد طلابها	أبو ذؤيب	٢١٨
فصدقتها	كذابُه	الأعشى	١٥٠٨
ألم تر أن الدهر	لغاريه دائب		٥٨٤
أرى رجلاً	كفا مخضب	الأعشى	٨٣٨
فما أذكر	منها قريبا	الأعشى	٥١٢
جريمة نامض	صليب	أبو خراش الهذلي	٣٥٣
لا أبتغي	وأصبا	أبو الأسود الدؤلي	٧٨١
يمج صبيره	الماعون صبا		١٥٩٥
فانقض كالدرية	تخاله طنبا	أوس بن حجر	٧٥٧
خليلي مرابي	الفؤاد المعذب	أوس بن حجر	١٣٤٢
ألم تر أنني	وإن لم تطيب	أوس بن حجر	١٣٤٢
كليني لهم	بطيء الكواكب	الناطقة الذبياني	٧٨١
ولا عيب فيهم	قراع الكتائب	الناطقة الذبياني	٥٩٥
كان نقيق	أو نقيق العقارب	جرير	٤٧٥
أتاني كلام	أنك عائبي	أبو الغول الطهوي	٢٨٠
فقلنا السلام	ومؤها بالحواجب		٦٦١
يا صاح بلغ	عري الذئب	مالك بن نويرة	٥٥
لعمري أبيها	ابن أبي كعب		٩٤٣
أرانا مرصدين	وبالشراپ	الناطقة الذبياني	٨١٥

(١) وهو في «الكامل» للمبرد ٤٦، ٤٧، و«أمالى المرتضى» ١/١٨٦، و«اللسان» ٢/٩، ونسبه في «الحيوان» ٣/٩٣، و«الشعر والشعراء» للقطب بن زرار

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لقد نقتبت	بالإيـاب	امرؤ القيس	١٣٤٤
كطود يلاذ	المزاعم والمذاهب	الناطقة الجعدي	٣١٨
أمرتك الخير	وذا نشب	عمرو بن معد يكرب	٦٥٩ ، ١٦٥
يسومان يوم	إلى الأعداء تأويـب	سلامة بن جندل	١١٦٤
لن يذهب	والياقوت والذهب	مالك بن نويرة	١٣٨٢
فلو رفع السماء	مع السحاب		١٤٨٤
احبس حمارك	عمدن لغرب		١٤٩١
متبذلاً تبدو	مراضع القنب	دريد بن الصمة	٣٦٦
امثكأ تصفق	العبد بالكوب	عدي بن زيد	١٢٨٣
والغير يرهقها	انقضاض الكواكب	بشر بن أبي حازم	٧٥٧
جأوا بصيد	طوال الذنب		١٢٠٢

## حرف التاء

إذا خـلدت	ودعـو	قيس بن ذريح	٧٤٠
دعوت التي	وقضيـت	قيس بن ذريح	٧٤٠
ولكنهم بانوا	يفجؤك البغـث	يزيد بن ضبة	٤٣٢
ومـا أـدع	إن مشيـت		١٥١٦
ألي الفضل	الحساب مقيـت	السموئـل	٣٠٧
وليلة ذات	سراها ليـت	رؤبة	١٣٢٧
ومنهل فيه	واسـتقيـت		١٨٦
وذي ضـنن	مساءته مقيـتاً	أحيحة بن الجلاح	٣٠٧
أبلغ أمير	إذا أتينا		٦٨٩
إن العمراق	فهيت هيتا		٦٨٩
قد رابني	بها لهيتا		٦٨٩
قليل الألايا	الألية برئـت	كثير	١٣٥
أنيني بنا	إن تقـلـت	كثير	٥٨٨
صفوحاً فما	الوصل ملـت	كثير	١٢٧٤
أمين ومن أعطاك	فانفعـلت		٣٦
أترجو بنو مروان	سمعي وطاعـتي		٧١٦
من اللواتي	كبرت لدائي		٢٦٤
حلفت بالسبع	قد أمـتـت		١٢٣٩
ومـثـان	ئـلـت		١٢٣٩
وبالحواميم	فـلـت		١٢٣٩

## حرف الجيم

بأرعن مثل	تهمـلـج	الناطقة الجعدي	١٠٥٥
متى تأتنا	وناراً تاجـجا		١٠٢٣
نحن بنو جمعة	ونرجو بالفـرج		١٤٦٠ ، ٨٨٢
يا حبذا القمرء	ملاء النسـاج		١٥٦٢

## حرف الحاء

إذا غير النأي	مـية يـبرـح	ذو الرمة	٤٧
---------------	-------------	----------	----

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بدت مثل قرن	..... في العين أملح	ذو الرمة	٨١ ، ٤٦
وما الدهر	..... الميش أكدح	تميم بن مقبل	١٥٢٨ ، ٢٨٨
ليبك يزيد	..... طوحته الطوائخ	نهشل بن حري	٧٥٨
وكلتاها قد	..... العيش أرواح		٨٥١
إنسي أرقست	..... الصاب مفيوح	أبو ذؤيب	٨٥٠
إنسي لأجر	..... وأستريح		٥٠٢
وانفخ جوانب	..... وذئانح		٧٠٨
أقارض أقواماً	..... علي كشوحها	النعم بن تولب	٢٢٢
على طرق كنحور	..... المصروحا	أبو ذؤيب	١٠٤٩
فقلت لصاحبي	..... واجتز شبحا	مضرس بن ريمي	١٣٤٢
يا ليت بملك	..... سيفاً وروحاً		١٣٨٨ ، ٣٦٢
فمن بنجوته	..... يمشي بقرواح	عبيد بن الأبرص	٣٢٥
ونحن على جوانبه	..... كالإبل القماح	بشر بن أبي خازم	١١٦٨
ألتئم غير	..... بطنون راح	جرير	١٠٠٣ ، ٥٣
سأشكر إن	..... في جناحي	جرير	١٠٦٣
وأعبد أن	..... وينني رزاح		١٢٨٥
أضمه للمدر	..... والجناح		٩٠٣
ألا يا أيها	..... به برح		١٥٦٥
أرى الموت	..... لسه أروح		١٥٦٥

## حرف الدال

وأنت زعيم	..... القدح الفرد	حسان بن ثابت	١٤٦١
فبين ثواب الله	..... فيها يخلد	حسان بن ثابت	٨٧٤
ألا حبنا هند	..... والبعث	الحطيئة	٣٨٨
فكيف ولم	..... أديتكم قتلوا	الحطيئة	٥٧٠
تعز أمير المؤمنين	..... ويولد		٥٣٠
عشية لا عفراء	..... منك بعبث	عروة	٥٠١
أنا ابن الذي	..... فسوف تعود		٩٣٣
تبرى الناس	..... حولها وتعود		٩٣٣
أما الفقير	..... له سبب	الراعي	٥٩٠
حتى إذا ما	..... ملوئ ومحصور		١١٧٨ ، ٦٢٣
تعد والذي	..... وأذكرك المجلود		٦٨٥
فما أجشمت	..... والأكباد سود	الأعشى	٢٢٢
كل حي	..... انقضى أمه	الطرماح	١٨٧
فأليت لا أرني	..... تزور محمداً	الأعشى	٢٦٤
إذا ما انتبنا	..... بها بُدأ	زائدة بن صمعة	٣٥٣
فإن شئت	..... ولا بسرردا	العرجي	١٥٠٨ ، ٤٠٦
أرني جواداً	..... أو بخيلاً مخلداً	حطائط بن يعفر	٦٦٠
إذا كنت عزماً	..... جليداً	الأحوص	٨١٦
فقلت له	..... أموننا وجداً		٣٦
أمين وأغناه	..... تبارحه جهداً		٣٦



صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تباعد مني .....	ما بيننا بعدا .....		٣٥
لا تترجي حين .....	أم واحدا .....		٣٢١
تسمع في .....	جساء ريدا .....		٧٧٣
من البيض لا .....	الحلي جديدا .....		٦٦٥
وإن شئت تعاودنا .....	عوادا .....		١٤٧٦
أعاذل ما يدريك .....	أو في ضحى الغد .....	عدي بن زيد	٤٦١
وإني لعبد الضيف .....	شيمة العبد .....	المقع الكندي	٥٣٤
فلن الذي حانت .....	يا أم خالد .....	الأشهب بن رميلة	١٢٣١ ، ٤٥
بروي لو أني .....	طريف وتالد .....	متم بن نيرة	٢٤٣
فأصبحت مما كان .....	الماء باليد .....		٧٣٠
أعاذل إن اللوم .....	غبك المتردد .....	عدي بن زيد	٩٠١
ألا أيها الزاجري .....	أنت مخلدي .....	طرفة	١٠٩٢
تمنى رجال .....	فيها بأرحد .....	طرفة	١٥٦٠ ، ١٠٩٣
أرى السموت .....	الباخل المتشدد .....	طرفة	١٥٨٠
منى تأته .....	خير مرقد .....	الحطينة	١٢٧٩
أسود شرى .....	دماء الأساود .....	الأشهب بن رميلة	١٤٦٢
أنحوي هذا العصر .....	جرهم وثمرود .....		٤٧
إذا نفيت .....	مقام جحود .....		٤٧
تكاد لا تثلج .....	على رود .....		١٥٣٦
يا صاحبي .....	من أمر بمرودود .....	هاني بن شكيم	٧١٩
ولقد غنوا .....	ثابت الأوتاد .....	الأسود بن يعفر	١٢٠٣
ولو أنها عرضت .....	صرورة متهدد .....	النايفة الذبياني	٨٢٧
لرنا لبهجتها .....	وإن لم يرثد .....	النايفة الذبياني	٨٢٧
أبررت عليه .....	جامد البرد .....	النايفة الذبياني	٦٦٦
شكلتك أمك .....	عقوبة المتعمد .....		٩٠٩
نجوت مجالدا .....	قديم عهد .....		٣٢٥
ومن يتق .....	مؤتاب وغادي .....		٨٨
على ما قام .....	فسي رماد .....	حسان بن ثابت	١٠٤٧
فلن تدفنوا .....	الحرب لانقعد .....	امرؤ القيس	٩٠٢
ومنا الذي .....	ولم يواد .....	الفرزدق	١٥٢٠
ألا ليتما .....	أو نصفه فقي .....	النايفة الذبياني	٥١
صادياً يستغيث .....	عصرة المنجود .....	أبو زيد الطائي	٧٠١
اعتبر أيها .....	بالعمر المديد .....		١٥٤٧
قلني من نصر .....	بالشحيح الملحد .....	حميد الأرقط	١١٩٦
ضنت بخد .....	أصدي .....		٥٥٢
فقمنا ولما يضح .....	عند حدادها .....	الأعشى	١٠٩
لقد بكر الناعي .....	وبالسيد الصمد .....	سيرة بن عمرو	١٦٠٣
وشباب حسن .....	نزار بن معد .....	الجارث بن دوس	١٣٧٠
إن ينشئ الأورد .....	ليسرا من أسد <sup>(١)</sup> .....	منظور الوري	١٩٨

(١) وهو في «مجاز القرآن» ١٣٢/٢، و«غريب القرآن» ٣٤٦.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
إلى أمير	الممتاذا	رؤية	٤١٩
لم يؤذها	باقليذا		١٢٣٥
وطباب	ويرذا		٧٨٣
<b>حرف الراء</b>			
أما وي	وضاق بها الصدر	حاتم الطائي	١٣٩٣
بني عمنا	يوم قماطر		١٤٩٨
غنيينا زماناً	بكأسيهما الدهر	حاتم الطائي	٥٠٨
فما زادنا	بأحسابنا الفقر	حاتم الطائي	٥٠٨
ألا أيهذا الباخع	يديه المقايير	ذو الرمة	٨٣٨
فلا يدعني	وتسلم عامر		٦٩٠
فما عصمة الأعراب	يُعمصر		٧٠١
إذا قلت	يطلع الفجر	أبو صخر الهذلي	٧١٨
ولا عائدأ	ولك الشكر	أبو صخر الهذلي	٩٤٠
وإن فـؤادأ	الهوى لصبور		٧٤٨
ولو أن نفسي	يُعد كثير		٧٨٦
ولكنها نفس	اللثام قذور		٧٨٦
وصاحب صدق	عامداً أجر <sup>(١)</sup>		٥٥
أخو رغائب	النوفل الزفر	أعشى باهلة	٢١٥
تكفيه حزة	شربه النمر	أعشى باهلة	١٣٩٠
إن امـرءأ	لمفروذ		١٨٠
لا يغمز الساق	شروقه الصغر	أعشى باهلة	١٦٧
الله يعمل	إلى جيراننا صور		١٦١
لولا ابن جمعة	ينفخ الصور		٤٤٨
نخالي اللحم	نفج القدور		٦٤٨، ٥٦٨، ٨٩
فقلنا أسلموا	الإحني الصدور	العباس بن مرداس	٦٣٤، ٢٩٩
فيوم علينا	ويسوم نسر	النمر بن تولب	٣٥٦
ما ضر جارأ	لبابه ستر	مسكين الدارمي <sup>(٢)</sup>	٤٥
أعمى إذا ما	جارتني الخدر	مسكين الدارمي	٤٥
وتصم عما	كأنه وقر	مسكين الدارمي	٤٥
يا رسول المليك	إذ أنسا بـور	عبد الله بن الزبيري	١٠١٣
وقد رابني	ويسورهما	توبة	١٤٨٩
وقاسمها بالله	إذا ما نشورها	خالد بن زهير	٦٢
وشر المنايا	الحي حاضر	الحطيئة	٧٦
المرء يهوى	قد يضمر	الناطقة الجعدي	٦٥٨، ٢٣٤
تفنى بشائته	العميش مرء	الناطقة الجعدي	٦٥٨
وتصرف الأيام	ثينأ يسر	الناطقة الجعدي	٦٥٨
يا ابنة عمي لاحني	الهواجر		١٤٨٩
فأنت أعاليه	البسر أحمر	امرؤ القيس	٤٥٧

(١) البيت غير منسوب في «مجالس ثعلب» ١/ ٨٥، و«اللسان» ١٥/ ٢٦٨.

(٢) الأبيات الثلاثة في «الشعر والشعراء» ١/ ٥٣٠، و«معجم الأدباء» ٤/ ٢٠٦، و«أمالى المرتضى» ٢/ ١٢٠ و١٣٣، و«لباب الأداب» ٢٦٥.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ألا هل أتاهما	تملك بيقرأ	امرؤ القيس	١٣٥٨
جزى ربه	جزاء موفرا		٦٩٠
ولمأ رأى	كان أضمرأ	الفرزدق	٦٢٨
أبا حاضر	يصبحُ مسكرا	الفرزدق	٨١١
تمنى حصين	أذل وأفهرا	المجبل السعدي	١١٩٠
لعمري لئن	آل أبجرا	الأبيد الرياحي	١١٨٦
رموها	النعام المنفرا	ليلي الأخيلية	١٤٨٧
أحقاً عباد الله	الأراك به خضرا		١٣٨٤
نأنى النساء	أكبرن إكبارا		٦٩٥
الشمس طالعة	والقمرأ	جرير	١٢٩٠
له قبر	ووقـارأ	أبو عريف الكلبي	٥٧٥
ألف الصفون	الثلاث كسيرا		١٢١١
أصبحت لا	إن نـفـرا		١١٧٩
رعته أشهرأ	واستفـارأ	الراعي	٤٧٨
ولا ينسيني	الفرح الإزارأ	ابن أحمر	٦٤٤
مجدوا الله	أمر كبيرأ	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
بالبناء الأعلى	السما سريرا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
شرجعاً لا يناله	صـورا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
نشرب الإثم	بيننا مستعارأ		٦٩٤ ، ٤٩٢
وبيت قولي	عبدأ كفورا	الأسود بن عامر	٣٠٤
أكل امرئ	بالليل نارأ	أبو دؤاد الأيادي	٢٧٩
وأعـلـدت	وخيلأ ذكورأ	الأعشى	١٣٠٩
كان القرنفل	وأريأ مشارأ	الأعشى	١٤٩٩ ، ٢٣٥
فبانـت وقد	نأيها مستظيرأ	الأعشى	١٤٩٧
لا أرى الموت	الغنى والفقيرأ		١٢٣
قلت له	كهرة وزبرأ		٥٥٢
فتولى غلامهم	أم حمـارأ		٢١٣
جعلت عيب الأكرمين سكرا			٧٨٤
إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصارأ			١٦٤
ألم تر أن	وذا ظـفـر		٤٧٥
نحل بلادأ	عاد وحمير	ليبد	٤٠
إذا أدبر	أرض عامر	الراعي	٩٥١
تمنى كتاب	حنعام المقادر		٩٦٢
فإن حرامأ	على عمرو		٩٤٢
ألا رب	منتصح الصنـر		٨٩٧
بأرض فضاء	غير منكـر	عيد بن وهب العبي	٨٤٣
فإن تـالـينا	الأنام المسـر	ليبد	٨١٥
ألا إن خير الناس	في العرف والنكر		١٤٢١
لكم قدم	طمت على البحر	ذو الرمة	٦١٦
كان فؤادي	نهضأ إلى وكـر		٧٤٨
فما فتئت	بني صخر		٧١٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بحيش	سجداً للحوائف	زيد الخيل	٧٨٠
هنالك لا	مبلاً بالجرائر	الشتري	٤٤٧
لقد كنت ذا	ولا ظفري		٤٧٥
سقى الله	المدجنات المواطير		٣٥
أمين وأدى	حمام المقادر		٣٥
فلما التقت	واعتزينا لعامر	الراعي	٤٩
يرى طاعة الله	جاحم الجمر	عمران بن حطان	٨٥
ولا تبك ميتاً	وأكأبي بكر		١٥٣
ممتقبلين	القطن منشور	الفرزدق	٨٢٢
ما بين لقمة	قبد أظفري		٤٧٥
يأت حواطب	ولا دعري	تميم بن مقبل	١٠٦٣
نازعه طيب	وقمة الساري	الأخطل	١٣٥٦
لبوما الحياء	عبثما عوري	تميم بن مقبل	٧٥٤
هن الحرائر	لا يقرآن بالسور		٩٥٤
إني ضمننت	غير غلور		٥٨٠
من كان مسروراً	بوجه نهاري	الربيع بن زياد	٢٠٢
فلست مُلماً	بتسلم الأمير		١٢٠٨
أحافرة	سفه وعاري		١٥١١
هما استويا	بغير زور		٥٠٠
ألا أبلغ	ثقة إزاري	بقيلة الأشجعي	١٠٨
شهد الحطية	بالمنر	الحطية	٧٧
لمن الديار	ومن شبر	زهير	٧٧٣ ، ٦٠٦
ولأنت تفري	ثم لا يفري	زهير	٩٧١
سألتني	جثمانني بنكر	زيد بن عمر بن قيس	٢٠٧٣
ويحك أن	عيش ضر	زيد بن عمر بن قيس	١٠٧٣
لسوا أسندت	إلى قابر	الأعشى	١٥١٧
حيثي يقول	للميت النائر	الأعشى	١٥١٧ ، ٥٠٢
فكان طعم	وسلافة الخمر	المسيب بن علس	١٤٩٩
أبلغ النعمان	وانتظاري	علي بن زيد	٥٢
لو بغير الماء	بالماء اعتصاري	علي بن زيد	٧٠١
لا يبعدن	وأفة الجزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
المنازلين	معاقد الأزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
من كمي	في القلور		١٧٨
أزمان عيناه	العين الحير		١٢٩٢
عزفت الديار	الكاتب الحميري		١٥٢٥
نحن صبحنا	أو سرارها		١٥١٤
تمنى ابتغاي	ربيعاً أو مفر	ليد	٤٦
إلى الحول	فقد اعتذر	ليد	١٥٣٧ ، ٦٠٠
سلام الإله	وسمء ورز	النمر بن توبل	١٣٧٧
أتعني لسان	قول نكر		٤٠٥

صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وتخني بهم	فلم أنتهز	امرؤ القيس	٧٤٨ ، ١٧٨
أخذته عزة	فعل الضجر		١٢١
أتوني فلم أرض	بشيء نكر	عبيدة بن همام	٣٠٤
يلحفها اللحم	اللحم ضرر		٧٧٣
وليلة ظلامها	ما زهر		١٤٩٩
ولما العيش	معتصر		٧٠١

## حرف الزاي

إذا لقيتك	الهامز اللمزه	زياد الأعاجم	١٥٨٧ ، ٥٨٩
كأن لم يكونوا	عزٌّ بـ	الخناء	٦١٨ ، ٣٣٥
قد جرفتهن	الأجراراز		٨٣٩
حتى وقمنا	بالرجز	رؤية	٦٣

## حرف السين

بشوب ووينار	هامنا رأس		٩٤٣
إلى ظمعي	أيمانهن الفوارس		٨٤٣
نبئت أن	يا كليب المجلس	عدي بن ربيعة	٨٢٥ ، ٧٦
خير من	النساء المجلس		٦٩
أضأت لنا	بالفؤاد التباسا	النايفة الجعدي	٤٤
إذا ما الضجيع	عليه لباسا	النايفة الجعدي	١٠٨
تضيء كضوء	فيه نحاسا	النايفة الجعدي	١٣٨٠
جنتاً علي	أثراً بشيما	ذو الأصبع العدواني	٥٢٥
يا صاح هل	وأبلسا	المعاج	٤٣٧
حتى إذا	وعسما	علقمة بن قرط	١٥٢١
لا تخبزوا	بـ		١٣٨٥
الواردون وتيم	جلد الجواميس	جرير	٧٨٠
ولسولا كثرة	لقتلت نفسي	الخناء	١٢٧٩
وما يكون مثل	عنه بالتأسي	الخناء	١٢٧٩
وليلة من	كلون السندس		٨٥٠
وحضرت يوم	صفرة وإبلاس	رؤية	٤٣٨

## حرف الشين

وقريش هي	قريشاً		١٥٩٢
----------	--------	--	------

## حرف الصاد

أمن ذكر سلمى	وتبوص	امرؤ القيس	١٢٠٢
أكبائره	حريص		٤٩٧
كلوا في	زمن خميص		١٣٧٥ ، ٧٨٠ ، ٥٠٥ ، ٤٠

## حرف الضاد

دايت أروى	وأدت بعضا		١٧٠
أبامنلر	أهون من بعض	طرفة	٨٧٩
إن شكلي	وانعمي تبقيضي		٦٩١
طنول الليالي	وطوين عرضي		٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وليس	بالمنعص	رؤية	٧٦٧
أمت همومي	وطوراً واسطاً	هيمان تحافة	١٥١٠
وقد حال هم	تبتغيه الأصابع	التابغة الذبياني	٦٩٣
خطاطيف حجن	إليك نوازع	التابغة الذبياني	٤٧
توهمت آيات	وذا العام سابع	التابغة الذبياني	٥٧
فبانوا فلولاً	لعينك مَنَعُ		٣٤٨
فيا رب ليلى	في رحمة الله أطمع		٥٢٦
منا الذي	الرياح الزعازع		٥٢١
أرى الخطفى	كليب مجاشع		٤٨٨
أليس ورائي	عليها الأصابع	ليد	٧٤٣
وما المرء إلا	إذ هو ساطع	ليد	١٥٢٩، ١٠٧٥، ١٢٣
فما فتئت	وتقَطَّعُ		٧١٤
أراجع يا لبن	ما لهن رجوع	قيس بن ذريح	٦٣٣
وفينا رسول الله	من الصبح طالع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
يبيت بجاني	بالكافرين المضاجع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
إذا أنست	أفرحتك الودائع	بيس العذري	٨٦٠
أخذنا بأفاق	والنجوم الطوالع		١٢٧٩
وإني بحمد الله	غداة أتقنع	غيلان بن سلمة الثقفي	١٤٨٦
تعالوا فسالوا	الدمر تابع		١٤٧١
لما أتى	والجبال الخثع	جرير	٦٨٣
ولقد حرصت	لا تكدع	أبو ذؤيب	١٥٥
فتخالسا	التي لا ترزع	أبو ذؤيب	٣٨٠
وعليهما مسرودتان	السوابغ تُبَعُ	أبو ذؤيب	١٢٥٤
وخيل قد	ضرب وجيع		٣٣٥
كان يياض غرقه صديق			٧٦٨
يا ليت شعري	وأمرى مجمع		٩١٠، ٦٣١
تذكر أياماً	إليك رجوعها	الأحوص	٩٧٤
تعبدون عقر	الكمي المقنعا	جرير	٣٠١
فأقسم لو	لك مدنعا	امرؤ القيس	٦٤٦، ٣٠٣
فدى لبني	كواكب أشنعا	مسهر بن النعمان	٤٤٤
فأدركت من	القصائد مصنعا		٧٠٨
فان تزجراني	عرضاً ممنعا		١٣٤٢
عليك مثل	المرء مضطجعا	الأعشى	
فأنكرتني وما	الشب والصلعا	الأعشى	١٥٠٤، ٦٦١
ما كنت	الخليل خدوعا		٢٠٣
وخير الأمر	تبعه اتباعا		١٤٧٦
إليك إليك ضاق بهم ذراعاً			٦٦٤
فني قباب	قد ينمعا		٤٥٨

الصفحة	الشاعر	الفاندة	صدر البيت
٧٤٩		شينا أطمعا .....	انغص نحوي
٣٩٢	الأضبط بن قريع	قد رفعه .....	لا تذلل الفقير
٢٥٩		ليس بجائع .....	ونقفي وليد
١٢٠	خبيب	مصروعى .....	ولست أبالي
١٢٠	خبيب	ثلوم منع .....	وذلك في
٤٨٢	الشاخ	عن ربوع .....	تصيبهم
٩٥٩	الشاخ	من القنوع .....	لمال المرء
١٤٤	الحطينة	أنف القصاع .....	وينحرم سر
٥١٥	عمرو بن معديكرب	وأضغ .....	يا ليتني فيها
٤١	سويد بن كاهل	الريق خدغ .....	أبيض اللون
٥٤	سويد بن كاهل	أصم المستمع .....	ساجد المنخر
٦٨٣	سويد بن كاهل	لحمي رنغ .....	وخبيب لي
٦٩٠		صاعاً بصاغ .....	لما جف

## حرف الفاء

٨٤٧	مزرد	قسي وزائف .....	وما زودوني
١٥٩٣		القلوب الرواجف .....	ولما دنا
٩٠٩	الفرزدق	أو مجلّف .....	وعض زمان
٣٧٠	الفرزدق	إيلياء مشرف .....	وبيتان بيت
٧١٨		قوم تقصف .....	وليس صرير
٧١٨		الثناء المخلّف .....	وليس فتيق
٧٤٤		الشمس كاسف .....	ويضحك عرفان
١٩٧		حين نزاحف .....	ونحن أناس
١٩٧		فيما تخالف .....	جماجمنا يوم
١٣٦١		الخروج المتقصّف .....	ألم تـران
٩٣١		ولا طـرف .....	بني المهلب
١٣٤٠ ، ١١٥٢ ، ٥٨٠		والرأي مختلف .....	نحن بما عندنا
٩٩٠		تكاذ تنفر .....	تنام عن
٥٤٤		سيرهن تزحف .....	لمن الطعائن
٧٤١		علي الأكفا .....	ينردون في
٧٤٢		علي الوظيفا .....	قد أننى
٦٧٥	العجاج	زلفاً فزلفا .....	ناج طواه
٨٢٦	العجاج	كي تزحلفا .....	والشمس قد
٢٤٤		إلى خلاف .....	إذا نهى
٤٩٧		على الأعراف .....	كل كنار
١٣٣٨ ، ٣٨	الوليد بن عقبة	الإيجاف .....	قلنا لها

## حرف القاف

٧٣١ ، ١٩٣	حميد بن ثور	تـذوق .....	فلا الظلّ
٤٧	ذومة الرمة	كاذ يبرق .....	ولو أن لقمان
١٠٧١		ما أطيق .....	فليت بنفسه
١٣٨٧	عدي بن زيد	يمينا يريق .....	ودعا بالصبح

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لنسم أنس	دموعها شرقة		١٠٢٨
وقولها والركاب	وتبطلت		١٠٢٨
بيل نطفة	وأمله الشرقة		١١٧٣
تمنيهم حتى	السرادقا	الفردق	٨٤٩
إنا لنا	لو يجدن سائقا		١٥٢٩
قتلت سليمي	خادماً لبني		٨٨
قضت أموراً	لم تفئني		٨٠٨
سامنهما	لم تشفقني		٤٧٤
وقلتم لنا	كسل موثق <sup>(١)</sup>		٤٨
فلما كفنا	في الملا متالي		٤٨
إنني امرؤ	إلى طبعني	الأقرع بن حابس	١٥٣٠
فتفك فانع	ولا تبرقي	طرفة	١٤٩٣
ولا فاعلموا	في شقاي		٣٩٨
وإيالي بني	بدم مراقي	عوف بن الأحوص	٤٤٦
حتى استوى	ودم مهراق		٥٠٠
ومسد	مخ زامتي		١٦٠١
قد كنت	أطعني وانطلق		٨٦٤
ضحكوا والدمر	لما نطق		٨٦٥
من شاء	له بالمضيئ		١٠٢٥
نحن بنات	على النمارق		١٥٣٤
وقامت	على ساق		١٤٦٤
جاء به	تلق		٩٩٠
حرف الكاف			
أقول له والرمح	أنا ذلكا	نخاف بن لدية	٢٨
يا عاذلي	من مثلكا		٩١
والله أممك	به إيثاركا		٣١
يساروب لا	منهم حماكا	عبد المطلب	١٥٨٩
يما مكة الفاجر	مذحجاً وعكا		١٣٢٣
مضايح ليست	السدوالك	ذو الرمة	٨٢٦
لامم إن	فامنع حلالك	عبد المطلب	١٥٩٠
حرف اللام			
وعاد الفتى	واستراح العواذل	أبو خراش	١٤٠٥
ركاب حصيل	لها رحل		١٤٠٥
بخيل عليها	ينالوا فيستعلوا	زهير	١٣٨٤
إذا غفل الواشون	والوسائل		٣٧٩
لعمرك ما أدري	المنية أول	معن بن أوس	١٠٩٣، ٥٤٠
إذا أشرف	قوم معازل	عبد بن الطيب	٥٣٥
أيأ أثلات القاع	أطلائكن طويل		٧٣١

(١) البيتان غير منسوبين في «الطبري» ٣٦٤/١، وأما في ابن الشجري ٥١/١.



صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فإن سأل الواشون	للوشاء جزيلُ		٦٢٢
منلم بليلي	بعدها فمطيلُ		٦٢٣
وأبست ذوي	أنبت للنبيلُ	زهير	٩٧٢
ومن جوف	القوم يتفيلُ	ذو الرمة	١٦٠٥
وجبريل يأتيه	الصندر مخزِلُ	ورقة بن نوفل	٧٦
ثلاثة أحباب	هو القتلُ		٧٣
أثنت قليلاً	كذلك قليلُ		١٦٢
يذمون للنديا	لهائثيل <sup>(١)</sup>	ابن همام السلولي	٢٠٣
أثنتُ خيرك	تلقائك الأملُ	الراعي	١٠٦١
قد يدرك	المستعجل الزلُ	القطامي	١٢٤٤
ما دوضة	مبيل مزلُ	الأعشى	١٠٩١
يوماً بإطيب	إذ دنا الأضلُ	الأعشى	١٠٩١
في فتية	يحفى ويتحلُ	الأعشى	٤٩٧
كأن مشيتها	لا ريث ولا عجلُ	الأعشى	١٣٥٥
إن الألفي	أعز وأطولُ	الفرزدق	١٠٩٣، ٥١٨
أصبحت أمحك	الصدود لأميلُ	الأحوص	١٠٩٣
دعوت الله	ما أقولُ	شمير بن الحارث الضبي	٥٠٩، ٨٨
وما يدري	متى يغفلُ	أخيرة بن الجلاح	١٥٦٢، ٥٧٦
تضحك الضبُعُ	لهائثيلُ		٦٦٢
لم يشمر	ما حملوا		٧١٤
تالله أنسى	حنينها الإبلُ		٧١٤
فإن الذي	يتبيلها	الفرزدق	٥٥
لسانك معسول	صديقكم مألُكُ		٢٠٥
نصالحكم	قبيلها	الأعشى	٨٣٢
هممت ولم أفعل	تبكي حلائله	ضائب البرجمي	٩٠١
وأيهات أيهات	بالعقيق نواصله		٩٧٤
وأهل خباء	أنا أجلُ	توبة بن مضر	٣٧٦
وجدنا الوليد	الخلافة كاهله	الرماح	٤٥٢
وإنني وإياكم	تسفه أناملُ		٧٣٠
اليوم يبدو	فلا أجلُ		٤٩١
مبثل	حواصله		٧٨٣
كذبتك عينك	الرباب خيالا		١٣٥٧، ٤٥٠
لييك على	الليل أرملا		٧١٦
خرجنا من	اللقاح المطافلا		٥٧
ضخم تعلق	فوقه حملا	الأخطل	٧٨٨
وجاعل الشمس	قد فصلا	عدي بن زيد	٦٥
تلتك المكارم	بعد أبوالا	أمية بن أبي الصلت	١٢٣
عبدوا الصليب	وكذبوا ميكاالا	جزير	٧٧

(١) البيت في «مجالس ثعلب» ٥١٥/١، وقد أسنده المحقق فرواء: يذمون لي الدنيا.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حتى إذا	معمقولا		٦٨٥
أخضبت فعلك	لتخضب الأبطالا	الفرزدق	٨١١
إن الفرزدق	تنالها الأوعالا	الفرزدق	٦٩
في جنان	ولا تحببلا	عبد الله بن ربيعة	٨٧٣
فواعليه	أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	٣٤٧
فلا تبعد	تلك السبيل <sup>(١)</sup>		٢١٣
تحنن علي	مقام مقالا	الحطينة	٨٧٩
بشورها	الطلع والجبالا		١٣٨٨
يوم عصب	السلم الطوالا		٦٦٤
الوهاب المائنة	خلفها أطفالها	الأعشى	٧١٦
وإذا تجوزها	إليك حبالها	الأعشى	٢١٤
وقائيه	من قالها	الخنساء	٢٠٠
تقد الذوايبة	أوعالها	الخنساء	٢٠٠
نطقت	أمثالها	الخنساء	٢٠٠
فباقسمت	نائحة مألها	الخنساء	٧١٤
فلا مزنة	أبقل إيقالها	عامر بن جوين الطائي	٨٠٦، ٧٠٠
أغرك منسي	القلب يفعل	أمرؤ القيس	٦٣٣
فقلت يمين	لديك وأوصالي	أمرؤ القيس	٧١٣، ٣٧٥
فلما تنازعنا	شماريخ مئالي	أمرؤ القيس	٦٢٢
مهفهفة	كالسجنجل	أمرؤ القيس	١٥٣٥
فإن تلك	ثيابك تنسل	أمرؤ القيس	١٤٨٧
فقلت له	وناء بكلكل	أمرؤ القيس	١٧٨
أبقتلني	كأنياب أغوال	أمرؤ القيس	١١٨٨
ألا زعمت	السر أمثالي	أمرؤ القيس	١٤٤
وما ذرفت	قلب مقتل	أمرؤ القيس	١٧٨
فصرنا إلى	أي إذلال	أمرؤ القيس	٦٢٢، ١٩٠
فقلت يمين	الغواية تنجلي	أمرؤ القيس	٦٧٠
خرجت بها	مرط مرحسل	أمرؤ القيس	٦٧٠
ولست بمفراج	صرفه المتحول	هدبة بن خثرم الفارسي	١٠٧١
فظلوا ومنهم	العين بالمهل	ذو الرمة	١٠١٣
تمنى كتاب الله	على رسل		٩٦٢، ٧١
لقد كذب	أرسلتهم برسول	كثير عزة	١٠٢٧
وترمينني بالطرف	إياك لا أقلي		٨٥٢
كأن بلاد الله	كفة حابل		٢٢٤
جزيتك ضعف	من أحد قبلي	أبو ذؤيب	٧٤٢
إذا لسمته	نوب عواملي	أبو ذؤيب	٣٢١
لعمري لانت	بالأصائل	أبو ذؤيب	٥٣٨
فلان أنا يوماً	العشيرة والأهل	المعتل	٦٨٢
لما رأى	كالفقير الأعزل	ليد	٥٩٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أزهرير إن	للفت بهيضل	أبو كبير الهذلي	٧٥٣
وإذا لقيت	لحقام ممجل	عبد قيس	١٩٢
فأعنيهم	بضنك فانزلي	عبد قيس	١٩٢
إن يلحقوا	بضنك فانزلي	عترة	٩٢١
ربما تجزع	كحل العقالي		٧٥٤
فرع نبع	شديد المحال	الأعشى	٧٣٠
إن يعاقب	فإنه لا يبالي	الأعشى	٧٣٠
أيما شاطن	السجن والأغلال	أمية بن أبي الصلت	٤٣
إنني زارد	سوابغ الأذيال	أمية بن أبي الصلت	٥٧
لا أرى ممن	بنني إسرائي	أمية بن أبي الصلت	٥٧
رأت ممر	من الهلالي	جزير	١٠٢٦ ، ٦٨٢
كمنية جابر	بعض مالي	زيد الخيل	٦٦٠
شريت الإثم	تذهب بالعقول		٤٩٢
سقى قومي	من هلال	ليد	٧٥٩
يريد الرمح	بني عقيل	ليد	٨٦٥
ومارمت	العبد الذليل		١٢٥
وأغضيت	قيل وقالي		١٢٥
ثم أضحوا	يودي بالرجال	عدي بن زيد	١١٨٤
إنك والجور	بدم القتل	عترة بن عكبة الطائي	٥٥٢
تبقلت في	مالك ولهشل	أبو النجم	٦٤
فظلنا	من قلله	جميل بن معمر	٦٩٤
والله لولا	من هزله	أم الأخف	٩٠
ويذهل	عن خليله	ابن رواحة	٩٤٨
قلق لا فنان	منها وحائل	الطرماح	٧٥٨
فتدليت	غيايات الطفل	ليد	٣٧
وغلام أرسلته	فبذلنا سأل	ليد	٥٢
قال هجدنا	الدمر عَقَل	ليد	٨٢٧
بينما الظل	فاضحل	ليد	٧٣١
إن تقوى ربنا	ريشي وعجل	ليد	٥٣٩

## حرف الميم

فلا ينبسط	وأنفك راغمُ	الأعشى	٦٣٥
إذا اتصلت	والأنوف رواغمُ	الأعشى	٣٠٩
يعدون للهيجاء	والعموت جاحمُ	الأعشى	٨٥
ألا من لنفس	لهاطعمُ		٩١٣
فممتي علينا	ودر مننظمُ		١٦٢
أناطم إنني	النساء يتيمُ		٧٢
إنني أمرؤ	شفني السقمُ	العرجي	٧١٤
فبصرة الأزد	مصر والحرمُ		١٢٧٩
ولقد أبيت	ولا مخرومُ		٨٩٣
عبدك	والحترمُ		٧١٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا يبقى	عليهن السلام		٧٧٢
ومركضة	والسلام	أوسى بن خلفاء	١٩٣
ألا يا نخله	شاعكم السلام		٤٨٠
تبكي هاشماً	الفن الحمام		١٧٨
أطوف فسي	بي حكيم		٥٥٩
وأقاموا حتى	وكلهم مذؤوم	حسان بن ثابت	٤٨٧
فسأى امرئ	من يُثيئ		٧٤٧
وكيف بظلم	اللين والرُحْم		٨٦٦
عنث بما	وهو قاتم	عبد المطلب	٨٦
عقم النساء	بمثله عقم		٩٦٣
تراك أمكنة	النفوس جمائها	ليد	١٢٤٤
باسم الذي	سورة بيئ		٣١
وعامنا أعجبنا	وقرصاب سئ		٣١
وهبت له	المياه نسيئها		٥٠٢
ومر بسفاح التراب عقيمها			٧٥٨
يرب الذي	زاد وتمما		٣٣
عجبت لها	بمنطقها فما		١٧٩
لمللي إن	أن يتندما		٢١٩
يرى الخمص	الهم مبهما	حاتم الطائي	٣٥٧
ولو غير	المراتين ميسما	المتلمس	٨٣٣
فأطرق أطراق	الشجأ لضمما	المتلمس	٩٠٩
فهل لي أم	لها ابنمما	المتلمس	٥٧٩
فيلما كشفن	غياً موشما	حميد بن ثور	٤٨٩
إن الوثاة	ولا ذمما		٥٧٠
طاف الخيال	بالسلام سلاما	هند بنت عتبة	٦٩
من حس لي	أو من رأما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
أميدن في	عرواهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
صقريين	جمامما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
رمحين	تراهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
ألا أبسلخ	يحبون الطعاما		٥٧
أنا سيف	تذريت النماما		٨٥٣
ثمد مماذراً	فقد ألاما	أم عمير	١١٩٧
رياشي منكم	زيارتكم الماما	جرير	٤٨٩
فإن المنية	تصادفه أينما	النمر بن قولب	٣٠٣
ويوم الفساد	وكان غراما	بشر بن أبي خازم	١٠٢١
ربة محراب	أو أرتقي سلما	وهناح اليمن	١٢٠٧ ، ١٩١
كفناك كف	بالسيف الدما		٦٧٢
مشين كما	الرياح الشوامس	ذو الرمة	٤٢
هلم وسط	الليالي بمعظم		٩٢
دعوت خليلي	للهمجين المذم	الأعشى	١٢١
وكانن أرينا	أو أصر لمائس		٢٢٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وكائن ترى	..... في التكلم		٢٢٨
أقول لهم	..... فإيس زهدم	محيم بن وثيل اليربوعي	٧٣٥
وتشرق بالقول	..... من الدم	الأعشى	٦٨٣
وما الحرب	..... بالحديث المرجم	زهير	٨٤٥
فلما وردن	..... الحاضر المتخيم	زهير	٨٩٤
بها العين	..... كل تجتم	زهير	١٠١٢
لقد لمتنا	..... المطي بنائم		٦٣١
أولئك قوم	..... تميم بدارم	الفرزدق	١٢٨٥
فيه الرماح	..... نسج سلام	الحطية	٧٨
أبلغ أبا	..... بين أقوام <sup>(١)</sup>		١٠٣
لا يدرك المجد	..... عزوا لأقوام		٢٢٥
ويشتنموا	..... صفح أحلام		٢٢٥
هزمت عليك	..... بالذوال وأنعم		١٥٤
لولا الحياء	..... أم القاسم	عدي بن الرقاع	٣٠١ ، ٦٤
وكانها بين	..... جأفر جاسم	عدي بن الرقاع	١٥٦
وسنان أقصده	..... وليس بنائم	عدي بن الرقاع	١٥٦
شططت مزار	..... ابنة مخرم	عترة	٨٩٣ ، ٦٢١ ، ٥٦٧
فشكت بالرمح	..... القضا بمحرم	عترة	١٤٨٧
لو كان يدري	..... الكلام مكلمي	عترة	١٤٠٤
بائسة ما	..... لم تحرم	عترة	١٢٠٨
ذم المنازل	..... بعد أم الهيثم	عترة	٦١
ترى للمؤمنين	..... أولئك الأيام	جرير	٨١٣
لقد لمتنا	..... الرؤف الرحيم	جرير	٦١٣ ، ٩٣
ثلاث واثنتان	..... المطي بنائم	جرير	١١٥١
ندمت على	..... إلى شمامي	الفرزدق	١١٥
وأيقنت التفرق	..... جوف عجم	الحطية	٢٠٥
لممرك إن	..... أريد بالسهام	ليد	٢٤٢
لا والله	..... رال النعمان	حسان بن ثابت	٥٧٠
كان فريضة	..... ولم تكلم		٨٥٨
حارث قد	..... فريضة الرجم		٨١١ ، ١٠٠
أوعدني	..... وتجلي غمي	رؤبة	٤٤
الريح تبكي	..... والأدهم		٥٠٧
يقوم على	..... في غمايه		١٢٩٠
وكان دما	..... أو ينجم	الأعشى	٢٠٤
عكم تغشى	..... قد صرم	الأعشى	٦٣٥
وكلام سي	..... قبل اليوم		٩٣٢
قد لفها	..... من صمم	المثقب العبدى	٤٣٠
	..... ولا غنم	الحطم	٣٥١

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ٥، و«اللسان» ١٨/١٤، وهو في أمالي اليزيدي من أبيات لبعض المتقدمين، وفي «عيون الأخيار» لأبي القعقاع

الأسدي ٩١/١، وفي «العقد الفريد» لهشام الرقاشي، وفي «البيان والتبيين» لهشام الرقاشي ٣١٦/٢ و ٢٠٢/٣ و ٨٥/٤.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا بجزار	لم ينم	الحطم	٣٥١
بات يقاسيها	ممسوح القدم	الحطم	٣٥١
نحن آل الله	على إثرهم		٨٦
حرف النون			
وللموت تغذو	تبنى المساكن		٦٣٥
إذا مزلت	الخليط المبائن		٦٩٥
نأت بعماد	بها فيهون	كثير	٤٨٤
أتيتك عارياً	بها رهين	الناطقة الذبياني	٤٣
صمم إذا	بي الظنون	الناطقة الذبياني	٦٥٨
قد كنت	عندهم أذنوا	قنعب بن ضمرة	١٥٢٨
والروح جبريل	مخاصم ميزائه		٤٨٥
يسار رب	عند الله مأمونا	عمران بن حطان	٧٧
باتت تشكي	قال آمينا		٣٦
الحمد لله	بعد سيعينا	ليبد	٣٤
إنني كأنني	ربي ومسانا	أمية بن أبي الصلت	٥٨٩
ورجلة يضربون	القوم عريانا		٤٩٠
أو كاهنزاز	الأبطال سجيناً	تميم بن مقبل	٦٦٧
وللمنايا نربي	متنه لينا	تميم بن مقبل	٢١٥
إن أجـزأت	الناس عمرانا		٦٣٥
والله لـن	المذكرا أحياناً		١٢٧٥
فاصدع بأمرك	الشراب دفيناً	أبو طالب	٤٣١
وعرضت ديناً	منك عيتونا	أبو طالب	٤٣١
لولا الملامة	البرية ديتنا	أبو طالب	٤٣١
فلو حبلا	بذاك مبيناً	أبو طالب	٤٣١
تنحي فاجلسي	حبلا متيناً		٢١٤
ألا لا يجهلن	منك العالمينا	الحطيئة	٣٣
كان سيرفنا	جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	٤٣
ذراعي عيطل	بأيدي لاعبيناً	عمر بن كلثوم	٤٦
بيوم كرهية	لم تقرأ جنيناً	عمر بن كلثوم	٣٠٥
تذكر حب	مرواليك العيونا	عمر بن كلثوم	٨٨٣
إذا ما الغنائيات	قطع القريناً		١٢٠١
إن شـرخ	الحواجب والعيونا		٨٨٣
منطق صائب	كذباً وميناً	عدي بن زيد	٦١
ملا سألت	كان جنوناً	حسان بن ثابت	٥٨٠
قال جواربي	ما كان لحناً	مالك بن أسماء	١٣١٣
عجبت من	أين أيننا	عبيد بن الأبرص	١٣٧٨ ، ١١٥
يقول أهل	اسماعيناً		٨٧
	إذ يوصيناً		٨٢
	إسرائيناً		٥٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
سريت بهم	وقد شجينا		١٣٧٥، ٩٤٩، ٢٩٩
بواد يمان	بأرسان		٦٦٦
فليت لنا	والشبهان		٩٥٤
ألم تعلمي	على طهيان	الأحول الكندي	٨٤٢ و ٤١٧
رمانني بأمر	لا أخون أميني		١٥٦٧
لا والليذي	الطوي رماني		١٣٤٠، ١٠
ما سرني	الرزء والحزني		١٤٠١
ومخلدات	الوري يكن		١٤٠١
ومما أدري	أقارو الكشبان		١٣٨٧
أالخير الذي	أيهما يليني	المقرب العبدى	١١٦٨، ٦٤٩ و ٢١٨، ١٠٥
إذا ما قمت	هو يبتغيني	المقرب العبدى	٢١٨، ١٠٥
ذعرت به	الرجل الحزين	المقرب	٦٠٩
إذا بلفتني	كالرجل اللعين	الشمخ	٩٧
وكلل أخ	بدم الوتين	الشمخ	١٤٨٠
أبالموت	إلا الفرقدان		٣١١
كانك من	تخوفيني	أبرح النيمري	١٠٧٣
بورك الميت	رجليه بشن	الناطقة الذباني	١٣٤٩، ٥٥٨
إن دهرأ	الرمان والزيتون		٤٥٧
ووجوه	يهم بالأحسان		٨٦٥
قد جعلت	حقان		٦٧٤
ياوي إلى	تبع القرين		٦٢٤
تيممت قياً	ومجد باني		٦٦٥
وإن تستضيفوا	في شـزن	الأعشى	١٦٤
ومن شأنى	قد عـذن	الأعشى	٥٩٤
نحن نطحنهم	له أنكرن	الأعشى	١٨٤
	غبار النقمين	الأعشى	٤٤٨
حرف الهاء			
لآله در	من تآلهي	رؤية	٣٢
ومخفق من	في مهمو	رؤية	٤٣
ويقلن شيب	فقلت إنـ	عبد الله بن قيس الرقيات	٩١٠
والموت أعظم	على الجبلـ		١٠٣٦
قد جاء سيل	الجنة المغلـ		١٤٦٣
أقتلهم ولا	العظيم الحاويـ		٤٧٥
وشريت بردا	كنت هامـ	يزيد بن مفرغ	٣٠٠
حرف الياء			
ألا أبلغ	فتاخرتكم غني		٥٠٨
أطرباً وأنت	دوايـ	العجاج <sup>(١)</sup>	٥٢
أترجو بنو	والفلاة ورائيا	سوار بن المضرب	٧٤٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
هنا تنفلاني	أشد لجاميا	الفزوقي	٦٩١
رايت فضيلا	حتى بدا ليا	عبد الله بن معاوية	٢٢٧
فتى كملت	من المال باقيا	الناطقة الجمدي	٥٥٢
ألا قاتل	النتين الخواليا	عترة	٦٤٣
وقولك للشيء	ليت ذاليا	عترة	٦٤٣
فأنت يقطينا	ألني ضاحيا		١١٩٧
غميرة ودع	للمرء ناهيا	سحيم بن الححاس	١١٧٨
لننقد طال	من شفائيا		١٥٠٨
أمتوالنا لنوي	الدهر نبيها		٥٣٠
أوردت سموها	والموت لاقبها	حسان بن ثابت	٦٤٧
أما ابن طوق	النجم حادبها	طفيل الغنوي	٥٨
إنني إذا ما	أعناقهم كالأرثيه		٧١٢

## حرف الألف المقصورة

يظن سعيد	به أرغى		٦٤٩
هما سيدانا	يسرت غماما	أبو أسيلة الديبيري	١٤٦٧
شفاهما من	الغناء سقاما	ليلى الأخيلية	٨٦٣ ، ١٤١
كادت وكدت	ما مضى		٩٠٢
أبيض لا	ولا يخون إلى		٥٠٤
نقادهم	الافنا		٣٨
بالخير خيرات	إلا أن تـ		٣٨
يا عصمتي	ويا يدي اليمني		١٠٦٤
لاصنت وجهاً	في الشري يبلـ		١٠٦٤
وإن اللـ	خفتها قلاها	يزيد بن الصمغ	٢١٦
على مطالهم	موابتناها		١٠٨٣
يشكرو إلي	فكلانا مبتلى		٨٦٥
ثم جزاك	السموات العلى		٤٢٢
علفتها تبنا	همالة عينها		١٣٨٨ ، ٣٦٢

